

مؤسسة النا بلسي للعلوم الإسلامية

شرح الحبيب الشريف

من أحمديت منفردة

## الدرس (001 - 127) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 31-07-1988

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، و زدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، مع الحديث النبوي الشريف، عن ابن عباس قال كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:

(( يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ))

[رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]

وفي رواية غير الترمذي، عن ابن عباس أنه قال كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ

(( يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيْمُ أَلَا أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ أَمَامَكَ تَعْرِفُ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ))

[رواه الترمذي]

هذا الحديث الشريف ورد في باب المراقبة، و المراقبة أن تشعر أن الله سبحانه و تعالى يراقبك، والله سبحانه و تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾

[سورة النساء]

ويقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)﴾

[سورة الفجر]

و الإنسان إذا شعر أنه مراقب من إنسان انضبط أيما انضباط، فإذا كان الذي يراقبه لا يغيب عنه لحظة، لا في حله و لا في ترحاله، لا في جلوته و لا في خلوته . عندئذ يجب أن يكون الانضباط أشد.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، سيدنا العباس من أصحاب رسول الله، و ابنه من أصحاب رسول الله، فإذا ورد صحابي و أبوه تقول: رضي الله عنهما، قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا " معنى يوما يعني ساعة من يوم، و ليس معنى يوما أنه قضى خلف النبي يوما بكامله، يعني ساعة من يوم، واليوم من معانيها الدور، " فَقَالَ يَا غُلَامُ " و الغلام بين الطفولة وسن البلوغ، كل من لم يبلغ يسمى غلاما، فالصبي من حين يُفطم إلى سن البلوغ يسمى غلاما، و كان ابن عباس رضي الله عنه كانت سنه عشرا، فهو غلام، فقال عليه الصلاة و السلام:

((يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

أي إذا حفظت الله في جوارحك، إذا غضت هذه العين عن محارم الله، وإذا استتكت هذه الأذن أن تسمع ما يغضب الله عز وجل، وإذا انطلقت هذه اليد فيما يرضي الله، وإذا انطلقت رجل الإنسان إلى مكان فيه خير، إلى مجلس علم، إلى مسجد، إلى إصلاح بين اثنين، إذا كانت هذه الجوارح من عين و أذن و لسان و يد و رجل، إذا انطلقت هذه الجوارح .

إذا انطلقت هذه الجوارح إلى طاعة الله عز وجل، أي إذا حفظت أمر الله عز وجل، و لم تخترقه عندئذ تولى الله سبحانه و تعالى حفظها من التلف و العطب، لذلك هذا الذي عاش سبعا و تسعين عاما، متمتعا بأعلى درجة من الصحة، سئل مرة: ما هذه الصحة يا سيدي ؟ فقال: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر " من عاش تقيا عاش نقيا،

### ((احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

احفظه في كسب المال، أي راع أمره في كسب المال يحفظ لك المال، راع أمره في اختيار الزوجة يحفظ لك سعادتك الزوجية، من تزوج المرأة لجمالها أدله الله، و من تزوجها لمالها أفقرها الله، و من تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، فعليك بذات الدين تربت يداك " إذا حفظت الله، أي حفظت أمر الله في شأن زواجك حفظ الله لك هذا الزواج من أن يتصدّع، من أن يصاب من الشقاء الزوجي، إذا حفظت الله عز وجل في كسب المال حفظ الله لك هذا المال، إذا حفظته في عينك حفظ الله لك عينك، إذا حفظته في سمعك حفظ الله لك سمعك، إذا حفظته في قوتك حفظ الله لك قوتك و متّك بها، حتى الموت، إذا حفظت الله في أيّ شيء حفظك الله سبحانه و تعالى، و كان جزاء طاعته جزاء مقدّما في الدنيا قبل الآخرة،

### ((احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

من أبلغ كلمات النبي عليه الصلاة و السلام، احفظ الله في تعاملك مع الزبائن، لا تغشهم، لا تدلّس عليهم، لا تستعل عليهم، لا تستغلهم، لا توهمهم أن هذه البضاعة لن تجدها بعد اليوم من أجل أن تأخذ سعرا عاليا، إذا حفظت الله عز وجل في علاقتك بزبائنك، أي راعيت في هذه العلاقة أمر الله عز وجل، حفظك الله سبحانه و تعالى من أن يدخل عليك رجل يجعلك ترتعد خوفا منه، طبعاً، إذا حفظت الله يحفظك في بيعك و شرائك، في زواجك، في حواسك، في جوارحك، في كسب المال، في إنفاق المال، في كل حركاتك و سكناتك، إذا حفظت الله فإنه يحفظك، هل هناك قانون أوضح و أسهل من هذا القانون، ربنا عز وجل واضح جعل بينك و بينه قواعد ثابتة.

إذا عاملت إنسانا ربما أخرجك هذا الإنسان، تقول: يا أخي والله يحير، فعلت كذا فلم يرض، فعلت كذا فلم يرض،

اقتربت منه كثيرا فردّني، ابتعدت منه فعاتبني، كيف التعاملُ معه ؟ لكنك إذا أردت أن تتعامل مع الله عز وجل فهناك مبادئ ثابتة في التعامل معه،

((احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ))

هذا قانون فوق المكان والزمان، و فوق الظروف وفوق كل شيء، في أيّ بيئة كنت، في أيّ وضع، في أيّ مجتمع، في أيّ وضع، في أيّ أزمة، في أيّ معطيات،

((احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ))

تعامل مع الله بالصدق يحفظك من كل مكروه:

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإننا منحنا بالرضا من أحبنا

وَلُدَّ بجمانا و احتم بجنابنا لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

((احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ))

أقول هذه الكلمات للأخوة الباعة، قد يدخل إنسان عليهم، يقول: والله تبالاني، والله لم أعمل شيئا، كتبني ضبطا، فعليه شهران سجنا، أنا أقول للأخوة الباعة

((احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ))

عامل الناس معاملة مستقيمة، لا تغشهم، لا تحتكر قوتهم، لا تأخذ منهم فوق ما يجب، لا تغبنهم،

((غبن المسترسل ربا))

((غبن المسترسل حرام ))

لا تدرّس عليهم، لا تهنهم، عالمهم معاملة ترضي الله عز وجل، احفظ الله في طريقة تعاملك مع هؤلاء فالله سبحانه وتعالى يتولى حفظك من كل مكروه،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

الحديث واسع جدا، يدور مع الناس في كل دورة، في أيّ زمان، وفي أيّ مكان، في أيّ نشاط، في أي حركة، في أي سكون،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ " احْفَظْ اللَّهَ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ))

معنى تجاهك تجده معك، هذه معية الله، فإذا كان الله معك فمن عليك، و إذا كان عليك فمن معك، إذا الواحد تمكّن يكسب معية الله عز وجل، أن يكون الله معه، وهل من قوة في الكون يخشاها إذا كان الله معه، يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما،

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

[سورة المائدة]

معية الله أثنى ما في الدنيا، وهذه المعية مبدولة لكل مؤمن، كن مع الله تر الله معك، صاحب هذا المقام، هكذا يقول:

كن مع الله تر الله معك واترك الكلّ وحاذر طمعك

و إذا أعطاك من يمنك ثم من يعطي إذا ما منعك

إنما أنت له عبد فكن جاعلا في القرب منه ولعك

هذه ملة طه خذ بها، إذا والله حديث رائع جدا،

## ((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

احفظ الله في كسبك للمال، يعني احفظ أمر الله، لا تأكل مالا حراما، فالله يحفظ مالك، احفظ الله في بصرك، فالله يحفظ لك هذه العين، احفظ الله في أذنك،

## ((من استمع إلى صوت قينة صب في أذنيه الآنك يوم القيامة))

احفظ الله في أذنك فالله يحفظها لك، احفظ الله في لسانك، تكلم بالحق، لا تغتر أحدا لا تمش بالنميمة، لا تمزح مزاحا رخيصا، لا تعود لسانك الفحش، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[رواه أحمد]

## ((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

أنت لوحدك وبع في الحديث، وبع هذا الحديث حتى يشمل كل نشاطاتك،

## ((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

## (( احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ))

أريد معنى " احفظ الله " أي احفظ في هذا الموضوع أمر الله، لا تنس أمر الله، حتى إن بعضهم يرى من معاني البسمة في بدء كل شيء ألا تنس أمر الله، إذا بسمت قلت: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أي تذكر أمر الله في هذا الموضوع، لكن الإنسان أحيانا يبسم و لا يفقه معنى البسمة، يبسم على أمر محرم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أي يجب أن تذكر أمر الله.

((سَأَلْتُ فَاسْأَلْ اللَّهَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَا يَخَافَنَّ الْعَبْدُ إِلَّا ذَنْبَهُ وَ لَا يَرْجُونَ إِلَّا رَبَّهُ)) ((إِذَا سَأَلْتُ فَاسْأَلْ اللَّهَ))

لأن الله وحده هو المعطي وهو المانع، وهو المعز وهو المذل، وهو الرافع وهو الخافض، وهو القابض وهو الباسط إذا سألت غيره فهذا شرك، لأن غيره ليس في الإمكان أن يعطيك شيئاً،

((إِذَا سَأَلْتُ فَاسْأَلْ اللَّهَ))، ((وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))

لما الإنسان يسأل غير الله عز وجل، أو يستعين بغير الله عز وجل فربنا عز وجل يؤدبه، يخيب أمله من هذا الإنسان الذي استعان به،

((إِذَا سَأَلْتُ فَاسْأَلْ اللَّهَ))

((اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))

ولا يمنع هذا من أن تسأل الناس من باب الأخذ بالأسباب، لا من باب الاعتماد عليهم، و التوكل عليهم، من باب الأخذ بالأسباب، ما دمت متيقناً أن الله بيده كل شيء، وأنه إذا شاء أعطاك وإذا شاء منعه، وما هذا الإنسان إلا واسطة، عندئذ يجوز أن تسأل الناس في حدود هذا المنطق العقائدي،

((إِذَا سَأَلْتُ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))

وسبحان الله لما الإنسان تبقى له منافذ مفتوحة من بني البشر يكون دعاؤه فاتراً، و استعانته بالله ضعيفة، فحتى تغلق جميع الأبواب الأرضية عندئذ تُفتح أبواب السماء، فالإنسان حتى يعينه ربنا على التوحيد يغلق له كل أبواب بني البشر، هذا يصدده و هذا يعتذر وهذا يتنصل، إلى أن يقول: يا رب ليس لي إلا أنت، عندئذ يأتيه الجواب

((وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ))

هذا هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، " لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك " أي بنو البشر، خمسة آلاف مليون لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لا يستطيعون، إلا أن يأذن الله، إذا علاقتك مع الله، ولا ينبغي أن تكون العلاقة مع غير الله عز وجل، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك" لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إن كلمة الحق لا تقرب أجلا ولا تقطع رزقا))

الأمة كله"

((لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

أي هذه القوانين مقطوعة الصحة، لا تبدل، ولا تعدل و لا تغير و لا تجمد ولا يوقف تنفيذها أبدا، هذه القوانين ثابتة في تعامل الله مع العباد، فلا تبحث عن قوانين أخرى، لا تبحث عن معطيات أخرى، هذا هو القانون الوحيد في تعامل الله مع البشر،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ - أي معك -إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ))

هناك آيات تؤكد هذه المعاني ؟ نعم، قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر]

وقال تعالى:

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)﴾

[سورة هود]

هذه آيات تؤكد هذه المعاني، وفي رواية غير الترمذي، ((احفظ الله تجده أمامك)) والله أكثر من أخ حكى لي أنه في بعض الأزمات الله عز وجل يهيئ له إنسانا في اللحظة الحرجة ينفذه، كيف أن الله عز وجل تجده أمامك، الله سبحانه وتعالى مع كل إنسان، لكن تجده أمامك يبعث لك من بني البشر، من ينقذك في ساعة الشدة، من جاء بك في هذه الساعة؟ الله سبحانه وتعالى،

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾

[سورة طه]

فالرواية الأخرى،

((احفظ الله تجده أمامك))

أي وأنت في توجهاتك إلى أعمالك قد تقع في أزمة

في ورطة، في موقف حرج، في مساءلة، في مشكلة، تجده أمامك، الله عز وجل يسخر لك من خلقه الصالحين من ينقذك من هذه الورطة، ومن تعامل مع الله عز وجل بإخلاص وصدق يفقه معنى هذا الحديث،

((احفظ الله تجده أمامك))

تجاهك أي معك، هنا أمامك أي الله عز وجل يرسل لك من ينقذك.

(( تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ ))

يا إخوان والله هذه كلمة مؤثرة جدا، الإنسان في حال صحته، و حال قوته، و حال شبابه، بحال غناه لا ينسى الله عز وجل، أكثر الناس الغنى يطغي

شاب ينسى أن هناك شيخوخة، وهناك خريف عمر، زوج في ريعان شبابه ينسى أن هناك سناً يضعف فيها، فإذا ظلم هذه الزوجة وهو شاب ربما انتقم الله منه في سن متأخرة، فالإنسان إذا هو عرف الله عز وجل يكون حاله جيّداً، لكن إذا عرفه بعد الشدة و بعد الضيق، أو عرفه في خريف العمر، بعد فوات الأوان، أو عرفه في سن متأخرة، بعدما ضيّع ماله و ضيّع شبابه، و ضيّع صحته، لذلك الإنسان السعيد من عرف الله وهو شاب، في مستقبل العمر، لأنه سيعيش حياة مديدة فيها استقرار، فيها توازن، فيها معرفة، فيها نوم، فيها رقي إلى الله عز وجل، على كلِّ كلِّ إنسان عرف الله يشكر الله عز وجل، أي إذا عرفه ولو في سن متأخرة نعمة كبيرة لكن الكلام موجّه للشباب، أي أنت أيها الشاب مهياً، وربُّنا عز وجل لأنه علم فيك الخير جعلك تسمع الحقّ،

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَينا أَوْ أَنْ يَطْغى (45) قَالَ لا تَخَافا إِنّني مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَراى (46)﴾

[سورة الأنفال]

وها أنت قد سمعت الحق، سمعت كلام الله عز وجل، سمعت حديث رسول الله، فهذه فرصة لا تُعوّض.

(( تَعَرَّفْ إِلى اللَّهِ في الرَّخاءِ، يَعْرِفُكَ في الشِّدَّةِ ))

الدعاء الكريم " اللهم اجعل خير عمرنا آخرها، و خير أيامنا يوم نلقاك

"(وَاعْلَمْ أَنَّ ما أخطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيصِيبَكَ، وَما أصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيخطأكَ " أي الأمور تجري بقضاء و قدر، قال

عليه الصلاة و السلام: القضاء و القدر نظام التوحيد ))

((والإيمان بالقدر يذهب الهم و الحزن))

كل شيء وقع أراده الله، انتهى الأمر هناك أزمات نفسية تطحن الإنسان سببها الشرك، إذا آمنت أن الله بيده كل شيء، و أن كل شيء وقع أراده الله، و أن هذه الإرادة متعلقة بحكمة الله البالغة، و أن حكمة الله البالغة متعلقة بالخير المطلق انتهى الأمر.

و انتهى كل شيء، لذلك بعض الأزمان، وبعض المشكلات هي مؤلمة و لكن وقّعها مع التوحيد يأتي مخففا جدا،  
عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ ))

[رواه أحمد]

(( وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ ))

من أجل علامة ذهبت البعثة منه، من أجل يوم تأخرت ذهب البيت، أخذنا دفتر العائلة، ثاني يوم والله قبلوا الجماعة، معنى ذلك ليس لك نصيب، القضية سهلة جدا بالتوحيد سهلة، لكن من دون توحيد مشكلة، شيء أحيانا بيعك يفتس، أحيانا بيت تطمع فيه فيذهب من يدك، قد يكون في حي لا يناسبك، ربنا عز وجل رحمة بك صرفه عنك، سفرة لسبب تافه، نسيت أن تحضر الوثيقة الفلانية مُنعت من السفر، قد يكون السفر لا يناسبك، أنت استسلم لله عز وجل،

(( وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطَأَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ))

الصبر ثمين، الصبر معرفة، الصبر معنى ذلك أن هذا العبد عرف الله، فعرف أن الأمر كله بيده، و عرف أن الله سبحانه و تعالى لا يقضي لعباده إلا بالخير، لذلك هو صابر، والإيمان نصفه صبر، و نصفه شكر، والصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبرُ ذهب الإيمان،

((وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا " هذه الأقوال ))

وهذه الأحاديث مطمئنة، أي يظهر أن الله عز وجل متى ينصر الإنسان ؟ حينما يصبر، حينما يصبر يكون الصبر ثمن النصر، ومتى يفرج عنه ؟ حينما يتحمل الكرب في سبيل الله، ومتى يُيسر له أمره ؟ حينما يرى العسر من قضاء الله وقدره، فكلمات مطمئنة جدا،

## ((وَاعْلَمَنَّ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))

يفيد هذا الحديث تحريم سؤال غير الله تعالى، ويفيد هذا الحديث أيضا أن ما أقره الله في الكتاب الكريم لا يتبدل و لا يتغير ولا يعدل و لا يوقف ولا يطرأ عليه شيء من هذا القبيل، و يفيد هذا الحديث أن الفرج يقترن مع الكرب، و أن اليسر مع العسر، و أن النصر مع الصبر، و أن هذا الحديث يدل على مراقبة الله عز وجل، لهذا ورد هذا الحديث في باب مراقبة الله سبحانه و تعالى، هذا الحديث من أصول الأحاديث الشريفة، إذا حفظه الإنسان كما قلت لكم من قبل: تلقي العلم سهل، لكن تلقي العلم و تثبيته و امتلاكه ثم نقله للآخرين عمل عظيم، أنت حضرت في هذا المسجد سنة سنتين ثلاثا، أن الأوان تنتقل من طور التلقي إلى طور العطاء، فلما كتب الأخ الحديث و سمع شرحه، و جلس جلسة مع أهله، مع أصدقائه، مع جيرانه، حاول أن يتفكر الشرح، فالكتابة و التذكر و الإلقاء يثبت معاني هذا الحديث، فإذا أنت تمتلك هذا الحديث نسا و معنى، فإذا جلست مع أخ في بيتك، في عملك، في محلك التجاري، في مكتبة، مسافر، صديقك، زميلك، مع زوجتك، مع أولادك، إذا شرحت لهم هذا الحديث لعل الله عز وجل ينفع بك، لعل إنسانا يتوب على يديك من خلال هذا الحديث، فالإنسان لا يكتفي بالسماع، لا يكتفي بالتلقي، هذا اسمه.....

لاحظت أنه من وقت ما بدأت ألقى الدرس قبل ساعة من أذان العشاء، صار هناك تأخر شديد، صار حتى يكتمل العدد بعد ربع ساعة أو نصف ساعة، لعل تأتي نفحة من نفحات الله عز وجل يعني حضرت و حضرت، جئت و جئت، تركت عملك و تركت عملك، فالأفضل أن يكون الدرس كاملا، درسنا لطيف جدا، خمسون دقيقة، أكثر لا يزاوم، فالبركة في أول الدرس، فالذي أتمناه عليكم أن الإنسان يكون حريصا على المجيء في أول الدرس، فقد يكون فيه شرح دقيق جدا فاته، هذه واحدة، و حريص مرة ثانية أن يكون مع كل أخ دفتر يكتب الأحاديث، بعد سنة أو أكثر أو أقل يجد معه دفترا ثمينا، فيه مجموعة من الأحاديث الشريفة الصحيحة، وقد سمع شرحها، فإذا كان حاول خلال الأسبوع أن يذاكر شرحها مع إخوانه، مع أصدقائه، مع من حضر هذا الدرس كما تحدثنا عن المذاكرة فتثبت الحديث، و تثبت نصه، و تثبت معناه، امتلك تفسيره، انتقل من دور التلقي إلى دور العطاء، والله إذا ما تمنى الإنسان أن يكون أخوه مثله لا يكون مخلصا، لا بد أن يكون كل أخ مثل أي مؤمن متفوق، لا يكون الأخ طامعا و راضيا بمرتبة دنيا، أخي أريد وراء الباب، اطلب الصدر،

## ﴿فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾

[سورة المطففين]

## ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

[سورة الصافات]

## ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس]

فأنا الذي أرجوه أنه لما الإنسان الله عز وجل يقدر على يده هدى إنسان خير له من تجارة عريضة من أموال الدنيا، من حطام الدنيا، والحديث الشريف واضح، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ

((لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَعَدُوا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٍّ فَقِيلَ يَسْتَكِي عَيْنَيْهِ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))

[رواه البخاري]

خير لك من حمر النعم، خير لك من الدنيا وما فيها، العلم لا بد له من مذاكرة، لا بد له من كتابة، ولا بد له من مراجعة، ولا بد له من مذاكرة، وأنا حريص حرصا بالغا على أن تذاكروا درسي الجمعة و الأحد، مثلما قلنا مع إخوانكم، مع أصدقائكم، مع جيرانكم، مع قرابتكم، مع أهلكم، لا بد من جلسة في هذا الأسبوع نتذاكر فيها درس الحاجبية و درس النابلسي، وإذا الواحد معه دفتر أفضل بكثير، صار معه ذخيرة، أخي والله صار لك بالمسجد عشر سنين، ماذا تعلمت، والله الدروس كلها حلوة، حفظت شيئا، والله لا أتذكر شيئا، ما هذا العلم؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ عَمِّهِ عَمْرِو بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ

## (( قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ ))

[رواه الدارمي]

إذا لم تقيدته يضيع منك، إعجاب إعجاب و بعده لا شيء، تفضل احكها، عندما الإنسان ينطلق بالدعوة إلى الله يدخل في سعادة كبيرة جدا، يرى نفسه إنسانا حقيقيا، أي حقق إنسانيته، الله عز وجل راض عنه و سيشكره، لأنه نقل له إنسانا من الضلال إلى الهدى، من الضياع إلى الهداية، من الشقاء إلى السعادة، عندئذ الله سبحانه و تعالى يشكرك، فصار معنا المذاكرة و الحضور باكرا و الكتابة، والأخوة في الله، أريد كل أخ يتقعد أخ، إذا كان غاب، فلان غاب، لعله يكون مريضا، عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (

تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَائِهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ  
وَالْحُمَى))

[رواه البخاري]

إذا كل واحد أخذ على عاتقه يتولى أخوا، يؤاخي أخوا في الله يتقعد بعضهم، فلان سافر، خير إن شاء الله، فلان مرض، نزوره، فلان بحاجة إلى مساعدة، فلان يكسو بيته، كل واحد له مشكلة، إذا شعر الأخ أن إخوانه حوله يدا واحدة يزداد ارتباطه بالإيمان.

هذا الحديث هو المقرّر في هذا الدرس، والآن الصحابة الكرام تحدثنا عنهم خلال سنتين أو أكثر، وتحدثنا خلال عام عن التابعين الأجلاء، لكن إلى الآن ما تحدثنا عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، سيدنا الصديق، و سيدنا عمر، و سيدنا عثمان و سيدنا علي، وخامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز، والسادس يقولون: صلاح الدين الأيوبي، على كلٍّ نحن سنبدأ في هذه الدروس الحديث عن الأربعة الراشدين رضوان الله عليهم.

سيدنا الصديق رضي الله عنه كان في تجارة في الشام، وقد مضى زمن طويل منذ غادر مكة إلى الشام، خطر في بال هذا لرجل العظيم ماذا جدّ من أمور في مكة المكرمة، الشام تذهب بعيدا بعيدا، و مكة تقبل حثيثا، هو الآن في طريق إلى مكة، و أخيرا تطل مشارف الوطن و عبير الأهل، وعند تلك المشار فكانت كوكبة من الناس تنتظر، لقد بصروا بالقافلة من فوق ذرى الجبل، فتنادوا و تجمعوا لاستقبالها.

و كلما اقتربت القافلة من المنتظرين أحست منهم لغطا كثيرا و اضطرابا، تُرى ماذا حدث ؟ سيدنا الصديق كان بالشام، وفي طريق العودة شعر أن شيئا ما حدث في مكة، فلما شارفت قافلته مشارف مكة شعر أن هناك لغطا وهناك حدثا كبيرا، والتقى القادمون و المستقبلون في عناق و مودة، و تعالت الأصوات بالجديد الغريب من الأنباء، ألا تعملون: إن قريشا منذ فارقتموها لا تنام الليل، ويح قريش، و لماذا لا تنام الليل، إن محمدا وضع الجمر على أنفها، الجمر، كيف، و ماذا جرى ؟ إنه يقول: إن الله أرسله لنعبده وحده ونذر آلهتنا، هذا حدث ضخم جدا بغياب سيدنا الصديق، وهمس واحد ممن تستهويه الفكاهة، دعه يحطمها، فطالما زاحمتنا في أكل الثريد و شرب اللبن، و اقترب من أبي بكر بعض من ذوي الأناة و أخذ يقص عليه النبأ في هدوء، وأبو بكر يغالب دموعه، يبكي فرحا بهذا النبأ، و كأنه يتوقعه، و كأنه ينتظره، ولدى مدخل مكة قابلتهم جماعة صغيرة يتقدمها أبو جهل، عمرو بن هشام، وتعانقوا جميعا، و بدأ أبو جهل الحديث، أو حدّثوك عن صاحبك يا عتيق ؟ سيدنا الصديق كان اسمه في الجاهلية عتيقا، أو حدّثوك عن صاحبك يا عتيق ؟ فقال أبو بكر: تعني محمدا الأمين ؟ قال أبو جهل: نعم، أعني يتيم بني هاشم، ودار حوار سريع بين الاثنين، أسمعت أنت ما يقول يا عمرو بن هشام ؟ قال: نعم سمعت، و سمعه الناس جميعا وماذا يقول ؟ يقول: إن في السماء إليها أرسله إلينا لنعبده ونذر ما كان يعبد أبائنا، أو قال: إن الله أوحى إليه ؟ أو قال محمد لكم: إن الله أوحى إليه ؟ هو الآن يتلقى الأخبار لا من النبي الكريم، بل من الناس، قل: أجل، ألم يقل لكم كيف كلّمه ربّه، قال: إن جبريل أتاه في غار حراء، و تألق وجه سيدنا الصديق كأنه الشمس، قد اختصته آنئذ بكل ضيائها وسناها، و قال في هدوء مجلجل هذه الكلمة: لو لم يكن له في حياته إلا هذه الكلمة لكفته، قال في هدوء مجلجل: إن كان قال فقد صدق، هكذا قال، و لم يلتق بعدُ بالنبي، جاء إلى مكة من بلاد الشام وفي الطريق التقى مع جماعات من قريش، قال: ودارت الأرض بأبي جهل، و تلعثت خطواته، و كاد جسمه يتهاوى فوق ساقيه الهزيلتين، و تناقل الناس كلمة أبي بكر رضي الله عنه من واحد لآخر، حتى صار لهم بها دويّ كدوي النحل، إن كان قال فقد صدق، وقصد أبو بكر داره ليرى أهله و ينفذ عنه وعتاء السفر، وبعدها يقضي الله أمرا كان مفعولا.

الآن هذا الصحابي الجليل هو في داره و بين أهله، وهذه الكلمة الفذة التي قالها: " إن كان قال فقد صدق " هي العبارة المكيئة الوضيئة التي سوف تشكّل حياته كلها، وتجعل من صاحبها أستاذًا للبشرية في فن الإيمان، إن موضوع الرسالة لم يكن جديداً على أبي بكر، فهو بكل ما معه من ذكاء و فطرة و منطق قد قلب كل وجوه النظر السديد في هذه القضية، وانتهى إلى أن الله لن يترك عباده حيارى، تفكيره السديد قاده إلى أن الله سبحانه و تعالى لن يترك عباده هكذا في ضلال حيارى، فلما جاء نبأ الرسالة تستبشر، وهو بكل مات معه من ذكاء و فطرة و منطق، كان خبيراً بالرجال، لقد اش مع محمد سنوات طوال، ورأى فيه النموذج الحي للإنسان الكامل، الله عز وجل يستحيل أن يدع عباده حيارى، وهذا الإنسان الكامل أهل لهذه الرسالة، وهكذا لم يكذب يتلقى سمعُه النبأ العظيم حتى كان إيمانه الذكي مهياً ليأخذ دوره من فوره، إن كان قال فقد صدق، هو ينتظر هذا الخبر، كأنه مهياً لقبوله، كأنه ينتظره على أحر من الجمر، قال فيما بينه وبين نفسه: محمد ما أظهر هذا الاسم، وما أعظمه أربعون عاماً عاشها بين الناس قبل أن يجيء هذا اليوم الذي اختير فيه أن يبلغ كلمة الله، أربعون كاملة لم يخن خلالها أمانة، ولم يزيّف كلمة، و لم يكذب قط و لو مازحاً، لم تأخذه عن الطهر نزوذة، ولا عن العظمة دنية، لم يُر قد إلا عظيماً، وكفوا لكل عظيم، منذ كان طفلاً يدعو أترابه إلى مشاركتهم في اللعب فيلوي عطفه و يقول: لم أُخلق لهذا، كلما دعي النبي عليه الصلاة و السلام أن يلهو مع أترابه كان يقول: لم أُخلق لهذا، وقريش ما كانت هازلة و لا مجاملة و لا متفضلة حين خلعت عليه لقب الأمين، بل كانت بهذا ترفع بقدر نفسه، و تباهي من حولها من قبائل العرب بهذا الي ارتفع في سنّ مبكّرة إلى أعلى مستويات الأمانة، لا أمانة المال وحده، و لا أمانة الودائع وحدها، بل الأمانة على كل ما في الحياة من قيم و مثل و مستويات، و الآن يكذب محمد، مستحيل، إن كان قال فقد صدق، كل هذا الطهر، وكل هذه الأمانة، هذا الصدق، هذا للعفاف، هذه الرفعة، هذه العظمة، هذا الترفع عن الدنيا، و يكذب الآن، استتباط منطقي، إن قال هذا فقد صدق، قبل أن يلتقي به، عامله أربعين عاماً.

وبعد أن مكث مع أهله قليلاً توجه إلى بيت سيدنا محمد، غادر أبو بكر داره إلى دار النبي عليه الصلاة و السلام تسبقه أشواقه، و كان عليه الصلاة و السلام مقيماً في داره مع زوجته خديجة رضي الله عنها، خديجة التي كانت أول العالمين إسلاماً معه و إيماناً، أول امرأة و طالما سمعت هي الأخرى من قريبها ورقة بن نوفل تراتيل الحنين غلى النبي المقيل.

ولقد عرفت محمداً زميلاً لها في التجارة، عرفته بعلا و زوجاً، فما رأيت سلوكاً أظهر و لا قلباً أكبر ولا عقلاً أرجح،

و لا صدقا أعظم مما رأيت من محمد، من أجل هذا لم يكذب النبي عليه الصلاة والسلام يحدثها عن النعمة التي أفاءها الله عليه بالوحي حتى قالت من كل يقينها: صدقت يا محمد، ولقد اختارها الله على علم لتكون شريكة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يتنزل عليه الوحي بجلاله و أقاله، وهيبته و رهبته.

وكان مع خديجة فتى ممشوقا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و كان النبي صلوات الله عليه قد ضمّه إليه من عهد بعيد حين نزلت بعّمه ضائقة، وبقي معه، فلما جاءه الوحي سارع هذا الفتى إلى الإيمان به، إذّا أول من آمن به خديجة، و بعدها سيدنا علي، سيدنا الصديق آمن به غيايبا، قرع أبو بكر الباب و نادى، و تألق بشر الحياة جميعه، على محيا النبي عليه الصلاة و السلام، و قال مناديا خديجة: إنه عتيق يا خديجة، وسارع النبي عليه الصلاة و السلام إلى لقاء صاحبه، وجرى الحديث بينهما في مثل سرعة الضوء، قال أبو بكر: أصحيح ما أنبأني به القوم يا أبا العرب؟ فأجاب النبي سائلا: وماذا أنبؤوك؟ دقق في السؤال، قالوا: إن الله أرسلك إلينا لنعبده، و لا نشرك به شيئا، فقال النبي الكريم: وما ذا كان جوبك لهم يا عتيق؟ قلت لهم: إن كان قال فقد صدق، وفاضت عينا النبي بالدموع غبطة و شكرا، وعانق صاحبه، و قبل جبينه، و مضى يحدث كيف جاءه الوحي في غار حراء قائلا:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾

[سورة العلق]

وخفض أبو بكر رأسه في خشوع وتقوى تحية لرؤية الله عز وجل التي ترتفع أمامه إلى أعلى السارية متمثلة في هذه الآيات المنزلة، ثم رفع رأسه و شدّ بكلتا يديه على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم و قال: أشهد أنك صادق أمين، أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله، هذا أول عهد الإسلام.

النبي عليه الصلاة و السلام فرح بهذا الصديق، لكن هذا الصديق خرج من عند النبي وعاد إليه بعد هنيئة و معه خمسة من أوائل أصحاب رسول الله، انظر إلى هذا النشاط، أسلم الرجل وفي زيارته التالية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمكن وحده، بل كان معه وفي صحبته خمسة من أشرف قريش، أقنعهم أبو بكر بالإسلام.

فجاءوا يبايعون النبي صلى الله عليه و سلم، وهو عثمان بن عفان و الزبير بن العوام و عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص و طلحة بن عبيد الله، السيدة خديجة وسيدنا علي وسيدنا الصديق وسيدنا عثمان و الزبير و عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص و طلحة بن عبيد الله.

والنبي عليه الصلاة والسلام تحدث عن هذا الصديق فقال: اسمعوا هذا الكلام، هذه أعظم شهادة، قال: ما لأحد علينا يد - أي نعمة - إلا و قد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يكافئه الله بها يوم القيامة، أعظم عمل، وما نفعني مال أحد قط مثلما نفعني مال أبي بكر، وما عرضا الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة - دارة - عدا أبي بكر فإنه لم يتلعثم، إن قال هذا فقد صدق، هذا المثل، لذلك قال عليه الصلاة و السلام: تسابقت أنا وأبو بكر فكنا كهاتين، قال: ما ساءني قط فاحفظوا له ذلك...." عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ

((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَّنَ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ بِنِ أَبِي قُحَافَةَ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرِ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ))

[رواه البخاري]

باب في المسجد، هذا الإيمان، قال:

(( لو وزن إيمان الخلق مع إيمان أبي بكر لرجح ))

والله فعل المعجزات، إن شاء الله في الدروس القادمة المؤرخون الكبار يعدُّن هذا الصحابي الجليل المؤسس الثاني للإسلام، لولا مواقفه الإيمانية الرائعة لما كان الإسلام، هذا كله إن شاء الله في الدروس القادمة نتحدث عنه، و لكن هذه بدايات الإسلام، كان مسافرا، ثم عاد، قبل أن يلتقي بالنبي سمع الخبر، سيدنا رسول الله أول من عرض الإسلام السيدة خديجة، سيدنا علي، سيدنا الصديق، هؤلاء الصحابة الخمسة، فالإنسان يكون سباقا، و لا يكن متخلفا.

الحمد لله رب العالمين، و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم ارفعنا بالعلم و زينا بالحلم و أكرمنا بالتقوى و جمّلنا بالعافية، وظهر قلوبنا من النفاق، و أعمالنا من الرياء و ألسنتنا من الكذب و أعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا ولا منا و لا معنا شقياً و لا محروماً، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله و صحبه وسلم

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (002 - 127) : إن ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن

يبتيهم.

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-08-1988

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، و زدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، مع الحديث النبوي الشريف، الحديث طويل جدا لا مجال لكتابته يُرجع إليه في كتب الحديث، طبعا الحديث يعالج قضية تمس حياة كل واحد منا، ما من واحد منا إلا وله من هذه الدنيا نصيب، له من الشكل نصيب، هناك الوسيم، وهناك الممشوق وهناك الرشيق، وهناك الديميم، وهناك من فيه الحسن مجتمعة، ومن فيه القبح مجتمعة، ما من واحد منا إلا وله من الحسن نصيب، ومن الصحة نصيب، هناك صحيح الجسم، قويّ البنية، و هناك معتل الجسم، معتل الصحة، ما من واحد منا إلا وله من القوة نصيب، سواء أكانت قوة عضلية أو قوة اجتماعية أو قوة مادية أو قوة معنوية، فالصحة والمرض و الجمال و القبح والقوة و الضعف والغنى و الفقر و الزوجة الصالحة و الزوجة الطالحة و الأولاد الأبرار و الأولاد الأشرار، والعمل المريح و العلم الشقي، والعمل كثير الدخل، والعمل قليل الدخل، فما من واحد منا إلا وله نصيب، ومن رضي بما قسمه الله له كان أنى الناس، ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس، الموضوع لماذا هو دقيق ؟ لأن سر الإيمان بالله أن ترضى عن الله، أن ترضى عما أعطاك من شكل و من زوجة ومن أولاد ومن بيت ومن عمل، دخل محدود، دخل غير محدود، صحة طيبة، صحة معلولة، من أسرة غنية، من أسرة فقيرة، قوي، ضعيف، في وظيفة رفيعة، في وظيفة متدنية، في عمل متعب، في عمل مريح، هذه حظوظ، و لا شك أن الحظوظ متفاوتة، أما إذا كنت مؤمنا حقا فإنك ترى كما قال الإمام أبو حامد الغزالي: ليس بالإمكان أبدع مما كان " ليس في إمكان الله، حاشا، ليس في إمكانك أيها العبد أبدع مما أعطاك، لذلك يوم يُكشف الغطاء و يصبح بصرك حديدا لا تملك إلا أن

تقول: الحمد لله رب العالمين على أن جعلتني معلول الصحة في الحياة الدنيا، على أن سقت إلي بعض الشدائد، على أن ضيقت علي في الرزق، على أن جعلت لي هذه الزوجة التي أررتي نجوم الظهر، وربما كانت الزوجة السيئة لمصلحة إيمانك، و ربما كان الدخل القليل دفعا لك إلى الله، وربما كان القهر و الضعف و أن تكون مستضعفا في الأرض لا أن تكون قويا ربما كان هذا دافعا لك إلى أن تبلغ الدرجات العلى، ولا تتسوا أن النبي عليه الصلاة و السلام أذاه الله كل شيء، لماذا كان قدوة لنا ؟ لأن الله سبحانه و تعالى أذاه طعم الفقر، دخل إلى بيته و ما من . واحد منكم و أنا متأكد أصابته هذه الحالة، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ:

(( دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ فَقُلْنَا لَا قَالَ فَإِنِّي إِذْ ذَاكَ صَائِمٌ ثُمَّ أَنَا يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْدِي لَنَا حَيْثُ فَقَالَ أَرَيْنِيهِ فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا فَأَكَلْتُ ))

[رواه مسلم]

هل في بيت واحد من الناس في هذا البلد الكريم بيت ليس فيه طعام ؟ مستحيل، فقال: إني صائم، وأذاه الله لذة الغنى، فقال: لمن هذا الوادي يا رسول الله ؟ قال: هو لك، فقال: أشهد أنك تعطي عطاء من لا يخشى الفقر، أذاه قوة النصر، فتح مكة، فدخلها مطأطئ الرأس تواضعا لله عز وجل، وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وأذاه مرارة القهر في الطائف، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبي حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي، أذاه طعم التئيم، يتم الأبوين، يتم الأب و يتم الأم، و أذاه موت الولد، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ وَكَانَ ظَنْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّمَهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَدْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ ))

[رواه البخاري]

هذا الحزن المقدّس، أما الذي يضرب وجهه و يصرخ بويله، ويمزق ثيابه هذا ليس من الإسلام في شيء، و أذاهه تطليق بناته نكايه به، اثنان من أصهاره طلقا بنتيه نكايه به، وأذاه أن يقول الناس عن زوجته عائشة الطاهرة أذاه أن يقول الناس عنها كلاما لا يرضيه،

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

[سورة النور]

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)﴾

[سورة النور]

من منا يحتمل أن يقال عن زوجته إنها زانية، من منا يحتمل ؟ ولو تتبعتم سيرته الطاهرة لوجدتم ما من حال يصيب الإنسان إلا و أصاب النبي عليه الصلاة و السلام ليكون لنا قدوة، أتحب أن تكون نبيا ملكا، قال: بل نبيا عبدا، أجوع يوما فأذكره، و أشبع يوما فأشكره، لهذا قال الله عز وجل:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)﴾

[سورة الأحزاب]

لك به أسوة، أبّ مثالي، أخ مثالي، قريب مثالي، جار مثالي، قائد مثالي، حاكم مثالي، أمير مثالي، اللهم صلّ عليه،

وأحسن منك لم تر قط عيني      وأجمل منك لم تلد النساء  
خُلقت مبراً من كل عيب      كأنك قد خلقت كما تشاء

كل واحد منا له من الله نصيب، الله جعله فقيراً، بذل بذل و أخذ شهادات عليها، توظف، دخله محدود لا يكفي خمسة أيام، مصروفه بدقة بالغة، بتقتير و حرص شديد، و إنسان يأتيه المال من دون حساب، هذا حظه من المال قليل، وهذا حظه من المال كثير، إنسان ضعيف مستقهر مقهور، و إنسان قوي بيده مقاليد بعض الأمور، هذا حظه من القوة كثير، وهذا حظه من الضعف كثير، أو من القوة قليل، إنسان حظه من الصحة كبير، وهذا حظه من الصحة يسير، باختلاف الحظوظ هذا اختلاف ابتلاء يا إخوان، الفقير مادة امتحانه الفقر، والغني مادة امتحانه الغنى، و القوي مادة امتحانه القوة، والضعيف مادة امتحانه الضعف مادة امتحان أسئلة فإذا نجح الفقير

و سقط الغني جاء يوم القيامة فسعد الفقير لأنه نجح في مادة امتحانه فسعد بهذا النجاح إلى الأبد، وإذا سقط الغني في امتحانه فكان متكبرا وكان بخيلا أو قبض يده عن الناس، الآن عندنا قصة، هذه القصة لها علاقة بهذه المقدمة.

أريد أن أؤكد لكم أيها الإخوة أن الناس في الأرض متفاوتون في أنصبتهم من الله عز وجل، متفاوتون في حظوظهم، هذا لتفاوت يجري وفق حكمة ما بعدها حكمة، وعلم ما بعده علم، و خبرة ما بعدها خبرة، فلو كُشف لك الغطاء لاخترت الواقع و لا زدت على أن قلت: الحمد لله رب العالمين، فالنبي الكريم يقول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَأَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ وَأَحْسِنُ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))

[رواه الترمذي]

أحيانا الزوجة السيئة دافع إلى الله، هناك إنسان لا يتحمل زوجة سالحة، جمعت بين الجمال و الكمال والعلم و الثقافة و الحسب و النسب و الغنى، يعبدها من دون الله، يجعله له زوجة، يرتاح منها و يأتي إلى المسجد، لا يريد هذه الزوجة، ربما كانت كذلك، و ربما كانت هذه الزوجة السالحة هي التي أخذت بيده إلى الله عز وجل، يكون الزوج ورعه ضعيفا، نفسه تواقه للدنيا، تأتيه زوجة ورعة، ولية من وليات الله الصالحات، تحضه على الصلاة و على قيام الليل و على الذكر وعلى الاستقامة و على... تهيب له الجو المناسب، تكون هذه الزوجة عوناً لزوجتها إلى الله عز وجل، فالحظوظ متفاوتة، لو أمعنت النظر لرأيت أن الذي قسمه الله لك وراءه حكمة ما بعدها حكمة، وعلم ما بعده علم، و خبيرة ما بعدها خبرة، و ليس في الإمكان أبدع مما كان، ولو كشف الغطاء لاخترت الواقع.

((فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ ثَلَاثَةً - ثَلَاثَةٌ اسْمُ إِنْ، فَ - أَبْرَصَ بَدَلَ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ - فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَفْرَعُ وَأَعْمَى))

لو قلنا: ثلاثة من بني إسرائيل أبرص و أقرع و أعمى، لو قلنا من ثلاثة من بني إسرائيل أبرص ممنوع من  
الصرف، وأقرع أيضا ممنوع و أعمى

((فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ))

الملك غير الملك، الملك بالكسر معروف، و الملك معروف، وفي الفاتحة هناك مالك يوم الدين و ملك يوم  
الدين، وقال بعض المفسرين: المالك هو الذي يملك و لا يحكم، والملك هو الذي يحكم و لا يملك، والله مالك و  
ملك، يملك و يحكم - فَأَتَى الْأَبْرَصَ - الْأَبْرَصَ مفعول به،

(( فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْ نُحَسِّنُ وَجِلْدَ حَسَنٍ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ  
عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا ))

أحيانا يكون إنسان يتمنى أن يكون لونه أفتح، ولا سيما بعض النساء، لو كان على أفتح بالناقص غطسة من هذه  
الحلة، يتمنون، الله عز وجل حكيم، هي من هذا متكبرة، بهذا اللون متكبرة، فكيف لو كان على أفتح

((وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقْرُ))

شك الراوي، قال الراوي: حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه من كان فيه خصلتان دخل الجنة ؛ أما  
الأولى فقد نسيها الراوي، أما الثانية فقد نسيها أنا، لم يقل لنا شيئا إذا، فهنا الراوي شك قال: الإبل أو البقر،

((هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقْرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ))

أي كبيرة ولادة

(( فَقَالَ بَارِكْ لَكَ فِيهَا فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ  
قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقْرُ قَالَ فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا وَقَالَ  
بَارِكْ لَكَ فِيهَا قَالَ فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ أَنْ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسُ قَالَ  
فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْعَنْمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا ))

هذا ملك أراد أن يمتحن هؤلاء الثلاثة ؛ الأبرص و الأعمى والأقرع - (( فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوُلِدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ الإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ )) - أي كانوا فقراء تعساء منبوذين، فمنحهم الله عز وجل، هذا منحه جلا حسنا، وهذا شعرا حسنا، وهذا كشف الله عماه فجعله مبصرا، وفوق هذا و ذلك أعطى الأول واديا من الإبل، والثاني أعطاه واديا من الغنم، والثالث واديا من البقر، هذا الملك نفسه

((ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ))

بعدما صار جميل الصورة جذابا ملء السمع والبصر - فَقَالَ - هذا الملك عن نفسه

(( رَجُلٌ مَسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ - ليس معه النقد - فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يُفَدِّرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا - قال له: هذا المال ورثته كابرا عن كابر، ولا أذكر أنني كنت كذلك - فَقَالَ إِنَّ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتُ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَإِنِّي سَبِيلٌ انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَردَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ - أي خذ مهما بدا لك، خذ كل المال و أنا طيب النفس - فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلَيْتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَيَّ صَاحِبَيْكَ))

[متفق عليه]

امتحان، والله الذي لا إله إلا هو ما من واحد منا إلا و يُمتحن في اليوم مئات المرات وهو لا يشعر، يُسأل حاجة، يُسل بجاهه و قد يكون له جاه، يُسأل بماله و قد يكون له مال، يُسأل بقوته و قد يكون له قوة، فإما أن يعطي و إما أن يبخل، فمن يبخل فإنما يبخل على نفسه، و من يبخل فإنما يمهد لنفسه، فالإنسان إذا آتاه الله عز وجل مالا، آتاه صحة، آتاه علما، آتاه حنكة، آتاه حكمة آتاه خبرة في موضوع معين، آتاه جاها، يجب أن يبذل هذا كله في سبيل الله وإلا تصدق عليه هذه القصة فيكون كالأبرص و كالأقرع، فإذا أعطى مما أعطاه الله يكون مثل هذا الذي رضي الله عنه، فشكر نعمة الله عز وجل، فالإنسان لا يرضى و لو طُرق باباك الساعة الثانية عشر ليلا، طلب منك أن توصل مريضا بسيارتك، يا أخي البنزين غالي، على الله ليس غاليا، إذا أعطاك يطلبك، لا

تقول: غالي، اخدم الناس، واحد مؤمن صادق قال لك: دين لي مبلغا، تعرفه يؤدي الذي عليه، وأنت معك، لا تقل: ليس معي نقديات، قل له: تكرم، كتبه وصلا، كتبه إيصالا رسميا، إذا كنت تثق به

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة]

والله هذه الآية إذا تمعن فيها الإنسان يذوب، الله يطلب منك القرض، تردّ الله عز وجل:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾

[سورة البقرة]

سمعت ببعض أحياء دمشق القديمة بيت عربي فيه ليمونة، تحمل أربعمئة إلى خمسمئة ليمونة، كلما دُقّ الباب: " بالله ليمونة، توفت الأم جاءت الكنة، دق الباب، " وراحوا ليس عندنا ليمون، يبست الليمونة، لا تتم أساسا، أحيانا ربنا يعطيك لتعطيته، فإذا بخلت منع عنك، إذا الإنسان متمتع بنعمة حينما يبذلها يقره الله عليها، فإذا بخل بها حرمه الله منها، ابن آدم أنفق أنفق عليك، أنفق بلالا و لا تخش من ذي العرش إقلالا..." أنفق أنفق عليك، إذا كنت مؤمنا أن هذا القرآن كلام الله، فالقرآن الكريم ينطق في ثمانى آيات أن كل نفقة تنفقها في سبيل الله لا بد أن يعوّضها الله عليك، إن عاجلا أو آجلا.

أفاد الحديث أن من أقبح الصفات البخل، لهذا قال الله سبحانه و تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

[سورة الحشر]

فالبخل و الكذب موجبان لغضب الله عز وجل وسخطه، و الصدق و الكرم موجبان لرضاء الله و إكرامه، فالإنسان أولاً كما قلت في مطلع هذا الدرس توزيع الحظوظ، تفاوت الحظوظ في الدنيا هذا التوزيع توزيع ابتلاء، وسوف تُوزَع الحظوظ توزيعا آخر يوم القيامة هو توزيع الجزاء، والعبرة لا لتوزيع الابتلاء بل لتوزيع الجزاء، العبرة أن تكون غنيا بعد الموت، من هنا قال الإمام عليّ كرم الله وجهه

## ((الغنى و الفقر بعد العرض على الله))

والآن إلى متابعة سيرة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أرضاه، قيل: في ضحى بعض الأيام اجتاح أهل مكة جميعا حديث أثار كل ما في أنفسهم من دهشة و عجب، فقد كان أبو جهل ذاهبا لبعض شأنه حين مر بالكعبة، فأبصر النبي عليه الصلاة و السلام جالسا وحده في المسجد الحرام صامتا مفكرا، وأراد أبو جهل أن يؤذي النبي عليه الصلاة و السلام ببعض سخرياته، فاقترب منه و سأله: أولم يأتك الليلة شيء جديد ؟ فرجع النبي عليه الصلاة و السلام رأسه نحوه وأجاب في جد: نعم أسري بي الليلة إلى بيت المقدس بالشام، فقال أبو جهل مستكبرا: و أصبحت بين أظهرنا ! فقال عليه الصلاة و السلام: نعم، وهنا صاح أبو جهل في جنون: يا بني كعب بن لؤي هلموا - تعالوا اسمعوا القصة - وأقبلت قريش ينادي بعضها بعضا ولم يكن الرسول عليه الصلاة و السلام قد حدث أحدا من أصحابه المؤمنين، أول ما بلغ الخبر لأبي جهل، وما حدث أحدا من المؤمنين، بنبا الإسراء، تجمع الناس عند الكعبة و مضى أبو جهل يحدثهم في حبور بما سمع، فقد ظنها فرصة مواتية لينفض الناس عن رسول الله - هذه ثخينة، تلك قبلناها أما هذه - و تقدم واحد من المسلمين و سأل النبي: يا رسول الله أحقا أسري بك الليلة ؟ فأجاب النبي الكريم: نعم، و صليت بإخواني الأنبياء هناك، وسرى في الجمع المحتشد خليط متنافر من المعاشر المهتاجة، رحب المشركون بما سمعوا، ظانين أن في هذا النبا نهاية الرسول، هذا خبر مستحيل تصديقه، واحتوت الشكوك فريقا من المسلمين، بعض المسلمين، وسعى بعض رجالات قريش إلى بيت أبي بكر فرحين سامتين، لا يخالجهم ريب في أنهم سيعودون ومعهم ردة عن هذا الدين، هذا صاحبه، فأبو بكر يعرف أكثر من غيره ما يحتاجه قطع المسافة بين مكة و الشام، من سفر مضم و زمان طويل، فكيف بالذي راح ورجع و صلى هناك، كل ذلك في بضع ساعات، بلغوا دار أبي بكر، وصاحوا به: يا عتيق كل أمر صاحبك قبل كام أمما، أي معقولا، أي هينا و محتملا، أما الآن فاخرج لتسمه، تقضل لتسمع ويزغ عليهم أبو بكر دهشا تجمله سكينته ووقاره، و سألهم: ماذا وراءكم، قالوا: صاحبك، وانتقض أبو بكر وقال: ويحكم هل أصابه سوء ؟ فتراجع القوم قليلا وازدرد كل منهم ريقه في مشقة، وقال أحدهم: إنه هناك عند الكعبة يحدث الناس أن ربه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ذهب ليلا، و تقدم آخر، تكمل الحديث، قال: ذهب ليلا وعاد ليلا وأصبح بين أظهرنا، فأجابهم أبو بكر وقد أشرق وجهه: أي بأس، لا غرابة، إني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء يأتيه غدوة وروحة، ثم أطلق عبارته المشهورة: إن كان قال فقد صدق، لم يلتق برسول الله بعد، هو قال هذا فهو صادق، هل هناك كلمات تستطيع النهوض إلى مستوى الإشادة بهذا الموقف،

هذا هو اليقين، هذا هو الإيمان، هذا هو التصديق، هذا هو العقل، هذا هو التسليم، هذه هي الثقة التي منحها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، سيدنا الصديق لم يؤمن إيمان الصدفة، بل آمن إيمان الفطنة، لم يؤمن بعواطفه، بل آمن بذكائه، لم يدفعه إلى الإيمان منطق القلب وحده، بل منطق العقل قبله، إني لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك أصدِّقه في خبر السماء يأتيه في غدوة وروحة، أفلا أصدِّقه، لكن سيدنا الصديق يعنيه أن يكون النبي قد أخبر و قال، وعندئذ يكون كل شيء ممكنا و صادقا، ولكن ليس متأكدا، لعل هذا الكلام افتراء على النبي، عليه أن يتأكد من نقطة واحدة، هل قال هذا النبي حقا؟ هل قال النبي هذا الكلام حقا؟ إن كان قاله فقد صدق، وهو أبو بكر رضي الله عنه إلى الكعبة حيث النبي، ذهب إليها مسرعا، و عند الكعبة رأى الجمع الشامت المرتاب متحلقين لاغطين، ورأى نور الله هناك في جلسته الخاشعة الضارعة، مستقبلا الكعبة، لا يحس من اللغظ الدائر حوله شيئا، ولا يسمع للحمقى ركزا، وانطرح أبو بكر عليه يعانقه و يقول: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، والله إنك لصادق، والله إنك لصادق، هذا التصديق، هذا المقام الذي ناله هذا الصحابي الجليل ما سبقه إليه أحد، أبو بكر الصديق.

ذات يوم وأبو بكر في دار سعد زاره النبي عليه الصلاة والسلام، و فوجئ بالنبي، فقال النبي الكريم: يا أبا بكر إن الله أين لي بالهجرة، وكان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام و عليهم رضوان الله قد سبقوه إلى المدينة مهاجرين، وبقي النبي بمكة ينتظر أن يأذن، وبقي أبو بكر بجانبه، والآن وهو يسمع النبأ الجديد يكاد قلبه يطير من الفرح، و يقول: الصحبة يا رسول الله، فيجيبه النبي الكريم: الصحبة يا أبا بكر.

إن الهجرة في حد ذاتها رحلة عافية، فهي اطراح لأذى قريش و لمؤامراتها التي لا تنتهي و لقد هاجر المسلمون إلى المدينة، و لكن الهجرة بالنسبة للرسول خاصة مخاطرة ما مثلها مخاطرة، إن قريشا إذا كانت قد تركت المسلمين يغادرون مكة في سلام فما هي أبدا تاركة رسول الله، لقد تحدث زعمائها في هذا كثيرا، و انتهوا إلى أنهم إذا تركوهم ليخرجوا إلى المدينة ويرفعوا في سمائها رأيتهم، فلسوف يجمع العرب حوله، ثم يغزو بهم قريشا، ومن ثم قرروا أن يظفروا برأس رسول الله، و لعلهم إنما تركوا المسلمين ومعهم عمر بن الخطاب لعلهم تركوهم يهاجرون ليبقى النبي بينهم بلا أنصار وحيدا، حتى تأتي لهم الفرصة في الخلاص منه و رسموا خطة دقيقة جدا، سمحوا لأصحابه أن يهاجروا، وضعفوا مركزه، وضعفوا أجنحته، وهم ينتظرونه، فإذا هم بالهجرة قتلوه، فالهجرة إذا مغامرة، فالهجرة إذا قتل، وسيدنا الصديق يعرف هذا أتم المعرفة، فلماذا فرح بهذه الصحبة، يغامر بحياته، و لكنه الإيمان، بماذا آمن هذا الصحابي؟ قال: آمن هذا الصحابي أن الله لم يلق كلمته عن طريق النبي الكريم إلى

الناس و في مشيئته أن يتركها لقريش تفعل معها ما تشاء، هذا دين الله، الواحد لا يحاول أن يطفئ نور الله، هذا دين الله عز وجل، الله سبحانه و تعالى هو الذي يحمي دينه، فإيمان سيدنا الصديق أن ربنا عز وجل هو الذي أنزل هذه الرسالة على هذا النبي الكريم، أيعقل أن يتركها ألعوبةً بين كفار قريش؟ إنه سيحميها،

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[سورة المائدة]

سيدنا الصديق فهم، هذا دين الله عز وجل وهذه رسالته، يتركها ألعوبة بين أيدي كفار قريش، وثانيا الإيمان مسؤولية و تضحية، الإيمان نزهة؟ الإيمان وليمة، الإيمان حفلة طرب الإيمان أناشيد، الإيمان طعام و شراب، الإيمان ولائم، الإيمان عمرة بالطائفة و فندق خمس نجوم، ماذا أكلنا أكلا، و كم انبسطنا، الخيمة مكيفة، والفندق مكيف، الإيمان صار كيفا، الإيمان طريق شائك، الإيمان جهد، و الإيمان امتحان، الإيمان ابتلاء، و الإيمان عطاء، الإيمان صعوبات، الإيمان عقبات، الإيمان خصوم، الإيمان كيد، الإيمان يكون أحيانا قهرا، سيدنا الصديق لماذا فرح بالصحبة؟ لأنه أولا يؤمن إيمانا قطعيا أن هذا الدين دين الله، و أن الله هو الذي يحفظه، و لن تقوى قوة على وجه الأرض أن تقوضه، و الشيء الثاني الإيمان تضحية، و ليس هناك مناسبة أجل وأعظم من أن يرافق النبي في هذه الهجرة، فمهما تكن العواقب فلن يكون ثمة سوى طريق واحد لا يعرف أبو بكر سواه، هو طريق أداء الواجب الذي يمليه عليه إيمانه، وطريق التضحية الذي يتطلبها الإيمان.

فحين آوى النبي عليه الصلاة و السلام إلى الغار ليختفي من قوة المشركين التي تطارده كانت تلهث هذه القوة وراءهما طمعا في نيل الجائزة التي أهدتها قريش لمن يأتيها بالنبي حيا أو ميتا، جائزة ضخمة جدا، مائتا ناقة أو أربعمائة ناقة، عدد كبير، الناقة ثمنها الآن خمسون أو ستون ألف، ثمن الناقة سبعون ألف، سمعت أن البغل ثمنه سبعون ألف فكيف الناقة، هكذا سمعت والله، فسيدنا الصديق فحين أويا إلى الغار النبي والصديق و اقترب المطاردون من الغار وراحوا يطوفون حوله، فزع أبو بكر تحت هول هذا السؤال الذي ألح عليه، ماذا لو نظر أحدهم إلى جوف الغار؟ انتهى الإسلام، قُتل النبي و قتل الصديق و انتهى الإسلام، ماذا لو نظر أحدهم إلى جوف الغار، ماذا لو ظفر المجرمون برسول الله؟ حينئذ كان الله يدخر للصديق الدرس الأخير الذي سيكمل إيمانه و يبلغ به أعلى مستويات الإيمان المتاحة لبشر، لقد ألقى على النبي هذا السؤال: لو نظر أحدهم إلينا لرأنا، ولم يكذبصره يلتقي بمحييا رسول الله حتى رأى عجا، رأى وجها متهللا كأنما ألقيت عليه أنذ كل ما في

الحياة من سكينه وطمأنينة وأمل، ما هذا، واحد مطارد ملاحق مهدور دمه، لو أن الكفار لمحوه لقتلوه فوراً، وحام حول الغار ولو فعل أحدهم هكذا، لو ألقى نظره في الغار انتهى الإسلام، نظر إلى الرسول هادئ، هدوء و سكينه ووقار تهلل، هذا نبي وهذا صديق، لماذا كان هذا دون الأنبياء ؟ لأن مرتبته أقل، ورأى راحة الرسول تلامس صدره فكأنما تسكب فيه الطمأنينة سكبا، فقال له النبي الكريم: يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا، كن مع الله تر الله معك، وقال تعالى:

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾

[سورة المائدة]

يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ هذا الإيمان، إذا كان الله معك ليس هناك جهة في الكون بإمكانها أن تنال منك شيئاً، وإذا تخلى الله عنك زوجتك التي هي أقرب الناس إليك تتخلى عنك، و تسمعك كلاماً طعن الخناجر أهون منه، إذا ربنا عز وجل أراد أن يؤدب الإنسان عن طريق زوجته، وسكن أبو بكر، و في رواية أخرى لم ترد في هذا الكتاب أنه يبدو أن أحد المطاردين نظر إلى الغار فوقعت عينه على عين أبي بكر، عينا بعين، ففزع الصديق رضي الله عنه، فقال: ير رسول الله لقد رأونا، فقال له النبي الكريم: يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿وَتَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِنَّكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)﴾

[سورة الأعراف]

يقولون: الله يعمي عنك، هذه صحيحة، صدقوها هذه " الله يعمي عنك " لم ير المخالفة، لم يرها، كيف وقعها ؟ وقعها، هذه قصة تتكرر دائماً، إذا أراد الله أن يعمي عنك أعمى عنك، لا شيء، عامله و أطعمه و انظر، تقرب منه وانظر كيف تتجو من أصعب المشكلات، من أكبر الورطات، ينجيك الله عز وجل، لقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

[سورة الأنبياء]

دائماً في كل زمان و مكان، في كل عصر و مصر، في كل وقت،

### ﴿وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

[سورة الأنبياء]

موقف ثالث من مواقف هذا الصحابي الجليل ؛ في السنة الخامسة للهجرة، و في شهر ذي القعدة غادر النبي عليه الصلاة والسلام المدينة و معه عدد كبير من المسلمين قاصدين مكة ليعتمروا، و ساق الهدى أمامه لتعلم قريش أن النبيّ جاء زائراً للبيت الحرام، و لم يأت مقاتلاً، بيد أن نبأ هذه الزيارة كان قد سبق إلى قريش بطريقة ما، فحشدت جموعها، و صمّمت على منع النبي و صحبه من دخول مكة وزيارة الكعبة، و نزل النبي عليه الصلاة و السلام عند الحديبية، وأوفد إلى قريش عثمان بن عفان، ليشرح لهم سبب مجيئه، وأوفدت قريش سهيل بن عمرو ليفاوض النبيّ في الأمر، و انتهت المفاوضة إلى عقد ميثاق يعود المسلمون بمقتضاه إلى المدينة، مرجئين زيارة البيت الحرام إلى العام القادم، كما يتضمن الميثاق التزام المسلمين بأن يردوا إلى قريش من يأتيهم مسلماً، معاهدة فيها إجحاف، و لا ترد قريش من المسلمين من يعود إليها مرتداً، إذا مسلم ارتد لقريش لها الحقُّ ألاّ ترده، و إذا كان مشرك آوى إلى النبي لا بد أن يرده، و السنة ليس هناك زيارة، ارجعوا، ولم يكذ الكاتب ينتهي من كتابة الميثاق ولم يمهره النبيّ بخاتم النبوة بعد حتى فوجئ المسلمون بفتى يأتيهم صارخاً مستغيثاً، يرصف في قيوده، و يجرجر أغلاله ويقول - هذا الفتى أبو جندل - وهو ابن سهيل بن عمرو، ابن المفاوض، مندوب قريش، يقول هذا الرجل مستغيثاً برسول الله: اقبلوني، فقال النبي لسهيل: اترك لنا جندلاً، هذا اتركه لنا، لم نوقّع بعد، فإننا لم ننجز العهد بعد، ما ختمنا، ألا يوجد في بروتوكول توقيع المعاهدات، هذا لم يوقّع، وما كان لسهيل أن يترك ولده يذهب إلى الإيلام وهو واحد من زعماء قريش، فأصرّ على تسليمه، أو ينقض العهد كله، و تكون الحرب، و صاح أبو جندل: يا معشر المسلمين، أتتركوني أُرَدُّ إلى المشركين وقد جنّئُ مسلماً، ألا تبصرون ما على جسمي من عذاب في الله؟ وما دام النبي بالكلمات السية: اصبر سيجعل الله لك مخرجاً، لا إمكان، كان هذا المشهد أدهى وأكبر من أن تحتمله أعصاب المسلمين، فكيف يرجعون دون أن يزوروا البيت الحرام؟ و كيف يسلمون للعذاب مسلماً جاء يستصرخ بهم و يستغيث؟ سيدنا عمر فقد صوابه و اختل توازنه، فذهب إلى النبي، فقال: يا نبي الله ألسنت نبي الله حقا؟ قال: بلى يا عمر، قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ هذا الموقف المهين، وهذه الاتفاقية المجحفة أجابه النبي يا عمر إني رسول الله، و لست أعصيه، وهو ناصري، قال عمر:

أولم تعدنا يا رسول الله - كان جريئاً، ما وعدتنا - بأننا سنأتي البيت و نطوف به، رسول الله كان ذكياً جداً، قال: يا عمر أوقت هذا العام ؟ أنا وعدتك هذه السنّة ؟ قال عمر: لا، قال: فإنك آتية و مطّوف به، انتظر، هذا الحوار يكشف عن حدّة الأزمة التي عاناها المسلمون، و لكن ما شأن أبي بكر ؟ ما هذا الإنسان، الأعصاب الهادئة و التصديق، إن أبا بكر هو أستاذ في فن الإيمان، في ذلك اليوم العصيب، كما سيظل أستاذه في كل حين.

سيدنا عمر كان يقول: ما أنا إلا حسنة من حسنات أبي بكر " حينما وقف على المنبر بعد وفاة سيدنا الصديق بدأ يخطب فوقف عن الخطبة، ونزل درجة، وقال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي في مقام أبي بكر "، فسيدنا عمر وقف موقف أديب من رسول الله ولم يكمل النقاش، لكن نفسه تغلي، فانصرف من عند رسول الله وهو لا يزال يعاني مشاعره القلقة، وقد ردّه الأدب مع الرسول عن الاسترسال في المناقشة، والإلحاح في السؤال، بيد أنه يحس في نفسه حاجة إلى مزيد من الوضوح، فمع من يتحدث ؟ لا أحد سوى أبي بكر، هذا أعلى واحد، إذا واحد من المؤمنين الصادقين وقع في مشكلة و له أخ أقدم منه و تمرّس الإيمان يستشيريه و يأنس له، هذه كذلك تُعلّمنا أشياء كثيرة، أحيانا تحلّ المشكلة بينك و بين إخوانك، أنت حديث عهد بالإيمان واجهت مشكلة، عندك أخ من خمس سنوات في المسجد صادق ومستقيم، و له مكانته أسأله و استشره، استأنس برأيه، اعرض القضية عليه، استعن به، فمضى سيدنا عمر إلى سيدنا الصديق، وهو يجتز صفوف المسلمين و حلقاتهم حتى لمحّه في أقصى الجمع، تغمره طمأنينة عجيبة، مطمئن و مرتاح، ألقى عليه ذات الأسئلة التي ألقاها على النبي الكريم منذ لحظات، و تلقى من أبي بكر ذات الإجابات التي سمعها من رسول الله، و انتهى الحوار بينهما على الشكل التالي ؛ يقول عمر: فأخذ أبو بكر بيدي و جذبها في قوة - أحيانا لا بد من حزم - وقال لي: أيها الرجل إنه رسول الله و لن يعصيه و إن الله ناصره فاستمسك بعرزعه، فوالله إنه على حق، فأنزل الله السكينة على قلبي و علمت أنه على حق.

هذا موقف، لماذا كان هذا الرجل " ما طلعت شمس على رجل بعد نبيّ أفضل من أبي بكر " قريب جداً من مرتبة النبوة.

إن شاء الله نتابع الحديث عنه، و الحديث عنه والله يعطّر المجالس، والحديث عن أصحاب رسول الله يملأنا ثقة  
بالله عز وجل، يملأنا حبوراً، يملأها سعادة،

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ  
أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ))

[رواه البخاري]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَقَّلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ  
فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ))

[رواه الترمذي]

(( إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

من نحن حتى نتجرأ على أصحاب رسول الله ؟

إن شاء الله في درس قادم نتابع الحديث عن هذا الصحابي الجليل الذي هو الصحابي الأول بعد رسول الله صلى  
الله عليه و سلم

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (003 - 127) : لعلك ترزق به ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-08-1988

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، و زدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة المؤمنون ، مع الحديث النبوي الشريف ،

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَخْوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ ))

[رواه الترمذي بإسناد صحيح على شرط مسلم]

معنى يحترف أي يكتسب و يتسبب لرزقه ، الاحتراف اتخاذ الحرفة وسيلة لكسب الرزق ، والحقيقة في اللغة كلمة " المهنة " خدمة الزوجة حصراً، إلا أن الناس يستعملون كلمة " المهنة: بمعنى الحرفة خطأ ، النبي عليه الصلاة والسلام كان في مهنة أهله ، أي كان في خدمة أهله ، فالمهنة خدمة الأهل ، وأما أن يتخذ الإنسان عملاً يكتب منه رزقه فهذه حرفة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان على عهده أخوان ، هذه " كان " ليست ناقصة ، و لكنها تامة ، بمعنى وُجد كأن تقول: كان الله و لم يكن معه شيء ، فكان إذا جاءت بمعنى وُجد فهي فعل ماض تام ، تقيد حدوث عمل في زمن معين ، إلا أن كان التي تربط تركيب الاسم لزم معين هذه كان الناقصة أما هذه تامة ، كَانَ أَخْوَانِ " أي وُجد أخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ " يبدو أنهما أخوان و شريكان و شريكان في عمل ، فكان الأول يمضي وقته في دكانه ، أو في مكان حرفته ، و الثاني يعاونه و لكن يكثر في أن يأتي النبي عليه الصلاة والسلام ، هذا الذي يكثر من المجيء عند النبي عليه الصلاة والسلام ليطلب العلم ، فكان الأول شكاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن جهد الثاني أو جهد أخيه لا يكافؤه ، لا يساويه و لا يوازيه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام ما زاد على أن قال للأول الذي يمضي كل وقته في دكانه ، و الذي هو متألم من أخيه الذي يأتي النبي عليه الصلاة و

((النبي عليه الصلاة و السلام ما زاد على أن قال: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ ))

هذا الحديث فيه دقة بالغة ، لأن الذي يطلب العلم ، إنما يطلبه لغيره ، يتعلم ليعلّم ، فنفعه يعم الأمة ، لذلك النبي بارك عمل الثاني في أنه يأتي النبي عليه الصلاة والسلام ليطلب العلم ، وطمان الأول أن الله عز وجل سوف يؤجرك لتساهلك مع أخيك ، و كأنك شريكه في الأجر ، وكأن لك حصة مما يتعلم ، لأنك تبذل جهدا أكبر من جهده ، وهو يبذل جهدا ليتعلم ويعلم ، فلعلك تُرزق به ، إذا هذا الحديث من أشهر الأحاديث التي يبارك فيها النبي عليه الصلاة و السلام لطلبة العلم ، لكن في الوقت نفسه دخل النبي عليه الصلاة والسلام فرأى شابا يصلي ، يبدو عليه أن دخل عليه ثانية و ثالثة فراه يصلي و يقرأ القرآن ، سأله النبي عليه الصلاة و السلام: من ينفق عليك ؟ أنت لا تعمل ، فقال هذا المصلي العابد الأواب ، قال: يا رسول الله أخي ينفق علي ، هنا اختلف الوضع ، فقال عليه الصلاة و السلام: أخوك أعبد منك ، فعلا شيء يحير ، لماذا هنا قال: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ " وفي الحالة الثانية قال: أخوك أعبد منك " لأن العبادة إنما تكون لذات الإنسان ، لكن العلم إنما يكون لجميع الخلق ، فالذي يطلب العلم من أجل أن يعلم ، و الذي يعبد من أجل أن يسعد ، والله سبحانه وتعالى ما خلقنا في الدنيا لكي نقعد و لا نعمل ، العمل جزء من الدين.

من خلال هذين الحديثين الشريفين يتضح لكم أن طالب العلم تضع له الملائكة أجنحتها رضى بما يصنع ، وأن الذي له شريك و يطلب العلم فالشريك الأول له نصيب كبير جدا من أجر شريكه لأنه يتعلم ليعلّم ، و النبي عليه الصلاة و السلام يقول ،

((عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[رواه البخاري]

لو فرضنا أخوين في دكان ، واحد منهما ملتزم بحضور مجالس العلم ، فإذا غادر الشريك الأول الأخ الأول الدكان قبل المغرب بساعة ليصل إلى مجلس العلم ، الثاني الذي يبقى في الحانوت لا ينبغي أن يتألم ، ل ينبغي أن يضجر ، يجب أن يعلم علم اليقين أنه مأجور بتساهله مع شريكه ، إذا كان طالب علم ، أما لو دخل شريكه ليصلي نفلا في المسجد فإنه لا يؤجر ، لأن هذا الوقت وقت العمل ، لو ذهب ليصلي الفريضة هذه لا شك فيها، و لكن لو ذهب الشريك ليصلي وقت الضحى ثماني ركعات في المسجد تقريبا إلى الله عز وجل هذا ليس عملا صالحا ، لأنه لم يبذل جهدا مكافئا لجهد شريكه في المحل ، إنه يتعبد الآن ، فالمتعبد قال: أخوك أعبد منك

الذي يكسب الرزق أعبد منك ، أما طالب العلم قال:

### ((لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ))

هذان الحديثان يجب أن يوضعا بين يدي كل مؤمن ليعلم أن طلب العلم لا شيء يعدله ، ولا شيء يفوقه ، و لا شيء يسمو عليه ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، و إذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم، والحقيقة أن أيّة مشكلة تنشأ في حياتك بسبب ها الجهل ، كم أسرة انهارت ، كم من امرأة طُقت ، كم من زوج لقي جزاء عمله بسبب جهله ، لو أنه طلب العلم لما وقع في شر عمله ، لو أنه عرف حدود الله لما دفع الثمن غاليا ، لو أنه طبق الشرع الذي يجهله لما وقعت هذه المشكلة ، لو أنه عرف كيف ينبغي له أن يقرض ن وكيف ينبغي أن يستقرض ، وكيف ينبغي له أن يبيع ، و كيف ينبغي له أن يحترف ، من خلال مجالس العلم لما وقع في هذه الورطة الكبيرة ، لذلك ما من مشكلة ، وما من ورطة ، ومن مأساة إلا وراءها جهل مطبق ، أو إلا وراءها معصية لله عز وجل ، وما من معصية إلا وراءها جهل مطبق ، فلذلك طلب العلم فريضة ، و الذي يؤكد أن طلب العلم فرض عيني ، أي على كل مسلم تقول لي: أنا اختصاصي محاماة ، طلب العلم عليك فريضة ، أنا نختص بالطب ، أنا مهندس ، أنا تاجر ، أنا صاحب مهنة ، أنا صاحب مصلحة ، طلب العلم فرض على كل مسلم ، هو نفسه هذا الطلب يرفع من شأن المسلم لأن الله سبحانه وتعالى ما اتخذ وليا جاهلا ، ولو اتخذ له لعله ، ما اتخذ وليا جاهلا.

يفيد هذا الحديث أيضا أنه من انقطع لطلب العلم والتفقه في أحكام الدين لحفظ شريعة الله عز وجل فإن الله سبحانه وتعالى يهيئ له من يقوم بشؤونه و يكفيه حاجاته ، سبحانه الله طلب العلم مطلب ثمين ، بنا عز وجل يكافئ طالب العلم بأنه ييسر له أعماله في الدنيا ، من طلب العلم تكفل الله برزقه ، بمعنى أنه يعمل عملا قليلا ويكسب قوت يوه من دون حرج ، ومن دون ضيق ، ومن دون مشكلة ، لأن الله سبحانه وتعالى أول مكافأة له هذا الكلام لكم أيها الإخوة الأكارم ، أول مكافأة تكافؤون بها من قبل الله عز وجل أنهم لما كنتم تطلبون العلم لوجه الله عز وجل فالله سبحانه وتعالى حق عليه أن ييسر لكم أموركم ، في أعمالكم ، الحديث القدسي: ابن آدم خلقت لك السموات و الأرض و لم أعي بخلقهن ، أفيعيني رغيف أسوقه لك كل حين ، ليعليك فريضة ، ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي و جلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك و لا أبالي ، وكننت عندي مذموما " أنت تريد و أنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتهك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد " ، هذا الكلام كلام النبي عليه الصلاة و السلام ، ولا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

أنا أستمع إلى قصص كثيرة ، أن إنسانا آثر الدنيا على الآخرة فخرس الدنيا و الآخرة ، والله وفق هذا الحديث آلاف القصص ، من آثر دنياه على آخرته خسرهما معا ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معا .

فمن خلال هذين الحديثين الشريفين الأول: لَعَلَّكَ تُرَزَّقُ بِهِ " والثاني: أخوك أعبد منك " يتضح لكم قيمة طلب العلم، هذا الوقت لله ، الإنسان حينما يؤدي زكاة ماله يجب أن يعلم علم اليقين أنه يجب عليه أن يؤدي زكاة وقته، زكاة الوقت أن تقتطع من وقتك الثمين وقتا تتعرف فيه إلى الله عز وجل ، إلى كتابه ، إلى سنة نبيه ، إلى أحكام دينه ، إلى سيرة أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله ، هذا الوقت حينما تبدّله رخيصةا الله سبحانه وتعالى يبارك لك في وقتك .

كان بوّدي أن تعلموا أنه يمكن أن يُستهلك وقتك استهلاكا رخيصةا لا حدود له ، قطعة في ماكينة عندك ، تستهلك لك عشر ساعات ، أو عشرين ساعة ، أو أياما عديدة ، من دون طائل ، فلذلك: احفظ الله يحفظك ، ابذل وقتك في سبيل معرفة الله يبارك لك الله في وقتك .

الحديث الثاني :

((عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))

[رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بأسانيد صحيحة]

الدعاء مخ العبادة ، العبادة هي الدعاء ، الدعاء اتصال بالله عز وجل ، على وجه الحاجة خرت من البيت ، يا ترى في هذه الساعات الثماني التي سوف أقضيها خارج البيت ، هناك مفاجآت ، هناك مشكلات لا يعلمها إلا الله ، إذا خرجت من بيتك متكلا على الله عز وجل ، وقد دعوته أن يحفك من أن تضل أو تضل ، أحيانا الإنسان يخرج من بيته ذهب إلى متجره ، يسمع قصة غير صحيحة عن صحابي فيصدقها ، فيسيء الظن بهذا الصحابي ، يسمع تفسير آية غير صحيح ، و يسمع فكرة تتناقض مع الدين ، ليس عنده إمكانية فيصدقها أحيانا، تقوت عليه وقع فس الضلال ، فهذا حينما يسيء الظن بالله عز وجل ، وحينما يعتقد بالله عز وجل ما لا ينبغي أن يعتقد ، حينما ينحرف في اعتقاده ، فهذا قد ضل ضلالا بعيدا ، فالإنسان يجب أن يستعيز بالله من أن يضل أو أن يضل ، أي يوجّه الناس توجيهها غلطا ، يوجهه نحو الدنيا ، يوجهه نحو معصية ، نحو مخالفة ، نحو شبهة ، فقد أضلهم ، وكل من فعل هذه الشبهة في عنقه .

((عَنْ جَبْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ فَقَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَنْبَطُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِبُصْرَةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ ))

[رواه مسلم]

هذه مشكلة ، الإنسان إذا سُئِلَ ، اسئُتِي ، يبدو أنه رجل دِين فسأله بعضُ جيرانه في السوق ، بعضُ أصدقائه في المدرسة ، بعضُ إخوانه في عمل ، في دائرة ، سألوه في قضية متعلقة بالزواج ، متعلقة بالطلاق ، متعلقة بكسب المال ، هل هي حلال ، وهل تجوز ، وراح أفتى فتوى غير صحيحة ، فتوى مرتجلة ، ليست مستندة إلى علم ، و لا إلى نص شرعي ، ولا إلى رأي عالم جليل ، إنما هي من بنات أفكاره ، قد ضل ضلالا كبيرا ، هو الآن أضلُّ ، فالإنسان بين أن يُضِل ، وبين أن يُضِل ، وكلاهما خطر ، إذا ضل فقد ضل ، أما إذا أضل فقد تحمل إثم كل من أضله ، قال تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾

[سورة النساء]

يتحمل المسؤولية ، كل توجيه لو أنك أفتيت بأن هذه الطريقة لكسب المال حلال ، كل من فعلها في صحيفتك ، لو أنك أفتيت أن هذه الطريقة في معاملة الناس صحيحة ، كل من قلَّدك فيها فهو في صحيفتك ، لذلك الإنسان هذا دعاء يجب أن يدعوه كل إنسان ، والإنسان يخرج من بيته يا ترى يلتقي بإنسان يغيِّر له عقيدته ، يعطي قصة غير صحيحة ، يعطيه فكرة ما أنزل الله بها من سلطان ، يثير في قلبه شبهة ، يثير في قلبه مشكلة ، "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ" الضلال قضية اعتقاديته ، "أَوْ أُرْزَلَ أَوْ أُرْزَلَ" أي تزل قدمي فأرتكب معصية ، دخل إلى محل فيه اختلاط فقعد ، وجد الجلوس ممتعا ، زلت قدمه ، سمع قصة ماجنة من صديق ، استمع لها باهتمام ، زلت قدمه ، يبيع ببيعة فيها عيب خطير ، قال: اسكت ، ألبسه إياها ، أنت أولى الناس بئمنها ، عندك أولاد ، والوقت صعب ، هذا كلام الشيطان ، عندك أولاد والوقت صعب ، اخلص منها ، أخفى العيب فزل ، أو أُرْزَلَ أَوْ أُرْزَلَ " إما أن أُرْزَلَ من تلقاء ذاتي ، أو أدفع إلى أن أُرْزَلَ ، واحد أخي فيها عيب ، حطها برقبتي ، ما معنى رقبتك ، ومن أنت حتى تضعها في رقبتك ، فالإنسان يقع في ظن ، يسحبوه إلى غداء ، لا يجوز أن أقعد في

هذا المحل ، أخي لا يكن دينك سميكا كثيرا ، حلها برنة فحلها بنة فزل ، أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم " الإنسان أحيانا يظلم زبونه ، ويكون الزبون ماله حلال فيقول له: رجاء انصحي ، فيعطيه شيئا يغشه فيه ، صار فيه ظلم ، أخذت منه مبلغا لا يساوي هذه الحاجة ، صار هناك ظلم أحيانا يظلم الواحد صنعا عنده ، أحيانا يظلم زوجته ، أحيانا يظلم جاره ، أحيانا يكون جاره أضعف منه فيظلمه ، أحيانا يظلم شريكه ، يكون المحل باسمه وشريكه ليس له شيء ، فيضايقه و يظلمه ، يعطيه أقل من حقه ، و الظلم ظلمات يوم القيامة ، أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أظلم " لا أظلم و لا أظلم ، " أو أجهد أو يجهد علي " هنا الجهل السفاهة ، الجهل بمعناه الأول ضد العلم ، والجهل بالمعنى الثاني السفه ، قال الشاعر:

### ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن هنا سُميت الفترة التي سبقت بعثة النبي عليه الصلاة و السلام بأنها الجاهلية ، كان فيها شرب الخمر ، و كان فيها الربا ، و كان فيها عبادة الأصنام ، هذا كله جهل ، فيها عصبية ، فيها حروب طاحنة لأسباب تافهة ، فيها إزهاق أرواح ، فيها اغتصاب نساء ، فيها غصب أموال فيها عبودية ، كلها طافحة بالمخازي:

### ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والله هذا دعاء جميل جدا: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ " أحيانا الإنسان يظلم ، مصحح من دون ما يهتم بالجمع الإحدى عشر نقلها واحدا ، كان الطالب والده متوفى قدم بكالوريا ينتظر يدخل الجامعة فرسب ، هذا رسب ظلما ، هذا المصحح لم ينتبه للجمع ، مستعجل و تضايق ، فصار فيه ظلم ، وقع في الظلم أحيانا تتهار أسرة برسوب طالب ، أسرة بكاملها ، فكل إنسان مسؤول ، أحيانا طبيب يسأل ينسى أن يسأل المريض سؤالا عن الحساسية يعطيه إبرة بنسولين فيحدث معه صدمة ، يأخذونه على المستشفى فيدفعون عنه عشرة آلاف ليرة ، أسأله هل معه حساسية ، ظلمه ، أحيانا محامي يظلم من دون أن يشعر ، تكون القضية تُحل صلحا ، لا أخذ لك حكما لمصلحتك ، يتركه ثماني سنوات في القضاء ، والله ما مشي الحال ، قل له من الأول ، فأحيانا يكون الظلم ، المهن الراقية يكون فيها الظلم أحيانا ، فالظلم أن تعتدي على حق الآخرين ، أن تعتدي على أموالهم ، أن تعتدي على أعراضهم ، أن تأخذ ما ليس لك بحق أن تأخذه.

هذان الحديثان أتمنى عليكم أن تحفظوهما ، وأن تدعو بهما ، فالأول فيه حثٌ على طلب العلم ، والثاني فيه دعوة إلى أن تستعين بالله سبحانه و تعالى كلما واجهت مشكلة ، أو كلما خرجت من بيتك.

والآن إلى بعض مواقف سيدنا الصديق رضي الله عنه ، تحدثنا في الدرس الماضي أن هذا الصحابي الجليل سيدنا الصديق واجه بعد وفاة رسول الله مشكلتين ؛ فالمشكلة الأولى أنه في البلاد البعيدة من المدينة كلن أكثر المسلمين حديثي عهد بالإسلام ، و كان الدين مرتبطا في وجدانه ارتباطا كاملا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مات النبي عليه الصلاة والسلام و قوام فيهم من رؤسائهم من استغل حداثة الإسلام و دعا إلى الارتداد عنه ، والحق أنها لم تكن أول الأمر ردة كاملة عن الدين ، إنما كانت امتناعا عن دفع الزكاة ، أول ظاهرة مرضية ، أول طاهرة امتناع في حكم سيدنا أبي بكر أن بعض الناس من أسلموا حديثا امتنعوا عن دفع الزكاة ، لكن أبا بكر رضي الله عنه بنظره الثاقب ومحاكمته الدقيقة رأى أن هذه ردة ، رآها ردة عن الدين ، ورآها عجا لعود الإسلام ، جس نبض ، بعد أن مات الرسول ، فإذا أبدى الإسلام ، فكان هناك اتجاها ن ؛ الأول يرى ألا يُقاتل هؤلاء ما داموا لم يقترفوا سوى امتناعهم عن الزكاة ، و على رأس هذا الفريق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، القضية صغيرة يجب أن لا تحمل خليفة المسلمين على أن يقاتلهم من أجلها ، هذا رأي سيدنا عمر ، ورأي آخر يرى أن الزكاة ركن من الدين ليس من حق الخليفة أن يدع الناس يهدمونه ، ويرى أن الامتناع عن أدائها ليس سوى البداية ، وليس سوى حركة استطلاع يتوالى بعدها القضاء على الإسلام ، وحمل لواء هذه الدعوة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فصار عندنا اتجاها ن ؛ الحقيقة لو سئل الناس: من الذي سيكون أكثر صرامة و شدة ، ومن الذي سيكون أكثر لينا و مهادنة ؟ لما ترددوا في أن يشيروا إلى عمر بن الخطاب مناديا بالقمع الصارم ، وإلى أبي بكر داعيا إلى الأناة و الحلم ، و لكن الذي حدث عكس ذلك ، الإنسان الوديع اللطيف الهادئ الصامت الرقيق الذي يؤثر أن يبقى في الظل من دون ضجيج ، أغلب الظن أن هذا الرجل الهادئ سيختار موقف اللين ، موقف المهادنة ، وموقف المودعة ، موقف المسايرة ، موقف التساهل ، وأن سيدنا عمر سيأخذ موقفا شديدا ، والذي حصل هو العكس ، والحقيقة لقد باكر سيدنا الصديق الأزمة بإرادة مشحونة مشحودة مصممة على أن يضرب في غير تردد ، موصّحا اقتناعه بهذه الكلمات ، كان موقفه.

((فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ فَقَالَ عُمَرُ فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلِقَاتِلِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ))

[رواه البخاري]

أما عمر فيقف من الأزمة موقفا مغايرا ، ويوجه إلى الخليفة هذا السؤال: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ))

ويجب أبو بكر ألم يقل الرسول: إلا بحقها ، ألا إن الزكاة من حقها ، سيدنا أبو بكر يكشف في موقف هذا عن يقين المؤمن ، وعن بصيرته النافذة ، وعن يقينه بالله وبرسوله الذي يرتفع إلى مستوى الإذعان المطلق لما ألقاه من أمر و منهج ، وهو بهذا يحمل كل مسؤوليته عن الدين ، فلا يسمح أن يتغير على عهده شيء من شرع الله و سنة رسوله ، وكل فريضة توفي النبي عليه الصلاة و السلام وهي قائمة ، و لا بد من أن تضل قائمة مهما تكن

سيدنا عمر قال:

(( فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ ))

يبدو أنه تأمل وجد في النهاية أن رأي سيدنا الصديق هو الأصوب و هو الأجل و هو الأحكم وهو الأعقل وهو الأقوى ، لذلك قال:

(( فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ ))

سيدنا ابن مسعود يقول: لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن من الله علينا بأبي بكر " القضية لها أبعادها ، فلو تساهل لانتهى الإسلام.

عندنا موقف آخر ؛ هذا الموقف أن النبي عليه الصلاة و السلام قبيل وفاته أعد جيشا تحت إمرة أسامة بن زيد ، سينا أسامة بن زيد لا يزيد عمره عن سبعة عشر عاما ، وكان في هذا الجيش أصحاب رسول الله الأجلاء ، بما فيهم سيدنا عمر ، و سيدنا عثمان و سيدنا علي ، وكان قائدهم أسامة بن زيد ، حب رسول الله ، الحقيقة هنا سؤال ؛ وكان الجيش يوم مات النبي عليه الصلاة و السلام معسكرا على بُعد أميال ثلاثة من المدينة ، يتهيأ للسير ، وأرجأت وفاة النبي عليه الصلاة و السلام زحفه ، و اختلف الناس بعد هذا في أمره ، فرأى فريق من المسلمين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أن بعث جيش أسامة إلى الشام مخاطرة رهيبه ، في الوقت الذي أصبحت فيه المدينة نفسها عاصمة الإسلام مهددة بغزو المرتدين ، معقول نرسل جيشا من المدينة إلى الشام للفتح ، وكون المدينة حركة ارتداد خطيرة جدا ، ربما قضت على الإسلام كله ، هذا كان موقف سيدنا عمر بالعقل ، الإنسان قبل أن يفتح بلادا أخرى يضمن سلامة بلاده الداخلية ، ورأى سيدنا عمر ضرورة عودة الجيش

إلى المدينة ليكون في مواجهة الأحداث الجديدة الزاحفة ، وكان أسامة نفسه قائد الجيش من أصحاب هذا الرأي ، القائد نفسه كان رأيُه أن يتجه هذا الجيش لحماية المدينة ، لكن أبا بكر رضي الله عنه رأيُه غريب حسب المنطق، يستمد منطقُه من إيمانه وكل قضية عنده تتسع للاجتهاد إلا قضية أبرم الله فيها حكما ، إذا القضية الله سبحانه وتعالى أبرم فيها حكما هذه قضية مقطوع فيها ، أو أصدر النبي عليه الصلاة و السلام فيها أمرا ، لقد أمر النبي عليه الصلاة و السلام قبيل وفاته أن يُنفذ بعثُ أسامة ، فليكن ما أمر النبيُّ به ، مهما تكن مستحدثات الظروف ، ومهما تكن الأخطار التي تهدد المدينة ، وهكذا كان جواب أبي بكر للناس ، ماذا قال ؟ قال هذا الصحابي الجليل: أنفذوا بعثُ أسامة ، فوالله لو خطفتني الذئبُ لأنفذته كما أمر النبي عليه الصلاة و السلام ، وما كنتُ لأردّ قضاءً قضاه النبي عليه الصلاة و السلام . قف إيماني ، في المنطق لا بد أن لا يخرج ، منطق الأحداث ، و بمنطق الواقع يجب أن يبقى الجيش في المدينة ، لكن في منطق الإيمان هذا الجيش جيشه رسول الله ، وهذا القائد عينه رسول الله ، وعاد بعض المسلمين و على رأسهم عمر بن الخطاب يطلبون من أبي بكر أن يجعل على رأس الجيش قائدا غير أسامة ، هذا صغير جدا ، طيب نفذ هذا الجيش ، لكن غير القائد ، الذي كان فتى صغير السن محدود الخبرة ، و لا سيما وفي هذا الجيش شيوخ الصحابة وأجلاؤهم ، وهذه المسألة أيضا إذا بُحثت في المنطق المجرد يبدو ذلك الرأي سديدا ، لكن أبا بكر في هذا شأنه في كل أمر يستمد منطقُه من إيمانه ، فالذي ولى أسامة هو رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ولقد رضيه الله الصحابة ورسول الله حي ، أفيخلع أبو بكر رجلا ولأه النبيُّ عليه الصلاة و السلام ، مستحيل ، ولم يكد عمر يعرض الرأي ليُقترح على أبي بكر حتى ثار هذا الرجل الحليم ، والحليم قلما يثور ، و لكن إذا ثار شيء مخيف ، ثار ثورة ما ثار مثلها قبلاً ولا بعداً ، ولندع شاهد عيان يصف لنا المشهد فيقول: لما قال سيدنا عمر هذا الجيش لا نرسله ، وإذا كان بسرعة إرساله فقائد آخر ، وثب أبو بكر من مكانه ، وأخذ بلحية عمر و هزها هزاً شديدا ، وقال: ويحك يا ابن الخطاب ، تكلتك أمك أجبّار في الجاهلية خوار في الإسلام ، أيوليه رسول الله و تأمرني أن أعزله ، هكذا ، ما هذه الشخصية ؟ هذا الوديع اللطيف البكاء الحليم الهادئ الذي يؤثر أن يبقى في الظل هكذا يفعل ، ثم قام يتبعه عمر ، قام سيدنا الصديق يتبعه عمر إلى حيث كان الجيش معسكرا فدعاهم للتحرك على بركة الله ، و سار معهم وودّعهم ، و مشى الخليفة على قدميه إلى جوار أسامة الذي كان ممتطيا ظهر فرسه ، أسامة الشاب الذي لا يزيد عن سبعة عشر عاما يركب فرسه ، و سيدنا الصديق الشيخ الوقور خليفة المسلمين يمشي على رجليه ، سيدنا أسامة كله أدب ، واستحيا أسامة فهم بالنزول داعيا خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الركوب ، فثبته أبو بكر بيده في مكانه ، وهو يقول: والله لا نزلت ولا ركبتُ ، وماذا عليّ أن أغبرّ قدمي في سبيل الله ساعة ، وأراد أن يبقى راكبا ليرفع له شأنه أمام أفراد الجيش ، كل أمر عنده سهل ، و كل جمل يهون إلا أمرا يدعوه إلى الخروج قيد أنملة عن طاعة الله و رسوله.

بعد ذلك لم تكذ القبائل المرتدة تشهد جيش أسامة متوجها نحو الشام إلا خافت ، وقالت: والله لو كانت المدينة تثن تحت وطأة الضعف والخلاف كما سمعنا ما كان بوسعها أن تبعث هذا الجيش في هذه الأيام لتقاتل الروم ، فالذي حدث أن خروج هذا الجيش إلى الشام و الفتن مستعرة في المدينة ، والارتداد على أوجه أوحى لكل المرتدين أن الموقف متين جدا ، قالوا: والله لو كانت المدينة تثن تحت وطأة الضعف والخلاف كما سمعنا ما كان بوسعها أن تبعث هذا الجيش في هذه الأيام لتقاتل الروم.

نعيد عليكم مرة ثانية قول ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن منَّ الله علينا بأبي بكر " وهذه القصة لها مغزى ، أحيانا بمنطق التجارة إذا كان لم تعمل كذا ما رفعت السعر إذا كان البيع إلى أجل لا تريح ، هذا منطق التجارة ، إذا كان هذا المبلغ ديتته لفلان وأرجعه لي بعد سنة ذهبت نصف قيمته ، لا يناسبي ، هناك منطق تجاري ، هناك منطق مادي ، هناك منطق بيع و شراء ، هذه القضية ، و هناك منطق الإيمان ، منطق الإيمان يقول لك:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة]

منطق التجارة أن هذه المائة ألف إذا ديناها نأخذها بعد سنة ستين ألفا ، بالقوة الشرائية ، هكذا العادة كل الدول تضخم نقدي ، هذا المبلغ بقدر القدرة الشرائية ، فإقراض الناس عمل أحمق أخي ليس معي ، أو ترجعها بشكل معين ، بقيمة ثابتة ، وهذا فيه إرهاب للإنسان ، بمنطق الإيمان إقراض الناس عمل عظيم ، يكافئ الله عليه ، بالمنطق التجاري الإقراض عمل غير حكيم.

التعليق الذي أتمنى أن يكون واضحا أمامكم أن في حياتنا كلها منطقتين ؛ منطق مادي و منطق الإيمان ، أخذنا مثلا القرض ، في منطق التجارة و منطق قيم الأموال الإقراض حمق ، بمنطق الإيمان أنت إذا أقرضت هذا الإنسان رضي الله عنك ، وكأنك أقرضت الله عز وجل ، المؤمن لا تحركه المقاييس التي هي سائدة في المجتمع ، تحركه قيم أخرى ، قيم نابغة من كتاب الله ، فلما ربنا عز وجل يقول لك:

## ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة]

أنت بهذا تتمنى أن تقرض الناس مبلغا من المال ، أما المنطق التجاري ، والمنطق المادي هذا العلم غير مجدي، لما الطالب يكون جالسا في بيته يدرس ، ويحين وقت مجلس علم ، بمنطق الوقت هذا استهلاك للوقت ، لو قعد في البيت و ألغى الدرس لقرأ بحثا ، وقرأ فصلا ، لكنه في منطق الدراسة لا بد أن يلغي حضور مجالس العلم ، أما منطق الإيمان لعله إذا حضر هذا المجلس و تعلم حكما أو آية أو حديثا ، لعل الله ينفعه به طوال حياته ، والله سبحانه و تعالى يفقهه ، فأنت دائما في كل حركة ، في الزواج ، الإنسان أحيانا يختار امرأة غنية ، وهناك امرأة غنية و لكنها مؤمنة ، في منطق المادة هذه الغنية قد تأخذ مالها و قد تسكن في بيتها ، وقد تستفيد من حسبها و نسبها ، أما هذه المؤمنة بالمنطق المادي قد لا تنفعه ، ولكن الله سبحانه و تعالى قد يبارك لك في كل حياتك إذا اقترنت بهذه المؤمنة ، الإنسان السعيد دائما يسلك مسلك أصحاب رسول الله ، يسلك مسلك المؤمنين ، يتبع سبيل المؤمنين ، أما هناك منطق آخر ، انظر إلى سيدنا الصديق ، كم هو الأمر واضحا ، لا بد أن لا يرسل الجيش ، لا بد أن يغير قائد الجيش ، لا بد أن لا يحارب المرتدين ، هذا منطق العصر ، هو أخذ منطقا آخر ، أخذ منطق الإيمان ، في البيع و الشراء ، يمكن أنك أنت تقدر تطلب سعرا غاليا جدا والبضاعة لا توجد منها إلا عندك ، هذا منطق التجارة ، أنا حافظت على البضاعة ، هناك منطق آخر ، أنهم مسلمون مؤمنون بعها بسعر أقل ، خفف على الناس أعباء الحياة ، هذا منطق آخر النية العالية ، لا تعرف ربما يبعث الله لك رزقا محبوبا ، بهذه النية العالية.

قال لي واحد: عندي محصول فاكهة معينة أسعاره متدنية جدا ، لو أردت أن أجمعه و أدفع اليد العاملة وأشتري له صناديق سأخسر ، أخسر حوالي عشرة آلاف ، أما إذا تركته تأكله العصافير لا أخسر ، ولكن غلب عليه منطق الإيمان أن هذه الفاكهة إنما خلقها الله لتكون طعاما للناس ، فدفع عشرة آلاف ليرة خسارة ، بين يد عاملة وقطف و تسليط ، قال لي: والله الله بعث لي من جهة ثانية ما كانت في الحساب مبلغ عشرين ألف ليرة ، فأنت دائما أمام منطقتين ؛ منطق الإيمان و منطق المادة ، هناك منطق مادة يحكم زواجك ، و يحكم طلاقك ، زوجة صار معها مرض عضال ، ما هذه البلوى ؟ خلص منها ، و يطلقها ، ليس لنا مصلحة فيها ، هذا منطق المادة ، لكن منطق الإيمان ، منطق الوفاء ترعاها حتى آخر لحظة ، فأنت دائما ضع نفسك كمؤمن بين أن تكون

مؤمننا تعمل وفق القيم النابعة من كتاب الله ، و بين أن تكون إنسانا ماديا تعمل وفق القيم النابعة من التعامل اليومي مع الناس، وتأكد أن الخير و التوفيق و النجاح و العاقبة مع الذين يسلكون منطق الإيمان ، في كل حركاتهم و سكناتهم ، يمكن أن تتبع بيعا رخيصة ، ليس فيه رفع سعر ، الله عز وجل يبارك لك في صحتك وفي أهلك و في أولادك ، حسب الحسابات إذا بعنا ، وعندى عشرة آلاف قطعة ، إذا رفعناها بليرتين معناها بعشرين ألف ليرة ، رفعناها بثلاثة ثلاثون ألفا ، رفعناها بخمسة حصرناها ، لا يوجد عندنا غيرها ، ربنا مائة ألف ، هذا منطق المال ، أما إذا كان خفت على المسلمين ، وكان سعرك معتدلا ، لعل الله عز وجل يطرح لك في هذا المال البركة ، ويجعلك سعيدا في حياتك ، والمال عندئذ لا يقدم و لا يؤخر.

أنا أتمنى عليكم وقد سمعتم بأذانكم موقف هذا الصحابي الجليل كيف أنه يؤثر منطق الإيمان على المنطق الآخر ، إذا أثرتم هذا المنطق سعدتم في الدنيا و الآخرة.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (004 - 127) : قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-09-1988

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. أيها الإخوة الكرام: مع الحديث النبوي الشريف:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَارِبُوا وَسَدِّدُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلَا أَنْتَ، قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ))

(رواه مسلم)

هذا الحديث دقيق جداً ويمكن أن يفهمه الناس فهماً خاطئاً فيعتقدون أن الجنة بالأمل وليست بالعمل فإذا فهم الناس هذا الفهم هلكوا، النبي الكريم في هذا الحديث يبين مجموعة من الحقائق الدقيقة في العقيدة: الجنة سببها العمل الصالح ولكنها بفضل الله عز وجل وليس من الصعب أن توفق بين أن تكون الجنة بالعمل، وبين أن تكون الجنة بفضل الله عز وجل، هي بفضل الله قولاً واحداً لكن فضل الله عز وجل لا يناله إلا من دفع الثمن أولاً وهو العمل، فإذا دفع الثمن وظننت أن هذا الثمن هو كل شيء عندئذ لن تصل إلى الجنة، لن تبلغ الجنة إلا إذا تيقنت أنها بفضل الله، (فقالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا) فأوضح وأقرب مثل عندما يعد الأب ابنه بهدية ثمينة جداً إذا نجح، ولتكن دراجة غالية الثمن، يا ترى ابنه بمجرد أن أخذ جلاته وكُتِبَ عليه نجاح هل هذا الجلاء يكفي ليعطيه للبائع فيعطيه دراجة؟ لا، هذه الدراجة لها ثمن وعلى الأب أن يدفع الثمن، ولكن سبب إهداء هذه الدراجة للابن هو النجاح فصار العمل سبب و ليس العمل سبب هو كافي أو أخير أو كافي لدخول الجنة، فالإنسان إذا عمل عملاً صالحاً واستقام على أمره وظن أنه استحق الجنة استحقاقاً قطعياً، وأنه أخذها بجهد، وعرق جبينه، ومجاهدته نفسه وهواه، هذا خطأ كبير، وإذا ظن أن الجنة ليست بالعمل لكنها للأمل أيضاً وقع في خطأ كبير.

مثل آخر: لو أن عم قال لابن أخيه اليتيم: ادرس، فإذا درست ونجحت فأنا أنفق عليك حتى آخر سنوات الجامعة، فدرس هذا الابن ونال الدرجة الأولى في العام الأول، تابع العم إنفاقه على ابن أخيه، في العام الثاني نال الدرجة الأولى تابع العم إنفاقه على ابن أخيه إلى أن صار ابن أخيه في أعلى درجة علمية ونال بها أعلى درجة اجتماعية، مرة من المرات في جلسة ودية بين العم وبين ابن الأخ قال ابن الأخ: والله يا عمي لولا فضلك عليك وإنفاقك عليّ لما كنت بهذه المرتبة الاجتماعية، كلام صحيح، فأجابه العم: والله يا ابن أخي لولا اجتهادك لما أنفقت عليك، فكلام العم وابن الأخ صحيح، فلو لم يكن مجتهد لما استحق هذا الإنفاق المستمر، ولولا أن هذا العم أنفق على هذا الابن لما نال هذه الدرجة، فهذه الدرجة نالها ابن الأخ بجهد وفضل العمل، فالجلاء الذي كتب عليه الجيدات ونال صاحبه الدرجة الأولى مع كل هذا الجهد المبذول طوال العام الدراسي لا يكفي هذا الجلاء كي تقتني به دراجة غالية الثمن، هذان المثالان يقربان معنى هذا الحديث الذي حير بعض العلماء ! فبعض العوام فهمه فهماً مغلوطاً فلم يعمل واطكل على الأمل، وأخطر شيء في حياة الإنسان أن يتكل على الأمل ويترك العمل، وبعدهم فهم هذا الحديث أن الجنة بالعمل فقط، ويكون بذلك استغنى عن الله عز وجل، هناك معاني دقيقة منها أنه سبحانه وتعالى إله ومعنى إله لا يجب عليه شيء فهو خالق الكون رب العالمين لا إله إلا الله، فليس عليك أن تتفاوض معه دفعت زكاة وقمت بالحج فأين الجنة ؟ من أنت لتفعل هذا ؟ أنت عبد، هذه حقيقة أساسية في العقيدة، الذي ترجوه منه بفضله وعملك ثمن لفضله، عندما تدفع ثمن شيء نقول: أن هذا ثمن يكافئ هذه الحاجة، فلو دخلت لمكان تجاري بكم هذا الكأس ؟ بخمسة وعشرون ليرة، تفضل هذا ثمن الكأس، وليس له فضل عليك، فلو الله عز وجل قال لك: كل الذي فعلته في حياتك لا يكافئ نعمة البصر، ونعمة السمع، ونعمة النطق، ونعمة العقل والسلامة، ونعمة الزوجة والولد، ونعمة البيت والمأوى، ونعمة الهواء والماء، هذا كله لا يكفي لتتعم بهذا الفضل من دون أن تعتقد أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته،

وفضل الله على عباده أوسع من أعمالهم والله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء، أما قول الله عز وجل:

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

(سورة النحل)

أي أن هذا الفضل الإلهي جعل الله سبحانه وتعالى ثمنه هو العمل فالعمل ثمن الفضل، وليس معنى ذلك أن هذا العمل كافي لدخول الجنة،

سيدنا جعفر رضي الله عنه يقول:

((ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم))

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

(( قاربوا وسددوا )):

فالمقاربة القصد الذي لا غلو فيه، فأحياناً يمكن أن تتبالغ، خير الأمور الوسط، الاعتدال والتوسط بين التطرف هو المنهج الصحيح، ففي إنفاق المال لا إسراف ولا تقطير، لا إفراط ولا تقريط، في اللباس: هناك من يبالغ في لباسه إلى درجة أنه يستهلك معظم ماله من أجل الثياب، وهناك من يهملها، كلا الحالين خطأ، ففي كل شيء الاعتدال خير الأمور لذلك قال بعضهم:

(( الحق وسط بين طرفين ))

والقول الشائع

(( خير الأمور الوسط ))

أم أقوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

(سورة البقرة)

تعني أننا جعلناكم وسطاء بيني وبين الخلق عامة، فأنتم مكلفون بنشر الهدى في الأفاق، قاربوا أي اعتدلوا

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)﴾

(سورة الفرقان)

فالإنفاق في كل شيء فسيدينا عمر رأى رجلاً يقرأ القرآن في النهار فقال: إنما أنزل هذا القرآن ليعمل به أتخذت قراءته عملاً؟ قيمة العمل هذا شيء مهم جداً، فالإنسان يحتاج إلى عمل، والأمة تحتاج إلى عمل. النبي الكريم رأى رجلاً يصلي طوال النهار فقال عليه الصلاة والسلام من ينفق عليك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك! النبي الكريم يقول: (والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكاف في مسجد هذا، فإن تقوم بخدمة الناس بتيسير مصالحهم وتلبية حاجاتهم هذا هو جوهر الدين، وسددوا فالسداد أي الاستقامة كيف أنه بين نقطتين لا يمر إلا مستقيم واحد! فالإنسان يسير في طريق فالمقود يصح مساره فإذا كان أثناء الحديث مع صديق انحرفت السيارة نحو اليمين يصح المسار، أو بالعكس فالتسديد أي التصحيح، فالمؤمن يصح دائماً يا ترى هذه الكلمة مناسبة؟ لا فيها غيبة، أو سخرية، ألم تسمعوا قول النبي الكريم في مخاطبته للسيدة عائشة يوم قالت عن أختها قصيرة: قال:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ: مَا يَسْرُبُنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةً، وَقَالَتْ: بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَغْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمَزَجَ))

(الترمذي)

كلمة قصيرة تكفي، فالمؤمن يسدد أقواله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70)﴾

(سورة الأحزاب)

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾

(سورة الأحزاب)

يا ترى في البيع والشراء هل يرتكب مخالفة ؟ هل أخف العيب ؟ هل دلس وأوهم الشاري أن هذه البضاعة ذات منشأ من الدرجة الأولى ؟ هل أوهم الشاري أن هذه البضاعة اشتراها بالسعر المرتفع الثمن ؟ قاربوا وسددوا أي كونوا في حالة الاعتدال لا إسراف، ولا تقطير، لا إفراط ولا تفريط، لا مبالغة ولا جحود، وأما سددوا دائما فكروا في أقوالكم يقول عليه الصلاة والسلام

(( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ))

(مسند الإمام أحمد)

يا ترى هذه الكلمة فيها سخرية أو استهزاء أو كبر، سيدنا جعفر رضي الله عنه عندما سأله النجاشي عن الإسلام لم يقل له الإسلام صوم وصلاة وحج وزكاة، قال: كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رسولا نعرف أمانته وصدقه وعفاه ونسبه فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث فالمؤمن لا يكذب، يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة، إذا كذب فليس مؤمناً، إذا خان مطلق الخيانة، كأن يخون أسرته وأهله وزوجته ووطنه وأمه ليس مؤمناً قولاً واحداً، أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، فالأمانة أشفقت من حملها السماوات والأرض، المدرس طلابه أمانة، الطبيب المريض أمانة بين يديه، المحامي هذا الموكل قضيته أمانة بين يديك، أنت كمهندس هذا المشروع الذي تشرف عليه أمانة، لذلك السماوات والأرض أشفقت من حمل الأمانة، قاربوا وسددوا وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، فالنبي الكريم يقول

((قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل ))

(رواه مسلم )

هذا الحديث دقيق جداً لا ينبغي أن تتكل على العمل ولا أن تفقد الأمل، لا ينبغي أن تعتقد أن الجنة بالعمل فقط إنه جهل بل هي بفضل الله، ولا ينبغي أن تعتقد أن الجنة يحصل عليها الإنسان بلا عمل، العمل جعله الله سبباً لفضل الله عز وجل هذا مؤدى الحديث،

### ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)﴾

(سورة النحل)

هذه من الآيات الدقيقة جداً، لماذا لم يقل الله عز وجل: وإن تعدوا نعم الله لا تحصوها؟ بل قال: نعمه الله أنه الأولى و إن تعدوا نعم لا تحصوها فقال نعمه وهي مفرد تحصوها جمع فقالوا العلماء بتفسير هذه الآية النعمة الواحدة لو أمضيت كل حياتك في تعداد فوائدها لا تنتهي،

إذا كنتم عاجزين عن إحصائها فأنتم عن شكرها أعجز، ولنفرض أنه جاءك مولود وقدموا لك الهدايا الأهل والأصحاب فمرة سهرت مع زوجتك وقلت لها أحضري ورقة وقلم لنرد الهدايا فكتبت فلان حرام، فلان طقم، فلان قطعة ذهب.. يا ترى الإحصاء أسهل أو الرد والدفع؟ فإذا كنتم عاجزين عن إحصائها فأنتم عن رد ثمنها وشكرها أعجز، فمفاد هذا الحديث أن تعمل، وتستقيم على أمر الله، وأن تدعو الله أن يدخلك الجنة، فأجمل ما قيل في هذا الموضوع: أن النبي الكريم كان عند أحد أصحابهم الذين توفاهم الله عز وجل وهو السائب، فرفع عن وجهه الرداء وقبله وسمع امرأة تقول خلف الستار: هنيئاً لك أبا السائب لقد أكرمك الله، لكن النبي لم يصمت لأن كلامها غير صحيح بل قال: ومن أدراك أن الله أكرمه؟ أتعلمين الغيب؟ قولي: أرجو الله أن يكرمه.

قال رسول الله: وأنا رسول الله لا أدري ما يفعل بي ولا بكم! فالإنسان تحت ألطاف الله عز وجل، فمجرد أن تتجمد نقطة دم بدماعه يموت، أو يشل أو يجن حسب مكان الإصابة، أو يفقد السمع، أو البصر.. فأنت بيد الله ألا تسمع يقولون: مات فجأة بسبب سكتة قلبية أي انفجار بأحد شرايين المخ فروحك بيده، فلان تشمع الكبد، فلان توقفت كليتيه عن العمل فجأة، تزود من الدنيا فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر؟ فكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر، وكم من رجال يرتجى طول عمرهم، فالله وحده يعلم الغيب،

((عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من الرسول))، فإذا فهمت هذا الحديث فهماً صحيحاً يعرف حجمه، فالمؤمن يعرف حجمه بالتحديد، رحم الله عبداً عرف قدره فوقف عنده، والآن إلى متابعة سير بعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم،

وصلنا في الحديث عن سيدنا أبي بكر ونحن إن شاء الله تعالى جادون في الحديث عنه وعن عمر وعثمان وعلي، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، فسيدنا الصديق أبرز عناصر عظمته في بساطته، فأحياناً تجد إنسان متصنع، أو يحيط نفسه بهالة فهذا الإنسان كانت عظمته في بساطته في مستوى الشخصية، أما في مستوى المكان قال بعضهم: البساطة نصف الجمال، إذا كانت غرفتك بسيطة أجمل، إذا كان لبسك بسيط أجمل، يوجد هناك من يحب المبالغة والتكلف والتصنع، هذا الإنسان يكون مصاب بضعف بعقله، فكلما كانت حياتك بسيطة وهادئة أعظم، فهذا الرجل كان عظيماً ومن عناصر عظمته بساطته، فكان قيل أن يصبح خليفة للمسلمين يقدم لأهل الحي الذي يسكنه خدمة تناهت في الطرافة والروعة، فقد كان في جيرته بعض الأرامل العجائز اللواتي مات أزواجهن، أو استشهدوا في سبيل الله، كما كان هناك بعض اليتامى الذين فقدوا آبائهم فكان رضي الله عنه يأم بيوت الأرامل فيحلب لهن الشياه، ويأم بيوت الآخرين فيطهو لهم الطعام، كان يقدم خدمات من باب الأعمال الصالحة لجيرانه، ولما صار خليفة تناهى إلى سمعه حسرة العجائز لأنهن سيحرمن منذ اليوم من هذه الخدمة الجليلة، التي يؤديها لهن هذا الرجل الصالح، ولكنه أخلف ظنونهن، فتوقعوا أنه إذا استلم الخلافة سيمتتع عن تقديم الخدمات، وذات يوم يقرع باب إحدى تلك الدور وتسارع إلى الباب فتاة صغيرة لا تكاد تفتحه حتى تصيح لأمه يا أماه ! إنه حالب الشاة ! وتقبل الأم وإذا بها وجه لوجه أمام الخليفة العظيم فتقول لابنتها في حياء: يا ابنتي ويحك ألا تعرفي أن تقولي جاء خليفة رسول الله ؟ كأن أبا بكر رضي الله عنه يقول في: نفسه دعيها لقد وصفتني بأحب أعمالني إلى الله، فلا تعرف كيف يرحمك الله يمكن بإنقاذ نملة، قال أحد الصالحين: بما أكرمك الله عز وجل ؟ قال: بدويبية، هناك حشرات صغيرة جداً جداً تسير على الورق، تعرفها من حركتها ! فرحمها أن أنقذها من الموت، كان سيغلق الكتاب فانتبه لوجود دويبية، يمكن أن يرحمك الله لإنقاذك لأي حشرة. زهرة تسبح الله عز وجل، المؤمن كله رحمة للناس، وكله خير وسلام ويبث الطمأنينة في نفوس الناس، كلكم يعلم أن هذا الخليفة العظيم عندما أسلم بعض المسلمين الضعاف كانوا يعذبون فكان هذا الخليفة له قلب رقيق، النبي الكريم كان قلبه رقيقاً جداً لدرجة أنه لا يتحمل رؤية دابة تحمل فوق طاقتها، ممكن أن يكون عندك صانع فتحمله

فوق طاقته هذا ليس دابة صانع شخص أخوك في الإنسانية ارحمه، يقول لك هذا يتيم لا أحد له الله معه إذا لم يكن له أب فله رب، وربنا كبير فالإنسان لا يستغل الناس وضعفهم وحاجتهم، المؤمن يعامل الناس وكأن الله وكيلهم دائماً، فسيدنا الصديق رضي الله عنه رأى بلالاً ذلك العبد الحبشي الذي أسلم والذي عذبه أمية بن خلف فذهب إليه ليشتريه فأمي بن خلف أراد أن يعلن عن حقارته، أو أن هذا العبد لا قيمة له، فقال لسيدنا الصديق: لو دفعت به درهماً واحداً لبعته لك، لا قيمة له، فسيدنا الصديق ألمه أن يجرح شعور سيدنا بلال، فقال له: والله لو طلبت به مائة ألف درهم لأعطيته، أنا أعطيتك ثمنه مائة ألف درهم، فهذا أخي حقاً فأمسكه بيده من تحت إبطه مسكة أخ لأخوه وليس سيد لعبد فلا عبودية في الإسلام،

((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)) هذه كلمة سيدنا عمر التي قالها قبل ألف وأربع مائة عام هي أولى مبادئ حقوق الإنسان، فوضع يده بيد سيدنا بلال وقال: هذا أخي حقاً، فالناس سواسية كأسنان المشط، قال: الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله من: مؤمنهم وكافرهم، تقيهم وفاجرهم، قريبهم وبعيدهم، من تعرف ومن لم تعرف، فمرتبتك عند الله عز وجل بقدر إحسانك للناس، وخدمتك لهم وتضحيتك وإخلاصك، فممكن أن تصل الجنة من خلال عملك، أنت موظف، هذا المراجع إنسان له حاجة عندك لا تسوفه، وتوجهه لغد وبعد غد بل اخدمه، بصفتك مؤمن، طبيب هذا مريض قد يكون فقير نسي أن يسألك سؤال عليك أن تدفع مرة ثانية، ما هذا الاستغلال، دفع لك رسم معاينة، وذهب ثم تذكر أنه نسي أن يسألك ماذا يأكل؟ فتدفع مرة أخرى! هل أنت فوق البشر؟ أنت في خدمته، والمحامي، والمدرس، والمهندس، وصاحب المتجر، والموظف... لن يرضى الله عنك إلا إذا أكرمت عباد الله، فالخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، فيجب أن تحب المؤمن لأنه كتلة خير وسلام، يحب الخير للناس كلها، ويحب من حوله،

بعد وفاة سيدنا الصديق سأل سيدنا عمر زوجة سيدنا الصديق أسماء بنت عميس سألها: كيف كان أبو بكر يعبد ربه حين يخلو لنفسه؟ فقالت: كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ فصلى، ثم يظل يصلي ويتلو القرآن ويبيكي ويسجد ويبيكي ويدعو ويبيكي وكنت أن إذ أشم في البيت رائحة كبد تشوى! أي تحترق كبده خشوعاً لله عز وجل! أهكذا تحب الله أنت؟ والله لا يوجد إنسان يجب أن تحبه كما يجب أن تحب الله عز وجل

## ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾

(سورة البقرة)

قال: فبكي عمر وقال: أن لابن الخطاب مثل هذا؟ بعضهم وصف قوامه فقال: كان هذا الصحابي الجليل أبيض اللون، نحيل الجسم، خفيف العارضين، أحنى الظهر، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، كان نحيف ولا يعطي منظر الرجل القوي، ألم أذكر لكم الأحنف بن قيس الذي وصفه بعض الأدباء فقال: كان قصير القامة، أسمر اللون، غائر العينين، ناتئ الوجنتين، أحنف الرجل، ضيق العارضين، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو أخذ منه بنصيب، وكان مع ذلك سيد قومه، كان إذا علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، عندما يكون للإنسان إرادة قوية، وقيم تحكمه، فالإنسان المؤمن في حياته منظورة قيم، أخ من إخواننا حكى لي قبل أن يعرف الله عز وجل، عندما يحضر محرك يلزمه لف يقول: يكلف ألف وخمسة مائة يفتحه فيجد فيه طرف مقطوع، فيلحمه بالكاوي بدقة واحدة، ثم يأتي بعد جمعة يحضر الصانع يأمره بالتشغيل فيشغل عملية تمثيل ثم يطلب مبلغ من المال كثير لهذا العمل البسيط، بعد أن آمن وعرف الله عز وجل يطلب من صاحب المحرك عشر ليرات فقط فاستغرب الرجل لقد قلت لي ألف وخمسة مائة، لأنه وجد الانضباط، فسيدنا عمر قال للبدوي: بيعني هذه الشاة وخذ ثمنها، فقال: ليست لي، فقال له: قل لصاحبها ماتت، قال: ليست لي، ثم قال البدوي: والله إني في أشد الحاجة لثمنها ولو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فأنا عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟ فقد وضع البدوي يده على جوهر الدين، فالدين انضباط في البيع والشراء وبكل نشاط من نشاطاتك، فإذا إنسان أخطأ بالفاتورة وله معك مائة ليرة أتذهب؟ المؤمن لو كان ليرة يعيدها لصاحبها أن هذا مال حرام، والله كقول التستر: لترك دابق من حرام خير عند الله من ثمانين حجة بعد الإسلام، المدح محبب للناس فإذا مدحت رجل يقول: لا عدم المؤاخذة -معاملة لطيفة، أما سيدنا الصديق كان إذا مدح أكثر الناس حياءً، وكان الدمع يبيل عينيه، ويقول: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، هم يظنون أنني في هذا المستوى، فاجعلني خيراً من هذا المستوى، كان طموحاً، واغفر لي ما لا يعلمون واسترني ياربي، ففي شيء إذا علموه لما احترموني، والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني، واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون، والله كلام لطيف، فإذا إنسان مدحك لا تقول له: نعم وأنا أفضل من هذا حتى، هكذا كان هذا الصحابي الجليل عندما يمدح، هناك بلاغ من مديرية الأوقاف في دمشق: جاءنا ويطلب من القائمين على المسجد والأخوة المصلين أن يقتصدوا في استهلاك الماء، هذا الماء ثمين جداً وأنا والله أتمنى أن يكون هذا المسجد قدوة لكل المساجد في توفير بطاقة الكهرباء

والماء شيء مهم جداً، وإنفاق هذه الطاقة من غير طائل والله عمل غير إسلامي، ولا يرضي الله عز وجل لذلك نحن قلنا لكم: حتى في الكهرباء لا نقبل إضاءة الثريات يكفي هذا الضوء الأبيض، أما الماء فالنبي الكريم توضأ من قعب أي إبريق ففضلت فضلة فقال النبي: ردها في النهر ينفع بها الله قوماً آخرين، فإذا أكرمك الله في منزلك بماء نقي وعذب لا يستهلكه استهلاك لا يرضي الله عز وجل، بأطراف المدينة أناس قد لا تصل الماء إليهم، فإذا أسرفت في استعمال المال برش الماء حولك على الأرض من أجل الرطوبة والانتعاش لو دفعت الثمن لكن مقابل ذلك هناك أناس بحاجة فهذا لا يجوز أبداً إلا بالشيء المعقول فهذا البلاغ يهيب بنا أن نقتصد في استخدام المياه ونكافح الهدر وأن نتقيد بالسنة النبوية المطهرة في أن النبي الكريم كان يقول للسيدة عائشة

(( يَا عَائِشَةُ أَكْرَمِي مِرَاوِلَةَ نِعْمِ اللَّهِ فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا نَفَرَتْ قَلَّمَا تَعُودُ ))

والحديث اليوم: سدّدوا وقاربوا أي انتبه لكل شيء استهلاك الماء والكهرباء هذا كله نعم من عند الله عز وجل فإذا اقتصدت فيها لعل الله ينفعنا جميعاً بها

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (005 - 127) : المبادرة إلى الخيرات - أي الصدقة أعظم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-1988

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... لا زلنا مع الحديث النبوي الشريف، ولا زلنا في باب المبادرة إلى الخيرات، وحث على التوجه للإقبال على الله عز وجل بالجد من غير تردد.

((فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان))

(متفق عليه)

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ هذا الحديث الصحيح المتفق عليه من قبل أئمة الحديث يؤكد على المؤمن أن يسارع إلى الخيرات، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)﴾

(سورة آل عمران)

من طبيعة الإنسان أنه يحب الخير، ومن علائم حب الخير المسارعة إليه، فإذا تيقن الإنسان أن الخير كله في الأعمال الصالحة سارع إليها، لذلك، من علامات المؤمن المسارعة إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتقرب إلى الله بالفُروبات، فالنبي عليه الصلاة والسلام لما جاءه رجل.

فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ وكما تعلمون من قبل أن الصدقة سُميت صدقةً لأنها تعبر عن صدق الإنسان، دليل صدقه، الذي تعتقده، والذي تؤمن به لا يقدم ولا يؤخر، ما لم يترجم إلى عمل، فالعمل هو الذي يؤكد صدق الإنسان، إنك إذا آمنت بحقيقة ثابتة، ماذا فعلت؟ لم تفعل شيئاً، لم تفعل شيئاً إلا إذا عبرت عن إيمانك بعمل طيب، لهذا قال الحسن البصري:

### ((الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل))

(أخرجه البيهقي)

فسمي دفع المال الذي هو مادة الشهوات، والذي هو قوام الحياة، دفع المال المكتسب من وجهٍ حلال في سبيل الله، هذا اسمه صدقة لأنه يعبر عن صدق الإنسان، فهذا الصحابي الجليل الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام يسأله عن الصدقة الفضلى، أو أي الصدقة أفضل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "أن تصدق" أي أن تتصدق، وإذا جاء في الفعل تاءان فإنّ العرب يحذفون التاء الأولى تخفيفاً، لأن تكرار الحرف مما يثقل على اللسان، كلمة (تتصدق) تحتاج إلى بذل جهد، وهذه قاعدة في اللغة، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أفصح العرب، وقد أوتي جوامع الكلم، قال: أن تصدق، أي أن تتصدق وأنت "هذه وأنت جملة حالية، أي ينبغي أن تكون الصدقة في حالة كونك صحيحاً شحيحاً تخشى الفقر وتأمل الغنى.

صحيح "أي في كامل صحتك، لأن الإنسان إذا شارف على الموت هذا المال الذي بحوزته لا جدوى منه، لا ينفعه، ذهبت قيمته عند صاحبه، المال قد يأخذك إلى مكانٍ جميل، قد تأكل به أذ الطعام، قد تسكن به أجمل البيوت، قد تركب به أجمل المركبات، ولكن إذا جاء الموت، وانقطع الأمل، ولاح شبح الموت، ما قيمة هذا المال؟ لذلك حينما يتصدق الإنسان بماله وقد يؤس من الحياة، هذا المال لا شأن له، عند صاحبه، لا قيمة له عند صاحبه، يعطيه جزافاً لأنه لم تعد به حاجة، لكن البطولة أن تصدق بهذا المال وأنت صحيح، أي في أوج قوتك، في أوج شبابك، هذه الأموال لها معنى تحل بها بعض المشكلات، تلبى بها بعض الرغبات، تعطيها لمن تخشى بأسه، أو ترجو خيره، تعطيها لمن أنت مكلف أن تعوله، لكنك أنفقت هذا المبلغ في سبيل الله عز وجل.

لذلك قيمة الصدقة تتبع من قيمة المال، فإذا كان المال عندك ذا قيمة أنت صحيح، أنت في أمس الحاجة إلى

هذا المال، لذلك قال عليه الصلاة:

((سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ قَالُوا وَكَيْفَ قَالَ كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ  
فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا))

(رواه النسائي عن أبي هريرة)

أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَيْءٍ، أما الشحيح، طبعاً النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))

(أخرجه الحاكم في مستدرکه عن ابن عباس)

ابن آدم اعرفني في الرخاء أعرفك في الشدة، فإذا تصدقت وأنت صحيح، هذه الصدقة لها أجر آخر ؛ بحسب حاجتك إلى المال، بحسب حرصك عليه، بحسب ما يفعله هذا المال في حياتك، فلهذا إذا شئت أن تنال أعلى الأجر، وأعظم الأجر، فتصدق وأنت صحيح شحيح، وأنت في أوج حياتك، لا أن تكتب وتصبح تحت رحمة هذا الذي وقلته بإنفاق المال من بعدك، قد ينفقه وقد لا ينفقه، قد يعطي وقد لا يعطي، قد ينفذ وقد لا ينفذ، قد يتهم آباه أنه ذا تفكير سقيم، لماذا ندفع لهذا العمل الخيري كذا، نحن أولى به، فأنت لست متأكداً، إن لم تتفق هذا المال في حياتك لست متأكداً من أنه سينفق بعد مماتك، العلماء قالوا: الشح أعم من البخل، وكان الشح جنس والبخل نوع، لهذا يقول الله عز وجل:

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)﴾

(سورة الحشر)

الشح مرض خطير، مرض خطير يصيب النفس، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أندم الناس من عاش فقيراً ليموت غنياً))

هذا مريض، ليس المال هدفاً بذاته إنما هو وسيلة، وقيل: البخل في أفراد الأمور والشح عام، أي الشح سمة عامة في النفس، والبخل حالة خاصة.

وقيل أيضاً: الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها وتصدق، كان أصدق في نيته وأعظم لأجره، فالشح ملازم للصحة، الإنسان إذا قوي، صحيح، هذا المبلغ يأكل به طعاماً نفيساً، يذهب مع أصدقائه إلى نزهة، لماذا يدفعه إلى الفقر؟ النبي عليه الصلاة والسلام كأنه قرن الصحة بالشح، ما دمت صحيحاً فأنت شحيح، معنى شحيح، بمعنى أنك بحاجة ماسة لهذا المال، أنت محتاج إليه، أنت حريص عليه، فإذا أنفقته في طاعة الله، كان هذا الإنفاق ذا أجر كبير.

وقال بعض العلماء: الشح هو البخل مع الحرص، فإذا اجتمع البخل والحرص كان شحاً، والشح أعادنا الله وإياكم من هذا المرض الخطير، أي إذا كان الأب شحيحاً، ينتظر أولاده موته، فإذا كان كريماً، يتمنى أولاده أن تدوم حياته إلى آخر وقتٍ ممكن، وشتان بين أن تعيش بين أناس يتمنون الموت، وبين أن تعيش بين أناس يتمنون حياتك، الفرق بين هاتين الحالتين هو الشح والبخل.

إذاً أن تصدق وأنت صحيح وشحيح تخشى الفقر، وربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)﴾

(سورة آل عمران)

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾

(سورة البقرة)

كلما نويت أن تنفق هذا المال قال لك: أنت أولى به، لك أولاد، قد يأتي زمان أسود، لا تتحامق بإنفاق هذا المال، ابقِ هذا المال في حوزتك، هذه وساوس الشيطان، أسمعها آيات الرحمن..

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)﴾

(سورة سبأ: من الآية 39)

يخلفه..

### ﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)﴾

(سورة النساء)

إذاً الصحيح أغلب الظن هو شحيح، بمعنى شحيح بحاجة إلى المال، يحرص عليه، المال له قيمة كبيرة عنده، تخشى الفقر وتأمل الغنى، وكل إنسان في حال صحته يخشى أن يكون فقيراً ويتمنى أن يكون غنياً، في هذه الحالة إذا تصدقت كان لهذه الصدقة أجرٌ عظيم عند الله عز وجل، تخشى فعل مضارع من خشي، وهذا الفعل له ست مصادر، جمعها الإمام مالك في بيت من الشعر:

**خشيت خشياً ومخشاةً ومخشيةً وخشيةً وخشَاءً ثم خشياناً**

\* \* \*

والمصادر في اللغة تتعدد..

### ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)﴾

(سورة فاطر: من آية " 28 ")

خشي خشيةً، هذه مستعملة أكثر، خشياً، مخشاةً، مخشيةً، خشاءً، خشياناً، هذه مصادر خشي.

وتأمل الغنى أي تطمح إليه، ولا تمهل، إذا عزمتم على عمل صالح فلا تمهل، إذا عزمتم فأقدم وتوكل على الله ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم، أي بلغت الروح الحلقوم، أي قاربت بلوغه، هذا معنى "بلغت"، أي قاربت، لأن الإنسان إذا قارب الموت لا تنفذ وصيته، ولا يعتد بكلامه، وأصبح المال ملك الورثة، لهذا فسرت "بلغت" بمعنى قاربت، إذ لو بلغته حقيقة لم تصح وصية، ولا صدقة، ولا شيء من تصرفاته بالاتفاق، يعني اتفق لعلماء على أن الكلام الذي يتفوه به الميت عند النزح لا يعتد به، لا صدقة، ولا وصية، ولا أي توجيه آخر، هذا المال الذي تركه في حال بلوغ الموت بمعنى المنازعة، فقد أصبح للورثة، وكلام الذي على فراش الموت لا يعتد به أبداً. حتى إذا بلغت الحلقوم "قلت: لفلان كذا، أعطوا فلاناً مائة ألف، أعطوا فلاناً مائتين، هذا البيت لفلان، هذا البيت ليس له معنى عندك، الأرض ليس لها معنى، المزرعة لم يعد لها معنى، هذه السيارة لفلان، صارت لا قيمة لها،

كل هذه الأشياء حينما سخوت بها عند الموت لا قيمة لها إطلاقاً، لذلك البطولة وأنت حي ترزق، وأنت صحيح شحيح، " حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا "، الأصح من هذا وقد كان لفلان كذا، أي أن هذا المال أصبح لفلان الوريث، وليس لك أن تقول: لفلان ولفلان.

((وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَنْ يَتَصَدَّقَ الْمَرْءُ))  
((فِي حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ عِنْدَ مَوْتِهِ))

(رواه أبو داود)

هذا الحديث الآخر يوضح هذا الحديث الأول.

((لَأَنْ يَتَصَدَّقَ الْمَرْءُ))

((فِي حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ عِنْدَ مَوْتِهِ))

فهذا المال عندما تبلغ الحلقوم ليس لك، وليس لك الحق أن تقول لفلان ولفلان، هذا أصبح للوريث، فالوريث إما أن يجيز هذه الوصية وإما أن يرفضها، وله الأمر وليس لك الأمر، فالإنسان لا يكون تحت رحمة الوريث، ولا تحت رحمة الوصي، ولا تحت رحمة أولاده، ولا تحت رحمة أحد، ليمثل قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ قَالُوا وَكَيْفَ قَالَ كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى غُرْضٍ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا))

(أخرجه النسائي عن أبي هريرة)

درهم تنفقه في حياتك خير من ألف درهم ينفق بعد مماتك.

\* \* \* \* \*

والآن، إلى شيء من سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

شيخ يقطع الطريق وهنا . أي بضعف، ميمماً وجهه شطر دار الندوة، ليقضي بها ساعة الأصيل مع رفاق الشيخوخة، وإنه لماضٍ في سبيله، إذ لقيه في الطريق أعرابي قريب العهد بمكة، يعمل راعياً لدى واحد من سادات قریش، ولا يكاد الفتى . هذا الراعي . يبصر الشيخ أمامه، حتى تتحدر الكلمات من بين شفثيه في حمية وعجلة ويقول هذا الأعرابي لهذا الراعي:

هل علمت النبأ العظيم يا أبا العرب ؟

فقال الشيخ: وأي نبأ عظيم ؟

قال هذا الرجل الأعسر اليبسر .

يقول له الشيخ: الذي كان يصارع في سوق عكاظ ؟

قال: أجل هو .

قال: ما باله يا فتى ؟ ماذا تريد منه .

قال: أين هو، لم أراه في سوق عكاظ ؟ سوق عكاظ كان سوقاً أدبياً تتم فيه المناظرات الشعرية، وكان سوقاً للمصارعة، ومنتدى أدبياً، سوقاً مشهوراً، فهذا الأعرابي لم يبصر عمر ابن الخطاب وكان مصارعاً في هذا السوق .

فقال الشيخ: لقد أسلم واتبع محمداً، والحق إن محمداً ليوسعنهم خيراً، أي إن هذا النبي سوف يملأ الدنيا خيراً، وهؤلاء الذين اتبعوه سوف ينالون كل شيء بهذا الاتباع .

إن هذا المصارع الأعسر اليبسر، هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سيملاً الناس عدلاً، وأمناً ورحمة وهدى، كان هذا الرجل قوياً، مجدول اللحم، أي مفتول العضلات، مشرباً بالحمرة، عريض القدمين والكفين، عريض المنكبين، شامخاً عملاقاً، كان طويلاً، فلم يبسر مع قوم قط إلا كان أعلاهم رأساً من فرط طوله، كان إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا أطمع أشبع، إذا ضرب أوجع .

وكان عليه الصلاة والسلام يدرك عظمة الطبيعة البشرية التي رزقها عمر، وكان يعرف ما تنطوي عليه من أصالة واقتدار، كما كان يعرف أيضاً ما يتمتع به عمرو بن هشام من جاه ونفوذ، من أجل هذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام ربه أن ينصر الإسلام بأحب الرجلين إليه ؛ عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام، فعن ابن عمَرَ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَدَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ))

(أخرجه الترمذي)

سيدنا عبد الله بن مسعود يقول: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، كان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، بعد إسلام عمر صار المسلمون يصلون بالبيت الحرام، هكذا قال النبي، وهكذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَدَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ))

في الجاهلية كانت عداوته للإسلام تكاد وحدها تعدل أذى قريش كلها، وكان تشبته بموقفه يدحض أي أمل في عدوله عن هذا الموقف، أحد المسلمين صور يومئذ يأسه من إسلام عمر بقوله: إنه لن يسلم حتى يسلم حمار الخطاب، أي إذا حمار آل الخطاب أسلم يسلم عمر، لشدة تشبته بموقفه، وشدة عداوته لهذا الدين، والصلحة بلمحة، " إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هئتوا فلاناً فقد اصطح مع الله . لكن بعض المحللين لشخصية عمر يذكرون أن سيدنا عمر كان متفوقاً ولم يكن متطرفاً، وهذا توجيه دقيق لنا، كن متفوقاً ولا تكن متطرفاً، فالحق وسط بين طرفين "

(( فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبًا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأُخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ لِكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأُرْفُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

(رواه البخاري)

أي إن الحق، ليس مع التطرف، لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، تركتم على بيضاء نقية، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة، ولا تكونوا كالأغبياء))

(أخرجه ابن عساکر عن أنس)

فيا أيها الإخوة الأكارم... نحن مع التفوق وليس مع التطرف، يعني أن تهمل عملك، أن تترك دراستك، أن تهمل بيتك بدعوى أنني زاهد!! لا، ليس هذا هو الزهد، الزهد أن تعطي، أن تقدم لمجتمعك شيئاً ثميناً، أن تقدم له خدمة، أن تقدم له سلعة، أن تقدم له عملاً نافعاً، أن تكون عضواً إيجابياً لا سلبياً، مقداماً لا منسحباً، منفتحاً لا مغلقاً، هذا هو الاعتدال، فالإسلام ليس مع التطرف لا إلى اليمين ولا إلى اليسار، ولكن الإسلام مع الاعتدال لذلك كن متفوقاً. فسيدينا عمر كان متفوقاً ولم يكن متطرفاً.

ذات يوم لاهبٍ خرج عمر بن الخطاب من داره حاملاً إصراراً عجبياً، وسيفاً جسوراً، مولياً وجهه شطر دار الأرقم، حيث كان النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام يذكرون الله هناك، وفي الطريق يلقاه نعيم بن عبد الله، فيرى نعيم ملامحه تتفجر بأساً وبأساً ونقمة، فيقترب منه على وجل ويسأله:

إلى أين ذاهب أنت يا عمر؟

فيجيبه عمر: إلى هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها فأقتله. يعني إلى سيدنا محمد، اللهم صلِّ عليه.

ويذهل نعيم عن إحساسه بالموقف، وبالخطر الذي ينجم عنه، فيقول لعمر:

لبئس السعي سعيتك، وبئس الممشى ممشاك.

ويخشى عمر أن يكون نعيم قد أسلم، فيقول له:

لعلك صبات يا نعيم، إن تكن فعلت فو اللات والعزى إن كنت قد أسلمت لأبدان بك، ونعيم يعرف تماماً أن ابن الخطاب يعني ما يقول، فينهي الحوار بعبارة تلوي زمام عمر، إذ لا يكاد يحتمل وقعها الشديد فقال له نعيم:

ألا تعلم يا عمر أن أختك وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما وتركا دينك الذي أنت عليه.

أخته فاطمة بنت الخطاب، ماله ولدان الأرقم وقد اقتحم الخطر داره، وهكذا أغز السير إلى دار أخته وزوج أخته سعيد بن زيد، وفي جوف الدار كان سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وملء أيديهم صحيفة فيها وحي من كتاب الله. وقرع الباب قرعاً رهيباً، فهو يغلي، وقيل:

مَنْ ؟

قال: عمر.

فاستقبلاه لدى الباب يغشاهما ذهول المفاجأة، ولم تنس بنت الخطاب في هذه الغمرة الصحيفة الكريمة التي بها آي من كتاب الله فخبأتها تحت ثيابها، الشر بعينه، قال عمر والهول ينقذف من عينيه:

ما هذه الهيمنة، سمعت دمدمة سمعت قراءة، ما هذه الهيمنة التي سمعت عندكم ؟

أجابا: لا شيء، إنها نجوى وأحاديث، كانا يقرآن القرآن.

فقال لهما: سمعت أنكما صباتما !! أي أسلمتما.

فقال سعيد: رأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ؟ ما قولك؟

ولم يمهل عمر حتى يتم حديثه، فوثب عليه في عنفوان لجب، يغلي.

فقال: يا عدو الله، أتضربني على إيماني بالله الأحد، ألا ما كنت فاعلاً فافعل، فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فبينما هو في بأسه الشديد، يجابه لاحق عالي الصيحة، إذا هو تأخذه غشية، يقول:

هات الصحيفة لأنظر ما فيها.

وتجيبه أخته: كلا، إنه لا يمسه إلا المطهرون، اذهب فاغتسل وتطهر.

ويمضي عمر، ويغتسل، ويعود ليطلب الصحيفة، ويقرأ ما فيها فإذا فيها هذه الآيات:

﴿ طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ  
الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)  
وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) ﴾

(سورة طه)

ثم يتابع التلاوة:

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا  
تَسَعَى (15) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) ﴾

(سورة طه)

الصلحة بلمحة، فيعانق عمر الصحيفة، ثم يقبلها، وينهض واقفاً ويقول: لا ينبغي لمن هذه آياته أن يكون له شريك يعبد في السماوات والأرض، دلوني على محمد.

الإنسان لا يبأس، فلا تياس من أخيك، ولا من جارك، ولا من ابنك، الصلحة بلمحة، كل هذا العنفوان، كل هذا الجبروت، كل هذه العداوة، رأى النبي صادقاً، أميناً، رأى أصحابه أناساً طاهرين، إذا هم على حق، فقال: دلوني على محمد. وهنا يقول سعيد بن زيد:

أبشر يا عمر فوالله لقد استحيب دعاء النبي لك، النبي دعا لك، قال:

((اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَدَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ))

ويتخذ عمر سبيله إلى دار الأرقم، وهناك بين يدي رسول الله ﷺ يدخل في الدين الحق، ويكبر المسلمون تكبيرة تهتز لها مكة جميعاً.

طبيعة كطبيعة عمر ترفض التبعية، وتستعلي على الإذعان، ليس لها مجال حيوي ولا مناخ طبيعي إلا في دين كهذا الدين، حيث يقف الناس فيه سواسية كأسنان المشط، أساساً لما جاءه جيلة بن الأيهم ملكاً وقد أسلم أثناء طوافه حول الكعبة، بدوي من فزارة داس طرف رده، فانخلع ثوب هذا الملك، فالتقت جيلة إلى هذا البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه، هذا البدوي اشتكى إلى سيدنا عمر، فسينا عمر استدعاه، قال له:

ماذا حصل ؟

فقال: أيها الأمير بدوي من فزارة داس طرف ثوبي فكدت أعرى.

قال له: هل ضربته ؟

قال: نعم.

فقال: أرض الفتى لا بد من إرضائه ما زال ظفرك عالماً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك وتنتال ما فعلته كفك

قال: كيف ذاك يا أمير المؤمنين هو سوقة وأنا عرش وتاج، كيف ترضى أن يختر النجم أرضاً؟!!

فقال سيدنا عمر: نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبداً، أرض الفتى.

فقال: كان وهماً ما جرى في خلدي، أنني عندك أعلى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني.

فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز، عالم مبني كل صدع فيه بشذا السيف يداوى، وأعز الناس بالصلعوك بالعبد تساوى.

هذا الدين الذي يرضي عمر، دين الناس جميعاً سواسية، كأسنان المشط، اسمعوا وأطيعوا، هكذا قال النبي الكريم ولو تولى عليكم عبد رأسه كالزبيبة، " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .

سينا عمر قال: والله لن أترك مكاناً جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان، كلُّ منا إذا تفضل الله عزوجل عليه وقبله، فعليه بقدر ما سهر مع رفاقه سهرات لا ترضي الله، أن يسهر مع إخوته المؤمنين سهرات ترضي الله، بقدر ما ذهب نزاهات لا ترضي الله، يجب أن يمشي مع إخوته المؤمنين فيما يرضي الله، بقدر ما أنفق من

ماله على متع لا ترضي الله، يجب أن ينفق من ماله فيما يرضي الله، فإذا كانت التوبة حصلت تماماً فلا بد من التصحيح، ولا بد من التكفير.

بعضهم يرى أن هذا الصحابي الجليل حينما كان ضعاف المؤمنين يعذبون في أول عهد الإسلام، وكان عمر يرى أن هؤلاء ضعاف، فلا بد من أن يقف إلى جانبهم، فإذا عذب معهم رفع من شأنهم، وأزال عنهم وحشتهم، فذهب إلى بيت أبي جهل، فتهيَّبَه أبو جهل، ذهب إلى بيت صفوان تهيبه صفوان، إلى أن دخل في الكعبة، ودعا إلى الإسلام، وناوشه أعداء الإسلام، فقال رضي الله عنه: وسار إلي الناس يضربونني وأضربهم، ف جاء خالي وقال: ما هذا؟ قالوا ابن الخطاب، فقام على الحجر وقال ألا إني قد أجرت ابن أختي، فانكشف الناس عني، فكنت لا أزال أرى الذين يضربون من المسلمين، وأنا لا يضربني أحد فقلت: ألا يصيبني ما يصيبهم؟ فجننت خالي وقلت له:

جوارك مردود عليك. أنا أحب أن أكون مع هؤلاء الضعاف، جوارك مردود عليك.

فقال لا تفعل يا ابن أختي.

قلت: بل هو رد عليك.

قال: ما شئت فافعل.

فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله دين الإسلام، فكان يحب أن يرفع من شأن هؤلاء الضعاف الذين لا سند لهم.

مرة سيدنا عمر يبدو أنه علا شأنه، وصار أمير المؤمنين، وصار في حالة من السمو لا يبلغها أحد، ففي خطبته المشهورة قال:

أيها الناس لقد رأيتني وأنا أرى الغنم لخالات لي من بني مخزوم، نظير قبضة من تمر أو من زبيب.

استرجع ماضيه، كنت راعي غنم أرى غنمات لخالات لي من بني مخزوم، نظير قبضة من تمر أو من زبيب، ثم ينزل من على المنبر بين دهشة المستمعين وتساؤلهم، فالكلام ليس له معنى هو أمير المؤمنين، ما علاقة ماضيه السحيق حينما كان راعياً للغنم.

تقدم منه سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وقال: يا أمير المؤمنين ماذا أردت بهذا؟ ما علاقة الكلام؟

فيجيبه عمر قال: ويحك يا ابن عوف، خلوت بنفسي فقالت لي: أنت أمير المؤمنين، وليس بينك وبين الله أحد، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها قدرها، أنا كنت راعي غنم، أرعى الغنم على تمرات لبني مخزوم. فلا تنس ماضيك، إذا الله عز وجل رفعك، فصرت تاجرًا كبيرًا، لا تنس لما كنت أجيرًا تعمل مقابل دريهمات لا تجد طعاما تأكله، إذا صرت بوظيفة عالية لا تنس أنك كنت تشتغل بوظيفة دنيا، تسكن بيتًا مريحًا لا تنس لما كنت في بيت صغير فأكرمك الله، فالإنسان لا ينسى أصله، ولا ينسى ماضيه، وليكن دائماً مطأطئ الرأس تواضعاً لله عز وجل، فإذا نسي ماضيه لحظة فقد انتهى.

\* \* \*

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (006 - 127) : المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل

خير .

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1988-10-02

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... مع الحديث النبوي الشريف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان))

(رواه مسلم)

أعيد على أسماعكم الحديث مرةً ثانية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان))

(رواه مسلم)

المؤمن القوي، القوي كلمة واسعة، فقد تعني أنه ذو بنية قوية، لأن المؤمن القوي في بنيته يستطيع أن يؤدي العبادات التي فرضها الله عليه، يستطيع أن يقوم بالنوافل، يستطيع أن ينفع الناس، أن يعينهم، فالقوة إذا سُحِّرت في الإيمان ما أروعها، النبي عليه الصلاة والسلام لم يفصل القوة عن الإيمان، إذ لو انفصلت لكانت القوة أداة شر، وأداة تدمير، قال:

### ((المؤمن القوي))

القوة يجب أن يسبقها الإيمان كي توجه توجيهاً صحيحاً، أما القوة البدنية، فإذا كان إنسان قوي، رياضي، له تدريبات قاسية جداً، له عضلات مفتولة، دَرَب عضلاته على رفع أثقال، هذه القوة لو أنه استخدمها للعدوان على الناس، أو لإرهابهم، أو لأخذ ما ليس له بحق، إنه قوة شريرة. ولكن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف..

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا﴾

كان قوي..

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾

حياء الفتاة يمنعها من أن تقول لأبيها: يا أبتِ زوجني إياه..

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)﴾

(سورة القصص)

رأته قوي، مفتول العضلات، سيدنا شعيب فهم قصدها فقال:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ﴾

وليس أن أجرك، هي قالت: يا أبتِ استأجره، قال:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾

لذلك ما الذي يلفت نظر المرأة في الرجل ؟ قوته، فإذا إنسان اعتنى بصحته، كان شاب عمل تمارينات رياضية ما في مانع، بل هو شيء طيب لأن:

(( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ))

فالإنسان الضعيف ربما تجاوز الناس عليه، ربما تناولوا عليه، ربما أخذوا حقه وهو ضعيف، مسكين، مستسلم. سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام رأى أحد أصحابه يتبختر في مشيته فُبئِلَ إحدى المعارك، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله ليكره هذه المشية إلا في هذا الموطن))

القوة إذا جمعت إلى الإيمان كانت رائعة في أداء المهمة.

الحقيقة كلمة (قوة) ربنا عز وجل قال:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

(سورة الأنفال: من آية " 60 " )

العلم قوة، والسلاح قوة للأعداء، وأن سيكون البلد متقدماً هذه قوة، أن يكتفي ذاتياً هذه قوة، فالقوة منوعة، المال قوة، أن تكون في مكان مهم هذه قوة، يعني الوظيفة قوة، والمال قوة، والصحة قوة، والعلم قوة، وأن تكون لك سمعة طيبة هذه قوة، فالقوة مطلقة وليست مقيدة فربنا عز وجل قال:

## ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾

لأعدائكم..

## ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

قوة في الأبدان، وقوة في الأموال، وقوة في العلم، وقوة في كل شيء، لكن القوة وحدها مدمرة، القوة تنفع إذا أضيفت إلى الإيمان، الإيمان قيد. فالمحرك قوة أما الأخلاق مقود، محرك من دون مقود دمار، اركب مركبة من دون مقود، وشغل على المئة وامشي، على الوادي مصيرك. فالقوة محرك لكن العلم والأخلاق مقود، تنجو من كل كارثة بالعلم والحكمة، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

## (( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ))

هذا كلام عام لكل أخ حاضر، يعني إذا أنت كنت تاجر، لا تنتزع إعجاب الآخرين إذا كانت تجارتك متخلفة، بضاعتك لم تحسن انتقاءها، أسعارها غالية، توضيبها غير جيد، فيها استوكات، فيها أخطاء كثيرة، تجد هذا يرجع لك البضاعة، وهذا يعاتبك، وهذا يلومك، وهذا يسخر من بضاعتك، لا يصير ذاك فسوف تفقد مكانتك، فإذا كان بالتجارة يجب أن تكون في القمة . القمة غير القمة . إذا كنت بالصناعة كذلك، إذا كنت موظف دوامك، إنجازك لأعمالك بالتدريس، بالمحاماة، بالطب مثلاً، طالب بالدراسة لا يمكن أحد يحترم اتجاهك الديني إذا كنت كسلان، مستحيل، موظف مقصر إذا كنت تصلي وعليك سيماء الصلاح ومقصر بعملك، تأتيتك توبيخات لا حصر لها، يتشفوا الناس منك فيقولون لك: هكذا صاحب الدين؟! أول كلمة: هكذا صاحب الدين؟! في حقل الدراسة، في حقل التدريس، في حقل الطب، في حقل الهندسة، في حقل المحاماة، في حقل التجارة، في حقل الصناعة، في حقل الوظيفة، في أي مكان إذا كان ضعيف، في تقصير، في خطأ بالصناعة، في عدم إتقان بالتجارة، في بالزراعة أمراض وأوبئة، ومزرعة فوضوية ومهملة، وغير معتنى بها، فأنت مؤمن ما عندك مكانة، أي إذا أنت كنت طالب، وكنت متفوق، وحكيت بالدين يسمع كلامك، إذا أخذ بالرياضيات اثنين من ستين وتعالى قل لواحد: الأخلاق والدين، يقول لك: اذهب واجتهد، روح ادرس قبل أن تحكي معي روح دبر حالك.

فإذا كنت طالب يا أخي الكريم لا تستطيع أن توجه إخوانك الطلاب إلا إذا تفوقت في الدراسة، طبيب في عليه أخطاء كثيرة، غير مهتم بتطوير معلوماته، معلوماته قديمة من سنة الستين، لا يفتح ولا كتاب ويقراه، تكون

الأدوية تطورت، والأبحاث تطورت، الناس ينفضوا من عنده، أخي مؤمن، فهل يكون المؤمن كسلان؟ المؤمن معه بورد يكون، معه أعلى شهادة، فالقصد أنه لا تقدر أن تؤثر بالآخرين إلا بالتفوق، تتفوق تؤثر، تقصر لا تؤثر، فالنبي هكذا قال:

### (( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ))

سمعت ببلد عربي لاعب كرة من الدرجة الأولى، وقد تاب إلى الله، والتفت إلى الله التفاتة عالية وتركها، فاضطروا إلى مباراة دولية فذهبوا وترجّوه فقال لهم: أنا لا ألبس قصير، على العين والرأس البس طويل، صار موضحة الطويل، لاعب كرة لابس برمودة، هذا لو ما كان متفوق ما كانوا قبلوا منه هذا الشيء، كان يرفضوه، لأنه متفوق جداً، قبلوا منه هذا اللبس، فإذا كنت رياضي، إن كنت طالب، إن كنت مدرس، إن كنت مهندس، إن كنت تاجر، إن كنت صانع، لا تقدر تؤثر بالآخرين إلا إذا تفوقت في عملك.

لو إنسان كسب مال، المال قوة، تعطف على أرامل، تعطي أيتام، تقدم للجمعيات مساعدات، والجمعيات تقدم للفقراء، صار عندك قوة، المال قوة، معك شهادة عليا، معك شهادة جامعية والله معه ليسانس، معه كذا، معه كذا، إذا العلم قوة، إما معك مال، أو قوة، أو منصب، أو شيء تتميز فيه.

فالمؤمن من دون قوة ضعيف، مستضعف، معتدى عليه، فالإنسان لا بد من أن يكون متفوق، بعمله إذا تفوق يؤثر بجيرانه، إذا كان المحل التجاري فوضوي، والغبار هكذا سمكه، والبضاعة فوضوية، ويمكث ساعة ليجد لك الأغراض، أين الورق؟ ما في ورق، روح هات من عند الجيران ورقة يا ابني، الورق وسخ، الميزان عليه سماكة من الغبرة، ما هذا التاجر؟ أن الظهر على الجامع، هذه الصلاة لا تتناسب مع القذارة، إذا كان المحل منتظم، مرتب، منظم، كل شيء مصفوف. فهذا الحديث دقيق جداً وفيه توجيه كبير:

### (( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ))

لا تستطيع تنتزع إعجاب الآخرين إلا بالتفوق، والتفوق قوة في الدين، فمتى يسمع منك؟ إذا كنت قوياً، قوي في المال، قوي في الجاه، قوي في العلم، قوي في المكانة الاجتماعية، في تفوق في تأثير، فإذا الإنسان هدفه الكبير أن يهدي الناس لله عز وجل فعليه أن يتقن عمله، أن يتفوق في دراسته من أجل أن ينتزع إعجاب الناس قبل أن

يحدثهم عن دينهم.

سبحان الله القوة هنا جاءت مقترنة بالإيمان !! أن المال من دون إيمان مدمر، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام كان في الدرس الماضي موضوع الحديث:

ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا ؟ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً

فالغنى من دون إيمان مطغي. كأن يكون مظهره هكذا ظهر محني، ثياب رثّة، ودروشة، وكلام فاضي، كله شغل سيدك، ليس هذا المؤمن، المؤمن أرقى من ذلك، المؤمن يعد لكل شيءٍ عُدَّتَه، كيف كان النبي في الهجرة ؛ استأجر خبير، اختفى في غار ثور، إنسان جاء بالمعلومات، إنسان محا الآثار، إنسان جاءه بالزاد، ما في ثغرة إلا غطّأها، هذه القوة، قوة تدبير، قوة في التدبير، قوة في التصريف، قوة في كل شيء .

(( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير ))

يعني أنت بالمال قد تصل إلى درجاتٍ عليا في الجنة ؛ هذا عاونه، وهذا فرجت همه، وهذا دينته، وهذا المشروع ساهمت فيه، وهذا المستوصف ساهمت فيه، وجامع عمرت فيه، يعني شيء قوي، المال قوة، ما كان معك مال علم، تعلم وعلم، العلم قوة، وصلت لمنصب رفيع هذا المنصب قوة تعين الضعيف، لا تزهد فيه، قال:

﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)﴾

(سورة يوسف)

سيدنا يوسف، فالإنسان لا يكن متخلف، في الصف الأخير لا يؤثر، يجب أن تكون في الصف الأول في كل مجال.

(( احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ))

أنت بعد تأمل وتدبر ترى أن هذه الدنيا فانية، والذي ينفعك هو العمل الصالح، أما المظاهر لا قيمة لها، فإذا تضاربت هذه المظاهر مع ما ينفعك، فضحي بها، أنت طبيب، يجوز تأتي بموظفة بالعيادة تأخذ منك ثمانمائة ليرة، أما موظف يريد ثلاث آلاف، ما الذي ينفعك ؟ أن تأتي بموظف، هذا الذي ينفعك في الآخرة احرص عليه، احرص على ما ينفعك، يجوز هذا العرس أو هذا الكتاب في الفندق أوجه لكن هذا خلاف الأصول، خلاف

الشرع، خلاف الدين، خلاف القواعد الاجتماعية، فأنت احرص على ما ينفك ودع كلام الناس وراء ظهرك، مَنْ عرف نفسه ما ضرّه قول الناس فيه.

دعيت إلى نزهة فيها معصية لله، أخي أوجل أن أقول لهم لا، لا تخجل.. " احرص على ما ينفك... ". ينفك ما تكون بهذه النزهة، ينفك ما تكون بهذه السهرة، ينفك ما تشتغل بهذه التجارة، ينفك هذا المحل بهذا المكان لا تأخذه، يعني بطريق موبوء يمكن يذهب فيه دينك.

### (( احرص على ما ينفك ))

بدراستك، أخي هذه البضاعة غير رائجة، أما هي رائجة جداً وأرباحها طائلة لكن فيها معصية، احرص على ما ينفك، ينفك أن تطيع الله عزّ وجل، ينفك أن تكون عند الأمر والنهي، ينفك أن يبدك الله حيث أمرك، وأن يفتدك حيث نهاك، هذا الذي ينفك. فالمظاهر الاجتماعية، والإتيكيت إن صح التعبير، وهذه الأشياء التي يسعى إليها الناس اجعلها وراء ظهرك.

مرة واحد قدم بعقد قران كتاب فبعض أهل الدنيا، لازم يقدم زبديّة ثمنها مئتين ليرة، هذا كتاب، هذا علم، هذا يقرأ، هذا يستفاد منه، هذا يطبق، هذا يقرأ الأب، والأم، والزوجة، والأخ، والأخت، وابن الأخ، لا يهتمك كلام الناس، قديم كتاب يا أخي، قدم كتاب أفد الناس فيها

### (( احرص على ما ينفك ))

ينفك تحضر مجلس علم احرص عليه، أما أن تقول: الآن في عندنا موسم. النبي عليه الصلاة والسلام ينصحك أن تحرص على ما ينفك لا على الغلة.

### (( احرص على ما ينفك واستعن بالله ولا تعجز ))

الله عزّ وجل العوام يقولوا (قم يا عبدي لأقوم معك) وأنت لما تكون طموح، وترى أن الأمر صعب، أو فوق طاقتك، فهذا كلام فارغ، الله معك، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً سهلاً.

بالدراسة قل: يا رب. تأخذ أعلى الشهادات، بالتجارة قل: يا رب. الله يلهمك من درجة لدرجة لدرجة. قال لي واحد: كنت بمستوى فارتفع مستواي، ارتفع ارتفع حتى أصبحت فيما أنا عليه الآن.

## (( واستعن بالله ولا تعجز ))

الأمر بيد الله عز وجل، لأنه بيده استعن بالله، لا تعجز لا تقل: هذه فوق طاقتي، لا تبيس، لا تستسلم، لا تنهار معنوياتك..

## ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾

( سورة آل عمران )

ربنا عز وجل يجب الجسور، الجريء، الملاح، لكن إذا واحد طرق الباب طرقة فما أحد رد، فمشى، يكون غير ناوي يفوت، جاء رفع عتب، أما إذا كان حريص على أن يلقي صاحب البيت فإنه يصر، والله مرة شخص حريص على أن يلقي صاحب البيت قال لي: والله انتظرت من الساعة الثانية ظهراً للساعة الثامنة مساء على الباب واقف، حتى جاء، هكذا الحريص، له معه مبلغ وخائف أن يتصرف منه، وخوفه منه، فاستأوله من وقت ما جاء، قال لي: انتظرت من الثانية إلى الساعة الثامنة. هذا الصدق، إذا كنت صادق هكذا تفعل.

## (( احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ))

قد يكون إنسان لا شيء، ولكن تجده تطور من حال لحال صار شيء مهم، صار شيء عظيم، الله رفع شأنك، رفع ذكرك، رفع مقامك، أخي أنا فيني أحفظ القرآن كله؟ ممكن تحفظه، أنت استعن بالله ولا تعجز، أخي أنا بالأربعين، ممكن، ذهني ثقيل، ممكن، استعن بالله ولا تعجز، لا تقل: لا أقدر، هذه لا يقولها مؤمن. أخي أنا بيتي غير منضبط، لا أقدر عليهم، أنا أقول لك: استعن بالله ولا تعجز، معقول بعد أربعين سنة زوجتي تتحجب معي؟ استعن بالله ولا تعجز، معقول هذا الجهاز أخرجه من بيتي؟ معقول تقدر، معقول أن أترك هذه المصلحة؟ ممكن تتركها، كثير في أشخاص كان معلق بمصلحة فيها شبهة، أخي استعن بالله ولا تعجز، اتركها، سلم المحل، أخذ مصلحة ثانية، فوفقه الله، إذا كانت مصلحة فيها شبهة، فيها معاصي فهل أنت مربوط معها ربط أبدي؟! اتركها يا أخي، المحل سلمه. " استعن بالله ولا تعجز..

الإنسان أحياناً يكون قبل معرفة الله عز وجل يكون له عمل لا يرضي الله عز وجل، بمصلحة، بعمل، ببضاعة، بطريقة تعامل، معقول أبيع نقدي وما أبيع بالدين، ونضيف السعر على الأجل، ممكن، أخي لا أحد يشتري مني، جرب استعن بالله ولا تعجز، جرب كيف، ممكن تتبع نقدي البضاعة، أخي هكذا المصلحة كلها دين، وكلهم يضيفوا على الدين بالمائة كذا كل ثلاثة أشهر، هكذا العادة، هكذا البلد، هكذا العرف، جوابنا: استعن بالله ولا تعجز، أنت كن متميز، اختار بضاعة جيدة جداً، أسعارها معقولة ومدروسة واطلب ثمنها نقد، تجد الناس تهافتوا

عليك بعدها، معقول أبيع بسعر واحد ؟ ممكن جرب، تتعب شهر وبعدها يتعلموا الناس أن سعرك مدروس وواحد، ولا يفاصلوك

هذا الحديث شيء خطير جداً، هذا الذي يبدو لك مستحيلاً ممكن يكون واقعي، أنا معقول أغض بصري، أنا أشعر أن قوة تجذبي للمرأة ؟ استعن بالله ولا تعجز، معقول تتقاهم أمي مع زوجتي ؟ ممكن، مستحيل أخي في بينهما ما صنع الحداد، ممكن استعن بالله ولا تعجز، يتقاهموا، اطلب من الله أن يعينك على أن توفق بينهما، ممكن، فكل إنسان يشكو لك قضية مستعصية وفي لها حل شرعي قل له: استعن بالله ولا تعجز.

(( احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ))

الغي لي كلمة (لو) من قاموسك، لو ما أخذنا هذه الصفقة ما كنا فلسنا، لو ما مشيت في هذا الطريق ما كانوا خالفوني، لو هذه السهرة ما سهرتها ما كنت أصبت، ضربوا رصاص في العرس فأصيب، يا ليته ما ذهب إلى العرس، لو ما عملت ما كان صار، هذه ( لو ) ألغيتها لي، لأن الله عزَّ وجل إذا أراد شيء وقع وإذا أراد الله، انتهى الأمر، إذا أراد شيء وقع، والآن وكل شيء وقع أراد الله عزَّ وجل ما في ( لو ) عندنا، هذه ( لو ) تدمر، رأيت هذه الأرض عرضوها علي الدونم بألف ليرة، الآن ثمنها خمسمائة ألف، لو كنت آخذ مائة دونم يجمع على الآلة الحاسبة لكان معه ثمانين مليون، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله، عرضوها عليه بألف ليرة، وكل دونم الآن بخمسمائة ألف، لا تقل ( لو )، لو أخذت فلانة، هذه التي أخذناها مريضة، معها مجموعة أمراض، وتلك كنت خاطبها وما صحَّت لي، هذه (لو) ألغيتها لي، لا يقولها مؤمن. لو درست لصار معي شهادة عليا ما كنت بهذه المصلحة، ترتيب الله عزَّ وجل، لو ما درست لكنت الآن تاجر، الآن لا يكفي المعاش، أخي ما درس، أبوه ضربه طيارة ووضعه في مصلحة، فصار أغنى مني الآن، لو أني فعلت كذا وكذا.

(( لا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل. ))

في رب حكيم عالم، أعماله كلها وفق الحكمة، والرحمة، والعدل، استسلم..

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

(سورة النساء: من آية " 32 ")

لا تتمنى لو كنت ابن فلان، انظر ابن فلان نزل من بطن أمه غني، أقام له بيت، ووضع له حصة بالمعمل، ما وعى صار عنده حصة من معمل، انظر فلان ولد من واحد فقير، هذا كلام الناس كلام فارغ، كلام يسبب متاعب للإنسان، كل هذا ألغيه، هذا الحديث إذا نحن طبقناه تماماً ما في عندنا مشكلة، ترضى عن زوجتك،

وعن أولادك، وعن بيتك، وعن دخلك، وعن شكلك، وعن طولك، وعن قوامك، لو كان لوني على أفتح قليلاً يا أخي، أخي معلى خليلك على أعمق قليلاً، سيدنا خالد ما كان فاتح ولكنه كان غامق لكنه دخل الجنة رماً، هذا كذلك مع النساء يحدث، لو كنت هكذا بالناقص غطة، مشكلة، لو كانت غير هكذا، يريدونها طويلة هذه أقل طول فالخطبة فكست، لو كنت على أطول لكان قبل، تندب حظها.

(( لا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان ))

هذا الحديث مهم جداً يجب أن يكون أمام أعينكم، ترتاح أعصابك، ترتاح خواتمك، ترتاح نفسك من التشهي، ومن الحرمان، من التمني، التمني والتشهي والحرمان كل هذا انتهى. رواه مسلم.

أعيد الحديث مرة ثانية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

((المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان))

(رواه مسلم)

أولاً: إذا كان إيمانك قوي، وتريد أن تؤثر بالآخرين، فتفوق في عملك، أي عمل؛ تجارة، صناعة، زراعة، وظيفة، طب، هندسة، تدريس، محاماة، في أي مهنة تفوق من أجل أن تؤثر في الناس، حتى ولو كنت طالباً، الطالب الكسول كلامه غير مسموع، ذات مرة طالب ملتحي ينقل، فسمع كلام من موجه ما هذا الكلام القاسي!! أنت صاب الدين تنقل، تغش في الامتحان؟ لا تنتزع إعجاب الناس إلا بالتفوق، الأولي وصاحب الدين يحترموا دينك، يحترموا صلاتك، يحترموا اتجاهك. هذا أول توجيه.

ثاني توجيه: احرص على ما ينفعك، يعني لا تبحث عن المظاهر، المظاهر لا قيمة لها كلها وراء ظهرك، ابحث عن الشيء المفيد في حياتك.

الشيء الثالث: استعن بالله ولا تعجز، أن تقول لي: لا أقدر، أخي لا أقدر أنا أطبق الإسلام مائة المائة، شيء صعب.

استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل " هذا الذي فعله بتقدير، إله حكيم، عليم، رحيم، عادل، سميع، بصير لطيف، كل أسمائه الحسنی في هذا الحدث.

((قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة (لو) تفتح عمل الشيطان))

هذا الحديث اكتبوه واحفظوه واجعلوه أماً دائماً.

\* \* \* \*

والآن، إلى متابعة الحديث عن سيدنا عمر رضي الله عنه.

سيدنا عمر كان أعلى أمانيه أن يظل عمر بن الخطاب، حاف لا شيء، كل أمانيه لا غير، فلا هو خليفة ولا هو أمير، ولقد اقتربت منه الخلافة إثر وفاة الرسول ﷺ، فقال أبو بكر:

أنت أقوى مني يا عمر. الله يرضى عنهم يعرفوا قيمة بعضهم.

فقال له: أنت أفضل مني.

فقال: أنت أقوى مني.

فقال عمر: إن قوتي لك مع فضلك.

أنا قوتي بخدمتك وأنت الخليفة، وسارع فمد يمينه وبايع أبا بكر وبايعه الناس على إثره.

لما سيدنا الصديق قارب يودع الدنيا عهد بالخلافة لعمر، وكان عمر يتقبلها مكرهاً وكارهاً ولولا أن يكون باعتذاره عنها في هذا الظرف الحرج الدقيق، هارباً من واجب المسؤولية، لرفض السلطان وهرب من الأمانة، قال: " أيها الناس إنني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اطلاعاً بأموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفي عمر انتظار الحساب ". انظر دقة الكلام:

أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم . ليس خيركم، ليس هذا المعنى، يعني أنا أقدر أنفعكم أكثر واحد وليس أنا خيراً منكم، في فرق دقيق جداً . وأقواكم عليكم . بالحق . وأشدكم اطلاعاً بأموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر انتظار الحساب.

وفد عليه مرةً جماعةً من المسلمين النازحين، فسألهم عما صادفهم من أخبار الناس في البلاد التي مروا فيها، فقالوا:

أما بلد كذا فإنهم يرهبون أمير المؤمنين ويخافون بأسه، وأما بلد كذا فإنهم جمعوا أموالاً كثيرةً تنوء بها السفن وهم في الطريق بها إليك، وأما بلد كذا فإن بها قومٌ صالحين يدعون لك ويقولون: اللهم اغفر لعمر وارفع درجته. فقال عمر معقّباً على حديثهم: أما من خافني، فلو أريد بعمر الخير ما خيف منه، وأما الأموال التي تنوء بها السفن، فليبت مال المسلمين وليست لي، ليس لعمر ولا لآل عمر فيها شيء، وأما الدعاء الذي سمعتم بظهر الغيب فهذا ما أرجوه.

الخائفين مني يظنونني ظالم، وهذا الخوف ليس لمصلحتي، والذين أرسلوا أموال طائلة على السفن، هذه الأموال ليست لي، بل لبيت مال المسلمين، أما الذي أحرص عليه دعاء هؤلاء، وأما الدعاء الذي سمعتم بظهر الغيب فذلك ما أرجوه.

حين دعي سيدنا عمر للقاء ربه واقتربت اللحظات التي سيودع فيها دنيا الناس، وكانت مشغلتها الكبرى أن إذ اختيار الرجل الذي سيسلمه الأمانة والزمّام، واقترب منه المغيرة بن شعبه قائلاً:

أنا أدلك عليه يا أمير المؤمنين.

قال: من؟ يريد واحد يخلفه.

قال: إنه عبد الله بن عمر . ابنك.

هنالك انتقض عمر وقال: لا أرب لنا في أموركم، إني ما حملتها . يعني الخلافة . ولا أرغب فيها لأحدٍ من آل بيتي، إن كانت خيراً فقد أصبنا منه، وإن كانت شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجلاً واحد. واحد عيّنوه في قرية في محافظة في التعليم خمس أو ست سنوات فضاق خلقه، فقابل مدير التربية وقال له: أنت هنا لك مكانة عندنا، ونحن نحبك، وأنت غالي علينا، قال له: هذه المنطقة إذا كانت سكرة حليت منها، وإذا كانت

حنظلة كفاني.

فقال سيدنا عمر: إن كانت خيراً فقد أصبنا منها، وإن كانت شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجلاً واحداً. كفى واحد إذا كانت شر، ويسأل عن أمر أمة محمد، ألا إني قد جهدت نفسي، وحرمت أهلي وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد، إذا نفذت بريشي، لا وزر ولا أجر إني لسعيد. حرمت أهلي، وجهدت نفسي، وأتمنى أن أنجو منها لا وزر ولا أجر وإني لسعيد.

ذات مرة سيدنا عمر قال لسيدنا عبد الرحمن بن عوف: يا عبد الرحمن لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتدت عليهم حتى خشيت الله في الشدة، وإيم الله لأنا أشد منهم فرقاً وخوفاً فأين المخرج؟ والله أنا خائف مثل حكايتهم، الناس خائفين مني وأنا خائف من الله عز وجل، هكذا المؤمن الناس خائفين منه وهو خائف من الله عز وجل، قال: والله لأنا أشد منهم فرقاً وخوفاً فأين المخرج؟ وصار يبكي، فقال عبد الرحمن بن عوف: أف لهم من بعدك، أي ما أصعب الذين سوف يأتون بعدك إنك قد أجهدتهم وقد أتعبتهم.

وذات يوم وهو جالس مع أصحابه، اقتحم المجلس رجلاً مكروباً تغشاه وعشاء السفر، وإذ يقترب من الناس ويراهم يقولون لأحدهم: يا أمير المؤمنين، فهذا الرجل يتجه صوب هذا الأمير ويقول له في مرارة:

أأنت عمر؟

قال: نعم.

قال: ويل لك من الله يا عمر. ثم يمضي لسبيله غير وانٍ ولا مكترث، ويلحق بعض الحاضرين بالرجل في غيظٍ منه وحمقٍ عليه، لكن عمر يناديهم ويأمرهم أن يعودوا لمجلسهم، ويهرول هو وراء الرجل، قال لهم: ارجعوا أنتم وويركض هو وراء الرجل، وفؤاده يرتجف، ألم يقل له الرجل: ويل لك من الله يا عمر؟ إنها الطامة إذأ، إنه الهول الذي لا يطيق عمر عليه صبراً، ويدرك الرجل، ثم يعود به ويسأله:

ويلي من الله لماذا يا أبا العرب؟

فيجيبه الرجل: لأن عمالك وولاتك لا يعدلون بل يظلمون.

فقال عمر: أيُّ عمالي تعني من هم ؟

فقال: عاملٌ لك في مصر اسمه عياض بن غنيم.

ولا يكاد عمر يسمع تفاصيل الشكوى، حتى يختار من أصحابه رجلين ويقول لهما: اركبا إلى مصر وأتياي بعياض بن غنيم.

قال: إذا رأيت أن تبصره يرتجف كعصفورٍ احتواه إحصار، فليس عليك إلا أن تقول له: ألا تتق الله يا عمر ؟ أي إذا أردت أن تجعل هذا الخليفة العظيم يرتجف قل له: ألا تتق الله يا عمر ؟

كان يدوي في أذنه الآية الكريمة:

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)﴾

(سورة الإسراء)

طالما قال سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري دعاه أن يتلو عليه بصوته العذب آيات من القرآن الكريم، كان يقول له: ذكرنا برينا يا أبا موسى. فلو جمع ذواقوا الغناء في العالم، والله ما طربوا طرب مؤمن يستمع إلى كتاب الله من صوتٍ شجي، فكان سيدنا عمر من حين لآخر يقول له: يا أبا موسى الأشعري ذكرنا رينا. فكلما قرأ سيدنا أبو موسى الأشعري كان عمر يستمع ويبكي، والبكاء مع تلاوة القرآن من علامات الإيمان.

وكان كثيراً ما يلقي الصبيان في طرقات المدينة، مرة قلت لكم: أنه لقي الصبيان مجتمعين، فلما رأوه تفرقوا إلا واحداً منهم، فلفت نظر سيدنا عمر قال:

يا غلام لم تهرب مع من هرب ؟

فقال له: يا أمير، لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك.

وكان كلما رأى الصبيان يقول لهم وعيناه تفيض بالدمع: ادع لي يا بني، فإنك لم تذب بعد، نفسك طاهرة فادع لي.

ساعة الموت قال لابنه عبد الله: يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة وضعه فوق التراب، كانوا يضعوا له رأسه على الوسادة فقال له: ضع رأسي على التراب فلعل الله ينظر إلي فيرحمني.

قال: كان شديد الخوف على حياته السابقة أن تغيرها خطيئة، أو تعييبها شبهة لأنها لو كانت ملكاً له لوجب عليه أن يربأ بها عن كل سوء، فكيف وهي في تقديره ليست حياته، وليست ملكه، إنما هي وديعة الله عنده، والله صاحبها ومالكها ولسوف يسأل عنها

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)﴾

(سورة المؤمنون)

كان هذا الخليفة العظيم لا ينام الليل إلا غباً، ينام نوم قليل، في نوم قاتولي وفي نوم على الخفيف، لا ينام إلا غباً، ولا يأكل إلا تقوتاً، أي شيء يقيم صلبه، ولا يلبس إلا خشنأً، يقظان دائماً، يقول: أنا إذا نمت الليل كله أضعت نفسي، وإن نمت النهار ضيعت الرعية.

وإذا غشيته من مظنة التقصير غاشية، صاح صيحة مكظومة: يا ليت أم عمر لم تلد عمر ليتها كانت عقيماً.

ومرة مع أصحابه الله يرضى عنه، واحد أحب أن يتقرب منه ويتملقه فقال له:

والله يا أمير المؤمنين ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله.

فسيدنا عمر نظر فيهم واحداً واحداً بحدّة ما بعدها حدة، وكأنه يريد أن يأكلهم واحداً واحداً، إلى أن قال أحدهم:

لا والله، لقد رأينا من هو خيرٌ منك.

قال له: من هو ؟

قال: أبو بكر.

قال: كذبتهم وصدق. هؤلاء الذين سكتوا عداهم كاذبين لأنهم سكتوا، وهذا الذي قال: والله لقد رأينا من هو خير منك، هذا الصادق، قال له: والله كنت أضل من بعيري وكان أبو بكرٍ أطيب من ريح المسك. فهذا التواضع، من جهة تواضع، ومن جهة ما بقي يسترجي إنسان بعد هذا الإنسان يتملقه، يمدحه.

هكذا كانت أخلاق هذا الخليفة العظيم، ولاحظتم أبرز شيء في تواضعه، أبرز شيء: كنت راعياً عند خالاتٍ لي من بنات مخزوم أرعى غنمهن على حفنةٍ من تمر، كنت وضعياً فرفعني الله، كنت فقيراً فأغناني الله، كنت كذا، لم تقول هذا الكلام؟ قال: نفسي حدثتني إنك أمير المؤمنين، وليس بينك وبين الله أحد، وأنت أفضل الناس فأردت أن أعرفها قدرها أمام الناس، الخاطر جاءه سري داخلي فرد عليه رد خارجي، هذا التواضع. انظر إلى الأكحال وهي حجارةٌ لانت فصار مقرها في الأعين

\* \* \*

هذه سيرة بعض أصحاب رسول الله، إذا نحن قلدناهم واحد قال: من قلد عالماً لقي الله غانماً، ولقي الله سالماً، فإذا الواحد قلد أصحاب رسول الله، هذا التواضع، كن واقعي، كن متواضع، اعرف قدرك، خاف من ربك، كلما عرف الإنسان ربه أكثر يخاف أكثر، إذا واحد ما قرأ طب، لا يسأل أي شيء يشربه، أما الطبيب يخاف، يعقم هذه، ويخاف ويقول: غسلتموها؟ على ما قد يرى جرائم بالمجاهر، وأرى أمراض، وأوبئة، وعدوى، فمعرفة تجعله يخاف، والإنسان إذا عرف الله عزَّ وجل يخاف أكثر.

\* \* \*

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس (007 - 127) : شروط انعقاد البيع - الأهلية - التعدد

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-01-1989

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... ذكرت لكم في الدرس السابق أن موضوع البيوع من الموضوعات التي يحتاج إلى معرفتها كل مسلم. فالعلماء يقولون: إنَّ هناك أشياء في العلم الشرعي يجب أن تعلم بالضرورة، ومعرفتها فرض عين وليس فرض كفاية. ربما كان التبجُّر في العلوم فرض كفاية، أما معرفة ما يجب أن يعلم بالضرورة هو فرض عين، وما دام المسلم لا بدَّ من أن يبيع ويشترى. ولو لم يكن تاجراً. إذاً معرفة أحكام البيوع هي من الحقائق التي يجب أن تعلم بالضرورة، هذا الدافع هو الذي دفعني إلى اختيار موضوع البيوع بالذات، من بين آلاف الموضوعات الفقهية.

فيا أيها الإخوة المؤمنون... بينت لكم في الدرس الماضي أن ركن البيع هو الرضا، ولا يصح البيع إلا إذا كان الشاري والبائع كلاهما راضياً بهذه الصَّفقة، فلو انتفى الرضا انهدم ركن البيع، وإذا انهدم ركن البيع فالبيع باطل. لكن معنى الرضا سوف يأتي معنا بشكلٍ موسع. والذي أريد أن أنوه به هو أن الرضا حالة نفسية، شعور داخلي، اتفق الفقهاء على أن التعبير عنه بالإيجاب والقبول تعبيرٌ صحيح، أو أن التعبير عنه بالفعل، أي بالمعاطاة، بدفع ثمن المبيع وتسلُّم المبيع هذا أيضاً يعبر عن الرضا، يصعب أن تعرف حالة الإنسان من داخله، لكن الضوابط هو أن الإيجاب والقبول ؛ بعثك هذا الشيء، يقول الشاري: قبلت، ولا تجوز في النفس. هذا كله ذكر بعضه مع بعض التفصيل في الدرس الماضي.

\* \* \* \* \*

ننتقل الآن إلى شروط البيع:

شروط البيع كثيرة، بعضها يتعلق بانعقاد البيع، وبعضها يتعلق بصحة البيع، وبعضها يتعلق بنفاذ البيع، وبعضها يتعلق بلزوم البيع، هناك شروط انعقاد، وهناك شروط صحة، وهناك شروط نفاذ، وهناك شروط لزوم، إذا انعدم شرط الانعقاد فالبيع باطل، والباطل لا يصحح، إذا انعدم شرط الصحة فالبيع فاسد، والفساد يصحح، إذا انعقد شرط النفاذ البيع صحيح، ولكنه متوقف على تحقق شرط، وإذا تخلف شرط لزوم المبيع، فالبيع غير لازم، هذا كله سوف نأتي عليه.

ويجب أن نطمئنوا إلى أنه ما من واحد منا إلا أنه في أمس الحاجة لهذا الموضوع، لأنه إذا أراد أن يلقى الله عز وجل وهو مستقيم على أمره، هذا أمره، فكم من بيع باطل، وكم من بيع غير منعقد، وكم من بيع لم يتحقق فيه شرط الرضا، وكم من بيع فيه غرر، وكم من بيع فيه ربا، لذلك معرفة أحكام البيوع شرط مهم جداً لاستقامة الإنسان على أمر ربه.

شروط انعقاد البيع:

البيع ينعقد أو لا ينعقد، إذا انعقد فالبيع صحيح، وإن لم ينعقد فالبيع باطل، من شروط انعقاد البيع ما يتعلق بالعاقدين، ومن شروط انعقاد البيع ما يتعلق بصيغة العقد، ومن شروط انعقاد البيع ما يتعلق بمكان العقد، ومن شروط انعقاد البيع ما يتعلق بالمعقود عليه، أي المبيع. إذاً هناك شروط متعلقة بالمتعاقدين، وشروط متعلقة بصيغة العقد، وشروط متعلقة بالمعقود عليه.

أما الشروط المتعلقة بالعاقدين فهناك شرطان أساسيان. الشرط الأول: الأهلية. أي يجب أن يكون البائع والشاري أهلاً للبيع والشراء، ولا يكون أهلاً إلا إذا كان بالغاً، فالصبي لا ينعقد بيعه، لكن العلماء ميّزوا بين الصبي المميّز والصبي غير المميّز، فالصبي غير المميّز لا ينعقد بيعه أصلاً، لكن الصبي المميّز ينعقد بيعه بإجازة وليّه، إذا وافق وليه على هذا البيع ينعقد البيع.

وأما العقل والبلوغ، فالمجنون لا ينعقد بيعه أصلاً، لكن المعتوه. الأبله. ينعقد بيعه بشرط إجازة الولي. فالشروط المتعلقة بالعاقدين الأهلية أولاً، والأهلية متعلقة بالعقل والسن، فالسن يجب أن يكون البائع والشاري بالغاً، والعقل يجب أن يكون البائع والشاري عاقلًا، فالصبي لا ينعقد بيعه، والمجنون لا ينعقد بيعه، لكن الصبي المميّز ينعقد بيعه بإجازة الولي، والمجنون لا ينعقد بيعه، لكن الأبله المعتوه ينعقد بيعه بإجازة الولي، هذا الشرط متعلق بالأهلية.

وأما التعدد. التعدد: كما قلت في الدرس الماضي لا يجوز أبداً أن يبيع الإنسان نفسه، وكثيراً ما يحدث هذا في التركات، وفي الهبات، وفي أكثر العقود يبيع الإنسان نفسه وهو لا يشعر أن هذا العقد باطلٌ في الأصل، لأن الإنسان إذا باع نفسه أغلب الظن سيحاييها، أغلب الظن سيعطي سعراً غير واقعي، على كلِّ التعدد شرطاً ثانٍ لأهلية البائع والشاري، فلا يجوز أن تشتري أصالةً عن نفسك، وأن تباع أصالةً عن نفسك. لا يجوز أن تباع أصالةً عن نفسك وتشتري أصالةً عن نفسك، ولا يجوز أن تباع أصالةً عن نفسك وتشتري وكالةً عن غيرك، ولا يجوز أن تباع وكالةً عن غيرك وتشتري أصالةً عن نفسك، ولا يجوز أن تباع أصالةً عن نفسك وتشتري وكالةً عن غيرك، ولا يجوز أن تباع وكالةً عن غيرك وتشتري أصالةً عن نفسك، ولا يجوز أن تباع وكالةً عن غيرك، وكالةً مع وكالة، أصالةً مع وكالة، وكالةً مع أصالة، أصالةً مع أصالة، هذه هي كل الحالات لا بد من التعدد. ومعلومٌ لديكم أن عدم التعدد لن يكون معه الرضا، وإذا انتفى الرضا بطل البيع. وهذا الشرط ينسحب على أكثر العقود من بيعٍ وغيره، ولا يستثنى منه إلا عقد الزواج، يجوز للموكل أن يزوج نيابةً عن شاب، وأن يكون ولياً عن الفتاة في وقتٍ واحد، لأن شروط الزواج متعلقةً بالزوجين في المستقبل. يجوز استثناءً من هذه القاعدة أن يبيع الأب مال ابنه القاصر من نفسه، ويجوز أيضاً أن يبيع القاضي وكالةً عن الصغير أو القاصر بنفسه لهذا القاصر، هذا استثناءً للأب والقاضي.

الآن، أما الشروط المتعلقة بركن البيع فشرطان أساسيان: توافق الإيجاب والقبول، ما هو الإيجاب وما هو القبول ؟ إذا قال الشاري للبائع: أتبيعني هذا الكتاب بمائة ليرة ؟ كلمة أتبيعني هذا الكتاب بمائة ليرة اسمه إيجاب، فإذا قال البائع: قبلت، أو بعثك هذا الكتاب بمائة ليرة. هذا هو القبول، إذاً قد يبدأ الشاري بعرض الثمن وقد يجب البائع، فالبادئ هو الإيجاب، هو الموجب، والمثني هو القابل، لو عكسنا الآية، لو قال البائع: أتشتري هذا الكتاب بمائة ليرة ؟ هذا هو الإيجاب، فإذا قال الشاري: قبلت أو اشتريت، هذا هو القبول، الإيجاب كلمة البادئ بائعاً كان أو شارياً، والقبول كلمة الثاني بائعاً كان أو شارياً.

الشرط في صيغة العقد توافق الإيجاب والقبول، مثلاً، فلو قال الموجب: بعث بخمسين، فقال القابل: اشتريت بعشرين، هل توافق الإيجاب والقبول ؟ ما توافق، فهذا البيع لا يصلح، لو قال الموجب: بعث بخمسين، فقال القابل: اشتريت نصفه بخمسين وعشرين. هو باعك الشيء كله، وأنت قبلت نصفه، أول خلاف كان بالثمن، ثاني خلاف كان بالكمية، لم ينعقد أيضاً، لو قال الموجب: بعث بخمسين معجلاً، فقال القابل: اشتريت بخمسين مؤجلاً. لا ينعقد البيع، لم يحدث إيجابٌ وقبول متطابقان، لم يتطابق الإيجاب والقبول، أول حالة بالثمن، ثاني حالة بالكمية، ثالث حالة بدفع الثمن عاجلاً أو آجلاً.

لو قال الموجب: بعث بخمسين، فقال القابل: اشتريت بستين، قال جاز البيع، هذا خلاف شكلي، صاحب الحاجة طلب بها خمسين، فقال الشاري: اشتريتها بستين، هذه علة مقبولة، لاشك أنه حينما قال اشتريت بستين فهو راضٍ بهذا، ولا شك أن البائع كان يجزئه الخمسين، فلو جاء القبول زائداً على الإيجاب، صح البيع وانعقد البيع.

الآن، لو قال البائع: بعث بخمسين، فقال القابل: اشتريت بأربعين، فقال البائع مرة ثانية: قبلت بأربعين صحّ البيع، صار إيجابٌ وقبولٌ جديداً..

لكن في حالة لو كان هناك أشياء متماثلة، أي في عندنا صاعان من القمح من نوع واحد، فقال البائع: بعث هذين الصاعين بمائة ليرة، فقال الشاري: بل اشترى أحدهما بخمسين. صح البيع، أما لو كان هناك قطعاً قماش متفاوتتان في اللون، والنوع، والجودة، وقال البائع: بعثك هاتين القطعتين بمائة ليرة، فقال الشاري: اشتريت إحداهما بخمسين. لا يصح البيع، أية واحدة هذه؟! هناك جهالة، في عندنا قاعدة في الفقه: "الجهالة تقضي إلى المنازعة دائماً" فإذا أردت ألا تنازع أحداً في بيعك وشرائك فابتعد عن الجهالة.

طلب بالقطعتين مائة ليرة، فقال الشاري: بل اشترى إحداهما بخمسين. القطعتين غير متماثلتين، أما القمح متماثل، في أشياء يسمونها مثلية أي يشبه بعضها بعضاً، لكن في أشياء غير مثلية، لو كان هناك غنمتان غنمة سميئة وغنمة هزيلة، فلو قال لك البائع: بعثك هاتين الغنمتين بأربعة آلاف ليرة، فقال: بل اشترى واحدة منها بألفين. البيع غير صحيح لوجود الجهالة، أما لو قال الشاري: اشترى هذه السميئة بألفين، فقال البائع: بعثك. صح البيع، إذا توافق الإيجاب والقبول شرطاً أساسياً في صحة العقد، في انعقاد البيع، الانعقاد منه ما هو متعلقٌ بالعاقدين، والعاقدان يجب أن يكونا متمتعين بالأهلية وبالتعدد، والأهلية. كما تعرفون. البلوغ وصحة العقد. والشروط المتعلقة بصيغة العقد توافق الإيجاب والقبول.

والشرط الثاني أن يكون الإيجاب والقبول بلفظي الجزم والقطع، فلأن الركن الحقيقي في العقد إنما هو الإرادة الباطنة لقوله تعالى:

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾

(سورة النساء: من آية " 29 ")

ولكنها لتعذر ظهورها ألغيت وأنيط الحكم بما هو مظنة لها، ألغي الرضا لصعوبة ضبطه، وناب عنه الإيجاب والقبول، فيجب أن يكون الإيجاب والقبول بصيغة القطع والجزم، ولا صيغة أقرب إلى القطع والجزم من صيغة الماضي، لذلك البيع الشرعي تقول له: بعتك هذا البيت بمائة ألف، فيقول: اشتريت. صيغة الماضي صيغة تعني الجزم والقطع، لذلك ربنا عز وجل كثيراً ما يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي، لأن الفعل الماضي يعني تحقق الوقوع.

إذاً من شروط انعقاد البيع فضلاً عن توافق الإيجاب والقبول أن يكون الإيجاب والقبول بلفظي الجزم والقطع، إذاً اشترط الفقهاء أن يكون الإيجاب والقبول بلفظي الجزم والقطع، أي يدلان على إرادة البيع دلالة حقيقية قوية، ولا صيغة أكثر دلالة على الجزم والقطع من صيغة الفعل الماضي، لذلك أحل صيغة في البيع والشراء صيغة الفعل الماضي، يقول البائع: بع، يقول الشاري: اشتريت. وقد سمح الفقهاء أن يكون أحدهما بلفظ المضارع إذا شهدت له نية أو قرينة حال على القطع والجزم، يمكن: أتشتري هذا البيت بمائة ألف؟ يقول له: اشتريت. يمكن أن تجمع بين صيغة المضارع وبين صيغة الماضي بشرط أن تكون صيغة المضارع دالة على الجزم والقطع، لأن صيغة المضارع من معانيها الاستقبال. أتمنى أن أنجح، فالنجاح في المستقبل، فالفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال، فإذا دل المضارع على الجزم والقطع بقرينة أو بحال، جاز في الإيجاب والقبول أن يجمع بين المضارع والماضي، يقول البائع: أبيع لك هذه السلعة، فيقول المشتري: أشتري، وأجاز الفقهاء أيضاً أن يكون البيع والشراء بصيغتي المضارع، لكن مع دلالة الحال بأنهما يفيدان القطع والجزم.

إذا جاءت صيغة المضارع في الإيجاب والقبول، وكانت الحال دالة على البيع، كأن يكونا في متجر، المتجر مكان البيع والشراء، أو يكونا متقابلين بالأيدي، أو غير ذلك من دلالات الحال صح لفظ المضارع، لكن إذا قال البائع: سأبيعك هذا البيت بمائة ألف، مادام دخل حرف السين على المضارع، فصار هذا الفعل دالاً على المستقبل، ومادام الفعل المضارع دالاً على المستقبل، فلا يعني صيغة الجزم والقطع، إذاً في صيغة البيع خدش وخلل مما يُبعد صحة هذا البيع.

لكن هناك فعل للمستقبل، فعل أمر يصح به البيع، كأن يقول: اشتر مني هذا البيت بمائتين، فيقول: أشتريه بمائتين. قد يأتي الإيجاب بلفظ الأمر، ويصح البيع بهذا اللفظ لأنه يدل على القطع والجزم أيضاً. بالمناسبة لا يتحتم في الإيجاب والقبول لفظ معين، أي لفظ دال على البيع والشراء بصيغة الجزم والقطع جائز في البيوع، أعطيتك، ملكتك وغير ذلك، القاعدة الشهيرة: العبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني ".

الآن: بيع المعاطاة ليس فيه إيجابٌ ولا فيه قبول، هل هناك شروطٌ دقيقة لصحته؟ بيع المعاطاة دفع الثمن وتسلم المبيع. الحاجة. الدفع والتسليم بلا كلام هذا بيعٌ بالمعاطاة، من أجل أن يكون هذا البيع صحيحاً اشترط الفقهاء عدة شروطٍ لصحة هذا البيع، أول شرط: علم المتعاقدين بالبيع والشراء.

إنسان يكون صاحب محل تجاري يتحادث مع شاري، يأتي شاري آخر في طرف لا يراه البائع، يضع ثمن حاجة ويأخذها، فهذا لا يجوز، لعل هذه الحاجة ليس هذا ثمنها، أو لعل هذا الثمن ليس لهذه الحاجة، أو لعل هذا الثمن لحاجةٍ من نوعٍ آخر، أو ليس لهذه الكمية، فكيف عرف الشاري أن هذه الحاجة ثمنها كذا؟ عرفها بقرينة، بلافتة، بكلمة، بسعر، لكن قد يكون هذا السعر للبنطال فقط مثلاً، أو للمعطف فقط، فهو حمل المعطف والبنطال ودفع الخمسمائة ليرة ومشي، فلا يجوز بيع المعاطاة إلا بعلم العاقدَيْن، يجب أن تتبه الشاري: سآخذ هذه الحاجة وهذا ثمنها، ما في حاجة لبعثك واشتريت، لكن إذا علم الشاري وعلم البائع معاً فأول شرطٍ لصحة بيع المعاطاة علم المتعاقدين بالبيع والشراء، فإذا أخذ الشاري السلعة ووضع الثمن دون علم البائع، لا ينعقد البيع، هذه نقطة مهمة جداً، أحياناً يكون الخصري مثلاً، واضع خضار من أنواع مختلفة، يحمل الحاجة ويدفع ثمنها ثم يمشي، قد يكون الثمن لنوع من الدرجة الثانية، يجب أن يعلم البائع لأنه من دون علم لا يجوز.

يجب ألا يصدر عن المتعاقدين أو أحدهما ما يدل على عدم الرضا بالبيع والشراء، يعني أحياناً يصدر عن الشاري أو عن البائع حالة عدم الرضا في بيع المعاطاة، فإذا كان هناك حالة عدم رضا فالبيع لا يجوز، فلو دفع المشتري الثمن، وأخذ السلعة أمام البائع، فقال البائع: لا أبيع بهذا الثمن، أو لا أرضى. فإنه لا يصح، لأن المعاطاة اعتبرت عندما جعلت على الرضا دليلاً، فإذا انعدم الرضا فلا صحة لهذا البيع.

إذاً يجب أن يكون البائع والشاري في المعاطاة على علمٍ بهذا البيع، ويجب ألا يصدر عنهما ما ينبئ بعدم الرضا. إذاً نحن الآن في شروط انعقاد البيع، وشروط انعقاد البيع منها ما يتعلق بالعاقدَيْن، ومنها ما يتعلق بصيغة العقد، ومن شروط صيغة العقد توافق الإيجاب والقبول، وأن تدل هذه الصيغة على القطع والجزم، وأفضل صيغةٍ للقطع والجزم هو الفعل الماضي.

أما الشروط المتعلقة بانعقاد المبيع، المتعلقة بالمكان فعبر عنها العلماء بقولهم: اتحاد المجلس. والمراد بالمجلس هنا المجلس المعنوي لا الحسي، لو الشاري والبائع بمكان، بديكان، وخرجا من الدكان، وهما يتحادثان في موضوع البيت، ووصلا إلى بيت وجلسا به قليلاً، ثم تابعا المسير، مادام الموضوع متعلقٌ بهذا البيت فهذا المجلس كله

مجلس واحد، ليست العبرة باتحاد المجلس، اتحاد المكان بل اتحاد الموضوع، يجب أن يستمر الموضوع، فالمجلس واحدٌ مهما طال الزمن، ومهما تعدد المكان مادام الموضوع مستمراً.

أما إذا انتقل المتحدثان المتبايعان إلى موضوعٍ آخر، ولم يحدث إيجابٌ وقبول، فقد انقطع المجلس، ولم يصح البيع لو أنه أجاب بعد انقطاع الحديث. فلو أوجب البائع البيع ولم يقبل المشتري، حتى استدار الحديث عن البيع إلى غيره ثم قبل، لم يصلح، وإن قصر الزمن، أشتري هذا البيت بمائة ألف؟ قال له: غالي. اليوم ثلج؟ قال له: ثلج، كم الحرارة؟ قال له: صفر، بعد هذا قال له: اشتريت، مادام دخل موضوع الثلج والحرارة بين الإيجاب والقبول فالبيع لم يصح، فإذا استمر الحديث عن البيع طويلاً، ثم قبل في النهاية صح مهما طال الزمن.

في عندنا شيء مهم: للموجب أن يرجع عن إيجابه قبل قبول القابض، يعني أشتري هذا البيت بمائة ألف؟ بقي ساكتاً، أقول له: أنا لن أبيع بهذا السعر، ما دام الشاري بقي ساكتاً، للبائع أن يتراجع عن هذا السعر، ما دام المشتري ساكتاً، فإذا قبل القابل انعقد البيع ولزم البيع، أشتري هذا البيت بمائة ألف؟ قال له: اشتريت. انعقد البيع ولزم البيع.

وكذلك فإن القابل مخيرٌ ما لم يقبل أو يرجع الموجب عن إيجابه، يعني ما دام ساكتاً لا يلزم البيع، لو عاد الموجب عن إيجابه لا يلزم البيع، في نقطة مهمة عرضه بمائة ألف.

وعدم نفي الثمن، ومالية الثمن، وهذا إن شاء الله نأخذه بتفصيلٍ في الدرس القادم.

\* \* \* \* \*

مع الإمام عليٍّ كرم الله وجهه .

ولكن كنت أعد في هذا اليوم موضوعاً حول العفو، واضطرت أن أطلع بعض القصص المتعلقة بهذا الموضوع، فعثرت على قصةٍ كنت قد أسمعتها للإخوة الأكارم قبل أربع أو خمس سنوات في أحد أيام العيد، وكان المجتمعون قلّة، ونظراً لما تتطوي عليه هذه القصة من معانٍ دقيقة متعلقة بالوفاء، وبالعفو، وبأن البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، أردت أن أقطع تسلسل قصة سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه وأقرأ لكم هذه القصة ونعود إلى قصة سيدنا علي في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

عنوان هذه القصة ( لقد أمكنك الله من الوفاء ) قال صاحب شرطة المأمون، وهو يشبه اليوم وزير الداخلية، يعني هو المسؤول عن استتباب الأمن والنظام في بلاد المسلمين: دخلت يوماً مجلس أمير المؤمنين ببغداد، وبين يديه رجلاً مكبلاً بالحديد، فلما رأيته قال لي:

يا عباس. اسم صاحب الشرطة عباس.

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: خذ هذا إليك . رجل مكبل بالحديد، جالس بين يدي أمير المؤمنين . واحتفظ به، وبكر به إليّ في الغد. خذ به إلى بيتك واحتفظ به وبكر به إليّ في الغد.

فدعوت جماعةً فحملوه، ولم يقدر أن يتحرك، فقلت في نفسي: مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به، يجب أن يكون معي في بيتي، لشدة حرص أمير المؤمنين يجب أن يكون هذا الإنسان معي في بيتي، فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري، يعني أخذه إلى بيته، صاحب الشرطة أخذ هذا الإنسان إلى بيته. قال:

ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله، ومن أين ؟

فقال: أنا من دمشق.

فقلت . صاحب الشرطة: جزى الله دمشق وأهلها خيراً فمن أنت ؟ فمن أنت من أهلها؟

قال: وعمن تسأل ؟

قلت: أتعرف فلاناً ؟

قال: ومن أين تعرف ذلك الرجل ؟

قلت: وقعت لي معه قضية.

قال: ما كنت بالذي أعرفك خبره حتى تعرفني قضيتك معه. يعني من حديث لحديث قال: أنا من دمشق، من أي مكان؟ من تكون أنت؟ ما اسمك؟ قال: من تعرف من دمشق؟ قال: أعرف فلان الفلاني، فقال له: عرفني عن خبره أولاً حتى أقول لك من أنا ثانياً.

فقال صاحب الشرطة: كنت مع بعض الولاة بدمشق. أي أنه كان معاوناً لبعض الولاة. فبغى أهلها، وخرجوا علينا حتى إن الوالي تدلى من نافذة قصره وهرب هو وأصحابه، وهربت في جملة القوم، فبينما أنا هاربٌ في بعض الدروب إذا بجماعةٍ يعدون خلفي. يركضون خلفي. فمازلت أعدو أمامهم حتى فُتُّهم. غابوا عني. فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالسٌ على باب داره فقلت: أغثي أغاثك الله. فقال هذا الرجل: لا بأس عليك، ادخل الدار. فدخلت، فأدخلني في بيته إلى مقصورة. يعني غرفة في أقصى الدار. فدخلتها ووقف الرجل على الباب فما شعرت إلا وقد دخل والرجال معه يقولون:

هو والله عندك، هذا عندك.

فقال: دونكم الدار، فتشوها، ففتشوها عُرفَةً عُرفَةً حتى لم يبقَ سوى تلك المقصورة.

فقالوا: هو هنا.

فقال: هنا امرأتي.

وصاحت امرأة في هذه المقصورة فتوقف هؤلاء الرجال عن البحث وعادوا أدراجهم، وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعةً، وأنا قائمٌ أرتجف، ما تحملني رجلاي من شدة الخوف، فقالت امرأته: اجلس لا بأس عليك. فجلست فلم ألبس حتى دخل الرجل فقال: لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت إلى الأمن والدعة، اطمئن. فقلت له: جزاك الله خيراً، ثم مازال يعاشرنني أحسن معاشرَةٍ وأجملها، وأفرد لي مكاناً في داره، لم يفتر عن تقفُّد أحوالي، فأقمت عنده أربعة أشهر في أرغد عيشٍ، وأهناء، إلى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها، فقلت له: أتأذن لي في الخروج حتى أتقعد حال غلmani، فلعلي أقف منهم على خبر؟ فأخذ عليّ المواثيق بالرجوع إليه، فخرجت فطلبت غلmani فلم أرَ لهم أثراً، فرجعت إليه وأعلمته الخبر، وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني، ولا يعرف اسمي، ولا يخاطبني إلا بالكُنية. ثم قال:

علام تعزم ؟

قلت: عزمت على التوجه إلى بغداد.

فقال: القافلة بعد ثلاثة أيام وها أنا ذا قد أعلمتك.

فقلت له: إنك تفضلت علي هذه المدة، ولك علي عهداً ألا أنسى لك هذا الفضل، ولأكافئتك ما استطعت.

ثم دعا غلاماً له وقال له: أسرج هذا الفرس، ثم جهز آلة السفر، فقلت في نفسي: ما أظن إلا أنه يريد أن يخرج إلى ضيعة أو ناحية من النواحي، فأقاموا يومهم في كدٍ وتعب. أي أن الغلمان يجهدون في إعداد آلات السفر. ولما حان يوم الخروج. خروج القافلة. جاءني السحر. في وقت السحر. وقال لي: قم فإن القافلة تخرج الساعة، وأكره أن تنفرد عنها، فقلت في نفسي: كيف أصنع وليس معي ما أتزود به؟ ولا ما أشتري به مركوباً، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان أفخر الملابس وخفين جديدين، وآلة السفر، ثم جاءني بسيف ومنطقة، فشدهما في وسطي، ثم قد بغلاً فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش، وقدم إلي فرساً وقال: اركب وهذا الغلام يخدمك ويسوس مركبك. وأقبل يعتذر إلي من التصير في أمري، وركب معي يشيعني. وانصرفت إلى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في مجازاته ومكافأته، واشتغلت مع أمير المؤمنين، فلم أتفرغ أن أرسل إليه من يكشف خبره، فلهذا أسأل عنه، هذا هو.

فلما سمع الرجل الحديث قال:

قد أمكنك الله من الوفاء له، ومكافأته على فعله، ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك، ولا مؤونة تلزمك.

فقلت: وكيف ذلك؟!

قال: أنا ذلك الرجل. أنا بنفسي. وإنما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي، وما تعرفني به.

فما تماكنت إلا أن قمت وقبلت رأسه، ثم قلت له:

فما الذي أصارك إلى ما أرى؟

قال: هاجت فتنةً بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك، فنسب بعضها إلي، وبعث أمير المؤمنين بجيوشٍ فأصلحوا البلد، وأخذت أنا، وضربت إلى أن أشرفت على الموت، وقُتِدت، وبعث بي إلى أمير المؤمنين، وأمري عنده عظيم، وخطبي لديه جسيم، وهو قاتلي لا محالة، وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية، وقد تبغني من غلماني من ينصرف إلى أهلي بخبري، وهو نازلٌ عند فلان، فإن رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد، فإن أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة، وقمت لي بوفاء عهدك . يعني أقصى ما كان يرجو أن يبعث بمن يحضر له غلمانه ليوصيهم بأهله لأنه مقتولٌ لا محالة .

فقال صاحب الشرطة:

يصنع الله خيراً. ثم أحضر حداداً في الليل، فكَّ قيودي، وأزال ما كان فيها من الأتكال، وأدخله حمام الدار، وألبسه من الثياب ما احتاج إليه، ثم سيّر من أحضر إليه غلمانه، فلما رآه جعل يبكي ويوصيه، فاستدعى العباس نائبه وقال: علي بالأفراس والهدايا، ثم أمره أن يشيعه إلى حد الأنبار، قال له: انطلق، اذهب.

فقال له: إن ذنبي عند الأمير عظيم، وخطبي جسيم، وإن أنت احتججت بأني هربت، بعث في طلبي كل من على بابه فأردّ وأقتل.

فقال العباس: انجُ بنفسك ودعني أدبر أمري.

فقال: والله لا أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت، كان مترفقاً به.

فقال العباس: إن كان الأمر على ما تقول فلتكن في موضع كذا، فإن أنا سلمت في غداةٍ أعلمتك، وإن أنا قتلت فقد وقيتك بنفسي كما وقيتني . واحدة بواحدة . ثم تفرغ العباس لنفسه وتحنَّط وجهاز له كفناً . لأن العلقة صعبة . فقال العباس: فلم أفرغ من صلاة الصبح إلا ورُسُل المأمون في طلبي وهم يقولون: هات الرجل معك وقم، الرجل راح، فتوجهت إلى دار أمير المؤمنين فإذا هو جالسٌ ينتظر فقال: أين الرجل ؟ فسكتت، فقال:

ويحك أين الرجل ؟

قلت: يا أمير المؤمنين اسمع مني.

فقال: لله عليّ عهدٌ لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك.

فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب، ولكن اسمع حديثي وحديثه، ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري.

قال: قل.

قلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت . حكى له القصة . وقصصت عليه القصة جميعها، وعرفته أنني أريد أن أفي له، وأكافئه على فعله معي، وقلت: أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين إما أن يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت، وإما أن يقتلني فأقيه بنفسي، وقد تحنّطت، وها هو ذا كفني يا أمير المؤمنين، ما في حل ثالث، فلما سمع المأمون الحديث قال:

ويلك، لا جزاك الله عن نفسك خيراً، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة، وتكافئه بعد المعرفة بهذا؟! لم تكن موفياً لحقه، هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائه لك؟

فقلت: يا أمير المؤمنين إنه هاهنا موجود ببغداد، وقد حلف ألا يبرح حتى يعرف سلامتي، فإن احتجت إلى حضوره حضر.

فقال المأمون: وهذه منةٌ أعظم من الأولى، اذهب إليه الآن فطيب نفسه، وسكن روعه، وائتني به حتى أتولى أنا مكافأته.

فأتيت إليه وقلت له:

ليزل خوفك إن أمير المؤمنين تكلم كذا وكذا.

فقال: الحمد لله الذي لا يُحمد على السراء والضراء سواه، ثم قام وركب، فلما مثّل بين يدي أمير المؤمنين، أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحدّثه حتى حضر الغداء، فأكل معه، وخلع عليه، وعرض عليه أعمال دمشق، أن يكون والياً على دمشق، فاستعفى، فأمر له بصلّةٍ وكتب إلى عامله بدمشق بالوصية به.

أحياناً الإنسان يتزوج امرأة، يكون فقير، تصبر على فقره، يغنيه الله سبحانه وتعالى، فيتتكر لها، إذا انعدم الوفاء انعدم الإيمان، شريكان، زوجان، صاحبان، صديقان، جاران، أخان في الله، هذا الإنسان يعني ضحى بكل ما

يملك من أجل أن يوفِّي لهذا الصديق الذي كان معه في ساعة الشدة، يعني الوفاء صفةً أساسيةً من صفات المؤمنين، الإنسان غير الوفي يلقي الله والله عليه غضبان، فإذا أردت أن تلقى الله وهو راضٍ عنك، فكن وفياً لمن أسدى لك معروفاً، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( إن الله سأل العبد عن صحبة ساعة ))

( من كشف الخفاء: عن " ابن جرير " )

(( من أسدى إليكم معروفاً فكافؤه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه ))

يعني لا يمكن أن يُقبل مؤمن غير وفي، غير وفي لأهله، غير وفي لإخوانه، غير وفي لجيرانه، غير وفي لشركائه، الوفاء عنوان الإيمان. هذا الذي يدخل مع شريك فلما قوي هذا الشريك الأول، وكان الشريك الثاني ضعيفاً أطاح به، ويصلي، والله هذه الصلاة لا تقبل منه، هذا الذي يتزوج امرأةً يعني يكون فقيراً تتحملة، وتصبر عليه، فإذا أغناه الله سبحانه وتعالى تتكرَّر لها، ونهر بها، وأساء معاملتها، والله ما هذا هو الوفاء، فهذا بوفائه سلَّمه الله.

القول الشهير:

(( البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان ))

النبي عليه الصلاة والسلام حينما دخل مكة فاتحاً، له بيت، هذا البيت اغتصب بعد هجرته إلى المدينة، فلما قيل له: أتحب أن تحل في بيتك؟ قال:

(( لا، انصبوا لي خيمةً عند قبر خديجة ))

وفاءً لها. ما نام أول ليلةٍ من ليالي الفتح إلا في خيمةٍ إلى جنب قبر خديجة.

كانت السيدة عائشة ترى أنه يهشُّ لبعض الزائرات، تقول له: من هذه؟ قال: هذه كانت تغشانا أيام خديجة. يعني لو قرأت سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ما وجدت إنساناً أوفى ولا أوصل منه، لذلك قال أبو سفيان حينما دخل النبي مكة، قال: فذاك أبي وأمي يا رسول الله؛ ما أرحمك، وما أوصلك، وما أحكمك، وما أحلمك. فجوهر الدين

## الأخلاق.

فكل واحد مع أهله، مع أقربائه، مع جيرانه، مع إخوانه، مع رفقاؤه، مع شركاؤه لا يتتكر للجميل، لا ينسى المعروف، لا ينسى الفضل عندئذ يخرج من إيمانه، لأن الله عز وجل لا يرضى عن الخائن، ولا يرضى عن الجحود، ولا يرضى عن المتتكر الذي يتتكر للفضل.

يعني هذه القصة تبين كيف أن هذا العمل الطيب ما ضاع سدى، إنسان منقطع أكرمته، إنسان فقير عاونته، امرأة أرملة أعنتها بالمال، أخت لك في مكان بعيد وصلتها " البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت . إن شاء الله تعالى في الدرس القادم نعود إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا. اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس (008 - 127) : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-01-1989

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ))

أو فهو ردٌ إذا وقفنا على هذه الكلمة .

(( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ ))

هذا الحديث الشريف يُستنبط منه أشياء كثيرة، أولاً:

من أحدث في أمرنا . ومعنى كلمة أمرنا أي في ديننا . ما ليس منه فهو ردٌ . أي مردودٌ بإبطال هذه المحدثات .

الحقيقة البدعة هي الشيء المبتدع الذي لم يكن من قبل، هناك بدعة في الدنيا، وهناك بدعة في الدين، بدعة الدنيا مرفوضة ومقبولة، مرفوضة إذا خالفت أحد نصوص الدين .

لو أن نمطاً من الحفلات، قام ولم يكن على عهد رسول الله فيه اختلاط، وفيه كشفٌ للعورات، فهذه البدعة في الدنيا ما دامت تعارضت مع أحكام أساسية في الدين، مع نصوص صريحة فهي مرفوضة .

أما بدعةٌ حسنة في الدنيا ؛ لو أن الماء الساخن صار في كل المساجد، يتوضأ به المصلون في أيام الشتاء القارصة، هذا أمرٌ لم يكن على عهد رسول الله، لكنه بدعةٌ في الدنيا حسنة، مقبولة، بدعة الدنيا مقبولةٌ أو مرفوضة، ومقياس القبول أو الرفض مدى انسجامها مع أوامر الشرع، أو مدى معارضتها لأوامر الشرع، أي شيء في بيتك ؛ جهاز تبريد لا يتعارض مع أوامر الشرع، جهاز لهو فيه إثارةٌ للشهوات السفلية، وقد ينجم عنه انحرافاتٌ خُلُقِيَّة، جهاز التبريد بدعةٌ في الدنيا، وجهاز اللهو بدعةٌ في الدنيا، لكن بدعة جهاز التبريد لا تتعارض مع نصٍ شرعي، أما بدعة جهاز اللهو قد تفسد أخلاق مَنْ في البيت، إذا البدعة في الدنيا مقبولة ومرفوضة، مقبولةٌ إذا لم تتعارض مع أوامر الشرع، ومرفوضةٌ إذا تعارضت مع أوامر الشرع.

لو أن بضعة أشخاص، أربعة أشخاص دون الخمسة، اتفقوا على أن يسهروا في الأسبوع سهرة، يتذكرون فيها أمر تجارتهم، أو أمر دينهم، هذا الاجتماع الدوري لا يتعارض مع أوامر الشرع، أما لو أن هذا الاجتماع الدوري ساد الغيبة والنميمة، وتعارض مع أوامر الشرع، فهو بدعةٌ في الدنيا مرفوضة، أي تصرف، أي شيء، أي جهاز، أي حاجة، أي أسلوب، أي نمط في المعيشة، أي عمل قسه بأوامر الشرع، كأن أوامر الشرع مقياسٌ دقيق تقيس به كل شيء، ما من شيء في الأرض إلا ولا بد من أن ينطبق عليه أحد الأحكام الشرعية الخمسة ؛ فرضٌ، واجبٌ، سنةٌ، مباحٌ، مكروهٌ، محرمٌ، عند الأحناف هناك فرضٌ وواجبٌ، عند الشافعية فرضٌ، وسنةٌ، ومباحٌ، ومكروهٌ، وحرماً. فأى عمل، أي تصرف ؛ أن تشتري ثياباً جديدة، مباح، أن تباليغ في هذه الثياب، مكروه، دخلت في الإسراف، أن تستخدم شيئاً حرمه الله عزَّ وجل، إذا البدعة في الدنيا قضيتها محلولة.

لكن الدين، لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

( سورة المائدة: من آية " 3 " )

لأن دين الله عزَّ وجل جاء بالتمام والكمال، وما الفرق بين التمام والكمال ؟ التمام يعني القضايا التي عرضها الدين قضايا شاملة، لم يغادر قضيةً تتعلق بعلاقة الإنسان بربه إلا وعرضها، عدد القضايا التي تناولها الدين في القرآن الكريم عددٌ تام، لم ينس أمر الطلاق، لم ينس أمر الميراث، لم ينس أمر البيع والشراء، لم ينس أمر السلم

والحرب، لم ينس أمر الأسرى، أي موضوع مهم يتعلق بسعادة الناس في الدنيا والآخرة طرقه الشرع، إذاً:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

تمام النعمة، التمام من حيث العدد، والكمال من حيث النوع، فالموضوعات التي عالجها القرآن الكريم عالجه معالجة كاملة، وعدد الموضوعات التي تطرّق إليها القرآن الكريم عدد تام، فالعدد تام، وطريقة المعالجة كاملة، هذا دين الله، هذا شرع الله، والذي أنزله خالق الكون، خالق السماوات والأرض، لذلك لا يمكن أن تفكر أن ترمم الدين، أو أن تسد ثغرة فيه أو أن تحدث فيه ما ليس منه، هذا رد، لذلك بدعة الدين مرفوضة.

سيدنا الصديق رضي الله عنه يقول: " إنما أنا متبع ولست بمبتدع ". ف:

(( من أحدث في أمرنا . أي في ديننا . ما ليس منه فهو رد ))  
(( صلوا كما رأيتموني أصلي ))

( من الجامع لاحكام القرآن: عن " الأوزعي " )

صلاتنا، وصيامنا، وحجنا، وزكاتنا كما علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، بيعنا وشراؤنا، زواجنا وطلاقنا، ميراثنا، يجب أن نطبق ما جاء به القرآن الكريم، وما بينه النبي عليه الصلاة والسلام من دون زيادة ولا نقصان، الزيادة بدعة في الدين، والنقصان تقصير، لذلك:

(( من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ))

أي مردودٌ عليه بالبطلان، توضح أن البدعة في الدنيا نوعان، مقبولةٌ إذا تمثّلت مع أوامر الشرع، ومرفوضةٌ إذا تعارضت مع أوامر الشرع، وبدعة الدين مرفوضةٌ أصلاً جملةً وتفصيلاً بقضيتها لأن الدين جاء تاماً وكاملاً، القرآن الكريم ذكر أشياء، وسكت عن أشياء، وحرم أشياء، فالذي أمرنا به يجب أن نأتمر به، والذي حرمه يجب أن ننته عنه، لكن الذي سكت عنه ففي السكوت عنه حكمةٌ لا تعدلها حكمة.

فالذي سكت ؛ عنه كيف نأكل ؟ لو أكلت على الطاولة مقبول، لو أكلت على الأرض مقبول، لو نمت على السرير مقبول، لو نمت على الأرض مقبول، لو استقبلت الضيوف على وسادات موضوعة على الأرض مقبول، لو استقبلتهم على فرش مقبول، على أثاث من نوع حديث مقبول، أمور الأثاث، والطعام، والشراب، واللباس،

وتنظيم البيت، هذا لا يتعلق بإقبالٍ أو إدبار، بمعصيةٍ أو طاعة، هذه أشياء سكت الشرع عنها، فالذي سكت عنه مباح، الأصل في الأشياء الإباحة، والذي أمرنا به ؛ هناك أمر إيجاب، وهناك أمر نذب، بين الفرض والمندوب، والذي نهانا عنه ؛ هناك نهي تحريم، ونهي كراهة، وهذا نأخذُه في دروسٍ قادمةٍ إن شاء الله تعالى.

لكن أردت من هذا الحديث الذي عقد تحت باب (النهي عن البدع ومحدثات الأمور ) في رياض الصالحين أنه:

(( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ ))

\* \* \* \* \*

والآن، إلى موضوعات البيوع التي بدأناها في الدرسين السابقين:

أولاً في الدرس الماضي والذي قبل الماضي عالجنا موضوع تعريف البيع، ومشروعية البيع، وركن البيع الأوحد وهو الرضا..

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾

(سورة النساء: من آية " 29 )

وكيف أن الرضا حالة نفسية يعبر عنها بالكلام، بالإيجاب والقبول، أو بالفعل، بالمناولة، أي بالتعاطي. وبينت لكم أيضاً أن للبيع شروط انعقاد، وشروط صحّة، وشروط نفاذ، وشروط لزوم، بدأنا بشروط الانعقاد، بينت أيضاً أن من شروط الانعقاد ما يتعلق بالمتعاقدين، هناك شرطان أساسيان: الأهلية، والتعدد. ومن الشروط ما يتعلق بصيغة العقد، صيغة البيع، وهو الإيجاب والقبول، وكيف أن الإيجاب والقبول يجب أن يكون متطابقاً، يجب أن يتطابق الإيجاب والقبول، ويجب أن يكون بصيغة القطع والجزم، وأن من الشروط ما يتعلق بمكان البيع، هذا المجلس مجلس البيع، ومجلس البيع يدخل فيه المكان والزمان. وتحدثت عن هذا بالتفصيل في الدرس الماضي. واليوم ندخل في الشروط المتعلقة بالمعقود عليه، بهذه السلعة التي سابعها، شروطاً متعلقةً بالمتعاقدين، شروطاً متعلقةً بصيغة البيع، شروطاً متعلقةً بمكان البيع، وشروطاً متعلقةً بالمبيع، بموضوع البيع.

ولكن قيل أن أبدأ سألني أخ كريم في الدرس الماضي السؤال التالي، قال: أنت قلت في الدرس أنه من شروط انعقاد المبيع، والتي هي متعلقةً بالمتعاقدين الأهلية والتعدد، فلو أنني أملك معملاً للنسيج، وأنا محتاجٌ إلى خيوط

بشكلٍ مستمر، قريبةً لي، أو قريبٍ لي أعطاني مبلغاً من المال، وكلفني أن أستثمره في حرفتي، أنا وجدت من الخير أن أشتري بهذا المبلغ مادة الخيط، فإذا ارتفع ثمنها بعثها، فكان هذا الربح قسمٌ منه لي نظير جهدي، وقسمٌ منه لصاحب المال نظير ماله، قلت: جيد. قال: فإذا احتجت إلى هذه الكمية من الخيوط والتي هي بحوزتي، والتي اشتريتها وكالةً عن المستثمر، إذا احتجتها إلى معلمي فإنني سأشتريها من المستثمر وكالةً، فأبيعها أنا وكالةً عن المستثمر، وسأشتريها أنا أصالةً عن نفسي، فهل هذا البيع باطل؟

قلت له: إننا ندرس في هذا المسجد المذهب الحنفي، ومن المستحيل أن تدرّس المذاهب جميعاً في درسٍ واحد، ولكن أؤكد لكم أن اختلاف الأئمة الأربعة رحمة، واختلافهم يسع جميع الحالات، لو أن صاحب هذا المعمل سأل من يعملون بتجارة الخيوط: كم سعر الخيط اليوم؟ فقالوا: كذا، وهذا سعرٌ معروفٌ وثابت، فصاحب المعمل اشترى هذه الكمية من الخيوط لنفسه، هنا انتقى التعدد، باع الخيط وكالةً عن المستثمر واشتراه لنفسه أصالةً عن نفسه، هذا البيع في مذهب الإمام أحمد، ومذهب الإمام مالك صحيح على شرط أن يكون السعر مطابقاً لسعر السوق، ويفضل أصحاب هذين المذهبين إذا سأل عن السعر، فجاءته أسعارٌ متفاوتة، يفضل أصحاب مذهب الإمام مالك، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل أن تشتري هذه الكمية بأعلى سعر بلغه مسمك، أو بالسعر المتوسط، على كلٍ يجب أن يكون السعر عادلاً، لذلك السادة الأحناف رفضوا أن يشتري الإنسان وكالةً عن إنسان وأصالةً عن نفسه، لا بد من التعدد، بينما الإمام أحمد والإمام مالك أكدوا أنه إذا كان السعر عادلاً، لا مانع من أن يبيع الإنسان نفسه، هذا موضوع متعلق بالدرس الماضي.

الموضوع الثاني أنا قلت: يستثنى من هذا الشرط القاضي. قاضي الشرع. قاضي الشرع بإمكانه أن يشتري وأن يبيع وشخصه واحد، لو أن عنده أيتام لهم بيت ضاق بهم، وعنده أيتام آخرون محتاجون لهذا البيت، بإمكان قاضي الشرع أن يبيع البيت عن هؤلاء، وأن يشتري البيت لهؤلاء وهو شخصٌ واحد، فالأب والقاضي مستثنى من حكم التعدد في المذهب الحنفي، هذان الحكمان متعلقان بالدرس الماضي.

\* \* \* \* \*

الآن درسنا اليوم الشروط المتعلقة بالمعقود عليه:

أولاً: الوجود، يجب أن يكون المعقود عليه البيع موجوداً، لذلك بيع المعدوم باطل من أساسه، شيء لم يوجد بعد، فالمعدوم لا ينعقد عليه البيع، فلا يجوز أن تشتري الثمر قبل أن ينعقد، ولا يجوز أن تشتري ولد الشاة قبل أن تحمل الشاة، هذا معدوم، بل إن الفقهاء زادوا على ذلك الشرط بأنه لا يجوز أن تشتري ما هو في حكم المعدوم، أو ما كان العدم خطراً عليه، يعني دابةً بطنها منتفخ، لا يجوز أن تشتري ما في بطنها، لعل الذي في بطنها انتفاخ، أو استسقاء وليس حملاً، ولا يجوز أن تشتري اللبن في ضرع الشاة، لعل هذا اللبن استسقاء أو ورم، وليس لبناً، فالشيء المعدوم لا ينعقد عليه البيع، بل إن عقد بيعٍ على شيءٍ معدومٍ يعد هذا البيع باطلاً من أساسه.

قس أنت على هذه القاعدة أي عقد شراءٍ على شيءٍ لا وجود له إطلاقاً، يعني بالطابق الخامس عشر الشقة اليمين، أرض خراب، والبيت العربي موجود لم يهدم بعد، في شروط، هذا بيعٌ معدوم، وهناك مآسٍ كثيرة جداً نتجت من البيع المعدوم.

لماذا حرّم الشرع شراء المعدوم وحرّم بيعه ؟ لأن المستقبل بيد الله عزّ وجل، تشتري شيئاً ليس موجوداً، لذلك شراء المعدوم من نتائجه الغرر، والغرر يؤدي إلى المنازعة، والشرع الحنيف جاء ليزيل أسباب المنازعة، يقولون لك: إزالة العدوان، وإزالة آثار العدوان، وإزالة أسباب العدوان، لذلك الشرع جاء لا ليزيل المنازعات، بل جاء ليزيل أسباب المنازعات، ومن أسباب المنازعات بيع الغرر، من أسباب بيع الغرر أن تبيع شيئاً معدوماً لا وجود له إطلاقاً.

والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن بيع ما ليس عند الإنسان، أن تبيع شيئاً ليس عندك، فهذا في حكم المعدوم، لو قال لك: اشتريت. أصبح هذا الشيء ملك الشاري، أين هو ؟ ليس موجوداً، هذا بيعٌ باطل، معنى باطل غير فاسد، البيع الفاسد يصح، لكن البيع الباطل لا ينعقد أصلاً.

والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن بيع الثمار على الأشجار قبل أن يبدو صلاحها، هذا بيع باطل، قد يأتي صقيعٌ فيذهب بكل هذا المبيع، قابض خمسين ألف رعبون، أين ذهبوا ؟ لكن الصقيع انتهى، الثمرة انعدت، الضمّان عرف تقريباً حجم الفاكهة التي على الشجر، الآن الدفع صحيح، لكن هناك احتمال الصقيع، والثمر لم ينعقد، وأنا أضمن هذا البستان بمائة ألف، نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن بيع الثمار على الأشجار قبل أن يبدو صلاحها، لا تبع الحب حتى يشتد، ولا تبع العنب حتى يسود، حتى يبدو صلاحه، ويقول عليه الصلاة والسلام:

## ((لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر))

( من الجامع الصغير: عن " ابن مسعود " )

ونهى عليه الصلاة والسلام عن بيع حبل الحبلية، يعني الشاة الحبلية، نهى عن أن تشتري ما في بطنها، لأن هذا الشراء في حُكْم المَعْدوم، ليس معدوماً لأن البطن منتفخ، لكن في حكم المَعْدوم قد تولد ميتة، وقد يكون هذا انتفاخاً، أو مرضاً، أو استسقاءً وما شاكل ذلك.

إذاً أول شرط من شروط صحة انعقاد المبيع: أن تكون مادة البيع المعقود عليه البيع موجوداً، يقول لك العوام: حاضر حلال، أخي في بيت تشتريه؟ يقول لك: ثالث طابق، شرق غرب شمال مفتوح، أنت تتصور ثالث طابق شرق غرب شمال مفتوح، أربعة وصلون وغرف واسعة، هذه واسعة مطّاطة، يطلع البيت سبعين متر، ويطلع في عليه مثلاً تنظيم، ويطلع في مخالقات، وست إشارات حبز، لا تشتري بيت قبل أن تطلب الكشف، في عليه إشارات حبز، في عليه إشكالات، في عليه مخالقات، فالغرر يؤدي إلى المنازعة، هذا الشرط الأول في المبيع.

الشرط الثاني: المالية . غير وزارة المالية . مالية المبيع أن يكون مالاً، والمال ما يتموله الإنسان ويقتنيه، ما أحد يتمول قمامة، القمامة ليست مالاً في حكم الأفراد طبعاً، في حكم الأعمال الكبرى الصناعية تباع وتشتري، أما في حكمة الأفراد القمامة ليست مالاً، المال ما يتموله الإنسان ويقتنيه.

الأحناف عرّفوا المال على الشكل التالي، قالوا: ما يميل الطبع إليه، سجادة جميلة هذا مال، ثرية، مثلاً مروحة، برّاد، فرش، سرير، ثياب صوفية، كل شيء يميل الطبع إليه، لكن عقرب، لا أحد يشتري عقرب، الطبع ينفر منه، ما يميل الطبع إليه، ويجري فيه البذل والعطاء والمنع، يبذل والله فلان كريم، يمنع بخيل، ما يجري فيه البذل والمنع وما يميل إليه الطبع، ويمكن إخاره لوقت الحاجة. هذا تعريف السادة الأحناف للمال، فإذا لم تنطبق هذه الشروط على الشيء المبيع، فهذا ليس مالاً، وليس محلاً للعقد في الأصل.

فالطبع مثلاً لا يميل إلى الميتة، من يشتري كلب ميت مثلاً، قطعة ميتة، أرنب ميت، فروج ميت، غنمة ميتة، جمل ميت من جمعة ورائحته تبعد عنه كيلو متر؟ فالطبع لا يميل إلى الميتة، فالميتة ليست مالاً، والدم ليس مالاً، والمال يجب أن يبذل وأن يمنع، فحبة القمح ليست مالاً، لو واحد أعطاك حبة قمح تقول له: كتر خيرك تفضلت علينا، الله يجزيك الخير، الله يقدرنا على مكافأتك؟ أو غير حبة قمح، حبة هيل مثلاً، هذا شيء لا

يجري فيه المال إطلاقاً لا البذل ولا المنع، شق تمرة . نصف تمرة . واحد بالحج رأى لوزة رفعها، وأحدث في الحج ضجيجاً كبيراً: من صاحب هذه اللوزة ؟ من صاحب هذه اللوزة ؟ حتى قال له عمر: كلها يا صاحب الورع الكاذب. كلها وخلصنا.

فمن تعاريف المال أنه يجب أن يجري فيه البذل والمنع، وأن تميل النفس إليه، طبعاً الإنسان لا يميل للميتة ولا للدم، لكن يميل للقمح، لكن حبة قمح هذا شيء زهيد دون الحد المقبول، الآن بالنقود مثلاً ربع ليرة، الآن ما لها قيمة، قديماً كان نصف فرنك، تأخذ كأس عرقسوس بنصف فرنك، بقرشين ونصف مثقوبة كذلك، الآن الليرة ما لها قيمة تقريباً، فالشيء الناس لا يعبأون له أقبضوه أم لن يقبضوه، فهذا الشيء لا يجري فيه البذل ولا المنع. لكن الأحناف اشتروا شرطاً ثالثاً: أنه يمكن ادخاره إلى وقت الحاجة. جمهور العلماء رفض هذا الشرط، مثلاً حق الانتفاع، حق الارتفاق، حق الشفعة، هذه حق مجردة، هذه عند الأحناف ليست مالاً لأنها لا تدخر، لكن عند غير الأحناف تعد مالاً، حقوق مجردة. لذلك عند السادة الأحناف بيع المنافع باطل، لك جار في عنده بيت عرضه للبيع، وأنت لك حق شراء هذا البيت، هذا الحق مجرد، لا يجوز أن تباع هذا الحق لإنسان آخر: أنا أبيعك هذا الحق بعشرة آلاف اشتري هذا البيت منه، هذا الحق لك بالذات وليس لغيرك، هذا الحق خاص للجار لا يباع، ولا يجبر، ولا يعطى، ولا يوهب. إلا أن الأحناف أجازوا من بيع المنافع الإيجار، أن تستأجر بيت، أن تستأجر سيارة، أن تستأجر آلة، اتفق العلماء على أن بيع المنافع إيجاراً هذا شيء مستحسن وقد أجمع عليه العلماء، مقبول، تستأجر منزل، أنت تشتري المنفعة فقط، في عندنا ملك الرقبة وملك المنفعة، تستري أنت منفعة البيت دون رقبته.

الآن لو اشتريت شيئاً صحيحاً يعد مالاً، لكن اشتريته بثمان ليس مالاً، مثلاً لو واحد اشتري.

إذا كان مال متقوماً، ومعنى متقوم أن يحل الشرع استعماله، إذا كان جهاز يؤدي الناس في أخلاقهم، هذا مال غير متقوم، الخمر مال غير متقوم، لحم الخنزير مال غير متقوم، قد تكون صفقة مواد غذائية غالية جداً، ولكن أكلها محرم، فيها لحم خنزير، أو فيها شحم خنزير، فهذه الصفقة الغذائية لا يجوز بيعها ولا شراؤها إطلاقاً، شيء دقيق جداً، أخي أنا عندي برتية مورتديلاً فرضاً، ثمنها ثمانمئة ألف، هذا مال لكن غير متقوم، لأنه محرم أكل لحم الخنزير في الشريعة الإسلامية، يجب أن يكون موجوداً، يجب أن يكون مالاً متقوماً، ولا يتقوم المال إلا إذا أحل الشرع استعماله، ففس أنت أي شيء محرم تداوله، واستعماله، وتناوله، وأخذه فهو مال غير متقوم، أما

الميتة ليست بمال، الدم ليست بمال، العقرب ليس بمال، أما لحم الخنزير مالٌ ليس متقوم، والخمرة مالٌ غير متقوم.

شيءٌ آخر: لو إنسان باع مالاً متقوماً بمالٍ غير متقوم، أي باع بيت بصفقة لحم خنزير فرضاً، أو صفقة خمر، البيع ليس باطلاً بل هو بيعٌ فاسد، والفاسد يصحح، يعني نغير الثمن، عوضاً عن الخمر أو لحم الخنزير نقبض مال، نقبض نقد.

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه نهى عن بيع ما لا يحل الانتفاع به، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام ))

( من مختصر تفسير ابن كثير، من الصحيحين )

الآن يقول لك: صنم مثلاً، مذهبات أو فضيات، إذا كان الصنم أشكال كلها تقليد لخلق الله عز وجل، فهذه لأن الشرع نهى عن اقتنائها، لذلك لا يجوز أن تباع وأن تشتري، فهذه مال، فيها ذهب، فيها فضة، أحياناً كؤوس خاصة لشراب الخمر، هذا الكأس لا يستخدم إلا لشراب الخمر، هذا لا يباع ولا يشتري، لا يجوز بيعه وشراؤه.

الشرط الرابع: الإحراز، أنا بإمكانني أن أبيع الطيور في السماء لأن حق صيدها يستوي فيه الشاري والبائع، فالطير الذي في السماء ليس مالاً مُحَرَّرًا، معنى محرز يعني تضعه في مستودعك، مغلق عليه، ملكك الشخصي، فكل شيء مباح لا يباع، أستطيع أن تباع ماء بقين ليست بالقناني بل ماء عند النبع؟ املاً هذا البيدون وهات خمس ليرات، تقدر تقول له هذا؟ هو يملأه محلك، مكان النبع، مكان الحنفيات عند بقين، تقف عند النبع: أخي اسمح لنا، ملأت بيدون، أنا سأعبي ببلاش هذه للكل، كل شيء مباح لا يباع، باستواء الشاري والبائع في حق امتلاكه، الشاري له حق في امتلاكه، والبائع له حق في امتلاكه.

واحد باع مثلاً ألف طير بري بالبادية، وهما مازالوا في السماء، الشاري يكون أحق لأنه بإمكانه أن يصيدهم، واحد باع للثاني الترام وقال له: هذا يأتيك دخل منه كل يوم مثلاً كذا، قديمة هذه القصة، دفع ثمنه طلع أنزلوه من الترام، فكل شيء يستوي الشاري والبائع في امتلاكه هذا مباح، إذا لا يقابله الاحتراز أن يكون في حرز، في مستودع، يدك عليه.

بيع الملح الطبيعي، جبل ملح لا تستطيع بيعه أنت، لاستواء الناس في تملكه، بيع العشب في البادية، البادية في الشام سنة خير وكلها عشب، جاء واحد أخي أنا سأبيع الكيلو متر مربع بألف ليرة، لمن الكيلو متر مربع ؟ هذا العشب للجميع، لكل من يري به، لكن يجوز إذا أحرزته أن تبيعه، طبعاً لما عبأنا زجاجات بقين في زجاجات بلاستيك، وختمناها والصناديق كرتون يمكنك أن تشتريها من البقالية، هذا الماء أحرز، لأنه عتيّاً، وصار بمستودعات فدخل بالإحراز.

لكن العلماء اشترطوا لإمكان أن تبيع الشيء المبذول للناس جميعاً الإحراز، والإحراز له شرطان الأول الاحتواء، ونية التملك، أن تضعه في مستودعك، وأن تنوي تملكه، إذا نويت تملكه، وأحرزته إلى مستودعك، فهذا المال الذي كان مباحاً، واحد ذهب وحمّل خمس أمتار مكعب ملح ونقلها بشاحنات، ووضعها بأكياس، يستطيع بيعها الآن لأنه احتواها ونوى تملكها.

شيء آخر من شروط المبيع: أن تكون مالكا لهذا المبيع، فإن لم تكن مالكا فأنت فضولي، وبيع الفضولي ينعقد ولكن بشرط أن يجيز مالك الشيء بيعه، فإن لم يجز فسد البيع، فالفضولي هو الذي يبيع ما ليس له. إذا باع الرجل مال غيره ناوياً أن يبيعه عن نفسه فهو باطل، أما إذا باع مال غيره ناوياً أن يبيعه عن غيره فهو صحيح، الفرق هو النية فقط، وبيع الفضولي بيع منعقد لكنه موقوف على إجازة المالك. الآن بالقضاء إذا إنسان أجر بيت، المستأجر أخذ ورقة إيجار، بعد ثلاث سنوات اكتشف أن الذي وقع له ورقة الإيجار ليس مالك البيت، فالقضاء أخذ قاعدة: إذا مضى سنتان، ولم يعترض المالك الأصلي، فهذا الفضولي يعد إيجاره صحيحاً، أما قبل السنتان، للمالك الأصلي أن يعترض، فإذا اعترض، ألغى الإيجار، هذا فضولي، ولكن اعتبروا أنه يكفي أن يمر سنتان على إيجار الفضولي، أو على بيع الفضولي دون أن يعترض المالك الأصلي، ينقلب هذا الإيجار صحيح، وهذا البيع صحيح، فأغلب العلماء على أن بيع الفضولي بيع منعقد لكنه موقوف على إجازة مالك المبيع.

الشرط الثالث: القدرة على التسليم في وقت العقد. فإن لم تكن هناك قدرة على التسليم فالبيع باطل، فإذا كان البائع عاجزاً عن التسليم وقت العد، عدّ البيع باطلاً كمن يبيع الطيور وهي في الهواء، وهو عاجز عن تسليمها. لكن العلماء فصلوا في هذا الموضوع ثالث أمور: من كان عاجزاً عن التسليم إلا بحيلة، يعني باع سمك بالبحر لكن السمك يحتاج لصيد، وهذا السمك ليس مملوكاً له فالبيع باطل، السمك مباح للجميع وهو باع سمك في الماء، ولم يصطده بعد فالبيع باطل.

صاد سمك، ثم وضعه في بركة محفورة، وفي عنده حيلة للصيد، وفي عنده شبكة، هذا البيع فاسد، لأن البيع بالماء.

الآن، عنده طائر يألف البيت، والطائر ملكه، فباعه والطائر طار، لكن من عادته أن يرجع الطائر يعود بلا حيلة، فالبيع صحيح، إذا كنت أنت عاجزاً عن تسليم المبيع إلا بحيلة ولست تملكه فالبيع باطل، عاجز عن التسليم إلا بحيلة لكنك تملكه فالبيع صحيح، عاجز عن التسليم لكن سيعود بلا حيلة وتملكه فالبيع صحيح.

آخر شرط من شروط المبيع: عدم نفي الثمن. مثلاً لو قلت لك: بعثك هذا الشيء بلا ثمن، هذا عقد باطل، لأن الثمن صفر، أساس البيع مبادلة مالٍ بمال، فلو بعث شيئاً بلا ثمن فالبيع باطل. لكن إذا بعث شيئاً والثمن مجهول، البيع فاسد، يجب أن تعرفوا الفرق بين الباطل والفاسد، الباطل لا ينعقد أصلاً، ولكن الفاسد ينعقد بعد التصحيح، قال واحد لجاره: أريد غرفة نوم، قال له: هذه غرفة والله جميلة، قال له: ابعتها لي، أعطاه أول جمعة خمسة آلاف، الثانية خمسة آلاف، الثالثة خمسة آلاف، الرابعة خمسة آلاف، يكفي أربعين ألف ثانية صار مشاكل، صار خنائق، هذا البيع صحيح لكن فاسد لأن الثمن مجهول وما في تحديد.

هذا الشيء الذي أتمنى عليكم أن تطبقوه، الجهالة تقضي إلى المنازعة، إذا ترغب أن لا تتخاصم مع إنسان وضح كل شيء، البيان يطرد الشيطان، فالبيع باطلٌ إذا نفي عنه الثمن نصاً، بعثك هذا البيت بلا ثمن، باطل، هذا عقد هبة ما عاد عقد بيع، أما إذا بعثك هذا البيت بثمنٍ لا نختلف عليه، هذا فاسد، البيع تم، لكن الثمن يجب أن يحدد وقد يفضي هذا إلى المنازعة.

نعيد على أسماعكم شروط البيع:

أولاً: الوجود، ثانياً: أن يكون المبيع مالاً، موجوداً ومالاً، ومالاً متقوماً، يعني يبيح الشرع استعماله، وأن يكون في حرزٍ، في مستودعك وأنت تملكه فعلاً، وأن تباع هذا الشيء وأنت مالكه، وأن تقدر على تسليمه، وأن يكون هذا الشيء بثمن، إذا توافرت هذه الشروط السبعة فالبيع ينعقد.

وردني سؤال عن الكومسيون، وهذا له بحث آخر، هذا ليس ببيع ولكنه بيع خدمات، له تفسير آخر إن شاء الله.

\* \* \* \*

الآن، إلى الإمام عليٍّ كرم الله وجهه

سيدنا علي أرسل رسالة إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال فيها: " أما بعد، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها . غيرها الآخرة . وصاحبها مقبورٌ فيها، ومنهومٌ عليها، لم يصب منها شيئاً قط إلا فتحت له حرصاً، وإلا أدخلت عليه مؤونةً تزيد رغبةً فيها .

الإمام البصيري رضي الله عنه قال:

فلا ترم بالمعاصي كثر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم

\* \* \*

كلما أوغلت فيها زادك التوغل فيها رغبةً فيها، لهذا قال سيدنا رسول الله:

((إن أسعد الناس فيها أرغبهم عنها، وأشقاهم فيها أرغبهم فيها))

وخذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها همماً، و.. " من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر " .

(( ولم يستغن صاحبها بما ناله عما لم يبلغه))

يعني مهما حصلت منها الطموح أكثر، الأمل أكثر . ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أجرك أبا عبد الله، ولا تجارين أحداً في باطله .

يعني هذه كلماتٌ دقيقات، كلما أوغلت في الدنيا ازداد حصرك عليها، أقلل من الشهوات يسهل عليك الموت، خذ من الدنيا ماشئت، وخذ بقدرها همماً.

فلا ترم بالمعاصي كثر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم.

هذا من أقواله رضي الله عنه. ومن أقواله أيضاً: " أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإن تقوى الله خير ما توأصى به عباده، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، وأقرب الأعمال لرضوانه، وأفضلها في عواقب الأمور عنده، وبتقوى الله أمرتم ولالإحسان خلقتم... " أمرت بتقوى الله وخلقت بالإحسان، لذلك الساعة التي تمر من دون أن تعمل فيها

عملاً صالحاً هي خسارة كبيرة..

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر)

فاحذروا من الله ما حذرکم من نفسه فإنه حذر بأسا شديداً

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)﴾

(سورة المدثر)

واخشوا ربكم خشيةً ليست بتعذير، واعملوا من غير رياءٍ ولا سمعة، فإنه من عمل لغير الله وكل لما عمل . إذا عملت لله وفقك الله، سددك الله، أرشدك الله، أكرمك الله، أما إذا عملت لنفسك وكلت إليها . ومن عمل مخلصاً لله تولاه الله فأعطاه فضل نيته، وأشفقوا من عذاب الله فإنه لم يخلقكم عبثاً، ولم يترك شيئاً من أمركم سدىً، قد سمي آثاركم، وعلم أسراركم، وأحصى أعمالكم، وكتب آجالكم، فلا تغرنكم الدنيا فإنها غرارةٌ لأهلها والمغرور من اغترَّ بها".

الإنسان أحياناً يجد علبة في الطريق، يظن فيها شيئاً ثميناً، ينكب عليها، يأخذها بعناية، يفتحها، فإذا هي فارغة، يصاب بحالة اسمها الإحباط، والله الذي لا إله إلا هو ما من إنسان تعلق بالدنيا إلا أصيب بأحد أيام حياته قبل أن يفارق الدنيا بحالة تشبه أشد أنواع الألم، الإحباط، هذه الدنيا !! ظن المال كلا شيء فسعى إليه، وبذل من ذلك دينه، فلما جاء خريف العمر رآه شيئاً ولكن ليس كل شيء، ظن المرأة كل شيء فسعى إليها، وعصى من أجلها ربه، فلما جاءه خريف العمر رأى أن المرأة أليس كل شيء، شيء ولكنها ليست كل شيء، ظن أن هذه الدرجات العلية في الدنيا شيءٌ ثمينٌ جداً فسعى إليها، ضحى بالغالي والرخيص، ضحى بدينه، فلما وصلها رآها شيئاً تافهاً، لذلك التقوى أقوى، من عاش تقياً عاش قوياً.

فسيدنا عمر الله يرضى عنه كان إذا أصابته مصيبة قال: الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها  
من أقواله رضي الله عنه:

((الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها، ودار نجاةٍ لمن فهم عنها، ودار غنىٍ وزادٍ لمن تزوّد منها، مهبط وحي الله، ومسجد الأنبياء، ومتجر الأولياء، ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة ". يعني أربح تجارة أن تعمل صالحاً، أربح تجارة أن تعرف الله، أربح تجارة أن تكون مستقيماً على أمر الله))

آخر قول أقوال سيدنا علي:

((إن المضمار اليوم وغداً السباق - المضمار اليوم، الآن في مدرج، أما السباق عند الموت فلان سبق، فلان تخلّف . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، من قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإنني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، ألا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإن الدنيا عرضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر، وإن الآخرة وعدٌّ صادق يحكم فيها ملكٌ قادر، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن طول الأمل ينسي الآخرة))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (009 - 127) : فضل ليلة النصف من شعبان

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-03-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الإِنْسَانُ مَخِيرٌ يَخْتَارُ طَرِيقَ الْإِيمَانِ أَوْ طَرِيقَ الْكُفْرِ :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ رمضان شهر التقوى أطل علينا ، وسوف يكون الحديث في هذا اليوم إن شاء الله تعالى عن ليلة النصف من شعبان ، وعن مقدمة عن هذا الشهر الكريم، وقبل هذا وذاك لابد من مقدمة . كلكم يعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُؤَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[ سورة البقرة : 148 ]

الإِنْسَانُ مَخِيرٌ يَخْتَارُ طَرِيقَ الْإِيمَانِ أَوْ طَرِيقَ الْكُفْرِ ، طَرِيقَ الْإِسَاءَةِ أَوْ طَرِيقَ الْإِحْسَانِ ، طَرِيقَ الطَّاعَةِ أَوْ طَرِيقَ الْمَعْصِيَةِ ، طَرِيقَ الْإِقْبَالِ عَنِ اللَّهِ أَوْ طَرِيقَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُؤَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة : 148 ]

الإِنْسَانُ مَخِيرٌ هَذَا شَيْءٌ ثَابِتٌ ، وَلَوْلَا هَذَا الْإِخْتِيَارُ لَبْطَلَتِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، وَلَبْطَلَتِ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ، وَلَبْطَلَتِ الْمَسْئُولِيَّةُ وَالتَّبَعَةُ ، وَالتَّغْيُ الْتَكْلِيفِ ، وَلَأَصْبَحَ حَمْلُ الْأَمَانَةِ عِبْتاً ، وَلَأَصْبَحَ إِرسَالُ الرِّسْلِ أَيْضاً لِعِباً وَلِهَواً ، وَلَأَصْبَحَ الْقُرْآنُ لَا جَدْوَى مِنْهُ ، لَوْ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَجْبَرَ عِبَادَهُ عَلَى الطَّاعَةِ لَبْطَلَتِ الثَّوَابُ ، لَوْ أَجْبَرَهُمْ عَلَى

المعصية لبطل العقاب ، لو تركهم هملاً لكان نقصاً بالقدرة ، الإنسان مخير :

﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة : 148 ]

وهذه كل نكرة ، تشمل أي إنسان على وجه الأرض منذ أن خلق الله الأرض وحتى قيام الساعة ، ولكل وجهة أي طريق هو موليتها ، وهو الذي يكتسب الإثم إن كانت الطريق غير صحيحة ، أو يكتسب الأجر والثواب إن كانت صحيحة ، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

[ سورة البقرة : 148 ]

معنى فاستبقوا الخيرات أنت الآن تتعم بحرية الاختيار ، تتعم بفرص النجاة ، أنت الآن تتعم بفرص السعادة ، أنت الآن في دار عمل ، أنت الآن في دار توبة ، أنت الآن في دار تصحيح ، أنت الآن في دار مغفرة ، أنت الآن في دار مسابقة ، ومادام القلب ينبض فأنت في بحبوحة ، باب التوبة مفتوح ، باب المغفرة مفتوح ، باب الإصلاح مفتوح ، باب التقرب إلى الله مفتوح ، ولكل وجهة هو موليتها فاستبقوا الخيرات ، أي هذه الوجهة التي يمكن أن توليها حينما شئت ، هذه الوجهة لا تملكها دائماً تملكها بشكل مؤقت ، والدليل قوله تعالى :

﴿ أَيَنْ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾

[ سورة البقرة : 148 ]

أي أيها الإنسان سارع ، سابق ، هلم إلى طاعة الله ، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما صعد المنبر وقال : أمين ، صعد الدرجة الثانية وقال : أمين ، صعد الدرجة الثالثة وقال : أمين ، وخطب وانتهت الخطبة وصلى بأصحابه ، بعض أصحابه قالوا : يا رسول الله علام أمنت ؟ أي لماذا قلت : أمين وأنت في الصعود إلى المنبر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : " رغم أنف عبد ذكرت عنه ولم يصل عليّ فقلت : أمين ، ثم قال : رغم أنف عبد أدرك والديه فلم يدخله الجنة ، فقلت : أمين ، ثم قال : رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له ، إن لم يغفر له فمتى ؟ "

أيها الأخوة الكرام ؛ رمضان موسم من مواسم العبادة ، موسم من مواسم الذكر ، موسم من مواسم الإقبال ، موسم من مواسم الأعمال الصالحة ، موسم من مواسم القرآن ، إذاً الإنسان لا ينبغي أن تكون حاله مع الله في هذا الموسم بشكل اعتيادي ، لابد أن يجهد نفسه ليفوز بقصب السبق ، هناك نقطة دقيقة تصلنا إلى شهر شعبان ، أو إلى ليلة النصف من شعبان ، وهي أنه لابد من فترة تجريبية ، لابد من استعداد ، لابد من تحمية إن صح القول، فهذا الذي يبقى على ما هو عليه إلى أن يأتي أول رمضان ، هذا الجسم وهذه النفس لا تستطيع أن تطلع إقلاصاً مباشراً في أول يوم من أيام رمضان ، لذلك إذا انتبه الإنسان إلى قرب قدوم هذا الشهر الكريم في شهر شعبان ، وفرغ نفسه من بعض المشاغل ، واستعد للقاء الله عز وجل في هذا الشهر الكريم ، لقاء الاتصال ، لقاء الاستغفار ، لقاء المحبة ، لقاء الشوق ، ربما وصل إلى أول رمضان وهو في وضع جيد ، أخذ وضعه المستقل ، وانطلق في هذا الشهر الكريم في صيام ، وقيام ، وذكر ، وعبادة ، وتلاوة ، وتدبر ، وعمل طيب ، يرضي الله عز وجل .

الحقيقة موضوع ليلة النصف من شعبان ورد فيها شيء كثير ، لكن هذا الكثير أكثره غير صحيح ، ما صح من هذا الكثير هو أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

(( عن أسامة بن زيد قال قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان ، قال : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأجبت أن يرفع عملي وأنا صائم ))

[ النسائي عن أسامة بن زيد ]

هذا الحديث ورد في الترغيب والترهيب عن رسول الله ، النبي عليه الصلاة والسلام كأنه يستعد لرمضان في الإكثار من العبادات في شعبان ، كأن هذه النفس تهين لتأخذ سرعتها القصوى في رمضان .

شيء آخر ، عن أنس رضي الله عنه قال :

(( كان أصحاب النبي ﷺ إذا نظروا إلى هلال شعبان أكبوا على المصاحف يقرؤونها ، وأخرج الأغنياء زكاة أموالهم ليتقوى بها الضعيف والمسكين على صيام رمضان ، ودعى الولاة أهل السجن فمن كان عليه حد أقاموه عليه وإلا فخلوا سبيله ، وانطلق التجار فقضوا ما عليهم ، وقضوا ما لهم ، حتى إذا نظروا هلال رمضان اغتسلوا واعتكفوا))

[ كتاب الغنية عن أنس ]

أي كأني بهذا الشهر الكريم شهر شعبان جعله أصحاب النبي وجعله السلف الصالح استعداداً وتهيئةً لهذا الشهر الكريم من أجل أن تأخذ النفس استعدادها الأوفى للبدء بموسم من أظهر المواسم ، ومن أجل المواسم . حتى أن بعض العلماء كان يقرأ في هذه الليلة سورة ياسين على نية إطالة العمر في طاعة الله ، ويقرأها ثانية على نية أن يحميه الله من بلاء الدنيا ، ويقرأها ثالثاً على نية أن يغنيه الله عز وجل عن حاجة الناس ، هكذا فعل بعض العلماء ، ليس هذا من العبادة ولكن النبي عليه الصلاة والسلام كان يؤثر هذا الدعاء الشريف :

(( اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي ))

[ الترمذي و ابن ماجه عن عائشة ]

من أكثر الأدعية التي كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو بها ما دامت هذه الليلة كما ورد عن النبي ﷺ ترفع فيها الأعمال ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يحيي هذه الليلة ويصوم النهار الذي يليها ، هذا من فعل النبي عليه الصلاة والسلام .

شيء آخر : طبعاً قبل أن نقرأ الحديث ، ما ورد في بعض الكتب عن صلاة مخصوصة ، وعن دعاء مخصوص ، لم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام هذا لا أصل له ، الإنسان يبقى في حدود السنة الصحيحة ، هناك صلاة ألفية كما يقولون ، وهناك دعاء خاص ، هذا لم يصح عن رسول الله ﷺ ، ونحن دائماً ننقيد بالسنة ، ونتمنى أن يكون العمل خالصاً وصواباً ، خالصاً ابتغي به وجه الله ، وصواباً وافق السنة التي جاء بها النبي

عليه الصلاة والسلام .

## معالجة الإسلام القضايا التي تخص الإنسان معالجة تامة :

طبعاً كلكم يعلم أن إحداث أي شيء في الدين هو بدعة ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ . . .))

[ مسلم والنسائي واللفظ له عن جابر ]

أي لو أننا فتحنا باب الإضافة على الدين في العقائد والعبادات لما بقي الدين ، لصار الدين شيئاً آخر ، لذلك الدين كما ورد عن الله عز وجل :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[ سورة المائدة الآية: 3 ]

أكملت لكم من حيث النوع ، وأتممت عليكم من حيث العدد ، إذاً جميع القضايا التي تعني الإنسان عالجها الدين أكمل معالجة ، ولا يستطيع مخلوق بعد النبي عليه الصلاة والسلام أن يضيف على هذا الدين شيئاً لأنه من عند الله ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾

[ سورة الحاقة : 44-47 ]

أي هذا ما يعبر عنه العلماء ؛ النبي عليه الصلاة والسلام أمين وحي السماء ، هذه أمانة التبليغ التي قام بها النبي عليه الصلاة والسلام ، وهناك أمانة الأداء التي هي على عاتق العلماء أن يؤدوا هذا الدين إلى الناس كما ورد عن رسول الله ﷺ من دون تبديل ، ولا تغيير ، ولا زيادة ، ولا حذف .

أي شيء تفعله لم يرد عن رسول الله إن فعلته من باب الذكر ، من باب نوافل العبادات شيء مقبول ، أما إذا قلت هذا عبادة فلا ، إذاً :

((كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ . . . ))

[ مسلم والنسائي واللفظ له عن جابر ]

### الشيء الجديد في العقائد والعبادات بدعة أما من باب الذكر فهو من التطوع :

الشيء الجديد في العقائد والعبادات بدعة ، أما لو أنك فعلت من باب الذكر ، والنوافل ، والصلوات ، وقراءة القرآن وما شاكل ذلك ولم تقل هذا من الدين فهذا من باب التطوع، من باب العمل الطيب ، هذا لا شأن لك به ، ولا ضير عليك به ، هذا الذي أقوله من أجل ألا يسمع الإنسان من أي شخص كلاماً لم يرد عن رسول الله ﷺ حول هذه الليلة، ليلة النصف من شعبان ، يجب أن نبقى في حدود السنة .

((عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِعُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأُغْفِرَ لَهُ ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ ؟ أَلَا مُبْتَلَى فَأَعَافِيَهُ ؟ أَلَا كَذَّابٌ ؟ أَلَا كَذَّابٌ ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ))

[ ابن ماجة عن علي ]

إذاً هذه الليلة الإنسان له عند الله حاجة من حاجات الدنيا ، أو من حاجات الآخرة، يعلق عليها آمالاً عريضة عليه أن يدعو الله عز وجل لعل الله عز وجل يغنيه من فقر ، يعافيه من مرض ، يأمنه من خوف ، يهيئ له حياةً مستقرةً ، حياةً أسريةً سعيدةً ، يهيئ له إيماناً قوياً ، عملاً طيباً ، نكراً حسناً ، إقبالاً على الله عز وجل ، هذا ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وورد أيضاً هذا الحديث في الترغيب والترهيب . وأخرج ابن عساکر عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال :

## (( خمس ليالٍ لا ترد فيهن الدعوة ))

[ابن عساكر عن أبي أمامة]

### اغتنام الأوقات التي خصها الله بالفضل :

نحن في الخطبة قلنا : الله سبحانه وتعالى شاءت مشيئته أن يخص بعض الأوقات بالفضل مثلاً : من ساعات الليل خصّ الثلث الأخير ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* أَخَذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ \* كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ \* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات : 15-18]

ربنا عز وجل خصّ وقت السحر بشيء خاص من التجلي ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

(( لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

من أيام الأسبوع خصّ يوم الجمعة ، هذا الذي يأتي إلى صلاة الجمعة في الفوج الأول كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَانَ مَقْرَبًا بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَ مَقْرَبًا بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَانَ مَقْرَبًا كَنْبَشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَ مَقْرَبًا دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَ مَقْرَبًا بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إذاً في يوم الجمعة ساعة استجابة ، إذا أصابها الإنسان أجاب الله دعوته ، أي أيها الإنسان كن طوال اليوم في حالة ذكر ودعاء وتلاوة قرآن ، لعل الله عز وجل ينالك بهذه الدعوة الطيبة ، الآن من أفضل أيام العام الأيام العشرة من ذي الحجة ، ومن أفضلها على الإطلاق يوم عرفة ، من أحبّ الأيام إلى الله ، هكذا شاءت مشيئة

الله، ماذا قال الله عز وجل؟ إن لريكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها .

فمادام هذا اليوم ، أو هذه الساعة ، أو هذا الشهر ، أو هذا الأسبوع خصه الله بخصيصة خاصة من قبل التجلي، والتوفيق ، واستجابة الدعاء ، فعلى الإنسان أن يكون في الموقع الذي أراده الله عز وجل ، لذلك :

(( خمس ليلٍ لا ترد فيهن ؛ الدعوة أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلة الجمعة ، وليلة الفطر ، وليلة النحر ))

[ابن عساكر عن أبي أمامة]

### الدعاء سلاح المؤمن :

هذه الليلة من له عند الله حاجة ، من له قضية ، من يشكو قلة الرزق ، من يشكو وهناً في البدن ، من يشكو ضيقاً في العيش ، من يشكو تعسيراً في العمل ، عليه أن يدعو الله عز وجل ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من الدعاء ، ما من شيء أكرم على الله من الدعاء ، والدعاء سلاح المؤمن .

((عَنْ سَلْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِّيْ كَرِيْمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيُرِدُّهُمَا صِفْرًا أَوْ قَالَ خَائِبَتَيْنِ))

[ ابن ماجة عن سلمان ]

ولا ينفع حذر من قدر ، ولكن ينفع الدعاء فيما نزل وفيما لم ينزل ، فادعوا الله عباد الرحمن ، الدعاء مطلوب لا لذاته ، مطلوب لغيره ، من خلق هذه المشكلة ؟ الله سبحانه وتعالى ، من جعلك مضطراً ؟ الله سبحانه وتعالى ، خلق المشكلة ، أو جعلك في وضع حرج من أجل أن تلجأ إلى بابه ، هو دفعك إلى بابه ، في بابه السعادة ، في بابه الرضا ، في بابه السكينة ، في بابه السرور ، في بابه الطمأنينة ، في بابه الإقبال ، في بابه كل معاني السرور ، فكأن الدعاء ليس مقصوداً لذاته ، إن هذه المشكلة التي أصابت الإنسان ودفعته إلى الدعاء الدعاء دفعه إلى الاتصال بالله و الاتصال كل شيء . لذلك النبي الكريم كما روت السيدة عائشة : " كان معنا نحدثه ويحدثنا فإذا حضرت الصلاة فكأنما لا يعرفنا ولا نعرفه " .

وهو الذي يقول :

((أرحنا بها يا بلال))

[ أبو داود عن سالم بن أبي الجعد ]

شيء رائع جداً ، الدين ليس معلومات ، وليس طقوساً ، وليس أعمالاً فحسب ، بل هو اتصال بالله عز وجل ، وإحسان إلى المخلوق ، ماذا قال سيدنا عيسى ؟ قال تعالى :

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

[ سورة مريم : 31 ]

جوهر الدين أن تكون لك هذه الصلة بالله عز وجل ، وهذه الصلة لا تتعقد إلا إذا كنت في وضع يرضي الله عز وجل ، إذا كنت مستقيماً ، إذا كنت محسناً ، إذا كنت طاهراً ، إذا كنت مخلصاً هكذا .

بعض الآثار التي وردت بمناسبة النصف من شعبان :

شيء آخر :

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : فَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ فَإِذَا هُوَ بِالنَّبِيعِ رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ ؟ قَالَتْ : قَدْ قُلْتُ وَمَا بِي ذَلِكَ وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتِ بَعْضَ نِسَائِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرِ مَنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمٍ كَلْبٍ ))

[ مسلم عن عائشة ]

قبيلة كلب أكثر القبائل العربية إطلاقاً من حيث الغنم ، تملك غنماً لا يعد ولا يحصى ، والنبي عليه الصلاة والسلام هكذا قال ، وروي عنه أيضاً :

(( عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَطَّلِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَعْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا لاثْنَيْنِ مُشَاحِنٍ وَقَاتِلِ نَفْسٍ ))

[ أحمد عن عبد الله بن عمرو ]

ويلحق هذا النمام الذي يفرق بين الناس ، ينقل كلاماً من جهة إلى جهة ، يلحق بهذا عاق الوالدين ، يلحق بهذا أكل الربا ، يلحق بهذا لالعاب القمار ، يلحق بهذا تارك الصلاة ، الزاني ، الغشاش ، أما من تاب وقضى ما عليه من حقوق فيتوب الله عليه ، هذه بعض الآثار التي وردت في مناسبة النصف من شعبان .

### صيام أيام شوال ترميم وصيام أيام شعبان تهيئة واستعداد :

مرة ثانية وأخيرة : كأن الله سبحانه وتعالى يريدنا في هذه الليلة قائمين في عبادته، صائمين ذلك اليوم الذي يأتي بعد تلك الليلة ، لعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ، ويغفر لنا ، ويفرح عنا ما نحن فيه ، وبشكل أو بآخر إن شهر شعبان تهيئة لرمضان ، واستعداد له ، كيف أن السنة القبلية استعداد وتهيئة وأن السنة البعدية ترميم ، أي يجب أن تصلي هذه الصلاة بشكل متقن ، فمن أجل الحفاظ على ركعاتها الأربع تصلي قبلها تهيئة لها ، وبعدها ترميماً لما فاتك منها ، كيف أن السنة القبلية من معانيها - طبعاً هذا شيء اجتهادي - أنها تهيئ الإنسان لصلاة الفرض وأن البعدية ترمم ما فاته من الفرض ، كذلك هذا الشهر الفضيل شهر شعبان يهيئ لرمضان ، وصيام ستة أيام من شوال ترمم ما فات من رمضان ، يوم من أيام رمضان لم تكن الوجهة كما يريد الله عز وجل ، صيام أيام شوال ترميم ، وصيام أيام شعبان تهيئة واستعداد.

### الإسلام عقائد و عبادات و معاملات و أخلاق :

الآن عودة إلى شهر الصيام ، كلنا يعلم أن في الإسلام عقائد ، وفي الإسلام عبادات ، وفي الإسلام معاملات ، وفي الإسلام أخلاق ، حينما يخطئ الإنسان فيظن أن الإسلام فقط عقيدة ، عقيدته متينة ، الإسلام عبادة ، وهناك من يخطئ فيظن أن الإسلام عبادة فقط يؤدي صلواته ، أما النفل وقيام الليل فلا يتعلم ولا يرقى بعلمه ، ولا يرقى بعمله الصالح ، كأن الإسلام عنده عبادة ، هذا الذي فهم الإسلام عبادة فهم جزءاً من الدين ، والذي فهمه عقيدة فهم جزءاً آخر ، والذي فهمه معاملات وأحكاماً شرعية فهم جزءاً آخر ، والذي فهمه أخلاقاً وقلباً مفعماً بحب الله عز وجل فهم جزءاً رابعاً ، ولكن الإسلام هو كل هذه الأجزاء مجتمعة ، لذلك لا ينصر هذا الدين

إلا من أحاطه من كل جوانبه ، الحد الأدنى أن تكون لك عقيدة متينة ، وأن تكون لك عبادة كما أراد الله ، وأن يكون لك انضباط وفق الأحكام الشرعية في المعاملات ، وأن تكون لك نفس طاهرة ، عفيفة ، منيئة ، كما أراد الله عز وجل .

فيجب أن تكون حركتك على أربعة خطوط ، وأن يكون جهادك على أربع جبهات، وأن تستكمل العقيدة الصحيحة من جهة ، وأن تستكمل العبادة الصحيحة من جهة ثانية، وأن تستكمل معرفة أحكام الفقه ولا سيما في عمك من جهة الثالثة ، وأن تستكمل تطهير قلبك من الدرن والذنس من جهة رابعة .

### موقع الصيام من الإسلام :

الآن الصيام ما موقعه من الإسلام ؟ يوجد عندنا عقيدة ، وعبادة ، ومعاملات ، وأخلاق ، موقعه من العبادات ، الحقيقة الصلاة عماد الدين ، صوم وصلاة وحج وزكاة ، في الصلاة معنى الصيام ، الإنسان في الصيام لا يأكل ولا يشرب ، ولكنه في الصلاة لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم بكلام الناس ولا يلتفت ، إذاً أعلى درجات الصيام وأنت في الصلاة ، وفي الصلاة معنى الحج لأنك تتجه إلى بيت الله الحرام ، وفي الصلاة تذكر الشهادتين في القعود ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وفي الصلاة اتصال بالله عز وجل ، إذاً الفرض الوحيد الذي لا يسقط بحال ، الفرض المتكرر الذي لا يسقط بحال هي الصلاة ، الصلاة عماد الدين ، عصام اليقين ، سيدة القربات ، غرة الطاعات ، معراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات ، الصلاة ذكر ، الصلاة قرب ، الصلاة خشوع ، الصلاة مناجاة ، الصلاة دعاء ، الصلاة طهور ، الصلاة حضور ، الصلاة نور .

الآن دقق أن الصيام من أجل الصلاة ، وأن الحج من أجل الصلاة ، وأن الزكاة من أجل الصلاة ، فاتني أن أقول : في الصلاة معنى الزكاة أيضاً لأنك إذا أغلقت محلك التجاري وتوجهت إلى المسجد لتصلي هذا وقت ، والوقت له ثمن ، لو أنك بقيت وراء مكتبك لبعت واشترت ، إذاً أنت في الصلاة تأخذ من الصيام طرفاً ترك الطعام والشراب والكلام والالتفات ، تأخذ من الحج الاتجاه إلى بيت الله الحرام ، وتأخذ من الزكاة أنك تتفق أصل المال وهو الوقت ، وتأخذ من الشهادتين أنك تشهد أن لا إله إلا الله .

إذاً في الصلاة شهادتان ، وفي الصلاة نوع من الصيام ، وفي الصلاة نوع من الحج ، وفي الصلاة نوع من الزكاة ، وفي الصلاة صلاة ، إذاً العبادة الأولى هي الصلاة ، الآن الصيام من أجل الصلاة ، طبعاً أنت تصلي ولكن الله عز وجل يريد أن يرفع مستوى هذه الصلاة . زكيت مالك من أجل أن تصلي ، قال تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[ سورة التوبة : 103 ]

تصلي من أجل أن تصلي ، وتزكي من أجل أن تصلي ، وتصوم من أجل أن تصلي ، وتحج من أجل أن تصلي ، لكن طابع الصلاة في الحج الدعاء ، دعاء عرفة ، دعاء منى ، دعاء الملتزم ، دعاء الطواف ، السعي بين الصفا و المروة ، الدعاء أمام النبي عليه الصلاة والسلام ، جوهر الحج الدعاء ، نوع الصلاة في الحج دعاء ، وفي رمضان تصوم جوارحك عن المعاصي ، ويصوم فمك عن الطعام والشراب ، ويصوم قلبك عما سوى الله ، هذا صيام العوام ، وصيام الخواص ، وصيام خواص الخواص ، صيام العوام عن الطعام والشراب ، وصيام الخواص عن المعاصي والآثام ، وصيام خواص الخواص عما سوى الله ، فالصيام من أجل الصلاة . تأتي صلاة التراويح من أجل أن تقبض الثمن ، إذا كنت طوال اليوم في يقظة تامة ، وفي صحوة تامة ، وفي انضباط شديد ، وفي حرص على طاعة الله لا حدود له ، في بذل ، و إنفاق ، ودعوة ، وأمر ، ونهي ، وكنت قد أكلت كما أراد الله عز وجل في الحد المعتدل من أجل أن تنتشط لهذه الصلاة ، صلاة التراويح .

إذاً لاحظ معي أن الصلاة هي عماد الدين ، تصلي كل يوم خمس مرات ، يأتي رمضان يرتفع مستوى الصلاة ، تأتي الزكاة ترفع مستواها ، يأتي الحج فيرفع مستواها ، هكذا .

### فوائد الصيام :

لكن من السذاجة ، ومن ضيق الأفق أن تظن أن الصيام له فائدة واحدة ، أي هذا ينطبق على الإنسان ، الإنسان إذا أمر بأمر ، وجه توجيهاً ، يكون في ذهنه هدف واحد فالأذكىاء يقولون لك: ضرب عصفورين بحجر ، أي حقق هدفين في عمل واحد ، لكن أمر الله عز وجل فوائده لا تعد ولا تحصى ، لو حدثتكم لوقت طويل طويل عن فوائد الصيام كل هذا صحيح . وليس لنا الحق أن ننفي شيئاً ونثبت شيئاً ، أمر الله عز وجل لا يحد خيره ،

أمر الله عز وجل لا يجد نفعه ، أي إذا إنسان قال : صوموا تصحوا كلامه صحيح . لو أنك سألت طبيباً يقول لك : هذه الأجهزة ، والأمعاء ، والمعدة ، والأوردة ، والشرايين مثقلة بالهضم ، والتصفية ، والدوران ، يأتي هذا الشهر صيانة لهذا المعمل العظيم ، صيانة كاملة حينما يجوع الإنسان يحصل تجريف في الأوعية الدموية ، في الأمعاء يحصل شيء من استهلاك الخلايا الميتة ، هذا بحث طويل يحتاج إلى أطباء مختصين .

ما فوائد الصيام ؟ إذا قلنا : إن الصيام له فوائد صحية ، هل معنى هذا أن هذا الكلام غلط ؟ لا ، الله عز وجل سلط الأضواء إن صح التعبير على التقوى ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[ سورة البقرة 183 ]

لكن إذا سلط الله الأضواء على التقوى ليس معنى هذا أن الفائدة الوحيدة من الصيام هي التقوى ، هناك فوائد لا تعد ولا تحصى ، ولكن أتمنى إن شاء الله في درس من دروس التفسير أن أخص آية الصيام بدرس خاص . أي قبل رمضان بأسبوع هذه الآية أجعلها محور الدرس إن أكرمني الله وأعانني ، وبدءاً من الدرس القادم نبدأ الحديث عن بعض أحكام الصيام ، وأتمنى أن يأتي رمضان وقد أتقنا أحكام الصيام ، واجبات الصيام ، سنن الصيام ، المستحبات ، المكروهات ، المفاسد نحتاجها جميعاً ، هذه إن شاء الله في درس آخر نبدأ بها، وفي رمضان نتمنى أن نعالج موضوع الزكاة ، لأن موسم الزكاة في رمضان أيضاً ، وموضوع الاعتكاف ، وموضوع ليلة القدر ، وموضوع الإنفاق وما شاكل ذلك .

### الصوم طاعة لله عز وجل و إخلاص له :

لكن بشكل بسيط غير معقد ، الصوم طاعة لله عز وجل ، أنت عبد من عباد الله وجاءك خطاب إلهي يقول لك: كتب عليكم الصيام ، أنت حينما تصوم بادئ ذي بدء تشعر أنك في طاعة الله ، وأن هذا الذي خلقك ذاك الإله العظيم أمرك بترك الطعام والشراب ، أمرك بما هو مباح ، له أوامر كثيرة ؛ دع الكذب ، السرقة ، النظر إلى النساء ، الاحتتيال ، الكبر ، الغرور ، أوامر الدين مفعمة بالأمر والنهي ، ولكن ما يلفت النظر في رمضان أن كل هذه الأوامر والنواهي متعلقة تعلقاً مباشراً بمصلحة الإنسان ، إذا غض بصره عن محارم الله كان عفيفاً ، وثمار العفة وفاق زوجي ، إذا أكل مالاً حلالاً حصن الله هذا المال ، إذا كان متواضعاً أحبه الناس ، إذا كان صادقاً احترمه الناس ، ما من أمر وما من نهي إلا وهو متعلق تعلقاً مباشراً بمصلحة الإنسان ، ولكن إذا قال

الله لك : دع الطعام والشراب ، وأنت في البيت لوحدهك والأيام أيام حر ، والثلاجة فيها ما لَدَّ وطاب ، والماء عذب فرات بارد ولا يوجد أحد ، والأبواب كلها مغلقة ، والنوافذ مغلقة ، وأنت في حالة عطش شديد ، هذه طاعة لها طعم خاص ، هذه لله وحده ، كأني بالصيام عبادة من عبادات الإخلاص ، أنت إذا تركت الكذب تشعر بعزة، تنتزع إعجاب الآخرين ، الناس يثنون عليك ، فترك الكذب لا تدري أهو ابتغاء العزة عند الناس أم ابتغاء مرضاة الله ؟ الله أعلم ، ترك مثلاً الاحتيال ، أو ترك الكبر ، هو موقف ذكي أو موقف عبودي لله ؟ لا نعرف ، هناك مواقف ذكية تلتقي مع مواقف العبودية ، الإنسان أحياناً يكون متواضعاً بشكل رائع جداً ، الناس يحبونه وينطوي على كبر لا يعلمه إلا الله ، أما الغلاف فتواضع والجوهر كبر ، هذا موقف ذكي ، ولكن موقف العبودية موقف آخر ، لكنك إذا دخلت إلى البيت وكنت صائماً ، وصنبور المياه جاهز ، والكؤوس جاهزة ، والطعام لذيذ ، وأنت في حالة جوع شديد ، أنت إذا أكلت لا زانيت ، ولا سرقت ، ولا كذبت ، ولا فعلت شيئاً ، أكلت فقط، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[سورة البقرة 183]

بادئ ذي بدء هذه الطاعة من نوع خاص ، ترك للمباح لا ترك للخبيث ، الله عز وجل ماذا حرم ؟ حرم علينا الخبائث وأحل لنا الطيبات .

هذا الصيام ترك الطيبات ، لحم خنزير لا نأكل ، خمر لا يشرب المسلم ، أما ممنوع أن يأكل أكلاً عادياً ، ممنوع أن يشرب ماء ، إذا أعلى درجات العبودية لله عز وجل يتبدى في الصيام ، لأن الله أمرك أن تترك المباح ، أحياناً نحضر مثلاً يوضح ذلك ، أب يأمر ابنه أن يعتني بأسنانه قد يعنفه ، يسأله : أنظفت أسنانك قبل أن تنام؟ يقول له : لا ، فيقول له: قم ، ينزع عنه اللحاف ويأمره أن ينظف أسنانه ، هذا الأمر للابن بالأساس ، أما لو أن الابن أمر ابنه أن يدع الطعام ؛ الطعام طيب والابن جائع يقول له : لماذا أترك الطعام ؟ ماذا فعلت؟ لا يرضى، أما إذا كان الابن على مستوى رفيع يقول : حاضر يا أبي ، هو عندما قال له : نظف أسنانك وأعطاه الأمر ، أو لا تكذب ، أو دع هذا ، العمل واضح لمصلحة الابن ، أما الطعام موضوع والأسرة ملتزمة حول الطعام ولا يوجد سبب إلا أنه : دع الطعام يا بني ، فقال له: حاضر هذا مستوى عال جداً ، كأن الله عز وجل يدريك على أن تكون متمثلاً لأعلى درجات العبودية له ، الطعام والشراب متوافر وأنت تخاف الله رب العالمين ، لسبب قد يكون في الحمام ويأخذ ماءً بارداً ، عذباً ، فراتاً ، زلالاً ، يغتسل به ، من يدري لو أنه مص مصةً منه ؟ لا أحد يدري،

هذا الصيام يعلمك طاعة الله عز وجل في الأشياء المباحة لا في الأشياء المحرمة ، ويعلمك الإخلاص ، أيستطيع الشيطان أن يقول لك : أنت منافق في هذا الصيام ؟ هذا غير ممكن ، المنافق يأكل بينه وبين نفسه ، وأمام الناس الحمد لله أنا صائم ، ويقول : الله أكرمنا بالصيام وعندما يدخل يشرب الماء ، هذا منافق ، لكن أيجرؤ الشيطان أن يقول لك : أنت منافق في هذا الصيام ؟ هذا مستحيل ، كأن الصيام يعلمك أقصى درجات العبودية لله عز وجل ، وكأن الصيام يعلمك الإخلاص لله عز وجل ، إذا الإنسان يوجد معه وسواس ، والشيطان متملكه ومتحكم به ، يمكن أن ينفذ منه بأن ينفق مالاً من دون أن يتكلم عن هذا الإنفاق ، أنفقت يمينه ولم تعلم شماله وبقي ساكناً ، يقطع بهذا وسواس الشيطان ، يصلي الليل ويبقى ساكناً هذا هو الإخلاص ، يصوم نفلًا ويبقى ساكناً .

### الصيام دليل الإيمان :

إذا فوائد الصيام لا تعد ولا تحصى ، ولكن من أولى فوائده أنه طاعة لله عز وجل، يثاب الصائم عليها ، وينال بها رضا الله عز وجل ، وتكون له وقاية من عذاب الله يوم القيامة ، مثلاً يجوز أن تلتقي مع إنسان ذكي جداً يقول لك : سألو أستاذاً في الجامعة عن عاداته اليومية ، قال : أنا أنام باكراً ، ولا أدخن ، ولا أشرب الخمر . أي انطلق هذا من مصلحته الشخصية ، رأى أن ساعات الليل الأولى لا تعدلها أضعاف الساعات في آخر الليل ، شعر أن هذا الليل تصميمه من أجل النوم ، فإذا نام باكراً واستيقظ باكراً شعر بنشاط انطلق إلى عمله بوقت مبكر ، وصار ينام باكراً ، ورأى أن الدخان يتلف رئتيه ، ويتلف قلبه ، وأوعيته ، تركه ، ورأى أن الخمر مادة مخرشة تذهب العقل ، فترك الخمر، وترك السهر ، وترك الدخان ، هل يعد هذا عبادة ؟ لا والله هذا موقف ذكي، هذا موقف مصلحي ، المؤمن ينام باكراً ويدع هذا وذاك ، ولكن يفعل هذا تعبدًا ، وشتان بين التعبد وبين المصلحة ، لكن الصيام أعلى درجة من العبودية ، لذلك قالوا : الصيام دليل الإيمان ، لماذا ؟ لأن الصائم يدع طعامه وشرابه وشهوته ابتغاء مرضاة الله وامتثالاً لأمره ، فصيامه برهان عملي على أنه يفضل حب الله عز وجل على حب كل شيء سواه ، دليل عملي وقطعي أمام الشيطان أنك تؤثر مرضاة الله عز وجل على كل شيء .

طبعاً يوجد أشخاص يحتالون على الله ، يجعل سفره في رمضان ويقول لك : الله عز وجل سمح لنا بالإفطار في السفر ، أي هذه السفرة مفتعلة ، إذا جاء السفر طبيعياً في هذا الشهر بحث آخر ، أما أحياناً فيكون السفر مقصوداً في هذا الشهر حتى ينجو من صيام أيام الصيف الطويلة ، المؤمن الصادق يعبد الله عز وجل في كل

أشهر العام ، إن جاء رمضان في آب ، وفي تموز ، وإن جاء في نيسان ، وإن جاء في أيام الشتاء ، وهو برهان عملي على أن الصائم يؤثر مرضاة الله عز وجل على شهوات الدنيا ومغرياتها ، قال عليه السلام :

(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ ))

[ متفق عليه عن أنس ]

لا ترقى إلى مستوى الإيمان الصحيح إلا إذا وجدت حلاوة الإيمان ، ذاق طعم الإيمان ، أي المؤمن يجب أن يقول : ليس في الدنيا من هو أسعد مني ، وليس معنى هذا مادياً قد يكون محاط بآلاف المشكلات ، ابتلاءً ، وامتحاناً إلى آخره ، لكنه سعيد لأنه في طاعة الله ، ولأنه قد عرف الله ، ولأنه على منهج الله ، من هنا تتبع سعادته .

\* \* \*

### قصة الصحابي الجليل عثمان بن مظعون :

والآن إلى قصة صحابي جليل من صحابة رسول الله عليهم رضوان الله تعالى ، هذا الصحابي اسمه عثمان بن مظعون ، هذا الصحابي الجليل ترتيبه في الإسلام أربعة عشر ، أي كان المسلم الرابع عشر في الإسلام ، حينما أسلم لم يكن قد أسلم قبله إلا ثلاثة عشر رجلاً وهو الرابع عشر ، هذا الصحابي الجليل هو أول المسلمين هجرةً وأولهم دفناً بالبيع ، شاءت كتب السيرة أن تصفه بأنه راهب ، كان زاهداً في الدنيا ، النبي عليه الصلاة والسلام وصفه فقال: " يرحم الله ابن مظعون لم يصب من الدنيا ولم تصب منه ". أي أخذ الأحوط ، طبعاً حينما دعى النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى هذا الدين الجديد سراً كان عثمان بن مظعون من أوائل هؤلاء الذين استجابوا لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الله عنه :

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[ سورة التوبة : 128 ]

حينما بالغت قريش في تعذيب المسلمين ، وفي إيذائهم ، وفي التضييق عليهم ، وفي ملاحقتهم ، أشفق النبي على أصحابه ، وأمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، وكان عثمان بن مظعون من أولئك الذين هاجروا إلى الحبشة ، بل جعله النبي عليه الصلاة والسلام أميراً على هؤلاء الفوج الأول الذين هاجروا إلى الحبشة . الحقيقة دائماً الكلمات شيء والواقع شيء آخر ، لي مثل مشهور : كلمة ألف مليون نطقها سهل ، وكتابتها أسهل ، اكتبها بالخط الرقعي ، الديواني ، الثلثي ، الفارسي ، وزخرفها ، وضع لها إطاراً ، واذكرها بلغة فصحي ، ولغة عامية ، ولكن بين أن تذكرها بشتى اللغات وبين أن تكتبها بمختلف الخطوط ، وبين أن تملكها فرق شاسع .

فالصحابة الكرام كانوا في مستوى الدعوة ، نحن بإمكاننا أن نتكلم ونقول : هذا الصحابي هاجر ، هل تعرف ما الهجرة ؟ تصور إنساناً مستقراً في بيته ، وعمله ، في محله التجاري ، في وظيفته ، وله زوجة وأولاد ، ترك كل هذا ورحل ، إلى أين ؟ إلى أرض مقفرة لا يعرف فيها أحداً ولا يملك فيها شيئاً ، كما قيل : لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها ، نحن نفتخر ونعتز بهؤلاء الصحابة أنهم هاجروا ، لكن هل تعلم ما تعني الهجرة ؟ تعني قطع الجذور ، استئصال الإنسان من جذوره ، تعني أن ينتقل من كل شيء إلى لا شيء .

هؤلاء الصحابة الكرام عندما هاجروا ، كأنهم هاجروا إلى الله عز وجل ، طبعاً حينما التقوا بالنجاشي ، النجاشي سألهم عن دينهم ، وكلكم يعلم أن سيدنا جعفر هو الذي خاطبه وقال : " أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته ، وصدقه ، وعفافه "

سيدنا عثمان بن مظعون له ابن عم بالغ في إيذائه حينما كان في مكة ، ففي غربته كان لا يزال ألم الضر ملماً في نفسه ، ربنا عز وجل ماذا قال ؟

﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾

[ سورة الضحى : 5 ]

هذه ولسوف رائعة جداً ، الآن قد تكون غير راض ، الآن في طور المعالجة ، الآن في طور العمل ، الآن في طور التكليف ، الآن في طور الجهد ، الآن في طور الإعداد ، إذا المؤمن قرأ هذه الآية يذوب قلبه حباً لله عز وجل ، كأن الله يواسيك ، كأن الله عز وجل ينسيه آلام الحياة ، وربنا عز وجل قال :

## ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الأعراف: 128]

فالإنسان المؤمن بحسب ما اهتدى إلى الله عز وجل يعرف الشيء قبل وقوعه ، يعرف أن العاقبة للمتقين ، يعرف أن الله سبحانه وتعالى سوف يكرم عباده المؤمنين ، أما الآن فأنت في طور ، هذا الذي يحملك على الصبر ، أنت موعود ، خالق الكون يؤكد لك أنه معك وأنتك بعين رعايته ، وأنه سوف ينصرك ، وأنه يدافع عنك ، وأن العاقبة لك ، هكذا ، متاعب الحياة ما الذي يحملنا على تحملها ؟ ثققتا بعبء الله عز وجل ، وثقتنا برضوانه ، وثقتنا بأن الأمور لا بد من أن تستقر على شيء يرضي المؤمن ، قال هذا الصحابي وكان شاعراً ويخاطب ابن عمه :

وَحَارِبْتَ أَقْوَاماً كَرَاماً أَعَزَّةً وَأَهْلَكْتَ أَقْوَاماً بِهِمْ كُنْتَ تَفْرَعُ  
سَتَعْلَمُ إِنْ نَابَتْكَ يَوْمًا مَلْمَةٌ وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ

\*\*\*

انظر المؤمن هذه النظرة المستقبلية رائعة عنده ، الكافر يعيش وقته ، هو ابن لحظته ، ابن وقته ، يستمتع بهذه اللحظة بطريق مشروع أو غير مشروع ، أما المؤمن فيدبر لعواقب الأمور .

جاءت أخبار كاذبة ولم يعلموا أنها أخبار كاذبة أن قريشاً أسلمت جميعاً ، وأنها أسلمت مع النبي عليه الصلاة والسلام لله الواحد القهار ، أخبار رائعة ، فالصحابية الكرام الذين في المهجر - في الحبشة - عادوا إلى مكة وقد طارت قلوبهم فرحاً ، ولكنهم ما كادوا يقتربون من مكة حتى تبينوا كذب الخبر الذي بلغهم عن إسلام قريش ، وساعتئذ أسقط في أيديهم ، ورأوا أنهم قد عجلوا ، ولكن أين يذهبون وهذه مكة على مرمى البصر ؟ دخلوا مكة وسمع مشركو مكة بمقدم الصيد الثمين الذي طالما طاردوه ، ونصبوا لهم شباكهم ، ثم ها هو الآن تحين فرصته وتأتي مقاديره . الآن في الجاهلية كان هناك تقليد مرّ بنا سابقاً ، كان في موضوع الجوار تقليد رائع من تقاليد العرب في الجاهلية ، أي إذا دخل رجل مستضعف في جوار سيد قرشي أصبح في حمى منيع لا يهدر له دم ، ولا يضطرب له مأمّن ، من أجل هذا ظفر بالجوار من هؤلاء الأصحاب قلة من بينهم عثمان بن مظعون الذي دخل في جوار الوليد بن المغيرة ، دخل هذا الصحابي الجليل مكة آمناً مطمئناً ، مضى يعبر دروبها ، ويشهد ندواتها ، في جوار الوليد بن المغيرة من سادة قريش الكبار ، طالما هناك جوار لا يوجد تعذيب ، وتتكيل ،

وتضييق .

لكن ابن مظعون الرجل الذي صقله القرآن ، وعلمه النبي العدنان تلفت حوله فرأى أخوانه المسلمين من الفقراء والمستضعفين الذين لم يجدوا لهم من يجيرهم ، ولا من يجبرهم ، يراهم والأذى ينوشهم من كل جانب ، وقوى البغي تطاردهم في كل سبيل ، بينما هو آمن في سربه ، بعيد من أذى قومه ، آلامه أن تكون له هذه الميزات ، آلامه أن ينعم بهذا الجوار ، آلامه أن يكون في نعمة العافية ، وإخوانه المؤمنين في شقاء التعذيب ، آلامه أن يتميز عليهم ، آلامه أن يكون واحداً قد نجا من هذا البلاء .

طبعاً هذا موقف خاص ، يوجد عندنا موقف شرعي وموقف شخصي ، الإنسان أحياناً يقف موقفاً شرعياً لا مؤاخذاً عليه ، وأحياناً يقف موقفاً شخصياً ، سيدنا الصديق يروى عنه أنه شرب لبن تبين أنه مشبوهُ ففاهه ، هذا موقف شخصي، سيدنا عمر لما هاجر علانيةً هذا موقف شخصي ، الموقف الشرعي كما فعل النبي ، فدائماً فرق بين الموقف الشخصي وبين الموقف الشرعي ، إذا كنت وفق الشرع فأنت آمن ، وإذا أردت أن تغوز بشيء خاص وقفت موقفاً آخر فالله سبحانه وتعالى يقبل هذا الاجتهاد . سيدنا عثمان ما تحمل أن يعيش هو في مكة في حماية الوليد بن المغيرة وأصحابه يعذبون ، وينكل بهم ، ويضيق عليهم ، على كل استمعوا إلى قوله هو ماذا فعل ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما في أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان الوليد بن المغيرة قال : والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي . أنا أجدو وأروح في طمأنينة وأصحاب رسول الله يضيّق عليهم وينكل به ويعذبون ، ما شعر أنه في موقف كامل ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس - انظروا إلى هذا الموقف اللطيف ، الموقف العالي - وقت ذمتك ، وقد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يا بن أخي لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ، ولكنني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره . من الأدعية التي تؤثر بالنفس : يا ربي ليس لي أحد سواك ، اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً ، اجعل آمالك كلها معقودة على الله سبحانه وتعالى .

جاء مرة خليفة وحج بيت الله الحرام فسأل عن بعض علمائها الكبار وكان اسمه أبا حازم ، فقال : يا أبا حازم سلني حاجتك ؟ قال : والله إنني أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله ، فهذا الخليفة أراد أن يكرمه ، فلما غادر بيت الله الحرام التقى به خارج البيت ، قال له سلني حاجتك هنا المكان مناسب ؟ قال : والله ما سألتها ممن

يملكها أفأسألها ممن لا يملكها ؟ التقى به مرةً ثالثة ، قال له : سلمي حاجتك ؟ قال له : أريد أن تدخلني الجنة ، قال : هذه ليست لي ، قال : إذاً ليس لي عندك حاجة .

سيدنا عثمان بن مظعون ما أحب أن يكون في حماية مشرك ، الله عز وجل هو العزيز ، هو الكريم ، فقال له : لم يا بن أخي لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ، ولكنني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره ، فانطلق إلى المسجد وردد عليّ جواربي علانيةً كما أجزتني علانيةً ، فانطلقا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء . . . . .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 010 - 127 ) : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-06-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... مع الحديث النبوي الشريف، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(( من نَفَثَ عن مؤمنٍ كُربةً من كرب الدنيا نفث الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى قط يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ))

حديثٌ دقيقٌ جداً فيه وصفٌ لأبواب الخير، ولكن يقفز إلى الذهن سؤال؟ لماذا يزهد الناس في الخير؟ أبواب الخير مفتحة بل كلما ضاقت الأمور، كلما اشتد الأمر على الناس تغدو الأبواب أكثر تفتُّحاً، هؤلاء الأقوياء، هؤلاء الأغنياء، هؤلاء الذين بإمكانهم أن يفعلوا شيئاً ما، أبواب الخير مفتحة أمامهم على مصارعها، السؤال: لماذا يعزف معظم الناس عن فعل الخير؟ هذا سؤال.

الإنسان أيها الإخوة إذا تأمل في الكون، أو قرأ القرآن، لأن الكون يجيّد أسماء الله الحسنى، والقرآن كلام الله عز وجل، إن جال متأملاً في آيات الكون، أو درس ما في القرآن الكريم، توصل إلى أن الإنسان هو المخلوق الأول والمكرم، وأن الله سبحانه وتعالى سخر الكون كله؛ بسماواته وأرضه لهذا الإنسان، وأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، ما هو رد الفعل عند هذا الإنسان؟ إذا إنسان كرمك، أعطاك، نَعَمَك، رفع شأنك،

أعطاك حاجتك، ما رد الفعل عنده ؟ إذا آمنت بالله يجب أن تحبه، هناك حديثٌ دقيقٌ جداً، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( أَرْجَحُكُمْ عَقْلاً أَشَدَّكُمْ لَهَّ حَباً ))

يبدو أن هناك علاقة ترابطية بين العقل والحب، فكلما ازداد عقلك ازداد حبك لله عزَّ وجل، كلما استخدمت عقلك في فهم عظمة الكون، ومن خلال ذلك تعرف عظمة الله عزَّ وجل، كلما نشأ في قلبك انفعال، ما الإنسان ؟ الإنسان عقل وقلب، عقلٌ يدرك وقلبٌ يحب، وهناك ترابطٌ بينهما، فإذا آمنت بالله يجب أن تحبه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث يقول:

(( أَلَا لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا مَحَبَّةَ لَهُ ))

(( أَرْجَحُكُمْ عَقْلاً أَشَدَّكُمْ لَهَّ حَباً ))

هناك ترابط ؛ كلما ازداد إيمانك ازدادت محبتك.

(( وَاللَّهِ لَا تَوَافُونَ حَتَّى تَحَابُوا ))

( من الجامع لأحكام القرآن: عن " أبي هريرة " )

تحب من ؟ هنا السؤال تحب من ؟ الله سبحانه وتعالى الذي خلقك من قبل ولم تك شيئاً..

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً (1) ﴾

( سورة الإنسان )

الله سبحانه وتعالى هو الذي منحك نعمة الوجود، أنت موجود ؛ لك اسم، لك هوية، لك وزن، لك حياة انفعالية، حياة عقلية، لك بيت، لك زوجة، لك أولاد، أنت موجود، من منحك نعمة الوجود ؟ الله سبحانه وتعالى. أنت موجود، وقد أمدك الله بالنعم كلها، من هو الذي أمدك بهذه بالنعم كلها ؟ الله سبحانه وتعالى.

أنت موجود، وتأكل وتشرب وتعيش، من ذلك عليه ؟ من أرشدك إليه ؟ الله سبحانه وتعالى. إذاً كلما ازداد عقلك ازداد حبك.

إذاً من لوازم الإيمان أن تحب الله عزَّ وجل، آمنت به حقاً، إذا يجب أن تحبه صدقاً، لذلك بعض العلماء يشبهوا العقل كالمقود، والقلب كالمحرك، فالمقود والمحرك متكاملان، ما قيمة محرك بلا مقود ؟ لابد من الدمار والهلاك، محرك مندفع بقوة بلا مقود، ما قيمة المقود بلا محرك ؟ جمود وموت، مركبة بمقود بلا محرك، مركبة أخرى بمحرك بلا مقود العقل هو المقود والقلب هو المحرك، بالمقود أو العقل تحكم سير المركبة على الطريق الصحيح، وإلى الهدف الصحيح، وبالقلب وما فيه من حبٍ تتحرك على هذا الطريق، إذاً إن لم ينشأ في قلبك حبٌ لله عزَّ وجل بادئ ذي بدءٍ، فهذا يعني أن الإيمان غير صحيح، إذا صح الإيمان وجب الحب، الحب من لوازم الإيمان.. "ألا لا إيمان لمن لا محبة له".

وربنا سبحانه وتعالى في كتابه ذكر فقال:

### ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

(سورة المائدة: من آية " 54 ")

يعني كلمة الحب في القرآن وردت، من لوازم المؤمن أنه يحب الله عزَّ وجل، ولكن هناك تعليق لطيف، نقول لكم مثلاً: لو أن إنساناً عيّن موظفاً عنده، وأعطى هذا الموظف المعاش الكبير، أعطاه بيتاً، أعطاه مركبةً، أعطاه كل ما يحتاج، أكرمه، فضله، رفع شأنه، يسّر له حاجاته، يا ترى هذا الموظف ألا ينبغي أن يحب صاحب متجره، أو صاحب معمله ؟

لكن متى يُحب هذا الموظف ؟ الآن كرمناه ولكن متى يحب ؟ إذا تقانى في خدمة سيده، إذا عرف له فضله، إذا تقانى في الإخلاص له، الآن سيده يحبه، سيده أكرمه أولاً، فإذا عرف فضله وتقانتى في خدمته، الآن سيده يحبه بعد أن أكرمه، هذا مثل.

الله عزَّ وجل خلق الكون، وخلق الإنسان، ومنحه كل شيء ؛ ومنحه نعمة الوجود، ونعمة الهداية، ونعمة الإمداد، وجعل له سمعاً، وبصراً، وعقلاً، وأعضاء، وأجهزة، وجعل له أسرة، وزوجة، وأولاد، هذا الذي جعله له يستوجب أن يحب العبد ربه، فإذا أحب العبد ربه، واستقام على أمره، وتقانى في خدمة عباده، الآن تأتي محبة الله لهاذ العبد..

### ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾

( سورة البقرة: من آية " 222 " )

### ﴿ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195) ﴾

( سورة البقرة )

### ﴿ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) ﴾

( سورة المائدة )

### ﴿ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (108) ﴾

( سورة التوبة )

يحب المؤمنين، يحب الصادقين، إذاً هناك محبة للعبد للرب، وهناك محبة الله سبحانه وتعالى للعبد، محبة العبد للرب أساسها تسيير الكون، وهذه النعم التي أسبغها الله علينا. والنبى عليه الصلاة والسلام يقول:

(( أحبوا الله بما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي ))

( من الجامع الصغير: عن " ابن عباس " )

هناك محبة هي الأصل، وهناك محبة هي الفرع، محبة الله عزَّ وجل هي الأصل، أن تحب النبي عليه الصلاة والسلام هذه محبة ناتجة عن حب الله عزَّ وجل، لذلك حب النبي عليه الصلاة والسلام من لوازم حب الله عزَّ وجل لأنه رسوله، ولأنه المثل الأعلى، لأنه القدوة الحسنة، لأنه المثل الصالح.

الآن، إذا أحببت الله عزَّ وجل أحببت رسوله، أحببت من ذلك على رسوله، أحببت إخوانك المؤمنين لهذا الانسجام بينك وبينهم، إذاً حب رسول الله، وحب أهل العلم، وحب اخوتك المؤمنين، هذه كلها محبات ناتجة عن

محبة الله عزَّ وجل.

الآن، إذا أحببت الله عزَّ وجل وهؤلاء خلقه، وهؤلاء عباده، الآن تتطلق بشكلٍ عفوي إلى خدمة عباده تقريباً إليه، هذا هو السر الكامن وراء عزوف الناس عن فعل الخيرات، لماذا ؟ لأنك إذا أحببت الله عزَّ وجل وهؤلاء عباده، حبك لهم حبٌّ فرعيٌّ ناتجٌ عن حبك لله عزَّ وجل، فما من مسلمٍ، ما من عبدٍ مؤمنٍ يتقد قلبه بالحب لله عزَّ وجل، إلا ويندفع لخدمة الخلق، أقول: لخدمة الخلق. ومعنى الخلق أي الحيوانات معهم، يعني حيوانٌ جريحٌ، حيوانٌ جائعٌ، حيوانٌ عطشٌ، تندفع إلى خدمة الخلق أولاً، وإلى خدمة الناس ثانياً، وإلى خدمة المؤمنين ثالثاً . من باب أولى ..

الآن، إذا قرأت هذا الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ:

### (( من نفث ))

معنى نفث بمعنى فرَّج، نفث عنه كربةً، الكربة الحزن والغم الضاغطان على الإنسان، أحياناً يكون في خبر مؤلم جداً، في مشكلة، في مرض، في ضيق، في فقر، في دين، هناك همٌّ وغم يضغط على الإنسان، وهذا المؤمن عبدٌ لله عزَّ وجل والله يحبه، فإذا خدمت هذا المؤمن فكأنما عبَّرت عن حبك لله عزَّ وجل .

من نفث عن مؤمنٍ كربةً.. الكربة الهم والحزن الضاغطان على الإنسان، جمع كربة كرب.. من نفث عن مؤمنٍ كربةً.. في عندنا قاعدة وهي: أن الجزء من جنس العمل. ما حكمة ذلك ؟ حكمة ذلك تربية تعليمية، أحياناً رينا عزَّ وجل المسرف يعاقبه بالفقر، والمتكبر يعاقبه بالإهانة، والمعتدي يعاقبه بأن يُعتدى عليه، فكل ذنبٍ له عقابٌ من جنسه من أجل أن يعلم الله سبحانه وتعالى الناس ؛ أن هذه العقوبة هذا جزاؤها، هذا الذنب هذا عقابه، وكذلك الحسنات لها جزاءٌ من جنسها.

من نفث عن مؤمنٍ كربة من كرب الدنيا.. يعني مضطر للمال، يريد أن يجري عملية جراحية وهو صادق، فإذا وفَّرت له هذا المال لكي يجري هذه العملية لابنه، هذا الكرب، وهذا الضيق، وهذا الهم، وهذا الحزن فرجته عنه، شيءٌ جميل! أحياناً يحتاج إلى مال، لكنك لا تملك هذا المال، ألا يوجد حل ؟ بإمكانك أن تسعى لدى المحسنين بتأمين هذا المبلغ، أنت كأنك قدمت هذا المال، الدال على الخير كفاعله. هذا المؤمن بحاجة إلى قرض وليس

بحاجة إلى مال، هو يأبى أن يأخذ مالاً، وفُرت له هذا القرض، نفثت عنه كربةً من كرب الدنيا.

هذا المؤمن يحتاج إلى جاهك، له عند إنسان حاجة وهو محق فيها، يحتاج إلى جاهك كي تكلم هذا الإنسان، من يشفع شفاعَةً حسنة يكن له نصيبٌ منها، أنت لك مكانتك، وفلان صديقك، وهو ضعيف الشأن، فذهبت وعطلت وقتك، وحللت مشكلة هذا الإنسان، أنت نفثت عنه كربةً من كرب الدنيا، له قضية عند شخص وهو صديقك، لكنه محق، هذه نقطة وإلا أصبح في مخالفة، إذا كان أخوك المؤمن محق في طلبه، وقضيته عند إنسان يثق بك، ولك شأنٌ عنده، إذا أنت مكلفٌ أن تنفث عنه هذه الكربة، لأن الله سبحانه وتعالى وعدك أن ينفث عنك من كرب الآخرة، من كرب يوم القيامة.

أحياناً هو مريض، ولا يعرف كيف يعالج نفسه، أنت وفرت له العلاج، وفرت له الطبيب المناسب، ضيَّعت وقتك وأخذته إلى الطبيب، وفرت له الدواء لأن الدواء غير موجود، وفرت له الدواء نفثت عنه كربةً من كرب الدنيا، لذلك تستحق عندئذٍ أن ينفث الله عنك كربةً من كرب يوم القيامة، يعني الإنسان بلا عمل لا قيمة له، حججه عند الله بحجم عمله والدليل:

### ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام: من آية " 132 " )

اسأل نفسك هذا السؤال: ما عملي أنا؟ ما العمل الذي ألقى الله به يوم القيامة؟ ما قيمة سماع الدروس؟ فإذا أيقنت أن الله موجود ماذا فعلت؟ ماذا أضفت؟ ما فعلت شيئاً، الله موجود أيقنت أم لم توقن، اعترفت أم لم تعترف، أمنت أم لم تؤمن، فالإيمان لا بد منه لعمل الصالحات، ولكن عمل الصالحات هو المهم..

### ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

(سورة العصر )

لذلك: من نفث عن مؤمنٍ كربةً من كرب الدنيا.. ويبدو أن المؤمن له شأنه عند الله عزَّ وجل، ولو نفثت عن إنسان كائناً من كان جزاك الله على ذلك، ولكن عندما النبي الكريم قال: من نفث عن مؤمن لأن هذا المؤمن له شأنه عند الله عزَّ وجل، له حياؤه، له شرفه، له عزته، له كرامته، إذا أنت أمام شخصين؛ واحد ليس في وجهه

ماء يلح عليك في الطلب، ومؤمن لا يسأل، المؤمن أولى لمعاونتك، لأن هذا عنده حياء، عنده عزة، له مكانة، وبعد هذا منضبط ؛ مستقيم على أمر الله عزَّ وجل، إن أعطيته من مالك أنفقه في الوجه الصحيح، وفي الوجه الذي يرضي الله عزَّ وجل.

فأنا لا أقول أن اجعلوا أعمالكم الصالحة منصبة على المؤمنين، لا، ولكن المؤمن أولى من غيره، لو أعطيت مالاً لإنسان، لا تدري ماذا يفعل بهذا المال، قد يشتري به منكراً، قد يفعل فيه شيئاً لا يرضي الله عزَّ وجل، إنك إن أعنت المؤمن ضمنت أن هذا المال صرف في الوجه الصحيح.

لذلك: من نفث عن مؤمنٍ كربة من كرب الدنيا.. إن بإعطائه، إن بتأمين بعض الحاجات له، تأمين الدواء، تأمين الطبيب، تأمين الوساطة عند إنسان له عنده قضية، تأمين قرض، تأمين مبلغ من المال لقضاء حاجاته. " من نفث عن مؤمنٍ كربة من كرب الدنيا نفث الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة..."

سيدنا الصديق . كما تعلقون . كان له عمل وهو في قمة المجتمع الإسلامي، كان له عمل كان يحلب الشاة لحيرانه، له جيران فقراء ليس عندهم من يحلب شياهم، فلما تولى الخلافة دخل على أهل هذا البيت الحزن، لأن هذه الخدمات سوف تنقطع، في اليوم الذي تلى تسلمه منصب الخلافة، طُرق باب هؤلاء الفقراء الأم قالت لابنتها: افتحي الباب يا بني، عادت البنت وقالت: يا أمه جاء حالب الشاة. جاء الذي يحلب لنا الشاة، سيدنا الصديق، على عظم شأنه، وعلى علو مكانته ما كان يترفع عن عمل صالح.

النبي عليه الصلاة والسلام كان يخصف نعله، ويرفُ ثوبه، ويكنس داره، ويحلب شاته ويعجن عجينه، وكان في مهنة أهله.

الإنسان كما قلت لكم له عند الله حجمٌ، وهذا الحجم يكبر بالعمل الصالح، ويصغر بالكسل.

من نفث عن مؤمنٍ كربة من كرب الدنيا نفث الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة.. إنسان في عنده بنات ؛ صالحات، مؤمنات، طبيبات لكنه غير معروف مثلاً، وأنت تعرف شاب مؤمن، فإذا شفعت بينهما، نفثت عنه كربة، البنت إذا كانت في البيت غير مزوجة الأهل يتمنوا زواجها، تأمينها مع شاب مؤمن، فإذا أنت سعيت بزواج هذا عمل طيب، كأنك نفثت عن أهل هذا البيت كربةً من كرب الدنيا، كل إنسان عنده أعلى شيء في البيت البنت، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( فاطمة بضعةٌ مني من أحبها فقد أحبني ومن أبغضها فقد أبغضني ))

( من الجامع الصغير: عن " المسور " )

كل أب يعرف أن البنت غالية كثير، فإذا جاءها شاب مؤمن، ذو خلق حسن وأنت كنت شفيح، نفثت عن هؤلاء كربةً من كرب الدنيا، فإذا البنت تجاوز سنها الحد غير المعقول تصبح هي في حيرة، وأهلها في حيرة، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( من مشى بتزويج رجلٍ بامرأةٍ كان له بكل كلمةٍ قالها، وبكل خطوةٍ خطاها عبادةٌ سنةٍ قام ليلها وصام نهارها ))

لا يكون الإنسان شيطاني، الشيطان له مبادئ في الحياة، يقول لك: أمشي بجنابة ولا تمشي في جواز. هذا مبدأ شيطاني، أما الرحماني.. من نفث عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفث الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة.. " لذلك إذا أحببت الله عزَّ وجل تدفع إلى خدمة خلقه، لأن الله يحبك إذا خدمت خلقه، " الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله " هذا سر إقبال المؤمن على العمل الصالح سر إقبال المؤمن على العمل الصالح هو هذا، وسر عزوف الناس عن العمل الصالح ضعف حبهم لله عزَّ وجل، وضعف حبهم لله من أين يأتي؟ من ضعف إيمانهم به، من ضعف معرفتهم به، كلما ازدادت معرفتك ازداد حبك.

مثلاً: أنت بحاجة إلى بيت، وزوجة، ومتجر، ومركبة فرضاً، فإذا إنسان أعطاك مبلغ من المال لا يكفي ثمن بيت، تحبه على قدر المبلغ، أما أعطاك مبلغ يكفي ثمن بيت، والله تزداد محبتكم له بقدر حجم المبلغ، أعطاك بيت ومركبة، بيت ومتجر وزوجك ابنته، فكلما كان العطاء أكبر المحبة أكبر، فإذا كان الله عزَّ وجل قد منحك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الإرشاد، وأصبحت شيئاً مذكوراً، وخلقك ليسعدك، إذاً الحب من لوازم المعرفة.

(( أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً ))

كلما نمت معرفتك بالله عزَّ وجل نما حبك له، حب الله هو الأصل، الآن، من فروع حب الله عزَّ وجل أن تحب النبي عليه الصلاة والسلام، من فروع حب الله عزَّ وجل أن تحب المؤمنين، أن تحب الخلق كلهم، لأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

الآن: من يسر على معسرٍ.. لك مع إنسان مبلغ من المال، وموقع به سند، وحلَّ الأجل وشعرت أنه صادق، وفي نيته أن يدفع المبلغ لكنه معسر، أنت إذا يسَّرت على هذا المعسر، يسر الله عليك في الدنيا والآخرة، هذه في الدنيا والآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل، تقع في أزمة، في مأزق، في موقف حرج، قد تشتري بضاعة لا تملك ثمنها، أعطاك صاحبها وضعاً حرجاً، إما أن تدفع الآن وإما لا أوافق على هذه الصفقة، والصفقة ممتازة لك، فإذا كنت في الماضي قد يسَّرت على معسرٍ، الله عزَّ وجل يلقي في قلب هذا البائع أن يبسر عليك الدفع، يسر الله عليك، إذا المعسر هذا الذي لا يجد ما يفي دينه هذه حاله.

أحياناً بالعكس اتفقت مع صانع يصنع لك حاجة فتأخر، في عقد، في شروط، وفي غرامات تأخير، لكنك تعلم علم اليقين أن المواد غير متوافرة، في أزمة، فأنت إما أن تتقيد بهذا العقد وتحمله ما لا يطيق، وإما أن تتساهل معه، فهذا معسر، أحياناً يكون في نجار وما في خشب، حداد وما في حديد مثلاً، قضية نشأت مشكلة، آتته انتزعت ولا يوجد قطع تبديل فإذا يسرت على معسر كنت أميل لليسر، طبعاً ألا يكون في احتيال، إذا في احتيال، وفي كذب، وفي مراوغة، سيدنا عمر قال: " لست بالخب ولا الخب يخدعني ". أروع كلمة قالها هذا الصحابي الجليل: لست بالخب، يعني لست محتالاً، ولكنني من الذكاء والعقل بحيث لا يستطيع أحد أن يحتال علي، أنا من الطيب بحيث لا أحتال على أحد، ومن الإدراك السليم بحيث لا يحتال أحد علي.

ومن يسر على معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.. فالإنسان، " رحم الله عبداً سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا قضى، سهلاً إذا اقتضى ". المؤمن لئن يألف ويؤلف، لين العريكة، من استرضي ولم يرض ليس من بني البشر، استرضي ولم يرض.

ورته حتى يفضحه في عقر بيته، أو في عقر داره. إذا الإنسان أسرَّ لك شيء وأنت كنت طبيب، كنت محام، كنت محكم تجاري، كنت محكم بين زوجين، وحكت له فصوله وحكى لك فصولها، وقصص كلها غريبة جداً، وممتعة لو حكته للناس، هكذا تعمل، هكذا يعمل، هكذا يعمل هو، قاعد في سهرة ووجدت نفسك طليق اللسان،

هكذا المؤمن ؟ إذا تشكى لك همه، حكى لك مشكلته، فضح لك نفسه تفضحه أنت بين الناس ؟

ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.. الله عزَّ وجل ستر، ولا يعرف هذا الاسم إلا من تذوقه، تخلقوا بأخلاق الله، أحياناً زوج يشكو لك زوجته، ساعة ضيق حكى لك ما فعلت معه، فأنت حكيت لزوجتك هكذا تعمل معه، زوجتك قاعدة في استقبال وحكت هذه هكذا تعمل مع زوجها، مسكين الزوج بعد جمعة وجد نفسه مفضوح بالبلد كلها، لأنه حكى لك وفشَّ لك قلبه، هكذا المؤمن ؟ النبي علَّمنا اللهم صل عليه إذا إنسان حدثك حديث والتفت خشية أن يسمعه أحد، هذا الحديث بالأمانة، ما قال لك: خليه بيننا سر، هو ما حكى ولكن التفاته خوف أن يسمعه أحد، معنى ذلك أن هذا الحديث بالأمانة.

الإنسان يحب يحكي، نفسه تتوق للحديث، الغيبة محببة للإنسان، هكذا عمل ؟ إيه والله هكذا، وماذا فعل أيضاً ؟ الإنسان نفسه تتمنى الحديث أما السكوت يحتاج لمقاومة، مثلما قلنا التكليف، الطبع تحكي، والتكليف تصمت، الطبع تضح، والتكليف تستر، الطبع تنظر للنساء، والتكليف تغض بصرك، الطبع تأخذ المال، والتكليف أن تعطيه، الطبع أن تنفد غيظك، والتكليف أن تكظم غيظك، اسمه تكليف، أي في عبء على الإنسان، الطبع أن تحب العاجلة، والتكليف أن تحب الآجلة، كل شيء ينسجم مع طبيعة الإنسان هذا لا أجر له به، أما الشيء الذي يعاكس طبعه هو التكليف، هو الذي يرقى به، فالإنسان لا يظن الدين قضية سهلة، الدين يحتاج لجهد..

### ﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) ﴾

( سورة المزمل )

ثقل فيه جهد، الطبع أن تنام، والتكليف أن تستيقظ، الطبع أن تسهر، والتكليف أن تنام باكراً، والطبع أن تنام متأخراً، والتكليف أن تستيقظ مبكراً، الطبع أن تأكل ما تشتهي، والتكليف أن تأكل باعتدال.

إذاً: ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد .. حكى لي شخص قصة أنا حاكها كثير في الجامع، ولكن لعل الإخوان الجدد يسمعونها، والقصة قديمة جداً، رجل من علماء دمشق خطيب مسجد له قيمته، نام فرأى النبي عليه الصلاة والسلام، قال له النبي عليه الصلاة والسلام في الرؤيا: قل لبارك فلان إنه رفيقي في الجنة.

وهو العالم، وهو الداعية، وهو الخطيب، وهو الإمام له جار سمّان، رؤيا غير مضبوطة: قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة، فهذا طرق باب هذا الجار وطلب منه يلتقي معه، فقال له: لك عندي بشارة ولكنني والله لا أقولها لك إلا إذا حدثتني بما فعلت، فامتنع، فلما استحلّفه وبالح في استحلافه قال له: تزوجت امرأة، يعني في الشهر الخامس على وشك الوضع، معنى هذا في مشكلة لها، قال له: بإمكانني أن أطلقها، وبإمكانني أن أفصحها، وبإمكانني أن أطردها، وبإمكانني أن أفعل بها ما أشاء، في معه دليل قطعي، ولكنه جاء بقبالة وولدها، وأخذ بهذا المولود ودخل المسجد مع أذان الفجر، بعد أن نوى الإمام صلاة الفجر، ووضع وراء الباب، فلما انتهت الصلاة بكى الطفل الصغير، فتحلّق المصلون حوله وهو كأنه واحدٌ منهم قال: ما القصة؟ قالوا: انظر هناك طفل، قال: أعطوني إياه أن أكفله وردّه إلى أمه وسترها، يبدو أنه زلة قدم سترها، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة؟.

يعني إذا إنسان تقدر تستره، واستقام وتاب على يدك، لا تقضه، إذا تقدر تستر إنسان مخلوق وتاب على يدك توبة نصوحة، أنت لو فضحت حطمت، أهدرت كرامته، ولو رأى نفسه مهدور الكرامة فجر، صار إنسان سيئ، أما ترجاك أن تستره، ووعدك أن هذه آخر مرة، وأنت جربه، وراقبه مراقبة شديدة، فإذا كان صادقاً أنت أنقذته من الفضيحة..

ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.. هذا الكلام يعني ما في واحد من الإخوة الحاضرين إلا وعليه مليون دليل، الإنسان الذي يخدم الناس الله عزّ وجل يهيء له أشخاص يعاونوه، بقدر ما تعطي تأخذ، وتأخذ أضعاف مضاعفة..

والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.. مجتمع المؤمنين مجتمع سعيد، لست وحدك في الحياة، ولكن معك إخوة مؤمنين يعاونونك في كل شيء، الأخوة في الله الصادقة أثنى ما في الدنيا أخ في الله، يحبك الله لا لمصلحة، قد تنشأ علاقات أساسها المصلحة، هذه العلاقات تنتهي بزوال هذه المصلحة، ولكن الأخ في الله هو الذي يبقى لك إلى نهاية الحياة.

الآن، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى . العلم، النبي الكريم ما قال العلم بل قال . إلى الجنة . ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أن طريق الجنة العلم، يعني واحد توجه لمسجد ليستمع إلى تفسير كتاب الله، أو ليقف على حديث رسول الله، أو ليعرف المنهج الإسلامي، أو ليعرف أحكام الله عزَّ وجل، أو ليعرف الله، فأنت حينما توجهت إلى هذا المسجد سلكت طريقاً تلتمس فيه علماً، من يصدِّق أن هذا الطريق هو طريق الجنة؟ طريق السعادة الأبدية؟ النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " .

فالإنسان لو وجد المواصلات صعبة، والطريق ساعة ونصف من بيته، وقف نصف ساعة على الموقف ما في باصات، لا يغتاض، هو أين ذاهب ؟ هو في طريق الجنة، هو في الطريق إلى الجنة، أحياناً يكون في برد شديد، والغرفة دافئة، وهو قاعد مع أهله وزوجته، ومبسوطين ويضحكوا، أخي خليك اقعد بلا هذه الروحة، أما كنت تشبع علم ؟ مثلاً، هكذا تقول زوجته حاجتك ؟.

" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً.. في ازدحام في الأسواق، وفي موسم، ووقت الدرس صار، المؤمن الله غالي عليه، أغلق محله التجاري وذهب إلى مجلس العلم، الحديث النبوي الشريف :

**(( ما ترك عبداً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ))**

( من شرح الجامع الصغير: عن " عبد الله بن عمر " )

في بائع مرطبات، رجل دین أعرفه، حينما يؤذن الظهر يغلق المحل ويذهب، سبحان الله !! ينتظرونه نصف ساعة حتى يعود، ولا ذبون يذهب في هذه الفترة، ولكن ينتظرونه لأجل كأس ليمون، ما هو السر ؟ حينما يؤذن الظهر يغلق المحل ويذهب للمسجد فالله عزَّ وجل يكافئ.. " ما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه".

ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً.. في أيام الحر، في أيام البرد، في صعوبة المواصلات أحياناً، أحياناً في زبون شتوي، ما في شيء والشتاء ليله طويل يقول لك: والله نتسلى في الجامع، أما في الصيف سارح، فلا نراه صيفاً، أما المؤمن.. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.. يعني هذا طريق الجنة أن تجلس في مجلس علم تتعلم أحكام القرآن، السنة المطهرة، السيرة النبوية، سيرة أصحاب رسول الله، الأحكام الفقهية، تتعلم التجويد، تتعلم كيف تعامل الناس.

وهذه بشارة لنا جميعاً: وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى.. هذه ما اجتمع قومٌ إلا هذه عبارة شرطية..  
وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله.. تلاوة فقط شيء رائع جداً.

تلاوة وتفسير.. وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه.. تلاوة ودراسة،  
القرآن الكريم إن تلوته لك أجر، فهمته لك أجر، حفظته لك أجر، يعني لا يحزن قارئ القرآن.

إلا نزلت عليهم السكينة.. هذه السكينة لا يعرفها إلا من ذاقها، إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال  
للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفياؤه المؤمنين، يعني إذا الله عزَّ وجل تجلى على قلبك تشعر  
أنك من أسعد الناس..

والله مرة واحد كان في الحج فقال لي: والله يا أستاذ شعرت أنه ليس في الأرض من هو أسعد مني، إلا أن يكون  
أتقى مني. بارك الله بك على هذا التعقيب الضروري، إذا قلت: ليس في الأرض من هو أسعد مني هذا الكلام  
غلط لأنه في أسعد منك وهو النبي عليه الصلاة والسلام، أما إلا أن يكون أتقى مني كلام صحيح، ليس في  
الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني، هذه السكينة.

وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه.. الحياة لها ضغوط كثيرة جداً،  
ولها هموم، والحياة وحدها من دون معرفة بالله عزَّ وجل تغر وتضر، وتمر، يأتي ملك الموت فينهي كل شيء،  
يأخذ منك كل شيء، كل ما حصلته في الدنيا يأخذه ملك الموت في ثانية واحدة، صفر اليدين، قال لي واحد:  
الكفن ليس له جيب تضع فيه جيبك شيكات ما فيك، تضع فيه بعض أنواع العملات الضرورية، الكفن ما له  
جيوب، هذا القماش..

### ﴿ جُنْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

(سورة الأنعام: من آية " 94 " )

إذاً: وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم  
السكينة.. هذا يعبر عنه بعض الإخوان: أنه والله نسر في الجامع، هذه سكينة الله عزَّ وجل وهذا ليس شيء  
غريب ولكنه شيء طبيعي، لأن بيوتي في الأرض المساجد وإن زوارها هم عمارها، فطوبى فلعبدٍ تطهر في بيته  
ثم زارني، أنت في ضيافة الله عزَّ وجل، أنت في زيارة الله عزَّ وجل، وحُق على المزور أن يكرم الزائر، إذا واحد

طرق بابك تستقبله، أقل شيء تقدم له فنجان من القهوة، إذا كان جاءك من بلد بعيدة تستقبله في المطار هكذا الأصول، كلما بعد المكان ازداد الترحيب، فكلما بعد بيتك عن المسجد ازدادت ضيافتك في المسجد، الثواب على قدر المشقة لذلك: " إلا نزلت عليهم السكينة... .. " " إن بيوتي في الأرض المساجد وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبدٍ تطهر في بيته ثم زارني وحق على المزور أن يكرم الزائر " .

وغشيتهم الرحمة.. هذا تجلي الله عزَّ وجلَّ.. وحفتهم الملائكة . هذا حديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه . وذكرهم الله فيمن عنده.. إذاً إذا أتيت بيت الله عزَّ وجلَّ لتزداد علماً، نزلت عليك السكينة، وغشيتك الرحمة، وحفتك الملائكة، وذكرك الله فيمن عنده، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

" ابتغوا العزة عند الله عزَّ وجلَّ " .

ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه.. القضية بالعمل لا بالأمل، فأقرب الناس للنبي عليه الصلاة والسلام أو أبو لهب..

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) ﴾

( سورة المسد )

(( يا فاطمة بنت محمد، يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار، أنا لا أني عنكما من الله شيئاً، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، من يبطن به عمله لم يسرع به نسبه ))

القضية بالعمل.

(( لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ))

( من رياض الصالحين: عن " السيدة عائشة " )

هكذا.

(( لا أمثل بهم فيمثل الله بي ولو كنت نبياً ))

ومن بطاً به عمله لم يسرع به نسبه.. هذا الحديث أتمنى عليكم أن تكتبوه، سأقرأه عليكم قراءةً إملائية لأنه مفيد جداً وواسع، ممكن تحدث الناس فيه، جالس مع صديقك، بمكان عملك، في معك وقت فارغ تنتظر إنسان، مع أهلك في البيت، ذهبت لنزهة، معك دفتر صغير فيه أحاديث أقرأهم، والله شيء جميل.

روى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(( من نَفَثَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كرب الدنيا نفث الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله تعالى قط يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطاً به عمله لم يسرع به نسبه ))

\* \* \* \* \*

والآن، إلى شيءٍ من سيرة أصحاب النبي عليهم رضوان الله، نحن في درسٍ قبل الماضي بدأنا بقصة سيدنا خالد، ووعدناكم متابعتها، وفي الدرس الذي يلي أخذنا قصة صحابيٍ آخر، ذكرني أحد الإخوة بهذا، فأردت أن أتابع الموضوع.

سيدنا خالد رضي الله عنه بعد أن أسلم، وكان من المتفوقين، والنبي عليه الصلاة والسلام قال له:

(( عجبت لك يا خالد أرى لك فكراً ))

بعد ذلك توفي النبي عليه الصلاة والسلام، وبعد وفاته ارتدُّ أناسٌ كثيرون عن إسلامهم، وحاربوا المسلمين، وظهر ما يسمى بفتنة الردة، وكانت أنباء المرتدين وتجمعاتهم تزداد كل ساعةٍ خطيرةً، وخرج أبو بكر رضي الله عنه على رأس هذا الجيش الثاني، ولكن كبار الصحابة كاد يفرغ صبرهم، ويجمعون على بقاء الخليفة بالمدينة، من الذي اعترض على ذهابه لحرب المرتدين؟ سيدنا عليٌّ كرم الله وجهه.

فإذا قرأتم في نهج البلاغة أن سيدنا علي يقول: " أما بعد فقد تقنصها ابن أبي قحافة مني تقنصاً " لا يعقل أن يقف هذا الموقف هذا الصحابي الجليل من سيدنا الصديق ويقول هذا الكلام. هناك بعض الزيادات يجب أن نحتاط لها، من الذي وقف في وجه هذا الخليفة العظيم من أجل أن يبقى في المدينة حفاظاً على حياته ؟ سيدنا علي كرم الله وجهه قال له: " إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ . إلى أين . إنني أقول لك ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام يوم أحد: " لم سيفك يا أبا بكر ولا تفجعنا بنفسك ". هذا موقف سيدنا علي من سيدنا الصديق رضي الله عنه حينما أزمع أن يكون على رأس جيشٍ لحرب المرتدين.

سيدنا الصديق حينما أصروا عليه، رضي أن يبقى بالمدينة وقسم الجيش إلى إحدى عشرة مجموعة، وجعل لكل مجموعة قائدها، وعلى مجموعة ضخمة من تلك المجموعات كان سيدنا خالد بن الوليد أميراً عليها، ولما عقد الخليفة الصديق لكل أميرٍ لواءه، اتجه صوب خالدٍ وقال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(( نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار والمنافقين ))

يعني أشعرهم جميعاً أنه أعلاهم، وأنه أميرٌ عليهم.

حربٌ ضروس، وحربٌ طاحنة، وحربٌ كما يسميها الناس: مجنونة، بين المرتدين وبين أصحاب النبي، على رأس المرتدين مسيلمة الكذاب، يبدو أنهم في أول جولة المسلمين ما استطاعوا أن يفعلوا شيئاً، سيدنا خالد بحنكته القيادية ماذا فعل ؟ رأى أن هناك وهنا، وهناك ضعفاً في أصحاب النبي عليهم رضوان الله، ماذا فعل ؟ مضى ينادي إليه فيالق جيشه وأجنحته، وأعاد تنسيق مواقعه على أرض المعركة، ثم صاح بصوته المنتصر امتازوا لنرى اليوم بلاء كل حي.

يعني أراد أن يجعل كل فرقة وكل جماعة على حدا، كي ليظهر من الذي يتراجع، من الذي ضعفت عزيمته، بهذه الطريقة أعاد لهم حماسهم، وأعاد لهم معنوياتهم، هذه طريقة.

يبدو أن الصحابة الكرام في الجولة الثانية يعني قويت معنوياتهم واستبسلوا، وضحوا بالغالي والرخيص، والنفيس، ومالت كفتهم، وانتهت المعركة بفوزهم على مسيلمة الكذاب، وقد قتل في هذه المعركة، وانتهت هذه المعركة التي تعد من أقوى المعارك التي خاضها سيدنا خالد.

سيدنا الصديق بعد أن انتهت معركة الردة مع المرتدين، أراد أن يفتح بلاد العراق وفارس، فعين سيدنا خالد قائداً على جيش كبير لفتح العراق وبلاد الفرس، سيدنا خالد استهل عمله بالعراق بكتب أرسلها إلى جميع ولاه كسرى ونوابه على أولية العراق ومدائنه، قال في بعض كتبه: " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من خالد بن الوليد إلى فلان من ولاية كسرى، سلاّم على من اتبع الهدى، أما بعد فالحمد لله الذي فض خدمكم، وسلب ملككم، ووهن كيدكم، من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلكم المسلم له ما لنا وعليه ما علينا، إذا جاءكم كتابي فابعثوا إلي بالزهن واعتقدوا مني الذمة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة ". كلام واضح كالشمس.

قبل أن يزحف عليهم أمر قواده وقال: " لا تتعرضوا للفلاحين بسوء دعوهم في شغلهم آمنين، إلا أن يخرج بعضهم لقتالكم، فأنذ قاتلوا المقاتلين، ربنا عز وجل قال:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾

( سورة البقرة: من آية " 190 " )

في بلاد الروم أيضاً.. توجه هذا القائد العظيم إلى بلاد الروم، وأراد زعيم الروم . هرقل . أن يصالح المسلمين، ولكن قواده أبوا وقالوا: والله لنشغلن أبا بكر على أن يورد خيله أردنا. بلغت هذه المقالة سيدنا الصديق فقال: " والله لأشفين وساوسهم بخالد ". يعني هذه الخواطر في أن يفوزوا على المسلمين وساوس سماها سيدنا الصديق، لأشفينها بخالد.

سيدنا خالد وقف في جيشه خطيباً وقال: " إن هذا يومٌ من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي . الفخر شرك، والبغي عدوان . أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم، وتعالوا نتعاور الإمارة . أي نتبادلها . فيكون أحدنا اليوم أميراً، والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كلكم ". يعني أراد أن ينكر ذاته، أراد أن يسمح لكل قائد فيلق أن يأمر على الجيش كله في يوم، يعني أنكرك ذاته من أجل هذا العمل العظيم.

أيضاً خاض معركة طاحنة وانتصر فيها، لكن في هذه المعركة جرت لقطة لطيفة، ( ماهان ) قائد الروم، طلب أن يلتقي بسيدنا خالد، فالتقى به . طبعاً عن بعد . قال: " قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع، فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنائير وكسوة وطعام وترجعون إلى بلادكم، وفي العام القادم أبعث لكم

بمثلها " يعني مشي الحال هكذا ؟

وضغط خالدٌ على أسنانه، وأدرك ما في كلمات قائد الروم من سوء الأدب، وأجابه الجواب التالي، قال: " يا هذا، إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قومٌ نشرب الدماء، ولقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم . نحن عطشانين ولسنا جائعين . فجننا لذلك " . الكلام في المعركة يصح ذلك . لأنه أحد الصحابة مشى مختلاً فقال عليه الصلاة والسلام:

(( إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا الموقف ))

( من كشف الخفاء )

لأن التكبر على المتكبر صدقة.

ولوى سيدنا خالد زمام فرسه عائداً إلى صفوف جيشه، ورفع لواءه عالياً وقال: " الله أكبر هبّ رياح الجنة " .

أحد المسلمين الشجعان اقترب من أبي عبيدة الجراح رضي الله عنه والقتال دائر يقول:

إني قد عزمت على الشهادة، فهل لك من حاجةٍ إلى رسول الله ﷺ أبلغها له حين ألقاه ؟ . أنا ماشي، إني قد

عزمت على الشهادة فهل لك من حاجةٍ إلى رسول الله ﷺ أبلغها له حين ألقاه ؟

فيجيب أبو عبيدة: نعم، قل له يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، الذي وعدنا الله به وجدناه حقاً .

سيدنا عكرمة بن أبي جهل، هذا الذي أهدر النبي دمه قبل أن يسلم، وهذا الذي جاءت امرأته إلى النبي وتوسلت

له أن يعفو عنه، وعفا عنه، وأعطاه عمامته إشارةً إلى ذلك، هذا الذي قدم إلى النبي مسلماً قال النبي عليه

الصلاة والسلام لأصحابه:

(( جاءكم عكرمة مسلماً فأياكم أن تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت ))

( من الموطأ )

هذا البطل الذي عفا النبي عنه أبلى في الحروب بلاءً حسناً، ماذا فعل عكرمة بن أبي جهل ؟ قال: لطالما قاتلت رسول الله ﷺ قبل أن يهديني الله إلى الإسلام، أفر من أعداء الله اليوم ؟ يعني معقول، ثم يصيح في كوكبة من الفرسان: مَنْ يبايع على الموت ؟ فبايعه على الموت كوكبة من المسلمين، ثم ينطلقون معاً إلى قلب المعركة لا يبحثون عن النصر بل عن الشهادة، ويتقبل الله بيعهم وبيعتهم فيستشهدون جميعاً.

وهؤلاء آخرون أصيبوا بجراحٍ أليمة، وجيء لهم بماءٍ ليشربوا، فلما قدم الماء إلى أولهم أشار إلى الساقى: أن أعطي أخي، الآن إذا ركب سيارة يطلعوا الكل ويتركوا اثنين أو ثلاثة تحت، ينسوا، في الوليمة يأكلوا وينسوا واحد بلا أكل، إذا بالنزهات كل إنسان يحب نفسه، أما هؤلاء وهم على وشك الموت، والجريح بحاجة للماء بشكل كبير، ويشير للساقى أن أعطي أخي بجانبى !!

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 011 - 127 ) : الخلق الحسن 1 - وصايا النبي لأبي ذر الغفاري بتقوى الله...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-07-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... الحديث حديث رسول الله ﷺ موضوعه اليوم ( الخلق الحسن).

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال، قلت:

يا رسول الله أوصني.

قال عليه الصلاة والسلام:

(( أوصيك بتقوى الله فإنها زين لأمرك كله ))

وفي رواية لابن حبان:

(( فإنها رأس الأمر كله ))

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: عليك بتلاوة لقرآن وذكر الله عز وجل، فإنه ذكرٌ لك في السماء ونور لك في الأرض.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت لقلب ويذهب بنور الوجه.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: قل الحق وإن كان مرأً.

قلت: زدني.

قال: لا تخف في الله لومة لائم.

قلت: زدني.

قال: ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك.

حديث طويل وله تنمة، اخترت لكم هذا الحديث لحقيقة واحدة وهي أن جوهر الدين الخلق الحسن. حينما فهم أصحاب رسول الله ﷺ أن الدين مجموعة قيم، مجموعة أخلاق فاضلة، الله سبحانه وتعالى أحبهم، ونصرهم، واستخلفهم في الأرض، حينما مسخ الدين وتقلص إلى بعض العبادات الشعائرية؛ من صيام، وحج، وصلاة من دون تمثل لهذه القيم، عندئذ تخرى الله عن المسلمين، ربنا عز وجل يقول:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (59)﴾

(سورة مريم)

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾

(سورة مريم)

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( إنما بعثت معلماً ))

( من تخريج أحاديث الإحياء: عن " عبد الله بن عمرو " )

(( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ))

( من لجامع لأحكام القرآن )

هذه النفس الإنسانية التي أودعها الله فينا مرتبطة بالجسد، فالجسد يحتاج إلى طعام، ويحتاج إلى جو لطيف في الصيف، وإلى جو دافئ في الشتاء، يحتاج إلى نصفه الآخر، هذا الجسد يحتاج إلى المُنْع التي أودعها الله فيه، والنفس مرتبطة مع هذا الجسد، إذاً الإنسان إما أن يستمد سروره . إن صح التعبير . من ارتباط النفس بالجسد، ومن تتعم الجسد بهذه المتع التي أودعها الله فيه، وإما أن تتصل النفس بربها، اتصالها بربها يسعدها، واتصال النفس بالجسد يطفي عليها اللذة، يمكن أن نسمي المتع الحسية التي تستمتع بها النفس عن طريق الجسد لذاتذ، ويمكن أن نسمي ذلك السرور الذي تتعم به النفس عند اتصالها بالخالق سعادة.

فالإنسان بين أحد شخصين ؛ إما أن يؤثر المتعة من خلال الجسد، وهذا شأن الحيوان، وإما أن يؤثر المتعة من خلال اتصاله بالخالق الأكوان، وهذا شأن الإنسان، الإنسان خلق ليسعد بالله عز وجل " عبدي خلقت لك ما في السماوات والأرض فلا تتعب . خلقت لك، الكون كله مسخر لك فلا تتعب . وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنته لك عما افترضته عليك ". أنت بين اتجاهين ؛ بين أن ترتقي إلى خصائص المَلَك وتفوق الملك، وبين أن تهبط إلى خصائص الحيوان وتسفل عن الحيوان، لما قال سيدنا علي: " ركب المَلَك من عقل بلا شهوة، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل، ركب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان ".

أنت دائماً في بيتك، في عملك، في حركتك اليومية، في نشاطك، بين أن تستمد السعادة من اتصالك بالله، وبين أن تستمد اللذة من تمُّع جسدك بالشهوات الأرضية، ممارسة المُنْع الأرضية تعقبها كآبة، وتعقبها ندامة، في الدنيا قبل الآخرة..

## ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) ﴾

( سورة الانفاطار )

جحيم البُعد، جحيم تعذيب الضمير، لأن الإنسان خلقه الله على فطرة عالية، فإذا خالف فطرته شقي هو، شقي بذاته، أما إذا اتصل بخالقه سعد سعادة أبدية في الدنيا والآخرة.

الآن، هذا الاتصال بالله ما ثمنه، ثمنه الخلق الحسن، فأنت في الآخرة لا تسعد إلا بالأعمال الطيبة التي أساسها مواقف أخلاقية ؛ في البذل، في الحلم، في العدل، في الرأفة، في اللطف، هذه المواقف الأخلاقية التي وقفتها في الدنيا، والتي وقفتها بسبب طاعتك لله عز وجل هي ثمن الجنة، ثمن سعادتك في الدنيا وثنم الجنة في الآخرة، بمجرد أن تطيع الله عز وجل، ولكن الشيء الدقيق هو أن طاعة الله عز وجل تحتاج إلى أن تضحي بالذائد التي حرّمها الله عز وجل.

أودع بالإنسان شهوات، جعل لكل شهوة قناة مشروعة ؛ حب النساء، في قناة واحدة، في الإسلام في أم، في أخت، في ابنة، في زوجة، طريق المتعة بالمرأة ليس لها إلا قناة واحدة وهي قناة الزواج، طريق المتعة بالمال ليس له إلا طريق واحد هو الكسب المشروع، طريق العلو في الأرض ليس له إلا طريق واحد أن تكون في خدمة الخلق، وأن تكون قريباً من الحق، إذاً الموضوع دقيق، فهذا الإنسان إما أن تشده نوازعه الحيوانية ؛ فيغرق في الطعام، والشراب، والنساء، والمباهج.. إلخ، وإما أن تشده قيمه الخلقية فيسعد بقربه من الله عز وجل، ولكن قربه من الله عز وجل له ثمن، الله عز وجل عزيز، معنى عزيز لا يتجلى على قلب الإنسان بلا سبب، وبلا ثمن، والثمن ليس رخيصاً، سلعة الله غالية، الثمن أن تنهى نفسك عن الهوى..

## ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (41) ﴾

( سورة النازعات )

لذلك الإنسان في الدنيا يكون فقير، الفقر له أخلاق، أخلاق الفقير التجمُّل، والصبر، والتعفف، يكون غني والغنى له أخلاق، التواضع، والسماحة، والسخاء، يكون قوي والقوة لها أخلاق، أخلاق القوي العدل، والإنصاف، والتواضع، يكون ضعيف، أخلاق الضعيف الابتهاال إلى الله عز وجل، وعدم القنوط من رحمة الله، فالموضوع موضوع يتعلّق بسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

فلو أردت أن تلخص الدين كله ما زاد عن أنه الخلق الحسن، وأصحاب النبي عليهم رضوان الله فهموا حقيقة الدين، فهموا جوهر الدين، والدليل عندما سأل النجاشي سيدنا جعفر بن أبي طالب رئيس وفد المهاجرين قال له: ما الذي جاء به نبيكم؟ هنا الشيء الدقيق هو أن هذا الصحابي الجليل ما قال: إننا نصلي ونصوم، قال:

"أيها كنا قوماً أهل جاهلية . نحن أهل جاهلية . نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار . هذه أخلاق الجاهلية، ملذات على حساب الآخرين، اقتتاصاً للذائد، بأية طريقة، وبأي ثمن، مع ضرب عرض الحائط بكل القيم الإنسانية، هذه الحقيقة حقيقة ثابتة، الإنسان الشهواني يريد شهوته بأي ثمن، من أي طريق، على حساب قيمه، على حساب دينه، على حساب القواعد الاجتماعية . حتى بعث الله فينا رجلاً . هذا النبي الكريم ما صفته، كم رصيده في البنك؟ . نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه . أربع أشياء، صدق، أمانة، عفاف، نسب . فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، وندع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ."

بربكم بماذا عرف هذا الصحابي الجليل الإسلامي؟ بالأخلاق؛ بالأمانة، والصدق، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء .

فحينما نفهم الإسلام فهماً شعائرياً، صلى، وصام، وحج، وزكى وانتهى الأمر، وانطلق إلى شهواته، وإلى حظوظه، وإلى كسب المال، وكسب المال شطارة، إذا فعل هذا ليس من الدين في شيء، وإذا فهمت الإسلام مجموعة كبيرة جداً من القيم والأوامر والنواهي في كل شؤون حياتك، فأنت مسلم ورب الكعبة، لئلا تقول يا أخي الإسلام ألف مليون وليست كلمتهم هي العليا، لأنهم فهموا الدين فهماً غير الفهم الذي أراده الله عز وجل، فهموه طقوس، فهموه حركات يؤديها الإنسان في الصلاة، وهكذا تعريف بعض الناس، بعض كتب الفقه: أقوال وأفعال، مفتحة بالتكبير، مختمة بالتسليم، فإذا أدت الصلاة سقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب. تعالوا إلى كتاب الله، ماذا قال الله عن الصلاة؟ هل قال عنها أقوال وأفعال تبتدأ بالتكبير وتختتم بالتسليم، أم قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ ﴾

(سورة العنكبوت: من آية " 45 ")

لمجرد أن الصلاة التي تصليها لا تنهاك عن الفحشاء والمنكر فأنت لا تصلي، وهذه الصلاة التي تصليها ما أرادها الله أبداً، وما أمر بها، وليست هذه الصلاة هي التي تتجيك يوم القيامة. تعالوا إلى الصيام، " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " إذاً الصيام انضباط، تعالوا إلى الحج " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " إذاً العبادات في أصلها أهدافها أخلاقية، والإنسان لا يرقى إلى الله إلا بالأخلاق.

لذلك اخترت لكم هذا الحديث الشريف لأنه يدور حول مكارم الأخلاق، سيدنا أبو ذر رضي الله عنه قال، قبل أن أشرع في شرح الحديث يجب أن نوقن يقيناً قطيعاً أن هناك تلازماً ضرورياً، الحديد يتمدد بالحرارة هذا قانون، ما معنى قانون ؟ أي حتمي الحدوث، أي حديد في أي مكان وزمان على وجه الأرض إذا أصابته حرارة يتمدد، قانون، يجب أن نعتقد اعتقاد جازماً أن هناك تلازماً ضرورياً بين التدين الصحيح والخلق القويم، يؤكد هذا القرآن والسنة..

### ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2) ﴾

( سورة الماعون )

هو نفسه..

### ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

( سورة القصص: من آية " 50 " )

" ألا لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له " ..

(( أتدرون من المفلس . النبي الكريم سأل أصحابه . قالوا: من لا درهم له ولا متاع، قال: لا، المفلس من أتى يوم القيامة بصيام، وزكاة، وحج، وصدقة، وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأكل مال هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته طرح عليه من سيئات فلان وفلان ثم يطرح في النار))

( من الجامع لأحكام القرآن: عن " أبي هريرة " )

هذا هو المفلس، فكل الذي أتمناه وأرجوه في هذا الدرس أن توقنوا أن الإسلام كله خلق حسن، إذا صح العمل صحت العبادة، فإن لم يصح العمل لم تصح العبادة، يؤكد هذا أيضاً أن هذه المرأة التي قيل للنبي عليه الصلاة والسلام: إنها تكثر من صلاتها، وصيامها، وصدقها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال:

### (( هي في النار ))

لم يقل السائل: إنها تصلي، ولم يقل إنها تتصدق، ولم يقل إنها تصوم، قال: إنها تكثر، من صلاتها، وصدقها، وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: هي في النار

يعني إذا المسجد خرج أناساً قلةً متمسكين بدينهم تمسكاً صحيحاً كما أراد الله ورسوله، فهذا هو الفلاح كل الفلاح، هذا هو النجاح كل النجاح، هذا هو التفوق، هذا هو الفوز، هذه هي السعادة .

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال، قلت: يا رسول الله أوصني قال عليه الصلاة والسلام: أوصيك بتقوى الله. فتقوى الله وردت بالقرآن الكريم ثلاثمائة مرة، في أدق تعاريفها، وفي أبسط تعاريفها، كلمة تقوى مصدر، من اتقى، واتقى فعل مزيد، مجرد وقى، فالتقوى وكل مشتقاتها من وقى، وكلمة وقى في معنى خطر، في معنا خطر، أنا وقيت نفسي من النار، وقيت نفسي من الفقر، وقيت نفسي من المرض، وقيت نفسي من الجراثيم، إذاً حينما تقول: اتق الله، أي اتقي عذابه، اتقي نار جهنم، اتقي عذاب الدنيا، اتقي المصائب، اتقي الفقر، اتقي القهر، اتقي الذل، اتقي الهم، اتقي الحزن، اتقي الانقباض، اتقي الضياع، اتقي عذاب الآخرة، اتقي عذاب البرزخ، اتقي عذاب القبر، اتقي وإذا حذف المفعول به، أقول لك: اتقي الحجر. هذا الفعل مقيدٌ بهذا المفعول، أما إذا حذف المفعول أصبح الفعل مطلقاً، يا أخي اتقي، اتقي كل شيء، كل خطر، كل شقاء، كل حزن كل إحباط، كل إخفاق، اتقي، اتقي الله، الله عز وجل مصدر رحمة، اتقي الله اتقي عذابه اتقي عقابه، اتقي عدالته، اتقي البعد عنه، اتقي الشقاء من سخطه، لكن كيف أتقي هذا ؟ بطاعته.

في أدق تعاريف التقوى، وفي أبسطها، وفي أجملها: أن تتقي عذاب الله بطاعته، أن تتقي الشرك بالتوحيد، أن تتقي الكفر بالإيمان، أن تتقي عقابه بطاعته، أن تتقي البعد عنه بالقرب منه، أن تتقي سخطه بإرضائه، كلمة واسعة، قال: أوصيك بتقوى الله، فإنها زين لأمرك كله، أمرك كله، ب حياة المؤمن كم فصل في ؟ في فصل عمله، فإذا الإنسان اتقى الله في عمله يسعد بعمله ؛ ما كذب، فاليوم توفي أحد الإخوة الأكارم في اتصال بيني وبينه

طبيب وهو طبيب، عند القبر قام طبيب آخر وأبنته، ذكر خصاله الحميدة، الذي لفت نظري أن أناساً كثيرين جداً بكوا بحرقة، طبعاً هذا الطبيب أخلص في مهنته خمسين عاماً، مضى على تقاعده عشرين عاماً ولا يزال كرسيه محفوظاً في الجامعة، لأنه لمجرد أن يشعر بالنشاط يأتي إلى القسم في الكلية، أخلص إخلاص عجيب، فقد خرج أجيال من الأطباء، علمها الإخلاص قبل أن يعلمها علم الطب، بعد أن انتهت التعزية، وقف طبيب من تلامذة هذا الطبيب اللامع، قلت له: عمك المهني، أنا أقول كلمة دقيقة: العمل المهني إذا كان مشروعاً وإذا مارسه بطريقة مشروعة، وإذا ابتغيت به أن تكتفي أنت وأهلك، وإذا ابتغيت به خدمة المسلمين، هذا العمل المهني نفسه كافٍ أن تلقى الله به، وأن يدخلك الجنة، وأن تسعد به إلى الأبد.

إذا أنت طبيب؛ ما غششت مريضاً، ولا ابتززت ماله، ولا أوهمت أن مرضه خطير كي يبق معك، ولا كلفته أن يحل والمرض لا يستأهل التحليل، ولا كلفته أن يخطط، وأعراض قلبه لا تحتاج التخطيط، ولا أوهمت أنك الطبيب الأول في هذا الموضوع حتى يبقى معك، إذا لم توهمه بشيء غير صحيح، وأخلصت له، ونصحتة، ولم تبتز ماله، ولبيت كل المرضى في كل الأوقات، إن هذا العمل المهني كافٍ كي يدخل الجنة.

كذلك الصيدلي، المحامي، المدرس، الإنسان يبحث عن عمل صالح، ما في عمل أقرب له من مهنته، يبحث عن عمل صالح، مهنتك التي أنت فيها، التي أقامك الله فيها، تجارتك، كن صادق "التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين يوم القيامة" .. "إن أطيّب الكسب كسب التجار، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا أئتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يماطلوا". هذا كسب طبيب، أنا أتمنى من كل واحد منكم يكون له أعمال صالحة كثيرة جداً، أعمال في رعاية الأيتام، وفي رعاية الأرمال، وفي إعانة الضعفاء والبائسين، وفي الدعوة إلى الله عز وجل، ولكن قبل كل شيء العمل المهني الذي أنت فيه، الذي أقامك الله فيه هذا العمل يجب أن تتقنه، لأن إتقان العمل جزء من الدين، ويجب أن تخلص له، ويجب أن تنوي به خدمة المسلمين.

فهذا الطبيب اليوم رأيت مثلاً صارخاً لإنسانٍ قضى كل حياته في خدمة مرضاه، والإخلاص لهم، وفي تخريج طلابٍ على شاكلته، رأيت بكاءً غير معقول، ليس من اقربائه لا، بل من طلابه الأطباء ممن يعرفه، قلت: والله هذا عمل يحتاج أن يذكر في المسجد، لأن كل منا له عمل، إذا استقام أكثر شيء في العمل الغش، والكذب، والاحتيال، والإيهام والتدليس، إذا أدت عمك كما أراد الله عز وجل فأنت مرضي عنده.

الحديث: أوصيك بتقوى الله، فإنها زين لأمرِك كله، بعملِك إذا اتقيت الله عز وجل لم تكذب، أما إذا كنت تعتبر أن كلام التجار قرآن، لا تتجح، يقول لك: إذا لم تكذب لا تريح يا أخي، هذه آية أم حديث، أنت ماشي بأقوال الناس؟ هل أقوال الناس دستور لك؟ إذا تاجر قال لك وهو أجهل الجهلاء: إذا لم تكذب لا تريح. أهذا الكلام منزل؟ بل هذا كلام شيطان، اصدق وستريح بالصدق، لا تكذب، الله عز وجل ما كلفك من أجل رزق قسمه الله لك أن تعصيه، أبداً، لم يحملك فوق طاقتك، لك عنده رزق.

أقول لكم دائماً مثل لكثرة تكراره أصبح عندكم مألوفاً: هذه التفاحة التي خلقها الله على هذا الغصن، في هذا الفرع، في هذا الجذع، في هذا البستان هي لك، أما كيف تصل إليها؟ باختيارك؛ يمكن أن تأخذها شراءً، ويمكن أن تأكلها ضيافةً، ويمكن أن تأكلها هدية كله مشروع، ويمكن أن تأكلها سرقةً، وتسولاً، واغتصاباً وهكذا، فالطريقة بيدك أما الرزق مقسوم، "إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله عباد الله وأجملوا في الطلب واستجملوا مهنتكم" إذاً هذا في عملك.

الآن، في زواجك، إذا أنت عندك آيات قرآنية، الله عز وجل قال:

### ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء: من آية "19")

أنت لم تفعل هكذا، لسبب تافه أقمت عليها النكير، لسبب تافه سببت أهلها، لسبب تافه أوقعت بها الأذى، فالعلماء يقولون: ما معنى قوله تعالى:

### ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(سورة النساء: من آية "19")

المعاشرة بالمعروف لا تعني أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، لا، تعني أن تحتل الأذى منها، فرق كبير جداً بين أن تمتنع من إيقاع الأذى بها وبين أن تحتل الأذى منها، إذا أنت طبقت هذه الآية، والنبي الكريم يقول:

(( لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر ))

( من الجامع لأحكام القرآن: عن " أبي هريرة " )

وطبقت الحديث الشريف:

(( ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله ))

( من الجامع الصغير: عن " جبير بن مطعم " )

لو طبقت هذه الحديث والآية والحديث أنت زوج ناجح، تسعد بزواجك، إذا لما النبي الكريم: " فإنها زين لأمرك كله " فالتقوى زين لك في عملك، زين لك في زواجك، زين لك في صحتك، لو اتقيت الله عز وجل في هذا الجسد، قال لك:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾

( سورة الأعراف: من آية " 31 " )

هذا أمر إباحة وليس أمر إلزام، قال لك:

﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

( سورة الأعراف: من آية " 31 " )

في كل شيء، لم يقل لك: لا تسرفوا في لاطعام والشراب، جاءت لا تسرفوا متأخرة، لتعود على الطعام والشراب ولتنتقل إلى كل شيء، حتى في المُنْع التي سمح الله لك بها، حتى في المباحات التي لا شائبة عليها لا تسرفوا، حتى هذا الجهاز يخدمك حتى الموت، وإلا تعمل عمليات بخريف العمر عمليتين ثلاثة إذا في إسراف، لا يوجد إسراف هذا الجهاز يخدمك إلى آخر لحظة..

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

القصد أنه زين لأمرك كله.

هذا القلب يتحمل كثير، أما إذا حملته فوق طاقته " من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، أخذ من حتفه وهو لا يشعر " إذا الإنسان ابتغى الأموال الطائلة جداً، هذه الأموال الطائلة إدارتها تحتاج إلى جهد كبير، تحتاج قلب قوي، قد لا يحتمل القلب الصدمات النفسية، فتجد بلحظات مفاجئة فقد الإنسان حياته، هكذا النبي الكريم قال:

(( خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هما .. )) " ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر ))

لو أن في وقت أو في صبر، الإنسان يتتبع أوامر الله عز وجل يجد في أوامر تخص النفس، تجد في أوامر تخص العقل، وهناك ما يخص القلب، الأعضاء، الأجهزة، الزواج، الأولاد، الجيرة، العمل، كسب الرزق، فإنها زين لأمرك كله، وفي رواية ابن حبان: فإنها رأس الأمر كله، لذلك ربنا عز وجل قال:

### ﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) ﴾

ربنا عز وجل في هذه الآية قدّم تعليم القرآن على خلق الإنسان، هذا التقديم لا يعني أن الإنسان تعلّم القرآن قبل أن يخلق، لا، فهذا الترتيب ترتيب رُتَبِي، في ترتيب زمني، في ترتيب زمني، هذا الترتيب رتبي، أي أهمية المنهج أهم من وجود، وجودك من دون منهج تافه لا قيمة له، أحياناً تجد شخص ضائع، تعبر أنت عن هذا الإنسان أنه ضائع، فلتان، غير منضبط، لا يوجد عنده حرام وحلال، لا يوجد عنده عيب، ما عنده حياء، ما عنده ذوق، دابة فلتانة يريد مال وشهوات، هذا إنسان غير منضبط، فالإنسان من دون منهج خطير جداً.

تصور سيارة من دون مقود ومندفعة بقوة محرك شديدة، حتماً في لها مشكلة هذه السيارة، لا بد من أن تقتل أو أن يقتل صاحبها أما إذا في مقود، المقود هو العقل، الشرع هو الطريق، والمقود هو العقل، فالعقل مهمته إبقاء المركبة على الطريق، المقود هو العقل، والشرع هو الطريق، والشهوة المحرك فالشهوات إذا تحركت وأنت على الطريق، والمقود يسعى لإبقاء المركبة على الطريق فهذا أكمل شيء، في اندفاع ولكن في مقود وفي طريق، إذا لا يوجد اندفاع، المقود جاهز، والطريق جاهز لكن لا يوجد اندفاع، مستحيل، فالشهوة قوة محرّكة إذا معها مقود، وفي طريق وإلا قوة مدمرة.

قلت: يا رسول الله زدني، هذا سيدنا أبو ذر رضي الله عنه طموح، لا إسراف في الخير، ولا خير في الإسراف، بالإسراف لا يوجد خير، أما لا إسراف في الخير؛ في موضوع معرفة الله عز وجل، في حفظ القرآن، بخدمة الخلق، بالصدقات لا يوجد إسراف أما من دون أعمال صالحة الإسراف ليس خيراً، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإنه، ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض، يعني ما الطريق الذي يوصل إلى الله عز وجل؟ أن تذكره..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) ﴾

(سورة الأحزاب)

فالأمر: اذكروا الله ذكراً كثيراً. فالإنسان إذا كل يوم خصص لنفسه كم صفحة قرآن كريم، جزء، نصف جزء، حزب، حزبين، تلاوة مع تدبر، هذا شيء إذا ألفه الإنسان أصبح جزءاً من حياته، مر معي " أنك إذا أردت أن تتاجي ربك فادعوه . أحياناً الإنسان ماشي بطريق ادعي الله عز وجل . وإذا أردت أن يناجيك فاقراً القرآن " تحب الله يكلمك اقرأ القرآن، تحب تتاجيه أنت ادعه، فخلي علاقتك مع الله عامرة بالدعاء وتلاوة القرآن، بالدعاء تتاجيه، وبتلاوة القرآن يناجيك، وكل ما ارتقى الإنسان الإمام الغزالي بالإحياء، يذكر أن هناك مراتب لتلاوة القرآن، في مرتبة من هذه المراتب حينما تتلو كلام الله عز وجل لا تشعر إلا أن الله يخاطبك، في بعض الحالات؛ أحوال أهل القرب إذا وقفوا إلى الصلاة لا يستمعون إلى القرآن إلا من الله عز وجل، هذه شفافية عالية جداً، النبي الكريم عندما قال لأصحابه:

(( لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصاغتكم الملائكة ولزارتكم في بيوتكم ))

(من مختصر تفسير ابن كثير)

إذاً عليك بتلاوة القرآن، التلاوة تحتاج إلى ضبط اللفظ، وتحتاج إلى فهم المعنى، وتحتاج إلى التدبر، وتحتاج إلى التطبيق، وكل هذا من تلاوة القرآن، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض، طبعاً نور لك في الأرض إذا وقعت في مشكلة ورأيت القرآن الكريم يحل لك هذه المشكلة، كأنه نور لك الطريق، إذا قال الله عز وجل لك:

## ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

(سورة القلم: من آية " 48 " )

أحياناً الإنسان كون متضايق، في مشكلة، ضغط نفسي عليه، شبح مشكلة، إذا قرأ قوله تعالى:

## ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

ألا تشعر أن الله عز وجل يأمرك أن تصبر، والصبر مفتاح الفرج.

قلت يا رسول الله: زدني، قال: عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك.

المشكلة أن جزء كبير جداً من المعاصي أساسها اللسان، وقديماً قيل: " من كثر كلامه كثرت خطاؤه " تلاحظ أحياناً بسهرة هو المتكلم الأول، يحكي كلام لطيف، أحياناً يغلط، أحياناً يغلط غلط كبير، أحياناً يقع بالغبية وهو لا يدري، أحياناً يمزح مزحة تمس واحد يصير في انزعاج شديد، فالذي يتكلم دائماً يغلط، فلذلك الصمت من الوسائل التي تقي الإنسان من زلات اللسان، خذ هذه القاعدة: إما أن تتكلم عن الله عز وجل وإلا فاسكت. " أمرت أن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبرة " إذا لم يكن لديك ما تقول، فلا غناء في القول، هذا الكلام الفارغ كلام الناس، أحياناً الغيبة والنميمة هذه معاصي، لكن في موضوعات تافهة لا يوجد فيها غيبة، موضوعات مألوفة جداً متكررة، تافهة، لا تعني شيء فلما الإنسان يضبط لسانه، والأصح يخزن لسانه، ويستعد لإلقاء الموعدة، أو لإلقاء الذكرى أو لإلقاء الحق، هذا اللسان قال: أو نؤاخذ بما نقول؟! قال:

(( ويحك يا معاذ وهل يكب الناس في جهنم على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ))

( من الدر المنثور في التفسير بالمأثور )

حتى في البيت الإنسان، لو أن امرأته بدأت تصف له فلانة، أين ماشية؟! هذه معصية كبيرة، أن تصف امرأة لزوجها امرأة ثانية، لو أن زوجتك تخطب لأخوها وقال لك: والله شفنا فلانة، طولها كذا، وكذا. أين أنت تمشين؟ هذا ممنوع في الدين، ممنوع منعاً باتاً فيه تحريم، أحياناً في سخرية، أحياناً في نقد، أحياناً في غيبة، أحياناً في نميمة، أحياناً في نقل من إنسان لإنسان، هذه كلها معاصي، قال:

## (( فيك يا فلان خصلتان يحبهما الله ورسوله، ألا وهما الصمت وحسن الخلق ))

الصمت، فالإنسان إذا في معه شيء يقوله فليقله، الحقيقة المتكلم بالحق أرقى من الصامت، أرقى بكثير، بل في بعض الأحيان " الساكت عن الحق شيطان أخرس "، وفي بعض أنواع الكذب، كذب سكوتي، فإنك لو حكيت تحل مشكلة، ولكن سكت سكوتك عمل مشكلة، السكوت هو الكذب، في كذب سكوتي، وفي أصول الفقه إجماع السكوت، أحياناً الإنسان يتكلم بشيء والكل ساكتين أي موافقين، السكوت موافقة، على كل الذي ينطق بالحق أرقى من الذي يصمت، ولكن الذي يصمت أرقى بمليون مرة من الذي يقع في معاصي اللسان، " لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ".

إذاً: عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك، قلت زدني، قال: إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه.

النبي عليه الصلاة والسلام جُلُّ ضحكه التبسُّم، الإنسان يضحك، أحياناً ربنا عز وجل يدخل على قلب الإنسان السرور، وسيدنا علي يقول: " روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت " والنبي الكريم إذا دخل بيته كان بساماً ضحاكاً، وكان يمزح ولا يمزح إلا حقاً، كان يمزح، في أحياناً يكون الجو جو عبس وتولى، جو جاف، المؤمن مع أهله، مع إخوانه، في مرح، في طيب، في بشاشة، ولكن في مرح بريء، وفي مرح أساسه المزاح الرخيص، وفي مرح أساسه تقصي عيوب الآخرين، وفي مرح أساسه محاكاة الآخرين، أحياناً واحد ذكي جداً يقلد الآخرين، بجلسة واحدة يقلد مئة واحد، هذا بحركاته، هذا بكلامه، هذه كلها غيبة.

بالمناسبة، الغيبة أنواع، هناك غيبة في القلب، في قصة مشهورة بعهد الإمام مالك: أن مغسلة كانت تغسل امرأة . ولا أدري مبلغها من الصحة وإلا أنها قصة لها مغزى . وهي تغسلها التصقت يدها بجسم الميتة، حاولت بجهد كبير نزعها، ولكن مستحيل، فلما يئست أخبرت أهل الميتة تعالوا، أهل الميتة وقعوا في حيرة، أنقطع جزءاً من لحم الميتة، أم نقطع يد المغسلة، قضية محيرة. الإمام مالك يقال: أنه لا يفتى ومالك في المدينة. فالإمام مالك حينما رفعت له هذه القضية أمر أن تجلد هذه المغسلة ثمانين جلدة، قال: لقد اغتابتها بنفسها، وهي تغسلها، اتهمتها بعرضها، فجلدت ثمانين جلدة، ومع الضربة الثمانين نزعت يدها.

في غيبة بالقلب، أنت لست متأكداً، اتهمته بالسرقة ولست متأكداً، اتهمته بالكذب ولست متأكد، حتى في القلب في محاسبة عليها، الآن في غيبة بالحركات، اللسان لم يتكلم إطلاقاً، إذا وضعت يك على فمك، أنك لا تريد الكلام عليه، فهذه غيبة، متأكد أن ذمته تعبانة؟ الله أعلم لا نعرف، تكلمت كل شيء، ما خليت شيء لم تقله بهذا العملية، الله أعلم!! هذه غيبة، التقليد غيبة، إذا واحد يسلي رفاقه، فلان هكذا يتكلم، فلان يشمي هكذا هذه غيبة. لذلك قال: إياك وكثرة الضحك. فالضحك الذي أساسه نهش أعراض الناس، وتقليدهم والحديث عنهم، وإبراز عيوبهم هذا ضحك أساسه المعصية، فهذا الضحك يميت القلب، أما في ضحك آخر، النبي الكريم كان بساماً ضحاكاً، جاءه رجل وقع على امرأته في رمضان. والقصة مشهورة. قال له: يجب أن تعتق ربة، قال له والله ما معي، ولا أذكر النص بالضبط. فقال له: يجب أن تصوم ستين يوم، قال له: لا أستطيع، قال له: تصدق. قال له: ليس معي. فالنبي الكريم أعطاه شيء من التمر لكي يتصدق به. قال له: والله ما في أفقر مني. قال له: كله وخلصنا، ضحك النبي كثيراً حتى بدت نواجزه.

في مواقف مضحكة، لكن ما في إشكال، ممكن تكون أب ومعلم، وتكون مرح، وتكون بسام ضحاك، في شخص أخذ لحاله تكلف، من دون طعمة، فلازم الأولاد ينتظروا مجيئك، أما هناك أب يفرحوا الأولاد بغيابه، إذا كان طلع يتنفسوا الصعداء، طلع الأب من البيت، أما إذا كنت أنت مؤنس، النبي الكريم كان يعمل حاله جمل ويركب على ظهره الحسن والحسين، يقول:

(( نعم الجمل جملكما ونعم الحملان أنتما ))

هكذا علمنا النبي، قال:

(( من كان له صبي فليتصابى له ))

( من الجامع الصغير: عن " معاوية " )

بل إن في الجنة باباً لا يدخله إلا من أدخل الفرح على الصغار، ففي ضحك رحمانى، وفي ضحك شيطاني.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 012 - 127 ) : الخلق الحسن 2 - تتمة وصايا النبي لأبي ذر

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-07-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... نتابع شرح الحديث الشريف الذي بدأناه في الدرس الماضي.

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال:

قلت: يا رسول الله أوصني.

قال عليه الصلاة والسلام: أوصيك بتقوى الله فإنها زينٌ لأمرِك كله.

وفي رواية ابن حبان: " فإنها رأس الأمر كله ".

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: " عليك بتلاوة القرآن، وذكر الله عزَّ وجل فإنه . أي تلاوة القرآن . ذكرٌ لك في السماء ونورٌ لك في الأرض ".

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: " عليك بطول الصمت فإنه مطردةٌ للشيطان وعاونٌ لك على أمر دينك ".

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: إياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه ". إلى هنا وصلنا في الدرس الماضي.

قلت: يا رسول الله زدني.

قال عليه الصلاة والسلام: " قل الحق وإن كان مرأاً "

الحقيقة المؤمن الصادق يوضع في أحيين كثيرة في ظروفٍ صعبة، لو أنه قال الباطل، لسلم، لو أنه قال الباطل، لاستراح فيما يبدو له، ولكنه إذا قال الحق يتصوّر أنه سيعاني مشكلاتٍ كثيرة، ولكن المؤمن مع الحق يدور معه حيثما دار، قلت لكم مرةً: سيدنا عمر كان مع نفر من أصحابه، قال له أحدهم مادحاً: " والله يا أمير المؤمنين ما رأينا أفضل منك بعد رسول الله ". هذا الكلام !! أين سيدنا الصديق، هذا الصحابي الجليل الذي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

**(( سدوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أخي أبي بكر ))**

( من الدر المنثور: عن " ابن عباس " )

هذا الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

**(( ما طلعت شمسٌ على رجلٍ بعد نبيٍّ أفضل من أبي بكر ))**

هذا الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، هذا الذي تحدث عنه النبي عليه الصلاة والسلام الشيء الكثير..

**(( ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة إلا أخي أبا بكر ))**

( من مختصر تفسير ابن كثير )

هذا الذي قال: " والله يا أمير المؤمنين ما رأينا أفضل منك بعد رسول الله ". أين سيدنا الصديق؟! سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان يخطب على المنبر كان يقف على أعلى درجة، فلما جاء بعده الصديق وقف على درجة رسول الله ﷺ، ثم هاله الأمر، فنزل درجة، فقال: " ما كان الله ليراني أن أرى نفسي في مقام رسول الله " سيدنا عمر قال: " ما كان الله ليراني أن أرى نفسي في مقام أبي بكر " ونزل درجة. إذاً فلما قال هذا الرجل أنه: " والله ما رأينا أفضل منك بعد رسول الله ". هذا الكلام غير صحيح، سيدنا عمر دقق فيهم جميعاً، إلى أن قال

أحدهم:

لا والله لقد رأينا خيراً منه.

قال: مَنْ هو؟

قال: أبو بكر.

فعندها قال سيدنا عمر: كذبتُم جميعاً وصدقت.

خاطب هذا الذي قال الحق، يبدو أن الأول رأى أو توهم أن هذه الكلمة ربما ارتاح لها سيدنا عمر، أو ربما أعجبته، حينما قالها ما كان يعرف مَنْ هو عمر رضي الله عنه، سيدنا عمر أبي إلا الحق، قال: "كنت أضل من بعيري وكان أبا بكرٍ أطيب من ريح المسك " هذا الحق.

في البيع والشراء، قد يقول لك: انصحني. تفضل قل الحق، إذا قلت الباطل نفقت سلعتك، وإذا قلت الحق كسدت، قد تحكّم بين اثنين؛ واحدٌ عظيم والثاني غير عظيم، واحدٌ يلوذ بك والآخر لا يلوذ بك، واحدٌ يسعدك أن ترضيه والآخر لا تعلق كبير أهمية على إرضائه، تحكّم بينهما، بماذا تحكّم؟ قل الحق وإن كان مرأً، في التحكيم، في القضاء، في البيع، في الشراء، في العلاقات الاجتماعية، في كل أمر قل الحق وإن كان مرأً لأن الله عز وجل هو الحق، فإذا قلت الحق فأنت مع الحق، وإذا قلت الباطل فأنت مع الباطل، والباطل زائل، والذي يربط مصيره بالحق هذا يسعد في الدنيا والآخرة، لأن الحق ثابت، أما الباطل متغير، فلو الإنسان تكلم الباطل.

\* \* \* \* \*

بالمناسبة هناك حديثان شريهان، لهما أهمية كبيرة جداً في علاقة الإنسان مع ربه ومع الناس.

الحديث الأول:

(( من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى ))

لو ابتغيت أمراً بمعصية، والكذب معصية، وأن تقول الباطل معصية، وأن تتوسل إلى هذا الغرض عن طريق مخالفة قناعاتك فهذا معصية " فمن ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى " .

الحديث الآخر:

" ما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه " .

( من الجامع الصغير: عن " ابن عمر " )

لو أن الناس تمثلوا هذين الحديثين الشريفين، واستوعبوا مضمونهما، وطبقوهما في حياتهم اليومية، لسعدوا وأسعدوا.

\* \* \* \*

فقلت: يا رسول الله زدني.

قال: " قل الحق وإن كان مرأاً " .

فالإنصاف من صفات المؤمن، ينصف الناس، فهو يقول ما له وما عليه، لما الإنسان يغفل ما له ويبرز ما عليه، ما أنصف ظلم، حتى لو كان خصمك يجب أن تقول الحق ولو كان مرأاً، حتى لو حملك الحق على أن تمدح خصمك، وعلى أن تذم صديقك. ماذا قال سيدنا عمر: " ما ترك الحق لك صاحباً يا عمر " أنت مع الحق.

والقصة الشهيرة التي جرت في عهد المنصور حيث كان عنده أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه، وكان عند المنصور الخليفة العباسي قاضي من أعتى القضاة، ومن أشدهم خصومةً لأبي حنيفة النعمان. هذا القاضي أراد أن يجرح أبا حنيفة فقال له:

يا إمام، إذا أمرني الخليفة بقتل امرئٍ أقتله أم أتريث فعله مظلوم ؟

فقال أبو حنيفة: الخليفة على الحق أم على الباطل ؟ سأله سؤال، صار القاضي محرّج جداً، إن قال له: على الباطل قطع رقبته.

فقال: الخليفة على الحق.

فقال أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى: كن مع الحق، مادام الخليفة مع الحق كن مع الحق. فلما خرج قال: أراد أن يقيدني فربطته.

المؤمن كيسٌ فطنٌ حذر، والمؤمن كما قال سيدنا عمر: " لست بالخب ولا الخب يخدعني ". يعني من صفات المؤمن أنه حكيم، وفي عنده فطنة، وفي عنده نكاه، وفي عنده حرص، وفي عنده يقظة، وفي عنده حسن تصرف.

ذكرت هذه القصة لقول أبي حنيفة: كن مع الحق ؟ أيام يتشاجر ابنك مع ابن صديقك، يجب أن تكون مع الحق، أما الجاهل مع ابنه على باطل، والنبي عليه الصلاة والسلام عندما قال:

(( انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا: يا رسول الله ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال: بالأخذ على يده ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

والقصص التي تتحدث عن القضاة المسلمين في عهد ازدهار الإسلام أكثر من أن تحصى، يعني أن أحد القضاة، جاءته هدية في بواكير الرطب، وكان معروفاً عند أهل البلدة أنه يحب الرطب كثيراً، طرق بابَه وجاءته هدية طبق من الرطب في بواكيره، فسأل الغلام: من جاء بهذا الطبق يا بني ؟ فقال له: شخصٌ صفته كيت وكيت. فعلم القاضي أن هذا الذي قدم هذا الطبق إنه أحد الخصوم عنده، فردَّ الطبق، وبعد أيام قدم إلى الخليفة طلباً كي يعفيه من هذا العمل، فلما سأله الخليفة:

لمَ ذلك ؟

قال: والله جاءني طبق رطب من أحد الخصمين ورددته، وفي اليوم التالي تمنيت أن يكون الحق مع هذا الذي قدم لي هذا الطبق. تمنيت فشعرت أنني بهذا التمني سقطت من عين الله عز وجل؟ هكذا الحق..

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

(سورة المائدة: من آية " 8 " )

قد تعدل بين طفلين صغيرين إذا كنت معلماً، وقد تعدل بين موظفين اثنين إذا كنت مديراً، وقد تعدل بين زبائنك، وقد تعدل بين زوجتين، وقد تعدل بين أخوين، بين شريكين، العدل من صفات المؤمن، الإنصاف، النبي عليه الصلاة والسلام في أثناء استعراض الأسرى رأى صهره، وهو مشرك جاء ليقاتل النبي، فقال عليه الصلاة والسلام:

والله ما ذمناه صهراً "

إذاً: " قل الحق وإن كان مرأاً " وأكثر هذا في البيع والشراء، يعني طلب قطعة تبديل لمركبة، بحاجة ماسة لها، وليست متوافرة إلا في هذا المحل، قال لك: هذه القطعة أصلية؟ لا يا أخي ليست أصلية، قل الحق هذه ليست أصلية، وإن كان مرأاً، وإذا قال: لكن لا أريدها. خير إن شاء الله، أكثر شيء بالبيع والشراء إذا واحد حكى الباطل قد يظن أن السلعة تروج.

" قل الحق وإن كان مرأاً "

قلت: زدني يا رسول الله.

قال: " لا تخف في الله لومة لائم "

لأنه من علامات ضعف الشخصية أن تعلق كبير أهمية على كلام الناس، وعلى رأي الناس، لأنه من استطاع أن يرضي الناس كلهم فهو منافق، من سابع المستحيلات أن ترضي الناس كلهم، حتى الأنبياء الأطهار المعصومون هؤلاء لهم خصوم، فهل في البشر من هو أكمل من النبي عليه الصلاة والسلام؟ له أعداء ألداء، وله خصوم، هناك من بغضه، هناك من حاربه، هناك من مكر به، هناك من سعى لقتله، هناك من أخرجه من مكة، له خصوم، فيعني كن مع الحق، لا بد من أن يكون لك خصوم، لأن الناس لا يرضهم الحق بل يرضهم

الباطل، وقد قال أحد الشعراء:

إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

\* \*

إذا أنت كنت قاضي مثلاً، توليت القضاء، وحكمت في قضية حكماً عادلاً، فقد يرضى من كان الحكم له وقد لا يرضى من كان الحكم عليه، لذلك من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به، فأحد مقومات شخصية المؤمن أن لا يعلق كبير أهمية على رأي الناس فيه، هو الإنسان رحم الله عبداً جبَّ المغيبة عن نفسه، فسمعة الإنسان الطيبة بين الناس رأسمال كبير لاشك، أما حينما يبتغي السمعة على حساب طاعته لله عزَّ وجل، أو على حساب مبادئه، أو قناعاته، لا كانت هذه السمعة، ولا كان هذا الذكاء الاجتماعي، ولا كانت هذه المرونة، دائماً الحقيقة الإنسان بحاجة إلى عملية موازنة دقيقة جداً، يعني أنا أسعى إلى أن يرضى الناس عني، أسعى أن يكون لي سمعة طيبة بين الناس، أسعى إلى أن أجب المغيبة عن نفسي، ولكن لا على حساب مبادئ، وديني، وطاعتي لله عزَّ وجل، فإذا تعارضت سمعتي مع طاعة الله عزَّ وجل، أنا مع طاعة الله ولا أعلق كبير أهمية على سمعتي. ولكن الذي يحصل أن الذي يضحي بمكانته إرضاءً لله عزَّ وجل، الشيء العجيب الذي هو خلاف ما يظنه الناس، أو الذي هو خلاف ما يتوهمه الناس، أن الله سبحانه وتعالى يرضى عنه ويرضى عنه الناس، هؤلاء الذين أسخطهم وأرضى الله عزَّ وجل. النبي عليه الصلاة والسلام يقول: " لا تخف في الله لومة لائم ". كن مع الحق ولا تبالي..

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)﴾

(سورة النمل)

يعني هذا الإله العظيم الذي أمرك أن تعبد، لاشك أنه ضامن، أما أنك لو توجهت إلى إنسان واستشرت، وأطعته، هذا الإنسان ليس ضامناً، أما ربنا عزَّ وجل ضامن، فحينما قال الله عزَّ وجل:

﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾

(سورة هود: من آية " 123 ")

أمرك أن تعبدته بعد أن طمأنك بأن الأمر كله عائدٌ إليه..

﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

والإله الذي لا يستطيع أن يحمي عبده المؤمن هذا ليس إلهاً..

﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

(سورة الطور: من آية " 48 " )

﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى (46)﴾

(سورة طه )

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(سورة الحج: من آية " 38 " )

النبي عليه الصلاة والسلام أصيب بمرض قبيل وفاته، فعالجوه بدواءٍ لمرضٍ خطيرٍ هو ذات الجنب، فقال عليه الصلاة والسلام قولاً لطيفاً جداً، قال:

" ذلك مرضٌ ما كان الله ليصيبني به "

يعني المؤمن له دالة على الله عزَّ وجل، يشعر أنه أثيرٌ عند الله، يشعر أن الله يحبه، أن الله يعالجه دائماً، ولكن لا يسلمه لخصومه..

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (141)﴾

(سورة النساء )

المؤمن يعالج، ولكن معالجة لطيفة، الله عزَّ وجل لطيف بالمؤمن، يعني يعالجه فيما بينه وبين نفسه، أما في عذاب مهين في الأرض، في عذاب أليم، في عذاب عظيم، في آلام لا تحتمل، هذه المؤمن له ظنُّ بالله حسن، يعني..

" ذلك مرضٌ ما كان الله ليصيبني به "

لابد أن يكون لك شيء من حسن الظن بالله عزَّ وجل، شيء من الدالة على الله، شيء من التوكل، لأن ربنا عزَّ وجل يقول عن سيدنا يونس:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

(سورة الأنبياء )

هذا صار قانون، مادمت مؤمناً بالله عزَّ وجل..

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

فالإنسان يخاف على حياته وعلى رزقه، هذه من أدق التعبيرات، أخشى ما يخشاه الإنسان حياته ورزقه، وينبغي أن يطمئن إلى أن حياته بيد الله ورزقه بيد الله، وكلمة الحق لا تقرب أجلاً ولا تقطع رزقاً، هذا الشيء الثابت، يعني قد تقف موقف فيه جُرأة، أو فيه مواجهة إرضاءً لله عزَّ وجل، المراقبون يظنون أنك أهكت نفسك، هذا الذي يظنه الناس بحسب قواعد استنبطوها خطأً من بعض الحوادث، ولكن الذي يحصل أن هذا الذي جابته، وابتغيت بهذه المجابهة وجه الله عزَّ وجل، وقلت الحق، وكان الحق مرأً، وعرضت نفسك للخطر، هذا الذي جابته في سبيل الله، لا تدري ماذا يلقي الله في قلبه عندما جابته، يلقي هيبتك، يلقي الشعور بالتهيب، لذلك الإنسان كن مع الله ولا تبالي..

كن مع الله ترى الله معك واترك الكل وحاذر طمعك

وإذا أعطاك من يمنعه؟ ثم من يعطي إذا ما منعك؟

\* \* \*

لا أنسى قول أحد التابعين رضي الله عنهم، حينما كان عند أحد الولاة، التابعين ليزيد بن معاوية، هذا الوالي جاءته رسالة من الخليفة، يبدو أن فيها أمر قد لا يرضي الله عز وجل الوالي وقع في حيرة وصراع، ماذا أفعل علي أن أنفذ هذا الأمر إرضاءً ليزيد، ولكن الله لا يرضى مني إذا فعلت هذا الأمر، فكان عنده هذا التابعي، أظنه الحسن البصري . على كل . قال له هذا التابعي كلمة تكتب بماء الذهب، ويمكن أن تستخدمها أنت دائماً، يمكن أن تجرّ لكل مسلم، قال له هذا التابعي: "إن الله يمنك من يزيد ولكن يزيد لا يمنك من الله".

لو الواحد أراد أن يرضي إنسان في معصية الله، هذا الإنسان مهما علا شأنه لا يمنك من تأديب الله لك، ولكنه إذا غضب الله عز وجل يمنعه منك، قاعدة دقيقة جداً، لذلك: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ". المؤمن رجل ذو مبدأ وملتزم على الله عز وجل، فأنت ماشي مع خالق الكون ولست ماشي مع إنسان، ما لك ماشي مع جهة وجودها مقلقل، ما لك ماشي مع جماعة على حق أو على باطل، أنت ماشي مع خالق الكون، لذلك:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾

(سورة يونس)

لا خوف لهم لما هم قادمون عليه، ولا هم يحزنون لما فاتهم..

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)﴾

(سورة النمل)

النبي عليه الصلاة والسلام في غار ثور أخذ كل الاحتياطات، وأخذ بكل الأسباب، وغطى كل الاحتمالات، وأغلق كل الثغرات، ومع ذلك شاءت حكمة الله عز وجل أن يصل المطاردون إلى باب الغار، سيدنا الصديق ليس نبياً، ارتعدت فرائصه وقال:

لقد رأونا، قال: لو أن أحدهم نظر إلى موطن قدمنا لرآنا.

قال

((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

مرحلة أخرى، وقعت عين أحد المطاردين على عين سيدنا الصديق قال: لقد رأونا.

قال: يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) ﴾

( سورة الأعراف )

هذه الثقة، على مشارف الغار، الإسلام ساعة أو نصف ساعة، دقائق وانتهى الإسلام كله، أما النبي عليه الصلاة والسلام واثق من نصر الله عز وجل، وربنا أحياناً يؤخر النصر حتى يتزلزل المؤمنون..

﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) ﴾

( سورة الأحزاب )

ربنا أيام تستقيم استقامة تامة، يوقف ذلك نهائياً، والذي غرقان بالمعاصي يعيش بحبوحة، وأنت المستقيم شغلك واقف، تعال حل هذه، طبعاً الله لا يريد منتفعين ولكنه يريد محبين، المنتفع يظهر في هذا الموقف، هو يتصور الدين في حبوحة، وغنى، وإقبال الناس على الشراء من محلك، وتوفيق، وبعد ما استقام استقامة تامة لم يوجد شيء من هذا، الأمور صعبة، هذا امتحان ؛ لئلا تكون الاستقامة تجارة رابحة..

من أحبنا أحببناه ومن طلب منا أعطيناه

ومن اكتفى بنا عما لنا كنا له وما لنا

\* \* \*

فرينا أحياناً مع أن المستقيم له معاملة خاصة، وربنا عز وجل أشار بآيات كثيرة للمستقيم، لكن لما الإنسان يتخذ الاستقامة تجارة رابحة لا حياً بالله ولكن حياً بمكاسبها وثمارها، ربنا قد يمتحنه، قد يضيق عليه وهو مستقيم لينظر ماذا يقول في نفسه؟ ماذا فعلت لله حتى أوقع بي ما أوقع؟! لذلك الإنسان يجب أن ينزه طاعته لله عز وجل عن أي غرض، هذا التنزيه، هذا الإخلاص، يعني:

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا فليس لي عنهم معدلٌ وإن عدلوا

والله وإن ففتوا في حبه كبدى باقى على حبه راضٍ بما فعلوا

\* \* \*

البطولة أن تقول: يا رب لك الحمد. وأنت في بعض حالات الضيق، وأنت في عُسر، وأنت في إخفاق، وأنت في مشكلة، وأنت في ورطة، وأنت أمام شبح مصيبة، وأنت بوضع عسير، أن تقول: يا رب لك الحمد. إذا: " لا تخف في الله لومة لائم ". هذا هو المؤمن، فالمؤمن يظنه الناس أنه صلى وصام، من شاء صام ومن شاء صلى، المؤمن إنسان شخصية فذة، إنسان ذو مبادئ، ذو صحة نفسية، معنوياته عالية كثيراً..

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) ﴾

(سورة آل عمران)

إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ وإذا وجدت الله فماذا فقدت؟ وإذا فقدت الله فماذا وجدت؟ أحياناً تكون والدته كثير قاسية، وشاهد أنه في إنسانة معها مظلومة، قد يتملق، هذه المظلومة إذا أنت كذلك أجهفت في حقها، سحقته سحقاً، أحياناً تكون زوجة شابة ساكنة مع أهل الزوج، في ضغط عليها شديد، إذا انحاز الزوج لأهله، سحقها لزوجته، المؤمن منصف، متعبة جداً، مرهقة بالأعمال، وضغط اجتماعي، ولوم، وتعنيف، وجاء الزوج مساءً؛ الأم صبت كل غضبها على زوجته، والأب كذلك، وهذه ليس لها أحد غيره، أنت

منصف ومؤمن يجب أن تقف إلى جانب المظلوم، كل إنسان له حق.

أحياناً إذا كان إنسان مظلوم وقفت إلى جانبه بالحق، والله هذا العمل خيرٌ من عبادة سنة ساعة عدل، كما قال عليه الصلاة والسلام:

(( عدل ساعة خيرٌ من عبادة سنة ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

ساعة موقف فيه عدل، فهذا الحجر الذي ضج إلى الله بالشكوى فقال:

يا رب عبدك خمسين عاماً ثم تضعني في أس كنيف ؟

قال له: تأدب يا حجر إذ لم أجعلك في مجلس قاضٍ ظالم. يعني أن تكون في الكنيف أشرف لك ألف مرة من أن تكون في مجلس قاضٍ ظالم.

وفي إنسان مرة روى حديث عن رسول الله لكن عمل تعديل طفيف ما انتبهت له أنا قال: " أنه في آخر الزمان قاضٍ إلى جهنم وقاضٍ إلى النار " إذا كان القضاة أجحفوا بحق الأطراف المتخاصمة، إذا الإنسان ما رأى الحق وحكم بجهل فهو إلى النار، يأتي على القاضي العدل ساعة يتمنى لو لم يقضي بين اثنين في تمرة، الحديث:

(( قاضٍ إلى الجنة وقاضيان إلى النار ))

( من مختصر تفسير ابن كثير )

هذه على كلمة: " لا تخف في الله لومة لائم ". الله مع الحق، كن مع الحق ولا تبالي.

\* \* \* \* \*

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: " ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ".

الحقيقة هذه اللقطة من الحديث دقيقة جداً، يعني أشد العيوب في الإنسان التناقض، حديث شريف يقوله عليه الصلاة والسلام:

### (( عامل الناس كما تحب أن يعاملوك ))

أحياناً يكون في بيتك زوجة ابنك، يجب أن تعاملها كما تحب أن تعامل ابنتك في بيت أهل زوجها، عندك صانع بالمحل، تحب أن تعامله كما تحب أن يعامل ابنك في محل آخر، هذا مقياس . شهد الله . من أدق المقاييس، لكن هو حديث شريف، ولكثرة ترداده الناس يقولونه بلا وعي، أما:

### (( عامل الناس كما تحب أن يعاملوك ))

أسباب عفة الشباب أحياناً أنه هو لا يحتمل أن تسمع أخته في الطريق كلمة نابية من شاب، فإذا كان هو لا يرضى لأخته أن تسمع كلمة من شاب، أيستطيع هو أن يقول كلمة ؟ هذا الموقف الصحيح، لذلك الناس حينما يتناقضون، حينما يفعلون شيئاً ويحرمونه على الناس، وقعوا في تناقض.

هنا النبي الكريم يقول: ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك. يعني كن منصف، مثلاً: في محلك التجاري في صانع وفي ابنك، إذا ابنك حمل غرض ثقيل تقول له: بابا، إياك أن تحمل من أجل ظهرك، فهذا حرص، ماشي الحال، أما إذا الصانع حمل: احمل كمان أنت شاب، فلماذا هذا شاب وهذا من أجل ظهرك يا ابني؟! هذا تناقض بعينه، إذا كان زوج ابنتها جاء بآلة كهربائية لابنتها تقول: الله يرضى عليه، الله يوفقه فلان، كلام طيب أثنت عليه، أما إذا ابنها جاء لزوجته بالآلة نفسها، هي لا تريد هذه الآلة هذه الغسالة، أنت تطمعها وتدللها، هذا موقف متناقض، فأبشع شيء بالإنسان أن يقف موقفين متناقضين، الواحد يلاحظ نفسه أحياناً لا ينتبه، تجده ينحاز لابنه، ينحاز لابنته، ينحاز لأقرباؤه، ينحاز لجماعته وهو لا يدري، ويتهم الآخرين بالنقص، والنقص فيه، فهذا عيب بالإنسان كبير.

اللهم صل عليه قال: ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك. يعني أن ترى الشوكة في عين أخيك ولا ترى الجذع في عينك!! تحاسب أخوك على غلطة بسيطة، ولا تحاسب نفسك على غلطة كبيرة!! تقني للناس بالأشياء الصعبة ولنفسك الأشياء السهلة!! هذا الموقف المعتدل أن تقيس الناس، وأن تقيس نفسك بمقياس واحد، ليحجزك

عن الناس ما تعلم من نفسك.

ودائماً الإنسان لا ينصح إلا إذا مطبق، وإلا كلامه ليس له معنى، والقصة التي تعرفونها عن هذا العبد الذي سأل شيخ سيده على أن يعتقه، أول مرة، ثاني مرة، شهر، شهران، سنة، إلى أن أعطى الشيخ توجيهه للسيد بإعتاق عبده، فالعبد في بباله سؤال:

أنه لم هذا التأخر ما دامت القضية تحل بكلمة ؟

قال له: يا بني لقد أرهقتني، أنا وفرت مصروفي حتى جمعت مبلغ أعتقت به عبداً، فلما أمرت سيديك أن يعتقك استجاب لي.

يعني أنت ادفع زكاة مالك واحكي عن الزكاة يا عيني، لك كلامٌ كالسحر، غض بصرك تماماً واحكي على غض البصر، تؤثر في الناس، كن مع الحق دائماً ووجه الناس لهذا التوجيه، كلامك مؤثر، أما الناس أذكياً جداً، من ظن أن الناس أغبياء هو الغبي لحاله، الناس متبصرون، الأمور كلها واضحة مكشوفة، فإذا وجهت الناس توجيه أنت مقصر فيه صار في تناقض. ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك، لا تراعى نفسك وتشدد على الناس، إذا تساهلت معها تساهل معهم، شددت معها، شد عليهم.

\* \* \* \*

قلت: يا رسول الله زدني. هذا سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه طموح جداً. قلت: زدني.

قال عليه الصلاة والسلام: " عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي "

يعني الجهاد فيه جهد، والتكليف فيه كلفة، ومن طلب العلى سهر الليالي، إلا إن سلعة الله غالية، طلب الجنة من دون عملٍ ذنبٍ من الذنوب، يعني أن تظن جنة عرضها السماوات والأرض إلى الأبد، تأتي بركعتين وليرتين؟! هذه هي الشغلة ؟ هذا كلام فيه سخف..

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَغْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) ﴾

( سورة آل عمران )

والله في امتحانات يومية، امتحانات صعبة جداً، أنت طالب طلب كبير، وهذا الطلب الكبير يحتاج لجهد كبير، يحتاج لمؤثرة..

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40)﴾

(سورة النازعات )

الحقيقة الإنسان لا يتمكن يجاهد الجهاد الأصغر إلا إذا جاهد الجهاد الأكبر ؛ جهاد النفس والهوى، والنبي هكذا قال في بعض ما روي عنه:

(( رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ))

( من أحاديث الإحياء: عن " جابر " )

فغض البصر من الجهاد، وضبط اللسان من الجهاد، الغيبة محببة، مجلس الحديث عن الناس ممتع، لذلك ضبط اللسان من الجهاد، ضبط العين من الجهاد، ضبط الأذن ألا تسمع شيء لا يرضي الله من الجهاد، أن تكون مع الحق هذا من الجهاد.

إذاً: عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي. والحقيقة الإمام الغزالي له كلمة: " جاهد تشاهد " يعني العلم في علم بالله، وعلم بخلق الله، وعلم بأمر الله، العلم بالله ثمنه الجهاد، أن تعرف الله عز وجل، أن تعرفه حق المعرفة، أما أن تعرف أمره هذا شيء يحتاج لمدارسة، أن تعرف خلق الله عز وجل يحتاج لجامعات، تحتاج لفيزياء، كيمياء، رياضيات، تاريخ، جغرافيا، هذه فروع في الجامعة فيها علم بخلق الله، وإذا أردت أن تعرف أمر الله عز وجل أيضاً هذه معلومات دقيقة لها كتب، ولها أساتذة، أما إذا أردت أن تعرف الله عز وجل هذه المعرفة ثمنها المشاهدة، جاهد تشاهد.

الله عز وجل لا يتجلى على قلبك، لا يمنحك شيئاً من أنواره وأنت في البجوحة، وأنت في الرخاء، وأنت في الرخص، وأنت في الأشياء اللطيفة في الدنيا، توتي نفسك هواها والله سبحانه وتعالى تتمنى أن يكون لك كما تريد؟! إذاً: " عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي " .

\* \* \* \*

قلت: يا رسول الله زدني.

قال: أحب المساكين وجالسهم .

النبى عليه الصلاة والسلام ماشى فى الطريق فاستوقفته امرأة ضعيفة، توقف معها طويلاً تكلمه فى حاجتها، دخل عليك رجل أصابته رعدة، فقال له:

(( هون عليك إنما أنا من امرأة من قريش كانت تأكل القديد فى هذه البطحاء ))

( من الدر المنثور: عن " جرير " )

الدعاء الشريف:

(( واحشرونا مع المساكين ))

المساكين الإنسان لما ينظر لنفسه أنه من طبقة أعلى من الناس، وقع فى غلط كبير، هذا الكبر أساساً، النبى كان متواضع، كانت الجارية . الطفلة الصغيرة . تقوده من يده إلى حيث شاءت، يعنى أحب المساكين وجالسهم، يمكن المسكين إذا جلست معه، فهذا الشيء يمنحه معنويات عالية كثير، أما إذا جلست مع واحد أعلى، متكبر، يزعجك، ماذا قال النبى الكريم ؟ قال:

(( لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له ))

إذا كان شخص مترف، من دخل على الأغنياء . طبعاً غير المؤمنين . خرج من عندهم وهو على الله ساخط، قال:

(( يا عائشة إذا أردت اللحوق بي فليكيفك من الدنيا كزاد الراكب ولا تستخلى ثوباً حتى ترقيه وإياك والدخول على الأغنياء ))

( من الدر المنثور: عن " السيدة عائشة " )

لأن الغنى غير المؤمن لا يعرف الله عز وجل، متكبر، مستعلى، ينظر للناس على أنهم دونه، أما الغنى المؤمن

تشتهي الغنى منه، لتواضعه ولسخائه.

أحب المساكين وجالسهم. فإذا صاحبت إنسان لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له شيء متعب، أنت تتقرب وهو يتباعد، أما إذا صاحبت إنسان يرى لك فضلاً، فأنت تغذي له مشاعره، وتعطيه دفع نفسي كبير، وترقى عند الله عزَّ وجل.

\* \* \* \* \*

قلت: يا رسول الله زدني.

قال

((انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر ألا تحتقر نعمة الله عليك ))

الآن إذا الإنسان صاحب طبقة أعلى من طبقته يتعب كثير، وإذا تزوج امرأة أعلى منه يتعيب كثير في المصاحبة وفي الزواج، إذا تزوج امرأة من مستواه أو دونه بقليل يسعد بها وتسعد به، أما إذا أخذها أعلى منه بكثير، كل حياته شقاء، هي بمستوى وهو بمستوى دائماً في ازدياء، لذلك الفقهاء قالوا بموضوع الكفاءة، الكفاءة تناسب الزوجين.

لا تنظر إلى من هو فوقك. الحقيقة هذا الموضوع دقيق، أنت في عندك موضوعين، في أمر الآخرة عليك أن تنظر إلى من هو فوقك، لو نظرت بالآخرة لمن هو دونك رأيت المجرمين، والزناة، معنى هذا أنت ولي كامل مكمل، لا شربت خمر، ولا زانيت، ولا سرقت، ترى نفسك ما في أحسن منك، تبرك، ما بقي فيك حركة أبداً، في أمر الآخرة يجب أن تنظر إلى مَنْ هو فوقك، اجعل النبي عليه الصلاة والسلام قدوةً لك، اجعل أصحاب النبي في جهادهم، وعبادتهم، وتهجدهم، وإخلاصهم، وبذلهم، وتضحياتهم، اجعل كبار المؤمنين قدوةً لك في أمر الآخرة، أما في أمر الدنيا فانظر إلى أمر من هو أدنى منك، أنت عندك بيت مائة متر وغيرك عنده غرفة يسكن فيها هو وأولاده، أنت عندك زوجة وغيرك ما عنده زوجة، أنت عندك ولدان وغيرك ما عنده أولاد، أنت لك دخل غيرك قاعد بدون شغل، يعني بكل موضوع في من هو أدنى منك، فإذا نظرت إلى من هو أدنى منك ترى نعمة الله عليك، تحب الله عزَّ وجل، والمؤمن دائماً من صفاته أنه يحدِّث نفسه بنعم الله.

(( أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا آل بيتي لحبي ))

( من الجامع الصغير: عن " ابن عباس " )

فكلما الإنسان ذكر صحته، رأى إنسان مبتلى فيما بينه وبين نفسه قال: الحمد لله الذي عافيتني مما ابتليت به كثيراً من خلقك. رأى إنسان ماشي كفيف البصر، إنسان ماشي على عكاز، إنسان ملقى في الطريق يتسوّل، فهل أنت أذكى منه ؟ قد يكون هو أذكى منك، لكن شاءت حكمة الله أن تكون أنت في هذا المكان. مرة شخص قال عن المؤمن: أنك تتكة معبأة ذهب، فإذا أنت ظنيت نفسك ذهب أنت غلطان، لأنك تتكة لكن معبأة ذهب، وإذا ظن الإنسان حالة ذهب، وهذا الذهب أفرغوه من التتكة فرجع تتكة. هذا التواضع ليس موضوع تواضع بل هو موضوع حقيقة، كنت لا شيء فأصبحت به خير شيء، استيقظ وراقب صباحك، ما دمت ترى فضل الله عز وجل فأنت شاكر، فإذا عزوت النعم إلى ذاتك فهذا هو البعد عن الله عز وجل.

(( ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك ))

\* \* \* \* \*

قلت: يا رسول الله زدني.

قال

((كفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك))

أكبر عيب أن تكشف للناس عيوبهم، وأن تنسى عيوبك، وهذا أكبر عيب في الإنسان، التناقض أيضاً.

هذا الحديث انتهى

\* \* \* \* \*

ومن شمائل النبي عليه الصلاة والسلام، هذا الموضوع الذي نحن في أمس الحاجة إليه

من شمائله ﷺ مشاورته لأصحابه، هو نبي، رسول، معصوم، يوحى إليه، ومع ذلك الله سبحانه وتعالى قال له:

### ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

( سورة آل عمران: من آية " 159 " )

إذاً المؤمن يقتدي بالنبي عليه الصلاة والسلام ويشاور في كل أمره " من استشار الرجال استعار عقولهم " .

أول شيء بالمشاورة قال: إن بالمشاورة تطيباً في نفوس أصحابه. فإذا واحد أمر ابنه بأمر، وأخذ رأيته: أن هذا العمل مفيد؟ قال له: بابا مفيد. إذا سنفعله، صار الطفل يفعل هذا العمل بمحض اختياره، بقناعته، برضاه، هذا أعون، فالقائد الناجح دائماً إذا أحب أن يصدر أمر يأخذ رأي من هم دونه في هذا الأمر، فإذا وافقوا على ذلك، ونفذوا الأمر، كان هذا التنفيذ بناءً على رغبتهم، وعلى قناعتهم، هذا أعون في التنفيذ، فلذلك مدير مدرسة مثلاً مدير مستشفى، قائد قطعة مثلاً، إذا أراد أن يعلل الأمر لمرءوسيه، ويستمزج رأيهم في ذلك، فإنه أعون على تنفيذ هذا الأمر، ربنا عز وجل خالق الكون أمره نافذ، أمره لا يحتاج لمناقشة ومع ذلك قال:

### ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

انتهى الأمر. ولكن لماذا قال:

### ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ ﴾

( سورة التوبة: من آية " 103 " )

لماذا قال:

### ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

( سورة العنكبوت: من آية " 45 " )

فربنا عزَّ وجل حينما يأمر يعلى، والتعليل رحمةً بالخلق. المشاورة بالنسبة لإنسان يقود بمجموعة، إذا شاورهم واستمزع آراءهم، وفهم وجهة نظرهم، فكانت هذه الوجهة مطابقةً لوجهته، فإذا أمرهم الآن هذا الأمر صار متبني من قبل هؤلاء، أقوم، وأعون، وأجدى، هذا بند.

قال: الاستظهار برأيهم. بمعنى أن رأيهم الموافق لرأيه ﷺ يزداد به النبي قوة، فقال عليه الصلاة والسلام يخاطب أبا بكرٍ وعمر:

(( لو اجتمعنا في مشورةٍ ما خالفتمنا ))

( من الدر المنثور: عن " عبد الرحمن بن غنم " )

لو اجتمعنا . يا أبا بكر ويا عمر . في مشورةٍ ما خالفتمنا، هذا منتهى التواضع.

والحقيقة البليغة أن هذا الأمر الموجَّه من الله عزَّ وجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، هو ليكون سنةً. ألم أقل من قبل أن النبي عندما صلى الظهر ركعتان وقال بعض أصحابه:

يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة ؟

فقال عليه الصلاة والسلام: كل هذا لم يكن.

قال بعضهم: بعضه قد كان.

فالنبي طلب التواتر فسأل أصحابه الآخرين فقالوا: ركعتين، فقال عليه الصلاة والسلام:

(( إنما نسيت كي أسن ))

هو النبي قدوة، الأمر مستمر، فإذا النبي الكريم على علو قدره، وعلى رفعة شأنه، وعلى أنه المخلوق الأول، والمعصوم، وعلى أنه الذي يوحى إليه، أمر أن يشاور أصحابه فأنت أيها المؤمن من باب أولى أن تشاور، أنت لست معصوماً، ولا يوحى إليك، ومركبٌ من غلط، فأنت من باب أولى، إذا كان النبي وهو ما هو عليه من الرفعة والعظمة والعصمة مأموراً أن يشاور، فمن أنت ؟ هذه النقطة الثالثة.

يعني حينما أمر الله نبيه أن يشاور، أراد أن يكون قدوةً حسنةً لأتباعه من بعد، كي لا يتأثروا في نفوسهم.  
والنبي ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى:

### ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

(سورة آل عمران: من آية " 159 " )

قال عليه الصلاة والسلام:

(( أما إن الله ورسوله لغنيان عنهما، ولكن جعلها الله تعالى رحمةً لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً،  
ومن تركها لم يعدم غياً ))

(من الدر المنثور: عن " ابن عباس " )

من ترك المشاورة وقع في الغي والظلال، ومن استشار أصاب الرشd والهدى، هذا حديث عن رسول الله .  
شيء آخر: الإمام الشافعي روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: " ما رأيت أحداً أكثر مشاورةً لأصحابه  
من النبي ﷺ ". وهو في قمة المجتمع ما رأيت أحداً أكثر مشاورةً لأصحابه من النبي، موضوع الشورى الله عزَّ  
وجل وصف المؤمنين بأن أمرهم..

### ﴿ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة الشورى: من آية " 38 " )

هذا وصف ثابت لهم، وأمر النبي بالشورى ؟ إذاً الاستشارة لأهل الخبرة، لأهل الصلاح لأهل العلم في كل شؤون  
حياتك، هذا يضيف عليك توفيقاً وسعادةً، بل إنك تستعير عقل إنسان كبير بسؤال، أنت خذ منهم آراءهم، وفكر  
فيما تشاء .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 013 - 127 ) : نضر الله عبداً ....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-07-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... حديث رسول الله ﷺ في هذا اليوم حديثٌ دقيقٌ جداً، يدعو المؤمنين إلى تحقيق مهمتهم التي خلقوا من أجلها، وقبل أن نقرأ الحديث، وقبل أن نمضي في شرحه بفضل الله عز وجل، أحب أن أمهد له بكلامٍ دقيق.

الإنسان في الدنيا مكلف، معنى مكلف أي أن أمانةً وضعت بين يديه، لا بد من أن يزيكها إنها نفسه، ولن تزكو النفس إلا إذا عرف الله عز وجل، أن يكون عمك في هذه الدنيا وفق المخطط الذي أراده الله عز وجل، هذا يحتاج إلى علم، إذا طلب العلم فريضة.

يعني أول نقطة: إذا أردنا أن نعرف العبادة، حيث أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾

(سورة الذاريات)

يعني الله سبحانه وتعالى خلق العباد، وأمرهم أن يعبدوه، إذا أردنا أن نفهم حقيقة العبادة؛ هي منتهى طاعة الله عز وجل، غاية الطاعة مع غاية الحب، ولكن أين هذا؟ متى أكون طائعاً، ومتى أكون محباً؟ في أدق تعريفات العبادة، في أجمع تعريفات العبادة: غاية الطاعة مع غاية الحب. لن تكون في غاية الطاعة، ولا في غاية الحب، إلا إذا عرفت الرب.

إذاً أخطر شيءٍ تفعله في حياتك الدنيا، قد يقول أحدكم: إن أخطر شيء أن أشتري بيتاً أن أتزوج، أن يكون لي عمل يدر عليّ ربحاً، قد يقول أحدكم هذا، ولكن والذي نفس محمد بيده، والله الذي لا إله إلا هو، لو عرفتم قيمة المهمة التي أنتم فيها وخطورتها، لجمدتم كل شيء، واتجهتم إلى معرفة الله عز وجل، لأن كل شيء بعد معرفة الله يسعد ويجدي، أي شيء قبل معرفة الله حركة عشوائية ضالة عابثة، من هنا ورد في بعض الأحاديث الشريفة أن:

(( لا إله إلا الله لا يسبقها عمل ))

( من الجامع الصغير: عن " أم هانئ " )

العمل قبل التوحيد فيه شرك، افعل ما تشاء، افعل من الخيرات ما تشاء قبل التوحيد، إن هذه الأفعال مشوبةً بالشرك، لو دعوت الناس إلى طعام، قد يخطر في بالك: لأريهم ما عندي. ليس هذا هو العمل الذي يقبله الله عز وجل، لو فعلت الخير ؛ تملأ الدنيا ضجيجاً بهذا الفعل، لأنك تريد أن تأخذ ثمن هذا الفعل، قبل معرفة الله عز وجل، قبل أن توحد له هناك عمل، فالعدد لا يعمل قبل أن تعرف الله عز وجل.

إذاً، إذا قلنا: أن العبادة هي غاية الحب مع غاية الطاعة. لن تكون في غاية الحب، ولا في غاية الطاعة إلا إذا عرفته، اعرف، تطع، وتحب، عندئذ تسعد. إذا أنت هنا في الدنيا من أجل عملٍ كبير ألا وهو العمل الصالح، ولكن العمل الصالح لا بد من أن يسبق بمعرفة، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ بالخَيْف . مكان مسجد الخيف في منى . يقول:

(( نَصَّرَ اللهُ عبداً سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها، فربَّ حاملٍ فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ثلاثٌ لا يغل عليهن قلب مؤمن ؛ إخلاص العمل لله تعالى، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحفظ من وراءهم ))

هذا حديث اليوم.

نَصَّرَ اللهُ عبداً... الوجه النضر هو الوجه المتألق..

## ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (23)

( سورة القيامة )

وقال العلماء: الوجه صفحة النفس. أنت أيها الأخ الكريم تقرأ في وجه أخيك الرضا، وتقرأ السرور، وتقرأ الخوف، وتقرأ القلق، وتقرأ الحيرة، وتقرأ الطمأنينة، وتقرأ السعادة وتقرأ الترقب، وتقرأ الحزن. كل انفعالات النفس، لحكمة أرادها الله عز وجل، تنطبع على صفحة الوجه، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

(( لو أن الوجه الحسن رجلٌ لكان رجلاً صالحاً، ولو أن الوجه السيء رجلٌ لكان رجلاً سيئاً ))

لأن خبث الإنسان، حقه، ضغينته، شهوانيته، أنانيته، لحكمة أرادها الله عز وجل تنطبع على وجهه، من هنا يقول عليه الصلاة والسلام، فيما روي عنه:

(( اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله ))

( من الدر المنثور: عن " ثوبان " )

إذاً، نضر الله عبداً... ترى المؤمن له وجهٌ مقبول، له وجهٌ حسن. قد يظن أحدكم أن الوجه الحسن خطوطٌ دقيقة، جاذبيةٌ في تقاطيع الوجه، لونٌ أزهر، لا، هذا لا أعنيه أبداً، هذه صفات الحُسن المادية ولكن صفات الحسن الروحية هذه يعرفها أهل القلوب، الوجه المقبل على الله عز وجل كأنه كوكبٌ دري، والوجه المعرض فيه فتور، فيه رتابة. إن صح التعبير. فالنبي عليه الصلاة والسلام يدعو، يدعو لمن؟ يدعو للمؤمن الذي يتمنى أن ينتشر الحق.

يعني الواحد منا يحضر مجالس العلم سنوات طويلة، هناك سؤال دقيق جداً يجب أن يسأل نفسه به: أنا ماذا نقلت من هذا الحق؟ هذا الحق الذي سمعته؛ إن في تفسير كتاب الله عز وجل، إن في فهم حديث رسول الله ﷺ، إن في بعض مواقف الصحابة الكرام، إن في مواقف النبي عليه الصلاة والسلام، إن في بعض الأحكام الفقهية، هذا الذي تعلمته من كتاب الله، ومن سنة رسول الله، ومن شرع الله، ومن مواقف أصحاب رسول الله ماذا فعلتُ به؟

يعني كلكم يعلم أنه لا تزول قدما عبدي يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ يعيننا من هذا الحديث عن علمه ماذا عمل به؟.

فخطر في بالي قبل أيام أن العلم ليس هدفاً في ذاته، العلم نفسه، العلم وسيلة كي تسعد به في الدنيا والآخرة، فإذا شغلت وقتك في طلب العلم فقط، وعملك في وادٍ وأنت في وادٍ آخر، تعلّمت كل شيء ولم يترجم علمك إلى عمل، تعلّمت أصول الصلاة، ولم تصل تلك الصلاة، تعلمت ما الذي يزكي النفس، ولم تعمل على تركيتها، إذا كانت هذه المعلومات هدفاً لذاتها فهي مصيبةٌ كبرى، يعني هذا الأعرابي الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام قال:

يا رسول الله عطني ولا تطل.

قال:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾

(سورة الزلزلة)

ذكر النبي له آية، قال:

كفيت.

فقال عليه الصلاة والسلام: فُفَّه الرجل.

يعني معنى هذا أنه وفق هذا الحديث القضية لا تحتاج إلى كثير علم، ولا إلى طول حديث ولا إلى محاضرات طويلة، ولا إلى تفاسير مطولة، ولا إلى غوص، القضية تحتاج إلى نفس مصممة على التطبيق، فهذه الآية هكذا أفهم، والذي نفس محمد بيده . كما يقول النبي . كما يقسم النبي عليه الصلاة والسلام لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت..

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)﴾

(سورة النساء)

تكفي..

### ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14) ﴾

( سورة الفجر )

تكفي..

### ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) ﴾

( سورة طه )

تكفي. فنحن يجب أن يكون التركيز لا على تحصيل أكبر قدر من العلم. من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، إذاً التركيز على العمل، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: نَصَّرَ اللهُ عَبْدًا... ماذا فعل هذا العبد حتى نصر الله وجهه؟ حتى أصبح وجهه كالكوكب الدري؟ ماذا فعل هذا العبد حتى استحق رضوان الله عز وجل؟ ماذا فعل هذا العبد حتى استحق أن يتجلى الله على قلبه، وأن ينير وجهه؟ نَصَّرَ اللهُ دَعَاءَ مَنْ النَّبِيِّ، فأنت إذا رأيت مؤمناً صادقاً تعرفه بسيماه..

### ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

( سورة الفتح: من آية " 29 " )

من شدة الإقبال على الله، من شدة الإذعان لله، من شدة الدعاء، من شدة الاتصال ترى وجهه كالكوكب الدري؛ متألّق، كأنك شمس، يصبح شمس، يصبح هذا المؤمن باتصاله بالله شمس.

نَصَّرَ اللهُ عَبْدًا. فماذا فعل هذا العبد؟ قال. سمع مقالتي. سمع حديثي. فحفظها ووعاها... دقة الحديث، أنت إذا سمعت تفسير آية، أو حديثاً عن رسول الله ﷺ، يبين فيه النبي حقيقة في كتاب الله، أو حقيقة في شرع الله، أو حقيقة عن الله عز وجل، أنت لك مهمتان؛ المهمة الأولى: أن تحفظها. نقف وقفة يسيرة عند قول النبي فحفظها.

يعني إذا سمعت حديثاً شريفاً وكننت في غاية الانسجام في أثناء سماع الحديث، الحديث رائع، دقيق، عميق . فهذا جيد جداً . فإذا لم تحاول حفظه، وجلست مع أصدقائك، مع جيرانك، مع إخوانك، مع أهل بيتك، مع أولادك، وقالوا لك: يا أبانا حدثنا ماذا سمعت في هذا الدرس ؟ والله يا أخي درس رائع، لكن.. ماذا فعلت ؟ هذا الذي قال مرة . وهي طرفة . سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان فيه خصلتان دخل الجنة. فسأله المستمع: ما هما ؟ قال: أما الأولى فقد نسيها الراوي، وأما الثانية فقد نسيتهما أنا. إن شاء الله ماذا حدثنا ؟ ماذا يفيد أهلك، وأقربائك، وإخوانك، وأصحابك، وزملاءك، ومن معك ومن حولك، ماذا يفيدهم أن تقول: درس رائع، أو خطبة عظيمة ؟ هذا كلام عام لا يقم ولا يؤخر، دائماً الأحكام العامة لا معنى لها، أخي والله هذا الكتاب عظيم، ما معنى عظيم ؟ لا تعني شيئاً، قل له: في هذا الكتاب حقيقة دقيقة هي كذا كذا كذا، شيء جميل، أخي القرآن عظيم، هذا حكم عام لا يعني شيئاً، لكن بين له أن القرآن ذكر هذه الناحية، وأحدث نظريات العلم الآن كشفتها، إذاً هذا كلام الله عز وجل، يعني أنت بنيت عند هذا السامع لبنة في أن هذا القرآن كلام الله، هذا عن إعجازه.

دائماً الكلام العام ابعده عنه، الكلام العام لا يعني شيئاً، تضيع للوقت، هذه الألقاب الكبيرة ؛ درس عظيم، وخطبة عظيمة، وكتاب عظيم، ويا أخي شيء يأخذ العقل، كل هذا كلام فاضي، فالنبي الكريم قال: فحفظها... أنت يجب أن تحفظ، آية رائعة جداً احفظها يا أخي، احفظ حديث، ما هو قانون الحفظ ؟ هو الاهتمام.

لو سألتني: لماذا أحفظ هذا الشيء، وأنسى هذا الشيء ؟ فاسأل تاجر يوجد عنده عشر آلاف صنف في محله، إذا كان في محلات قطع تبديل مثلاً، لماذا هذا التاجر يحفظ صنفاً صنفاً، وقياساتهم، يقول لك: بقي قطعة اصعد وأتي بها يا ابني على السقيفة، بذكرته كل ما في المحل من بضاعة، وأصنافها، وأنواعها، وأسعارها، والصوافي، فكيف يحفظ؟ اهتمام، إذا كان اهتمامك بكتاب الله عز وجل، إذا كان اهتمامك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتماماً كافياً، تحفظه، لذلك كلمة واحدة، قانون الذاكرة يساوي الاهتمام.

يمكن تلتقي مع شخص مهتم بمصلحته، لذلك آية فكرة يقرأها، أو يسمعها، أو يخبرها يحفظها، موضوع آخر لا يحفظه، فأقول لك هذا الكلام: قل لي ماذا تحفظ، أقل لك من أنت. إذا مؤمن سمع تفسير آية، وتفاعلت نفسه مع التفسير تفاعل شديد، أنا أرجح، وأنا متيقن أنه يحفظها لأول مرة. يمكن شخص يسمع موضوعات في الإسلام دقيقة جداً، قالوا: ماذا قال أنفاً ؟ والله ما فهمت شيء، ما تذكرت شيء، فدرس ساعة ونصف ما ذكرت منه ولا فكرة ؟ ولا حديث ؟ ولا آية ؟ ولا موضوع ؟ ولا لفظة ؟! إذاً النبي الكريم قال: فحفظها... فالحقيقة يجب أن

تستخدم ذاكرتك في طلب العلم، إذا كان حديث جميل جداً تفاعلت معه سجّله، حاول تحفظه، وحاول تلقيه على أصدقائك وعلى إخوانك، إلى أن يصبح هذا الحديث ملكك، فأنت ليس كل شيءٍ تسمعه تحفظه، أما إذا بلغ اهتمامك بالدين، وبكتاب الله وبسنة رسول الله، تتجه هذه الذاكرة إلى حفظ الذي نسمعه، فالنبي الكريم قال: نَضَّرَ اللهُ عبداً . يدعو له بنضارة الوجه، وبنورانية القلب، وبالفلاح في الآخرة، هذه دعوة للنبي لمن ؟ . لمن سمع مقالتي... طبعاً أنت إما أن تسمع من النبي عليه الصلاة والسلام، وإما أن تسمع ممن يسمعك عنه، فالذين عاصروا النبي عليه الصلاة والسلام سمعوا منه، لكن الذين جاءوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام سمعوا من علماء نابوا عنه في تبليغ الحق، وإذا قرأت كتاباً في الحديث الشريف، فكأنما النبي عليه الصلاة والسلام يبلِّغك هذه الأحاديث، أنا لا يهمني الطريقة، هذا القول الذي قاله النبي قد تسمعه من خلال درس علم، وقد تقرأه في كتاب، وقد تسمعه في شريط، طُرق نقل المعلومات متعددة، وقد تسمعه من خطيب مسجد، وقد تقرأه في مجلة حديث شريف، إذاً المقصود بسمعته، نضر الله عبداً سمع مقالتي... يعني سمعها مني، أو سمعها مما ينوب عني في إبلاغ العلم، أو في إبلاغ سنتي..

... فحفظها... بدأ النبي بالحفظ، يا أخي أنا ذاكرتي ضعيفة، هذا كلام مقبول إلى حدٍ ما لكن لو بلغ اهتمامك بهذا الموضوع كما تهتم بعملك، وبالأشياء التي تحبها وتحرص عليها، لوجدت أنك تحفظ هذه الأحاديث بيسرٍ وطلاقة، وشيء آخر: ماذا قال عليه الصلاة والسلام؟ قال:

### (( إنما العلم بالتعلم ))

( من الجامع الصغير: عن " أبي الدرداء " )

ماذا تعني صيغة التعلم ؟ يعني محاولة طلب العلم مرةً بعد مرة، تعلم. بالمناسبة في عندنا التعلُّم وفي عندنا التعليم، وهناك فرقٌ كبيرٌ بينهما، التعلم فيه نشاط ذاتي، والتعليم فيه نشاط مبدول من قِبَل الآخرين، وأحدث نظرية في التربية والتعليم أن الإنسان يتعلم ولا يعلم، يعني تلقي عليه آلاف المحاضرات إلى أن يختبر بنفسه هذه القضية التي مارسها، والتي جرَّبها، والتي دفع ثمنها إنه لا ينساها أبداً، أحياناً يقول لك واحد: هذه القضية الفلانية دافع ثمنها، لا أنساها ما حبيت. ما الذي يثبت الحقائق في نفسك ؟ أن يرافقها تجربة، ممارسة، لذلك ماذا قال الشعراء ؟ قالوا:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباية إلا من يعانيتها

\* \* \*

ماذا قال الإمام العُكْبُرِيُّ ؟ إمامٌ جليل ألف كتاباً في إعراب القرآن، قال هذا الإمام الجليل عن القرآن الكريم: تؤخذ ألفاظه من حَقَّاه، وتؤخذ معانيه ممن يعانیه. مثلاً: لو أن إنسان بلا بيت، تزوج وعمل عقد قران، وبيت أهله مزدحم بالإخوة والأخوات، وما في عنده ولا محل، وعمل عقد قران وهو يبحث عن بيت، مضى أسبوع وأسبوعان، وشهر وشهران، وعام وعامان، يكاد يتمزق، يريد مأوى يؤويه، إذا قرأ الدعاء النبوي الشريف، الإنسان إذا دخل بيته في دعاء:

(( الحمد لله الذي آواني وكم ممن لا مأوى له ))

هذا الدعاء بعد معاناة سنتين، عثر على بيت، وسكنه، واستقر فيه، إذا دخل هذا البيت، وقرأ هذا الدعاء، يحس أن كل خلية في جسده، كل شعرة في جلده، كل قطرة في دمه، تصدق هذا الدعاء. هذا التفاعل، أحياناً يكون في خبرة، في تجربة، في معاناة، فإذا قرأت نصاً يعبر عن هذه المعاناة تتفاعل معها تفاعلاً لا حدود له، مثلاً إذا واحد أصابته آلام الكلية . معه بحصة . وفي ليلة من الليالي ما نام الليل حتى الصبح، وآلام لا تحتمل، فإذا قرأ في كتاب، أو في مقالة، أو سمع من إنسان كلام عن موضوع آلام الكلية يقول لك: إيه والله، تحس كلمة إيه والله طالعة من أعماق أعماقه، لأن هذا الكلام عبّر عن تجربة.

إذاً، ما الذي يجعلك تتعلم ؟ أن تمارس هذه التجارب، فمثلاً:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) ﴾

( سورة فصلت )

أنا متأكد لو ألقيت على ألف شخص معنى هذه الآية ألف مرة، لا تؤثر فيهم، أما أحدهم إذا استقام على أمر الله تماماً، وشعر بالطمأنينة، وشعر بالقرب، وشعر بالأمن، هذه الاستقامة، وهذا الشعور المكافئ للاستقامة، هذا يجعله يفهم الآية فهماً أبدياً.

لذلك أيها الأخ الكريم، إذا دعوت إلى الله عز وجل، لا تتكلم عن معلومات درستها وقرأتها، بل تكلم عن خبرات مارستها، عاينتها، لأنك إذا عبّرت عن تجربة، عن خبرة، عن معاناة، فإنك تفعل في الناس فعل السحر، هل تحب الله فعلاً؟ إذا كنت تحب الله فعلاً عبّر عن هذه المحبة، تجد الناس يكون من كلامك، يعني الإنسان إذا تكلم ليتكلم من قلبه، من خبرته، من معاناته، من تجربته، من شيء يحسه، من شيء ينبض به قلبه، هذا الذي يؤثر، أنا أدلكم . كما قال النبي الكريم: نصر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها... كيف يحفظها ؟ إذا طبقها، مثلاً هذا الحديث الشريف المعروف:

(( ما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

لو قرأت هذا الحديث آلاف المرات، لو استمعت إلى تحليل لغوي دقيق دقيق عنه، لا يعلق في ذهنك إلا في حالة واحدة، إذا تركت شيئاً لله فعلاً، ورأيت أن الله سبحانه وتعالى أكرمك إكراماً لا حدود له، تقول له: صدق النبي عليه الصلاة والسلام، إيه والله. هذا الذي يثبت المعاني في قلبك، " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم "، فأحياناً يكون هذا الحديث في قلبك، في مشاعرك، في وجدانك، في عقلك، في كل ما تحس به، هذا الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام.. نصر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها... إذاً أساس الحفظ الاهتمام والتطبيق، إذا طبقت الله عز وجل يلقي في قلبك هذه المشاعر..

فحفظها ووعاها... لذلك الوعي مهم جداً، الله عز وجل يقول:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (24)

( سورة محمد )

الوعي ؛ أن تعي أبعاد هذا الحديث، أن تعي أبعاد هذه الآية، لذلك حضور مجلس العلم مسؤولية كبيرة جداً، كلما حضرت مجلس علم، ووعيت ما يقال فيه، وحاولت أن تحفظه، ودرسته، لهذا الله عز وجل يقول:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ ﴾

(سورة سبأ: من آية " 46 " )

كلام رب العالمين، كلام خالق الكون..

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ ﴾

ما هذه الواحدة ؟

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّقَاتِلِينَ وَأَنْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾

يعني أنت حضرت درس، اسأل كل طلاب الجامعات: ما الذي يجعل الطالب ينجح نجاحاً متفوقاً ؟ يقول لك: قبل المحاضرة قرأتها، وبعد المحاضرة درستها. لأن هذا العلم أنت سمعته، كل ما ليس في القرباس ضاع، هواء كلام بكلام، أما إذا كتبت هذا الحديث، جلست مع نفسك ساعة أو نصف ساعة، مع أخوك، مع صديقك يحكوا في العمل أحياناً زميلين من جامع واحد، أحياناً أخوين من جامع واحد، أحياناً جارين، جلست مع أخوك، أحياناً جاء أخوه وزوجته، يقعد مع زوجته ربع ساعة ما موضوع الحديث ؟ ماذا قيل عن هذا الحديث ؟ عملية مذاكرة فيما قيل، هذه المذاكرة تثبت، حديث كان طائر فاصطدته، كان شيء متقلبت قيده، لذلك المذاكرة..

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّقَاتِلِينَ وَأَنْ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ ﴾

يعني فكر في هذه الدعوة، جاءتك دعوة من الله عز وجل، فهل من الممكن إنسان على وجه الأرض يأتيه مكتوب، فيمزقه رأساً دون أن يفتحه ؟ افتحه يا أخي، اقرأه وبعدها كذبه اقرأه ثم قل: لا يعني، اقرأه ثم قل: فيه كذب، لكن اقرأه، لأن الإنسان ماله حق يحكم على الدين قبل أن يطلع عليه، اقرأ القرآن، افهم معاني القرآن، اقرأ ما قاله النبي، افهم معاني ما قاله النبي ثم احكم، إذاً حضور مجلس العلم شيء خطير في حياة الإنسان، والحقيقة الشيء الذي أتمنى عليكم أن تكونوا في مستواه أنه:

## (( أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ))

( من مختصر تفسير ابن كثير: عن " السيدة عائشة " )

فحضور الإنسان درس، مع درس، مع درس، تجد المعلومات تنو، تنمو، تنمو تماماً كما لو كان هناك ميزان خمسة كيلو، وميزان ثاني خمس غرامات، ما تحرك الميزان ولن يتحرك، هذه الشهوات خمسة كيلو، سمعت درس خمس غرامات، درس ثاني خمسة، درس ثالث، رابع، خامس، صاروا مائة غرام، خمسمائة، مائتين، ألف، خمسة آلاف وبعدها غض بصره، هذه البضاعة تركها، هذه السهرة تركها، هذا اللقاء تركه، هذا الصديق تركه، هذا الغناء تركه، زوجته انتبه لها ؛ خروجها، نظامها، صلاتها، أولاده، تحرك، القناعات تراكمت، أما أن يأتي درس يغيب ثلاثة، فتحنا على البرميل الحنفية، ففي الدقيقة نصف لتر، بعد جمعة نشفوا، تبخروا، فتحنا لتر، وأوقفنا جمعيتين، تبخروا، يجب أن يمتلئ البرميل، تراكم تراكم.

إذاً، نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها... إذاً بلغها، حضرت درس، تكلفت، بذلت وقت، بذلت جهد، الطريق ساعة ونصف، والدرس ساعة وربع، والرجعة ساعة ونصف، فهذا الشيء ينبغي أن تستثمره، ألا تحب أن ينتشر الحق ؟ فأنا أقول لكم كلمة: الله يحاسبك عن جيرانك، يحاسبك عن أقربائك، عن إخوتك، عن أخواتك، عن أصهارك، عن زملاءك في عملك، واحد إنسان مفكر أسأله سؤال، بيّن له حديث، أخي ما فيه خير، من قال لك ما فيه خير ؟ احكي له، ما قولك إذا أصغى لك، وتأثر، وجاء معك إلى المسجد، واستقام على أمر الله، هذا خير لك من الدنيا وما فيها. " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها "

صدقوني، أنا لا أتصور مؤمن ليس في برنامجه اليومي أن يسعى لهداية الناس، مؤمن محب لله عز وجل، الله عز وجل نور قلبك، عرفك بمهمتك، بين لك الطريق الصحيح، والمنهج القويم، أفهمك كتابه، أفهمك كلام نبيه وتظل ساكت؟ تحكي بالأسعار، أخي حر الدنيا، خير وإذا كان حر ؟ يعني موضوعات كلها لا تقدم ولا تؤخر. " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ودنيها ". يعني أريد أن أقول لك بالمختصر المفيد: لك عند الله حجم بحجم عملك الصالح. أنا لا أنسى مرة، حضرت تشييع جنازة، أحد العلماء أبّن هذا المتوفى، وقف وقال: يا إخوان هذا أخوكم أبو فلان كان مؤذن ترحموا عليه. أنا أعرفه فلان له نشاط واسع في الدنيا، وعنده طموحات، ما تمكن يحكي عنه إلا كان مؤذن ترحموا عليه.

أنا انتهت أنه إذا واحد مات وأراد إنسان أن يؤبنه ماذا سيحكي عنه ؟ والله يا أخي بيته مائتي متر، هذه لا تحكى، والله كان عنده ست سيارات، لا تحكى، والله يا أخي كان طويل وكان وسيم الشكل، ما لها قيمة الآن، بعدما مات انتهى، والله يا أخي عامل ترتيب في بيته رائع جداً، أي شيء متعلق في الدنيا لا يحكى عند الموت، أما والله يا أخي هذا الرجل ترك علم نافع، ترك أولاد صالحين، كان له مساعي في خدمة الناس، فالإنسان يجهد إذا كان توفي يتمكن الآخرون التحدث عنه خمس دقائق وليس كلمة واحدة، عشر دقائق، ربع ساعة في أشخاص أعلام كبار تتكلم عنهم ساعات ولا تنتهي.

فحجمك عند الله بحجم عملك، ماذا عملت أنا، ماذا قدمت ؟ أكلت لك، أخي أكلنا، وشربنا، وتزهدنا، وسكنا، ورتبنا بيتنا، والبيت عملنا سهرات وصار كثير من التجلي، صار في سرور الحمد لله، الله تجلنا علينا، وبعد ذلك ؟ ماذا فعلت ؟ الموت قادم ماذا قدمت لهذه الساعة ؟ بمن أنت أثرت ؟ من هديت إلى الله عز وجل ؟ هذا الحق لمن نقلته ؟ كيف نقلته ؟ الآن في أخ أحياناً يكون كثير مخلص لله عز وجل، والله ما آتاه لسان طليق، ولكن آتاه شيء ثاني، عنده إمكانيات فيكرم الناس ويجلبهم إلى المسجد، هذا كأنه هداهم تماماً. " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه . في طاعة الله . ورجل آتاه الله علماً ."

يعني إذا كان واحد الله ما آتاه لسان طليق، لكنه استطاع بماله، أو بقوته، أو بوجهته فبالله عز وجل كل إنسان آتاه شيء، ما في إنسان الله ما آتاه شيء، عندك حرفة، خدمت الناس بحرفتك، أي حرفة إذا أتقنتها، وكنت واقعي، ومعتدل، وخدم، أنت داعية وأنت لا تشعر، هذا الذي يفسر قول النبي:

### (( التاجر الصدوق مع النبيين والصدّيقين يوم القيامة ))

( من الجامع لاحكام القرآن: عن " ابن عمر " )

ما هذا الكلام ؟ تاجر باع واشترى، فإذا أنت بعت بإخلاص، البضاعة جيدة، والسعر معتدل، ما كان في كذب، ولا تدليس، ولا غش، وكنت لطيف مع الناس، والناس انسروا منك، يا أخي والله هذا تاجر عظيم، هذا مؤمن، الآن، أكبر دولة في العالم الإسلامي ما هي من حيث العدد ؟ إندونيسيا، مائة وخمسين مليون، العرب كلهم مائة مليون وإندونيسيا مائة وخمسين مليون، كل هذه الملايين إنما تمت هدايتها على يد التجار، طبعاً تاجر صدوق أمين، وفي، لا يكذب، لا يغش، لا يدلس، لا يعسر على الناس، الحديث معروف عندكم.

(( الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان لهم لم يعسروا . طول بالك، لا الآن، وإذا كان لهم لم يعسروا . وإذا كان عليهم لم يمتطوا ))

( من الجامع الصغير : عن " معاذ " )

" مطل الغني ظلمٌ يبيح عرضه. يعني لك حق أن يحكي عليه، معه ولا يعطيك هكذا يعذبك، مطل الغني ظلمٌ يبيح عرضه، هناك حديث أدق من ذلك لم أحفظه، إذاً أنت إذا ما كان عندك لسان طليق تحكي ما قاله النبي بفصاحة، وطلاقة، ودقة، وعمق، وتحليل في عندك شيء ثاني، من خلال حرفتك اخدم الناس، فإذا خدمتهم، يمكن يدخل إلى بيتك دهان يدهن لك بيتك ويكون هو الداعي إلى الله وأنت لا تعرف ؛ غفيف، غض بصر، على إتقان في العمل، على أدب جم، من أين هذا ؟ أين ربي هذا الدهان ؟ حتماً في جامع رياه، أخي دلنا على جامعك، أنت من خلال استقامتك بعملك، جعلت صاحب المنزل يأتي إلى الجامع، فأبواب الدعوة إلى الله واسعة جداً، فليست كل الدعوة كلام، في شيء ليس كلام، في شيء عمل، إتقان، سعر معتدل، نُصح.. " الدين النصيحة".

إذاً: نضر الله عبداً سمع مقالتي . مشافهةً الصحابة، نحن قراءةً أو سماعاً من دعاة . فحفظها... لاهتمامه وهذا أول عامل، العامل الثاني بالتطبيق. عوامل الحفظ شيئين: الاهتمام والتطبيق..

ووعاها... فهم أبعادها، انتبه انتباه شديد، سأل، عمل مذاكرة، الآن إلا ما يلتقي أخ مع أخ بحكم الجوار، بالمنزل، بالعمل، بالقرابة اعمل بالجمعة ساعة مع صديقك، مع أخوك، مع أحد رواد المسجد تذكروا بهذا القرآن، ماذا قيل يوم الجمعة، يوم الأحد، بالخطبة ماذا قيل؟ تذكروا، عود لسانك على أن يذكر الله عزَّ وجل، اجعله طليقاً بذكر الله، قال له: خبي فحمتك الكبار لعمة آذار، قال له: هذه آية أم حديث ؟ ما هذا الكلام، ما فيه يحكي آية يضبطها، ما فيه يحكي حديث، عود اللسان عوضاً أن تحكي بموضوعات تافهة تحكي عن الله عزَّ وجل.

إذاً، فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها... أقول لكم الصراحة: كل واحد يحضر مجلس علم هذا رسول لمن لا يحضرون، الآن في أشخاص كثيرين، أو معظم الناس أن يأتي على المسجد يسمع درس علم، لا يدخله في برنامج، برنامج يغتسل ويصلي الجمعة في الجامع فقط، أما يفتح كتاب، يفهم شيء من كلام ربه، شيء من حديث نبيه، لا، ليس داخل في برنامج أن يحضر مجلس علم، إذاً أنت هذا مكلف فيه ؛ بعملك، بسكنك، بحكم قرابتك، صهرك، ابن عمك، ابن خالتك، قريبك، صانع عندك، إذاً: وبلغها من لم يسمعها... مرة قرأت أربع

كلمات بمجلة، في بعض المجالات تنتهي المقالة بنصف صفحة، نصفها فراغ، يضعوا حكمة، ما تفاعلت بحياتي مع أربع كلمات كهذه الكلمات، قال: إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين، فأنت أسعدهم. الإنسان تبنى . بالتعبير الدارج . تبنى إستراتيجيته، الإنسان له إستراتيجية، له أهداف أساسية على الأخذ أو العطاء، إذا أردت أن تعرف من أنت، هل أنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ إذا كنت تحب الأخذ، فأنت من أهل الدنيا، فإن كنت تحب العطاء، فأنت من أهل الآخرة.

مقياس دقيق جداً، هل تحب أن تكون أحس واحد ؟ النبي عليه الصلاة والسلام ما ترك بعد أن توفاه الله شيئاً، قال:

(( ما لي وللدنيا إنني أنا كمسافر استظل في ظل شجرة ثم رحل عنها ))

" خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هما .. " من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حقه وهو لا يشعر "

حدثني صديق عنده محل يبيع مفروشات قال لي: جاءني واحد من كبار التجار موسوس كثير يريد غرفة نوم، قال لي شهرين ثلاثة يقلب جرنالات، بعدها انتقى موديل رائع جداً، يريد أن يرى خشبها، راح اشترى خشب جوز، ويبسه سنتين حتى لا تقتل، بعدها بدأ الشغل، قال لي: زارني عشرات المرات أثناء التصنيع، وفي مرة من المرات انبطح تحت التخت انبطاح خاف أن يكون في عقدة من الداخل، خلصت حتى وجد المسكات شهر، انتهت الغرفة، ووضعها البائع بصالون العرض لأنه خاف أن تباع، يأتوا أناس يحبوه، ولهم قيمتهم، ويطلبوها، أخي تعال خذها ما كان يأخذها، تعال خذها، بعد ذلك قال له: أخي ادهن الغرفة، أول وجه، وثاني وجه، ست أوجه، وبعدها هنا في لمعة، هلك الدهان، بعدما انتهى الدهان، أتى بالمنجد عمل الستائر، خبرهم: تعالوا خذوها، قال لي: سمعت وأنا أخبرهم بكاء، جاءت امرأة قالت له: أخي مات صاحبها، ثلاث أو أربع سنين يصممها هذه الدنيا ؛ تخسر كل شيء بثانية واحدة، كل شيء، أما إذا واحد مهياً أعمال صالحة..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

( سورة فصلت: من آية " 30 " )

يعني الموت عرس المؤمن، أجمل لحظات المؤمن عند لقار ربه عز وجل.

وبلغها من لم يسمعها . هنا أجمل ما في الحديث . فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... يعني أنت سمعت هذا الحديث، وفهمته، وعقلته، وتفاعلت معه، وحكيته لواحد، قد يكون هذا الشخص أوسع أفق منك، وتفاعل معه أكثر، ونشره، فاهتدوا على يد من نقلت له الحديث مائة، المائة كلهم لك، أنت نقلته نقل بسيط، نقل موجز، وغير مفصل، أما هذا الذي نقلته وهو أفقه منك، إذا اهتدى على يده آلاف الأشخاص، كلهم في صحيفتك.. فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه... لا تعرف، هذه الكلمة الطيبة صدقة..

### ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

( سورة المائدة: من آية " 32 " )

آخر تعليق على الحديث الشريف: أحياناً أخ كريم يحضر درس أو خطبة ويتأثر وتأثر شديد، يتمنى هذا الدرس ينقله لزوجته أو لأقربائه، يقول لك: أنا أخذ لهم شريط أسمعه لهم فهذا العمل كذلك عمل طيب، لأنك من حرصك على هدايتهم أسمعتهم الدرس كما هو، أحياناً يطلع خير من نقل كلمة . هذه الكلمة الطيبة صدقة . في حديث آخر يقول:

" ما من صدقة أفضل من كلمة الحق "

أعظم صدقة.. وفي بعض الأحاديث أيضاً بهذا المعنى يعني الإنسان والآية الكريمة:

### ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾

هذه آية كريمة..

### ﴿ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

( سورة المائدة: من آية " 32 " )

إذا أنت الله وفقك تهدي إنسان، تجعله يستقيم على أمر الله، فهل أنت تعرف ما في وراء هذا الإنسان ؟ أول شيء زوجته، أولاده، إخوته، أصهاره، يمكن تغييره خمس ست سنوات تجد حوله مائتي رجل، كلهم يمشون مستقيمون، كلهم في صحيفتك، هذا الذي أقوله دائماً، والله حديث له ثلاث روايات، لو يفهم الإنسان هذا الحديث فهم عميق..

(( يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من الدنيا وما فيها ))

( من الجامع الصغير )

(( خيراً لك ممن طلعت عليه الشمس ))

(( خيراً لك من حمر النعم ))

وإذا سمح الله لك أن تعلم الناس، أو أن تدعو إليه، فاعلم أن هذه صنعة الأنبياء، عندما ربنا عز وجل قال لسيدنا موسى:

﴿ وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41) ﴾

( سورة طه )

يعني يمكن واحد مؤمن يكون غالي على الله عز وجل ؛ يكون وقته، وحياته، وذكاؤه، وخبراته، وثقافته، ومطالعاته، ونشاطه كلها في سبيل الله، هؤلاء..

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14) ﴾

( سورة الواقعة )

قلّة، أن يبيع الواحد نفسه لله عزّ وجلّ، الإنسان لماذا لم يكن طموح ؟ المنيح أحسن منك ؟ " يا سعد لا يغرّنك أنه قد قيل خال رسول الله، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له ". باب مفتوح، فضل الله عظيم يسع جميع الناس، فالإنسان يكون طموح، ويكون عنده همّة عالية كما قال النبي:

" علو الهمة من الإيمان "

يعني تعلم، وعلم، وابذل جهد، وعندئذٍ يسمح الله لك أن تكون مقرباً..

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) ﴾

( سورة القمر )

لك مكان عالي عند الله عزّ وجلّ، أما أهل الدنيا..

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ﴾

( سورة الكهف )

لهم صغاراً عند الله..

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) ﴾

( سورة البقرة )

أما أهل الآخرة..

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96) ﴾

( سورة مريم )

والله إذا الواحد التقى مع شخص مهم، وأخذوا له صورة، يطير عقله، يضعها في جيبه على طول، دائماً يقول:  
كنا معه وصافحني، فكيف لو واحد له مع الله مودة ؟ مع خالق الكون، لذلك كما قال النبي الكريم:  
" لي مع ربي ساعة لا يسعني فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب ."

( من الجامع لاحكام القرآن )

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) ﴾

( سورة المطففين )

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61) ﴾

( سورة الصافات )

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (014 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بـ إياكم .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-08-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... حديث اليوم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" إياكم... "

قبل أن نُكْمَل الحديث، كلمة ( إياكم ) تعني احذروا، فالنبي عليه الصلاة والسلام لحرصه علينا ورحمته بنا يحذّرنا، وحبّاً لو أن المؤمن يتبع أحاديث رسول الله ﷺ التي تبدأ بـ (إياكم)، مَنْ يذكر حديثاً يبدأ بإياكم؟:

(( إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة لا أقول حالقة الرأس ولكن أقول حالقة الدين ))

( من كنز العمال )

إياكم وفساد ذات البين ؛ الخصومات، المشاحنات، العداوة، البغضاء، هذه تقتت المؤمنين، تجعلهم ضعفاء، متفرّقين، فرادى، مشرذمين.

حديث آخر ؟

(( إياكم والجلوس على الطرقات فإن كنتم لا بد فاعلون فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق ؟ قال:

غض البصر، وكف الأذى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

حديث ثالث ؟

إذا قرأت القرآن الكريم ووصلت إلى قوله تعالى:

﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

( سورة البقرة: من آية " 221 " )

وقلت: صدق الله العظيم. فيجب أن تصدق الله العظيم، فحينما تخطب تبحث عن ذات الدين، وإلا أصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق.

أيضاً ؟

(( إياكم ومحقرات الذنوب ))

( من كنز العمال )

يقول لك: أنا لا أشرب الخمر . ما شاء الله حولك . ولا أزني، ولا أسرق، ما أحلاك تعمل هكذا في الأساس، ولكن إطلاق البصر، مصافحة، جلسة مختلطة، مزحة، غيبة، نميمة، وكل ظنك أن هذا من الصغائر، هي كبائر، لمجرد أن تصر عليها هي كبائر لأن الكبيرة خطرهما في قطعك عن الله عز وجل، والصغيرة إذا قطعك عن الله وداومت على هذه القطيعة فهي كبيرة، من يذكر حديث رسول الله ﷺ:

(( لا صغيرة مع الإصرار ))

( من الجامع الصغير )

مهما بدا لك هذا الذنب صغيراً، إذا أصررت عليه، فهو كبيراً، لأنه فعل فعل الكبير، لأنه جعلك بعيداً عن الله عز وجل.

(( إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ))

( من كنز العمال )

كلما ارتكب مخالفة شعر بالحجاب، حجاب في علاقته مع النساء، حجاب في بيعه وشرائه، هذه قضية فيها شبهة، هذه الحُجُب تجتمع على الإنسان فتجعله مقطوعاً عن الله عز وجل، فإذا قطع عن الله صار مثل الناس، يخاف كما يخافون، ويأس كما ييأسون، ويُقهر كما يقهرون، ويتشاءم كما يتشاءمون، ويسحق كما يسحقون، لا يوجد عندك ميزة..

### ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) ﴾

(سورة المعارج)

هكذا الله خلقه، هذا ضعف خَلَقِي لمصلحة الإنسان..

### ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) ﴾

ليس هلوعاً ولا جذوعاً ولا منوعاً المصلي، الصلاة تحتاج إلى استقامة، فإذا وقع في المخالفات وقع في الحجاب، قُطِعَ عن الله عز وجل، صار هلوعاً.

أيضاً إياكم:

### (( إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ))

(من الجامع الصغير: عن "أبي سعيد")

حرّك كلمة الغيبة لنرى: إياكم والغيبة.

أيضاً؟

### (( إياكم والفتن فإن وقع اللسان فيها مثل وقع السيف ))

(من الجامع الصغير: عن "ابن عمر")

(( وإذا توفيتنا فتوفنا يا ربي غير فاتنين ولا مفتونين ))

( من مسند الإمام أحمد )

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

( سورة البقرة: من آية " 191 " )

فلو أن امرأة قتلت بحادث، أهون ألف مرة من أن تقتن في دينها، فتقع في الزنا:

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

أيضاً ؟

(( إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعين ))

( من الجامع الصغير: عن " معاذ " )

أن تجعل النعيم هدفاً مركزاً واضحاً، أن تعيش كي تنتعم، معنى ذلك لا تعرف لماذا أنت في الدنيا، النعيم لا ينبغي أن يُبتغى لذاته، والمشقة ؟ أيضاً لا ينبغي أن تبتغي المشقة لذاتها، عندكم دليل ؟ لا ينبغي أن تبتغي المشقة لذاتها، يعني الآن السفر بالطائرة أو بالسيارة للحج، آمن قال: أنا سأذهب مشياً لأن الثواب على قدر المشقة. فهل هذا العمل شرعي ؟ النبي رأى رجل يقف بالشمس فسأل عنه فقيل: نذر أن يقف في الشمس، فتبسم النبي وقال:

(( مروه فليتحول إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه ))

المشقة مرحباً بها إذا كنا مضطرين إليها، جاء شهر الصيام في الصيف، والله الصيام بالصيف مشقة كبيرة، مرحباً بها، القتال فيه مشقة، حينما يأمرك الله عز وجل بشيء فيه مشقة مرحباً بها، أما أن تبتغيها لذاتها من دون ضرورة، هذا ليس حكماً شرعياً.

أيضاً:

(( إياكم وفضول النظر فإنه يبذر في النفس الهوى ))

أيضاً ؟

(( إياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ))

( من الجامع لاحكام القرآن )

شيء جميل !! أيضاً ؟

(( إياكم ومستحدثات الأمور فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ))

( من الدر المنثور في التفسير بالمأثور )

\* \* \* \* \*

الحديث اليوم يقول عليه الصلاة والسلام . والله اكتبوه لأنه مهم جداً . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(( إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا . ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ))

أعيد عليكم نص الحديث....

رواه الإمام مالك والبخاري ومسلم، واللفظ لمسلم، وهو أتم الروايات.

يا ترى كم مشكلة وقعت في المجتمع بسبب سوء المعلومات ؟ سوء الظن ؟ من صفات المؤمن التحقق..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾

( سورة الحجرات: من آية " 6 " )

لا تقبل شيئاً من دون تحقق، قال سيدنا سليمان للهدد:

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) ﴾

( سورة النمل )

إذا كنت بموقع قيادي ؛ معلم بمدرسة، مدير مشفى، مدير معمل، أنت بحاجة ألف مرة إلى هذا الحديث..

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) ﴾

( سورة النمل )

لا تبني معلوماتك على الظن، تحقق من كل شيء، تحقق من كل قصة، تحقق من كل رواية، إذا أردت ألا تتحقق لا مانع، ولكن لا تبني إذاً على هذه الرواية شيء، إذا أردت أن تبني عليها شيئاً، لا بد من التحقق ؛ بالعلاقة الزوجية، بعلاقتك مع مَنْ دونك، مع جيرانك، مع مرءوسيك، مع رؤسائك، لا تبني على ظن، لا تقبل رواية كاذبة، لا تقبل رواية فاسق لا تأخذ موقف قبل أن تتأكد من صحة هذه المعلومات.

دعوا هذه القاعدة، انتبهوا لهذه القاعدة: القرار السليم أساسه معلومات صحيحة. لذلك الأذكاء والموفقون قبل أن يتخذوا قراراً يستقصوا الحقائق، يستقصي الحقائق الصحيحة حتى يأتي قراره سليماً، حتى في شأن الزواج، في شأن تزويج ابنتك، والله سألنا عنه قال آدمي، طلع شارب خمر، هذه السيارة ليست له طلعت، والبيت ليس له، إنسان عاطل عن العمل، شارب خمر، من دون تأكيد، قبل أن تزوج تحقق، وقبل أن تتزوج تحقق، قالوا عنها آدمية طلعت ليست آدمية. فتصور بموضوع الزواج، بموضوع التزويج، بموضوع الشراء والبيع، تحقق من البضاعة قبل أن تقول: اشتريت..

إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث... رواية غير صحيحة، خبر غير صحيح، وصف غير صحيح، معلومات غير صحيحة، أخبار غير صادقة. من صفات العوام يبنون مواقف على أوهام، أو على معلومات غير صحيحة، في علاقتك مع أخيك لا تقبل روايةً من دون تحقق، أنت رأيتك بعينك ؟ لا والله لكن سمعت. انتهت العملية، أسمعت منه بأذنتك ؟ لا والله، بين الحق والباطل أن تقول: سمعت، باطل، رأيت، حق. فهناك حالات طلاق تعسفي بسبب رواية فاسدة، خبر غير صحيح، هناك انفصام شركات بسبب سوء ظن، معلومات نقلها الصانع للشريك عن شريكه، كلمات نقلها مُبالغ بها، فلئلا تتدم، من هو البطل ؟ الذي يفعل شيئاً لا يندم عليه أبداً، أما إذا بنيت موقف، اتخذت قرار، أخذت سلوك بناءً على معلومات غير متحقق منها، غير صحيحة، رواية فيها ظن، رواية غير صحيحة كلام فاسق، كلام صغير، كلام عدو، كلام مغرض، الإنسان قد يكون له غرض.

لذلك معاوية بن أبي سفيان سأل عمرو بن العاص، وكلاهما من دُعاة العرب قال له:

ما بلغ من دهائك ؟

قال له عمرو بن العاص: والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه.

قال له: لست بدهاية. أما أنا والله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه.

فهذه قاعدة عظيمة بالحياة، لا تعمل عمل تتدم عليه، بكل نشاطاتك، القرار الذي لا تتدم عليه أساسه المعلومات الصحيحة، قد تكون المعلومات صحيحة ولكن مبالغ بها جداً، الكذب في المبالغة، بالنقل في زيادة، بالرقم في زيادة، ثباع البضاعة بمائة، رأسمالها خمسين، مائة بالمائة الربح، تحقق، فظهر أنها تباع بخمسة وخمسين، ففي أي عرض تجاري ؛ عرض زواج، تزويج، شراء بيت تحقق، أخي بيت مناسب جداً ليس عليه شيء، تحقق قد يكون عليه رهن، أو عليه تنظيم.

أنا أرى أن المؤمن كيس فطن حذر، من لوازم أنه كيس فطن حذر أنه لا يبني موقف، ولا قرار، ولا سلوك، إلا بناءً على شيء ثابت، واحد واجه شخص بمخالفة شرعية كبيرة، مخالفة في نص كلام الله، قال له:

والله أنا رأيت رسول الله في المنام فأجاز لي ذلك.

قال له: إذا هكذا معقول إذاً.

الاثنين جهلة، لا يبنى حكم شرعي على منام أبداً ولو أنك رأيت النبي، النبي على العين والرأس، ولكن لا يمكنني أن أقبل حكماً شرعياً بناءً على رؤيا لست مكلفاً أن أصدقها، لذلك لو ادعى إنسان أنه رأى النبي الكريم، وجاء بشيء مخالف للشرع، ترد الرؤيا ويثبت الشرع.

أحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا.

\* \* \*

الشرع هو الأصل..

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

( سورة المائدة: من آية " 3 " )

لا يجرؤ إنسان آخر كائناً من كان أن يضيف على الدين شيئاً، ولا أن يحذف من الدين شيئاً، ولا أن يطوي من أوامر الله شيئاً، ولا أن يجمد، ولا أن يعطل، ولا أن يزيد، ولا أن ينقص، وهذا الشرع الحنيف يكفي كي تصل به إلى أعلى المقامات..

إياكم والظن... سمعت قصة أن امرأة جاهلة، دخلت لبائع، قالت له: راعنا، وخضعت له بالقول لعله يخفّض لها من السعر، هو ذهب ظنه إلى شيء آخر، كأنه رأى أنها تدعوه إلى البيت، هي ساكنة بجواره، فلما ذهبت إلى البيت تبعها، طرق الباب، فتحت الباب، دخل فوراً، حينما رأت رجل في البيت أرسلت ابنها إلى زوجها في مكان قريب، جاء زوجها، أغلق الباب، وجاء بالشرطة، وضبط هذا الرجل، وطلق امرأته، وله منها أولاد، هي خالفت الشرع حينما خضعت له بالقول، ولكن ما خطر في بالها أنه فهم هذا الفهم، والزوج لم يتحقق، مباشرة فضحها وطلقها، مع أنه هناك أدلة قطعية على أن المرأة بريئة، والدليل مباشرة أرسلت ابنها لزوجها تستجده.. إياكم والظن... ذهب به الظن إلى أشياء كثيرة، يعني بالعلاقات الزوجية، بالعلاقات التجارية، بكل حركة من حركاتك لا تبني موقف، ولا قرار، ولا تصرف إلا على حقائق قطعية.

إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث... واحد تزوج امرأة، فصديقه قال له: هذه المرأة ليست في مستواك. كلام عام ضبابي، قال له بالضبط: ليست من مزاييجك، هذا ظن أنها امرأة ساقطة أو في لها مشكلة فطلقها رأساً، الصديق ظنه أن مستواها الاجتماعي أقل منك، بنى قرار على الظن، فإذا كنت بطلاً يجب أن تفعل فعلاً لا تندم عليه أبداً إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث... " كفى بها خيانة أن تحدث أحاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له به كاذب".

إياكم والظن... هنا ربنا عز وجل قال:

### ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(سورة الحجرات: من آية " 12 ")

لكن إذا كان في حالات ورد بالأثر: " الحزم سوء الظن "

احترس من الناس بسوء الظن، سوء الظن عصمة، هنا معنى ثاني صار، شخص لا تعرفه يجب أن تتحقق، الشخص الذي لا تعرفه إذا أسأت الظن فيه، وهذا سوء الظن حملك على أن تكون حذراً، هذا موقف جيد جداً..

### ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(سورة الحجرات: من آية " 12 ")

يعني استثار عواطفك وهو كاذب، وأنت حديث عهد، وليس عندك إمكانية تتحقق، لذلك في حالات الحزم سوء الظن، سوء الظن عصمة، احترس من الناس بسوء الظن، كان يحذر الناس ويحترس منهم من دون أن يطوي بشره عن أحد، في مواطن سوء الظن إثم كبير، وفي مواطن سوء الظن عصمة، وسوء الظن شخص لا تعرفه.

في نقطة قال سيدنا عمر له: " إني لا أعرفك ولا يضرك أني لا أعرفك". قد تكون أحسن مني، إني لا أعرفك، الآن دخلنا في موضوع أنك قد أحياناً تكون في أعلى درجة في البراءة، بريء، نظيف، أمين، صادق، لكن تعمل عملاً يمكن أن يفسر تفسيرين، هذا العمل ابتعد عنه، له تفسيرين، أنت غبت عن البيت مسافر، وكأنت أخو زوجتك يتردد على البيت بغيايبك، وهذا عمل شريف، ونزيه، وبريء، وعلاقاتك مع الجيران مقطعة، لو أن هناك علاقات طيبة، وأبلغتهم بسفرك، وأنت كلفت أبا زوجتك أن يتقعد أحوال أخته، فأنت بهذا العمل جعلت عمك له

تفسير واحد، أما لو أغفلت هذه الحقيقة، والجيران رأوا شخص غريب لا يعرفونه من قبل يدخل في غيبتك، أنت أوقعتهم في سوء الظن، فالبطولة أن تفعل فعلاً له تفسير واحد، أما في أعمال كثيرة وأنت بريء، وأنت صادق، وأنت نظيف، وأنت منزه، له تفسير آخر هذا العمل، فلذلك اجهد أن تفعل عملاً لا يستطيع الأعداء أن يفسروه تفسيراً آخر.

إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسبوا... علماء اللغة قالوا: التحسس تقصي الأخبار الطيبة، والتجسس تقصي الأخبار السيئة، فلان تزوج، كم المهر؟ " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ". أنتم في محلكم كم كان ربكم هذه السنة؟ خليها لله، كم معاشك في الشهر؟ له وضع خاص، حتى الخبر الطيب؛ دخل الإنسان، مهر الفتاة أشياء مباحة ليس فيها خطأ، ولكن النبي نهى عنها، نهى عن تقصيصها، لا تحسبوا ولا تجسسوا، اتفقوا وانتهى الأمر، والله بعنا البيت، بكم بعته؟ أخي راح بنصيبه، كثير في مشكلات تتأتى من هذه المعلومات، فإذا رأيت إنسان يرغب ألا يتكلم، أنت احترم رغبته، لا تخرجه، لا تسأله، في أشخاص لهم أسئلة ملحة، أسئلة محرجة، يضيق عليك ويضيق حتى إن سكتت مشكلة، وإن كذبت مشكلة، وإن تبرمت مشكلة، لا تحسبوا ولا تجسسوا، لا تتقصى الأخبار البريئة لفضول منك، كذلك الأخبار السيئة، صار طلاق ما السبب؟ الأمر دعه لله عز وجل، صار في انفصام شركة، من السبب؟ ما في أولاد، من السبب أنت أم هي؟ يريد أن يفهم أنت أم هي، لا الخبر السيء احرص عليه ولا الطيب.. " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " .. " ألا كل شيء ما خلا الله باطل " ..

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) ﴾

(سورة المؤمنون)

لا تحسبوا ولا تجسسوا... هل هناك بالقرآن الكريم آية عن التحسس؟

﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾

(سورة يوسف: من آية " 87 ")

هنا تقصي أخبار أخوهم، هذا بحث ثاني، هنا لا تحسبوا بدافع الفضول، بدافع التسلية بدافع إملاء وقت الفراغ، والمؤمن من كماله أن وقته ممتلئ بطاعة الله، بتعلم العلم، بتعليم العلم، أما هذه السفاسف بعيداً عنها جداً.. " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفافها ودينها " .

ولا تحسبوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا... التنافس فيه أمر إلهي، ولكن بماذا ؟ بمعرفة الله، بالعمل الصالح، قال تعالى:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) ﴾

( سورة المطففين )

لكن في هذا الحديث المقصود منه الدنيا، لا تنافس أحاك في الدنيا، التنافس في الدنيا مذمة، ونقيصة، والصواب التعاون، الله عز وجل قال:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

( سورة المائدة: من آية " 2 " )

مهندسين، تاجرين، لا تجعل أساس حياتك المنافسة، اجعل أساس حياتك التعاون، بالتعاون تريح أنت وأخوك، وبالتنافس تخسر أنت وأخوك، فالنبي الكريم نهانا عن التنافس. الآن في بيع الضرر، أساس البيع أن يضر أخوه، يتنافس معه، فلذلك النبي الكريم نهانا عن التنافس ولا تنافسوا... ومن طرف الأب لو أنه أعطى أولاده بالعدل، لا يجعلهم يتنافسون، لو أنه حابي أحدهم ولم يعدل بينهم يخلق عندهم مشاعر عدوانية كبيرة جداً.

ولا تنافسوا... أمر التحسس في القرآن هدفه تقصي أخبار أخيهما الضائع، وأمر التنافس في القرآن هدفه في الآخرة، أما في الدنيا التنافس مذموم. وربنا عز وجل قال:

﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (157) ﴾

( سورة الزخرف )

صار الجمع غير الكسب، الإنسان يكسب رزقه، أما الجمع صار المال هو هدف لذاته.

ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا... أحياناً التنافس يكون بالولائم، مذموم. " المتباريان لا يجابان ". فُجِدَ بالموجود، أما التنافس في هدف الاستعلاء، الآية الكريمة واضحة:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) ﴾

( سورة القصص )

في أوجه التفاسير: أن العلو في الأرض أن تفعل فعلاً هدفك أن تستعلي به على إخوانك، حتى في الزينة، حتى في الطعام، حتى في اللباس، حتى في المركبة، حتى في أعمالك التجارية، حينما تفعل فعلاً هدفك أن تستعلي على الناس شملتك هذه الآية:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) ﴾

( سورة القصص )

إذاً، لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا... تنافس في الزينة، تنافس في الطعام، تنافس في اللباس، تنافس في كسب المال، تنافس في مواقف قد لا ترضي الله عز وجل.

ولا تحاسدوا... الحسد أساسه أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك وأن تصبح لك، هذه نقيصة كبيرة، المؤمن يغبط، والمنافق يحسد، المؤمن يرى فضل الله واسعاً، فضل الله يسع كل الخلق، يعني..

ملك الملوك إذا وهب قم فاسألن عن السبب

الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب.

\* \* \*

## ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

(سورة النساء: من آية " 32 " )

في حِكم إلهية، لو كشف الغطاء لاخرتم الواقع، النبي الكريم نهانا عن التحاسد، لكن التحاسد أساسه النفاق، وأساسه الغفلة، وأساسه ضعف الإيمان، وأساسه التعلق في الدنيا، إذا رأيت الدنيا هي كل شيء، وفلان حصلها وأنت لم تحصلها، يمتلئ القلب حسداً، أما إذا رأيتها دار ممر وليست مقراً، دار ابتلاء لا دار جزاء، دار تكليف لا دار تشريف، إن رأيتها هكذا لا تبالي، من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي، وبيتلي ليجزي.

يعني الحقيقة هذه الفقرات في الحديث معيار للمؤمن، لعلك تظن أن المؤمن إذا صلى وصام، وحج وزكا صار مؤمناً، المؤمن الذي لا يتحسس، ولا يتجسس، ولا يتنافس، ولا يتحاسد، ولا يتباغض، هذه صفات المؤمنين، فإذا أردت أن تعرف نفسك ما إذا كنت مؤمناً حقاً أو غير مؤمن، فعليك بهذا الحديث.

ولا تحاسدوا، ولا تتباغضوا... الحقيقة الحسود، الله عز وجل قال:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5) ﴾

(سورة الفلق)

الحسود معه شيطان، فإذا كان المحسود غافلاً عن الله عز وجل، سرى هذا الشيطان من نفس الحاسد إلى نفس المحسود، لذلك جاء في بعض الأحاديث:

" إن العين . عين الحسود . تضع الجمل في القدر والرجل في القبر "

أصابته عين، هذا كلام عامي ولكن له أصل، الحاسد غافل، والحاسد فيه شيطان، فإذا كان المحسود غافلاً مثله، سرى هذا الشيطان من هذا الحاسد إلى هذا المحسود، عندئذ ينطبق كلام النبي الكريم:

" إن العين لتضع الجمل في القدر والرجل في القبر "

ورينا عز وجل قال:

### ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (5)

( سورة الفلق )

أما المحسود إذا كان مع الله عز وجل لا يؤثر فيه الحاسد، إذا واحد وضع على السيارة ( عين الحاسد تبلى بالعمى ) هذه لا تكفي هذه، يجب أن يكون مع الله عز وجل، ملتجئاً إليه معتصماً به، مستعيذاً به، إذا كنت كذلك فعين الحسود لا تؤثر، أما إذا كنت غافلاً، ومن علامة الغفلة التباهي، والعرض، والافتخار، ودعوة الناس ليروا ما عندك من أثاث، من قطع نفيسة، من ثريات، من قطع زينة، تفعل أنت كي يحسدوك، لذلك: الظهور يقسم الظهور، حب الظهور يقسم الظهور.

ولا تحاسدوا ولا تباغضوا... البغضاء تفتت الحياة الاجتماعية، الصحابة الكرام كانوا أحبب، لا أنسى هذا الموقف:

تخلف أناس عن رسول الله في بعض الغزوات، فقال أحد أصحاب رسول الله: والله يا رسول الله لقد تخلف عنك أقوام لسنا أشد حباً لك منهم، ولو علموا أنك تلقى عدواً ما تخلفوا عنك. هكذا، المؤمنون يدُّ على من سواهم، المسلم أخ المسلم لا يظلمه، لا يحقره، لا يخذله.

ولا تحاسدوا ولا تباغضوا... والحقيقة لو صح الاتصال بالله عز وجل لالتقى المؤمنون مع بعضهم بعضاً، ولكن ما في قطيعة، ولا في تدابر، ولا في بغضاء إلا بسبب ذنب يرتكبه أحدهما أو كلاهما، فكلما وقع الإنسان في غفلة، صار كلامه قاسي، صار محسود، صار مبعوض.

ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا... هذه القطيعة، تجد قطيعة ضمن الأسرة الواحدة أخوين، شريكين أحياناً، جارين لا يسلموا على بعضهم.

ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً... ربنا عز وجل قال:

## ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

( سورة الحجرات: من آية " 10 " )

والإخوة جمع أخٍ نسبي، بينما الإخوان جمع أخٍ صداقة، فنحن إخوان في حب الله، هذه لها معنى، أما نحن إخوة من أبٍ وأم، فربنا عز وجل رفع مستوى علاقة المؤمنين إلى أعلى درجة فقال:

## ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

( سورة الحجرات: من آية " 10 " )

وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله، المسلم أخ المسلم . أخوه . لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره...

لا يظلمه... في كل الحالات، إذا كان أخوك زبونك، واثق منك، واثق من أمانتك، من إتقانك، من صدقك، وليس من المعقول أن يسأل غيرك إطلاقاً، لعند غيرك لم يذهب، هذا زبون ممتاز كله ثقة، فرفعت السعر عليه، وأنت متأكد أنه لن يعارضك، والله ظلّمته ظلم كبير، منحك ثقته، واثق من دينك، من استقامتك، من أمانتك، من حرصك، من إتقانك، فاجأته بسعر أعلى من سعر الغريب، هذا خطأ كبير جداً.

فأنا أقول لكم كلام وعندي شواهد كثيرة، مؤمنون كثيرون من غير ما أقول مقصود شيء، لكن بعقلهم الباطن يرون أن هذا الأخ إذا جاء لعندهم ليشتري شيئاً، أو ليطلب حاجةً، هذا الأخ مستسلم، وواثق، ومصديق، فيأخذ راحته بالسعر، لن أقول عن قصد، ولكن سأقول عن غير قصد، فيشعوره الداخلي العميق أن هذا الأخ مؤمن من إخواننا، فلن يحكي شيء، فهذا الأخ عندما يسأل الغريب يجد السعر أقلّ تصير معه صدمة، تكون أنت زعزعت بنفسه مكانة الدين، هكذا الإيمان ؟ هكذا الإخلاص ؟ هذه الاستقامة ؟ هكذا الحب للأخ المؤمن؟ فالذي له مصلحة، له تجارة، وزاره أخ، يجب أن يكون دقيقاً جداً، اربح، ولكن إياك أن تريح أكثر من الآخرين.

والله إخوان كثيرين حكوا لي، بالمهن، بالعمال بالخارج ثلاثة هنا ستة، الضعف !! بالخارج اثنين هنا خمسة، بالخارج ألف هنا ألفين، هذا أخونا، هذا يعمل تدابر، يعمل ظلم، قد يكون المبلغ محدود، دخله محدود، جاء لعندك وهو واثق من مراعاتك له.

المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله... بمعنى أنه في موطن تكلم على أخوك، وأنت بمركز قوي بإمكانك أن تدافع عنه، ظللت ساكناً أريح لك، أنت لست بمؤمن، أخوك تحدث الناس عنه بشيء لا يرضيه، وهو بريء، وأنت تعلم علم اليقين أنه بريء لم بقيت ساكناً ؟

لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره... أحياناً الإنسان يشعر أن فلان أقل منه بكثير يترفع يكلمه، يترفع ينطلق معه، يترفع يسأله عن صحته، تجده أشعره أنه أنا بمكان علي، هذا هو الكبر بعينه، قال:

(( رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ))

( من الدر المنثور: عن " أبي هريرة " )

مَنْ أدارك، قد يكون هذا الأخ الذي تحتقره أعلى منك عند الله بكثير.

التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى بالإخلاص، التقوى بالإقبال لا بالمظاهر.

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه... الدم القتل طبعاً، يظل المسلم بخير ما لم يسفك دماً، زوال الدنيا أهون عند الله من سفك دمٍ مسلم، قدمه وماله، الله عز وجل قال:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾

( سورة البقرة: من آية " 188 " )

مال أخيك هو مالك في الحقيقة، فأنت مأمور أن تحافظ عليه، فلأن تحرص عليه، فلأن تمتنع من أن تأكله ظلماً من باب أولى، أنت مأمور أن تحرص عليه، أن تنمّيه، أن تحرسه لأنه مالك، بمثابة مالك، دمه وماله وعرضه . سمعته . هذه الغيبة والنميمة.

العرض موطن المدح والذم في الإنسان، الإنسان سمعته عرضه، إذا اتهمته بسمعته، اتهمته بفهمه، اتهمته بذكائه، اتهمته بمعلوماته يعني أهدرت كرامته، لذلك دمه وماله وعرضه، أنا ماله لم آخذه، ولا قتلته ولكن تكلمت عليه، طعنت فيه، طعنت بعلمه، طعنت باختصاصه، طعنت بنزاهته، طعنت بكرامته، هذا العرض موطن المدح

والذم في الإنسان. دمه وماله وعرضه..

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم... هذا المقياس الدقيق الذي سوف تحاسب عليه، الأعمال، الإخلاص والأعمال، المظهر ليس له قيمة، المظهر، والأموال، الأموال بيتك، كم متر مساحته؟ بأي منطقة؟ نوع الأثاث، نوع الكسوة، مركبتك، متجرك بأي منطقة؟ كم فروغ متجرك؟ هذه أموالكم.

إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم... إنسان وسيم القامة، له شكل حسن، وجه صبور، عينان كبيرتان، جاذب في وجهه.

إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم. ليست داخلية في الحساب إطلاقاً هذه. ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم... إخلاصكم وأعمالكم الطيبة، هذا هو المقياس، فإذا أردت أن تفلح فاجعل همك أن توافق أعمالك مقياس الله عز وجل.

\* \* \* \* \*

أعيد على أسماعكم قراءة الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تتافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا. ويشير إلى صدره ثلاث مرات. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".

لو أن إيمان المؤمنين في المستوى المطلوب لما فعل ما يفعلون، فلذلك: التقوى ها هنا التقوى ها هنا التقوى ها هنا.  
هنا.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 015 - 127 ) : إحياء الله يحفظك ....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-08-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... في الدرس الماضي كان الحديث الشريف حديثاً جامعاً، محوره تلك العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين، من يذكر منكم بعض فقرات الحديث ؟

### (( إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ))

يعني لا تبني موقفاً، ولا تتخذ قراراً، ولا تفعل شيئاً، ولا تتهم إنساناً قبل أن تستقصي الحقائق، لأن الظن أكذب الحديث.

فقرة ثانية من فقرات الحديث ؟

### (( ولا تحسسوا ولا تجسسوا ))

ما الفرق بين التحسس والتجسس ؟ التحسس تتبع الأخبار الطيبة، والتجسس تتبع الأخبار السيئة، النبي الكريم نهى عن تتبع الأخبار الطيبة والسيئة، يعني طوبى من شغله عيبه عن عيوب الناس، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

أيضاً ؟

" ولا تتافسوا... "

الحياة ينبغي أن تبنى على التعاون لا على التنافس ؛ في المهن، والحرف، والعلم، على التعاون لا على التنافس، ولكن حينما أمرنا الله بالتنافس ماذا يقصد ؟ التنافس في الطاعة.

(( ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله ))

التحاسد، والتباغض، تحاسدَ وزن الفعل مفاعلة، من معاني المفاعلة المشاركة، لا تحسد أخيك على شيءٍ متعه الله به، ولا يحسدك أخوك على شيءٍ متعك الله به.

(( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا، التقوى ها هنا التقوى ها هنا، بحسب

امري من الشر أن يحقر أخاه المسلم ))

ماذا يستفاد من هذه الفقرة في الحديث ؟ لو إنسان بقي ساكناً في نفسه احتقر أخاه المسلم، لماذا هو مخطئ ؟ ما تعليل هذا النهي، لماذا هو مخطئ ؟ لأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، فإذا اتهمهم واحتقرهم فقد خالف نص الحديث، أيضاً لأن هذا الذي تحتقره قد يكون أكبر عند الله منك، وقد يكون أعلى مرتبةً عند الله منك، وإذا كنت تراه الآن أقل منك لعله يسبقك في المستقبل، هذا هو السر.

\* \* \* \* \*

الحديث اليوم... الحقيقة أحياناً الإنسان يقرأ حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام، هناك بعض الأحاديث الشريفة تترك في حياة الإنسان انعطافاً خطيراً، الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه بلغه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه:

(( من طلب العلم تكفل الله له برزقه ))

( من الدر المنثور )

هذا الحديث أحدث في نفس أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه انعطافاً خطيراً في حياته، فجعل طلب العلم شغله الشاغل.

حديث آخر، حديث شريف ترك آثاراً خطيرةً في حياتك، مَنْ يذكر شيئاً من هذه الأحاديث ؟

(( ما ترك عبداً شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

هذا الحديث خطير .

أيضاً ؟

((من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى ))

مبدأ عام في الحياة .

أيضاً ؟

(( من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ))

( من أحاديث الإحياء: عن " أنس " )

(( من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ))

( من الجامع لأحكام القرآن: عن " أبي الدرداء " )

إذاً هذا العلم ينتهي بالجنة، والجنة هي السعادة الأبدية.

حديث آخر ترك بحياتكم انعطاف خطير ؟

" استقيموا ولن تحصوا . الخيرات . "

( من الدر المنثور: عن " ثوبان " )

الحقيقة ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام في حديثٍ هو في الأصل ضعيف، لكن كثرة الطرق التي ورد فيها قوته:

(( من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة ))

لذلك الإمام النووي ألف كتاب الأربعين النووية، يعني يبدو أن كتاب الأربعين النووية التي ألفه الإمام النووي رحمه الله تعالى انطلاقةً من هذا الحديث.

(( من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة ))

إذاً الإنسان أحياناً في عنده انطباعات لكن لا تكفي، لا بد من حفظ نص حديث رسول الله لأنك إذا أردت أن تحدث إنساناً حديثاً فيه نفعٌ كبير فعليك بسنة النبي، إذا الإنسان سمع حديث من الأحاديث الحاسمة التي تعد مبادئ ثابتة في الحياة، هذه الأحاديث يجب أن تحفظها.

\* \* \* \* \*

الحديث اليوم من وصيته ﷺ لابن عباس، يبين له فيها ما يجب أن يكون عليه المؤمن مع الله تعالى.

فسبحان الله !! أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام فيها توفيقٌ كبير، السبب أنك إذا قرأتها شعرت كأن النبي عليه الصلاة والسلام معنا.

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: " يا غلام إني أعلمك كلمات..."

قيمة الحديث من قيمة قائله، قيمة الرسول من قيمة مُرسله، فالآن النبي عليه الصلاة والسلام مبعوث العناية الإلهية، أمين وحي السماء، الذي لا ينطق عن الهوى، الخبير من قِبَل الله عزَّ وجل بأحوال النفس يقول:

(( يا غلام إني أعلمك كلمات . أول هذه الكلمات . احفظ الله يحفظك ))

هل يستطيع الإنسان أن يحفظ الله عزَّ وجل ؟ فالله خير حافظاً ولكن هذا اسمه في اللغة المشاكلة، معنى المشاكلة يعني حفظك لله عزَّ وجل بمعنى أن تحفظ أمره في هذا الموضوع، كقول الله عزَّ وجل:

﴿ إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

( سورة محمد: من آية " 7 " )

الله عزَّ وجل بحاجة أن تنصره ؟ مستحيل، لكن نصر العبد لربه بمعنى أن يقيم أمره، أن ينفذ أمره، أن ينتهي عما عنه نهى. فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول: احفظ الله يحفظك... إن شئت هذا الحديث بشكل عام لك ذلك، وإن شئت هذا الحديث، أو هذه الفقرة من الحديث بشكل خاص لك ذلك.

يعني في شأن الزواج ؛ إذا طبقت أمر الله عزَّ وجل في أمر زواجك، في معاملتك لزوجتك، وأولادك، حفظك الله من الزوجة الخائنة، والزوجة المتعبة، لأن أوامر الشرع نتائجها حتمية، يعني إذا طبقت أمر الله عزَّ وجل في كسب المال، حفظ الله لك هذا المال، إذا طبقت أمر الله عزَّ وجل في اختيار الزوجة، وققت في زواج سعيد، أي موضوع، أي شأن، أي جانب، أي جهة، أي قضية، إذا طبقت فيها أمر الله عزَّ وجل، معنى طبقت أمر الله عزَّ وجل كما قال النبي حفظت الله في هذا الموضوع.

يعني إذا حفظت بصرك من أن ينطلق إلى حرام، كافأك الله عزَّ وجل بحفظ البصر، ألم يقل له: يا بني حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر. إذا لم تمتد يدك إلى حرام حفظ الله لك هذه اليد، إذا لم ينطلق لسانك بسوء، حفظ الله لك سمعتك، فالله عزَّ وجل يرينا آياته، ومن آياته أفعاله، أفعاله أن المحسن يجازى على إحسانه في الدنيا، والمسيء يعاقب على إساءته، أما عقاب المسيء في الدنيا عقاب تحذيري، ردعي، ومكافأة المحسن مكافأة تشجيعية، لكن الحساب النهائي يكون يوم القيامة..

﴿ وَإِنَّمَا تُؤَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

( سورة آل عمران: من آية " 185 " )

إذاً: احفظ الله يحفظك... ماذا نعرب يحفظك؟ احفظ فعل أمر، يحفظك فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب، يعني هناك علاقة شرطية بين أن يحفظك الله عز وجل، وبين حفظك لأمر الله، دائماً العلاقة الشرطية والعلاقة الطلبية علاقة حتمية، مَنْ يجتهد ينجح، هذه علاقة شرطية، " احفظ الله يحفظ .. " اتق الله حيثما كنت .. " أتبع السيئة الحسنة تمحوها " دائماً إذا قرأت حديث رسول الله ووجدت في الحديث علاقة شرطية.. " من اتكل على نفسه أوكله الله إياها " من يأتي لنا بحديث شريف فيه علاقة شرطية؟

(( من غشَّ فليس منا ))

( من الجامع الصغير )

يعني لمجرد أن تغش أي إنسان كائناً من كان فليست منا، يعني فليس هذا الغاش من أمة سيدنا محمد، هذه علاقة شرطية.

حديث آخر فيه علاقة شرطية؟

(( اتق الله تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ))

( من الجامع الصغير: عن " أبي هريرة " )

" من لم يكن له ورعٌ يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيءٍ من عمله " .

يعني إذا قرأت حديث شريف ووجدت فيه علاقة شرطية، فاعلم أن هذا السبب نتيجته الحتمية هو جواب الطلب.. " احفظ الله يحفظك... هذا كلام النبي تؤكد آيات كثيرة..

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) ﴾

( سورة السجدة )

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

( سورة الجاثية: من آية " 21 " )

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

(سورة فصلت: من آية " 30 " )

دائماً القرآن والسنة شيئان متكاملان. " احفظ الله يحفظك " إذا الإنسان فُجِعَ بشيءٍ، أصابه شيءٌ، فليتهم نفسه فهو الأصوب.

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك... فما الفرق بين الفقرتين ؟ احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك... هل هناك فرقٌ بينهما ؟ يعني الفقرة الأولى في الحديث إذا حفظت الله عزَّ وجل في شؤون حياتك كلها ؛ في كسب المال، في إنفاق المال، في هذه الحواس الخمس، في أهلك، في أولادك، في بيتك، في تجارتك، احفظ الله يحفظك، يعني أنت في سلام. لكن لو داهمك خطر مفاجئ، وأنت حفظت الله في السابق، تجد الله معك، النبي عليه الصلاة والسلام بماذا استعاذ ؟ استعاذ من فجأة نقمة الله عزَّ وجل، الإنسان يكون معه كل شيء، يفقد كل شيء بساعات، ماذا سماها النبي عليه الصلاة والسلام ؟

(( نعوذ بك من فجأة نقيمتك ))

( من أحاديث الإحياء: عن " ابن عمر " )

فأول فقرة في الحديث: إذا طبقت أمر الله في هذا المجال الله عزَّ وجل يحفظك، ويرعاك، ويسلمك من كل أخطاره، أما إذا دهمك خطرٌ مفاجئ، وقد عرفت الله في الرخاء فالآن يعرفك في الشدة، وهكذا قال النبي الكريم:

(( اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ))

إذاً إذا جاءت المصيبة، إذا جاء شبح مصيبة، إذا دهمك خطرٌ، فالله سبحانه وتعالى تجده تجاهك، أحياناً يشعر الإنسان أن الله معه ؛ بالتوفيق، بالإلهام، بالتيسير، أموره ميسرة يقول لك: فلان عقده ميسرة. طرق الباب فُتح، قدم طلب وافقوا له عليه، اختار بضاعة ربحت، سار بطريق سالك الطريق، صاحب إنسان كان وفي معه، أحياناً يصاحب إنسان يخونه فيفاجأ، يسلك طريق فيجده مغلق، يضع أمله بإنسان يخيب ظنه، يتاجر بشيء يخسر أحياناً يجد الله معه، يشعر أن الله معه، وأحياناً يشعر أن الله تخلَّى عنه، هذا معنى تجده تجاهك. إذاً أول فقرة: احفظ الله يحفظك في تطبيق أمر الله عزَّ وجل، الفقرة الثانية: إذا دهمك الخطر، الله عزَّ وجل

## ﴿فَاتِّكْ بِأَعْيُنِنَا﴾

(سورة الطور: من آية " 48 " )

لذلك الحقيقة الثابتة أن الإنسان مهما أوتي من الذكاء، ومهما اتخذ من الاحتياطات، ومهما غطى الاحتمالات، ذكاؤه وحده لا يكفي، لا يمنعك من الله إلا أن يرضى الله عنك، فإذا كان الله غاضباً، جاءت النعمة فجأة، مرة سألوا أحد الغزاة الكبار في العهود الوسطى: مَنْ أنت أيها الغازي؟ قال: أنا غضبة الرب. يعني أنا أمثل غضب الله عزَّ وجل، أحياناً الإنسان يغضب، ماذا يفعل الإنسان إذا غضب؟ قد يشتم، قد يضرب، قد يمزجر، قد يُغلق الأبواب بعنف، هذه علامات غضب الإنسان، أما علامات غضب الرحمن، قالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا غضبة الرب. أحياناً الله عزَّ وجل يزلزل الأرض من تحت أقدامهم، أحياناً يرسل عليهم صواعق من السماء، أحياناً..

## ﴿يَلْبَسَكُمْ شِيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

(سورة الأنعام: من آية " 65 " )

هذه فجأة النعمة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

(( يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . دققوا في هذا الحديث . قالوا: أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثيرٌ . جداً . ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، قالوا: ولم؟ قال عليه الصلاة والسلام: يصيبكم الوهن . قيل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت ))

( من زيادة الجامع الصغير )

المبالغة بالنعيم، المبالغة بالترف، الانغماس بالملذات، هذا يضعف الإنسان، يجعله يحرص على الدنيا حرصاً بالغاً، من شدة حرصه على الدنيا يجبن، ومن جبنه يضعف، لذلك:

(( يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال: لا بل أنتم كثيرٌ ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، قالوا: ولم ؟ قال عليه الصلاة والسلام: يصيبكم الوهن. قيل: وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت ))

( من زيادة الجامع الصغير )

إذاً: احفظ الله يحفظك... الدعاء الشريف: " متعنا اللهم بأسماعنا بأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا "، يعني أسباب الحفظ ؛ هذه العين تغض عن محارم الله، هذه الأذن لا تستمع إلى الغناء، ولا إلى الغيبة، ولا إلى النميمة. أحد العلماء الكبار كان شيخ الشام، الشيخ بدر الدين، إذا تحدث أحدٌ في مجلسه بكلمة غيبةٍ يقول: يا با اسكت أظلم قلبي. فهذه الأذن إن لم تستمع الغيبة، ولا الغناء، ولا الفُحُش، وهذا اللسان إن لم ينطق إلا بالحق، وهذه اليد حركتها في سبيل الله، وهذه الرجل لا تتطلق إلا إلى المساجد، وإلا إلى الأعمال الصالحة، يعني من باب كرم الله عزَّ وجل الله سبحانه وتعالى يمتعك بسمعك وبصرِك وقوتك ما أحياك.

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك... فهذه فجأة النعمة، أحياناً الله عزَّ وجل يرخي العنان لهذا الإنسان ؛ فينطلق في شهواته، ينطلق في مسرَّاته، يعلو، يتكبر، يستعلي بتيه بماله، يتيه بمكانته، يتيه بقوته، يأخذ ما ليس له، يتجاوز حدوده، يستعلي في الأرض وبثانيةٍ واحدة إذا هو في قبضة الله عزَّ وجل، لا يلوي على شيء، هذه فجأة النعمة، فالإنسان لا يطمئن للدنيا، لا يطمئن لقوته، لصحته، لماله، لمكانته، لثروته، يطمئن لرحمة الله عزَّ وجل، والحديث الشريف:

(( إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ))

(( إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ))

(( إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله ))

الآن، إذا سألت فاسأل الله... قال أحد الخلفاء لأحد التابعين في الكعبة:

سلني حاجتك ؟

قال له: والله أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله.

إلتقاه خارج الكعبة فقال له:

سلني حاجتك ؟

قال له: والله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ؟ فلما أصر عليه.

قال له: نجني من عذاب النار.

قال له: هذه ليست بيدي.

قال له: إذا ليس لي عندك حاجة.

قال له: فإذا سألت فاسأل الله... فالإنسان أحياناً يتضعع أمام قوي، أمام غني، يستجديه ماذا قال سيدنا علي ؟ قال: " والله والله مرتين لحفر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز في يومٍ عاصف بريشتين، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين . مستحيل . وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين، أهون عليّ من طلب حاجةٍ من لئيمٍ لوفاء دين . ما هو الذل ؟ أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرده.

قال: فإذا سألت فاسأل الله... اسأله في الدجى:

(( إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ربكم إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائلٍ فأجيبه، هل من طالب حاجةٍ فأقضيها له ؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له ؟ هل من تائبٍ فأتوب عليه ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

عود نفسك أن تسأل الله، إن الله يحب الملحين في الدعاء، من لا يدعني أغضب عليه، إن الله يحب من عبده أن يسأله شسع نعله إذا انقطع، عود نفسك ؛ إذا أقدمت على عمل قل: يا رب وفقني. أقدمت على زواج، على شراء بيت، أقدمت على مشروع، أقدمت على إلقاء درس مثلاً، على معالجة مريض، على مرافعة قضية أمام القضاء، عود نفسك تكون مفتقر إلى الله عز وجل. " إذا سألت فاسأل الله... "

أما أن تسأل إنسان، فالإنسان ضعيف مثلك مثله. يعني إذا سألت أي إذا كنت سائلاً جهةً ما، فاسأل الله عزَّ وجل، والحقيقة هنا في نقطة مهمة جداً، أحياناً ربنا عزَّ وجل يخلق مشكلة، يخلقها خلق، ويلهمك أن تدعوه، تدعوه فيكشفها عنك، ما الذي يحصل ؟ يحصل شيئان: الشيء الأول: تزداد معرفتك بقدرته، بأنه هو الفعال، إله في السماء، إله في الأرض..

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

( سورة الفتح: من آية " 10 " )

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾

( سورة هود: من آية " 56 " )

﴿ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾

( سورة الأعراف: من آية " 54 " )

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (26)

( سورة الكهف )

فإذا لاح لك شبح مصيبةٍ وسألت الله عزَّ وجل أن ينجيك منها، يحدث شيئان ؛ الشيء الأول: تزداد معرفتك بالله عزَّ وجل، أحياناً الإنسان يكون داخل ببرنامج، داخل في اهتماماته وفي ساحة نفسه زيد وعبيد، وفلان قوي، وفلان ضعيف، وفلان بيده، وفلان يده طولى، وفلان لا يقدر، وفلان يقدر، والدرهم مراهم، وكل شيء يحل بالنقود ، عايش بشركاء كثيرين، المال شريك لله عزَّ وجل، فلان ابن عمه الفلاني له مركز مرموق عامله شريك لله ، أخي على التليفون لا يخيبني أبداً، هذا شريك، فالإنسان بهذا الوضع مبعثر، أما المؤمن: " إذا سألت فاسأل الله.. هو يعرف أن الله هو كل شيء، الحقيقة الأولى والأخيرة، هو الأول والآخر، الظاهر والباطن، بيده كل شيء..

## ﴿وَالنَّيْبُ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

( سورة هود: من آية " 123 " )

يعني بيده كل الناس ؛ خصومه، أصدقاؤه، أقرباؤه، وأولاده، وزوجته، إذا سألت فاسأل الله... عود نفسك تسأل الله عزَّ وجل، من اتكل على نفسه أوكله الله إياها، قال: ويعاب من يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم.

وإذا استعنت فاستعن بالله... هو القوي، قل حينما تناجي ربك قل له: يا رب ليس لي إلا أنت، أنا ضعيف، فأجمل ما قاله النبي في الطائف، والنبي كما قلت لكم هو الأسوة، الله أذاقه القهر في الطائف، حتى يعلمنا كيف نكون، أحياناً نكون مستضعفين، مركز ضعيف كثير، ما لك شأن، كل الناس أقوى منك، وممكن يكون مؤمن عند الله كبير كثير، لكن ما موقف الضعيف ؟ أن يقول: رب إن لم يكن بك غضبٌ علي فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي.

إذا الله جعلك قوي، وحققت أهدافك الكبرى، حينما دخل مكة فاتحاً دخلها مطأطئ الرأس، حتى لامست ذؤابة عمامته عنق بعييره.

وإذا أذاقك الفقر..

هل عندكم شيء ؟

قالوا: لا.

قال:

## (( فإني صائم ))

( من الجامع الصغير: عن " السيدة عائشة " )

وإن أذاقك الغنى..

لمن هذا الوادي ؟

قال: هو لك.

قال: أتهزأ بي؟

فالنبي الكريم الله أذاقه موت الولد، أذاقه ترك الوطن، أذاقه زوجة أكبر منه، أذاقه مشكلة بالبيت، غضبت أمكم، غضبت أمكم، كل شيء يصيب الناس أصاب النبي لماذا؟ ليكون لنا أسوة حسنة، ف: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..."

أما أجمل ما في هذا الحديث التوحيد.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك... فالحديث الشريف ممكن تبحثوا لي عن آية قرآنية أخذ منها؟

(( واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ))

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

(سورة فاطر: من آية " 2 ")

" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ". علاقتك مع من إذا؟ مع الله، الأمة كلها لو اجتمعت على ينفعوك، لا ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، هذا هو التوحيد، يعني إذا أردت أن تضغط الدين كله في كلمات لا إله إلا الله..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) ﴾

(سورة الأنبياء)

هذا هو التوحيد.. وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقدام وجفت الصحف... طبعاً فهم هذا الحديث سهل، أما أن تعيشه يحتاج لجهد كبير، هنا في فرق، إدراك الفكرة سهل جداً، أما أن تكون في مستواها هذا يحتاج إلى جهد كبير جداً، أن تبقى موحداً ولاسيما في الأزمان، إذا تكاثر الناس عليك، إذا ضاقت الأمور، سدت السبل هذه مشكلة، فقال: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء... ممكن هذا الحديث تفهمه بسرعة، وتحفظه، وتخاف خوف شديد من الناس، معنى هذا أنك فهمت معناه ولست في مستواه، هذا الحديث لا تعيشه ولكن تفهمه، علق في ذاكرتك ولم ينتقل إلى نفسك، لم

تمارس هذا الحديث، ما عشت هذه المعاني.

الإنسان إذا فُكّر في خلق السماوات والأرض، وتابع طاعة الله مرةً بعد مرة، وازداد إقباله على الله عزَّ وجل، واتصل به، كلما نمت معرفته بالله عزَّ وجل يعيش معاني هذا الحديث، يستسلم لله، يرضى بقضاء الله، يشعر أن أمره بيد الله وحده، طبعاً هذا الحديث لا يعني أن الإنسان إذا أصابه ضيم أن يسكت، لا..

### ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)﴾

(سورة الشورى)

يعني قد يأتي شيء من الله مباشرةً هذا هو القضاء والقدر، وقد يأتي شيء عن طريق إنسان، هذا الشيء ينبغي أن ترد الظلم، وأن ترد الضيم، وأن تأخذ حقه، هذا من صفات المؤمنين.

لكن ما معنى: رفعت الأقلام وجفت الصحف؟

"واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام... "

أحياناً الإنسان يكتب كتاب، يغلق القلم، ويعلقه في صدره، ينشف الحبر، انتهى الأمر.. رفعت الأقلام وجفت الصحف... ماذا يعني ذلك؟ يعني هذه سنن ثابتة لا تتبدل، ولا تتغير ولا يضاف عليها، ولا يحذف منها، ولا تطوى، ولا تجمّد، ولا تعطل أبداً، هذه قوانين ثابتة.. احفظ الله يحفظك... قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، في البلاد الفلانية والفلانية، في السفر وفي الحضر، في الصغر وفي الكبر، في القوة وفي الضعف.

" احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف "

فأحياناً الإنسان يبذل قصارى جهده في موضوع، كل طاقته، كل إمكاناته، كل نكاته، كل خبرته أوصله إلى هذا، الآن يستسلم هنا، أما أن يستسلم وعنده طاقة، وعنده إمكانية، هذا تواكل وكسل، أما بعد أن تستنفذ كل القوى، وقد وصلت إلى هذا المكان، هذه مشيئة الله هكذا المؤمن.

زاد الإمام أحمد في روايته . في عندنا زيادة للحديث .:

((تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الصبر على ما تكره خيرٌ كثير . في عندنا استنباط  
دقيق جداً . واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً))

معنى هذا أن العسر من أجل اليسر، وأن الكرب من أجل الفرج، وأن الصبر من أجل النصر، إذ أكل ما يسوقه  
الله تعالى لعباده بهدف أن يرحمهم، وأن يعرفهم بذاته، وأن يكرمهم، وأن يدخلهم الجنة، حديثٌ يبث الأمل في  
النفوس..

" تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الصبر على ما تكره خيرٌ كثير، وأن النصر مع الصبر،  
وأن الفرج مع الكرب، وأن مع اليسر يسراً ."

\* \* \* \* \*

والأن ننتقل إلى فقرةٍ من قصة غزوة الخندق، هذه الفقرة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كانت غزوة  
الخندق، وقد نقض اليهود عهدهم معه، وجاءت الأحزاب من كل جانب، قال عليه الصلاة والسلام: " من يأتينا  
بخبر القوم ؟ "

فالنبي الكريم طلب صحابي يذهب إلى معسكر المشركين ويأتيه بأخبارهم، هذه عملية خطيرة جداً، عملية فدائية.  
" من يأتينا بخبر القوم؟ ألا رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ."  
التمن أن يكون هذا الرجل رفيق النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة، قال النبي الكريم ﷺ ذلك ثلاث مرات،  
يبدو أن المهمة صعبةٌ جداً، لأن أحد الأشخاص قال:

﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) ﴾

(سورة الأحزاب )

أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى، وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته ؟

تقدم الزبير بن العوام رضي الله عنه فقال: أنا يا رسول الله، أنا أذهب. واحد من الصحابة جميعاً، وعدل ﷺ عن إرسال الزبير، لم يرسله، واختار هو حذيفة بن اليمان لأن الزبير كان عنده حدةً وشدة، لا يملك نفسه أن يحدث بالقوم ما سيئهم عنه حذيفة، لأن أي حركة خلاف الأصول ينكشف فيقتل، فاختار النبي إنسان أعصابه قوية جداً، ولأن حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلمه غيره، ودعا رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان.

قال حذيفة: فلم أجد بدأً من القيام حيث فوه النبي باسمي، ما في مجال طالبه بالاسم، فجننته ﷺ فقال:

تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم !!

فقلت: لا والذي بعثك بالحق، ما قدرت . أي لم أقدر . على ما بي من الجوع والبرد والخوف.

أن سمعت كلامي وما قمت !!؟ في عتاب، سمعت كلامي ولم تقم ؟ قال له:

والذي بعثك بالحق ما قدرت على ما بي من الجوع والبرد والخوف.

تصور ما أصاب أصحاب رسول الله من الجوع والبرد والخوف، فقال ﷺ:

اذهب حفظك الله من أمامك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك حتى ترجع إلينا. وقال عليه الصلاة والسلام: لا برد عليك حتى ترجع.

دعا النبي له أن يحفظه من أمامه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وأن يذهب عنه البرد، يبدو أن أصحاب رسول الله كانوا في أصعب الأحوال ؛ برد شديد، خوف شديد، جوع شديد.

قال حذيفة: فلم يكن لي بدأً من القيام حتى دعاني، قال ﷺ: " اذهب فادخل في القوم " .

يقول حذيفة: فقامت مستبشراً بدعاء رسول الله ﷺ كأنني احتملت احتمالاً . كأن شخص حملني، صرت خفيف، التعبان، والجائع، والبردان، والخائف يتناقل، كأنني احتملت احتمالاً . وذهب عني ما كنت أجد من الجوع والبرد، وعهد إلي ألا أحدث حدثاً، لا أتصرف فقط أراقب. كان رضي الله عنه جاثٍ على ركبتيه، عليه مرطٌ ما يجاوز ركبتيه، فقام وقال لرسول الله ﷺ: والله ما أخشى أن أقتل ولكن أخشى أن أسر.

القصة شيء والواقع شيء ثاني، فأن تقول: والله فلان فعل كذا، وذهب، وأن تكون مكانه، فهذا شيء صعب كثير، دائماً الإنسان لا يتصور الأمور سهلة، فهذا الصحابي الجليل قال له: والله ما أخاف أن أقتل ولكن أخشى أن أسر، فقال عليه الصلاة والسلام: "إنك لن تؤسر" انظر إلى هذا التطمين.

"إنك لن تؤسر، اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته".

هذا دعاء النبي اللهم صل عليه.

يقول حذيفة: فمضيت كأني أمشي في حمّام، في مكان حار مع شدة البرد، وقد أوصاني النبي عليه الصلاة والسلام ألا أرمي بسهم، ولا حجر، ولا أضرب بسيف حتى آتيهم فجنّت إليهم، ودخلت في معسكرهم، فسمعت أبا سفيان يقول: يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم على جليسه، واحذروا الجواسيس والعيون. معنى هذا انكشف سيدنا حذيفة.

فقال: فأخذت بيد جليسي عن يميني وقلت: من أنت؟ فقال: معاوية بن أبي سفيان. وقبضت بيدي الأخرى على يساري وقلت: من أنت؟ قال: أنا عمرو بن العاص، فعلت ذلك خشيت أن يفطن بي، الله عز وجل حفظه وألهمه يبدأ، ألم يقل أبا سفيان: أن كل واحد يتفقد من حوله، من على يمينه، هو بدأ.

فقال أبو سفيان: يا معشر قريش والله إنكم لستم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخف، واختلفت بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الرياح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل.

طبعاً الله عز وجل أصابهم بريحٍ عاتيةٍ قلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم، وأطفأت نارهم وقذف في قلوبهم الرعب.

ووثب على جملة، فما حلّ عقال يده إلا وهو قائم، فقال له عكرمة بن أبي جهل: رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس؟! فاستحي أبو سفيان وأناخ جملة، وأخذ بزمامه وهو يقوده وقال: ارحلوا فجعل الناس يرتحلون وهو قائم، ثم قال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله نقيم في جريدة من الجبل بإيذاء محمد وأصحابه، فإننا لا نأمن من أن نُطلب، فقال عمرو بن العاص: وأنا أقيم، وقال لخالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سليمان؟ فقال: أنا أيضاً أقيم، فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس، وسار جميع العسكر.

قال حذيفة: ولولا عهد رسول الله . أمرني ألا أفعل شيئاً لا سهم ولا حجر ولا شيء . ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى حين بعثني ألا أحدث شيئاً لقتلته . يعني أبا سفيان . بسهمي، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فاشتدوا راجعين إلى بلادهم.

يقول حذيفة: فدخلت العسكر، فإذا الناس في عسكرهم يقولون: الرحيل الرحيل لا مقام لكم، والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم، وتضربهم بالحجارة، والريح لا تجاوز عسكرهم، حتى قال طليحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر . هذا فعل الله عز وجل . فالنجاه النجاه، فانهمزوا من غير قتال، فلما انتصف الطريق إذا أنا بنحو عشرين فارساً معتمين، فخرج إلي منهم فارسان وقالوا: أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم، لم عرفهم. لم يعرفهم، فارسان معتمين أخبر صاحبك أي النبي الكريم أن الله كفاه القوم.

قال حذيفة: ثم أتيت النبي عليه الصلاة والسلام . بعد انسحاب المشركين . فوجدته قائماً يصلي، فأخبرته برحيل القوم وانسحابهم، وأخبرته بما صنعت الريح التي لا تجاوز عسكر المشركين، وأخبرته بالملائكة جند الله وما عملوه في معسكر الأحزاب، تصديقاً للآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾

(سورة الأحزاب)

الرياح والجنود..

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) ﴾

فحمد رسول الله ﷺ وأثنى على الله بما هو أهل، ثم ضحك حتى بدت ثناياه في سواد الليل. يقول حذيفة: وعاونني البرد، رجعت بردان، الحقيقة يعلقوا على أن النبي الكريم قال له: " لا بأس عليك من بردٍ حتى ترجع إلي " فرجع، وبعدما رجع يرجع البرد، وعاونني البرد فجعلت أقرص . أتكتك، الرعدة، فأوماً إلي النبي عليه الصلاة والسلام بيده، فدنوت منه فسدل علي من فضل شملته . غطاني بثوبه . فنمت ولم أزل نائماً حتى الصباح، أي قبل طلوع الفجر، فلما أن أصبحت ودخل وقت الصلاة قال لي.....

العبرة أن نكون كما يريد الله عزَّ وجل حتى نستحق نصره، لا نستحق نصر الله عزَّ وجل إلا إذا كنا كما يريد، فهذه أرسل رياحاً وأرسل جنوداً، الأمر كان عسيب جداً، فكما قال الله عزَّ وجل:

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

(سورة محمد: من آية " 7 " )

ولما النبي دعا لسيدنا حذيفة، إذا الله عزَّ وجل كان معك فمن عليك، قال له: اللهم احفظه من أمامه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته . قال له: بردان، قال له: لا برد عليك حتى تعود.

الحقيقة أنه في منهج لله عزَّ وجل إذا طبق قطفنا ثماره في أي زمانٍ، وفي أي مكانٍ، وفي أي عصرٍ، وفي أي مصرٍ، هذا منهج الله، تطبقون منهج الله تقطفون ثماره.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (016 - 127) : المؤمن القوي

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1990-08-26

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... الحديث اليوم رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ))

هذا الحديث مرَّ بكم كثيراً، وتلي على مسامعكم كثيراً، ولكن أحياناً يتلى الحديث على مسامعكم لتأخذوا منه المعنى الإجمالي، وأحياناً يجعل الحديث محور درسٍ بأكمله، لنقف عند معانيه التفصيلية، وقد يحتاج المسلمون إلى هذا التوجيه النبوي الكريم، ذلك لأن الإنسان حينما خلقه الله عزَّ وجل جعله خليفته في الأرض.

الإنسان له مهمة، أخطر ما في هذه المهمة أن تمتلك مقومات أدائها، الإنسان التائه، الشارد، الغافل، الضائع، غافلٌ عن مهمته، لذلك يكفيه من الدنيا أي شيء، يكفيه دريهمات ولقيمات، أما المؤمن الذي عرف أن الله سبحانه وتعالى خلقه في الدنيا لتحقيق مهمةٍ خطيرةٍ جداً، يتوقَّف على تحقيقها سعادته الأبدية، لذلك يبحث عن مقومات هذه المهمة، من مقومات هذه المهمة أن تكون قوياً.

أنت لماذا في الدنيا؟ من أجل العمل الصالح، العمل الصالح يحتاج إلى قوة؛ قوة في المال، أو قوة في المكانة، أو قوة في الخبرة، أو قوة في العلم، والنبى عليه الصلاة والسلام حينما قال كلمة " قوة " أبقاها مطلقة، أطلقها، لو أنه قيدها بالمال، فقد يأتي عصر تكون فيه قوة العلم هي أقوى شيء، لو أنه قيدها بالسلطان، النبى عليه الصلاة

والسلام أوتي جوامع الكلم، وكان فصيحاً بليغاً، وكلامه يوافق مقتضى الحال، قال عليه الصلاة والسلام: " المؤمن القوي... "

لَمْ يَلَمْ يَقُلْ: القوي المؤمن ؟ لأن الإيمان مقدّم على القوة، لأن القوة من غير إيمان قوة غاشمة، قوة ظالمة، قوة تسخر في سبيل الشهوات، قوة تسخر في سبيل الباطل، الشيء الخطير أن القوة . مطلق القوة . قوة المال، وقوة السلطان، وقوة العلم، وقوة الواجهة، وقوة الخبرة، أية قوة تريدها فهي تنطبق على هذا الحديث، لو أن القوة قدّمها النبي على الإيمان، إنها قوة خطيرة، ماذا يفعل المال بالإنسان الجاهل ضعيف الإيمان؟ يحمله على أن يطغى، لذلك من المصائب الكبرى في الدنيا، من المصائب الكبرى الغنى المطغي. الغنى المطغي ينتهي بصاحبه إلى أن يهلكه في الدنيا والآخرة.

الإيمان ينمو والمال ينمو، إذا لم يكن مع نمو المال نمو للإيمان يصبح هذا المال مطغياً لصاحبه، ما معنى مطغي ؟ يعني يحمله على المعصية، يحمله على الفجور، يحمله على الكبر، يستحق بعد ذلك الهلاك، فكل هذا المال يذوب في ساعات، بينما هو من أغنى الأغنياء هو من أفقر الفقراء، لأنه نما المال من دو أن ينمو معه الإيمان.

فصاحة النبي، وبلاغته، وروعة حديثه أنه قدّم الإيمان على القوة، إذا كان الإيمان بلا قوة ضعيف، لا أحد يلتفت إليك، فأنت إذا كنت في مؤخرة الركب في التجارة، كلامك غير مسموع، إيمانك لا يؤثر في الآخرين، إذا كنت في مؤخرة الركب في العلم ؛ طالب كسول، موظف مهمل، عامل غير نشيط، مهندس متواكل مثلاً، كيف تستطيع أن تؤثر في الناس ؟ أن تلفت نظرهم ؟ أن تدفعهم إلى الحق ؟ ماذا يقال لك ؟ يقال: يا طبيب طب لنفسك، قبل أن تعظنا أتقن عملك.

هذا الحديث خطير جداً، سيدنا عمر رضي الله عنه، زار بلدة إسلامية، فلفت نظره أن كل التجار ليسوا مسلمين، فلما عاتب أهل هذه البلدة، قالوا: الله سبحانه وتعالى سخرهم لنا. أجاب إجابة أنا أرى أنها تكتب بماء الذهب، وأن إجابته تتم عن إدراك عميق جداً للقوى الفاعلة في الحياة، قال: " كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم ؟ ".

أنت لا تحب أن تعمل، لا تحب أن تكون متفوقاً، لا تحب أن تثبت وجودك، تحب أن تكون اِتِّكالياً، أن تعيش عالمةً على الناس، كله شغل سيدك، والله عز وجل يحفظنا ويرعانا، ونحن لسنا عبيد امتحان بل عبيد إحسان، هذه النظرة المتواكلة، الهامدة، الانهزامية، هذه تجعل الأمور بيد أعداء المسلمين، عندئذٍ أعداء المسلمين يفرضون على المسلمين عقائدهم، يفرضون على المسلمون اتجاهاتهم، عاداتهم، تقاليدهم، أزياءهم، نحن في عندنا غزو ثقافي الآن. فامرأة مسلمة، لها أبٌ مسلم وأمٌ مسلمة، لمجرد أن ترى في كتيب الأزياء أن يجب يبدو من جسمها كذا، ترتدي هذه الثياب، هذه مسلمة؟ هذا غزو، غزو ثقافي يسمى، في غزو فكري.

فلذلك هذا الحديث أخطر من خطير، إذا عرفت أنك في الدنيا لمهمة أرادها الله عز وجل، لمهمة أن تكون خليفته في الأرض، ولن تستطيع أن تتطيق بكلمة واحدة إذا كنت في مؤخر الركب؛ في العلم، في العمل، في الإتيان، في الخبرة، لذلك الذي يعتصر القلب ألماً أن ترى إنساناً غير مؤمن متقناً لعمله، صادقاً في وعده، دقيقاً في معاملته، وأن ترى هذا المسلم الذي كلما أذن المؤذن سارع إلى المسجد، تراه مهملًا لواجبه أحياناً، مقصراً في عمله غير متقن لحرفته، بعيداً عن أن يكون في موطن يرمقه الناس، بل هو في موطن يزدري أحياناً، ليس هذا ورب الكعبة مؤمناً، المؤمن القوي؛ طالب، طالب دين يغش في الامتحان إذا ضبط هذا الطالب يغش، إن سيلاً من السباب والشتائم لا تشتمه هو بل تشتم دينه، أليس كذلك؟..

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف... ادرس جيداً ولا تغش في الامتحان، لئلا تسبب لدينك الهوان، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

" أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك "

أنت على ثغرة، الثغرة مكان الضعف في الحدود، كل مسلم سفير للمسلمين، سفير لهذا الدين العظيم بأعماله، بحركاته، بسكناته، بتصرفاته، بأقواله، بأفعاله، بحرفته، بصنعتة ببيته، الناس ينظرون إليه، هكذا الإسلام؟ فإذا كان في خلل، في تقصير، في كذب، في تلاعب، في مواقف غير مشرفة، عندئذٍ لا يسقط هذا الإنسان الذي يدعي أنه مسلم، بل يسقط معه إسلامه.

فما من شيء ينقّر الناس من الدين أن يكون لك زيّ ديني، أو اتجاّه ديني، أو مشربّ ديني، أو خلفيّة دينية، أو عقلية دينية، أو نمطّ ديني وأن يرى الناس فيك النقص، عندئذ يعزرون هذا النقص لا إلى ذاتك، لا إلى شخصك، لا إلى خطئك بل يعزونه إلى دينك. هذه نقطة مهمة، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام لم يقل: القوي المؤمن قال: المؤمن القوي، لأن القوة من دون إيمان خطيرة جداً، قوة غاشمة، قوة ظالمة، قوة باطلة، القوة من دون إيمان، أما الإيمان من دون قوة شيء ضعيف لا يقام له وزن، لا يرمقه الناس، لا يتأثرون به. الملاحظ من الذي يؤثر في الناس؟ المتفوقون من المؤمنين، مؤمن غير متفوق لا يؤثر بالناس، ليس في عين الناس كبيراً هو في عين الناس صغير، ما دام في تقصير، في إهمال في عدم عناية بالمواعيد، في عدم عناية بالواجبات، اتكالي، انهزامي، يؤثر الراحة، لا تهمة سمعته، مثل هذا المؤمن لا يبجله الناس ولا يعظمونه، إذاً لا يعظمون دينه، ولا يعظمون اتجاّاهه، ولا أقواله، ولا أفعاله، ولا نصائحه، ولا إرشاداته، انتهى كمؤمن.

فلذلك القضية قضية مترابطة، وليست القضية قضية أنني أنا صاحب دين، أنا ديني في واد وصنعتي في واد، وحرفتي في واد، ودراستي في واد، طبيب أخذ شهادة واستراح من المطالعة، صار في نظريات أحدث، أدوية أحدث، وهو مرتاح، زبائنه كثر، ليس هذا هو المؤمن، ما قولك أيها الطبيب المسلم لو أن مريضاً جاءك، وصفت له علاج غير ناجح، بينما طبيب آخر ليس مسلماً وصف العلاج الناجح، ما مكانة الدين في هذه البلدة إذاً؟ أخي هذا ليس فهمان هذا أجدب، أهكذا المسلم؟. فالقضية أساساً ما أؤخر المسلمين، ولا مكن عدوهم من رقابهم، إلا تخاذلهم، وضعفهم، وتخلّفهم، وأنهم رضوا أن يكونوا في مؤخرة الركب.

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف... الحق من دون قوة لا قيمة له، هذه حقيقة مرة، الحق مع القوة، فالقوة مطلقة، النبي لم يحدد، قالوا في بعض التعاريف الحديثة للحرب: الحرب الحديثة حرب بين عقليين. في زمن الشجاعة كان لها دور خطير جداً، الآن لا يوجد إلا أزرار، شاشة رادار، وكبس الزر، فدمرها، حرب بين عقليين، الحرب الحديثة حرب بين عقليين، لذلك قوة العصر اليوم العلم، المسلم يجب أن يكون عالماً، أقل تقدير أن يكون متقناً لاختصاصه، أن يكون في المقدمة، أن يكون الأول، يؤكد هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(( علو الهمة من الإيمان ))

علو الهمة في اختصاصك، في صنعتك، في مهنتك، في تدريسيك، في طبابتك، في محلك، في تجارتك، في وظيفتك، في خبراتك علو الهمة، كن ذا همة عالية لتحصيل أعلى شيء في اختصاصك، حتى إذا قلت كلمة يُسمع لك.

سمعت أن رياضياً من كبار اللاعبين في قطر عربي، هداه الله للإسلام واعتزل اللعب كلياً، مباراة مهمة جداً، وقد من الحكومة زاره في البيت ورجاه أن يستأنف اللعب لهذه المباراة، فاشتراط عليهم أن يلعب بالسروال الطويل، فأصبح هذا السروال الطويل تقليداً في هذا البلد احتراماً لبطولته. فأنت ممكن بأي مجال تكون متفوق فكلمتك هي النافذة، رأيك محترم، إذا قمت لتصلي، صلاتك محترمة لأنك متقن لعملك.

إذاً، المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف... لأن لك مهمة في الدين، مهمتك بشكل مختصر أن تعرف الله وأن تعمل صالحاً، أن تعرف الله من خلال الكون والقرآن والسنة، وأن تعمل صالحاً، العمل الصالح يحتاج إلى مال إذا كان إنفاق، والدعوة إلى تحتاج إلى علم، وإنصاف المظلوم يحتاج إلى سلطة، إلى قوة، فإما أن تكون قوياً في مالك فتتفق منه على الضعفاء والمساكين، وإما أن تكون قوياً في علمك فتدعو إلى الله عز وجل، وإما أن تكون قوياً في مكانتك فتُنصف المظلوم، هذه قوة، وهذه قوة، وهذه قوة. والذي ألاحظه أن المؤمنين الطيبين الطاهرين المتفوقين في أعمالهم، هؤلاء الذين يتركون بصمات واضحة في المجتمع، هؤلاء الذين يؤثرون في المجتمع، هؤلاء الذين يتأسى الناس بهم، هؤلاء الذين ينصرف الناس إلى دعوتهم، لا ينصرفون عنها بل ينصرفون إليها.

إذاً في قول النبي عليه الصلاة والسلام: المؤمن القوي... بتقديم كلمة المؤمن، كلكم يعلم أن التقديم والتأخير بحث قائم بذاته، القرآن الكريم يمكن أن يكتب كتاب حول كتاب الله عز وجل في موضوع التقديم والتأخير، تعرفون هذا أكيد؟

### ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾

(سورة النور: من آية " 2 " )

قدّم الزانية على الزاني..

### ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾

(سورة المائدة: من آية " 38 " )

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَبْتَعْتُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا مِنَ أَعْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الرحمن: من آية " 33 " )

﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾

(سورة الإسراء: من آية " 88 " )

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(سورة النور: من آية " 30 " )

غض البصر مقدّم على حفظ الفرج لأنه طريق له..

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

(سورة الرحمن )

### ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

(سورة الأنعام: من آية " 112 " )

معنى هذا شياطين الإنسان أشد خطراً من شياطين الجن، التقديم والتأخير وحده بحث قائم في ذاته..

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾

(سورة التوبة: من آية " 24 " )

.. إِيخ، قدم الأب. في موطن آخر قدّم المرأة..

## ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾

( سورة آل عمران: من آية " 14 " )

قدم المرأة، في آية ثالثة قَدَّم الابن..

## ﴿ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزِمْ لَوْ يُفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ (11) ﴾

( سورة المعارج )

قَدَّم الابن، في موطن رابع قَدَّم الأخ..

## ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) ﴾

( سورة عبس )

يفر من أخيه لماذا ؟ لأن الأب كبير في السن والابن ضعيف، من الذي ينصرك ؟ هو الأخ، ففي موطن الاستغاثة والاستعانة قَدَّم الأخ، في موطن الفداء قَدَّم الولد، في موطن الاعتزاز الاجتماعي قَدَّم الأب، في موطن اللذة والشهوة قَدَّمت المرأة، في آية قدمت المرأة وفي آية قدم الأب، وفي آية قَدَّم الابن، وفي آية قدم الأخ، إذاً التقديم والتأخير بحث قائم بذاته في القرآن الكريم، ولو دققنا مثلاً في ثمانية عشر آية قَدَّم إنفاق المال على إنفاق النفس..

## ﴿ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾

( سورة الأنفال: من آية " 72 " )

لماذا ؟ لأنه أسهل، يعطيك نقود أما يحارب شغلة صعبة، ما معها مزحة، ألف جبان ولا الله يرحمه، المال تقديمه سهل أما الروح صعب، فربنا عز وجل ذكر جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، قدم المال على النفس لأنه أسهل، وفي آية واحدة قَدَّم النفس على المال:

## ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾

( سورة التوبة: من آية " 111 " )

في موطن الشراء تذكر الأهم فالمهم، الأهم الأول، في موطن البذل تذكر الأسهل، في بضع عشر آية الله عز وجل قدّم السمع على البصر، لأن السمع يسبق البصر، الجنين في بطن أمه يستجيب للمؤثرات الصوتية، بينما المولود حديثاً لا يستجيب إلى الضوء إلا بعد أيام..

## ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾

( سورة المؤمنون: من آية " 78 " )

أكثر الآيات السمع مقدّم، موضوع التقديم والتأخير بحث قائم في ذاته، فإذا كنا طبقناه على هذا الحديث النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

### (( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ))

لم يقل: القوي المؤمن، قال: المؤمن القوي... لأن الإيمان مقدّم على القوة، لكنه من دون قوة لا قيمة له، إذاً يمكن أن نقول بالتعبير الفيزيائي: الإيمان شرطٌ لازم غير كافٍ، والقوة شرطٌ لازم غير كافٍ، قوة بلا إيمان قوة غاشمة، إيمانٌ بلا قوة شيء ضعيف مبتذل لا قيمة له، فلذلك أصحاب النبي الكرام ما تفوقوا وما فتحوا العالم إلا لأنهم كانوا أقوياء، كانوا رهبان في الليل فرسان في النهار.

إذاً روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

### (( المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله تعالى ))

يعني هو خيرٌ له، ولرسالته، ولمهمته، ولنجاحه في الحياة، ولسعاده في الآخرة، خيرٌ له والله سبحانه وتعالى يحبه، أعظم شيء أن يكون الشيء محموداً عند الله وعند الناس حتى أن اسم محمود للنبي عليه الصلاة والسلام قال بعض المفسرين: محمودٌ عند الله وعند الناس وعند نفسه.

## ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54)﴾

( من سورة الذاريات )

لا عند نفسك ولا عند الله ولا عند الناس، محمود، فالمؤمن القوي، خير لصاحبه لأنه أعون على تحقيق رسالته، على أداء مهمته، على عمله الصالح الذي هو قوام سعادته..

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف... لكن النبي الكريم جبار خواطر قال: وفي كل خير... إذا واحد مؤمن وضعيف ما شي الحال أحسن من أن يكون كافر، وفي كل خير، لكن الأولى أقوى.

التوجيه الآن: إذا كنت مؤمناً بأن الأمر كله بيد الله، وبأنه لا إله إلا الله؛ لا رافع ولا خافض، ولا معز ولا مذل، ولا معطي ولا مانع، ولا قابض ولا باسط، ولا معز ولا مهين إلا الله، إذا كنت هكذا مؤمناً إذاً احرص على ماينفعك... كلمة لا أقدر، هذه الكلمة لا يقولها إلا جاهل، لا أستطيع، الظروف صعبة، البيئة صعبة، عيوني أين أذهب بهم في الطريق، الطرقات فاسدة، كل الشغل حرام، الناس كلهم بلاء عام، اللقمة كلها مغمسة بالدم كل اللقم مشبوهة، أموالنا كلها ملوثة بالربا، غير مستطيع أن تفعل شيء أبداً؟ ضعيف يعني؟ شرع الله لا يطبق؟ الله عز وجل كلفك بما لا تطيق؟! الله عز وجل قال:

## ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾

( سورة البقرة )

لمجرد أن تقول: لا أستطيع، لا أقدر، الزمن صعب، بيئة صعبة، بيئتي صعبة، ظروف قاسية، محاط بجو سيئ، هذا كلام فارغ، كأنك تتهم الله عز وجل بأن شرعه غير واقعي، كأنك تتهم الله بأن شرعه ليس لهذا الزمن، الزمان صعب، كأن هناك قوى أخرى تفعل فعلها في الحياة، لذلك: احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز... لا اقدر أن أصير، لا تصير، لا أستطيع أن أغض بصري، لا، فيك تغض بصرك، لا يمكنني أن غير مهنتي، فيك تغييرها، ما فيني أصلح زوجتي، فيك تصلحها، لكن عليك أن تستعن بالله، لحالك صعب، أنت ضعيف فعلاً، إذا قلت: أنا لا أقدر، بمعنى أنه أنت لحالك فعلاً ضعيف أما إذا أنس الله منك صدقاً، ورغبةً، وإصراراً، وإلحاحاً، الله عز وجل خلق الشيء، خلقه تلبيةً لك، خلقه استجابةً لك.

إذاً، احرص على ما ينفحك واستعن بالله ولا تعجز... أنت لك مصلحة ولكن مشبوهة، اتركها، يا أخي بعد هذا العمر؟ اتركها لا تعجز، أنا لا أنسى قصة سمعتها من أحد علماء دمشق، والله أيها الإخوة الأكارم لغزبتها كأنها غير صحيحة لكنها واقعة، رجل من صعيد مصر . قلتها لكم سابقاً . له ابن درس بالأزهر، وجاء عالم خطيب، أعجب هذا الأب بابنه، فتمنى أن يكون مثل ابنه، ركب دابته وساقها إلى مصر . أي إلى القاهرة . فلما وصل إلى مشارفها سأل أحد الباعة: أين هو الأزعر؟ ما هو الأزعر؟ قال له: مكان ما بيعلموا. فقال له: هذا ليس اسمه أزعر اسمه أزهر، هذا جامع شريف، قال له أين هو؟ يبدو أن هذا البائع على شيء من الإيمان قال له: فتح الله عليك، ودله عليه. هذا الإنسان عمره خمسة وخمسين عام، تعلم اللغة وحفظ القرآن في هذا السن، وما زال يطلب العلم حتى صار شيخ الأزهر، وتوفي في السابعة والتسعين.

أكاد لا أصدق هذه القصة، لولا أن أخواً كريماً كان يحضر عندنا قال لي: والله أنا حفظت كتاب الله تعالى كله في الخامسة والخمسين، بدأ بحفظه في الخامسة والخمسين تقول: لا أقدر. هذا كلام فارغ، لكن قل: أنا ليس صادق، فهذا كلام صحيح، مالي رغبان، صح هذا الكلام، أما لا أقدر، لا، تقدر، لكن ما في رغبة، ما في صدق، ما في إصرار، ما في حرص.

أما الذي يلفت النظر بهذا الحديث: " واستعن بالله ولا تعجز... لا تقل لا أقدر، استعن بالله على إصلاح زوجتك، عنيدة يا أخي لا تمشي معي، ما خليت طريقة، أنت لم لم تستعن بالله عليها؟ مارست كل جهودك لا تكفي جهودك استعن بالله ولا تعجز، فالإنسان أحياناً الذي يبدو له فوق طاقته، لو أنه استعان بالله عز وجل لأعانه، كل شيء تراه فوق طاقتك يذل إذا استعنت بالله عز وجل، وأنت كذلك تصلي باليوم خمسة مرات تقول: إياك نعبد وإياك نستعين، لمجرد أن تعزو القوة إلى نفسك، أو إلى قدرتك، أو إلى اختصاصك، أو إلى ثقافتك، أو إلى ذكائك، الله عز وجل كل من اتكل على نفسه أكله الله إياها.

يمكن أن يعطيك كل شيء من لا شيء بشرط أن تستعين به، وأن تعتمد عليه، وألا تتكل على غيره، لأن كل شيء بيده؛ قلوب العباد بيده، المواد بيده، خواص المواد بيده، كل شيء تراه عينك بيد الله عز وجل، فإذا كنت مع الله عز وجل، والله سمع دعائك، يغير كل شيء، أحياناً يلقي بقلب إنسان محبتك، أحياناً يلقي بقلب إنسان بغضك، أحياناً يلقي بقلب إنسان رغبة في معاونتك، استعن بالله ولا تعجز، أحياناً يكون في شيء لازم لا يراه

فلان، لا يراه، لو رآه لكنت انتهيت أنت، الله عز وجل حجب عنه البصر، قال: يا رسول الله لقد رأونا . سيدنا الصديق بالغار . فقال له رسول الله: يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) ﴾

( سورة الأعراف )

ألم تقرأ هذه الآية أنت ؟

فمن الممكن تلخص الأحداث كلها التي تسمعها بأن:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾

( سورة الفتح: من آية " 4 " )

ترتاح.

إذاً: احرص على ما ينفعك... تتفعلك هذه الحرفة احرص عليها، ينفعك هذا الصديق احرص عليه، ينفعك هذا الطريق، ينفعك هذا الاتجاه، ينفعك هذا المجلس، احرص على ما ينفعك، أما أن تقول لي: والله مقصرين يا أستاذ؟ لماذا مقصر؟ هذا كلام غير مسموح لأنه بيدك ألا تقصر، هذا التقصير عُزي إليك، والدليل قول الله عز وجل:

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) ﴾

( سورة النجم )

أما..

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

( سورة الزخرف: من آية " 32 " )

هو الشيء العجيب، أن الشيء الذي ضمنه الله لك، تسعى له سعياً حثيثاً مع الهم والحزن، وأن الشيء الذي كلفك الله به تتركه على الأقدار، فتجده يقول لك: حتى الله يريد، ما في انشراح، الشيء الذي كلفك الله به تدعه للأقدار، وأما الشيء الذي ضمنه الله لك تسعى له سعياً حثيثاً.

احرص على ما ينفك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا... فهذه لو ليس وردة في قاموس المؤمن، ضع عليها إشارة ضرب، إلا في لو واحدة مسموح بها، من يعرفها؟ لو الإيجابية..

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

(سورة الملك)

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16)﴾

(سورة الجن)

لك أن تقول: " لو " ألف مرة، لكن فقط بمعنى واحد: لو دفعت زكاة مالي ما أتلف الله مالي، والله كلام صحيح، بارك اله بك، لو غضضت بصري عن محارم الله ما كان هذا الشحاء بيني وبين زوجتي، كلام صحيح، لو لم آكل الربا ما تلف مالي، صحيح كلامك، هذه اللو لك أن تقولها آلاف المرات، هذه لو الإيجابية، والله عز وجل قال:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

(سورة الملك)

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

(سورة الجن)

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الأعراف: من آية " 96 ")

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

( سورة المائدة: من آية " 66 " )

كثير في ( لو ) بالقرآن، ولكنها كلها لو الإيجابية، أما عندما الله عز وجل يسوق للإنسان شيئاً بقضاءٍ و قدر وبحكمةٍ بالغة، لا يقول: لو لم أمشي في هذا الطريق ما صار معي هكذا، يصير يسب الطريق، لو لم أركب هذه السيارة لما كان هذا الحادث، لو لم أسافر لما فقدت مالي، لو لم أصاحب فلان لما صار كذا وكذا، لو لم أتزوج فلانة، هذه لو الشيطانية، لو السلبية..

لا تقل لو أنني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان... يدخل الشيطان، لأنه صار في شرك، في شيء ثاني إذا قلت: لو أنني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، معنى ذلك أنك تلغي أن الله بيده كل شيء، معنى ذلك أنك تعزو القوة للأشياء، كأن الله سبحانه وتعالى أودع في الأشياء قوةً، وتركها وحدها تفعل ما تشاء، لو لم أفعل كذا لما كان كذا، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

" الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن "

( من الجامع لأحكام القرآن: عن " أبي هريرة " )

(( ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان ))

\* \* \* \* \*

ننتقل الآن إلى قصة جرت في غزوة خيبر التي غزاها النبي عليه الصلاة والسلام.

يروى أنه قدم على النبي ﷺ بعد فتح خيبر، رجل اسمه الحجاج بن علاط السلميّ، فأسلم، وكان غنياً كثير المال، فقال: يا رسول الله، إن مالي عند امرأتي أم شيبه بنت أبي طلحة بمكة . مالي كله عند امرأتي . ومتفرق بين تجار مكة . عند امرأتي وفي أيدي تجار مكة . فأذن لي أن آتي مكة لأخذ مالي . قالوا قديماً . وهذا القول صحيح .: المال شقيق الروح، المرء حيث أهله، المرء حيث رحله، قال له: فأذن لي أن آتي مكة لأخذ مالي، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإذا علموا بإسلامي فلا أقدر على أخذ شيءٍ منه.

النبي عليه الصلاة والسلام كان واقعياً، وأي دعوة أساساً تقوم على نظرات غير واقعية لا تتجح، دع مالك واقعد معنا، فهذا لا يصير، ماله عند زوجته وعند تجار مكة، فالنبي عليه الصلاة والسلام أذن له.

ولكن في له طلب، الطلب الثاني صعب، قال: يا رسول الله لا بد لي من أن أقول . طبعاً معنى أقول أن أنتقول عليك ما ليس واقعاً، لكي آخذ مالي . قال: لا بد لي من أن أقول وأذكر ما هو خلاف الواقع، أي ما أحتال به كي أصل إلى مالي، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال له:

قل ما شئت.

قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة، وجدت بثنية البيضاء . ثنية جبل صغير، تلة صغيرة . رجالاً من قريش يستمعون الأخبار، فالنبي كان قد غزا خيبر، وأخبار الغزو أخبار شائقة جداً، يا ترى انتصر ما انتصر ؟ اليهود غلبوه، غلب اليهود ؟ عندهم حصون منيعة جداً، فتح الحصون، ما فتح الحصون ؟ فكان رجال من قريش على الثنية البيضاء يستمعون الأخبار، ويسألون عن أمر النبي عليه الصلاة والسلام، وقد بلغهم أنه سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً، ومنعاً، ورجالاً، يعني من أقوى قرى الحجاز فيها حصون منيعة جداً، والدليل الله عز وجل قال:

﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ ﴾

( سورة الحشر : من آية " 2 " )

إذا كانت خيبر أقوى قرى الحجاز تحصناً ومنعاً، ورجال قريش يتجسسون الأخبار من الركبان، وكان بينهم تراهن عظيم وتبايع، منهم من يقول: يظهر محمد وأصحابه، ومنهم من يقول: يظهر الحليفان ويهود خيبر، وراهن بعضهم على مائة بعير في أن النبي عليه الصلاة والسلام يغلب أهل خيبر، قال حويطب بن عبد العزى وجماعة الرأي الأول: محمد يغلب وأصحابه أهل خيبر، وقال ابن عباس بن مرداس وجماعة الرأي الثاني.

فلما رأوا الحجاج قادماً من المدينة قالوا: الحجاج عنده والله الخبر، ما داموا قد سمعوا النبي قد سار إلى أهل خيبر، ولم يكونوا قد علموا بإسلامه، قالوا:

يا حجاج، إنه قد بلغنا أن القاطع . هكذا سمو النبي عليه الصلاة والسلام . قد سار إلى خيبر .

فقال الحجاج: عندي من الخبر ما يسركم.

فاجتمعوا إليه يقولون: إيه يا حجاج ما الخبر ؟ قل لنا من انتصر ؟.

فقال الحجاج فقلت له: لم يلق محمدٌ وأصحابه قوماً يحسنون القتل غير أهل خيبر، فهُزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط، وأسر محمدٌ، وقالوا لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة، فنقلته بين أظهركم، يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم.

فصاحوا وامتألت قلوبهم فرحاً، واستبشروا، وانطلقت بسماتهم، وتألقت عيونهم، وقالوا لأهل مكة هذا الخبر: قد جاءكم الخبر، هذا محمدٌ إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم.

وقال الحجاج: وقلت لهم أعيونني على غرمائي . على ديوني . أصحاب الدين، أريد أن أقدم فأصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك، فجمعوا إلي مالي على أحسن ما يكون، ففشا ذلك بمكة، وأظهر المشركون الفرح والسرور، وانكسر من كان بمكة من المسلمين.

في مسلمين كانوا غير معروفين، لما تناقلت الأنباء هكذا تألموا ألماً شديداً، وسمع بذلك العباس . عم رسول الله . فجعل لا يستطيع أن يقوم، ثم أخذ ابناً له يقال قُثمٌ وبعث به إلى الحجاج، يقول له: قل له . اسمعوا حسن ظن المؤمن بربه . يقول لك العباس: الله أعلا وأجل من أن يكون الذي جئت به حقاً. مستحيل، والله يعصمك من الناس، هو رسول الله، عمه العباس بمكة يعرف أن ابن أخيه نبيٌّ عظيم، وأن الله يحميه، انظر إلى حسن الظن .

فقال الحجاج للغلام: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له ليخلي لي . أي يفضي لي بيته . بعض بيوته لآتيه بالخبر الذي يسره، واكتم عني .

فأقبل الغلام فقال: أبشر أبا الفضل . فوثب العباس فرحاً كأن لم يمسه شيء من شدة فرحه بنصر النبي، هكذا المؤمن يجب أن تفرح لنصر المؤمنين، وإلا لست منهم، المنافق:

## ﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾

(سورة آل عمران: من آية " 120 " )

علامة المنافق إذا مؤمن أصابه سوء يقول: أنا توقعت له هذا الشيء، يفرح، هذه علامة النفاق، إذا كنت مؤمناً حقاً تفرح إذا أصاب الخير أخاك، وتألّم أشد الألم إذا أصابه السوء.

فلما أخبره هذا الغلام للعباس أعتقه فرحاً بهذه البشري، وقال: لله علي عتق عشر رقاب. فلما كان ظهراً جاءه الحجاج، فناشده الله أن يكتّم عنه ثلاثة أيام، لكي يروح بماله وقال: إني أخشى الطلب إذا كشفوا هذا التدبير يقتلونني . فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، بعد أيام ثلاثة أكون قطعت مسافة لا بأس بها، قل لهم ما تشاء، فوافقته العباس على ذلك وقال الحجاج: إني قد أسلمت، وإن لي مالاً عند امرأتي وديناً على الناس ولو علموا بإسلامي لم يدفعوا إلي، إني تركت رسول الله ﷺ قد فتح خير، وجرت سهام الله، وسهام الله وسوله فيها، وتركته زوجاً لابنة ملكهم حيي بن أخطب . السيدة صفية . وقتل ابن أبي الحقيق، فلما أمسى الحجاج غادر مكة.

حكي القصة كما تكون لعم النبي، هذه الحقيقة، أما كفار قريش المشركون طاروا فرحاً ؛ أن محمد مأسور، وسوف يؤتى به إلى مكة ليقتل، وطالت على العباس تلك الليالي الثلاث، رآها سنوات، فلما مضى الحجاج ذهب من مكة إلى المدينة، ومضت الثلاث أيام، عمد العباس رضي الله عنه إلى حلة فلبسها، لبس أحسن ثيابه، وتخلّق بخلق، بعطر طيب وأخذ بيده قضيباً، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش، وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، وهذا والله التجلّد بالمصيبة، يواسيه بمصيبته أن النبي مأسور وسيقتل، فقال: كلا، والله الذي حلفت به لم يصبني إلا خير، بحمد الله، أخبرني الحجاج . الذي كان عندكم . أن خير فتحها الله على يد رسول الله، وجرت سهام الله وسهام رسوله، واصطفى رسول الله صفية بنت ملكهم حُيي بن أخطب لنفسه، وإنما قال ذلك لكم ليأخذ ماله منكم، وإلا فهو ممن أسلم. وهذا مسلم.

فردّ الله الكآبة التي كادت للمسلمين على المشركين، كل هذه الكآبة التي حلّت بالمسلمين انعكست على المشركين، فقال المشركون: ألا يا عباد الله انفلتت عدو الله . أي الحجاج . أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

فالنبي اللهم صل عليه كان واقعياً بأدق عبارة، والحجاج كان صريحاً، أخاف على مالي يريد ماله، والموقف الثالث حسن الظن من سيدنا العباس بالله عز وجل.

في لقطة النبي الكريم بمرض الوفاة، أعطي دواء ذات الجنب، فغضب غضباً شديداً وقال:  
" ذلك مرض ما كان الله ليصيبني به "

يعني المؤمن غالي على الله عز وجل، المؤمن كرامته محفوظة، وصحته غالية على الله، وموفق بعمله، حسن الظن بالله ثمن الجنة.

واللقطة الرابعة: أن المنافق يفرح بالمصيبة تصيب المؤمن، والمؤمن الصادق يتألم أشد الألم. هذه قصة من قصص غزوة خيبر التي غزاها النبي عليه الصلاة والسلام.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 017 - 127 ) : أما بعد فإن أصدق الحديث 1

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-09-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وعلى من اهتدى بهداه.

أيها الإخوة الكرام: مازلنا في حديث رسول الله ﷺ، فقد كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منبر جيش، فعن جابر قال:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ، يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُنْبِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ أَحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ مَسَاكُمُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَرَكَ مَا لَمْ يَلِمْهُ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِنِّي أَوْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

الحقيقة أنّ هذا الحديث يعد من أصول الدين، لأنه لولا هذا الحديث لأصبح الدين الإسلامي مجموعة من الخرافات والضلالات والزيادات، ومجموعة من الأكاذيب، أما النبي عليه الصلاة والسلام فقد قال:

((وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[المائدة: من الآية 3]

لا يستطيع إنسان كائناً من كان على وجه الأرض أن يزيد بعد أن نزل هذا القرآن، وقد وصفه ربنا سبحانه وتعالى بأنه كامل وتام، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[ سورة المائدة: الآية 3 ]

لذلك كل إنسان يجب أن يكون متبعاً كما قال سيدنا الصديق رضي الله عنه: " إنما أنا متبع، ولست بمبتدع "، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

هذا كتاب خالق الكون، يقال: والله أنا رأيت الجن، لا، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 27 ]

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

يمكن أن ترد ألف قصة، يمكن أن نقول: صغار، كبار، سود، قطط:

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 27 ]

انتهى الأمر:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

تقول لي: اخترعوا دواء لطول العمر، لا، أقول: ليس هذا صحيحاً، قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 61 ]

الأجل محدود، وبيد الله عزوجل، الولي فلان قال: إنك سوف تصبح غنياً، تقول: ليس بصحيح، لأن النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق، وحبیب الحق قال:

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾

[هود: من الآية 31]

إذا كان عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب فهل يستطيع إنساناً كائناً من كان أن يدعي علم الغيب ؟ مستحيل، النبي لا يعلم الغيب، والنبي لا يملك للناس نفعاً ولا ضرراً، بل في آية أخرى:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرَّاً﴾

[ سورة الأعراف: الآية 188 ]

فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه النفع، ولا يملك الضر، أفيملكه لغيره ؟

أخي، هذا العالم بعد أن تم له هذا الكشف رُفع عنه التكليف، قل له: هذا كذب:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[ سورة الزمر: الآية 13 ]

النبي عليه الصلاة والسلام لم يرفع عنه التكليف، ولو أنه خالف الله عز وجل لخاف عذاب يوم عظيم، فإذا أنت فهت القرآن فهماً صحيحاً، وعقلته، وفهمت قوانينه كان بإمكانك أن ترد كل قصة، أو كل دعوة، أو كل مقولة تخالف نصح، الشرط أن تؤمن به إيماناً تحقيقياً، قبل أن تبحث عن أي شيء في الدين يجب أن تؤمن بالله إيماناً تحقيقياً، ويجب أن تؤمن بالقرآن إيماناً تحقيقياً، فإذا أخبرك القرآن عن شيء بعد أن آمنت بالله إيماناً تحقيقياً، وبعد أن آمنت بكلام الله عز وجل إيماناً تحقيقياً، الآن إذا أخبرك القرآن عن شيء تؤمن بهذا الشيء إيماناً

تصديقاً من نوع ثان، هكذا أخبر الله عز وجل، فإذا قال لك: إطلاق البصر يرفع مستوى الذوق الجمالي، قل له: كذب، لأن الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[ سورة النور: الآية 30 ]

يقول لك: الاختلاط يهذب المشاعر، قل له: كذب:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾

[ سورة النور: الآية 31 ]

إذا فهمت كتاب الله عز وجل أصبحت شخصية فذة، معك تعليمات الصانع، معك تعليمات من خالق الإنسان، من أعظم خبرة، من خالق الإنسان، ربنا عز وجل يقول:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[ سورة فاطر: الآية 14 ]

بل إن أية مشكلة على وجه الأرض، بل إن أية مصيبة تقع على وجه الأرض أساسها مخالفة منهج الله عز وجل، فأية مخالفة لمنهج الله أساسها الجهل، إذاً أكبر عدو للإنسان هو الجهل، فهو أعدى أعداء الإسلام.

الإنسان بحكم فطرته مفطور على حب ذاته، وعلى حب وجوده، وعلى حب استمرار وجوده، وكمال وسلامة وجوده، فالقضية قضية علم، يجب أن تعلم ما الذي ينفعك، وما الذي يضررك، إذاً:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت))

المؤمن الذي بدأ حياته بطاعة الله عز وجل، وامتلاً قلبه بالإيمان، وامتألت تلافيف دماغه بالقرآن، إن هذا المؤمن بنص حديث رسول الله ﷺ لا يخرف، بل إن شريط عمره من أمتع أيام عمره.

الآن الناس يقولون لك: الشباب، أكثر الناس يعترّون بالشباب، يقولون لك: صحة طيبة، وضرس طيب، مثلاً، عنده روح مرحة، عند الناس الشباب هو النهاية العظمى، الخط البياني، أما والله الذي لا إله إلا هو عند أهل الإيمان خريف العمر هو النهاية العظمى، لأنه ازداد علماً، وازداد عقلاً، وازداد صلة بالله عز وجل، وازداد كرمًا وطهرًا وحكمة وفهمًا ومكانة، وأصبح يهتم بمعالي الأمور، ويتعد عن سفاسفها، لذلك قد ترى مؤمنًا في السبعين وفي الثمانين، وكأنه كوكب دري بصحته، وباعتداله في الطعام والشراب، باهتمامه بأمر آخرته، وبفهمه لكتاب الله، وبذاكرته القوية.

تعلمون القصة المشهورة، أن رجلا في السابعة والتسعين من عمره، وهو بكامل صحته، بصره حاد، وسمعه مرهف، وعلى كل خد وردة، وأسنانه في فمه، وقامته مستقيمة، فلما قيل له: يا سيدي ما هذه الصحة؟ قال: يا بني حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقيًا عاش قويًا، مثلاً:

((إِنَّ أَضْـَاقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

أحياناً تتلبد السماء بالغيوم، ويصبح الأمر ضبابيًا، وتنتشر المخاوف، والتشاؤم، والنظرة السوداوية، والخوف العام، والقهر العام، ويقال: المنطقة على كف عفريت مثلاً المنطقة وحرب مدمرة، لا تبقي ولا تذر، ونقص مياه، وشح في الأمطار، خطوط المطر اختلفت، أصبح هناك تصحر، ونقص في المواد الغذائية، وتعجر سكاني، إذا سمعت كلام أهل الدنيا لا تشتهي إلا الموت، لا يوجد خبرٌ سار، اقرأ كتاب الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[ سورة فصلت: الآية 30 ]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[ سورة النحل: الآية 97 ]

الله عز وجل وعد، والحياة الطيبة في أدق معانيها أن تشعر أن الله يحبك، وأن الله راضٍ عنك، قد يبتليك، ولكن هذا البلوى إذا جاءت وأنت على طاعة الله عز وجل تأتي برداً وسلاماً، لقد قرأنا أو شاهدنا عن أصحاب رسول الله كيف أنهم يعني ابتلاهم الله عز وجل في المرض والوهم والحزن، ومع ذلك كانوا في قمة سعادتهم، العبرة في السعادة إذا كنت قريباً من الله عز وجل فأنت في قمة سعادتك، إذا كنت قريباً من الله عز وجل فأنت في قمة نشوتك، لذلك:

((إِنَّ أَضْـَاقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

أخي الأمور بيد فلان، بضغطٍ على زر يدمر قسماً من العالم، هكذا الله عز وجل قال ؟

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْبَتْهَا وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ﴾

[ سورة يونس: الآية 24 ]

هكذا يظن أهلها، قال ربنا: وظن أهلها، يظنون، يتوهمون، يحسبون، ينخدعون، أنهم قادرون عليها:

﴿قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ﴾

[ سورة يونس: الآية 24 ]

اقرأ القرآن:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[ سورة الفتح: الآية 10 ]

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[ سورة الزمر: الآية 62 ]

الله لم يخلق شيئاً وفلته عليك، الله رحيم، ما خلق حيواناً شرساً وفلته، ما خلق إنساناً قوياً مخيفاً وفلته، ما خلق شيئاً مادياً مدمراً موميائية وفلته:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[ سورة الزمر: الآية 62 ]

﴿لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 54 ]

يعني أن هذا الذي خلقه بأمره لا بأمر غيره، تقرأ القرآن فترتاح، علاقتك مع جهة واحدة لا يوجد غيره، عادلة، حكيمة، رحيمة، لطيفة، قديرة، قوية، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال - وهو حديث والله الذي لا إله إلا هو لو عقله الإنسان لاطمأن - قال:

(( لا يحزن قارئ القرآن ))

تقرأ القرآن وهو كلام الواحد الديان وتحزن؟ وتحس بانقباض؟ بسوداوية؟ بتشاؤم؟ ببيأس؟ لا، إذا يبئس الناس فأنت لا تبيأس، وإذا خاف الناس أنت لا تخاف، تعمل بما أمرك الله به، هناك منهج، قال تعالى:

﴿وَلَيْنِ مِتُّمُ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 158 ]

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

[ سورة القصص: الآية 61 ]

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

والله أيها الإخوة: لو قرأتم كتاب الله قراءة متأنية، قراءة واعية، قراءة تدبر، قراءة تفهم، وأيقنت أن هذا كتاب الله في مصداقيته، كلام خالق الكون، الكون كله بيد الله، هذا الخالق هذا كلامه، إذا قرأته بهذا الفهم عندئذ يلقي القرآن في قلبك طمأنينة لو وزعت على أهل بلد لكفتمهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[ سورة النحل: الآية 97 ]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

[ سورة مريم: الآية 96 ]

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 257 ]

﴿مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا نَمَّ لَا تُنظِرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾

[ سورة هود: الآية 55 ]

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[ سورة هود: الآية 56 ]

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

تقرأ مقالة، تقرأ نظرة تشاؤمية، رأياً، رأي كاتب، رأي عالم له هدف معين، أحياناً هناك أهداف خبيثة حول ترويج معلومات معينة، هناك انفجار سكاني، سوف تصبح هناك مجاعات في العالم، وقحط، الله عز وجل قبل سنتين بعدما كثرت الإشاعات أن هناك تصحراً، ونقصاً في الموارد، ونقصاً في المياه، والحرب العالمية الثالثة حرب مياه، الحرب الأولى حرب بترول، والثانية قمح، والثالثة حرب مياه، عندئذ لا يوجد ماء أبداً، قبل سنتين بعث الله أمطاراً كثيرة، كيس القمح في الجزيرة أنتج سبعين كيساً، يعني في تاريخ الزراعة الكيس هناك بعشرة أكياس، أو خمسة عشر، أو عشرين، قال لي أحدهم: إن مزارعاً واحداً قبض ثمن قمح بالسعر الرسمي ستين مليون ليرة، إذا

أعطى أنتج، الله عز وجل يعطينا، شواهد لا تصدق، كلامه، أنا الرزاق ذو القوة المتين، إذا استحققت الرزق الوفير، قال:

﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ﴾

[ سورة الجن ]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 96 ]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 66 ]

أنا أذكر مرة حيث كنت صغيراً، والدي أحضر كيس مئة كيلو كم سعره اليوم ؟ يمكن أن يكون سعره خمسة وعشرين ألفاً إلى ثلاثين ألف ليرة، كيس مؤونة، يبدو أن اللحم البشري لم يكن سعره غالياً، إذا رخص لحم البشر رخص لحم الغنم، أصبحت المرأة كما هي في الطريق تعرض أجمل ما فيها للأجانب، إذا رخص لحم المرأة غلا لحم الضأن، إذا قلَّ ماء الحياء في الوجوه قلَّ ماء السماء، يبدو أنه إذا كثر ماء الحياء كثر ماء السماء، في علاقات أنت اسمع أي تفسير، لكن لا تنس أن هناك تفسيراً إلهياً، مثلاً في البلد المجاور هناك حرب طالت، أصبح فيها انهيار اقتصادي، يمكن أن تفهم الأحداث فهماً معيناً، من زاوية معينة، من زاوية عربية، من زاوية دولية، هذه الأحداث يجب أن تفهمها فهماً دينياً، قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 112 ]

لا تتبعد عن تفسير الله عز وجل، لا تتبعد عن القرآن الكريم تبقى مرتاحاً، هل المشكلة هكذا تفسيرها ؟ وهذا التصحر هذا تفسيره ؟ النبي عليه الصلاة والسلام أخبر عن آخر الزمان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيَلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا))

[ مسلم، أحمد، مالك ]

زوجة المسلم سافرة بأبهى زينة، وهو يصلي، ولما فهم المسلمون الإسلام صلاة وزكاة وحجاً وصياماً ضعفوا، الإسلام منهج كامل، يجب أن يؤخذ بكامله، هذا كله على كلمة:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

أردت من هذا الحديث الشريف أن الإنسان يقرأ القرآن يومياً، يقرأ قراءة تدبر، أي كل حرف بحسنة، هكذا قال النبي صلى الله عليه و سلم، اقرأ قراءة فهم، قراءة تدبر، وتمعن، تأنّ، افهم كلام خالق الكون، يقول تعالى:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[ سورة الزخرف: الآية 32 ]

الله عز وجل ضمن لك الرزق، وقال:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

[ سورة النجم: الآية 39 ]

أما السعي الآخر فتركه لك، الناس بالعكس ما هم مكفون به تركوه للأقدار، وما قد ضمن لهم يبيعون من أجله دينهم بعرض من الدنيا قليل، فاقراً القرآن، وقف عند آياته آية آية، وخذ كلام الله على محمل الجد، أحياناً قبل خمس سنوات ظهر في الجريدة خبر طوله أربع سنتمترات أنزل كل سيارة ثلاثمئة ألف ليرة، خبر صغير، انظر إلى الناس، إنهم يصدقون بعضهم، صدقت أنت، وفعلاً هذا التصريح صحيح، خالق الكون يقول لك هناك جنة ونار وحساب وموت وغض بصرك، وحرر دحك، واستقيم على أمره، وكن صادقاً، وتب إلى الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

[ سورة التحريم: الآية 8 ]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[ سورة التحريم: الآية 6 ]

هذه دعوات لك، أين تعيش أنت؟ أين أنت من كلام الله عز وجل؟ أنت المعني بهذا الكلام:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

يمكن أن تفهم كتاب الله، وتردّ مليون قصة، كلك طمأنينة، أنت معك تعليمات الصانع، ومعك توجيهات خالق الكون، ومعك حقائق قطعية الثبوت والدلالة،

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

تسمع قصة فيها ظلم متألّم، قال ربك:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 49 ]

الله أصدق من هذه القصة، هذه القصة فيها فصل وثمان وثالث، فعلاً فيها ظلم شديد، ولكن ظلم ظاهري، ولكن لو تعلم الفصل الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع لا إله إلا الله، يوجد عدالة مطلقة، بفصل أو اثنين أو ثلاثة هناك ظلم، قد يكون في تسعة فصول ظلم شديد اقرأ الفصل العاشر يكون هناك عدل، وربنا قال:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 49 ]

الظالم صوت الله ينتقم به، ثم ينتقم منه:

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[ سورة الأنعام: الآية 129 ]

﴿وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلاً﴾

[ سورة النساء: الآية 77 ]

لا ظلم اليوم، أي يوم القيامة:

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

[ سورة الروم: الآية 9 ]

مستحيل أن يظلم الله أي مخلوق، هذا نفي الشأن، هناك نفي الحدث، وهناك نفي الشأن، نفي الحدث: فلان لا يسرق، وقد يكون أكبر سارق، ولكن هذه لم يسرقها، تقول: فلان لم يسرق، هذا نفي الحدث، أما إذا قلت: ما كان له أن يسرق فقد نفي الحدث ونفيته وطموحه وإمكانته ورضاه، بعض علماء اللغة عدوا هذه الصيغة تنفي اثني عشر فعلاً نفي الشأن، وربنا قال:

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

[ سورة الروم: الآية 9 ]

مستحيل أن يظلمهم الله، فتسمع قصة فيها ظلم لا تصدقها، قل: الله أصدق منك، قل له: الله أصدق منك، أنت لا تسمع، لا ظلم:

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

[ سورة الروم: الآية 9 ]

## ((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

كلام خالق الكون المصدقية مئة في المئة، بل إن الذي يدعوك إلى أن تؤمن بكتاب الله عز وجل أن الأحداث تأتي مصدقة له، مثلاً قال الله عز وجل:

## ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 276 ]

ترى المرابي يزداد غنى، وكلما ازداد غنى تضععت ثقتك بالآية، فجأة يخسر كل ثروته، في ثلاث ساعات يصبح متسولاً:

## ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 276 ]

لأن الأموال موضوعة في البنوك، وربنا قال:

## ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 279 ]

حرب من الله، الله له أساليب كثيرة في إظهار آياته، إذن:

## ((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

لا تصدق قصة، أو رواية، أو فكرة، أو مقالة، أو كلاماً، أو كتاباً تقرأه إذا آمنت بالله إيماناً تحقيقياً، لو أن الناس جميعاً كفروا بالله فلا تكفر، وآمنت بأن هذا القرآن حق، وصدق إيماناً تحقيقياً الآن الذي أخبرك به القرآن، فتؤمن به إيماناً تصديقياً، لذلك المؤمن لديه مقياس دقيق، يسمع قصة، يعرضها على كتاب الله، ليس هذا صحيحاً، الله لا يظلم أحداً، يقرأ قصة ثانية، يرى أنها مخالفة لكتاب الله، مثلاً لدينا مشكلة خطيرة جداً، إنسان راق جداً، أخلاق، وأكابر، ولطيف، لين العريكة، لكن لا يوجد لديه دين، فأنت تكذب، كل هذه الكلام معناه أن الدين ليس له لزوم، سمعت هذا كثيراً، شخص لطيف، ذكي، أكابر، ذو ذوق، حاشيته رقيقة، لين العريكة، يفهم، لكن لا

يوجد لديه دين، فقلت: صاحب دين ! معناه أنه يمكن أن يكون الإنسان أخلاقه عالية، ولكن لا يوجد دين، فالدين ليس ضرورياً، بل هو تحصيل حاصل، هذا كلام غير صحيح، اسمعوا ماذا قال الله عز وجل:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)﴾

[ سورة الماعون ]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[ سورة القصص: الآية 50 ]

النبي الكريم يقول:

((الناس رجلان، بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله))

كيف لك أن تقنعني أن فلاناً أخلاقه عالية، ولين العريكة، ودمت الأخلاق، وذكي، ويفهم، و ذو ذوق، وأكابر، ولكن لا يوجد لديه دين، معنى ذلك أن الدين ليس له لزوم، هذا الكلام خلاف كلام الله عز وجل:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10)﴾

[ سورة العلق ]

انظروا إليه، انظر إلى أخلاقه، إلى غدره، خيانتته شحه، أنانيته، انظر إلى مواعيده، إلى علاقته مع أهله، وعلاقته مع نساء أصدقائه، كيف يغدر، ويخون هذا الذي ينهى عبداً إذا صلى:

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾

[ سورة العلق: الآية 11 ]

انظر إلى أخلاقه، إلى ورعه، إلى عفته، إلى كمال، إلى حرصه، إلى أدبه، طبعاً إذا أردت أن تمدح رجلاً ليس لديه دين فهذا المدح غير صحيح، هذا مديح مبالغ فيه، ولكن يوجد إنسان ذكي جداً، يحب أن يستقطب الناس إليه بذكائه، ويكون له أخلاق تجارية أساسها المصلحة، هذه واردة، أما المؤمن فأخلاقه عالية، طاعته لله عز وجل، وليس بقصد أن ينال شيئاً من الدنيا.

## ((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ))

هذا الحديث طويل، وإن شاء الله في درس قادم نتابع شرح الحديث.

الآن لدينا قصة صحابي جليل، أنا أعرف أنني قرأته عليكم سابقاً قبل سنوات تزيد على خمسٍ، ولكننا بحاجة ماسة إلى قراءة قصته عليكم، هذه القصة قصة أبي سفيان بن الحارث.

قل أن اتصلت الأسباب بين شخصين، وتوثقت العرى بين اثنين كما اتصلت وتوثقت بين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وأبي سفيان بن الحارث، فالعلاقة بين النبي الكريم قبل البعثة وأبي سفيان بن الحارث علاقة من النوع الخيالي، هذا أبو سفيان في سن رسول الله وترباً من أتراه، فقد وُلدا في زمن متقارب و نشأاً في أسرة واحدة، هذا أول عامل، العامل الثاني و كان ابن عم النبي للصيق، ابن عمه اللزم، فأبوه الحارث، وعبد الله والد النبي الكريم أخوان ينحدران من عبد المطلب، ثم إنه كان أخاً للنبي من الرضاعة، فقد غذتهما السيدة حليلة السعدية من ثدييها معاً، أخ من الرضاعة وابن عمه، وكان بعد ذلك صديقاً حميماً للنبي صلوات الله عليه قبل النبوة، وأغرب من هذا كله كان أشد الناس شبهاً برسول الله، فهل رأيت أو سمعت قرابة أقرب، أو أواصر أمتن من هذا الذي كان بين النبي عليه الصلاة والسلام وأبي سفيان ؟ لذا كان يظن أن أبا سفيان أن يكون أسبق الناس إلى تلبية دعوة النبي عليه الصلاة والسلام، وأسرعهم مبادرة إلى اتباعه، لكن الأمر جاء على خلاف كل ما هو متوقع، ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يظهر دعوته، وينذر عشيرته حتى شبت نار الضغينة في أبي سفيان، فاستحالت الصداقة إلى عداوة، والرحم إلى قطيعة، والأخوة إلى فض وإعراض، شيء عجيب، كان أبو سفيان يوم صدع الرسول بأمر ربه فارساً من أنبه فرسان قريش، وشاعراً من أعلى شعرائها، ماذا فعل بعد أن صدع النبي بالدعوة ؟ وضع سنانه ولسانه لمحاربة الرسول، بالرمح وباللسان، ومعاداة دعوته، وجند طاقاته كلها للنكابة بالإسلام والمسلمين، فما خاضت قريش حرباً ضد النبي إلا كان مسعرها، ولا أوقع بالمسلمين أذى إلا كان له فيه نصيب كبير، شيء غريب، ولقد أيقظ أبو سفيان شيطان شعره، وأطلق لسانه في هجاء النبي، فقال فيه كلاماً مقذعاً فاحشاً موجعاً، وطالت عداوة أبي سفيان للنبي عليه الصلاة والسلام حتى قاربت عشرين عاماً، عشرين سنة في هجائه بأقذع العبارات وأفحشها، وفي قتاله بكل أسلحته، فارس وشاعر.

لم يترك خلالها ضرباً من ضروب الكيد بالنبي إلا فعله، ولا صنفاً من صنوف الذل للمسلمين إلا اجترحه وباء بإثمه، وقبيل فتح مكة بقليل كتب لأبي سفيان أن يسلم، وكان لإسلامه قصة مثيرة وعتها كتب السير، وتناقلتها أسفار التاريخ، فلنترك للرجل نفسه . لأبي سفيان . الحديث عن قصته فشعوره بها أعمق شعور، ووصفه لها أدق وصف، الآن الكلام لأبي سفيان، اسمعوا ماذا قال أبو سفيان:

قال: لما استقام أمر الإسلام، وقرّ قراره، وشاعت أخبار توجه النبي إلى مكة ليفتحها، ضاقت عليّ الأرض بما رحبت، وقلت: إلى أين أذهب؟ عداوة عشرين سنة ومن أصحاب؟ ومع النبي الكريم يقول: من أكون؟ إذا أردت إنفاذ أمر تدبر عاقبته قبل أن تعادي؟ قبل أن تقطع، قبل أن تهجو، قبل أن تنتقد، قال: من أصحاب؟ إلى أين أذهب؟ ومع من أكون؟ ثم جئت زوجتي وأولادي، وقلت تهيؤوا للخروج من مكة، فقد أوشك وصول محمد، وإني لمقتول لا محالة، عشرين سنة في قتال وهجاء، إن أدركني المسلمون، فقالوا لي: أما أن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد دانت لعمد بالطاعة، واعتنقت دينه، وأنت ما تزال مصرّاً على عداوته، وكنت أولى الناس بتأييده ونصره، أحياناً تكون الزوجة أوعى من الزوج، الإنسان لا يحتقر الإنسان، فالإنسان يتقبل النصيحة من طفل صغير أحياناً، ما أن الأوان، إلى متى؟ العرب والعجم لانت له بالطاعة، وأنت مصر على عداوته، وما زالوا يعطفونني على دين محمد، ويرغبونني فيه حتى شرح الله صدري للإسلام، لذلك عندي رغبة للإسلام، بعد حين قمت من توي، وقلت لغلام مذكور: هيا لي نوقاً وفرساً، وأخذت معي جعفر، وجعلنا نسير نحو الأبواء بين مكة والمدينة، فقد بلغني أن محمداً قد نزل فيه، الآن الطريق إلى مكة انفتح، ولما اقتربنا منها تنكرت حتى لا يعرفني أحد فأقتل، عدو لدود قبل أن أصل إلى النبي، وأعلن إسلامي بين يديه.

أنا أردت من القصة أن يكون هناك مفاتيح لهذه القصص يتعرف إلى الله، يحضر مجالس علم، يستفيد، يأتي ظرفاً صعباً جداً يظن أنه متوهم بأنه في أي لحظة يرجع، لكل وقت له تدبير، كل وقت له موقف، قال: ومضيت أمشي على قدمي نحو ميلاً، وطلّعت المسلمين تمضي ميممة شطر مكة جماعة إثر جماعة، فكنت أتحي من طريقهم خوفاً من أن يعرفني أحد من أصحاب محمد، وفيما أنا كذلك إذ طلع الرسول في موكبه، وظن أنه إذا أعلن إسلامه سوف يفرح به النبي فرحاً كثيراً النبي فتصدت له، ووقفت لقاءه، وحسرت عن وجهي، ما إن ملأ عينيه مني، وعرفني حتى أعرض عني، إذا أنا أتته من الناحية الأخرى، فتحولت إلى ناحية وجهه، فأعرض عني، وحول وجهه نحو الجهة الثانية، حتى فعلت هذا مراراً، ما أجمل أن يقول النبي: إني أحبك، والله يا معاذ، إني أحبك، وأحياناً يرى إنسان رسول الله في المنام يقبله، أو يناديه باسمه، أو يطمئن عليه، والله الذي لا إله إلا هو ينفذ في قلب الإنسان سعادة لو يعلم أهل الأرض ما هي لذابت نفوسهم، نبي الله يقول لك: إني أحبك، أما هنا فأعرض عني، قال: كنت لا أشك وأنا مقبل على النبي أن رسول الله ﷺ سوف يفرح بإيماني، كنت أحسب نفسي أقضي غرضاً بعد عشرين سنة عداوة، وأن أصحابه سيفرحون لفرح النبي، لكن المسلمين حينما رأوا إعراض رسول الله ﷺ عني تجهموا لي، وأعرضوا عني جميعاً، لقد لقيني أبو بكر فأعرض عني أشد الإعراض، نظرت إلى عمر بن الخطاب نظرة لكي استميل به قلبه فوجدته أشد إعراضاً، بل إنه أغرى بي أحد الأنصار، فقال لي: يا عدو الأنصار، أنت الذي كنت تؤذي رسول الله، وتؤذي أصحابه، وقد بلغت في عداوة النبي مغارب الأرض ومشارقتها، وما زال هذا الأنصاري يرفع صوته والمسلمون يقتحمونني بعيونهم، ويسرون مما ألقى، عند ذلك أبصرت عمي العباس، قال في نفسه: إن الحل بيده فلجأت إليه، وقلت: يا عم قد كنت أرجو أن يفرح رسول الله

بإسلامي لقرابتي منه، ولشرفي في قومي، وقد كان منه ما تعلم، فكلمه فيّ لكي يرضى عني، فقال العباس: لا والله لا أكلمه كلمة أبداً بعد الذي رأيته من إعراضه عنك، إلا إذا سنحت الفرصة، فإنني أجل رسول الله، وأهابه، ما ترك أحداً، إلى من تكلني في إسلامي؟ فقال: يا ليت لي عندك غير ما سمعت، فتملكني الهم، وركبني الحزن، ولم ألبث إلا رأيت ابن عمي علي بن أبي طالب فكلمته في أمري، فقال لي مثل ما قال لي عمي العباس، عند ذلك رجعت إلى عمي العباس، وقلت: يا عم إذا كنت لا تستطيع أن تعطف علي قلب رسول الله فكف عني ذلك الرجل الذي يشتمني، ويغري الناس بشتمتي، فقال: صفه لي، فوصفته له، فقال: ذلك نعيمان بن الحارث النجاري، فأرسل إليه، وقال له يا نعيمان: إن أبا سفيان ابن عم النبي، وابن أخي، وإن يكن رسول الله غاضباً عنه اليوم فسيرضى عنه غداً، فكف عنه، ومازال به حتى رضي أن يكف عنه، وقال له: لا أعرض له بعد الساعة، ولما نزل رسول الله ﷺ بالجحفة جلست على باب منزله ومعني ابني جعفر، فلما رأني وهو خارج أراح عني بيده، ليست كل الفرص مسموحة دائماً، فلم أياس لاسترضائه، وجعلت كلما نزل في المنزل أجلس على بابي، وأقيم ابني جعفرًا قائماً، فكان إذا أبصرني أعرض عني، وبقيت على ذلك زماناً، فلما اشتد علي الأمر، وضاق قلت لزوجتي: والله ليرضين عني رسول الله، أو لآخذن بيدي ابني، ولنذهبن هائمين على وجهينا في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً، فلما بلغ ذلك رسول الله رقب لي، ولما خرج من خطبته نظر إلي نظرةً أليين من ذي قبل، ولكن لم يبتسم، الابتسامة بلا ثمن؟ لها ثمن، إن كان لك مودة مع المؤمنين، يحبونك، فهذه نعمة كبيرة جداً، ولكنه لم يبتسم في وجهه، ثم دخل النبي مكة، فدخلت في ركابه، وخرج إلى المسجد، وخرجت أسعى بين يديه لا أفارقه على حال، تريد صبراً، تريد إصراراً، تريد رغبة، ولما كان يوم حنين جمعت العرب لحرب النبي ما لم تجمع قط، وأعدت للقائه ما لم تعد من قبل، وعزمت على أن تجعلها القاضية على الإسلام والمسلمين، وخرج النبي للقائهم في جموع من أصحابه، وخرجت معه، ولما رأيت جموع المشركين قلت: والله جاء الوقت لأكفرن اليوم على كل ما سبق من عداوة رسول الله ﷺ، وليرني النبي من أثري ما يرضي الله، وما يرضيه، ولما التقى الجمعان اشتدت وطأة المشركين، فدب فيهم الوهن والإخفاق، وجعل الناس يتفرقون عن النبي، وكاد أن تحل بنا الهزيمة المنكرة، فإذا بالنبي فداه أبي وأمي يثبت في قلب المعركة على بغلته الشهباء، كأنه الطور في الجبل، ويخرج سيفه، ويجالد عن نفسه، وعمن حوله، كأنه الليث عادياً، عند ذلك وثبْتُ عن فرسي، وكسرت غمد سيفي، والله يعلم أنني أريد الموت دون رسول الله، وأخذ عمي العباس بلجام بغلة النبي، ووقف بجانبه، وأخذت أنا مكاني من الجانب الآخر، وفي يميني سيفي أذود به عن رسول الله، أما شمالي فكانت ممسكة بركابي، الآن التضحية كبيرة، نوى الموت، فلما نظر النبي إلى حسن بلائه عرفه أنه أبو سفيان، قال لعمي: من هذا؟ اللهم صل على النبي؟ إرضاه ليس سهلاً، حتى يرضى الله عنك لقضية ليست سهلة، فقال: هذا أخوك وابن عمك سفيان بن الحارث فارض عنه يا رسول الله، فقال: قد فعلت، وغفر الله له كل عداوة، فاستطار فؤادي فرحاً برضاء رسول الله ﷺ، وقبلت رجله في الركاب، ثم التقت إلي، وقال: أخي لعمري تقدم، قال له: أخي، أول كلمة يكلمه بها اللهم

صل عليه، ألهبت كلمات النبي صلوات الله عليه من حماستي فحملت على المشركين حملة أزلتهم عن مواضعهم، وحمل معي المسلمون حتى طردناهم، وفرقناهم في كل وجه.

ظل أبو سفيان بن الحارث بعد حنين ينعم، إذا كان لك صلة بالله فالله يحبك، وهو راضٍ عنك، يحبك المؤمنون، علاقتك طيبة معهم، لك مكانة عندهم، هذا نعيم والله، ينعم بجميل رضى النبي عنه، ويسعد بصحبته، ولكنه لم يرفع نظره إليه أبداً، ولم يثبت بصره في وجهه أبداً حياءً منه وخجلاً من ماضيه معه، لم ينظر إليه أبداً، دائماً يغض النظر، وقد جعل أبو سفيان يعض أصابعه ندماً على الأيام السود التي قضاها في الجاهلية محجوباً عن نور الله، محروماً من كتابه، حتى أكب على القرآن ليله ونهاره يتلو آياته، ويتفقه في أحكامه، ويتأمل من عظاته، وأعرض عن الدنيا، وأقبل على الله بكل جارحة من جوارحه، حتى إن النبي صلوات الله عليه وسلامه رآه ذات مرة يتلو فقال لعائشة رضي الله عنها:

(( أتدرين من هذا يا عائشة ؟ قالت: لا، قال: إنه ابن عمي أبو سفيان، انظري، إنه أول من يدخل المدينة، وآخر من يخرج منها، ولا يفارق بصره فراق نعله))

أول داخل وآخر خارج، ونظره في فراق نعله، هذا ما نحب.

ولما لحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى حزن أبو سفيان أشد الحزن، حزن الأم على وحيدها، وبكاه بكاء الحبيب على حبيبه، كان أكبر عدو، هجاه بأشد الكلمات، هذا الإسلام لا يترك عداوة، الإيمان طاهر نقي، ورثاه بقصيدة من غرر، كان شاعراً تفيض مشاعره لوعة، وتذوب حسرة وأنيباً، وفي خلافة الفاروق أحس أبو سفيان ببلوغ أجله فحفر لنفسه قبراً بيده، ولم يمض على ذلك ثلاثة أيام حتى توفي، كأنه مع الموت على ميعاد، والتفت إلى زوجته وأهله وأولاده فرآهم يبكون فقال: لا تبكوا، لا تبكوا علي أبداً، والله ما تعلقت بخطيئة بعد أن أسلمت.

إذا تاب الرجل توبة نصوحاً، وما كذب ولا كذبة، ما غش ولا مرة، ما نظر ولا إلى أية امرأة، ما ترك فرض صلاة، ما ترك مجلس علم، ما ترك فقيراً إلا ساعده، كيف يخاف من الموت، الموت لقاء مع الله، الموت عرسه، لا تبكوا علي، قال: والله ما تعلقت بخطيئة منذ أسلمت، ثم فاضت روحه الطاهرة، فصلى عليه الفاروق رضوان الله عليه، وحن لفقره هو وأصحابه الكرام، وعدّ موته خطباً جليلاً حل بالإسلام.

هناك عشرات الاستنباطات تستنبط من هذه القصة، أنت في أول حياتك وشبابك أقبل على الله عز وجل، أقبل على مجالس العلم، أقبل على تلاوة القرآن، أقبل على فهمه، فإذا نعمت برضاء الله رضاء رسول الله ورضاء أهل الحق والمؤمنين فأنت في نعيم كبير، أما إذا كنت في سخط الله فمهما علوت ينزلك الله في ساعة، يجعله متسولاً في لحظة، قد يكون كثير المال، قد يكون بمكانة عالية، قد يكون حجمه كبيراً، يضعه تحت رحمة الله، لم يعد معه ولا قرش، فالعبرة أن تكون في رضوان الله، لا أن تكون في سخطه، العبرة أن يحبك الله ورسوله، العبرة أن تكون مستقيماً على أمر الله، الدين ليس صوماً وصلاة فقط، إقامة، ورع، أمانة، صدق، فالإنسان لا يضيع مجال العلم، لا يضيع سيرة القرآن الكريم، لا يجعله وراء ظهره، يقرأ، يتمعن، يسعد في الدنيا والآخرة. هذه القصة مع أنني ذكرتها لكم، لكنها مفيدة جداً في أن نقندي في هؤلاء الأصحاب، عدو لرسول الله شاعر وصفه بأفطع الصفات، وحاربه، ومع ذلك تاب الله عليه.

وملخص الكلام كله: إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنؤوا فلاناً فقد اصطاح مع الله، تريد الحقيقة كل التهاني والله الذي لا إله إلا هو لا تصح إلا لمن اصطاح مع الله، تزوج تهانينا، ولكن يوجد بعد ذلك الموت، صار غنياً تهانينا، يوجد بعد ذلك فقر، فكلمة تهانينا هنيئاً لك، والله لا تصح إلا لمن عرف الله، ولمن استقم على أمره.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 018 - 127 ) : أما بعد فإن أصدق الحديث2

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-09-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، ونفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: بدأنا في الدرس الماضي شرح الحديث النبوي الشريف الذي روي جابر قال:

((حَطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ  
الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

هذه الفقرة الأولى من الحديث شرحت بشكل أو بآخر في الدرس الماضي، خالق الكون هذا كلامه، كلامه صدق، كلامه حق، أي شيء تستمع إليه، قصة، فكرة، مبدأ، مذهب، حادثة، رواية، مخالفة لكتاب الله فهي باطلة، قل هذا وأنت مطمئن، لأن أصدق الحديث كتاب الله، ولكن هذا الكلام لا يستطيع أن يقوله إلا من آمن بالله إيماناً حقيقياً، ثم آمن بالقرآن الكريم إيماناً حقيقياً، إذا آمنت بالله حقيقياً، وآمنت بكتابه حقيقياً، الآن تشعر بطمأنينة لا حدود لها لما في هذا الكتاب الكريم من حقائق، عندئذ تجعله مقياساً لك، إذا كان معك مقياس من أدق المقاييس، ميزان من أدق الموازين، وهناك أشياء كثيرة أمامك، على كل شيء لصاقة مكتوب عليها الوزن، قد يكون الوزن غير صحيح، أنت معك ميزان، القرآن ميزان حتى إن الله عز وجل حينما قال:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾

[ سورة الرحمن: الآية 7 ]

جعل كتابه ميزاناً، وجعل شرع النبي الكريم ميزاناً، وجعل العقل ميزاناً، وجعل فطرتك ميزاناً، العقل ميزان والفطرة ميزان، إذا جنح العقل أو شوهدت الفطرة يأتي القرآن الكريم والسنة النبوية ميزاناً على هذين الميزانين.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

((خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ  
الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

الفقرة الثانية هي قول النبي عليه السلام:

((وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ))

ما الفرق بين كتاب الله وهدي محمد ؟ إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، مثلاً: ترد في الدستور مادة تقول: التعليم حقّ لكل المواطنين، هذه مادة من الدستور، لكن القوانين والتشريعات هناك تعليم ابتدائي إلزامي، وهناك تعليم إعدادي، وتعليم ثانوي، من ثلاث سنوات، يوجد في السنة الأولى التاريخ والجغرافية والفيزياء.....الخ، ولكل مادة كتاب ومنهج، ونظام في النجاح والرسوب، يعني آلاف التفاصيل والجزئيات كلها تقسّر كلمتين أو ثلاثاً في الدستور حق التعليم، التعليم حقّ لكل مواطن، فكتاب الله يوجد حقائق كلية، أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، زكاة المال، زكاة النقيدين، زكاة الأنعام، زكاة الزراعة، زكاة الزراعة المروية، زكاة الذهب أو الفضة، زكاة الركاز، زكاة المعادن، زكاة الثروات الباطنية، هناك آلاف الأحاديث تبين نصاب الزكاة، وعلى من تجب الزكاة، مصارف الزكاة، أنواع الأموال التي تجب عليها الزكاة، إذا النبي عليه الصلاة والسلام بينّ وفصل، وهكذا، قال الله عز وجل لتبين يا محمد للناس ما نزل إليهم، النبي مبين، والله عز وجل مشرّع، إذاً كما أن هناك موادّ في الدستور موجزة، لكن القوانين التنظيمية والتشريعية والمراسيم التشريعية والتنظيمية توسع، وتفصل هذه القوانين الموجزة، فكذلك ولله المثل الأعلى، كتاب الله عز وجل موجز، أما التفاصيل ففي السنة النبوية المطهرة، أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأفضل الهدي هدي محمد، اللهم صل عليه، إذا أردت أن تستيقظ فما هدي محمد في الاستيقاظ؟ هناك دعاء تدعوه:

## ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 190]

هذا هديه في الاستيقاظ، أو أن تقول: أصبحنا وأصبح الملك لله عز وجل، إذا أردت أن تدخل دورة المياه فثمة دعاء: اللهم أعوذ الخبث والخبائث، الإنسان دخل برجله اليمنى، خرج برجله اليسرى، قال: اللهم الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى في قوته، وأذهب عني أذاه، فأنت دائماً أنت مع نعم الله، ذهبت إلى الصلاة، وصليت السنة، صليت الفجر في المسجد، عدت إلى البيت تلوت القرآن، قال تعالى:

## ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾

[سورة الإسراء: الآية 78]

هذا هدي النبي، كيف توقظ زوجتك، بالعنف أم باللطف؟ كما فعل النبي، كان إذا دخل بيته لف ثوبه، هذا هدي النبي، صوت هذا الثوب أيقظ النائم؟ ومع ذلك إذا دخل بيته لف ثوبه، وهذا هدي النبي، في الطعام إذا جلست إلى الطعام قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أكل وفق هدي الله، وهذه نعم الله، في البسمة معنيان: هذه النعم نعم الله عز وجل، ويجب أن أتناول هذا الطعام وفق هدي الله عز وجل، إذا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أردت أن تشرب ثلاث مرات، مصوا الماء مصاً، ولا تعبوه عباً، فإن الكباد من العب، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، انتهيت الحمد لله، شربت الماء، شيء ثمين جداً، سألت مرة أحد الخلفاء: يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذه الكأس إذا منعت عنك؟ قال: بنصف ملكي، قال فإذا منع إخراجه؟ قال بنصف ملكي الآخر، كأس الماء النظيف البارد على المائدة هذه نعمة كبرى، والنبي عليه الصلاة والسلام كانت تعظم النعم عنده مهما دقت، إذا ارتدى ثوباً جميلاً أو جديداً، تناول كأس ماء بارد، شعر بالري، تناول طعاماً يحبه، شعر بالشبع، الحمد لله الذي أطعمنا وأشبعنا، ربنا لك الحمد والشكر، زاد في الصحن لقمة واحدة، ما هدي النبي في هذه الحالة؟ أن تلحقها لعق الإناء من السنة، أما من نوع الأكابرية أترك لقمتين في الصحن، يأتي الموظف، ويضعها في الزبالة، هذه اللقمة تخاطبك يوم القيامة تقول لك: يا إنسان أما خلقت من أجلك، لماذا لم تأكلني؟ ما هدي النبي فيما تبقى في الصحن؟ هؤلاء الذين يرمون الطعام في القمامة أدبهم الله عز وجل تأديباً بليغاً، طعام يكفي مئة شخص يوضع أمام شخصين، ماذا يأكلان منه؟ النزر اليسير، والباقي في القمامة، أقسم لي أحدهم بالله إن ما يرمى بالقمامة من طعام يكفي لجياع السودان، ما يرمى في القمامة في الدول الغنية من طعام في القمامة يكفي لجياع بلدٍ بأكمله، ما هدي النبي في

هذا الموضوع ؟ الآن يوجد نقطة خطيرة جداً، لو أنك تريد أن تتبع هدي النبي، هل تعرف هدي النبي ؟ هذه أخطر نقطة في الدرس، أنت مؤمن آمنت بالله عز وجل وآمنت بكتابه وآمنت برسوله، عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

((خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

ما دام أفضل الهدى هدي محمد فهل تعرف أنت هدي محمد ؟ كيف تطبق هدي محمد إن لم تكن تعرف أنت هدي محمد ؟ لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((طلب الفقه حتمٌ واجبٌ على كل مسلم))

أنت ليس لك خيار، كيف أكلَ باعتدال، ماذا فعل بعد أن أكل، هل غسل قبل الطعام؟  
عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءَ بَعْدَهُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ))

[ الترمذي، أبو داود ]

بعد الطعام ماذا فعلت ؟ هناك وضوء ثان، كيف أكل ؟ سمى بالله، أكل ممّا يليه، أكل باعتدال، نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، وأول بدعة ابتدعتها المسلمون بعد وفاة رسول الله الشبع، هدي النبي في الطعام، هدي النبي في الشراب،

((مصوا الماء مصاً، ولا تعبوه عباً، فإن الكباد من العب))

ان إذا شرب الماء شربه ثلاثاً.

عَنْ أَيُّوبَ بْنِ حَبِيبٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْمُثَنَّى يَقُولُ سَمِعْتُ مَرْوَانَ يَسْأَلُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَسْمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ؟ فَقَالَ:

((نَعَمْ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ فَإِنِّي لَا أُرَوِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ قَالَ فَأَبْنُ الْقَدَحِ عَنْ فَيْكٍ ثُمَّ تَنَفَّسَ قَالَ إِنِّي أَرَى الْقَدَى فِيهِ قَالَ فَأَهْرَفُهُ))

[ الترمذي، أبو داود، أحمد، مالك، الدارمي ]

شرب الإنسان مصّاً، وعليه أن يبعد الإناء عن فيه، لأن في النفس أحد أنواع العدوى، يكون من اختلاط النفس في الماء،

((فَأَبْنُ الْقَدَحِ عَنْ فَيْكٍ))

ما هدي النبي في استخدام الإناء المكسور؟ نهى عن ذلك، لأن هذه التلثة في الإناء فيها جراثيم، ما هدي النبي في تناول الفاكهة؟ قال النبي:

((من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه))

أكل فاكهة من دون غسيل هي مخالفة للسنة، كيف كان يأكل البطيخ مثلاً؟ ما هدي النبي في أكله؟ له ترتيب، العنب له ترتيب، كيف إذا انتهى من الطعام؟ كيف إذا خرج من بيته؟ اللهم إن أعوذ بك من أن أضل، أو أذل أو أجهل، دعاء، إذا دخل بيته يقول: الحمد لله الذي أواني، وكم من لا مأوى له، يوجد ناس في الطريق، شعوب شرق آسيا نصف الشعب ينام على الرصيف، في الطرقات هو وزوجته وأولاده، وكيف ينجبون الأولاد؟ في الطريق فضيحة، وشعوب تنام في القوارب في الأنهار، أنت معك مفتاح بيت، تقول لي: أجرة، أقول لك لا يهم، عالٍ، منخفض لا يهم، صغير، كبير لا يهم، معك مأوى، الحمد لله الذي أواني، وكم ممن لا مأوى لهم، هذا الدعاء، طلب منك رجل قرصاً؟ تقول له: أعطني وصلاً، ما هدي النبي في هذا الوصل؟ قال تعالى:

## ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

[ سورة البقرة: الآية 282 ]

إذا كان الشيء خطيراً في حياتنا فيجب أن نعرف هدي النبي، إذا أردت أن تكون طبيباً ما العمل؟ لا بد من أن تذهب إلى الجامعة، وإذا أردت أن تكون فقيهاً لا بد من أن تذهب إلى الجامع، يجب تعلم هدي النبي في العقود، هدي النبي في العارية، استعرت كتاباً، ما هدي النبي في هذا الكتاب؟ يجب أن ترده إلى صاحبه مع الشكر الجزيل، تعال وخذ الكتاب، لقد انتهيت من قراءته، هذا خلاف هدي النبي، قال له: أخي هل تعيرنا السلم، قال له: والله كنتي يؤلمني، قال له: ما دخل كتفك بالسلم؟ لأنني مضطر أن آتي، وأخذه من عندك، تستعمله أنت، تنتهي من عملك، تتركه عندك، وحين أريده آتي وأخذه من عندك، قال: والله كنتي يؤلمني، قال عز وجل:

## ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾

[ سورة البقرة: الآية 178 ]

ما هدي النبي؟ الأجرة إلى صاحبها، العارية إلى صاحبها، القرض إلى صاحبه، هذا هدي النبي، في الزواج أكرم النساء، فو الله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن كل لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً، من أن أكون لئيماً غالباً، هذا هدي النبي في معاملة الزوجات، لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر، هذا هدي النبي، الصبر، ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتمل الأذى منها، هذا هدي النبي عليه الصلاة والسلام، وأنا لا أعتقد أن ثمة عملاً أشرف ولا أخطر من أن تعرف هدي النبي، لأن هدي النبي أفضل هدي، النبي الكريم سنته القولية تقريباً ستمئة ألف حديث، سنته العملية، سيرته، أنت مع أصدقائك في نزهة، ما هدي النبي؟ قال أحدهم: عليّ ذبح الشاة، وقال آخر: عليّ سلخها، وقال ثالث: عليّ طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام: وعليّ جمع الحطب، أنت رسول الله، سيد الخلق، أنا لا، قالوا: نكفيك ذلك، قال: أعرف ذلك، ولكنني أكره أن أتميز عليكم، إن الله يكره العبد الذي يميز عن إخوانه، هذا هدي النبي، احترامك للنبي، هدي النبي المؤثرة، ليس الأثرة، أفضل مكان على الشباك فيه هواء، يستحله فوراً، هدي النبي أن تؤثر إخوانك، غرفة يوجد فيها ثلاث أسرّة، يوجد سرير جنب النافذة، والجو صيف، هذا أجمل سرير، فيه هواء، ونشاط، وهناك سرير في مكان لا يوجد فيه هواء، خذ أسوأ سرير، هذا هدي النبي، ودع أحسن سرير لأخيك، صعدت مع أخيك إلى السيارة، أو المركبة العامة، هدي النبي أن يقعد هو على

الشباك، وأنت اجلس بعده، هذا هدي النبي، تعرف هدي النبي في تناول الطعام، في علاقتك مع زوجتك، مع أولادك، قبلت الصغير قبل الثاني، حذاء بحذاء، ثياب بثياب، أنت عندك ثوب، نأخذ لأخيك الصغير، يحبه الأب زيادة، أخذ له ثيابا جديدة في العيد، حرق قلب الثاني، النبي الكريم قال:

### ((اعدلوا بين أولادكم ولو في القبل))

هذا هدي النبي، الزوجة يوجد أيضاً هدي في معاملتها، كان صلى الله عليه و سلم إذا رجع من السفر يخبرها، الآن يوجد هاتف، أنت غائب عنها شهرين، أو شهراً أو أسبوعاً، وهي تغسل اليوم، وفي وضع لا يرضيك، إذا أخبرتها أنك قادم يوم الثلاثاء الساعة التاسعة، في الليل تهيئ حالها، تنظم أمورها، تكون بشكل مقبول عندك، السنة النبوية هكذا، يجب أن تخبر الأهل بقدمك حتى يستعدوا، من أجل أن يبقى الوفاق والمودة، هذا هدي النبي، هدي النبي في قص الأظافر، له هدي خاص، يوم الخميس مثلاً، هدي النبي في الاغتسال يوم الجمعة، اغتسل ولو مداً بدينار، لو كان مد الماء بدينار فاغتسل، حق الله على المسلم أن يغتسل يوم الجمعة، هدي النبي هكذا، كيف تنام على شقك الأيمن؟ يوجد بحث طويل عريض عنه، له علاقة بالهضم، له علاقة بالكبد، بالأعضاء، بالأحلام، هكذا هدي النبي صلى الله عليه و سلم، فالقرآن قواعد كلية، أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، قال تعالى:

### ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[سورة الصف: الآية 5]

أنواع الفسق، أحل الله البيع وحرم الربا، هذا هدي القرآن، وهدي النبي ممنوع أن تتلقى الركبان، هؤلاء الناس يحضرون معهم بضاعة، وهم لا يعرفون شيئاً، السوق ما زالت في أوجها، أذهب وأتلقى الركبان في الطريق، وأشتري البضاعة، هناك من يفعل هذا، يوجد صاحب بضاعة، يوجد معه تفاح نازل على الشام، ذهب وتلقاه في الطريق، اشتراه منه، السوق في الشام تحسن، هذا لما أتى إلى الشام ندم لماذا باع هذه البيعة؟ نهى النبي عن تلقي الركبان، نهى عن شراء الحَب حتى يشتد، نهى عن شراء العنب حتى يسود، نهى عن بيع الإنسان شيئاً ليس في رحله، ليس في مستودعه، نهى على أن يبيع شيئاً ليس عنده، نهى عن بيع المعدوم، حوالي مئتي حديث في البيوع، هذا هدي النبي، أقول لكم كلمة: والله ما من مشكلة في التجارة إلا سببها مخالفة للشرع، باع على المساطر، البضاعة ما وصلت، حدثت مشكلة في الباخرة، البضاعة ما وصلت، في البيع تنشأ مشاكل ومنازعات، شخص له جار نجار، وله غرفة نوم مناسبة، قال له: أريدها، قال له: خذها، أنت جاري، حمل وأخذ،

ما سأله السعر، وذلك الجار لم يقل له أيضاً، هذا أعطاه أول دفعة ألفين، الأسبوع الثاني ثلاثة آلاف، بعد ذلك خمسة آلاف، يدفع، ثم يدفع، يأخذها منه، يدفع، يقول له: هات، يعوض عليك، القصة قديمة، دفع ثمانية وعشرين ألفاً، يقول له: هات، وقتها قال له ثمنها ستون ألفاً، لماذا لم تقل له؟ ماذا قال النبي؟

### ((الجهالة تفضي إلى المنازعة))

قاعدة، هذا هدي النبي صلى الله عليه و سلم، مادام هناك جهالة في السعر، أو النوعية، أو التسليم فثمة مشكلة، وضح كل شيء، لا يوجد عندك أي مشكلة في التجارة، البضاعة تأتي بعد شهر، والبضاعة وضعها كذا، وزنها كذا، لونها كذا، مواصفاتها كذا، يتفقون على الشراء، في الدفع لا نزعجك، هذا كلام عام، كيف هي طريقة الدفع؟ أنت في بالك أن البيع نقدي، ذاك في باله على التيسير، فتنشأ منازعة، هدي النبي ألا يكون في البيع جهالة أبداً، هذا هدي النبي.

فموضوع درس اليوم: يجب أن تعرف هدي النبي صلى الله عليه و سلم حتى في الأشياء الشخصية، في أشياء يستحي أن تسأل عنها، هناك كتب فقه مختصرة مفيدة، تريد كتاب فقه فيه كيف يغتسل الإنسان، أحياناً يجد ماء، وهذا الماء ليس ماء حياة، هو ماء خفيف أبيض، يا ترى يوجب غسل أم لا، النبي له هدي في هذا الشيء، حتى في أشد العلاقات الزوجية خصوصية فيها هدي للنبي صلى الله عليه و سلم، لذلك إن أفضل الهدي هدي محمد، وأيضاً يمكن أن تصل إلى مستوى عالٍ جداً، حتى في العلاقات الدولية هناك هدي للنبي عليه الصلاة والسلام، هذا دين الله عز وجل، دين كامل. إذاً: عن جَابِرٍ قَالَ:

((خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ  
الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

الكلام القطعي الثبوت حق مئة بالمئة، وإن أفضل الهدي هدي محمد.

الآن ما معنى الهدي؟ ما معنى هداه وأهداه؟ أهده قدم له هدية، بالهمزة هدية، من دون همزة إرشاد، هو الإرشاد اللطيف في الهدى، والعلماء قالوا: هناك أربعة أنواع من الهدى: هدى عام لكل المخلوقات، حيث إن الله عز وجل أعطى الإنسان عقلاً، العقل يهديه إلى سواء السبيل، أعطى الإنسان شماً يهتدي بالشم إلى حيوان ميت في البيت، يوجد رائحة ليست طبيعية في البيت، بالشم تهتدي إلى أن الغاز مفتوح، و بالشم تهتدي إلى أن الطعام

فاسد، ما هذا الطعام ؟ رائحته كريهة، جعل لك الأنف للهدى، تهدي إلى الطعام الفاسد، إلى الروائح الكريهة، إلى حريق المكواة، احترق القميص، من الغرفة الثانية ركضت، من الذي هداك إلى هذا ؟ هذا الأنف، هذه هي الهداية العامة، الأذن، يوجد فتحة بالحائط، معنى ذلك أنه يوجد فأرة، بالسقف يوجد حركة، سائق يوجد صوت في المحرك، تهديك أنه يوجد صوت ليس طبيعياً، الذين يملكون السيارات تجد لديهم حساسية عجيبة جداً للأصوات، أيّ خلل في المحرك فيه صوت غير طبيعي، هداك إلى خلل في مركبتك، هداك إلى فلان على التلفون، هداك إلى المتكلم في التلفون، أعطاك أذناً، أعطاك ذاكرة سمعية، هذا الهدى، هداك بالأذن، هداك بالأنف، هداك باللسان، تسأل، هداك بالعين، هداك باللمس، الباذنجان مرّ، لأن لونها ليس غامقاً كثيراً، لأنها فاتحة، هل العنب حامض ؟ لأن لونه أخضر، العين تهديك إلى ألوان الفواكه والخضار والثمار، هذه الوردة ذبلة، يقول لك: هذا القماش سواده ليس جميلاً، أريد سواداً فحماً، هداك بالعين، لها حاجاتها، هداك بالأنف، هداك بالأذن، هداك بالعقل، ليس هناك كهرياء، يا ترى من عندك أم من عند الجيران، أم من الخط العام ؟ تسأل الجيران، يقولون لك: والله عندنا كهرياء، إذاً من عندك، حصرتها، عندي ماس، أعطاك عقلاً لكي تهدي، فالعقل والسمع والبصر والشم واللمس هذه كلها وسائل هدى، الهدى العام، قال تعالى:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

[ سورة طه ]

هذه هي الهداية العامة، كافر، مسلم، غير مسلم، منافق، فاجر، ملحد، الكل أعطاه فكراً، أعطاه عيناً، أعطاه لساناً، أعطاه أذناً، أعطاه شماً، أعطاه لمساً، يعمل كذا، لكن هذا الشيء لم يضبط معي، العين لا ترى شيئاً باليد أحياناً، أحياناً تعرف أن هذا ليس صوتاً أحياناً وإنما خيط صناعي تركيبى، من اللمس تعرف، كل صنعة لها تركيبية، هذا هو الهدى العام.

الهدى الأرقى من ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن، وبعث النبي العدنان، هذا الهدى الثاني.

الهدى الثالث: إذا نويت أن تعمل أعمالاً صالحة يهديك، يجمعك مع شخص، أخدم فلاناً نويت أن تتصدق بـرزقك، نويت أن تهدي زوجتك يلهمك الأسلوب الصحيح، نويت أن تدعو إلى الله، يقول لك: الطريقة المجدية المؤثرة كذا، هذا الهدى رقم ثلاثة.

هناك هدى عام:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)﴾

[ سورة طه ]

هذا الهدى العام، الدرجة الثانية : أن الله عز وجل هدانا بهذا الكتاب، وبهذا النبي، وبهذه السنة.

الدرجة الثالثة: إذا نويت أن تفعل خيراً يهديك إلى فعل الخير، نويت أن تهدي الناس يهديك إلى الطريقة المناسبة، نويت أن تصلح بين زوجين يهديك إلى الكلمات المناسبة المؤثرة، أنت الآن أصبحت عبداً وطالبا من الله الهدى، يا رب ألهمني الصواب في هذا الدرس، ألهمني الصواب في هذا اللقاء، ألهمني إلى أن أتكلم كلمة مؤثرة، ألهمني أن أفعل كذا وكذا، هذا هو الهدى الثالث.

الهدى الرابع: الله يرزقنا جميعاً إلى الجنة،

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (6)﴾

(محمد)

هداك بالحواس والعقل، وهداك بالدين والشرع، وهداك بالإلهام إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، ثم هداك إلى الجنة، يوجد أربع أنواع إلى الهدى.

((وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيِي مُحَمَّدٍ))

هدى آخر: التبيين لما في الكتاب، لذلك أنا أتمنى عليكم أن تقرؤوا عن شمائل النبي صلى الله عليه و سلم في كتاب الجامع الصغير بأواخره عند الحرف كاف، كان إذا أكل لم يتكئ، أما أنا فلا أكل متكئاً، الأكل متكئاً فيه كبر، كان إذا أكل أكل ممّا يليه، لكن سمح النبي أن تنتقي الفاكهة، فهناك من يحب الفاكهة الحامضة، أخذ الحامضة القاسية، إجابة خضراء، أخذ الخضراء، وغيره يريد إجابة مستوية، كل واحد له ترتيب في الفاكهة، مسموح أن تختار، لكن في الطعام لا يجوز أن تنتقي، مشى لم يلتفت، كان إذا قال أسمع، صوته واضح جهوري، كان يعد المستمع كلماته عدأً، هادئ من دون سرعة، فأنت إذا قرأت السنة أنا أقول لك، وأنا واثق من كلامي:

يجب أن تقرأ سنة رسول الله، سيرته، و سير أصحابه، و شمائله لأنها فرض عليك، لأن هذه أفضل هدي، قال له: أسلم، قال له: لا أعرف ماذا أقول، قال له، أخي أنت تريد الهدى المحمدي، أين هو، لا تعرفه، في بيعك، في شرائك، تتبع بسعيرين، تقيم للزمن ثمنًا، صار البيع مخالفًا للسنة، تعاون أحدهم في بيت آجار بسعر منزل، تأخذ منه أجره، تريد مبلغًا ثابتًا، قد يحصل شيء على البيت، قد يوجد تنظيم، تريد أن تأخذ أجره، إذا أنت مالك، والمالك معرض لمشكلات المالك، يريد أجره مع ضمان، هذا لا يصح، لا ضمان مع إيجار، إما ضمان أو إيجار، إما قرض فحكك محفوظ، أو أنت مالك، تريد هدي النبي عليه الصلاة و السلام.

فأنا ما أردت أن أفصل تفاصيل كثيرة جداً، لأن الهدى النبوي لا بد لتفاصيله من سنوات، لكن يجب إن لم تعرف أن تسأل في كل قضية.

أحياناً تضيف على الفاتورة مبلغاً ترضي به الصانع، هذا خلاف السنة، إذا أردت أن تكرم الصانع فأعطه من ربحك، هذا هدي النبي عليه الصلاة و السلام.

شخص لم يقل لك: إنه تاجر، هو أراد منك خدمة، هو شرط عليك خدمة، وليست تجارة، هذا هدي النبي عليه الصلاة و السلام، لا يوجد مجال للتفصيل، لكن نحن يجب أن نعرف هدي النبي، لذلك حضور مجلس العلم جزء من معرفة هدي النبي عليه الصلاة و السلام، فحضور مجلس العلم فرض على كل مسلم، ليعرف أمر دينه وأمر كتابه وأمر السنة النبوية، وهكذا.

إن شاء الله في الدرس القادم نشرح الفقرة الثالثة:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ:

((حَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ... وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا  
وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قَالَ وَكَانَ يَقُولُ:

((أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

إن شاء في دروس قادمة نشرح بقية فقرات هذا الحديث.

الآن من السيرة النبوية المطهرة: كمال عقل النبي عليه الصلاة و السلام.

الحقيقة كما قال عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث:

((تبارك الذي قسم العقل بين عباده أشتاتاً، إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ,  
ويختلفان في العقل كذرة جنب أحد، ولا قسم الله لعباده نصيباً أوفر من العقل واليقين))

فلا أعتقد أنه يوجد عطاء أثنى في الحياة من أن تكون ذا عقل راجح، لذلك النبي الكريم يقول:

((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))

يوجد تناسب، أنت بالنهاية عقل يدرك، وقلب يحب، وهناك علاقة بين العقل والقلب، كلما نما عقلك سما حبك، وكلما انخفض العقل أصبح المحبوب منخفضاً، أي شيء فان فهو شيء قدر، شيء منحرف. أول دليل من أدلة رجحان عقل النبي عليه الصلاة والسلام أنه عندما أسلم سيدنا خالد دخل على النبي عليه الصلاة والسلام فسلم عليه بالنبوة، قال له: السلام عليك يا رسول الله، فرد عليه السلام بوجه طلق عليه الصلاة و السلام، فقال سيدنا خالد: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال له النبي الكريم: تعال، فأقبل، فقال عليه الصلاة و السلام:

((يا خالد، الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً، رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير))

إذاً هذا كلام النبي صلى الله عليه و سلم، كلام قطعي الدلالة، العقل الراجح يهدي إلى الخير، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير، وها قد أسلمك إلى الخير.

لذلك الإنسان يحركه عقله أو شهوته، عقله يوصله إلى النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وشهوته توصله إلى الدمار والهلاك وشقاء الدنيا والآخرة.

ألا ربّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

أشخاص كثيرون ذهب أحدهم إلى بلد أجنبي، وتورط بانحراف أخلاقي، استيقظ ومكتوب على مرآة في غرفة النوم: أهلاً بك في نادي الإيدز، هذه المرأة مصابة بالإيدز، يكاد ينتحر من ألمه، ألا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

أنت في حركتك إما بتوجيه من عقلك، وإما بدفع من شهوتك، والشهوة تغري، وتردي، وتشقي:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)﴾

[ سورة النازعات ]

روى الطبراني عن قرّة بن هبيرة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، إنه كان لنا أرباب وريبات، نعبدهن من دون الله عز وجل، فدعوناهن فلم يجبن، وسألناهن فلم يعطين، فجنّنا فهدانا الله بك، فنحن نعبد الله، فقال عليه الصلاة والسلام:

((قد أفلح من رزق لباً))

هذا هو الفلاح، وهذا هو النجاح، وهذا هو الفوز، وهذا هو التقوق، وهذا الإنسان هنيئاً له، من رزق لباً، أي عقلاً راجحاً يهديه إلى سواء السبيل، هذه اللقطة الثانية من رجحان عقل النبي، ودعوته إلى العقل الراجح.

الشيء الآية الثالثة:

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ (2)﴾

[ سورة القلم ]

أنت من أعدل العقلاء، فإذا كان الشخص مطيعاً لله عز وجل، والله يحبه، فهو من أعدل العقلاء:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[سورة الأحزاب: الآية 71]

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَفَعِمَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَاكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا

كَارِهُونَ﴾

[سورة هود: الآية 28]

النبى من رجحان عقله يقظته ﷺ، ومن رجحان عقله حسن مداراته للناس، ومن رجحان عقله حسن اختياره لمن معه، اختار رسولاً العلاء بن الحضرمي، بعثه النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى، هذا ملك المناذرة، وكان تحت جناح الفرس، النبي الكريم بعث بهذا الرسول، لكن اختيار الرسول مهم جداً، رجحان عقلك بمدارة الناس، رجحان عقلك باليقظة والاحتياط، رجحان عقلك بالمنطق، رجحان عقلك باختيار معاونيك، هذا عقل راجح جداً، فالنبي أرسل هذا الرسول إلى المنذر بن ساوى، ومعه كتاب يدعو إلى الإسلام، فلما قدم عليه قال له: يا منذر، إنك عظيم العقل، فلا تصغرنا في الآخرة، أحياناً يكون للإنسان مكانة كبيرة، له شأن، لكن كونه في معصية الله لا بد من أن يعالجه الله عز وجل، فلما يعالجه ينكمش حجمه، وصغر، يكسب مالا حراماً، الناس ملء سمعهم وبصرهم، لكن المال حرام، يأتي وقد يدمر ماله، يشفق الناس عليه صغر حاله، فكلما عصى الإنسان الله عز وجل فلا بد له من تأديب شديد، عندئذ يصغر، لذلك قال له: إنك عظيم قومك، هذا العلاء الحضرمي، فلا تصغرن في الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكريم للعرب، ولا علم عن أهل الكتاب، إنهم ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، كلام دقيق، يأكلون ما يتكرم عن أكله، ينكحون ما يستحيا من نكاحه، يعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم العقل ولا الرأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ألا تصدقه؟ ومن لا يخون لا تأمنه، ومن لا يخلف ألا تثق به، النبي الكريم أرسل هذا الرسول، وكان في أعلى درجات الذكاء والحصافة، وقد دخل على ملك المناذرة المنذر بن ساوى، وخاطبه بكلام موجز، أنت مع هؤلاء المجوس دينهم أن يعبدون النار، وينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم على أكله، فكيف تكون معهم، هل هذا النبي الكريم الذي ما كذب قط، أيكذب؟ الذي ما خان من قبل ألا يؤتمن، قال: كان هذا هكذا، فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يبلغه، هذه النقطة ما أدقها، لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به النبي نهى عنه، مهما كان عقلك راجحاً لا تستطيع أن تقول: ليت ما أمر النبي بذلك، أو هذا الذي نهى عنه ليته لم ينه عنه، وما نهى عنه أمر به، ولا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به النبي نهى عنه، وما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص في عقابه،

إذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر، كل تصرفاته، كل أقواله، كل أوامره، كل منهيته جاءت على وفق أهل العقل وأهل النظر، فقال له المنذر: قد نظرت لهذا الذي بين يديّ دين المجوسية فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، انظر إلى التفكير، هذا الدين للدنيا فقط، أحيانا يعمل الإنسان مع جماعة للدنيا فقط، يقوى مركزه، يكبر دخله، يرتفع شأنه في الدنيا فقط، يموت ولا علاقة لهم به، أما دين الله عز وجل ففي الدنيا والآخرة، فقال له المنذر: قد نظرت لهذا الذي في يديّ فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للدنيا والآخرة، فما يمنعني لقبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، يوجد كلمة أخرى دقيقة جداً، قال: ولقد عجبت أمس ممن يقبله، يعني الدين، وعجبت اليوم ممن يرده، فعندما يكون الإنسان بعيداً عن الدين يعجب من المتدين، ترى إنساناً ضيق الأفق الإنسان محدوداً، فوت فرص السعادة في الدنيا والمباهج، أما إذا ذاق طعم القرب من الله يعجب لكل إنسان بعيد عن الدين، قال له: لقد عجبت بالأمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده.

هناك رجل آخر اسمه المهاجر بن أمية المخزومي، شقيق أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، بعثه النبي ﷺ إلى الحارث بن عبد كلال أحد ملوك جُمير، فلما قدم عليه المهاجر قال له: يا حارث، إنك كنت أول من عرض النبي عليه نفسه فخطأته، يعني لم تستجب له، وأنت أعظم الملوك قدراً، وإذا نظرت في غالب الملوك، فنظر في غالب الملوك الذي يغلبهم، للحديث القدسي: أنا ملك الملوك، ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والحكمة، وإن العباد عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، وادعوا لهم بالصلح، فإن صلاحهم بصلاحكم، كلمه بكلام في المنطقه الحساسة، قال: إذا نظرت بغلبة الملوك، فنظر في غالب الملوك، وإذا سرك يومك فخف غدك، قد يعيش الأعمى لحظته بصحة طيبة، جيب ممتلئ، أكل، شرب، لا ينقصني شيء، هذا اليوم ليس غداً، وبعد أسبوع، وبعد شهر، بعد سنة، قال له: إذا سرك يومك فخف غدك، وقد كان قبلك ملوكاً ذهب آثارها، وبقيت أخبارها، عاشوا طويلاً، وأمّلوا بعيداً، وتزودوا قليلاً، فمنهم من أدركه الموت، ومنهم من أكلته النقم، وأنا أدعوك إلى الرب الذي إن أردت الهدى لم يمنحك، وإن أردك لم يمنعه منك أحد، أدعوك إلى النبي الأمي الذي ليس شيء أحسن مما يأمر به، ولا أقبح مما ينهى عنه، فأبى شيء أمر به النبي صلى الله عليه و سلم كان منتهى الكمال، وأقبح شيء نهى عنه كان منتهى القبح، واعلم أن لك رباً يميم الحي، ويحيي الميمت، ويعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، فهذا النبي الكريم، وهؤلاء رسله، كانوا على أعلى قدر من الذكاء والفتنة.

وردتني رسالة يقول صاحبها، ويبدو أنه قلق جداً، يقول: قبل أسبوعين وأنا حيران، لا أعرف ليالي من نهاري، قد شعرت بسكرات الموت، وأنا نائم شعرت بها، وكأنني أموت تماماً، وحين كانت الشهقة الأخيرة استيقظت على صوت مؤذن الفجر، وفي أثناء شعوري بالموت مر أمامي شريط كامل لهذه الدنيا، وأنا أقول: لقد انتهى كل

شيء، ماذا أفعل الآن؟ انتهى كل شيء، واستيقظت وأنا أرتعد خائفاً، أقول لنفسي: الحمد لله، أنا حي، أنا حي، يقول هذا السائل: قل لي بالله عليك ماذا كان هذا اللحم، هل هو بمثابة إنذار لي، أنا حيران؟ الحقيقة اللحم إذا كان واضحاً جداً فهو من الله عز وجل، مثلاً يأكل كبة، وينام، فيرى منامات أشكالاً وألواناً، هذه أضغاث أحلام، أما هذا فنام واضح جداً، وربنا عز وجل يعلمك أحياناً على طريق عالم، عن طريق خطيب، عن طريق داعية، لكن إذا أحب الله عز وجل يعطيك إعلماً مباشراً، نداءً مباشراً، يمد لك خطاً مباشراً، تدق الرقم، فكأن الرؤية الواضحة طريقة لإعلام الله عز وجل لهذا المؤمن، فما دامت الرؤية واضحة فالموت نهاية كل حي، وكلمة انتهى كل شيء، والإنسان استعرض أمامه كل شيء.

حدثني رجل يعمل طياراً مدنياً، في أثناء التدريب طائرته سقطت، فقفز بنفسه أقسم بالله منذ أن ترك جسم الطائرة، وهو في طريقه إلى الأرض ما عرف في دقيقة واحدة أقسم بالله أنه رأى كل حياته في شريط، منذ أن ولد، كيف دخل المدرسة، كيف خرج منها، كيف تزوج، أعماله السيئة كلها أمامه، الصالحة كلها أمامه، هذا شيء معروف، حتى إننا درسناه في الجامعة في علم الصحة النفسية، إذا أوشك الإنسان على خطر يستعرض كل حياته.

فهذا الأخ الكريم يبدو أنه متأثر جداً من المنام، هذا المنام من الرحمن، لأنه يضعه أمام مسؤولياته، يا عبدي لا بد من ساعة لقاء، والحقيقة الشيب، وضعف البصر، وضعف السمع، وانحناء الظهر، وبعض الألم، وبعض الأعراض المرضية، وأمراض الشيخوخة، هذه كلها إشارات من الله عز وجل، كأن الله يقول لك: يا عبدي اقترب اللقاء، حضّر حالك، عبدي شاب شعرك، وانحنى ظهرك، وضعف بصرك، فاستحي مني، فأنا أستحي منك:

إلى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

كل إنسان له ساعة يلقي الله بها، فهذا المنام طيب، مادام الإنسان قد رأى المصير، فقد كان الصالحون يشتركون قبراً، وينامون فيه يوم الخميس، ويتلون في القبر قوله تعالى:

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون]

يقول لنفسه: قومي قد أرجعناك، هيا تفضلني أرجعناك، وهذا يقول: أنا حي، أنا حي، فرح بحياته، الحمد لله، بدأ القلب ينبض، هناك فسحة ومهلة عند الإنسان، وعندما يصدق الإنسان مع الله عز وجل فالوقت ليس له قيمة، يقول الناس باللغة الدارجة: حرق المراحل، إذا كان في صدق تقطع ما يُقطع في عشرين سنة في ساعة، تقطعه

في يوم تقطعه، هذا المنام من الرحمن، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، مالك ]

يوجد اتصال مباشر، السؤال التالي: ما هي الأحاديث التي تنص على حضور مجلس العلم ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ يَشْهَدَانِ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

هذا الحديث في معنى الطلب، بعد ذلك تسأل به خبيراً،

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)﴾

[الأنبياء: من الآية 7]

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾

[ سورة الكهف: الآية 28 ]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[ سورة التوبة: الآية 119 ]

آيات كثيرة جداً تحثك على أن تكون مع أهل الحق، ومع الصادقين، وفي بيوت الله:

((إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر))

آخر شيء سؤال: الرجاء بيان حكم اللقطة، حيث وجدتُ قطعة ذهب كزينة للنساء قرب أبنية، فماذا أفعل؟

يجب أن تضع إعلاناً في الأبنية التي إلى جانب هذه اللقطة لمدة عام إذا كان شيئاً ثميناً، من دون أن تذكر ما شكل هذه القطعة، وما حجمها، وما وزنها، فإذا جاء من يقدم لك الوصف الدقيق فهي له، فاللقطة هكذا حكمها، يجب أن تبلغ أقرب البيوت، وأقرب المحل التجارية، وتنتظر، إذا كان هناك محل، مثلاً سمان، أو بائع لوح، فضع إعلاناً صغيراً على البلور: عثرنا على قطعة ذهبية، فمن كانت له فليقدم وصفاً لها، والعلاقة مع فلان، يمكن إذا كانت القطعة الذهبية ثمينة قد تكون لفتاة مثلاً، تألمت جداً من ضياع هذه القطعة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (019 - 127) : إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-09-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: لازلنا في الحديث الشريف الذي يحض فيه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام على التمسك بكتاب الله، والاهتداء بهدي النبي عليه الصلاة والسلام.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ:

((مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ إِنَّ أصدقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجَنَّتْاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ نَذِيرٌ جَنِيحٌ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ مَسَائِكُمْ ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))

[ مسلم، أبو داود، النسائي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

لعل الله سبحانه و تعالى في هذا الدرس يمكنني من شرح هذه الفقرات الأربع التي تبدو أخطر ما في الحديث.

يا أيها الإخوة الأكارم: أذكركم بحديث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام حينما خاطب سيدنا عبد الله بن عمر قال له:

((ابن عمر، دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا ))

نحن مع هذا الدين العظيم في مشكلة هو أن لهذا الدين ينابيع صافية نقية.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرِيَّاضَ بْنَ سَارِيَةَ قَالَ:

((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ ))

[ الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

منهج الله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب الله قطعي الثبوت، محكم الآيات، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام الصحيحة هما منبعا هذا الشرع الحنيف، و لكن ما الذي حدث؟ أضيف على الدين ما ليس منه، أضيف على عقائده، أضيف على عباداته، أضيف على معاملاته، إلى أن أصبحنا في وضع صار الدين بعيداً عن منبعه، بعيداً عن أصوله، فأعظم عمل نفعه اليوم أن نعود إلى الأصول، أعظم عمل نفعه اليوم أن نتمسك بكتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، أعظم عمل أن نرفض كل شيء جديد على هذا الدين، ماذا يقول عليه الصلاة والسلام؟ يقول: ((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ))، الحقيقة فهم النصوص يقتضي أن تفهم السياق، أي نحن الآن نستخدم هذه المصاييح المتألفة ربما كان استعمالها أهون بكثير من المصاييح القديمة التي تحتاج إلى وقود سائل وإلى إشعال، فهل نسمي هذه المصاييح مثلاً، وهذه المراوح من شر الأمور؟ أم أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ))

مادام هذا التعبير جاء بعد أصدق الحديث، وبعد أفضل الهدى فما المقصود بالمحدثات هنا؟ تغيرت أنماط حياتنا، تغير مساكننا، تغيرت حاجتنا، اخترع الإنسان آلات حديثة أراحت معظم الناس تقريباً، فإنا نرى أن النبي عليه الصلاة والسلام أن كل شيء جديد محدث، و أن كل محدث بدعة، و أن كل بدعة ضلالة؟ أم أن النبي عليه الصلاة والسلام أراد من هذا بحسب السياق شيئاً آخر هذا من مستلزمات فهم النصوص؟ أي لو أننا وضعنا في هذا المسجد ماء ساخناً لم يكن على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، لو أننا وضعنا في هذا المسجد وسائل مريحة للمصلين، ماء نظيفاً يأتي في صنابير، ماء بارداً نشربه في الصيف، لو وضعنا هذا الجهاز لتكبير

الصوت ونقله إلى قسم النساء أيعد هذا شيئاً جديداً ما كان على عهد النبي، وهو ينطبق عليه هذا الكلام المخيف؟

((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

سؤال كبير جداً، أنا أقول لكم: هذه الفقرة في الحديث من أخطر ما في الحديث ومن أخطر ما في الدين، وهذا نحن بحاجة ماسة إليه.

يا أيها الإخوة الأكارم: بادئ ذي بدء البدعة من ابتدع، وابتدع أي أحدث شيئاً جديداً، شيء بديع أي شيء جديد، ابتدع استحدث، ولكن هناك بدعة لغوية، وهناك بدعة شرعية، دعونا مبدئياً من البدعة الشرعية، ما معنى البدعة اللغوية؟ أي شيء لم يكن من قبل، آلاف الحاجات، آلاف الأدوات، آلاف الأجهزة، أنماط اللباس، أنماط الطعام، أنواع البضائع كلها لم تكن من قبل، في بيت كل منا أجهزة حديثة، يقول لك: عندي خلاط، يا ترى هذا بدعة؟ إذا كان عنده خلاط بالبيت، واستخدمه لحاجات الطعام هل هذا بدعة؟ طبعاً يوجد بديهة، يوجد فطرة، الشيء الجديد بدعة بالمعنى اللغوي، وفي حديث آخر عَنِ الْمُؤَذَّرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً.))

[ مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

أي من فعل شيئاً لم يفعل من قبل، معنى ذلك بدعة، شيء جديد، لذلك المعنى اللغوي للبدعة الشيء الجديد، و الشيء الجديد يقاس بالشرع، فإذا كان في مصلحة المسلمين، وفي تيسير أمورهم، وفي التخفيف عنهم، فهي بدعة حسنة، وسنة حسنة، وهي مقبولة، و يؤجر صاحبها عليها.

مثلاً لو أننا طبعنا كتاباً عن أحاديث رسول الله، والله هذه بدعة حسنة، لم يكن على عهد النبي كتب مطبوعة، كتاب مطبوع عن أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم، كتاب مطبوع عن تفسير القرآن الكريم، لو أنك استمعت إلى تسجيل لخطاب ديني هذا شيء لم يكن من قبل.

إذاً البدعة بمعناها اللغوي الشيء الجديد، وهذا الشيء الجديد يقاس بالشرع، فما وافق الشرع، وما دخل في مصالح المسلمين وفي قضاء حوائجهم وفي التخفيف عنهم فهي بدعة حسنة، إذاً لم يكن على عهد النبي أن يدخل العريس ليجلس أمام النساء الكاسيات العاريات هذا شيء جديد، هذه بدعة سيئة.

عَنْ الْمُؤَدِّبِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا ))

[ مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

الآن دخلنا في الموضوع، الشيء الجديد يقاس بالشرع، فإن وافق الشرع، وافق مصالح المسلمين، لبي حاجاتهم، خفف عنهم، فهذا شيء طيب، ولمن فعله الأجر و الثواب، و كل من قلده له مثل أجره إلى يوم القيامة، و من سن سنة سيئة أي من أجل أن يتذكر هذا الحفل البهيج استقدم مصور فيديو للعرس، فصور هؤلاء النساء الكاسيات العاريات، وهذا الشريط طبع منه نسخاً كثيرة، وجلس الزوج مع زوجته، قال: من هذه؟ قالت: هذه امرأة فلان، من هذه؟ هل هناك شيء أشد حرمة من هذا العمل؟ فمن مستلزمات الحفل التصوير، نساء المسلمين يفضحن في البيوت، أي إنسان صور هذا الفيلم، أو أخذ منه نسخة بإمكانه أن يرى كل النساء بأبهى زينة، و هذه بدعة، ولكن ما أسوأ هذه البدعة.

إذاً نحن مقياسنا الشرع، أي شيء جديد نقيسه بالشرع، فإن وافقه نقول لصاحبه: لك الأجر والثواب، ولمن فعله من بعدك الأجر والثواب، وكله في صحيفتك، و من سن سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، هذه البدعة اللغوية.

بقي صنف ثالث، هو البدعة الموقوفة، يوجد جهاز كهذا الشريط، يمكن أن تسجل عليه قرآناً كريماً، ودرساً في الفقه أو التفسير أو الحديث، ومديحاً لرسول الله صلى الله عليه و سلم، ويمكن أن تسجل عليه غناء حرمه الله ورسوله:

((من استمع إلى صوت قينة صب في أذنيه يوم القيامة الآتك، قيل و ما الآتك؟ قال: الرصاص المذاب))

والغناء ينبت النفاق، وصوت المرأة عورة، ولو سبحت الله عز وجل، ولو أذنت صوتها عورة، فكيف بها إذا غنت،

إذاً هناك بعض الأجهزة موقوفة على نوع استعمالها، فإذا استعملتها في الخير أضيفت إلى البدعة الحسنة، فإن لم تستعملها إلا في الشر ضمت مع البدعة السيئة، كل هذا الحديث وهذا الكلام وهذه الأنواع ليست داخلية في هذا الحديث، ما الذي دخل في هذا الحديث؟ بدعة حسنة، بدعة سيئة، شيء جديد، شيء لم يكن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم، الآن تشيع الجنازة بالسيارة يبدو أنه مستحيل في ظروف المدينة الصعبة، وفي الازدحام الشديد، وفي هذا الوضع الذي لم يكن من قبل أن تشيع الجنائز مشياً على الأقدام، لكن لا يخالف نصاً دينياً، ولا يؤذي أحداً أن يشيع هذا الميت بالسيارة، لكن لما قال النبي عليه الصلاة و السلام:

((إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ))

النبي عليه الصلاة و السلام قصد البدعة الشرعية، أي أن يضاف على الشريعة ما ليس منها، أن يضاف شيء جديد في العقائد، أن يضاف شيء جديد في العبادات، لماذا؟ لسبب لأنك إذا أضفت إلى هذا الدين شيئاً لم يكن من قبل فكأن في الدين نقصاً، كأن هذا الدين ناقص، كأن الله عز وجل حينما قال:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[ سورة المائدة: الآية 3 ]

كأن هذه الآية غير صحيحة، الله عز وجل خالق الإنسان، خالق البشر، رب الأكوان، أنزل هذا القرآن على النبي العدنان، ويكون فيه نقص، وتأتي أنت أيها المسلم لتضيف عليه شيئاً، من قال لك ذلك؟ هل يستطيع إنسان كائناً من كان بعد النبي عليه الصلاة والسلام أن يضيف شيئاً؟

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

[ سورة المائدة: الآية 3 ]

هل هناك فرق بين الكمال والتمام؟ نعم فرق كبير، الكمال نوعي، والتمام عددي، تلك عشرة، يقول لك بالتمام والكمال، أي عشرة، وهذه الليرات جديدة كما تسلمتها منك بالتمام والكمال، فالتمام للعدد، والكمال للنوع، فرينا عز وجل يقول:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[ سورة المائدة: الآية 3 ]

إذاً قبل أن تقبل هذه القصة، قبل أن تقبل هذا التوجيه، قبل أن تقبل هذه القاعدة، قبل أن تقبل هذا السلوك، يجب أن تقيسه بكتاب الله وبسنة النبي عليه الصلاة والسلام، فإن وافقت كتاب الله أو سنة رسوله قبلتها، وإلا مرفوضة، و ليكن قائلها كائن من كان، لا يستطيع رجل كائناً من كان بعد النبي صلى الله عليه و سلم أن يضيف على الدين شيئاً:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾

[ سورة المائدة: الآية 3 ]

إذاً سياق الحديث، موضوع الحديث يتعلق بالشرع، فأصدق الحديث كتاب الله، و أفضل الهدى هدى محمد، الآن: ((وَسُرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا))، جاءتنا فكرة جديدة ؛ أن الاختلاط يهذب المشاعر، لا، هذه فكرة محدثة، ولأنها محدثة فهي بدعة، ولأنها بدعة ضلالة، و لأنها ضلالة فهي في النار، من روجها، و من قَبِلَ بها، و من صدقها، و من فعلها، مثلاً جاءتنا بدعة مثلاً يجب أن نعطي المرأة كالرجل، لأنها نصف المجتمع، هذه بدعة، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾

[ سورة النساء: الآية 11 ]

نقول نحن: يجب أن تعطى المرأة حريتها بأن تسافر من دون إذن زوجها خلافاً لنصوص الشرع مثلاً ؟ هذا موضوع طويل، أي فكرة، أي توجيه، أي مبدأ، أية قاعدة، أي تعديل، أي تبديل، أي إضافة لهذا النظام المعجز هذا شيء مستحدث، ومادام مستحدثاً فهو بدعة، و مادام بدعة في الدين فهو ضلالة، ومادام ضلالة فهو في النار، قولاً واحداً، لأنه يا أخي هذا المال لا يجوز أن يجمد هكذا، فإذا أقرضته، وأخذت عليه ربحاً رمزياً لنلا يفقد من قيمته، هذه بدعة، هذا شيء جديد، الله عز وجل قال:

## ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 276 ]

## ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 279 ]

أخي المال تقل قيمته، هناك تبدلات في أسعار العملات، هناك تضخم نقدي مستمر، أنا إذا أخذت فائدة أحافظ على مالي،

((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

إذا في الشريعة، في الصلوات، في الصيام، في الحج، في الزكاة، في الأحكام الشخصية، الأحوال الشخصية، في الزواج، في الطلاق، في البيوع، في المضاربات، في القرض قرض مع فائدة،

((وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

أي شيء يضاف على الدين، إن في العقائد، أو في المعاملات، أو في العبادات، هذا شيء مرفوض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (

(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ))

[ البخاري، مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

أنت يا أخي الكريم بحاجة ماسة إلى مقياس، لأن هناك مقولات في الدين لا تعد و لا تحصى، كل أناس يزعمون أنهم على الحق، وهؤلاء أضافوا هذا الرقص باسم الحضرات، وهؤلاء أضافوا هذه النياحة على الأموات، و هؤلاء أضافوا ذكرى معينة، و هؤلاء أضافوا احتفالات ما أنزل الله بها من سلطان، إذا قبلنا كل شيء أضيف على الدين ضاع الدين، و انتهى الدين، لا بد من موقف حازم، لا بد من موقف صارم،

## ((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

النقطة الدقيقة أنا قلت مرة: مثلاً إذا دخلت إلى غرفة، ويوجد بالغرفة ألف قطعة لونها صفراء، مئة منها ذهب من عيار أربعة وعشرين، مئة أخرى من عيار أحد وعشرين، مئة ثلاثة من عيار ثمانية عشر، مئة رابعة عيار ستة عشر، ومئة خامسة أحد عشر، و مئة سادسة نحاس مطلي بذهب، و مئة سابعة نحاس ملمع، و مئة ثامنة نحاس بلا تلميع، و مئة تاسعة تنك، و مئة عشرة حديد فيه صدأ مثلاً، و لك أن تبقى في هذه الغرفة ساعة واحدة، و لك أن تأخذ من هذه القطع مئة قطعة، فإذا أمكنك أن تأخذ جميع القطع ذوات العيار أربع و عشرين ذهباً تكون أنت أذكى إنسان، هذا المثل تقريبي، وأنت أمام آلاف القصص، آلاف الأحاديث، آلاف التوجيهات، آلاف القواعد، آلاف الخرافات، آلاف الكرامات، آلاف الشطحات، أنت أمام ركام عمره ألف وخمسمئة عام، ألا يجب عليك أن تبحث عن مقياس تأخذ من الدين أصوله، من الدين حقائقه، من الدين ثوابته، من الدين ما هو صحيح، من الدين الذي كان على عهد النبي عليه الصلاة و السلام، ما أنا عليه وأصحابي، هذا أخطر عمل تفعله في حياتك، الدين واسع جداً، فرق ضلت، و أضلت، و أناس شطوا، و شطحوا، و أناس بالغوا، و أناس مسخوا، و أناس طمسوا، و أناس أبرزوا، أي شيء ليس له نهاية، أنت ينبغي عليك أن تأخذ من الدين أصوله، أن تعود إلى الينابيع، إلى كتاب الله و سنة رسوله، عليك كمسلم ألا تقبل شيئاً إلا بالدليل، وألا تقول شيئاً إلا بالدليل، لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يأخذ شيئاً من دون دليل، و لا أن يروج شيئاً من دون دليل، الإنسان الوحيد الذي بإمكانه أن يعطيك شيئاً من دون دليل هو رسول الله، لأن كلامه هو الدليل، ولأن الله أمرك أن تتابعه، أمرك أن تطيعه، أمرك أن تأخذ منه:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر: الآية 7]

النبي وحده، لذلك أعلى إنسان في الإسلام بعد النبي كما قال عليه النبي عليه الصلاة و السلام: ((لو وزن إيمان الخلق بإيمان أبي بكر لرحج))، وفي أول خطبة خطبها الصديق قال: (أيها الناس إنما أنا متبع، و لست بمبتدع).

لا يقدر رضي الله عنه، سيدنا الصديق، تسابقت أنا و أبو بكر فكنا كهاتين، ما ساءني قط.

ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كيوه، إلا أخي أبا بكر، واساني بماله، وزوجني ابنته، وما ساءني قط، فاعرفوا له ذلك، و سدوا علي كل خوخة إلا خوخة أبي بكر، و مع ذلك ماذا قال ؟ قال: (إنما أنا متبع، و لست بمبتدع).

إذاً لا يستطيع أحد بعد النبي عليه الصلاة و السلام أن يضيف على هذا الدين شيئاً، لمجرد أن يضيف معنى هذا أن الدين ناقص، لمجرد أن تضيف على سنة النبي صلى الله عليه و سلم شيئاً معنى ذلك أن النبي أقل ورعاً منك، أنت أكثر منه ورعاً، لمجرد أن تفعل شيئاً ما فعله النبي صلى الله عليه و سلم تتهم النبي صلى الله عليه و سلم بأنه قصر في تبليغ الدعوة، لذلك شيء خطير جداً أن يضاف على عقائد المسلمين عقائد لم تكن من قبل، أو على عباداتهم، أو على أحكامهم الشرعية، إلا أنه في المعاملات فقط أحياناً الأحكام تدور مع مصالح المسلمين، والفقهاء مسموح لهم أن يستنبطوا أحكاماً جديدة من كليات قديمة توافق مصالح المسلمين، مثلاً نظراً لضيق ذات اليد، ولأزمة الزواج مثلاً سُمح للزوج أن يجعل بعضاً من مهر الفتاة معجلاً، وبعضه الآخر مقدماً، هذا شيء يسمى في الفقه المصالح المرسله، فالفقهاء لظروف طارئة، ظروف جديدة، لأزمات معينة لهم أن يستنبطوا أحكاماً تفصيلية جزئية لأحكام كلية، هذا المسموح به فقط، أما حينما يأتي الحجاج إلى بيت الله الحرام، ويذبحون هذا الهدي، ويذبحون هذا الخروف، ويلقونه في الطريق، بعد أيام عدة يصبح جيفة لها رائحة تسد الأنوف، يصبح جبل عرفات ومنى بعد شهر من الحج له رائحة لا تواجهه، الآن أحدثوا مسلخاً آلياً، وكل حاج يريد أن يذبح الهدي يأتي إلى هذا المسلخ بالخروف فيذبح، و يبرد، و يوضع في قماش أبيض، و يرسل إلى فقراء المسلمين في شتى بقاع الأرض، الفقهاء استنبطوا بأن هدف الشريعة مقاصدها معروفة لمصلحة المسلمين، وليس في صالح المسلمين أن يذبح مليون خروف، ويلقى في الأرض في جو حار جداً.

ممكن هذا أن يكون، وشيء طيب جداً، فلذلك المقصود في قول النبي عليه الصلاة و السلام:

((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ))

أي إذا أحدث في العقيدة شيئاً لم يكن من قبل، أو أحدث في العبادات شيئاً لم يكن من قبل، هذا كله مرفوض كلياً من قبل النبي عليه الصلاة و السلام.

**((وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))**

أي الذي ابتدعها، والذي قلده، والذي روج لها، كل من له صلة بهذه البدعة فمصير هذه البدعة وأصحابها إلى النار.

إذاً يجب أن نفرق بالضبط بين البدعة اللغوية التي هي مطلق الشيء الجديد، هذا الشيء الجديد في حياتنا، في أدواتنا، في بيوتنا، في مساجدنا، في متاجرنا، في بيعنا، في شرائنا، أي النقل كان على الجمال، وأصبح على الشاحنات لا مانع، كان النقل في البحر، وأصبح في الجو، لا مانع، كان السفر إلى بيت الله الحرام مشياً على الأقدام، أو على محامل، أو على جمال، ثم أصبح بالسيارات، و القطار، ثم بالبواخر، ثم بالطائرات، لا مانع، القصد الانتقال، فالبدعة اللغوية القضية فيها محلولة، أية بدعة جديدة، أي شيء جديد يقاس بالشرع لا علاقة له بالمحرمات، متعلق بالنساء، والنساء هناك أحكام كثيرة في صومهم، و في ابتعادهن عن الرجال، فأبي صرعة جديدة، احتفال معين، عرس مختلط بالفندق، هذه بدعة سيئة مرفوضة كلياً، ثوب جديد ترتديه المرأة يبرز مفاتها، هذه بدعة فاسدة، كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما الشيء الجديد الموافق فلا مانع فيه، الله عز وجل جعل الإنسان خليفته في الأرض، قال تعالى:

**﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**

[سورة البقرة: الآية 30]

و قال تعالى:

**﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾**

[سورة هود: الآية 61]

أي جعلكم تعمرون هذه الأرض، إذا صار البناء مريحاً، من إسمنت له عمر طويل فلا مانع، طرقات عبّناها، عملنا لحياتنا ترتيبات، كله مقبول، مادام وفق الشرع، مادام مع مصالح المسلمين، مادام لقضاء حاجاتهم من دون أن يكون هناك مخالفة لأوامر الدين، هذه البدعة اللغوية، بدعة حسنة، و بدعة سيئة، و بدعة موقوفة على نوع استعمالها، و لكن البدعة التي وردت في هذا الحديث إنما تعني البدعة في العقائد، أي العمر بحسب اعتناء الإنسان بصحته، هذه بدعة في العقيدة، لقول الله عز وجل:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 34]

ليس ممكناً أن يؤخر عمر الإنسان، إذاً أية فكرة، أية عقيدة، أي مبدأ، أي طرح بالتعبير الحديث، أي نظرية تروج إن كانت مخالفة لأوامر الدين فهي بدعة.

في العبادات خمس صلوات، الأذان معروف، الصلوات معروفة، الجمعة مثلاً بعض البلدان الجمعة حولوها إلى يوم الأحد، هذا لا يصح، مخالفة للدين، أخي هنا وضع آخر، الأحد عطلة، الأحد نصلي الجمعة، هذا لا يصح، لأن هذه عبادة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة: الآية 9]

في بعض البلاد الأجنبية أصبح هناك مراكز إسلامية، يأتي الشيخ يعقد القران للزوج، و الزوجة، الزوجة بأبهي زينة، والشيخ يعقد القران، هذه الأصول ؟ لا، هذه بدعة، لا يحق لهذا الشيخ الذي يعقد العقد أن يرى المرأة بهذه الزينة، هذا لا يجوز، هذا موضوع مهم جداً.

عود على بدء:

((ابن عمر، دينك، دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، و لا تأخذ عن الذين مالوا))

أي إياك أن تعطل عقلك، أعطيناك جهازاً حساساً جداً إلكترونياً تضع فيه العملة، فإذا كانت مزورة يقول لك: فيها لون معين، هذه العملات المعجونة بمواد معدنية توضع على أجهزة حساسة للمعادن فيظهر على الشاشة لون زهر مثلاً، إذاً هذه العملة صحيحة، إذا كان اللون أبيض يكون الورق عادياً، فهذه العملة مزورة، أنت معك جهاز، أعطيناك جهازاً تكشف به كل أنواع العملات المزورة أو غير المزورة، فأنت لم تهتم بالجهاز، قبضت قبضة كبيرة، ثمن البيت، ولم تفحص العملة، ثم تتدب حظك، وتصرخ بويلك، الحق عليك، لأنه يوجد معك جهاز، الله أعطاك عقلاً فلا تعطل عقلك، لا تقبل شيئاً من دون دليل، لا تتكلم بشيء من دون دليل، لا تقبل هكذا، هكذا لا يوجد، هكذا قال فلان، من فلان؟ أقول لك هذه الكلمة، وأنا و الله أقولها من أعماق نفسي: أنت أمام القرآن الكريم ليس لك إلا أن تبحث عن معنى هذه الآية، لا يوجد عندك خيارات، الآية معقولة؟ غير معقولة، أنت مخطئ، هذا كلام الله قطعي الثبوت، كلام رب العالمين صحيح مئة بالمئة، حق مئة بالمئة، صواب مئة بالمئة، لا يوجد به خطأ، ولا تناقض إطلاقاً، فأنت آمن بالقرآن عندك حركة واحدة، نشاط واحد، أن تبحث عن معنى الآية فقط، لا تملك شيئاً آخر أبداً، لكن مع الحديث عندك نشاطان، ما هما؟ أن تتأكد من صحة الحديث، فلعلة موضوع، لعله ضعيف، لعله حديث ما قاله النبي صلى الله عليه و سلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ: إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))

[ البخاري، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

قبضوا على وضاع للأحاديث، قال: والله وضعت فيكم أربعين ألف حديث، حرمت فيها الحلال، وحللت الحرام، فأنت أمام قول عليه الصلاة والسلام؟ قف ما هذا الحديث؟ بأي كتاب؟ أين وجدته؟ بالبخاري على العين والرأس، بمسلم، بالترمذي، ابن ماجه، في كتاب كذا، هذا كتاب فيه موضوعات كثيرة جداً، هذا الكتاب فيه أحاديث ضعيفة جداً، فأنت مع الحديث عندك نشاطان، أول نشاط، أو أول حركة أن تتأكد من صحة الحديث، حتى لا تذهب نفسك، قد يكون الحديث موضوعاً، وأنت تعمل به ليلاً و نهاراً من دون جدوى، شخص وضاع أحاديث دجال، فكلما سئل هذا الحديث قاله النبي يقول: اليوم مساء أراه في منامي، فهو يراجع كتاباً يقول له: سألته؟ فقال لي: هذا الحديث ما قلته، ثاني يوم أعطوه حديثاً موضوعاً، فتح فوجده موضوعاً، قال: و الله رأيت

النبي فقال لي: لم أقل هذا الكلام، فيوجد شخص أذكى منه أعطاه حديثاً ضعيفاً، قال له: اسأل لنا إياه اليوم، ما وضع هذا الحديث؟ قال له: رأيت النبي عليه الصلاة والسلام، وقال لي: هذا حديث ضعيف، فالنبي لا يوجد عنده ضعيف، عنده، إما قاله، أو لم يقله، كشف كذبه، فأنت مع الحديث عندك نشاطان، أولاً: هل قاله النبي؟ إذا لم يقله أرح نفسك، ولا تعمل شيئاً، قاله انتهى، ماذا أراد منه؟ هذه الثانية، مع نص قرآني ليس لك إلا أن تبحث عن معنى الآية، لأن القرآن قطعي الثبوت، مع نص للنبي عليه الصلاة والسلام لك أن تعمل شيئين، أن تتأكد من صحة هذا الحديث، بعدها تبحث عن المعنى الذي أراده النبي، بالمناسبة يجب أن تفهم الآية لا كما تريد بل كما يريد الله عز وجل، و يجب أن تفهم الحديث لا على هواك، بل كما أراد النبي عليه الصلاة والسلام.

الآن دخلنا مع الناس، قال فلان، قال علان، قال العالم الفلاني، العالم الكبير، قطب الأقطاب، وحيد عصره، فريد زمانه، أي مهما يكن اللقب كبيراً، و لو كان لقبه خمسة أسطر، وحيد عصره، و فريد زمانه، قطب الأقطاب، مهم كان كلامه فأنت الآن أمامك ثلاث مهمات، أول مهمة أن تتأكد من صحة هذا الكلام إليه، لعله لم يقله، لعله أضيف عليه، لعله أفترى عليه، هكذا قال الإمام الشعراني، قال: في كتاب الفتوحات المكية للشيخ محي الدين أموراً كثيرة خلاف الشرع، فلما ذهبت إلى مكة المكرمة، والتقيت بالعالم الفلاني قال: دخل إلى غرفته، وجاء بكتاب الفتوحات بخط يد الشيخ محي الدين في قونية في تركيا، فإذا في هذا الكتاب ليس فيه شيء مما في نسختي في الشام، معنى ذلك قد يرد كلاماً لعالم لم يقله، الإمام أحمد بن حنبل دسوا تحت وسادته قبل أن يموت عقائد زائغة، الإمام الفيروزبادي دسوا عليه كتاباً في تكفير أبي حنيفة، الإمام الغزالي دسوا في إحيائه ما لم يقله، الإمام الشعراني نفسه نسبوا إليه كتاباً ما ألفه إطلاقاً، فقال: احرقوه، إذاً يمكن إذا قيل لك هكذا: قال الشيخ محي الدين، هكذا قال الإمام الغزالي، هكذا قال الإمام الشافعي، قد يكون هذا القول ليس للشافعي، ليس للغزالي، ممكن، إذاً أول عمل التحقق من صحة هذا الكلام إليه، ثانياً أن تفهمه كما أراده، قال الإمام الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان، أسأؤوا فهمه، هو قال: ليس في إمكانني أبدع مما أعطاني، المرحلة الثانية يجب أن تفهم ماذا أراد صاحب هذا النص، المرحلة الثالثة هذه النتيجة لعل هذا النص للإمام الغزالي، ولعل المعنى الدقيق لهذا النص هكذا، ولكنه مخالف لكتاب الله، كما قال العلماء، ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء فعلى العين و الرأس، و ما جاءنا عن غيره فهم رجال، ونحن رجال.

كل إنسان يؤخذ منه و يرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء ، هذا منهج بحث إسلامي، مع القرآن فهمه، مع الحديث صحته و فهمه، مع كلام الناس صحته، و فهمه، و تقييمه، أنت تريد الدين الحقيقي، تريد الدين كما أراد الله عز وجل، تريد الينابيع، الأصول، تريد كما كان عليه الصلاة و السلام و أصحابه، يوجد ضلالات، يوجد خزعبلات، يوجد إضافات، يوجد شطحات، يوجد مبالغات.

و الله حدثني أخ أثق بكلامه، قال لي: في قطر عربي التقيت عرضاً مع إنسان يأكل في رمضان، و يدعي أنه رفع عنه التكليف، قال لي: رث الهيئة، قدر، بعد خمس سنوات توفي أصبح مدفوناً بمقام، نحن لا نتحمل أولياء زيادة على اللزوم، نريد أتباعاً للنبي عليه الصلاة و السلام، فأنت دائماً مع الشرع، كن مع الشرع حيثما دار، لا تقبل شطحات، لا تقبل زيادات، لا تقبل إضافات، لا تقبل خرافات، خزعبلات، لا تقبل مبالغات، لا تقبل طقوساً، لا تقبل شيئاً جديداً، هذه الفقرة بالحديث خطيرة جداً:

((وَسُرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

كلمة أخيرة يا إخوان: دائماً اجعل المقياس هو رسول الله، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق، حبيب الحق، سيد ولد آدم، سيد الأنبياء و المرسلين ، مع ذلك: قل لا أعلم الغيب، فأني إنسان مهما كبر حجمك، قال لك: أنا أعرف ما تكلمت به معك، قل له: أنت كاذب، قل لا أعلم الغيب، شيء ثان النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا لغيره.

شيء ثالث:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[ سورة الزمر : الآية 13 ]

هذا حجم النبي ، هل يجزئ إنسان يعد النبي أن يدعي فوق ما بحجم النبي ؟ كلام باطل، لذلك فلان ولي، أي مستقيم على أمر الله فقط، أي عنده علم، وعنده حال، لكن أكثر لا يوجد، أي ينهض بك إلى الله حاله، تجلس معه يؤنسك، قلبه موصول بالله، يؤنسك، شيخ آخر متعلم، أي يعرف بعضاً من كلام الله، شيء من السنة فقط، هذا حجم كل العلماء و الدعاة والأولياء، لا يوجد أكثر، أما أنت هكذا وهكذا، أنا أعلم ما سيحدث معك، وأنت بفضل شفاعتي لك ستصبح هكذا، هذا كله كلام، و الله سمعت بعض الشطحات لم أقبلها، مثل: فلأن يسقط

الإنسان السماء من عين الله أهون من أن يسقط من عين شيخه، لا، و الله، الله أعظم شيء، لأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتتطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله، هذا الكلام فقط، لا أقبل غيره، فقط إلى هنا، أما أعظم عالم، أعظم شيخ لا يزيد حجمه على أن له حالاً و قالاً فقط، يخاف إن عصى الله، إذا النبي الكريم قيل له: مثل بهم، هؤلاء كفار قريش، هؤلاء الذين آذوك، و أخرجوك، و ائتمروا على قتلك، و فعلوا ما فعلوا خلال عشرين عاماً، مثل بهم، قال:

**((لا أمثل بهم فيمثل الله بي و لو كنت نبياً))**

هكذا النبي، هذا ورعه، هذا انضباطه، فنحن المقياس هو النبي عليه الصلاة والسلام، المقياس أنه لا يعلم الغيب، و أنه لا يملك لنفسه نفعاً و لا ضرراً، و أنه يخاف إن عصى الله عذاب يوم عظيم، لا يستطيع إنسان آخر أن يعمل لنفسه حجماً أكبر من هذا الحجم، هذا حجم النبي صلى الله عليه و سلم، يجب أن يكون حجمه أقل بكثير، لذلك قال الإمام ابن عطاء الله السكندري: " لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، و لا يدلك على الله مقاله".

له لسان ذاك، وقلب موصول بالله فقط، هذا كل ما يقال عن العلماء والمرشدين والأولياء والصالحين والدعاة، وما إلى ذلك، أنا لا أقل من حجمهم، ولكن هذا حجمهم الحقيقي، من أجل أن يكون الله عز وجل مقصود الإنسان، ورضاه مطلوبه، وكما يقول بعض العلماء: " إلهي أنت مقصودي، و رضاك مطلوبي ".

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (020 - 127) : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-09-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا ونفعا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: بقي علينا من حديث رسول الله ﷺ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ اخْمَرَتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَانَتْهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحَكُمْ وَمَسَاكُمْ وَيَقُولُ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِضْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلِإِيٍّ وَعَلَيٍّ))

[ مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

و أنا ولي المؤمنين، قبل شرح هذه الفقرة الأخيرة من حديث رسول الله ﷺ أريد أن أقدم بين يدي هذا الشرح مقدمة تلقي ضوءاً على معنى هذا الحديث، هذه المقدمة متعلقة بما يسمى بالبيئة، الإنسان له بيئة يعيش فيها، يمكن أن نضرب هذا المثل، إن صح أن الإنسان وعاء فالبيئة تلقي في هذا الوعاء ما فيها، و إن صحَّ أن الإنسان يتحرك، و يتصرف، و يتكلم فلن يتكلم، ولن يتصرف، ولن يتحدث إلا بما فيه، إذاً البيئة أمر خطير، أي مثلاً لو أن أحدكم قرأ القرآن ماذا في القرآن؟ فيه آداب، ألم تقل السيدة عائشة حينما سئلت عن رسول الله ﷺ:

((كان خلقه القرآن))

آداب غض البصر، آداب إلقاء السلام، آداب رد السلام، آداب الاستئذان، آداب الحديث، طلب العلم، قيمة العلم، إذا قرأت القرآن كأنك وعاء، وقد صب في هذا الوعاء مكارم الأخلاق، وإذا قرأت الحديث النبوي الشريف ماذا فيه؟

## ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

كل ما قاله النبي ﷺ حق من الله تعالى، إذا صاحبت مؤمناً المؤمن بيئته، أي هذا الذي يلقي فيك، من معلومات، من أفكار، من قيم، من قصص، من تجارب، من خبرات، أنت وعاء بالضبط، أنت وعاء، فإذا وضعت نفسك في بيئة طيبة ألقى في هذا الوعاء الكمال، فإذا أردت أن تتحرك، أن تقول، أن تفعل، أن تعامل، أن تعطي، أن تأخذ، لن يصدر منك إلا الكمال، أي هذا الوعاء لو ملأناه عسلاً، ولهذا الوعاء صنوبر، وفتحنا هذا الصنوبر سيخرج العسل الذي ملئ فيه، لو ألقينا في هذا الوعاء دبساً، وفتحنا الصنوبر لن نرى إلا الدبس، لو ألقينا في هذا الوعاء في هذا الوعاء شراباً، لو ألقينا ماء، ماء آسناً، لن نجد إلا الماء الآسن، ماء مالحة لن نجد إلا الماء المالح، فأنت وعاء فانظر كيف تملئ نفسك؟ إذا لازمت أهل العلم، إذا لازمت أهل الإيمان، إذا قرأت القرآن، قرأت سنة النبي العدنان، إذا قرأت عن أبطال التاريخ، قرأت عن أصحاب رسول الله، هذه البطولات، وهذه الأفكار، وهذه القيم، وهذه الأنماط الكاملة في التعامل، الوفاء، الكرم، الشجاعة، العفة، الأمانة، الصدق، هذا كله يصب في وعائك، فإذا تحدثت فكلامك لطيف، لن تتكلم بكلمة بذيئة لأنك أدبت بالقرآن.

ربنا علمك قال لك:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

[سورة المؤمنون]

كلام لطيف، الدين كله حياء، أي أتمنى عليكم أن تختاروا البيئة التي تعيشونها، أي إذا صاحبت إنساناً قليل الدين، قليل الأخلاق، سي طرح أفكاراً وآراء ومواقف مضحكة، وتعليقات لاذعة، ومزاحاً غير جيد، هذا بيتك.

إذاً البيئة وسعت معناها من كتاب إلى صديق إلى مجلس علم، إلى زميل، إلى صاحب، إلى جار، كلما انتقلت هؤلاء بذكاء وبطيب صببت في وعائك الكمال، فلو أن إنساناً قرأ قصصاً رخيصة أو تابع مسلسلات رخيصة ماذا سيجد؟ سيجد الخيانة الزوجية، الانحراف، اللؤم، الاستغلال، سيجد السقوط، الدناءة، هذه خبرات، التلاعب على الناس، المواقف التي تعبر عن أنانية صاحبها، فإذا اخترت بيئة طيبة بدءاً من كتاب تقرأه، إلى صديق تصحبه، إلى مجلس علم تحضره، هذه البيئة الطيبة ما هي إلا صنوبر فيه ماء طيب، أو ماء معسل، أو ماء معطر صب في هذا الوعاء، فإذا فتح الصنوبر الآخر الذي يفرغ هذا الماء كان شيئاً طيباً، ومذاقاً رائعاً، وريحاً طيباً أيضاً، إذاً يجب أن تكون ولي المؤمنين، يجب أن تكون معهم، لاحظ نفسك لو وجدت فجأة مع أصدقاء قدامى من أصدقاء

الجاهلية، لاحظ أنك تحس أنك في واد، وهم في واد، تحس بالفرق واضحاً تماماً، من مواقفهم، من مزاحهم، من تعليقاتهم، من حبههم لذاتهم، من أنانيتهم، هكذا كنت منهم، كنت منهم، وأنت لا تدري، والآن أنت بعيد عنهم، وأنت لا تدري، هذا أثر الجليس الصالح، هذا أثر البيئة الطيبة، مع أن الإنسان من المفروض أن يملك ميزاناً دقيقاً دقيقاً يزن به كل شيء، و لكن قد يضعف الميزان أحياناً، ربنا عز وجل قال:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾

[ سورة الكهف: الآية 28 ]

كن معهم، جالسهم، لا تختبر صديقاً في نزهة إلا مؤمناً، لا تختبر شريكاً في التجارة إلا مؤمناً، لا يأكل طعامك إلا تقي، لا تصاحب إلا مؤمناً:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[ سورة الحجرات: الآية 10 ]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[ سورة التوبة: الآية 119 ]

هكذا، لذلك:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 51 ]

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 28 ]

أي يمكن أن يكون محور هذا الدرس البيئة الصالحة، قال عليه الصلاة و السلام: ((الوحدة خير من الجليس السوء لكن الجليس الصالح خير من الوحدة))، فقد تقول: أنا متضايق، أنا متألم، أشعر بضيق، أشعر بملل بسأم بضجر، حياة تافهة، لا معنى لها، مستقبل مظلم، ضباب، العالم مقبل على مجاعات، على كوارث، على نقص

في المواد الغذائية، هذه من آثار البيئة الفاسدة، قد تكون هذه البيئة فاسدة في عقيدتها، فالكافر متشائم سوداوي المزاج، يزين الأمور بالمادة فقط، فإذا قلّت المادة ضاق بها ذرعاً، ضاق بقلتها ذرعاً.

فيا أيها الإخوة الأكارم: آيات كثيرة ذكرتها لكم تباعاً، أحاديث كثيرة ذكرتها لكم تباعاً، مفادها أن يجب أن تختار البيئة الصالحة، الإنسان دعه يقرأ قصة ساقطة يعيش أجواءها، يعيش مشاعر، أحاسيس أبطالها، يعيش رغبات أبطالها، يتمنى أن يكون أحدهم، في سقوطه وانحرافه وملذاته، اقرأ قصة عن أصحاب رسول الله، كنت في الوحل فإذا أنت في السماء، كنت في الطين فإذا أنت في أعالي الجبال، كنت أنت في القمامة فإذا أنت بين الأزهار، هكذا، لذلك العبرة قد يقول أحدكم: أنا في الدرس أحس براحة كبيرة، هذا كلام طيب، هذا بيت الله، أنت في بيته، إذاً أنت في ضيافته، إذاً أنت خاضع لتجلياته، كل هذا الكلام صحيح، و لكن البطولة في أثناء الأسبوع يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأنت في محلك التجاري، وأنت في وظيفتك، أنت مع أصدقائك، أنت في مكتبك، بين زبائنك، وأنت مسافر، أن تكون مع الله عز وجل، لن تكون مع الله عز وجل إلا إذا دقت في هذا الموضوع، أن تختار البيئة الطيبة، البيئة الصالحة.

الصاحب صاحب كما قال بعض العلماء الأجلاء، ومن جالس جانس، إذا جلست مع أناس طيبين تجانسهم، إذا جلست مع العلماء تحبهم، تحب أن تكون عالماً مثلهم، إذا جلست مع الكرماء تحب أن تكون كريماً مثلهم، شيء دقيق جداً، انظر ما الذي يدخل إلى هذا الوعاء؟ نسميها باللغة الدارجة التغذية، يوجد تغذية أحياناً، تغذية طيبة، إذا قرأ الإنسان عن أصحاب النبي التغذية جيدة جداً، إذا قرأ عن بطولاتهم، عن وفائهم بعهدهم، إذا قرأ عن النبي ﷺ كل حركاته، كل سكناته، كل مواقفه في منتهى الكمال، صحابي جليل نزع من رده ريشة طائر فرفع النبي الكريم يديه إلى السماء و قال: اللهم اجزه عني كل خير، علم نفسك الوفاء، علم نفسك تتحسس بالكمال، تتحسس بالمعروف، يكون رد فعلك رائعاً رد فعل الشاكر، الممتن.

فيا أيها الإخوة الأكارم: أصحابك، السهرات، الأدوار، الرحلات، النزاهات، الولائم، هؤلاء من؟ من جنسك، من طينتك، من جبلتك، مؤمنون، أطهار، صادقون، شرفاء، أعفة، أم أنهم من الدرجة الثانية؟ يوجد مزح رخيص، يوجد استراق نظرات إلى المحرمات، يوجد ذم غير منضبطة، تساهلات، هكذا.

البيئة أصحاب النبي عليهم رضوان الله عاشوا في أظهر بيئة فكانوا أبطالاً، المسجد بيئة، مجالس العلم بيئة، المؤمنون بيئة، مطالعاتك بيئة، قراءاتك بيئة، من تصاحب في نزهاتك بيئة، بالضبط أنت وعاء، كل شيء تقرأه صنبور على هذا الوعاء، كل شيء تسمعه صنبور على هذا الوعاء، مجلس العلم الذي تحضره صنبور على هذا الوعاء، الوعاء يمتلئ، قد يمتلئ حباً لله، قد يمتلئ حباً للخير، قد يمتلئ حباً للمؤمنين، قد يمتلئ حباً لأصحاب النبي، قد يمتلئ حباً للحق، نزيه إلى أقصى حدود، إلى أقصى درجة، لا تخشى في الحق لومة لائم، تقول الحق ولو كان مرأً، و لو كان على نفسك، هكذا إذا صاحبت الأتقياء، فلذلك الصاحب مهم جداً، الشخص بأثناء الجمعة لا يصاحب أناساً بعيدين يبتعد معهم، يأتي إلى يوم الدرس فإذا هو غريب عن هذا المجلس، أما إذا صاحب أهل الحق، أهل الإيمان، أهل التقى، أهل الورع، أهل الإحسان، أحياناً تجلس مع شخص محسن تتمنى العمل الطيب، أي يجهد في خدمة الخلق، في إكرامهم، في مد يد المعونة إليهم، بالإحسان إليهم، فمن أجل أن تكون مع المؤمنين يجب أن تجالسهم.

النبي ﷺ قال:

((أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِّنْ نَّفْسِهِ))

قال ربنا عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة النور: الآية 19]

الحقيقة أن الله عز و جل في كتابه الكريم، والنبي ﷺ في أحاديثه الشريفة أعطاك صفات المؤمن، وفي الوقت نفسه أعطاك مقياساً، فهل تحب أن تشيع الفاحشة في المؤمنين؟ المحبة فقط تسبب الهلاك، أي إذا فعلت هذا كنت في خندق آخر غير خندق المؤمنين، هل تركز إلى الذين ظلموا؟ هذه الآية الثانية:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾

[سورة هود: الآية 113]

أنت لم تعاونهم، لم تؤازرهم على ظلمهم، لم توافقهم، لكنك تركن إليهم، ترتاح لهم، تقيم معهم علاقات طيبة، علاقات وشيجة، علاقات حميمة، إذاً أنت منهم مقياس ثان، والمقياس الثالث مر بنا في درس الجمعة حينما:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾

[سورة القصص: الآية 83]

جزاء الآخرة لا للذي يعلو في الأرض أو يُفسد، هي جزء من لا يريد العلو ولا الفساد، ونفي الإرادة أبلغ من نفي الحدث، إذاً أنت وعاء وعليه صنوبر، انظر هذا الصنوبر ماذا يلقي في هذا الوعاء؟ فإذا تكلمت، أو تحركت، أو تصرفت، أو تعاملت، أو تنزهت، أو جالست، أو دعوت، أو دعيت، تصرفاتك، مواقفك، علاقاتك، صلاتك، كلها متأثرة بهذا الوعاء الذي امتلأ إما ماء طيباً طاهراً، أو ماء معسلاً، أو ماء معطراً، أو ماء آسناً، أو ماء مالحاً، هكذا.

هذا الذي يطلبه العلماء من تلاميذهم، ما يسمى الحمية الاجتماعية، أنت بحاجة إلى حمية على أقل تقدير في مرحلة البدايات، في البدايات أنت بحاجة إلى حمية، أي هذه النزهة قد لا تناسبك، هذه السهرة قد لا تجدي، هذا اللقاء قد لا ينفع، هذا المكان في هذا الطريق هذه الدكان في هذه الطريق لا تتناسب مع إيمانك، هذه العلاقة، هذا المقصف يتناقض مع هويتك أنت مؤمن، وهذا فيه منكرات لذلك أهم شيء البيئة، و الله سبحانه وتعالى كما قلت قبل قليل قال:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾

[سورة الكهف: الآية 28]

صاحب أهل الفجور تشته الفجور، صاحب أهل الصدق تشته الصدق، صاحب أهل الخير تشته الخير، أي:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

[ سورة الكهف: الآية 28 ]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

[ سورة الممتحنة: الآية 13 ]

لا تترك إيمانهم:

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾

[ سورة هود: الآية 113 ]

الوحدة خير من الجليس السوء، ولكن الجليس الصالح خير من الوحدة، وتذكر أنك آلة كهربائية فيها بطارية، هذه البطارية تحتاج إلى شحن دوري، مجالس العلم ما هي إلا نوع من أنواع هذا الشحن، تجد حينما ينتهي هذا المجلس، أو أي مجلس آخر فيه صدق وإخلاص يمتلئ الإنسان إيماناً، يمتلئ نوايا طيبة، يمتلئ اندفاعاً إلى الحق و أهله، فإذا مضى يوم أو يومان ضعفت همته، فترت عبادته، قلت أعماله الطيبة، يأتي الوقت الآخر ليعاد شحن هذه البطارية، إذا يتجدد إيمانه، و النبي ﷺ قال:

((جددوا إيمانكم))

إذا يقول عليه الصلاة و السلام:

((أنا أولى بكل مؤمن من نفسه))

أي يجب أن توقن يقيناً قطعياً أن أرحم الخلق بالخلق هو النبي ﷺ:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[ سورة التوبة: الآية 128 ]

ويجب أن تعلم علم اليقين أن النبي ﷺ لا ينطق إلا بالحق، محب لك، أولى بك من نفسك، لا ينطق إلا بالحق، هنا تظهر بطولة سيدنا سعد ثلاثة أنا فيهن رجل، و فيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى،

((مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ))، هنا النبي من هو؟ في أية صفة يتكلم؟ النبي ﷺ قال: ((...أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ))

و أنا ولي المؤمنين، النبي ﷺ حينما يتكلم له صفة، سأقربها لكم، لما رينا عز وجل قال:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

[سورة التوبة: الآية 103]

يخاطب النبي على أنه نبي أم على أنه الولي؟ على أنه الولي، الأمير، أي الزكاة يجب أن تؤخذ لا أن تعطى، لم يقل للمؤمنين ادفعوا الزكاة، لا، قال له خذ من أموالهم، إذاً أي إنسان تولى الأمر من بعد النبي مكلف أن يأخذ الزكاة، هنا حينما يقول النبي الكريم:

((أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا))

ما هو الضياع؟ سأوضحه لكم، الضياع المرأة التي جادلت النبي ﷺ:

﴿فَدَّ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾

[سورة المجادلة: الآية 1]

ماذا قالت له؟ قالت: يا رسول الله إن فلاناً زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل و مال وجمال، فلما كبرت سني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، ونثر بطني. أحضرت له خمسة أولاد. وزوى جمالي، قال: أنت علي كظهر أمي، ولي منه أولاد. دققوا فيما قالت. إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، كأنها تبين هذه المرأة دور الرجل ودور المرأة، المرأة بالمناسبة كالرجل تماماً، مساواة مطلقة من حيث شيئان، من حيث التشريف والتكليف،

كرامتها من كرامته:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾

[ سورة النحل: الآية 97 ]

شأنها من شأنه:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾

[ سورة آل عمران: الآية 195 ]

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 35 ]

إذاً في القرآن آيات تشير إلى أن المرأة كالرجل من حيث التشريف، ومن حيث التكليف، كلف الرجل بالإسلام، وكلفت بالإسلام، كلف بأركان الإسلام، وكلفت بأركان الإيمان، وكلفت بأركان الإيمان، إذاً المرأة كالرجل، أما دورها شيء، ودوره شيء آخر، إن تركتهم إليه ضاعوا، إذاً من المربية؟ المرأة، و إن ضممتهم إلي جاؤا؟ من الذي يكسب الرزق؟ الرجل، تقسيم رائع أنت أيها الزوج لكسب الرزق، وهي لتربية الأولاد، وأنعم بهذه من مهمة، لذلك أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة.

إذاً:

((وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا))

ما معنى الضياع؟ أي أيتام، من ترك ديناً أو أيتاماً فالإلي وعلي، هذا اسمه في البلاغة لف ونشر، ديناً علي، ضياعاً إلي، أي الدين علي أن أقضيه، والضياع إلي حفظه ورعايته، إذاً على أولي الأمر أن يتحملوا أعباء المؤمنين، بهذه الطريقة يغنى هذا الفرد، ترك مالا له، ترك ديناً علي أولي الأمر، ما معنى ذلك؟ أحدث نظرية الاقتصاد أن الإنسان إذا اغتنى معه الدولة، الضرائب تؤخذ ممن؟ من المواطنين، فكما اغتنى المواطن اغتنى معه الدولة، إذاً في إغناء المواطن مصلحة عامة،

## ((مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ))

وأنا ولي المؤمنين، لاحظ إذا اغتنى الإنسان وجد شيء من التكافل الاجتماعي، ونحن لا ندري، رجل ميسور حال يساعد كل أفراد أسرته، إذا النبي عليه الصلاة و السلام في هذا الحديث بوصفه الإمام، بالفقه يوجد عندنا مصطلح الإمامة الكبرى، النبي ﷺ في هذا الحديث هو الإمام، ومن مهمات الإمام أن يتحمل أعباء المواطنين، أموالهم لهم، وأولادهم، وديونهم على الإمام، بهذا يغتني الفرد، فإذا اغتنى الفرد تغتني معه الأمة، واغتننت معه الحكومة، و أنا ولي المؤمنين، أي إنسان له مرجع، أنت مؤمن لك مرجع، لك مستشار، لك إنسان له باع طويل في الإيمان، لك إنسان يقدم لك الخبرات مجاناً، لك إنسان يحب لك ما يحب لنفسه، من علامة المؤمن أنه يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، والحديث له تنمة، وأن يكره له ما يكره لنفسه، مستحيل من مؤمن صادق يتمنى لأخيه مشكلة، يتمنى لأخيه فضيحة، يتمنى لأخيه أزمة، مستحيل، إذا عز أخوك فهن أنت، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ  
بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى ))

[ البخاري، مسلم، أحمد ]

إذاً يا أيها الإخوة الأكارم: الله عز وجل لا يحبنا إلا إذا رأنا كما يريد، الآن نموذج من أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله.

هذا عمير بن سعد في درس من دروس الأحد في أيام رمضان تحدثنا عن قصته، و كيف أن له عمأ كان مؤمناً، ثم نافق، و كيف قال هذا العم أي زوج أمه: إن كان محمد على حق فنحن شر من الحمر، وكيف أن هذا الغلام الصغير ذهب إلى النبي ﷺ فأخبره، فاتهمه زوج أمه بالتكذيب، فدعا الله أن ينجيه من هذا التكذيب حتى نزل الوحي يؤكد طهره وصدقه، الآن عمير بن سعد له موقف آخر حينما كبر، هذا الموقف هو أن أهل حمص كانوا شديدي التذمر من ولاتهم، كثيри الشكوى منهم فما جاءهم من وال إلا وجدوا فيه عيوباً، و أحصوا له ذنوبه، و رفعوا أمره إلى خليفة المسلمين، و تمنوا عليه أن يبدلهم به من هو خير منه، فعزم الفاروق رضوان الله عليه أن يبعث إليهم بوال لا يجدون فيه مطعناً، ولا يرون في سيرته مغمزاً، فنثر كنانته (الكنانة جعبة السهام )، وعجم عيدانها عوداً عوداً، فلم يجد خيراً من عمير بن سعد، و على الرغم من أن عمير كان إذ ذاك يضرب في

أرض الجزيرة في بلاد الشام على رأس جيش في سبيل الله، على الرغم من كل ذلك فقد دعاه أمير المؤمنين، و عهد إليه بولاية حمص، و أمره بالتوجه إليها فأذعن عمير للأمر على كره منه، لأنه كان لا يؤثر شيئاً على الجهاد في سبيل الله، بلغ عمير حمص فدعا الناس إلى صلاة جامعة، و لما قضيت الصلاة خطب الناس فحمد الله، و أثنى عليه، و صلى على نبيه محمد ﷺ، وقال: أيها الناس: الآن عمير بن سعد هذا الطفل الصغير في عهد عمر صار رجلاً، و لاه حمص، قال: أيها الناس إن الإسلام حصن منيع، و باب وثيق، و حصن الإسلام العدل، و بابه الحق، فإذا دك الحصن، و حطم الباب استبيح حمى المسلمين، و إن الإسلام ما يزال منيعاً ما اشتد السلطان، و ليست شدة السلطان ضرباً بالسوط، و لا قتلاً بالسيف، و لكن قضاء بالعدل و أخذاً بالحق.

تذكرون مرة أن والياً سأل سيدنا عمر رضي الله عنه قال: يا أمير المؤمنين إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم لست أقدر على استخراجهم منهم إلا أن أمسهم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلت، أجابه عمر إجابة تكتب بماء الذهب، لأنها فيها أصولاً صحيحة لإدارة شؤون الناس، قال: يا هذا أتستأذني في تعذيب بشر، وهل أنا لك حصن من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ إذاً ماذا أفعل اغتصبوا مالاً ليس لهم؟ قال: أقم عليهم البينة، هل معك دليل؟ معك مستمسك؟ معك حجة؟ معك مأخذاً؟ أقم عليهم البينة فإن قامت فخذهم بالبينة و إلا فادعهم إلى الإقرار، الاعتراف سيد الأدلة فإن أقروا فخذهم بإقرارهم، وإن لم يقرروا فدعوهم لحلف اليمين، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، و ايم الله، لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم، فقال عمير بن سعد يخاطب أهل حمص: ليست شدة السلطان ضرباً بالسوط، و لا قتلاً بالسيف، و لكن قضاء بالعدل، و أخذاً بالحق، ثم انصرف إلى عمله لينفذ ما اختطه لهم من دستور في خطبته القصيرة، قضى عمير بن سعد حوالاً كاملاً في حمص لم يكتب خلاله إلى عمر كتاباً، ولم يبعث إلى بيت المال شيئاً، فأخذت الشكوك تساور عمر إذ كان شديد الخشية على ولاته من فتنة الإمارة، فما معصوم عنده أحد إلا النبي ﷺ: قال لكتابه اكتب إلى عمير ابن سعد، و قل له: إذا جاءك كتاب أمير المؤمنين فدع حمص و أقبل عليه، و احمل معك ما جيببت من فيء المسلمين، تلقى عمير بن سعد كتاب عمر بن الخطاب فأخذ جراب زاده، و حمل على عاتقه قصعته و وعاء وضوئه، و أمسك بيده حربته، و خلف حمص و إمارتها وراءه، و انطلق يحث الخطى مشياً على قدميه من حمص إلى المدينة، فما كاد يبلغ عمير المدينة حتى كان قد شحب لونه، و هزل جسمه، و طال شعره، و ظهرت عليه وعتاء السفر.

دخل عمير على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فدهش الفاروق من حالته، وقال: ما بك يا عمير ؟ فقال: ما بي من شيء، فأنا صحيح معافى بحمد الله، أحمل معي الدنيا كلها، وأجرها من قرنيها، فقال له: وما معك من الدنيا ؟ قال: معي جرابي . أي كيس . قد وضعت فيه زادي، و معي قصعتي آكل فيها، وأغسل عليها رأسي، وثيابي، و معي قربة لوضوئي وشرابي، ثم إن الدنيا كلها تبع لمتاعي هذا، وفضلة لا حاجة لي، ولا لأحد غيري فيها حاجة، فقال عمر: وهل جئت ماشياً ؟ قال: نعم، قال: أما أعطيت من الإمارة دابة تركبها ؟ قال: هم لم يعطوني، وأنا لم أطلب منهم، قال: وأين ما أتيت به لبيت المال ؟ قال: لم آت بشيء، قال: ولم ؟ قال: لما وصلت إلى حمص جمعت صلحاء أهلها، ووليتهم جمع فيئهم، فكانوا كلما جمعوا شيئاً منه استشترتهم في أمره، ووضعتهم في مواضعه، وأنفقتهم على المستحقين، فقال عمر لكاتبه: جدد عهداً لعمير على ولاية حمص، فقال عمير: هيهات، فإن ذلك شيء لا أريده، ولن أعمل لك، ولا لأحد بعدك، ثم استأذنه بالذهاب إلى قرية في ضواحي المدينة يقيم فيها مع أهله فأذن له، لم يمض على ذهاب عمير إلى قريته وقت طويل حتى أراد عمر أن يختبر صاحبه، وأن يستوثق من أمره، فقال لأحد من ثقاته يدعى الحارث: انطلق يا حارث إلى عمير بن سعد، و انزل به كأنك ضيف، فإن رأيت عليه آثار نعمة فالمعنى واضح، فعد كما أتيت، و إن وجدت حاله شديدة فأعطه هذه الدنانير، وناوله صرة فيها مئة دينار.

انطلق الحارث حتى بلغ قرية عمير بن سعد فسأل عنه فدل عليه، فلما لقيه قال: السلام عليك ورحمة الله، قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أين قدمت ؟ قال: من المدينة، قال: كيف تركت فيها المسلمين ؟ قال: بخير، قال: و كيف أمير المؤمنين ؟ قال: صحيح صالح، قال: أليس يقيم الحدود ؟ قال: بلى، و لقد ضرب ابناً له لفاحشة أتاها، فمات من الضرب، أقام الحد على ابنه سيدنا عمر مرة، قال: اللهم أعن عمر، فإنني لا أعلمه إلا شديد الحب لك يا الله، رغم أنه مزعوج، قال: اللهم أعن عمر، فإنني أراه شديد الحب لك، أقام الحارث في ضيافة عمير بن سعد ثلاث ليال، فكان يخرج له في كل ليلة قرصاً من شعير، فلما كان اليوم الثالث قيل للحارث لقد أجهشت عميراً و أهله . أتعبتهم . فليس لهم إلا هذا القرص الذي يؤثرنك به، رغيف واحد تأكله عنهم، وقد أضر بهم الجوع والجهد فإن رأيت فتحول عنهم، عند ذلك أخرج الحارث الدنانير، ودفعها إلى عمير، فقال عمير: ما هذه، قال الحارث: بعث بها إليك أمير المؤمنين، قال: ردها إليه، وأقرئ عليه السلام، وقل له لا حاجة لعمير بها، فصاحت امرأته، وكانت تسمع ما يدور بين زوجها وضيغه، سيدنا رسول الله وزع مرة شاة فبقي منها القليل

فقلت له: لم يبق منها شيء، لم يبق إلا كتفها، فقال عليه الصلاة والسلام: بل بقيت كلها إلا كتفها.

قالت له امرأته: خذها يا عمير، فإن احتجت إليها أنفقتها، وإلا وضعتها في مواضعها، فالمحتاجون هنا أكثر، فلما سمع الحارث قولها ألقى الدنانير بين يدي عمير، وانصرف، فأخذها عمير وجعلها في صرر صغيرة، ولم يبت ليلته تلك إلا بعد أن وزعها بين ذوي الحاجات، وخصّ منهم أبناء الشهداء.

عاد الحارث إلى المدينة فقال له عمر: ما رأيت يا حارث؟ قال: حالاً شديدة يا أمير المؤمنين، قال: أدفعت إليه الدنانير، قال: نعم، قال: وما صنع بها؟ فقال: لا أدري، وما أظنه يبقي لنفسه منها درهماً واحداً، كتب الفاروق إلى عمير: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل عليه، توجه عمير إلى المدينة، ودخل على أمير المؤمنين فحياه عمر، ورحب به، وأدى مجلسه، ثم قال له: ما صنعت بالدنانير يا عمير؟ قال: وما عليك منها يا عمر بعد أن خرجت لي عنها؟ قال: عزمت عليك أن تخبرني بما صنعت بها، قال: ادخرتها لنفسي لأنتفع بها في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، أي دفعتها، فدمعت عينا عمر، وقال: أشهد أنك من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ثم أمر له بوسق من طعام وثوبين، فقال: أما الطعام فلا حاجة لنا به يا أمير المؤمنين، فقد تركت عند أهلي صاعين من شعير، وإلى أن نأكلها يكون الله عز وجل قد جاءنا بالرزق، و أما الثوبان فأخذهما لأم فلان، أي لزوجته فقد بلي ثوبها، وكادت تعرى، لم يمض وقت طويل على ذلك اللقاء بين الفاروق و صاحبه حتى أذن الله لعمير بن سعد بأن يلحق بنبيه، وقرّة عينه محمد بن عبد الله بعد أن طالّت أشواقه إليه، فمضى عمير في طريق الآخرة، وادع النفس، واثق الخطى، لا يثقل كاهله شيء من أحمال الدنيا، مضى ليس معه إلا نوره وهده وورعه وتقاه، فلما بلغ الفاروق نعيه، وشح الحزن وجهه، واعتصر الأسى قلبه، وقال: وددت أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم في أعمال المسلمين.

الإنسان السعيد الذي يوفق في اختيار معاونيه، إذا وفقت في اختيار شريكة حياتك فأنت من أسعد الناس، وفقت في اختيار شريكك أنت من أسعد الناس، البطولة أن تحسن الاختيار، والموفق هو الذي يختار هؤلاء الأشخاص النزيهين الأتقياء الورعين، قال: وددت أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم في أعمال المسلمين.

هكذا كان الصحابة، لما صلى النبي ﷺ آخر صلاة بأصحابه ابتسم حتى رئيت نواجذه، قال: علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

شهادة المرأة أولادها، شهادة الأب أولاده، شهادة المعلم تلاميذه، شهادة المرشد طلابه، كلما كان رواد المسجد نظيفين أتقياء متواضعين أخلاقيين أعفة ثبر هذه شهادة أن هذا المجلس حق، إذا وجدت أخطاء انحرافات القضية تدعو للشك، فلذلك كلما ارتفع مستوى الإخوة الأكارم أحبنا الله عز وجل.

البطولة لا أن نسمع أن نكون في مستوى الدعوة، أن نكون في مستوى هذا الدين الحنيف، في مستوى هذا الخلق الكريم.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 021 - 127 ) : الزهد

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-09-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وازدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول ويتبعون أحسنه، وأدخلنا في رحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون:

في هذه الليلة نكرى ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام، ودرسنا كلها حديثاً عن علمه، وعن شمائله، وعن أخلاقه، فحينما نعطي شيئاً من حديث رسول الله ﷺ فنحن ننسجم مع هذه الليلة المباركة التي ولد فيها النبي عليه الصلاة والسلام.

فقد روى ابن ماجه عن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال عليه الصلاة والسلام:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

الحقيقة كلمة زهد يعني الإنسان قبل أن يتعمق في أبعادها يتوهم أنه حرمان، يعني الذي يزهد إنسان غير طموح، الزاهد إنسان قنوع باليسير، بيته خشن، طعامه خشن، لباسه خشن حياته محدودة، كلمة زهد لا توحى للإنسان بشيء فيه بريق، مع أنكم إذا دققتم، وإذا تعمقتم، وإذا تأملتم وجدتم أن أشد الناس طموحاً هو الزاهد، لماذا؟ لأن الزاهد يزهد في حياة محدودة، ربنا عز وجل قال:

## ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾

[ سورة النحل الآية: 96 ]

يعني إذا الإنسان طمع في الآخرة، وزهد في الدنيا، أنا أقول لكم: هو من أشد الناس طموحاً، من أشدهم تعلقاً بالخير، من أشدهم اتساعاً في الأفق، من أشدهم رغبةً في المزيد، من أكثرهم سعياً وراء صالحه البعيد لا القريب، فلا يحملنكم ما يفهمه الناس، أو ما يفهمه عامة الناس من كلمة الزهد، من أنها تعني الحرمان، وتعني الخشونة، وتعني ضيق الأفق، وتهني القناعة بالشيء اليسير، لا، أشد الناس طموحاً هم الزهاد، يعني زهد في الشيء التافه، والشيء الفاني وطمع في الباقي.

لو فرضنا إنسان يعني بالغ في رفاهيته في الدنيا على حساب عمله الصالح، كلما جمعه في الدنيا، ووظفه لرفاهيته، تأتي ساعة واحدة يغادر الدنيا كلها، يقدم على حياةٍ أبديةٍ طويلةٍ طويلة، وليس معه لهذه الحياة الطويلة نقدٌ صالحٌ لها، وأما الحياة القصيرة فقد استهلكها استهلاكاً رخيصاً.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يعني هذا الرجل سهل ابن سعد الساعدي قال: يا رسول الله، دلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله، وأحبنى الناس، فقال:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

جواب الطلب، الفعل المضعف إذا جاء مبنياً على السكون يبنى على الفتح في محل جزم دائماً:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

الحقيقة الزهد في الدنيا عقل، الزهد في الدنيا رؤية صحيحة، الزهد في الدنيا معرفة ما عند الله، من عرف ما عند الله زهد فيما في الدنيا، من عرف الله زهد فيما سواه من رأى الحياة الأبدية صغرت في عينه الحياة الفانية، من رأى الخير العميم في الدار الآخرة رأى المتعة الرخيصة الآنية في الدنيا:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

أنا أقول لكم كلام إن شاء الله يعني أعني ما أقول الزهد في الدنيا مستحيل، طيب كيف يأمرنا النبي ﷺ أن نزهد في الدنيا وهذا شيء مستحيل؟ يعني انظروا الطفل الصغير إذا تعلق في شيء تشبث به، أمسكه في كل قوته، لا يمكن أن يفلت يده إلا إذا أعطيته شيئاً أثنى منه تركه، وهذه النفس البشرية، إن لم ترى شيئاً أثنى من الدنيا لا تدع الدنيا، والله كلما زاد به العمر زاد تعلقه بها، واشتد حرصه عليها، إلى أن يرى أن ما عند الله أفضل:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

[ سورة الضحى ]

إلى أن يوقن:

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾

[ سورة الضحى ]

إلى أن يتأكد أنه من أثر آخرته على دنياه ربحهما معاً، إلى أن يوقن أن ما عند الله

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

[ سورة الأعلى ]

والدنيا أقل وأشقى، إذاً إذا قال لك النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويهِ عن ربه:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

يعني يا عبدي تعرف عليّ، اعرفني، اعرف ما عندي من إكرام، تيقن بالآخرة عندئذ تدع الدنيا بلا جهد، بلا مشادة، بلا مكابرة، بلا تعب، بلا أخذ و رد:

(( وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

يعني الآن علاقاتك مع الناس متى تتجح؟ إذا زهدت في ما في أيديهم، ما دمت طامعاً فيما عندهم فهم يتوجسون منك، يحسبون لك ألف حساب، يتجافون عنك، أما إذا أردت أن يحبك الناس، وأن يكثرُوا من اتصالهم بك فازهد فيما في أيديهم، كلام النبي عليه الصلاة والسلام، كلام جامع مانع، كلام بليغ، كلام فيه كما قال عن نفسه:

### (( أوتيت جوامع الكلم ))

[أخرجه أبو يعلى عن عمر بن الخطاب]

### (( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

مرة سُئل الحسن البصري، وأنا اخترت لكم هذا التابعي الجليل، اخترته لكم في هذا الدرس ليكون هذا التابعي الجليل، يعني سيرته تطبيق عملي لهذا الحديث، الحقيقة قلت مرة في خطبة، أن الإنسان إذا تحدث عن المُثل العليا يتهمه الناس بأنه خيالي حالم، يتكلم عن أشياء غير واقعية، أما إذا تحدث عن الدنيا فهي كالحول تماماً، ألا ينبغي أن تكون هناك مُثل واقعية، أو واقع مثالي، ألا ينبغي أن نشد الواقع إلى المثل، وأن نجر المثل إلى الواقع، ألا ينبغي أن يكون هذا الإسلام قابلاً للتطبيق، ما قيمة هذا الدين إذا بقي بين دفتي الكتب؟ ما قيمة هذا الدين إذا بقي حبراً على ورق؟ قيمة هذا الدين إذا أصبح متداولاً، إذا أصبح متداولاً، إذا أصبح حياةً نعيشها، واقعاً نلمسه، تجربةً طيبةً نعيشها، إذا:

### (( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

حديثاً على نفس الشاكلة، أو على الشاكلة نفسها، عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله أوصيني، يعني أنا أخاف أو أخوف ما أخاف أن تفهموا هذا التوجه النبوي في الزهد في الدنيا، والتعلق في الآخرة أو في الزهد فيما أيدي الناس، أن يفهم هذا التوجيه النبوي على غير ما أر النبي، يعني النبي عليه الصلاة والسلام أرادك أن تكون مؤمناً متفوقاً، لأن التفوق في الدنيا سر النجاح فيها، وسر نيل الآخرة منها، يعني الدنيا مطية الآخرة، ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك

آخرته لدنياه، إلا أن يتزود منهما معاً، فإن الأولى مطيئةٌ للثانية، فالحديث الثاني يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما  
تعنذر منه ))

[أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص،]

كثير من السهل جداً أن نقرأ هذين الحديثين، وهذان الحديثان واضحان وضوح الشمس، بل إنهما لا يحتاجان إلى تفسير، الكلام الواضح لا يحتاج إلى تفسير، ولكن نريد أن نعمق فهماً لهما، كما قلت قبل قليل: لن تدع الدنيا، لن تفرط بها، لن تستغني عنها، لن تجعلها وراء ظهرك، لن تجعلها هامش حياتك، إلا إذا رأيت ما هو أثمن منها، لن تدع هذه الأكلة إلا للأكلة أطيب، لن تدع هذا البيت إلا لبيت أكبر، لن تدع هذه المركبة إلا لمركبة أفخم، هذه طبيعة النفس، فأنت متى تزهد في الدنيا؟ إذا عرفت طرفاً من جلال الله عز وجل، إذا عرفت الآخرة إذا عرفت إكرام الله عز وجل، إذا عرفت ما ينتظرك في الجنة، إذا عرفت أن هذه الدنيا محدودة وأن الآخرة غير محدودة.

يعني كلكم يعلم أن الإنسان في بطن أمه يعيش في رحم حجمه لا يزيد عن سبع مئة وخمسين سنتي متر مكعب بالضبط، إذا خرج إلى الدنيا، وأصبح من أولي الحول والطود أو من أولي المال، من أصحاب المال، يقول لك: سافرت لكندا، ثمانية عشر ساعة طيران هذه الطائرة كم قطعت إلى كندا؟ عشرين ألف كيلو متر بثمانية عشر ساعة طيران، معنى هذا أن الجنين كان في الرحم في حجم لا يزيد عن سلة تقريباً أو أقل، فإذا به يطير إلى أقاصي الدنيا، إلى شرقها وإلى غربها، والذين وصلوا إلى القمر، كم قطعوا؟ إذا كان ذهب إلى كندا ثمانية عشر ساعة طيران، الذين وصلوا إلى القمر قطعوا ما يزيد عن ثلاث مئة وستين ألف كيلو متر، وركبوا مركبةً سرعتها أربعين ألف كيلو متر بالساعة، طيب وازن بين الرحم الصغير وبين هذه المسافات الشاسعة التي قطعها رواد الفضاء، أو قطعها أصحاب المال والسلاطان في رحلاتهم الطويلة حول العالم، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال:

(( المؤمن يخرج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ))

كما يخرج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا، فإذا عرفت ما عند الله عرفت الجنة، لا نغص، لا تعب، لا هم، لا حزن، لا منافسة، لا مرض، لا كِبَر، لا قلق، لا يوجد ولد مزعج لوالده، لا يوجد زوجة مزعجة، لا يوجد مقلقات، لا يوجد شيء يقهرك:

### ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

[سورة ق ]

إذاً أنا أدعوكم بشكل واقعي، أن أقول لك: دع الدنيا كلام لست واقعي، تزداد عليها تشبثاً، إلا انظر الطفل، ممسك باللعبة، أيام الطفل الصغير تحاول أن تفتح أصابعه لا تقدر، يقول لك: عصبه قوي، أيام الطفل الصغير يكون ممسك بلعبة بكلتا يديه، إذا رأى شيئاً أثنى منها تركها، هكذا طبيعة الناس، فأنت لن تدع الدنيا إلا إلى ما هو خيرٌ منها، الدنيا معروفة بطعامها وشرابها، ونسائها، ونزهاتها، وبيوتها، ومركباتها، وما فيها من وجهة، ومن ملذاتٍ، ومتعٍ وما إلى ذلك.

أنا أقول للإخوة الكرام، ذقت هذه وذقت هذه، ذق مرةً طعم القرب من الله عز وجل، خض هذه التجربة بالتعبير الجديد، خض هذه التجربة، اقتحم هذا المجال، ذق طعم الإقبال، يعني اجعل حياتك منوعة، فإذا عرفت ما عند المؤمنين من سعادة عذرتهم، كما قال الإمام البورصيري:

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم  
يا لائمي في الهوى العذري معذرةً كُف الملام فلو أنصفت لم تلمن

\* \* \*

لو ذقت ما ذاق المؤمن ما لمته على انصرافه إلى الله والدار الآخرة.

إذاً حقيقة الزهد أن ترى ما عند الله، حقيقة الزهد أن تذوق طعم القرب، حقيقة الزهد أن تشعر بسكينة الإيمان، كما قال أحد العلماء: بالنفس يوجد فراغ لا يملؤه لو قرأت كتب الثقلين لو حصلت أعلى الشهادات في فراغ، أصبحت أديب كبير، شاعر كبير، صحفي كبير مثلاً، تحمل أعلى شهادة في العالم، في فراغ لا يملؤه إلا الإيمان، في وحشة، لو عشت بين ألف إنسان، وحولك المئات يأترون بأمرك، هناك وحشة، يعني دائماً أنت في وحشة، إلا إذا آمنت بالله عز وجل، الإيمان بالله يذهب عنك الوحشة، أنت في ضيق لا يفرجه إلا معرفة الله،

هذه الفطرة، إذًا:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

ويا رسول الله أوصني، قال:

(( عليك بالإيأس مما في أيدي الناس وإيالك والطمع فإنه الفقر الحاضر ))

طبعاً أنت من خوف الفقر في فقرٍ، ومن خوف المرض في مرضٍ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، الحالة النفسية مهمة جداً، أيام الإنسان يكون محاط بكل وسائل التعظيم، بكل وسائل الرفاه، بكل وسائل البذخ، لكن من الداخل شقي، من الداخل منهار، من الداخل يحتقر ذاته، الازدواجية، المواقف غير الواضحة، المترددة، المواقف التي لها سمعة طيبة أمام الناس، والمواقف المخزية فيما بينك وبين نفسك، هذا يسبب انهيار للنفس، وأحياناً ترى إنساناً يعيش حياةً خشنَةً جداً، ومع ذلك يشعر باحترام للذاته، صادق مع ربه، واضح نقي.

على كلٍ عندنا إن شاء الله بعد قليل تطبيق عملي لهذين الحديثين الشريفين، أنا دائماً أحب، الأحاديث والآيات تصف نماذج من المؤمنين، ولكن إن لم تروا في حياتكم، أو في تاريخنا، إن لم نر نماذج حقيقية واقعية منتزعة من التاريخ، هذه المعلومات تغدو أقل قيمةً مما لو جاء من يدعمها بالتطبيق:

(( عليك بالإيأس مما في أيدي الناس ))

يعني شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس، والقول المعروف عندكم: احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغني عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره.

(( ومن جلس إلى غني فتضع له ذهب ثلثا دينه ))

قولاً واحداً، وابتغوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير:

(( وإيالك والطمع فإنه الفقر الحاضر ))

الفقر يعني حالة، تأتي ببعض الأمثلة، لو في واحد في بجيبه ليرة واحدة، لكن له أب لو طلب منه الملايين لأعطاه إياها، وإنسان آخر في بجيبه مئة ليرة، لكن لا يملك إلا هذه المئة ليرة إطلاقاً، أيهما يشعر بالفقر صاحب الليرة، أم صاحب المئة ليرة؟ صاحب المئة ليرة هو الفقير، أما صاحب الليرة صحيح في جيبه ليرة واحدة، ولكن أبوه لو طلب منه الملايين لنقدها إياه، إذاً الغنى شعور داخلي، الغنى ليس موضوع عدد مقدار المبلغ، لا، الغنى شعور أنك عبد الله، وربك هو الغني، وهو يحبك وأنت في طاعته، نعطي مفهومات دقيقة، مفهوم الزهد، كلام الزهد كلام من دون أن ترى ما عند الله كلام فارغ، إذا قلت لك ازهد، يعني انظر ما عند الله انظر إلى الدار الآخرة، عندئذٍ تدع الدنيا، من عرف الله زهد فيما سواه، من عرف الآخرة زهد في الدنيا، من ذاق طعم القرب زهد بالطعوم الأخرى كلها.

المفهوم الثاني: الفقر شعور نفسي يعني أحياناً تكون أنت في مركز المدينة وليس معك مال إطلاقاً يعني لسبب أو لآخر، ونفسك عزيزة، يعن يكبر عليك تقف أمام صديق تقول له: والله أريد منك خمس ليرات أركب بهن في التوكسي أو السرفيس، كبرت نفسك، تحس بالحرمان، بيتك بطرف المدينة، ويحتاج أن تسير إليه ساعة أو أكثر مثلاً، في حالات نادرة يكون إنسان أعطاك دفعة كبيرة، لكن نسيتها، لم تيرمجها في ذهنك، بجيبك محفوظة، تخرج طول الطريق مشياً، وتشعر بالحرمان، وليس معك مال، ونفسك عزيزة، ولم تسأل من أحد وفي مال بجيبك، إذاً الفقر شعور داخلي، وليس شعور خارجي، شعور نفسي، أنت معك ألف أعطوك، أعطوك الألف، لم تدخلهم في برنامجك الذهني، متوهم ليس معك مال.

ولو فرضنا إنسان مثل أوضح من هذا، ارتدى معطف، أو ثيابه فيها مبلغ من المال، لكن هو غافل عنه، وهو يعلم ليس معه مبلغ من المال، يشعر بالحرمان والمبلغ بجيبه يعود للمثل، معك ليرة، ولك أب يعطيك ما شئت، معك ألف ليرة، ولا تملك غيرها، أيهما يحس بالفقر، صاحب الألف ليرة، لأنه لا يملك غيرها.

فالإنسان الغني البعيد عن الله عز وجل يعني دائماً في قلق، أما المؤمن الفقير يشعر أن الله عز وجل لا ينساه، هو في عين الله، في رعايته، له رب لا ينساه، هو سعى بكل طاقته، لذلك معنى الزهد، الزهد نتيجة حتمية لرؤية ما عند الله عز وجل، والفقر شعور، قد تجد أغنى الأغنياء يشعر بأنه فقير، وقد تجد فقيراً فعلاً يشعر بأنه غني،

## (( الغنى غنى النفس ))

[أخرجه ابن حبان عن أبو هريرة]

هكذا قال النبي:

## (( الغنى غنى النفس ))

والغنى والفقر بعد العرض على الله، إذاً:

## (( وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ))

يعني واحد عاش حياة، إحدى زوجاته طالبت بميراثها منه سبع مئة مليون، إحدى زوجاته بدعوى، طيب كم هو يملك من المال؟ مال لم يكن غنياً، جمع لغيره، أما الذي يغتنى بمعرفة الله عز وجل يغتنى بالعلم، يغتنى بأنه على منهج الله، يغتنى بمرضاة الله، يغتنى بأن الله يحبه، يغتنى بأن له في الآخرة نصيب، هذا هو الغنى:

## (( وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه ))

إذا الإنسان صلى، انظر إذا واحد لا سمح الله ولا قدر شعر بمرض، لكن مرض خطير يقربه من الدار الآخرة، كيف يصلي؟ يتقن صلاته، يغمض عينيه، يشعر أن له بقي صلوات لعل الله يرحمه، النبي الكريم علمنا أن نصلي صلاة مودع:

## (( وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه ))

يعني من هذين الحديثين يجب أن يتضح لدينا مفهومان، مفهوم الزهد، يجب أن تعلم أيها الأخ الكريم أن الزاهد هكذا، هو أشد الناس طموحاً، الزاهد هو أوسع الناس أفقاً الزاهد هو أكثر الناس تعلقاً بمصلحته الآجلة لا العاجلة، والزهد كلامٌ بكلام إن لم يكن نتيجةً طبيعيةً لرؤية ما عند الله عز وجل، رؤية عظمة الله عز وجل، رؤية فضل الله عز وجل رؤية إكرام الله عز وجل، رؤية ما ينتظر المؤمن من ثوابٍ كبير، رؤية ردية الآخرة ومحدودية الدنيا، هذا هو الزهد، والفقر شعور داخلي.

لذلك قالوا: إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك.

والآن ننتقل إلى التابعي الجليل الحسن البصري، الحسن البصري أقام بالبصرة هو الحسن ابن يسار، لكنه أقام بالبصرة، فعُرف بهذه المدينة التي أقام فيها، فسمي الحسن البصري، البصرة يوم كان فيها الحسن البصري كانت قلعة من أكبر قلاع العلم في دولة الإسلام، يعني السكنى بالمدن الكبيرة في تلوث، في ضجيج لكن في ميزة كبيرة جداً في حلقات علم، والإنسان يحيا بالعلم، يجوز في بيت بريف، في ضاحية جميلة، يكون هذا البيت أهدأ وأريح وأجمل، ولكن في فقر علمي، لذلك العلم في المدن الكبيرة دائماً، فكانت البصرة وقتها قلعة من أكبر قلاع العلم في دولة الإسلام، وكان مسجدها العظيم يموج بمن ارتحل إليها من كبار الصحابة، وجلة التابعين، وكانت حلقات العلم على اختلاف ألوانها تعمر باحات المسجد ومصلاه، وقد لزم الحسن البصري المسجد، وانقطع إلى حلقة عبد الله ابن عباس حبر أمة محمد ﷺ، وأخذ عنه التفسير، والحديث، والقراءة، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

### (( اللهم علمه التأويل ))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]

كما أخذ عنه وعن غيره الفقه، واللغة، والأدب، وغيرها وغيرها، حتى غدا عالماً جامعاً، فقيهاً، ثقةً.

أنت لا بد من أن تملأ وعائك قبل أن تفيض على الناس، في الحقيقة ثانية، أن لك أن توجه الناس؟ أن لك أن تعلمهم؟ أن لك أن تفقههم إن لم تكن فقيهاً، فاقد الشيء لا يعطيه أنت وعاء، لن يفيض هذا الوعاء إلا إذا امتلأ، إذا امتلأ يفيض، لم يمتلأ لا يفيض، إذا بقي الوعاء فارغاً تتكلم بجهل، لذلك طريق الدعوة إلى الله يحتاج إلى طلب العلم أولاً.

فهذا الحسن البصري لزم حلقة عبد الله ابن عباس، حبر هذه الأمة، والذي دعا له النبي عليه الصلاة والسلام بتعلم التأويل، حتى غدا الحسن البصري عالماً، جامعاً، فقيهاً، ثقةً فأقبل الناس عليه ينهلون من علمه الغزير، والتفوا حوله التفوا إلى مواعظه التي تستلين القلوب القاسية، وتستدر الدموع العاصية، ويعون حكمته التي تخب الألباب، ويتأسون بسيرته التي كانت من أطيب السير، لقد انتشر أمر الحسن البصري في البلاد، وفشا ذكره بين العباد حتى أن الخلفاء والأمراء تساءلوا عنه، وتسقطوا أخباره، حدث خالد ابن صفوان قال: لقيت مسلمة ابن عبد الملك في الحيرة، فقال لي: أخبرني يا خالد عن حسن البصرة؟ فإني أظن أنك تعرف من أمره ما لا يعرف سواك في مجلسه، وأعلم أهل البصرة به، فقال: هات ما عندك قلت: أنه امرؤ سريرته كعلائيته.

يا الله! أروع ما في المؤمن أن سره كعلانيته ازدواجية لا يوجد عنده، موقف معلن، موقف مبطن، أعمال يفعلها في خلوته، أفعال يفعلها أمام الناس، فلافة في المسجد وقرات في البيت، مواقف يبدو فيها ورعاً أمام الناس، وفيما بينه وبين نفسه ليس فيه جنس الورع، هذه الازدواجية أخطر ما في الحياة، هذا هو النفاق، هذا الذي يفتت إيمان المؤمن.

أول صفة أنه امرؤٌ سريرته كعلانيته، وقوله كفعله، لا يوجد عنده كلام للاستهلاك بمواقف خاصة فيه، الذي قضى على الدعوة الإسلامية، هذه الازدواجية، هذه الازدواجية شككت الناس بمصداقية الداعين إلى الله، هذه المصداقية، هذه المساكب بين التطبيق وبين القول، بين السريرة والعلانية، بين القول والفعل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

[ سورة الصف ]

إذا أمر بمعروفٍ كان أعمل الناس به، وإذا نهى عن منكرٍ كان أترك الناس له ولقد رأيته مستغنياً عن الناس زاهداً فيما في أيديهم، ورأيت الناس محتاجين إليه، طالبين ما عنده، فقال مسلمة: حسبك حسبك يا خالد، كيف يضل قومٌ فيهم مثل هذا؟.

أذكر أنه مرة سئل الحسن البصري قال: يا إمام كيف نلت هذا المقام العظيم؟ مقام العلماء يفوق مقام أي جهة أخرى، يفوق مقام الأمراء أحياناً، قالوا: يا إمام كيف نلت هذا المقام؟ قال: باستغنائني عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي، أنا مستغني عن دنياهم وهم محتاجون إلى علمي، أما إذا كان بالعكس، هم زاهدون في علم العالم، وهو محتاجٌ لدنياهم، انتهى العالم، بالوحد أصبح، إذا احتاج إلى دنيا الناس، وزهدوا في علمه أصبح في الوحد، يجب أن يحتاج الناس إلى علمه، وأن يزهد في دنياهم، هذا الموقف الكريم.

لما ولي الحجاج ابن يوسف الثقفي العراق، وطغى في ولايته وتجبر، والحجاج تعلمون من الحجاج قال: إني لأرى رؤوساً قد أينعت، استوت وحن قظافها، وإني لصاحبها وإني أرى العمائم بين الدماء، في الدماء، والله له خطب شهيرة جداً، من أقسى الولاة، يعني قتل الإنسان أهون عليه من قتل ذبابة، لما ولي الحجاج أمر العراق، وطغى وتجبر، وكان الحسن البصري أحد الرجال القلائل الذين تصدوا له، وتكلموا أمامه بكلمة الحق، هذا شيء كبير جداً، فمرة وقف خطيباً في الناس وبين لهم الأخطاء التي يفعلها الحجاج، والتي تخالف سنة رسول الله ﷺ، في أثناء حديثه أشفق عليه الناس، حتى مال عليه أحد السامعين فقال له: حسبك يا أبا سعيد، حسبك، ماذا

قال أبو سعيد الحسن البصري؟ قال: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم:

### ﴿ تُبَيِّنُهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

[ سورة آل عمران الآية: 187 ]

في اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه، وهو يتميز من الغيظ، وقال لجلاسه تباً لكم وسحقاً، يقوم عبداً من عبيد البصرة، ويقول فينا ما شاء أن يقول، ثم لا يجد فيكم من يرده أو ينكر عليه! والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء، ثم أمر بالسيف، والنطع، النطع يعني باللغة الدارجة مشمع، إذا كانوا قطعوا رأس الإنسان حتى الدم لا يلوث الفرش الوثيرة، هذا مشمع كبير يقف عليه من يقطع رأسه، فالدم ينزل على هذا الخوان، هذا النطع اسمه، ثم أمر بالسيف والنطع فأحضر، ودعا بالجلاد، فمثل واقفاً بين يديه، ثم وجه إلى الحسن بعض شُرطه، هاتوه، وأمرهم أن يأتوه به، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن، فشخصت نحوه الأبصار فوجفت عليه القلوب، قلما رأى الحسن السيف، والنطع، والجلاد، حرك شفتيه، لكن لم يفهم عليه أحد مما قال، ثم أقبل على الحجاج، وعليه جلال المؤمن، وعزة المسلم، ووقار الداعية إلى الله، فلما رآه الحجاج على حاله هذه، هابه أشد الهيبة، وقال له: ها هنا يا أبا سعيد، اجلس ها هنا، ثم ما زال يوسع له، ويقول: ها هنا والناس مشدوهون، ينظرون إليه في دهشة، واستغراب حتى أجلسه على فراشه، مكانه جلس، ولما أخذ الحسن مجلسه، التفت إليه الحجاج، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسن يجيبه عن كل مسألة بجانٍ ثابتٍ، وبيانٍ ساحرٍ، وعلمٍ واسعٍ، قال له الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد، ثم دعا بغالية من أفخر أنواع الطيب، وطيب له بها لحيته، وودعه، ولما خرج الحسن من عنده، تبعه حاجب الحجاج هذا الحاجب سيجن، وجد السيف، والنطع، والجلاد، كل جاهز للقتل فلما دخل ماذا حدث للحجاج؟ تبعه، قال: يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج لغير ما فعل بك، دعاك ليقتلك، لكن فعل معك أن أكرمك، وإنني رأيتك عندما أقبلت، ورأيت السيف والنطع قد حركت شفتيك، فماذا قلت؟ ماذا حصل؟ فقال الحسن: لقد قلت: يا ولي نعمتي، يعني يا ربي، وملاذي عند كربتي اجعل نعمته برداً وسلاماً علي، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، هذا الدعاء الأمر بيد الله عز وجل، الدعاء سلاح المؤمن:

## ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

[ سورة الطور الآية: 48 ]

الله عز وجل لا يتخلى عن المؤمن، لا يسلمه لخصمه، يدافع عنه، أنت وليه.

ولقد كثرت مواقف الحسن البصري هذه مع الولاة والأمراء، فكان يخرج من كلٍ منها عظيماً في أعين ذوي السلطان، عزيزاً بالله، محفوظاً بحفظه.

له موقف ثاني جميل، لما انتقل الخليفة الزاهد عمر ابن عبد العزيز إلى جوار ربه، وآلت الخلافة على يزيد ابن عبد الملك، ولّى على العراق عمر ابن هبيرة الفزاري، ثم زاده بسطةً في السلطان، فأضاف إليه خراسان، وسار يزيد في الناس سيرةً غير سيرة سلفه العظيم، فكان يرسل إلى عمر ابن هبيرة بالكتاب كل الكتاب، ويأمره بإنفاذ ما فيها، ولو كان مجافياً للحق أحياناً، يعني في توجيهات غير صحيحة وغير شرعية، ولا ترضي الله عز وجل، فدعا عمر ابن هبيرة، وهذا الوالي على العراق وخراسان، يأتيه كتاب من يزيد، اعمل كذا، اقتل كذا، توجيهات غير معقولة فيها ظلم، فيها مخالفة للشرع، ماذا يفعل؟ بساعة من ساعات ضيقه دعا الحسن البصري، وعامر ابن شريحيل، وقال لهما قال: إن أمير المؤمنين يزيد ابن عبد الملك قد استخلفه الله على عبادته، وأوجب طاعته على الناس، وقد ولاني ما ترون من أمر العراق، ثم زادني فولاني فارس، وهو يرسل إليّ أحياناً كتباً يأمرني فيها بإنفاذ ما لا أطمئن إلى عدالته، فهل تجدان لي في متابعتي إياه، وإنفاذ أوامره مخرجاً لي في الدين عندكم فتوة يعني، أنا آثم عند ربي؟ أنا عبد مأمور يا أخي، هكذا يقول المثل، أنا عبد مأمور أنا آثم؟ لا أنا ليس لي علاقة، هكذا تقول الأوامر، الشعبي يقولوا: أجاب جواباً فيه ملاطفة للخليفة، ومسايرة للوالي، كلام ليس فيه مواقف حازمة، والحسن صامت، والتقت عمر ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ يعني أجبني، أنا آثم، عليّ ذنب؟ فقال: يا ابن هبيرة، اسمعوا ماذا قال الحسن لعمر ابن أبي هبيرة، يا ابن هبيرة: خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، وأعلم أن الله جل وعز يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله، يا ابن هبيرة: إنه يوشك أن ينزل بك ملكٌ غليظٌ، شديدٌ، لا يعصي الله ما أمره، فيزيلك عن سريرك هذا، وينقلك من سعة قصرِكَ إلى ضيق قبرِكَ، حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عمك الذي خالفت فيه رب يزيد، كلام دقيق جداً، يا ابن هبيرة: إنك إن تك مع الله تعالى وفي طاعته، يكفك بائقة يزيد ابن عبد الملك في الدنيا والآخرة، وإن تك مع يزيد في معصية الله تعالى، فإن الله يكلك إلى يزيد، واعلم يا ابن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوقٍ كائناً من كان في معصية الخالق عز

وجل، فبكى عمر ابن هبيرة، حتى بللت دموعه لحيته، ومال عن الشعبي إلى الحسن، وبالغ في إعظامه وإكرامه، فلما خرجا من عنده توجهوا إلى المسجد، فاجتمع عليهما الناس، وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع أمير العراقين، فالتفت الشعبي فقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه في كل مقامٍ فليفعل، هو الذي نفسي بيده، ما قال الحسن لعمر ابن هبيرة قولاً أجعله، ولكنني أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة وأراد الحسن فيما قاله وجه الله، أيام تحكي تريد عبد الله، وإنسان يريد الله عز وجل، أيام تتكلم كلاماً تبتغي به وجه الله، وأحياناً تتكلم كلاماً تبتغي به وجه عبد الله، قال: فأقصاني الله من ابن هبيرة، وأدناه منه، وحببه إليه، لهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(( كلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً ))

عاش الحسن البصري ثمانين عاماً، ملأ الدنيا خلالها علماً، وحكمةً، وفقهاً، وكان من أجل ما ورثه للأجيال رفاقته التي ظلت على الأيام ربيعاً للقلوب، له كلمات رائعة.

واحد سأله عن الدنيا والآخرة، اسمعوا ماذا قال، قال: إن مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب، متى ازدادت من أحدهما قريباً، ازدادت من الآخر بعداً، الدنيا بالشرق والآخرة بالغرب، مشيت نحو الشرق، بعدت عن الغرب، ماذا قال النبي؟

(( من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه ))

[أخرجه الطبراني، والبخاري، والإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم عن أبو موسى الأشعري]

فالدنيا والآخرة كالشرق والغرب، كلما اقتربت من أحدهما أزدت بعداً عن الآخر فقال له هذا السائل: صف لي هذه الدار، يعني الدنيا، فقال: ماذا أصف لك من دارٍ أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن وصفٌ بليغ، أولها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن من افتقر فيها حزن، الغني مفتون، والفقير حزين، وأولها عناء، وآخرها فناء، وحلالها حساب وحرامها عقاب، هذه الدنيا.

ويحنا ماذا فعلنا بأنفسنا؟ لقد أهزلنا ديننا، وثمنَ ديننا، أخلقنا أخلاقنا وجددنا فرشنا وثيابنا، يتكأ أحدنا على شماله، ويأكل من مال غيره، طعامه غصبٌ، وخدمته سخرةٌ بالقهر يعني، يدعو بخلوً بعد حامض، وبحارٍ بعد بارد، وبرطبٍ بعد يابس، ألوان النعيم ساعة عصير، ساعة فواكه، ساعة حلويات، ساعة حلوٍ بعد حامض، حارٍ بعد بارد، رطبٍ بعد يابس، طعامه غصبٌ، خدمته سخرةٌ، حتى إذا أخذته القبضة تجشأ من البشم من التخمّة، ثم قال: يا غلامِ هاتِ هاضوماً، نريد شيئاً كازوز يعني، هاتِ هاضوماً يهضم الطعام، قال يا أحمق، والله لن تهضم إلا دينك، أين جارك المحتاج؟ أين يتيم قومك الجائع؟ أين مسكينك الذي ينظر إليك؟ أين ما وراك به الله عز وجل؟ ليتك تعلم أنك عدد، أنت عدد، وأنه كلما غابت عنك شمس يومٍ نقص شيءٌ من عددك، ومضى بعضك معه، أنت عدد، كلما غربت شمس يومٍ نقص منك شيءٌ .

توفي هذا التابعي الجليل يوم الجمعة، ولبي نداء ربه، فلما أصبح الناس وشاع فيهم نعيه، ارتجت البصرة لموته رجاً، فغسل وكفن وصليّ عليه بعد الجمعة، في الجامع الذي قضى في رحابه جلّ حياته، عالماً ومعلماً، وداعياً إلى الله، ثم تبع الناس جميعاً جنازته، قال العلماء: فلم تقم صلاة العصر ذلك اليوم، لأول مرة في تاريخ بناء هذا المسجد لم تقم فيه الصلاة، لأنه لم يكن فيه واحدٌ إلا وتبع الجنازة، لم يبق أحد، ولا يُعلم أن الصلاة عطلت في جامع البصرة منذ ابتيّ، إلا في ذلك اليوم، يوم انتقال الحسن البصري إلى جوار ربه، هذه بطولة، قالوا في ذلك:

### ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[ سورة المطففين ]

### ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

[ سورة الصافات ]

إنسان دخل وخرج، دخل للدنيا فقير، وسيخرج منها فقيراً، لكن إنسان دخل للدنيا وعرف الله، فترك آثار طيبة، ترك آثار، ترك علم، ترك مؤمنين طيبين، ترك أناس مهتدين إلى الله عز وجل، ترك أعمال خيرة، ترك آثار في القلوب، هذا هو العلم، لذلك أعلى عطاء تناله من الله أن تكون عالماً، والعطاء الذي لا قيمة له أن تكون صاحب أموالٍ طائلة، لأنها إذا استخدمتها في طاعة الله فهذا شيءٌ عظيم، أما إذا اكتفيت بجمع المال من دون أن تتفقه

في طاعة الله عز وجل، فهذا شيء فاني، ينتهي مع الدنيا، يعني أنا أردت من هذه القصة أن تكون تجسيدا لهذا الحديث الشريف:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)).

هذا ملخص الحديث، والحسن البصري رضي الله عنه، مرة قيل له: يا إمام إن السماء لا تمطر، جاءه رجل قال له: السماء لا تمطر، قال: استغفر الله، جاءه شخص قال له: إن زوجتي لا تتجب، فقال: استغفر الله، جاءه شخص ثالث، شكا له، قال له: استغفر الله ففي واحد استغرب، قال له: أوكلما جاءك إنسان تقول له: استغفر الله، قال له: ألم تسمع قوله تعالى:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾

[ سورة نوح ]

نسمع كنا كل صيفية خمسة ستة غرقوا في نهر بردى بالهامة، لم يغرق أحد هذه السنة، ولا واحد غرق في النهر، لأنه لا يوجد ماء يغرق فيها:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا \* مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

[ سورة نوح ]

يعني أنا أخص لكم الموضوع كله بكلمتين، هان الله على الناي فهانوا على الله يعني معصيته كطاعته، وأمره كنهيه، يقول لك: لا تدقق، اتركها لربك، لا أحد يطبق أحد أمر الله عز وجل، الأنهار جافة، الينابيع جافة، الأشجار مهددة باليباس، يعني أقول لكم مرة ثانية: كلام دقيق، تقنين العبد تقنين عجز، لكن تقنين الرب تقنين تأديب، ليس عجز، يعني بنفس الوقت تجد فيضانات بمحلات ثانية، فيضانات، وسيول، وكوارث من جراء كثرة المياه معناها موضوع مدرّوس، موضوع تأديب ليس موضوع عجز، والدليل:

## ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾

[ سورة الحجر الآية: 21 ]

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وأرضى عنا، أغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجملنا بالعافية، وطهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (022 - 127) : قل آمنت بالله ثم استقم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-10-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: في كتاب رياض الصالحين عقد الإمام النووي رحمه الله تعالى في الباب الثامن باب الاستقامة، عقد فصلاً ضمنه بعض الأحاديث في مقدمة هذه الأحاديث، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ:

((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))

[ مسلم، أحمد ]

نصيحة جامعة مانعة، حقيقة أساسية، الإسلام كله ضغطه النبي ﷺ في كلمتين، الإسلام كله:

((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))

الإسلام عقيدة وسلوك، إن صحت العقيدة صح السلوك، وإن فسدت فسد السلوك، وإن اختلفت اختل السلوك، أي عقيدة مغلوبة تعتقدها لا بد - ودققوا في كلمة لا بد - لا بد من أن تظهر على سلوكك انحرافاً، فالنبي ﷺ يقول:

((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))

السؤال: ما السر الذي جعل الإسلام ينتشر في الآفاق، وراية المسلمين رفرفت في أقاصي الصين، وفي تخوم أوربة إلى فيينا، إلى مشارف باريس، إلى شمال إفريقيا، ما هذا السبب، لماذا انتشر الإسلام، لماذا أصبح رعاة الغنم قادة للأمم، رعاة الغنم أصبحوا قادة للأمم؟ لأنهم فهموا الإسلام كلمتين لا كلمة واحدة، فهموا الإسلام إيماناً

**((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))**

لذلك لا أستطيع أن أرى شيئاً أَدعى إلى انتشار الإسلام وتركيز دعائمه وترسيخ مفاهيمه وتعزيز قيمه وتمكينه في النفوس كأن نرى مثلاً أعلى، دعنا من أن تقول: قال زيد، أو قال عبيد، موقف صادق أفضل من ألف محاضرة في الصدق، موقف فيه ورع أفضل من ألف محاضرة في الورع، ما الذي جعل الأجداد الأسلاف رحمهم الله تعالى يتفوقون؟ لأنهم طبقوا هذا الحديث، الإسلام قول وعمل، عقيدة وسلوك، إيمان واستقامة.

يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ:

**((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))**

هل آمنت بالله الإيمان الذي أراده الله؟ نحن دائماً عندنا - كما قلت لكم من قبل - مثل دقيق، ميزان، إذا شبهنا الشهوات التي أودعها الله في الإنسان بوزن خمسة كيلو وضعت في كفة، الآن القناعات، الإيمان، التصورات، اليقينيات، الثوابت التي تمتلكها لن تقف في وجه هذه الشهوات إلا إذا كانت بوزنها وزيادة، أما اعتقاد بسيط، إدراك ضبابي، سماع كلمة من دون تحقق، هذا لا يستطيع أن يقف في وجه الشهوات، إذا أنت بحاجة إلى قناعات، فالطبيب مثلاً لماذا ترونه يبالغ في تنظيف الخضراوات؟ لأنه من الصباح وحتى المساء يرى مرضى، هذا معه زحار، هذا معه كوليرا، كل هذه الأمراض بسبب التلوث، أو بسبب العدوى، أو بسبب الفاكهة غير المغسولة، أو الخضراوات غير المغسولة، تشكلت عند هذا الطبيب قناعات ثابتة حملته على أن يبالغ في تنظيف الخضار والفاكهة، الإنسان لا يتحرك إلا إذا كانت عنده قناعات كافية، أعطيك مقياساً دقيقاً، إذا تحركت القناعة كافية، فإذا قلت: أنا اقتنعت، ولم تتحرك القناعة غير كافية، وإذا تطببت عند طبيب، ووصف لك وصفة وأنت أعطيته أجرته، وبالغت في الثناء عليه، وأشدت بعلمه، وأثنت على حكمته، وامتدحت شهادته، وبينت عمق علمه، لمجرد أنك لم تشتر هذه الوصفة فأنت مكذب لعلمه، كل هذا الكلام فارغ، فعدم شرائك الوصفة أقوى دليل على عدم إيمانك بعلم هذا الطبيب، أما لو أردت أن تثني عليه، وأن تملأ الوقت ثناءً عليه، فهذا كلام فارغ، لذلك نحن مشكلتنا مشكلة عمل.

النبي ﷺ قال:

((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))

الحقيقة الحديث خطير وموجز، لكنني أردت أن أجسد هذا الحديث بقصة لفقير جليل اسمه على كل فم، هو علم من أعلام الفقه، الفقهاء كلهم عالية عليه، إنه الإمام أبو حنيفة النعمان، الآن ترون معي من خلال قصته أن أبا حنيفة النعمان ما رفعه الله عز وجل لأنه كان ذكياً، ولأنه كان حافظاً، ولأنه كان مستتبطاً، بل لأنه كان ورعاً، ولأنه كان مطبقاً لما يعلم، ولأنه كان قدوةً، ولأنه كان مثلاً.

أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى من أعلام الفقهاء، فلو وقفنا وقفةً قصيرة عند الإطار الخارجي له كان هذا الفقيه الكبير حسن الوجه، وسيم الطلعة، عذب المنطق، حلو الحديث، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير التي تنبو عنه العيون، وهو إلى ذلك لباس أنيق الثياب.

من قال لك: إن المسلم مظهره غير مقبول، زاهد؟ من قال لك هذا الكلام؟ أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتين من قبلك، أنت سفير هذا الدين، كيف يرتدي السفير ثيابه إذا كان مدعوًا إلى حفل في أعلى درجة؟ لأنه يمثل أمةً، يمثل دولةً، يمثل شعباً، والمسلم سفير دينه، قال عليه الصلاة والسلام:

((أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك))

إياك أن تسمح للعدو أن يهاجم الإسلام من خلالك، إياك أن تكذب، إياك أن تخون العهد، إياك أن تهمل عملك، إياك أن تخلف وعدك، إياك أن تبدو بمظهر غير مقبول، فكان هذا الفقيه العظيم ذا لباس أنيق، بهي الطلعة، كثير التعطر، إذا طلع على الناس عرفوه من طيبه قبل أن يروه، كان مطبقاً لسنة النبي ﷺ، عَنْ قَيْسِ بْنِ بَشِيرٍ النَّخْلِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي وَكَانَ جَلِيسًا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ:

((فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا النَّفْحُشَ  
قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ هِشَامٍ قَالَ حَتَّى تَكُونُوا كَالشَّامَةِ فِي النَّاسِ))

[ أبو داود، احمد ]

وكان عليه الصلاة والسلام يعرف بريح المسك.

هذا الإمام العظيم أول من فتق أكمام الفقه، واستخرج أروع ما فيها من طيوب، دعاه المنصور ذات مرة إلى زيارته، المنصور من أقوى خلفاء بني العباس، وكان من أكثرهم شحاً، لم يكن كريماً، وربما كانت هذه الصفة مدحاً لا ذمّاً، صن بأموال الأمة عن أن ينفقها هكذا وهكذا، فلما صار عنده بالغ في إعظامه وإكرامه والترحيب به، وأدنى مجلسه منه، وجعل يسأله عن كثير من شؤون الدين والدنيا، فلما أراد الانصراف دفع إليه بكيس فيه ثلاثون ألف درهم، على ما كان معروفاً من إمساك المنصور، مع أنه كان ممسكاً، كلمة ممسك لطيفة، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين، إنني غريب في بغداد، وليس لهذا المال موضع عندي، وإنني لأخشى عليه السرقة، فاحفظه لي عندك في بيت المال، حتى إذا احتجته طلبته منك.

كلام منطقي لطيف، ما عندي مكان، وأخشى أن يسرق، فدعه عندك، أحياناً يطيع الإنسان الله عز وجل بلطف، وإنسان يطيع الله عز وجل بموقف عنيف، موقف فيه فظاظة، أبو حنيفة النعمان كان حكيماً، فهذا المال ما قبله، ولكن ما رده بعنف، ولا بفظاظة، أخاف عليه السرقة فاحفظه لي عندك في بيت المال، حتى إذا احتجته طلبته منك، فأجابه المنصور على رغبته، غير أن الحياة لم تطل بعدئذ بأبي حنيفة، فلما وافاه الأجل وجد في بيته ودائع للناس تزيد على أضعاف هذا المبلغ، فلما سمع المنصور بذلك قال: يرحم الله أبا حنيفة فقد خدعنا، وأبى أن يأخذ منا شيئاً.

هذه القصة لها معنى، أنت إذا تعففت عن مال، أو أردت أن تقيم الحق، أو أردت أن تأمر بالمعروف، أو أردت أن تنهى عن المنكر، هل ينبغي أن تكون قاسياً؟ هل ينبغي أن تكون فظاً؟ هل ينبغي أن تكون معنفاً؟ لا، المسلم رقيق لطيف، ظله خفيف فلا داعي، هذا المال لا أقبله، هذا مال حرام، لست حكيماً، يمكن أن ترفض هذا المال من دون أن تكون عنيفاً، ومن دون أن تكون قاسياً، ومن دون أن تكون فظاً.

قال إنسان لأحد الخلفاء: إنني سأعظك بغلظة إنسان فقال له هذا الخليفة: ولم الغلظة يا أخي؟ لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون، فقال له:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَبَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾

[ سورة طه: الآية 44 ]

هل هناك رجل أقسى من فرعون ؟ وهو الذي قال:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

[ سورة النازعات: الآية 24 ]

ومع ذلك:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَبَا﴾

[ سورة طه: الآية 44 ]

دع العنف، دع القسوة، كن لطيفاً، كن خفيف الظل، كن ذكياً في رفضك، فهذا موقف ينمّ على ذكاء عال، قال: يرحم الله أبا حنيفة، فقد خدعنا، وأبى أن يأخذ منا شيئاً، لماذا فعل هذا أبو حنيفة ؟ لأنه كان يوقن أنه ما أكل امرؤ أركى ولا أعز من لقمة ينالها من كسب يده.

لذلك أبو حنيفة النعمان الفقيه الأول الذي يعد كل الفقهاء عالة عليه، أبو حنيفة النعمان الذي فتق أكمّام الفقه، والذي ترك لنا تراثاً بالفقه لا يعلم قيمته إلا الله، كان مع ذلك كان له عمل، كان تاجراً، لذلك خصص شطراً من وقته للتجارة، فقد جعل يتجر بالخز وأثوابه، وكانت تجارته ذاهبةً آيبةً بين مدن العراق، وكان له متجر معروف يقصده الناس، فيجدون فيه الصدق في المعاملة، والأمانة في الأخذ والعطاء، ولا ريب أنهم كانوا يجدون فيه الذوق الرفيع أيضاً، فإذا كنت مؤمناً فلا تعتقد أنه يجب أن يكون ذوقك متخلفاً، ومظهرك غير مقبول، ودكانك فوضوية، أنا زاهد، من قال لك ذلك ؟ كن منظماً، ترى غير المؤمن منظماً، المؤمن يضع في جيبه، أيدها أيد، اتركها لسيدك، ليس هذا هو الإيمان، الإيمان هو انضباط، انضباط في الحسابات، تنظيم في المحل، نظافة في المظهر.

فكان أبو حنيفة النعمان، رضي الله عنه - هذه دعائية - يجد الناس في محله الذوق الرفيع أيضاً، وكانت تجارته تدر عليه خيراً وقيراً، فكان يأخذ المال من حله، ويضعه في محله، اسمع هذه الكلمة ما أطفها، هذا جناس

ناقص، فكان يأخذ المال من حله، ويضعه في محله، تسعة أشرطة المعصية في كسب المال وإنفاقها، المال تسعة أقسام، تسعة أشرطة، تسعة أعشار المعصية من كسب المال، وإنفاق المال، لذلك أبو حنيفة النعمان كان يأخذ المال من حله، ويضعه في محله.

عرف أنه كلما حال عليه الحول أحصى أرباحه من تجارته، واستبقى منها ما يكفيه لنفقته، والباقي يشتري حوائج القراء، والمحدثين، والفقهاء، وطلاب العلم، وأقواتهم، وكسوتهم، هذا تاريخ أبي حنيفة النعمان، يستبقى من أرباحه حاجته، مصروفه السنوي، والباقي حسب قناعته أن هذا الذي يطلب العلم هذا سوف يدعو إلى الله، فإذا وفرنا له حاجته فقد فعلنا شيئاً عظيماً.

فإذا دفع أمواله لهؤلاء طلاب العلم، للقراء، للمحدثين، للفقهاء، لطلبة العلم، كان يقول: هذه أرباح بضائعكم، أجزاها الله لكم على يدي، انظر إلى التواضع، هذا قول أبي حنيفة النعمان، فإذا أردت أن تعطي مالا أئبغني أن تجرح هذا الإنسان؟ خذ هذه من زكاة مالي، أهكذا المسلم؟ لي فضل عليك، أذهبت فضلك كله، إذا أعطى طلاب العلم، قراء القرآن، المحدثين، الفقهاء، ما كان يعطي سيدنا أبو حنيفة ما عليه من زكاة فقط، لأن النبي ﷺ يقول: ((في المال حق سوى الزكاة))، من أين استنبط النبي هذا القول؟ هذا حكم في قوله تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

[سورة البقرة: الآية 177]

معنى إنفاق المال الأول غير إنفاق الثاني، إذا في المال حق سوى الزكاة، وكان يقول لهم أيضاً: والله ما أعطيتكم من مالي شيئاً، وإنما هو فضل الله علي فيكم، فما في رزق الله حول لأحد غير الله، هذه قاعدة أساسية، الإنسان يرزقه الله لا بذكائه، ولا بخبرته، ولا بسعيه، ولا بعلمه، ولكن بتوفيق الله، لذلك هذه الآية الكريمة التي أجمع علماء التفسير على أنها من الآيات الجامعة المانعة:

## ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[ سورة هود: الآية 88 ]

أي لن يتحقق عمل على وجه الأرض إلا بتوفيق الله، فمن ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى.

جاءه يوماً رجل قال له: يا أبا حنيفة، إنني بحاجة إلى ثوب خز، قال له أبا حنيفة: ما لونه؟ قال: كذا وكذا، قال: اصبر حتى يقع لي فأخذه لك، فما إن دارت الجمعة حتى وقع له الثوب المطلوب، فمر به صاحبه، فقال له أبو حنيفة: قد وقعت لي حاجتك، وأخرج إليه الثوب، فأعجبه، وقال: كم أَدفع لِعَلامك ثمنه؟ قال: درهماً، قال الرجل باستغراب: درهماً واحداً! قال: نعم، قال: ما كنت أظن أنك تهزأ بي يا أبا حنيفة، قال: والله ما هزئت بك، وإنما اشتريت هذا الثوب وآخر معه بعشرين ديناراً ذهبياً ودرهماً من فضة، وقد بعت أحد الثوبين بعشرين ديناراً ذهباً، وبقي علي هذا بدرهم واحد، وما كنت لأربح على جليس.

إذا كان من كرامة المؤمن أن تراعيه، أنا لا أريدك ألا تريح عليه، فإذا زارك أخوك في القرابة، في أخوة بالله اربح، ولا تستغل أنه جاءك إلى هذا المكان، ومنحك ثقته المطلقة، ولم يسأل عن السعر، ولم يدقق، ولم يحقق، ولم يفتش، فأنت حينما شعرت أن هذا الإنسان لن يحاسبك رفعت له السعر حتى بعت هذه البضاعة بأعلى من ثمنها، ليس هذا من المروءة أبداً، هذا الذي جاء مستسماً، واثقاً، مانحاً إياك ثقته، ينبغي ألا ترفع عليه السعر، وهذه نقطة مهمة جداً.

الحقيقة عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أُسَيْدٍ الْخَضْرَمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ))

[ أبو داود ]

أحياناً يأتيك إنسان ليشتري حاجة، وهو خبير، كل شيء تقوله له لا يقبله، يقول لك: أعطني هذه القطعة من هذه الماركة، مهما تكلمت فكلامك غير مقبول عنده، هذا الشخص خبير، أحياناً يأتيك شخص جاهل بالبضاعة، يقول لك: أنا لا أعرف، رجاءً انصحي، يأتي البائع المسلم الذي أذن الظهر فأسرع إلى الجامع هذه فرصة، عنده شيء كاسد، وشيء رائج، الكاسد ينصح به، هذا اللون، هذه القطعة، هذه الماركة، هل تظن أن هذه قضية سهلة

عند الله عز وجل ؟ ماذا فعلنا يا أخي ؟ بعنا واشترينا، الله قال :

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾

هل تدري أن هذا الذي قال لك : أنا لا أعرف، فانصحي.

(( كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ ))

والله الدين بالمعاملة، الدين بالمحاكاة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل: هل جاورته ؟ قال: لا، هل سافرت معه ؟ قال: لا، هل حاككته بالدرهم والدينار ؟ قال: لا، قال: أنت لا تعرفه.

ذات يوم جاءت امرأة عجوز تطلب ثوب خز، هذا أبو حنيفة النعمان، الذين يقولون عنه: لو أراد أن يقنعك أن هذا التراب ذهب لأقنعك بهذا، معه حجة قوية، جاءت امرأة عجوز تطلب ثوب خز، فأخرج لها الثوب المطلوب، فقالت له: إنني امرأة عجوز، ولا علم لي بالأثمان، وإنها الأمانة يا أبا حنيفة، فبعتني الثوب بما قام عليك برأسماله، وأصف إليه ربحاً قليلاً، فإنني ضعيفة، فقال لها: إنني اشتريت ثوبين اثنين في صفقة واحدة، ثم إنني بعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم، فخذيه بها، ولا أريد منك ربحاً.

كنا مرة في الحج قبل عامين أو ثلاثة، سمعت أن امرأة في المدينة دخلت على بائع أقمشة واشترت قطعة، قالت له: راعنا، قال له: تكرمين، قالت له: لأجل رسول الله راعنا، لف القطعة بورق جيد، وقدمها لها هدية لما رجته برسول الله، وهو عند رسول الله.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى سَهْلًا إِذَا اقْتَضَى ))

[ البخاري، ابن ماجه، الترمذي ]

التاجر رحيم، أحياناً امرأة ضعيفة عاجزة، أحياناً شخص يقول لك: أريد بربع ليرة شاي، هناك شخص لا يتحمل، ويعدها إهانة له، فيقول: ما عندنا، قصة قديمة منذ عشرين سنة، قال عامل لبائع: أعطني بفرنك جبنة، أعطاه قطعة، قال له: ضع لي من هذه.

هناك إنسان يكون جبار الخواطر، الحقيقة يمكن أن يكون بيعك وشراؤك طريقاً إلى الله، رحمتك، لطفك، تواضعك، حسن تخلصك، عدم قسوتك.

رأى ذات يوم ثياباً رثةً على أحد جلسائه، فلما انصرف الناس، ما قال له أمام الناس، هناك نصيحة، وهناك فضيحة، النصيحة دائماً بينك وبين فلان، والفضيحة على ملاء، أنا أنصح، لا، هذه ليست نصيحة، هذه فضيحة، هذا تشهير، إذا كنت صادقاً في نصيحتك فينبغي أن تتصحه على انفراد.

فلما انصرف الناس قال له: ارفع هذا المصلى، وخذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى، فإذا تحته ألف درهم، قال له أبو حنيفة النعمان: خذها، وأصلح بها شأنك، البس، فقال الرجل: إني موسر، أنا غني، وقد أنعم الله علي، ولا حاجة لي، فقال له أبو حنيفة النعمان: إذا كان الله قد أنعم عليك فأين آثار نعمته؟ أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

**((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))**

دائماً يشكو، والواقع ليس كذلك، لكن الشكوى صارت طبع هذا الإنسان، يقول: من تمارض مرض، من ادعى المرض ادعاء، المرض كفر بنعمة الصحة، جزاء هذا الكفر أنه يمرض فعلاً، إذا كان الواحد صحيح الجسم فلا يمارض، إذا كان الله عز وجل ميسراً له التجارة قفلاً يقل: السوق مسمومة، لا بيع ولا شراء، هذه السنة خسرت خمسمئة ألف، هل علمت ما قصد كلامه؟ نقص ربحه خمسمئة ألف، فاعتبرها خسارة، وهي نقص من ربحه فقط، الحمد لله، لك بيت، وعندك زوجة، وأولاد، أكل، شارب، نائم، مطمئن، آمن، ما عليك طلب، ما عليك دين، عندك قوت يومك، هناك شخص يقول: الحمد لله، الله تفضل علي، الله أنعم علينا بالصحة والإيمان، وراحة البال، هذه نعم كبرى، لما ربنا يراك واقعياً شاكراً للنعم عارفاً للجميل يزيدك، باستمرار تعمل وتربح، وتأكل وتشرب، وتذهب إلى النزاهات، وأمورك منتظمة، قال صلى الله عليه وسلم:

**((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))**

فالإنسان لا يكن كثير الشكوى، ويعاب أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم، وهذا الذي شكا حاله إلى غني ذهب ثلثا دينه، الله هو الرزاق، الله هو المعطي، الله هو المتفضل.

بلغ من جود أبي حنيفة وبره بالناس أنه إذا أنفق على عياله نفقةً تصدق بمثلها على غيرهم من المحتاجين،

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله ))

كلما أنفق نفقةً على عياله أنفق مثلها على المحتاجين، أما عامة الناس فهذه الأكلة لا أستطيع أن آكلها، أعطوها لفلانة، الشيء الذي عافته نفسه ينفقه، والله سمعت عن أسرة كان عندها وليمة بالمستوى الرفيع، وعندهم خادمة في البيت، ألزمتها سيدة المنزل أن تأكل من طعام قديم، وأشهى أنواع الطعام أمامها، الله عز وجل كبير.

يقولون قصة رمزية، ولكنها بليغة جداً، أن رجلاً وزوجته كانا في البيت، طرق الباب سائل، فكان يأكل هذا الرجل مع امرأته دجاجاً، فقالت له: سائل في الباب، فهمت أن تعطيه شيئاً من الطعام، فنهراها، وقال: اطرديه، ثم ساءت العلاقة بين هذين الزوجين، وانتهت بطلاق الزوجة، جاء رجل آخر فتزوج هذه المرأة، وبعد سنين طرق الباب، وكانا يأكلان دجاجاً، فلما ذهبت لتفتح الباب عادت مضطربة، قال: مالك؟ قالت: سائل في الباب، قال: ومن هو؟ اضطربت، قال: من هو؟ قالت: إنه زوجي الأول، فقال لها: أتعلمين من أنا؟ أنا السائل الأول. الله عز وجل قادر أن يقلب العملية قلباً، كان عندك صانع، صرت عنده صانعةً، أحياناً أخ يأكل أموال إخوته كلهم ظلماً، يأخذ البنائة والأرض، و إخوته قصر، اعملوا لي وكالة، عملوا له وكالة، تدور الأيام فيصبح هذا المغتصب صانعاً عند إخوته.

امرأة قالت لضرتها: ولد في بطني، وعلى يدي ولد، وعلى الأرض ولد، وأنت عقيم، دارت الأيام، وزرق الله هذه العقيم خمسة أولاد ذكور، وهؤلاء الأولاد الثلاثة ماتوا جميعاً، دع في ذهنك أن الله عز وجل يقلب الوضع رأساً على عقب، أقول لكم هذه الكلمة: الله عز وجل يغفر ذنوباً كثيرة جداً، لكنه يبدو أن ذنوبين خطيرين يأخذ صاحبهما أخذ عزيز مقتدر، إنهما الظلم والكبر، فإذا كان عندك إنسان ضعيف في محلك التجاري فإياك أن تستعلي عليه، إياك أن تستضعفه، إياك أن تستهين به، إياك أن تظلمه، لأن الله كبير، والقصاص في هذا الموضوع لا تعد ولا تحصى، بل إن القصاص هي العبر، والسعيد من اتعظ بغيره، والحقيقة أن الإنسان إذا نجح في حياته، إن كانت العلمية أو التجارية، أو أي نجاح، مع هذا النجاح خطر كبير، هو الكبر، مع هذا النجاح خطر كبير، هو الظلم.

أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه قطع عهداً على نفسه ألا يحلف بالله في أثناء كلامه إلا تصدق بدرهم فضة، اليمين صادقة صحيحة، ولكن كثرة الحلف بالله عز وجل شيء منهى عنه، قال تعالى:

### ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

أخذ على نفسه هذا العهد.

لاحظ نفسك، عندك مخالفات، تقع فيها كثيراً؟ عيّن لكل مخالفة صدقة، كلما وقعت في هذه المخالفة ادفع هذه الصدقة، إلى أن تطلع عنها، إذا كان الله عز وجل غالياً عليك، وأمره غالي عليك إذا وقعت في مخالفة مستمرة، ونفسك متساهلة عود نفسك كل مخالفة صدقة بحسب دخلك، إذا اغتبت إنساناً ادفع صدقة، ضاعت عليك صلاة ادفع صدقة، هكذا علمنا أبو حنيفة رضي الله عنه، أنه قطع على نفسه عهداً ألا يحلف بالله في أثناء كلامه إلا تصدق بدرهم فضة، ثم تدرج في الأمر فجعل على نفسه عهداً إن حلف بالله ليتصدقن بدينار من ذهب، لكن دققوا، أبو حنيفة بأيمانه كان صادقاً، فكيف إذا حلف الإنسان يمينا كاذباً لبيع سلعة، الآن جاء من الجامع، بالله، وبرسوله، ليست رابحة، بعناك هذه دون رأسمالها، أين صلاتك؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْقَعَةٌ لِّلْسِلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِّلْكَسْبِ وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ الْبَرْكَةُ)).

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

كان حفص بن عبد الرحمن شريكاً لأبي حنيفة في بعض تجارته، فكان أبو حنيفة يجهز له أمتعة الخبز، ويبعث بها معه إلى بعض مدن العراق، فجهز له ذات مرة متاعاً كثيرة، وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيوباً، وقال له: إن هممت ببيعها فبين للمشتري ما فيها من عيب، فباع حفص المتاع كله، ونسي أن يعلم المشتريين بما في الأثواب من عيوب.

قال لي تاجر أقمشة: جاءت بيعة إلى بلد بعيد، ما كان عندي من فضل زبالة البضاعة كلها وضعتها في هذا الطرد، وأرسلتها، قال لي: تخلصنا منها، من هذا العمل الله عز وجل جعلنا وراء الأمم، لأنه ليس هناك استقامة، لأن شريكه لم يذكر للشاري هذه العيوب.

فباع حفص المتاع كله، ونسي أن يعلم المشتريين بما في الأثواب من عيوب، ولقد أجهد نفسه في تذكر الرجال الذين باعهم الثياب المعيبة، فلم يفلح، نسي، فلما علم أبو حنيفة، ولم يتمكن من معرفة الذين وقع عليهم الغبن لم يستقر قراره، ولم تطب نفسه حتى تصدق بأثمان المتاع كلها.

هذا الحل، وقعت في مشكلة، بعت بيعة غلط، ما عرفت صاحبها، ادفع ثمنها صدقة تسجل له عند الله صدقة، فقبل أن يعرف رجل الله عز وجل كانت عليه دفعة، ذهب إلى صاحبها فوجد المحل مغلقا، ما الحل؟ ادفع هذا المبلغ صدقة لله عز وجل تسجل عند الله صدقة له هذا الحل.

عبد الله بن المبارك يقول لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، فإني ما سمعته يذكر عدواً له بسوء قط، فقال له سفيان: إن أبا حنيفة أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها.

لذلك سمعت أن رجلاً من أهل العلم، وكان صالحاً ومخلصاً، وعاملاً قيل له: إن الناس يتحدثون عنك، فإني أشفق عليك، فقال له: هل سمعتني قلت عنهم شيئاً؟ قال: لا، عليهم فأشفق.

إن أبا حنيفة أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها، هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالَوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد ]

كان أبو حنيفة ودودًا ووفياً، فإذا مر به الرجل من الناس قعد في مجلسه عن غير قصد، ولا مجالسة، فإذا قام سأل عنه، فإن كان به فاقة وصله، وإن كان به مرض عاده، وإن كانت له حاجة قضاها حتى يجره إلى موصلته جراً.

اسمعوا، هذا الإنسان الذي التقى مع أبي حنيفة، إن كان فقيراً وصله، وإن كان مريضاً عاده، وإن كان له حاجة قضاها له، إلى أن تعلق هذا الإنسان بأبي حنيفة، من السهل أن يتعلق بك الإنسان لكلامك، وصف كلامك، على المنطق الرائع، على الطلاقة، هذه شكليات، يتعلق الناس بك على إحسانك، على خدمتك لهم، على تواضعك، إذا أردت أن تأخذ بيد الله عز وجل فإياك أن تظن أن كلامك وحده يأخذ بيدهم، أو أن منطقتك وحده، أو أن نكائك وحده، هذا كله لك، هم ماذا أصابهم منك؟ إذا أصابهم شيء من إحسانك يحبونك.

يا داود نكر عبادي بإنعامي إليهم، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

وفوق كل ذلك كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى صوام نهار، قوام ليل، خديناً للقرآن، مستغفراً بالأسحار.

اسمعوا هذه النقطة الدقيقة جداً، من أسباب توغله في العبادة واندفاعه فيها أنه أقبل ذات يوم على جماعة من الناس فسمعهم يقولون: إن هذا الرجل الذي ترونه لا ينام الليل، فما إن لامست كلماتهم هذه مسمعه حتى قال: إني عند الناس على خلاف ما أنا عليه عند الله، والله لا يتحدث الناس عني منذ الساعة بما لا أفعل.

أحياناً تكون لك مكانة عند الناس، فلان ورع جداً، فلان قوام ليله، إذا لم تكن كذلك فالإنسان يشعر بتمزق واختلال، فهو يبدو أنه مرّ على جماعة قالوا: هذا الذي لا ينام الليل، هذا القوام، هذا العابد، وهو ليس كذلك، شعر بجرح كبير، قال: يا نفس إني عند الناس على خلاف ما أنا عليه عند الله، لهذا قال الله عز وجل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)﴾

[ سورة الصف ]

لن أتوسد فراشاً بعد اليوم حتى ألقى الله، إلا أنا لي ملاحظة، أنه ما نام إطلاقاً، هذا كلام غير واقعي، الله عز وجل لما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بقيام الليل قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾

[ سورة المزمل ]

هذا للنبي عليه الصلاة والسلام، الإنسان له جسم، له حاجة للنوم، هذه مبالغة، يقوم الليل، أما أن يقوم كل الليل فغير معقول.

النقطة الثانية: لما سيدنا عمر جاءه من أدريجان، وكره هذا الرسول أن يطرق باب عمر ليلاً، توجه إلى المسجد، المسجد في الليل ليس فيه مصباح، هكذا بيدو، فداس على قدم رجل، فإذا هو سيدنا عمر، كان يصلي، قال: يرحمك الله من أنت؟ الدنيا ليل، قال: أنا عمر، قال: يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل؟ قال: إن نمت الليل كله أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي.

إن لله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وله عمل في النهار لا يقبله في الليل، كان إذا أرحى الظلام سدوله على الكون، وأسلمت الجنوب على المضاجع، الناس نيام، إذا آوت الأطيوار إلى أوكارها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وأغلقت الملوك أبوابها، ماذا يفعل أبو حنيفة؟ قام فلبس أحسن ثيابه، وسرح لحيته، وتطيب، وتزين، ثم يقف في محرابه، ويقطع بعض الليل قانتاً أو منحنياً بصلبه على أجزاء القرآن، أو رافعاً يديه بالضراعة، فربما قرأ القرآن، ربما قام الليل، لقد روي أنه قام الليل كله، وهو يردد قوله تعالى عز وجل:

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾

[ سورة القمر: الآية 46 ]

الذي يخاف في حياته الدنيا يطمئنه الله، إذا خفت الله في دنياك طمأنك الله في أخراك، فإذا لم تخفه في الدنيا أخافك في الآخرة.

كان من أذعيته رضي الله عنه: يا من يجزي بمئقال ذرة خير خيراً، و يا من يجزي بمئقال ذرة شر شراً، أجر عبدك النعمان من النار، و باعد بينه و بين ما يقربه منها، و أدخله في واسع رحمتك يا أرحم الراحمين.

أبو حنيفة النعمان هذا الاسم الكبير كان عابداً، كان ورعاً، كان مستقيماً، كان محسناً، و هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما سأله رجل: قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ:

**((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))**

هذه القصة كلها، ولها تنمة إن شاء الله تعالى نأخذها في الدرس القادم، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ:

**((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ))**

أعيد و أكرر إن كل فهم صحيح ينعكس سلوكاً صحيحاً، كل خطأ في الفهم أو خطأ في العقيدة أو خطأ في التصور أو اعتقاد فاسد لابد من أن يبني عليه سلوك فاسد، وانحراف واضح، و الحقيقة هذه القصص أعلق عليها آمالاً كثيرة، لماذا ؟ لأنني أعرض عليكم حقائق الإسلام مطبقة، القصة حقيقة مع البرهان عليها، أعرض عليكم نماذج إنسانية حية وقعت فعلاً، نحن لا يرفعنا عند الله لا حضورنا لهذه المجالس فقط، و لا قراءتنا، و لا ازدياد ثقافتنا، و لكن يرفعنا عند الله عز وجل أن نكون في مستوى ما نكون، و أن نكون عاملين بما نعلم، من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (023 - 127) : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-10-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، ونفعلنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: موضوع الحديث الشريف اليوم هو الباب الثالث والسبعون من كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله وعنوانه: باب حسن الخلق.

أحيانا النبي عليه الصلاة والسلام يعرف الدين تعريفاً جامعاً مانعاً، الدين حسن الخلق، فمن غفل عن حسن الخلق، وصلّى، وصام، وحج، وزكى، لم يحقق الهدف من هذا الدين.

كنت في لقاء سابق ذكرت تسعة أحاديث صحيحة مؤداها جميعاً حسن الخلق، فعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَبِي سَمُرَةَ جَالِسٌ أَمَامِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ))

[ أحمد ]

النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((بني الإسلام على خمس))

فيما يبدو من هذا الحديث أن الصلاة والصيام والحج والزكاة والشهادة، هذه دعائم الإسلام، وليست هي الإسلام، فمن فعلها، ولم يكن ذا خلق حسن فليس مسلماً،

((بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً))

الإسلام بني على هذه الخمس، فالإسلام بني، إنه بناء الأخلاق، إنه بناء أساسه الخلق القويم، لذلك عن جابر بن سمرّة قال: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَبِي سَمْرَةَ جَالِسٌ أَمَامِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))

[ أحد ]

هذا الحديث متفق عليه، وكلّم يعلم أن تخريج الحديث بقول العلماء: متفق عليه، أي اتفق عليه الإمام البخاري والإمام مسلم، وهذا من أرفع أنواع الحديث.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))

[ الترمذي، أحمد، الدارمي ]

أعلى مراتب الإسلام أن تكون ذا خلق حسن، وأعلى مراتب الإيمان أن تكون ذا خلق حسن، إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، طبعاً الإسلام هو الانصياع لله عز وجل، حينما قال الله عز وجل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[ سورة الذاريات: الآية 56 ]

العبادة لها مرحلة معرفية، ولها مرحلة سلوكية، ولها مرحلة جمالية، العبادة هي الطاعة مع المحبة، لكن الطاعة مع المحبة لن تكون إلا بناء على معرفة يقينية، وهذه العبادة، الطاعة مع المحبة لا بد أن تفضي إلى سعادة أبدية، إذا الإيمان كما قال النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام أعلى درجاته حسن الخلق، يعني السلوك، يعني طريقة التعامل، لذلك العوام ماذا يقولون: الدين المعاملة، من شاء صام، ومن شاء صلى، ولكنها الاستقامة،

فالإنسان حين يبتعد عن جوهر الدين، ويظن أن شكليات الدين هي الدين قد ضل سواء السبيل، فمثلاً نحن أحياناً نعرف الطائرة بأنها تطير، هذا تعريف جامع مانع، لو ألغيت الطيران لألغيت هويتها، أما إذا عرفتها أنها شيء واسع، البيت واسع، إذا عرفتها أنها شيء غالٍ الثمن، البارجة غالية الثمن، إذا عرفتها أنها فحمة في داخلها القصر، فحمت في داخله، أما إذا عرفتها تعريفاً جامعاً مانعاً فقلت: الطائرة تطير، هذه صفة جامعة مانعة، لو ألغيت طرف التعريف لألغيت طرفه الأول، إذا: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمْرَةَ قَالَ كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَبِي سَمْرَةَ جَالِسٌ أَمَامِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))

[ أحمد ]

الإسلام طاعة، الانصياع لله عز وجل، الخضوع لأمر الله، الإنسان إذا أبت نفسه أن تخضع لله في أوامره، أو أن تخضع للرسول عليه السلام في سنته فهو متكبر، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ))

[ مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

رد الحق، لا يكون المسلم مسلماً إلا إذا خضع لله عز وجل، استسلم لأمره.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 36 ]

يعني الله عز وجل قال هذا حرام، أمر بهذا، نهى عن هذا، هذه القضية ليست خاضعة للبحث، أحياناً في الاجتماعات، في المداورات، في المفاوضات يقولون: هذا الموضوع غير خاضع للبحث، والمؤمن الصادق إذا عرف عظمة الله عز وجل، وعرف أن هذا القرآن كلامه، وأن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه قطع الثبوت، وأنه حقٌ مئة بالمئة، إذا عرف ذلك مستحيل أن يعطي القرآن حكماً في موضوع، ثم يجعل المؤمن هذا الموضوع خاضعاً للبحث.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب: الآية 36]

قال الله عز وجل: هذا حرام.

يعني حرام، أمرك الله أن تغض بصرك، إذاً غض البصر حق، أما المشكلة أن الإنسان كلما ضعفت معرفته بالله عز وجل ضعف اهتمامه بالله عز وجل، كلما ضعفت المعرفة بالله ضعف الاهتمام بأمر الله، وكلما نمت معرفتك بالله عز وجل نمت اهتمامك بأمره، فأنت إذا رأيت أنك لست مهتماً بأمر الله لا تعبأ به، لست معنياً في تطبيقه ليس عندك هذا الاهتمام الكبير إلى تطبيق أمره فاتهم إيمانك، إيمانك له حجم، إذا كان إيمانك بحجم يقل عن أن يحملك على التطبيق فهذا الإيمان غير كاف، الحد الكاف الحد المجدي أن يحملك إيمانك على طاعة الله عز وجل، فأنت معك مقياس، أحياناً الإنسان يكون بحاجة إلى ميزان ضغط، كلما شعر بأعراض غير طبيعية يحتاج إلى الذهاب إلى الطبيب ليقبس له ضغطه، أحياناً الإنسان يشتري ميزان ضغط، ويرتاح، عنده ميزان ضغط في البيت، كلما شعر بوضع غير طبيعي بقيس ضغطه، النبي الكريم أحياناً أعطاك موازين، مادام ليس في السلوك خلق قويم معناه أن في الإسلام ضعفاً، وفي الإيمان ضعفاً، مادام إيمانك لا يحملك على طاعة الله عز وجل فإيمانك إذا غير كاف، هذا المقياس، مادام غض البصر غير واقع، إذا إيمانك بهذا الكتاب غير كاف، ماذا قال سيدنا سعد؟: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما ذلك أنا واحد من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله عليه السلام إلا علمت أنه حق من الله، فإذا شعرت أن هذا الكلام كلام النبي، والنبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، هذه إذا تعليمات الصانع، فكلمة عرفت عظمة الصانع تلقيت تعليماته بالتعظيم، والاهتمام والاندفاع إلى التطبيق، إذا الحديثان اليوم:

((أحسن المسلمين الناس أسلاماً أحسنهم خلقاً، وأكملهم إيماناً، أحسنهم خلقاً))

الحديث الثالث:

((إن من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً))

الإسلام درجات، لا يحسن إسلام الإنسان إلا إذا كان ذا خلق حسن، ولا يكمل إيمان المؤمن إلا إذا كان ذا خلق حسن، ولا تكون مقرباً إلى الله عز وجل إلا إذا كنت ذا خلق حسن، أكاد أقول: الدين كله حسن الخلق، خلق المؤمن صارخ ظاهر بيّن، إنك لا تعرف المؤمن من صلاته أو من صيامه، وإنما تعرفه من تعامله معك، من تواضعه، من أمانته، من عفته، من صدقه، من رأفته، من رحمته، من إنصافه، من وفائه، من شجاعته.

هناك توجيهات جديدة، إنما اللحم بالتحلم، إنما الكرم بالترك، الكرم تكليف، تتكرم إلى أن يصبح الكرم عندك طبعاً، وتتحم أي تصنع اللحم، وتتحم، إلى أن يصبح اللحم عندك طبعاً، فأنت مكلف، وهناك أشياء تستنزك، وأشياء تثيرك، غير المؤمن يستجيب لهوى نفسه، فيفور، ويقوم، ولا يقعد، ويفعل، ولا يفعل، لكن المؤمن ينضبط، لذلك الله عز وجل قال:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَآظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 134]

في مستوى كظم الغيظ، مستوى العفو عن الناس، مستوى الإحسان، الآن إذا أردنا أن نكون أقرب إلى الله أحب عباد إلى الله يجب أن نكون من ذوي الأخلاق الحسنة، والنبي عليه الصلاة والسلام وصفه الله عز وجل:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم: الآية 4]

لَمْ لَمْ يَقُلْ: وإنك ذو خلق عظيم، قال: إنك لعلی، على تقييد الاستعلاء والتمكن، يعني أحياناً الإنسان يستفزه شيء، ينشأ صراع في نفسه، أيفعل هذا أم لا يفعل؟ هذه المشادة، هذا الصراع قد ينتهي إلى أن ينفجر، وقد ينتهي إلى أن يكظم غيظه، هذا حال المؤمنين، أما حال النبي فتمتكن من خلقه الكريم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم: الآية 4]

مهما كان في الشيء استغزاز كبير، مهما كان هناك وضع حرج جداً، إنه ينتصر على نفسه، ولا ينساق مع هوى نفسه.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد ]

((وإن من أقرب المؤمنين مجلساً من رسول الله يوم القيامة، أحسنهم خلقاً))

أحدنا إذا جلس مع مؤمن أعلى منه مرتبة يشعر أن هذه الجلسة فيها مكسب كبير، فكيف إذا سمح له أن يكون قريباً من رسول الله، يعني هذا الإنسان كلما اقترب من الله عز وجل، كلما أصبح مصدر سعادة، فيوم القيامة أقرب المؤمنين من رسول الله مجلساً أحسنهم خلقاً، تركيز من النبي عليه الصلاة والسلام على حسن الخلق منقطع النظير.

أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً.

من أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً، من أقرب المؤمنين مجلساً من رسول الله عليه السلام يوم القيامة أحسنهم خلقاً.

أنت أقرب الناس إلى النبي، وأحب العباد إلى الله، وأكمل الناس إسلاماً، وأكملهم إيماناً، إذا أنت ذا خلق حسن، وأنت مكلف فقبل أن توقع عقابك بزيد أو عبيد فكر، هل هذا العمل يرضي الله عز وجل، عود نفسك هذه المعادلة، كلما أردت أن تقدم على شيء ماذا يرضي الله؟ أيرضيه أن أفعل هذا؟ أيرضيه أن أقسو؟ أيرضيه أن أقطع؟ أيرضيه أن أضرب؟ أيرضيه أن آخذ؟ ماذا يرضي الله عز وجل؟ علامة المؤمن أن نفسه تحت قدمه يدوسها ولكن رضا الله عز وجل فوق كل شيء، لهذا النبي الكريم في الطائف قال: إن لم يكن بك غضبٍ عليّ فلا أبالي، ولك العتبي حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لي، الحقيقة أن الذي ذاق مباحج الدنيا كلها، وذاق طعم القرب من الله عز وجل، يقول لك وهو صادق: ما من شيء أحب ألي من أن أكون قريباً من الله عز وجل، وثمان القرب من الله عز وجل العمل الصالح، والدليل:

## ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 110 ]

أتحب أن تكون قريباً من الله عز وجل، في بيتك توجد أعمال صالحة كثيرة، مع زوجتك، مع أولادك، مع من هم دونك، مع من هم فوقك، مع جيرانك، مع الفقراء مع المساكين، مع إخوانك مع أصدقائك، مع زملائك، مع الحيوانات، مع كل المخلوقات، مع النبات، هناك من يدوس نبات يسبح الله عز وجل، هناك من يعتني بذلك النبات، إذا سقيته فهذا عمل طيب، إذا قلمته، إذا ثبتته، المؤمن مصدر عطاء.

هناك قاعدة: إن الإنسان له سمه عميقة، هناك من سمته عميقة الأخذ، وإيقاع الضر، وهناك من سمته العميقة العطاء، وإدخال السرور، فالمؤمن أساس حياته العطاء، يعطي ليرضي الله عز وجل، غير المؤمن أساس حياته الأخذ، كلما أخذ شيئاً، استحوذ على شيء يشعر بالغبطة والسرور، وكلما أنفق ماله يرى في هذا الإنفاق مغرمًا، لذلك قالوا: إذا أردت أن تعرف ما إذا كنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة تسأل نفسك هذا السؤال: ما الذي يدخل على قلبك السرور؟ أن تعطي أم أن تأخذ؟ المؤمن قطعاً يدخل على قلبه السرور أن يعطي، وغير المؤمن قطعاً يدخل على قلبه السرور أن يأخذ، إذن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً، أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً، إن من أحب عباد الله إلى الناس أحسنهم خلقاً، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا))

[ الترمذي ]

وأن خير ما أعطي الإنسان خلق حسن، هناك رجل عنده فندق من ثمانين طابقاً في دولة أجنبية، محجوز العام كله، كم دخله في اليوم؟ واحد لديه معمل، قرأت خبراً في الجريدة عن معمل سيارات، لديه فائض نقدي، ليس له استثمار، مليار مارك ألماني، وهذا مبلغ كبير جداً، فائض مالي، فإذا ملك رجل هذا المعمل يشعر بالفقر، وبالحاجة، ماذا قال النبي الكريم؟

((وَأَنْ خَيْرَ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ حَسَنٌ))

خير ما أعطي الإنسان، قد يعطى المال، قد يعطى مال قارون، قد يعطى ملك فرعون، قد يعطى قوة جسدية كبيرة، بطل العالم، قد يعطى شكلاً جميلاً جذاباً، قد يعطى نكاه كَأَنْشَتَيْنِ، ذكي جداً، ماذا قال هذا العالم الرياضي؟ قال: كل إنسان لا يرى من هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، رحيمة هي أرحم ما تكون، عليمة هي أعلم ما تكون، هو إنسان حي، ولكنه ميت، يعني إذا ما رأيت عظمة الله فأنت ميت، فقد توتى عقلاً راجحاً، وقد توتى مالاً وفيراً، وقد توتى صحة وجمالاً وقوة وغنى، ماذا يقول لك النبي الذي لا ينطق عن الهوى؟ ماذا يقول لك خبير مبعوث العناية الإلهية يقول لك:

((وَأَنْ خَيْرَ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانَ خَلْقَ حَسَنٍ))

عطاؤك من أي نوع؟ من أنواع عطاء قارون، أم من أنواع عطاء فرعون، أم من أنواع عطاء الأنبياء والمرسلين، هذا الحديث الخامس.

السادس:

((وَأَنْ الْمُؤْمِنَ لِيَدْرِكَ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))

أي العبادة صوم في النهار، وقيام في الليل، صائم قائم، هذا تعبير إسلامي، جاءت امرأة إلى سيدنا عمر قالت له: يا أمير المؤمنين: إن زوجي صوام قوام، أي مشغول، قال لها: بارك الله لك بزوجك، فقال سيدنا علي وهو بقربه: إنها تشكو زوجها، فسيدنا عمر انتبه، قال: يا أبا الحسن إن كنت فهمت هذا فاحكم بينها وبين زوجها: زوجها غارق في حب الله فنسيها، فحكم لو أن هذا الزوج له أربع نسوة، فللواحدة يوم من أربعة أيام، فألزمه أن يتفرغ لها يوماً من كل أربعة أيام، حتى إن سيدنا محمد ﷺ جاءته امرأة عثمان بن مظعون، فرأتها السيدة عائشة بوضع غير مقبول إطلاقاً، مهملة نفسها إهمالاً شديداً، فلما عاتبته على إهمال نفسها قالت: إن عثمان صوام قوام، يبدو أن النبي الكريم وجهه، ونصحه، قال له:

((يا عثمان أليس لك بي أسوة حسنة أقوم وأنام... إن لجسدك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه))

كلام لطيف ودقيق، فيبدو أن سيدنا عثمان بتوجيه النبي الكريم التفت إلى زوجته، قالت السيدة عائشة في اليوم التالي: جاءتنا امرأة عثمان بن مظعون عطرة نضرة، فلما سألتها قالت لها: أصابنا ما أصاب الناس، صارت في اهتمام زوجها، فمن العبادة أيضاً أن يهتم الإنسان بأهله، ومن العبادة تهتم الزوجة بزوجها، وإذا كان بيت المسلم فيه سعادة يفرح الله عز وجل بهذا البيت، فالبيت المشحون بالخلافات والمنغصات والتباغض هذا ليس بيتاً يرضي الله عز وجل،

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

[سورة الروم: الآية 21]

النبي الكريم على عظم شأنه تسابق مع السيدة عائشة، قال: فسبقته، لأنها كانت صغيرة جداً بل، إن بعض العلماء قال: لقد مكنها من أن تسبقه جبراً لخاطرها، قال: فلما ركبني اللحم، أي زاد وزنها قالت: سبقني، فقال: يا عائشة هذه بتلك، صرنا في تعادل، في بيته كان هكذا، تقول له دائماً كيف حبك لي؟ يقول لها: كعقدة الحبل، أي متينة، تقول له من حين لآخر: كيف العقدة؟ يقول: على حالها، متينة، وتزداد متانة، ألم تشغله الدعوة، ومقامه عند الله عز وجل وهموم الأمة بأكملها عن أن يكون زوجاً كاملاً، وأباً كاملاً، وجاراً كاملاً، وصديقاً وفيّاً، إذا فلأنّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، الأخلاق الفاضلة تزيد على العبادات، الصلوات الخمس، والضحي، والأوابين، وقيام الليل وكلامه فظ، ولثيم ويؤذي الناس بلسانه، لا! عباداته تامة، وأخلاقه شرسة، إن فلانة تذكر أنها تكثر من صلاتها، وصدقته، وصيامها، غير أنها تؤذي الجيران بلسانها، قال: ((هي في النار))، والله لأن أمشي مع أخ مؤمن في حاجته، خير لي من صيام شهرٍ واعتكافه في مسجدي هذا، وإن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، ربنا عز وجل لما وصف سيدنا رسول الله، سيد الخلق حبيب الخلق، ماذا قال عنه الله؟ إنك ذو مال عظيم؟ إنك ذو شأن خطير؟ إنك ذو نكاه كبير؟ إنك ذو مكانة رفيعة؟ لا وإنك لعلى خلقٍ عظيم؟ وإن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، هذه كلها أحاديث صحيحة، أنا جمعتها في قول مستمر، أعيد على أسماعكم هذه الأحاديث:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَبِي سَمُرَةَ جَالِسٌ أَمَامِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ))

[ أحمد ]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ))

[ الترمذي، أحمد، الدارمي ]

(( إِنْ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ))

(( إِنْ مِنْ أَقْرَبِ الْمُؤْمِنِينَ مَجْلِسًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ))

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ:

(( شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ قَالَ خُلُقٌ حَسَنٌ ))

[ الترمذي، ابن ماجه، أبو داود، أحمد ]

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ))

[ أبو داود، الترمذي، أحمد ]

عَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))

[ أبو داود، أحمد ]

إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، والخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد، والخلق السوء يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل، ألا ترون معي أن الدين كله خلقٌ حسن، لا يحسن إسلامك، ولا يكمل إيمانك، ولا تكون عند الله محبوباً، ولا عند النبي مقرباً، ولا في الحياة مفلحاً، ولا في الآخرة ناجياً، إلا إذا كنت ذا خلق حسن.

لذلك في نقطة دقيقة جداً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَظَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَوْجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

قد الإنسان يصلي، ويصوم، وله أعمال طيبة، وله إنفاقه، لكن له طبع سيء، طبع قاس، إذا النبي عليه الصلاة والسلام اشترط على من يكون أهلاً للزواج من ابنته أن ترضى خلقه ودينه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَظَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَوْجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

الحديث الذي أنهى به فقرة الأحاديث في هذه الجلسة ورد في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد ]

هل يعنيكم بعض هذه الأحاديث إلى الخلق الحسن ؟ هل تظنون أنكم متدينون إذا صليتم فقط؟ وصمتم فقط ؟  
واتبعتم العبادات فقط ؟ ولم تكونوا في هذه الأخلاق الرضية، هل أخلاقك صارخة تماماً ؟ هل يعرفك الناس  
مؤمن من أخلاقك ؟ باستقامتك من ورعك من زهدك ؟ من شجاعتك من وفائك من إنفاقك من لطفك ؟

والآن إلى متابعة الحديث عن سيدنا أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، فالنعمان من التابعين.

قال: دخل أبو حنيفة النعمان على الإمام مالك وعنده بعض من أصحابه، فلما خرج من عنده التقت مالك إلى  
جلسائه، وقال: أتدرون من هذا ؟ فقالوا: لا، فقال: هذا النعمان بن ثابت، هذا الذي لو قال عن هذه السارية: إنها  
ذهب لاحتج لما قال، ولو خرجت كذلك، لو قال: هذه السارية من ذهب لأعطاك الدليل، وكانت كذلك، فأراد  
الإمام مالك أن يعبر عن قوة حجة أبي حنيفة، والله عز وجل يقول:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[ سورة النعام: الآية 83 ]

ولكل مؤمن من هذه الآية نصيب، فمن علامة إيمانه أنك تملك حجة قوية، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، لو اتخذ  
لعلمه، لذلك لما رأى النبي الكريم شخصاً يصلي في المسجد في النهار قال بعد أن أنهى صلاته: من يطعمك ؟  
قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، لأنه يطعمك، لأنه يعمل، ولما أمسك النبي عليه الصلاة والسلام بيد سيدنا  
عبد الله بن مسعود رآها خشنة من العمل، فقال: إن هذه اليد يجبها الله ورسوله، أما لما شكا شريكك شريكه قال له:  
إن شريكك لا يعمل، قال عليه الصلاة والسلام: لعلك ترزق به، لماذا قال للعابد: أخوك أعبد منك، وقال للشريك  
المقصر: لعلك ترزق به، لأن الذي يطلب العلم يطلبه لغيره، أما الذي يتعبد يتعبد لذاته، فإذا عملت عملاً عاد

نفعه على الآخرين عندئذ يحبك الله عز وجل، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذته لعلمه، ومن علامة المؤمن أنه يأتي بحجة قوية، كلمة ما يعرف، والله شيء محير، عندي شكوك.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾

[سورة الحجرات: الآية 15]

ما تفعل، هل من عمل أخطر في حياتك من أن تعرف الله عز وجل معرفةً يقينية، هل من عمل أخطر في حياتك من أن تعرف أمر الله عز وجل ونهيه، وسنة نبيه فكلمة لا أعرف.

طلب العلم فريضة على كل مسلم، فريضة مع فريضة في الشرع: الشيء الذي يتوقف عليه نجاتك، و إلا تهلك إذا، والله أخي نحن على حسب فراغ الوقت نأتي إلى الدرس، والله الآن يوجد عندنا موسم، يعني القضية أخطر من ذلك، أخطر بكثير يجب أن تطلب العلم، و إلا من يقود سيارة في مجموعة معلومات إذا جهلها أودت السيارة في حياته، لا يعرف بنية المحرك، ولا من أي شيء تصنع المكابح، هذا شيء فوق طاعته، هذا شيء يعرفه أصحاب المعامل، أما أي إنسان يجلس خلف مقود السيارة في مجموعة معلومات ضرورية جداً لا بد من أن يعرفها، هذا ما عبر عنه علماء العقيدة: ما يجب أن يعرف بالضرورة، فأنت لا خيار لك، لذلك أجمع العلماء على أن طلب العلم فرض عين، و ليس فرض كفاية، فرض عين على كل مسلم، هذا التعليق على أن أبي حنيفة قال عنه الإمام مالك: لو قال عن هذه السارية إنها ذهب لاحتج لما قال، ولخرجت كذلك.

إن رجلاً من أهل الكوفة أضله الله عز وجل كان ذا قدر في عيون الناس، وصاحب كلمة مسموعة بين الناس، كان هذا الرجل يزعم للناس فيما يزعم لهم أن عثمان بن عفان كان يهودياً في أصله، شبهة خطيرة جداً، كلام لا يرضي الله، قال النبي الكريم:

((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

أصحابي كالنجوم، وأنه ظل على يهوديته بعد الإسلام أيضاً، هكذا يزعم هذا الإنسان، فلما سمع أبو الحنيفة مقالته هذه مضى إليه، أحياناً من أنجح الطرق في المناقشة أن تضع خصمك في وضع مشابه لك، فلما سمع أبو حنيفة مقالته هذه مضى إليه، وقال: قد جئتكم خاطباً ابنتك فلانة لأحد أصحابي، فقال: أهلاً بك ومرحباً، قال: إن مثلك لا ترد له حاجة يا أبا حنيفة، ولكن من الخاطب؟ قال رجلٌ موسوم بين قومه بالشرف والغنى، سخي

اليد، مبسوط الكف، حافظاً لكتاب الله عز وجل، يقوم الليل كله، كثير البكاء من خوف الله تعالى، فقال: بجز بجز، حسبك يا أبا حنيفة، إن بعض ما ذكرته من صفات هذا الخاطب يجعله كفوفاً لبنت أمير المؤمنين، صفة واحدة تكفي، قال أبو حنيفة: غير أن فيه خصلة لا بد من أن تقف عليها، وقال ما هي؟ قال: إنه يهودي، فانتفض الرجل، وقال: يهودي، أتريد أن أزوج ابنتي ليهودي يا أبا حنيفة؟ والله لا أزوجه منه، ولو جمع خصال الأولين والآخرين، فقال أبو حنيفة: تأبى أن تزوج ابنتك ليهودي، وتكر ذلك أشد الإنكار، ثم تزعم للناس أن رسول الله ﷺ زوج ابنتيه كليهما من يهودي، فعلت الرجل رعدت، وقال: أستغفر الله من قول السوء، وأتوب إلى الله تعالى. أحياناً ناقش الإنسان بالطريقة نفسها، تضعه في الموقف نفسه، ماذا يقول؟ أحد الخوارج وهو الضحاك الشاري، جاء إلى أبي حنيفة ذات يوم، وقال: تب يا أبي حنيفة، قال مم أتوب؟ قال: من قولك بجواز التحكيم الذي جرى بين معاوية وعلي، فقال له أبو حنيفة: ألا تقبل أن تناظرني في هذا الأمر، فقال الخارجي: بلى، قال أبو حنيفة: فإن اختلفنا في شيء مما تناظر فمن يحكم بيننا، قال الخارجي حكم من تشاء، فالتقت أبو حنيفة إلى رجل من أصحاب الخارجي كان معه، وقال: أنت أحكم بيننا فيما نختلف فيه، ثم قال للخارجي: أنا رضيت بصاحبك، فهل رضيت أنت به؟ فقال: نعم، فقال أبو حنيفة: ويحك أتجوز التحكيم فيما يحدث بيني وبينك، وتكره على اثنين من صحابة رسول الله ﷺ، فبهت الخارجي، ولم يملك جواباً.

جهم بن صفوان رأس الفرقة الجهمية الضالة المتبعة، وزارع الشر في أرض الإسلام جاء مرة أبا حنيفة النعمان، وقال: يا أبا حنيفة لقد جئتك لأكلمك بأشياء هيئتها لك، قال أبو حنيفة الكلام معك عار، والخوض في ما تذهب إليه نار تلتظ، فقال جهم: كيف حكمت علي بما حكمت، وأنت لم تلق بي من قبل، ولم تسمع كلامي؟ قال أبو حنيفة: لقد بلغني عنك أقاويل لا تصدر عن رجل من أهل القبلة، فقال جهم: أتحم علي بالغيب؟ قال أبو حنيفة: لقد شهر ذلك عنك واستفاض، وعرفته العامة والخاصة، فجاز لي أن أثبتة عليك بما توافر عنك، فقال جهم: أنا لا أريد أن أسألك إلا عن الإيمان، فقال أبو حنيفة: أو لا تعرف الإيمان إلى هذه الساعة حتى تسألني عنه، فقال جهم: بلى، ولكنني شككت في نوع منه، قال أبو حنيفة: الشك في الإيمان كفر، فقال جهم: لا يحل لك أن تصفني بالكفر إلا إذا سمعت مني ما يكفر، فقال أبو حنيفة: سل عما بدا لك، فقال جهم: أخبرني عن رجل عرف الله بقلبه، وعلم أنه واحد لا شريك له، لا ند، وعرفه بصفاته، وأنه ليس كمثله شيء، ثم مات، ولم يعلن الإسلام بلسانه أفي موت مؤمناً أم كافراً؟ فقال أبو حنيفة: يموت كافراً، ويكون من أهل النار إذا لم يصرح بلسانه عما عرفه بجنانه، ما لم يمنعه من التصريح بلسان مانع، فقال جهم: كيف لا يكون مؤمناً، وقد عرف الله حق

معرفة، قال أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن، وتجعله حجةً لك كلمتك به، وإن كنت لا تؤمن بالقرآن، ولا تراه حجةً كلمتك بما يخالف الإسلام، قال جهنم: بل أؤمن بالقرآن، وأجعله حجة، فقال أبو حنيفة: إن الله تبارك وتعالى جعل الإيمان بجارتين اثنتين: بالقلب واللسان لا بواحدةٍ منهما، وكتاب الله وحديث رسول الله طافحان بتقرير ذلك، قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾

[ سورة المائدة: الآية 83 ]

مما عرفوا من الحق المعرفة الداخلية،

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)﴾

[المائدة]

لقد عرفوا الحق بجانهم، ونطقوا بلسانهم فأدخلهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار، وقال تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

[ سورة البقرة: الآية 136 ]

فأمرهم بالقول، ولم يكتف منهم بالمعرفة والعلم، وقال عليه الصلاة والسلام:

((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))

فلم يجعل الفلاح بالمعرفة وحدها، وإنما ضم إليها القول، وقال عليه الصلاة والسلام:

((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله))

فمن لم يقل لم يخرج من النار، من عرف، من قال لا إله إلا الله، ولو كان القول لا حاجة إليه، ويكتفى بالمعرفة من دونه لكان إبليس مؤمناً، لأنه عارفٌ بربه، قال: ربي بعزتك، فهو يعلم أنه هو الذي خلقه، وهو الذي يميته، وهو الذي يبعثه، وهو الذي أغواه، قال تعالى:

﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

[سورة الأعراف: الآية 12]

ولو كان ما تزعمه صحيحاً لكان كثيرٌ من الكفار مؤمنين، بمعرفتهم لربهم مع إنكارهم له بلسانه، قال تعالى:

﴿وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾

[سورة النمل: 14]

فلم يجعلهم مؤمنين باستيقانهم، وإنما عدّهم كافرين بجحود ألسنتهم، ومضى أبو حنيفة يتدفق على هذا النسق تارةً بالقرآن، وتارةً بالحديث، حتى بدا الانهيار والخذلان على وجه جهم،

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

[الأنعام: من الآية 83]

ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، لو اتخذ له لعله.

مرة التقى أبو حنيفة النعمان مع ملحدين، أنكروا وجود الخالق، فقال أبو حنيفة: ما تقولون في سفينة مشحونة بالأثقال، مملوءة بالأمتعة والأحمال، قد أحاطت بها في لجة البحر أمواج متلاطمة، وعصفت بها ريحٌ عاتية، غير أنها ظلت تجري هادئة في طريقها المرسومة، وتمضي مطمئنة إلى غايتها المعلومه، من غير اضطراب ولا خلل ولا انحراف ولا زلل، وليس على ظهرها ملاح يحكم سيرها، أو موجة تنظم خطوها، أفصح هذا في الفكر، قالوا: لا، إن هذا شيء لا يقبله العقل، ولا يجيزه الوهم أيها الشيخ، قال: يا سبحان الله، تتكرون أن تجري سفينة في البحر جرياً محكماً من غير أن يكون لها ريان يتعهداها، وتقرن قيام هذا الكون ببهاره الزاخرة وأفلاكه

الساهرة، وظيره السارح من غير صان يحكم صنعته، ومدبر يحسن تدبيره، تَباً لكم، ولما تأفكون.  
لما أتاه اليقين جاء في وصيته أنه عزم على أهله أن يدفنوه في أرض طيبة، ويجنبوه كل مكان فيه شبهة غصباً،  
مرة كان بيتاً في يده رهينة، فأبى أن يقف في ظل هذا البيت، لا ينتفع بهذا الرهن الذي بين يديه، كان ورعاً إلى  
أقصى الحدود، كلكم يعلم أن ركعتين من ورع خيرٌ من ألف ركعةٍ من مخلد.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 024 - 127 ) : عن المولد من مدارج السالكين

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-10-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: ما زلنا في شهر مولد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد اخترت لكم موضوعاً مستوحى من ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام، ألم يجب النبي ﷺ السيدة عائشة حينما سألته: يا رسول الله ما هذا الأديب؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

### ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))

والاحتفال بعيد المولد أساسه أن نتبع النبي عليه الصلاة والسلام، أن نتبع سنته، أن نقتفي أثره، أن نتأدب بآدابه ﷺ، قال بعض العلماء: ربنا عز وجل حينما قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[ سورة التحريم: 6 ]

هذه الآية الكريمة بماذا فسرها المفسرون؟ كيف يقي الرجل أهله النار؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[ سورة التحريم: 6 ]

قال ابن عباس رضي الله عنه: " أي أدبهم وعلموهم " ، علموهم عقائد التوحيد، وأدبهم بآداب الإسلام، التأديب سلوكي، والتعليم نظري، علمه، وأدبه، بين له، وراقبه، وجهه، وتابعه، إذاً معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[ سورة التحريم: 6 ]

قال ابن عباس رضي الله عنه: " أي أدبهم وعلموهم " ، حتى إن علم الأدب يقال فيه: فلان مختص بالأدب، الأدب العربي، الأدب فرع صغير جداً من فروع الأدب العام، يعني إصلاح اللسان، تهذيب القلم، القدرة على التعبير تعبيراً مؤثراً صادقاً، العلماء الأجلاء قالوا: الآداب ثلاثة، أدب مع الله عز وجل، وأدب مع رسوله ﷺ، وأدب مع خلقه، ثلاثة أبواب كبيرة من الآداب.

بالمناسبة درس الجمعة تفسير، ودرس الأحد سنة، يغلب على التفسير الإجلال، ويغلب على السنة الجمال، فأنت بين الجلال والجمال، لو أن الإنسان توجه إلى بيت الله الحرام بماذا يشعر؟ يشعر بالجلال، فإذا توجه إلى مقام النبي عليه الصلاة والسلام بماذا يشعر؟

أنت مع أكمل الخلق، أنت مع صفوة الصفوة، أنت مع نخبة النخبة، أنت مع الذي قال عنه حسان بن ثابت:

و أجمل منك لم تر قط عيني      و أكمل منك لم تلد النساء  
خلقت مبراً من كل عيب      كأنك قد خلقت كما تشاء

إذاً الآداب ثلاثة، أدب مع الله، وأدب مع رسول الله، وأدب مع خلقه.

الأدب مع الله، أما قال النبي الكريم: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))؟ الاحتفال بعيد المولد له شكليات وله حقيقة، شكلياته أن تأتي فرقة منشدتين، وتملاً الجو بأناشيدها، ومدائحها، شيء طيب ومقبول، وأن توزع الحلوى بحسب المستوى، لكن حقيقة الاحتفال بعيد المولد أن نتعلم عن هذه الشخصية العظيمة التي جعلها الله لنا قدوة، جعلها لنا أسوة، فالأدب مع الله ثلاثة أنواع، صيانة معاملته عن أن يشوبها بنقيصة، يعني في تعاملك مع الله، في صلواتك، في صيامك، في حجك، في زكاتك، في دعائك، في ابتهالك، في تهجدك، في استغفارك، في حمدك، العلاقة المباشرة مع الله يجب ألا يشوبها شائبة، هذا بند من بنود الأدب مع الله، هذا من ناحية السلوك.

أما القلب فمن آداب القلب مع الله ألا يلتفت إلى غيره، لذلك لما ربنا عز وجل قال:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون: 1-3]

قال أكبر المفسرين: اللغو ما سوى الله، لذلك المؤمن يوم القيامة لا يندم إلا على ساعة مرت لم يذكر الله فيها، إذاً الأدب مع الله في أداء عباداتك كما أراد الله عز وجل، والأدب مع الله في ألا يلتفت قلبك إلى سواه، لذلك الله يغار، يغار على المؤمن أن يلتفت إلى سواه، فحينما يلتفت القلب إلى سوى الله عز وجل يأتي التأديب، يقولون: إن الله يحب أن يسمع صوت عبده اللهفان، إذا غفل العبد، أو التفت لغير الله، أو سها، أو لها ما هو التأديب؟ لفت نظر، لماذا نسيتني؟

يا عبدي أيا عبدنا ما قرأت كتابنا      أما تستحي منا وكيفيك ما جرى  
أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا      أما أن تقلع عن الذنب راجعاً

كلما ارتقى الإنسان يملك حساسية، وكلما هبط مستوى يتبدل حسه، إذاً من أدبك مع الله عز وجل أن تعبده كما أراد، ومن أدبك مع الله عز وجل ألا يلتفت قلبك إلى سواه، لذلك العلماء يقولون: إخلاص العمل، وإخلاص الجهة، وإخلاص النية، النية فيها إخلاص، والوجهة فيها إخلاص، والعمل فيه إخلاص.

الآن الأدب الثالث صيانة إرادتك أن تتعلق بما يمقته الله عز وجل، ترغب، تعزم على عمل لا يرضي الله، تنوي، الإرادة، وكما تكلمنا البارحة في درس الجمعة قبل يومين هناك إحسان بالقصد، وإحسان بالعزيمة، وإحسان بالحال، وإحسان بالعمل، وإحسان بالوقت، يعني أن يبقى قصدك مطابقاً لما يريد الله عز وجل، ألا تقصد إلى بشيء لا يريده.

الآن كبار العلماء ماذا قالوا مع الأدب مع الله؟ قال يحيى بن معاذ: من تأدب بأدب الله صار من أهل محبته، أتحب أن يحبك الله؟ تأدب بالأدب مع الله.

وقال ابن المبارك، وكان من كبار العلماء قال لتلميذ يبدو أنه تجاوز حده قال: يا بني نحن إلى أدبك أحوج منا إلى علمك، كن أديباً، لذلك المقولة الشهيرة: الامتثال خير من الأدب، وفي رأي الأدب خير من الامتثال، القضية بحسب الوضع، إما أن ترى أن الأدب أفضل من أن تطيع، وإما أن ترى العكس.

لو أن إنساناً أحب أن يكرمك، وأنت أصررت، يا أخي امتثل، وأحياناً ترى المناسب أن تكون أديباً مع هذا الإنسان.

الحسن البصري سئل عن أنفع الأدب فقال، التقفه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك، أرقى أنواع الدب التقفه في الدين، أن الأصل هو العلم، العلم هو الحارس، العلم هو الموجه، العلم هو الضابط، العلم هو المنور، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

[سورة المائدة: 35]

الوسيلة العلم والعمل، ولا يصح العمل إلا إذا صح العلم، لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، العلم هو الأصل، لأنه أصل صلاح العمل. التقفه في الدين: إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، وأرقى عمل تفعله أن تتفقه في الدين، أن تعرف حقيقة الدين، سر التشريع، التقفه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة لما لله عليك.

أحد العلماء سهل التستري قيل له: ما الأدب قال: قوم استعانوا بالله على مراد الله، إياك نعبد، وإياك نستعين، وصبروا لله على آداب الله، استعنت بالله على طاعته، واستعنت بقوته على أن تكون أديباً بحقه.

أبو حفص أحد العلماء قال له الجنيد: لقد أدبت أصحابك أدب السلاطين، فقال الجنيد: فقال أبو حفص: حسن الأدب بالظاهر عنوان حسن الأدب بالباطن، فالأدب مع الله حسن الصحبة معه بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة.

المؤمن إذا اتبعت حياته، والله مشيه، جلسته، نظراته، اتكاؤه، تناول طعامه، ضحكه، ابتسامه، حديثه، كل علاقاته مصبوغة بصبغة الأدب مع الله عز وجل، هذا مقام العبودية، فمن تمام مقام العبودية أن تكون أديباً مع الله عز وجل، لذلك النبي ما رئي ماداً رجليه قط، وهو النبي الكريم، وهو سيد الخلق، وحبیب الحق، ما رئي ماداً رجليه قط، إلا إذا كان الإنسان معذوراً فهذه ليس لها علاقة، إذا كان مريضاً، معه التهاب مفاصل، تكلس بالمفاصل، هذا موضوع آخر، أما الإنسان الصحيح، ليس به شيء فالنبي عليه الصلاة والسلام ما رئي ماداً

رجله بين أصحابه.

قال: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بإخلاص.

الإنسان أحياناً يأخذ حريته، الحرية الزائدة مع الثقلت من آداب الإسلام أحد علامات قلة الورع، وأحد علامات النفاق، قال: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بإخلاص.

وقال عبد الله بن المبارك: قد أكثر الناس القول في الأدب، ونحن نقول: إنه معرفة النفس ورعونتها، وتجنب تلك الرعونات.

أحياناً إنسان يفخر زيادة بحاله، هذه رعونة من رعونات الجاهلية، وقد يتوعد خصمه توعداً شديداً، هذه رعونة، أحياناً يبالغ بإمكاناته، هذه رعونة، أحياناً يحتقر الآخرين، هذه رعونة، هذه من رعونات الجاهلية، فكلما ارتقى الإنسان ارتقت مشاعره، وارتقت مطالبه وارتقت مسالكه.

قال أبو عثمان: إن صحت المحبة، وتأكدت فعلى المحب ملازمة الأدب، يعني علامة صدق محبتك لله عز وجل أن تكون أديباً معه، فسر الدين الأدب مع الله، في الصلاة، هذا الذي يحرك حركات وسكنات، ويصلح هيئته، ويحك رأسه دائماً، ويتلفت، وينظر إلى السقف أحياناً، وعيونه زائغة في الصلاة، لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه، الإنسان كلامه يعبر عن معرفته بالله عز وجل، هناك كلمات قاسية، وكلمات فيها تطاول على الله عز وجل، وكلمات فيها تجاوز للعبودية، وكلمات فيها غمط لحق الناس.

نأخذ أمثلة، هؤلاء الأنبياء الكرام صلوات الله عليهم مثل عليا، مثلاً سيدنا يوسف ماذا قال:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾

[سورة يوسف: 100]

يخاطب إخوته، ماذا فعل به إخوته؟ وضعوه في الجب، أيهما أخطر الجب أم السجن؟ الجب، لأن السجن طعامك مضمون، وشرابك مضمون، ونومك مضمون، أما الجب ففيه خطر الموت، لم يقل: وقد أحسن بي إذا أخرجني من الجب لئلا يجرهم، لئلا يخلهم، لئلا يزعجهم، لئلا يذكرهم بنقيصتهم، بعملهم، بجريمتهم، قال تعالى:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾

[ سورة يوسف: 100 ]

هذا الأدب، لما أحد سئل سيدنا العباس: أيكما أكبر أنت أم رسول الله؟ قال: هو أكبر مني، وأنا ولدت قبله، ما هذا الأدب؟ هو أكبر مني قدراً، وعلماً، وأنا ولدت قبله، الإنسان كلما ارتقى يقول لك: مؤشر اقتصادي، سعر العملة مثلاً، أيضاً الأدب مؤشر المعرفة، كلما نمت معرفتك ارتقى مستوى أدبك مع الله عز وجل.

سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ماذا قال؟

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾

[ سورة المائدة: 116 ]

كلمة: ما قلت أنا؟ هذا الشيء فيها سوء أدب، إن كنت قلته فقد علمته، ماذا قولك لو أنه قال: لم أقل هذا يا رب، أنا ما قلت لهم هذا، فيها رعونة، إن كنت قلته فقد علمته، لم يقل لم أقله، وفرق كبير بين الجوابين، بين أن يقول هذا النبي العظيم: لم أقل هذا، وبين أن يقول: إن كنت قلته فقد علمته.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾

[ سورة المائدة: 116 ]

أثنى على ربه، ووصفه بتقرد العلم، أنت تعلم ما في نفسي، لكنني لا أعلم ما في نفسك، قال تعالى:

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[ سورة المائدة: 116-117 ]

والله الذي لا إله إلا هو إذا قرأت هذا الحوار الذي حدثنا الله في القرآن تشعر أن هذا النبي الكريم يقطر أدباً مع الله عز وجل، لو في وقت تقف عند كلمة، كلمة تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، أنا يا رب مكشوف، لكنك أنت وحدك علام الغيوب، أنت تعلم، وأنا لا أعلم، إن كنت قلته فقد علمته.

ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أنا عبد أنا مأمور، أنا علمي محدود، ما دمت حياً قلت لهم هذا، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، إنك على كل شيء شهيد، يا ربي هؤلاء أشركوا بك، عذبهم، أدخلهم النار، قال: لا، أنت السيد، أنت المالك، أنت الرب، أنت الإله، إن تعذبهم فإنهم عبادك هذا ليس من حقي، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، إذا كان سيدنا المسيح قد رأى قومه، وقد جعلوه إلهاً من بعده، قال: يا رب إن تعذبهم فإنهم عبادك، أنت تحكم على الناس سلفاً، فلان كافر فلان إلى النار، ليس هذا من شأن الإنسان، هذا من شأن الله عز وجل، إذا رأيت إنساناً عاصياً، إنساناً منحرفاً فالله يهديه.

مرة قال لي شخص: أنا أغض بصري، ولا أتأثر بالنساء إطلاقاً، يعني يعتز باستقامته، شيء تافه، لا قيمة له، قلت له: والله سيدنا يوسف أنت أعلم منه؟ ماذا قال سيدنا يوسف:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[ سورة يوسف: الآية 33 ]

هل من المعقول أن تكون أنت أعلى من سيدنا يوسف هذا النبي العظيم؟ هذه الكلمة فيها رعونة، أنا لا أتأثر، استقامتي تامة، مضبوطة، إرادتي قوية، هذا كلام فارغ، لما ربنا عز وجل يحب أن يؤدبك يضعف مقاومتك، إياك نعبد، وإياك نستعين، يجب أن تستعين على طاعة الله بالله، هذه الآية التي تقرأها كل يوم سبع عشرة مرة، إياك نعبد وإياك نستعين، يعني لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول عن معصية الله إلا بالله، ولا قوة على طاعته إلا به، إذا كان نبي عظيم يقول:

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[ سورة يوسف: الآية 33 ]

تقول أنت: أنا لا أتأثر، لا، قل: يا رب احفظني، يا رب أعني على طاعتك، أعني على غض البصر، أعني أن أكون كما تريد، سيدنا إبراهيم قال:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

[سورة إبراهيم: الآية 35]

نبي عظيم، أبو الأنبياء، من أولي العزم يدعو ربه أن يجنبه أن يعبد الأصنام، ما قولكم؟

أحياناً يكون الإنسان مثلاً غاضباً من إنسان بحق، فإذا استعطفته، فهذا من سوء الأدب، هو أرحم منك، أب يحب أن يؤدب ابنه، وأنت ليس لك علاقة، ارحمه، لا تضربه، هذا سوء أدب، فإن قال: إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فأنْتَ الغفور الرحيم، لا، قال: فإنك أنت العزيز الرحيم، يعني أنت الحكيم إن عذبتهم، فهذه هي الحكمة، وإن رحمتهم فهذه هي الحكمة.

أحياناً الإنسان يدعو، وفي دعائه تطاول على الله، لو قال له: إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، بحسب الظاهر أقرب مناسبة وأكثر، قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الرحيم، يعني إن غفرت لهم فهذه هي الحكمة المطلقة، وإن عذبتهم فهذه هي الحكمة المطلقة، وأنا يا رب هذا ليس من شأني، فلان كافر؟ الله أعلم، هذا ليس من شأنك، هذا من شأن الله، نحن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

قال: يا رسول الله قالها تقية، قال: يا أسامة أشققت على صدره، من تمام الأدب أن تحكم على الناس بالظاهر، يصلي، يصوم، يشهد أنه لا إله إلا الله، انتهى الأمر، إنسان رأيته يعلن الشهادة، ويصلي، ويصوم انتهت مهمتك، ليس من شأنك أن تكفره.

سيدنا إبراهيم كيف أدبه مع الله؟

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ﴾

[سورة الشعراء]

هي حسب السياق: وإذا أمرضني فهو يشفين.

### ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[ سورة الشعراء : الآية 80 ]

نسب المرض إليه، والحقيقة هكذا، أنت مخلوق كامل، أي خلل في التعامل مع الأشياء، وفي الطعام، والشراب إذا خالفت السنة فهناك أعراض المخالفة، فإذا كان ثمة آلة في أعلى درجات الصيانة والإتقان، إذا حصل فيها خلل من سوء استعمالها، لا من صانعها، صانعها مبرراً، أما أنت فأسأت استعمالها، يقول لك: تطبيق وكالة معها تعليمات، مع دقة، تعمل بانتظام، بلا كلل، ولا ملل، لكن أنت أسأت استعمالها، شغلتها على خلاف تعليمات الصانع، يحصل فيها خلل.

كلام سيدنا إبراهيم فيه أدب، سيدنا الخضر قال:

### ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾

[ سورة الكهف: 79 ]

نسب الإرادة إلى ذاته، و قال:

### ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾

[ سورة الكهف: 82 ]

ربنا أيضاً علمنا الأدب، قال تعالى:

### ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[ سورة الأنعام: 17 ]

الضر: إن يمسسك، أما الخير إن يردك، وفرق كبير بينهما، الأصل في علاقة الأب مع ابنه المحبة، والرعاية، والعطف، والإكرام، هذا الأصل، لكن أحياناً الابن ينحرف، وانحرافه يستوجب العقاب، الأصل هو الإكرام، العقاب شيء طارئ استثنائي، شيء غير مقصود، غير مرغوب فيه، غير مراد، أما الإكرام فهو الأصل، كلمة مس، قال

تعالى:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾

[ سورة الأنعام: 17 ]

إذا أراد الإنسان أن يمس مدفأة يمسها بكل جسمه ؟ يعانقها بطرف إصبعه، وأيضاً يعطيها ريقاً حتى إذا أراد أن يلمس مكواة يضع كل كفه، طرف إصبعه، المس أقل مساحة ممكنة في أقل زمن ممكن، وهكذا الله عز وجل:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾

[ سورة الأنعام: 17 ]

يقول لك: كريمة رمل، كريمة يعني موجة دقيقتين أو ثلاث يصيح، ويستريح، إذا كانت مستمرة ساعتين ينتهي الإنسان، فربنا إذا عذب الإنسان تكون النوبات خفيفة، يقول لك: لا تحتل، ربنا قال:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[ سورة الأنعام: 17 ]

المس شيء، والإرادة شيء آخر.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾

[ سورة الكهف: 79 ]

الجن ماذا قالوا ؟

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْداً﴾

[ سورة الجن: 10 ]

الشر، ما قالوا: أراد الله بهم شراً، هذا مستحيل، قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود: 119]

ربنا عز وجل خلق الخلق ليرحمهم، ليسعدهم، عرض عليهم الأمانة، الذين قصرُوا في حملها دفعوا الثمن، هذا ليس مراداً، ليس مقصوداً، سيدنا موسى كان جائعاً جداً، ما قال، ربي أطعمني، قال تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

[سورة القصص: 24]

أيضاً في منتهى الأدب، سيدنا آدم ما قال: ربي قدرت علي المعصية، وقضيتها علي، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[سورة الأعراف: 23]

أنت لو تتبعت أقوال الأنبياء مع الله عز وجل لرأيت أقوالهم في منتهى الأدب، في منتهى المعرفة، سيدنا أيوب ماذا قال؟ قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلا أَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 151]

سيدنا إبراهيم قال له جبريل: ألك عند الله حاجة؟ قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي، انظر على هذا الأدب.

سيدنا يوسف أيضاً، قال تعالى:

﴿أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾

[سورة يوسف: الآية 100]

ما قال: من بعد أن فعل بي إختي ما فعلوا، جعل فعلهم تابعاً للشيطان، النبي عليه الصلاة والسلام أمر رجلاً أن يستر عورته، وإن كان خالياً لا يراه أحد، هذا من تمام الأدب مع الله عز وجل، قال بعضهم: الزموا الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً.

عندنا نقطة مهمة جداً قالها ابن المبارك، قال: من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، عندك آداب، سنن، فرائض، مستوى الآداب، الأدب أن تدخل إلى المسجد بالرجل اليمنى، أن تأكل باليمنى، ألا تأكل متكئاً، أن تشرب جالساً، أن تسمي، أن تحمد، عندك آداب الطعام، آداب الطريق، آداب التعلم، العلم له آداب كثيرة جداً.

عندك الآداب، ثم السنن، ثم الفرائض، ماذا قال ابن المبارك؟ من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان، الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة، آداب، سنن، فرائض، معرفة، قصرت في الآداب حرمت السنن، قصرت في السنن حرمت الفرائض، قصرت في الفرائض حرمت المعرفة، لذلك ورد في بعض الأحاديث، والحديث الضعيف يجوز روايته في الآداب فقط: ((ما استرذل الله عبداً إلا حضر عليه العلم والأدب))، الإنسان إذا كان صغيراً في عين الله عز وجل، إذا سقط من عين الله حضر عليه العلم والأدب يعطيه المال الوفير، الصحة الطيبة، الذكاء، الجمال، حياته غنية بالمباهج والمتع بالشهوات، لكنه محروم من الأدب والعلم والأدب والعلم الذي هو عطاء الأنبياء، إذاً من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، من تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة.

إذا كان مع الإنسان وقت يبحث عن آداب الطريق، غض البصر، طرح السلام، رد السلام، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، إذا كان للإنسان محل على الطريق، هذه لها آداب، آداب طلب العلم، آداب المجالسة، آداب الزيارة، آداب عيادة المريض، آداب المشي في الجنازة، كنا بجنازة منذ أسبوع الملقن يلقن، والشيخ يدعو، والميت في قبره، وإنسان يتحدث عن البيع والشراء، وعقود، وشراء، وأسعار، وارتفاع، وتوكيل محامين، والله وقف موقفاً ما من واحد إلا اشأز منه، واحتقره، هذا مكان عقود، ومحامين، وبيع، والميت يدفن، هناك آداب التشييع، فإذا تعرف الإنسان إلى الآداب، وانتقل منها إلى السنن، أو بالعكس، المعرفة، الفرائض، السنن، الآداب يكون قد وصل إلى درجة ترضي الله عز وجل.

الأدب في العمل علامة قبول العمل، أحياناً يكون العمل طيباً، لكن ليس فيه أدب، أنا فعلت كذا، قال بعض الحكماء: رقصت الفضيلة تيهاً بنفسها فانكشفت عورتها، حتى إذا حدثت الناس بأعمالك الطيبة فهذا الحديث نفسه فيه سوء أدب مع الله عز وجل، كأنك تستعلي عليه، فلذلك الأدب في العمل علامة قبول العمل.

إن شاء الله في درس قادم نتحدث عن آداب النبي عليه الصلاة والسلام العربي، طبعاً تحدثنا عن آداب الأنبياء في القرآن، والنبي له آداب كثيرة، بقي الأدب مع رسول الله، والآداب مع الخلق، الآداب بحث لطيف جداً، وهذا يقودنا إلى طاعة الله عز وجل والإقبال عليه.

والآن إلى قصة من قصص التابعين رحمهم الله تعالى، نحن في الدرس الماضي كان الحديث عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، واليوم الحديث عن سالم بن عبد الله بن عمر.

ولد سالم بن عبد الله في رحاب المدينة المنورة مثوى رسول الله ﷺ، ودار هجرته، وفي أجوائها العبة بطيوب النبوة المتألقة درج وشب، وفي كنف أبيه العابد الزهاد الصوم القوام تربي، وبأخلاقه العمرية تخلق، لقد رأى فيه أبوه من مخايل التقى، وعلائم الهدى، وأبصر في سلوكه من شمائل الإسلام، وأخلاق القرآن فوق ما كان يراه في إخوته، فأحبه حباً ملك عليه شغاف قلبه، وخالط منه حبات فوائده، حتى لامه اللائمون، وأقبل عليه بيت ما وعاه صدره من حديث رسول الله ﷺ، ويفقهه في دين الله، ويمليه من كتاب الله، ثم دفع به إلى الحرم الشريف، وكان مسجد رسول الله ﷺ مازال معموراً بطائفة كبيرة من جلة الصحابة، فحيثما ألم الفتى بركن من أركان الحرم ألقى أمامه نجماً متألقاً، وعبقاً من طيوب الرسالة الغراء، أتيح لهذا الفتى أن يأخذ عن طائفة من جلة الصحابة، وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، وأبو رافع، وأبو لبابة، وزيد بن الخطاب، بالإضافة إلى والده عبد الله بن عمر، فما لبث أن غداً علماً من أعلام المسلمين.

العلم بالتعلم، يجب أن تجلس على ركبتيك، أن تفهم كلام الله، أن تفهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام، أن تدفع الثمن، إلا إن سلعة الله غالية، ما من إنسان تعلم بلا تعلم، تعلم من عند نفسه، العلم له مكان، وهو المسجد، والعلم له رجال، له كتاب، لا بد من أن تأخذ بالوسائل كي تصل على الأهداف.

عبد الرحمن بن الضحاك والي المدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك، وكانت فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه، قد تزلزلت، وانقطعت إلى أولادها، فتقدم إليها ابن الضحاك، وخطبها لنفسه، فقالت: والله ما أبغي الزواج، ولقد قعدت على بني، ووقفت نفسي عليهم.

هناك حالات تكون المرأة شابة في مقتبل الحياة، ويموت زوجها، ولها منه أولاد، تقف نفسها على أولادها، النبي عليه الصلاة والسلام قال مرة:

((أول من يمسك بخلق الجنة أنا فإذا امرأة تنازعتني تريد أن تدخل الجنة قبلي قلت من هذه يا جبريل ؟ قال هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

هذه امرأة تريد أن تدخل الجنة قبل النبي عليه الصلاة والسلام، ليس لأنها تعرف أنه هو النبي، ولكن هي مشغولة برغبتها بدخول الجنة، أراد النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث أن يبين عظم المرأة التي تقف نفسها على أولادها، فجعل يلح عليها، وهي تحتال في الاعتذار إليه من غير مخاشنة، خوفاً من شره.

أحياناً الإنسان يخاشن الناس، الخشونة غير مطلوبة، حتى في الوعظ، حتى في الإرشاد، حتى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أمر بالمعروف فليكن أمره بالمعروف، هناك وسائل لطيفة جداً، وذكية جداً، ومؤدبة جداً في النصح، وهناك وسائل فظة، ومواقف عنيفة، وكلام قاس، ماذا قال الله عز وجل ؟

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

علموا، ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف، فالإنسان مع من دونه، مع أولاده، مع أقاربه، مع موظفين عنده، دائماً يكون رحيماً.

دخل رجل إلى المسجد، وقد ركض، وأحدث جلبة وضجيجاً، شوش على الحاضرين، هذا عمل فيه إساءة، لكن ما الذي حمله على هذه الإساءة ؟ حرصه على الصلاة خلف النبي عليه الصلاة والسلام، في الوقت المناسب النبي ما نسي هذا الحرص منه، قال له:

((زادك الله حرصاً ولا تعد))

تريد أن تنتقد إنساناً ابحت عن ميزاته أولاً، عندك موظفون، أنت صاحب محل، عندك عمال، أنت صاحب معمل، أنت رئيس دائرة، مدير مستشفى، أنت إنسان داعية، عندك ناس تابعون لك، هذا الإنسان ليس معصوماً، يخطئ، ويصيب، أخطأ أليس له حسنة ؟ هذا أحد ملوك الأندلس كان يسير في حديقة ابن عباد، رأى صفحة ماء مستوية هبت عليها نسيمات عليلية، فجعلتها كالزرد، كالسلسلة فقال:

## نثر الجو على الماء زرد

وأراد أن يتابع الشعر فما تمكن، وثمة جارية وراءه قالت:

### ياله درعاً منيعاً لو جمد

أعجب بهذه الجارية، فتزوجها، وأصبحت زوجته، هو ملك أكبر دولة في الأندلس، عاشت هذه الجارية بعد أن أصبحت ملكة أو زوجة الأمير حياة بمنتهى الرفاه، والبجوحة، مرةً اشتاقت إلى حياة الفقر، اشتهدت أن تدوس في الطين، فجاءها بمسك، وكافور، وخط المسك، والكافور بماء الورد، وقال لها: هذا هو الطين، فدوسي فيه، ثم جاء ابن تاشفين، وقضى على ملوك الطوائف جميعاً، ووضعهم في السجن، وذاق حياة البؤس والمرارة، ولما خرج من السجن، كانت تقول له هذه الجارية، أو هذه الزوجة: لم أر منك خيراً قط، فكان يقول لها: ولا يوم الطين. هكذا النبي الكريم قال:

((إن أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأيت منك شيئاً قالت: لم أر منك خيراً قط))

الإنسان من كماله ألا ينسى الفضل، لا ينسى المواقف الطيبة، فالإنسان إذا أمر بالمعروف فلا يكن قاسياً، لا يكن فظاً، يسلك طريق الحلم، لأنك أنت إلى أن تمتلك القلوب أحوج منك إلى أن تمتلك الأجسام، لك قالب وقالب، القلب له شكل، وله حقيقة، أنت تريد الحقيقة، القلب مثلاً إذا كنت قوياً، والناس دونك، أنت تريد أن يمدحوك في وجهك أم في غيبتك؟ إذا كانوا يحبونك يمدحونك في غيبتك، أما إذا كانوا يخافونك فيمدحونك في حضورك، والمدح في حضور الرجل لا قيمة له، المقياس أن تمدح في غيبتك.

فلما وجدها تتأبى، النبي عليه الصلاة والسلام لما طلب من امرأة أن تراجع زوجها، أن تقبله زوجاً لها، بعد أن رفضته، قالت له: أفتأمرني؟ قال: لا إنما أنا شفيح، قضايا الزواج قضايا خاصة جداً، الإنسان لا حق له أن يضع مكانته كلها، ومركزه للضغط على إنسان كي يأخذ فلانة، أو أن تأخذ فلانة فلاناً، هذه قضية خاصة جداً.

قال لها: والله إن لم ترضي بي زوجاً لأخذن أكبر بنيك، ولأجلدنه بتهمة شرب الخمر، فاستشارت سالم بن عبد الله في أمرها، فأشار عليها أن تكتب على الخليفة كتاباً تشكو فيه الوالي، وتذكر قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكتبت الكتاب، وأنفذته مع رسول لها إلى دمشق، وما كاد الرسول يمضي بالكتاب حتى جاء أمر الخليفة إلى ابن هرمز عاملة على ديوان المال في المدينة بأن يقدم عليه ليرفع إليه حسابه، فقام ابن هرمز يودع

أصحاب الحقوق عليه، فاستأذن على فاطمة بنت الحسين، وقال: إني ماض إلى دمشق، فهل لك من حاجة؟ قالت: نعم تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك، وما يتعرض بي إليه، وأنه لا يرعى حرمة لعلماء المدينة، وخاصة سالم بن عبد الله، فلام نفسه على زيارتها، إذ ما كان يريد أن يحمل شكواها من ابن الضحاك إلى الخليفة، وصل ابن هرمز إلى دمشق في نفس اليوم الذي وصل فيه الرسول الذي يحمل كتاب فاطمة، فلما دخل على الخليفة استخبره عن أحوال المدينة، وسأله عن سالم بن عبد الله وصحبه من الفقهاء، فقال له: هل هناك أمر نو شأن جدير بأن يعلم، أو خبر نو خطر حري بأن يذكر، فلم يذكر له شيئاً من قصة فاطمة بنت الحسين، ولم يشر بشيء من موقف الوالي من سالم بن عبد الله، وفيما هو جالس عنده يرفع له حسابه إذ دخل الحاجب، وقال: أصلح الله الأمير، إن في الباب رسول فاطمة بنت الحسين، فتغير وجه ابن هرمز، وقال: أطل الله بقاء الأمير، إن فاطمة بنت الحسين حملتني رسالة إليك، وأخبره الخبر، فما إن سمع مقالته حتى نزل عن سريره، وقال: لا أم لك، ألم أسألك عن شؤون المدينة، وأخبارها؟ أليكون لديك مثل هذا الخبر، وتكتمه عني؟ فاعتذر له بالنسيان، ثم أذن للرسول، فأدخل عليه، فأخذ الكتاب منه، وفضه، وجعل يقرأه، والشرر يتطاير من عينيه، وأخذ يضرب الأرض بخيزران كان في يده، وهو يقول: لقد اجتراً ابن الضحاك على آل رسول الله، ولم يصغ لنصح سالم بن عبد الله فيهم، هل من رجل يسمعي صوته، وهو يعذب في المدينة، وأنا على فراشي في دمشق، فقيل له: نعم يا أمير المؤمنين ليس للمدينة إلا عبد الله بن بشر النضري، فوله إياها، وهو مقيم الآن في الطائف، قال: نعم، والله نعم، إنه لها.

ثم دعا بقرطاس، وكتب بيديه من أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك إلى عبد الواحد بن بشر النضري، السلام عليك، أما بعد، فإني قد وليتك المدينة، فإذا جاءك كتابي هذا فتوجه إليها، واعزل عنها ابن الضحاك، وافرض عليه غرامة مقدارها كذا وكذا.

هذا التابعي الجليل الذي كان عالماً فقيهاً في المدينة له شأنه، فحينما تجاوز الوالي قدره، ولم يرع له نصحاً، ولم يقم له قيمةً استحق هذا الوالي من الخليفة أن يعاقب بهذا العقاب، أخذ صاحب البريد الكتاب، ومضى يحث الخطى نحو الطائف عن طريق المدينة، فلما بلغ المدينة لم يدخل على واليها ابن الضحاك، ولم يسلم عليه، فأوجس الوالي خيفة في نفسه، وأرسل إليه، ودعاه إلى بيته، وسأله عن سبب قدومه، فلم يبح له بشيء، فرفع طرف فراشه، وقال انظر، فإذا كيس قد ملئ بالدنانير، فقال: هذه ألف دينار، ولك علي عهد الله وميثاقه إن أنت أخبرتني عن وجهتك، وما في يدك لأدفعنها إليك، ولأكتمن ذلك، فأخبره، فدفعت إليه المال، وقال: تريث هنا ثلاث

ليال حتى أصل إلى دمشق، ثم امض إلى ما أمرت به، زم ابن الضحاك ركائبه، وغادر المدينة لتوه، ومضى نحو دمشق، فلما بلغها دخل على أخ الخليفة مسلمة، وكان سيداً أريحياً صاحب نجدة، فلما صار بين يديه قال له: أنا في جوارك أيها الأمير، قال أبشر بخير، ما شأنك؟ قال: إن أمير المؤمنين ناقد علي لهنة بدرت مني، فغدا مسلمة على يزيد، وقال له: إن لي لدى أمير المؤمنين حاجة، فقال يزيد: كل حاجة لك مقضية ما لم تكن في ابن الضحاك، إلا هذه الحاجة، فقال: والله ما جئتك إلا من أجله، فقال: والله لا أعفيه أبداً، قال: ما ذنبه؟ قال: لقد تعرض لفاطمة بنت الحسين، وهددها، وتوعدها، وأرهبها، ولم يصغ لسالم بن عبد الله في أمرها، فهب شعراء المدينة جميعاً، يهجونه، وطفق صلاحواؤها، وعلماؤها يعيبونه، فقال مسلمة: أنت وشأنك معه يا أمير المؤمنين، فقال يزيد: أمره أن يعود إلى المدينة لينفذ واليها الجديد أمره فيه، ويجعله عبرة لغيره من الولاة، فرح أهل المدينة أعظم الفرح بوليهم الجديد، وسرهم حزمه في تنفيذ أمر الخليفة لابن الضحاك.

الناس بعلمائهم، وأمرائهم، وإذا فسد العلماء والأمرء فالأمة كلها تفسد، مراكز القوى في الأمة العلماء والأمرء، لذلك إذا أهين العلماء فالأمر يبدو غير صحيح.

وزدادوا تعلقاً حينما وجدوه يذهب مذاهب الخير، ولا يقطع أمراً من أمورهم إلا إذا استشار القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر.

سيدنا عمر بن عبد العزيز وضع له مستشاراً، قال لهذا المستشار: كن معي دائماً، فإذا رأيتني ضللت - طبعاً جعله عالماً جليلاً - فأمسكني من تلايبي، وهزني هزاً شديداً، وقل لي: اتق الله يا عمر فإنك ستموت.

الإنسان دائماً يستشير، يقولون: من استشار الرجال استعار عقولهم، وقال بعضهم: تملكها، عقل راجح كبير تشتريه، وتمتلكه، إذا استشرته فهذه نصيحة لوجه الله في أمور الدنيا، في أمور الشراء، في أمور الزواج، في أمور متعلقة بالشرع، اسأل من كان بهذا الأمر خبير، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل: 43]

والاستشارة مفخرة، الله عز وجل قال:

### ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: 159]

لم خاطب النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد ولد آدم الذي يوحى إليه، المعصوم؟ ومع ذلك أمره أن يشاور، فهذه القصة مغزاها أن الإنسان عليه أن يستشير، وإذا أشار عليه أولو العلم والفضل فعليه أن ينصاع إليهم، لأنهم يأتونه بالدليل عن الله عز وجل، إنسان وقع في معصية كبيرة، هذه المخالفة دمرته، لأنه ضن بوقته أن يبذله في سؤال أهل العلم، أو سؤال أولي الخبرة.

القصة مغزاها أنك عليك أن تسأل، وعليك أن تستشر، وعليك أن تشاور، وإذا استشرت، وجاءتك الفتوى أو الإشارة أو التوجيه مع الدليل القرآني أو النبوي فعندئذ عليك أن تنصاع لأن هذا حكم الشرع. إن شاء الله تعالى نتابع هذه السير سير التابعين في دروس قادمة.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (025 - 127) : حق العباد على الله أن يعبدوه ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-12-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الإخوة المؤمنون: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ ))

[ متفق عليه ]

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

يعني النبي ﷺ من تواضعه الجم أنه كان يدعو بعض أصحابه ليركب خلفه على الدابة، هذا من تواضعه، وهذا من تكريمه.

((بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ ))

الرحل الذي يوضع على الدابة، آخرة الرحل طرف الرحل الآخر.

((بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ))

الإنسان إذا نودي باسمه هذا من باب التحبيب، يا معاذ، مرة قال عليه الصلاة والسلام:

((والله يا معاذ إني لأحبك))

((قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ))

معنى لبيك: إجابة بعد إجابة، وإسعاداً بعد إسعاد، يعني أنا ألبيك، وأسعى أن أسعدك يا رسول الله

((قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ))

يعني أنا في خدمتك، أنا مستجيب لندائك، وأنا في خدمتك، ما تكلم النبي شيئاً،

((قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً))

معنى ساعة: أي مرحلة من الزمن.

((ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ))

أنا لا أعتقد على وجه الأرض أن أناساً يحبون رجلاً على الإطلاق كما أحب أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ.

((ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ))

السؤال الآن: لماذا ناداه باسمه، وسكت؟ ناداه باسمه، وسكت، ناداه باسمه، وسكت، قال بعض علماء الحديث: هذا من قبيل التشويق، يعني إذا أردت أن تلقي على إنسان أمراً خطيراً، أمراً ذا بال، تحب أن تلفت نظره، تدعوه مرة أولى، وثانية، وثالثة.

((قُلْتُ لَنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ))

أيضاً كان النبي ﷺ معلماً، قال:

((إنما بعثت معلماً، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

من أساليبه التربوية أنه كان إذا أراد أن يلقي موعظةً أو حقيقة ساقها على شكل سؤال وجواب.

((يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ))

الذي خلقنا، ولم تكن شيئاً يذكر، الذي أمدنا بالوجود، أمدنا بحاجاتنا، أمدنا بالإرشاد، أنعم علينا نعماً ظاهرة وباطنة، خلقنا من عدم، خلقنا ليسعدنا، خلقنا لجنة عرضها السماوات والأرض، أليس له حق علينا ؟ قال سيدنا عمر: ( عجبت لثلاث ؛ عجبت لمؤمل والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط عنه الله أم راض).

قبل أن تضحك، قبل أن تتمطى في البيت، قبل أن تمزح، قبل أن تسخر من بعض الناس، قبل أن تعطي حظوظ نفسك، قبل أن تستعلي على خلق الله، هل أدبت حق الله عليك ؟ هل عرفت الذي خلقك ؟ هل عرفت لماذا خلقك ؟ هل عرفت أين كنت ؟ هل عرفت أين المصير ؟

((يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ))

كان سيدنا معاذ في أعلى درجات الأدب.

((قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ))

من يتوقع كلمة واحدة، حق الله على عباده أن يفعلوا كذا، أن يعبدوه، لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات: 56]

أنت خلقت لتعبد الله، العبادة أن تخضع له، أن تآتمر بأمره، أن تنتهي عما عنه نهى، أن تطبق شرعه، أن تحبه، أن تقدم بعض ما عندك ابتغاء مرضاته، أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، أن تعبده، لذلك لما رينا عز وجل قال:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

[سورة النور: 55]

وعد الله حق:

﴿وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[سورة النساء: 87]

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة التوبة: 111]

هذا كلام خالق الكون.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

[سورة النور: 55]

يعني أن يجعلهم خلفاء في الأرض، هؤلاء قوم النبي صلى الله عليه و سلم كانوا رعاة الغنم، فلما عبدوا الله عز وجل صاروا رعاة الأمم، وسادة الأمم.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي﴾

[سورة النور: 55]

هذا الذي عليه، يا عبادي، هذا وعد، قطعي مني، أما الذي عليكم:

### ﴿يَعْبُدُونِي﴾

[ سورة النور: 55 ]

هذا حق الله على عباده، أن تعبدوه، أن توقع حياتك وفق مراده، أن توقع حركتك وسكونك عطاءك ومنعك غضبك ورضاك صلتك وقطيعتك، أن توقع كل شؤون حياتك وفق مرضاته،

(( يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ))

لذلك إذا آمنت بالله إيماناً قطعياً يقينياً كاملاً، إذا آمنت به خالقاً، وآمنت به مريباً، وآمنت به مسيراً، إذا عرفت أسماءه الحسنی، وصفاته الفضلی، وأيقنت أن هذا القرآن كلامه، وأن هذا النبي صلى الله عليه و سلم رسوله، فنشاطك كله ينحصر في شيء واحد ؛ أن تبحث عن أمره ونهيه، وأن تعبدوه من خلال تطبيق أمره ونهيه، فإذا طبقت أمره ونهيه تعبدواً ألقى الله في قلبك النور لترى سر أمره ونهيه.

أريد أن يكون هذا الحديث، وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعمل))

يوجد علم كسبي، وعلم إشراقي، العلم الكسبي أن تبحث عن أمره ونهيه، أن يقع زواجك وفق ما أراد الله، إن في اختيار الزوجة، وإن في معاملة الزوجة، إن في تربية الأولاد، أن تقع تجارتك وفق ما أراد الله في البيع والشراء، في التعامل مع الناس، أن تقع حالات مرحك فيما يرضي الله، مهمتك الأولى أن تبحث عن أمر الله، فإذا ثبت لك أن هذا حديث صحيح عن رسول الله، وما ينطق عن الهوى بادرت إلى تطبيقه، هذا جوهر العبادة، مادمت قد آمنت بالله، وبكتابه، وبرسوله إذاً فمهمتك الأولى أن تعبدوه، أي أن تبحث عن أمره، وأن تطبق أمره.

((قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا))

لمجرد أن تعبد، وأن تعبد معه جهةً أخرى، أي أن تطيع جهةً أخرى، أو أن ترضي جهةً أخرى، أو أن ترجو جهةً أخرى، أو أن تخاف من جهة أخرى، أو أن تعلق الأمل على جهة، أخرى فقد أشركت، به مبالغةً في التوحيد أن تعبد، وألا تشرك به شيئاً، وأقل شيء في اللغة اسمه شيء، كل شيء ممكن اسمه شيء، هذه الذرة التي إذا كنت أرض الغرفة في أيام الشتاء، والشمس في داخل الغرفة ترى ذرات ليس لها وزن إطلاقاً، تجول في أجواء الغرفة، هذه اسمها شيء.

((وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ))

لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((الشرك أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء))

وأدناه أن تحب على معصية، وأن تبغض على جور، أن تحب على جور، وأن تبغض على عدل، نصحك إنسان فغضبت، أشركت نفسك مع الله عز وجل، إنسان قدم لك خدمة، رضيت منه، وهو على معصية، هذا أحد أنواع الشرك الخفي.

(( ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قُلْتُ لِنَبِيِّكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ ))

حق الله عليك أن تعبد، آمنت به، آمنت برسوله، آمنت بكتابه، تقصيت أمره، طبق أمره، نفذت أمره، صليت الخمس، حججت البيت، صمت رمضان، دفعت الزكاة، غضضت بصرك، تحريت دخلك، أوقعت معاملتك لأهلك وفق شرع الله، اعبد في كل ما تعلم، الآن كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام ينشأ لك حق عند الله.

((فَقَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ))

بالمناسبة، صلاة الاستسقاء أقيمت في كل مساجد دمشق تقريباً، والمطر لم ينزل، هناك مشكلة، إذا كان الرجل راكباً سيارة، وتوقفت به فجأة، لو وقف إلى جانب هذه السيارة المعطلة، ورفع يديه، وصرخ، ونادى، واستجار، واستغاث، ورفع صوته، ورفع يديه، ولوح، السيارة واقفة، الموقف العلمي أن تبحث عن سبب الخلل، وأن تصلح هذا الخلل، لذلك ورد في صلاة الاستسقاء أنه لا تشرع صلاة الاستسقاء إلا إذا خرج العباد من مظالمهم، وخرجوا

من معاصيهم، وتابوا إلى ربهم، وأدوا الحقوق التي عليهم، وصاموا ثلاثة أيام متتالية، لأن هذه قواعد.

((حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ))

نقص الماء يعذبهم، نقص المواد يعذبهم، شدة الحر تعذبهم، شدة القر تعذبهم، نقص المواد التي بين أيديهم يعذبهم، الأزمات الطاحنة تعذبهم، قال تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[ سورة النساء: 147 ]

الحديث كله طويل، رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد، الحديث كله فيه محوران أساسيان، حق الله على عباده، أن يعبدوه، وحقهم على الله ألا يعذبهم، لذلك كأن النبي عليه الصلاة والسلام انطلق من قول الله عز وجل:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[ سورة النساء: 147 ]

لأن الكون سخره الله لك تسخير تعريف فيجب أن تعرفه من خلال الكون، ولأن الكون سخره الله لك تسخير إكرام فيجب أن تشكره، فإذا سخره لك تعريفاً فعرفته، وإذا سخره لك تكريماً فشكرته، فقد حققت المراد الذي خلقت من أجله، لذلك إذا كنت عبداً لله فمقام العبودية الطاعة، مقام العبودية الطاعة مع الحب، لأن الله سبحانه وتعالى سخر لك الكون كله، أولاً سخره كي تحبه، إذاً لا بد من طاعة مع الحب، الطاعة مع الحب لا يمكن إلا أن تبني على معرفة الله عز وجل، والطاعة مع الحب لا بد من أن تفضيا إلى سعادة أبدية.

يمكن أن ألخص لك الدين كله في ثلاث كلمات: الأولى مركزية، والثانية تمهيدية، والثالثة نتيجة حتمية، إذا فعلت الوسطى فالنتيجة حتمية، ولم تفعل الوسطى إلا إذا سلكت في المقدمة التمهيدية، أنت مخلوق كي تطيعه، وتحبه، لكن لن تطيعه ولن تحبه إلا إذا عرفته، إن أطعته وأحبيته سعدت بقربه في الدنيا والآخرة، هذا هو الدين كله، إذاً نشاط المؤمن منصرف إلى شيئين، إلى معرفة الله، وإلى طاعته، والتقرب إليه، عنده نشاط فكري دائماً، ونشاط سلوكي، إذا جاء إلى مجلس علم فهذا نشاط علمي تعرفي، إذا قرأ القرآن، إذا قرأ السنة، إذا قرأ كتاب السيرة، إذا جلس في مجلس علم، إذا استمع إلى خطبة، إذا أمر بالمعروف، إذا نهى عن المنكر، انصاع لأمر بالمعروف،

لنهي عن منكر، هذا نشاط علمي مركزه الفكر.

الآن نشاط سلوكي، مرت امرأة سافرة فغض بصره عنها، عرض عليه دخل فيه شبهة فأعرض عنه، في قبضه، وفي دفعه، في أقواله، وأفعاله، في خواطره، في نطقه، في كلامه، إذاً لن تسعد إلا بحالتين، إذا عرفته، وإذا عبدته، و اقرأ القرآن كله فلن تجد في القرآن إلا هذين الشيين:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

[ سورة المؤمنون: 32 ]

لذلك قيل: نهاية العلم التوحيد، موضوع التوحيد كفكرة سهل جداً، أما كممارسة فأن تعيش التوحيد، إذا جاءك أمر يزعجك ألا ترى إلا الله، أن ترى يد الله الخفية، أن ترى يد الله فوق يد هذا الذي ساق الشر إليك، هذا هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، تعرفه، وتعبده، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[ سورة الكهف: 110 ]

القرآن كله سيلخص بكلمتين:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[ سورة الكهف: 110 ]

ليطعه طاعة تامة، وليعمل الصالحات تقرباً إليه، إذا أراد أن يلقاه، ولن يلقاه إلا إذا عرفه، إنما إلهكم إله واحد، هذا ملخص الملخص، هذا سر الدين، الدين كله كامن في هذه الكلمات الثلاث، تعرفه، تعبده، تسعد به في الدنيا وإلى الأبد.

إذاً من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((لا بورك لي في صباح يوم لم أزد فيه من الله علماً، و لا بورك لي في صباح يوم لم أزد فيه من الله قرباً)).

إذاً أي يوم يمضي لم تزد فيه علماً، ولم تزد فيه قريباً فهو مضيعة من حياتك، وهو خسارة كبيرة، لأنك في الأساس بضعة أيام، أنت زمن استهلكك يوماً في غير ما خلقت له، هذه الخسارة، إذاً أن تأتي إلى المسجد لتستمع إلى تفسير كتاب الله، لتستمع إلى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، لتستمع إلى سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، لتتعرف إلى الطريق إلى الله عز وجل، هذا نشاط علمي، الآن ذهبت إلى البيت، في تعاملك مع أهل البيت، مع أولادك، مع زوجتك، في كسب المال، في إنفاق المال، في محرك، في وقت فراغك، في وقت عملك، كيف آكل أسمى ماذا أفعل قبل أن آكل؟ الوضوء قبله، والوضوء بعده، كيف أشرب؟ جالساً على ثلاث مراحل، كيف أنام؟ على شقي الأيمن، كيف أستيقظ؟ كيف أدعو؟ كيف أصلي؟ كيف أعامل أقربائي؟ كيف أعامل زبائني؟ همك الوحيد في حياتك اليومية تطبيق ما تعلمته في المسجد.

مرة ثانية أقول لكم بتواضع: الفرق بين أن تعرف السنة وأن تطبقها فرق كبير جداً، كالفرق بين أن تقول: خمسمئة مليون وأن تملك هذا المبلغ، أي إنسان يقول: خمسمئة مليون، أما أن تملك هذا المبلغ فشيء مهم جداً بنظر بعض الناس، كذلك السنة أن تقرأها شيء، وأن تتذوقها شيء، وأن تتأثر بها شيء، وأن تلقيها على الناس شيء، وأن تفعلها شيء آخر، لن تسعد بها إلا إذا طبقتها، فالذي يحب ألا يضيع حياته سدىً، الذي يحب أن يرقى يوماً بعد يوم، من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، الذي يحب أن يقطف ثمار الدين، أن يراها ملموسة بين يديه، الذي يحب أن يقول: أنا أسعد الناس بهذا الدين، ما من أحد أسعد مني، الذي يحب أن يعرف طعم القرب، طعم الحب، طعم الثقة بالله، طعم رضوان الله، فلا يلتفت للأقوال كلها، بل يلتفت للأفعال، ثمة نشاطان، نشاط علمي، ونشاط تطبيقي، نشاط في معرفة الخالق وأمره ونهيه وسنة نبيه، ونشاط في تطبيق هذا الأمر والنهي، هذا ملخص الملخص، والنبي عليه الصلاة والسلام مما قاله عن نفسه:

((أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً))

جوامع الكلم في هاتين الكلمتين:

((حقه عليك))

((حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ))

فإذا عذبتك فعذابه علاج، إذا قنن الأمطار فتقنين تأديب، نحن نقنن تقنين عجز، أما الله عز وجل فيقنن تقنين تأديب.

هذا هو حديث اليوم، حقه علينا أن نعبد، وحقنا عليه ألا يعذبنا.

إذا توقفت سيارة أحدنا لا يصيح وينادي، بل يفتح الغطاء، ويرى أين العطل، ويصلح الخلل، فتنتقل بالسيارة، هذا موقف علمي، وهناك موقف يسمونه استعراضياً دعائياً، وهناك موقف علمي، قف من ربك موقفاً علمياً، حينما أرسل هذه المشكلة لعله أرادها لحكمة أرادها، هناك خلل في حياتي، ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله أكثر.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[ وسرة الشورى: 30 ]

حقك عليه ألا يعذبك، وحقه عليك أن تعبد، هان الله عليهم فهانوا على الله، كلما قلّ ماء الحياء قلّ ماء السماء، كلما رخص لحم النساء غلا لحم الضأن، هان أمر الله عليهم فهانوا على الله، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الثُّرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[ وسرة الأعراف: 96 ]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

[ سورة المائدة: 66 ]

﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنُقْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

[ سورة الجن: 17-19 ]

هذه قواعد ثابتة، كلام الخالق، كلام خالق الكون، لذلك هنيئاً لمن عرف مفتاح الحقائق، لمن عرف القوانين الثابتة، هذه السنن، هذه سنن ثابتة، مثلاً للسقوط قانون، إذا ألقينا جسماً من السماء إلى الأرض يهوي متسارعاً إلى أن يتحطم على الأرض، أما إذا نزل بمظلة لها سطح مدروس، لها سطح يتناسب مع وزنه، ينزل ببطء، فإذا

أمر الإنسان أن يلقي بنفسه من الطائرة فقانون السقوط إذا قبله أو لم يقبله، إذا آمن به أو لم يؤمن به، إذا أعجبه أم لم يعجبه، إذا بجله أو سخر منه، إذا قبله أو رفضه، القانون مطبق، فالذكي يتعرف لقانون السقوط، ويتأدب معه، ليصل سالمًا، أما إذا اخترق هذا القانون، وألقى الإنسان بنفسه من الطائرة بلا مظلة فإنه ينزل ميتًا، إذا رفض القانون، القانون مطبق عليه، ربنا وضع سننًا، إن قبلتها فأنت ذكي موفق، وإن لم تقبلها فهي مطبقة عليك، وأنت لا تدري، يا رب كم عصيتك ولم تعاقبني؟ قال: عبيد كم عاقبتك، ولم تدر.

من موضوعات المرأة المسلمة

إذا أحب الإنسان أن ينقل إلى زوجته فليس له حق أن يتعافل عن حقوقها عليه، ويبرز حقوقه عليها، قد لا تقبل هذه الحقوق، أما إذا كان زوجًا مثاليًا فعندئذ يطالبها بحقوقه عليها، أما إذا أغفل ما لها عليه من حق، وطالبها بما له عليها من حق قد تنشأ منازعة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ))

والله المرأة دينها سهل، يجب على الرجل في البيع والشراء أن يعرف ألف قضية في البيع والشراء حتى ينجو من الربا، الرجل معرض لقضايا كثيرة فيها مزلق، أما المرأة المسلمة

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ))

[رواه ابن حبان في صحيحه، أحمد، الطبراني]

في هذا الحديث ثلث دين المرأة طاعتها لزوجها.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[ أحمد، الطبراني ]

في هذا الحديث طاعتها لزوجها ربع دينها، صلاتها، وصيامها، وحفظها نفسها، وطاعتها لزوجها.

السيدة عائشة رضي الله عنها سألت النبي عليه الصلاة والسلام سؤالاً دقيقاً جداً:

((أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ ))

المرأة لها أب، لها أخ، لها ابن، لها ابن زوج، لها ابن ابنة، لها عم، لها خال، وهكذا، من هؤلاء الرجال جميعاً: أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال عليه الصلاة والسلام

((زوجها، قلت: فأبي الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال أمه))

ما قال: زوجته، ليس معنى هذا أن ليس لها حق عليه، لا، لكن الحق الأول عليه حق أمه، أيضاً هذا حديث قيم جداً يعرف بمراتب الحقوق.

عن ابن عباس رضي الله عنها قال: جاءت المرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أجروا، وإن يقتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معاشر النساء نقيم عليهم، نرعاهم، نخدمهم، نلبي حاجاتهم، نربي أولادهم، نطبخ لهم، نكنس لهم، وليس لنا شيء، الأجر لهم، إن انتصروا نالوا السعادة، وإن قتلوا نالوا الشهادة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((أبلغني من لقيت من النساء أن حسن تبعل إحداكن زوجها يعدل ذلك كله ))

[ رواه البزار ]

هذا حديث مهم جداً أن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ذلك وقليل منكن يفعله.

أما الواقع تطبيق فأمر آخر.

ثم جاءت النبي عليه الصلاة والسلام امرأة قالت: يا رسول الله إني رسول النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوى مخرجي إليك، يعني قلوب النساء كلهن معي، الله رب الرجال ورب النساء، وأنت رسول الله إلى الرجال وإلى النساء، الله رب النساء والرجال وأنت رسول الله إلى النساء وإلى الرجال، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أجروا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ نحن عندنا أعمال تعدل هذه الأعمال، فقال عليه الصلاة والسلام:

((طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن، وقليل منكن من يفعله))

حديث أول، وحديث ثان، وحديث ثالث، ورابع، أربعة أحاديث تبين عظم حق الرجل على المرأة، وأنا أتمنى على الزوج المؤمن أن يؤدي ما لها عنده من حقوق حتى يطالبها ما له عندها من حقوق، ليس له الحق أن يقصر كل التقصير، ويطالبها بكل المطالبة، والدليل قال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

[سورة البقرة: 228]

هذه فقرة، النساء.

بقيت فقرة أخيرة، هذه الفقرة الأخيرة أن إنساناً بريطانياً أسلم، فلما أسلم سمي نفسه خوفاً كمال الدين، وأن رجلاً بريطانياً آخر قدم لهذا المسلم كتاباً حول سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، والذي يخجل أن إنساناً بريطانياً درس سيرة النبي عليه الصلاة والسلام بعمق، وألف كتاباً موجزاً، ولكن فيه الشيء الكثير، تمنيت أن أقرأ لكم بعض ما كتبه هذا الإنسان الذي أسلم.

قال: كان النبي عليه الصلاة والسلام خير أسوة للناس، ويحق لي أن أقول: إنه النبي الوحيد، كل كلمة لها معنى، الذي مارس بالفعل جميع المبادئ التي كان يلقتها للناس، مارس بالفعل، بالمحك جميع المبادئ التي كان يلقتها للناس، ولم تجد في القرآن الكريم حكماً أو أمراً لم يعمل به النبي عليه الصلاة والسلام.

تقول السيدة عائشة:

### ((كان خلقه القرآن))

قال بعضهم: النبي قرآن يتحرك، هذا سر التأثير، وقد تقرأ لغيره كثيراً من الخطب والمواعظ والآراء الخيالية في الفضائل والأخلاق، ولكنك لا تجد لأقوالهم صدق في أفعالهم، أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو نسيج وحده في هذا المجال، إذ كان يمارس بالفعل كل ما كان يدعو له بالقول.

الصفة الوحيدة الأساسية المركزية في حياة النبي أن كل شيء دعا إليه مارسه بالفعل، فإذا أردت أن يحبك الله فافعل مثله، وإلا فضحت نفسك.

الفضائل السلبية أن أنصح الناس بالعمو، هذه فضيلة سلبية، فالفضائل السلبية ليست فضائل على الإطلاق في حق معلم الأخلاق، لأنها لا تكلفه عناءً، ولا تعود على الناس بفائدة، إذ الناس بحاجة إلى من يوضح لهم بطريقة عملية ما يلقي عليهم من الدروس الخلقية، الناس بحاجة إلى من يوضح لهم لا بطريقة بيانية، بطريقة فصيحة، بطريقة بليغة، بل الناس بحاجة إلى من يبين لهم بطريقة عملية ما يلقي عليهم من الدروس الخلقية، وقد يلقي الإنسان على غيره مواعظ في العفو، وخطباً بالتواضع، لكن هذا التعليم الشفهي لا يعد دليلاً على اتصافه بما يعظ، وإنما الدليل هو تخلقه فعلاً بتلقي الأخلاق، ثم لا يخفى عليك أن الإنسان لا يستطيع أن يعلم غيره ما لم يجربه هو بنفسه.

مثلاً إذا دعوت الناس إلى شيء، وأنت لا تطبقه، ماذا يقال عنك؟ هذا الكلام التي تقوله ليس واقعياً، كلاماً خيالياً، كلاماً حالماً، كلاماً مثالياً، كلاماً بعيداً عن الواقع، لو أنه واقعي لطبقته أنت، وإذا كان هذا الكلام واقعياً ينشأ سؤال آخر، يقال لك: إذا كان الكلام واقعياً لماذا أنت غير مطبق له، بماذا تجيب؟

من أراد أن يعلم الناس دروساً في الصبر والحلم وجب أن يقاسي أشد المحن كما قاسى محمد عليه الصلاة والسلام، والحق من لم يمارس أحوال الحياة لا يمكن أن يكون قدوة كاملة للناس.

النبي ذاق الفقر، وصبر، وذاق الغنى وشكر، وذاق الضعف القهر واعتذر، وذاق القوة وعفا، وذاق موت الولد فصبر، وذاق أن يقال عن زوجته كلام غير طيب، واحتسب، وذاق فرق الوطن، وذاق الجوع، وذاق الخوف، لأن

هذه الفضائل لا يمكن أن تظهر إلا في هذه المحن، لهذا كان النبي أسوة مثلاً، أليس من الممكن ألا تتشأ بينه وبين السيدة عائشة مشكلة؟ جاءه مرةً طبق طعام من ضررتها، فغضبت، وأخذتها الغيرة، وكسرت هذا الطبق، ما موقف الإنسان الكامل إذا رأى هكذا تفعل زوجته؟ أضرربها؟ أيسبها؟ أكييل لها الصاع صاعين؟ ما زاد النبي عليه الصلاة والسلام عن أن لم أشتات الطبق، وقال: غضبت أمكم.

علمنا كيف تواجه غضب الزوجة بالحلم والهدوء والرحمة، متألّمة مضغوطة، مثلاً لو قرأت سيرة النبي، أنا لا أبالغ كل أحوال البشر إلى حد ما تجدها في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، ذاق الفقر، قال: مضى علي ثلاثون يوماً لقد خفت، وما خاف أحد مثلي، وجعت، وما جاع أحد مثلي، ومضى علي ثلاثون يوماً لم يدخل جوفي إلا ما يوارى إبط بلال، فإذا نصح الفقراء بالصبر على العين والرأس، لأنه ذاق الفقر، ولما كان قوياً علمنا كيف نعضو، ولما قهر في الطائف علمنا كيف نرجو، ولما أصبح غنياً علمنا كيف نسخو، ولما تأمر المشركون عليه علمنا كيف يكون حذراً.

الذي أراه أن قراءة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فرض عيني لماذا؟ لأن سيرته هي المنهج العملي، أقواله منهج نظري، وسيرته منهج عملي.

العضو مثلاً، نأخذ فضيلة واحدة، العفو يقتضي شروطاً معينة، ما لم تتوافر في المرء كانت دعواه كاذبة، أول هذه الشروط أن يلقى أشد الإساءة من أعدائه، قد يزور الإنسان أقرباءه، طول بالك، أنت أكبر من ذلك، قلبك كبير، اعف عنهم، يا أخي هذا الناصح إذا وقع بمأزق كمثل هذا المأزق فرمهم فرماً، لأعدائه كلام فارغ كله، ما تكبر بعيني إلا إذا فعلت ما تقول، طبقت ما تقول، الذي فعل النبي الذي جعل دعوته تنتشر في الآفاق إذا زار النبي عليه الصلاة والسلام، الآن تقف أمام حجرته الشريفة فتبكي، وإذا أردت راقب هؤلاء الذين أمامه من كل حدب وصوب، من كل ملة، من كل نحلة، من كل إقليم، من كل مكان جاؤوا خاشعين باكين متأدبين بعد ألف وخمسة عشر عاماً من وفاته ماذا فعل؟

والله يمكن أن تختصر عظمة النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الكلمات، إنه ما قال كلاماً إطلاقاً للاستهلاك، ما قال كلاماً لا يفعله، ما قال كلاماً لا يطبقه، ما قال كلاماً ليعلو به، قال كلاماً يعبر عن حقيقته، يعبر عن تواضعه، يعبر عن عطائه، يعبر عن كرمه، أول هذه الشروط لا بد من أن يلقى أشد الإساءة من أعدائه، بدوي

جذبه من ثوبه حتى أثر على رقبته الشريفة، قال: يا محمد اعدل، قال: ويحك من يعدل عن لم أعدل، وابتسم.

هذا الذي دخل عليه زمجرًا غاضبًا سمع أنه يسب آلهة قريش، قال: والله لأسوين حسابي مع محمد، ابتسم، أخذه بالحلم، أخذه باللطف حتى أشرق على هذا الرجل نور النبوة، انكب على يديه، قال: والله يا محمد سعيت إليك، وما على وجه الأرض أبغض إلي منك، وأنا ذاهب عنك، وما على وجه الأرض أحب إلي منك.

هذا الكلام للآباء، للمعلمين، للدعاة، لكل إنسان عنده شخص أمامه، كل من تولى على شخص واحد، إما أن تفعل ما تقول، وإما ضع نفسك في التراب، لا نرقى الآن، هذا سبيل الخلاص، اكتفينا، لا نرقى إلا بالأفعال، في بيتك، في حركتك، في صلاتك، في طعامك، في شربك، في كل مراحل حياتك، هل أنت مطبق للسنة؟ طبقها، من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

أول شرط أن يلقي أشد الإساءة من أعدائه، وثانيها أن تدور الدائرة على هؤلاء الأعداء، فيقعون في قبضته، ويصبحون تحت رحمته، وثالثها أن يملك القدرة على القصاص منهم، وهذه شروط العفو، لك عدو لدود، كاد لك، وقع في قبضتك، ف عفوت عنه، الآن إذا تكلمت على العفو على العين والرأس، كلامك مقبول، وكلامك مسموع، وكلامك مؤثر، وتفعل في الناس فعل السحر.

عبد له سيد زار بيت سيده ( شيخه )، فانتهزها فرصة، قال: يا سيدي اطلب من سيدي أن يعترفني، طال مكوثي عنده، قال: أفعل إن شاء الله، مضى شهر وشهران، وثلاثة أشهر، ما استجاب، زاره مرة ثانية، قال له: يا سيدي لو طلبت من سيدي أن يعترفني مضى شهر وشهران وثلاثة، زاره مرة ثالثة، قال له: يا سيدي إلى متى؟ قال له: إن شاء الله قريباً، بعد أيام استدعاه سيده، وأعتقه، بقي سؤال في ذهنه: ما دامت القضية بكلمة، لما لم يقل قبل سنة فواجه الشيخ قال له: يا سيدي لم تأخرت علي هكذا؟ قال له: يا ولدي لقد أرهقتني، أنا وفرت من مصروف البيت مبلغاً أعتقت به عبداً، ثم أمرت سيديك أن يعترفني، ما نصحتك قبل أن تطبق أنا هذه النصيحة.

هذا مركز الثقل في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، كان متواضعاً كان مع أصحابه، أرادوا أن يعالجوا شاةً، قال أحدهم: علي ذبحها، قال الثاني: علي سلخها، قال الثالث: عليها طبخها، وقال عليه الصلاة والسلام: وعلي جمع الحطب، فقالوا: نكفيناك، قال: أعلم ذلك، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه، معنى ذلك هذه القصة وحدها في نزهة، برحلة، بسفرة، وبعمل، بشراكة لا ينبغي أن تتميز على الآخرين إذا كنت مسلماً، أما القصة

تقولها بفصاحة بالغة، ويتأثر بها الناس، وأنت متميز، لك ميزات، تستهلك وجود الآخرين، هذه ليست دعوة إلى الله، هذه دعوة إلى الدنيا.

سر نجاح دعوة النبي عليه الصلاة والسلام هذه النقطة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (026 - 127) : من أحدث في أمرنا ما ليس.....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-12-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: أحرص دائماً أن أختار لكم حديثاً صحيحاً يعد أصلاً من أصول الدين، لأن الإنسان إذا عرف حقيقة الدين وجوهره سهل عليه أن ينتقل إلى تفصيلاته وفروعه.

كلكم يعلم أن الإنسان جاءه خطاب من الله عز وجل إنه القرآن الكريم، والنبي عليه الصلاة والسلام بين هذا القرآن، لذلك الدين في الأصل نقل، وبما أن الدين نقل أخطر ما في الدين صحة النقل، لذلك يجب أن يعتمد الداعية الأحاديث الصحيحة التي صحت عن رسول الله، لأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، يجب أن نأخذه عن رسول الله، ولا ينبغي أن نأخذ ديننا من حديث لم تثبت صحته.

النبي عليه الصلاة والسلام من أجل أن يستمر الدين كما بدأ، من أجل أن يبقى نقياً كما بدأ، من أجل أن يبقى صحيحاً كما بدأ أعطانا موازين.

حديث اليوم ميزان من موازين الدين، العمل، قيمته، نيته، تعرفون هذا لقول النبي عليه الصلاة والسلام: ((إنما الأعمال بالنيات))، قيمة العلم بنيته، لو أن إنساناً أعطى إنساناً شراباً، وهو يعلم أن هذا الشراب يؤديه، أعطاه هذا الشراب ذا الطعم الطيب ليؤدي معدته، وشفي بهذا الشراب فهو محاسب عند الله على نيته، ولو أن طبيباً أعطى مريضاً دواء، وفي نيته أن يشفيه، فكان هذا الدواء مضاداً لعلته، وقضى بها، فالطبيب مثاب على نيته الطيبة، وإن كان مؤاخذاً على عدم تحققه، فحديث

((إنما الأعمال بالنيات))

أصل من أصول الدين، وهو حديث متواتر تواتراً لفظياً، وهو أعلى أنواع التواتر.

إذاً قبل أن تقدم على عمل، قبل أن تنجز عملاً، قبل أن تلتقي مع فلان، قبل أن تقيم هذا العمل افحص نيته، لأن هذا العمل قيمته من قيمة نيته، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[ سورة الفرقان: 23 ]

أحد الأئمة الكبار له مقولة شهيرة قلتها لكم كثيراً: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله"، والآيات كثيرة:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾

[ سورة الإنسان: 9 ]

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

[ سورة الإنسان: 8 ]

إذاً قيمة العمل في نيته، قد يقول قائل الآن: هذه النية كيف أصل إليها؟ كيف أصل إلى أن أنوي نوايا عالية؟ الجواب: كمن سأل الطبيب: يا طبيب، يا حكيم كيف تكتب الوصفة؟ علمني، أنا أحب أن أختصر الطريق، أنا لا أحب أن آخذ الشهادة الثانوية بمعدل عال، ولا أحب كلية الطب، أحب أن تعلمني أنت كيف أكتب هذه الوصفة، وأستريح من هذه الشهادة، بلا الدكتوراه، بلا دخول جامعة، وسبع سنوات دوام، وأول سنة تشريح وصفي، وثاني سنة علم الأمراض، وعلم الأدوية، تربص عملي، يا طبيب علمني كيف تكتب هذه الوصفة، يقول لك الطبيب: إن كتابة هذه الوصفة هو محصلة الطب كله، كل هذه السنوات، وكل هذه الليالي الطويلة، وكل هذه الخبرات، وكل هذه التدريبات، وكل هذه الجهود الجبارة التي بذلت حتى نلت هذه الشهادة محصلتها إذا فحصت المريض اكتب له هذه الوصفة، فإذا قلت أنت لعالم الدين: بربك علمني كيف تكون نيتي عالية أقول لك: النية العالية محصلة الدين كله، كلما عرفت الله أكثر أخلصت له أكثر، كلما عرفت ما عنده من ثواب أخلصت عمالك لله عز وجل، كلما عرفت ما عنده من عقاب خفت أن تعصيه، إذا النبي عليه الصلاة والسلام أعطانا ميزاناً دقيقاً جداً، أنا أدعو الناس لوليمة، تفحص نيتك من أجل أن يروا بيتي، تعبت كثيراً حتى زينته، جعلت فيه الأثاث الجديد، التزيينات الرائعة من أجل أن نريهم غرفة الطعام، التي كلفتني ثمانين ألف ليرة، من أجل أن أريهم مقدرة

زوجتي على صنع الطعام، أهذه نية المؤمن ؟ افحص نيتك قبل أن تدعو، قبل أن تلتقي، قبل أن تحتفل، قبل أن تعلن فرحتك، قبل أن تعطي، قبل أن تمنع، قبل أن تصل، قبل أن تقطع، قبل أن تبتسم، قبل أن تغضب، تقحص نيتك، هذا ميزان، لأن الله عز وجل يقول فاعبد الله، لكن:

### ﴿مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾

[ سورة الزمر: 11 ]

من الخارج عبادة، ومن الداخل إخلاص، الميزان الداخل الإخلاص، ليس هذا موضوع الدرس، هذا تقديم للدرس، هذا الميزان الداخل، الميزان الداخلي هو إخلاصك لله عز وجل، أما حديث اليوم فهو الميزان الخارجي، هذا الحديث.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))

[ متفق عليه ]

وفي رواية لمسلم:

((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))

إنما الأعمال بالنيات ميزان الإخلاص، أما هذا العمل فهذا الحديث ميزان خارجي، إذا النبي عليه الصلاة والسلام زودنا بميزانين، ميزان داخلي نقيس به نوايانا، وميزان خارجي نقيس به أعمالنا، أنت بين عمل له داخلية نفسية، وله ظاهر مادي، لو أن مؤسسة مياه حريصة حرصاً بالغاً على تزويد المواطنين بماء نقي ماذا تفعل ؟ لعل مستودعات الماء اختلطت ببعض المياه المالحة، لعل طحالب نمت لم ننتبه إليها، لعل جهة وضعت في هذه المستودعات مواد سامة، ما الطريق إلى تزويد المواطنين بمياه نقية دائماً ؟ الجواب الفحص الدوري، كل يوم تؤخذ عينة من المياه، وتؤخذ إلى المخبر فتقحص في المخبر في موازين.

والآن أيها الإخوة: العلوم تقدمت تقدماً كبيراً، كان طابع العلوم القديم طابعاً وصفياً، الآن هو طابع معياري، الآن في جهاز يقيس الضجيج يقول: صوت المكيف مثلاً سبعون ديسبل، إقلاع الطائرة بمئة وثلاثين، الطائرة بمئة وثلاثين تؤذي السمع، هناك جهاز لقياس الضجيج، وجهاز لقياس الرطوبة، يقول: الرطوبة سبعون، هناك جهاز لقياس حموضة التربة، وجهاز لمقياس الحرارة، بالأصح لكل شيء ميزان.

إذاً من أجل ضمان أن يستمر الدين كما بدأ أن يصل إلينا كما أراده الله عز وجل، أن يطبق الشرع الذي جاء به النبي نفسه أعطانا النبي عليه الصلاة والسلام ميزانين، ميزاناً داخلياً نقيس به النوايا، وميزاناً خارجياً نقيس به الأعمال.

ذكرت لكم أن القرآن الكريم أشار إلى هذا الميزان، قال الله عز وجل على لسان سيدنا يوسف وعليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

[ سورة النمل: 19 ]

كيف أن اللغة لها دور كبير في فهم القرآن، أعمل صالحاً ترضاه، ترضاه جملة فعلية إعرابها صفة، لأن الجمل بعد النكرات صفات، والصفة قيد كما تعلمون سابقاً، أقول مثلاً: خمسة آلاف مليون إنسان مسلم، ألف مليون إنسان مسلم عربي، مئة مليون، كلما أضفت صفةً ضاقت دائرة الشمول، إذاً ربنا عز وجل قال:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾

[ سورة النمل: 19 ]

هذا الصالح مقيد بما يرضي الله عز وجل، أن أعمل صالحاً ترضاه، فإذا قلت: سأجعل هناك اليانصيب الخيري يخصص ريعه لليتامى فاليانصيب غير مشروع، فهذا عمل صالح في ظاهره، لكنه لا يرضي الله عز وجل، أن أعمل صالحاً ترضاه، حديث اليوم:

((مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))

إذا العمل لا يقبل إلا بشرطين، إلا إذا كان خالصاً، وإلا إذا كان صواباً، إذاً كل شيء جديد ليس عليه هذا الدين، لم يشرع بدين الله، لم يأمر به النبي، نهى عنه النبي خرجت به عن قواعد الدين، عن أصول الدين، عن العقيدة الصحيحة، عن الشرع الحنيف، عن أمر النبي عليه الصلاة والسلام فهو رد مرفوض، ومنقوض في وقت واحد. شيء آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً))

تصور نهراً له نبع صاف عذب، ماء سلسبيل فرات، ماء نمير سار، هذا النهر نزل عليه رافد، ثم رافد، ثم رافد، ثم ماء مالح، ثم أسقية، هذا النهر الذي تراه في منبعه تشتت أن تشرب منه في مصبه، تراه أسود اللون، إذا نحن ماذا نحتاج؟ إلى أن نعود إلى ينباع، إلى ينباع هذا الدين، ماذا قال عليه الصلاة والسلام؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ))

[ مسلم، ابن ماجه، أحمد ]

لا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

النبي عليه الصلاة والسلام توضيحاً للحديث الأول:

((من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً))

قد يصبح ذكر الله عز وجل في أناس يرتدون ألبسة خاصة فضفاضة، إذا داروا أصبحت كالمظلة، ولهم طرابيش معينة، وهناك موسيقا، وهناك رقص، هذه حلقة ذكر، وهكذا فعل الصحابة الكرام؟

((من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً))

عن العرياض بن سارية.

((من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها  
وعصوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))

[ الدارمي، أبي داود ]

الحديث الثاني يوضح الأول:

((من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً))

الآن في الإسلام مقولات ونماذج وسلوك وقواعد وأعراف وطقوس ما أنزل الله بها من سلطان، انحراف خطير، زاوية منفرجة جداً عن أصل الدين، عن خط الدين الأساسي، فلذلك الإنسان أمام مقولات، أمام نماذج، أمام أفكار، إضافات، بدع في العقائد، وفي السلوك، وفي العبادات حلق ذكر لها نماذج خاصة، لذلك أنت أمام بحر، أمام ركام من الإضافات، ماذا تفعل؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور  
فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))

إذا رأيت اختلافاً كثيراً، إذا رأيت بدعاً كثيرة، إذا رأيت انحرافات كثيرة، إذا رأيت ديناً أصبح طقوساً، إذا رأيت ديناً أصبح تجارة، إذا رأيت النفاق مستشر، إذا رأيت الفتن يقظة، إذا رأيت انحرافاً خطيراً، ماذا تفعل؟ دخلت إلى غرفة فوجدت ألف قطعة صفراء لامعة، قيل لك: من هذه القطع مئة قطعة من الذهب الخالص عيار أربعة وعشرين، ومن هذه القطع عيار واحد وعشرين، مئة من هذه القطع ثمانية عشر، ومئة ستة عشر، ومئة أحد عشر، ومئة نحاس مطلي بالذهب، ومئة نحاس ملمع، ومئة حديد، وعليك أن تأخذ من هذه القطع مئة قطعة، ومعك ساعة واحدة، فإذا وفقت إلى أن تأخذ مئة قطعة ذات العيار أربعة وعشرين فقد أثنى ما في هذه الغرفة، لو قيل لك: هذا المقياس لمجرد أن تضع عليه القطعة يعطيك معيارها، هذا مقياس مهم جداً. نحن الآن نبحث عن مقياس، نحن الآن أمام ركام، أمام مقولات، أمام إضافات، أمام بدع، أمام نماذج من

السلوك، أمام شخصيات، أمام دجل، أمام خزعبلات، أمام حقائق، أمام إخلاص، أمام نفاق، أمام صدق، أمام كذب، أمام إضافات، أمام مصالِح، ركام، كل يدعي وصلاً بليلى، كل يقول: أنا على حق، لا يوجد مقياس؟ لو وضعنا قطعة قماش وقلنا للناس: كم تقدرُون طولها؟ قال أحدهم: ثمانية عشر متر، قال آخر: تسعة أمتار، قال: آخر سبعة أمتار، قال ثامن: عشرة أمتار، واختلفوا، وتشادوا، وتماسكوا، وتضاربوا ليس هناك مقياس للمتر، أعطونا متراً نظامياً نفس به هذه القطعة، وانتهى الأمر.

إذا هناك اختلاف كثير، وبدع، وخرافات، ودجل، وترهات، وأباطيل، وإخلاص، ومصالح، وصدق، وكذب، وأمانة، أنت أمام ركام، أين المقياس؟ أنت بحاجة إلى مقياس اسمعوا الحديث:

**((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))**

قال لي صديق: طائرة حجاج متجهة من المغرب إلى مكة المكرمة متعطلة في تونس، نزل ركابها في فندق، في وقت صيف، هؤلاء الحجاج حجاج بيت الله الحرام المتجهون إلى الكعبة شعروا بالحر، فنزلوا إلى البحر، وسبحوا نساءً ورجالاً، حجاج.

**((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))**

حتى في الحج بعد انتهاء الإحرام والوقوف بعرفة ترى نساء من شرق آسيا بأبهى زينة، بلا شيء، أين هذا الحج؟ شيء عجيب،

**((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))**

بعضهم يقول: الله ما حرم الخمر، لكن الأفضل أن تجتنبها،

**((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))**

اختلاط، حفلات مختلطة، بالمقاهي، بالمنتزهات نساء ورجال، والأغاني تصدح، وإذا أذن الظهر يصلون في المقهى نفسه،

### ((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))

في البيع في الشراء، في التعامل، في العلاقات الاجتماعية، في الزواج، أسرة عريقة من بلد محافظ في العرس يتقدم الخطيب ويجلس على كرسي فخم أمام نساء كاسيات عاريات بأبهى زينة، الجماعة مسلمون، وأطهار، سألنا عنه فقالوا: رجل فاضل،

### ((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))

يا ترى ديننا عادات تقاليد، أخي هكذا الناس، دينك من أين تأخذه؟ من الناس، من عادات الناس، من تقاليدهم، مما ألقوه عن آباءهم وأجدادهم، أم تأخذه من الشرع، والقرآن والسنة، الحديث دقيق:

### ((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))

يذهب الفلاح، يكون عنده غنم، هذا الأعرابي والسنة سنة قحط، وكادت هذه الغنم تموت عطشاً وجوعاً، يتوجه صاحب هذا الغنم إلى المدينة، يبيع صوف الغنم ببيع سلم، يقول لك: ورد في الشرع بيع سلم، صحيح، على العين والرأس، لكن كيلو الصوف يساوي مثلاً خمسين ليرة، يشترونه منه بعشر ليرات، ربا، هذا عشرة أمثال بالمئة، خمسة بالمئة فائدة، يشترون منه كيلو الصوف بعشر ليرات، على الموسم يعطونه مئتي ألف، يشتري العلف لغنمه، بالموسم باع كل صوفه بمبلغ زهيد، يمكن أن يكون الصوف ثمنه مليون ليرة، باعه بمئتي ألف، يقول: بيع سلم،

### ((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))

ممكّن أن تزور الأمور؟ ممكّن أن تتعامل بالربا بأسلوب شرعي ظاهري؟ ففي التعامل في البيع والشراء، في العلاقات الاجتماعية، في الزواج، أنا أريد أن أقيم في أوربة خمس سنوات، يلزمني زوجة هناك، من بعد هذا أطلقها،

((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً))

الأمثلة معروفة عنكم، في مثل هذه الحالة ركام من التقاليد، والعادات، وتقليد الأجانب من الخرفات من الخزعبلات، من الدجل، من البدع، ماذا أفعل أنا ؟

((من يعيش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّبِينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))

ما هم عليه أصحاب رسول الله، ما هو عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ما ورد بالسنة الصحيحة، ما ورد في القرآن الكريم، اثنان ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة رسوله، أنت معك مقياس بكل قضية، ما رأي الشرع بهذا ؟ ما حكم الشرع في هذا البيع، في هذا الشراء، في هذا اللقاء، في هذا الاجتماع، في هذه الحفلة، في هذه النزهة، في هذا التصرف، في هذا الموقف، في هذا المنع، في هذا العطاء ؟ ما حكم الشرع بهذا ؟ هذا الذي ينجينا من عذاب النار، هذا الذي ينجينا من الهلاك، قال عليه الصلاة والسلام:

((.. وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

معقول، عقد قران أو عرس نسائي يصور العرس بفلم، ويوزع على الأصدقاء، ويشاهد، هذه فلانة زوجة فلان، وهذه زوجة فلان، هذا إسلام، ونحن مسلمون، وعائلة محافظة، ومن بيت عريق، أي بيت عريق ؟ وأي محافظة ؟ هذا كلام فارغ، نحن نريد: عليكم بسنتي، هل يحق لهذا الأجنبي أن يرى هذه المرأة بأبهى زينة ؟ فلانة زوجة فلان:

((... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّبِينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))

الحقيقة أن البدع لها معنيان، تحدثت عن هذا البارحة، ولكن في الإعادة إفادة، لها معنى لغوي، ومعنى شرعي، المعنى اللغوي كل شيء جديد، كل شيء جديد له ثلاث أحكام، إما بدعة سيئة، بمعنى أنها مخالفة للشرع، كأن يقف هذا الإنسان أمام النساء الكاسيات العاريات، وبدعة حسنة كأن تيسر للمصلين راحتهم في المسجد، ماء ساخن في الشتاء، كأن تزود المسجد بتكييف في الصيف، كأن تزود بجهاز تكبير صوت مريح، هذه لم تكن على

عهد النبي عليه الصلاة والسلام، لكنها شيء جديد، لكنه مفيد، وهناك بدعة موقوفة على نوع استعمال ذلك الشيء، فإذا استعمل بما يرضي الله كان حلالاً، وإن استعمل بما يبغض الله كان حراماً، هذا البدعة اللغوية، هذا معنى حديث

((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا))

[مسلم، ابن ماجه، الترمذي، النسائي]

أما البدعة في الدين فحرام قولاً واحداً، أن تضيف في الدين ما ليس فيه، أن تقول: هذا من الدين، وهو ليس من الدين، لمجرد أن تضيف على الدين شيئاً ليس فيه نعود إلى حديث النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))

الدين ككل، بالمناسبة إذا قسمنا إلى أبواب ما هي هذه الأبواب الكبيرة؟ من يجيبني عن هذا السؤال؟ الأخلاق، والعبادات، والمعاملات، والعقائد، أحكام الطلاق من أي بند؟ معاملات، الصبر من الأخلاق، أحكام الحج عبادات، الإيمان بالملائكة عقائد الدين، الدين عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، القرآن عبر عن هذه الأربعة بكلمتين، من يعرف؟

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة البروج: 11]

آمن عقائد، عمل الصالحات، صلى، وصام، وحج، وزكى، وأوقع كل علاقاته وفق الشرع، هذه المعاملات، وتخلق بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

كل بدعة ضلالة، هل عندنا بدع في العقائد؟ ما أكثرها، إذا قلت: الإنسان خالق عمله هذا شيء مرفوض في الإسلام، لا يقع شيء إلا بأمر الله، بفعل الله، فإذا قلت: الإنسان خالق عمله، هذه بدعة، القرآن مخلوق، هذه بدعة، كلام الله قديم.

بدعة في العبادات ؟ اسمعوا:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

((بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فِي الشَّمْسِ فَسَأَلَ عَنْهُ قَالُوا هَذَا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَدَّرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَنْظِلَ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ قَالَ مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَنْظِلْ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ))

[ البخاري، ابن ماجه، أبو داود ]

يجب أن تعبد الله كما يريد، لا كما تريد، أن تقف في الشمس تقرباً إلى الله عز وجل هذه بدعة في العبادات، في العقائد أن تقول: ليس هناك جن، نفيت شيئاً جاء في القرآن الكريم، في العقائد أن تقول عن الإنسان: إنه خالق فعله، أو أن تقول: القرآن مخلوق، أو أن تقول ما يقوله المنحرفون في عقيدتهم، أما في العبادات فأن تقترب إلى الله بشيء ما فرضه عليك، أن تواصل في الصيام، أن تصوم يوم العيد، أن تصلي واقفاً، وأنت مريض مرضاً شديداً، هذه بدعة في العبادة، حيثما خالفت قول النبي عليه الصلاة والسلام وسنته المطهرة، بل ورد عن بعضهم في عهد التابعين أراد أن يطوف من مكان أبعد مما طاف منه النبي عليه الصلاة والسلام، فقيل له: لا تفعل، إنك إن فعلت هذا تفتن، قال: كيف أفتن، وأنا أعبد الله عز وجل ؟ فقيل له: وهل من فتنة أشد من أن ترى نفسك سبقت رسول الله هذه فتنة ؟.

إذاً من صلى وقت الكراهة فهو بدعة، من صام في الأيام التي نهى عنها النبي عليه الصلاة والسلام فهو بدعة في العبادة، بدعة في المعاملات، ربا استثماري، أيضاً من طلق امرأته في حيض، من طلقها في طهر مسها فيه، من طلقها لسبب ليس له علاقة به، مثلاً من طلقها في ساعة غضب شديد، وضع أهله وأسرته.

حتى في الحج هناك بدع، نحن في صلاتنا، وصومنا، وفي حجنا، وفي زكاتنا يجب أن ننقص سنة النبي عليه الصلاة والسلام، في معاملتنا بدع، في البيع بدع، في البيع تلقي الركبان، فلاح يحمل بضاعته، يجهل سعر بضاعته، تلقيته أنت قبل أن يعرف السوق، هذه منهي عنها، يعني هناك أشياء كثيرة في العلاقات الاجتماعية، في البيع، في الزواج، في الطلاق، في الأفرح، في الأحزان، هذه كلها بدع ما أنزل الله بها من سلطان.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَزِيدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا:

((جاء أعرابيٌّ فقال يا رسول الله أفض بيننا بكتاب الله فقام خصمه فقال صدق أفض بيننا بكتاب الله فقال الأعرابيُّ إن ابني كان عسيماً على هذا فزنى بامرأته فقالوا لي على ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ثم سألت أهل العلم فقالوا إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأفضين بينكما بكتاب الله أم الوليدة والغنم فرد علينا وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام وأما أنت يا أنيس لرجل فاعذ على امرأة هذا فارجمها فعدا عليها أنيس فرجمها))

[ متفق عليه ]

أخي أنا لا أذبح بالحج الهدي، ادفع مكانه صدقة، أنت ابتدعت بدعة مخالفة لأصل الدين، لا أريد أن أطيل عليكم بالأمثلة، أريد أن أبين لكم أننا في وقت كثر فيه القيل والقال، كثرت فيه المقولات، كثرت فيه النماذج السلوكية التي لا تتطبق على سنة النبي عليه الصلاة والسلام، يجب إذا رأينا اختلافاً كثيراً

((... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّبِينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ))

النبي عليه الصلاة والسلام فرق بين رجل وامرأة تزوجها وهي حبلى مخالفاً للسنة، لم تطهر، لم يطهر رحمها، لم يظهر براءة رحمها، لم تعدد بعد وفاة زوجها، فزواجها من هذا الرجل قبل انتهاء العدة زواج باطل مردود.

معنا الآن معنى آخر للحديث:

((مَنْ أَحَدَّتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ))

أي مردود عليه، أي هذا الزواج لا يقع، وهذه المعاملة فاسدة، وهذا العقد فاسد لا يقع، فهو رد، أي مردود مرفوض، قال: ردت الدعوة أي رفضت.

النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( سووا بين أولادكم في العطية ))

فهذا بشير بن سعد لما خص ولده النعمان بحديقة ولم يسو بين ابنه النعمان وبين أولاده الآخرين وجاء النبي عليه الصلاة والسلام يستشده على هذه العطية فسأله:

(( هل خصصت بقية أولادك ما أعطيته لابنك النعمان ؟ قال: لا، قال: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور ))

دقق في معاملتك مع أولادك، مع زوجتك، في بيعك، في شرائك، في زواجك، في طلاقك، في سفرك، في حلك، في ترحالك، في احتفالاتك، في مناسبات الحزن والفرح، في عقيدتك، في صلاتك،

في حجك، في زكاتك، صيامك، يجب أن توقع أعمالك كلها وفق الشرع، هذا المسلم، والشرع مقياس، إن هذا العلم دين فانظروا عن تأخذون دينكم.

الآن ننقل على القسم المتعلق بالنساء، وهي وصايا رسول الله ﷺ في المرأة المسلمة.

عن أنس بن مالك رضي الله عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ألا أخبركم بنسائكم بالجنة ؟ - يعني من هي المرأة التي تستحق دخول الجنة ؟ هذا معنى الحديث - قلنا

بلى يا رسول الله: قال: كل ودود ولود))

يعني أجمل ما في المرأة مودتها لزوجها، هذا ذوق النبي عليه الصلاة والسلام،

((خير نسائكم الولود الودود الستيرة))

ترفع من اسم زوجها، تثني عليه، لا تذكر ثغراته ونقاط ضعفه، ضعفه أحياناً، فقره أحياناً، ضيقه أحياناً، دائماً تثني عليه، هذه المرأة المسلمة.

نعود إلى حديثنا هذا:

((قلنا بلى يا رسول الله قال كل ودود ولود))

طبعاً الإنسان مع زوجته في أيام الخطبة هذه مرحلة لا يقاس عليها أبداً، لأن كل طرف يظهر للطرف الآخر أحسن ما عنده، يقول لك: ملك من السماء، وهي تقول كذلك عن زوجها، البطولة أن ترى هذه الأسرة بعد سنتين كيف الوضع، دققوا في قول النبي عليه الصلاة والسلام، إذا أغضبت، الآن صار في غضب، أما في الخطبة فلا غضب إطلاقاً، كل طرف يمتص كل شيء، القدرة على الامتصاص عجيبة، كل طرف ينسى كل غلط، ترى هذا الخطيب صبوراً، والخطيبة صبورة جداً، تلتمس الأعذار لخطيبها مهما تكن فادحة، ويلتمس لها الأعذار، ولكن بعد أن تستقر عنده، ويظهر كل طرف على حقيقته، الآن هناك مشكلات، لها طلبات، له طلبات، ضائقة مالية، أعمال معسرة، طباع معينة، مصادمة أحياناً، مجابهة، تصادم، طباع، تنشأ مشكلات، هنا البطولة، بعد أن يمضي وقت لا بأس به يكشف كل طرف الطرف الآخر.

((إذا أغضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل حتى ترضى))

الذي لفت نظري في هذا الحديث موقف الاعتذار، أو موقف الاسترضاء، يعني إذا كان الزوج يتمتع بخلق الاسترضاء، والزوجة تقابل هذا الخلق بخلق مثله، إن رأته غاضباً تسترضيه، هل قصرت في حقك؟ هل أنت غاضب مني يا زوجي العزيز؟ وإذا هو رأها غاضبةً استرضاها، إذا رأيت دواءً سحرياً للوفاق الزوجي وللسعادة الزوجية أن يتمتع كل طرف بهذه الصفة، أن يسترضي صاحبه، لفت في هذا الحديث نظري هذه الكلمة:

قال:

((ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: كل ودود ولود إذا أغضبت، أو أسيء إليها، أو غضب زوجها - يعني هناك مشكلة وغضب - قالت: هذه يدي في يدك - أنا معك على الشيطان، ولست مع الشيطان عليك، أنا معك في السراء والضراء - لا أكتحل حتى ترضى))

هل أنت راض عني ؟ هذا الموقف موقف الاسترضاء، موقف سحري، كيف أن وعاء الماء إذا صببته على جمر ملتهب أطفأ الجمر، موقف الاسترضاء لو تمتع به كل طرف اتجاه الطرف الآخر لحلت كل مشكلات البيوت الإسلامية، ألم أخبركم أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما دخل بيته وجاءه طبق طعام نفيس من السيدة صفية، وأخذت الغيرة بالسيدة عائشة مأخذها، فأمسكت هذا الطبق ورمته أرضاً، وكسرتة، ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام ؟ لمّ الطبق، وقال:

((غضبت أمكم غضبت أمكم))

طرف الثاني يمتص الغضب، كنت أضرب مثلاً مضحكاً، إبريق بلور وإسفنج، اختلطوا، لم يحدث شيء للإسفنج، امتص إبريق بلور، أما أكمل شيء إسفنج مع إسفنج، لا يكون شيء، كل منهما يمتص غضب الآخر، شيء لطيف جداً في هذا الحديث:

((قالت هذه يدي في يدك لا أكتحل حتى ترضى))

هل أنت غاضب مني يا زوجي ؟ هل قصرت في حقك ؟ ما الذي يسعدك ؟ ما الذي يرضيك ؟ يجب على الزوجة الصالحة المؤمنة أن تفعل ما يرضي زوجها، ولو لم تكن قانعةً به، ويجب على الزوج المسلم أن يرضي زوجته، ولو لم يكن قانعاً بهذا الإرضاء، لأنها شريكة حياة،

((قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل حتى ترضى))

فإذا عود نفسه إذا غلط أن يعتذر، وإذا كان الآخر غاضباً يسترضيه انتهت كل مشكلة، الآن بربك لو أنك اعتذرت من موقف أساء لزوجتك، قلت لها: والله معك حق، أنا مقصر ألا يبرد غضبها؟ ألا تستحي منك لو أنها اعتذرت منك، والله ما كنت أقصد أن أسيء إليك، لكن هذا الذي حدث، سامحني، كلمة سامحني ثقيلة على اللسان ؟ الاعتذار والمسامحة هذه كلمات طيبة تطفئ الغضب، تبرد الغيظ، معظم النار من مستصغر الشرر، كم من بيت هدم بكلمة، كلمة تلاها، كلمة رد أقسى، رد أقسى، مشاجرة، فراق، هجر، طلاق.

كلمتان أتمنى على كل إنسان مسلم أن يعتمد على هاتين الكلمتين في علاقته مع امرأته الاسترضاء والاعتذار،  
إن كنت مسيئاً فاعتذر، وإن رأيت الطرف الآخر غاضباً فاسترضه، خالق الكون يسترضى:

((صدقة السر تطفئ غضب الرب))

((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

خالق الكون يسترضى، ينبغي أن ترضى أنت.

المشاحنة إذا دامت فتتت العلاقة الزوجية.

حديث رائع جداً: عن أنس بن مالك رضي الله عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ألا أخبركم بنسائك في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: كل ودود ولود، إذا أغضبت، أو أسيء إليها، أو  
غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل حتى ترضى))

[ رواه الطبراني ورواه محتج بهم في الصحيح ]

عن معاذ بن جبل عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره))

حكم شرعي، قال لها: فلانة لا أحب أن تدخل لبيتي، ((لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره))، لا أريد فلانة، ولا بيت فلان، والقصة المعروفة أن المرأة الصالحة زوجة شريح القاضي قالت له: إنني امرأة غريبة، لا أعرف ما تحب، ولا ما تكره، فقل لي ما تحب حتى آتية، وما تكره حتى أجتنبه، من ضمن النقاش قالت: من تحب من الجيران أن أسمح لهن بدخول بيتك، ومن تكره؟ قال: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم غير ذلك، يعني أنه بيت فيه فسق وفجور، والزيارات لها مشكلة، البارحة سهرنا، ورقصنا، فعلنا، شاهدنا الفلم الفلاني، أنت لك سياستك، نظامك، تربيتك العالية، تحب أن يكون بناتك أطهاراً عفيفات بعيدات عن هذه الأجواء المنحرفة، فأنت ليس لك مصلحة أن تدخل فلانة على البيت إطلاقاً.

((لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره))

هذا حكم شرعي، هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام،

((وألا تخرج وهو كاره))

فهما حكمان، ألا تسمح لأحد بدخول بيت زوجها، وهو يكرهه، وألا تخرج من بيت زوجها وهو كاره، ((وألا تطيع فيه أحداً))، لو فرضنا أن أمها قالت لها: عامليه هكذا، الأم لا علاقة لها، أقرب الناس لها زوجها، لا حق للزوجة أن تأتمر بأمر آخر يدعو إلى إزعاج زوجها، زوجها أقرب الناس إليها.

((لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره، وألا تخرج وهو كاره، وألا تطيع فيه أحداً وألا تعتزل فراشه))

هذا أيضاً حكم من أحكام النبي عليه الصلاة والسلام.

عن ابن أبي أوفى قال:

((لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا))

إنسان يسجد لإنسان، لا يركع له، ما هذا؟

قال:

((يا رسول الله، قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطاركتهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل مثلهم، وأنت رسول الله، قال: لا تفعل، فإني لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))

لكن إذا أمر إنساناً له حق كبير على إنسان فهو الزوج على زوجته، ومع ذلك النبي عليه الصلاة والسلام لم يأمر، هذا الحديث يبين عظم حق الزوج، ليس معنى الحديث أن تسجد المرأة لزوجها، لا، ولكن هذا الحديث لبيان عظم حق الزوج، وحينما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**((أنت ومالك لأبيك))**

سأسألكم: إذا كان مع إنسان وكالة عامة من ابنه، والابن عنده بيت، والأب باع هذا البيت، ووضع ثمنه في جيبه، وصرفه، هكذا قال رسول الله ؟

**((أنت ومالك لأبيك))**

نقول له: هذا الحديث أراد منه النبي عليه الصلاة والسلام بيان عظم حق الأب، أما أنت فمؤاخذ بهذا العمل، وعليك أن تدفع ثمن البيت لابنك، لما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**((من نظر على جاره ففقأ عينه لا عليه إن فعل))**

نقول له: هذا الحديث أيضاً طريقة بلاغية رائعة لبيان عظم حق الجار، النبي بين عظم حق الزوج، وعظم حق الجار، وبين عظم حق الأب.

في الحديث تنمة جيدة جداً:

**((والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها))**

رواية ثالثة ولفظ ابن ماجه قال عليه الصلاة والسلام:

**((فلا تفعلوا، فإني لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده**

**لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها))**

يقول لي أحد الأزواج: إن كل عملها إساءة لي، وهي تقرأ القرآن، وتصلي الضحى، أي ضحى، وأي قرآن إذا كان عمل الزوجة إساءة لزوجها، مقصرة في حقه، تبحث عن شيء يزعبه ؟ أي قرآن هذا الذي تقرأه، وأي صلاة تصليها ؟ دققوا هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام:

**((لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألتها نفسها وهي على قتب لم تمنعه))**

على قتب يعني على دابة، القتب ما يوضع على الدابة، هذه أحاديث رسول الله، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فالمرأة المسلمة التي تريد أن تؤدي حق ربها عليها أن تؤدي حق زوجها، ويا أيها الأزواج اتقوا الله في زوجاتكم، كونوا أزواجًا مسلمين كاملين حتى تستحقوا هذا الدعم من رسول الله، وإلا فهذا الدعم ليس لكم.

امرأة سألت عالمًا أزهريًا، قالت: يا سيدي رسول الله يحق له أن يقول: ناقصات عقل ودين، ليس له حق أن يقول هذا الكلام علينا، فكان الشيخ نكيًا جدًا، قال لها: لا يا بنيتي هذه ليست لكم، هذه للصحابيات، أنتن لا عقل ولا دين.

بالمقابل كل هذه الأحاديث التي تبين عظم حق الزوج هذه ليست لكل الرجال، للمؤمنين، للأتقياء للذين يعرفون حق المرأة، وقيمتها، ومكانتها في الإسلام، ودورها الخطير، من عرف حق زوجته، من عرف فضلها، من عرف قيمتها، من عرف ما لها وما عليها، من عرف أنها شريكته، من عرف أن لها حقاً عليه، من أراد أن يأخذ بيدها إلى الله عز وجل، نقول له: أنت أيها الأخ الكريم على العين والرأس، هذه الأحاديث كلها لك، وإلا ليست لك، هذه ليست لكل الرجال، رجل أناني شهواني يحب ذاته، يحتقر زوجته، يهملها، لا يعطيها حقها، يريد أن يسفها دائماً، يسخر منها، هي تعمل ليلاً ونهاراً، هذه الأحاديث ليست له، هذه الأحاديث لمجتمع المؤمنين، كما أن المرأة أمرت من قبل النبي عليه الصلاة والسلام أن تعرف حق زوجها، وأن تؤدي حقه كذلك الرجال، أمرك الله عز وجل:

### ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[ سورة النساء: 19 ]

أمر إلهي، كما أمر بالصلاة، وجاء في تفسير هذه الآية: ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل أن تحتل الأذى منه، وقال:

((غضبت أمكم غضبت أمكم))

النبي عليه الصلاة والسلام نبي عظيم، رسول كريم، رئيس دولة، تكسر زوجته طبق الصحن أمامه، إنه نبي مرسل كريم.

حتى لا يكون هناك إساءة لفهم للدرس أو استغلال كل واحد لزوجته تعالي واسمعي ماذا قال الشيخ، لا هذه للأزواج المؤمنين الطيبين الطاهرين، هذه الأخلاق تحتاج هذه الأحاديث، وهذا الموضوع يحتاج هذا المنشفة، كل شيء يناسبه شيء.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (027 - 127) : اللهم إني أعوذ بك من ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-12-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

((دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أَمَامَةَ فَقَالَ: يَا أَبَا أَمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أَعَلِمْتُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَضْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي))

[ أبو داود ]

يبدو أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل في وقت غير وقت الصلاة، دخل المسجد في النهار، وكلكم يعمل أن الله عملاً بالنهار لا يقبله في الليل، وأن الله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، فالسؤال من النبي عليه الصلاة والسلام يذكرنا بقول سيدنا عمر رضي الله عنه حينما رأى إنساناً لا يعمل، وهو يقرأ القرآن في النهار، فقال: (إنما أنزل هذا القرآن لتعمل به، أفاتخذت قراءته عملاً؟).

قد تتكاثر المصائب على الإنسان، قد تجتمع المحن، قد تثقل الهموم، النبي عليه الصلاة والسلام يقول لهذا الصحابي:

((أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَىٰ عَنْكَ دَيْنَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَىٰ عَنِّي دَيْنِي))

الحقيقة من السذاجة أن نظن أنه بمجرد أن تقول:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ))

حتى تذوب المشكلات.

ماذا أراد النبي عليه الصلاة والسلام بالهم؟ الهم غير الحزن، الهم إنسان مقبل على امتحان أياماً بأكملها، وهو شارد، هل سأنجح أم لا أنجح؟ وإذا نجحت، و نلت هذه الشهادة أتوظف أم أعمل عملاً حراً؟ وإذا نلت هذه الشهادة أتابع دراستي، من ينفق عليّ؟ شيء لم يقع بعد، يمضي وقتاً طويلاً في الحديث فيه، أنت لك دعوى في القضاء، يا ترى أريح الدعوى، و أكسر رأس خصمي أم لا أريحها؟ إن ربحتها ماذا أفعل؟ وإن لم أريح هذه الدعوى ماذا أفعل؟ هذه الخواطر المتواردة المتكاثرة التي من شأنها أن تقعد الإنسان عن العمل، من شأنها أن تجعله حالماً أقرب إلى الحلم منه إلى الواقع، الإنسان الحالم الذي يستلقي في الفراش، ويفكر ما سيكون في المستقبل؟ هل سأنجح لا أنجح؟ هل سأريح لا أريح؟ هل سأنال هذه الدعوى أم أخسرها؟ هذا النبي عليه الصلاة والسلام استعاذ منه أن تشغل نفسك بشيء لم يقع بعد، والمعروف القصة الشهيرة هذا الذي اضطجع في غرفته، وقد علق في السقف جرة من عسل، وقال: سأبيع هذا العسل، وسأريح فيه أرباحاً طائلة، وسأتزوج، وسأنجب أولاداً، وسأؤدب أولادي، رفع عصاه ليؤدب أحد أولاده فأصاب الجرة فانكسرت، فهذا نوع من المبالغة في التفكير فيما سيكون في المستقبل، هذا الذي مات أخوه، وخلف خمسة أولاد، بدأ يبكي بكاء مرّاً، التقى بشيخ له قال: ماذا أفعل، خلّف لي خمسة أولاد، وليس عندي ما أطعمهم؟ فقال هذا الشيخ: لم يترك أبوهم شيئاً؟ قال: لا ترك شيئاً يكفيهم سنة، قال له: إذا مضت السنة فابدأ بالبكاء بعد السنة، بعد سنة ابدأ بالبكاء، الآن مازال الوقت باكراً في البكاء، ويحه يبكي لما لم يقع.

فلذلك الهم توقع المستقبل، وتوقع الشر أحياناً، توقع الخير، أو توقع الشر، والدخول في متاهة، هذا سماه النبي عليه الصلاة والسلام همماً، لو نزعنا عنك هذا الهم، وانطلقت إلى العمل المنتج المجدي فقد ربحت، ونجحت، واسترحت، وأرحت.

إذاً أول كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ))

الهم فيه استهلاك للوقت، والهم فيه قعود عن العمل، الهم يدعو إلى الكسل، إلى القعود، والهم يستهلك وقت الإنسان وطاقته، وأعصابه بلا طائل، فالإنسان يكون حكيم نفسه، ليس له أن يستهلك أعصابه، وخواطره، وأفكاره، وشجونته، ومشاعره في شيء لم يقع بعد، إما أنه خير، وإما أنه شرير، إذا ما الذي يجدي أن تفعله؟ أن تنطلق إلى العمل، أنت جالس في الفراش يا ترى أنجح، وإذا نجحت سأتيه على أبناء خالتي، وإذا نجحت سأقيم حفلة لأصدقائي، و سأجلب في هذه الحفلة فلاناً الفلاني، وفلاناً الفلاني . طبعاً في وقت الصيف . وسأقدم لهم غداء، من أين أشتري الحلويات؟ قم، وادرس أفضل لك، بدل أن تفكر في النجاح، وأفراح النجاح، واحتفالات النجاح، وما بعد النجاح، دع هذه الخيالات وهذه الهموم، وانطلق لدراسة كتاب مقرر.

كن إنساناً عملياً، العمل يذهب عنك الهم والحزن، واجترار الآلام والتطلعات للمستقبل المحزنة والمسعدة هذه تستهلك وقتك وجهدك وأعصابك ومشاعرك من دون أن تفعل فيها شيئاً، لذلك قالوا: الهم مضیعة للوقت مدعاة للكسل، والمؤمن ليس إنساناً حالماً، بل إنسان واقعي، إنسان عملي، إنسان حيوي، و قد قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((علو الهممة من الإيمان))

ما الحل إذاً؟ دع عنك هذه الهموم، وانطلق لعمل يرضي الله عز وجل، دبر أمراً يدفع عنك الشر، أو دبر أمراً يجلب لك النفع، إذا الهم سببه شبح مشكلة، بدل أن تجلس، وتجتز همومك، وتعيش في أوهم انطلق لتدبير شيء يدفع عنك هذا الضر، هذا هو الموقف العملي، والعوام يقولون: قم يا عبدي لأقوم معك، أي تحرك، شخص توهم أن الرزق على الله عز وجل من دون سعي، فجلس في زاوية ميتة في مجلس، جاء شخص معه طعام، وخبز بقي ساكناً لم يره، وزع على الكل، وهو لم يعطه، مرة ثانية بقي ساكناً، الثالثة سعل، فانتبه له، فأعطاه، تحرك حركة، وفي الحديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْنَاكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))

[الترمذي]

تغدو أي تتطلق من أعشاشها تتحرك، أحياناً الإنسان الرزق ضيق، عمل لا يوجد، السوق بارد، كساد بالبضاعة، تحرك حركة، هذا الذي عليك، وعلى الله الباقي، اعرض بضاعتك، أنت جالس بمحلك متمركز، وكأنك ملك، اخرج من المحل، واعرض بضاعتك، من الممكن أن يشتري الناس البضاعة ؟ سافر إلى المحافظات، اعمل حركة، إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا.

على الإنسان أن يسعى، ليس عليه إدراك النجاح، فالهم أن يشغل الإنسان نفسه بخواطر و بأحاسيس و بتصورات و بأخيلة مسرة أو محزنة لم تقع بعد للمستقبل، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الِهَمِّ وَالْحَزَنِ))

الحن فوات خير، أو وقوع شر، إذا كنت مؤمناً حقاً فلا تحزن لماذا، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ))

[ أحمد ]

إذاً إذا آمن الإنسان أنه لا إله إلا الله، لا يقع شيء إلا بأمر الله، إذا أراد الله أمراً وقع، إذا وقع الأمر فقد أَرَادَهُ اللهُ عز وجل ينتقي عنه الحزن، إذا ينتقي عنه الهم والحزن، الهم الخواطر المستقبلية، والحزن الألم الذي يعتصر القلب لخير فاتك، أو لشر وقع.

و لا تنس أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا يحزن قارئ القرآن))

يقراً أن الأمر بيد الله، وأن المؤمن محفوظ، وأن الله يدافع عن المؤمن، وأن المؤمن برعاية الله، وأن الله مع المؤمنين بالرعاية والحفظ والنصر والتأييد والمعالجة، فكلما قرأ آية فيها حفظ الله عز وجل، فيها رعايته، فيها عون، فيها نصره، فيها تأييده، اطمأنت نفسه، وكلما قرأ آية عن أهل الجنة أحسن الظن بربه، وتوسل أن يكون من أهل الجنة، تذوب مشكلاته أحياناً، إذاً هكذا علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نستعيز بالله من الهم والحزن.

وعلمنا أيضاً أن نستعيز به من العجز والكسل، العجز عدم القدرة على أن تفعل شيئاً، والكسل بإمكانك أن تفعل هذا الشيء، ولكنك تتوانى عن فعله، يوجد فرق دقيق: الهم غير الحزن، والعجز غير الكسل، العجز عندما يفرط الإنسان بنفسه، مثلاً يرفع خزانة لها وزن ثقيل يصيب فقراته انقراص، أصبح معه انزلاق في إحدى فقراته، آلام مبرحة طوال حياته، أين عقلك؟ المقدر كائن، لكن الإنسان عليه أن يحتاط، عليه أن يأخذ بالأسباب، هذا الغذاء مؤذٍ، هذه المادة الدسمة فيها زيت مهرج مثلاً، هذه المادة مؤذية للكبد، هذه مؤذية للرئتين، فالإنسان بما يأكل، بما يشرب، مثلاً التمديدات الكهربائية فيها خطر، مثلاً صار هناك شرارة تيار منتي وعشرين فولطاً سببت مشكلة للابن، إبريق الشاي على طرف الطاولة وقع فوق ابن، فذهب بجلده، فالإنسان يجب ألا يكون مسيئاً، عليه أن يأخذ بالأسباب، النبي ينهانا عن أن ندع ناراً مشتعلة في الليل، أمرنا أن نغلق الأوعية، أن نطفئ السرج، أن نغطي الحاجات، أن ننفض الثياب قبل أن نرتديها، هذه كلها من سنة النبي:

((من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه))

أي لا يكون الماء ملوثاً، لا تكون الفاكهة ملوثة، فهذا كله ينفي عنا العجز، أنت عليك أن تسعى، عليك أن تأخذ بالأسباب، عليك أن تفعل الشيء الذي يضمن لك صحتك، لأنها رأس مالك، فحينما دعا النبي عليه الصلاة والسلام ربه واستعاذ به من العجز فخذ أسباب السلامة، خذ موجبات الصحة، موجباتها تطبيق السنة فيما أمرك الله، وما نهاك، أما الكسل فيقول لك: لا يوجد همة، همة متدنية، وقد قيل: يفيد صحة أصحاب الهمم العالية، من معالجات الهمم العالية أن تصحب أصحاب الهمم العالية، إذا عشت مع المتفوقين تتمنى أن تكون أحدهم، إذا عشت مع المنضبطين تتمنى أن تكون أحدهم، إذا صاحبت الذين يصلون الصلاة في أوقاتها اعتدت هذه العادة الطيبة، فكلما شعرت بهمة ضعيفة، بكسل، بتوان، بقعود، عليك أن تصاحب من ينهض بك إلى الله حاله، عليك أن تصاحب أهل الجد، أهل النشاط، أهل الالتزام، أهل الطاعات، أهل التفوق، شيء آخر: عليك أن تقوي

إرادتك عن طريق فعل المندوبات، إن فعلت المندوبات استحييت أن تهمل الفرائض، و قد قال بعضهم: من أدى السنة القبلية قطع على الشيطان وسواس ترك الفرض، لأنه ما أطاعه في ترك السنة، أفيطيعه في ترك الفرض، مستحيل.

حينما تقطف ثمار الجهد والعمل الطيب تشعر بسعادة، هذه السعادة اسمها الشعور بالإنجاز، إذا الكسل صاحب المجتهدين، قم بالمندوبات، أد السنن، عندئذ تنشط لأداء الفرائض، طبق التعليمات بدقة تقطف الثمار، قطف الثمار يشجعك على متابعة الطريق، هذه كلها مقويات، أي من له صحبة مع أهل الحق هؤلاء قد يرفعون همته، قد يعدونه بهمتهم العلية، هذا مما يدفع على الإنسان الكسل.

وأما الجبن والبخل: الجبن أن يبخل الإنسان بحياته، أي إذا اعتدى معتدٍ، إذا استبيحت أعراض المسلمين، إذا استبيحت أموالهم من قبل عدو غاصب، الجبن أن يرضن بنفسه عن أن يبذلها صوتاً لهذا الدين، إذا يعيش المسلم ذليلاً، يعيش المسلم مستباحاً، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((يأتي على أمتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن في جوفه))

مما يرى، ولا يستطيع أن يغير:

(( يأتي على الناس زمان يكون فيه المؤمن أدل من شاته ))

هناك جبن، الجبن أدى إلى أن يستباح الإنسان، يستباح ماله، يستباح عرضه، وهكذا، فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم استعاذ من الجبن، واستعاذ من البخل.

البخل في إنفاق المال على أهل يسبب البغض، لا يوجد بخيل إلا ويتمنى أهله موته، هذا المقياس، إذا كنت كريماً يتمنى أهلك بقاءك، فإذا كان هناك بخل شديد، وقسوة، والله آية كريمة شهد الله لو تمنعها الإنسان، لو تأملها لأفح، الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ سيد الخلق، حبيب الحق، سيد ولد آدم، سيد الأنبياء والمرسلين، المعصوم، الرحمة المهداة، النعمة المجزأة، الموحى إليه، ومع ذلك قال له:

## ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

أنت هل معك رسالة ؟ لا، والله، يوحى إليك ؟ لا، والله، معصوم ؟ لا، والله، لست معصوماً، ولا يوحى إليك، وليس معك رسالة، ولست سيد الخلق، ولا حبيب الحق، ولا سيد ولد آدم، ولست رحمة مهداة، ولا نعمة مجزاة، فكيف تسول لك نفسك أن تقسو مع الناس ؟ كيف يحبك الناس إن قسوت عليهم ؟ النبي عليه الصلاة والسلام:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

فإذا كان النبي الكريم المعصوم، المرسل، الذي يوحى إليه مأموراً أن يكون عفواً كريماً رحيماً حتى يحبه الناس فغيره أولى.

عندنا هنا نقطة: أنت أيها الأخ لك قلب، ولك قالب، والقالب يداك، حواسك، جسديك، رجلاك، القوي يملك قالبك، أما النبي فيملك قلبك، القلب لا يملك إلا بالإحسان، القلب لا يملك إلا بالكمال، القلب لا يملك إلا بالرحمة، القلب لا يملك إلا بالتواضع، القلب لا يملك إلا بالإنصاف، بالإنصاف و التواضع والإحسان والرحمة تملك قلب الناس، وبالقوة تملك قالبهم، إذا أنت كنت معلماً وقاسياً، يقومون لك، وإذا لم يقيم طالب تضربه، أمرتهم بالجلوس فقعوا، بالصمت يصمتوا، فقوتك تملك من الطلاب قلوبهم، أما إحسانك فتملك به قلوبهم، الأقوياء في العالم ملكوا القلوب، أما الأنبياء فملكوا القلوب، امتلاك القالب يحتاج إلى قوة، امتلاك القلب يحتاج إلى إحسان، بالبر يستعبد الحر، فإذا أردت أن تدعو إلى الله عز وجل من أنت ؟ النبي عليه الصلاة والسلام الموحى إليه، صفة خلق الله، خير خلق الله أمر أن يكون عفواً كريماً رحيماً متواضعاً، وشاورهم في الأمر:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

فلذلك أحياناً الإنسان يقوى، يؤتية الله قوة، بقوته يتملك قوالب الناس، لكن هذا التملك لا قيمة له إطلاقاً، التملك الحقيقي أن تملك قلوبهم، أن تملك حبههم، فلو وقفت أمام قبر النبي عليه الصلاة والسلام، ورأيت هذه الجموع الكبيرة التي ما رأته، ولا سمعت كلامه، إنما قرأت عنه قبل ألف وخمسمئة عام، وهي تبكي أمام قبره، تعرف ما معنى أن النبي ملك قلوب المسلمين، فبطولتك لا في امتلاك رقابهم، بل في امتلاك قلوبهم، وسيلتك لامتلاك قلوبهم الإحسان والكمال والإنصاف والتواضع والرحمة والعطف، فالكلام موجه للأب، موجه للأُم، موجه للأخ، موجه للصديق، موجه لصاحب العمل، موجه لمدير المدرسة، موجه للمعلم، موجه لمدير المستشفى، موجه للطبيب، فإما أن تملك القالب، وهذا تملكه بالقوة، وإما أن تملك القلب، وهذا تملكه بالإحسان، لا تنس هذه الآية:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

دخلت إلى هذا الموضوع حينما ذكرت أن الإنسان في بيته إن لم يكن محسناً، إن لم يكن عطوفاً، إن لم يكن كريماً، إن لم يكن معطاءً ينفذ عنه أهله وأولاده، فلذلك البخل مشكلته أول من تخسر بالبخل أولادك وأهلك، وإذا بخلت عن عمل صالح تخسر آخرتك، لذلك:

﴿وَمَنْ يُوقِ شَحِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحشر: الآية 9]

البخل مرض خطير يسبب أن تخسر أهلك وأولادك ومن حولك وأسرتك وأخرتك، لهذا دعا النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ))

متى يكون الدين مسموحاً به، محموداً؟ إذا كان الدين لأداء ضرورة، وفي نية المستقرض أن يؤدي ما عليه تولى الله الأداء عنه هذه نقطة مهمة جداً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَى اللَّهِ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ))

[ البخاري، ابن ماجه، أحمد ]

أخذ أموال الناس لإجراء عملية جراحية - لا سمح الله - أخذ أموال الناس لمعالجة مريض، أخذ أموال الناس ليقيم جداراً تهدم، أصبح في الطريق، أخذ أموال الناس لأمر قاهر، وفي نيته أداء هذا المال تولى الله في عليائه أن يؤدي عنه هذا المال:

((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَى اللَّهِ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ))

أي أنفقها على شهواته، على مظاهر فارهة، على كماليات لا جدوى منها، حمل نفسه ديناً لا يطيق وفاءه، ليس عنده رصيد له،

((أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ))

ذلك:

((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ))

متى يغلبك الدين ؟ إذا استقرضت مالاً لإنفاقه في شيء ليس ضرورياً، إذا أخذته، وليس في نيتك أن تردده إلى صاحبه، عندئذ يغلبك الدين، وأما قهر الرجال هذا من أصعب، قيل لرجل: ما الذل ؟ قال: أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرده . الذل أن يقهرك إنسان مثلك، أن يجعل الله مصيرك بيد إنسان، قال تعالى:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾

[ سورة النساء: الآية 141 ]

أي هذا ليس سهلاً، لأن الإنسان له كرامته، له مكانه، له عزته، له شرفه، يأتي إنسان كافر يمرغه في الوحل، ويتحكم فيه، ويذيقه ألوان العذاب، هذا عقاب إلهي كبير، لذلك: يا رب لا تجعلني عبرة لأحد من خلقك، لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا:

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾

[سورة النساء: الآية 144]

هذه هي غلبة الدين، وقهر الرجال، والله ثمانية أشياء مهمة جداً، الهم، والحزن، و العجز، والكسل، والجبن، والبخل، وغلبة الدين، وقهر الرجال، ربنا عز وجل جعل قهر الرجال بمستوى الزلازل والبراكين، قال:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنعام: الآية 65]

أن يذوق الإنسان بأس أخيه الإنسان، الإنسان لئيم وقاسٍ، ربنا قال:

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾

[سورة الشعراء: الآية 130]

الإنسان لا يرحم، فلذلك أنا أتمنى على كل منا أن يدعو بهذا الدعاء صباحاً ومساءً، كما قال عليه الصلاة و السلام.

نعيد عليكم نص الحديث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

((دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي))

[ أبو داود ]

والدعاء سلاح المؤمن، إذا خرج الإنسان من بيته يستعيز من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدين وقهر الرجال، شيء جميل، و المعاني دقيقة جداً، الهم استهلاك لخواتره وأفكاره وأعصابه ووقته بلا جدوى، والحزن ندم على ما وقع إنسان أو على ما فات، كلاهما يتناقض مع الإيمان، والعجز حاول أن تحتاط أن تبحث عن مسببات الوقاية وعن الأسباب المبعدة عن العجز، والكسل صاحب أصحاب الهمة العالية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[ سورة التوبة: الآية 119 ]

الجبن والبخل يشقيان صاحبهما في الدنيا والآخرة، وغلبة الدين إذا استقرضت مبلغاً لشيء كمالى وثانوي فالله سبحانه وتعالى لا يعينك، أما إذا استقرضت المال لشيء ضروري إنسان وفي نيتك أداؤه الله سبحانه وتعالى يعينك.

و الآن إلى فقرة متعلقة بالنساء:

كنت في عقد قران وزع فيه هذا الكتاب هدية، كل هذا الخير من هذا الحديث الشريف، أنا أتمنى إذا أقيم عقد قران بدلا من توزيع هذه العلب، والصحون فليوزع كتاب في الحديث، كتاب في السنة، كتاب في الفقه، كتاب في الوعظ، كتاب في النصائح، هذا الكتاب له خير لمن قرأه إنسان ومن علمه إنسان ومن تعلمه، في المنزل يوجد مصاحف إنسان يكفي مصحف واحد، لا يوجد بيت إلا وفيه عشرة مصاحف، لكن يوجد كتب نحن بحاجة إليها، فإذا أقام إنسان عقد قران أنا أفضل أن يختار كتاباً، كتاباً في السنة، كتاباً في الحديث، كتاباً في الفقه، كتاباً في

الوصايا، كتاباً يتناسب مع المبلغ المرصد للدفع مقابل صحن معين أو شيء معين.

عن ابن عباس رضي الله عنه:

((أَنْ امْرَأَةً مِنْ خَتَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَا حَقَّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجِ فَإِنِّي امْرَأَةٌ أَيْمٌ))

المرأة الأيم غير الأرملة، أية امرأة لا زوج لها بكرةً أو ثيباً اسمها أيم، وأي شاب لا زوجة له، أعزب أو أرمل فهو أيم، وربنا عز وجل قال:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾

[ سورة النور: الآية 32 ]

هذا أمر نذب كما قال علماء الأصول، أي على أولي الأمر أو أولياء الأمور، الآباء و الأمهات، هذا الكلام موجه إلى أولي الأمر ليسهلوا سبل الزواج، وموجه إلى أولياء الشباب والشابات ليزوجوا شبابهم وبناتهم، أولياء البنات بالتساهل مع الأزواج.

عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُرَزِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ))

[ الترمذي ]

بلا شروط صعبة جداً، والأمر موجه إلى أولياء الشباب بمعاونة أولادهم، أنا نشأت عصامياً، أريد أن يكون ابني عصامياً، أنت عندما كنت عصامياً كان هناك مئة بيت بلا مال، الآن لا يوجد بيوت، تريد أن تعين ابنك، تزوجه، إن كان الكلام موجهاً للآباء بمعاونة أبنائهم على الزواج، وإن كان موجهاً للأمهات بالتساهل مع الأصهار الدينين الطاهرين، و إن موجهاً كان لأولي الأمر بتأمين بيوت، وتسهيل بيوت للإيجار مثلاً، تسهيل الأسعار، الأثاث تكون مخفضة، عن ابن عباس رضي الله عنه

((أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ: فقالت يا رسول الله أخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فأني امرأة أيم، فإن استطعت وإلا جلست أيماً))

أي إن استطعت أن أؤدّي حق الزوج أتزوج، أو حتى أقبل أن أتزوج، وإن لم أستطع أجلس أيماً، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن حق الزوج على زوجته إن سألتها نفسها وهي على ظهر قتب ألا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت، ولا يقبل منها، وألا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع))

هكذا ورد في الحديث الشريف:

عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة من خثعم أتت رسول الله ﷺ: فقالت: يا رسول الله أخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فأني امرأة أيم، فإن استطعت، وإلا جلست أيماً، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن حق الزوج على زوجته إن سألتها نفسها وهي على ظهر قتب ألا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت، ولا يقبل منها، وألا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع، فقالت: لا جرم لا أتزوج أبداً))

[رواه الطبراني]

أي رأت أن حق الزوج عليها كبير.

حديث آخر: عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال:

((لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه))

فعلاً هذا موقف عجيب، أي لا أحد لها، أبوها متوفى، إختها متزوجون، زوجها يسكنها بمنزل، وهي تأكل وتشرب، نائمة مكرمة، معززة لابسة، ودائماً تتبرم، وتلعن هذه العيشة، لماذا ؟ ليست جائعة، ليست عريانة، عندها ثياب كثيرة، هذه المرأة التي لا تشكر زوجها، وهي لا تستغني عنه امرأة ملعونة، لا ينظر الله إليها.

زوجك، وأبو أولادك، وصحتك طيبة، لا يوجد أمراض، أولاد موجودون كالزهر في البيت، أكلنا فشبغنا، لبسنا فاكتسينا، لماذا نغير الطقم ؟ كل يوم مشكلة هذا الطقم مزري ليس جميلاً، لماذا هذا الكلام ؟ يوجد ظروف صعبة، كسب المال صعب أحياناً، يوجد نفقات كبيرة، سحب المال أصبح صعباً، فهذه المرأة التي تأكل وتشرب، وهي مطمئنة، وصحتها طيبة، وزوجها أمامها، وأولادها أمامها، وتجعل حياة زوجها نغصاً دائماً هذه امرأة ملعونة لا ينظر الله إليها، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها))

هذه المرأة غير الستيرة التي تشتكي على زوجها، تشتكي من ضيق ذات يده، آكلة، لم يحضر لها على الولادة أساور، هذه التي تشتكي زوجها دائماً، تشتكي ضيق ذات يده، هذه امرأة لا تعرف الله عز وجل، و الله حديث مخيف: عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال:

((لا ينظر الله تبارك و تعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه))

تقول له أحياناً: طلقني، كيف أطلقك ؟ إلى أين تذهبين ؟ لا أحد لك، عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتُ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ))

[ الترمذي، أبو داود، ابن ماجه ]

لا يوجد داع طلقني، لا أريد أن أعيش معك، إلى أين تذهبين ؟ لسبب تافه جداً، شيء لم ينفذ لها إياه، حاجة لم يؤمّنها، لا تقدر ظروف الحياة، صعوبة كسب المال، ضيق ذات اليد أحياناً، إنسان دخله محدود كذا للطعام، كذا للبيت، كذا للكهرباء، كذا للهاتف، كذا للتدفئة، نشأت نفقة مفاجئة، لا تحمليه فوق ما يطيق، لذلك الصحابية كانت تقف على الباب تقول: نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، اتق الله فينا، إنما نحن بك، نحن

سعادتنا بسعادتك، إذا كنت مع الله، إذا كنت مستقيماً، إذا كنت قريباً من الله عز وجل نسعد بقربك نحن، الأهل لا يسعدون بمال الزوج يسعدون بقربه من الله عز وجل، إذا كان قريباً صار مؤنساً، صار رحيماً، صار حليماً، صار غيوراً، صار صبوراً، فالأهل يسعدون بقرب زوجهم من الله لا بماله، لذلك، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةً رَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ رَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِيْنَا))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

القضية ليست دائمة، هذا الصحابي الذي طلبت منه زوجته شيئاً فوق طاقته، وتألمت فقال له: (اعلمي أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلغلت نور وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أضحى بك من أجلهن أهون من أن أضحى بهن من أجلك )

إذاً:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةً رَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ رَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِيْنَا))

وعن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

((إن المرأة إذا خرجت من بيتها، وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرت عليه حتى ترجع))

[ رواه الطبراني في الأوسط ]

هذه بعض الأحاديث، الزوج عليه أن يكون أهلاً لهذه الأحاديث، أن يكون مؤمناً يستحق هذه الوصية من رسول الله ﷺ.

الفقرة الأخيرة من الدرس: نقل الحافظ السيوطي في الدر المنثور في سبب نزول هذه الآيات التي سأتلوها بعد قليل جملة آثار عن الصحابة والتابعين، أكثرها تفصيلاً ما أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: مرّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عثا في الجاهلية، أي كبر، وأسن في الجاهلية،

عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاضه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم . انظر من صفات المؤمنين الألفة والمودة، التوافق، التسامح، التعاطف، المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون، بعضهم يدافع عن بعض، بعضهم يعين بعض:

### ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

[ سورة المائدة: الآية 2 ]

المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى))

[ البخاري، مسلم، أحمد ]

هذه توجيهات رسول الله، فهذا شاس بن قيس غاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم، على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال: . كان يوجد عداوات بين الأوس والخزرج لا يعلمها إلا الله، حروب، دماء، قتلى، ضغائن، أحقاد، لما جاءهم النبي عليه الصلاة والسلام صار هؤلاء الأوس والخزرج كالجسد الواحد متعاطفين، متسامحين، متآلفين، المؤمن يألف ويؤلف . فقال شاس بن قيس: قد اجتمع ملاً بني قبيلة بهذه البلاد، والله مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، إذا اتفقوا نحن لا وجود لنا، فأمر فتى شاباً معه من يهود فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعثت، ذكرهم بالحرب التي كانت بينهم قبل الإسلام، وما كان قبله، وأنشدهم بعض أشعارهم في هجاء بعضهم بعضاً، ذكرهم بالماضي، بالأحقاد، بالقتلى، بالخصومات، وما كانوا يتقاولون فيه من أشعار، وكان يوم بعثت يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل فتكلم القوم عند ذلك، ذكرهم بالماضي، وهم حديثو عهد بالإسلام، الإسلام ما تمكن من قلوبهم، ذكرهم بالقتال، بالأحقاد، بالعداوات، بالخلافات، وتنازعوها، وتفاخروا حتى توافد رجالان من الحيين، أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا أي تلاسنا، ثم قال أحدهما

لصاحبه: إن شئتم والله رددناها كما كانت، وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة، أي الحرة، فخرجوا إليها، وانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج كذلك، فبلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، هذه دعوى الجاهلية، هذه الخصومات، هذه الخلافات، هذه المنازعات، هذه التهم، هذه المهاترات، هذه العصبية الجاهلية، هذا الانحياز الأعمى، الله الله أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، أبعدئذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستتقذكم به من الكفر، وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟ فعرف القوم أنه نزغة من الشيطان، و كيد من عدو لهم، فألقوا السلاح، وبكوا، وعانق الرجال بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس، وأنزل الله في شأن شاس بن قيس وما صنع.

الآن نزلت آيات في هذه الحادثة:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ  
(99) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)﴾

[ سورة آل عمران ]

أجمل ما في الآية أن هذه المودة والمحبة والوفاء وحسن الظن والمسامحة والتعاطف والتراحم والتعاون عبّر الله عنها بكلمة واحدة، هي الإيمان، والخصومة والمشاحنة والبغضاء والأحقاد والقتال والتحريش بين المؤمنين والحقد سماها الله كفراً، قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾

[ سورة آل عمران ]

تختصمون، تتنازعون، تتبادلون التهم:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 101 ]

القرآن واحد، السنة واحدة، الدين واحد، المنبع واحد، المصدر واحد:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
(101) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾

[ سورة آل عمران ]

أي إيمانكم غير كاف، إيمانكم ضعيف الدليل هذا شاس أوقع بينكم، حرش بينكم، إيمانكم غير قوي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)﴾

[ سورة آل عمران ]

هذه القصة هي سبب نزول هذه الآية، لذلك النبي الكريم في خطبة الوداع ماذا قال:

((إن الشيطان يئس أن يعبد في أرضكم))

نفذ يديه من أن يعبد غير الله في أرضكم، لم يعد هناك شرك وأصنام:

((ولكن رضي فيما دون ذلك، رضي بالتحريش بين المؤمنين ))

الإيقاع بينهم، لذلك إذا كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر هذه الآيات لكل المؤمنين، وإلى نهاية الدوران، أنت كن عنصراً مؤلفاً، اجمع، ولا تفرق، ألف ولا تبغض، قارب ولا تباعد، لا تتقل حديثاً يكرهه الذي نقلت إليه الحديث، هذه هي الميمة، والنمام كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث حُدَيْفَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْمُ الْحَدِيثَ فَقَالَ

حَدِيثُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، أحمد ]

هذه نصيحة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه أسباب نزول هذه الآيات

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

معنى تفشلوا أي تخفقوا، لا تحققوا هدفكم، وتذهب ريحكم هذه السمعة الطيبة للمؤمنين تتلاشى، إذا تخاصم المؤمنون تلاشت هذه السمعة الطيبة.

وردني سؤال من أخ رجائي أن أجيب عنه: معصرة زيت في أثناء نقل الزيت يبقى شيء بالأرض من بقايا الزيت، كالفران إذا كان بالأرض شيء من الطحين، هذه المعاصر تسوق هذا الزيت الذي داسته الأرجل، وصار مع التراب، ومع أوساخ الأرض إلى مكان، وتعالجه بمواد كيميائية، وتبيعه على أنه زيت، هذا الزيت ليس نقياً، ولا طاهراً، لكن نقتة المواد الكيميائية، قال: فيباع للمطاعم بأسعار دنيا، السؤال ليس هنا، يمكن أن يباع لمعامل الصابون، السمان إذا كان عنده زيت دخلت فيها فأرة ماذا يفعل؟ أصبحت نجسة، لا يجوز أن يبيع زيتها، يجب عليه أن يبيع هذا الزيت إلى معمل الصابون، هذا من حقه، فزيت مع الأقدام، و الأرض، ومع الأقدار عالجتة بمواد كيميائية حتى صار نقياً يباع لمطعم؟ هذا مخالف للشرع.

شيء ثان: هذا الزيت ليس من حق صاحب المعصرة، هذا الزيت من حق أصحاب الزيتون الذين عصروا عندك، لذلك الأولى أن تستسمحهم عذراً، أو أن تستبرئ ذمتك منهم، أو أن تقدمه لهم، أو تبيعه إلى معمل صابون، و تدفع ثمنه صدقة عن هؤلاء الذين عصروا عندك زيتونهم، هذا هو الموقف الشريف، والموقف الشرعي.

أحياناً بالسيارة عندما تضعها عند المصلح يقول لك: أحضر قليلاً من البنزين لنغسل المحرك، يأخذ كمية من البنزين أكثر من اللازم، والباقي يتركها عنده، هذا لا يجوز.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (028 - 127) : عليكم بالجماعة.....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-12-1990

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: لو تتبعنا الحكم الجليلة التي وراء التشريع ككل لماذا ربنا سبحانه وتعالى أمرنا بأشياء، ونهانا عن أشياء أحمد مالك.ولماذا نظم العلاقات بين الناس ؟

الحقيقة أن الإنسان جاء إلى الدنيا لمهمة خطيرة، ومعنى خطيرة أي مهمة مصيرية يتعلق بها مصيره، فإما إلى سعادة أبدية، وإما إلى شقاء أبدي، حياته الأبدية مرتبطة بحياته الدنيا، إذا كان في حياته الدنيا بحكم ما أودع الله به من شهوات، وما خلق فيه من ميول وبحكم الفطرة التي فطره عليها من حب وجوده وسلامة وجوده وكمال وجوده واستمرار وجوده قد ينشأ منازعات، قد ينشأ عدوان، المنازعات بين الناس والعدوان على حقوق بعضهم، والأخذ، والرد هذا يصرف الإنسان عن مهمته الأساسية، وقت محدود، سنوات معدودات، أيام معدودات، أشهر معدودات، أسابيع معدودات، مادام وجود الإنسان في الدنيا له وقت محدود، ومادام الإنسان قد خلق في الدنيا لمهمة كبيرة جداً ؛ إذاً أي خصومة، أي خلاف، أي حقد، أي مشاحنة من شأنها أن تعيقه عن مهمته الأساسية، هذا يعبر عنه حديثاً بالمعركة الجانبية، يعني أي خصومة جانبية تصرف الإنسان عن مهمته الأساسية، فلذلك كان التشريع هذه لك، وهذه لأخيك، تنظيم العلاقات، معرفة الحقوق والواجبات، حقوق الوالدين، حقوق الجيران، حقوق الأولاد، حقوق الآباء، علاقة البيع والشراء، علاقة الأجار، علاقة الزواج، علاقة الطلاق، علة التشريع، كله كي يفرغ الإنسان لمعرفة ربه، فإذا سار على منهج الله عز وجل سيراً دقيقاً ارتاحت نفسه من كل خصومة، ومن كل منازعة، وفوق هذا وذاك هناك توجيهات نبوية بلزوم الجماعة.

الحقيقة أن هذا الموضوع دقيق وسوف أقرأ لكم بعض الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بلزوم الجماعة أولاً:

روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه والأصح أن نقول رضي الله عنهما لأن عمر ابن الخطاب خليفة راشد وابنه صحابي جليل قال:

((حَطَبْنَا عُمُرَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبَ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِأَمْرَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ))

[ الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

الجابية مكان.

استتبط شراح الحديث أن الذي يعلم الناس العلم كما ورد عن رسول الله ﷺ ناب عنه في إبلاغ الناس الحق فهذا طاعته مقيدة في اتباعه للنبي، وأمره مقيد لاتباعه للنبي، فسيدينا عمر يقول: إني قمت فيكم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فكل من يتصدى لنشر الحق، والدعوة إلى الله عز وجل هو يقوم مقام رسول الله، فإذا خالف سنته، فإذا أمر بغير ما أمر، فإذا فعل بغير ما فعل عندئذ اختلف الأمر، أنت نائب له مادمت على منهجه، ما دمت على سنته، ما دمت تفعل فعله، تقتفي أثره، فإذا حصل خروج لابد من التذكير، لابد من التناصح، والدين كما قال عليه الصلاة والسلام النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

((فَقَالَ أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ))

لا تتسوا أنه من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم ربه، المؤمن من أحب العباد إلى الله عز وجل، والدليل قال تعالى:

﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة المائدة: 54]

الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة عديدة أكد أنه يحب المؤمن، فإذا أحببته، وأكرمته فكأنما أكرمت ريك، لذلك المؤمن يكبر عليه أن يهين مؤمناً، أن يغتاب مؤمناً، أن يسيء إلى مؤمن، لأنه من أولياء الله، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة الأحقاف: 13]

فمن آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.

((فَقَالَ أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ))

يعني جماعة المسلمين، الإنسان إذا مشى وحده ربما انحرف، ولم يجد من يصحح له انحرافه، ربما تجاوز الحد، ولم يجد من يذكره بتجاوزه، ربما طغى، ربما بغى، ربما قصر، ربما عاش مع أناس دونه في الإيمان، فرأى نفسه فوقهم، أما إذا لزم جماعة المسلمين كما قال عليه الصلاة والسلام الجماعة رحمة فمن شأن الجماعة أنها تحفزك إلى الله بحوافز، ومن طبيعة الإنسان أنه يغار، فإذا عاش معه المؤمنين، ورأى أحداً تفوق في صلاته، في معرفته، في طلاقة لسانه، في علمه، في قوة تأثيره، في أعماله الصالحة، لا بد من أن ينشأ رغبة في اللحاق بهذا الإنسان، فإذا كنت مع المؤمنين هناك علاقة فيما بينك وبينهم.

ربنا عز وجل يقول:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[سورة المطففين: 26]

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[سورة الصافات: 61]

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[سورة يونس: 58]

هذا موطن الفرح.

((فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَخْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِيَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ))

يبدو أن الله سبحانه وتعالى يحب المؤمنين إذا اجتمعوا، إذا ائتلفوا، إذا تحابوا، إذا تسامحوا، إذا تعاطفوا، إذا تعاونوا، والأمر صريح، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ﴾

[ سورة المائدة: 2 ]

قال:

((فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَخْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ تَالِيَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ))

إذا لم يكن للإنسان مجلس علم، ليس له جماعة مؤمنة هو معهم، ليس له من يسترشده في أمور دينه ودنياه، ليس له مرجع ديني، ليس له أخ يعينه على إيمانه، قد يأتيه الشيطان ويزين له سوء عمله، قد يأتيه الشيطان ويزين له بدعته، قد يأتيه الشيطان ويزين له انحرافه، إذا فإن الشيطان مع الواحد.

وتماماً أكثر الإخوة الأكارم هكذا يقولون، ونحن في الدرس نشعر بصفاء وسرور، وكأن المؤمن بطارية شحنت، فإذا شحنت نورت، فإذا ضعفت أحياناً تضاعل نورها، وهكذا، فكلما كان الشحن كثيراً كلما كان النور ساطعاً، كلما كان شحن هذه البطارية متتابعاً كانت الإضاءة شديدة.

((فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ))

أخ يحفظ كتاب الله ألا تغار منه ؟ أنت كثيراً ما ينطلق الإنسان إلى طاعة تأسياً بأخ آخر، أخ له عمل طيب ألا تغار منه ؟ الحقيقة المجتمع المؤمن من صفاته أن فيه حفزاً، وشحداً اللهم، فكلمة التقية بأخ مؤمن، ورأيت من عمله ما أنت مقصر فيه تمنيت أن تكون مكانه، كلما التقيت بأخ له من العلم ما خصه الله به تمنيت أن تكون مكانه، كلما التقيت بأخ يحفظ كتاب الله، ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار تمنيت أن تكون مكانه، هذه بعض جوانب الجماعة.

هناك جانب آخر، قد تأتي مشكلة، عندك جانب الحفز، وجانب المواساة، قد تأتي مشكلة تضيق بها ذرعاً، تكبر عليك، تسود الدنيا في عينيك، تتشاءم، تئأس، يأتي أخوك المؤمن فيذكر لك بعض آيات الصبر، يتلو على مسامعك بعض قصص، يبين لك حكمة المصيبة، يبين حب الله لك، يبين حكمته، بين رحمته، يبين عدالته، يبين، فإذا بهذه الجمرة المشتعلة تنطفئ، هذا قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾

[ سورة آل عمران: 200 ]

يعني تعاوننا على الصبر، فلذلك الجماعة من ميزاتها الحفز، قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[ سورة المطففين: 26 ]

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

[ سورة الصافات: 61 ]

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

[ سورة يونس: 58 ]

ومن ميزاتنا أيضاً المواساة، أنت كمؤمن مع مؤمنين لست وحدك في الحياة، أهل الدنيا يعيشون فرادى، وهكذا وصفهم الله عز وجل:

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾

[ سورة الحشر: 14 ]

فرادى، لكن المؤمن يعيش في جماعة مؤمنة، لا يشعر بهذه الوحشة، وهذه الغربة، وأن الحياة قاسية، وأن الإنسان اللئيم، يقول لك: الناس لؤماء، وأن كل إنسان يبحث عن شهواته ورغباته، ولا يعياً بالناس، لا أنت مع إخوة أكارم، يعينهم ما يعينك، يؤلمهم ما يؤلمك، يفرحهم ما يفرحك، هذا مصدر آخر، أو ميزة أخرى من ميزات الجماعة.

يوجد ميزة ثالثة، إذا كنت معهم قد تحل مشكلتك، الله عز وجل أمرنا بالتعاون، يكون أحياناً أخ أقوى من أخ مادياً، يعينه، عنده فراغ لعمل، والأخ يبحث عن عمل، وجد العمل مناسباً، ما دام الأخ من مشرب واحد، من اتجاه واحد فهناك راحة في التعامل معه، إذاً إذا كنت في جماعة مؤمنة فهناك حفز، وهناك تصحيح مسار، وهناك مواساة، وهناك معاونة، هذه كلها من ميزات أن تكون مع المؤمنين، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[ سورة التوبة: 119 ]

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾

[ سورة الكهف: 28 ]

إذاً:

((وَأَيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ))

أؤكد لكم مرة ثانية أن المال يحتاج إلى وقت، والوقت في عرف الفقهاء أصل المال فهذا الذي يأتي لحضور مجلس علم ماذا فعل؟ اقتطع من وقته الذي كان من الممكن أن يمضيه في عمله فيكسب مالاً، أو كان من الممكن أن يمضيه مع أهله فترتاح نفسه، إنه اقتطع من وقته وقتاً لحضور مجلس علم، قال بعضهم: إن تفرغ الإنسان لمعرفة الله عز وجل ولأداء عباداته، وطاعاته، وتعلم كتابه نوع من زكاة الوقت، كيف أنك مأمور أن تتفق من زكاة مالك جزءاً من مالك في سبيل مرضاة ربك، إنك إن اقتطعت جزءاً من وقتك لمعرفة الله عز وجل، ومعرفة سنة نبيه، ولمعرفة أوامر ربه، ولمعرفة أحكام الدين، ولمعرفة أحوال القلب، إنك تفعل بهذا كما لو أنك تزكي زكاة مالك، إنك تزكي زكاة وقتك.

أقول لكم مرة ثانية: الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، بمعنى أنك إذا ضننت بوقتك الثمين عن أن تبدله في معرفة الله عز وجل يمكن أن يستهلك هذا الوقت الثمين في أشياء تافهة تزعجك جداً، لذلك هم في مساجدهم والله في حوائجهم، ابن آدم كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين، لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد، وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيته ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد. قبل أن تقول: أذهب أو أذهب يجب أن تتخذ قراراً سليماً.

حديث آخر: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ))

[ الترمذي ]

ما معنى يد الله؟ يعني معونة الله، حفظ الله، توفيق الله، رعاية الله، تأييد الله، نصر الله، هذه كلها مما تعنيه يد الله مع الجماعة، فإذا كنا مجتمعين أحبنا الله، وإذا أحبنا حفظنا، وأعاننا، ونصرنا، وقوانا، واستخلفنا، ومكنا، ورعانا، وتجلي علينا، فإذا كنا متفرقين أبغضنا الله عز وجل، يد الله مع الجماعة.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شَدًّا  
إِلَى النَّارِ))

[ الترمذي ]

لذلك قال بعض العلماء: إن النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده، وإن أمته معصومة بمجموعها، إذا نقصك شيء أمته أخوك، فأنت وإياه متكاملان، أنت وإياه معصومان، فالأمة معصومة بمجموعها، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبرنا وهو الصادق المصدوق أن أمته لا تجتمع على ضلالة.

ومن هنا استنبط العلماء أن مصادر التشريع القرآن والسنة والإجماع والقياس، الإجماع أحد مصادر التشريع.

((... إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ  
شَدًّا إِلَى النَّارِ))

وفي الصحيحين، وإذا قلنا في الصحيحين هذا حديث متفق عليه، والمتفق عليه أعلى أنواع الأحاديث، بعدها حديث البخاري، بعدها حديث مسلم، بعدها حديث مسلم على شرط البخاري، وبعدها تأتي الأحاديث الأخرى الصحيحة على شرط البخاري ومسلم مجتمعين، ثم على شرط البخاري، ثم على شرط مسلم.

عَنْ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً))

[ متفق عليه ]

والجماعة هنا جماعة المسلمين، خرج عن دينه، خرج عن أمر ربه، خرج عن شرع الله عز وجل، خرج عن أن يرضى بقضاء الله وقدره، خرج عن العقيدة الصحيحة التي أمرنا الله بها.

شيء آخر من السنة النبوية المطهرة:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ متفق عليه ]

الذي يجب أن نعلمه تماماً أن هذا كلام رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، كيف أنت لما تكشف قانون علاقة ثابتة بين متحولين تفرح به فرحاً كبيراً؟ كيف لو كشفت علاقة في صناعتك، إذا وضعت هذه المادة مع هذه المادة أعطتك مادة بهذه المواصفات، وأنت في أمس الحاجة إليها، هذه القاعدة مهمة جداً في الصناعة، إذا كان عندك في الصناعة عقدة أو مشكلة لا حل لها، فأخبرك أحدهم أن افعل هكذا وهكذا، خذ هذه النتيجة، بماذا تشعر؟ بفرح كبير، النبي عليه الصلاة والسلام يعطيك تعليمات الصانع يقول لك:

(( الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ))

إذا أنت خدمت إخوانك المؤمنين، وخدمت المسلمين، وخدمت خلق الله أجمعين، الله سبحانه وتعالى يشعر دائماً أنه في حاجتك، كلما تطلعت إلى شيء بعث الله لك من يعينك عليه، كلما تعقدت الأمور حلت، كلما تأزمت انفرجت، كلما نشأت عقبات ذلت، كلما وصل الأمر إلى قاب قوسين أو أدنى ابتعد، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

[ سورة الطلاق: 2 ]

ألا ترضى أن يكون الله في حاجتك، ويجب أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[ سورة البقرة: 245 ]

يعني أي عمل صالح تفعله مع إخوانك المؤمنين، أي عمل صالح تفعله مع إخوانك فهو بنص القرآن الكريم قرض لله عز وجل، قرض بفائدة عالية جداً، من ذا الذي يقرض حسناً فيكون له هذا القرض أضعافاً كثيرة، أن تقرض بفائدة مسموح لك فقط مع الله عز وجل، وبفائدة كبيرة جداً مركبة.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

[سورة البقرة: 245]

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ))

والحديث الذي يقطع الظهر، وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري ومسلم عن أنس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

[متفق عليه]

حديث معروف، لكن شتان بين أن تحفظ الحديث وأن تفهم الحديث، وبين أن تعيش الحديث، كما هو الفرق تماماً بين أن تقول خمسمئة مليون وأن تملكها، الفرق نفسه، حديث معروف متداول يلقيه كل الخطباء، كل الوعاظ، كل من قرأ كلمتين يقول لك

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

أنت في البيع والشراء تفعل هذا، أحب لهذا المسلم الذي أمامك ما تحبه لنفسك، أم تبيعه بضاعة سيئة بسعر مرتفع؟ يقول: هكذا الأصول، ألبسناه إياها، أهذا هو الإيمان؟ أين صلاتك؟ أين ورعك؟ أين خشيتك؟ أين محبتك لله عز وجل؟ فإذا كنت مؤمناً حقاً فالإيمان بالعمل، الإيمان بالأسواق، الإيمان في العلاقات، الإيمان في القبض، الإيمان في الدفع، الإيمان في كل حركاتك وسكناتك.

(( لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ))

وفي رواية أخرى:

((وحتى يكره له ما يكره لنفسه))

والحديث الذي رواه الإمام مسلم في باب الإيمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ  
بَيْنَكُمْ))

التواصل يذهب الضغناء، يذهب الضغينة، التقاطع والتدابير يجعل هوة كبيرة بين المؤمنين، فذلك:

((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ  
بَيْنَكُمْ))

الكلمة الطيبة، الاعتذار، الاسترضاء، التواصل، الزيارة، التعزية، التهنة بمولود، بزواج، بشراء منزل، التعزية،  
المواساة، المعاونة، هذه إذا فعلتموها تحاببتهم، وإن تحاببتهم سمح الله لكم بدخول الجنة.

شيء آخر: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مَشِدَّهُمْ  
عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ وَلَمْ يَذْكَرْ ابْنُ إِسْحَاقَ الْقَوَدَ  
وَالْتَّكَافُؤُ))

[ أبو داود، أحمد، ابن ماجه ]

المسلمون تتكافأ دماؤهم، هم في مرتبة واحدة، وهذا من عظمة الإسلام، سيدنا بلال حينما كان عبداً عند أمية بن  
خلف جاءه سيدنا الصديق، ودفع ثمنه، قال له سيده أمية: خذه، والله لو دفعت به درهماً لبعنكه، لا قيمة له  
عندي، قال: والله لو طلبت مني مئة ألف درهم لدفعت لك، نقده الثمن سيدنا الصديق رضي الله عنه، وضع يده  
تحت إبط بلال، أعلى درجات المودة إذا وضع أحد يده بيدك، ومشى هو وإياك، هذا معنى المودة العالية جداً،  
هذه أعلى درجات المودة، هكذا فعل سيدنا الصديق، وضع يده تحت إبط بلال، وقال: هذا أخي حقاً، وكان

الصحابية الكرام إذا ذكروا سيدنا الصديق يقولون بالضبط: هو سيدنا، وأعتق سيدنا.

وسيدنا عمر حينما علم أن بلالا في طريق إلى المدينة خرج بنفسه، وهو خليفة المسلمين لاستقباله، وهو عبد حبشي.

الحقيقة أن الإسلام يربي الإنسان على نمط عجيب، نمط غير عنصري، يوجد شخص بنيته عنصرية، يرى نفسه فوق هذا الشخص، هو سيد، والآخرين دونه، هذه بنية مشوهة، هذه بنية مرضية، هذه بنية أساسها الجهل، أو أساسها الحقد، أو أساسها القوة، أو أساسها الغنى.

كلكم يعلم هذه القصة لما وزع النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه كل ثلاثة على راحلة، هو من هو؟ هو نبي هذه الأمة، هو رسول الله، هو سيد الخلق، هو حبيب الحق، قال: وأنا، وعلي، وأبو لبابة على راحلة، فلما جاء دوره بالمشي قالوا: نكفيك، ابق ركباً، قال: ما أنتم بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكم عن الأجر، وعند جمع الحطب قال: وعلي جمع الحطب، انتقى أصعب عمل، فلما قيل: نكفيك ذلك، قال: إن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدَّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ وَلَمْ يَذْكَرْ ابْنُ إِسْحَاقَ الْقَوْدَ وَالْتِكَاؤُ))

[ أبو داود، أحمد، ابن ماجه ]

يعني أدناهم يمثلهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، المسلمون نرجو لهم الصلاح جميعاً، أما إذا كان عندهم خلل، أو نقاط ضعف فأنت كمسلم بدافع من إيمانك، ومن غيرتك لا ينبغي أن تكشف نقاط ضعفهم لغير المسلمين،

((وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)).

آخر شيء في الدرس في هذا الموضوع عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ))

[ أبو داود، أحمد، الترمذي ]

لماذا النبي عليه الصلاة والسلام قال: لا يدخل الجنة قتات، أي نام ؟ لأن النام يفتت في بنية الأمة، يقطع العلاقات، يقطع أوصال المؤمنين، ينمي الأحقاد بينهم، يبعدهم عن بعضهم، فلماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ))

هكذا سمعت عن أحد علماء دمشق الذين كانوا في الفترة السابقة لا يستطيع أحد أن يقول أمامهم كلمة عن أحد، لمجرد أن يقول كلمة يقول: يا أبي أظلم قلبي، قف، اسكت، لا يتمكن، إذا راعينا هذه الناحية الغيبة والنميمة الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾

[ سورة الحجرات: 12 ]

والنبي عليه الصلاة والسلام ذكر أن الغيبة أشد من الزنا، لأنها تقتت وتعطل كل هذه الأحاديث، كل هذا التجمع، المحبة، الوفاق، المودة لهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام:

((أنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر))

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الترمذي:

((إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة))

ولا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى أمركم فقال:

﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

بعضهم قال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم.

يعني أصلح نفسك التي بين جنبيك، هذا المعنى الأول، وأصلح العلاقة بينك وبين أخيك، هذا المعنى الثاني، المعنى الثالث: وأصلح أي علاقة بين مؤمنين.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((ثَلَاثَةٌ لَا تَرْتَفِعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شَبْرًا رَجُلٌ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَرَوَّجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ  
وَأَخْوَانٌ مُتَصَارِمَانِ))

[ ابن ماجه ]

يعني صلّ إنك لم تصلّ شبراً، ولو صليت النوافل، ولو قمت الليل، ولو صليت صلاة الأوابين، ولو صليت صلاة الضحى، ولو أطلت في الصلاة، ولو تخشعت في الصلاة، هكذا قال عليه الصلاة والسلام:

((قَالَ ثَلَاثَةٌ لَا تَرْتَفِعُ صَلَاتُهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ شَبْرًا رَجُلٌ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَرَوَّجُهَا عَلَيْهَا  
سَاخِطٌ وَأَخْوَانٌ مُتَصَارِمَانِ))

[ ابن ماجه ]

هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام آخر حديث في هذا الموضوع: عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد ]

يعني بعد مجيء الإسلام طويت صفحة الشرك، ملف الشرك طوي وانتهى، هُبل واللات والعزى انتهت، لكن ماذا دور الشيطان بعد مجيء الإسلام ؟

((قَدْ أَيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنَّ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ ))

دور الشيطان الأكبر هو التحريش بين المؤمنين، المغاضبة، ونقل الحديث، والغيبة، والنميمة، والحسد، والبغضاء، والاستكبار، والتحقير، وما إلى ذلك، فبقدر ما تكون على قلب واحد متعاونين بقدر ما تطبق سنة النبي عليه الصلاة والسلام في ضبط اللسان، بقدر ما ترقوا عند الله تعالى.

والى فقرة النساء إن شاء الله تعالى.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثِ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))

[ الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه ]

الحديث دقيق جداً، وقبل أن أتمه البنات كثر، في كل بيت بنات، وقد يتوهم الإنسان خطأً أن عنده بنات أطعمهم، وسقاهم، وألبسهم، وزوجهم، ماذا فعل ؟ لا، ليس هذا، إذا كانت هذه البنات شغلك الشاغل وكنت حريصاً حرصاً لا حدود له على أداء صلواتهن، وعلى حجابهن، وعلى معرفة كلام ربهن، وعلى معرفة سنة نبينهن، وعلى أن يتقهن في الدين، وعلى أن يكن زوجات صالحات عفيفات مستورات محتشمت طاهرات، إن كنت تحرص حرصاً بالغاً على أن يكن بناتك بهذه الصفات فأنت مما يعينك هذا الحديث.

قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثِ أَخَوَاتٍ))

أيضاً الذي عنده أخت عانس في بيته لا يتأفف، إنها زاده إلى الجنة، الحياة ليست للسرور، الحياة دار عمل، والآخرة دار تشریف، هنا دار تكليف.

قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(( لا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا نَحَلَ الْجَنَّةَ ))

ربنا عز وجل جعل لك مجالاً لأعمالٍ صالحةٍ جداً، البنات إذا حرصت على صلاتهن، على حجابهن، على معرفتهن بكتاب الله، على معرفتهن بسنة رسول الله، على أن يتقهن في الدين، على أن يكن مؤمنات خاشعات، قال تعالى:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾

[ سورة التحريم: 5 ]

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[ سورة الأحزاب: 35 ]

المرأة كالرجل تماماً في التكليف والتشريف.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْتَى فَلَمْ يَنْدِهَا وَلَمْ يُهْنِهَا وَلَمْ يُؤْتِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا قَالَ: يَغْنِي الذُّكُورَ أَنْدَخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ))

[ أحمد، أبو داود ]

## ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

[ سورة التكوير: 8-9 ]

بريكم لو أن إنسانًا وأد ابنته في الجاهلية، وأدها وهي في عمر سنة، أو أشهر، أين مصيرها ؟ الجنة بشكل قطعي، أما إذا جاءت بنت فرباها حتى كبرت، وسيبها، تخرج كما تشاء، وتلتقي مع من تشاء، وتصاحب من تشاء، وتبرز مفاستها كما تشاء، وهي ملء سمعه، وبصره، يعجب بها، وبشخصيتها، وبجمالها، ويفتخر بها، ويقول: هذه ابنتي، وهي في أبهى زينة أمام الضيوف، ذلك وأد لها، وهذا الإفساد والفتنة أليس وأدًا أشد ؟ ما مصير هذه الفتاة ؟ إلى النار، لهذا يقول الله عز وجل:

## ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾

[ سورة البقرة: 191 ]

## ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

[ سورة التكوير: 8-9 ]

الذي قتلت وهي صغيرة مصيرها إلى الجنة، ولكن الفتاة الذي نشأت على هواها، وأبواها سيب لها شؤونها، ولم يرعها، ولم يحفظها، ولو يوجهها، ولم يعلمها أمر دينها، وتركها تفعل ما تشاء، وتباهى بها، وبجمالها، وبزینتها، وكانت قرة عين له، لكن دنيوية، لا أخروية، هذا ماذا فعل بها ؟ هذا ربما تقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ربما.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْتَى فَلَمْ يَنْدِهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْتِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا قَالَ: يَغْنِي الذُّكُورَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ))

[ أحمد، أبي داود ]

أن تؤثر الابن الذكر على البنت هذا سلوك جاهلي، جاهلي لا تعرف الله أبداً، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾

[سورة آل عمران: 36]

كل الخير كان من مريم، قلت البارحة لإخواننا درس الدعاة: إن شخصاً اسمه أنس بن عامر تزوج امرأة، وفي ليلة الدخول ما أعجبه إطلاقاً، وظهر من وجهه أنه لا يحبها، فماذا قالت له؟ قالت له: يا أنس قد يكون الخير كامناً في الشر، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرّاً، لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، هذا في اليوم التالي هام على وجهه، وخرج من المدينة، وغاب عن مدينته عشرين عاماً لشدة ضيقه بهذه الزوجة، عاد بعد هذه الأعوام العشرين ليدخل مسجد رسول الله، فإذا فيه شاب عالم يدرس الناس، والناس تحلقوا من حوله، وهو شاب فتى، سأل عنه، فقالوا: هذا اسمه مالك بن أنس، دهش، قال له: يا بني قل لأمك: إن في الباب رجلاً يقول لك: قد يكون الخير كامناً بالشر، قالت: يا بني هو أبوك. ما تعرف هذه الزوجة، قد يأتيك منها مصلح اجتماعي، عالم كبير، داعية كبير، امرأة فاضلة، أم من المستوى الرفيع، خرجت أولاد، هذه الآية يجب أن تضعها شعاراً لك:

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: 216]

إذاً الذي يؤثر ابنه الذكر إنسان جاهلي، أنا أعرف أحاً كريماً جاءت سبعة بنات على التوالي كلما جاءت زوجته بالبنت قدم لها هدية ثمينة، واشترى لكل بنت هدية قدمتها لأهمهم، هكذا المؤمن.

ما لأبي حمزة لا يأتينا أغضبان أنا لا نلد البنينا  
تالله ما هذا بأيدينا و إنما نعطي الذي يعطينا

أحدث نظرية أن نوع الجنين ذكر كان أو أنثى لا علاقة له بالمرأة إطلاقاً، بالمورثات التي على الحوين المنوي، مورث على شكل Y أو على شكل X، إذا على شكل Y ذكر، على شكل X أنثى، والدليل القرآني:

## ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (46)﴾

[ سورة النجم: 45-46 ]

فهذا الذي يتبرم من امرأة أنجبت له بنات ما ذنب هذه المرأة ؟ أهل الزوج يتضايقون منها، ويحقرونها، ويلومونها، قدمك نحس على ابنا، ما لها ذنب، هذا إنسان جاهلي جاهل.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَتْ لَهُ أَنْثَى فَلَمْ يَنْدُهَا وَلَمْ يُهْنَهَا وَلَمْ يُؤْتِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا قَالَ يَغْنِي الذُّكُورَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ))

[ أحمد، أبي داود ]

لا وأدها، ولا أهانها، ولا فضل عليها ذكراً، ومن تفضيل الذكر عليها أن تحرمها من الميراث بأسلوب نحب أن يبقى المال ببيت فلان المال كل الأصهار غريباء، أنت مشرع ؟ شرع الله ما أعجبك، ما علاقتك أنت، أتحب أن تلقى الله وهو غاضب عليك، يجب أن توزع ثروتك كما أمر الله، فالذي يحرم الأنثى من حصتها من الإرث بشكل أو بآخر في حياة عينه يسجل كل شيء باسم أولاده الذكور، يقول: بناتي مكتفيات لهن أزواج هذا سلوك جاهلي، هذا حديث رسول الله ﷺ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَتْ لَهُ أَنْثَى فَلَمْ يَنْدُهَا وَلَمْ يُهْنَهَا وَلَمْ يُؤْتِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا قَالَ يَغْنِي الذُّكُورَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ))

[ أحمد، أبو داود، والحاكم كلاهما عن ابن جرير ]

آخر موضوع أيها الإخوة: اطلعت على مقالة في مجلة إسلامية تصدر في دمشق تصدرها وزارة الأوقاف، مقال علمي، لفت نظري في هذا المقال أن الحمل الذي وصف في القرآن بالخفة هو حمل ورد في هذه الآية، قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾

[ سورة الأعراف: 189 ]

فالحمل الثقيل معه أعراض مزعجة جداً، إقياءات، وآلام معدية، وتوترات عصبية، وكلكم يعرف أعراض الوحام، غثيان، وقيء، هذا جاء في القرآن:

### ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً﴾

[سورة الأعراف: 189]

في بحث علمي مفاده أن العلاقة الزوجية الناجحة، واطمئنان الزوجة، واستقرارها العاطفي له علاقة كبيرة جداً بنوع حملها، فحملها الخفيف هو ثمرة لحسن علاقتها بزوجها، ولاستقرارها العاطفي، وإكرامها في بيت زوجها، القسوة والظلم والإهانة والعلاقات المتوترة مع أهل الزوجة، دائماً يلقي عليها أخطاء أهلها، هذا الوضع المتوتر، هذا الوضع يسبب لها حملاً ثقیلاً، فلما تغشاهها معاني تغشاهها بكل المعاجم يعني العلاقة الودية بين الزوجين، تغشاهها تحمل معاني أكبر من اللقاء الزوجي، أكبر بكثير، معناها المودة العاطفية، المحبة، الأنا، التلاطف، التلطف، كاتب المقالة طبيب ربط بين الحمل الخفيف ومعاني تغشاهها، من معاني تغشاهها تلك المودة، والمحبة القائمة بين الزوجين، والدليل قوله تعالى:

### ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً﴾

[سورة الأعراف: 189]

الحمل الخفيف ثمرة من ثمار حسن العلاقة الزوجية، هذه حقائق كلما تقدم العلم التقى مع الدين، كلما تقدم الدين ظهرت ملامح عظمة كتاب الله عز وجل، البطولة أيها الإخوة أن تعرف في الوقت المناسب القوانين التي تتحكم في سعادتك، هذه البطولة، أنت وأي إنسان آخر لو طفت العالم كله من أقصاه إلى أقصاه من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، ومن بلاد غنية إلى بلاد فقيرة، من بلاد في الشمال، وفي الجنوب مطلبان ثابتان لكل إنسان، السلامة والسعادة، فالبطولة أن تكتشف هذه القوانين التي تحكم سعادتك، هذه البطولة، فإذا كان للإنسان في بيته علاقته طيبة جداً طبعاً أن تتساق مع شهواتك، ومع نزواتك، ينشأ من ذلك مشكلات دائماً، لكن تحتاج إلى ضبط أعصاب، إلى حلم.

الإرضاء، الاسترضاء، الهدية بين الزوجين، هذا كله يسبب علاقات طيبة تتعكس على الأولاد صحة نفسية، لأن كل بيت فيه مشكلات بتمزق الأولاد عاطفياً.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (029 - 127) : أحاديث تبدأ بحرف الخاء

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-02-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، كتب الحديث كثيرة جداً، من كتب الحديث ما رتبت فيها الأحاديث وفق حروف المعجم، فتصنف الأحاديث وفق أوائل حروفها، وأردت في هذا الدرس أن نقرأ، ونشرح بعض الأحاديث الشريفة من باب حرف الخاء، فالنبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو نعيم الأصبهاني يقول:

((خاب عبد وخسر - النبي عليه الصلاة والسلام يقول هذا الكلام - خاب عبد وخسر - يعني أخفق في مسعاه، وخسر آخرته - خاب عبد وخسر من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر))

[أبو نعيم في الحلية عن عمرو بن حبيب، وذكره السيوطي في الجامع الصغير]

هذا مقياس أيها الإخوة دقيق جداً، لو حصلت كل الدنيا، وكان قلبك قاسياً ممتلئاً قسوة على البشر فقد خبت، وخسرت، لو أصبحت أغنى أغنياء الدنيا، وكان قلبك ممتلئاً قسوةً على البشر فقد خبت وخسرت، لو حققت أعظم البطولات، وكان قلبك ممتلئاً قسوةً على البشر لم يقل على المؤمنين، على البشر،

((خاب عبد وخسر من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر))

فهذا مقياس أيها الإخوة: ليكن بين أيديكم في كل نشاطات حياتكم، في بيعكم، إن لم ترحم هذا المشتري بنوع البضاعة وسعرها فليس في صلاتك قيمة، ولا لصيامك، ولا لحجك، ولا لذكائك، إن لم ترحم الصغير، وتعطف على الكبير، إن لم تبك للأرملة والمسكين، إن لم يذب قلبك ألماً لجوع الفقير، فهذه الصلاة والصيام والحج والزكاة

لا قيمة لها عند الله، إن كل هذه العبادات من أجل هذه المشاعر الإنسانية، فإن لم تكن فلا قيمة لهذه العبادات،

((خاب عبد وخسر من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر))

فكيف إذا تلذذ الإنسان بآلام البشر؟ فكيف إذا تلذذ الإنسان بإيقاع أكبر الأذى بالبشر؟

((خاب عبد وخسر من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر))

هل في هذا الحديث ما يقابله في القرآن الكريم، أنا أسألكم؟ هل في القرآن الكريم آية تؤكد هذا الحديث؟ قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[ سورة الأنبياء: 107 ]

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾

[ سورة الحديد: 27 ]

فإن كان في قلوب هؤلاء لؤماً وقسوة فهؤلاء ليسوا متبعين للسيد المسيح.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾

[ سورة الحديد: 27 ]

قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا

[ سورة الكهف: 103-104 ]

## ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

[ سورة الزمر : 22 ]

إذاً مقياس دقيق جداً، مقياس النجاة، مقياس رضا الله عز وجل، مقياس الفوز، مقياس الفلاح، أن يمتلئ قلبك رحمةً بالبشر كائنًا من كانوا، هذا حديث في حرف الخاء .

حديث آخر في باب حرف الخاء، عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام:

### ((خذ الأمر بالتدبير))

[البیهقي في شعب الإيمان عن أنس، والسيوطي في الجامع الصغير]

أنت إنسان عاقل، أعطاك الله عقلاً، ميزك بالعقل على سائر البشر، منحك هذه النعمة التي لم يمنحها إلا لك أيها الإنسان،

### ((خذ الأمر بالتدبير، فإذا رأيت في عاقبته خيراً فامض، وإن خفت غياً فأمسك))

وفي حديث آخر يؤكد هذا الحديث:

### ((إذا أردت إنفاذ أمر فتدبر عاقبته))

[الزهدي لابن المبارك، والسيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن مسور]

العاقل يحسب حساباً لما سيكون، لما هو حاصل لو فعل هذا الأمر، لذلك يقولون: إن سيدنا معاوية كان من الدهاة، وكان سيدنا عمرو بن العاص من الدهاة أيضاً، فمرة تذاكرا، ولا شيء أمتع من مذاكرة الأذكىاء، أو مذاكرة العلماء، قال: يا عمرو، ما بلغ من دهائك؟ قال: والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه، فتبسم سيدنا معاوية وقال: لست بداهية، قال: أما أنا فوالله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه.

أيها الإخوة: بعملك، بحرفتك، بمهنتك، بصناعتك، بتجارتك، بعداوتك، قبل أن تقدم تدبر عاقبة الأمر،

((إذا أردت إنفاذ أمر فتدبر عاقبته))

[الزهدي لابن المبارك، والسيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن مسور]

هكذا يقول عليه الصلاة والسلام.

((خذ الأمر بالتدبير، فإذا رأيت في عاقبته خيراً فامض، وإن خفت غياً فأمسك))

[الزهدي لابن المبارك، والسيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن مسور]

إياك أن تمضي، أمسك، هذا هو العقل، لو فرضنا رجلاً أعطاك مبلغاً من المال كبيراً جداً، ثمن بيت، بعد أن قبضت المال عدأً ونقداً، وذهبت كي تضعه في موضع ما، إذا بهذا المبلغ مزور كله، أليس هناك خيبة أمل كبيرة جداً؟ طبعاً، لو كان معك جهاز في جيبك يكشف لك العملة المزورة من الصحيحة، وقبضت هذا المبلغ الكبير، ولم تستعمل الجهاز، وبإمكانك أن تضع يدك في جيبك، وأن تخرج الجهاز، وأن تضع العملة عليه فيكشف لك زيف هذه العملة من صحيحها، هذا العمل البسيط ما فعلته، قبضت هذا المبلغ الكبير ثمن بيت، وذهبت كي تضعه في مكان ما، فإذا هو مزور، هل في الدنيا كلها من هو أحمق من هذا الإنسان؟ معك الجهاز فاستعمله، تشتري ذهباً على أنه كذا غرام، ومعك ميزان، زنه، يا أخي غشني، الذهب كان نصف وزنه، معك ميزان حساس.

يا أيها الإخوة الأكارم، الإنسان قيمته بعقله، كنت أقول لكم دائماً: الجماد له حيز، والنبات له حيز مع النمو، والحيوان له حيز مع النمو والحركة، والإنسان له حيز مع النمو والحركة والعقل، لذلك أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً، إذا أردت إنفاذ أمر فتدبر عاقبته في كل قضية، قبل أن تزوج ابنتك من فلان، سألت عنه سؤالاً كافياً، عرفت مدخله ومخرجه، عرفت تربيته، عرفت دينه، عرفت دخله، عرفت تربيته، عرفت أهله، عرفت مستواه، قالوا عنه: آدمي، أين تمشي بعد أن زوجته، كل يوم في مشكلة، يوم ضربها فيه، ويوم أجاعها، ويوم أهانها، ويوم طردها، هل سألت عنه؟

## ((إذا أردت إنفاذ أمر فتدبر عاقبته))

[الزهدي لابن المبارك، والسيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن مسور]

حتى في التجارة، حتى في شراء بضاعة، قبل أن تعقد الصفقة، قبل أن تقول: قبلت، قبل أن تشتري هذا البيت، قد يكون تحت التنظيم، قد يكون في أساسه عطل، قد يكون عليه إشارة رهن، قبل أن تعطي هذا المبلغ أخذت إيصالاً منه، هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام، وتقول: أنا مؤمن، وعلى الله متوكل، هذه سفاهة.

النبي عليه الصلاة والسلام دخل أعرابي عليه، وترك ناقته خارج المسجد غير مقيدة، فعن أنس بن مالك يقول: قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وتوكل، أو أطلقها، وتوكل؟ قال:

## ((اعقلها وتوكل))

[الترمذي]

والمؤمن كيس فطن حذر في كل شؤون حياته، سهل أن تدخل مدخلا، لكن الخروج منه صعب، الدخول في الشيء سهل، أما الخروج منه قد يكون ليس من اختيارك، فالنبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه سيدنا أنس عن رسول الله ﷺ قال:

## ((خذ الأمر بالتدبير، فإذا رأيت في عاقبته خيراً فامض، وإن خفت غياً فأمسك))

[الزهدي لابن المبارك، والسيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن مسور]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((خَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كِتَابَةُ اللَّهِ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا، مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِيفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا))

[الترمذي]

هذا حديث مريح جداً:

((خَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كِتَابَةُ اللَّهِ شَاكِرًا صَابِرًا))

الإيمان نصف صبر، ونصف شكر،

((خَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كِتَابَةُ اللَّهِ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا))

ما هما هاتان الصفتان والخصلتان ؟ قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ))

أكبر خطأ عند إخواننا أن أحدنا يوازن نفسه مع رجلٍ عاص، أنا الحمد لله ملك أمامه، يوازن نفسه مع واحد أكل مالا حراماً، مع مرتكب كبيرة، مع شارب خمر، مع من لا يصلي، طبعاً أنت ملك أمامه، أما البطولة في الدين أن توازي نفسك مع من هو فوقك، مع أصحاب رسول الله، مع هؤلاء الرجال الذين أحبوا رسول الله الذين، وفدوه بأرواحهم، وأنفقوا مالهم، وبذلوا الغالي والرخيص، والنفس والنفيس.

((مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى))

نظرتان رائعتان تجعلانك أسعد الناس في أمر دينك، انظر إلى أصحاب رسول الله، إلى المؤمنين الصادقين، إلى العلماء العاملين، إلى المخلصين، إلى المضحين، إلى الباذلين في أمر الدين، لا توازن نفسك مع سوقة الناس، مع دهماء الناس، مع عامة الناس، مع المنحرفين، مع العصاة، مع الفاسقين، مع الفاجرين، إنك إذا وازنت نفسك معهم بقيت في مكانك، ولا ترقى.

مثلاً طالب اجتهاده وسط، اجعله مع طلاب أغبياء جداً، مع طلاب بله، مع طلاب متخلفين عقلياً، يجد نفسه عبقرياً، فلتة زمانه، أدخله في شعبة متفوقة يكون آخر واحد، إذا جلس هذا الطالب مع طلاب متخلفين عقلياً لا يجتهد إطلاقاً، يترك، أما إذا دخل إلى شعبة متفوقة، ورأى ضعفه في اللغة، وضعفه في الرياضيات، وضعفه في كذا يجتهد، فأنت إذا أردت التفوق فلا ينبغي أن توازن نفسك مع من هم دونك في الدين، بل وازن نفسك مع من

هم فوقك .

مثلاً اقرأ عن أصحاب رسول الله، اقرأ عن ورعهم، اقرأ عن بذلهم وتضحيتهم، اقرأ عن بذلهم لرسول الله، اقرأ عن حفظهم للقرآن، اقرأ عن دعوتهم إلى الله عز وجل، اقرأ عن المودة التي بينهم، اقرأ عن كل ذلك تر نفسك صغيراً، اجتهد، أما إذا وازنت نفسك مع أناس عصاة من عامة الناس، من دهماء الناس كيف ترقى ؟ هذه نصيحة رسول الله، في أمر دينك انظر إلى من هو فوقك، أما في أمر دنياك، ساكن في بيت، هناك شخص ليس عنده بيت، بيتك ملك، غيرك بيته بالأجرة، بيتك يكفيك، غيرك بيته لا يكفيه، عندك قوت يومك، وهناك من ليس عنده قوت يومه، أجهزتك سليمة، غيرك يريد غسل الكلية كل أسبوع مرتين، صحتك طيبة، غيرك صحته ليست طيبة، بصرك حاد، غيرك بصره فيه ضعف.

في أمر الدنيا انظر إلى من هو دونك تر نفسك مغموراً في النعم، غارقاً بها، يمتلئ قلبك امتناناً لله عز وجل، الأعضاء سليمة، الحركة سليمة، البصر سليم، السمع سليم، النطق سليم، العقل سليم، عندك أولاد، عندك زوجة، عندك أهل، عندك قوت يومك.

((خَصَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا ؛ مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ...))

الإنسان أحياناً إذا زار مستشفى فلا مانع، انظر إلى أجنحة الأمراض الجلدية، كل منظر ينفر، أمراض الأعصاب، أمراض جهاز الهضم، أمراض الجهاز الدوران، أمراض القلب، إذا أكرمنا الله عزوجل بصحة، ونحن بين أهلينا، ليس أحدنا مضطراً للتحاليل فهذه نعمة، الإنسان يضطر أن يسافر خارج القطر ليعالج، يجد الصعوبات والمشقات، والأجر الكبير، فإذا عافى الله الإنسان يكون قد أكرمه إكراماً كبيراً

((... وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا))

هذه نصيحة ثانية، النصيحة الأولى:

((خاب عبد وخسر، من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر))

هذا أول مقياس، النصيحة الثانية:

((خذ الأمر بالتدبير، فإذا رأيت في عاقبته خيراً فامض، وإن خفت غياً فأمسك))

النصيحة الثالثة:

((... خَضَلْتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَتَبَةُ اللَّهِ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا ؛ مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِيفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا))

بالمناسبة سيدنا علي رضي الله عنه صنف النعم ثلاثة أصناف، جعل في رأسها نعمة الهدى، فالذي عرف الله أيها الإخوة ما فاته شيء، ينبغي ألاّ يندم على شيء، من عرف الله، وعرف أمره، وطبق أمره، هذا لا ينبغي أن يندم على شيء فاته من الدنيا، لأنك إذا وجدت الله فماذا فقدت؟ وإذا فقدت الله فماذا وجدت؟ يا ربي ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟.

النعمة الثانية نعمة الصحة، ما دمت تتمتع بصحة جيدة أنت وأهلك وأولادك فعلى الدنيا السلام، كل الدنيا لقمتان تملأ بهما معدتك، بيت يؤويك، ولقمتان تملأ بهما معدتك، هذه الدنيا كلها، وكل هذا الصراع، وكل هذا الشقاء، وكل هذا الحسد، وكل هذه البغضاء، وكل هذه المشكلات إنما من أجل شيء تافه زائل، ولا تتأفوا في شيء أنتم عنه زائلون.

النعمة الثالثة الكفاية، أن يكون عندك قوت يومك، لهذا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[الترمذي]

الآن هناك حديث رواه الإمام الطبراني عن ابن عباس، وهو حديث خطير، يقول عليه الصلاة والسلام كلمة خطيرة إذا نكرتها، تقول: القمح مادة خطيرة في حياة الإنسان، يعني مادة مهمة، ليس معنى أنها مادة مؤذية، هذا معنى خطير، أمر خطير، شيء خطير، وهكذا.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم))

[الطبراني في الكبير عن ابن عباس، والبيهقي في الشعب]

أيّ عهد هذا؟ عهد الناس مع الله عز وجل، أنت عاهدت الله على أن تستقيم على أمره، عاهدته أن تعرفه في الدنيا، عاهدته أن تعبد، عاهدته أن تفعل الصالحات،

((ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم))

وربنا عز وجل قال:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء: 141]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج: 38]

وقال تعالى:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران: 160]

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

[سورة محمد: 7]

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

[سورة النور: 55]

قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل: 97]

آيات كثيرة جداً تؤكد أن المؤمن إذا آمن حقيقةً فله عند الله مكافأة في الدنيا قبل الآخرة، لذلك:

((ما نقض قوم العهد إلا سلب عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر))

إذا حكموا بغير ما أنزل الله، إذا اتخذوا شيئاً من صنع أنفسهم، إذا اتخذوا شيئاً هم صنعوه بجهلهم، أو بنزواتهم، أو لمصلحتهم، أو لأنانيتهم.

((وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت))

والموت هنا كناية عن المرض العضال، كمرض الإيدز الآن، في العالم عشرة ملايين إنسان يحملون هذا المرض، وهذا مرض مميت، مرض عضال.

((ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر))

مطر السماء له قوانين، العاقل من يبحث عن العلة الخفية، لا عن العلة الظاهرة، مثلاً الزلزال له علة ظاهرة، يقول لك: تموت في طبقات الأرض الدنيا، انزلاق طبقة عن طبقة، هذه علته الظاهرة، أما علته الخفية أن الله عز وجل أراد إهلاك هذه البلدة، فدائماً الإنسان العاقل يتجاوز الشيء الظاهر إلى الشيء الخفي، يضربون مثلاً لذلك: أنك إذا دخلت بيتاً صاحبه قد اغتصبه من إخوته، لو أن أباً ترك بيتاً وأحد الإخوة اغتصب هذا البيت من بقية إخوته، وزينه، وفرشه، واعتنى به، فإذا دخلت هذا البيت أنت أمام عاطفتان، عاطفة إعجاب باتساع هذا البيت، وأناقته هذا الفرش، وذوق صاحب البيت، وبين احتقارٍ لعدوانه على إخوته، كان يجب أن يبيع هذا لبيت، وأن يوزع الثمن بين إخوته جميعاً، فالإنسان السطحي يعجب بذوق صاحب البيت، واختيار هذا الفرش الأنيق، وتمتعه بالذوق، بينما صاحب العاطفة العميقة يرى أن هذا الإنسان ظالم، وأنه مغتصب، وأنه أخذ ما ليس له، فالإنسان لا ينبغي أن يبقى في ظواهر الأمور، بل عليه أن يعود إلى خلفياتها، إلى الأسباب الخفية، فإذا رأيت أن المطر لا ينزل، وأن السماء قد حُبست، و أن النبات لا ينبت، أو أن الموت قد فشا، فمن علامات قيام الساعة كما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام:

((موت كعقاص الغنم، لا يدري القاتل فيم يقتل، ولا المقتول فيم قُتل))

[رواه مسلم بلفظ: يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قُتل، ولا المقتول فيم قُتل]

لا القاتل يعرف لم يقتل، ولا المقتول يعرف لماذا قُتل، هذا من علامات قيام الساعة، لذلك الحديث الذي رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ: خمس بخمس هذه بتلك هذه المصيبة، الكبيرة بهذا الذنب الكبير، هذه الجائحة بهذا الظلم، هذا الفقر بهذا العصيان، خمس بخمس، لما قرأ قوله تعالى:

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

[سورة الإسراء: 71]

الفتيل خيط في شقي النواة، ولما تقرأ قوله تعالى:

﴿وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾

[ سورة النساء: 124 ]

نتوء مدببة في طرف النواة، غشاء رقيق يغلف النواة.

أيها الناس أنتم لا تظلمون لا بقدر النقيير، ولا بقدر الفتيل، ولا بقدر القطمير، والله سبحانه وتعالى قال:

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾

[ سورة العنكبوت: 40 ]

((خمس بخمس - ربّ قد عصيتك، ولم تعاقبني، قال: عبيد لقد عاقبتك، ولم تدر - خمس بخمس - إذا قرأت القرآن، وقرأت حديث النبي العذنان))

ورأيت كيف أن الله سبحانه وتعالى يضعك أمام الأسباب الحقيقية لكي تطمئن نفسك، هناك إله عظيم بيده كل شيء - خمس بخمس - هذه بتلك - ما نقض قوم عهد الله عز وجل - هان على الناس اكتساب المال، حلالاً أو حراماً، يقول لك ليست بينهما فرق، لا تدقق، حط بالخرج، بيضة اليوم، ولا دجاجة غداً، ضع رأسك بين الرؤوس، وقل: يا قطاع الروس.

هذه كلمات الناس، أنا عندي أولاد، ماذا أفعل؟ من هنا إلى يوم الله يفرجها الله، تفضل وتحمل، قال: يا رسول الله عطني، ولا تطل، أنا طبعي ضيق، قال عليه الصلاة والسلام: قل آمنت بالله، ثم استقم، قال: أريد أخف من ذلك، هذه ثقيلة، قال: أريد أخف من ذلك، قال: فاستعد للبلاء، لا تريد الاستقامة التامة، تحمل

((خمس بخمس - هان الله عليهم، فهانوا على الله، شربوا الخمر مثلاً، إنسان شارب للخمر، إنسان زان، إنسان ماله حرام))

يا أخي قسوة الدهر أجبرتني على هذا، قلب لي ظهر المجنّ، القدر يسخر مني، تفضل، هذا الله عز وجل. يسبني ابن آدم، وما كان له أن يسبني، يسبني إذا سب الدهر، وأنا الدهر، أقلبه كيف أشاء.

((ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر))

يعني إذا حكموا بغير ما أنزل الله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

[سورة المائدة: 44]

في سورة واحد، وفي صفحة واحدة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

[سورة المائدة: 47]

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة المائدة: 45]

فاسقون، وظالمون، وكافرون،

((ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال))

يعني سلبوا أموال بعضهم، أكلوا أموال بعضهم بالباطل، إن كان في وزن غير صحيح، وإن كان ببيان للنضاعة غير صحيح، وإن كان باحتكار، وإن كان بتدليس، وإن كان باستغلال، وإن كان في ربح بأضعاف مضاعفة.

((ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، وما منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر))

فأنت كونك مؤمناً تقرا القرآن، وتقرأ أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام لا تدهش، لا ينبغي أن تدهش لظواهر الأشياء، ابحث عن خلفياتها، ابحث عن الأسباب البعيدة.

أول حديث:

((خاب عبد وخسر من لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمةً للبشر))

والحديث الثاني:

((خذ الأمر بالتدبير، فإذا رأيت في عاقبته خيراً فامض، وإن خفت غياً فأمسك))

والحديث الثالث:

((خَصَلَتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ لَمْ تَكُونَا فِيهِ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا ؛ مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَقْتَدَى بِهِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ بِهِ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَأَسِيفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا))

والحديث الخامس :

((خمس بخمس ؛ قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر، ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات، وأخذوا بالسنين))

[الطبراني في الكبير عن ابن عباس]

الحديث السادس: يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه البزار عن ابن عمر:

((خمس من الإيمان، من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له...))

[البزار عن ابن عمر]

**((خمس من الإيمان، من لم يكن فيه شيء منهم فلا إيمان له، التسليم لأمر الله...))**

شيء وقع، وقع إذا أراد الله، سمح الله به، سمح الله به إذا هو عين الحكمة، وعين الرحمة، وعين اللطف، وعين العدالة، وعين الخير، ما دام قد وقع فهو خير، لكن الشر بمفهوم الناس إذا سلبهم دنياهم، هذا شر عندهم، أما الخير عند الله إذا عرفوا ربهم، وإذا رجعوا إليه، وإذا ضمنوا آخرتهم، من هنا يأتي الفرق بين الخير والشر، الشر نسبي، الشر بنظر طفل صغير أخذت منه اللعبة وديست بالأقدام، ودفعه أبوه للدراسة، ونال أعلى المراتب، حينما أخذت منه، وبكى فهذا في نظره شر، لكن في نظر الأب الذي ينظر إلى مستقبل ابنه كيف دفعه للدراسة، وتأمين مستقبله، وتحقيق مرتبة في المجتمع عالية، لذلك إذا نظر الإنسان إلى الدنيا فكل شيء حرم منه شر، إذا قل ربحه شر، إذا فلس شر، إذا تجارته لم تكن رائجة شر، إذا أصابه مرض شر، إذا أصابته مشكلة شر، أما إذا نظر إلى الآخرة فكل هذه المصائب قد تكون محض خير، لهذا كنت أقول: لو كشف الغطاء، ورأيت المصاب الذي ينزل بالإنسان يجب أن يذوب الإنسان حباً لله عز وجل على أن ساق له هذه الشدة، لأن كل شدة وراءها شدة، وكل محنة وراءها منحة، وكل بلية وراءها دفع إلى الله عز وجل، لا بد من أن ترى شيئاً تخافه فتلجأ إلى الله عز وجل، والمصيبة أحياناً مهمتها أن تزداد بها معرفة بالله، وأن تزداد حباً به، لذلك:

**((خمس من الإيمان، من لم يكن فيه شيء منهم فلا إيمان له، التسليم لأمر الله...))**

هذا أمر الله، هكذا يريد الله عز وجل، هذا قراره، كما يقولون، هذا تصرفه، هذا فعله، هذه مشيئته، هذه إرادته، هذا قضاؤه، هذا قدره، هكذا يريد الله عز وجل، هل أنت أشد رحمة من الله عز وجل؟ أشد حكمة منه؟ لا، ففي أعماق المؤمن لا ينتقد أفعال ربه أبداً، حسن الظن بالله ثمن الجنة، في أعماق المؤمن لا ينتقد أفعال الله عز وجل.

**((التسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله))**

أحياناً عندك أمر تكويني، وعندك أمر تكليفي، الله عز وجل نهاك عن الربا، أقرضت إنساناً قرضاً حسناً، وبعد سنة أعطاك عليه فائدة، تقول: لا، يا أخي، أنا لا آخذ هذا المبلغ، أنا أقرضت قرضاً حسناً، قد يقال لك: خذ، أنت بحاجة ماسة له، هذا أمر الله، هذا أمر تشريعي، أنا وقاف عنه، والأمر التكويني الله عز وجل أراد شيئاً،

نقصًا في الأموال، في الأنفس، في الثمرات، في الأمن، خوف مثلاً، هذا أمره التكويني، وذاك أمره التشريعي، فمن علامات إيمانك أن تسلم لأمره التشريعي والتكويني، قال تعالى:

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾

[ سورة النساء: 11 ]

هذا أمر الله عز وجل، إذا قال رجل: الذكر كالأنثى فهذه الأنثى تضح تشمئز، تتقم، لا، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾

[ سورة الأحزاب: 36 ]

هذا أمر الله عز وجل، إما أن أمره التشريعي هكذا، فأنا مستسلم، إني لا أصافح النساء، يا أخي خُرجت أمام الناس، صرت صغيرًا مثل الطفل، كأني خائف، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ))

[ابن ماجه عن أميمة بنت رقيقة]

هذا أمر الله عز وجل، يجب أن تسلم له، إذا حرم الله شيئًا فهو حرام، وإذا أحله فهو حلال، لا تدخل عقلك في المحرمات، عقلك متعلق بمصلحتك، أما الأمر الإلهي فمتعلق بمصلحة آخرتك، لذلك:

((خمس من الإيمان، التسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله...))

قال رجل: يا رب هل أنت راض عني؟ قال: عبي هل أنت راض عني حتى أرضى عنك؟ هذا الإمام الشافعي رضي الله عنه سمع رجلا يطوف حول الكعبة يقول: يا رب هل أنت راض عني؟ قال له: يا هذا، هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك؟ قال: وكيف أرضى عنه، وأنا أتمنى رضاه؟ قال له: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله.

عندك إمكانية أن ترضى بمكروه القضاء، بئر القضاء، فأنت مؤمن، أما على الإكرام فقط فهذا كمن يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة.

والتفويض لأمر الله، العوام يقولون: سلمت أمري إلى الله عز وجل، الله بيده كل شيء، سلمت أمرك لحكيم، لتقدير، لغني، لرحيم، لعادل، سلم أمرك إلى الله.

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضا

كن عن همومك معرضاً	وكل الأمور إلى القضا
و أبشر بخير عاجل	تنسَ به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط	لك في عواقبه رضا
ولربما ضاق المضيق	و لربما اتسع الفضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن معترضا
الله عودك الجميل	فقس على ما قد مضى

نحن في أمس الحاجة لهذا الحديث، التسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والتفويض لأمر الله، والتوكل على الله، قال تعالى:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾

[ سورة النمل: 79 ]

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[ سورة آل عمران: 139 ]

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

[ سورة آل عمران: 140 ]

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

[ سورة النساء: 104 ]

والتوكل على الله، والصبر عند الصدمة الأولى، بين الصابر والفاجر زمن فقط، إذا أصابت أحدنا مصيبة فالشقي الجاهل غير المؤمن، الشقي يضج، يتبرم، يتكلم كلمات قاسية، يتهجم على عدالة الله عز وجل، بعد ثلاثة أيام تراه كنّ وانطفأ، وقال: ماذا فعل، لا حول ولا قوة إلا بالله، بعد ما أزيد وأرغد، وظهر معدنه، وظهر جهله، وظهرت نقمته على الله عز وجل، وظهر ضيق أفقه، وظهر جهله، البطولة الصبر عند الصدمة الأولى، عند تلقي الخبر، هذه البطولة، أما أي واحد غير صابر بعد ثلاثة أيام ليس أمامه إلا الصبر، لذلك، عَنْ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

### ((الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى))

[ متفق عليه ]

عند أول تلقي الخبر تقول: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، هذه قاعدة، هكذا علمنا سيدنا عمر، كل مشكلة مهما كانت كبيرة، أنت مستقيم، لم تأكل مالاً حراماً، لم تشرب خمرأ، لم تجتري على الله، لم تخرق حدود الله، تعرف الله، تعمل لآخرتك، أي مصيبة هينة، أول شيء قل: الحمد لله الذي لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، الصحة طيبة، حديد بحديد يُحَلَّ بِالمال، والحمد لله إذ ألهمت الصبر عليها، هذا كلام يأتي على قلب الإنسان برداً وسلاماً، الحمد لله إن لم تكن في ديني، والحمد لله إذا لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذا ألهمت الصبر عليها.

((خمس من الإيمان، من لم يكن فيه شيء منهن فلا إيمان له، التسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والتفويض إلى الله، والتوكل على الله، والصبر عند الصدمة الأولى))

كلمة (لو) يجب أن تحذفها من قاموسكم، ليس في الإسلام (لو)، لا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله، وما شاء فعل، إلا أن الإسلام استثنوا (لو) واحدة، لو الإيجابية، قال تعالى:

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

[ سورة الجن: 16 ]

لو ما أكلتُ مالا حرامًا ما دُمر مالي، نعم، لو ما أكلت ربا ما حدث معي هكذا، صحيح، لك أن تقول هذا ألف مرة، لو ما تجاوزت حدود الله ما ابتليتُ بكذا، هذه قولها مفيد جداً، هذه من علامة إيمانك، لو الإيجابية مسموح بها، إذا جاءتك مشكلة بسبب معصية قلت: لولا هذه المعصية لما أصابني ما أصابني، هذه الكلام منتهى الإيمان، أما لو ذهبت من هذا الطريق لما أصبت بهذا الحادث، لا، كل شيء بقضاء من الله وقدر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...:

((إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ فَدَرَّ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلْ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

[مسلم، أحمد، ابن ماجه]

الحديث الذي بعده، وما زلنا في حرف الخاء، هذه الخاء مباركة:

((خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، ورغبكم بالآخرة عمله))

[مسند أبي يعلى الموصلي عن ابن عباس]

خيار الناس يعني إذا تعلمت القرآن الكريم، وعلمته فأنت مستقيم بين أهلك، بين جيرانك، إذا أطلت عليهم أحبوا الله من خالك، تجد المؤمن المنيب إلى الله إذا زار أهله ذكرهم بالله، لو بقي ساكناً فسمته حسن، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، أعجبه سمته، وزينا، سمته حسن، وجهه منير، نيته طيبة، صدره سليم، فإذا دخل إلى قوم، زار أناساً يذكرون الله عز وجل حينما يرونه.

((خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه))

علمك قضية، علمك تفسير آية، علمك قضية في العقيدة، علمك حديثاً شريفاً صحيحاً، علمك توجيهاً نوبياً، علمك شيئاً عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اليوم ذكرت لأخ من إخواننا زارني في البيت، قلت له: كل درس من الدروس يصبح لبننة، أنت لا تشعر كم من حديث شرح، أما أنت فبعد ستة أشهر تجد عندك بناء، لبننة فوق لبننة، اجلس مع واحد جاهل تعرف أن لك موقفاً صحيحاً، هذه حلال، هذه حرام، مرحلة الثالثة أصبحت سعيداً، صار لك مستوى نفسي راق، وسببه عملك الصالح،

وعملك الصالح سببه العلم الذي تعلمته، الإنسان لا يشعر في جلسة واحدة ماذا صار معه، ولكن على المداومة والاستمرار، يضع لبنة فوق لبنة، ودرسا فوق درس، حقيقة فوق حقيقة، في القرآن، في الحديث، في الفقه، عندئذ يشعر أنه إنسان آخر، امتلاً علماً، امتلاً قرباً، امتلاً حكماً، عنده كلام لطيف، عنده مواقف لطيفة، عنده مشاعر عالية، هكذا المؤمن، فلذلك، إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر.

في المساجد ليس عندنا شاي، وكعك، ولكن فيها حديث تسعد به إلى الأبد، فيها آية قرآنية تفهمها تجعل في حياتك انعطافاً، تقول: أنا منذ أن حضرت هذا الدرس، وفهمت هذه الآية صار عندي انعطاف في حياتي، الإنسان قد يسعد بفكرة، قد يسعد بالتقاة إلى الله عز وجل، قد يسعد بإشراق في قلبه، فهذه المساجد بيوت الله، وربنا عز وجل يرزق كل من دخلها، قال تعالى:

﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة آل عمران: 37]

حتى الإنسان لا يقلق إذا أغلق دكانه، مشكلة، جمده، جاء إلى الجامع، هم في مساجدهم والله، في حوائجهم، تحل أمورك.

هناك قصة للتسلية، واحد ضاع حماره، والطحنة في الطاحون، ويريد أن يسقي أرضه، وجاء وقت الدرس، هذه يرويها بعض العلماء، فترك الطحنة في الطاحونة، والدابة ضائعة، وأرضه لم يسقها، جاء وحضر مجلس العلم، جاء الخبز بالخطأ إلى البيت، أعطوه خبز جاره، وجاره نسي الأرض، نام فطفا الماء على أرضه وسقاها، هذه من باب الطرف، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم، والدابة عادت وحدها.

((خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في علمكم منطقته، ورغبكم بالآخرة عمله))

الخير الأول: من ذكركم بالله رؤيته.

الحديث الآخر:

(( خيركم من لم يترك آخرته لندياه، ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلاً على الناس ))

[ رواه الديلمي ]

أقبل على آخرته، على معرفة الله، ودنياه أخذ منها بنصيب،

((ولا دنياه لآخرته))

أقام موازنة، المال قوام الحياة، قيمة المرء ما يحسنه، لك مصلحة، لك حرفة تخدم الناس بها، عندك حرفة مثلاً، لك وظيفة تنفع الناس بها، وتكسب منها قوت يومك، وتتفق بها على أهلك،

((خيركم من لم يترك آخرته لندياه، ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلاً على الناس))

يده عليا، وليست سفلى، لم يكن كلاً على الناس، وخَيْر سليمان بين المال والملك والعلم، ثلاث قوى في الحياة، قوة المال، وقوة الملك، وقوة العلم، سيدنا سليمان خَيْر بين المال والملك والعلم، فأعطي الملك والمال.

اختار العلم، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[ سورة البقرة: 269 ]

أنت بالحكمة تجلب المال، وبالحمق تبده، أنت بالحكمة تجعل العدو صديقاً، وبالحمق تجعل الصديق عدواً، أنت بالحكمة تجعل من الزوجة السيئة سالحة، وبالحمق تجعل الصالحة سيئة، فلما قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[ سورة البقرة: 269 ]

هذا أثمن عطاء، سيدنا سليمان خير بين المال والملك والعلم، فاختر العلم، فأعطي الملك والمال.

هذا مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((من أثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ومن أثر آخرته على دنياه ربحهما معاً))

[ورد في الأثر]

والخير كثير وقليل فاعله، شيء يعصر القلب أبواب الخير مفتحة على مصاريعها، أهلك باب للخير، الاعتناء بالزوجة وتعليم الزوجة، والاعتناء بالبنات الصغار، وتعليم البنات الصغار فروض الدين والصلاة والقرآن، والتفقه بالدين بمحلك التجاري باب للخير، تنصح المسلمين، تكون صادقاً معهم، تعطيمهم بضاعة جيدة بسعر معتدل، في علاقتك مع الأقارب، مع الجيران، مع إخوانك، أبواب الخير مفتحة على مصاريعها، أن تعتني بهرة، أن تعتني بحيوان ليس له من يرعاه مثلاً، أن تنفق من مالك، أن تنفق من جاهك، أن تنفق من وقتك، أن تنفق من عضلاتك، رينا عز وجل ركب الحياة كلها على العمل الصالح، زواجك عمل صالح، إنجاب الأولاد عمل صالح، تربية الأولاد عمل صالح، تزويج الأولاد عمل صالح، تزويج البنات عمل صالح، تأمين عمل لابنك عمل صالح، كيفما تحركت فأبواب العمل الصالح مفتحة، إذا قرأت القرآن، إذا علمت القرآن، إذا حضرت مجلس علم، إذا نصحت الناس، إذا علمت العلم، إذا أمرت بالمعروف، إذا نهيت عن المنكر، إذا سخرت جاهك لخدمة المظلومين، كيفما تحركت فعندك العمل الصالح مفتحة أبوابه على مصاريعها.

الخير كثير، وقليل فاعله، والحديث الأخير:

((خير الصداق أيسره))

[الحاكم في المستدرک عن عقبة بن عامر، والبيهقي في السنن الكبرى]

هذا الحديث خاص بالنساء، إذا كانت المرأة سالحة مؤمنة تقية، كان صداقها قليلاً فلا ينبغي أن تخجل به، بل ينبغي أن تتخبر به، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يذكر في أحاديث كثيرة أن أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة، طلباتها قليلة، أعظم النساء بركة أقلهن مهراً، وخير الصداق أقله.

هذا الحديث رائع جداً، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا أَرَدْتَ الْحُقُوقَ بِي فَلْيُكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا كَرَادِ الرَّابِّ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِفِي ثَوْبًا حَتَّى تُرْقِعِيه))

[ الترمذي ]

ليس هناك امرأة فيما أعلم تلبس الآن ثوباً مرقعاً، أي امرأة عندها من الثياب أضعاف أضعاف ما هي بحاجة إليه، الكلمة الشائعة: شاهدوا علي هذا الثوب مرة واحدة، إذا ينبغي أن تجهد زوجها فوق ما يطيق، ينبغي أن تدفعه إلى كسب المال الحرام، ينبغي أن تجعله صغيراً بين الناس، ينبغي أن تدفعه إلى ما لا يرضي الله، لذلك الصحابية الجليلة كانت تقول لزوجها: يا فلان اتق الله فينا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام، فالمرأة النقية التي تطمح بالجنة، وأن تكون مع رسول الله، وأن تكون في جنة عرضها السماوات والأرض لا ينبغي أن تثقل على زوجها، ولا سيما في الأيام العصيبة، في الأيام عصبية ينبغي أن تكون عوناً لزوجها.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا أَرَدْتَ الْحُقُوقَ بِي فَلْيُكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا كَرَادِ الرَّابِّ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِفِي ثَوْبًا حَتَّى تُرْقِعِيه))

طبعاً الأغنياء غير المؤمنين، لأنهم يتباهون، من دخل على الأغنياء كما قال سيدنا عمر غير المؤمنين خرج من عندهم وهو على الله ساخط.

إذا كانت طلبات المرأة قليلة في الزينة، في الحفلات، طلباتها خفت، معنى ذلك هي أقرب للنبي عليه الصلاة والسلام:

(( خير الصداق أيسره ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (030 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ ب إن ....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-05-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، مع الحديث النبوي الشريف، وثمة حديث شريف عن أسامة بن زيد، هذا لحديث لو عرفنا أبعاده، وصدقنا مضمونه كما أراد النبي عليه الصلاة والسلام لانتزع من قلبنا أي خوف، و أي حزن، و أي قلق، و أي فرح، غير الفرح الذي أراده الله عز وجل.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:

((كَانَ ابْنُ لِبَعْضِ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا أَنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ))

[متفق عليه]

((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ))

أي شيء أعطاك إياه ثم أخذه فهو في الأصل لله تعالى، كل شيء أعطاك الله إياه عارية مستردة،

((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ))

أي شيء تتمتع فيه يجب أن تعلم علم اليقين أنه من الله عز وجل، ومعنى أنه من الله أنه في أي لحظة يمكن أن يسترده، وأي شيء استرد منك يجب أن تعلم أنه في الأصل ليس لك، إنما هو لله عز وجل، هذا الذي يقول: ما لي ما لي، هذا بيتي، هذه حاجاتي، ما أدرك بعد هذا الحديث الشريف،

## ((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ))

أخذ منك بعض المال، أخذ منك بعض الصحة، أخذ منك بعض الأولاد، أخذ منك شيئاً، حينما أخذه هو في الأصل له، ما أخذ منك شيئاً تمتلكه أخذ شيئاً يملكه هو، لأن الله عز وجل يقول:

## ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[ سورة الفتح: 14 ]

ملكاً وتصرفاً ومصيراً، الأشياء لله وهو جل، يتصرف فيها كيفما يشاء، ومصيرها إليه، فحينما جاءت لام الملكية في نسبة الملكية إلى الله عز وجل فإنما تعني الملكية والتصرف والمصير، ((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ))، يد الله عز وجل يد رحيمة، يد حكيمة، فإذا استردت منك شيئاً في خريف العمر، في مقتبل العمر، في وسط العمر، في شبابك، في كهولتك، في شيخوختك، أي شيء أخذ منك فهو في الأصل ليس لك، هو في الأصل لله عز وجل، قال تعالى:

## ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾

[ سورة آل عمران: 26 ]

حتى عين الإنسان ليست ملكه، حتى سمعه، حتى بصره، حتى كل أعضاؤه،

## ((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ))

والذي أعطاك إياه لا ينبغي أن ترى أنك حصلته بكسبك، وبتعبك، وبجهدك، إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى،

## ((وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَتُحْسَبِ))

الآن متى أخذ هذا الشيء؟ ولماذا أخره؟ ولماذا أخذه في وقت مبكر؟ ولماذا أخر أخذه إلى وقت متأخر؟ حتى البرنامج الزمني داخل في سنن الله عز وجل، من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

كل شيء بقضاء وقدر، الإيمان بالقدر نظام التوحيد، هذا الذي أعطاك الله إياه هو منحة منه، ليس لك عليه حق أبداً، والذي أخذه منك هو في الأصل له، أعطاك، وما يزال مالكاً، وسلبك وهو في الأصل ملكه، إذا فهمنا هذا الحديث تهون علينا مصائب الدنيا.

((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَتُحْتَسِبْ))

معنى ولتحتسب: ولتجعل هذه المصيبة صبرك عليها ابتغاء وجه الله عز وجل، هذا الحديث يكتب في النعي أحياناً:

((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَتُحْتَسِبْ))

أيها الإنسان، الحقيقة في الحوادث أن البطولة في تفسيرها، فإذا أمكنك أن تفسر الحوادث، إن في الإكرام أو الحرمان، في العطاء أو الأخذ، في الصحة أو المرض، في الغنى أو الفقر، في القوة أو الضعف، في الوسامة أو الدمامة، زوجة سالحة أو زوجة سيئة، أي شيء تأخذه، أو أي شيء يسلب منك إنما هو بقضاء من الله وقدر، وأفعال الله كلها تنطلق من حكمة مطلقة، والحكمة تنطلق من الخير المطلق، فالحديث هذا إذا كتبه الإنسان في مكان ظاهر في بيته:

((أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَتُحْتَسِبْ))

علم معنى أنه مملوك لله، فلا يحزن على شيء.

وفي حديث آخر رواه الطبراني:

((إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها))

[ الطبراني ]

أنت وعاء، فبماذا ملأت هذا الوعاء؟ أنت آنية من أواني الله عز وجل، عبي طهرت منظر الخلق سنين، أفلا طهرت منظري ساعة؟ فالقلب بيت الرب، قلبك آنية الرحمن، هل ملأتها من صبغة الله عز وجل، أم ملأتها من حب الدنيا؟ هل ملأتها من معان راقية جاء بها القرآن الكريم، أم ملأتها من سفاسف لا ترقى إلى المستوى الذي

يريدہ اللہ منک ؟

((إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه أئنيها وأرقها ))

كاد الحليم أن يكون نبياً، لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، وما ينزع من شيء إلا شانه، علموا، ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف.

شيء آخر، عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

[ أحمد ]

يجب أن تعلم علم اليقين أن كلمة (لو) يجب أن تنزعها من قاموسك، لأن الله عز وجل ما شاء فعل، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان، ولكن هناك (لو) واحدة مسموح بها، هي لو الإيجابية، وقد وردت في قوله تعالى إذا حدث قحط وانحباس أمطار، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[ سورة الأعراف: 96 ]

لا مانع إذا تعاملت بطريقة أو بأخرى بالربا، وأتلف الله المال، وقلت: لو لم أفعل لما تلف مالي، هذه لو مقبولة، ويجب أن تقولها.

الإيمان ألا ترى مع الله أحداً، الإيمان ألا ترى زيداً أو عبداً، أن ترى يد الله وحدها تتصرف،

((لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه))

هذا يرد الشظية الطائشة، والقتل الخطأ، أخطاء العباد يوظفها الله عز وجل لمصلحة العباد، العبد يخطئ، ولكن الله لا يخطئ، الله عز وجل مطلق، فإذا آمنت بهذا الحديث:

**((لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَغْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ))**

علمت حكمة الله عز وجل.

الإيمان بالقدر يريح النفس، كما قال عليه الصلاة والسلام، الإيمان بالقدر نظام التوحيد، والإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن، وكلمة (لو) كلمة لا تفيد شيئاً، كلمة راحت من يدي، ما أخذتها، أخذوها مني، هذه الكلمات كلها تسبب الحزن والشعور بالحرمان، لكن المؤمن لا يرى مع الله أحداً، ليس إلا يد الله تعمل في كل شيء. أحياناً الإنسان يعاني من هموم في كسب الرزق، يقول لك: السوق بور، والأحوال صعبة، والعمل قليل، والمصروف أكبر بكثير من الدخل، ولا نعرف كيف ندبر أمورنا، هذا كلام الناس، لكن النبي عليه الصلاة والسلام يقول في هذا الحديث:

**((إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة، ولا الصيام، ولا الحج، ولا العمرة، ولكن يكفرها الهموم في طلب المعيشة))**

[الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة]

يعني ربنا عز وجل جعل الهموم في طلب المعيشة من بعض المكفرات، وربنا عز وجل لحكمة أرادها جعل كسب المال الحرام سهلاً، وجعل كسب المال الحلال صعباً، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((من بات كالأ في طلب الحلال بات مغفوراً له))**

[الطبراني في الأوسط عن ابن عباس بلفظ: من أمسى...]

**((إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة، ولا الصيام، ولا الحج، ولا العمرة، ولكن يكفرها الهموم في طلب المعيشة))**

من قصر في العمل ابتلاه الله بالهم، المصائب متنوعة تنوعاً كبيراً جداً، هناك مصائب تمس النفس، ومصائب تمس الجسد، ومصائب تمس السمعة، ومصائب تمس الأهل، والمصائب أنواع متنوعة، لا يعلمها إلا الله، الله عز وجل يمكن أن يصل إليك من ألف باب وباب، بل من مليون باب وباب، ولا تستطيع أن تتقي علاجه إلا إذا كنت كما يرضى، لأنه لا ينفع حذر من قدر، يؤتى الحذر من مأمنه، كل أنواع الاحتياطات، وأخذ الاستعدادات، والذكاء، والخطط، والتدبير إن لم يرافقها توفيق من الله عز وجل تبوء كلها بالإخفاق، فلذلك لا ينفع حذر من قدر، ولكن ينفع الدعاء مما نزل، وما لم ينزل.

ومن علامات قيام الساعة كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث أنس بن مالك قال:

(( مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزِّنَا، وَيَقِلَّ الرَّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ ))

[ متفق عليه ]

العلم قليل، مثلاً ترى حياً مكتظاً بالسكان، الذين يرتادون المساجد قلة، لو نظرتهم إلى المساجد إذا قيست بعدد سكان البلدة فهم قلة قليلة،

(( مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزِّنَا، وَيَقِلَّ الرَّجَالُ وَيَكْثُرُ النِّسَاءُ ))

وأثمن شيء في الحياة أن تكون عالماً، لأن أساس كل سعادة العلم، قبل كل حركة العلم، قبل أي توجه العلم، قبل أي تصرف العلم، لأن كل شيء مبني على العلم، فبه تكون سديداً صحيحاً موفقاً مجدداً نافعاً ناجحاً فائزاً.

قال:

((إن أحببتهم أن يحبكم الله تعالى ورسوله - حديث دقيق - فأدوا إذا ائتمنتم، وصدقوا إذا حدثتم، وأحسنوا

جوار من جاوركهم))

الملاحظ أن كل هذه الأحاديث الشريفة تنصب على مكارم الأخلاق، بل الدين كله مكارم أخلاق، بل إن العبادات حجمها بالنسبة لمكارم الأخلاق كحجم الفحص في الامتحان في العام الدراسي، تمضي السنة كلها في مكارم الأخلاق، فإذا أردت أن تصلي كانت الصلاة ميزاناً لعلاقاتك بالناس، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: الصلاة ميزان، فمن وفى استوفى، يعني من وفى الاستقامة حقها استوفى من الصلاة ثمراتها.

**((إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدوا إذا ائتمتم))**

هل تعلم ما هي الأمانة؟ أنت حينما يكون عليك إيصال أو وثيقة، وتؤدي ما عليك فليست هذه أمانة أبداً، لأنك لو رفضت أن تؤديها فهناك من يحاسبك قضائياً، الأمانة أن تؤدي ما عليك من دون وثيقة، من دون شهود، من دون إيصال، من دون سند، من دون اعتراف، من دون كاتب عدل، من دون مذكرة تبليغ، لا يسمى الأمين أميناً إلا إذا أدى ما عليه من دون وثيقة، من دون مستمسك.

كلكم يعلم أن سيدنا عمر جاءته رسالة من بعض الولاة، قال: يا أمير المؤمنين، إن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم، لست أقدر على استخراجهم منهم إلا أن أسهمم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلت، قال: يا سبحان الله! أتستأذني في تعذيب بشر؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ أقم عليهم البينة، البينة المستمسك، أقم عليهم البينة، فإن قامت فخذهم بالبينة، فإن لم تقم فادعهم إلى الإقرار، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم، فإن لم يقرروا فادعهم إلى حلف اليمين، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، وإيم الله لأن يلقوا الله بخياناتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم.

هناك نظام، أول شيء: بينة مستمسك، وثيقة، ثانياً: اعتراف، ثالثاً: حلف يمين، ولا سبيل لك على إنسان حلف اليمين التي استحلفته بها، وعندئذ ربنا سبحانه وتعالى هو الذي يحاسبك.

**((إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدوا إذا ائتمتم))**

لماذا قال الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

[سورة النساء: 58]

لَمْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَةَ إِلَىٰ أَهْلِهَا ؟ لِمَاذَا جَاءَتْ كَلِمَةُ الْأَمَانَاتِ جَمْعًا ؟ لِأَنَّ زَوْجَتَهُ أَمَانَةٌ، وَأَوْلَادَهُ أَمَانَةٌ، وَالْمَرْضَىٰ عِنْدَ الطَّبِيبِ أَمَانَةٌ إِذَا غَشِمَهُ، وَالشَّارِي عِنْدَ الصَّيْدِيِّ أَمَانَةٌ، إِذَا انْتَهَىٰ مَفْعُولُ الدَّوَاءِ، وَمَسَحَ مَحَلَّ انْتِهَاءِ الْمَفْعُولِ، فَمَوْضِعُ الْأَمَانَةِ خَطِيرٌ جَدًّا، يَدُورُ مَعَ النَّاسِ حَيْثُمَا دَارُوا، فِي كُلِّ نَشَاطَاتِ حَيَاتِهِمْ، التَّاجِرُ، وَالصَّانِعُ، وَالْمِزَارِعُ، وَالْمَوْظَفُ، وَالْجَنْدِيُّ، وَالْقَائِدُ، كُلُّ إِنْسَانٍ وَكُلُّهُ اللَّهُ بِأَشْخَاصِ فَهْؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ، فِيمَا أَنْ يَضِيعَهُمْ، وَإِمَا أَنْ يَنْصَحَهُمْ، وَلَنْ يَرْضَىٰ اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا إِذَا كُنْتَ نَصُوحًا.

((إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ يَحْبِبَكُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ فَأَدُوا إِذَا اتَّمَنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ))

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي يَحْيَىٰ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِمِصْدِقٍ، وَأَنْتَ لَهُ بِمِ كَاذِبٍ))

[ أبو داود ]

موقف شنيع أن شخصًا مسلمًا هو لك مصدق، كلامك عنده مقبول، كلامك عنده ثابت، وأنت تكذب عليه، لذلك الكذب كما قال عليه الصلاة والسلام: المؤمن لا يكذب، فإذا كذب فقد برئت منه ذمة الله، إذا كذب ليس مؤمنًا، يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب،

((فَأَدُوا إِذَا اتَّمَنْتُمْ، وَاصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَحْسِنُوا جَوَارٍ مِنْ جَاوِرِكُمْ))

حسن الجوار من حسن الإيمان، المؤمن هو الذي يأمن جاره بوائقه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَائِقِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا بِوَائِقِهِ ؟ قَالَ: شَرُّهُ))

[ مسلم، أحمد ]

البوائق هي المضايقات والإيذاء.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ سِنْتَكُمْ مَا أَوَّلُ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَوَّلُ مَا يَقُولُونَ لَهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ يَا رَبَّنَا، فَيَقُولُ: لِمَ؟ فَيَقُولُونَ: رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ، فَيَقُولُ: قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ مَغْفِرَتِي))

[ أحمد ]

قال تعالى:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾

[ سورة الزمر: 73 ]

لما ربنا عز وجل يتجلى للمؤمنين فيرون وجهه الكريم، ويغيبون خمسين ألف عام من نشوة النظرة، هذه السعادة التي لا توصف لا ينبغي أن نزهد فيها، وأن نتبع الدنيا، وأن نجمع الدرهم والدينار لذاتهما.

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))

[ مسلم، الترمذي، النسائي، أحمد، ابن ماجه ]

يعني إذا أردت أن تقتل أفعى فيجب أن تقتلها بإحسان، إذا أردت أن تقتل عقرباً فيجب أن تقتله بإحسان، إذا أردت أن تذبح شاة فيجب أن تذبحها بإحسان، أحد الصحابة كان يذبح شاة أمام أختها، فالنبي عليه الصلاة والسلام عنفه، قال: هلا حجبها عن أختها؟ تريد أن تميتها ميتتين، الإحسان: وليجد أحكم شفرته، وليرح ذبيحته، يعني أن تكون السكين حادة، هذه من وصايا النبي عليه الصلاة والسلام لئلا يُعذب الحيوان.

أحياناً الإنسان يقتل عقرباً، لا يموت فيدوسه بقدمه، يتحرك، يتركه، ويمشي، ما دام قتلته، وأردت أن تقتله فهذه الحركة مزعجة له، ما دام فيه روح وحركة وتكسر قد يُعذب ساعة أو ساعتين، فإذا قتلت العقرب فاقتله قتلاً مجهزاً، هكذا السنة،

((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِّخْ دَبِيحَتَهُ))

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[ متفق عليه ]

لما يعرف الإنسان أن والده عليه حق، ومن حقوق الوالد على ابنه أن يحفظ له سمعته، فإذا تجاوز الحدود، وأساء، وسب آباء الناس، وردوا عليه بسب أبيه، إذا سبوا أباه جلبوا لأبيه هذه السمعة السيئة، وهذا السباب والشتم، فهذه كما روى الإمام البخاري عن رسول الله:

((إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ))

أحياناً الإنسان عنده قدرات عالية يهابه الناس، ويتقون شره، يظن نفسه ذكياً، يظن موقفه ذكياً جداً، وتمكن أن يحدث حوله هالة من الإرهاب، عَنْ عَائِشَةَ

((أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ائْذِنُوا لَهُ فَلَيْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، أَوْ بِئْسَ رَجُلٌ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتُ لَهُ الَّذِي قُلْتُ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فَحُشِيَهُ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، أحمد ]

الذي له لسان بذيء، واستطال على الناس، وله كلام فاحش، والناس يتقون لسانه السليط هذا شر الناس عند الله، الحياء من صفات المؤمن، وأحياناً تلتقي مع سفيه لا تجد ما تجيبه، هذا وسام شرف لك، أما لو كال لك الصاع فكلت له الصاع صاعين، تكلم بكلمة سباب سببته عشراً، ليس هذا من أخلاق المؤمن،

((إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَدَعَهُ أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فَحْشِهِ))

إن الله تعالى هو السلام، أي يهديهم سبل السلام، من أسمائه السلام، وكل من اقترب منه عاش في سلام، كل من عرفه، وأطاعه، وتقرب إليه دخل في سلام، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَالْتَقَتِ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُقِن: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، أحمد ]

لأن العبد الصالح مشى على منهج الله، ومنهج الله عز وجل يهديك سبل السلام، أنت في سلام دائماً إذا اتبعت منهج الله، ولا يوجد مصيبة في الأرض إلا بسبب معصية، وليس هناك معصية في الأرض إلا بسبب جهل بأحكام الشريعة، فالإنسان متاعبه بسبب معاصيه، ومعاصيه بسبب جهله، فالجهل رأس كل خطيئة. أحياناً إنسان عادي يتمنى أن تخرق القواعد ليظهر أمام الناس بالولاية والصلاح، أما النبي عليه الصلاة والسلام فلما خسفت الشمس والقمر عند موت إبراهيم أراد أن يفصل هذه الظاهرة الكونية عن الدلالات التي استنبطت منها، فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ:

((خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ، وَتَأَبَّ النَّاسُ إِلَيْهِ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِيَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ))

[ البخاري، النسائي، أحمد ]

إذا صدف أنه أنت خرقت لك بعض العادات، وليس لها علاقة بك، ولكن جاءت صدفة، لا ينبغي أن تستغلها، يجب أن تبين للناس أن هذه لا علاقة لها بهذه، انظر إلى هذا الطرح العلمي النبي عليه الصلاة والسلام، بين أن خسوف الشمس والقمر لا علاقة لهذه الظاهرة الكونية بموت سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ. الحديث المهم جداً الذي رواه الإمام البخاري و مسلم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ إِبْنِمَا الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

أي لا طاعة في المعصية، لا طاعة في توجيه ليس مدعماً بدليل، افع، لماذا أفع؟ ما الدليل؟ لا تفعل؟ لماذا لا أفع؟ قل: فلان لماذا أصله؟ قاطع فلاناً، لماذا أقاطعه؟ لا ينبغي أن تفعل شيئاً، ولا أن تكف عن فعل شيء من دون دليل من كتاب وسنة، فلذلك:

((إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

والقصة الشهيرة النبي عليه الصلاة والسلام لما أمر أنصارياً على سرية، وفي الطريق غاضبهم، وغاضبوه، وأمر بإيقاد نار عظيمة، وأمرهم أن يقتحموها، فعن علي رضي الله عنه قال:

((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَعَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمْرُكُمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقِدُوهَا، فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

[ البخاري، مسلم، التستائي، أبو داود، أحمد ]

الطاعة في الشيء المعروف، والمعروف هو أمر الله عز وجل، ونهي الله عز وجل.

عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((الْحَلِفُ مُنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مُنْحِقَةٌ لِلْبِرْكََةِ))

[ متفق عليه ]

الباعة الذين يلفنون كثيرًا بالأمانة، بعثتها برأسمالها، ما ربحنا شيئاً عليك، هذا ليس من أخلاق المؤمن،

((الْحَلِفُ مُنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مُنْحِقَةٌ لِلْبِرْكََةِ))

الآن إلى قصة من قصص الأطفال في عهد الصحابة الكرام، من باب الاستعراض ربنا عز وجل قال تعالى:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾

[ سورة الأنبياء: 60 ]

درسنا اليوم عن الأطفال، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى﴾

[ سورة الكهف: 13 ]

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

[ سورة مريم: 12 ]

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ﴾

[ سورة يوسف: 19 ]

آيات كثيرة جداً ذكرت الصنف المحبب في المجتمع، وهو صنف الصبية والغلمان والشباب، القصة جرت مع سيدنا عمر رضي الله عنه.

في بيت أم حكيم زوج عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة يرى عمر واقفاً عند الباب، والباب مفتوح، كأنه يرقب شيئاً من بعيد.

عمر: أولئك الصبيان يلتقطون البلح من أصول النخل، ويحجم إنهم يتعلمون السرقة، وهم أغيلمة، أين أهلهم كيف تركوهم.

أم حكيم: وماذا عليهم أن يلتقطوا ما ألفت الريح.

عندنا حكم دقيق، إذا هبت الرياح، وأسقطت بعض الفواكه سريعة العطب، إذا أسقطت الشمس، وإن أسقطت الجوز مثلاً، فهذا حكم آخر، على كل الورع أن تمتنع عن أن تأكل ما ليس لك.

عمر: لعلهم أسقطوه من عث أكيهه قبل ذلك بالحجارة، ضربوا النخل بالحجارة فسقط البلح.

انظري ذلك صبي منهم قذف رأس النخلة بحجر ينادي بأعلى صوته يا صبية، وليكم كفوا عن النخل.

أم حكيم: لقد هربوا يا أمير المؤمنين فرقاً من صوتك، خافوا منك.

عمر: لكن واحداً منهم بقي هناك يلتقط البلح بعد.

أم حكيم: لعله أصم يا أمير المؤمنين، لا يسمع، حينما صاح بهؤلاء الصبية كلهم تفرقوا إلا هذا الغلام بقي يلتقط البلح، ولم يستجب لنداء سيدنا عمر.

قال عمر: بل أحب أن يستأثر بالبلح دونهم بعدما تركوه، يا غلام يا غلام.

أم حكيم: ما أشك الساعة أنه أصم.

عمر: بل يتصامم، ويتعافل، ينادي بأعلى صوته: يا لاقط البلح، يا لاقط البلح.

الصبية: لبيك يا أمير المؤمنين، لبيك يا أمير المؤمنين.

عمر: تعال، أقبل إلي.

الصبية: سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين، إذ ليس أصم.

قال عمر لأم حكيم: لم يشأ أن يلبي ندائي حتى ملأ حجره من البلح.

أم حكيم: لكنه والله غلام شجاع لو كنت مكانه لهربت.

قال عمر: لا تعجبي حتى يصل إلينا.

أم حكيم: أتخشى بعد أن يهرب من نصف الطريق.

قال عمر: مثل هذا الغلام الأريب لا شيء يعجزه.

أم حكيم: لا يا أمير المؤمنين، إنه آت إليك حقاً.

عمر: أي والله، إني به لأسعد.

يقترّب الصبي من سيدنا عمر .

يقول الصبي: السلام عليك يا أمير المؤمنين، يقول عمر: إني لا أرد السلام يا غلام علي من يسرق أموال الناس.

يقول الصبي: يا أمير المؤمنين ما سرقت والله مال أحد، إنما هذا ما ألقته به الريح.

عمر: أرني أنظر، فإنه لا يخفى علي، ينظر في حجر الصبي، ويقلب ما فيه من البلح.

الصبي: كيف وجدت ذلك يا أمير المؤمنين ؟

عمر: صدقت هذا مما ألقته الريح، لا جناح عليك، ليس هناك مخالفة.

الصبي: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

عمر: يضحك، وعليك السلام ورحمة الله، ما اسمك يا بني ؟

قال الصبي: اسمي يا أمير المؤمنين سنان.

عمر: سنان ابن من ؟

الصبي: حنانيك يا أمير المؤمنين، لا تشكني إلى أبي، فإنه قاس غليظ القلب.

عمر: لا ترع فلم أشكك إليه.

الصبي: إياك أن تخلف وعدك، فأنت أمير المؤمنين.

عمر: كلا لن أخلف وعدي.

الصبي: أنا سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي.

عمر: أترك أنت وليد يوم حنين ؟

الصبي: نعم يا أمير المؤمنين أنا هو.

عمر: ويحك أتعرف قصة ذلك ؟

الصبي: نعم، كان أبي يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم حنين فبشروه بي، فقال: لَسنان، أي لرمح أذب به عن رسول الله ﷺ أحب إليه مما بشرتموني، فسماني رسول الله سناناً.

لما بشروا أباه في المعركة أنه جاءك غلام، قال: لَسنان أذافع به عن رسول الله أحب إليه مما بشرتموني به.

الصبي: لذلك سماني رسول الله سناناً، هذه تسمية رسول الله.

عمر: يا سنان، والله إنك لشجاع صدوق.

الصبي: لكني لا أحب العراك مع الصبيان يا أمير المؤمنين.

عمر: ذلك خير لك، فإنك إن عاركتهم فلا تأمن أن يقطعوا ثيابك، أو يجرحوك.

الصبي: يا أمير المؤمنين أترى هؤلاء الصبيان هناك.

عمر: ما لهم.

الصبي: والله إن انطلقت لأغاروا علي فانتزعوا ما معي.

عمر: أليس معهم من البلح مثل الذي معك ؟

الصبي: لا، أنا سبقتهم إلى المكان، ثم فروا عندما سمعوك، وبقيت أنا ألتقط.

أم حكيم: لكن كيف خافوا من صوت أمير المؤمنين، ولم تخف أنت ؟

الصبي: خافوا لأنهم لصوص ينوون السرقة، ولست كذلك.

عمر: أتحب يا غلام أن أوصلك إلى مأمك.

الصبي: نعم يا أمير المؤمنين، جزيت خيراً.

أم حكيم: يا أمير المؤمنين ابعث معه أسلم.

الصبي: كلا يا أمير المؤمنين، أسلم لا يحميني من هؤلاء، إنهم يترصدونني، ولا يخافون إلا منك.

عمر: يشد أذن الغلام في رحمة وتدليل، وهو يضحك، لله درك يا سنان.

أم حكيم: ربما يجيء عبد الله بن عباس الآن يا أمير المؤمنين.

عمر: إذا جاء ابن عباس فقول له: ينتظرنني، فإنني راجع على التو.

الصبي: لن يغيب أمير المؤمنين عنكم طويلاً، فإن بيتنا جد قريب على مرمى الحجر.

أم حكيم: رأيت يا أسلم مثل هذا الصبي قط؟

أسلم: لا، والله ما رأيت أشجع ولا أنجب ولا أحكم.

عمر: أتدرين يا أم حكيم ماذا فعل معي الصبي؟

أم حكيم: قالت ماذا فعل الصبي؟.

عمر: إنه خدعني، ما كان خائفاً من الصبيان، وما كان بحاجة إلى أن أبلغه مأمنه.

أم حكيم: وكيف عرفت ذلك؟.

عمر: ما كدت أوصله إلى بيته حتى اختلط في الصبيان، وفرق فيهم البلح، وقال لهم، وأنا أسمع: يا معشر

الصبيان من منكم مثلي، رسول الله سماني، وأمير المؤمنين أوصلني إلى بيتي.

على كل في التاريخ العربي والإسلامي مواقف من بطولات الصغار رائعة جداً، تعرفون لما عبد الله بن الزبير مر

سيدنا عمر بالمدينة، وكان الغلمان يلعبون، فتفرقوا إلا هو، فقال سيدنا عمر: لم لم تهرب مع من هرب؟ قال:

أيها الأمير، لست ظالماً فأخشى ظلمك، ولست مذنباً فأخشى عقابك، والطريق يسعني ويسعك، هذا قول عبد الله

بن الزبير حينما التقى بسيدنا عمر في الطريق.

ولما دخل على سيدنا عمر بن عبد العزيز وفد الحجاز تقدمهم غلام لا تزيد سنه على الحادية عشرة، قال عمر: اجلس أيها الغلام، وليقم من هو أكبر منك سنًا، انزعج، رئيس وفد غلام يأتيني، قال الغلام: أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس، الشيء ليس بالحجم، بالعقل، باللسان الذكور، والقلب الشكور.

ولما دخل على عبد الملك بن مروان وفد من البادية أيضاً تقدمهم غلام، وعبد الملك انزعج انزعاجاً شديداً، فقال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل علينا إلا دخل حتى الغلمان، هكذا أصبحنا مع الغلمان؟ فقال هذا الغلام: أيها الأمير، إن دخولي عليك لم ينقص قدرك، ولكنه شرفني، أصابتنا سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله فعلاً تحبسونها عن عباده، ونحن عباده، وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا، فإن الله يجزي المتصدقين، وإن كانت لنا فأعطونا حقنا، فقال عبد الملك: والله ما ترك هذا الغلام في واحدة عذراً.

إذا نشأ الابن في حجر والديه على العلم والجرأة، وتنمية شخصية الطفل مهمة جداً، كثير من الآباء قساة على أولادهم، إذا حكى اسكت، أنت لا تفهم، إذا أحب أن يسلم على الضيوف، يخرجهم، هذا سلوك غير إسلامي، إذا كان دخل ابنك على الضيوف يسلم عليهم واحداً واحداً، ويصافحهم، وإذا أبدى رأياً فاسمعه، أعطه أذناً صاغية. أكبر مبدأ في التربية أن تحترم شخصية الطفل، إذا وثق من نفسه ينمو متكامل الشخصية، فإذا قمع، ووبخ، وكلما تكلم أسكتته من هو أكبر منه، فإذا صلى في الصف الأول أرجعوه إلى الصف الأخير، فإذا أخطأ في الصلاة عنفه المصلون بقسوة بالغة، ليس هذا من الدين في شيء، هذا سلوك جاهلي.

الذي يبدو من هذه القصة أن سيدنا عمر أراد أن ينمي شخصية هذا الغلام، رافقه طبعاً، الغلام أراد أن يعترف بهذا التوصيل، رسول الله سماني سنائاً، والأمير أوصلني إلى بيتي، مع أنه ليس هناك بينه وبينهم خصومة، تربية الأولاد جزء أساسي من الدين، ولن يفلح الأب إن لم يكن حكيماً بتربية أولاده، أحياناً تكون الأم أقسى من الأب لمحدودية تفكيرها، أو لعدم اطلاعها على الأساليب الحديثة، أو على المبادئ النبوية في التربية، التربية تخلق من الطفل شخصية نامية جداً، العظماء في العالم لهم تربية غنية، الذي عنده أولاد إذا تحدث يسمع له، أنا في العيد

زرت شخصاً من عليّة القوم، قال لي: والله أخذت بناتي الصغار إلى المراجيح، أخذهم بنفسه، أنا والله أكبرته بها.

من كان له صبي فليتصاب له، ينزل إلى مستواه، النبي عليه الصلاة والسلام كان يمشي على الأرض، ويركب الحسن والحسين على ظهره، ويقول:

**((نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما))**

[الطبراني في الكبير عن جابر]

كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كان ألين الناس، كان أرحم الناس بالأهل، كان يقول: ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً.

يمكن أن تتجح في عملك نجاحاً كبيراً، وبيتك لا تتجح فيه، فإن لم تتجح في بيتك فهناك مصدر كبير من الشقاء ينسل إليك، الكلمة الطيبة والشكر والامتنان والاعتذار والمسامحة والإكرام، هذا كله من صفات المؤمن، يجب أن يكون بيت المؤمن جنة، لا في أثاثه، ولا في اتساعه، ولكن في العلاقات الطيبة بين الآباء والأبناء، بين الأب والأم، بين الأم والأولاد، الأولاد فيما بينهم.

ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام: ريح الجنة في الشباب، إن الله ليباهي الملائكة في الشاب المؤمن، يقول انظروا عبدي، ترك شهوته من أجلي، الله عز وجل لما يوفق الإنسان يوفقه في بيته، والتوفيق في البيت نجاح كبير جداً في الحياة، هناك شخص ناجح خارج البيت، أما داخل البيت فأسرته ممزقة، في خصام، في شقاق، في نكد، في بغضاء، في شحناء، جو مقيت، الإنسان إذا دخل إلى بيته يكون بساماً ضحاكاً، كان النبي عليه الصلاة والسلام يمزح، ولا يمزح إلا حقاً.

سيدنا ابن عباس شهد مع الإمام علي كرم الله وجهه الصفين والجمل، وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، وقال عمر بن دينار: ما رأيت مجلساً كان أجمع من كل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام، والعربية والأنساب والشعر، وكان كثيراً ما يجعل أيامه، يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لوقائع العرب، وكان الخليفة عمر بن الخطاب إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس، وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله، ولا يدعو لذلك أحداً سواه، وكان آية في الحفظ، أنشد عمر بن ربيعة قصيدته التي حفظها مرة واحدة، وكان عبقرياً.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (031 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بـ إن الله تعالى ....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-06-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، مع الحديث النبوي الشريف، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمُقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يُلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[ أبو داود، أحمد ]

هذا الحديث من أدق الأحاديث التي يتعين على كل مؤمن أن يستوعبه، لأنه ذو مساس وشيخ بكل نشاط حياته، أنت في طريق الحياة، أنت في حركة الحياة، واجهت حركة، ما موقفك كونك مؤمناً ؟ هناك من ينهزمون، هناك من يهربون منها، هناك من يستسلمون لبأسها، هناك من يخضعون، هناك من يخنعون، وهناك من ينتحرون، ما موقف المؤمن إذا واجهته مشكلة ؟ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إِنَّ اللَّهَ يُلُومُ عَلَى الْعَجْزِ))

ما العجز ؟ أن تستسلم للمشكلة، أن تخضع لها، أن تعطل فكرك، أن تعطل حركتك، أن ترضى بها، هذا موقف ليس إسلامياً، وليس صحيحاً، بل إن الله سبحانه وتعالى كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام يلوم على العجز، حينما تعجز، حينما تخضع للمشكلة، حينما تستسلم، حينما لا تعمل فكرك، حينما لا تأخذ بالأسباب، حينما ترضى بالهوان، حينما ترضى أن تكون دون الآخرين، ليس هذا هو المسلم، و ليس هذا هو المؤمن، أين الله عز وجل ؟ الأمر كله بيد الله، ما عليك إلا أن تدعوه، وما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب، وما عليك إلا أن تسعى،

فكر، هية خطة، اسأل فلاناً، خذ رأي فلان، وسط فلاناً، إذا واجهتك مشكلة المؤمن هكذا يستسلم ! حتى يقال عنه ضعيف، خوار، منسحب، متفوق، انعزالي، منهزم ؟ لا والله، حديث دقيق جداً:

((إِنَّ اللَّهَ يُلَوِّمُ عَلَى الْعَجْزِ))

العجز أن ترى نفسك أقل من حل هذه المشكلة:

﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران: 146]

تريد الزواج، أخي لا يوجد أمل ؟ لماذا لا يوجد أمل ؟ تحرك، الفعل فعل الله، والقدر قدر الله، ادع الله عز وجل، وخذ بالأسباب، وابحث عن بيت، وابحث عن فتاة مناسبة، وابحث عن عمل إضافي، وادخر جزءاً من دخلك، لماذا هذا الاستسلام لا يوجد أمل، هذا الموقف موقف انهزامي، موقف ليس إسلامياً، موقف يلام عليه المؤمن،

((إِنَّ اللَّهَ يُلَوِّمُ عَلَى الْعَجْزِ))

في دراستك هذه المادة صعبة، لماذا صعبة ؟ لا يوجد شيء صعب، ادرسها، اسأل عنها المتفوقين، لخص الكتاب، اقرأ الكتاب ثلاث مرات، حاول أن تتعلم من الأستاذ، حاول أن ترافق طالباً متفوقاً في هذه المادة، في التجارة لا يوجد أمل، المحل سنسلمه، فكر، لعل البضاعة غير مناسبة، لعل موقع المحل غير مناسب، لعل تعاملك مع الناس غير صحيح، لعل سعرك مرتفع، لعل البضاعة ليست ذات قيمة عند الناس، ابحث عن بضاعة ذات قيمة، لا حظ لي في التجارة، اصبر، أنت مؤمن،

((إِنَّ اللَّهَ يُلَوِّمُ عَلَى الْعَجْزِ))

يلومك، أخي زوجتي ليس فيها أمل، لماذا لا أمل فيها ؟ حاول أن تصلحها، أقنعها، تطف بها، عاملها بالإحسان، نبهها، ذكرها، أعرض عنها، أكثر اللوم عليها أحياناً، وسط أهلها أحياناً، اجمعها مع نساء طبيبات، لعلها تغار منهم، زوجتي لا أمل فيها، رأساً، هذا موقف غير إسلامي،

## ((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ))

شريكي لا أتحملة، صارحه يا أخي، أنت لا تداوم، ونحن شركاء، ألا تحب أن يدوم بيننا هذا العقد ؟ أنت تلومني، ولا تعمل شيئاً، هذا الموقف أزعجني، ترى بعد فترة تحسن، قبل أن يقول شيئاً يسكت، راجع نفسه، أنت منزعج، وساكت، يداك مغولتان؟! يا أخي ليست قادراً على أن أتخلص من هذا الشريك، عاتبه، صارحه، بين له، اجعل حكماً بينك وبينه، هذا شريك ليس فيه أمل، والزوجة ليس فيها أمل، والزواج ليس فيه أمل، والتجارة ليس فيها أمل، معنى هذا أنك إنسان انهزامي.

قرأت كلمة أعجبتني، قال صاحبها: الذي يتأفف من عمله لا يصلح لأي عمل آخر ، ولعلة هذه الكلمة مشابهة لقول مأثور: من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكثر

## ((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ))

هذا الحديث أثر في نفسي تأثيراً كبيراً بسبب حالات كثيرة جداً من إخوتنا الكرام، حالات كثيرة جداً، بعد أن كان الطريق مسدوداً، بعد أن كان الأمل مقطوعاً، بعد أن كانت المصيبة محكمة.

نزلت فلما استحمت حلقاتها فرجت وكان يظن أنها لا تفرج

\*\*\*

ن عن همومك معرضاً و كل الأمور إلى القضا

وابشر بخير عاجل تنس به ما قد مضى

فلرب أمر مسنخظ لك في عواقبه رضا

ولربما ضاق المضيق ولربما اتسع الفضا

الله يفعل ما يشاء فلا تكن معترضاً

الله عودك الجميل فقس على ما قد مضى

أخي أنا دائماً أشعر أنني أقل من الآخرين، ما السبب ؟ ليس معي شهادة عليا، ادرسها، وخذها الآن بعد الكبر، نعم بعد الكبر، نكر لي أحدهم أن والده لا يقتنع بالعلم إطلاقاً، أخرجته من المدرسة الابتدائية، قال لي: درس الابتدائية الحرة، والإعدادي مساءً، والثانوي مساءً، ودخلت كلية الحقوق، وأخذت دكتوراه في الحقوق، كل هذا تهريب عن والده.

### وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

أنا أشعر أن هذا البيت لا يحتمل، ابحت عن غيره، ليس مشكلة، أنا أقول لكم: هذا كلام نبينا عليه الصلاة والسلام، وبعض علماء الحديث يقول: الحديث النبوي الشريف وحي غير متلو، القرآن وحي متلو، الحديث وحي غير متلو، والنبى صلى الله عليه و سلم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

أنت مريض، اسمع قول النبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ جَابِرٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[مسلم]

والله أعرف رجلا في قلبه علة كبيرة، نُشر صدره، وأُخرج قلبه، وخدر قلبه إلى أن وقف، ووصلت شرايينه بقلب اصطناعي، ووضعت أحشاؤه على المشرحة، ومضى على هذه العملية عشرون عاماً، وهو في أتم صحته، لماذا ؟ لكل داء دواء، تجري عملية، وتتجح.

إن الطبيب له علم يدل به  
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته  
إن كان للناس في الآجال تأخير  
حار الطبيب وخانته العقاقير

يا أخي أنا قضيت كل عمري في المعصية، الآن الله يقبلني؟! يقبلك وزيادة، إذا قال العبد: يا رب، وهو راعع قال الله: لبيك يا عبدي، إذا قال العبد: يا رب وهو، ساجد قال: لبيك يا عبدي، وإذا قال العبد: يا رب، وهو عاص قال الله عز وجل: لبيك، ثم لبيك، ثم لبيك، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ﴾

[ سورة الزمر : 53 ]

لو يعلم المعرضون شوقي إليهم وانتظاري إلى ترك معاصيهم لقطعوا أوصالهم من حبي، ولماتوا شوقاً إلي، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطتهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبيهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبيهم، ربنا عز وجل حبيب، أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من الذنوب والمعائب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها، وأزيد، والسيئة بمثلها، وأعفو، وأنا أرفأ بعبدتي من الأم بولدها.

يا أخي أنا كبرت، مادام القلب ينبض فالباب مفتوح، سيدنا زيد الخيل اسمه زيد الخيل، جاء النبي عليه الصلاة والسلام وهو من أجمل العرب، رآه النبي وهو يخطب، ما عرفه، ويسمع به كثيراً، فلما انتهت الخطبة والصلاة قال: من الرجل؟ قال: أنا زيد الخيل، صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله، قال: بل زيد الخير، رأساً أعطاه اسماً جديداً، قال: يا زيد، لله درك، ما وصف لي رجل إلا رأيتَه دون ما وصف إلا أنت، رحب به، وأخذَه إلى بيته مبالغةً في تكريمه، وأعطاه وسادةً كي يتكى عليها، فقال زيد الخير: والله يا رسول الله لا أتكى في حضرتك، لله درك! من أين هذا الأدب؟ ولم يمض على إسلامك ساعة، وعاهده عهداً قاطعاً على العمل لنصرة الدين، وغادر النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد ساعات توفي في الطريق، ومات مسلماً، مادام القلب ينبض فالباب مفتوح على مصراعيه، لأن الله عز وجل يقول في الحديث القدسي:

((الله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمان الوارد))

[الفردوس بمأثور الخطاب عن أبي هريرة، وانظر فيض القدير]

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ))

ليس في الدراسة عجز، ادرس، الله يعين.

هناك نقطة مهمة جداً، ألسنت مؤمناً بأن الأمر كله بيد الله، وأن الله هو الفعال؟ يا أخي لا يستقبلني، يا أخي حاول، من أدراك أن الله سبحانه وتعالى يلين قلبه لك، معاملة عند موظف، يا أخي صعب، صعب على بعض الناس، جرب أنت، أناس كثيرون دخلوا على بعض الموظفين، قدموا لهم المعروض، ماذا أودع الله في قلب هذا الموظف؟ في اللحظة المناسبة يودع في قلب هذا الإنسان العطف والتساهل مع الموافقة، تخرج أنت لست مصداقاً بما جرى، عرضناها عليه مئة مرة وما وافق.

ثُروى قصة مشهورة؛ أن رجلاً فقيراً جداً من بلاد من الشام له قريب يعمل في الباب العالي، في أعلى المناصب في أثناء الحكم العثماني، يعني في اللغة التركية ياور، ياور مدير مكتب السلطان، وهو أعلى من رئيس وزارة، فهذا القريب افتقر، خطر في باله أن يذهب إلى استنبول، لعل قريبه يهيئ له وظيفة في الدولة العثمانية، طبعاً يطمع أن قريبه في مستوى رفيع جداً، فهذا تجشم مشاق السفر، وركب القطار من الشام إلى استنبول، وكان القطار يسير أياماً عديدة، وصل، ورحب به أجمل ترحيب، استقبله في بيته، وأفرد له جناحاً، كما أفرد له من يخدمه في طعامه صباحاً، في الظهيرة قصر، فطبعاً عرف هذا المضيف لماذا جاء هذا الضيف، هياً معروضاً، ووضعه فوق عشرات بل مئات الطلبات على مكتب السلطان مساءً، أخذ الإضبارة كلها موقعة إلا هذا الطلب، مع الرفض، ثاني يوم قدم الطلبات مع الرفض، ثالث يوم، رابع يوم، خامس يوم، أول أسبوع، لا مجال، أدرك هذا المضيف أن هذا الضيف متكل عليه، وهذا شرك، هياً خطة لطيفة، أوعز للخادم أنه غداً قل له: أكثرت علينا، الضيف ثلاثة أيام، أنت منذ أسبوعين، حاول أن تقسو عليه بالكلام، هذا لما سمع الكلام القاسي بكى، وفتح الباب، وخرج هائماً على وجهه، آخر سهم، آخر ورقة رابحة، كما يقولون عند هذا القريب، ذي الجاه العريض، فقال للخادم: إذا خرج من القصر اتبعه، وانظر أين ينام، طبعاً ذهب إلى بعض الخانات، والخان كان فندق نجمة واحدة، فتبعه، وحينما عاد قال: سيدي نزل في المحل الفلاني، هذا المضيف هياً طلباً جديداً، ورفع للسلطان فوافق السلطان مباشرة، استدعاه، قال له: بقيت أسبوعين، وأنت متكل علي، وأنا عبد مثلك فقير، فلما أخرجتكَ من البيت بقسوة عندئذ اتكلت على الله عز وجل، فلما اتكلت على الله عز وجل ألقى الله في قلب هذا الإنسان أن يوافق على هذا الطلب.

هناك حديث دقيق جداً، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ))

[مسلم]

أنت مع أي إنسان، الله عز وجل قادر أن يعطفه عليك، قادر أن يكشف لك أغلاطك، قادر أن يقسو عليك، قادر أن يفند لك أدق الأغلاط، قادر أن يحقد عليك، أنت عبد، لذلك إذا دخل الإنسان، قام بعمل، عنده لقاء، لا يدخل أنه ابن فلان، أنا أحمل دكتوراه، أنا لي منصب رفيع، أنا لي حجم مالي بالبلد كبير، أنا لي شأن، أنا وظيفتي كذا، ادخل من باب الافتقار:

و مالي سوى فقري إليك وسيلة  
و مالي سوى قرعي لبابك حيلة  
فبالافتقار إليك فقري أَدفع  
فإذا رددت فأني باب أفرع

إذاً:

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ))

حديث آخر يدعم هذا المعنى:

((وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ))

[مسلم عن أبي هريرة]

أنا ذكرت لكم قصة لا أنساها، كنا مرة مع العلماء الأفاضل، فذكر لي أحدهم هذه القصة، لشدة غرابتها كأني ما صدقتها، فلما سمعتها من إنسان آخر صدقتها، وهي عن رجل في الخامسة و الخمسين من عمره، يظهر أنه حضر خطبة في مسجد، وجد شاباً عالماً طليق اللسان، الناس تحلقوا حوله، تمنى أن يكون مثله، ولكنه أصبح في الخامسة والخمسين، قال لي شخص معبراً لي عن كبر سنه: الدولار ماسح، والعداد قالب، فهذا الرجل انتهى أن يكون في هذا المكان، في مكان الدعوة إلى الله، وهو من الصعيد من ريف مصر، ركب دابته، واتجه نحو مصر، أي نحو القاهرة، فلما وصل إلى أطرافها سأل: أين الأزعر؟ أي الأزهر، شاهده شخصاً صالحاً قال له: أخي هذا اسمه الأزهر الشريف، وليس الأزعر، دله عليه القصة، سمعتها من رجل، ومن رجل آخر، ثم تحققت منها، فإذا هي واقعية مئة بالمئة، هذا الرجل الذي بلغ الخامسة والخمسين من عمره تعلم في هذا السن القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم الشريف، وعاش إلى السنة السادسة والتسعين، وما مات إلا

وهو شيخ الأزهر، واسمه زكريا الأنصاري، اطلب وتمنّ:

ملك الملوك إذا وهب      قم فاسألن عن السيب  
الله يعطي من يشاء      فقف على حد الأدب

تعلم، والله التقيت مع أخ من إخواننا الكرام عمره اثنتان وخمسون سنة، قال لي: أنا العام الماضي حفظت القرآن الكريم كله، طبعاً العلم في الصغر كالنقش بالحجر، والعلم في الكبر كالكتابة على الماء، ومع ذلك إذا صدقت الله سبحانه وتعالى يعينك فلا تعجز

((وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ.))

أخي كيف أمشي في هذا الطريق الذي لكم؟ تريد أن أغض بصري الآن؟ نعم، صعب، قال له شخص: والله أنا لا أستطيع أن أدير لي وجهي عن النساء، كيف سأغض بصري؟

((وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ.))

انظر إلى موقف سيدنا يوسف الذي به تواضع، قال:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة يوسف: 33]

((وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ.))

غض بصرك، وقل: يا رب أعني على غض البصر، كيف أضبط لساني؟ أنا أتسلى بقصص الناس، شيء ممتع جداً، عندي خمسون قصة،

((وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

[مسلم]

لا في الدراسة، ولا في الزواج، ولا في التجارة، يا أخي كيف أحج؟ حج مثلما يحج الناس، حر، الله يعينك.  
حدثني طبيب قلب، وأنا أثق بكلامه، قال: والله ما من مريض من أمراض قلب كلها إلا استتصحتني قبل أن  
أذهب إلى الحج، فنصحته أن يحج، وكان مرضهم جمد في الحج، أنت ضيف الله، كل شيء عندك مجمد،

((وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ))

و

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ))

الكيس من دان نفسه، ضبط نفسه، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، يعيش سهيلاً هكذا،  
وكان أمره فرطاً.

((أَلَا إِنَّ عَمَلِ الْجَنَّةِ حَزَنٌ بِرَبْوَةٍ، ثَلَاثًا، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وَقِيَ الْفِتْنَ، وَمَا مِنْ جَرَعَةٍ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَرَعَةٍ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ، مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ جَوْفَهُ إِيْمَانًا))

[أحمد عن ابن عباس]

استرخاء، يطلق بصره، يطلق لسانه، يطلق يده، ينام حتى يشبع النوم، يأكل ليشبع، يتكلم عن الناس ليشبع، كله  
ليشبع، أما المؤمن فهو وقاف عند كتاب الله، هذا يرضي الله، هذا لا يرضي الله،

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ))

والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمُقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ:  
حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[أبو داود، أحمد]

الكيس، الكيس هو العاقل، والكيس هو العقل، ومعناه هنا التدبير، ولكن عليك بالكيس، فكر، دبر، خطط، هيئ ما نقوله لفلان، عنده لقاء مع شخص مهم، بعد ما خرج من عنده قال: والله هذه النقطة ما قلتها، لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه القصة ما قلتها، والكتاب لم أره إياه، لم لم تخطط، لم لم تكتب البنود، هكذا الإنسان

((إِنَّ اللَّهَ يُلَوِّمُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنَّ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ))

استخدم عقلك، إن الله لما خلق العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم أدبر فأدبر، قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك، بك أعطي، وبك آخذ، العقل مناط التكليف.

أنا أضرب مثلاً واضحاً، واحد معه جهاز حديث جداً إلكتروني، إذا وضع عليه العملة الأجنبية يعطيه إشارة مزورة، أو صحيحة، باع بيته بأعلى سعر، وقبض الثمن بعملة أجنبية، والجهاز في جيبه، وما استخدمه، وإذا بالمبلغ كله عملة مزورة، نقول له: لم لم تستخدم هذا الجهاز طالما الجهاز معك؟ هذا المثل البسيط، دائماً وأبداً أين عقلك؟ العقل مناط التكليف، ولكن عليك بالكيس، ليس هناك بيع لعل صانعاً عندك أنت تأتي الساعة الحادية عشرة، وهو يهرب الزبائن، ينتقم منك، لعل هناك تجاوز حدود من موظفيك مع الزبائن، لعل البضاعة غير مناسبة، لعل سعرها غال، أو ليس فيها ذوق، يقول: لا نعمل، أنا أقول لكم: والله الذي لا إله إلا هو أصحاب الحرف ممن يتقن عمله لا يقف عن العمل، لأنه لما يكون هناك مئة صاحب مصلحة، منهم خمسة متفوقون، مهما بردت الأسواق يستوعب الخمسة، إذا لم يعمل الناس يكون عملهم من الدرجة الثانية.

أنا أسمع عن بلاط ينتظره الناس ستة أشهر، بالدور، هناك إتقان، إتقان بالغ، لذلك الإتقان جزء من الدين، بل هو جزء كبير من الدين،

((وَلَكِنَّ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ))

أي عليك بالتعقل، عليك بالتدبير، عليك بالتفكير، أخي هذا الاستسلام الساذج، التوكل مكانه القلب، والسعي مكانه الجوارح، المسلمون في عصور تخلفهم عكسوا الآية، صار توكلهم في الجوارح، هو جالس مرتاح، لا يسعي، إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْنَاكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَعُدُّو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

[الترمذي]

تحرك، قال تعالى:

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا بَهِيمًا﴾

[سورة مريم: 25]

النخل لا يهز، هذه إشارة من الله إلى أن هذا التمر الذي تساقط عليها رطباً جنياً جعل له سبباً، هزي، الإنسان أحيانا يخرج من بيته الله يرزقه، قال لي أحدهم: يريد أن يضع أسطوانة غاز في سيارته، شخص واقف قال له: أرني، ما هذا القماش؟ كان سبب رزق كبير، الله سبحانه وتعالى يرزق على أتفه الأسباب كلمة، عنوان شخص، تلتقي معه، تسافر إلى محافظة، يأتيك رزق، الحركة فيها بركة، كما يقول العوام.

أنا كل الدرس على أن الإنسان لا يعجز، لا يتوكل.

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنَّ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ))

شخص عمل مشروعاً سياحياً، كان في جاهلية جهلاء، النوادي الليلية، وشاليهات، ومساح، وتكلف عليها مبالغ طائلة، الله عز وجل يبدو أنه هو طلب الهدى، لو قلنا: الله هداه، أي طلب الهدى، طلب الهدى، فهداه الله، وجد نفسه أمام مشكلة كبيرة جداً، طريق عريض إلى جهنم، أوتوستراد ست حارات، جلس معي أقنعتني أن هذا المشروع لا يمكن أن يستمر، لابد من تحويله إلى مشروع آخر، قال لي: مستحيل، قلت له: حاول، سبحان الله! وتم الأمر، صار مشروعاً سكنياً بعد أن كان مشروعاً آخر.

استعن بالله، أنت اطلب رضاء الله عز وجل، اطلب التوفيق، اطلب العمل الطيب، اطلب الجنة، اطلب أن يرضى الله عنك، والله يا إخوان لا أملك شعوراً يفوق هذا الشعور، ما من شعور أسعد للإنسان من أن يشعر أن الله يحبه، خالق الكون، أو أن الله راض عنه، وهذا في القرآن وارد:

## ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾

[ سورة آل عمران: 15 ]

أكبر من الجنة، أكبر من الحور العين، أكبر من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، أكبر من الفواكه، وهم مكرمون، أكبر من كل شيء:

## ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾

[ سورة آل عمران: 15 ]

فذلك لما تحصل للإنسان هذه الصلة بالله عز وجل وهذا الشعور، أنه في خدمة الخلق، وأنه جندي من جنود الحق، هناك أشخاص إذا اتصلوا بالله عز وجل تصبح سعادتهم في الإعطاء لا في الأخذ، قال بعض العلماء: إذا أردت أن تعرف نفسك أنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة فانظر ماذا يسعدك، أن تأخذ أم أن تعطي؟ إن كنت من أهل الدنيا يسعدك أن تأخذ، ما لنا لحسة؟ ما لنا نصيب؟ وإذا كان يسعدك أن تعطي، ترضو الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[ سورة الكهف: 110 ]

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَفْرِ))

الآن:

((فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ))

الحديث دقيق جداً، أنت أمام مشكلة، هناك ثلاثة مواقف، الموقف الأول: أن تنهزم، الموقف الثاني: أن تسعى، الموقف الثاني يتولد عنه موقف ثالث: تسعى، فإما أن تتجح، وإما أن لا تتجح، إن نجحت فالله سبحانه وتعالى أراد لك هذا النجاح، وأعانك عليه، والصعاب ذلها، والقلوب لينها، والأفكار سهلها، فإذا لم تتجح فهذه هي الحكمة، وهذا هو الخير، وهذه هي النعمة الباطنة، قال تعالى:

## ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

[ سورة لقمان: 20 ]

فإذا لم تتجح:

((فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

والله شيء جميل، أمام مشكلة الاستسلام عليه لوم، السعي ينشق إلى شقين، إما أن ننجح، وإما ألا ننجح، إن نجحنا فهذه نعمة الله عز وجل الظاهرة، وإن لم ننجح فهذه نعمة الله الباطنة، لا نعرف أين الخير، أخي بعد أن اتفقنا غير رأيه، يكون هذا الخير، يوجد قصص كثيرة بهذه الحالة.

سمعت أن طائرة من مدينة إلى مدينة قادم عليها شخص مهم جداً، لا مكان له، فأخذوا اللائحة، استعرضوها، بحثوا عن شخص مكانته في السلم الاجتماعي متدنية، وجدوا هناك سائقاً أوصل شخصاً، ويريد أن يرجع بالطائرة، فشطبوا اسمه، صرخ، لا يوجد مكان، هذه نقودك، الطائرة أفلعت، ثم احترقت في الجو، اللائحة وصلت على أساس أن هذا الشخص ميت، فبلغوا أهله، طبعوا النعوات، وصار هناك تعازٍ، بينما هو وجد مكاناً وصل بعد عشر ساعات، وصل فوجد اسمه بالنعوة على الجدار، والناس يعززون به، دخل فلما وجدوا اسمك، وأنت لا مكان لك، هذا الخير، أنت لا تعرف أين الخير؟ قال لي شخص: كنت ذاهباً لأركب سيارة لأصل إلى بلدي، قال لي: في الخلف ثلاثة ركاب، وفي الأمام يوجد مكانان فارغان، جلست بأول مكان، هو طبيب، طالب طب، جاء شخص طويل القامة، عريض المنكبين، شرير، فتح الباب أمسكني، ووضعني في الخارج، لو قال لي: ممكن أن تسمح لنا بالمحل، ولا سألني، يظهر أنه هو قطعه صغيرة، أمسكه، ووضعني في الخارج، قال لي: شعرت بشعور لا يوصف، تمنيت أن أقتله، هو ضعيف، وحجمه صغير، وهذا شخص كبير، قطعه كبيرة، قال لي: امتلأت حقداً، امتلأت غيظاً، كدت أنفجر، منتهى الإهانة، أنا جالس بمكان، قل لي: أسمح لنا بمكانك أقل له: تفضل، لكن لا يكلمني ولا كلمة، يخرجني، ويضعني في الخارج، قال لي: انتظرت ساعتين حتى جاءت سيارة أجرة أخرى، وركبنا، وجدنا السيارة مقلوبة، ثلاثة قتلى، واثنان جرحى، عندها شكرت الله عز وجل لهذا العمل الطيب الذي أكرمني به.

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ))

غُلبت، قال لك: لا يوجد موافقة، مع السلامة، معنى هذا أن هذا هو الخير، هذه نعمة باطنة، أول نعمة ظاهرة، إذا وافق فهي نعمة ظاهرة، لم يوافق نعمة باطنة، سمح لك أن تسافر نعمة ظاهرة، ما سمح لك نعمة باطنة، الصفة تمت نعمة ظاهرة، لم تتم نعمة باطنة، نجحت نعمة ظاهرة، لم تتجح نعمة باطنة، ولكن طبعاً تكون مجتهداً، الكسلان هذا عقاب، لذلك:

((إِنَّ اللَّهَ يُلَومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

هذا حديث دقيق جداً، يوجد توجيه حكيم، ويوجد منهج، ويوجد توحيد، يوجد عبودية لله عز وجل، ويوجد معرفة بالله، منهج، وموقف كامل للمؤمن، عبودية لله، توحيد، راحة نفسية، شيء ما كان لك، ليس في الإمكان أبدع مما كان، لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه،

((وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

[الترمذي عن ابن عباس]

هذا هو التوحيد، والله أنا أعتقد من يوحد يكون قد أنجى نفسه من آلاف الأمراض، الآن أحدث دراسة ما من مرض إلا وله أسباب نفسية عميقة، القرحة النفسية، الكولسترول له أسباب نفسية، أمراض القلب لها أسباب نفسية، الضغط العالي ضغط الهم، هذا يسبب ضغط دم، أسباب نفسية، وكل هذه الضغوط، وهذه الآلام أسبابها شرك بالله، رأيت فلاناً أقوى منك، ولا يحبك، يريد أن يضايقك، أما إذا وحدت فقد ارتحت، أريد دليلاً من القرآن الكريم أنك إذا وحدت ترتاح، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء: 213]

عذاب الشرك، عذاب التمزق، عذاب أن ترضي الناس جميعاً، المؤمن مشكلته سهلة له، علاقة مع جهة واحدة، تصور عبداً له خمسة أسياد، هذا قال له: اترك، وتعال إليّ، جاء سيده الثاني: أين أنت؟ تعال إلي هنا، اصنع الشاي، صنع الشاي، فقال له الثالث: لماذا لم تأت إليّ، سبّه، إذا كان له خمسة أسياد، كل واحد أعطى أمراً، شيء صعب، أما إذا كان عبد لسيد واحد فليس عنده إلا أمر واحد، المؤمن من عظمة الإيمان له علاقة مع جهة واحدة فقط، والباقون جميعاً لا قيمة لهم، لأنهم لا يقدمون، ولا يؤخرون، اعمل لوجه واحد يكفك الوجوه كلها، من جعل الهموم همماً واحداً كفاه الله الهموم كلها، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد، ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد، وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإذا إن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد.

أحاديث رائعة جداً، من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين، خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعيني رغي أسوقه لك كل حين، لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترضى بما قسمته لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، ولا أبالي وكنت عندي مذموماً.

لذلك الحديث هذا يجب أن تحفظوه، ويجب أن تعملوا به، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمُقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يُلَوِّمُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[ أبو داود، أحمد ]

ما كسبت هذا الشيء بعد ما وافقوا، رفضوا، كثيراً من الأمور، شراء البيوت، شراء المحلات التجارية، البعثات الدراسية مثلاً، الزواج، الطلاق، عقد الصفقات أحياناً شيء يقترب أن يتم، يقول لك: فقست، دخل فلان، الله يصلحه، فلان قدّمه سوء، هذا كلام الشرك، هذا شيء لم يكن من نصيبك، والله ما سمح به، هنا جاء كلام ابن عطاء الله السكندري في الحكم العطائية، تكاد أن تكون هذه الحكم من أروع ما كتب من قبل العلماء، المؤمن يرى المنع عطاءً، قد يكون المنع عين العطاء، إن الله ليحمني صفيه من الدنيا كما يحمي أحكم مريضه من الطعام، إن الله ليحمني صفيه من الدنيا كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة، لذلك أنت استسلم، أنت

عبد الله، لا دور لك أبداً، الله هو كل شيء، فإذا وحدت ارتحت، وأرحت.

هذا الحديث إن شاء الله إذا اتضح في أذهان الإخوان الكرام عليهم أن يذكره كلما أقدموا على عمل، لا تعجز، إياك أن تستسلم، إياك أن تنهزم، إياك أن تخنع، إياك أن تقول: لا حول لي ولا قوة، الله هو صاحب الحول والقوة، اطلب منه، عليك بالكيس، فكر، دبر، هبئ أمورك، نظم، تكلم مع فلان، أقتع فلاناً، اكتب كتاباً، اكتب رسالة، تحرك، اسع، فإذا غلبك أمر، سعيت، وما نجحت فهذا الخير.

هنا نقطة مهمة جداً، حينما تستنفذ كل جهدك الذي يقع فهو الخير، أما إذا لم تستنفذ جهدك الذي يقع فقد يكون عقاباً، الابن مريض، حرارته أربعون، ما أخذناه إلى الطبيب، يعيننا الله، الله يسلم، هذا ليس كلاماً إسلامياً، الله أمرك أن تسعى، تضاعف الأمر، التهاب سحايا، بعد هذا مات، لا إله إلا الله، هكذا الله كتب له، لا، هذا كلام مرفوض، أنت تأخذه إلى أول طبيب، تأخذ الدواء، تنفذ التعليمات بدقة بالغة، بعد هذا تستسلم لله، ثم الذي يحدث هو الخير، تصدق، تعالجه عند طبيب، وتهتم أن يكون طبيباً جيداً مخلصاً ماهراً في علمه، تستعمل الدواء بشكل جيد، تدفع صدقة، وبعد ذلك تستسلم للذي يحدث، وهو الخير، أما قبل أن تستنفذ الجهد فالاستسلام مرفوض، وكل نتيجة تأتي بعد الاستسلام ليست قضاءً وقدراً كما يزعم بعض الناس، إنما هي جزء التقصير والإهمال، يقول لك: هذا الدواء لا تضعه بين أيدي الأطفال، أنت لم تعر لذلك اهتماماً، أخذ ابنك حبتين، يحتاج إلى غسيل معدة، صار معه قرحة الأمعاء، ثقبت، يحتاج إلى عملية جراحية، هكذا ترتيب الله، لا، ليس ترتيب الله، هذا تقصيرك، مكتوب على الدواء: لا تضعه بين أيدي الأطفال، ضعه في مكان عال، هناك أشياء كثيرة تحدث، أسطوانة الغاز مثلاً، الأنبوب افحصه من حين إلى آخر، قد يكون جافاً، يحدث انفجاراً، هكذا الله أراد، لا تقل: الله أراد، إلا إذا استنفذت الأسباب، حينما تستنفذها فالله أراد، أما قبل أن تستنفذها فهذا عقاب، وهذا جزء التقصير، هذا كله من قول النبي الكريم:

((فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

حديث آخر نتابع به هذا الدرس، عن أبي موسى قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((إن الله تعالى يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حضره))

[الطبراني في المعجم الصغير]

يعني الله عز وجل إذا سلب من إنسان الصحة لفترة محدودة فلا يتألم، ولا يتشاءم، ولا يشعر أنه في هوان، ولا أنه رخيص على الله عز وجل، لا، أعمالك الصالحة من دعوة، إلى، إنفاق، إلى أمر بالمعروف، إلى نهى عن منكر، إلى إصلاح ذات البين، مطالعتك، قراءتك، تعليمك، تجارتك، تلاوتك، هذه الأعمال الطيبة التي تعملها وأنت في أوج صحتك إذا سلب الله منك هذه الصحة يكتبها لك كما لو أنك تفعلها، وهذه بشارة، أنت حبسك المرض، ليس عليك حرج، قرأت حديثاً، قرأته مرات كثيرة، وأذكر أنه تلوته على الإخوة الأكارم عشرات، بل مئات المرات، في المرة الأخيرة لفت نظري هذه الكلمة، ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

((يا ابن آدم، مَرِضْتُ فَلَمْ تَغْذِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ، فَلَمْ تَغْذُهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟))

[مسلم]

لفت نظري كلمة:

((لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ))

معناها لما ربنا عز وجل يسلم من مؤمن صحته يتجلى عليه ليكون معه، قال: يا موسى أتحب أن أكون جليسك؟ فقال: كيف ذاك يا رب، وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنني جليس من ذكرني، وحيثما التمسني عبدي وجدني.

((إن الله تعالى يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه))

معنى هذا أن المرض ضابط، المرض هو الوثاق، المرض قيد الإنسان عن العمل الصالح، عن الصيام، قيده عن الحج، قيده عن الصلاة، قيده أحياناً عن الصلاة بوضعها الطبيعي، أما الصلاة كما تعلمون، هي الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال، مادام في وثاقه، أي ما دام مقيداً في مرضه،

**((وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حضره))**

طبعاً السفر المشروع، سفر في طلب العلم، سفر للفرار بالدين، إذا كنت في أرض منعت فيها من أن تمارس شعائر دينك إذا سافرت عن هذه الأرض فهذا السفر في طاعة، أو لطلب الرزق،

**((إن الله تعالى يكتب للمريض أفضل ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه، وللمسافر أفضل ما كان يعمل في حضره))**

[الطبراني في المعجم الصغير]

آخر حديث، عَنِ الْمُهَاصِرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

**((إِنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلَامِ الْحَكِيمِ أَتَقَبَّلُ، وَلِكِنِّي أَتَقَبَّلُ هَمَّهُ وَهَوَاهُ، فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِي طَاعَتِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ حَمْدًا لِي وَوَقَارًا، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ))**

[الدارمي]

المهم ليس الكلام، المهم الهم والهوى، ما الذي يهكم؟ أو ما الذي يشغل بالك؟ ما الذي تقلق له؟ ما الخواطر التي تأتي؟ ما الطموحات التي تسعى إليها؟ ما المشاعر التي تتناوب؟ هذا المهم لأن هذا يعبر عن حقيقتك، أما اللسان فقد لا يعبر عن حقيقتك، لك أن تقول أجمل كلام، وأحلى كلام، وأنت بعيد عن فحوى هذا الكلام، لذلك جاء في الحديث القدسي عَنِ الْمُهَاصِرِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

((إِنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلَامِ الْحَكِيمِ أَتَقَبَّلُ، وَلَكِنِّي أَتَقَبَّلُ هَمَّهُ وَهَوَاهُ، فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِي طَاعَتِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ  
حَمْدًا لِي وَوَقَارًا، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ))

[الدارمي]

البطولة في الهم والهوى، إلام تميل نفسك؟ ماذا تشتهي؟ ماذا تحب؟ إلى ماذا تطمح؟ ما الشيء الذي تستشرفه؟ ما الخواطر التي ترد إليك؟ ما الذي يقلقك؟ ما الذي تحبه؟ هويتك تعرف بهمك وهواك، وأما اللسان فكثيراً ما لا يعبر عن حقيقة الإنسان.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

((إِنِّي لَسْتُ كُلَّ كَلَامِ الْحَكِيمِ أَتَقَبَّلُ، وَلَكِنِّي أَتَقَبَّلُ هَمَّهُ وَهَوَاهُ، فَإِنْ كَانَ هَمُّهُ وَهَوَاهُ فِي طَاعَتِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ  
حَمْدًا لِي وَوَقَارًا، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ))

[الدارمي]

هذه أحاديث رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ولا أنسى قول سيدنا سعد حين قال: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس، من هذه الثلاثة: " ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (032 - 127) : أحاديث شريفة عن بواعث العمل

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-06-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، مقدمة بسيطة لموضوع دقيق هذه المقدمة هي أن الإنسان له عمل في الدنيا، ولهذا العمل باعث، أو لهذا العمل دافع، هذه الدوافع أو هذه البواعث منها ما هو جلي ظاهر، فأحياناً يفتح الإنسان محلاً تجارياً كي يكسب منه رزقاً، الهدف واضح جداً، الباعث أو الدافع أو الهدف وراء هذا العمل التجاري هو كسب المال، ومن هذه البواعث ما هو خفي، قد يكون للعمل ظاهر وباطن، من هذه الدوافع ما هو فطري، كل إنسان عنده اندفاع للحفاظ على وجوده، عنده اندفاع للحفاظ على سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، هذه دوافع فطرية.

وهناك دوافع كسبية، كيف ذلك؟ إذا عرف الإنسان الله عز وجل فمن لوازم هذه المعرفة أن تنشأ عنده دافع لمرضاته، الدافع لمرضاة الله عز وجل دافع كسبي، أما الدافع للحفاظ على وجودك فدافع فطري، كل إنسان ينطلق ليحافظ على وجوده، وعلى استمرار وجوده، وعلى كمال وجوده، وعلى سلامة وجوده، لكن ما كل إنسان يهدف أن يرضي الله عز وجل إلا إذا عرفه، فإذا ما عرف الله عز وجل يرضي الناس، أما إذا تم له جانب من معرفة الله عز وجل فعندئذ ينشأ عند هذا الإنسان باعث أو دافع لطلب رضوانه.

إذا أيقنت بالجنة ينشأ عندك باعث جديد، أن تعمل لها، فتجد الذي يؤمن بالجنة يقدم خدمات بلا مقابل، يرجو الله والدار الآخرة بها، أما الذي يؤمن بالدنيا فقط فلا يتحرك من دون مال، لا يقدم خدمة من دون مال، الدنيا عنده هي كل شيء، أما الذي يعرف الآخرة، وما فيها من نعيم مقيم ينشأ عنده دافع لبلوغها، إذاً النقطة الدقيقة في هذا الدرس هي أن العمل هو ثمن الجنة، الدليل قال تعالى:

## ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 32 ]

أدق من ذلك، العمل مفتاح الجنة، لأن الجنة بفضل الله عز وجل، لأن الجنة محض فضل، والنار محض عدل، الجنة محض فضل، لكن كيف تعطى؟ مفتاح الجنة العمل الصالح الأصح، مثلاً سوف نقدم لك بيت ثمنه ثلاثين مليوناً، ستدفع ثمن مفتاحه فقط خمس عشرة ليرة، فكل عملك في الدنيا لا يوازي ثمن البيت، لا يوازي ثمن مفتاحه فقط، فصار المفتاح ورمز الله عز وجل، تحقيقاً للعدالة الإلهية، وتنظيماً للعمل الصالح، جعل العمل الصالح مفتاح الجنة، ففي الأثر:

(( ادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم ))

عملك يحدد لك مكانك في الجنة، أما الجنة فبرحمة الله عز وجل، هذا فحوى ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام، من أن الجنة برحمة الله، ولا يتناقض هذا مع أنه بالعمل، العمل مفتاح الجنة، وثمنها رحمة الله عز وجل.

الذي أتمنى عليكم أن نقف عنده هو أن العمل هو أساس الإيمان، بل هو مظهر الإيمان، بل هو برهان على صحة الإيمان، والدليل قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

[ سورة الأنفال: الآية 72 ]

الإيمان من دون عمل كلام بكلام، لا معنى له، ليس هناك موقف، ولا بذل، ولا التزام، ولا عطاء، ولا تضحية، ولا تحمل تبعات، ولا صبر، ولا إيمان، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

[ سورة الأنفال: الآية 72 ]

العمل أساس الإيمان، العلم مظهر الإيمان، العمل برهان على صحة الإيمان، كلكم يعلم أن الإيمان ما وقر في القلب، وصدقه العمل، قال تعالى:

## ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[ سورة آل عمران ]

لماذا اختار الله من بين صفات المتقين هذه الصفة ؟ لأنها برهان على صدق تقواهم، الذين ينفقون في السراء والضراء.

أتابع هذه المقدمة بأصل منها، مادام العمل هو جوهر الدين، ومادام الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر، ومادام العمل مظهرًا من مظاهر الإيمان، ومادام العمل برهانًا قاطعًا على صحته، متى يصح العمل ؟ هنا المشكلة الآن، العمل له باعث، إن وجدت بناء يا ترى ماذا سبق هذا البناء ؟ سبق هذا البناء أنه بني في ذهن صاحبه، قال صاحبه: أعمر هنا بناء، لا يزال البيت القديم قائمًا، فكر صاحبه بإنشاء هذا البناء، اشترى الأرض، رخصها، هناك مجموعة مراحل تسبق ظهور البناء، كذلك العمل، هناك جانب منه غير مرئي، وهو الباعث، هنا موطن الشاهد، هنا بيت القصيد، العمل في الإسلام يقوم حصراً بنيته، أقول: حصراً، من أين جئت بهذا الكلام ؟ من قول النبي عليه الصلاة والسلام، عن عَلْقَمَةَ بِنِّ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))

[ متفق عليه ]

(إنَّما) أداة حصر، هناك مثل شهير أستخدمه دائماً، خمسمئة ليرة ملقاة على الأرض، مرَّ شخص، وأمامها مصور واقف في زاوية، هذا الشخص انحنى، نظر إليها، وأخذها، ووضعها في جيبه، وتابع سيره، صورناه، وضعنا خمسمئة ليرة ثانية، مر شخص آخر، نظر إليها، فانحنى، والنقطها، ووضعها في جيبه، لو تشابهت الأعمال تشابهاً تاماً في شخصين رجلين في سن واحدة، في ملامح متشابهة، في مكان واحد، المبلغ نفسه، الانحناء واحد، الطول واحد، الاثنان يرتديان معطفاً، وضعا هذا المبلغ في جيب المعطف، لو وازنا بين الصورتين لوجدنا العمل نفسه، الأول مؤمن نوى أن يأخذها ليدفعها إلى صاحبها، وتوجه إلى أقرب دكان، وذكر لصاحبها أن هناك مبلغاً وجدته في هذا المكان، وهذا عنواني، وهذا هاتفي، والثاني نوى أن يأكلها حراماً، فالعمل

نفسه، عمل يرقى بصاحبه، وعمل يهوي بصاحبه في الهاوية.

استخدمت هذا المثل الصارخ، إنسان يتزوج، وإنسان يزني، ربما كان العمل في النهاية واحداً، لكن هنا يرقى، وهنا يسفل، إنسان يقبض مالاً، إن قبضه حلالاً يرقى، وإن كان حراماً يسفل، حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((... إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ...)).

العمل يقيم أو يقوم، كلاهما صحيح، حصراً بنيته، إذاً أن تتأمل نيتك، وأن تراجع نيتك، وأن تفحص نيتك، وأن تدقق في نيتك شيء خطير، قد يأتي الإنسان يوم القيامة بأعمال كالجبال، بنوايا ليست راقية، قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

[سورة الفرقان: 23]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَةً، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))

[مسلم]

أنا أشعر أن موضوع الباعث، أو موضوع النية، أو موضوع الإخلاص من أخطر موضوعات الإسلام، لأنك وأنت مخلص ترقى بعمل قليل، وأنت غير مخلص تهوي بعمل كثير، بإخلاص ترقى بعمل قليل، ومن دون إخلاص تهوي بعمل كثير، هذا كله تقديم لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

## ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ))

لو وقفت في طريق مكة المدينة لرأيت مئات، بل ألوف، بل عشرات الألوف يسافرون من مكة إلى المدينة كل يوم، وهناك أشخاص في وقت ما سافروا من مكة إلى المدينة، فسموا مهاجرين، وأثنى الله عليهم، وأثنى عليهم رسول الله، ورضي الله عنهم بنص القرآن الكريم، الانتقال نفسه، الآن اذهب إلى مكة، واركب السيارة، وانتقل فيها إلى المدينة، هل أنت مهاجر ؟ معنى هذا: )

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))

الإنسان قد يأتي مجلس العلم ليلتقي مع إنسان، أو قد يأتي مجلس العلم لشيء آخر غير طلب العلم، وقد يأتي إنسان مجلس العلم لا يبتغي من مجيئه إلا مرضاة الله عز وجل، شتان بين الوجودين، شتان بين الحضورين، شتان بين العاملين، شتان بين السعيين، مادامت النية لها كل هذه الخطورة، ولها كل هذا الشأن، ولها كل هذا التأثير، تأثير ماحق، أو تأثير داعم، فكل عمل بنية سيئة يتلاشى، وعمل آخر بنية طيبة يتنامى، إذاً يجب أن نركز على نيتنا، يجب أن نركز على إخلاصنا، وهناك بعض الآيات الكريمة المتعلقة بالإخلاص، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾

[ سورة الإنسان: 9 ]

لاحظ، الذي يعلق أهمية كبيرة على رد فعل الناس اتجاهه يقول لك: يا أخي ليس هناك وفاء، ثمة جحود، ولؤم، يتألم جداً، إذا لم يجد لعمله ثمرة عند الناس، يمكن أن نتوقع أن هذا الإنسان في نيته الخالصة خلل، فإنك إذا عملت عملاً ترضي الله به ما شأن الناس إن استجابوا أو لم يستجيبوا، إن شكروا أو لم يشكروا، إن قدروا أو لم يقدروا.

أنا لا أنسى هذا الموقف لسيدنا عمر حينما سأل أحد المرسلين الذين جاؤوا من القادسية، فقال هذا الرسول: مات خلق كثير، قال: من هم ؟ قال: إنك لا تعرفهم، فبكى عمر رضي الله عنه، قال: وما ضرهم أني لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم، ومن أنا ؟.

وهذا الكلام أسوقه لتعلموا أنه إذا عملت عملاً صالحاً، ولا أحد علم به، وما ضرك ألا يعلم به أحد إذا كان الله قد علمه، ما ضرك أن يجهل هذا العمل الناس إذا كان الله قد علمه، هذا الإخلاص، أن تكتفي بالله، أن يجزئك علم الله عز وجل عن علم الناس، فلذلك استجداء المديح ضعف في الإخلاص

فليت تحلو و الحياة مريرة  
وليت ترضى والأنام غضاب  
وليت الذي بيني وبينك عامر  
و بيني وبين العالمين خراب  
إذا صح منك الوصل فالكل هين  
وكل الذي فوق التراب تراب

هذا هو موقف المؤمن، بعض الأمثلة الموضحة، ما قولك أيها الأخ الكريم في أن الإخلاص أو علو النية، أو صدق النية، أو سمو النية، يقلب العلم الدنيوي إلى عبادة، العلم الدنيوي، الزواج، أنا أحياناً في عقود القران ألقى كلمات، مرة ألقى كلمة قلت لهم: يقول الله عز وجل:

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

[ سورة النساء : 104 ]

قلت لهم: ما علاقة هذه الآية بعقد القران ؟ ليس لها علاقة، هذه آية متعلقة بالجهاد، يمكن أن نسحبها بشكل أو بآخر على أن العمل إذا رافقته نية عالية يصبح عبادة، فإن لم تكن له هذه النية يصبح عملاً تافهاً، فالمؤمن إذا تزوج هو في الظاهر مثله مثل أي إنسان يسعى لتأمين بيت، يسعى لتهيئة هذا البيت، لفرشه بالأثاث، متاعب كثيرة من غرف النوم إلى غرف الاستقبال، إلى الثلاجة، إلى الحاجات الأساسية، إلى بعض ما يقتضيه المنزل، ترى المؤمن يتعب، وغير المؤمن يتعب، أما المؤمن فينوي من زواجه طاعة الله عز وجل، ينوي إحسان نفسه، ينوي إحسان فتاة مؤمنة، ينوي إنجاب ذرية سالحة، أين: [وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ]، يرجو المؤمن من الزواج ما لا يرجوه غير المؤمن، ذلك يبحث عن المتعة فقط، وكل حياته مشاكل، إذا رجا الإنسان ربه عز وجل الله عز وجل يضيفي الله على حياته الخاصة سعادة.

فهذه واحدة، وهل تصدقون أن النية السيئة تقلب العبادة إلى جريمة ؟ قال تعالى:

﴿قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

[ سورة الماعون: 4-7 ]

رجل يصلي، توضاً، وصلى، قال تعالى:

﴿قَوْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

[ سورة الماعون: 4-7 ]

عمل دنيوي، تجارة، زواج، كسب مال إذا رافقته نية عالية يصبح عبادةً، وعمل عبادي محض إذا رافقه الرياء يصبح جريمة، يستحق أن يقول الله لصاحبه: ويل لك، أرايتم إلى أثر النية كيف أنها تقلب العبادة إلى انحراف، وتقلب العمل الدنيوي إلى عبادة؟ وأنا أؤكد لكم أن كل واحد منكم في اختصاصه، وفي مهنته، وفي حرفته يمكن أن يجعلها عبادة إذا كانت مشروعة، وإذا نوى بها كسب رزق حلال، وإذا نوى بها خدمة المسلمين، وإذا لم تمنعه من أداء فرض أو واجب أو طاعة أو مجلس علم، ويؤكد هذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى رجلاً يصلي قال: يا فلان، من يطعمك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك، الذي يعمل أشد عبادةً لك، وأنت تعبد الله في المسجد، في النهار أخوك أعبد منك، من هنا يقول سيدنا علي: "قيمة المرء ما يحسنه"، لك مصلحة، لك مهنة، لك حرفة تتقنها، تكسب منها رزقاً حلالاً، تتفق على نفسك، على عيالك، ترفع رأسك، يدك هي العليا، هذا المطلوب.

أنا أتمنى كما قلت لكم قبل أسبوع: أتمنى أن ينال الإنسان كل شيء يحتاجه بطريق مشروع أولاً، ومن خلال عمل شريف، لا أن يكون عليه منة أحد، من جلس إلى غني فتضع له ذهب ثلثا دينه. الآن، عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (

(مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اِعْتِدَاءٍ، أَوْ عَرَسَ عَرَسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اِعْتِدَاءٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى))

[ أحمد ]

إنسان أشاد ببناء، والله سمعت عن شخص بأطراف دمشق أشاد بنائين، كل بناء أربعة طوابق، كل طابق أربع شقق، وقال: هذه لن أبيعها، هذه سأؤجرها لشباب على وشك الزواج، وحدد أجراً معقولاً، ستر اثنتين وثلاثين أسرة، هؤلاء الشباب لهم دخل، يدفع نصف دخله أجرة، أما ثمن بيت مليون فلا يتمكن أن يشتريه الشاب، وأنا أقول لكم: حينما قال الله عز وجل:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور: 32]

هذا أمر، قال عنه العلماء: إنه أمر ندب، يعني الأب والأم أولياء الشباب والشابات، أو أولياء الأمر هذا الأمر موجه إليهم، فمن المفروض علينا، أو واجب علينا أن نسهل الزواج عن طريق تسهيل أساسياته، وأول أساسياته المنزل، فهذا عمل طيب، عمر بنائين، وجهزهم، وأجرهم أجازاً بسعر معقول، وقال: هذه لن أبيعها، ولكنني سأؤجرها لشباب مقبل على الزواج، هذا المجتمع إذا لم يتعاون على حل مشكلات أبنائه لا يحبه الله عز وجل، والدليل قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة: 2]

تعاون على البر والتقوى، البر صلاح الدنيا، والتقوى صلاح الآخرة، والحديث المعروف، الدعاء الشهير: اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنينا الذي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، إذا صلاح الدنيا مطلوب، يكون في بيوت للسكن، الشباب لا يشكو أزمة سكن مثلاً، فلما يقدم الإنسان شيئاً بنية طيبة، تصور إنساناً يعمر بنائين، متاعب الرخص، متاعب الإحضارات، تأمين الحديد، تأمين الرمل، العلاقة مع العمال، مع البنائين، البلاطين، إنجاز مواعيد، إنفاق، متاعب، خلافات أحياناً، كله عبادة، مادامت النية أن يخدم المسلمين، أنا سمعت من السلف الصالح يقولون: لما يضع المفتاح بدكانه يفتح الغلق، يقول: نويت خدمة المسلمين، هذا البائع فتح هذه الدكان ليقدم بها المسلمين أولاً، وليقتات من عمله ثانياً، فلما يغفل الإنسان عن هذه النية يصير عمله لا معنى له، وأحياناً الحياة تستهلك الإنسان، يأكل، ويشرب، وينام، ويعمل، ويذهب، ويأتي بلا معنى، أما النية فتعطي العمل هذه الصفة العالية، النية تضيء على العمل اليومي معنى العبادة.

ولا يقطعون وادياً، ولا ينالون من عدوهم نيلاً إلا كتب به عمل صالح، حتى لو تزوج الإنسان قال عليه الصلاة والسلام:

((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ))

[مسلم عن أبي ذر]

سلك الطريق المشروع، وترك الطريق المنهي عنه، هذا عمل صالح.

((مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظَلَمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظَلَمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى))

[أحمد]

أُخِذَتْ فكرة عن المسلمين من قبل أعدائهم، أنهم كسالى، اتكاليون، يعني همتهم هابطة، يستسلمون للأقدار من دون سعي، من دون عمل، من دون نشاط، الذي أراه أن هذا الموقف أو هذه الصفات ليست صفات المسلمين إطلاقاً، اسمعوا لحديث الشريف، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسِيْلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))

[أحمد]

قامت القيامة، النبي صلى الله عليه و سلم أمرنا أن نغرس غرساً، نحن ما عندنا ازدواجية، دنيا وآخرة، لا، الدنيا من أجل الآخرة، والآخرة من أجل الدنيا، ليس هناك ازدواجية، ولا خطان متوازيان، خط واحد، فإذا أتقنت عملك في سبيل الله، إذا راعيت مصلحتك في سبيل الله، إذا أدبت واجبك في سبيل الله فهو عبادة.

حديث آخر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))

[البخاري]

الزراعة عمل شريف جداً، لأنك تقدم للناس أقاتهم، وكلما كثر الإنتاج رخص الثمن، وعم الرخاء، لماذا قال عليه الصلاة والسلام:

### ((الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ))

[ابن ماجه عن عَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ]

لأن الجالب يسر الأمور، البضاعة وجدت، فلما وجدت هبط سعرها، فعم الرخاء، وأقول لكم: التاجر المؤمن إذا قل ربحه، وانتفع الناس جميعاً ببضاعته يفرح، وغير المؤمن إذا نزل السعر يقول: تبدلت البضاعة، يجب أن نبيع كيلو المشمش بخمسين ليرة، بع بخمسة عشر، ينزعج جداً، يقول: هذا سعر رأسمالها، فلذلك المؤمن يتمنى أن ينعم الناس، وأن يعم الرخاء، ولو قل ربحه، لأنه يحب الناس، وغير المؤمن يتمنى الربح الوفير، ولو على حساب الجمع الغفير.

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))

[البخاري]

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ))

[البخاري]

لكن أحياناً بعض إخواننا الكرام يروي هذه الأحاديث للناس، يفهمها فهماً آخر، أحدهم مقيم على المعاصي، وعلى الانحرافات، كل مصروفي صار صدقة، بارك الله بك، ليس هذا، كل مصروفك صدقة إذا كنت مؤمناً مستقيماً ملتزماً، على المنهج، أما إذا كنت في تقلت، فهذا بحث ثان، وحساب آخر، ما كل حديث ينطبق على عامة الناس، هذا الكلام للمؤمن، المؤمن المستقيم، الملتزم، المطبق، المصلي، الصائم، الورع، هذا إذا قلنا له: حتى ما تنفقه على زوجتك، وحتى ما تنفقه على نفسك هو لك صدقة، هذا كلام طيب، لكن لا ينبغي للإنسان أن يظن أن هذا الكلام ينطبق على كل الناس، بيوت ليس فيها تقوى، ولا صلاح، ليس فيها ورع، متحللة، منحرفة، أساساً

أكثر النفقات للمباهاة، ولانتزاع إعجاب الآخرين، يقول لك: كسرت عينه بدعوة أو وليمة.

الحديث الذي رواه البخاري عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِيبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ))

[ البخاري ]

صار الدين كل حياتك، كل نشاطك، عملك، بيتك، مصروفك، مادام في معرفة بالله واستقامة على أمره، وتطبيق لمنهجه، لكن هنا ينشأ سؤال: هذه النية العالية من أين تأتي؟ أين تباع؟ إذا كان عندنا هذه النيات العالية صار طعامنا وشرابنا ولقاءاتنا وعملنا وكسب مالنا كلها صدقات، من أين هذه النية العالية؟ هنا المشكلة، مرة سألت إنسان طبيبياً، قال: يا طبيب علمني كيف تكتب هذه الوصفات، وجده عملاً مريحاً، خمسون زبوناً، كل واحد خمسمئة ليرة، عنده إيكو، وعنده تخطيط، خمسمئة إيكو، ومئتا ليرة تخطيط، سبعمئة معاينة، خمسون زبوناً، خمسون ألف ليرة كل يوم، قال له: علمني كيف تكتب وصفة؟ حتى يعمل مثله، فتبسم الطبيب، قال له: هذه الوصفة محصلة علمي كله، ترجع، تأخذ الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، بمجموع مرتفع، وتدخل كلية الطب خمس سنوات، تعمل بورد خمس سنوات، تؤمن ثمن عيادة، وثمان أجهزة، ثم أعلمك أن تكتب وصفة، هذه الوصفة محصلة الطب كله، والنية العالية محصلة الدين كله، يعني إيمانك بالله، إيمانك باليوم الآخر، إيمانك بأن الله كان عليكم رقيباً، إيمانك بأن الله مطلع عليك، إيمانك بعظمة الله، إيمانك بوعده، إيمانك بوعيده، إيمانك بالجنة، إيمانك بالنار، مجمل إيمانك مع مجمل إخلاصك، مع مجمل عملك يولد نية عالية، فمن السذاجة أن تقول: هذه النية العالية من أين أحضرها؟ هذه النية العالية محصلة إيمانك كله، كل إيمانك يلخص بنواياك، فلذلك مستحيل من إنسان يكون إيمانه ضعيفاً تكون له نوايا عالية، لا يستطيع، إذا دعاك رجل للطعام، إن شاء الله الطعام طيب، طمئني، أكيد طيب، يريد أن يسمع منك مديحاً، لأنه تغلب، لا شيء عنده، والله يحب أن يسمع منك مديحاً، يسمع ثناء، إذا عاون إنساناً، أنا فضلت عليك، عاونتك، يقول للناس، للأقرباء، للناس، يفضحه، النية العالية تحتاج إلى إيمان بالله حتى تعمل عملاً بصمت، تعمل عملاً من دون تلقي جزاء، تعمل عملاً، وترجو الله عز وجل، من السذاجة أن تقول: هذه النية العالية كيف أحصلها؟ هذه محصلة الإيمان كله، إذا صح إيمانك، وصحت استقامتك، وصح عملك الصالح عندئذ تصح مع كل هذه نواياك، وترتقي بها.

الحقيقة أن النية ترفع العمل إلى أعلى الدرجات، والنية السيئة تجعل من الأعمال الصالحة أعمالاً سيئة، أحياناً أعمالاً ظاهراً إنسانياً، مستشفيات خاصة، ترى الأسعار لا تحتل فرضاً، وزيادات، وتجاوزات، لم يعد عملاً إنسانياً، النية صارت واضحة، كسب المال بأسرع ما يمكن، فالنوايا المادية تقلب الأعمال الإنسانية إلى أعمال مادية، والنوايا تقلب الأعمال المادية إلى أعمال إنسانية.

إنسان ما تمكن أن يجاهد، جاء النبي عليه الصلاة والسلام ليحمله على ناقة، أو على دابة، فلم يجد النبي فتولوا، وأعينهم تفيض من الدمع، قال تعالى:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَاعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾

[سورة التوبة: 92]

كتبت لهؤلاء أجر المجاهدين، مع أنهم لم يجاهدوا، أحياناً تنوي عملاً، بعد هذا لا يقع العمل، كأنك فعلته، هذا الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزاة فقال:

((إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَقْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وادياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْغَدْرُ))

[البخاري]

وفي حديث آخر:

((إن الله تعالى يكتب للمريض أحسن ما كان يعمل في صحته مادام في وثاقه، وللمسافر أحسن ما كان يفعله في حضره))

[الطبراني في الصغير عن أبي سعيد]

مادامت النية طيبة فالمسافر منع من أعمال طيبة، من حضور مجالس علم، من أعمال صالحة، كل هذه الأعمال التي كان يفعلها في حضره تكتب له في سفره، وكذلك المريض كل أعماله الصالحة التي كان يفعلها في صحته تكتب له في مرضه، هذه النية، فإذا اتجه الإنسان إلى النية، ومحصها، ودقق، وفتش، وحاسب نفسه

حساباً عسيراً، وتأمل نفسه، ما نيتي؟ أحياناً الإنسان له نوايا مادية، فيغير كلامه تبعاً لهذه النوايا، فعليه أن يراقب نفسه، وإلا يقع في الحجاب مع الله عز وجل.

يقول عليه الصلاة والسلام:

**((من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض))**

[الحاكم في المستدرک عن أنس]

أنا أتمنى على إخواننا الكرام، وأذكر نفسي قبلهم دائماً: تأمل عملك، ماذا عندنا من حلول؟ ما هي بعض الحلول التي تؤكد للإنسان أنه مخلص، منها كتمان العمل، أما إذا ذكر الرجل العمل لإنسان يحبه ليأنس به، أو ليشجعه فلا مانع، أما إذا شعر أنه لما يذكر عمله للناس يقع في الرياء والنفاق فعليه أن يكف عن ذكر عمله، إذا أدى صلوات معينة، أنفق إنفاقاً معيناً، صار له جولات معينة، وشعر أنه كلما قالها للناس يحس بالحجاب عن الله عز وجل، معنى ذلك أنه دخل إلى نفسه العجب، أو دخله الرياء، فالعلاج الفوري أن يسكت عن ذكر هذه الأعمال لتكون خالصة لوجه الله عز وجل، إذا أنت أنفقت نفقة، وما ذكرتها لأحد، وجاءك الشيطان لا سمح الله، وقال لك: أنت منافق، معك حجة قوية، لماذا أنا منافق؟ من الذي علم بهذه الصدقة حتى أفخر أمامه؟ ما علمها إلا الله، كتمان العمل يؤكد لك أنك مخلص، غض بصرك عن محارم الله، وأنت في خلوة، أنت جالس في غرفتك، وثمة نافذة مفتوحة في البناء الثاني، وطلت امرأة، وأنت وحيد، حينما تغض بصرك عن هذه المرأة، ولا أحد يعلم ذلك في الأرض إلا الله، فهذا العمل يفسر قولاً واحداً بالإخلاص، إذاً عندك إنفاق، غض بصر، مثلاً، عمل طيب، إصلاح من دون ضجيج، من دون تبجح، من دون ذكر، من دون تردد، هذا يعينك على أن تخلص، الآن إذا عملت عملاً صالحاً، وقابلت الناس بالسوء، وتألمت ألماً شديداً جداً، فهذه علامة ضعف الإخلاص، مادمت قد فعلت هذا العمل لله، الله عز وجل اطلع عليك، وعملك عنده محفوظ، فلماذا الحزن الشديد؟ من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به، فربنا يمتحنك، ويجعل لك عملاً صالحاً، أما من تألم الرجل، بعد أن وقع عليه نقد شديد، وتبرم شديد، معنى أن هذا الإخلاص ضعيف، وإذا كمان في رضا، أو في شعور بالراحة رغم الانتقاد، معنى هذا أنك مخلص لله عز وجل، فلا تبال بكلام الناس،

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا  
و الله وإن فتتوا في حبههم كبدي

فليس لي عنهم معدل وإن عدلوا  
باق على حبههم راض بما فعلوا

ربنا عز وجل امتحنك، أراد أن يجعل من قصتك قصة بين الناس، هذه مشيئة الله عز وجل، هل الإفك قليل ؟ الإفك صبر عليه النبي صلى الله عليه و سلم، والسيدة عائشة صبرت، فأَيُّ امرأة إلى يوم القيامة يلوك الناس حديثها بأفواهها، وهي بريئة فلها في السيدة عائشة أسوة حسنة، ربنا عز وجل جعل الأنبياء يمثلون كافة النماذج البشرية، سيدنا نوح ابنه عاق، ابنه عاص، والذي عنده ولد على غير مستواه فلا يتألم كثيراً، سيدنا لوط زوجته ليست مؤمنة، فالذي عنده زوجة سيئة فله في سيدنا لوط أسوة حسنة، وإذا كانت الزوجة مؤمنة ولها زوج فاسق فاجر فلها في السيدة آسية أسوة حسنة، فرعون كان زوجها، قال تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[ سورة التحريم ]

أنبياء كانوا فقراء، أنبياء كانوا ملوكًا، أنبياء كانوا أصحاء، أنبياء مرضوا، أحياناً حتى على مستوى الصحابة، هناك صحابي غني، وصحابي فقير، وصحابي مات شاباً، وصحابي مات في سن متقدمة، فربنا جعل نماذج الأنبياء كلها أسوة حسنة لنا.

الحديث الأخير في هذا الموضوع، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))

[مسلم]

الجسم معروف، والصورة ثياب، نوع الثياب، قيمة الثياب، ألوان الثياب، ممكن أن يكون مع الصور، بيت الإنسان، مركبته، أساسه.

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))

لذلك قالوا: القلب بيت الرب، والحديث القدسي: عبدي طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظرى ساعة.

تقريباً الذي أراه النبي عليه الصلاة والسلام أن نستنبط كما يقول علماء النفس من قلوبنا، أن نستنبطها كلما تحركنا حركة، انظر إلى نفسك، قد تقول: أنا لا أعرف، أقول لك: بل تعرف، والدليل قال تعالى:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)﴾

[ سورة القيامة ]

أنت تعرف ماذا تريد من هذا العمل ؟ ما دمت تعرف فصحح، وقوم نفسك، وقوم اعوجاجك دائماً، والآية المعروفة عندكم:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾

[ سورة البينة: الآية 5 ]

العبادة ظاهرة، والإخلاص باطني، القلب مخلص، والجوارح مطيعة، هذا الدين، الإخلاص في القلب، والطاعة في الجوارح، الإنسان أحياناً لا يكفي أن يتقن الظاهر فلا بد من إتقان الباطن، أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانت علانيتهم كسرائرهم، الآن يقول لك مثلاً: فرق، وطرق، أصحاب النبي تمثلوا الإخلاص والورع، والفضائل، وحب الله عز وجل، وحب النبي عليه الصلاة والسلام من دون مصطلحات جديدة، ونحن استخدمنا مصطلحات جديدة، ومضموناً فارغاً، فالعبرة أن نكون كما كان أصحاب النبي عليهم رضوان الله، فالإنسان عليه أن يسعى لا لإصلاح ظاهره، بل إلى إصلاح ظاهره وباطنه، لأن ظاهره ينتهي عند الموت، لكن باطنه يبقى معه إلى أبد الآبدين، هذه النفس هي جوهر الإنسان، هي ذات الإنسان، وما هذا الجسد إلا ثوب خارجي يخلع عند الموت، فإذا كانت العناية كلها بالمظاهر المادية فعندنا مشكلة كبيرة، عند الموت سوف تكشف أن الذات ليس في المستوى المطلوب، أما الإنسان فعندما تكون عنايته بباطنه كظاهره، عندنا أسرار تقول: الآن المسلمون ألف مليون، وفي رقم سمعته ألف و مئة تقريباً، رقم مذهل، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

## ((وَلَا يُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]

إذا كان من المسلمين ما يزيد عن اثني عشر ألفاً فلن يغلبوا في الأرض، معنى ذلك أننا في ضعف الإخلاص،  
عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ  
يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلِكُنْكُمْ عُتَاءٌ كَعُنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيُنزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ  
الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

[أبو داود عن ثوبان]

حب الدنيا يبعدك عن الإخلاص، إذاً يمكن أن نجعل من أحاديث هذا اللقاء محوراً واحداً، هو النية الطيبة التي  
تقلب العمل المادي إلى عبادة، وأما النية الخبيثة فتقلب العمل العبادي إلى معصية، يؤكد هذا قال تعالى:

﴿قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

[سورة الماعون: 4-7]

عندنا شيء آخر، وهو أن الإنسان كلما واجه مشكلة في سيره إلى الله عز وجل، واستعصى حلها عليه يجب أن  
يسأل، لأن الله عز وجل قال:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل: 43]

أحياناً يقع الإنسان في وسواس، قال لي أخ: تأتيني أفكار مزعجة جداً، قلت له: الجواب سهل جداً، إذا كانت هذه  
الأفكار تزعجك فليست منك، بل هي من الشيطان، فاطمئن، والتي منك لا تزعجك، ترتاح لها، وتردها، وتدعو  
لها، مادمت تزعجك فليست منك، هذه قاعدة، قال لي: الآن ارتحت فعلاً، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ:

((إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْإِثْمُ ؟ قَالَ: إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعَهُ))

[أحمد]

مادام الخاطر أو الفكرة تركت فرضا النفس كبير، معنى ذلك أن الإنسان رفضها، ولكن ألقاها الشيطان في نفسه، إذا استعد بالله منه، وانتهى الأمر، كلما واجه الإنسان مشكلة في علاقته مع الله عز وجل، مشكلة في إخلاصه، مشكلة في وجهته لله عز وجل، لا يتم ساكتاً على هذه المشكلة، إذا سأل أخاه المؤمن، سأل من يثق بعلمه، سأل، واستوضح فقد يأتي السؤال مريحاً، ومسعداً، وشفافياً، والجواب غالباً آية قرآنية، أو حديث شريف صحيح بتوجيه إلهي أو نبوي.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (033 - 127) : أحاديث شريفة عن الحج

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-06-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: نحن مشرفون على عيد الضحى المبارك، أو على فريضة الحج التي يؤديها عدد كبير من المسلمين، ونرجو الله عز وجل أن يكتب لنا الحج والعمرة التامتين المقبولتين في العام القادم.

بادئ ذي بدء ؛ هناك أحاديث كثيرة عن فضل هذه الأيام العشر، و لكن نريد أن نأخذ من هذه الأحاديث الكثيرة ما كان صحيحاً ثابتاً، فمن هذه الأحاديث الشريفة ما رواه البيهقي عن النبي عليه الصلاة والسلام، طبعاً ما رواه البيهقي مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

### ((سيد الشهور رمضان، و أعظمها حرمة ذو الحجة))

تعليق صغير على موضوع: أعظمها حرمة، أي الأيام تأتي، وتذهب، من أين تكتسب قداستها ؟ من أين تكتسب حرمتها ؟ من أين تكتسب قيمتها ؟ من النجاة التي تحصل للإنسان فيها، يوم الامتحان مثلاً عند المتفوق، والناجح له بريق، يا ترى هذا اليوم من دون امتحان، من دون طلاب، من دون نجاح هل له قيمة بحد ذاته ؟ يوم كبقية الأيام، و لكن الذي يؤدي امتحاناً، و يأخذ شهادة عليا، ويتحدد مستقبله الزاهر في هذه الحياة في ضوء هذه الشهادة بسبب هذا الامتحان الذي جرى في هذا اليوم، إذأ هذا اليوم يكتسب قدسية أو قيمة، لأنه كان زمن النجاح، أي الأيام وحدها لا قيمة لها، أما ما يحدث فيها من أحداث عظيمة تكتسب قيمة، ربنا عز وجل قال في القرآن الكريم:

## ﴿وَدَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

[ سورة إبراهيم: الآية 5 ]

لا يوجد مؤمن من الإخوة المؤمنين، ومن الحاضرين إلا و له مع ربه أيام، اليوم الفلاني أنقذه من خطر كبير، اليوم الفلاني جمعه مع أهل الحق، اليوم الفلاني تجلى على قلبه، اليوم الفلاني اهتدى، اليوم الفلاني نصره الله على عدوه، اليوم الفلاني رزقه الله مولوداً مباركاً، أي ما من إنسان إلا و له مع الله أيام، هذه الأيام كغيرها من الأيام، أما كظرف زمني جرى فيه حدث مسعد، هذا الذي يعيننا من هذه الأحاديث، هو لا يوجد حدث إلا و له مكان يجري عليه، وزمان يحتويه، ولا بد لكل حدث من محدث، أركان الحدث: الفعل، والفاعل، والمفعول، والزمان، والمكان، فالزمان، قيمة الزمان من قيمة الحدث فإذا حصلت لك المعرفة بالله يوم عرفة، إذاً يوم عرفة هو أعظم الأيام في حياتك، وقد يكون هذا اليوم بالنسبة لآخرين يوماً عادياً كغيره من الأيام، إذاً ربنا عز وجل حينما جعل هذا اليوم يوم اللقاء الأكبر، يوم الوقوف، يوم المناجاة، يوم الإقبال، يوم تجليات الله على عبده، يوم المغفرة، يوم العتق من النار، إذاً قيمة هذا اليوم جاءت من الأحداث الضخمة التي جرت فيه، فمن لم تعنيه هذه الأحداث لا قيمة لهذا اليوم عنده، من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه البيهقي:

((سيد الشهور رمضان، و أعظمها حرمة ذو الحجة))

وروى الطبراني بإسناد جيد عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال:

((ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير))

إذاً قيمة هذه الأيام بقيمة المضمون والمحتوى، و في حديث آخر في الترغيب و التهيب أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ما رئي الشيطان في يوم هو أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أعظم منه يوم عرفة، و ما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة و تجاوز الله عز وجل عن الذنوب العظام))

طبعاً حينما قال الشيطان:

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)﴾

[ سورة الأعراف: الآية 16 ]

حينما يرى أن هؤلاء جميعاً قد غفر الله لهم، و قد تجلى عليهم، و أنزل عليهم سكينته، و عادوا كيوم ولدتهم أمهاتهم، و ليس لهم ثواب إلا الجنة، طبعاً الشيطان يمتلئ غيظاً و كمداً و حزناً.

و في حديث آخر عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ))

[ الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

طبعاً صيام يوم عرفة يصومه غير الحجاج ؛ و الحجاج يفطرون تقويماً على الدعاء و التلبية، إذاً على المسلم أن يصوم يوم عرفة، وإن كان هناك في بعض الآثار أن الصوم مندوب في هذه الأيام العشر كلها.

على كل الذي يعيننا من هذه الأيام العشر هو الحج الذي هو بيت الصيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أحمد، الدارمي ]

الحركة من دون إيمان لا قيمة لها، لا معنى لها، حركة الإنسان، سعيه، قبل أن يؤمن هذه الأعمال لا أجر لها، أما إذا عرف الله عز وجل حتى الحركة اليومية في عمله وفي واجباته الأسرية تحسب له عند الله أعمالاً صالحة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أحمد، الدارمي ]

أي أن تعرف الله، وأن تعرف رسوله، الله عز وجل هو الخالق، المصور، و النبي عليه الصلاة والسلام هو المبين، هو الذي أرسله للناس كافة، الآن ما معنى الحج المبرور ؟ قال بعض العلماء الحج المبرور هو الحج الذي لا يخالطه إثم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

**((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمٍ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ))**

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

قال بعض العلماء: الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راجباً في الآخرة، أي الحج إذا ما أحدث في الإنسان انعطافاً حقيقياً، إذا ما أحدث في الإنسان انقلاباً كاملاً في أفكاره في معتقداته في قيمه في مثله في نظم حياته ليس حجاً، ما معنى أن يدعوك الله عز وجل إلى بيته العتيق، وأن تدع أهلك وبيتك ومالك وأولادك، وأن تتفق المبالغ الطائلة من أجل ماذا ؟ من أجل أن يحدث لك هذا الحج ثورة بالمعنى الدقيق، أي أن تعود إنساناً آخر، فذلك: الإنسان باعتباره مادي أي من جسم من لحم ودم، فربنا عز و جل اختار الكعبة بيتاً له، وأضافها إلى ذاته، ودعانا إليه، فالدعوة إليه رحلة إلى الله عز وجل الحج:

**﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي ﴾**

[ سورة الصافات: الآية 99 ]

هناك سفر للتجارة، سفر لطلب العلم، أنواع، سفر للسياحة، أنواع منوعة من السفر، أما الحج رحلة إلى الله، الله عز وجل في كل مكان، ولكن ليبعدك عن بيتك، وعن أولادك، وعن مشاغلك، وعن ما تحب، وعن مكانتك، وعن دنياك، ليبعدك عنها قال لك: تعال إلي، وحينما تذهب إليه، و تتفق، و تتجشم المشاق، و أنت متفرغ لعبادته، الذي يحدث لك في الحج لا يمكن أن يحدث لك في بلدك، مثلاً شخص دخل للجامعة، المكتبات، المخابر، المدرسين، الدكاترة، المشرفين، الحدائق، أي كل شيء يقربك من العلم، ما يحدث لك في الجامعة غير ما يحدث لك في البيت، في البيت السرير الطعام الشراب كلها أشياء تدعو إلى الراحة، أما في الجامعة كل ما فيها يدعو إلى الدراسة.

فذلك اختار بيتاً، وأضافه إلى ذاته، ودعاك إليه كي تترك مشاغلك، دنياك، مكانتك، ما تحب أهلك، أولادك، و أن تأتيه دافعاً الثمن، متجشماً المشاق، راغباً فيه، متفرغاً له، هذا المعنى، فذلك: الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

و روي مرفوعاً بسند حسن إن بره إطعام الطعام و لين الكلام، الحج المبرور إن بره إطعام الطعام و لين الكلام.

جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال إنني ضعيف، و في رواية: وإنني جبان، صريح، مرة النبي الكريم قال: هل لأحدكم حاجة فقال له يا رسول الله إنني نؤوم، و قال له آخر إنني منافق، سيدنا عمر غضب غضباً شديداً، وهمّ بهذين، قال: دعهم يا عمر فضوح الدنيا خير من فضوح الآخرة، الذي قال: إنني نؤوم قال: يا رب اللهم أذهب عنه النوم إذا شاء، إشارة دقيقة جداً، أي إذا شاء أما إذا لم يشأ يبقى نائماً، متعلقة بالإرادة و الاختيار.

قال إنني ضعيف و إنني جبان فقال عليه الصلاة والسلام: هلم إلى جهاد لا شوكة فيه، بالمناسبة من مات، ولم يجاهد، ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلثة من النفاق، الحج جهاد، قال: يا رسول الله إنني جبان، و غني ضعيف، فقال عليه الصلاة و السلام: هلم إلى جهاد لا شوكة فيه الحج.

[ رواه الطبراني و رواه ثقة ]

إذاً الحج بشكل أو بآخر نوع من الجهاد، فيه مشقة، فيه تحمل للمتعاب، فيه إنفاق مال، فيه حر، فيه ازدحام، فيه انتظار، سبعة أيام بالمطار انتظروا الحجاج في العام الماضي، خمسة أيام، يومين، ساعات طويلة، إذاً تدريب على بذل الجهد، تدريب على الإرادة القوية، تدريب على تحمل المشاق في سبيل الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالصَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ))

[ النسائي، أحمد ]

لأنه نوع من بذل الجهد، أي أنت في النهاية يجب أن تقدم على الله عز وجل، وقد بذلت شيئاً ثميناً من أجله، فالحج يمكن أن يعد في حق هؤلاء جهاداً،

### ((جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج))

[رواه النسائي بإسناد حسن]

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفْلا نُجَاهِدُ...))

[البخاري، النسائي، ابن ماجه]

أي المرأة كالرجل تماماً، وحينما جعل الله امرأة فرعون مؤمنة لماذا جعل هذه المرأة عند فرعون ؟ هي مؤمنة، لماذا سمح الله عز وجل أن يقتل فرعون الذي ادعى الألوهية بامرأة مؤمنة ؟ ولماذا سمح الله عز وجل لنبي كريم كسيدنا لوط أن يقتل بامرأة كافرة ؟ هذا سؤال كبير، جوابه أن المرأة إنسان، وها اختيارها، و لها حرمتها، و لها مكانتها عند الله، فهذه المفارقة تؤكد أن المرأة ليست صورة طبق الأصل عن زوجها، إنها متميزة الشخصية، لها إيمانها، مرة جاءني اتصال هاتفي من امرأة يدعوها زوجها إلى أن ترافقه إلى البحر، وإلى أماكن لا ترضي الله عز وجل، وهي فيما أعلم صالحة، وهددها بالطلاق إن لم تستجب له، قلت لها: لا عليك، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما استجابت له، وما طلقها، معنى ذلك أن المرأة لها كيان مستقل، المرأة مكلفة بالإيمان كالرجل تماماً، مكلفة بالإسلام كالرجل تماماً، مساوية له في التكليف والتشريف، أي امرأة مؤمنة خير من مئة ألف كافر وهي امرأة، ورجل مؤمن خير من مئة ألف امرأة كافرة، لأن الميزان واحد، تنوع الجنس لا علاقة له بالميزان، هذا من عظمة الإسلام، والله عز وجل حينما يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة البقرة: الآية 104]

طبعاً إذا الله قال:

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

[ سورة التحريم: الآية 6 ]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾

[ سورة التحريم: الآية 8 ]

لو قلنا لامرأة: لم لم تتوبي مع أن الأمر موجه إليك؟ تقول: لا هذا الأمر موجه للرجال فقط، كلام مضحك، يا أيها الذين آمنوا في اللغة العربية أمر موجه إلى النساء والرجال معاً، لكل شخص مؤمن، ذكراً كان أو أنثى، أو على التغليب، لو دخل إلى الصف تسعة و ثلاثون طالبة، وطالب واحد، نقول: دخل الطلاب، إما على أن هذا الأمر موجه إلى كل شخص مؤمن، ذكراً كان أو أنثى، أو على التغليب، ولكن لماذا ربنا عز وجل قال في آيات أخرى:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 35 ]

ليبين أن المرأة كالرجل تماماً في التكليف وفي التشريف، أما المرأة لها طبيعة تتناسب مع وظيفتها التي أعدت لها، والرجل له طبيعة تتناسب مع طبيعته التي أعد لها.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

(( يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ قَالَ لَا لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ ))

[ البخاري، النسائي، ابن ماجه ]

والحديث الآخر المعروف عندكم قال:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله ))

أبدأ الزوجة الصالحة كالمجاهدة في سبيل الله، السبب؟ القضية قضية تكامل في الحياة، أي هذا الزوج إذا عنده زوجة صالحة مطيعة، تقوم بواجباتها خير قيام، بيتها نظيف، طبخها جيد، أولادها تربيهم تربية حسنة، مظهرهم مقبول وجيد، هذه المرأة حينما تؤدي هذه الواجبات تفرغ زوجها من هموم البيت، هذا الزوج المرتاح في بيته إذا انطلق للعمل يعطي عطاء كبيراً جداً، إذا كان شخص شاردًا في العمل، أي عنده في البيت مشكلة، أحياناً يصلي الشخص فيشرد، كلما كان هناك ضغط داخلي في البيت، يوجد مشكلة في البيت، يوجد نكد، يوجد غيظ، يوجد مشادة، يوجد بغضاء، يوجد شحناء، يوجد صراع، لا يوجد محبة، ولا وئام، ولا تسامح، ولا عطف، تجد الزوج هبط مستوى إنتاجه، إذا المرأة التي تؤدي حق زوجها، والمرأة التي تؤدي واجبها كاملاً تجاه زوجها، وتجاه أولادها، هذه ماذا تعمل؟ تجعل من زوجها بطلاً، تجعل من زوجها منتجاً، تجعل من زوجها معطاء، لأنها فرغته من هموم البيت، إذا:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله ))

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفْلا نُجَاهِدُ قَالَ لَا لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ))

[ البخاري، النسائي، ابن ماجه ]

أي المرأة إذا حجت فقد جاهدت، وإذا أحسنت واجبها تجاه زوجها فقد جاهدت، ولا تتسوا أيها الإخوة: دين الرجل صعب، تاجر عنده مشكلات، فيها شبهات، في كسب المال، بإنفاق المال، بالتعامل، بالبيع، بالشراء، يوجد تدليس، يوجد كذب، يوجد غش، يوجد بيع بسعر مرتفع، يوجد بيع إلى أجل، يوجد بيع للزمن أعطاه ثمناً، يوجد شبهات كثيرة جداً، هذا إذا دخل إلى متجره، وإذا سار في الطريق كلما رأى امرأة فلم يغض بصره عنها فقد وقع في معصية، إذا الرجل معرض إلى منزلقات كبيرة جداً، أما المرأة المؤمنة الصالحة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها، أي دين المرأة أربعة فصول، أحد هذه الفصول طاعتها

لزوجها، أحد هذه الفصول أن تحفظ نفسها عن أن يراها الأجنبي، عن أن ترضي زوجها، عن أن تتكسر في صوتها، وفي مشيتها، عن أن تغري الرجال، عن أن تظهر مفاتها، عن أن تجعل الرجال يطمعون بها، أن تحفظ نفسها ربع دينها، وأن تطيع زوجها ربع دينها، وأن تصلي خمسا ربع دينها، وأن تصوم شهرها ربع دينها، فإذا صلت خمسا، وصامت شهرها، وحفظت نفسها، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها.

أما الرجل فأربعة ضرب أربعة، ضرب أربعة، كل قضية فيها شبهة محاسب عنها، المرأة يأتي الرجل بطعام تأكله حلالاً، أما هو كيف اكتسبه بأي طريقة؟ مشروعة، غير مشروعة، كان في دخله شبهة، فيه كذب، فيه تدليس، فيه استغلال، فلذلك الرجل مسؤول على قدر مكانته، على قدر قوامته.

وروي عنها أي البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت قلت:

((يا رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم فقال لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج حج مبور فقالت عائشة فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم))

[ البخاري، النسائي، ابن ماجه ]

هذه الأحاديث كلها على أن الحج جهاد، أحاديث أخرى:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كهيئته يوم ولدته أمه))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

طبعاً يرفث كناية نبوية لطيفة عن اللقاء الزوجي، وعن مقدماته، وعن الانشغال بهذا، لكن سبحان الله! الذي حج منكم يعرف هذه الحقيقة، هذا الذي ترك بيته، وأهله، وماله، وأولاده، ودفع، وأتى ربه راغباً فيه، يصبح في الحج إنساناً آخر، وكأنه بعيد بعد الأرض عن السماء عن هذه الموضوعات، وعن هذه الأمور، طبعاً هذا شأن الحاج، وهكذا ينبغي أن يكون شأن الحاج، هذا الموضوع خارج كل اهتمامنا، خارج كل نطاق اهتمامنا فلذلك:

((مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ))

أي لم يقترب من امرأته إن كانت معه، ولم يدخل في هذا المجال، ربنا عز وجل قال:

﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا﴾

[سورة الإسراء: الآية 32]

أي النهي ليس عن الزنا بل عن مقدماته، عن التفكير في هذا الموضوع، عن النظر،

((مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ))

أي فلم يعص، أنت بالحج، سمعت عن حجاج ضعاف الخبرة والإيمان، فإذا ذهبوا إلى هناك لأنفه سبب يضطربون، ويغضبون، ويصيحون، ويشتمون، ويدفعون، ويتحدون، أنت في بلاد مقدسة، وأنت ضيف الرحمن تَحَمَّل، الحج يعلم الصبر، قال:

((رَجَعَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[رواه البخاري و مسلم]

طبعاً إذا قلنا: البخاري و مسلم معنى ذلك هذا أعلى أنواع الأحاديث، اتفق عليه الإمام البخاري و مسلم.

وعن عَمْرُو بَنِ الْعَاصِي وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ....قال:

((أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَأَلْبَابِعِكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبِضْتُ يَدِي قَالَ مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ...))

[مسلم، أحمد]

مع أن الله عز وجل لا يشارط، ولا يجرب، هذه قاعدة، الآن سأجرب سأصلي، وأدخل هل يوفقني الله ؟ لا تغلب نفسك لن يوفقك، لأن الله لا يجرب، سأدفع صدقة الله يرزقني ؟ لا تتطلق من التجريب هذا غلط، ولا من المشاركة، لكن هنا مغزى آخر ؟ قال:

((مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي))

أنا سأسلم، ولكن نريد مسامحة عن الماضي كله:

((قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ))

لو مليون صفحة كلها ذنوب بعد التوبة والإسلام أنا أسميه الصلح مع الله، صالحت الله عز وجل، عدت إليه، رجعت إليه، أنبت إليه، عاهدته، تبت إليه، قال:

((أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ))

الإسلام والهجرة والحج.

أحياناً في أثناء المحاسبة يضعون على الصفحة خطأ مائلاً، هذه ملغاة، تفتح صفحة جديدة، وتقول: أولنا من هنا، هكذا مع الله عز وجل، كتاب مليء بالذنوب ألف صفحة أخطاء وذنوب وانحرافات، وأكل مال حرام، واعتداء، وعليك قضية، يوجد قصة قلتها لكم مشهورة جداً، كنا في الحج قبل عامين، أخ حكى لنا قصة، أن رجلاً ساكناً بأطراف جدة عنده أرض بجدة لا يعرف قيمتها الحقيقية، دخل إلى أول مكتب عقاري شعروا أنه لا يعلم شيئاً، عرضوا عليه مبلغاً أربعمئة وخمسين ألف ريال، طبعاً بخسوا له فيها، ولها مشكلة، هو باعها، و سعرها حوالي مليون ونصف مليون ريال، أي أخذوها بثلاث ثمنها، أشادوا عليها بناء ضخماً من ثلاثة وعشرين طابقاً، القصة واقعية، هم ثلاثة شركاء، الشريك الأول وقع من الطابق الثالث والعشرين فوصل الأرض ميتاً، الثاني مات بحادث سيارة، الثالث شعر أن هاتين المصيبتين بسبب هذا الاغتصاب لمال صاحب هذا الأرض فبحث عنه ستة أشهر إلى أن عثر عليه، وأعطاه الفرق، قال له: هذه أرضك سعرها مليون ونصف، وأنا عليّ الثلث، وهذا الفرق، فقال له البدوي: لحقت حالك.

ففي الدنيا كل شيء يحل، يوجد لك حقوق، عليك واجبات يُحل، شيء أخذته دون ثمن، يوجد غفلة عن البائع في الجاهلية ادفع الثمن، لم تجده ادفعه صدقة، كل قضية تحل في الدنيا، فلذلك المغفرة لما بينك وبين الله، لكن لما بينك وبين العباد هذه تحتاج إلى إصلاح:

﴿ تُمْ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

﴿(119)﴾

[ سورة النحل: الآية 119 ]

تابوا وأصلحوا، معنى وأصلحوا أساساً التوبة بأدق تعاريفها علم وحال وعمل، أنت لن تتوب إلا إذا عرفت أمر الله عز وجل، هذه حلال، هذه حرام، هذه مكروه، أما إذا ما عرفت أمر الله تقيم على ألف ذنب، ولا تفكر أن تتوب منها، لماذا طلب العلم فريضة؟ كي تعرف منهج الله عز وجل، لن تتوب إلا إذا عرفت أمر الله، فقبل أن تعرف أمر الله أنى تتوب، كيف تتوب؟ التوبة تريد علماً، إذاً حضور مجالس العلم معرفة أمر الله، معرفة منهجه، معرفة حلاله، معرفة حرامه، معرفة الواجبات، معرفة الفروض، معرفة السنن، معرفة المندوبات، المكروهات، المحرمات، الحق، الباطل، الخير، الشر، الحلال، الحرام، ما ينبغي، ما لا ينبغي، الخلق، القيم، إذاً طلب العلم حتم واجب على كل مسلم، فأنت قبل أن تعرف الحق أو قبل أن تعرف الأمر لن تتوب، الآن إذا عرفت لابد من شعور هذا الشعور شعور ندم على ما فات، وإقلاع كامل في الوقت الحاضر، وعزيمة في المستقبل على ألا تعود لهذا الذنب، الشعور الحالي ثلاثة أشطار ندم، إقلاع، عزيمة، العمل إصلاح ما كان بينك وبين العباد، لذلك لما ربنا عز وجل قال:

﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾

[ سورة الأحقاف: الآية 31 ]

لماذا جاءت من؟ هذه من للتبويض، أي يغفر لكم بعض ذنوبكم التي بينكم وبين ربكم، أما التي بينكم وبين العباد هذه لن تغفر إلا أن تؤدي للعباد، لأن حقوق العباد مبنية على المشاححة، وحقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة، هذه قاعدة، لذلك ذنب لا يغفر الشرك، وذنب يغفر ما بينك وبين الله، وذنب لا يترك ما بينك وبين

العباد، إذا قال له على شرط،

((بِمَادَا؟ قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ))

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[ الترمذي، النسائي، أحمد ]

أي حجوا واعتمروا، ومعلوم أن هناك أفراداً، وهناك حج إقران، وحج تمتع، المتمتع يعتمر، ويتحلل إلى أن يأتي يوم التروية، هذا المتمتع عليه هدي، هدي ترميم، والقارن يعتمر، ويبقى محرماً إلى أيام الحج، هذا قارن هذا عليه هدي شكر، يوجد عندنا هدي جبر وهدي شكر، والمفرد يحج فقط، وبعد أن ينتهي الحج يعتمر، على كل النبي الكريم قال:

((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ...))

يبدو أن نفقة الحج معوضة من قبل الله عز وجل، ولها أجر كبير قال:

((فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

هذه زمرة أخرى من الأحاديث أن الحجاج مغفور لهم، الزمرة الأولى الحج جهاد، الآن الزمرة الثالثة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((الْحَجَّاجُ وَالْعَمَّارُ وَفَدَى اللَّهُ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَعْفَرُوهُ عَفَّرَ لَهُمْ))

[ النسائي، ابن ماجه ]

بكل المؤتمرات يوجد وفود، كل وفد يضع على صدره اسمه واسم دولته، وله مرافق، وله سيارة، وله ترتيبات معينة، وكل وفد يكتسب قيمته بحسب مكانة دولته، دولة عظمى وفدها معزز مكرم، دولة صغيرة متخلفة لها ترتيب ثان، فكل دولة لها معاملة بحسب مكانتها، قيمة الدولة تنسحب إلى سفيرها وإلى رئيس وفده، فلذلك قال النبي الكريم:

### ((الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفَدُ اللَّهِ))

والذي يجرح القلب، ويؤلم أشد الألم أن ترى حاجاً، وهو في الإسلام وفد الله مستواه يهبط إلى أقل من مستوى الإنسان العادي أحياناً، لا يوجد عنده نظام، هذه الطائرة فيها مئتان وخمسون راكباً، تجد الازدحام على مدرجها، لا يمكن ألا يكون لك محل في الطائرة، مئتان وخمسون راكباً على مئتين وخمسين مقعداً، وأنت وفد الله عز وجل، فهذه المزاحمة والمعركة، أنا أذكر أنه في الحج الأول بقيت عشرة أيام بعد انتهاء الحج في مكة، وتمنيت على الله أن أتمكن من تقبيل الحجر الأسود، اخترت أولاً بعد الحج أكثر الحجاج توجهوا إلى بلادهم، إن كانوا قد زاروا النبي الكريم، أو توجهوا إلى المدينة المنورة، فمكة المكرمة بعد الحج تكاد تفرغ من الحجاج، كنت أرى في الحرم المكي الأروقة كلها فارغة الكل متجهون إلى غير المطار، فاخترت أحد الأيام الساعة الثالثة إلا ربعاً قبيل العصر، الحر ست وخمسون درجة، قلت: هذا الوقت أنسب وقت لتقبيل الحجر الأسود، وصلت إليه لا يوجد غير خمسين حاجاً، والله الذي لا إله إلا هو لو وقفوا وراء بعضهم لقبولهم جميعاً في عشر دقائق، أما من أجل أن تقبل الحجر كأنك داخل إلى معصرة وغسالة، تخرج مصفحاً، هؤلاء المسلمون يريدون أن يفتحوا العالم؟ أين النظام، هذه عبادة، ألا ينبغي أن يقفوا وراء بعضهم بعضاً؟ ألا ينبغي أن يتأدبوا مع هذا المنسك العظيم؟ فلذلك الشيء المؤلم أن هذا الحاج وفد الله، ومع ذلك كنت أشبه للتقريب أنه أب حوله عشرة أولاد، فجاء أحد أولاده فمسك أول أخ ضربه على رأسه وأبعده، والثاني رفسه، والثالث نعره، ثم يريد أن يقبل يد والده، أبوك غضب عليك على هذه التصرفات، أنت قادم الحجر الأسود يمين الله في أرضه، أنت جئت إلى هذا الحجر لتقبله، وكأنك تقاوض كف الرحمن، كأنك تعاهد الله عز وجل على التوبة النصوح، أيعقل وأنت في هذا المنسك العظيم أن تتراحم، وأن تدفع؟ يوجد يد كالمهدة يضعها على كتفك تحس وكأن كتفك قد هدّ، أين آداب الحج؟ أين الرقة؟ أين اللطف؟ أين الشعور بقيمة الآخرين؟ فهذا وفد الله، أحياناً تجد حاجاً يخالف النظام بالمطار يسمع كلاماً

قاسياً، أنت حاج، أنت تمثل الدين، موظفو المطار عندما يرون الحجاج يخالفون النظام يتكلمون كلمات قاسية، أحياناً يدفعونهم دفعاً، أحياناً بالسياط، هكذا وفد الله يكون ؟ دائماً وأبداً تذكر أنك تمثل هذا الدين، دائماً وأبداً تذكر أنك تمثل هذا الشرع العظيم، أنت وفد الله، الوفود الرسمية تجد لباسه له ترتيب، يجب أن تصبح هذه المنشقة سوداء ؟ حاج، الحاج نظيف أيضاً، هل يجب أن ينام هو و زوجته بالشارع ؟ بالليل تتكشف زوجته، أنا أرى أن شخصاً ليس معه ثمن الإقامة في بيت في مكة أو في المدينة ليس مستطيعاً، أما التكفف، وذهب من دون نفقة، أو بنفقة قليلة جداً دون الحد المطلوب، تجعل حالك في موضع ازدراء، أنت وأهلك تنامون في العراء، هذا كلام مرفوض إطلاقاً، إذا كنت لا تملك نقوداً مهما تكن الغرفة خشنة، مهما تكن بعيدة عن الحرم فلا بد من أن تقيم في بيت لرفع شأن الدين، وأنا والله لو كان الأمر إلي لا أسمح لحاج أن ينام في الطريق لتعظيم هؤلاء الحجاج، هم وفد الله، هل سمعتم وفداً ينام في الطريق ؟ ليس وارداً هذا إطلاقاً أن ينام وفد مؤتمر في الطريق مثلاً، لا يمكن هذا، فنادق مؤمنة، وفد الله، طبعاً:

### ((الْحُجَّاجُ وَالْعَمَّارُ وَفُدُّ اللَّهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ))

لك دعوة عند الله عز وجل انتبه، الدعاء مخ العبادة، تخاطب خالق الكون، أنت بالحج تخاطب خالق الكون و لك عنده دعاء مستجاب فلا يوجد مانع أنت تعمل قائمة، كن طامعاً الله عز وجل إذا طمعت فيما عنده أحبك عكس الناس، الناس مادام مجاملات وسلام وكلام يحبك جداً، متى كان هناك طمع تجده ابتعدت عنه أنت، ازهد فيما عند الناس يحبك الناس، ارجب فيما عند الله يحبك الله، الله عز وجل عكس الناس، إذا الناس طمعت بمالهم يكرهونك، أما ربنا عز وجل إذا طمعت بفضلته يحبك أكثر، فمادام قد حججت وأنت ذاهب إلى الحج فخذ قائمة مطالب، عندما كلم سيدنا موسى ربه قال له:

### ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) ﴾

[ سورة طه: الآية 17 ]

مناسبة لا تقوت قال له:

﴿ قَالَ هِيَ عَصَاي ﴾

[ سورة طه: الآية 18 ]

الله يعلم أنه يتوكأ عليها، هو يخاطب ربه استغل هذه الفرصة:

﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴾

[ سورة طه: الآية 18 ]

استحيا لأنه أطال فقال:

﴿ وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى (18) ﴾

[ سورة طه: الآية 18 ]

فإذا كان موسى يرغب أن يكمل فيقول له: يا موسى ما هذه المآرب؟ سينكرها، هذه فرصة لا تعوض، وأنت جالس بمكة، لك عنده دعوة مستجابة اطلب منه أن يهديك إلى سواء السبيل، اطلب منه أن ينور قلبك بنوره، اطلب منه أن يوفقك لعمل صالح يرضى عنك فيه، اطلب منه أن تكون مستقيماً على أمره تماماً، اطلب منه أصهاراً أطهاراً، اطلب منه هداية أولادك، اطلب منه هداية زوجتك، اطلب منه أن يكون لك رزق وفير تتفق منه على الفقراء والمساكين،

((الْحَجَّاجُ وَالْعَمَّارُ وَقَدْ لَبَّيْكَ اللَّهُ إِنَّ دَعْوَهُ أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَعْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ))

[رواه النسائي و ابن ماجه و ابن خزيمة و ابن حبان في صحيحهما]

الزمره الرابعه من الأحاديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((قَالَ الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد، مالك، الدارمي ]

طبعاً قد نقول: الحج مرة في العمر، طبعاً هذا المفروض، لكن ورد في بعض الأحاديث القدسية:

((إذا أصححت لعبدي جسمه . صحة طيبة . وأوسعت عليه في المعيشة . و الدخل وفير . و مضت عليه خمسة أعوام لم يفد إلي لمحروم))

معناها حججت، ولكن حجك له مستوى، يوجد حج بمستوى أرقى، فكلما تابعت بين الحج والعمرة ارتقى مستوى حجك، إلا أنه عندما الإنسان عليه واجبات مهمة جداً، ويؤثر عليها حج النفل، هذا مؤاخذ، إذا ابنه بحاجة ماسة إلى الزواج هو حج الفرض، الأولى أن يؤدي ما عليه من واجبات، قبل أن يؤدي ما عليه من نوافل، إذا:

((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ))

وروى ابن جريج بإسناد حسن عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

((هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله))

إذا سافر شخص ومعه إذن سفر من جهة رسمية، وحدث له شيء على الطريق يأخذ تعويضات كاملة، وقد يعطى معاشاً تقاعدياً كاملاً من دون أن يحسم منه شيء، هذا إنسان يعمل، فكيف بخالق الأكوان ؟ أنت في الحج مضمون على الله.

حدثني طبيب قلب قال لي: لا يوجد مريض من مرضاي بمرض القلب استفتاني في الذهاب إلى الحج إلا وأنا أفتي له أن يذهب، أي أنصح به بأن يذهب، وما أذكر أن واحداً منهم أصابته نوبة في الحج، لأن الله عز وجل هو الضامن، هو ضيف، و الضيف محفوظ محفوظ، ميجل، مكرم:

((هذا البيت دعامة الإسلام، فمن خرج يوم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة))

لفت نظري بمنى سيارة كبيرة جداً، فيها براد مكتوب عليه: براد الموتى، فكلمنا توفي حاج وضعوه فيها، ثم إلى البقيع ليدفنوه، حسب الحديث إلى الجنة أليس كذلك؟ أي إذا ذهب شخص إلى بيت الله الحرام لا يبتغي إلا مرضاة الله عز وجل، ووافته المنية هناك:

((كان مضموناً على الله إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده لأهله رده بأجر و غنيمة ))

الآن فضل النفقة في الحج:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ ))

[ أحمد ]

كلما رأيت سلعة معك آلة حاسبة، ضرب اثنتي عشرة، والله غالية، أنت هذه النفقة في سبيل الله، أحد عشر ألف ريال طلبوها أجرة الغرفة، هذه نفقة في سبيل الله، هذه كلها معوضة، لا تعد نفقة الحج نفقات عادية، مصروف بيتك؟ لا هذا شيء ثان، رسوم دخول، رسوم خروج، الطائرة اثني عشر ألفاً، الغرفة اثني عشر ألف ريال لخمسة أيام، زجاجة ماء سعرها خمسا وعشرين ليرة، شربناها مرة واحدة، هكذا قال عليه الصلاة والسلام:

((النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ ))

لا تضربها باثني عشر، اضربها بسبعمئة، لأن عند الله عز وجل يوجد أسعار غالية جداً،

هذا لحديث رواه الإمام أحمد في مسنده، و إسناده حسن.

الآن الحج يجب مرة واحدة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذُرُونِي مَا تَرَكْتُمْ فَاِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

إذا كان الله عز وجل أعطاه أمراً مطلقاً السؤال يطيب، ذروني ما تركتكم، أي الذي سكت عنه الشرع هناك حكمة عظيمة في الذي سكت عنه، لا تقل عن الحكمة التي ذكر فيها الشرع شيئاً، فالمسكوت عنه لحكمة بالغة، و الذي ذكره فيه حكمة بالغة.

مرة سيدنا عمر كان مع أصحابه في مكان، وأرادوا الوضوء، رأوا بركة ماء، يوجد رجل قريب من البركة قال له بعض أصحابه: يا صاحب البركة هذه البركة تردّها السباع ؟ قال له: يا صاحب البركة لا تخبرنا، أي لا تقيد نفسك، يوجد ماء صاف لا لون له، ولا طعم، ولا رائحة، أغلب الظن ماء طاهر، أما كل قضية أي يوجد أشخاص عندهم مرض الوسواس، هذا مرض، نحن درسنا بالجامعة ثلاثمئة مرض نفسي، من هذه الأمراض مرض اسمه الوسواس المتسلطة، تجده يعيد وضوءه خمسين مرة، يجلس بالحمام ثلاث ساعات، بقضاء الحاجة ساعتين، هذا مرض، أو أحياناً يقع بوسواس من أنواع أخرى، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ذُرُونِي مَا تَرَكْتُمْ))

أي مادام أنا سكت فاسكتوا أنتم، إن الله أمر بأشياء، وسكت عن أشياء، الذي أمر نفذ، الذي نهى انتهى، الذي سكت كن ساكناً، مادام الله سكت فافضل ساكناً، قال:

((ذُرُونِي مَا تَرَكْتُمْ فَاِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))

لا يوجد في المنهيات حل وسط، في الأمور التي أمر الله بالتصدق، يوجد حل وسط، هذا أنفق ألفاً، هذا ألفين، هذا خمسة، هذا عشرة، الإنفاق بقدر استطاعتك، أما في المنهيات فلا يوجد حل وسط، أنت عندك مستودع الوقود السائل، ملأت نصفه حسب إمكانياتك، ملأت ربعه، ملأته كله، يوجد ثقب، أخي لا بأس، لا تدقق، تريد أن تملأه يذهبوا جميعاً، لا يوجد نصف محكم بالمستودع، إما محكم، أو غير محكم، إذا كان غير محكم فأى شيء تصبه فيه خرج منه.

في الاستقامة لا يوجد حل وسط، أما في الأعمال الصالحة فيوجد حل وسط قدر استطاعتك، بحسب رغبتك، بحسب صدقك، بحسب استعدادك، بحسب مكانتك، بحسب مالك، لكن بالمعاصي أخي أنا أترك المعاصي باعتدال، لا يوجد حل وسط، هذا مثل المستودع دعه ببالك، يمكن أن تملأ منه قدر ما تريد، أما إذا لم يكن محكماً فلا خيار لك فيه، إما أنه محكم أو غير محكم،

((فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))

[رواه البخاري و مسلم ]

الآن وجوب الحج على الفور أو على التراخي:

ذهب الشافعي والثوري والأوزاعي ومحمد إلى أن الحج واجب على التراخي، فيؤدى في أي وقت من العمر، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل الوفاة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخر الحج إلى سنة عشر للهجرة، وكان معه أزواجه، وكثير من أصحابه، مع أن إيجابه كان سنة ست للهجرة، فلو كان واجباً على الفور لما أخره صلى الله عليه وسلم، هذا رأي الإمام الشافعي والثوري والأوزاعي، أما أبو حنيفة ومالك وأحمد وبعض أصحاب الشافعي وأبو يوسف فذهبوا إلى أن الحج واجب على الفور، إذا ما الأدلة؟ هنا دليل آخر لحديث ابن عباس: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الْفَضْلِ أَوْ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخِرِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتَضِلُّ الصَّالَةُ وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ))

[ أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

الآن يوجد سبب رابع: العام الماضي سمحوا للذي عمره ستون عاماً، هذه السنة كم ؟ خمسون، القضية الآن ليست بيدنا، ليست القضية إذا نويت الحج الطريق سالك، يوجد منع، ستون سنة، خمسون سنة، أربعون سنة، يوجد شروط، يوجد قرعة، يوجد خمس سنوات، فكلما تقدم أصبح هناك قيود لم تكن من قبل، إذاً:

((مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ))

وحديث آخر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ يَغْنِي الْفَرِيضَةَ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَغْرِضُ لَهُ))

[ أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

إذاً الحج الأولى أن يكون على الفور لأنه قد يعرض للإنسان حاجة تمنعه من الحج.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (034 - 127) : أربع من كن فيه كان منافقاً

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-09-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وازدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول ويتبعون أحسنه، وأدخِلنا في رحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون:

في هذه الليلة ذكرى ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام، ودرسنا كلها حديثاً عن علمه، وعن شمائله، وعن أخلاقه، فحينما نعطي شيئاً من حديث رسول الله ﷺ فنحن ننسجم مع هذه الليلة المباركة التي ولد فيها النبي عليه الصلاة والسلام.

فقد روى ابن ماجه عن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال عليه الصلاة والسلام:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

الحقيقة كلمة زهد يعني الإنسان قبل أن يتعمق في أبعادها يتوهم أنه حرمان، يعني الذي يزهد إنسان غير طموح، الزاهد إنسان قنوع باليسير، بيته خشن، طعامه خشن، لباسه خشن حياته محدودة، كلمة زهد لا توجي للإنسان بشيء فيه بريق، مع أنكم إذا دققتم، وإذا تعمقتهم، وإذا تأملتم وجدتم أن أشد الناس طموحاً هو الزاهد، لماذا؟ لأن الزاهد يزهد في حياة محدودة، ربنا عز وجل قال:

## ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾

[ سورة النحل الآية: 96 ]

يعني إذا الإنسان طمع في الآخرة، وزهد في الدنيا، أنا أقول لكم: هو من أشد الناس طموحاً، من أشدهم تعلقاً بالخير، من أشدهم اتساعاً في الأفق، من أشدهم رغبةً في المزيد، من أكثرهم سعياً وراء صالحه البعيد لا القريب، فلا يحملنكم ما يفهمه الناس، أو ما يفهمه عامة الناس من كلمة الزهد، من أنها تعني الحرمان، وتعني الخشونة، وتعني ضيق الأفق، وتهني القناعة بالشيء اليسير، لا، أشد الناس طموحاً هم الزهاد، يعني زهد في الشيء التافه، والشيء الفاني وطمع في الباقي.

لو فرضنا إنسان يعني بالغ في رفاهيته في الدنيا على حساب عمله الصالح، كلما جمعه في الدنيا، ووظفه لرفاهيته، تأتي ساعة واحدة يغادر الدنيا كلها، يقدم على حياةٍ أبديةٍ طويلةٍ طويلة، وليس معه لهذه الحياة الطويلة نقدٌ صالحٌ لها، وأما الحياة القصيرة فقد استهلكها استهلاكاً رخيصاً.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يعني هذا الرجل سهل ابن سعد الساعدي قال: يا رسول الله، دلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله، وأحبنى الناس، فقال:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

جواب الطلب، الفعل المضعف إذا جاء مبنياً على السكون يبنى على الفتح في محل جزم دائماً:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

الحقيقة الزهد في الدنيا عقل، الزهد في الدنيا رؤية صحيحة، الزهد في الدنيا معرفة ما عند الله، من عرف ما عند الله زهد فيما في الدنيا، من عرف الله زهد فيما سواه من رأى الحياة الأبدية صغرت في عينه الحياة الفانية، من رأى الخير العميم في الدار الآخرة رأى المتعة الرخيصة الآنية في الدنيا:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

أنا أقول لكم كلام إن شاء الله يعني أعني ما أقول الزهد في الدنيا مستحيل، طيب كيف يأمرنا النبي ﷺ أن نزهد في الدنيا وهذا شيء مستحيل؟ يعني انظروا الطفل الصغير إذا تعلق في شيء تشبث به، أمسكه في كل قوته، لا يمكن أن يفلت يده إلا إذا أعطيته شيئاً أثنى منه تركه، وهذه النفس البشرية، إن لم ترى شيئاً أثنى من الدنيا لا تدع الدنيا، والله كلما زاد به العمر زاد تعلقه بها، واشتد حرصه عليها، إلى أن يرى أن ما عند الله أفضل:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

[ سورة الضحى ]

إلى أن يوقن:

﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾

[ سورة الضحى ]

إلى أن يتأكد أنه من أثر آخرته على دنياه ربحهما معاً، إلى أن يوقن أن ما عند الله

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

[ سورة الأعلى ]

والدنيا أقل وأشقى، إذاً إذا قال لك النبي عليه الصلاة والسلام فيما يرويهِ عن ربه:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله ))

يعني يا عبدي تعرف عليّ، اعرفني، اعرف ما عندي من إكرام، تيقن بالآخرة عندئذ تدع الدنيا بلا جهد، بلا مشادة، بلا مكابرة، بلا تعب، بلا أخذ و رد:

(( وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

يعني الآن علاقاتك مع الناس متى تتجح؟ إذا زهدت في ما في أيديهم، ما دمت طامعاً فيما عندهم فهم يتوجسون منك، يحسبون لك ألف حساب، يتجافون عنك، أما إذا أردت أن يحبك الناس، وأن يكثرُوا من اتصالهم بك فازهد فيما في أيديهم، كلام النبي عليه الصلاة والسلام، كلام جامع مانع، كلام بليغ، كلام فيه كما قال عن نفسه:

### (( أوتيت جوامع الكلم ))

[أخرجه أبو يعلى عن عمر بن الخطاب]

### (( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

مرة سُئل الحسن البصري، وأنا اخترت لكم هذا التابعي الجليل، اخترته لكم في هذا الدرس ليكون هذا التابعي الجليل، يعني سيرته تطبيق عملي لهذا الحديث، الحقيقة قلت مرة في خطبة، أن الإنسان إذا تحدث عن المثل العليا يتهمة الناس بأنه خيالي حالم، يتكلم عن أشياء غير واقعية، أما إذا تحدث عن الدنيا فهي كالحول تماماً، ألا ينبغي أن تكون هناك مثل واقعية، أو واقع مثالي، ألا ينبغي أن نشد الواقع إلى المثل، وأن نجر المثل إلى الواقع، ألا ينبغي أن يكون هذا الإسلام قابلاً للتطبيق، ما قيمة هذا الدين إذا بقي بين دفتي الكتب؟ ما قيمة هذا الدين إذا بقي حبراً على ورق؟ قيمة هذا الدين إذا أصبح متداولاً، إذا أصبح متداولاً، إذا أصبح حياةً نعيشها، واقعاً نلمسه، تجربةً طيبةً نعيشها، إذاً:

### (( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

حديثٌ على نفس الشاكلة، أو على الشاكلة نفسها، عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله أوصيني، يعني أنا أخاف أو أخوف ما أخاف أن تقهوما هذا التوجه النبوي في الزهد في الدنيا، والتعلق في الآخرة أو في الزهد فيما أيدي الناس، أن يفهم هذا التوجيه النبوي على غير ما أر النبي، يعني النبي عليه الصلاة والسلام أرادك أن تكون مؤمناً متفوقاً، لأن التفوق في الدنيا سر النجاح فيها، وسر نيل الآخرة منها، يعني الدنيا مطية الآخرة، ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه، إلا أن يتزود منهما معاً، فإن الأولى مطية للثانية، فالحديث الثاني يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما  
تعتذر منه ))

[أخرجه الحاكم عن سعد بن أبي وقاص،]

كثير من السهل جداً أن نقرأ هذين الحديثين، وهذان الحديثان واضحا وضوح الشمس، بل إنهما لا يحتاجان إلى تفسير، الكلام الواضح لا يحتاج إلى تفسير، ولكن نريد أن نعمق فهمنا لهما، كما قلت قبل قليل: لن تدع الدنيا، لن تفرط بها، لن تستغني عنها، لن تجعلها وراء ظهرك، لن تجعلها هامش حياتك، إلا إذا رأيت ما هو أثن منها، لن تدع هذه الأكلة إلا لأكلة أطيب، لن تدع هذا البيت إلا لبيت أكبر، لن تدع هذه المركبة إلا لمركبة أفخم، هذه طبيعة النفس، فأنت متى تزهد في الدنيا؟ إذا عرفت طرفاً من جلال الله عز وجل، إذا عرفت الآخرة إذا عرفت إكرام الله عز وجل، إذا عرفت ما ينتظرك في الجنة، إذا عرفت أن هذه الدنيا محدودة وأن الآخرة غير محدودة.

يعني كلكم يعلم أن الإنسان في بطن أمه يعيش في رحم حجمه لا يزيد عن سبع مئة وخمسين سنتي متر مكعب بالضبط، إذا خرج إلى الدنيا، وأصبح من أولي الحول والطود أو من أولي المال، من أصحاب المال، يقول لك: سافرت لكندا، ثمانية عشر ساعة طيران هذه الطائرة كم قطعت إلى كندا؟ عشرين ألف كيلو متر بثمانية عشر ساعة طيران، معنى هذا أن الجنين كان في الرحم في حجم لا يزيد عن سلة تقريباً أو أقل، فإذا به يطير إلى أقاصي الدنيا، إلى شرقها وإلى غربها، والذين وصلوا إلى القمر، كم قطعوا؟ إذا كان ذهب إلى كندا ثمانية عشر ساعة طيران، الذين وصلوا إلى القمر قطعوا ما يزيد عن ثلاث مئة وستين ألف كيلو متر، وركبوا مركبةً سرعتها أربعين ألف كيلو متر بالساعة، طيب وازن بين الرحم الصغير وبين هذه المسافات الشاسعة التي قطعها رواد الفضاء، أو قطعها أصحاب المال والسلطان في رحلاتهم الطويلة حول العالم، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال:

(( المؤمن يخرج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ))

كما يخرج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا، فإذا عرفت ما عند الله عرفت الجنة، لا نغص، لا تعب، لا هم، لا حزن، لا منافسة، لا مرض، لا كبر، لا قلق، لا يوجد ولد مزعج لوالده، لا يوجد زوجة مزعجة، لا يوجد مقلقات، لا يوجد شيء يقهرك:

### ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

[ سورة ق ]

إذا أنا أدعوكم بشكل واقعي، أن أقول لك: دع الدنيا كلام لست واقعي، تزداد عليها تشبثاً، إلا انظر الطفل، ممسك باللعبة، أيام الطفل الصغير تحاول أن تفتح أصابعه لا تقدر، يقول لك: عصبه قوي، أيام الطفل الصغير يكون ممسك بلعبة بكلتا يديه، إذا رأى شيئاً أثن منها تركها، هكذا طبيعة الناس، فأنت لن تدع الدنيا إلا إلى ما هو خيرٌ منها، الدنيا معروفة بطعامها وشرابها، ونسائها، ونزهاتها، وبيوتها، ومركباتها، وما فيها من وجهة، ومن ملذاتٍ، ومتعٍ وما إلى ذلك.

أنا أقول للإخوة الكرام، ذقت هذه وذقت هذه، ذق مرة طعم القرب من الله عز وجل، خض هذه التجربة بالتعبير الجديد، خض هذه التجربة، اقتحم هذا المجال، ذق طعم الإقبال، يعني اجعل حياتك منوعة، فإذا عرفت ما عند المؤمنين من سعادة عذرتهم، كما قال الإمام البورصيري:

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم  
يا لائمي في الهوى العذريّ معذرةً كُف الملام فلو أنصفت لم تلمن

\* \* \*

لو ذقت ما ذاق المؤمن ما لمته على انصرافه إلى الله والدار الآخرة.

إذاً حقيقة الزهد أن ترى ما عند الله، حقيقة الزهد أن تذوق طعم القرب، حقيقة الزهد أن تشعر بسكينة الإيمان، كما قال أحد العلماء: بالنفس يوجد فراغ لا يملؤه لو قرأت كتب الثقلين لو حصلت أعلى الشهادات في فراغ، أصبحت أديب كبير، شاعر كبير، صحفي كبير مثلاً، تحمل أعلى شهادة في العالم، في فراغ لا يملؤه إلا الإيمان، في وحشة، لو عشت بين ألف إنسان، وحولك المئات يأترون بأمرك، هناك وحشة، يعني دائماً أنت في وحشة، إلا إذا آمنت بالله عز وجل، الإيمان بالله يذهب عنك الوحشة، أنت في ضيق لا يفرجه إلا معرفة الله،

هذه الفطرة، إذًا:

(( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

ويا رسول الله أوصني، قال:

(( عليك بالإيأس مما في أيدي الناس وإيالك والطمع فإنه الفقر الحاضر ))

طبعاً أنت من خوف الفقر في فقرٍ، ومن خوف المرض في مرضٍ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، الحالة النفسية مهمة جداً، أيام الإنسان يكون محاط بكل وسائل التعظيم، بكل وسائل الرفاه، بكل وسائل البذخ، لكن من الداخل شقي، من الداخل منهار، من الداخل يحتقر ذاته، الازدواجية، المواقف غير الواضحة، المترددة، المواقف التي لها سمعة طيبة أمام الناس، والمواقف المخزية فيما بينك وبين نفسك، هذا يسبب انهيار للنفس، وأحياناً ترى إنساناً يعيش حياةً خشنَةً جداً، ومع ذلك يشعر باحترام للذاته، صادق مع ربه، واضح نقي.

على كلٍ عندنا إن شاء الله بعد قليل تطبيق عملي لهذين الحديثين الشريفين، أنا دائماً أحب، الأحاديث والآيات تصف نماذج من المؤمنين، ولكن إن لم تروا في حياتكم، أو في تاريخنا، إن لم نر نماذج حقيقية واقعية منتزعة من التاريخ، هذه المعلومات تغدو أقل قيمةً مما لو جاء من يدعمها بالتطبيق:

(( عليك بالإيأس مما في أيدي الناس ))

يعني شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس، والقول المعروف عندكم: احتج إلى الرجل تكن أسيره، واستغني عنه تكن نظيره، وأحسن إليه تكن أميره.

(( ومن جلس إلى غني فتضع له ذهب ثلثا دينه ))

قولاً واحداً، وابتغوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير:

(( وإيالك والطمع فإنه الفقر الحاضر ))

الفقر يعني حالة، تأتي ببعض الأمثلة، لو في واحد في بجيبه ليرة واحدة، لكن له أب لو طلب منه الملايين لأعطاه إياها، وإنسان آخر في بجيبه مئة ليرة، لكن لا يملك إلا هذه المئة ليرة إطلاقاً، أيهما يشعر بالفقر صاحب الليرة، أم صاحب المئة ليرة؟ صاحب المئة ليرة هو الفقير، أما صاحب الليرة صحيح في جيبه ليرة واحدة، ولكن أبوه لو طلب منه الملايين لنقدها إياه، إذاً الغنى شعور داخلي، الغنى ليس موضوع عدد مقدار المبلغ، لا، الغنى شعور أنك عبد لله، وريك هو الغني، وهو يحبك وأنت في طاعته، نعطي مفهومات دقيقة، مفهوم الزهد، كلام الزهد كلام من دون أن ترى ما عند الله كلام فارغ، إذا قلت لك ازهد، يعني انظر ما عند الله انظر إلى الدار الآخرة، عندئذٍ تدع الدنيا، من عرف الله زهد فيما سواه، من عرف الآخرة زهد في الدنيا، من ذاق طعم القرب زهد بالطعوم الأخرى كلها.

المفهوم الثاني: الفقر شعور نفسي يعني أحياناً تكون أنت في مركز المدينة وليس معك مال إطلاقاً يعني لسبب أو لآخر، ونفسك عزيزة، يعن يكبر عليك تقف أمام صديق تقول له: والله أريد منك خمس ليرات أركب بهن في التوكسي أو السرفيس، كبرت نفسك، تحس بالحرمان، بيتك بطرف المدينة، ويحتاج أن تسير إليه ساعة أو أكثر مثلاً، في حالات نادرة يكون إنسان أعطاك دفعة كبيرة، لكن نسيتها، لم تيرمجها في ذهنك، بجيبك محفوظة، تخرج طول الطريق مشياً، وتشعر بالحرمان، وليس معك مال، ونفسك عزيزة، ولم تسأل من أحد وفي مال بجيبك، إذاً الفقر شعور داخلي، وليس شعور خارجي، شعور نفسي، أنت معك ألف أعطوك، أعطوك الألف، لم تدخلهم في برنامجك الذهني، متوهم ليس معك مال.

ولو فرضنا إنسان مثل أوضح من هذا، ارتدى معطف، أو ثيابه فيها مبلغ من المال، لكن هو غافل عنه، وهو يعلم ليس معه مبلغ من المال، يشعر بالحرمان والمبلغ بجيبه يعود للمثل، معك ليرة، ولك أب يعطيك ما شئت، معك ألف ليرة، ولا تملك غيرها، أيهما يحس بالفقر، صاحب الألف ليرة، لأنه لا يملك غيرها.

فالإنسان الغني البعيد عن الله عز وجل يعني دائماً في قلق، أما المؤمن الفقير يشعر أن الله عز وجل لا ينساه، هو في عين الله، في رعايته، له رب لا ينساه، هو سعى بكل طاقته، لذلك معنى الزهد، الزهد نتيجة حتمية لرؤية ما عند الله عز وجل، والفقر شعور، قد تجد أغنى الأغنياء يشعر بأنه فقير، وقد تجد فقيراً فعلاً يشعر بأنه غني،

## (( الغنى غنى النفس ))

[أخرجه ابن حبان عن أبو هريرة]

هكذا قال النبي:

## (( الغنى غنى النفس ))

والغنى والفقر بعد العرض على الله، إذاً:

## (( وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ))

يعني واحد عاش حياة، إحدى زوجاته طالبت بميراثها منه سبع مئة مليون، إحدى زوجاته بدعوى، طيب كم هو يملك من المال؟ مال لم يكن غنياً، جمع لغيره، أما الذي يغتني بمعرفة الله عز وجل يغتني بالعلم، يغتني بأنه على منهج الله، يغتني بمرضاة الله، يغتني بأن الله يحبه، يغتني بأن له في الآخرة نصيب، هذا هو الغنى:

## (( وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه ))

إذا الإنسان صلى، انظر إذا واحد لا سمح الله ولا قدر شعر بمرض، لكن مرض خطير يقربه من الدار الآخرة، كيف يصلي؟ يتقن صلاته، يغمض عينيه، يشعر أن له بقي صلوات لعل الله يرحمه، النبي الكريم علمنا أن نصلي صلاة مودع:

## (( وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه ))

يعني من هذين الحديثين يجب أن يتضح لدينا مفهومان، مفهوم الزهد، يجب أن تعلم أيها الأخ الكريم أن الزاهد هكذا، هو أشد الناس طموحاً، الزاهد هو أوسع الناس أفقاً الزاهد هو أكثر الناس تعلقاً بمصلحته الآجلة لا العاجلة، والزهد كلامٌ بكلام إن لم يكن نتيجةً طبيعيةً لرؤية ما عند الله عز وجل، رؤية عظمة الله عز وجل، رؤية فضل الله عز وجل رؤية إكرام الله عز وجل، رؤية ما ينتظر المؤمن من ثوابٍ كبير، رؤية ردية الآخرة ومحدودية الدنيا، هذا هو الزهد، والفقر شعور داخلي.

لذلك قالوا: إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يدك.

والآن ننتقل إلى التابعي الجليل الحسن البصري، الحسن البصري أقام بالبصرة هو الحسن ابن يسار، لكنه أقام بالبصرة، فعُرف بهذه المدينة التي أقام فيها، فسمي الحسن البصري، البصرة يوم كان فيها الحسن البصري كانت قلعةً من أكبر قلاع العلم في دولة الإسلام، يعني السكنى بالمدن الكبيرة في تلوث، في ضجيج لكن في ميزة كبيرة جداً في حلقات علم، والإنسان يحيا بالعلم، يجوز في بيت بريف، في ضاحية جميلة، يكون هذا البيت أهذا وأريح وأجمل، ولكن في فقر علمي، لذلك العلم في المدن الكبيرة دائماً، فكانت البصرة وقتها قلعةً من أكبر قلاع العلم في دولة الإسلام، وكان مسجدها العظيم يموج بمن ارتحل إليها من كبار الصحابة، وجلة التابعين، وكانت حلقات العلم على اختلاف ألوانها تعمر باحات المسجد ومصلاه، وقد لزم الحسن البصري المسجد، وانقطع إلى حلقة عبد الله ابن عباس حبر أمة محمد ﷺ، وأخذ عنه التفسير، والحديث، والقراءة، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( اللهم علمه التأويل ))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]

كما أخذ عنه وعن غيره الفقه، واللغة، والأدب، وغيرها وغيرها، حتى غدا عالماً جامعاً، فقيهاً، ثقةً.

أنت لابد من أن تملأ وعائك قبل أن تفيض على الناس، في الحقيقة ثانية، أن لك أن توجه الناس؟ أن لك أن تعلمهم؟ أن لك أن تفقههم إن لم تكن فقيهاً، فاقد الشيء لا يعطيه أنت وعاء، لن يفيض هذا الوعاء إلا إذا امتلأ، إذا امتلأ يفيض، لم يمتلأ لا يفيض، إذا بقي الوعاء فارغاً تتكلم بجهل، لذلك طريق الدعوة إلى الله يحتاج إلى طلب العلم أولاً.

فهذا الحسن البصري لزم حلقة عبد الله ابن عباس، حبر هذه الأمة، والذي دعا له النبي عليه الصلاة والسلام بتعلم التأويل، حتى غدا الحسن البصري عالماً، جامعاً، فقيهاً، ثقةً فأقبل الناس عليه ينهلون من علمه الغزير، والتفوا حوله التقوا إلى مواعظه التي تستلين القلوب القاسية، وتستدر الدموع العاصية، ويعون حكمته التي تخلص الأبواب، ويتأسون بسيرته التي كانت من أطيب السير، لقد انتشر أمر الحسن البصري في البلاد، وفشا ذكره بين العباد حتى أن الخلفاء والأمراء تساءلوا عنه، وتسقطوا أخباره، حدث خالد ابن صفوان قال: لقيت مسلمة ابن عبد الملك في الحيرة، فقال لي: أخبرني يا خالد عن حسن البصرة؟ فإني أظن أنك تعرف من أمره ما لا يعرف سواك

في مجلسه، وأعلم أهل البصرة به، فقال: هات ما عندك قلت: أنه امرؤ سريرته كعلانيته.

يا الله! أروع ما في المؤمن أن سره كعلانيته ازدواجية لا يوجد عنده، موقف معلن، موقف مبطن، أعمال يفعلها في خلوته، أفعال يفعلها أمام الناس، فلاة في المسجد وقرأت في البيت، مواقف يبدو فيها ورعاً أمام الناس، وفيما بينه وبين نفسه ليس فيه جنس الورع، هذه الازدواجية أخطر ما في الحياة، هذا هو النفاق، هذا الذي يفتت إيمان المؤمن.

أول صفة أنه امرؤ سريرته كعلانيته، وقوله كفعله، لا يوجد عنده كلام للاستهلاك بمواقف خاصة فيه، الذي قضى على الدعوة الإسلامية، هذه الازدواجية، هذه الازدواجية شككت الناس بمصداقية الداعين إلى الله، هذه المصداقية، هذه المساكب بين التطبيق وبين القول، بين السريرة والعلانية، بين القول والفعل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

[ سورة الصف ]

إذا أمر بمعروفٍ كان أعمل الناس به، وإذا نهى عن منكرٍ كان أترك الناس له ولقد رأيته مستغنياً عن الناس زاهداً فيما في أيديهم، ورأيت الناس محتاجين إليه، طالبين ما عنده، فقال مسلمة: حسبك حسبك يا خالد، كيف يضل قومٌ فيهم مثل هذا؟.

أذكر أنه مرة سئل الحسن البصري قال: يا إمام كيف نلت هذا المقام العظيم؟ مقام العلماء يفوق مقام أي جهة أخرى، يفوق مقام الأمراء أحياناً، قالوا: يا إمام كيف نلت هذا المقام؟ قال: باستغنائني عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي، أنا مستغني عن دنياهم وهم محتاجون إلى علمي، أما إذا كان بالعكس، هم زاهدون في علم العالم، وهو محتاجٌ لدنياهم، انتهى العالم، بالوحد أصبح، إذا احتاج إلى دنيا الناس، وزهدوا في علمه أصبح في الوحد، يجب أن يحتاج الناس إلى علمه، وأن يزهد في دنياهم، هذا الموقف الكريم.

لما ولي الحجاج ابن يوسف الثقفي العراق، وطغى في ولايته وتجبر، والحجاج تعلمون من الحجاج قال: إني لأرى رؤوساً قد أينعت، استوت وحن قاطفها، وإني لصاحبها وإني أرى العمائم بين الدماء، في الدماء، والله له خطب شهيرة جداً، من أقسى الولاة، يعني قتل الإنسان أهون عليه من قتل ذبابة، لما ولي الحجاج أمر العراق، وطغى وتجبر، وكان الحسن البصري أحد الرجال القلائل الذين تصدوا له، وتكلموا أمامه بكلمة الحق، هذا شيء

كبير جداً، فمرة وقف خطيباً في الناس وبين لهم الأخطاء التي يفعلها الحجاج، والتي تخالف سنة رسول الله ﷺ، في أثناء حديثه أشفق عليه الناس، حتى مال عليه أحد السامعين فقال له: حسبك يا أبا سعيد، حسبك، ماذا قال أبو سعيد الحسن البصري؟ قال: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم:

### ﴿ تَبَيَّنْتُهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 187]

في اليوم التالي دخل الحجاج إلى مجلسه، وهو يتميز من الغيظ، وقال لجلاسه تبأ لكم وسحقاً، يقوم عبداً من عبيد البصرة، ويقول فينا ما شاء أن يقول، ثم لا يجد فيكم من يرده أو ينكر عليه! والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء، ثم أمر بالسيف، والنطع، النطع يعني باللغة الدارجة مشمع، إذا كانوا قطعوا رأس الإنسان حتى الدم لا يلوث الفرش الوثيرة، هذا مشمع كبير يقف عليه من يقطع رأسه، فالدم ينزل على هذا الخوان، هذا النطع اسمه، ثم أمر بالسيف والنطع فأحضر، ودعا بالجلاد، فمثل واقفاً بين يديه، ثم وجه إلى الحسن بعض شرطه، هاتوه، وأمرهم أن يأتوه به، وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن، فشخصت نحوه الأبصار فوجفت عليه القلوب، قلما رأى الحسن السيف، والنطع، والجلاد، حرك شفتيه، لكن لم يفهم عليه أحد مما قال، ثم أقبل على الحجاج، وعليه جلال المؤمن، وعزة المسلم، ووقار الداعية إلى الله، فلما رآه الحجاج على حاله هذه، هابه أشد الهيبة، وقال له: ها هنا يا أبا سعيد، اجلس ها هنا، ثم ما زال يوسع له، ويقول: ها هنا والناس مشدوهون، ينظرون إليه في دهشة، واستغراب حتى أجلسه على فراشه، مكانه جلس، ولما أخذ الحسن مجلسه، التفت إليه الحجاج، وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسن يجيبه عن كل مسألة بجاناً ثابتاً، وبيانٍ ساحرٍ، وعلمٍ واسعٍ، قال له الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد، ثم دعا بغالية من أفخر أنواع الطيب، وطيب له بها لحيته، وودعه، ولما خرج الحسن من عنده، تبعه حاجب الحجاج هذا الحاجب سيجن، وجد السيف، والنطع، والجلاد، كل جاهز للقتل فلما دخل ماذا حدث للحجاج؟ تبعه، قال: يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج لغير ما فعل بك، دعاك ليقنتك، لكن فعل معك أن أكرمك، وإني رأيتك عندما أقبلت، ورأيت السيف والنطع قد حركت شفتيك، فماذا قلت؟ ماذا حصل؟ فقال الحسن: لقد قلت: يا ولي نعمتي، يعني يا ربي، وملاذي عند كربتي اجعل نعمته برداً وسلاماً علي، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، هذا الدعاء الأمر بيد الله عز وجل، الدعاء سلاح المؤمن:

## ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾

[ سورة الطور الآية: 48 ]

الله عز وجل لا يتخلى عن المؤمن، لا يسلمه لخصمه، يدافع عنه، أنت وليه.

ولقد كثرت مواقف الحسن البصري هذه مع الولاة والأمراء، فكان يخرج من كلٍ منها عظيماً في أعين ذوي السلطان، عزيزاً بالله، محفوظاً بحفظه.

له موقف ثاني جميل، لما انتقل الخليفة الزاهد عمر ابن عبد العزيز إلى جوار ربه، وآلت الخلافة على يزيد ابن عبد الملك، وليّ على العراق عمر ابن هبيرة الفزاري، ثم زاده بسطةً في السلطان، فأضاف إليه خراسان، وسار يزيد في الناس سيرةً غير سيرة سلفه العظيم، فكان يرسل إلى عمر ابن هبيرة بالكتاب كل الكتاب، ويأمره بإنفاذ ما فيها، ولو كان مجافياً للحق أحياناً، يعني في توجيهات غير صحيحة وغير شرعية، ولا ترضي الله عز وجل، فدعا عمر ابن هبيرة، وهذا الوالي على العراق وخراسان، يأتيه كتاب من يزيد، اعمل كذا، اقتل كذا، توجيهات غير معقولة فيها ظلم، فيها مخالفة للشرع، ماذا يفعل؟ بساعة من ساعات ضيقه دعا الحسن البصري، وعامر ابن شريحيل، وقال لهما قال: إن أمير المؤمنين يزيد ابن عبد الملك قد استخلفه الله على عبادته، وأوجب طاعته على الناس، وقد ولاني ما ترون من أمر العراق، ثم زادني فولاني فارس، وهو يرسل إليّ أحياناً كتباً يأمرني فيها بإنفاذ ما لا أطمئن إلى عدالته، فهل تجدان لي في متابعتي إياه، وإنفاذ أوامره مخرجاً لي في الدين عندكم فتوة يعني، أنا آثم عند ربي؟ أنا عبد مأمور يا أخي، هكذا يقول المثل، أنا عبد مأمور أنا آثم؟ لا أنا ليس لي علاقة، هكذا تقول الأوامر، الشعبي يقولوا: أجاب جواباً فيه ملاطفة للخليفة، ومسايرة للوالي، كلام ليس فيه مواقف حازمة، والحسن صامت، والتقت عمر ابن هبيرة إلى الحسن وقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ يعني أجبني، أنا آثم، عليّ ذنب؟ فقال: يا ابن هبيرة، اسمعوا ماذا قال الحسن لعمر ابن أبي هبيرة، يا ابن هبيرة: خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، وأعلم أن الله جل وعز يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله، يا ابن هبيرة: إنه يوشك أن ينزل بك ملكٌ غليظٌ، شديدٌ، لا يعصي الله ما أمره، فيزيلك عن سريرك هذا، وينقلك من سعة قصرِكَ إلى ضيق قبرِكَ، حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عمك الذي خالفت فيه رب يزيد، كلام دقيق جداً، يا ابن هبيرة: إنك إن تك مع الله تعالى وفي طاعته، يكفك بائقة يزيد ابن عبد الملك في الدنيا والآخرة، وإن تك مع يزيد في معصية الله تعالى، فإن الله يكلك إلى يزيد، واعلم يا ابن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوقٍ كائناً من كان في معصية الخالق عز

وجل، فبكى عمر ابن هبيرة، حتى بللت دموعه لحيته، ومال عن الشعبي إلى الحسن، وبالغ في إعظامه وإكرامه، فلما خرجا من عنده توجهوا إلى المسجد، فاجتمع عليهما الناس، وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع أمير العراقين، فالتفت الشعبي فقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه في كل مقامٍ فليفعل، هو الذي نفسي بيده، ما قال الحسن لعمر ابن هبيرة قولاً أجهله، ولكنني أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة وأراد الحسن فيما قاله وجه الله، أيام تحكي تريد عبد الله، وإنسان يريد الله عز وجل، أيام تتكلم كلاماً تبتغي به وجه الله، وأحياناً تتكلم كلاماً تبتغي به وجه عبد الله، قال: فأقصاني الله من ابن هبيرة، وأدناه منه، وحببه إليه، لهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(( كلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً ))

عاش الحسن البصري ثمانين عاماً، ملأ الدنيا خلالها علماً، وحكمةً، وفقهاً، وكان من أجل ما ورثه للأجيال رقايقه التي ظلت على الأيام ربيعاً للقلوب، له كلمات رائعة.

واحد سأله عن الدنيا والآخرة، اسمعوا ماذا قال، قال: إن مثل الدنيا والآخرة كمثل المشرق والمغرب، متى ازددت من أحدهما قريباً، ازددت من الآخر بعداً، الدنيا بالشرق والآخرة بالغرب، مشيت نحو الشرق، بعدت عن الغرب، ماذا قال النبي؟

(( من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه ))

[أخرجه الطبراني، والبخاري، والإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم عن أبو موسى الأشعري]

فالدنيا والآخرة كالشرق والغرب، كلما اقتربت من أحدهما أزدت بعداً عن الآخر فقال له هذا السائل: صف لي هذه الدار، يعني الدنيا، فقال: ماذا أصف لك من دارٍ أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن وصفٌ بليغ، أولها عناء، آخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فُتن من افتقر فيها حزن، الغني مفتون، والفقير حزين، وأولها عناء، وآخرها فناء، وحلالها حساب وحرامها عقاب، هذه الدنيا.

ويحنا ماذا فعلنا بأنفسنا؟ لقد أهزلنا ديننا، وثمنَ ديننا، أخلقنا أخلاقنا وجددنا فرشنا وثيابنا، يتكأ أحدنا على شماله، ويأكل من مال غيره، طعامه غصبٌ، وخدمته سخرةٌ بالقهر يعني، يدعو بخلوً بعد حامض، وبحارٍ بعد بارد، وبرطبٍ بعد يابس، ألوان النعيم ساعة عصير، ساعة فواكه، ساعة حلويات، ساعة حلوٍ بعد حامض، حارٍ بعد بارد، رطبٍ بعد يابس، طعامه غصبٌ، خدمته سخرةٌ، حتى إذا أخذته القبضة تجشأ من البشم من التخمّة، ثم قال: يا غلامِ هاتِ هاضوماً، نريد شيئاً كازوز يعني، هاتِ هاضوماً يهضم الطعام، قال يا أحمق، والله لن تهضم إلا دينك، أين جارك المحتاج؟ أين يتيم قومك الجائع؟ أين مسكينك الذي ينظر إليك؟ أين ما وراك به الله عز وجل؟ ليتك تعلم أنك عدد، أنت عدد، وأنه كلما غابت عنك شمس يومٍ نقص شيءٌ من عددك، ومضى بعضك معه، أنت عدد، كلما غربت شمس يومٍ نقص منك شيءٌ .

توفي هذا التابعي الجليل يوم الجمعة، ولبي نداء ربه، فلما أصبح الناس وشاع فيهم نعيه، ارتجت البصرة لموته رجاً، فغُسل وكفن وصليّ عليه بعد الجمعة، في الجامع الذي قضى في رحابه جلّ حياته، عالماً ومعلماً، وداعياً إلى الله، ثم تبع الناس جميعاً جنازته، قال العلماء: فلم تقم صلاة العصر ذلك اليوم، لأول مرة في تاريخ بناء هذا المسجد لم تقم فيه الصلاة، لأنه لم يكن فيه واحدٌ إلا وتبع الجنازة، لم يبق أحد، ولا يُعلم أن الصلاة عطلت في جامع البصرة منذ ابنتي، إلا في ذلك اليوم، يوم انتقال الحسن البصري إلى جوار ربه، هذه بطولة، قالوا في ذلك:

### ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[ سورة المطففين ]

### ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

[ سورة الصافات ]

إنسان دخل وخرج، دخل للدنيا فقير، وسيخرج منها فقيراً، لكن إنسان دخل للدنيا وعرف الله، فترك آثار طيبة، ترك آثار، ترك علم، ترك مؤمنين طيبين، ترك أناس مهتدين إلى الله عز وجل، ترك أعمال خيرة، ترك آثار في القلوب، هذا هو العلم، لذلك أعلى عطاء تناله من الله أن تكون عالماً، والعطاء الذي لا قيمة له أن تكون صاحب أموالٍ طائلة، لأنها إذا استخدمتها في طاعة الله فهذا شيءٌ عظيم، أما إذا اكتفيت بجمع المال من دون أن تتفقه في طاعة الله عز وجل، فهذا شيءٌ فاني، ينتهي مع الدنيا، يعني أنا أردت من هذه القصة أن تكون تجسداً لهذا

(( ازهد في الدنيا يحبك الله عز وجل وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ))

هذا ملخص الحديث، والحسن البصري رضي الله عنه، مرة قيل له: يا إمام إن السماء لا تمطر، جاءه رجل قال له: السماء لا تمطر، قال: استغفر الله، جاءه شخص قال له: إن زوجتي لا تتجب، فقال: استغفر الله، جاءه شخص ثالث، شكا له، قال له: استغفر الله ففي واحد استغرب، قال له: أوكلما جاءك إنسان تقول له: استغفر الله، قال له: ألم تسمع قوله تعالى:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾

[ سورة نوح ]

نسمع كنا كل صيفية خمسة ستة غرقوا في نهر بردى بالهامة، لم يغرق أحد هذه السنة، ولا واحد غرق في النهر، لأنه لا يوجد ماء يغرق فيها:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا \* مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

[ سورة نوح ]

يعني أنا أخص لكم الموضوع كله بكلمتين، هان الله على الناي فهانوا على الله يعني معصيته كطاعته، وأمره كنهيه، يقول لك: لا تدقق، اتركها لربك، لا أحد يطبق أحد أمر الله عز وجل، الأنهار جافة، الينابيع جافة، الأشجار مهددة باليباس، يعني أقول لكم مرة ثانية: كلام دقيق، تقنين العبد تقنين عجز، لكن تقنين الرب تقنين تأديب، ليس عجز، يعني بنفس الوقت تجد فيضانات بمحلات ثانية، فيضانات، وسيول، وكوارث من جراء كثرة المياه معناها موضوع مدروس، موضوع تأديب ليس موضوع عجز، والدليل:

## ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾

[سورة الحجر الآية: 21]

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا رشدنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تُهنا، وأثرنا ولا توثر علينا، وأرضنا وأرضى عنا، أغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجملنا بالعافية، وطهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (035 - 127) : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-09-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، حديثان شريهان لا أظن أن واحداً منا ليس في أمس الحاجة إلى فهم مدلولهما.

الحديث الأول: عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بَبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ، فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ))

[ متفق عليه، واللفظ لمسلم ]

ولهذا الحديث روايات عديدة سأتي عليها إن شاء الله، وسوف يكون موضوع درسنا هذا الحديث، وما يتشعب عنه من جزئيات وفروع ما من مسلم إلا وهو في أشد الحاجة إليها، لأنه قد يمضي حياته صائماً مصلياً، ثم لا يعدل بين أولاده الذكور، أو بين أولاده الذكور والإناث فيلقى الله عز وجل وهو عليه غاضب.

والد النعمان بن بشير هو بشير بن سعد الأنصاري، قصة هذا الحديث أنه كان له أولاد من نساء متعدّدات، وأحدهم راوي الحديث، وأمه عمرة بن رواحة أخت عبد الله بن رواحة، كان له أولاد أكثر من نساء متعدّدات، إحدى هذه النساء عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة الشاعر المشهور رضي الله عنه، وكان من أمر عمرة أنها أرادت لولدها النعمان أن يحوز شيئاً من أبيه يختص به دون إخوته لصغر سنه، أو لكونه وحيداً منها، فطلبت من زوجها ذلك، فجعل له حديقته، ولم تكتفِ المرأة بما صنع الرجل بأن أعطاه حديقة، وامتاز بها على

إخوته، ولم تكتف المرأة بما صنع الرجل حتى قالت له: أشهد على ذلك رسول الله لتوثق هذه العطية، ولتخص ابنها بهذه العطية، فذهب بولده ليشهد على ما وهب له، ذهب البشير إلى رسول الله ﷺ مع ولده النعمان، ولكن رسول الله ﷺ المبعوث بالعدالة والمساواة عاب عليه ذلك، وأبى أن يشهد عليه، وعد ذلك من الجور، أي الظلم، وقال:

((اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ))

وفي بعض الروايات عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ:

((أَكَلَّ بَيْنِكَ قَدْ نَحَلْتُ مِثْلَ مَا نَحَلْتُ النُّعْمَانَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَشْهَدْ عَلَيَّ هَذَا غَيْرِي، ثُمَّ قَالَ: أَيْسُرُكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذَا))

أي لا تفعل ذلك إذا، وربما قال: سوا بين أولادكم في العطية كما تحبون أن يسوى بينكم في البر.

الأولاد كثيرون يتمزقون أشد التمزق حينما يروا آباءهم قد فضلوا إخوتهم عليهم، بل إن تفضيل بعض الإخوة على بعض من قبل الآباء ربما سبب عداوة وحقدًا دفينين، وربما سبب عداوة عاجلة، أو عداوةً آجلة بعد موتك، بل إن المحروم ربما تمنى موت أبيه.

أعيد عليكم الروايات: عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاَنْطَلَقَ أَبِي إِلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ، فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ))

[ متفق عليه، واللفظ لمسلم ]

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا -  
نحل بمعنى أعطى - فَقَالَ:

((أَكَلَّ وَوَدَّكَ نَحَلْتُ مِثْلَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْجِعْهُ))

[متفق عليه]

الروايات المتعددة:

((اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ))

[متفق عليه]

وفي بعض الروايات عند النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُنْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ:

((هَلْ لَكَ وَوَدَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَعْطَيْتَهُمْ كَمَا أَعْطَيْتَهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ))

وفي رواية:

((أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذَا))

[مسلم]

وربما قال: سوا بين أولادكم في العطفة كما تحبوا أن يسوى بينكم في البر.

الحقيقة اختلف العلماء في شيء، وهو أنه يجوز للوالد أن يسترد هبةً وهبها لابنه كما فعل البشير مع ولده  
النعمان حينما نحلته حديقة، فلما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك قال:

((لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ))

فاسترجع الحديقة.

قال بعض العلماء: العائد من هبته كالعائد من قيئه، إلا أن العلماء أجازوا بهذا الحديث إذا بدا للأب أن في هذه الهبة ظملاً وجوراً أن يسترد هبته، وأن يسوي بين أولاده، فالحق قديم، والرجوع إلى الحق أولى، هذا يختص بهذا الحديث.

لكن النقطة الآن دقيقة، أن يقول بعض العلماء: يجوز ألا تسوي بين أولادك في العطية، فكيف نوفق هذا الحكم الفقهي، ولاشك أن العلماء استندوا إلى أدلة في السنة النبوية، كيف نوفق بين هذا الحكم الشرعي وهذا الحديث الشريف الصحيح الذي ورد في البخاري ومسلم؟

الحقيقة إذا كان هناك أسباب مادية وجبهة لك جواب الله عز وجل، والحديث الذي تعرفونه جميعاً، والذي يفهمه الناس أحياناً على غير ما أريد منه، فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ))

[البخاري]

يأتون بهذا الحديث الشريف ليدلوا على فساد آخر الزمان، وعلى انحراف الإنسان، وعلى تحلله من كل حياء وخجل، لكن لهذا الحديث معنى آخر، يعني أي عمل إن كان بإمكانك إذا واجهك الله به يوم القيامة ألا تستحي من الله، وأن تكون معك حجة قوية إذا لم تستح من هذا العمل يوم تعرض عليك أعمالك فافعله، ولا تخش في الله لومة لائم، كيف؟

لو أن لك ولداً ضعيفاً يعاني من مشكلة في جسده، لا يقوى على العمل، ولك أولاد آخرون أقوياء أشداء، فإذا خصصت هذا الضعيف بشيء يعينه على أمر حياته، وأنت حينما خصصته بهذا الشيء لا تتبغى إلا أن ترضي الله عز وجل، وأن هناك أسباباً مادية، وليست أسباب اجتماعية، فهناك آباء بعض أبنائهم أذكى من بعض، بعض أبنائهم يتمتعون بذكاء اجتماعي، فهذا الابن الذكي يقدم لأبيه معسول الكلام، ويعتني به عنايةً ظاهرةً، فلعله يأخذ منه أكثر مما يعطي إخوته، إذا كان عطاؤك الزائد لبعض أبنائك لسبب اجتماعي أو نفسي، ولا تملك جواباً لله تعالى يوم القيامة فهذا محاسب عليه، وهذا ينطبق عليه حديث النبي عليه الصلاة والسلام:

## ((فَلَا تُشْهِدُنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

[مسلم]

أما إذا كانت لك إجابة لله عز وجل، أو إذا لم تستح من هذا العمل فاصنع ما تشاء، المقياس الدقيق أن تمتلك حجةً تدلي بها يوم القيامة لربك إذا قال لك: يا عبدي لماذا فعلت كذا؟ فالقضية أن هذا الحديث ينهى عن الظلم، أي بلا مبرر، أعطيت بعض الذكور، وحرمت بعضهم الآخر بلا مبرر، خصصت أموالك لأولادك الذكور، وحرمت منه الإناث بلا مبرر، إذا لم تكن تمتلك الحجة والمبرر والمسوغ فأنت ينطبق عليك هذا الحديث:

## ((فَلَا تُشْهِدُنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

أما إذا كان هناك مبرر، الإنسان أحياناً له أربع بنات، ثلاث منهن أزواجهن أغنياء أقوياء، وواحدة منهن لها زوج ذو دخل محدود جداً، ويعاني من السكنى مع بيت أهله الشيء الكثير، فإذا تفضل الأب على هذه البنت ببيت صغير خصها به، وجعلها تعيش مع زوجها حياةً كريمة، وهو يملك لله جواباً عن هذا التصرف فهذا استثناء من هذا الحديث، ولا شيء على صاحبه ما دام الدافع إلى ذلك رضوان الله تعالى.

الشيء الذي ينبغي أن نحذر منه هو أن الله سبحانه وتعالى حينما تولى بنفسه توزيع التركة بين الورثة، ما معنى أحكام المواريث؟ ما معنى الفرائض؟ يعني أن الله عز وجل تولى بنفسه من خلال قرآنه توزيع أنصبة التركة بعد وفاة صاحبها بين الورثة، أولاداً، وإخوة، وأبناء، وأحفاداً، وما إلى ذلك، فأى تغيير أو تبديل أو تلاعب أو تحويل أو هروب من دفع الحقوق إلى أصحابها فهذا يعد ظلماً، المقياس بلا مبرر، بلا مسوغ، بلا جواب تملكه الله عز وجل يوم القيامة، فأنت إذا ميزت بين أولادك في العطفية، حابيت بعضهم على حساب بعض، فهذا ظلم شديد يؤاخذ عليه الإنسان، وقد يلقي الله وهو عليه غضبان، وقد لا يسمح له بدخول الجنان، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[سورة الحجرات: 1]

الله عز وجل له قرآن، وللنبي سنة تفسر القرآن، فإذا لم يعجبك هذا، وأردت أن تأتي بدين جديد، وتحاول حرمان الإناث، وإعطاء الذكور، أو تفضيل ولد على ولد فهذا مشكلة.

الآن هناك مشكلة يعاني منها إخوة كثيرون، هذه المشكلة أن أباً له محل تجاري، يأتي أحد أولاده، ولعله أكبرهم، يقول له: اعمل في هذا المحل، إخوته الآخرون إما يدرسون، أو لهم أعمال أخرى، أو هم صغار، فهذا الذي يعمل في هذا المحل ليس له شيء إلا أن يأكل ويشرب، أيضاً هذا ظلم لهذا الولد، هو كبقية إخوته سيأخذون كما سيأخذ، وليس له فضل عليهم إطلاقاً، مع أنه يبذل جهداً كبيراً لتحصيل أرباح هذا المحل، هذا أيضاً ظلم من بعض الآباء لأولادهم الذين يحرصون على إرضائهم، ويعملون معهم، ويلازمونهم، هذا ظلم، وذاك ظلم، الآية الكريمة:

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[ سورة النساء: 11 ]

إذاً الحكم الأول: أن الأصل ألا تحابي ولداً على حساب ولد، أن تسوي بين أولادك في العطفية، بل إن من السنة أن تسوي بينهم بالقبل إذا كانوا صغاراً، حتى هذا المستوى، أما أن تعطي الذكور، وتحرم الإناث فهذا ظلم لا يرضاه الله عز وجل، وهذا لعب بدين الله، أما إذا كان هناك ضرورة، وهناك مسوغ، وهناك مصلحة، ولك عند الله جواب يوم القيامة فهذا الحديث الذي قلته قبل قليل:

((إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاَفْعَلْ مَا شِئْتَ))

يعني إذا كان لك وجهة نظر سديدة ترضي بها الله عز وجل خالصة من كل شائبة فافعل، ولا تلتفت للوم أحد، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وهذا يفسر بأن تخصص بعض الأولاد إذا كانوا في أمس الحاجة إلى بعض المساعدة دون بعض في حياتك على شكل هبة، لا على شكل شيء آخر.

أما العطاء الجليل الذي يعطيه الأب لأولاده، الآن دخلنا في عطاء آخر، العطاء الأول ما ترك الأب لأولاده من ميراث، والنبوي عليه الصلاة والسلام نهى عن أن تكون الوصية أكثر من الثلث، من أجل أن تدع أولادك أغنياء، دون أن تجعلهم فقراء يتكففون الناس من بعدك.

على كلّ العطاء الكبير الذي يمنحه الوالد لولده هو أن يؤدبه بآداب الإسلام، والحقيقة الإمام أبو حامد الغزالي، وهو من أشد علماء المسلمين عناية بتربية الأولاد، بل إن التربية الإسلامية يعد أبو حامد الغزالي علمها الأول، حتى إن في الجامعة تحت بند التربية الإسلامية يدرسون ما ورد في إحياء علوم الدين من توجيهات، وما ورد من تربية الأولاد أو الصبيان كما يقول الغزالي من توجيهات، والحقيقة أمامي وصية من أروع الوصايا التي أوصى بها الإمام أبو حامد الغزالي المؤمنين في تربية أولادهم، فالعطاء الحقيقي الذي يفوق أي عطاء مادي هو هذا العطاء، يقول هذا الإمام الجليل: " ومهما رأى فيه - أي في ولده - مخايل التميز فينبغي أن يحسن مراقبته"، فمراقبة الابن أخطر ما في تربية الأولاد، لأن غفلةً بسيطة قد تؤدي بأخلاق ابنك، و بأخلاق ابنتك، فأخطر ما يفعله الآباء أن يغفلوا عن أولادهم، أين ناموا تلك الليلة؟ لا يدقق في حركاتهم، في نزواتهم، في أصدقائهم، إذا لم يدقق الأب في حركة ابنه ربما كانت غفلة الأب عن ابنه سبباً في شقائه في الدنيا والآخرة، وأقول لكم هذه الكلمة، وهي من أدق الكلمات: مهما كنت على مستوى رفيع من الإيمان إذا شقي ابنك فشقاء ابنك شقاء لك، وخير كسب الرجل ولده، وأعظم الأعمال الصالحة عند الله أن ينشأ ابنك على طاعة الله، وخير كسب الرجل ولده، مهما رأى الأب في ابنه من مخايل الذكاء والتميز والإدراك والوعي فينبغي أن يحسن مراقبته، يا ترى هذا الابن أيسطي؟ أيسطي من كلمة بذينة؟ أيسطي من نكتة ساقطة؟ أيسطي من نظرة وقحة؟ إن كان يستحي فالحياء من الإيمان، وعلامة إيمان الطفل حياؤه، علامة حسن خلقه حياؤه، لذلك يجب أن يربي الطفل على الحياء، في أقواله، وفي أفعاله، وفي حركاته، وفي سكناته.

فإذا كان هذا الابن يستحي فهذا من علامة إشراق نور العقل عليه، فإذا رأى بعض الأشياء قبيحاً، وبعضها خيراً، أو جميلاً، فهذه علامة مبشرة بخير، أن هذا الابن على شيء من الأخلاق، ومن الحياء، ومن الإيمان، بل إن حياء الطفل الصغير دليل كمال عقله حينما يكبر، ولا أشك أن حياء الطفل الصغير لا يتأتى إلا بالمراقبة والتوجيه.

فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل، بل يستعان على تأديبه، بحيائه، أو تمييزه، والطفل الذي يستحي هذا إذا أدب لا ينبغي أن يجرح، فإذا جرح فقد حطم.

أحياناً معلم - أصلحه الله - يأتي بطفل مستحي، يفهم بالنظرة، يفهم بالازورار، فيضربه ضرباً مبرحاً، وهذا الضرب المبرح مع طفل يستحي هو في حقه جريمة، ولما يغلب على الطفل من الصفات القبيحة، كأن يكون شره الطعام، فينبغي أن يؤدب فيه، ألا يأخذ من الطعام إلا بيمينه، وأن يقول فيه: باسم الله، عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحرق النظر فيه، ولا إلى من يأكل، وألا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم، وألا يلطخ يده، ولا ثوبه، وأن يعوّد أكل الخبز وحده في بعض الأحيان حتى لا يصير الأدم حتماً.

هذا قول النبي عليه الصلاة والسلام:

### ((اخشونوا، وتمعدوا، فإن النعم لا تدوم))

[الطبراني في المعجم الأوسط عن القعقاع بن أبي حردد بغير قوله: فإن النعم...]

هذا توجيه الإمام الغزالي، من حين إلى آخر عوّده على طعام خشن، الطعام الخشن هو الطعام القليل، أو الطعام الذي ليس فيه إدام، إذا عوّدت ابنك على طعام خشن، وجاءته أيام عصيبة في المستقبل، وقلّ دخله، أو خسر عمله يألف هذا الوضع الجديد، ولا يضجر، لأن الذي لا يألف وضعه الجديد، وهو يشكو ضيق ذات يده ربما مد يده إلى الحرام، أو ربما نافق، هناك مزلقان خطيران ممن تعوّد على الإسراف في المصروف، ثم قلّ دخله فجأة، الذي تعوّد على الإسراف والتبذير وشراء الحاجات الكمالية الزائدة، الذي يتعوّد على هذا لو قلّ دخله فجأة يدفع دفعاً إما إلى أكل المال الحرام، أو إلى ممالأة من عندهم المال، نفاق إما على حساب دينه، أو على حساب آخرته.

ويقبح عند هذا الصبي كثرة الأكل، وأن يشبه كل من يكثر الأكل بالهائم، وأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل، ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وأن يحيب إليه الإيثار بالطعام، وقلة المبالاة به، والقناعة بالطعام الخشن، هذا فيما يتعلق بالطعام.

دقائق كثيرة أوردها الإمام الغزالي، وهي متعلقة بتأديب الصبيان في الطعام، وأوردت هذه الفقرة لأن خير شيء تدعه لأولادك الخلق الحسن، والأدب الحسن.

هناك أشخاص أغنياء يدعون لأولادهم مالا كثيراً، ولكن يغفلون عن تربيتهم، وأخلاقهم السيئة، وجهلهم، وغفلتهم، وشرودهم عن الحق وأهله، ويدفعونهم إلى تبديد هذه الثروة في أيام قليلة، بينما الخلق الحسن يجعل هذا المال صالحاً في يد عبد صالح، لذلك كل ما يفعله الأولاد بعد موت آبائهم في صحيفة آبائهم، إن كانت أفعالهم سالحة.

قال:

### ((وأن يحبب إليه من الثياب البيض))

الآن ننقل إلى شيء متعلق بالعصر الذي عاش فيه الغزالي، يبدو أن الألوان الفاقعة والصارخة ليست من صفات الأولاد المهذبين، قال: "وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملون، وأن يكون هذا من شأن النساء والمخنثين، وأن الرجال يستكفون منه، ومهما رأى على صبي ثوباً فينبغي أن يستكره، وأن يذمه، ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين تعودوا التتعم والرفاهية، ولباس الثياب الفاخرة.

الصبي المدلل فوق الحدود، الغارق في النعيم، الذي يتبجح، وينفق أموالاً طائلة، مثل هذا الصبي لا ينبغي أن يرافق صبياً آخر له رقة في طبعه، وله خشونة في حياته.

وعلى الوالد أن يشغل ابنه بتعلم القرآن وأحاديث النبي العدنان، وحكايات الأبرار، وأحوالهم، ليُغرس في نفوسهم حب الصالحين، ويُحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، كهذه المجالات الرخيصة، هذه التي تعنى بأخبار الفنانين والفنانات، الأحياء منهم والأموات، هذه المجالات يجب أن نحفظ منها أولادنا، هذه إشارة، ويُحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، تجد أن مخزون هذا الصبي عن أخبار الساقطين والساقطات الشيء الكثير، بينما مخزونه عن أصحاب رسول الله وعن الأبطال الحقيقيين الشيء القليل، وهذا من علة هذا العصر. الطفل وعاء، هذا الوعاء بماذا يمتلئ؟ قال: وعليه أن يحفظه من مخالطة الأدياء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف، ورقة الطبع"، يعني إذا كان في وسط أشخاص حديثهم عن النساء، ومزاحهم ليس في المستوى المطلوب، أو مع الكتاب الذي فيه أشعار ساقطة يؤدي الصغار، والأصدقاء الذين يتحدثون هذه الأحاديث يؤذون الصغار، المراقبة مهمة جداً، لذلك حينما قال عليه الصلاة والسلام:

((داعب ولدك سبباً، وأدبه سبباً، وراقبه سبباً، ثم اترك حبله على غاربه))

هذا شيء دقيق جداً.

ينبغي أن تحفظ ولدك من قراءة أو من مشاهدة فيها فساد وضلال وانحراف وفسق، ويجب أن تحفظ ابنك من صديق ليس في المستوى المطلوب، قال: "ثم مهما ظهر على الصبي خلق جميل، وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه"، التشجيع مهم جداً، هناك أسلوب الردع، وهناك أسلوب المكافأة، أسلوب التشجيع والمكافأة والتكريم أسلوب فعال جداً، وله نتائج مضمونة، بينما أسلوب الزجر والتقريع والتوبيخ والتأنيب والعقاب المتكرر هذا أسلوب منفر، ربما يبعد الطفل عن مربيه.

الآن، إن خالف ذلك في بعض أحواله مرةً واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، مثلاً هناك أب على ابنه كأنه بالمرصاد، كل غلطة يحاسبه عليه حساباً شديداً، الأب إذا لاحظ أن ابنه غلط مرة مرات قليلة فتغافل الأب عن ملاحظة ابنه فهذا شيء طيب يحفظ له حياءه، يحفظ له مكانته، الشيء الآخر، إذا رأيت ابنك يستحي منك، اضطرب لما رأيته وهو يفعل كذا، اضطرب، اضطرابه واستحيائه هذا دليل حياءه، فلا تقتحم عليه حياءه، ولا تضيق عليه الخناق لئلا يفجر، ولئلا يتجاسر، فإذا استحيا منك فاستحي منه.

الحديث الشريف تعرفونه:

((عبدى لقد كبرت سنك، وانحنى ظهرك، وضعف بصرك، وشاب شعرك، فاستحي منى، فأنا أستحي منك))

[تفسير الطبري (165/28)، (166/28)، وابن كثير (392/4)]

الأب الحكيم إذا رأى ابنه يستحي منه فعليه هو أن يستحي منه، هناك بقية حياء، وعنده هيبة لك، هيبتك عنده دفعته إلى أن يتوارى، هذه بادرة طيبة، تغافل أحياناً، وحاسب أحياناً، هذا الذي أراده الإمام الغزالي.

إذا فعل الطفل شيئاً ليس لائقاً، وتغافلت عنه مرة، وعادها مرةً ثانية فالأسلوب المناسب أن تكاشفه بها سراً، هذه مهمة جداً، الشيء الذي لا يحتمله الصغير أن توبخه أمام الآخرين، فإذا فعل شيئاً واستحيا منك، وحاول ستره عنك، وهرب منك، وخجل أن تعلم، فتغافل أنت، أما إذا أعاد ذلك ثانيةً فينبغي أن تكاشفه بها سراً حفاظاً على حياءه، وعلى كرامته، ودفعاً له بترك هذا الشيء.

النصيحة التي تأتي بعد هذه النصيحة عدم الإكثار من المعاتبة، فالإكثار من المعاتبة يجعل هذه المعاتبة مألوفة عند الصبي، كمن يضرب ابنه على أدنى عمل، الضرب المستمر يجعل هذا الصغير يألف الضرب، فعندئذ لا يفعل الضرب فعله إطلاقاً، دائماً كل الوسائل الردعية إذا كثر استعمالها فقدت قيمتها.

الآن هناك أشياء دقيقة جداً، قال: " ليكن الأب حافظاً هيبه الكلام معه، يعني رفع الكلفة كلياً بين الأب وابنه، هذا مما يدعو إلى اجترأ الابن على أبيه، فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب، وتزجره عن القبائح، وينبغي أن يمنع عن النوم نهاراً، فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه، وتعود على الخشونة في المفرش والملبس والمطعم، قال: "وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية"، لأنه حينما يخفيه يعتقد أنه قبيح، الشيء الذي تستحي منه فيما بينك وبين الله لا تفعله أمام الناس، الشيء الذي تستحي به لا تفعله، قال: "ويعود ألا يكشف أطرافه"، يعني التبذل في الثياب هذا مما نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام، ينبغي أن يعود ألا يكشف أطرافه، وألا يسرع المشي، وألا يرخي يديه، وعليه أن يمنع على أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده، هذا التباهي على الأقران فيما يملك الوالد هذا أيضاً مما يجب أن نبعد أبناءنا عنه.

حينما سئلت السيدة عائشة عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:

### ((كان خلقه القرآن))

[مسند أحمد]

فحينما يحفظ الطفل القرآن الكريم، وحينما تشرح له بعض الآيات، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء: 36]

حينما يوضع الطفل أمام هذه الآيات، وحينما تشرح له شرحاً بسيطاً فهذا مما يرسخ في أعماقه الآداب الإسلامية، والعوام يقولون: المربي غال، فالطفل الذي تلقى توجيهات كثيرة، وقومت أخلاقه حتى استقامت فهذا شيء نفيس جداً، والحقيقة كما قلت في أول الدرس: وخير كسب الرجل ولده.

يحسن بنا أن نحاول إما تصوير هذه الصفحات عن هذه الوصية، طبعاً الوصية طويلة، وفيها جزئيات كثيرة جداً، والإنسان إذا قرأها بعناية وتمهل، وحاول أن يستوعبها، وجعلها دستوراً له في تربية أولاده، فهي وصية كما يقولون جامعة مانعة، تتناول الكلام، وقرناء السوء، والعادات العقلية، والاجتماعية، والنفسية، والتربوية، وما إلى ذلك.

في موضوع السيرة معنا قصة قصيرة من غزوة مؤتة، وغزوة مؤتة فيما يروي كتاب السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما أرسل الرسل إلى الملوك والأمراء في أطراف الجزيرة العربية هؤلاء الملوك والأمراء تلقوا رسل النبي عليه الصلاة والسلام بمواقف متباينة، بعضهم تلقى الرسول بالترحيب والإكرام، بعضهم أسلم كالنجاشي، وبعضهم جامل كالمقوقس، وبعضهم أكرم الرسول، إلا أن بعض أمراء الغساسنة حينما جاءه رسول النبي عليه الصلاة والسلام، وكان يحكم بصرى في تخوم الشام، حينما جاءه هذا الرسول قيده، وضرب عنقه، وكان موقفاً من أشد المواقف إجراماً، لأن العادة بين الملوك أن الرسل يكرمون، لأنهم لا ذنب لهم، إنهم مبلغون، فالنبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى هذا التطاول، وهذا التعدي، إن سكوته على هذا الموقف يضعف هيبة المسلمين، كيف لا وقد علا شأنهم، واتسع نفوذهم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، هيبة منهم، أو طمعاً بما عندهم، فلذلك رأى النبي عليه الصلاة والسلام أن من الحكمة أن يرسل جيشاً إلى تخوم الشام ليؤدب هذا الأمير الغساني الذي تطاول على رسول رسول الله ﷺ، وضرب عنقه، فجهز جيشاً فيما يسمى في كتب التاريخ والسيرة معركة مؤتة.

جهز النبي عليه الصلاة والسلام جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وجعل على رأسهم سيدنا زيد بن حارثة، فإذا قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإذا قُتل فعبد الله بن رواحة الشاعر الذي أخته تحدثنا عنها قبل قليل، وتوجه الجيش إلى بلاد الروم، ولكن الشيء الذي لا يصدق أن الروم توقعوا أن يكون الجيش كبيراً جداً، وأن يستأصلهم من أصلهم، فجهزوا جيشاً تروي كتب التاريخ أنه يزيد عن ثلاثمائة ألف، مئة ألف من العرب الغساسنة الذي يحكمهم هذا الأمير الأحمق، الذي قتل رسول رسول الله، فلما قدم أصحاب رسول الله في هذا الجيش المتواضع الذي لا يزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل، وعلى رأسهم قواد ثلاثة، فلما قدموا، وجدوا أنهم أمام جيش لا قبل لهم به، ما الذي حدث؟ سيدنا زيد حمل الراية، وقاتل بها حتى قتل، تولى القيادة من بعده سيدنا جعفر، أمسك بالراية، ضربت يمينه، فأمسكها بشماله، ضربت شماله، فأمسكها بعضديه، ثم جاءت ضربة قاتلة وقع من على فرسه، وقتل، الآن في رواية بعضهم يؤكدونها، وبعضهم ينفيها، على كل إن صحت فلها دلالة دقيقة، أن سيدنا عبد الله بن رواحة حينما رأى صاحبيه ماتا سريعاً، استشهدا سريعاً، وقع في نفسه - إن صحت الرواية - تردد لا يزيد على ثلاثين ثانية،

كان شاعراً، وقال:

يا نفس إلا تقتلي تموتي      هذا حمام الموت قد صليت  
إن تفعلي فعلهما رضيت      وإن توليت فقد شقيت

وأخذ الراية فقاتل بها حتى قتل، أما تنمة القصة سيدنا خالد، رحم الله خالد بن الوليد أمر نفسه، ووضع خطة رائعة، بدل قواته من كانوا على اليمين، نقلهم إلى الميسرة، ومن كانوا في المقدمة نقلهم إلى المؤخرة، وأمر بعض جنوده أن يحدثوا جلبه، وضجيجاً، وأن يثيروا غباراً الأمر الذي ظن الروم الذين يعدون ثلاثمئة ألف مقاتل أن هناك إمدادات سريعة جاءت من قبل المدينة، فهذا الذي جعلهم يترثثون فصار يناوشهم، وينسحب قليلاً، يناوشهم وينسحب قليلاً، إلى أن جرحهم إلى قلب الصحراء، عندئذ خافوا، وتهيبوا من كمين يقضي عليهم، فانسحبوا، ولاذوا بالفرار، فلما جاء الجيش إلى المدينة، وقد علم أهل المدينة أنهم انسحبوا، فصار الغلمان يقرعونهم، ويقولون: فزار، فزار، فسمع النبي عليه الصلاة والسلام هذه المقولة، فقال: بل كزار إن شاء الله تعالى، وعدّ النبي عليه الصلاة والسلام حنكة سيدنا خالد وطريقته الفذة في إيهام العدو بمجيء إمدادات كبيرة، وإنقاذه أصحاب رسول الله من موت محقق عد ذلك النبي عليه الصلاة والسلام نصراً من نوع آخر، فالحفاظ على حياة الإنسان، وإنقاذه من هلاك محقق، وقدرته على إيهام الأعداء بحجم أكبر بكثير من الحجم الحقيقي هذا نوع من أنواع النصر غير الظاهر الذي أثنى النبي به على سيدنا خالد.

لكن في هذه القصة وقفة قليلة، هي أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما كان بالمدينة، وقبل أن يأتي الجيش من مؤتة سئل عن الذي حصل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أخذ الراية أخوكم زيد، فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم أخذ الراية أخوكم جعفر، فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى مقامه في الجنة، ثم سكت النبي قليلاً، حتى قال أصحابه: يا رسول الله ما فعل عبد الله؟ فقال: ثم أخذ الراية أخوكم عبد الله، فقاتل بها حتى قتل، وإني لأرى في مقامه ازوراراً عن صاحبيه.

إذا صحت هذه الرواية لأن بعض الكتاب ينفيا لموقف رائع جداً، وقفه هذا الصحابي الجليل قبيل معركة مؤتة، هذا الموقف يتناقض مع موقفه الثاني، على كل إن صحت فيجب أن نستنبط من ذلك أن هذا الصحابي الجليل الذي تردد في بذل روحه في سبيل الله كان في مقامه ازورار عن صاحبيه، كيف لو فعل الإنسان المعصية، الذي تردد في فعل الخير، تردد بتقديم نفسه في سبيل الله كان هذا نقطة قدحت من مكانته عند الله عز وجل، لذلك إذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))

[مسلم]

فلنبادر بالأعمال الصالحة، وليكن غنى المؤمن في الأعمال الصالحة، لأنه هو الغنى الحقيقي الذي لا فقر بعده، ولا ننسى هذه الآية الكريمة:

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)﴾

[سورة العصر: 1-3]

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 036 - 127 ) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك 1

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-09-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: النص الذي يلي نص القرآن الكريم من حيث القوة في النظم، والقوة في التعبير، ومن حيث المضمون المطلق في صحته هو نص النبي عليه الصلاة والسلام، ومهما وجدنا متسعاً لفهم كلام النبي عليه الصلاة والسلام فهماً دقيقاً واسعاً شاملاً عميقاً فنحن في أعلى درجات الفوز.

من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام الجامعة المانعة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:

((يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

[رواه الترمذي و قال حديث حسن صحيح]

وفي رواية غير الترمذي عن ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ زَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

(( يَا عَلَامُ، أَوْ يَا عَلِيمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ))

[ الترمذي، أحمد ]

الذي أراه أن هذا الحديث فيه عدد من أصول الدين، والأحاديث التي تنطوي على أصول للدين تعد من أركان الأحاديث، فكلمة احفظ الله يحفظك مثلاً:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

[ سورة الصف: الآية 5 ]

احفظ الله يحفظك، فاذكروني أذكركم، إن تنصروا الله ينصركم، هذه العلاقة والمشاكلة بين فعل الطلب وجواب الطلب، هذه المشاكلة والعلاقة الحتمية يمكن أن يعبر عنها بقانون، أحياناً بين هذا الشيء وهذا الشيء علاقة ضرورية، المعادن تتمدد بالحرارة، قانون، العلاقة بين الحرارة والتمدد علاقة حتمية ضرورية شاملة، لذلك حينما تجد تركيباً شرطياً أو تركيباً طلبياً جزائياً، التركيب الشرطي مثل:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

هذا تركيب شرطي، أو اجتهد تنجح، هذا تركيب طلبي جزائي، فإذا ورد في اللغة تركيب كهذا التركيب فاعلم أن العلاقة حتمية بين المقدمة والنتيجة، احفظ الله، ما معنى احفظ الله ؟ نرجو الله سبحانه وتعالى أن نمضي هذه الساعة بتوفيقه بفقرة أو فقرتين من هذا الحديث،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

الفعل و الجواب من صيغة واحدة، احفظ يحفظ، اذكر يذكر:

﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[ سورة البقرة: الآية 152 ]

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

[ سورة محمد: الآية 7 ]

احفظ يحفظ،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

الجواب حتمي، العلاقة بين الطلب والجواب علاقة حتمية، أي علاقة سبب بنتيجة،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

ومن منا لا يتمنى أن يحفظه الله تعالى ؟ من منا لا يتمنى من كل أعماقه أن يكون في حفظ الله ؟ أن يكون في رعايته ؟ لأن الله هو القوي، أنت كلما التجأت إلى قوي تشعر بالطمأنينة أكثر، لو اعتمدت على إنسان عنده بعض القوة، وجاء من هو أقوى منه انهار ظهرك، لكن إذا التجأت إلى أقوى الأقوياء، إذا التجأت إلى خالق الأرض والسموات،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))،

الآن نريد أن نفهم ماذا يعني النبي عليه الصلاة والسلام من قوله:

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

أولاً: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره ونواهيه، من هو ولي الله ؟ يا جنيد أهو الذي يطير في السماء ؟ قال: لا، أهو الذي يمشي على وجه الماء ؟ قال: لا، أهو الذي يبكي في الصلاة ؟ قال: لا، من هو الولي ؟ قال: الذي تجده عند الأمر والنهي، مقياس واحد يرفعك عند الله أن تكون مطبقاً لأمره ونهيه، احفظ حدوده:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 229 ]

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 187 ]

هذا لا يجوز، لا أفعله وربّ الكعبة، هذا لا أوافق عليه، هذا العقد لا أوقعه، البضاعة محرمة، هذا اللقاء لا أحضره، لأنه مختلط، هذه الطريقة في البيع لا أوافق عليها، فيها شبهة، هذا العمل لن أمضيه، فيه إيقاع أذى بمؤمن، أو بإنسان، معنى

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

دوده في الأمر والنهي، لذلك المؤمن:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 36 ]

التردد، والله هل من المعقول أن أفعل هذا أو غير معقول؟ من أنت حتى تقول: معقول أم غير معقول؟ أنت أمام أمر إلهي، فإذا فكرت في أن تفعله أو ألا تفعله فليست مؤمناً:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 36 ]

إذاً احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه.

التفصيل: وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، أمرك أن تصلي، أمرك أن تغض البصر، أمرك أن تقول للناس حسناً، أمرك أن تصل رحمك، أمرك أن تتصف الناس من نفسك، أمرك أن تقرأ القرآن، أمرك أن تحسن إلى كل الأنام، هذه أوامر، وعند نواهيه بالاجتناب هذه الحفظ، تطبيق الأمر، واجتناب النهي، وعند حدوده بعدم التجاوز، فمن فعل هذا كان من الحافظين، أنت حفظت، احفظ الله يحتاج إلى تفسير، احفظ أوامر الله بالتطبيق،

احفظ نواحيه بالاجتناب، احفظ حدوده بعدم التجاوز، نشب خلاف بينك وبين زوجتك، هذا الخلاف يستحق أن تعاتبها، أن تعرض عنها، لكن لا يستأهل أن تطلقها، تجاوزت الحدود، لا تطلق المرأة إلا من رغبة، إذا شككت في أخلاقها، إذا خانتك، هذا العمل يقتضي الطلاق، أما إذا غاضبتك أو غاضبتك أو قصرت في حقك عاتبها، اهجرها، أعرض عنها، أما أن توقع الطلاق بسبب لا يستأهله الطلاق فقد تجاوزت الحدود.

استمعوا أيها الإخوة إلى قول الله عز وجل حينما قال:

﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيظٍ﴾

[ سورة ق: الآية 32 ]

من هو الحفيظ؟ يحفظ حدود الله، يحفظ الأوامر فيطبقها، يحفظ النواهي فيجتنبها، يحفظ الحدود فلا يتجاوزها:

﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33)﴾

[ سورة ق ]

الآن ما هي أبرز هذه الأوامر؟ فهمنا قبل قليل أن حفظ الله هو حفظ أمره بالتطبيق، ونهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم التجاوز، ما هي أبرز أوامر الله عز وجل؟ أجمع العلماء على أنها الصلاة، من أقامها فقد أقام الدين، و من هدمها فقد هدم الدين، لا خير في دين لا صلاة فيه.

ربنا عز وجل يقول:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾

[ سورة البقرة: الآية 238 ]

وقال:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

[ سورة المؤمنون: الآية 9 ]

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، وَحَافِظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِحْفَافًا بِحَقِّهَا فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ))

[ أحمد، الدارمي ]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ:

((مَنْ حَافِظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))

[ أحمد، الدارمي ]

هذا أول بند: الحفاظ على أول أمر في العبادة، وهو الصلاة.

عندنا أمر آخر: الطهور، لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، المؤمن دائماً متوضئ، خرج من بيته متوضئاً، أذن المغرب دخل وصلى، كان في مجلس الوضوء صعب، في هذا المجلس نصلي، أنا متوضئ، والحمد لله، فالمحافظة على الوضوء من فروع المحافظة على الصلاة، مادام همك أن تصلي في الوقت المناسب، في الوقت المستحب، وأن تؤدي الصلاة على وجهها، إذاً يجب أن تستعد لها بالوضوء الدائم، لذلك عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((... لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))

[ ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

يوجد قول يرويه أكثر العلماء، وإن كان هناك تحفظ في بعض فقراته أنه: من أحدث، ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن توضأ، ولم يصل فقد جفاني، ومن صلى، ولم يدعني فقد جفاني، ومن دعاني، ولم أجبه فقد جفوته، ولست برب جاف، ولست برب جاف، ولست برب جاف .

إذا المحافظة على الصلوات، والمحافظة على الوضوء هذا معنى:

((احفظ الله يحفظك))

يوجد حفظ ثالث:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

لأتفه سبب تقول: والله العظيم كذا، طول بالك، لكي تبيع بنطالاً تقسم أيماناً مغلظة، الله قال:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

لا تحلف إلا لأمر ذي بال، وقد استحلقت، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((اليمين الكاذبة منقعة للساعة، ممحقة للكسب والبركة))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

احفظ الله يحفظك، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((استحيوا من الله حق الحياء، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي، والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى))

[ الترمذي، أحمد ]

الرأس وما وعى، ما في الرأس؟ فيه لسان، وفيه عين، وفيه أذن، يبدو أن اللسان لخروج المعاني، والعيون والأذن لتلقف الصور الصوتية والبصرية، فإذا غضضت بصرك عن محارم الله فقد حفظت عينك، وإذا كفتت عن سماع الغيبة والنميمة والمنكر والفحش وقول الزور وشهادة الزور والغناء فقد حفظت أذنك، وإذا استقام لسانك، فلم ينهش أعراض المؤمنين، ولم يتكلم بما لا يرضي رب العالمين، فالرأس فيه العين والأذن واللسان، وحفظ اللسان بقول الحق، واجتناب ما نهى الله عنه، وحفظ العين بغض البصر عن عورات المسلمين، وحفظ الأذن بكفها عن سماع ما لا يرضي الله عز وجل، قال:

((أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى))

ماذا في البطن؟ ماذا في أعلى البطن؟ القلب، ما المعصية التي يمكن أن يرتكبها القلب؟ أن يعقل، أن يصر على جهل أو استكبار، أو أن يسيء الظن بالله عز وجل، إذاً أن يحفظ قلبه من سوء الظن بالله، أن يحفظ قلبه من أمراض النفس، من العجب، الكبر، الاستعلاء، الحقد، الأنانية، وأيضاً يوجد معدة، أن يحفظ هذا البطن من أكل المال الحرام،

((يا سعد، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[الطبراني في الصغير عن سعد]

أصبح معنا الحفاظ على الصلاة، والحفاظ على الوضوء، والحفاظ على الطهارة، والحفاظ على الأيمان، والحفاظ على الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، هذا كله تحت قول النبي الكريم:

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

القلب: قال تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾

[سورة البقرة: الآية 235]

عبدى ظهرت منظر الخلق سنين، أفلا ظهرت منظري ساعة؟ الله عز وجل دائماً وأبداً ناظر إلى قلبك، فما في هذا القلب؟ هل به حقد، به ضغينة، فيه شحناء؟ فيه بغض لمسلم؟ فيه قطيعة رحم؟ فيه استعلاء على خلق الله؟

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾

[سورة البقرة: الآية 235]

الله عز وجل جمع هذا كله فقال:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 36]

من أغرب ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام حديث عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))

[البخاري، الترمذي، أحمد]

الليحان الفكّان، ماذا يفهم؟ هناك شيان كافيان لإدخال الإنسان جهنم، لسانه وفرجه، قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ))

أي اللسان، في اللسان غيبة، في اللسان نميمة، في اللسان قول زور، في اللسان كذب، في اللسان تدليس، في اللسان بذاءة، في اللسان استعلاء، في اللسان احتقار، آلاف المعاصي.

عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال:

((تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُتُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[ الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

أي يمكن أن يدخل إنسان إلى النار من اللسان فقط، إذا قال شخص لزوج مازحاً انتبه لبيتك؟ فظن الزوج أن في أخلاق زوجته خلافاً فطلقها تعسفاً، وشردها، وشردها أولادها، أسرة تدمرت، لأن إنساناً تكلم بكلمة ليس متيقناً منها، لهذا ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

[الفردوس بمأثور الخطاب عن أبي هريرة]

أن تخوض في أعراض المسلمين، أن تفرق بين شريكين، بين زوجين، بين أخوين، بين جارين، بين مؤمنين، فلان إياك أن تسلّم عليه، هذا من أخلاق المؤمنين؟ فذلك:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))

معنى هذا أن إرادته قوية جداً، فهو ضابط للسانه، وضابط لشهوته، انتهى الأمر:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَاتِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)﴾

[ سورة المؤمنون ]

المؤمنون عن اللغو معرضون، ولفروجهم حافظون، قال:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))

والحقيقة من معلوماتكم المنسية أن طريق حفظ الفرج هو غض البصر، لأن الله عز وجل قدم غض البصر على حفظ الفرج، قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[ سورة النور : الآية 30 ]

فتقديم غض البصر على حفظ الفرج دليل أن طريق حفظ الفرج هو غض البصر، والله سبحانه وتعالى أثنى على المؤمنين بصفة واحدة أو بصفات عدة، من أبرزها قال:

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 35 ]

انظر إلى هذه الصفة: مؤمن حافظ لفرجه، شهوة أودعها الله في كل إنسان وفي الأنبياء، سمح لك بقناة نظيفة هي الزواج، فضمن المسموح أهلاً وسهلاً، المحرم ممنوع، ولو قطع الإنسان إرباً إرباً، وإن إبليس طلاع رصاد . إبليس ذكي جداً، لكن ذكاه شيطاني، أو ذكاء إبليسي، لأنه . وما هو من فخوخه . عنده خمسون فخاً للمؤمن . فخ . شبكة أو مصيدة . بأوثق بصيده في الأتقياء من النساء، أي المرأة في يد إبليس أكبر فخ، اتقوا الله و اتقوا النساء، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[ مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

وأنا أعتقد على مستوى الشباب أن يؤتى من أكل المال الحرام أبعد من أن يؤتى من النساء، أي هناك شيئان نقطتا ضعف في حياة الإنسان ؛ المال والمرأة، فإذا كنت محصناً من أن تأكل مالاً حراماً، وكنت محصناً من أن تفعل ما لا يرضي الله مع امرأة فقد حفظت دينك، تسعة أعشار المعاصي من المال والنساء، الشباب أكثر المعاصي من النساء، لذلك إن الله ليباهي الملائكة بالشباب التائب، يقول: انظروا عبيدي ترك شهرته من أجلي.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءٌ))

[ أحمد ]

وكل شيء بحسابه، الذي يعف عن النساء قبل الزواج أول مكافأة له زواج ميمون، زواج موفق، زواج يسعده طوال حياته، ومن شذ قبل الزواج، لعن الله الذواقين والذواقات، عاقبه الله بزواج شقي، كل شيء في حسابه الدقيق، ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أن أحد أصحابه سأله: يا رسول الله كيف أحفظ فرجي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا تضعه إلا في حلال.

أنا في كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير كتاب من أشهر كتب الحديث، وفي هذا المسجد من سنوات عدة درست قسماً كبيراً منه، هذا الكتاب أطف ما فيه أن الأحاديث مبوبة وفق أوائل حروفها، مثلاً كلمة حق، هناك أكثر من خمسة عشر حديثاً تبدأ بكلمة حق، حق المسلم على المسلم، حق الأب على ابنه، حق الابن على أبيه، حق الزوجة على زوجها، إلا في حديث واحد حينما أقرأه يقشعر جلدي، حق المسلم على الله أن يعينه إذا أراد العفاف، مسلم أراد أن يعف عن الحرام حق على الله أن يعينه، الله عز وجل ييسر الأمور تيسيراً عجبياً، في البيت والأثاث والزوجة الصالحة.

سمعت أن شاباً فتح محلاً صغيراً في أحد أحياء دمشق، وبهذا الحي يوجد أبنية شاهقة وأبنية فخمة، وطبعاً الأبنية فيها أسرٌ غنية، والفتيات داخلات وخارجات من هذه البيوت، هذا الشاب تآقت نفسه للزواج، ولا يجد ما يملك، طلب من أمه أن تخطب له من هذه البيوتات سخرت أمه منه، أنت لا تملك شيئاً، وهؤلاء أغنياء، قال لها: لكن أنا مستقيم، ولا أعرف الحرام في حياتي، هو يعتز باستقامته، لكن لا يملك شيئاً، فلما ضغط عليها ذهبت إلى بعض هذه البيوت، ولم تطلب منهم شيئاً، لكنها ذهبت مداراة لابنها، من غير المعقول أن يعطوها، مستحيل، كانت تقول له: يا بني طلبت، ولم يعطوني، كان يصدقها، هي تكذب عليه، و هو يصدقها، البيت الفلاني أمه واقعية، المستحيل أن يقبلوا به، شاب لا يملك شيئاً، ن ثقته بالله عز وجل، قصة واقعية، قيل أشهر جاءه رجل من سكان هذا الحي، قال له: يا بني أمتزوج أنت؟ قال له: لا، بالله يا سيدي، قال له: عندي فتاة عمرها أربعة عشر عاماً تناسبك، أرسل أمك للبيت الفلاني، فأرسل أمه، البنت مناسبة جداً، لكن لا يوجد شيء، فلما جاءه مرة ثانية، قال له: يا سيدي، البنت مناسبة، أما أنا لا أملك شيئاً، قال له: هي والبيت يا بني، أبت نفسه أن يعصي الله، لكن لا أحد ينتظر مفاجأة كهذه المفاجأة، أما إذا صدقت في طلب الحلال، وعففت عن الحرام فإله سبحانه وتعالى لا يمكن إلا أن يكرمك، إذا أردت العفاف فحق على الله أن يعينك، من هنا قال عليه الصلاة والسلام: ما شكا له أحد ضيق ذات يده إلا قال له: اذهب فتزوج، هو وحده كافٍ نفسه، اسع قليلاً، لكن الله يعينك كثيراً، تحرك، والله يوفق، ابحث، و يهديك، اعمل، والله يرزقك، الناس يفهمون التوكل أنه يجلس في البيت وينتظر

الفرج، عَنْ أَبِي تَمِيمِ الْجَيْشَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

[ الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

الطير له قاعدة:

((تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

يوجد حركة، الحركة فيها بركة، اسع، اسأل.

أجمل حديث قرأته مرة: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمُقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[ أبو داود، أحمد ]

دقيق جداً، تقعد بلا سعي لست مؤمناً، تحرك، اسأل، ابحث عن وظيفة، ابحث عن عمل، ابحث عن بيت، أخي لا أحد يؤجر؟ أنت ابحث، من قال لك؟ يوجد حالات استثنائية، ابحث، دبر أمرك، و المدبر، وعلى الله الباقي،

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ))

أي بالتدبير، بالسعي، عليكم بالسعي والتدبير والبحث والأخذ بالأسباب، وعلى الله الباقي،

((فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

المحافظة على الصلاة، المحافظة على الوضوء، المحافظة على الأيمان، المحافظة على الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، هذه بعض الآيات والأحاديث التي وردت في المحافظة، لذلك: احفظ الله.

الآن الجواب: يحفظك، ما معنى يحفظك؟ دققوا في هذا الجواب، حفظ الله لعبده نوعان، النوع الأول: حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه، صحة طيبة، وحفظه في ولده، يوجد كثير من الأخطار في المنزل، أحياناً

إبريق شاي يصيب وجه طفل صغير بسبب شقاء للأسرة، وجه تشوه، أو فتاة كلما ألقى عليها نظرة زادت ألماً، إذا الله عز وجل حفظ لك أولادك، الطفل سليم معافى، ثقب بوتان مغلق، لو كان مفتوحاً لكان الخطر كبيراً جداً، عملية قلب مفتوح، وبعد عشر سنوات يعافى، ويريد ثمانمئة ألف، نجاحها بالمئة ثلاثون، إذا حفظ الله عز وجل للشخص صحته وصحة زوجته وأولاده فهذا شيء عظيم جداً، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، احفظ الله يحفظك، يحفظ لك بدنك من الأسقام والأمراض والأدواء، ويحفظ لك أولادك، ويحفظ لك زوجتك، ويحفظ لك مالك.

سمعت من يومين عن طفلة أصابها مرض عضال، دفع عليها أبوها مليوناً و نصف المليون، ثم ماتت، لم تمت فقط، قبل أن تموت أنفق عليها كل ما يملك، الله عز وجل قادر أن ينزع عنك كل مالك، وأنت راض، ثم توفت، طبعاً هذا موقف بطولي، لكن يمكن لكل شيء تدخره أن يدفعك إياه، وأنت راض، فإذا حفظ الرجل الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وحفظ أمر الله فلم يعصه، وحفظ أمره فلم يتجاوز، فلم يقترفه، وحفظ حدوده فلم يتجاوزها، ألا يحفظه الله عز وجل ؟ الحفظ في بدنك، وفي أولادك، وفي زوجتك، وفي أهلك، والمال شقيق الروح، أحياناً المال يصادر، أحياناً البيت تدفع ثمنه مبلغاً كبيراً جداً، ثم يظهر أنه متضعع، أمر بإخلاء البناء، وليس له غيره هذا البيت، أحياناً منزل يذهب بأرخص الأثمان، تنظيم، خذ عشرة آلاف ليرة، وهو سعره ثمانمئة ألف، أحياناً بضاعة تفسد، بضاعة تلفت في الطريق، البراد تعطل، فواكه سعرها ملايين تخلصوا منها بالصحراء، ذهب المال كله، قصص الإفلاس كبيرة جداً، لأتفه الأسباب شخص معه بضاعة في سيارة، السائق لهله دخل قريته فنام ثلاثة أيام، أغلق البراد، فتلفت جميعها على حساب صاحبها، وعلق بالمحاكم، فاحفظ الله يحفظ لك بدنك من الأمراض، احفظ الله يحفظ لك زوجتك، إذا أصيبت زوجة شخص بمرض عضال فهذه من المصائب الكبيرة جداً، احفظ الله يحفظ لك أولادك، احفظ الله يحفظ لك مالك.

أنا في الخطبة أحياناً حينما أدعو إخواننا إلى التبرع أقول لهم: ادفعوا يدفع الله عنكم كل مكروه، ادفعوا ليحفظ الله لكم أموالكم وأهلكم وأولادكم وصحتكم، حديث من أروع الأحاديث احفظ الله يحفظك، احفظه يحفظك، لا أعتقد أنه يوجد شخص من الحاضرين لا يتمنى من أعماقه أن يكون في صحة جيدة هو و زوجته وأولاده، وأن يحفظ الله له ماله، كل هذا إذا حفظ حدود الله، حفظ أوامر الله فطبقتها، حفظ نواهيها فلم يقتربها، حفظ حدوده فلم يتجاوزها، حافظ على الصلاة، على الطهارة، حافظ على أيمانه، حافظ على رأسه وما وعى، وبطنه وما حوى، هذا من

جوامع الأحاديث.

اسمعوا إلى قوله تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

هذا المؤمن، تصور شخصاً غالباً على جهة معينة، يقول لك: حراسة مشددة، ومرافقة، وكذا، إذا أنت أيضاً كمؤمن غال على الله كثيراً:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

يعطي ربنا توجيهاً للملائكة أن احفظوا فلاناً، تجد هذا الطريق لا تذهب منه، يكون فيه مشكلة، هذه الصفقة لا تشتريها يقول لك: عصّ قلبي، يكون فيها تغليس، يحفظونه من أمر الله، الله يوجهك، أنت معه، يوجهك في أمر حياتك، في علاقاتك، في تجارتك، في صناعتك، في زراعتك، هذه رائعة جداً:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فأنت أيضاً معك مرافقة كبيرة جداً، أنت كونك مؤمناً معك ملائكة من أمر الله تحفظك يا عبد الله، حياتك غالبية على الله، وسلامتك غالبية على الله عز وجل، المؤمن لا يذهب رخيصاً بسبب تافه، فهو غالٍ على الله، يوجد حوله من يحفظه، قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، ويقول علي رضي الله عنه: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر الله عليه، وإن الأجل جنة حصينة، مادام الأجل في فسحة فهو في حفظ الله.

مريضة جاءها طبيب، قال لها: معك مرض خبيث، ثلاثة أيام وستموتين، بكل صراحة، انهارت انهياراً نفسياً نهائياً، فطلبوا طبيباً مؤمناً، أول ما جاء قالت له: أموت؟ قال لها: نعم، وأنا سأموت، يمكن أن تحضري أنت جنازتي، هكذا قال لها الطبيب، لكن الله خلق الشفاء، وعالجها، ولحكمة أرادها الله عز وجل جعل شفاءها على يد هذا الطبيب، وعاشت، قال مجاهد: " ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الإنس والجن والهوان"، أحياناً الإنسان ينام في خيمة بمنطقة كلها أفاعٍ وعقارب، أنت مؤمن، نم وخذ احتياطك، و لكن لا حيلة لك، فإذا نام تحفظه الملائكة من أمر الله.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ))

قَالَ وَكَيْفَ: يَعْنِي الْحَسَفَ.

[ النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

يمشي على لغم، يقول لك: لم يعد موجوداً، طار، دعاء لطيف.

من القوانين الثابتة أنه من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره، وضعف قوته، ومتعته بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله، وقد كان بعض العلماء قد تجاوز المئة، أحد شيوخ الأزهر الصالحين عاش مئة وثلاثين عاماً، وكان يتمتع بعقله وقوته وسمعه وبصره، هنا ورد أنه أحد العلماء جاوز المئة، وهو متمتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، معقول بالمئة هذه الوثبة، فقال هذا العالم: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً، عكس ذلك رأى بعض السلف شيخاً يسأل الناس، والإنسان وهو في شيخوخته في أمس الحاجة إلى دخل وفير؛ أصبح إنتاجه قليلاً، وحاجاته كثيرة، عكس الشاب، إنتاجه كثير، وحاجاته قليلة، فبعض السلف الصالح رأى شيخاً يسأل الناس يتكفهم، فقال: إن هذا ضعيف، ضيع الله في صغره، فضيعه في كبره، أروع شيء في الحياة شيخوخة مؤمن تجده متمتعاً

بكرامة، بعزة، بمحاكمة جيدة، بعقل كبير، بمكانة اجتماعية، و في الثمانين، والله التقيت مع أحد الإخوان العلماء قال لي: أنا عمري خمس وثمانون سنة، قلت له: كيف صحتك ؟ قال لي: على هذا العمر ممتازة، عندي متاعب، لكن في هذا السن ممتازة، يأتي من آخر المدينة إلى مركز عمله، أحياناً يأتي مشياً، وأحياناً يكون راكباً، وهو في الخامسة والثمانين، لذلك العبارة الثابتة: حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً.

عندنا بشارة أبعد من ذلك، عندما قال ربنا:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 82 ]

معنى ذلك أن المؤمن يحفظ الله له أولاده، قال سعيد بن المسيب لابنه: "إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك"، أي أنا أزيد من صلاتي من أجلك، لعل الله يحفظك بعد مماتي، ثم تلا هذه الآية:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 82 ]

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول: " ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه، وعقب عقبه"، بل إن أحد العلماء يقول: "إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ الله وفي ستره"، حتى إن بعض الحيوانات المؤذية قد يسخرها الله لحفظ الإنسان، وهناك قصص كثيرة جداً، بعضهم قال: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي.

إن شاء الله في الدرس القادم نتابع هذا الموضوع، ولكن أبرز ما في هذا الحديث أولاً، اجعل هذا الحديث أو هذه الفقرة من الحديث شعاراً لك

((حَفِظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

ملخص الدرس: بالحفظ حفظ أمر الله بتطبيقه، حفظ نهيه باجتنابه، حفظ حدوده بعدم تجاوزها، هذا الحفظ.

الآن يحفظ الله لك صحتك وأولادك وزوجتك ومالك، بقي في الدرس القادم الحفظ الأرقى، وهو أن يحفظ لك دينك واستقامتك، أن يحفظك من الشهوات المردية، من الشبهات المضلة، هناك حفظ أرقى، فهذا الحديث من جوامع الكلم، ومن أصول الدين، وأرجو الله سبحانه و تعالى أن يوفقني في درس قادم إلى متابعة شرحه.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 037 - 127 ) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك 2

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-09-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: النص الذي يلي نص القرآن الكريم من حيث القوة في النظم، والقوة في التعبير، ومن حيث المضمون المطلق في صحته هو نص النبي عليه الصلاة والسلام، ومهما وجدنا متسعاً لفهم كلام النبي عليه الصلاة والسلام فهماً دقيقاً واسعاً شاملاً عميقاً فنحن في أعلى درجات الفوز.

من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام الجامعة المانعة، عن ابن عباس قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:

((يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

[رواه الترمذي و قال حديث حسن صحيح]

وفي رواية غير الترمذي عن ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ زَدِيْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلِيمُ، أَلَا أَعَلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: أَحْفَظْ اللهُ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللهُ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهُ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ))

[ الترمذي، أحمد ]

الذي أراه أن هذا الحديث فيه عدد من أصول الدين، والأحاديث التي تنطوي على أصول للدين تعد من أركان الأحاديث، فكلمة احفظ الله يحفظك مثلاً:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾

[ سورة الصف: الآية 5 ]

احفظ الله يحفظك، فاذكروني أذكركم، إن تنصروا الله ينصركم، هذه العلاقة والمشاكلة بين فعل الطلب وجواب الطلب، هذه المشاكلة والعلاقة الحتمية يمكن أن يعبر عنها بقانون، أحياناً بين هذا الشيء وهذا الشيء علاقة ضرورية، المعادن تتمدد بالحرارة، قانون، العلاقة بين الحرارة والتمدد علاقة حتمية ضرورية شاملة، لذلك حينما تجد تركيباً شرطياً أو تركيباً طلبياً جزائياً، التركيب الشرطي مثل:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

هذا تركيب شرطي، أو اجتهد تتجح، هذا تركيب طلبي جزائي، فإذا ورد في اللغة تركيب كهذا التركيب فاعلم أن العلاقة حتمية بين المقدمة والنتيجة، احفظ الله، ما معنى احفظ الله؟ نرجو الله سبحانه وتعالى أن نمضي هذه الساعة بتوفيقه بفقرة أو فقرتين من هذا الحديث

((أَحْفَظْ اللهُ يَحْفَظْكَ))

الفعل و الجواب من صيغة واحدة، احفظ يحفظ، اذكر يذكر:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾

[ سورة البقرة: الآية 152 ]

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾

[ سورة محمد: الآية 7 ]

احفظ يحفظ،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

الجواب حتمي، العلاقة بين الطلب والجواب علاقة حتمية، أي علاقة سبب بنتيجة، ((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))، ومن منا لا يتمنى أن يحفظه الله تعالى؟ من منا لا يتمنى من كل أعماقه أن يكون في حفظ الله؟ أن يكون في رعايته؟ لأن الله هو القوي، أنت كلما التجأت إلى قوي تشعر بالطمأنينة أكثر، لو اعتمدت على إنسان عنده بعض القوة، وجاء من هو أقوى منه انهار ظهرك، لكن إذا التجأت إلى أقوى الأقوياء، إذا التجأت إلى خالق الأرض والسموات،

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

الآن نريد أن نفهم ماذا يعني النبي عليه الصلاة والسلام من قوله: ((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ)).

أولاً: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره ونواهيه، من هو ولي الله؟ يا جنيد أهو الذي يطير في السماء؟ قال: لا، أهو الذي يمشي على وجه الماء؟ قال: لا، أهو الذي يبكي في الصلاة؟ قال: لا، من هو الولي؟ قال: الذي تجده عند الأمر والنهي، مقياس واحد يرفعك عند الله أن تكون مطبقاً لأمره ونهيه، احفظ حدوده:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 229 ]

## ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 187 ]

هذا لا يجوز، لا أفعله وربّ الكعبة، هذا لا أوافق عليه، هذا العقد لا أوقعه، البضاعة محرمة، هذا اللقاء لا أحضره، لأنه مختلط، هذه الطريقة في البيع لا أوافق عليها، فيها شبهة، هذا العمل لن أمضيه، فيه إيقاع أذى بمؤمن، أو بإنسان، معنى

## ((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

حدوده في الأمر والنهي، لذلك المؤمن:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 36 ]

التردد، والله هل من المعقول أن أفعل هذا أو غير معقول؟ من أنت حتى تقول: معقول أم غير معقول؟ أنت أمام أمر إلهي، فإذا فكرت في أن تفعله أو ألا تفعله فليست مؤمناً:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 36 ]

إذاً احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه.

التفصيل: وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، أمرك أن تصلي، أمرك أن تغض البصر، أمرك أن تقول للناس حسناً، أمرك أن تصل رحمك، أمرك أن تتصف الناس من نفسك، أمرك أن تقرأ القرآن، أمرك أن تحسن إلى كل الأنام، هذه أوامره، وعند نواهيه بالاجتناب هذه الحفظ، تطبيق الأمر، واجتناب النهي، وعند حدوده بعدم التجاوز، فمن فعل هذا كان من الحافظين، أنت حفظت، احفظ الله يحتاج إلى تفسير، احفظ أوامر الله بالتطبيق، احفظ نواهيه بالاجتناب، احفظ حدوده بعدم التجاوز، نشب خلاف بينك وبين زوجتك، هذا الخلاف يستحق أن تعاتبها، أن تعرض عنها، لكن لا يستأهل أن تطلقها، تجاوزت الحدود، لا تطلق المرأة إلا من رغبة، إذا شككت

في أخلاقها، إذا خانتك، هذا العمل يقتضي الطلاق، أما إذا غاضبتك أو غاضبتها أو قصرت في حقك عاتبها، اهجرها، أعرض عنها، أما أن توقع الطلاق بسبب لا يستأهله الطلاق فقد تجاوزت الحدود.

استمعوا أيها الإخوة إلى قول الله عز وجل حينما قال:

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾

[ سورة ق: الآية 32 ]

من هو الحفيظ؟ يحفظ حدود الله، يحفظ الأوامر فيطبقها، يحفظ النواهي فيجتنبها، يحفظ الحدود فلا يتجاوزها:

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33)﴾

[ سورة ق ]

الآن ما هي أبرز هذه الأوامر؟ فهمنا قبل قليل أن حفظ الله هو حفظ أمره بالتطبيق، ونهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم التجاوز، ما هي أبرز أوامر الله عز وجل؟ أجمع العلماء على أنها الصلاة، من أقامها فقد أقام الدين، و من هدمها فقد هدم الدين، لا خير في دين لا صلاة فيه.

ربنا عز وجل يقول:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾

[ سورة البقرة: الآية 238 ]

وقال:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

[ سورة المؤمنون: الآية 9 ]

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، وَحَافِظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِحْقَافًا بِحَقِّهَا فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ))

[ أحمد، الدارمي ]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ:

((مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ أحمد، الدارمي ]

هذا أول بند: الحفاظ على أول أمر في العبادة، وهو الصلاة.

عندنا أمر آخر: الطهور، لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، المؤمن دائماً متوضئ، خرج من بيته متوضئاً، أذن المغرب دخل وصلى، كان في مجلس الوضوء صعب، في هذا المجلس نصلي، أنا متوضئ، والحمد لله، فالمحافظة على الوضوء من فروع المحافظة على الصلاة، مادام همك أن تصلي في الوقت المناسب، في الوقت المستحب، وأن تؤدي الصلاة على وجهها، إذاً يجب أن تستعد لها بالوضوء الدائم، لذلك عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))

[ ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

يوجد قول يرويه أكثر العلماء، وإن كان هناك تحفظ في بعض فقراته أنه: " من أحدث، ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن توضأ، ولم يصل فقد جفاني، ومن صلى، ولم يدعني فقد جفاني، ومن دعاني، ولم أجبه فقد جفوته، ولست برب جاف، ولست برب جاف، ولست برب جاف " .

إذاً المحافظة على الصلوات، والمحافظة على الوضوء هذا معنى:

((احفظ الله يحفظك))

يوجد حفظ ثالث:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

لأتفه سبب تقول: والله العظيم كذا، طول بالك، لكي تبيع بنطالاً تقسم أيماناً مغلظة، الله قال:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

لا تحلف إلا لأمر ذي بال، وقد استحلقت، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْقَعَةٌ لِلْسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ وَالْبِرْكَةُ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع:

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

[ سورة المائدة: الآية 89 ]

احفظ الله يحفظك، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ  
الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى))

[ الترمذي، أحمد ]

الرأس وما وعى، ما في الرأس؟ فيه لسان، وفيه عين، وفيه أذن، يبدو أن اللسان لخروج المعاني، والعيون والأذن لتلقف الصور الصوتية والبصرية، فإذا غضضت بصرك عن محارم الله فقد حفظت عينك، وإذا كفتت عن سماع الغيبة والنميمة والمنكر والفحش وقول الزور وشهادة الزور والغناء فقد حفظت أذنك، وإذا استقام لسانك، فلم ينهش أعراض المؤمنين، ولم يتكلم بما لا يرضي رب العالمين، فالرأس فيه العين والأذن واللسان، وحفظ اللسان بقول الحق، واجتناب ما نهى الله عنه، وحفظ العين بغض البصر عن عورات المسلمين، وحفظ الأذن بكفها عن سماع ما لا يرضي الله عز وجل، قال:

((أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى))

ماذا في البطن؟ ماذا في أعلى البطن؟ القلب، ما المعصية التي يمكن أن يرتكبها القلب؟ أن يعقل، أن يصر على جهل أو استكبار، أو أن يسيء الظن بالله عز وجل، إذاً أن يحفظ قلبه من سوء الظن بالله، أن يحفظ قلبه من أمراض النفس، من العجب، الكبر، الاستعلاء، الحقد، الأنانية، وأيضاً يوجد معدة، أن يحفظ هذا البطن من أكل المال الحرام،

((يا سعد، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[الطبراني في الصغير عن سعد]

أصبح معنا الحفاظ على الصلاة، والحفاظ على الوضوء، والحفاظ على الطهارة، والحفاظ على الأيمان، والحفاظ على الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، هذا كله تحت قول النبي الكريم:

((احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))

القلب: قال تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾

[سورة البقرة: الآية 235]

عبدى ظهرت منظر الخلق سنين، أفلا ظهرت منظري ساعة؟ الله عز وجل دائماً وأبداً ناظر إلى قلبك، فما في هذا القلب؟ هل به حقد، به ضغينة، فيه شحناء؟ فيه بغض لمسلم؟ فيه قطيعة رحم؟ فيه استعلاء على خلق الله؟

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾

[سورة البقرة: الآية 235]

الله عز وجل جمع هذا كله فقال:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 36]

من أغرب ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام حديث عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))

[البخاري، الترمذي، أحمد]

الليحان الفكّان، ماذا يفهم؟ هناك شيان كافيان لإدخال الإنسان جهنم، لسانه وفرجه، قال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ))

أي اللسان، في اللسان غيبة، في اللسان نميمة، في اللسان قول زور، في اللسان كذب، في اللسان تدليس، في اللسان بذاءة، في اللسان استعلاء، في اللسان احتقار، آلاف المعاصي.

عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال:

((تَكَلِّتُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُتُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[ الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

أي يمكن أن يدخل إنسان إلى النار من اللسان فقط، إذا قال شخص لزوج مازحاً انتبه لبيتك؟ فظن الزوج أن في أخلاق زوجته خلافاً فطلقها تعسفاً، وشردها، وشردها أولادها، أسرة تدمرت، لأن إنساناً تكلم بكلمة ليس متيقناً منها، لهذا ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام:

((قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة))

[الفردوس بمأثور الخطاب عن أبي هريرة]

أن تخوض في أعراض المسلمين، أن تفرق بين شريكين، بين زوجين، بين أخوين، بين جارين، بين مؤمنين، فلان إياك أن تسلم عليه، هذا من أخلاق المؤمنين؟ فذلك:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))

معنى هذا أن إرادته قوية جداً، فهو ضابط للسانه، وضابط لشهوته، انتهى الأمر:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)﴾

[ سورة المؤمنون ]

المؤمنون عن اللغو معرضون، ولفروجهم حافظون، قال:

((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ))

والحقيقة من معلوماتكم المنسية أن طريق حفظ الفرج هو غض البصر، لأن الله عز وجل قدم غض البصر على حفظ الفرج، قال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[ سورة النور: الآية 30 ]

فتقديم غض البصر على حفظ الفرج دليل أن طريق حفظ الفرج هو غض البصر، والله سبحانه وتعالى أتى على المؤمنين بصفة واحدة أو بصفات عدة، من أبرزها قال:

﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 35 ]

انظر إلى هذه الصفة: مؤمن حافظ لفرجه، شهوة أودعها الله في كل إنسان وفي الأنبياء، سمح لك بقناة نظيفة هي الزواج، فضمن المسموح أهلاً وسهلاً، المحرم ممنوع، ولو قطع الإنسان إرباً إرباً، وإن إبليس طلاع رصاد . إبليس ذكي جداً، لكن ذكاه شيطاني، أو ذكاء إبليسي، لأنه . وما هو من فخوخه . عنده خمسون فخاً للمؤمن . فخ . شبكة أو مصيدة . بأوثق بصيده في الأتقياء من النساء، أي المرأة في يد إبليس أكبر فخ، اتقوا الله و اتقوا النساء، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))

[ مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

وأنا أعتقد على مستوى الشباب أن يؤتى من أكل المال الحرام أبعد من أن يؤتى من النساء، أي هناك شيئان نقطتا ضعف في حياة الإنسان ؛ المال والمرأة، فإذا كنت محصناً من أن تأكل مالاً حراماً، وكنت محصناً من أن تفعل ما لا يرضي الله مع امرأة فقد حفظت دينك، تسعة أعشار المعاصي من المال والنساء، الشباب أكثر المعاصي من النساء، لذلك إن الله ليباهي الملائكة بالشباب التائب، يقول: انظروا عبدي ترك شهرته من أجلي.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءَةٌ))

[ أحمد ]

وكل شيء بحسابه، الذي يعف عن النساء قبل الزواج أول مكافأة له زواج ميمون، زواج موفق، زواج يسعده طوال حياته، ومن شذ قبل الزواج، لعن الله الذواقين والذواقات، عاقبه الله بزواج شقي، كل شيء في حسابه الدقيق، ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أن أحد أصحابه سأله: يا رسول الله كيف أحفظ فرجي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا تضعه إلا في حلال.

أنا في كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير كتاب من أشهر كتب الحديث، وفي هذا المسجد من سنوات عدة درست قسماً كبيراً منه، هذا الكتاب أطف ما فيه أن الأحاديث مبنية وفق أوائل حروفها، مثلاً كلمة حق، هناك أكثر من خمسة عشر حديثاً تبدأ بكلمة حق، حق المسلم على المسلم، حق الأب على ابنه، حق الابن على أبيه، حق الزوجة على زوجها، إلا في حديث واحد حينما أقرأه يقشعر جلدي، حق المسلم على الله أن يعينه إذا أراد العفاف، مسلم أراد أن يعف عن الحرام حق على الله أن يعينه، الله عز وجل يبسر الأمور تيسيراً عجبياً، في البيت والأثاث والزوجة الصالحة.

سمعت أن شاباً فتح محلاً صغيراً في أحد أحياء دمشق، وبهذا الحي يوجد أبنية شاهقة وأبنية فخمة، وطبعاً الأبنية فيها أسرٌ غنية، والفتيات داخلات وخارجات من هذه البيوت، هذا الشاب تآقت نفسه للزواج، ولا يجد ما يملك، طلب من أمه أن تخطب له من هذه البيوتات سخرت أمه منه، أنت لا تملك شيئاً، وهؤلاء أغنياء، قال لها: لكن أنا مستقيم، ولا أعرف الحرام في حياتي، هو يعتز باستقامته، لكن لا يملك شيئاً، فلما ضغط عليها ذهبت إلى بعض هذه البيوت، ولم تطلب منهم شيئاً، لكنها ذهبت مداراة لابنها، من غير المعقول أن يعطوها، مستحيل، كانت تقول له: يا بني طلبت، ولم يعطوني، كان يصدقها، هي تكذب عليه، و هو يصدقها، البيت الفلاني أمه واقعية، المستحيل أن يقبلوا به، شاب لا يملك شيئاً، ن ثقته بالله عز وجل، قصة واقعية، قبل أشهر جاءه رجل من سكان هذا الحي، قال له: يا بني أمتزوج أنت؟ قال له: لا، بالله يا سيدي، قال له: عندي فتاة عمرها أربعة عشر عاماً تناسبك، أرسل أمك للبيت الفلاني، فأرسل أمه، البنت مناسبة جداً، لكن لا يوجد شيء، فلما جاءه مرة ثانية، قال له: يا سيدي، البنت مناسبة، أما أنا لا أملك شيئاً، قال له: هي والبيت يا بني، أبت نفسه أن يعصي

الله، لكن لا أحد ينتظر مفاجأة كهذه المفاجأة، أما إذا صدقت في طلب الحلال، وعففت عن الحرام فالله سبحانه وتعالى لا يمكن إلا أن يكرمك، إذا أردت العفاف فحق على الله أن يعينك، من هنا قال عليه الصلاة والسلام: ما شكا له أحد ضيق ذات يده إلا قال له: اذهب فتزوج، هو وحده كافٍ نفسه، اسع قليلاً، لكن الله يعينك كثيراً، تحرك، والله يوفق، ابحث، و يهديك، اعمل، والله يرزقك، الناس يفهمون التوكل أنه يجلس في البيت وينتظر الفرج، عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

[ الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

الطير له قاعدة:

((تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا))

يوجد حركة، الحركة فيها بركة، اسع، اسأل.

أجمل حديث قرأته مرة: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمُفْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يُلْوِمُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَفَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[ أبو داود، أحمد ]

دقيق جداً، تقعد بلا سعي لست مؤمناً، تحرك، اسأل، ابحث عن وظيفة، ابحث عن عمل، ابحث عن بيت، أخي لا أحد يؤجر؟ أنت ابحث، من قال لك؟ يوجد حالات استثنائية، ابحث، دبر أمرك، و المدبر، وعلى الله الباقي،

((إِنَّ اللَّهَ يُلْوِمُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَفَيْسِ))

أي بالتدبير، بالسعي، عليكم بالسعي والتدبير والبحث والأخذ بالأسباب، وعلى الله الباقي،

## ((فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

المحافظة على الصلاة، المحافظة على الوضوء، المحافظة على الأيمان، المحافظة على الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، هذه بعض الآيات والأحاديث التي وردت في المحافظة، لذلك: احفظ الله.

الآن الجواب: يحفظك، ما معنى يحفظك؟ دققوا في هذا الجواب، حفظ الله لعبده نوعان، النوع الأول: حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه، صحة طيبة، وحفظه في ولده، يوجد كثير من الأخطار في المنزل، أحياناً إبريق شاي يصيب وجه طفل صغير يسبب شقاء للأسرة، وجه تشوه، أو فتاة كلما أَلقت أمها عليها نظرة زادت ألماً، إذا الله عز وجل حفظ لك أولادك، الطفل سليم معافى، ثقب بوتان مغلق، لو كان مفتوحاً لكان الخطر كبيراً جداً، عملية قلب مفتوح، وبعد عشر سنوات يعافى، ويريد ثمانمئة ألف، نجاحها بالمئة ثلاثون، إذا حفظ الله عز وجل للشخص صحته وصحة زوجته وأولاده فهذا شيء عظيم جداً، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، احفظ الله يحفظك، يحفظ لك بدنك من الأسقام والأمراض والأدواء، ويحفظ لك أولادك، ويحفظ لك زوجتك، ويحفظ لك مالك.

سمعت من يومين عن طفلة أصابها مرض عضال، دفع عليها أبوها مليوناً و نصف المليون، ثم ماتت، لم تمت فقط، قبل أن تموت أنفق عليها كل ما يملك، الله عز وجل قادر أن ينزع عنك كل مالك، وأنت راض، ثم توفت، طبعاً هذا موقف بطولي، لكن يمكن لكل شيء تدخره أن يدفعك إياه، وأنت راض، فإذا حفظ الرجل الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وحفظ أمر الله فلم يعصه، وحفظ أمره فلم يتجاوزته، فلم يقترفه، وحفظ حدوده فلم يتجاوزها، ألا يحفظه الله عز وجل؟ الحفظ في بدنك، وفي أولادك، وفي زوجتك، وفي أهلك، والمال شقيق الروح، أحياناً المال يصادر، أحياناً البيت تدفع ثمنه مبلغاً كبيراً جداً، ثم يظهر أنه متضعع، أمر بإخلاء البناء، وليس له غيره هذا البيت، أحياناً منزل يذهب بأرخص الأثمان، تنظيم، خذ عشرة آلاف ليرة، وهو سعره ثمانمئة ألف، أحياناً بضاعة تفسد، بضاعة تلفت في الطريق، البراد تعطل، فواكه سعرها ملايين تخلصوا منها بالصحراء، ذهب المال كله، قصص الإفلاس كبيرة جداً، لأتفه الأسباب شخص معه بضاعة في سيارة، السائق لجهله دخل قريته فنام ثلاثة أيام، أغلق البراد، فتلفت جميعها على حساب صاحبها، وعلق بالمحاكم، فاحفظ الله يحفظ لك بدنك من الأمراض، احفظ الله يحفظ الله لك زوجتك، إذا أصيبت زوجة شخص بمرض عضال فهذه من المصائب الكبيرة جداً، احفظ الله يحفظ لك أولادك، احفظ الله يحفظ لك مالك.

أنا في الخطبة أحياناً حينما أدعو إخواننا إلى التبرع أقول لهم: ادفعوا يدفع الله عنكم كل مكروه، ادفعوا ليحفظ الله لكم أموالكم وأهلكم وأولادكم وصحتكم، حديث من أروع الأحاديث احفظ الله يحفظك، احفظه يحفظك، لا أعتقد أنه يوجد شخص من الحاضرين لا يتمنى من أعماقه أن يكون في صحة جيدة هو و زوجته وأولاده، وأن يحفظ الله له ماله، كل هذا إذا حفظ حدود الله، حفظ أوامر الله فطبقتها، حفظ نواهيها فلم يقترفها، حفظ حدوده فلم يتجاوزها، حافظ على الصلاة، على الطهارة، حافظ على أيمانه، حافظ على رأسه وما وعى، وبطنه وما حوى، هذا من جوامع الأحاديث.

اسمعوا إلى قوله تعالى:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

هذا المؤمن، تصور شخصاً غالباً على جهة معينة، يقول لك: حراسة مشددة، ومرافقة، وكذا، إذا أنت أيضاً كمؤمن غال على الله كثيراً:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

يعطي ربنا توجيهاً للملائكة أن احفظوا فلاناً، تجد هذا الطريق لا تذهب منه، يكون فيه مشكلة، هذه الصفة لا تشتريها يقول لك: عصّ قلبي، يكون فيها تغليس، يحفظونه من أمر الله، الله يوجهك، أنت معه، يوجهك في أمر حياتك، في علاقاتك، في تجارتك، في صناعتك، في زراعتك، هذه رائعة جداً:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الرعد: الآية 11]

قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فأنت أيضاً معك مرافقة كبيرة جداً، أنت كونك مؤمناً معك ملائكة من أمر الله تحفظك يا عبد الله، حياتك غالبية على الله، وسلامتك غالبية على الله عز وجل، المؤمن لا يذهب رخيصاً بسبب تافه، فهو غالٍ على الله، يوجد حوله من يحفظه، قال ابن عباس: هم الملائكة يحفظونه

بأمر الله، ويقول علي رضي الله عنه: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر الله عليه، وإن الأجل جنة حصينة، مادام الأجل في فسحة فهو في حفظ الله.

مريضة جاءها طبيب، قال لها: معك مرض خبيث، ثلاثة أيام وستمتين، بكل صراحة، انهارت انهياراً نفسياً نهائياً، فطلبوا طبيباً مؤمناً، أول ما جاء قالت له: أموت؟ قال لها: نعم، وأنا سأموت، يمكن أن تحضري أنت جنازتي، هكذا قال لها الطبيب، لكن الله خلق الشفاء، وعالجها، ولحكمة أرادها الله عز وجل جعل شفاءها على يد هذا الطبيب، وعاشت، قال مجاهد: " ما من عبد إلا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الإنس والجن والهوان"، أحياناً الإنسان ينام في خيمة بمنطقة كلها أفاعٍ وعقارب، أنت مؤمن، نم وخذ احتياطك، و لكن لا حيلة لك، فإذا نام تحفظه الملائكة من أمر الله.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُ هَوْلًا الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي ))

قَالَ وَكَيْعٌ: يَعْنِي الْحَسَفَ.

[ النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

يمشي على لغم، يقول لك: لم يعد موجوداً، طار، دعاء لطيف.

من القوانين الثابتة أنه من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره، وضعف قوته، ومتعته بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله، وقد كان بعض العلماء قد تجاوز المئة، أحد شيوخ الأزهر الصالحين عاش مئة وثلاثين عاماً، وكان يتمتع بعقله وقوته وسمعه وبصره، هنا ورد أنه أحد العلماء جاوز المئة، وهو متمتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك، معقول بالمئة هذه الوثبة، فقال هذا العالم: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً، عكس ذلك رأى بعض السلف شيخاً يسأل الناس، والإنسان وهو في شيخوخته في أمس الحاجة إلى دخل وفير؛ أصبح إنتاجه قليلاً، وحاجاته

كثيرة، عكس الشاب، إنتاجه كثير، وحاجاته قليلة، فبعض السلف الصالح رأى شيخاً يسأل الناس يتكفهم، فقال: إن هذا ضعيف، ضيع الله في صغره، فضيعه في كبره، أروع شيء في الحياة شيخوخة مؤمن تجده متمتعاً بكرامة، بعزة، بمحاكمة جيدة، بعقل كبير، بمكانة اجتماعية، و في الثمانين، والله التقيت مع أحد الإخوان العلماء قال لي: أنا عمري خمس وثمانون سنة، قلت له: كيف صحتك؟ قال لي: على هذا العمر ممتازة، عندي متاعب، لكن في هذا السن ممتازة، يأتي من آخر المدينة إلى مركز عمله، أحياناً يأتي مشياً، وأحياناً يكون ركباً، وهو في الخامسة والثمانين، لذلك العبارة الثابتة: حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً عاش قوياً.

عندنا بشارة أبعد من ذلك، عندما قال ربنا:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 82 ]

معنى ذلك أن المؤمن يحفظ الله له أولاده، قال سعيد بن المسيب لابنه: "إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك"، أي أنا أزيد من صلاتي من أجلك، لعل الله يحفظك بعد مماتي، ثم تلا هذه الآية:

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 82 ]

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول: " ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه، وعقب عقبه"، بل إن أحد العلماء يقول: "إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ الله وفي ستره"، حتى إن بعض الحيوانات المؤذية قد يسخرها الله لحفظ الإنسان، وهناك قصص كثيرة جداً، بعضهم قال: إنني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي.

إن شاء الله في الدرس القادم نتابع هذا الموضوع، ولكن أبرز ما في هذا الحديث أولاً، اجعل هذا الحديث أو هذه الفقرة من الحديث شعاراً لك

## ((أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُنِي))

ملخص الدرس: بالحفظ حفظ أمر الله بتطبيقه، حفظ نهيه باجتنابه، حفظ حدوده بعدم تجاوزها، هذا الحفظ.

الآن يحفظ الله لك صحتك وأولادك وزوجتك ومالك، بقي في الدرس القادم الحفظ الأرقى، وهو أن يحفظ لك دينك واستقامتك، أن يحفظك من الشهوات المردية، من الشبهات المضلة، هناك حفظ أرقى، فهذا الحديث من جوامع الكلم، ومن أصول الدين، وأرجو الله سبحانه و تعالى أن يوفقني في درس قادم إلى متابعة شرحه.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 038 - 127 ) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك 3

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-09-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، حديث من أصول الدين، كنت قد بدأت شرحه من درسين سابقين، إنه قول النبي عليه الصلاة والسلام لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:

(( يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ))

[ الترمذي، أحمد ]

شرحنا في الدرس الماضي:

(( أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ ))،

واليوم:

(( إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ))

السائل دائماً مفقر، السائل دائماً ذليل، السائل دائماً يشعر بالضعف، والمسؤول دائماً قوي، ودائماً غني، ودائماً مسيطر، عبوديتك لله عز وجل تقتضي ألا تقف موقفاً ذليلاً إلا لله عز وجل، كرامتك الإنسانية، عزتك كمؤمن، مكانتك كإنسان أنعم الله عليك بنعمة الوجود، ونعمة الهداية، ألا تقف موقفاً ضعيفاً ذليلاً مفترراً لجهة ما، كأننة

من كانت، إلا لله عز وجل، فإذا وقفت الموقف الذليل لحضرة الله عز وجل فهذا قمة العزة، وقمة الشرف، لذلك: ويعاب من يشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم، حينما تسأل فأنت ضعيف، حينما تسأل فأنت ذليل، حينما تسأل فأنت فقير، لا ينبغي أن تقف هذا الموقف الضعيف أمام مخلوق مثلك، لذلك من جلس إلى غني فتضعض له ذهب ثلثا دينه.

أين كرامته؟ أين عزته؟ أين مروءته؟ أين موقفه الشهم؟ ضاعت، لذلك مهما مرغت جبهتك في أعتاب الله، مهما رجوت ربك في السجود، مهما ألححت عليه في الدعاء فهذا شرف لك، وهذا عز لك، وهذا رفعة لك، أما أن تقف موقف السائل أمام إنسان قد يجيبك، وقد لا يجيبك، قد يشفق عليك، وقد يشمت بك، قد يحبك، ويتمنى أن يعطيك، ولكنه لا يملك، فذلك:

((إِذَا سَأَلْت فَاسْأَلِ اللَّهَ))،

طبعاً هذا الكلام مستنبط من آية الفاتحة، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، دائماً النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ))

[الترمذي]

من أين جاء بهذا الكلام؟ الله عز وجل قال:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾

[سورة غافر: الآية 60]

دققوا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾

[سورة غافر: الآية 60]

لو قال: إن الذين يستكبرون عن دعائي بدل كلمة دعائي، بعبادتي إذا الدعاء عبادة، بل على الداعي يكون في لهفة وضيق وشدة واستغاثة، فعندئذ تكون صلته بالله عز وجل من أوثق الصلات، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

### ((الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ))

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَنْتِظَارُ الْفَرَجِ))

[ الترمذي ]

الله فضله كبير، وفضله عميم، وفضله واسع، قد تسأل إنساناً وظيفية، يقول لك: والله كان عندنا مكان شاغر واحد فملأناه، نحن آسفون، قد تسأل إنساناً زكاة، فيقول: والله أديت زكاة مالي، ما معي، الإنسان محدود، ماله محدود، إمكانياته محدودة، سلطته محدودة، شواغره محدودة، فإذا ملئ الشاغل انتهى، أما الله عز وجل فضله عميم، وفضله كبير، وفضله واسع، وأنت عبد له، وهذا الذي يسأله فيعطيه هل أنت أقل منه؟ لا، حينما تشعر أنك عبد لله، وأنه بإمكانك أن تسأله كما سأله غيرك، وأن الله عز وجل يعطيك كما يعطي غيرك، وأنه ليس بين العباد تقاضل، إلا طاعتهم له، لذلك:

ملك الملوك إذا وهب      قم فاسألن عن السبب  
الله يعطي من يشاء      فقف على حد الأدب

هذا الذي أتمناه على كل أخ مؤمن، في سجوده، في صلاته، في صلاة الفرض، في صلاة السنة، في قيام الليل، لك حاجة، لك قضية، شبح مصيبة، إنسان عدو، ضيق ذات اليد، مشكلة، تتمنى أن تشتري هذا البيت، تتمنى أن تصل إلى هذا الهدف، ما دام لك عند الله حاجة فالله عز وجل يحب أن تسأله، العبد يكره أن تسأله، والله يحب أن تسأله، ويحبك إذا سألته، وإذا أعطاك يعطيك عطاءً جزيلاً، هو المعطي، لا يُسأل، وهو الكريم لا يبخل، وهو الحليم لا يعجل، إذا آمنت بوجود الله إيماناً قوياً، وبأنه يسمعك، وبأنه يحبك، وبأنك عبد له، وأن فضله عميم، وأنه قدير، وأنه غني، وأنه حليم، أسأله، لا أقول لك: جرب، هذه الكلمة لا تجوز، الله عز وجل لا يجرب، ولا يشارط، ولكن أقول لك: أسأله، وانظر، قال تعالى:

## ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

[سورة الحج: الآية 15]

أنا لا حظ لي، هذا كلام الشيطان، الله لا يحبني، الله لا يعطيني، الله حرمني، أضربها شرقاً تأتي غرباً، أينما سرت الطريق مسدود، هذا كلام المعسرين، قال تعالى:

## ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ﴾

[سورة الحج: الآية 15]

ليعمل عملاً صالحاً يرجو به الله عز وجل، ثم ليقطع كل معصية، ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ، تعامل مع الله مباشرة أسأله، إنسان لو سألك: كم الساعة، أتجاهله؟ تقول له: الساعة كذا، إنسان قال لك: كأس ماء، وأنت في محل فيه ماء، تفضل اشرب، "إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر".

دققوا، سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل، الله يحب أن يسأل، أنت إذا كان لك صديق ترحب به، وتكرمه، لما يقول لك: أقرضني خمسين ألفاً يتغير لون وجهك، قلت له: ليس لي إمكانيات، لا تؤاخذنا، الإنسان يكره أن يسأل، أما الله عز وجل فيحب أن يسأل،

((سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))

[الترمذي]

هذه أبلغ، أنت حينما لا تسأل فلاناً ترى بأعماقك أنه ضعيف، ليس في إمكانه أن يعطيك، ولا أقول هذا الكلام إلا من باب الحفز، أنت حينما لا تسأل الله عز وجل معنى ذلك أنك لا تعرفه، لا تعرف أنه على كل شيء قدير، لا تعرف أنه يستمع إليك، لا تعرف أنه يحب أن يجيبك، حين لا تسأله أنت لا تعرفه، فإذا عرفته تسأله، ف:

((مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))

حديث آخر: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَسْأَلُ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا، حَتَّى يَسْأَلَ شَيْئًا نَعْلِي إِذَا انْقَطَعَ))

[ الترمذي ]

هل هناك أبلغ من ذلك، ليسأل أحدكم ربه ملح عجيبه، وعلف دابته، الحياة كلها متاعب، كلها مشكلات، كلها أزمات، شاء الله أن تكون كذلك كي نقبل عليه، كي نسأله، كي نرجع إليه، كي نفتقر إليه.

الآن ما دام النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى يقول:

((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ))

فثمة معنى مخالف للحديث، المعنى العكسي، المعنى المخالف أي المعنى العكسي، يعني يجب ألا تسأل غير الله عز وجل، إذا كان في هذا الحديث نهي عن سؤال المخلوقين، استمعوا، هناك أحاديث صحيحة كثيرة جداً.

بايع النبي عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئاً، سيدنا الصديق خليفة رسول الله يقع في قمة المجتمع الإسلامي بمرتبة دينية ليس فوقها مرتبة، ومرتبة زمنية ليس فوقها مرتبة، هو بعد رسول الله، ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر، ومن حيث الزمن هو خليفة المسلمين، يقع في رأس الهرم، كان يركب ناقته، فسقط سوطه، زمام ناقته على الأرض، وحوله أصحابه، فنزل من على ناقته، والتقط زمام ناقته، وكره أن يسأل أصحابه أن يعطوه إياها.

دققوا، بايع النبي عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئاً، منهم أبو بكر الصديق، وأبو ذر الغفاري، وثوبان، وكان أحدهم يسقط خطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه، هناك قصص عن الصحابة شيء لا يصدق، سيدنا الصديق خليفة المسلمين، وقد جيش النبي صلى الله عليه و سلم جيشاً جعل أسامة بن زيد حبه قائداً لهذا الجيش، وكانت سنه لا تزيد على سبعة عشر عاماً، فركب أسامة ناقته، وكان سيدنا الصديق يمشي على الأرض، فتوقف أسامة أدباً، وقال: يا خليفة رسول الله، لتركن أو لأنزلن، قال: والله لا

ركبته، و لا نزلت، وما علي أن تغبّر قدمي ساعة في سبيل الله، أراد أن يبجله أمام جنوده.

هنا نقطة دقيقة جداً، ترى إنساناً يشكو إلى إنسان بحرقه، هكذا حدث معي، من الخامس من بالشهر ليس معي، في حرقه، في ألم، جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: يا رسول الله، إن بني فلان أغاروا علي فذهبوا بابني وإبلي، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: إن آل محمد كذا وكذا، أهل بيت مالهم مد من طعام، أو صاع، فاسأل الله عز وجل، يعني أنا وجماعتي فقراء، فحينما توجهت إلى النبي صلى الله عليه و سلم، وقلت: يا رسول الله، إن بني فلان قد أخذوا مالي وابني، قال: إن آل محمد كذا وكذا، أهل بيت مالهم مد من طعام، أو صاع، فاسأل الله عز وجل من فضله، فرجع إلى امرأته، فقالت: ما قال لك ؟ فأخبرها فقالت: نعم ما رد عليك، فما لبث أن رد الله عليه إبله وولده أوفر ما كانت، فأتى النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره، فصعد المنبر، وأتى عليه، وأمر الناس بمسألة الله عز وجل والرغبة إليه، وقرأ قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾

[ سورة الطلاق: الآية 2 ]

حدثني أخ كريم من الدعاة إلى الله عز وجل كان في حديقة الجامعة، فالتقى به طالب من كلية التجارة، قال: يا أستاذ، أنا شاب في ريعان الشباب، وتاقت نفسي إلى الزواج، وأخاف أن أعصي الله عز وجل، وليس لي ما أتزوج به، فما العمل ؟ قال هذا الداعية، وأعجبني جوابه: هذا الكلام لا تقله لي، قلله لله في صلاتك، فيأتيه بعد أشهر أن هذا الشاب رزقه الله زوجة وبيتاً بشكل عجيب، قال له: لا تقل هذا الكلام لي، من أنا ؟ أنا ضعيف، أنا عبد فقير، هذا الكلام قلله لله عز وجل في صلاتك، روعة الدين أن الإنسان له رب سميع مجيب، قال تعالى:

﴿نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً﴾

[ سورة مريم: الآية 3 ]

بلا صياح، بلا ضجيج، بلا صخب، أحياناً تكون في موقف لا تستطيع أن تحرك شفقتك، بإمكانك أن تدعو ربك بقلبك، في المواقف الصعبة لا تستطيع التمتمة، فحينما تدعو ربك بقلبك تقول: يا رب أنقذني، يا رب ليس لي إلا أنت، أنت رب المستضعفين، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني ؟ أم إلى صديق وگلته أمري ؟ فهذا الدعاء،

الدعاء يعني أنك تعرف الله عز وجل، علامة معرفتك بالله دعائك.

فأنا أقول لكم: إن الحياة كلها متاعب، كلها أزمات، كلها هموم، الله جعلها كذلك أراد، أن يجعلها كذلك كي نقبل عليه، كي نتجه إليه، كي نفتقر إليه، كي نستعيز به، وبصراحة الأنبياء لهم معاملة خاصة، لكن غير الأنبياء على الرخاء يرخيها، عندما يبعث الله له مطالبه كلها تضعف همته، على الرخاء يرتخي، على الرخاء يصبح دعاؤه شكلياً، صلواته شكلية، الله عز وجل يحب أن يسمع صوت عبده اللهفان، لا يأتي إلا بشدة، أذن يركض ركضاً، كنت أقول لإخواني: ملخص الدروس كلها: إن لم تأتته ركضاً جاء بك ركضاً، فالبطولة أن تأتته وحدك، لا أن توتى مقيداً إليه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ))

[البخاري]

ثبت في الصحيحين عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((يُنَادِي كُلُّ لَيْلَةٍ مُنَادٍ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟))

[أحمد]

وفي الأثر:

((من ذا الذي دعاني فلم أجبه؟ من ذا الذي سألني فلم أعطه، من ذا الذي استغفرني فلم أغفر له؟ وأنا

أرحم الراحمين))

[ورد في الأثر]

باللغة الدارجة: هاتوا لي إنساناً دعاني، ولم أستجب له، أين هو؟ ما من عبد سألني إلا أعطيته، دعاني إلا أجبته، استغفرني إلا غفرت له، الطالب بدراسته، يا رب توفقني، يا رب تلهمني الإجابة الصحيحة، التاجر بمحله، يا رب تجبر بضاعة فوق بعضها كاسدة، ما من منظر للتجار مزعج من مستودع ملآن، لا حركة، لذلك لما ربنا قال عن التجارة:

## ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾

[ سورة التوبة: الآية 24 ]

أصعب شيء بالتجارة كساد البضاعة، ما أحد يقول لك: ماذا عندك،

((من ذا الذي دعاني فلم أجبه ؟ من ذا الذي سألني فلم أعطه، من ذا الذي استغفرني فلم أغفر له ؟ وأنا  
أرحم الراحمين ))

لذلك ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هويًا تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه، ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته فتكیده أهل السماوات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجًا.

والحياة الدنيا مليئة بقصص تؤكد هذه الحقيقة، اعتصم بالله، وأخلص نيتك لله عز وجل، ولا تخش أحدًا، كل من تراه عينك بيد الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)﴾

[ سورة هود ]

كان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يدعو ربه، ويقول: اللهم كما صنعت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضر و جلب النفع سواك، والآية الكريمة:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾

[ سورة الأنعام: الآية 17 ]

قال بعضهم: إن الله جل وعلا يحب أن يسأل، ويرغب إليه في الحوائج، ويلج في سؤاله ودعائه، ويغضب على من لا يسأله، ويستدعي من عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤالهم من غير أن ينقص من ملكه شيء.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

(( يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ))

[ مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

((إِذَا سَأَلْتِ فَاسْأَلِ اللَّهَ))

إذا سألت الله فأنت تعرفه، وإن سألت غيره فأنت قد أشركت به، عدم سؤالك لله جهل، وشرك، وسؤالك إياه معرفة وتوحيد، والسؤال فيه ذل، بصراحة أي سؤال فيه ذل، فيه موقف ضعيف، فيه شيء من الضعف، والذل، والفقر، والمسؤول دائماً قوي، وعزيز، فأنت كعبد لله عز وجل لا يجوز أن تقف موقفاً ضعيفاً أمام مخلوق من العالمين، السيدة عائشة رضي الله عنها لها موقف عجيب، حينما أنزل الله عز وجل براءتها، فقال لها أبوها: قومي إلى رسول الله، قالت: والله لا أقوم إليه، لا أقوم إلا لله، هو الذي برأني، فالنبي تبسم، ولم ينزعج، عرفت الحق لأهله. النبي عليه الصلاة والسلام احتار، بقي شهراً في حيرة ماذا يفعل؟ أنت حينما توحد ترتاح، ولا تتسوا قول سيدنا إبراهيم في القرآن:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاقِبِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)﴾

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾

[ سورة الشعراء ]

خلق، وهدى، ورزق، وشفى، وأحيا، وأمات، وغفر، الله عز وجل تفرد بالخلق، والهداية، والرزق، والشفاء، والإحياء، والإماتة، والمغفرة، فيجب أن تفرد بالسؤال، والطاعة، والحب، والإخلاص، والتقويض، والاستثناء، والتوكل، ما دام هو وحده يخلق، ويهدي، ويرزق، ويشفي، ويحيي، ويميت، ويغفر، إذاً يجب أن تسأله وحده، وأن تحبه وحده، وأن تخلص له وحده.

الآن تنمة الحديث

(( إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ))

الإنسان عاجز قطعاً عن الاستقلال عن الله عز وجل بجلب منافعه، ودفع مضاره في الدنيا والآخرة، لا نبتعد، أي غلطة بجسمك تساوي جحيم الحياة، إذا زاد الكولسترول في الشرايين قليلاً، ووصل إلى الشريان التاجي، وضافت لمعة الشريان على الجهد تشعر بألم في الصدر، تحتاج إلى عملية، مليون ليرة، وقسطرة، وإدخال مواد ظليلة، وأين التضيق، وبعد التضيق ننشر الصدر، ونفتح الصدر، ونوقف القلب، ونصله بقلب اصطناعي، ونفتح القلب، وندخل.

غلطة في الكليتين تجعل الحياة جحيماً، أخ كريم قبل أن يتوفاه الله أصيب بمرض توقف الكليتين عن العمل، فزار المستشفى، في أثناء الغسيل قالت له الممرضة بقسوة: لا تشرب ماء كثيراً، الجهاز معطل، شرب الماء نعمة، ما دامت الكليتان تعملان بانتظام فاشرب الماء من نعم الله الكبرى، كليتك، دسامات قلبك، شرايينك، لمعة شرايينك، مرونة شرايينك، ضغطك، عضلاتك، أعصابك، البنكرياس لو تعطل لأصابك مرض السكري، الغدة النخامية لها مشكلة، الغدة الدرقية لها مشكلة، الكظر له مشكلة، أين؟ مركز توازن السوائل، لو اختل المركز لا تستطيع إلا أن تقبع إلى جانب المراض وصنوبر الماء طوال عمرك، تشرب خمس لترات ماء يخرجهم، إذا اختل مركز اسمه مركز توازن السوائل.

أنت فقير إلى الله، فقير بجسمك، فقير بعضلاتك، بأعصابك، بقلبك، بكليتك، بأمعائك، آلاف الأمراض، ملايين الأمراض، كل مرض له اسم خاص، له أعراض خاصة، وأدوية خاصة، وعلاج خاص، مرض أهل البيت، إذا مرضت الزوجة، وصار معها ورم خبيث ترى البيت كله جحيماً، البيت تعطل، لا طبخ، ولا تنظيف، ولا كوي، ولا غسل، الأولاد صغار يحتاجون إلى مدارس، وأنت لا تطيق ذلك، وهي في الفراش تحتاج إلى نفقات تصوير، وتحليل، أنت تعيش بفضل الله، لذلك:

**((وَإِذَا اسْتَعْتَبْتُمْ فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ))**

أنت فقير، فقير في كل شيء، نقطة دم صغيرة بأي مكان تجمدت جعلت مشكلة في الجسم، الغرغرين يحتاج إلى قطع، ليس معقولاً، قطع الكعب، غير معقول قطعت الركبة، في وقت قليل قطع الفخذ كله، بيدك الأمر؟ نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعافينا من كل داء عضال.

لكن الإنسان إذا كان في طاعة الله، جوارحه ملتزمة، دخله حلال، عمله طيب، إخلاصه عالٍ، استقامته جيدة، طلبه للعلم شديد، باب للخير، الله عز وجل يحفظه، ويطمئنه، وأيضاً يلقي بقلبه الأمن، قال تعالى:

**﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)﴾**

[ سورة الأنعام ]

أريد أن أقول لكم كلمة، أنا أتذوقها جيداً: هذا الشاب المستقيم، الذي عرف الله عز وجل، والذي غض بصره عن محارم الله، والذي ضبط لسانه عن الغيبة والنميمة، والذي حرر دخله من الشبهات، والذي أنفق ماله في طاعة الله، والذي كان محسناً لخلق الله، الله عز وجل يهيئ له جواً مريحاً، قال تعالى:

**﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾**

[ سورة النحل: الآية 97 ]

أنت تعامل خالق الكون، تعامل رب العالمين، أنت ترجو الله، ترجو رضوانه، وهو يسعدك، ويسلمك، ويحفظك، وينصرك، ويؤيدك، ويريك آياته.

أقول لكم هذه الكلمة: الإنسان حينما يستقيم على أمر الله، وحينما يعمل الصالحات ماذا يعمل؟ يخطب ود الله عز وجل، إذا أحب ابن أن يخطب ود والده يرى والده الحذاء ملمعاً، فلان، نعم بابا، كأس ماء، حاضر، باردة، نظيفة، إذا أحب الابن أن يخطب ود والده لبي له حاجاته، وقدم له بعض الهدايا، وعاونه، ترى الأب مال إلى الابن، فيجب على الأب أن يبادر ابنه بشكل لا شعوري بعمل، بعبء، يعطيه مبلغاً، هذا احفظه معك، هكذا الحياة طبيعتها.

لما يبادر الإنسان في طاعة الله ماذا يفعل؟ إنه يخطب ود الله عز وجل، ربنا شيء طبيعي أن يبادره الحفظ، خطر حفظه الله منه، ورطة الله أنقذه منها، مشكلة الله حماه منها، أرسل له رزقاً، وهو لا يحتسب، أنقذ ابنه من مرض، الله شفاه، جعل زوجته تعززه، يلقي عليه ثوب الهيبة، له قيمة عند أهل بيته.

مرة كنت في الحج رأيت شخصاً صديقاً يريد أن يطلق زوجته، ما السبب؟ قال: أنا جالس أرى برنامج في التلفزيون غمزتني بقدمها أن غير القناة، أي هيبة هذه؟

إذا كان الإنسان سهوياً الله ينزع هيئته من زوجته، ليس له في بيته قيمة، يخاطب باسمه، ويقسوة، وتكيل له الصاع صاعين، فلذلك الإنسان حينما يطلب ود الله عز وجل، حينما يطيعه الله عز وجل يتولاه بالرعاية والعناية والتوفيق والتأييد والنصر، وهذا معنى قول الله عز وجل:

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 249 ]

هذه معية خاصة.

العبد محتاج إلى الله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات، أنت محتاج، سيدنا يوسف قال له:

﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾

[سورة يوسف: الآية 33]

أي إذا كنت ماشياً في الطريق، أخي أنا مؤمن مستقيم، أنا أغض بصري غضاً حازماً، هذا كلام فيه شرك، ربي احفظني، هكذا علمنا النبي صلى الله عليه و سلم، فعن أبي هريرة قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَتَّقِ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ))

[البخاري]

فإذا خرجت من بيتك فقل: يا رب احفظني، يوجد مزلات في الطريق، يوجد منزلقات، يوجد مشكلات، فدائماً الإنسان في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات أنت بحاجة إلى أن تستعين بالله عز و جل.

الآن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز. ))

[مسلم، ابن ماجه، أحمد]

دائماً عندنا موقف دقيق جداً، يا أيها الإخوة، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

[أبو داود، أحمد]

حديث خطير جداً، أي أنت أمام مشكلة، مهمتك كمؤمن أن تشمر، وأن تقول: يا رب أعني، هيب، خطط، قابل، اعمل استدعاء، اطلب، وسط، لا تستسلم، تنهزم، تستخزي، تضعف، ليس بيدي، كلا، إنه بيدك، الله يعينك، وما أكثر الإخوة الأكارم الذين استعانوا بالله فأعانهم، أخي ابني لا يوجد منه جدوى، لماذا لا جدوى منه؟ اعمل له برنامجاً، اجلس معه كل أسبوع جلسة، دعه يرافقك بكل حركاتك مثلاً، ييأس بسرعة، هذا اليأس علامة القنوط من رحمة الله عز وجل، أخي زوجتي لا جدوى منها، لا يمكن أن تُصلح، لماذا؟ كلام فيه تآلٍ على الله عز وجل، الله تعالى قال:

### ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

[سورة الأنبياء: الآية 90]

تعال من باب البر والإحسان واللطف، أكرمها، أقنعها، غض البصر عن بعض أخطائها، تجد أنها قد تغيرت بعد شهر، ألم يقل له سيدنا معاوية عندما جاءته رسالة من أحد المواطنين اسمه عبد الله بن الزبير، قال له: "أما بعد فيا معاوية - مباشرة، وهو خليفة المسلمين - إن جنودك قد دخلوا أرضي، فانهم عن ذلك، وإلا كان لي ولك شأن، والسلام، ابنه يزيد جالس أمامه، ماذا نفعل؟ قال له: أرى أن ترسل له جيشاً أوله عنده وآخره عندك، يأتوك برأسه، هذا تجاوز، تطاول، تبسم سيدنا معاوية، فقد كان حليماً، قال له: غير ذلك أفضل، أمسك القلم، وقال للكاتب: اكتب: "أما بعد، فقد وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله - هو ابن الزبير - و لقد ساءني ما ساءك، والدنيا كلها هينة جنب رضاه، لقد نزلت له عن الأرض ومن فيها، يأتي الجواب: "أما بعد، فيا أمير المؤمنين - أول كتاب: فيا معاوية - الثاني: "فيا أمير المؤمنين، أطال الله بقاءك، ولا أعدمك الرأي الذي أحلك من قومك هذا المحل، قال له: يا بني تعال إلى هنا، تريد أن تبعث له جيشاً أوله عنده، وآخره عندك، نأتي برأسه، قال له: يا بني اقرأ، قال له: يا بني من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال إليه القلوب".

كلمة: لا أستطيع، زوجتي لا تصلح، ابني لا جدوى منه، لا خير فيه، هذا العمل لا خلاص منه، حسنهما، وانظر أين الأغلاط، لا يوجد بيع، أنت محضر بضاعة قديمة غير مطلوبة بالسوق، تريد أن تبيعها بسعر غال، طبعاً لن يشتريها أحد، نزل سعرها، وبعها برأسمالها، أو أقل من رأسمالها، وأحضر بضاعة مستواها أرقى فستبيع، بسرعة ييأس في العمل، بالتجارة، بالوظيفة، بالزواج، مع أولاده، هذا اليأس السريع دليل الجهل، استعن بالله، ولا تعجز، فالحديث: إن الله يلوم على العجز، فوراً انهارت أعصابك، فوراً استخزيت، هربت، انسحبت،

(( إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنَّ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ ))

دبر، فكر، أين يوجد الأخطاء؟ أين يوجد الثغرات؟ فكر، فلان من يعرفه، اعمل له استدعاء، قال لي رجل: في عمله التجاري عقبة كبيرة جداً، عمله في المواد الغذائية، والطريق مسدود، وما سمحوا له، فكتب كتاباً، واشتكى، ثاني يوم أجابوه، قال لي: كتبت كتاباً، قدمت شكوى معي مبرر قوي، ثاني يوم جاء الجواب بالموافقة، تحرك، ولكن عليكم بالكيس.

إذا كان الله عز وجل له إرادة أن هذا الشيء لا يناسبك سدّ لك إياها

(( فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ ))

بعد ما سعيت، وقابلت، واتصلت، ووسطت، وبينت، ووضحت، وأخذت بكل الأسباب، وما حدث معك شيء، الآن قل:

(( حَسْبِيَ اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ))

هذا الموقف الدقيق، أولاً: اسع، العجز ألام عليه، والسعي مطلوب، وحينما أغلب أقول: حسبي الله ونعم الوكيل، هذه مشيئة الله عز وجل.

أعرف أسرة ابنها دراسته وسط، أو أقل من وسط، بتصميم من أمه أن يجعلوه طبيباً، أنا ما رأيت أسرة عندها إلحاح مثلها، أول سنة رسب، والثانية رسب، والثالثة أخذ البكالوريا، ثم ثمانى سنوات في الطب، وبعد هذا صار طبيباً، وفتح عيادة، والآن دكتور فلان، أعجبنى في هذه الأسرة إلحاحها.

أحياناً إنسان ابنه من أول سنة يرسب، هذا ليس أهلاً للدراسة، يرسب الإنسان في سنة وقد يصبح عبقرياً، أديسون كان ضعيفاً في الفيزياء، وإنشتاين أكبر عالم رياضيات طرد من المدرسة لضعفه بالرياضيات، وعميد الأدب العربي بمصر توفيق الحكيم توفي وكان ضعيفاً باللغة العربية، يمكن أن يكون ابنك ضعيفاً باللغة فيصبح أديباً، يمكن أن يكون ضعيفاً في الرياضيات فيكون عالماً كبيراً، اليأس جهل كبير، لا تيأس، القنوط دليل عدم معرفة الله عز وجل، وإذا استعنت فاستعن بالله.

اسمعوا الآن، من ترك الاستعانة بالله قال واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً.

سيدنا الحسن كتب إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز قال:

(( لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه ))

بعض السلف قال: " يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك "، علامة إيمانك أن تسأل الله، وأن تستعين بالله، هات معرفة واستعانة، وخذ كل شيء، خذ حلاً لكل مشكلة، لكن وأنت تارك الله، وقاعد مع عبد الله، وعبد الله لنيم، عبد الله قصدي، مصلحته فوق كل مصلحة، تارك خالق الكون، ولاحق العبيد، والعبيد لهم مصالح قد تكون عكس مصالحك.

مرة أخ أحب أن يعمل في مصلحة، فقلت له: اسأل أصحاب المصالح يفيدوك، قال لي: سألت السوق بكامله، قالوا له: انتبه المصلحة فقيرة صعبة، ما فيها أرباح، المواد الأولية غير مؤمنة، ما من واحد إلا حطم له أعصابه، والله كل هؤلاء أصحاب مصالح، أبعده عنها، قلت له: اسأل فلاناً، أعرفه إنساناً مؤمناً، قال له: بالعكس، مصلحة ممتازة، موادها الأولية موفورة، وأرباحها جيدة، وأنا أساعدك بها، فلذلك الإنسان إذا استعان بغير الله وكله الله إليه.

وما توفيقى إلا بالله، أساساً التوفيق بيد الله عز وجل، ما يمكن أن ينجح شيء لا تجارة، ولا صناعة، ولا زراعة، ولا عمل، ولا وظيفة، ولا طبابة إلا بتوفيق الله، ترى الطبيب علاماته قلائل عائدوه كثير، وطبيب له بورد لا أحد يعود، إذا استعان الطبيب بالله يجعل شفاء الناس على يده، وكل واحد عند واحد معتد بشهادته سوف يموت ويرسله إليه يدخل حيا، فيخرج ميتاً.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:

((قُلُوا أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ))

[ أحمد، الترمذي ]

((وان لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ))

[الترمذي]

هذا تتمة الحديث الشريف.

الآن شيء عندنا من السيرة كما وعدتكم في كل درس، أن نجمع بين السيرة والحديث.

وفد رجل على النبي عليه الصلاة والسلام له موقف جدير أن نستمع إليه.

قال ابن إسحاق: كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة، ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً أريباً.

رجل شريف أي سيد في قومه، شاعر، لبيب، ذكي، قال هؤلاء الرجال له: إنك قدمت بلادنا، وإن هذا الرجل - يقصدون النبي الكريم - وهو الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد حلّ علينا فلا تكلمه، ولا تسمع منه، هو ذكي، لبيب، وشاعر، وشريف، سيد في قومه، وشاعر لبيب، عاقل، فلما قدم مكة خافوا أن يؤمن برسول الله صلى الله عليه و سلم، فنبهوه أن هذا الرجل إياك أن تسمع إليه، إياك أن تلتقي به، إياك أن تحضر مجلسه، لأنه شتت جماعتنا، كلامه كالسحر، يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وإنما نخشى عليك منه وعلى قومك ما قد حلّ علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع إليه، قال: فو الله مازالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، أنا قنعت، هذا شيء مخيف، ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً، أي كالقطن، فرقاً من أن يبلغني منه شيء، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، ففقت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، سمع شيئاً من القرآن الكريم، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وائتلى أمياه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، عندي عقل، وعندي ميزان، أنا أسمع إذا كان شيئاً جيداً أقبله، وإذا كان شيئاً سيئاً أرفضه، فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فو الله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن

يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك، أي ما قصتك ؟ فعرض علي رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم فداعيتهم إلى الإسلام، فادع الله لي أن يجعل لي آية تكون عوناً لي عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: اللهم اجعل له آية، أي علامة، قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعي على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح، قلت: اللهم غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم، أي يشمتوا بي، فتحولت فوق في رأس صوتي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم، وأصبحت فيهم، فلما نزلت أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عني يا أبت فلست مني، ولست منك، قال: لم يا بني ؟ قلت: قد أسلمت، وتابعت دين محمد، قال: يا بني فديني دينك، أنا أيضاً معك، قال: فقلت: اذهب فاغتسل إذاً، وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت، قال: فذهب، واغتسل، وهر ثيابه، ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتتني صاحبتني، أي زوجته، فقلت لها: إليك عني فلست منك، ولست مني ؟ قال: لم، بأبي أنت وأمي ؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك، أسلمت وتابعت دين محمد، قالت: فديني دينك، أنا معك، لأنه له قيمته، قال: قلت: فاذهبي فاغتسلي، ففعلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام، القبيلة، الآن فأبطؤوا علي، فجننت رسول الله عليه الصلاة والسلام فقلت: يا رسول، إنه قد غلبني على دوس الزنا، أكثرهم زناة، فهذا الزنا حجبهم عني، ولم يسلموا معي، فادع الله عليهم كي يهلكهم، فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم اهد دوساً، لماذا تدعو عليهم ؟ ادع لهم بالهدى، الشخص بسرعة يدعو على الآخر، ادع له بالهدى، ولو كان عدوك، لأنه إذا هداه الله سيخدمك، فقال: اللهم اهد دوساً، ثم قال: ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله، وارفق بهم، احلم عليهم، خذهم باللين، بشر، ولا تنفر، يسر ولا تعسر، سدد وقارب، فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله ﷺ، ورسول الله بخبير، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، أسلموا معه، ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخبير فأسهم لنا مع المسلمين، فهذا الذي وضع في أذنه قطناً كي لا يسمع أسلم هو، وأبوه، وزوجته، وسبعون أو ثمانون بيتاً من قومه، فإياك أن تحظر، إياك أن تذهب، اذهب، واسمع، الله أعطاك عقلاً، هذا العقل ميز به.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (039 - 127) : إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-10-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، قبل أن نقرأ الحديث الذي هو محور هذا الدرس أريد أن أقول كلمات عدة، الكلمة الأولى: أن من قواعد الأصول أنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، هل تتم الصلاة من دون وضوء؟ الصلاة فرض، والوضوء فرض، لأن الصلاة لا تتم إلا بالوضوء، بما أن الصلاة فرض والطريق إليها وهو الوضوء فرض أيضاً.

عبر علماء الأصول عن هذه الحقيقة بأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، الله سبحانه وتعالى في نص القرآن الكريم يقول:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر: 7]

هذا أمر قطعي الدلالة واضح كالشمس، لا تحتاج معه إلى تفسير، كيف أتبع الرسول؟ كيف أأتمر بما أمر الرسول؟ وكيف أنتهي عما نهى عنه الرسول إن لم أعرف سنة الرسول صلى الله عليه و سلم؟ فإذا كان اتباع الرسول فرضاً بنص القرآن الكريم فتعلم سنته أمره ونهيه فرض، تنفيذاً لهذه القاعدة، إذا أنت حينما تأتي إلى هذا المسجد، أو إلى أي مجلس علم آخر لتتعلم سنة رسول الله ﷺ، ماذا أمر، وماذا نهى، ماذا قال، وماذا فعل؟ كيف كان، كيف وقف موقفاً في موضوع معين، هذا واجب حتم، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((طلب الفقه حتم واجب على كل مؤمن))

الإنسان يكون موظفاً، وعليه دوام، ودوامه أساسي، ولو ما داوم يحسم من راتبه، وفي المرة الثانية يفصل من

وظيفته، فحركته في المدينة، ذهب إلى صديقه، ذهب إلى شراء حاجة، ذهب إلى السوق، ذهب إلى نزهة، لكن أهم ذهاب في حياته ذهابه إلى وظيفته، هذا شيء أساسي.

إذاً أنت حينما تأتي إلى بيت من بيوت الله لتتعلم سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فهذا حتم واجب عليك، لأن الله عز وجل في القرآن الكريم يأمرك أن تتبع النبي عليه الصلاة والسلام، هذا شق من الموضوع. الشق الآخر: قال الله عز وجل في آية واضحة الدلالة قطعية الدلالة:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

[سورة الأحزاب: 21]

يعني أنتم أيها العباد قدوتكم رسول الله صلى الله عليه و سلم، كيف كان زوجاً؟ كيف عامل زوجته؟ فكل من عامل زوجته خلافاً لما أمر النبي عليه الصلاة والسلام فقد عصى أبا القاسم، كيف كان يجلس مع أهله؟ كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كيف يعامل جيرانه؟ له جار يهودي كان يؤذيه، انقطع عنه الأذى مرة، فقال: لعله مريض، فزاره، وكان إسلامه بهذه الحادثة، أنا لا أدخل في التفاصيل الآن، لكن أقول لكم: ما دمنا في شهر ربيع الأول، ما دمنا في شهر المولد النبوي الشريف، فأى احتفال بهذه الذكرى العطرة لا ينتج عنه معرفة بسنته، بأوامره، ونواهيها، ولا بمواقفه ليكون قدوة لنا في أخلاقه، ومشروعاً لنا في توجيهاته، فهذا احتفال لا يقام له وزن عند الله عز وجل، هذه الفكرة الأولى.

الفكرة الثانية: النبي عليه الصلاة والسلام روي عنه أحاديث كثيرة بلغت في مجموعها ستمئة ألف حديث، لكن الإمام البخاري ومسلم أخذوا من هذه الأحاديث ما ثبتت عندهما صحته، عشرة آلاف حديث، وهناك علماء اختاروا من هذه الصحاح بعض الأحاديث، أنا والفضل لله عز وجل حينما أختار لكم حديثاً شريفاً أجعله محور الدرس هذا الحديث الشريف من الأهمية بمكان، هذا الحديث الشريف متعلق بأصل من أصول الدين، تقريباً سيارة أخطر ما فيها المحرك، فإن تعطل لم تعد سيارة، فهناك أحاديث علاقتها بالدين كعلاقة المحرك بالمركبة. الحديث الماضي احفظ الله يحفظك، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:

((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ؛ اخْفَظْ اللَّهَ يَخْفَظْكَ، اخْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

[ الترمذي، أحمد ]

اليوم حديث شريف آخر من الصحاح، هذا الحديث يعد أصلاً من أصول الدين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ]، وَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد، الدارمي ]

هذا الحديث والله من أخطر الأحاديث، بل من ألصق الأحاديث بأصول الدين، وليس أحد وأنا معكم بمنجاة من عذاب الله إن لم يتبع نص هذا الحديث، وحقيقة الدين شيء خطير جداً، الدين له مظاهر، يمكن أن تصلي، يمكن أن ترتدي ثوباً إسلامياً، يمكن أن تحمل السواك، يمكن أن تحمل سبحة، يمكن أن تضع على محلك التجاري قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾

يمكن أن تصلي يوم الجمعة، هناك آلاف من المظاهر الإسلامية، ولكن جوهر الدين لو وضعت يدك عليه لقطفت ثماره كلها، لو وضعت يدك على جوهر الدين لكنك أسعد الناس، لو عرفت حقيقة الدين لصحت بأعلى صوتك: ليس في الأرض من هو أسعد مني، لكنك إذا وضعت يدك على جوهر الدين يجب أن تكون في مستوى هذا الجوهر، لا أن تكون أنت في واد، والدين في واد آخر، النبي عليه الصلاة والسلام، وهو الصادق المصدق يقول:

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

ما معنى إن الله تعالى طيب ؟ هذا الحديث يذكرنا بحديث آخر،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ))

[ الترمذي ]

أتحب أن يحبك الله ؟ كن سخيًّا، أتحب أن يحبك الله ؟ كن نظيفًا، أتحب أن يحبك الله ؟ كن طاهرًا طيبًا.

هذا الحديث على الهامش:

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ))

طاهر، إذا قلنا فلان طيب، يعني طاهر، أما إذا قلنا: الله طيب، أي منزّه عن كل نقص لا يليق به، إذا وصفنا ربنا بأنه طيب، أي أنه منزّه عن كل نقص،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ))

والطريق واضح، أتحب أن يحبك الله ؟ كن طاهرًا من العيوب، من الغل، من الحسد، من الغيبة، من النميمة، من قول الزور، من الكبر، من الاستعلاء، من الأنانية،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ))

يعني منزّهًا عن كل نقص،

((يُحِبُّ الطَّيِّبَ))

يحب العبد المنزه عن كل نقص، الكامل،

((نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ))

إذا قلنا: إنسان طيب أي طاهر، طاهر في جسمه، طاهر في أخلاقه، طاهر في سلوكه، طاهر في كسبه، طاهر في إنفاقه، أما إذا قلنا: إن الله طيب، معنى ذلك أنه منزه عن النقائص والعيوب كلها، قال تعالى:

﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾

[سورة النور: 26]

المؤمنة الطيبة سُمعتها، نظيفة، عفيفة، حصان، ودودة، مطيعة لزوجها، ستيرة، الآن:

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ))

أي منزه عن كل نقص لا يليق به، منزه عن الظلم، منزه عن أن يشبه أحداً، عزيز في ملكه، حكيم في أفعاله، أما معنى:

((لا يقبل إلا طيباً))

هنا الدقة في الحديث، هنا خطورة الحديث،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ))

هو طيب، عرفت أم لم تعرف، أقررت أم لم تقر، هو طيب، يعني أنه منزه عن كل نقص، لكن الذي يتعلق بك لا يقبل إلا طيباً، لا تغلب نفسك، مهما فعلت، مهما أخذت من مظاهر الدين، مهما تعلقت بمظاهر الدين، مهما كنت مع المقربين، مهما فعلت أفعالاً ترضي الناس، مهما أتى عليك الناس، مهما علوت في نظر الناس،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

ما معنى لا يقبل إلا طيباً ؟

هذا الحديث معناه واسع جداً، قال صلى الله عليه و سلم:

(( لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ))

النبي عليه الصلاة والسلام فسر هذه الكلمة قال: لا يتصدق أحدكم بصدقة إلا من كسب طيب، يعني لا يقبل الله الصدقة إلا إذا كانت من كسب طيب حلال.

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

المال إذا كان حراماً، أو إذا كان فائدةً، أو إذا كان مغتصباً، أو إذا كان ربحاً فاحشاً، أو إذا كان ربحاً مدلساً، أو إذا كان مالاً أخذ بالحياء، أو بالخداع، أو بالتلاعب، هذا المال كله مال خبيث، فالله سبحانه وتعالى لا يقبله، هذا المعنى الأول، لا يقبل من مالك الذي تتصدق به إلا إذا كان حلالاً طيباً.

الآن بعضهم قال: الحديث فيه عموم،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ))

ما قال: لا يقبل إلا مالاً طيباً، قال:

(( لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ))

يعني حتى الأعمال إذا كان فيها شرك لا يقبلها، إذا كان فيها افتخار لا يقبلها، إذا كان فيها عجب لا يقبلها، إذا كان فيها استعلاء على الناس لا يقبلها، إذا كان فيها أهداف أرضية لا يقبلها، أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، هذا حديث خطير جداً،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

هو منزه عن كل نقص، لا يقبل إلا طيباً، لا يقبل من المال إلا ما كان حلالاً، لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، لا يقبل من الاعتقاد إلا ما كان صحيحاً، لا يقبل من الكلام إلا ما كان وفق السنة، لا يقبل كلامك، ولا أفعالك، ولا مالك، ولا اعتقادك إلا إذا كان طيباً، ومعنى أنه طيب هنا أنه منزه عن النقص، عقيدة زائغة لا يقبلها الله عز وجل، أخطر ما في الإنسان عقيدته، لماذا ؟ لأنه لو اعتقد عقيدة زائغة فلا بد من أن تترجم إلى سلوك

منحرف أبداً، إن اعتقد اعتقاداً زائغاً ظهر في سلوكك، مثلاً لو اعتقد كما يعتقد عوام الناس أن النبي عليه الصلاة والسلام يشفع لكل عصاه أمته، انتهى الأمر، لماذا الاستقامة؟ لماذا تحرير الدخل؟ لماذا غض البصر؟ لماذا الاستقامة على أمر الله؟ لا حاجة لذلك؟ لو اعتقدت أن النبي صلى الله عليه و سلم يشفع لكل العصاة بلا استثناء؟ هكذا بلا شروط؟ إذاً هذا الاعتقاد منعكسه في سلوكك عدم الاستقامة.

إذا اعتقدت أن إطلاق البصر من الصغائر؟ قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾

[سورة النجم: 32]

اللمم النظرة؟ إذا استثنى الله عزوجل النظرة، فإذا اعتقدت أن اللمم هو النظرة لا يوجد داع لغض بصرك؟ أخطر شيء في الإنسان عقيدته؟ إذا زاعت زاع عمله، إذا زاع عمله استحق العقاب.

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

الحقيقة أن الحديث فيه إطلاق؟ لو قال النبي عليه الصلاة والسلام: لا يقبل إلا مالا طيباً صار في الصدقة متعلق؟ أما: لا يقبل إلا طيباً؟ لا يقبل إلا اعتقاداً صحيحاً؟ لا يقبل إلا كلاماً موافقاً للسنة؟ لا يقبل إلا عملاً ابتغي به وجهه؟ لا يقبل مالا إلا ما كان حلالاً،

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

دقق؟ قال تعالى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾

[سورة المائدة: 100]

تجد وظيفة دخلها كبير جداً؟ هذا الدخل يتيح لك حياة ناعمة فارهة، وبيتاً واسعاً، ومركبة كبيرة، ومكانة مرموقة، ولكن أصل هذا العمل مبني على إيذاء الناس، أو على أكل أموالهم بالباطل، أو على خداعهم، هذا خبيث ما الذي يقابل الطيب؟ الخبيث، قال تعالى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾

[ سورة المائدة: 100 ]

يا أخي الناس كلهم هكذا، من أين جئنا أنت بالدين الذي لك، أي دين ؟ هذا هو الشرع، أخي الناس كلهم يفعلون هذا، قال تعالى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾

[ سورة المائدة: 100 ]

المؤمن لا يُؤخذ بالكثرة، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[ سورة النعام: 116 ]

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾

[ سورة النجم: 28 ]

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾

[ سورة المائدة: 100 ]

إذا صار في حياتنا شيان، طيب وخبِيث، عقيدة طيبة عقيدة خبيثة، كلام طيب كلام خبيث، مال طيب مال خبيث، سلوك طيب سلوك خبيث، السلوك الطيب، والعقيدة الطيبة، والكلام الطيب، والمال الطيب أساسه طاعة الله عز وجل، فإذا عصيت الله عز وجل أصبحت العقيدة خبيثة، والمال خبيثاً، والمواقف خبيثة، والأمال خبيثة، قال تعالى:

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

[ سورة إبراهيم: 24 ]

أحياناً إنسان يزور شخصاً يقول له: هذا البيت كيف وسعك، كان واسعاً، ورضي به، فكرهه فيه، يزور أخته، ماذا قدم لك زوجك في العيد؟ يزهدا بزوجها، يظهر لها زوجها أنه إنسان فقير، لا يحبها، أفسد العلاقة بين شخصين، أنت قبل أن تقول كلمة فكّر في عاقبتها، هناك كلمة فيها استعلاء، يقول: كسرت خاطره، أو كسر خاطري، هناك كلمة فيها كبر، وكلمة فيها فخر، وكلمة فيها شرك، وكلمة فيها اعتداد، وكلمة فيها استعلاء، فكل هذه الكلمات كلمات خبيثة، أما الكلمة الطيبة ففيها تواضع، فيها إرضاء للإنسان، ترضيه عن حياته، ترضيه عن ربه، ترضيه عن دينه، دقق في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾

[سورة النحل: 32]

آيات كثيرة جداً، أحاديث كثيرة جداً وردت فيها كلمة طيب، أولاً: قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ

حِينٍ﴾

[سورة إبراهيم: 24-25]

أنت تعرف أنك يمكن أن تتكلم بكلمة في مجلس، في عقد قران، في احتفال، في زيارة، في عيادة مريض، في مناسبة حزن، تتكلم كلمة صادقة من قلبك، تحرك بها مشاعر الناس، ترشدهم إلى ربهم، تعيدهم إليه، تحملهم على التوبة، تحببهم في الآخرة، تدعوهم إلى الاستقامة، فإذا استقام أحدهم، ودعا أهله إلى الاستقامة، ومن حوله فهذه الكلمة الطيبة أصبحت شجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين، لا أحب أن أشبه هذا بهذا، ولكن أحياناً الإنسان يكون وكيل شركة، جالساً مرتاحاً، تأتيه رسالة: أن فلاناً جاءنا من البلد الفلاني، واشترى بمبلغ كذا، لك منه مبلغ ثلاثين ألفاً مثلاً، قيدناها في حسابك، بعد ثلاثة أيام رسالة ثانية في الجهة الفلانية، اشترت، قيدنا في حسابك كذا، وهو مرتاح تأتيه الأموال من كل جانب، كذلك المؤمن تكلم كلمة طيبة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[ سورة المائدة: 32 ]

أحييت أسرة، أنت اعتنيت بها، أكرمتها، أعتنتها، وجهتها، أصبحت هذه الأسرة مسلمة، الآن الجيران أخذوا عنها، زملاء العمل، الأولاد، الأقارب، الأصهار، أنت هديت إنساناً، الآن أمام مئة إنسان كلهم في طاعة الله عز وجل، من هذه الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء،

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ

حِينَ

[ سورة إبراهيم: 24-25 ]

﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

[ سورة إبراهيم: 26 ]

عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا))

[ مسلم، الترمذي، ابن ماجه، النسائي، احمد، الدارمي ]

الآن، قال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾

[ سورة فاطر: 10 ]

كيف يصعد الكلم الطيب إليه ؟ لأن العمل الصالح يرفعه، كلام طيب مدعوم بعمل صالح، العمل الصالح والكلام الطيب رُفِعَ إلى الله عز وجل، آية أخرى، النبي عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم وُصِفَ بأنه:

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾

[سورة الأعراف: 157]

دقق، ما حرم النبي عليه الصلاة والسلام إلا بوحى عن ربه، ماذا حرم ؟ الخبائث، حرم القاذورات، حرم الزنا، حرم الخمر، لحم الخنزير، الغيبة، الغيبة تقتت المجتمع، النميمة تقطع الناس، تقطع الأوصال، حرم قول الزور، حرم شهادة الزور، حرم عقوق الوالدين، حرم أكل الربا، حرم إساءة الجوار، ماذا حرم ؟ حرم الخبائث، ما أحل ؟ أحل الطيبات، هذا هو الدين.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾

[سورة الأعراف: 157]

المؤمنون بماذا وصفوا إذا جاءهم ملك الموت ؟

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾

[سورة النحل: 32]

طيب، طاهر، دخله حلال، إنفاقه حلال، عباداته صحيحة، أحواله طيبة، ثقته بالله كبيرة، استقامته تامة، مات طيباً، الملائكة إذا خاطبوا أهل الجنة ماذا يقولون ؟

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيِّبًا﴾

[سورة الزمر: 73]

المؤمن إذا زار أخاه ماذا تقول له الملائكة ؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِيبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

الكلام دقيق، إذا زرت أخاك المؤمن، وصلته، أكرمته بزيارة، تفقدت أحواله، عدته إذا مرض، أعنته إذا افتقر، سألت عنه إذا غاب، أنت إذا زرته تقول الملائكة لهذا المؤمن:

((طِيبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا))

عمل عظيم، تكون ساكنًا في المهاجرين، لك أخ في المخيم، وما جاء درسين، ركبت السيارة، ساعتين ونصفًا حتى وصلت إليه، طرقت الباب، فتح لك، السلام عليكم، شعر أنه هو غال على الناس، هو عضو بأسرة، غاب درسين، الملائكة تقول:

((طِيبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا))

أما الذي يأمر بالقطيعة بين المؤمنين فهذا مخالف لما أمر الله به.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾

[ سورة النحل: 32 ]

((طِيبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا))

المؤمن في النهاية كله طيب، لسانه طيب، قلبه طيب، جسده طيب، الإيمان طهر قلبه، وذكر الله طهر لسانه، اجلس مع مؤمن خمس ساعات، اسمع منه كلاماً طيباً، قال الله عز وجل، قال عليه الصلاة والسلام، هكذا فعل الصديق، هكذا فعل عمر، هذا الحكم الشرعي، كلام عن سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، أو عن أحكام فقهية، تفسير آية، تفسير حديث، آية كونية، دلالة، مزاح بريء لطيف، حديث في أمر الدنيا، ضمن عمله، كلامه طيب، اجلس مع فاسق، كل مزحة فيها غش، يمزح مزاح الوقح، يحمر وجهه خجلاً، مزاحه ساقط، حديثه عن النساء، كلماته في العورات، له موقف معطن، وموقف مبطن، منافق، مزدوج، يقيس الناس بمقياسين، خبيث، نجس، وليته نجس، بل نَجَسْ، لو قلنا نجس يطهر، ليته نجس، إنه نَجَسْ، والدليل قال تعالى:

## ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

عين النجاسة، إن شاركته، إن سهرت معه يجررك، تدخل زوجته، وتجلس معك، وإن شاركته يجررك، لذلك:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[ سورة التوبة: الآية 28 ]

الآن:

((وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

هذه فقرة في الحديث خطيرة جداً، أولاً:

((إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

العوام أول كلمة يقولونها إذا أمرتهم بالطاعة: أخي أنا لست نبيًا، من قال لك: إنك نبي؟ أنت لست نبيًا، وأنت مأمور بما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام.

توضيح ذلك، أعلى طبيب في العالم، جراح قلب، إذا أراد أن يعطي مريضًا حقنة فلا بد من تعقيمها، وتعقيم الزجاج، وتعقيم الشفرة، وتعقيم الإبرة، وتعقيم مكان ضرب الإبرة، لو كلفنا أقل ممرض في الأرض أن يعطي حقنة لمريض يجب أن يفعل ما فعله أعلى طبيب، هذه قواعد أساسية، أنت أودع الله فيك الشهوات، فإذا عصيت الله عز وجل فقد زلت قدمك، تقول: نحن في زمن صعب، في زمان صعب، لأن أصحاب النبي لو تركوا عشر العشر لهلكوا، ومن جاؤوا بعدهم في زمن صعب، لو أخذوا عشر العشر من الأعمال الصالحة لا من المنهيات، مستودع له قعر، إذا بالقعر هناك ثقب، بأي مكان، بأي زمان، عند أي إنسان هذه المادة الثمينة تتسرب من هذا الثقب، مستودع الوقود السائل، الوقود غال جداً، أخي أنا شخص جئت في زمان متأخر، يمكن أن يكون عندي بالقعر عدد من الثقب، لن يبقى عندك في المستودع شيء، مستودع لوقود سائل لا بد من أن يكون محكمًا عند غني، عند فقير، عند عالم، عند جاهل، عند إنسان قديم، حديث، بقرية، بمدينة، أينما كان، حتى يبقى هذا الوقود السائل طوال السنة في المستودع تستخدمه، دفعت ثمنه مبلغاً باهظاً، لا بد من أن يكون المستودع محكمًا، هذا المستودع لو كان عند طبيب لا بأس، ولو وجد ثقباً لا بأس؟ كلا، عند طبيب، وعند ممرض، وعند عالم، وعند

عالم، وعند جاهل، وعند غني، وعند فقير، وعند قروي، وعند مدني، قديماً وحديثاً، المواد السائلة لا تبقى في مستودع مثقوب، انتهى الأمر، ليس لها علاقة بنبي أو غير نبي، أمور الشرع لا يوجد بها حل وسط، أمور حدية: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.

سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام قال:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[ سورة يوسف: الآية 33 ]

أنت تغض البصر، والنبي يغض البصر عليه الصلاة والسلام، لما جاءت بنت سيدنا شعيب تروي كتب التاريخ أن سيدنا موسى أطرق رأسه في الأرض، لماذا قالت:

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

[ سورة القصص: الآية 26 ]

رأته أميناً على عرضها، لم ينظر إليها.

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

[ سورة القصص: الآية 25 ]

قال لها: امشي ورائي، ودليني على الطريق، يبدو أنه كان في يوم ريح، فخاف أن تعبث الرياح بثيابها فينظر إليها، قال لها: امشي ورائي، ودليني على الطريق، هذا شأن المؤمن، لا يضع نفسه في موضع فيه شبه، هذا شأن المؤمن مع النساء، طيب، عفيف، طاهر، نظيف، نقي، قال: يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ قال: يا داود أحب العباد إلي تقي القلب، نقي اليدين، دخله حلال، حياته واضحة، ليس عنده احتيال، مواقف معلنة، ومواقف مبطنة، شيء يقال، شيء لا يقال، يعمل تحت ضوء الشمس، ليس عنده سر، ما في قلبه على لسانه، ما يقوله في قلبه قال عليه الصلاة والسلام ؟ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعَرَبِيَّ بْنَ

سَارِيَّةٌ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ:

((...فَدَّ تَرَكْتُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...))

[ أحمد، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، الدارمي ]

المؤمن نظيف، دخله نظيف، مزاحه نظيف، عمله نظيف، مخه نظيف، أخلاقه نظيفة، علاقاته نظيفة، ليس عنده علاقات مشبوهة، الحلال حلال، والحرام حرام، ليس عنده شيء معلن، الأخت أخت، الأم أم، الزوجة زوجة، الحلال حلال، والحرام حرام.

((وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

كل من يقول: أنا لست نبياً، من قال لك: إنك نبي، وهل ترقى إلى مستوى لا يعدل واحداً بالمليار من نبي؟ لا ترقى إلى ذلك، ومع ذلك حفاظاً على سلامة دينك، حفاظاً على سعادتك، حفاظاً على طهرتك لا بد أن تفعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، والدليل: هل عندنا دليل من القرآن الكريم أن المؤمنين مأمورون أن يفعلوا ما أمر به المرسلون،

((وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

هل هناك دليل قرآني؟ قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[ سورة الأنعام: الآية 15 ]

دليل آخر، قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

[ سورة هود: الآية 112 ]

أنت أيها النبي مأمور أن تستقيم ومن تاب معك، المؤمنون مأمورون مثلك، أن تستقيم.

مثل للتوضيح ليس غير، في علم الهندسة من أجل أن تشيد بناء في عشرة طوابق لا بد من دعائم بحجم معين، وحديد بكميات معينة، وبسماكات معينة، وبأشكال معينة، وبطبيعة معينة، لو فرضنا أنك قلت له: أنا عوض ثمانية ميليمترات ضع أربعة، لا يقبل، يقع البناء، قضية علم، ليس هنا مجاملات، ولا تقل: أنا ليس معي مال، لا تعمر بناء، البناء يحتاج بالمتر مكعب سبعة أكياس إسمنت، يحتاج ثمانية ملم حديد بكل متر مكعب، عشر قضبان، فقير، غني، معك مال، ليس معك، تترجاه، ابن عمك، قريب، هنا قضية علم، إن لم تفهم أوامر الدين كأنها كقواعد البناء فأنت لست فقيهاً في الدين.

كنت أضرب مثلاً، واحد مشى في حقل، إذا بلوحة كتب عليها: انتبه، حقل ألغام، يشعر بامتنان من الدولة التي نبهت المواطنين، أم يشعر أن حريته قد كبتت بهذا الإعلان؟ إذا شعر أن حريته قد كبتت بهذا الإعلان فهو جاهل، أما إذا شعر بامتنان لمن وضع هذه اللوحة التي تحفظ له حياته، وتنبهه أن هذا الحقل حقل ألغام فهو ذو فهم وذكاء، دع حقل الألغام، إذا كان ثمة خط توتر عال يقول لك: خطر الموت، لا تقترب، ألا تشعر بامتنان لمن وضع هذه اللوحة؟ هكذا الدين، الدين ليس قيوداً لحريتك، بل هو ضمان لسلامتك، هذه حقيقة الدين، ليس قيوداً لحريتك، بل هو ضمان لسلامتك.

((وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

من الآن فصاعداً لا تتكلم، ولا تسمع من أحد، أخي أنا لست نبياً، أنت مؤمن، والمؤمن مطالب أن يستقيم كما يستقيم النبي عليه الصلاة والسلام، هذه حدود، وليست قيود.

قام سعد بن أبي وقاص مرةً وقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((يا سعد هذا - من أخطر الأحاديث - أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ))

[الطبراني في الأوسط عن سعد]

## ((أطب مطعمك))

اجعل دخلك حلالاً، أتقن العمل، أنت تناولت أجزاً عن هذا العمل، أجزاً بمستوى الجيد، قدمت مستوى سيئاً، تناولت ثمن بلور أجنبي، وضعته وطنياً، الفرق كبير جداً، صار الدخل حراماً، بعته بضاعة على أنها من الطبقة الأولى، هي من الطبقة الثالثة، هو دفع ثمن درجة أولى، قبض ثمن درجة ثالثة، صار الدخل حراماً بالتدليس، صار حراماً بالكذب، صار حراماً بالغش، صار حراماً بتأخير التسليم، صار حراماً، عطلته بالإيهام، صار حراماً بالاحتكار، صار حراماً، ليس معنى هذا أن الحرام سرقة مالٍ، هذا شيء نادر جداً، السرقة لما الإنسان يبتز أموال الناس يأكل أموالهم بالباطل، يأكل أموال الناس بالباطل، فهذا الدخل حرام، وإذا كان الدخل حراماً فالاستجابة لا تكون، ما من إنسان إلا وهو محتاج إلى الله عز وجل، أحياناً يشعر بنغزة في قلبه، يقول لك: البول قلّ، تكون الكلية متراجعة، هناك مليون خطر يهدد حياة الإنسان، والله أكثر من مليون، في الأعصاب، في الأوردة، في الرئة، في الكليتين، بالعظام، بالغدد الصماء، شيء كثير، مليون خطر يهدد حياة الإنسان، يهدد صحته، مليون خطر يهدد صحة زوجته، مليون خطر صحة أولاده، ممكن لطفل أن يمرض مرضاً تدفع له مليوني ليرة، ويموت بعد هذا، ما مات رأساً، أخذ منك كل مالك قبل أن يموت، مليون خطر ينتظر الإنسان، هو يحتاج أن يدعو، يا رب اشف لي ابني.

## ((يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

أتحب أن تكون مستجاب الدعوة ؟ إذا أظب مطعمك، أتقن عملك، اجعل دخلك حلالاً، تقصّ أن تأكل مالاً حلالاً، وأن يدخل في بطنك طعام حلال،

## ((يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

وفي الحديث:

((والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عمل أربعين يوماً))

[الطبراني في الأوسط عن ابن عباس]

لقمة حرام، أحياناً الإنسان يلحس لحسة لبن، لكن يكبرها، كم الكيلو، لا ينوي أن يشتري، هذه حرام، لا يريد أن يشتري اللبن إطلاقاً، ولكن كبر اللحسة، أكل مشمشة، ما ينوي أن يشتري، ثم يمشي، أين تمشي، هذه لقمة حرام.

((والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقدف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عمل أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به))

من سحت، من مال حرام، الناس لما يأكلون ما لا حراماً بلا حساب فقد أهلكوا أنفسهم، وهم لا يشعرون.  
ملخص الملخص أقول: هان الله عليهم حينما عصوه، فهانوا على الله حين ضيق عليهم.  
عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:

((مَنْ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ وَفِيهِ دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ))

قَالَ ثُمَّ أُدْخِلَ أَصْبُعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ ثُمَّ قَالَ صُمْتًا إِنَّ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ.

[ أحمد ]

صلاته مرفوضة ما كان عليه هذا الثوب، إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة، ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه من السماء: لبيك وسعديك، وزادك حلال، وراحتك حلال، وحجك مبرور، وسعديك مشكور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد في السماء: لا لبيك، ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك غير مبرور.

قضية هذا الدين، الدين استقامة، الدين طاعة لله عز وجل، الدين طهر، الدين نظافة، الدين طيب، الدين حلال، هذا هو الدين، لعلك رأيته يصلي، ويصوم، قال: أنت لا تعرفه، هل سافرت معه؟ فالسفر يسفر عن أخلاق الرجال؟ هل حاككته بالدرهم والدينار؟ هل جاورته؟ قال: لا، قال: أنت لا تعرفه، لعلك رأيته يصلي في المسجد، أنت لا تعرفه.

أيضاً لا تقبل صلاة الآبق، العبد الآبق لا تقبل صلاته، ولا المرأة التي زوجها ساخط عليها، صلاتها غير مقبولة، يقول لك: عشت معها ثلاثين سنة، ما نمت يوماً واحداً مسروراً منها، وتصلي، ولها أورادها، أي أوراد هذه؟ أي صلاة هذه؟ هذه أوراد شيطانية.

لا تقبل صلاته، ولا المرأة التي زوجها عنها ساخط، ولا من أتى كاهناً فصدقه، ولا من شرب خمرًا، لا تقبل لهؤلاء أربعين يوماً.

لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

[ سورة المائدة: الآية 27 ]

قال بعض العلماء:

((خمس خصال بها تمام العمل، معرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإذا فقدت واحدة لم يرتفع العمل))

التفصيل، إذا عرفت الله عز وجل، ولم تعرف الحق، منهجه، كتابه هو الحق، إذا عرفت الله عز وجل، ولم تعرف الحق لم تنتفع به، وإذا عرفت كتابه، ولم تعرف الله عز وجل لم تنتفع به، وإذا عرفت الله، وعرفت الحق، ولم تخلص العمل لم تنتفع به، وإذا عرفت الله، وعرفت كتابه، وأخلصت العمل، ولم يكن عمالك على السنة كما أمر النبي صلى الله عليه و سلم لم تنتفع، وإذا تمت الأربع، ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع، يجب أن تعرف الله، وأن تعرف منهجه، وأن تخلص في العمل، وأن تطبق سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، وأن يكون طعامك حلالاً حتى يقبل عمالك، لقول الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

[ سورة المائدة: الآية 27 ]

عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد، ابن ماجه ]

المال الذي أكلته حراماً اسمه غلول، هذا المال لا يقبل إذا تصدقت به.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ أَوْ فَصِيلَهُ))

[ متفق عليه ]

دقق في الحديث، إذا تصدقت بمال حلال أخذها الرحمن بيمينه، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتَقَعُ فِي يَدِ الرَّبِّ قَبْلَ أَنْ تَقَعُ فِي يَدِ الْمَسْكِينِ))

[تفسير القرطبي (251/8)]

الآن، لا يكتسب عبد مالاً من حرام - الآن دقق - فينفق منه فيبارك فيه إذا تصدق به، لا يتقبل منه، إذا تركه خلف ظهره، كان زاده إلى النار، إذا أنفق على نفسه غير مقبول، تصدق به غير مقبول، تركه بلا صدقة كان زاده إلى النار.

لأن الله لا يمحو السيئة بالسيئ، ولكن يمحو السيئة بالحسنة، إن الخبيث لا يمحو السيئ.

من أصاب مالاً من مأنم، فوصل به رحمه، وتصدق به، أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك جميعاً، ثم قذف به في نار جهنم.

كل الأعمال الصالحة إن كان مالها حراماً فهذا غير مقبول.

لذلك موضوع الدرس اليوم موضوع خطير، حقيقة الدين أن يكون مطعمك حلالاً، مرة ثانية:

((يَا سَعْدُ أَطْبِطْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ))

الآن التقنوا إلى أعمالكم، فحرروا الدخل، مواعيد العمل، نوع البضاعة، إخفاء العيوب، لا تخف عيب البضاعة،  
ليكن دخلك حلالاً، لا تدلس، لا توهم، لا تحتكر، لا تعلن عن نوع وتبيع نوعاً أقل جودة، لا تعلن عن مصدر  
وتبيع مصدرًا أقل جودة، لا تعلن عن عدد وتبيع أقل عدد، هذا كله يدخل في الكسب الحرام، ومن كانت لقمته  
من حرام لم يستجب له.

وللبحث صلة أرجو الله سبحانه وتعالى في درس قادم أن أتابع هذا الحديث، أعيده على مسامعكم مرة قبل نهاية  
الدرس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))

وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

وَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ

((يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَتَى  
يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ))

[مسلم، الترمذي، أحمد، الدارمي]

هذا هو الدين، الدين أن تكون صادقاً في عملك، متقناً له، ليكون دخلك حلالاً، لتأكل حلالاً، لتدعو الله عز وجل  
فيستجيب لك، بل إن بعض العلماء قال: من عوامل حفظ القرآن الكريم أن يكون الكسب حلالاً، لو عندك ذاكرة  
قوية مما يعينك على حفظ الله أن يكون الرزق حلالاً.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (040 - 127) : خطبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-10-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، الحديث اليوم خطبة لرسول الله ﷺ موجزة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته:

((أيها الناس ؛ إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع، أيها الناس ؛ إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فقال له المقداد: يا رسول الله ؛ وما الهدنة ؟ قال: دار بلاء وانقطاع، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))

في هذه الخطبة معانٍ جليّة وكثيرة ودقيقة، وقد يسأل سائل: ما بال النبي عليه الصلاة والسلام يخطب خطبةً لا تزيد عن دقيقتين، وقد ربي صحابة فتحوا المشرقين، وسيطروا على الأرض إلى حد ما، ومكن الله لهم دينهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمناً ؟ وما بال المسلمين في عصور متأخرة يزيدون على مليار ومئتي ألف، وخطبائهم يتحدثون الساعات الطوال، والكتب بين أيديهم كثيرة، والمقالات والصحف والمجلات والأشرطة، والعلم مبدول بشكل مذهل الآن، ومع ذلك لا تجد واحداً من بين المسلمين في بطولته، وفي إخلاصه، وفي حبه يقترب قليلاً من أي صحابي من صحابة رسول الله ﷺ.

هناك سرّ خطر في بالي، أن هذه الكهرياء إذا سرت في الأجهزة تحركت المروحة، وعمل البراد، والمكيف، والمدفأة قدمت الحرارة، هذه الأجهزة المتنوعة إذا قطعت عنها الكهرياء أصبحت كتلاً من الحديد لا معنى لها، فإذا سرت فيها الكهرياء قدمت نفعاً كبيراً، ما هي هذه القوة التي كانت في أصحاب رسول الله ﷺ وافتقدناها نحن؟ مثلاً درس الجمعة كان عن غزوة الخندق، والغزوة طويلة، وقرأت لكم من بعض كتب السيرة مشاهد مؤثرة من غزوة الخندق، وفي مشهد قرأته سريعاً، ولم أقف عنده طويلاً هو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحضر مع أصحابه الخندق، وكان كواحد منهم، ولم يميز نفسه عنهم قيد أنملة، لا في الحفر، ولا في الحمل، ولا يفي الجوع، ولا في البرد، ولا في الخوف، أحد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ألمه الجوع إيلاًماً شديداً، فذهب إلى البيت، وسأل زوجته: ماذا عندك يا فلانة؟ قالت: عندي شاة، وصاع من شعير، فقال: اجعليه طعاماً، ذبحت الشاة، وطبخت، وطحنت الشعير، وصنعت طعاماً يكفي لعدة أشخاص، ماذا فعل هذا الصحابي؟ أكل هو وامرأته، وشبعا، وقالوا: الحمد لله، وانتهى الأمر، وأصحاب رسول الله ﷺ في الخندق يتضورون جوعاً؟ حمل هذا القدر، وجاء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام، أثر النبي e على نفسه، أثر النبي e على حاجته، وعلى أهله، هكذا خطط الصحابي، أن يا رسول الله كُل أنت ومن حولك، أنت واثنين، سيدنا الصديق، سيدنا عمر، كلوا، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام تناول هذا الطعام سراً هو وأصحابه المقربون، وبقي أصحاب رسول اله جائعين، أكان هذا نبياً؟ ماذا فعل أب إيمانه أن يأكل وحده مع صاحبيه، وأصحابه الألف يجوعون، ويبردون، ويخافون؟ لا يستطيع النبي e إلا أن يفعل ما فعل، قال: أخوكم فلان دعاكم إلى طعام، ثقته بالله عز وجل أن هذا الطعام الذي يكفي لأشخاص لا يزيد عددهم على أصابع اليد، لعل الله عز وجل يطرح البركة، أو لعلهم يأكلون قليلاً فيشبعون، على كل قدم الطعام لكل أصحاب رسول الله، هذا الصحابي الذي صنع الطعام ذهب كالشمعة، وخجل من هذا قلة الطعام، أنا دعوت النبي e وحده ومن حوله، فإذا بالنبي عليه الصلاة والسلام يدعو كل الناس، كل أصحابه لهذا الطعام، وقد دخل أصحاب رسول الله على هذا الطعام عشرة وراء عشرة، وأكلوا جميعاً، وهذه من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام.

لكن لما يكون النبي e لا يؤثر نفسه بلقمة واحدة، ولا يوفر جهده بساعة واحدة، يحضر مع أصحابه، وينقل التراب مع أصحابه، ويجوع مع أصحابه، ويشبع مع أصحابه، لو أن المؤمنين بهذه المحبة، وبهذا التعاطف، وبهذا التسامح، وبهذا الود، وبهذا الإخلاص، وبهذا التعاون لكننا في حالة غير هذه الحالة، عندئذ يتحقق قول الله عز وجل فينا:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي﴾

[سورة النور : الآية 55]

أقول لكم كلمات بإخلاص: التآلق في الدين لا يكون لا بالقراءة، ولا بالاستماع، ولا بالحديث، ولا بالمناقشة، ولا بالحفظ، ولا بالتذكر، ولا بالتأليف، تألق المؤمن يكون حينما يجعل هذا الإسلام مطبقاً في حياته، إسلامك في دكانك، في صدقك، في أمانتك، في ورعك، في عفافك، الإسلام ليس في المسجد، في المسجد تقبض الجائزة، إذا أتيت إلى بيت من بيوت الله لتصلي، ففي هذا المكان تأخذ الجائزة، أما موجبات الجائزة تكون في بيتك، في محلك التجاري، في صنعتك، في معملك، في وظيفتك، فإذا أتقت عملك، وكنت صادقاً، ونصحت المسلمين، وجعلت الإسلام مطبقاً في حياتك اليومية، جعلت هذه السنة المطهرة يلمسها الناس صارخةً في سلوكك، عندئذ تتألق، عندئذ يصبغ الله على كلامك قوة تأثير عجيبة، عندئذ تهفو القلوب إليك، عندئذ يكون كلامك كالسحر الحلال، إله هو هو، ما تغير، وما تبدل، إله الصحابة إلهنا، ورب الصحابة ربنا، والذي حصل مع الصحابة يمكن أن يحصل في كل زمان، لكن كما يقولون: هات لي أخ صادق مخلص يحب أخاه حباً حقيقياً، ولا يميز نفسه عليه قيد أنملة، وخذ تأييداً من الله عز وجل، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام أكل هذا الطعام، وهو في أشد حالات الجوع، أكله مع كبار الصحابة، مع ثلاثة، وبقي أصحاب رسول الله يتضورون جوعاً، وقد رأوا أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل، وأكل، وخرج، وقد شبع، وبدأ ينصحهم بالصبر، اصبروا، ولو أنه نبي، ولو أنه يوحى إليه، ولو أنه معصوم، لنفرت النفوس، ولابتعدت عنه، ولانتقدوه، لكن النبي عليه الصلاة والسلام قال تعالى عنه:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة التوبة: الآية 128]

فأنت قبل أن تتكلم، وقبل أن تتطلق بخطاب رائع، وقبل أن تلقي موعظة مؤثرة، وقبل أن تحفظ الأحاديث، وقبل أن تتفنن في شرحها، وفي تحليلها، وفي إيراد أسبابها، وقبل أن تفعل كل ذلك سوّ نفسك مع إخوانك، كن متواضعاً لهم، كن محباً لهم، ليمتلئ قلبك رحمة بهم، سوّ نفسك معهم، وانظر كيف تتألق، وانظر كيف أن قلبك يصبح مهبطاً لتجلي الله عز وجل، وانظر كيف تسعد وتسد، وانظر كيف أنك تشعر بسعادة لا توصف، تحس

أن مجتمع الصحابة شيء لا يوصف، كانوا في أشد حالات الضيق والفقر والخوف والجهاد والقلق، من غزوة إلى غزوة، من حرب على حرب، من جائحة إلى جائحة، مع ذلك كانوا في سعادة لا توصف، وقد تجد المسلمين وهم في بحبوحة، وفي أمان، وفي استقرار، والحاجات ميسرة، والتناحر، والتباغض، والتشاتم، والتدابير، وكل يكيل للآخر تهماً، وكل يسفه الآخر، وهذا هو الإسلام الذي يروجوه النبي عليه الصلاة والسلام؟ أهكذا ربي أصحابه، ربي أصحابه على المودة، على الحب، كان في غزوة، والنبي عليه الصلاة والسلام من عادته أن يتفقد أصحابه، فإذا غاب أخ من الإخوة عن درس أو درسين، وسألت عنه، لا يعدها أنه تفقد، يا ترى مريض؟ يا ترى سافر؟ يا ترى له مشكلة؟ يا ترى له حاجة؟ فتفقد الإخوان الكرام هذا من السنة، فالنبي تفقد أصحابه، فقال: أين فلان، وفلان، وفلان.

مرة أحدهم غمز، ولمز، قال أحدهم: لا، والله يا رسول الله، ما علمنا عليهم إلا خيراً، والله يا رسول الله لقد تخلف عنك أناس ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو علما أنك تلقى عدواً ما تخلفوا عنك، هكذا كان الصحابة قلباً واحداً، ويداً واحدة، وهدفاً واحداً، وطريق واحدة، فنحن إذا أردنا أن نتألق، أن نشعر بعظمة هذا الدين، أن نشعر بطعم الإيمان، هذا ذاق طعم الإيمان، أن تذوق ما الإيمان، من رضي بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأن يكره أن يعود بالكفر كما يكره أن يلقى في النار، إذا فعلنا ما فعل أصحاب رسول الله تألقنا، وسعدنا، وقطفنا ثمار هذا الدين.

فيا أيها الإخوة الأكارم، الوقت ثمين، هذه خطبة التي خطبها النبي عليه الصلاة والسلام على إيجازها فيها معاني عميقة جداً قال:

((أيها الناس إنه لا خير في العيش))

يعني تعيش لتأكل تعيش لتجمع الأموال تعيش لتتاجر ربنا عز وجل قال:

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾

[ سورة التكاثر: الآية 1 ]

ما هو اللهو ؟ أن تشتغل بالخسيس عن النفيس، إنسان غاص إلى أعماق البحر وتحمل مشقة الغوص وأخطار الغوص واحتمال أن يلتهمه قرش البحر واحتمل أن يختنق واحتمل... وترك اللألى وأخذ الأصداف وصعد إلى سطح البحر أليس هذا خاسر خسارة شديدة، نقول:

﴿الْهَائِكُمُ النَّكَائِرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)﴾

[ سورة التكاثر ]

عندنا علم اليقين، وعندنا عين اليقين، وعندنا حق اليقين، علم اليقين إذا رأى إنسان دخاناً من وراء جدار يحكم بعقله قطعاً أن هناك وراء الجدار ناراً، لأن العقل يقول: لا دخان بلا نار، هذا علم اليقين مئة بالمئة، فإذا سار إلى خلف الجدار، ورأى النار بعينها، فهذا عين اليقين، فإذا أصابته النار بحرارتها، ولسعت يده فهذا حق اليقين، علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، فالإنسان يجب أن يكون إيمانه من مستوى اليقين، إما علم اليقين في البداية، ثم عين اليقين، ثم حق اليقين، أحد أصحاب النبي قال: كيف أصبحت يا فلان ؟ قال: أصبحت بعرش ربي بارزا، وكأني بأهل الجنة يتتعمون، وبأهل النار يتصايحون، قال: عرفت فالزم، إني لك ناصح أمين، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((أيها الناس، إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع))

الناس رجالان، عالم ومتعلم، ولا خير فيما سواهما، يعمل ليأكل، يأكل ليعيش، يعيش ليأكل، أهداف كلها أرضية، أهداف صغيرة، أهداف دنيئة.

((أيها الناس، إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع، أيها الناس، إنكم في زمن هدنة))

أدق ما في الحديث، أو ما في الخطبة هذه الكلمة:

((إنكم في زمن هدنة))

ترى طلاب المدارس في أثناء العام الدراسي كلهم في ثياب موحدة، والدوام موحد، كلهم ينطلق إلى المدرسة الساعة الثامنة، ويجلس الأستاذ يتكلم، فهذا الوقت في بحبوحة، هناك مجتهد، وهناك كسول، ومتفوق، ومقصر، ومطروود، وراسب، وناجح، أما حينما يأتي الامتحان، وتوزع الأسئلة تتلون وجوه الطلاب بين طالب مشرق،

وطالب كامد، وطالب متألم، طالب يضجر، فإذا أعلنت النتائج فرز الطلاب، العام الدراسي زمن هدنة، الأمور مستورة، ونحن الآن في الدنيا في زمن هدنة، يمكن أن تلبس ثياباً أنيقة، تتعطر، وتحضر حفلة، وتدعي أنك مؤمن، يمكن أن يظن الناس بك التقى والصلاح، وأنت لست كذلك، الأمور مستورة الآن، كله مخبأ، لكن حينما يأتي يوم القيامة، ويفضح الناس على رؤوس الأشهاد النبي عليه الصلاة والسلام قبيل وفاته قال:

((من كنت جدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي، ولا يخشى الشحناء، فإنها ليست من شأني، ولا من طبيعتي، فقام رجل، وقال: يا رسول الله إنني منافق، غضب عمر، قال: ويحك، فضحت نفسك، قال: يا عمر دعه، فضوح الدنيا خير من فضوح الآخرة))

[الطبراني في الأوسط عن الفضل بن عباس]

فالإنسان الآن في زمن هدنة، يمكن أن يموت الإنسان، وتلقى كلمات من أروع الكلمات، والخطباء يقولون: هذا من أهل الجنة، وهذا رجل مؤمن وصالح وتقي ونقي، ممكن أن تكون أجمل جنازة، وممكن تكون الترتيبات رائعة جداً، لكن العبرة بمقام الإنسان عند الله، بحقيقته عند الله، بالمرتبة التي احتلها عند الله،

((أيها الناس إنكم في زمن هدنة))

عند الموت ينكشف الإنسان، البرزخ امتداد يوم القيامة، يفضح الإنسان على رؤوس الأشهاد، والنبي عليه الصلاة والسلام مرة سأله السيدة عائشة قالت: يا رسول الله أيعرف بعضنا بعضاً يوم القيامة؟ قال:

((يا أم المؤمنين، نعم، إلا في ثلاثة مواضع، عند الصراط، وعند الميزان، وإذا الصحف نشرت))

في هذه المواطن الثلاثة لو وقعت عين الابن على أمه لا يعرفها، ولو وقعت عين الأم على ابنها لا تعرفه، وفيما سوى ذلك قد تقع عين الأم على ابنها، تقول: يا ولدي، لقد جعلت لك بطني وعاء، وصدري سقاءً، وحجري وطاءً، فهل من حسنة يعود علي خيرها اليوم؟ يقول لها: أه يا أماه، ليبتني أستطيع ذلك، إنني أشكو مما أنت منه تشكين، فنحن في زمن هدنة، الآن الأمور مستورة، كل واحد مخبأ، هذا يصلي قيام الليل، هذا لا يصلي، هذا يدعي أنه ورع، وهو ليس كذلك، هذا يتصنع في الصلاة الخشوع أمام الناس، وقد لا يصلي وحده، هذا يبيع ويشترى بطريقة لا ترضي اله، وهو يصلي خلف الإمام في أول صف، مع الأذان، دائماً في زمن هدنة الأمور مخبأة، معه فرصة، الإنسان يذهب في بعثة أربع سنين، كيف فلان؟ جيد، مستورة، لكن بعد خمس أو ست

سنوات سيعود، إما معه دكتوراه، أو كذاب، أما في هذه الأربع سنوات فمستورة، القضية أنكم في زمن هدنة، ونحن الآن في زمن هدنة، تحب أن تؤمن أنت حر، تحب ألا تؤمن حر، تحب أن تكون ورعاً بيدك الأمر، تحب أن تكون ورعاً أمام الناس، ووحدهك لست بورع ممكن، من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله، ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخط، ممكن أن تنفق مالك، ممكن أن تبخل، إنكم في زمن هدنة، لكن كل شيء بحسابه، بأدق حساب.

**((أيها الناس، إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم سريع))**

قصة عابرة، كنا يوم الجمعة في مولد، وواحد استقبلني، واستقبل غيري طبعاً، ودخلت إلى المسجد، واستمعت إلى كلمة من كلمات الإخوة العلماء، رأيت حركة غير طبيعية، خمسة تحركوا، بعد هذا ألقيت كلمة في ثلث ساعة، واحد قال لي: الذي استقبلك، وصافحك توفي فوراً، شيء سريع، لباسه مرتب، متألق الوجه، هو دعا الناس للعيد، ما به شيء إطلاقاً، في دقائق كان من أهل القبور.

**((أيها الناس، إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم سريع))**

كل واحد منا له عمر، كيف وصل إلى هذا العمر؟ يقول لك: البارحة كنت صغيراً، البارحة كنت في الابتدائي، كنت ألبس صدرية من فترة، صار رجلاً عنده أولاد، وزوج بناته مثلاً، الأربعون سنة كيف مضت؟ الخمسون كيف مضت؟ وثمة سؤال محرج كبير جداً، هذا السؤال: هل بقي بقدر ما مضى؟ كل إنسان له أن يسأل هذا السؤال: يا ترى هل بقي بقدر ما مضى،

**((وإن السير بكم سريع))**

يا ترى سنة الستين، الواحد والستين... السبعين، مضت السبعينيات، مضت الثمانينيات، سنة التسعين، بعد هذا سنة الألفين، الألفين وواحد، إذا أمد الله بعمره السنوات تمضي، الأسابيع تمضي، الآن ترى الجمعة السبت الأحد الاثنين ثلاثة أيام جاءت الجمعة، أربعة أسابيع جاء الشهر، جاء الفصل، راح الفصل، توقيت صيفي، توقيت شتوي، جاء رمضان، جاء العيد،

## ((وإن السير بكم سريع))

الزمن مثل عقرب الساعة، كأنه واقف، وهو ماشٍ.

من أروع الخطب:

((أيها الناس، إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع، أيها الناس، إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود))

سيدنا عمر بن عبد العزيز له كلمة من أروع الكلمات، قال:

## (( إن الليل والنهار يعملان فيك ))

الذي عنده صور قديمة ينظر إليها، الذي عنده صور، وكان في الابتدائي طفلاً بوجه أملس، إذا رأى صوراً قديمة يخبئها، وينظر كيف تطور، كيف كان طفلاً صغيراً له ملامح خاصة، في السابعة عشر، الثمانية عشر، نبت شعر لحيته، بعد هذا تجعد خده، بعد هذا ظهرت فيه ملامح الكبر، ملامح الكهولة، ملامح الشيخوخة، كان شعره أسود صار أبيض، قول سيدنا عمر: " إن الليل والنهار يعملان فيك - ماذا عليك ؟ - فاعمل فيهما ، مادام الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، إذا سافر الشخص سنتين، ورجع ترى شكله قد تغير، أما إذا كان يعيش مع أهله فلا يجدون فرقاً، سوى تطور طفيف، لكن اتركه سنتين تر ملامحه قد تغيرت، والصور أوضح دليل، الذي عنده صور قديمة ينظر كيف تطور من طفل إلى شاب إلى شيخ، وهكذا.

## ((وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود ))

أحياناً الإنسان يبني بيتاً، يبدأ بالأساس، يظن أن هذا البيت يحتاج خمس سنوات، تمضي كذا سنة، انتهى البيت بكسائه وفرشه، وسكنه، بعد فترة الأنابيب سربت مياهاً، يحتاج إلى أن يحضر مرة ثانية، الأمور ماشية.

### ((بيليان كل جديد))

إذا خطب الإنسان فتاة كلمها بالهاتف ساعتين، بعد ذلك ليس له نفس أن يتكلم معها كلمة واحدة،

((بيليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فقال له المقداد يا رسول الله: وما الهدنة؟ قال: دار  
بلاء وانقطاع))

أنت في دار بلاء، دار امتحان، بعد هذا انقطاع، والذي حصلته في كل حياتك يوماً بيوم، وأسبوعاً بأسبوع،  
وشهراً بشهر تخسره في ثانية واحدة، وأوضح دليل أن الإنسان في ضعف في أطوار حياته.

كان شخصاً صار خبيراً، ترى الشخص له بيته، له قيمته، يخافون منه أهله، إذا تأخر ابنه يحسب حساب أبيه،  
بعد أن توقف قلبه بقي كلمة على نعي: المرحوم فلان، كان شخصاً ملء السمع والبصر أصبح خبيراً، وربنا عز  
وجل قال:

### ﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ﴾

[سورة المؤمنون: الآية 44]

صار قصة.

بالمناسبة هذا الدعاء الذي قرأته مرة في كتاب معين ترك في نفسي أثراً كبيراً، قال: يا رب لا تجعلني عبرة لأحد  
من خلقك، لا أكون أنا قصة، لا تكون مشكلتي قصة للناس، الإنسان إذا اتعظ بغيره فأغلب الظن أنه يسعد، قال:

### ((دار بلاء وانقطاع))

تعريف الدنيا عند رسول الله ﷺ أنها: دار بلاء وانقطاع، قال:

### ((فإذا التبست عليكم الأمور))

مذاهب وضعية، وأفكار، واتجاهات، وفلسفات وجودية، وبوذية، وعقائد، ومذاهب وضعية، ومذاهب سماوية محرفة، الدين الإسلامي نفسه فرق وشيع وأحزاب واتجاهات وتطرف نحو اليمين، ونحو اليسار.

قال:

**((فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل والمظلم فعليكم بالقرآن))**

كتاب الله، مع زحمة الأفكار والاتجاهات والمنازعات والصراعات، كل يدعي أنه على حق، وكل حزب بما لديهم فرحون، هؤلاء ينكرون الآخرة، هؤلاء ينكرون البعث بعد الموت، هؤلاء ينكرون رحمة الله، هؤلاء ينكرون عدالته، هؤلاء انصبوا على الدنيا، ولا أعتقد أن عصرًا كثرت فيه الاتجاهات والفرق والملل والنحل والخصومات والصراعات كهذا العصر.

قال:

**((فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل والمظلم فعليكم بالقرآن))**

كلام خالق البشر، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حق صرف، ليس فيه خلل، ولا تناقض، ولا تقصير، ولا خطأ، ولا انحراف، ولا مبالغة، قال:

**((فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق))**

والآن أيها الإخوة الأكارم، الحل أن نستمسك بكتاب الله، فهو حبل الله المتين، القرآن فيه تفسير للحياة، أنت بحاجة إلى فلسفة للحياة، إلى فلسفة للكون، فلسفة لوجودك، في القرآن بيان إلهي لحقيقة الكون، ولحقيقة الحياة، ولحقيقة الدنيا، ومنهج تفصيلي تسيير عليه في كل شؤون حياتك، القرآن والسنة، فلذلك أشقى الأشقياء من قال الله عز وجل عنهم:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ  
صُنْعاً (104)﴾

[ سورة الكهف ]

إذا كانت أفكارك، وتصوراتك، وقيمك، وسيرك اليومي منطبقة مع الشرع فأنت من أسعد الناس، وأكبر نعمة ينعم الله بها على عبده أنه يهديه إليه، إذا كانت طريقة كسب مالك، وإنفاق مالك، وعلاقتك بالآخرين، وممارستك للشهوات التي أودعها الله فيك كلها وفق الشرع فأنت من أسعد الناس، أنت من ملوك الدار الآخرة.

قال:

((فعلكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة))

دائماً هناك أذكاء يستخدمون ذكاءهم لتبرير انحرافاتهم، هذا معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19)﴾

[ سورة المدثر ]

العقل إما أن يقودك إلى الخير، وإما أن تستغله في تبرير الشهوات المنحرفة، فمن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة،

((ومن جعله خلفه))

ما معنى:

((ومن جعله خلفه))

بعد ما يمارس شهواته المنحرفة يريد غطاء من القرآن، أخي هذه آية الريا واضحة، الله قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾، ليس فيها نهى عن النسبة القليلة، بل النهي عن النسبة الكبيرة، يريد من الآيات أن يجرها إلى شهواته، كلما رأى آية أو حديثاً تغطي له انحرافاً يتمسك بها، هذا جعله خلفه، إذا جعلت القرآن أمامك فأنت أولاً خالي الذهن، لست من أهل الرأي لست من أصحاب الشبهات ولا الشهوات، تبحث عن كلام الله ماذا أراد؟ وبماذا أمر؟ وعما نهى؟ هذا جعلته أمامك، فإذا مارست ما تحب، وانحرفت بك الأهواء، وضلت بك الشهوات، وعندئذ تبحث عن تغطية، تغطية دينية، بآية أو حديث فأنت جعلت الدين وراء ظهرك، جعلته في خدمة شهواتك قال:

((فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل))

أوضح دليل إلى خير سبيل، سبيل الله عز وجل:

((من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))

((إذا التبت عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))

هذه خطبة النبي عليه الصلاة والسلام انتهت.

((... أيها الناس إنه لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع، أيها الناس إنكم في زمن هدنة، وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فقال له المقداد: يا رسول الله، وما الهدنة؟ قال: دار بلاء وانقطاع))

امتحان، ثم نهاية حادة، ما هي الجنة بالمعنى المخالف؟ دار تشريف وتكريم، وخلود، الدنيا دار بلاء وانقطاع، والجنة دار تشريف وخلود،

((فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وشاهد مصدق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))

ما دام القرآن منهج الله، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، أليس فهم كلام الله فرض عين؟ أليس من أعظم الأعمال التي تعملها في الدنيا أن تجلس في مجلس علم تفهم فيه كلام الله عز وجل؟ أليس أعظم نشاط تفعله وتمارسه في الحياة الدنيا أن تفهم هذا المنهج؟ ما حدوده؟ ما أبعاده؟ ما مراميه؟ ما أهدافه؟ ما حلاله؟ ما حرامه؟ ما وعده؟ ما وعيده؟ و هكذا.

شيء من السيرة كما وعدتكم دائماً.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

((بِعَثْتُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَأَلْتُكَ، وَمُعَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً، الرَّكَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْحَجَّ، وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ، كَمَا يُنَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ، وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى بَعِيرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَلَّى: إِنْ يَصْدُقُ دُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

بُسَّتِ اللَّائِي وَالْعُرْيَى، قَالُوا: مَهْ يَا ضِمَامُ، اتَّقِ الْبَرَصَ وَالْجُدَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ، قَالَ: وَيَلَكُمْ، إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لَا يَضُرَّانِ، وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْفَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا، قَالَ: يَقُولُ: ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ))

[ أحمد، الدارمي ]

في السيرة عندنا بحث الوفود، جاء النبي عليه الصلاة والسلام وفود عديدة، وكل وفد له موقف مع النبي مع e، ويمكن أن نستنبط من هذا الوفد، ومن لقائه مع رسول الله، ومما جرى بينهما من حديث، ومن آثار هذه الزيارة المواعظ والعبر، قال:

((بَعَثْتُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدِمَ عَلَيَّ، وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ))

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ:

((أَعْقَلُهَا وَأَتَوَكَّلُ))

أَوْ أُطْلِفُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ:

((أَعْقَلُهَا وَتَوَكَّلَنَّ))

[ الترمذي ]

يعني اربط،

((ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ))

وهو في المسجد، الآن هناك استنباط خطير جداً، وهو في المسجد جالس مع أصحابه، فقال هذا الوافد:

((أَيْكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ))

أين كان جالساً ﷺ، وما عرفه، فقال:

((أَيْكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ))

هذا أول استنباط، النبي عليه الصلاة والسلام كان يجلس حيث ينتهي به المجلس، وإذا جلس في أصحابه كان كواحد منهم، فإذا جاءه غريب ما عرفه، حتى يقول: أيكم محمد.

مرة دخل أعرابي قال: من محمد؟ قال: قد أصبت، أنا، فهذا ضمام بن ثعلبة قال:

((أَيْكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ؟))

أنت محمد؟

((فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ))

وما قال له: يا رسول الله، لم يؤمن به بعد،

((إِنِّي سَأَلْتُكَ، وَمُعَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ))

أنت أيها المؤمن لا تساوي ذرة غبار في نعل آخر صحابي، إذا أمسكك شخص من يدك تتضايق منه، تقول له: أترك يدي،

((إِنِّي سَأَلْتُكَ، وَمُعَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ))

رأيتم تواضع النبي، النبي الكريم قال: تواضعوا لمن تعلمون، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، يجب أن يكون المعلم متواضعاً، ويكون صدره رحباً، يقبل أي سؤال، ولو كان السؤال فيه تجاوز، فيه استقهام، أي استيضاح، ويجب على المتعلم أن يكون أديباً أيضاً.

قال:

((لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قَالَ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ))

أي بربك،

((إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ))

أنشد الله، أي بالله عليك، باللغة العامية، خدعتك بالله، يعني أنشدك الله.

قال:

((أَنْشُدَكَ اللَّهَ - أَي بربك - إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَتْ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ، فَرِيضَةً فَرِيضَةً، الزَّكَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْحَجَّ، وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ، كَمَا يُنَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ))

الرجل أحب أن يتأكد، وبأيمان مغلظة، وواحدة، واحدة، بندًا، بندًا.

قال:

((وَسَأُودِي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ، وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ: ثُمَّ انصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى بَعِيرِهِ))

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وُلِيَ:

((إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ))

الإسلام بسيط، نحن عقدها، آمنت بالله خالق الكون، هو الرب، هو المسير، الواحد، الكامل، هذا كتابه، هذا حديث رسوله، الطريق واضحة، هذا حلال، هذا حرام، انتهى الأمر، قال له:

((لَا أَزِيدُ، وَلَا أَنْقُصُ))

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ وُلِّيَ:

((إِنَّ يَصْدُقُ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: بِئْسَتِ اللَّائِثُ وَالْعُرَى))

كلمة كبيرة جداً، هذه أصنام مقدسة جداً عندهم، قالوا:

((مَهْ يَا ضِمَامُ، اتَّقِ الْبَرِصَ وَالْجُدَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ))،

اعتبروا أن هذه الكلمة كفر.

قالوا:

((مَهْ يَا ضِمَامُ، اتَّقِ الْبَرِصَ وَالْجُدَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ، قَالَ: وَيَلِكُمْ، إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لَا يَضُرَّانِ، وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا، قَالَ: يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ نَعْلَبَةَ)).

والقصة وردت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، أنت ماذا تفعل، فقط وحدك أخي أنا مسرور وحدي، ألا يوجد حولك أحد يحتاج إلى هداية، إلى أن تعاونه، تعينه على نفسه، تجعله يستقيم على أمر الله، تشجعه حتى يحضر مجالس العلم، يستقيم، يعض بصره، تصلي فقط وحدك، قبيلته بأكملها، لكن بصدق وبصراحة، هذا أحد رؤساء الوفود الذين وفدوا على النبي عليه الصلاة والسلام، والإنسان يجب أن يغار، أنت بصراحة حجمك بحجم الأشخاص الذين اهتموا على يدك، بعد أن اهتمت أنت إناء امتلاء، أما أن له أن يفيض على الآخرين؟ أم أنه إناء بلا قعر، هذه مشكلة، إذا كان بلا قعر، بلا استقامة، أما أن له أن يمتلئ ألماً، أن له

أن يفيض على الناس، يا ترى أخواتك اهتممت بهن، أقرباؤك، جيرانك، زملائك، زوجتك، أولادك، من حولك، من فوقك، من تحتك، هكذا الأصول، يجب على الإنسان أن يغار، هذه السيرة ليست للتسلية، هذه من أجل أن نقتدي بهؤلاء الأصحاب الكرام، أما إذا كنت صادقاً مع الله عز وجل يجعل الله لكلامك قوة السحر، أنت صادق محب، قلبك ممتلئ حباً لله ورسوله، وإخلاصاً شديداً، استقامة تامة، ومؤثرة للآخرين، عندئذ تصير أمة، قال تعالى:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾

[سورة النحل: الآية 120]

كل واحد منكم يجب أن يكون له هذا المسعى، كل واحد منكم يتفقد أهله، جيرانه، أولاده، إخوانه، أولاد أخيه، أولاد أخته، بنات أخته، يقيم لهم درساً أسبوعياً حتى يكون له عمل، قال: يا بشر لا جهاد ولا صدقة، فبم تلقى الله إذا؟ حجبك عند الله بحجم عملك، والدليل قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام: الآية 132]

نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء، والطريق واضح، الله بكل مكان وبكل زمان معنا دائماً، وعند صدقنا، وعند طلبنا، وعند نوايانا الطيبة، والإنسان لا يقبل أن يعيش على هامش الحياة، لا يقبل أن يعيش وحده، ويموت وحده، كلما كنت محسناً كنت في قلوب المئات، بل الألوف، هذه قصة من قصص السيرة النبوية، كيف أن هذا الصحابي الجليل صدق مع الله عز وجل فأجرى الله على يده الخير.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 041 - 127 ) : توجيهات نبوية في التعليم عن طالب العلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-11-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مطالب الإنسان تنصب في حقلين فقط :

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسَرِّحَنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً \* وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾

[ سورة الأحزاب : 28-29 ]

ذكرت مرة أن الإنسان له مطالب في الحياة ، لكن هذه المطالب مهما تنوعت ، ومهما تعددت ، ومهما اختلفت من إنسان لآخر لا يمكن إلا أن تنصب في حقلين اثنين ، إما أن ترجو الله والدار الآخرة ، وإما أن ترجو الدنيا وزينتها ، فإذا رجوت الله والدار الآخرة قبل كل شيء فلا بد من العلم ، لأن أي حركة بلا علم يوجد بداخلها غلط كبير ، يوجد فيها جهد ضائع ، فيها انحراف ، فيها هلاك ، السيارة حركتها بلا مقود دمار محقق ، هلاك محقق ، حادث محقق ، سقوط في الوادي محقق ، دائماً الحركة من دون علم خطيرة ، والعلم من دون حركة موت ، مقود دقيق جداً ولكن لا يوجد محرك ، فما قيمة هذا المقود ؟ ما قيمة دقته ؟ ما قيمة توازنه ؟ ما قيمة فعاليته ما دامت المركبة متوقفة ؟ أما لو أن هناك محركاً فعلاً عندئذ لا بد من المقود ، فالحركة من دون علم انحراف ، الحركة من دون علم جهد ضائع ، الحركة من دون علم قد تكون هلاكاً ، فلذلك السؤال الكبير قبل كل شيء اسأل نفسك هذا السؤال : ماذا تريد ؟ إن كنت تريد الحياة الدنيا وزينتها فلا شأن لك بالعلم إطلاقاً ، لك شأن آخر بعلم آخر ، بعلم الدنيا ، بعلم كسب المال ، بعلم الارتقاء في المناصب ، بعلم اقتناص المناسبات ، إذا أردت الدنيا وزينتها فأنت بحاجة إلى علم آخر .

والحقيقة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[ سورة الأحزاب : 21 ]

متى يغدو النبي أسوة حسنة لك ؟ متى لا يغادر النبي ذاكرتك ؟ متى لا يغادر النبي وجدانك ؟ متى لا يغادر النبي وأخلاقه وشمائله ومواقفه وخواطرك ؟ إذا كنت تريد الله ورسوله والدار الآخرة ، أما إذا أردت المال وكان أرباب المال في ذهنك ، والمتفوقون في كسب المال في خاطرك ، والمتفوقون في تمتع في مباحج الدنيا في مخيلتك فالقضية واضحة جداً ، إن كنت تريد الله ورسوله والدار الآخرة عندئذ يكون النبي هو الأسوة ، هو القدوة، عندئذ تغدو طالب علم ، وهؤلاء الذين يأتون إلى المساجد في الأصل هم أرادوا الله ورسوله والدار الآخرة ، ولأنهم أرادوا الله ورسوله والدار الآخرة جاؤوا ليتعلموا ماذا أراد الله ورسوله ، وماذا يتوجب عليهم ليصلوا إلى الآخرة بسلام، الآن كلمة طالب علم عند رسول الله ﷺ تعني أن هذا الإنسان أراد الله ورسوله والدار الآخرة ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام في حديث مرسل :

((طالب العلم بين الجاهل كالحى بين الأموات))

[الدليمي في الفردوس عن حذيفة ]

وهذا مقياس دقيق ، فإذا شعرت أنك بين أهل الدنيا ، بين أرباب المال ، بين الغافلين ، بين التائهين ، بين الشاردين فكأنك حيّ ينبض قلبك بالحياة ، يتقد ذهنك بالأفكار ، تضطرب نفسك بالمشاعر ، وأنت بين أموات لا حراك بهم ، ولا مشاعر لهم ، ولا قلوب لهم ، إذا كنت كذلك فأنت طالب علم ورب الكعبة ، هذا مقياس المتعلم ، إذا أردت أن توازنه بالجاهل فهو كالحى بين الميت ، تصور إنساناً حياً مؤنساً مفكراً ، يشعر ، يتكلم ، ينطق ، يداعب ، يمزح ، يلقي علماً ، يلقي موعظة ، يلقي حكمة ، يعطيك من ماله ، يرحب بك في بيته ، يدعوك إلى الطعام ، أما الميت فمخيف ، والغرفة التي يموت فيها الميت تبقى أشهراً مهجورة ، كان الإنسان مصدر أنس للبيت ، كان إذا دخل تدافع أطفاله إليه ، كان إذا دخل البيت تراقص أولاده أمامه ، كان إذا دخل إلى البيت دخلت معه الحياة ، دخل معه السرور ، فماله أصبح الآن مخيفاً ؟ فرق كبير بين الحى والميت ، عيني الحى

غالية جداً ، يقول لك : العملية كلفتني ثلاثمئة ألف ، ما هي هذه العملية؟ يوجد خوف على الشبكية ، أصبح التثبيت بالليزر ، العين بعد الموت كعين البقرة ، وعين الخاروف ، كالمهمات ، لا قيمة لها إطلاقاً ، وازن بين عين في إنسان حي وهذه العين في إنسان ميت ، لا قيمة لها ، الكبد له خمسة آلاف وظيفة ، بعد الموت صفر ، أما إذا ذبح الحيوان فأصبحت تباع بالكيلو ، أما عملية في الكبد والجسم حي فلا بد لها من طبيب جراح ، اللحم يقطع قطعاً ، أما هنا فيقول : أجرينا عملية على التلفاز لدقتها ، إذاً هذا الحديث الأول :

### ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدليمي في الفردوس عن حذيفة ]

### على الإنسان أن يسجد لله على نعمة الهدى :

إذا شعرت من دون كبر ، من دون استعلاء ، من دون غطرسة ، إذا شعرت وقد تلقيت العلم لسنوات عديدة أصبح عندك مفهوم واضح عن حقيقة الكون ، وعن حقيقة الحياة ، وعن سر الوجود، وعن حقيقة التكليف ، وعن مقومات التكليف ، وعن العقل ، وعن النقل ، وعن أسماء الله الحسنى ، وعن شمائل النبي ، وعن حقيقة النبوة ، وعن هذا الكتاب الكريم ، وعن آياته الكونية ، وعن آياته التشريعية ، وعن آياته التي تأخذ طابع القوانين ، وعن أخبار الماضي ، غيب الماضي ، وعن غيب المستقبل ، وعن غيب الحاضر ، وعن الحلال والحرام ، وما يجوز وما لا يجوز ، والخير والشر ، إذا كنت قد طلبت العلم ، وجلست بين الجهال ، بين أهل المال ، بين أهل البدع، بين المنحرفين ، بين التائهين ، بين الشاردين ، وشعرت بأنك حي بينما هم أموات ، فاسجد لله عز وجل شكراً على نعمة الهدى ، وأحياناً تسوقك الصدفة إلى أن تكون مع صديق قديم ، صديق قبل عشرين عاماً ، تستمع إليه ، فإذا هو ينطق بالجهل ، فإذا هو لا ينضبط بالشرع ، مزاحه رخيص ، كلامه ثقيل ، تعليقاته لاذعة ، مطالبه أرضية ، همومه سفلية ، تقول : سبحان الله ! تقول : كنت مثله ، كنت في هذا المستوى .

فالإنسان عندما يغيب ثلاثين سنة ، وتعرف صورته ، عندما كان شاباً ترى فرقاً واضحاً في ملامحه ، كذلك الإنسان لا تتبدل في يوم وليلة ملامح وجهه ، لكن من عام إلى عام، من خمس سنوات إلى خمس سنوات ، كذلك طالب العلم ، قد لا يرى فرقاً واضحاً بين درس ودرس ، لكن بين فصل وفصل ، بين عام وعام يرقى وهو لا يدري ، فهذا الحديث الأول :

## ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدليمى فى الفردوس عن حذيفة ]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام . ولا أكتمكم أن المؤمن الصادق حينما يرى أهل الدنيا غارقين فى شهواتهم ، يكفى أن ترى إنساناً فى الستين أو السبعين يمضى ساعات طويلة فى لعبة النرد ، ألا تقول له : إنك مسكين ، ماذا أبقيت لآخرتك ؟ يكفى أن ترى إنساناً على مشارف الستين لا يصلى ، إلى أين هو ذاهب ؟ ماذا أعد لآخرته؟ تشعر أنك حى ، وهو بين الأموات ، والنبي من أين جاء بهذا الحديث ؟ جاء به من كتاب الله ، قال تعالى :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[ سورة النحل : 21 ]

ووصف أهل الكفر بأنهم :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

[ سورة النحل : 21 ]

طالب العلم لله كالغادي والرائح فى سبيل الله عز وجل :

حديث آخر يقول :

((طالب العلم لله ))

[الدليمى فى الفردوس عن حسان بن أبى سنان]

هذا قيد ، معنى ذلك أن هناك من يطلب العلم لغير الله ، وقد قال بهذا الإمام الغزالي : " طلبنا العلم لغير الله ، فأبى العلم إلا أن يكون لله " .

هناك الكثير من الأشخاص تعلموا الشريعة لا حباً للشريعة ، لكن حباً لبعثة داخلية انتسبوا إليها ، فإذا هي تشدهم إلى الله ، طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله ، العلم فيه قوة جذب فظيعة ، نقرأ القرآن ، نقرأ الحديث النبوي ، نقرأ السيرة ، وتبقى كما كنت ؟! هذا شيء مستحيل ، الحقيقة أثر العلم في نفس الإنسان واضح جداً ، والله العالم فيه صمت ، سكوت العالم علم ، سكوته له أصول ، إذا تكلم تكلم بأصول ، إذا ابتسم فالابتسامة أحياناً معصية ، شخص تعثر ، فالابتسامة معصية ، شخص سألك سؤالاً سخيلاً ، والله إذا سخرت منه لا تعرف الله أبداً ، سألك سؤالاً من أجل أن تشجع الناس على السؤال ، من أجل أن تجعلهم يندفعون إلى طلب العلم ، يجب أن تحترم هذا السائل ، ولو كان هذا السؤال سخيلاً أصغ إليه ، أجبه بأدب ، اشكره على هذا السؤال ، أما لو أنك سخرت ممن سأل ، وكان السؤال سخيلاً نفرت الناس من طلب العلم ، وخاف كل واحد أن يسأل ، يخاف أن يسألك فنتهكهم عليه ، لا أريد أن أسأله ، اسكت ، فهذا أفضل لك ، كلا ، إذا سألك سائل يجب أن تصغي له ، ويجب أن تبالغ في احترامه كي يتشجع ليسألك ثانية ، لأن مفتاح العلم السؤال ، فطلب العلم لله :

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ﴾

[ سورة الأحزاب : 29 ]

هناك أهداف كثيرة ، ذات مرة خطر في بالي مثل ، إن هناك طريقين واضحين ، طريق إلى تل ، على هذا التل قصر منيف ، فيه كل شيء ، وطريق إلى حفرة ما لها من قرار ، يمكن أن يكون الطريق الصاعدة طريق الجنة تنتهي بقصر منيف ، من باب التقريب ، والطريق الهابطة طريق النار ، تنتهي بحفرة ما لها من قرار ، هذا المثل وضح النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال :

((أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ، ثَلَاثًا ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

[أحمد عن ابن عباس]

خطر في بالي مرة أن هذه الطريق الصاعدة التي تنتهي بالقصر لها فروع ، طرق فرعية توصل إلى الهاوية ، تصور هذا المنظر ، تل عليه قصر منيف ، ولهذا التل طريق صاعدة ، وطريق هابطة تنتهي بحفرة ما لها من قرار ، لكن يجب أن تعلم علم اليقين أنه على الطريق الصاعدة على القصر المنيف فروع تؤدي إلى الحفرة التي ليس لها قرار ، وأنت في طريق الإيمان ، وأنت من رواد المساجد ، وأنت تطلب العلم هناك منزلقات ، منزلق أن

تتداخل الدنيا بالآخرة ، قد ترى الدنيا من طرف الدين ، فتصبح مرتزقاً بعد أن كنت طالب علم ، فالبطولة وأنت في طريق الإيمان أن تبقى على الطريق الموصلة إلى القصر المنيف ، لا أن تتجذب إلى طرقات فرعية تؤدي بك إلى الحفرة التي ليس لها من قرار ، وأنت على الطريق الصاعدة إلى هذا القصر المنيف على جانبي الطريق فروع مغرية مزدهرة بالألوان ، بالأزهار ، بالرياحين ، لكنها توصل إلى الطريق الهابطة التي تنتهي إلى الجحيم ، لذلك عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ))

[ابن ماجه عن ابن عمر]

و :

((أندم الناس عالم دخل الناس بعلمه الجنة ، ودخل هو بعلمه النار))

[ورد في الأثر]

وقد يرى أهل النار اسماً لامعاً جداً ، يقولون : يا فلان ألم تكن كذا وكذا في الدنيا ؟ لك اسم كبير ، يقول : بلى ، يقولون : ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ يقول : كنت أمرم بالمعروف ولا آتية ، وأنهاكم عن المنكر وآتية ، لهذا من الأدعية المؤثرة : " اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني ، اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك ، اللهم إني أعوذ بك أن أترين للناس بشيء يشينني عندك ، اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك " فطالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله .

يمكن أن ترى سيارة عامة فيها مئة راكب بين واقف وجالس ومزدحم ، هذا ذاهب لكي يشتري بيتاً ، هذا عنده دوام بعد الظهر ، هذا ذاهب ليقدم دعوى ، يقابل المحامي ، وفي داخل هذه المركبة العامة ثلاثة ذاهبون إلى مجلس علم ، الثلاثة غير السبعة والتسعين ، هؤلاء الثلاثة في سبيل الله ، كأنهم في جهاد في سبيل الله ، لذلك طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله عز وجل .

طالب العلم طالب الرحمة ، أنت ماذا تطلب ؟ دائماً أضطر لضرب أمثلة من الدنيا ، وضرب الأمثلة من السنة، الآن لو لاحظت طالباً درس الطب سبع سنوات ، أصدقاؤه أغنياء ، في نزاهات، و سهرات ، و مرح ، و فرح ، و زيارات ، و مغامرات ، و ضحك ، هو وراء الطاولة في غرفته عشر ساعات في الدراسة ، لكن بعد سبع سنوات أخذ بعثة من أجل البورد ، بعدما عاد يقف على

عيادته خمسون إلى ستين مريضاً ، كل مريض ألف ليرة ، خمسمئة تخطيط ، و ثلاثمئة تصوير إيكو ، كل يوم خمسون ألفاً ، بعد شهر اشترى بيتاً بأرقى أحياء دمشق ، أربعمئة متر ، أخذ بيتاً في المصيف ، فيه حديقة ، لديه سيارتان ، عندما كان يدرس ، وينام يذهب لتغسيل وجهه ، وإذا دعي إلى سهرة يعتذر ، هذه السنوات السبع في الدراسة أصبح له بها هذا الدخل الكبير في الدنيا ،

إذا كنت ذاهباً إلى المسجد ، أين كنت ؟ لدي درس علم ، إلى أين ذاهب ؟ إلى المسجد ، وأين كنت ؟ في المسجد ، بعد خمس سنوات يجب أن تقطف ثمار هذه المجالس ، يجب أن تحس أنك إنسان آخر غير أقرائك ، غير جيرانك ، غير أهلك ، غير أبناء مهنتك ، غير بقية التجار ، غير بقية الصناع ، غير بقية الموظفين ، غير الناس ، الإنسان متميز ، إنك طالب علم ، إن تحركت فوق الشرع ، إن تكلمت فوق الشرع ، إن تكلمت بنصيحة تركت بها أثراً بليغاً ، فالوقت ثمين جداً ، وحضور مجلس العلم أثمن ، لكن عندما تقطف ثماره لما تصلي صلاة متقنة ، لما تقرأ القرآن وتفهمه فهماً دقيقاً ، لما ترى الناس واقعين في حماقات ، واقعين في جهالات ، في ضلالات ، في خلافات ، في خصومات ، في دعاوى ، في كذب ، في بهتان ، في اختلاط ، في غيرة ، في خيانات ، نزاهات مختلطة ، ترى الناس في الوحول يعيشون ، وأنت حفظك الله عز وجل بالعلم ، نزهتك نقيه ، لك نزهة خاصة ، حتى سهرتك نظيفة ، لقاءاتك نظيفة ، ندواتك لطيفة ، ولائمك لطيفة ، ضمن الشرع ، لا يوجد مخالفة ، بالعكس الحديث عن الله عز وجل ، يجب أن تشعر بهذه الثمرة الكبيرة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ أنا أتصفح هذا الكتاب ، الجامع الصغير ، أقول : ماذا أعطي هذا اليوم ؟ وجدت بحث طلب العلم بحثاً راقياً جداً ، طالب العلم هذه مرتبة عالية جداً ، أحدهم يقول لك : أنا معي بورد ، يمشي بالعرض ، هذا فلان يقول : معي اختصاص كذا ، هذا فلان ابن فلان ، كل إنسان يتيه بشيء ، إما بنسب ، أو بحسب ، أو بمال ، أو بتجارة ، أنا لدي معمل إنتاجه اليومي كذا ، هذا حجم المال عنده كذا ، كل هذا الذي يفتخر به لا قيمة له ، لكن حق لك أن تقول : أنا طالب علم ، وأنصحك مهما تعلمت فلا تخرج عن هذه الكلمة ، وأنا أسمع هذه الكلمة من علماء كبار ، أنا طالب علم ، لكن نحن معاشر العلماء ، من حضرتك ؟ لا تقل : أنا عالم ، قل : أنا طالب علم ، مهما ارتقى بك العلم قل : أنا طالب علم ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ))

[ورد في الأثر]

في اللحظة التي يظن فيها أنه علم الآن أصبح جاهلاً ، يظل المرء عالماً ما طلب العلم ، ومن صفات العلماء التواضع ، العالم الحقيقي متواضع ، النبي عليه الصلاة والسلام حينما غادر سيدنا عمر مكة المكرمة معتمراً طلب منه الدعاء ، عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ :

((يَا أُخَيَّ أَشْرِكُنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا))

[ابن ماجه عَنْ عُمَرَ]

رسول الله ، سيد الخلق ، حبيب الحق ، سيد ولد آدم ، المعصوم ، الذي يوحي إليه ، الذي أطلعه الله على ملكوت السماء والأرض .

((يَا أُخَيَّ أَشْرِكُنَا فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا))

[ابن ماجه عَنْ عُمَرَ]

لك أن تقتخر ، سيدنا الحسن يمشي مزهواً ، فقيل له : يا بن رسول الله ، هو ابن ابنته أزهو في الإسلام ؟ قال : لا ، هذا عز الطاعة ، فأنت إذا كنت طالب علم حقيقة تطلب معرفة الله ليكون عملك كما يرضي الله فأبشر .

## طالب العلم قلعة من قلاع الإسلام و ركن من أركانه :

فأول حديث :

### ((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدليمي في الفردوس عن حذيفة ]

و :

### ((طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله))

[الدليمي في الفردوس عن حسان بن أبي سنان]

وطالب العلم طالب الرحمة ، أنت طالب رحمة الله ، كلمة رحمة الله تعرفها ، أي رحمة الله في الدنيا ، أي ينزل عليك نعمة الأمن ، رحمة الله في الدنيا أي ينزل عليك نعمة الصحة ، رحمة الله في الدنيا أي ينزل عليك سمعة طيبة بين الناس ، تعيش بها ، رحمة الله في الدنيا أن يهبك زوجة سالحة تسرك إن نظرت إليها ، تحفظك إن غبت عنها ، تطيعك إن أمرتها ، رحمة الله في الدنيا أن يهبك الله ذرية طيبة ، أولاداً أبراراً ، رحمة الله في الدنيا أن تشعر بالغنى ، رحمة الله في الدنيا أن تشعر بفضل الله عليك ، ورحمة الله في الآخرة هي الجنة ، فلذلك : " إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها " لا أعتقد أنه هناك واحداً منكم يدخل عنده إنسان زائر لا يضيفه شيئاً إطلاقاً ، والله شيء صعب ، قد يحدث ، لكن خطأ ، أو لأمر قاهر ، أو مستعجل جداً ، أو ليس لديك شيء تضيفه ؟ أما في الأصل فمستحيل إنسان يدخل عليك ولا تضيفه ، فطالب العلم طالب رحمة الله : " إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها ، فطوبى لعبد تطيب في بيته ، ثم زارني ، وحق على المزور أن يكرم الزائر " طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام ، دقق حينما رأى النبي رجلاً يصلي في المسجد في النهار ، قال : من يطعمك ؟ قال : أخي ، قال : أخوك أعبد منك ، أما هذا الذي شكا شريكه إلى النبي ، وشريكه طالب علم ، ماذا قال له النبي ؟ قال عليه الصلاة والسلام : لعلك ترزق به ، معناها

العابد لذاته ، أما العالم فلغيره .

## الفرق بين العابد و العالم :

العابد واحد ، العالم أمة ، العابد قد ينجو وقد لا ينجو ، لأن إيمانه هش ، ضعيف المقاومة ، لا يتحمل الضغوط القوية ، لا يحتمل الإغراءات ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ))

[ الترمذي عن ابن عباس ]

طالب العلم قلعة من قلاع الإسلام ، طالب العلم ركن من أركان الإسلام ، ركن كبير ، مرجع ، وأنت تأتي إلى المسجد تستمع إلى التفسير ، إلى الحديث ، إلى الفقه ، إلى السيرة ، يوماً بعد يوم ، أسبوعاً بعد أسبوع ، شهراً بعد شهر ، عاماً بعد عام ، أنت في المسجد منذ عشر سنين ، يجب أن تكون مرجعاً ، ركناً في الحي ، بين الأقارب ، في أسرتك ، بين جيرانك ، بين زملائك ، بين من تعرف ، بين من هم فوقك ، فأنت أصبحت مرجعاً ، فأنت لا تستهن بهذه المجالس ، هي عند الله غالية جداً .

## خير البلاد مساجدها و شرها أسواقها :

ولا تنس أن خير البلاد مساجدها ، وأن شرها أسواقها ، إذا تجول الإنسان في الأسواق رأى البضاعة معروضة بشكل رائع ، عليها إضاءة رائعة ، ترى أن الحاجة ملبسة في هذه التماثيل ، وإضاءة شديدة ، والتمثال مصنوع باليد ، شيء مغرٍ ، لكن ليس لديك ثمن هذا اللباس ، ليس لديك ثمن هذا الطعام ، تنشأ في نفسك حسرة ، أو كبر ، أو حرمان ، أو شقاق زوجي ، إذا ذهب الإنسان مع زوجته إلى السوق تنشأ مشاكل ، اشتر هذه ، ليس لدينا ثمنها ، تقول له : خذ لنا هذه ، إنها جيدة ، هي على أنها جيدة هي غالية الثمن ، ترى إذا ذهب الزوج مع زوجته يعودان متخاصمين ، وإذا ذهبوا إلى بيت الله يعودان متفاهمين ، بعدما سمعوا الدرس كل شخص بينهما سمع بماذا يأمر الله عز وجل ، وعن أي شيء ينهى ، فالمسجد غير السوق ، السوق فيه مشاكل ، فيه عورات منكشفة ، هناك مغازلة بين البائعين والمشتريين ، وإغراءات ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ ؟ قَالَ : فَقَالَ : لَا أُدْرِي ، فَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ ؟ قَالَ : لَا أُدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَنْطَلَقَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ مَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُكَّتْ ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي : أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ ؟ فَقُلْتُ : لَا أُدْرِي ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : أَيُّ الْبُلْدَانِ شَرٌّ ؟ فَقَالَ : أَسْوَاقُهَا))

[أحمد عن جبير بن مطعم]

والحقيقة أن المؤمن من علامة إيمانه الصادقة أنه إذا أوى إلى المسجد كان كالسمك في الماء ، هذا مكانه الطبيعي ، هذا بيته ، هذا مكان تربيته ، هذا مكان عبادته ، هذا مكان أشواقه ، مكان أحواله ، مكان إقباله ، مكان استماعه ، هذا البيت مسجد ، فلذلك المسجد ركن أساسي في الحياة ، والنبي عليه الصلاة والسلام لو سألتموني أي شيء فعله بعد أن هاجر؟ أول عمل قام به بعد الهجرة أنه بنى مسجداً ، هذا المكان مكان الدعوة ، مكان الصلاة ، مكان الذكر ، مكان العلم ، مكان حلّ مشكلات المؤمنين ، مكان اللقاء ، مكان المصافحة ، مكان المعاتبة ، طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام ، طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله . يقبلها ويكافئك عليها ، ويعوضها عليك ، ويرحمك بها ، أن تقدم نفسك رخيصة في سبيل الله ، لذلك الذي يعرف الله عز وجل يعرف كيف يقدم نفسه لله ، لهذا طالب العلم لله أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله .

### تيسير أمور طالب العلم و تكفل الله برزقه :

هذه الأحاديث التي وردت بالجامع الصغير حول طلب العلم ، طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع ، الملائكة هؤلاء الأطهار الذين خلقهم الله عز وجل للتسبيح والتقديس ، إذا طلبت العلم تضع لك هذه الملائكة أجنحتها تكريماً لك ، وتسهيلاً لك ، وأسألوا طلاب العلم ، أمورهم ميسرة ، أنا لا أنسى أن الإمام أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى سمع عن رسول الله حديثاً غير مجرى حياته ، أن طالب العلم يتكفل الله برزقه ، ودعوكم من شرح هذا الحديث على المستوى الواقعي ، طالب العلم الصادق الله سبحانه وتعالى يبسر له طريقاً للرزق يتناسب مع طلب العلم، هناك أعمال تتطلب دوام اثنتي عشرة ساعة ، أعمال تتطلب دوام ست عشرة ساعة، أعمال تحتاج جهداً جهيداً ، الله سبحانه وتعالى إكراماً لطلاب العلم يبسر لهم أعمالاً تتناسب مع طلب العلم ، هذا العمل يسمح له أن يطلب العلم ، وأن يحضر دروس العلم ، وأن يقرأ القرآن ، وأن يحفظ القرآن ، وأن يلتقي مع إخوانه ، فهذا من مكافأة الله له ، أن الإنسان إذا طلب العلم يهين الله عز وجل له عملاً يتناسب مع

طلب العلم ، يتناسب معه وقتاً ، يتناسب معه دخلاً ، بأنك أنت نذرت نفسك في سبيل الله ، هذا معنى القول الذي نقل عن رسول الله أن طالب العلم يتكفل الله له برزقه ، وليس معنى هذا ألا يعمل ، وليس معناه أنه كسول ، لكن هناك مهناً شاقة ، توجد مهن متعبة ، هناك مهن تحتاج إلى وقت لا يحتمل ، ومهن مردودها أكبر من عملها ، فرينا عز وجل يبسر لكل طالب علم صادق عملاً يقيه السؤال .

مرّ معي منذ يومين دعاء تأثرت له كثيراً ، كنت أدعو به في بعض الخطب : " اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار " إذا يسر الله لك أمورك ، وجعل لك دخلاً معقولاً تصرف منه ، تأكل ، تشرب ، تلبس ، تتدفأ بالشتاء ، صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، إذا ضيق الله على شخص ، يقف على الأبواب ، يتضعضع أمام الناس ، ويسأل الأغنياء ، ويتمسكن أمامهم ، وانظروا إلى البيت ، يا سيدي ، وهذا العنوان ، تعالوا ، انظروا ، ليس لدي شيء ، وأحدهم يقيم بيتاً خلبياً : " صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع " تنشأ مشاكل مع الناس ، هذا لم يعطني ، هذا بخيل ، هذا شحيح ، هذا يده مغولة ، والذي أعطاك ليس أحد مثله ، وقد لا يصلي ، تبتلى بحمد من أعطى ، وتصبح عبداً للذي أعطاك ، الذي أعطاك فاسق ، تمدحه ، تثني عليه ، هذا تقي ، نقي ، ورع ، قلبه من الله ، لكن لا يصلي ، شارب خمر ، تبتلى بحمد من أعطى ، وتبتلى بدم من منع ، لأن ربنا عز وجل جعلك تبذل وجهك بالإقتار ، شيء صعب جداً : " اللهم صن وجهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من دونهم ولي العطاء ، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم " ترى أن أهل الدنيا يقول أحدهم : هذا البيت لا أبيعته بثلاثين مليوناً ، مرتاح فيه ، هذا المحل سعر المتر ثمانمئة ألف ، ولا أبيعته أساساً ، هذه السيارة أنا أبيعها ، أعوذ بالله ، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم ، لديه أولاد ، وزوجة ، و بيت ، ومركبة ، ومتجر ، ومعمل ، ينام مرتاحاً ، يقيم حساباته وأرباحه ، قال له : يا رب كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك ، إذا أحس المؤمن أن الله يحبه ، وله مقام عند الله عز وجل ، وربنا راضٍ عنه ، ويوفقه بأعمال سالحة ، ويطلق لسانه بالدعوة إلى الله ، والناس تستفيد منه ، وينام في المساء مرتاحاً ، وكأن عنده بيتاً بثلاثين مليوناً ، وكأنه مالك الدنيا : " اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك ، اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نراك ، وأسعدنا بقلبيك ، ولا تسقمنا بالبعد عنك ، اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلينا ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندنا " والله هذا الدعاء سهل الحفظ ، ويدعى به في أوقات السحر ، في السجود ، في قيام الليل .

لازلنا في باب الطاء ، حرف الطاء :

((طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات))

[الدلمي في الفردوس عن حذيفة ]

((طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله))

[ السيوطي عن أنس ]

((طالب العلم لله كالغادي والرائح في سبيل الله))

[الدلمي في الفردوس عن حسان بن أبي سنان]

((طالب العلم طالب الرحمة ، طالب العلم ركن الإسلام))

[ الدلمي عن أنس ]

((طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضى بما يطلب))

[ ابن عساكر عن أنس ]

هذه الأشياء أعيدها كثيراً ، هذا وقت الدرس ، هذا زكاة الوقت ، أنا والله أقول لكم عن تجربة ، أحياناً الإنسان يتكلم عن معلومات قرأها لا يؤثر في الآخرين ، ولكن والله الذي لا إله إلا هو أحياناً أتكلم عن واقع أعيشه ، أن الله عز وجل عندما تنتزع من وقتك الثمين ساعتين لمجلس علم ، لك تجارتك ، عندك لقاء ، عندك مواعيد ، عندك اجتماعات ، عندك أعمال إضافية ، وأنت عضو في لجان عديدة ، وتنتزع من وقتك الثمين ساعة أو ساعتين لمجلس علم لتتعرف إلى الله ، والله الذي لا إله إلا هو يطرح الله البركة في وقتك ، مثلاً شخص يجب أن تلتقي به ، ومن أجل أن تلتقي به لابد من ساعتين ، فإذا بك تراه في الطريق ، أو شخص يجب أن تسافر إليه ، وأن تمضي يومين في السفر إليه ، فإذا به يأتي هو إليك ، كما أنك إذا أنفقت من مالك عوض الله عليك هذا المال أضعافاً مضاعفة ، تماماً إذا أنفقت من وقتك في سبيل معرفة الله عز وجل عوض الله عليك وقتاً مباركاً ، والله عز وجل بالمقابل قادر لسبب تافه جداً أن يضيع من وقتك مئة ساعة ، إذا وضع الرجل يده على

ابنه ، ووجد حرارته أربعين درجة ، ماذا يفعل ؟ يحتاج إلى طبيب في الليل ، قال له الطبيب : يحتاج إلى الدواء الفلاني فوراً ، ولا يوجد صيدليات ، فهو بحاجة إلى سيارة ، قال له : يحتاج إلى تحليل وتصوير ، بعد أسبوعين دفع حوالي خمسة أو ستة آلاف ، ثم أضاع حوالي مئة ساعة ، ووجد أنه ليس بحاجة إلى شيء ، يمكن أن تتعطل قطعة في سيارة ، تنكسر مع الصانع ، ولا يوجد منها ، لا في الأردن ، ولا في لبنان ، وقد تكون غير أصلية ، أو قياسها أكبر أو أصغر ، وضاعت منك مئتا ساعة ، والله قال لي أحدهم : أنا لا أغيب عن الدرس ، ولكن نفسي حدثتني ، وضغط أهلي عليّ ، وأخذتهم إلى نزهة وقت الدرس ، وفي نبع بقين أريد أن أملأ الماء ، فجاء شاب ، وقال : دعني أساعدك ، فوجدت أخلاقه عالية ، وعندها فقدت محفظة أوراقي ، الهوية ، وشهادة السياقة ، والنقود ، وحتى حصلت على غيرهم مضى ستة أشهر ، لن أعيدها أبداً ، هذا الوقت وقت الله ، كما قال أبو يزيد البسطاني له كلمة مؤثرة ، له مجلس علم ، فلما رأى الناس حوله متحلقين ، قال : يارب هؤلاء لم يأتوا إلي ، والله جاؤوا إليك ، لكنهم رأوني ساجداً فأقبلوا عليّ ، فأنت لا تأتي إلى إنسان وإنما تأتي للواحد الديان ، هذا هو مجلس العلم ، أنت أتيت بيت الله عز وجل .

### التوفيق و التفسير بيد الله وحده :

وهناك حديث آخر ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ))

[أحمد عن جابر]

معنى الطائر : العرب عندهم عادة جاهلية ، أن الإنسان إذا طار على يمينه طائر يتفاءل ، وإذا طار على يساره طائر يتشاءم ، هذا هو التطير ، ألم يرد في قوله تعالى :

﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾

[سورة يس : 18 ]

أي تشاء منا منكم ، التطير هو التشاؤم ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

### (( لا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ ))

[ مسلم عن أنس ]

فالتطير هو التشاؤم ، وهذه كلها أشياء جاهلية ، دخل شخص فألغيت البيعة ، فهذا قدمه شؤم ، ليس له علاقة ، رقم ثلاثة عشر ، يوم الأربعاء ، هذا كله كلام فارغ ، هذه الأشياء من أيام الجاهلية ، لا يوجد إلا شيان في الكون ، توفيق وتعسير ، التوفيق بيد الله ، والتعسير بيد الله ، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

[ سورة الليل الآيات : 5 - 10 ]

ليس هناك حظ ، كما يقال : فلان محظوظ ، وهذا الكلام يقوله النسوة غالباً ، الله عز وجل هو الحكيم ، هو الخبير ، لو فرضنا فتاة حظها جيد ، والله بعث لها زوجاً غنياً أسكنها بيتاً فخماً ، والمركبة واقعة على الباب ، والطعام طيب ، وكل شيء أحسنه ، وأخذها إلى جهنم أخيراً ، كيف كان حظها ؟ وفتاة ثانية حظها قليل ، أسكنها في بيت صغير ، ومظلم ، والأكل وسط ، وهذا أوصلها إلى الجنة ، فكيف كان حظها ؟ كلمة حظ كلمة ليس لها معنى إطلاقاً ، لا الحظ ، ولا التشاؤم ، ولا الطيرة ، يقول عليه الصلاة والسلام :

### (( طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ ))

[ أحمد عن جابر ]

أي خيرك منك ، وشرك منك ، تغاولك منك ، وتشاؤمك منك ، عمك ، وقد كنت أقول مرة مثلاً أقوله دائماً : معك كيلو من الذهب ، والناس ظنوه حديداً ، وأصبحوا يتندرون بك ، يطعنون فيك ، ويطولون أسنتهم عليك ، هل يمكن أن يكون هذا الكيلو حديداً ؟ يبقى ذهباً ، وثمانه معه ، والآن أنت تملك كيلو حديداً ، وبذكاء ، وبطلاقة لسان ، وبقوة إقناع أوهمت الناس أنه ذهب ، فصدقوك ، هل صار ذهباً ؟ بقي حديداً ، خيرك منك ، وشرك منك ، خيرك من عمك ، وشرك من عمك ، توفيقك من عمك ، وعسرتك من عمك ، المصائب من عمك ،

والرحمات من عملك ، لا تتهم أحداً ، لا تتهم حظاً ، ولا دهرًا ، ولا قدرًا ، ولا زمنًا ، ولا ظروفًا ، ولا بيئةً ، ولا معطيات ، ولا وضعًا عامًا ، ولا شح السماء ، اتهم عملك ، فالنبي الكريم يقول :

(( لا يخافن العبد إلا ذنبه ، ولا يرجون إلا ربه ))

[مصنف ابن أبي شيبة عن علي موقوفًا ]

فطائر كل إنسان في عنقه ، قال تعالى :

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾

[ سورة الإسراء : 13 ]

هل هذا الحديث صحيح ؟ القرآن يؤيده ، فليس هناك تشاؤم ، عملك مستقيم ، تأتيك الخيرات ، هناك انحراف ، وهناك مال حرام ، يأتي الإلتلاف ، من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله .

والله مرة أخ زارني في البيت ، قال : كم تقدر عمري يا أستاذ ؟ قلت : حوالي ستين سنة ، قال : ست وسبعون سنة ، وأنا مثل الحصان ، وقال : أعارك الحائط ، أقسم بالله أنه لم يأكل قرشًا حرامًا في حياته ، ولا يعرف الفاحشة في حياته ، طبعاً من عاش تقياً عاش قوياً ، هذا قانون ، يا سيدي ما هذه الصحة ؟ ستة وتسعون عاماً ، شيخ الأزهر ، وقد وزعنا كتاباً عليكم ، كلمات قرآن، لحسين مخلوف ، هذا معجم صغير ، إذا كنت تقرأ القرآن كل سورة بسورتها ، فالكلمات الصعبة مشروحة بمعجم صغير ، يقدر بعشرين أو ثلاثين ليرة ، اسمه كلمات القرآن ، لحسين مخلوف ، الذي عاش مئة وثلاثين سنة ، عاشها صحيحاً قوياً ، ما هذه الصحة ؟ ست وتسعون سنة ، البصر حاد ، والسمع مرهف ، وعلى كل خد وردة ، وطويل ، قات : يا بني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر ، والله يا أخوان المؤمن عمره مبارك ، فليهنأ به ، فصلواته ، وصيامه ، وحجه ، وزكاته ، وغض بصره ، وإنفاقه للمال ، ورعاية الأيتام والأرامل والمساكين ، وبينى المساجد ، ويخدم الناس ، فالله عز وجل شكور ، هؤلاء عباده ، فإذا تغاضيت لشخص عن كلمة صدرت منه ، لأنه خدمك خدمة بأحد أولادك ، فقلت له : والله لا أنسى لك هذا العمل حتى الموت ، لأن الابن غالٍ جداً ، فإذا كان العبد مع قليل من الإيمان يجعل عندك كل هذا الشكر ، فكيف ربنا عز وجل ؟ وهو الشكور ، أنت تدعو إلى الله ، وتخدم عباده ، وترحمهم،

وتمنحهم الأمن ، تخفف مصائبهم ، تمشح جراحهم ، تهدىء من روعهم ، تأويهم إلى هذا البيت ، هذا يعمل ، هذا تدله على الله ، أنت ليس لك شيء عند الله عز وجل ، بالعكس ، فهناك تشاؤم شيطاني ، شيء مخيف ، الله كله رحمة ، الله شكور ، فهناك تشاؤم شيطاني ، الشيطان أحياناً يُضَيِّق ، أشياء صعبة جداً ، وأنت لست ناجياً ، لا ، فأنا أرجح جانب التفاؤل ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَسِّرُوا وَلَا تُنْقِرُوا))

[ متفق عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ]

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا))

[ متفق عليه عَنْ عَائِشَةَ ]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَسِّرُوا وَلَا تُنْقِرُوا))

[ متفق عليه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ]

نفسك مطيتك فارفق بها . إذا :

((طَائِرُ كُلِّ إِنْسَانٍ فِي عُنُقِهِ))

[أحمد عَنْ جَابِرٍ]

الحديث قبل الأخير :

((طاعة النساء ندامة))

[مسند الشهاب عن عائشة ، والسيوطي في الجامع الصغير]

شُرِّحَ الحديث قالوا : إذا أطعت المرأة في أمر من اختصاصك ، بع هذا المحل ، وخذ لنا بيتاً أوسع ، هذا المحل مورد رزق ، إذا بعته توقف دخلك ، هذا شيء ليس من اختصاصها .

سيدنا عمر زوجته سألته سؤالاً متعلّقاً ببعض إخوانه ، فلان ما وضعه ؟ فغضب سيدنا عمر غضباً شديداً ، وقال: يا أئمة السوء ، ما شأنك بهذا ؟ هذا ليس من اختصاصك . فهذا يعني أن الإنسان لا يطيع المرأة في أمور متعلقة به ، من اختصاصه ، هناك أمور عامة، هذا الشيء تطاول منها ، وحشر أنف من غير مبرر ، أما في بيتك فلها أن تفعل ما تشاء في شأن بناتها ، اختصاصها ، لها مطلق الأمر ، طريقة الصلاحية في اختصاصها، لكن تتدخل في شؤون تكون عامة ، علاقة الإنسان مع أقرانه ، مع إخوانه ، مع زبائنه ، هذه مشكلة كبيرة ، فالنبي الكريم قال:

((طاعة المرأة ندامة))

[السيوطي في الجامع الصغير]

وهناك حديث آخر :

((طاعة النساء ندامة))

[مسند الشهاب عن عائشة ، والسيوطي في الجامع الصغير]

قبل أن ننهي الدرس ، النبي عليه الصلاة والسلام له توجيهات لطيفة جداً في التعليم ، قلنا : طالب العلم ، لكن إذا أحب الطالب أن يعلم فهناك توجيهات ، من هذه التوجيهات أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا عبر عن علاقات زوجية كانت تعبيراته دقيقة جداً ، ولطيفة ، ولا تجرح الحياء ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((سَبَعَةُ يُظَلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةً دَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

دعته إلى ماذا ؟ مفهوم ، الكلام واضح ، انظر ، تعلم من النبي ، أما ذكر الأعمال الفاحشة بألفاظها ، بتفصيلاتها ، ليس هذا من شأن طالب العلم ، ولا من شأن الداعية إلى الله ، عن ابن أسامة بن زيد أن أباه أسامة قال :

(( كَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ ، فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مُرَّهَا فَلْتَجْعَلَ تَحْتَهَا غِلَالَةً ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا ))

[أحمد عن ابن أسامة بن زيد أن أباه أسامة]

والله كلمة عظام ليست منفرة . قال تعالى :

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾

[سورة النساء : الآية 43]

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

[سورة المؤمنون : 5-7]

أدخل كل الانحرافات ، كل أنواع الانحرافات في العلاقات الجنسية دخلت تحت:

### ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

فالإنسان يتأدب بأدب القرآن ، يتأدب بأدب النبي ، أحياناً تجد على المنبر يقال : إن في الطريق نساء كذا وكذا ، يصف أعضاءهن ، صدورهن ، نحورهن ، أصبح موضوعاً ثانيًا ، أصبح أدبًا مكشوفًا ، فالنبي الكريم ذكر رجلاً دعت امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين ، هذا توجيه من توجيهات النبي .

التوجيه الثاني كما قلت في أول الدرس : أعرابي جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : يا رسول الله ، ثيابنا في الجنة ننسجها بأيدينا ؟ أي هناك معامل نسيج ؟ والله سؤال سخي ، في الجنة ، فضحك القوم ، لما ضحك القوم أجابه بأدب جم ، وباحترام شديد ، حتى يشجع الآخرين على السؤال ، إياك إذا كنت تعرف شيئاً ، وأحدهم سألك سؤالاً تهكم عليه ، أو تسخر منه ، تحطمه ، تذوبه ذوباناً ، تربي الناس أن يسألوك سؤالاً ، هذه أخلاق العلماء ، هناك علماء جبابرة ، قال : تعلموا العلم ، وتعلموا له السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمون ، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، يكون هناك تواضع متبادل ، تتواضع لطلاب العلم ، ويتواضعون لك ، أما إذا كنت تتقن شيئاً ، وأحدهم غلط تصبّ عليه التهكم والسخرية ، فهذا ليس من أخلاق الدعاة إلى الله .

هناك موقف ثالث : النبي عليه الصلاة والسلام رأى أماً تُقِيلُ ابنها ، فاستغل هذه الناحية عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(( قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيِي ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبُ تُذِيهَا تَسْقِي ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ، وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا : لَا ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوَالِدِهَا ))

[البخاري عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ]

الوقت ضاق بنا ، ولكن هناك موضوع لطيف جداً ، كيف علم النبي أصحابه ؟ هذا الموضوع متعلق بالتربية ، أنت طلبت العلم الآن ، لو أحببت أن تُعلم فيجب عليك ألا تُتفَرَّ ، ألا تُخَوِّفَ ، أن تُبَيِّرَ ، أن تُسَيِّدَ وتُقَارِبَ ، وأن يغلب عليك الاعتدال ، استخدام الأمثلة ، استغلال الوقائع .

النبي الكريم رأى شاة ملقاة في الطريق ميتة ، عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ :

(( كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّخْلَةِ الْمَيْتَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا ؟ قَالُوا : مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَالْدُنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا ))

[الترمذي عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ]

رأى أماً تُقْبِلُ ابْنَهَا فَقَالَ : أَتَلْقِي هَذِهِ بَوْلدهَا إِلَى النَّارِ ؟ قَالُوا : مَعَاذَ اللَّهِ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ اللَّهُ أَرْحَمُ بَعْدَهُ مِنْ هَذِهِ بَوْلدهَا . رأى شاة ميتة قال : انظروا كم هذه هينة على أهلها ، والله للدنيا أهون عند الله من هذه الشاة على أهلها .

### توجيهات أخرى للنبي الكريم :

إن شاء الله في درس قادم نتعلم شيئاً عن أصول التعليم ، كيف علم النبي أصحابه؟ كيف كان يسألهم ، وكيف يجيبهم ، كيف كان يأخذ موقفاً ذكياً جداً ، هو على المنبر يحدث الناس ، ويخطب بهم ، فخرج واحد ، وسأله في أثناء الخطبة ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( مَا أَعْدَدْتُ لَهَا ؟ قَالَ : حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ))

[مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]

هذا جواب ذكي ، فبدل أن يجيبه ردّ عليه بسؤال آخر .

أبو حنيفة كان عند المنصور ، وعنده قاضٍ عدو له ، أراد أن يجرجه فقال له : يا أبا حنيفة إذا أمرني المنصور بقتل امرئ أقتله أم أتريث ؟ بالطبع هذا سؤال محرج ، إن قال له: لا ترد عليه ، لا يستطيع ذلك فالخليفة موجود، وإن قال له : اقتله ، فقد أغضب الله عز وجل ، فأدرك أن هذا الإنسان يريد الكيد له ، فقال له - والخليفة موجود - : هل الخليفة على الحق أم على الباطل ؟ فقال له : على الحق ، فقال له : إذا أنت كن على الحق ، وانتهى الأمر ، فلما خرج قال : أراد أن يقيدني فربطته . فالنبي الكريم هكذا علمنا :

(( مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ))

فإن شاء الله سنخصص فقرة من حين لآخر كيف علم النبي أصحابه ؟ كيف حاورهم ؟ كيف سألهم ؟ كيف وضح لهم ؟ فأنا لا أعتقد أن هناك مثلاً أروع من أن قوماً استهموا في سفينة ، وهذه السفينة فيها الكثير من الركاب ، وأخذ كل واحد منهم مكانه في هذه السفينة ، فأحدهم أحب أن يحضر بمكانه - لا أعتقد أن هناك مثلاً أوضح وأدق - قال : فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا ، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَّوْا جَمِيعًا))

[البخاري عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ]

سمعت قصة من يومين ، قالها لي أخ : شخص يركب سيارة ، وفيها اثنان ، امرأة وزوجها ، يبدو أنهم ينتظرون حقيبة ، فقالت الزوجة لزوجها : لقد تأخر ، والله قد أخرجنا أمام السائق ، بعد ذلك أتى رجل كبير في السن ، وهو يحمل هذه الحقيبة ، فالشاب وكزه ، وقال له : لماذا تأخرت ؟ فإذا هو والد هذا الشاب ، فنظر إليه السائق ، وقال له : أهذا والدك ؟ فأجابه : نعم ، فقال له : انزل من سيارتي ، لأنك عاق الوالدين ، وهذا سيغضب رب العالمين .

فخطر ببالي لو أن العاصي والمنحرف ينبذه الناس ، فعندها ستخف المعاصي ، أما إذا رحبنا به ، وسكتنا عنه ، وأكرمناه ، وهو عاق الوالدين فسيتقشى الانحراف ، هذا معنى الآية الكريمة :

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾

[ سورة الأنفال : 25 ]

إذا ضيقنا على المنحرف ، وعاتبناه ، وعنفناه فالانحراف يقلّ ، أما منحرف ، ومعزز ، ومكرم ، ويستقبل بترحيب من الناس ، وهو عاق الوالدين فهذا شيء بشع ، هذا معنى أن يعم البلاء ، كيف يعم ؟ إذا سكت الناس ، وما أمروا بالمعروف ، وما أنكروا المنكر ، والمنكر شاع ، فهم مذنبون ، عندها يعم البلاء .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (042 - 127) : توجيهات نبوية

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-11-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))  
((

[ورد في الأثر]

أولاً: الإنسان مخير، فحينما يكون مخيراً، وحينما يهبه الله عقلاً، وحينما يتفضل عليه بشرع حنيف فيه توضيح لكل شيء، عقل سليم، واختيار في نفسه، وشرع بين يديه، ومع ذلك يسأل الله غير الجنة، ومع ذلك يتعوذ بالله من غير النار، ومع ذلك يعطي لغير الله، الله سبحانه وتعالى يعجب من هذا الإنسان،

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))  
((النار))

[ورد في الأثر]

قال تعالى:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءَهُ وَهُوَآءُهُ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾

[سورة الإسراء: 20]

أنت مخلوق سخر الله لك الكون كله، منحك حرية الاختيار، قال لك: اختر يا عبدي، تمّن علي، واطلب، فهذا طلب الدنيا، هذا طلب مالا، هذا طلب جاهاً، هذا طلب صحة، ولم يطلب شيئاً متعلقاً بالآخرة، فالله سبحانه وتعالى يعجب، لو أن ملكاً طلب من إنسان أن يطلب منه ما يشاء، ثم قال له: قلم رصاص، فقط، يشك بعقله، يشك بسمعه، يشك بإدراكه، يشك بملكاته، ملك يطلب منك أن تسأله أي شيء، ثم تكتفي بهذا القلم.

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))

[ورد في الأثر]

كلكم يعلم أن احد الخلفاء كان في بيت الله الحرام، والتقى بعالم جليل، قال له: سلني ما شئت، قال: والله إني أستحي أن أسأل غير الله في بيت الله، فلما لقيه خارج المسجد قال له: سلني حاجتك، قال: والله ما سألتها من يملكها، أفأسألها من لا يملكها؟.

أخ كريم قال لي البارحة: والله إني أستحي من الله أن أسأله الدنيا، قلت: بارك الله بك، والله هذه مرتبة عالية في الإنسان، اطلب من الله الجنة، اطلب من الله المعرفة، اطلب من الله عملاً صالحاً يمتد بعد الموت، الكريم لا يقبل أن يعطي عطاءً محدوداً، امرأة سألت رجلاً كريماً، فأعطاهما الجزيل، فلامه أصحابه، فقالوا له: إنه كان يرضيها القليل، وإنما لا تعرفك أنك بهذا الكرم، فأجاب إجابةً مفحمةً، قال: إذا كان يرضيها القليل فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

هذه الدنيا، دعك من المعاصي والآثام، دعك من الفجار والمنافقين والمنحرفين، نحن نتحدث عن المؤمنين، المؤمن الذي طلب من الله الدنيا، دخل، وبيت، وزوجة، وراحة بال وشأن، فقط، هذا الذي قنع بالدنيا أفقه ضيق جداً، هذا الذي اقتصر هدفه على الدنيا تفكيره محدود جداً، لأن الدنيا تنتهي بالموت، بل إن الغني والفقير يستويان عند الموت، والقوي والضعيف يستويان عند الموت، والصحيح والسقيم يستويان عند الموت، والذكي والغبي يستويان عند الموت، والوسيم والدميم يستويان عند الموت، الموت ينهي كل شيء، فكل حركتك ونشاطك في الدنيا إذا كانت متعلقةً بالدنيا، وأقول: المسموح به، المباح، الحلال، دعونا من العصاة، نتحدث عن المستقيمين، إذا كان كل طموحك ينتهي عند الدنيا فقد أسأت الاختيار،

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))

[ورد في الأثر]

فذلك إذا دعا الإنسان الله عز وجل فليكن دعاؤه من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل))

اللهم إنا نسألك مما سألك به سيدنا محمد ﷺ، ونستعيذك مما استعاذك به سيدنا محمد ﷺ، كن طموحاً، أسأل الله ما سأله النبي عليه الصلاة والسلام، واستعد بالله مما استعاذ منه النبي عليه الصلاة والسلام، وأسأل الله الخير كله، عاجله وآجله، وظاهره وباطنه، في الدنيا والآخرة، اللهم ارزقنا العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

إذاً لا تكن في السؤال قنوعاً، كن طموحاً، لأنك تسأل كريماً، تسال أكرم الكرماء،

((ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))

[ورد في الأثر]

أنت في فترة حياة محدودة، وكل حركاتك وسكناتك مسجلة عليك، وكل عطاءاتك مسجلة لأهدافها، ونواياها، فمن الغريب أن تعطي من وقتك، أو من جهدك، أو من مالك، أو من خبرتك، تعطي لغير الله، هذا الذي أعطيته لذاته بماذا يكافئك؟ هو فقير، عاجز، هو محدود، هو ضعيف، هو يقصر عن أن يرد لك هذا الجميل، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً ذكر أن الله سبحانه وتعالى

((يعجب من متعوذ يتعوذ من غير النار))

إنسان يخشى مرضاً عضالاً، يخشى أن يزاح من مكانه، يخشى أن يخرج من بيته، يخشى أن يفقد زوجته، يخشى أن يفقد وظيفته، يخشى أن يفقد ماله، يخشى على بعض أعضائه، ولا تخشى هذه النار التي وقودها الناس والحجارة، عجيب، إذا لم يخش الإنسان النار، حديث على إيجازه، لكنه عميق، تسأل غير الجنة، تعطي لغير الله، تخشى غير النار، فهناك خلل في التفكير، هناك ضعف في الرؤية، هناك ضيق في الأفق، بل امتحن

ذكاءك، وعقلك، وتوفيقك، وأفقك الواسع، من نوع اختيارك، واستعدادتك، وإعطائك.

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))

[ورد في الأثر]

سيدنا علي كرم الله وجهه يقول: " يا بني، ما خير بعده النار بخير "، يعني لو أن الدنيا كلها بيدك، لو أنك حصلت كل أمجادها، أمجاد المال، أمجاد القوة، أمجاد الشأن، أمجاد الجمال، أمجاد الوسامة، الذكاء، لو أنك حصلت الدنيا من كل أطرافها، وانتهت بالنار فليست خيراً، ما خير بعده النار بخير، ولو أن مصائب الدنيا كلها اجتمعت عليك، وانتهى الأمر إلى الجنة فهذه ليست مصائب، ما خير بعده النار بخير، وما شرّ بعده الجنة بشرّ.

فلذلك ليتم نعمته عليك، قال العلماء: تمام النعمة الهدى، وقال بعض العلماء: تمام النعمة أن تهتدي إلى الله، وأن تفعل وفق ما يقتضيه هذا الاهتداء، أن تعرف الحق نعمة، وأن تطبقه نعمة كبرى، معرفة الحق نعمة، وتطبيقه نعمة كبرى، اللهم أرني الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

ولو ألغى الاختيار لألغى الدين، لألغيت العبادة، لألغى الثواب، لألغى العقاب، ألغى التكليف، ألغى حمل الأمانة، ألغى كل شيء، أنت مخير، قال تعالى:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءًا وَهَؤَآءًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾

[سورة الإسراء: 20]

ولما قال أحد شاربي الخمر في حضرة سيدنا عمر: يا أمير المؤمنين، إن الله قدر علي ذلك، فقال رضي الله عنه: أقيموا عليه الحد مرتين، مرة لأنه شرب الخمر، ومرة لأنه افترى على الله، قال: ويحك يا هذا، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار، الله عز وجل حملك الأمانة، وكلفك بأوامر ونواه، أعطاك المقومات، أعطاك الكون، سخره لك تسخير تعريف وتكريم، منحك حرية الاختيار ليثمن عملك، وليكون هذا العمل الذي فعلته باختيارك ثمن للجنة، منحك العقل، أودع فيك الشهوات لترقى بها صابراً إلى رب الأرض والسموات، ولترقى بها شاكراً إلى رب الأرض والسموات، فطرك فطرة نقية خالصة لتكون مقياساً لك، أو ميزاناً لأعمالك،

عندك ميزان العقل، وميزان الفطرة، وميزان الشرع، وعندك الكون، وعندك الشهوات، وعندك الاختيار، وأودع فيك فيما يبدو قوة، فالعقل والقوة والاختيار والشهوة والكون والشرع والفطرة هذه المقومات، وبعد ذلك تسأل الله غير الجنة؟ وتستعيز به من غير النار، وتعطي لغير الله فقد حبط العمل، وأن يحبط العمل له معنيان، إما أن يصبح العمل دنيئاً، فيه قسوة، فيه خلل، فيه اضطراب، فيه انحراف، فيه بغي، فيه عدوان، فيه إثم، هذا إحباط العمل، أو أن يكون العمل في ظاهره جيداً، لكن النوايا ليست كما يرضي الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى كما تعلمون لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً.

إذاً الله عز وجل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام علو الهمة من الإيمان، وعلو الهمة يعني يجب أن تطمح إلى مرتبة عالية، لماذا تحب الكمال في الدنيا، وترضى باليسير من الآخرة؟ هذا ليس من صفات المؤمنين، ولو قرأتم تاريخ أصحاب رسول الله لقلتم هذه المقولة: إذا كانوا بشراً، فنحن لسنا ببشر، وإن كنا بشراً فهم فوق البشر، وهؤلاء من جلدتنا، ومن طبيعتنا، ومن جبلتنا، هم بشر، ونحن بشر، فالإنسان عليه أن يتجاوز معطيات حياته الدنيا، الإنسان له واقع، له مشكلات، له معطيات، له هموم، هذه إما أن تستهلكه، وإما أن يكون فيها، وإما أن تلتهمه إلى أن يأتيه الأجل، قال تعالى:

### ﴿أَلْهَاكُمْ النَّكَاثِرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

[سورة النكاثر: 1-2]

وإما أن ينتصر عليها ويعلوا فوقها، ليس هناك إنسان ليس عنده مشكلات، لكن إما أن تستهلك من قبل هذه المشكلات، وإما أن تستهلك هذه المشكلات، وإما أن تنتصر عليها، إما أن تتخاذل أمامها، تتهاوى أمام ضغوطها، إما أن تجتر آلامك طوال الحياة، وإما أن تدع هذه الآلام وتلك الضغوط وهذه المعوقات وتلك الظروف السيئة، وتعلو عليها، لتعرف لماذا أنت في الدنيا، لماذا خلقت، فو الله الذي لا إله إلا هو حينما ينتصر الإنسان على نفسه فقد حقق وجوده الإنساني، وإن لم ينتصر هبط من وجود إنساني إلى وجود حيواني، إذا كانت الحياة طعاماً وشراباً وكسباً للمال واستمتاعاً ليس غير هبط من مستواه الإنساني إلى مستواه الحيواني، لذلك من هم الأنبياء بتعريف دقيق دقيق؟ هم أناس انتصروا على بشريتهم، لولا أن النبي عليه الصلاة والسلام يشعر بما نشعر، ويحس بما نحس، ويغضبه ما يغضبنا، ويؤلمه ما يؤلمنا، ويفرحه ما يفرحنا، يرضى، ويغضب، ويخاف، ويجوع، ويعطش، ويذوق طعم الحر، وطعم البرد، لولا أن كل خصائص البشر تجري عليه لما كان النبي بطلاً،

لولا أن كل خصائص البشر تجري على سيد البشر لما كان سيد البشر، أخي، نحن من غير طبيعة، لا، أنت من جنس البشر، بإمكانك أن تنتصر على بشريتك، وعلى أوضاعك الخاصة، وعلى الأزمات، وعلى الظروف، وأن تعلق عليها، وأن تفكر في ساعة صفاء لماذا أنا في الدنيا، فلذلك هذا الحديث على إيجازه يثير تساؤلاً، ويدفع الإنسان نحو مزيد من مراتب الكمال.

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معطي يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))

[ورد في الأثر]

جبريل الأمين، جاء النبي عليه الصلاة والسلام، قال: يا محمد، أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبي عبداً؟ قال: بل نبي عبداً، أجوع يوماً فأذكره، وأشبع يوماً فأشكره.

أحياناً الأزمات والضائقات كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: إن الصالحين يشدد عليهم، ما دمت صالحاً، ما دمت طائعاً فأنت في العناية المشددة، تحاسب حساباً دقيقاً، تحاسب على النظرات، وعلى الخطرات، وعلى الكلمات، وعلى الإشارات، وعلى التصرفات، إن الصالحين يشدد عليهم، قال تعالى في الأثر القدسي: وأوحى ربك إلى الدنيا أن تشدد، وتمرري، وتكديري، وتضيقي على أوليائي حتى يحبوا لقائي، أنت حينما ترى أن الله يتابعك، ويحاسبك حساباً دقيقاً وسريعاً يجب أن تفرح، لأنك أصبحت مراداً، أنت مطلوب، وأنت مراد، وأنت مرشح لتكون في مرتبة في الجنة عليه، هذا شيء يثلج الصدر، هذا شيء يبعث على الشكر، هذا شيء يجبر خاطر، والله الذي لا إله إلا هو المؤمن الصادق إذا رأى نفسه مقصراً، وأن الله سبحانه وتعالى يمدده، ويعطيه على تقصيره يجب أن يخاف، يجب أن يشعر كأنه من العناية المشددة، كأنه خرج من الرعاية، كأنه أصبح على هامش النسيان، أما إذا رأى الله عز وجل يتابعه، ويحاسبه، ويشدد عليه، وكل مشكلة لقضية، هذه لتلك، وهذه لتلك، هذا الإنسان مرغوب فيه، ومراد، ومرشح ليكون في مرتبة عليه، فلذلك إذا أحب الله عبده ابتلاه، فإن صبر اجتبه، وإن شكر اقتناه، إذا أحب الله عبده عجل له بالعقوبة، إذا أحب الله عبده جعل له واعظاً من نفسه، يأمره، وينهاه، إذا أحب الله عبده عاتبه في منامه، المعاتبة في المنام، وتعجيل العقوبة، والصراع الداخلي، دائماً نفس لومة، هذا كله من علامات محبة الله للإنسان.

وقد يمنعه من الدنيا، إن الله ليحمي صفيه من الدنيا كما يحمي أحكم مريضه من الطعام، إن الله ليحمي صفيه من الدنيا كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة.

إذاً هذا الحديث يجب أن تعلم علم اليقين أن الدنيا تنتهي بالموت، وأن بعد الموت أبد لا ينتهي، الدنيا مهما طال ما دام لها نهاية فهي قصيرة، يا دنيا غري غيري، قال سيدنا علي، شأنك حقير، وأمدك قصير، يا دنيا طقتك بالثلاث، طلقة لا رجعة بعدها، هذه الدنيا، أما الأبد فحياة لا تنتهي، ولك أن تتحدث عن الأبد حديثاً لا ينتهي، يا ترى مئة ألف، مليون عام، أكثر من هذا الرقم.

مرة ضربت مثلاً، رجل بدمشق، وبين كل صفرين ميلتر، والأصفار باتجاه، ونمشي باتجاه طريق حمص باتجاه دوما، إلى القطيفة، إلى النبك، حمص، حماه، حلب، أنقرة، موسكو القطب الشمالي، المحيط الهادي، القطب الجنوبي، إلى إفريقيا، إلى مكة، إلى تبوك، إلى عمان، إلى دمشق، هذا الرقم كم هو؟ رقم واحد، وأمامه أربعون ألف كيلو متر أصفار، أربعون ألف كيلو متر أصفار، هذا الرقم إذا قيس إلى اللانهاية فهو صفر، هذا معنى الأبد، فذلك الدنيا محدودة، والأبد غير محدود، الآن في الدنيا أي عمل، أي نشاط، أي حركة، أي زيارة، أي إعطاء، أي منع، أي غضب، أي رضى، النشاط الإنساني حركة، الإنسان في الحياة حركة نفسية، حركة فكرية، حركة جسمية، كسب مال، إنفاق مال، علاقات، أي حركة لا علاقة لها بالآخرة خسارة، أي حركة لها علاقة لما بعد الموت ربح، هذا معنى قول الله عز وجل:

### ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

[ سورة العصر : 1-2 ]

العصر هو الزمن، وأنت زمن أيها الإنسان، أنت زمن، أنت كائن تتحرك، والحركة هي البعد الرابع للأشياء، مادامت الحركة تنتهي بالتوقف فأنت زمن، وكلما مضى وقت انقضى بضع منك، فإن الإنسان أي إنسان ما دام يحيى على هذه الأرض، والأرض تدور حول نفسها، وحول الشمس كل سنة، وسنوات تلو السنوات، أنت إذاً زمن، أنت في خسارة محققة، لا تتلافى هذه الخسارة إلا بحالة واحدة، إذا فعلت في هذا الزمن المحدود ما له علاقة باللامحدود، قال تعالى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[ سورة العصر : 2 ]

عندئذ تتجر من هذه الخسارة.

((إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة، ومن معط يعطي لغير الله، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار))  
((

[ورد في الأثر]

حديث خر وأخير، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبُرُّ، وَلَا يَزِيدُ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ))

[ ابن ماجه ]

رزق مادي، أو رزق معنوي، وأنا أرجح ما دام هناك علاقة بين حرمان الرزق والذنب أرجح وأفضل المعنى الآخر، الإنسان إقباله على الله رزق، تلاوته للقرآن من انشراح صدر رزق، خشوعه في الصلاة رزق، فهمه الدقيق لكلام الله تعالى رزق، فهمه الدقيق لحديث رسول الله رزق، تخلقه بأخلاق الله، الحلم رزق، العفو رزق، انشراح صدره رزق، طمأنينته رزق، هذا الرزق مشكلته أنه حساس جداً، سريعاً ما يتقلت منك، لمجرد ما تقع بذنب أو بمعصية أو بمخالفة أو بتقصير أو بتجاوز أو بتساهل أو باسترخاء، حينما تعزف نفسك عن المجاهدة في سبيل الله فإن هذا الرزق يتقلت منك، فلذلك الإنسان إذا صار له حال مع الله عز وجل، حال قرب ليحرص عليه حرصاً بالغاً، ليحرص عليه بمزيد من الطاعة، بمزيد من العبادة، بمزيد من الذكر، بمزيد من الدعاء، ليحرص عليه، وإلا

(( وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ))

يعني إذا أنكرت قلبك، أنكرت صلاتك، ضاقت نفسك ربنا عز وجل وصف الذين تخلفوا عن الجهاد وصفاً دقيقاً، قال تعالى:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾

[سورة التوبة: 118]

أحياناً الإنسان تضيق نفسه، تغلب عليه السوداوية، يصيبه السأم، والضجر، والملل، والضيق يقول لك: أنا متضايق، هذه علامة أن هناك ذنباً ارتكبته، لأن

((الرَّجُلُ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ))

إذاً معنى الرزق بهذا الحديث بحسب السياق العام هذه الحالات الطيبة، الحالات التي تغمر القلب، هذه قد يجرمها الإنسان بذنب ارتكبه.

والآن إلى شيء من سيرة أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم، من أصحاب رسول الله السابقين عبد الله بن حذافة السهمي، بطل من أبطال الإسلام، عبد الله بن حذافة بن قيس من كعب بن لؤي قرشي سهمي، يكنى أبا حذافة، طبعاً كلمة أبو فلان، أو أبي فلان، أو أبا فلان، أم فلان، أو بنت فلانة، أو ابن فلان هذه كلها كُنَى، الإنسان له اسم، وله لقب، وله كنية، وله نسب، وله شهرة، هذا مشهور بالسمان، هذه شهرة، القرشي هذا نسب، الفاروق هذا لقب عمر، أبو حفص هذه كنية، القرشي نسب.

سيدنا أبو عبيدة كان قصاباً، القصاب هذه شهرة، عرف بين الناس بهذه الحرفة مثلاً، عبد الله بن حذافة بن قيس من كعب بن لؤي قرشي سهمي، يكنى أبا حذافة، أسلم، وصحب النبي عليه الصلاة والسلام، وكان معه في هذه الهجرة أخوه قيس بن حذافة، في السنة السادسة بعثه النبي عليه الصلاة والسلام إلى كسرى ملك الفرس، بعثه رسولاً، ومعه كتاب هذا نصه: من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس، هنا في استنباط، أنت مثلاً جالس مع إنسان لقبه دكتور، جالس مع إنسان لقبه عميد، فإذا وصفت الإنسان بلقبه المتعارف عليه فليس في هذا شرٌّ: الله عز وجل، فهل كسرى عظيم؟ ليس عظيماً، العظيم هو المؤمن، ومع ذلك هو عند قومه عظيم، فإذا كنت مؤمناً، ولإنسان لقب بين الناس، وخاطبته بهذا اللقب فلست آثماً، كنت بشكل طبيعي تخاطبه باللقب المتعارف

عليه.

من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، هذه العبارة دقيقة جداً، قد يكون الإنسان غير متبع للهدى، قد يكون الإنسان فاجراً، ينكر وجود الله عز وجل، تقول له: السلام عليك؟ لا، السلام على من اتبع الهدى، هذه العبارة دقيقة جداً، إذا أردت ألا تمنحه هذا الشرف العظيم فسلم على من اتبع الهدى، وكفى.

قال: السلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، أدعوك بدعاية الله عز وجل، يعني بدعوة الله عز وجل، فإني أنا رسول الله على الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس، إذا لم يستجب كبير القوم للحق فكل من تبعه في الدنيا في صحيفته، وفي رقبته، وفي ذمته، أنت مثلاً أب، فإذا دعيت إلى الله ورسوله، ولم تستجب، ولم تصل فأولادك لا يصلون، طبعاً إذا فعلت المنكر فعلوه معك، فكل إنسان لم يستجب للحق في رقبته إثم، وإثم من تبعه.

قال: أسلم تسلم، فإن توليت فإنما عليك إثم المجوس، في رواية الأريسيين، يعني إثم أتباعك.

ماذا فعل كسرى؟ مزق كتاب رسول الله، وقال: يكتب إلي هذا، وهو عبيدي؟ وصف النبي عليه الصلاة والسلام كأنه عبد له، يقال: إن النبي عليه الصلاة والسلام قال: اللهم مزق ملكه، وهناك من يقول: إن كل من أراد أن يعيد مجد كسرى يمزق ملكه دعوة مستمرة، وحينما ألغيت حضارة الإسلام في بلاد آسيا، وأراد طاغيتهم أن يعود إلى أمجاد كسرى مزق الله ملكه، فقال: هذه دعوة مستمرة، أي إنسان أراد أن يعيد مجد كسرى يمزق ملكه.

فدعا عليه النبي عليه الصلاة والسلام أن يمزق ملكه، وبعث كسرى إلى باذان واليه على اليمن بأن يبعث إلى الحجاز رجلين يأتيانه بمجد، لأنه عبده فبعث، باذان رجلين إلى المدينة، شيء مضحك جداً، انظر إلى الكافر، كم أفاقه ضيق، هذا رسول الله، لو اجتمعت الأمة كلها، لو اجتمع أهل الأرض على أن يمسه بسوء لا يستطيعون، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[سورة المائدة: 67]

كسرى بعث إلى واليه باذان في اليمن أن يبعث إلى الحجاز رجلين يأتياه بمجد، فبعث باذان رجلين إلى المدينة التقيا النبي عليه الصلاة والسلام، قال عليه الصلاة والسلام لهذين الرجلين: إن الله سلط على كسرى ابنه فقتله، وتحققوا من ذلك، فلما تقصوا الأخبار عرفوا أنه رسول الله، ما كلفه الله ذلك إلا أن ينقل لهم خبراً لا يعرفونه، جاءه الوحي، وأخبره أن هذا الذين بعث لك رجلين ليلقيا القبض عليك قتله ابنه، فقال عليه الصلاة والسلام لهذين الرجلين الذين جاءا ليعتقلاه كما يدعيان: إن الله سلط على كسرى ابنه فقتله.

سيدنا عبد الله بن حذافة له تاريخ في البطولات طويل، على كل من أبرز بطولاته أنه كان يقود جيشاً، أو يقود حملة محدودة على تخوم بلاد الروم، فوقع هو وأصحابه الثمانون في أسر جيش هرقل، وفرح قيصر بأسر هذا الصحابي، وهذا القائد البطل هو وأصحابه، ودعاه إلى مجلسه، وقال له: تنصر، وإلا ألقيتك في هذه البقرة، بقرة من نحاس فيها زيت يغلي، فأجاب عبد الله في إباء وشمم: لا أفعل، فألقى قيصر برجل من خصومه في البقرة، ومات من توه، ودعاه ثانية إلى أن ينتصر، وإلا ألقاه في هذه البقرة، وفي المرة الثانية قال: لا أفعل، فلما أمر قيصر أن يلقي في البقرة بكى هذا الصحابي، وحينما بكى شعر قيصر أنه انتصر عليه، انهار، تهاوت نفسه، ضعف أمام الموت، فقال أصحاب قيصر: لقد جزع، لقد بكى، فقال: ردوه علي، عرض عليه مرة ثانية قال: تنصر، فقال له عبد الله: لا تظن أيها القيصر أنني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي، ولكني والله بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، وكنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في بدني، ثم تسلط علي فتفعل بي ما تشاء، يا ليت لي مئات ألوف الأنفس، وأنت مسلط علي، وافعل بي ما تشاء، لأن كل نفس أرتقي بها عند الله، هذه الكلمات ملأت نفس القيصر عجباً وذهولاً مما يرى، ومما يسمع.

في هذه اللحظة دخل الحجاب، ومعهم كتاب من خليفة رسول الله، من أمير المؤمنين سيدنا عمر، يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله، من عبد الله عمر بن الخطاب إلى هرقل ملك الروم، أطلقوا الأسير المسلم عبد الله بن حذافة حين وصول كتابي هذا إليكم، فإن فعلتم رجوت الله أن يهديكم الصراط المستقيم، وإن لم تفعلوا فإني أبعث لكم رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الجهاد في سبيل الله.

رسالة قصيرة، ارتعد لها قلب القيصر، دعا برسول الخليفة، فدخل عبادة بن الصامت وهو الرسول، ومعه آخرون. قيصر دعا سيدنا عبادة، وقال له: تنصر، وأزوجك ابنتي، وأقاسمك ملكي، وأرد عبد الله، والله ما أفعل، إلى أن قال قيصر لعبد الله بن حذافة: قبّل رأسي، طبعاً الرسالة فيها تهديد، فلا بد من إطلاق سراحه، لكن كآخر

محاولة، أولاً: هدده بأن يلقي في البقرة فلم ير فيه أي استعداد، أو أي قبول، أو أي لين، الآن أغراه أن يتزوج ابنته، وأن يقاسمه ملكه، ومع ذلك قال: ما أفعل، قال: قَبِلْ

رأسي، وأطلق سراحك، قال: لا أفعل، قال: قَبِلْ رأسي، وأطلق معك ثمانين من أسرى المسلمين، فقال عبد الله: أما هذه فنعم، هذه ممكن.

عرض عليه ملكاً، أن يزوجه، هدده بالقتل، قوة في دينه، أطلق قيصر سراحه، أما هذه فنعم، وقَبِلْ رأسه، وأطلق سراحه، وأعطاه هدايا ثمينة إلى عمر بن الخطاب، وخرج عبد الله بن حذافة والثمانون أسيراً، وبعد قليل لقيهم رسول سيدنا عمر، ومن معه، وتصافحوا، وتعانقوا، وكان هذا اللقاء كأنه عيد من أعيادهم، ولما وصل عبد الله بن حذافة إلى عمر بن الخطاب، وعلم بالقصة، قام عمر، وقَبِلْ رأسه بنفسه، انظر إلى قيمة المسلم من أجل إخوانه، من أجل هؤلاء الأسرى، وأخذ أصحاب رسول الله يمازحون عبد الله بن حذافة، ويقولون: قَبِلْتِ رَأْسَ الْقَيْصِرِ، قَبِلْتِ الْعَلَجَ، قَبِلْتِ رَأْسَ الطَّاعِيَةِ، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من أسرى المسلمين، فكان جوابه أن هذه القبلة أطلق الله بها ثمانين من أسرى المسلمين.

الحقيقة هذه قصة ماذا نستنبط منها؟ نستنبط منها أن المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، والنبي نهانا عن أي عمل يوقع الإضرار بالمسلم، الآية الكريمة قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[ سورة الحجرات: 10 ]

هذه الآية أصل، وفيها توجيهات، هناك مؤمنون كثيرون فيهم ضعف، يخالفون نص هذه الآية، لما ربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[ سورة الحجرات: 10 ]

المؤمنون، ماذا معنى أنهم إخوة؟ هذا تركيب اسمي، أيهما أقوى، أن نقول: تأخى المؤمنون، أو المؤمنون إخوة؟ إذا قلنا: تأخى المؤمنون هذا تركيب فعلي، التركيب جملة فعلية، ودائماً التركيب الاسمي أقوى وأثبت، بل إن التركيب الفعلي يدل على الحدوث، بينما لتركيب الاسمي يدل على الثبوت، عندنا تركيب يدل على الحدوث، وتركيب يدل على الثبوت.

مثل أوضح، اسم الفاعل يدل على الحدوث، أما الصفة المشبهة باسم الفاعل فتدل على الثبوت، فكلمة طويل هذه صفة مشبهة باسم الفاعل، تدل على ثبات هذه الصفة، أما كلمة داخل، فالدخول يتم مرة واحدة، الداخل اسم فاعل، أما طويل على وزن فاعيل صفة مشبهة باسم الفاعل، فهناك أسماء تدل على الثبوت، وأسماء تدل على الحدوث، هناك تركيب يدل على الثبوت، وتركيب يدل على الحدوث، فالتركيب الفعلي يدل على الحدوث، مثلاً: اجتهد زيد، قد يكون اجتهد مرة واحدة، فحص واحد، مذاكرة واحدة، سنة واحدة، فصل واحد، مادة واحدة، اجتهد زيد، إذا قلت: زيد مجتهد، يعني دائماً مجتهد، في كل سنوات دراسته، في كل المواد، في كل أجزاء العام.

فلاحظ الفرق بين تأخى المؤمنون، تأخوا عقب معركة، أو في العيد، أما إنما المؤمنون، من إنما المؤمنون إخوة، هذا تركيب اسمي يدل على الثبوت، لا على لحدوث، هذه واحدة، إذا قلنا: إنما المؤمنون إخوة ماذا أضفنا، ماذا تعني إن؟ تفيد التوكيد، إذاً أنا أؤكد فضلاً عن أن التركيب في الأصل تركيب اسمي، وهو يدل على الثبوت، وفوق هذا الثبوت إن المؤمنون إخوة، إذا قلت: إنما المؤمنون إخوة، ماذا أضفنا؟ القصر والحصر، يعني قصرنا الإيمان على الإخوة، ما لم تكن أخاً لمؤمن فليست مؤمناً، دقق في هذه الكلمة: ما لم تكن أخاً لأي مؤمن فليست مؤمناً، هذا معنى إنما، التركيب الاسمي يفيد الثبوت، إن تفيد التوكيد، إنما تفيد القصر، الأخ مع الأخ النسبي يجمع على إخوة، والأخ مع الأخ غير النسبي يجمع على إخوان، عندنا إخوة، وإخوان، بحسب الطبيعة البشرية، أي العلاقات أوصل وأمتن؟ أخ من أم وأب في بيت واحد لهم، أم واحدة، وأب واحد، من بيئة واحدة، من وضعية واحدة، قد يكون لك صديق من بلد آخر، فعلاقة النسب أقوى علاقة، فإله سبحانه وتعالى رفع علاقة المؤمنين إلى أمتن علاقة، وهي علاقة النسب، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات: 10]

فهذا الكلام خطير، لما أنتمي على جماعة معينة، وأحتقر غيرها من الجماعات، لما لا أعاون واحد من جماعتي، لما أجعل أفقي كله ينتهي عند جماعة صغيرة، أنا أكون قد خالفت نص هذه الآية، ما لم أكن أخصاً لأي مؤمن فلست مؤمناً، يجب أن يكون انتمائي لكل المؤمنين، لمجموع المؤمنين على وجه الأرض، في أي بلد، في أي عصر، فأني شردمة، وأي تفريق، وأي تقطيع أوصال بين المؤمنين فهذا مما يخالف نص هذه الآية، أتمنى على الله عز وجل أن أكون وضحت لكم حقيقة هذه الآية:

### ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات: 10]

فسيدنا عبد الله هو لما عرض عليه أن يتنصر، وإلا ألقاه في هذا الزيت المغلي شيء لا يحتمل، رفض، عرض عليه أن يأخذ ابنته، وأن يجعله شريكاً في الملك، فرفض، قبل رأسي، وأطلق سراحك، فرفض، قال له: قبل رأسي، وأطلق معك سراح إخوانك، قال: فأما هذه فنعم، وقبل رأسه، بماذا تفهمون ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام: والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر واعتكافه في مسجدي هذا.

الحقيقة علامة إيمانك خدمتك لإخوانك، والله سبحانه وتعالى لا يرضيه إلا أن يرى المؤمنين متحابين، وفي الحديث القدسي عن أبي إدريس الخولاني أنه قال: قال الله تبارك وتعالى:

((وَجَبَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابِّينَ فِي جَلَالِي عَلَى  
مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ عَلَيْهَا النَّبِيُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أحمد]

فهذه الآية أتمنى على الله عز وجل أن تكون عندكم واضحة تماماً، أنت أخ لكل مؤمن في أي مكان، وفي أي زمان، ولا تكون مؤمناً إلا إذا شعرت بهذا الانتماء إلى مجموع المؤمنين، وأي نظرة ضيقة، وأي نظرة محدودة، وأي نظرة قاصرة على جماعة صغيرة، وأي تفريق بين الجماعات، وأي إثارة للعداوات، وأي تأجيج للخصومات، فإن هذا لا يرضي الواحد الديان، إذا كنت ترضي الله عز وجل، إذا كان الله مقصودك، ورضاه مطلوبك ففعل

هذا، قال تعالى:

### ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[ سورة الحجرات: 10 ]

مرة ثانية: المؤمنون إخوة، تركيب اسمي، هذا التركيب الاسمي أثبت من التركيب الفعلي، وإن إذا أضيفت على التركيب الاسمي أفادت التوكيد، وإنما، و(ما) بعد إن تفيد القصر، ومعنى القصر ما لم تكن أخاً لأي مؤمن فلست مؤمناً، أساس إيمانك هذه الأخوة، انظر على الأب إذا رأى أولاده متحابين متعاونين، يؤثر بعضهم بعضاً، يشعر بسرور بالغ، وإذا رأى العداوة والخصومة والتنازع بالألقاب والمنافسة الرخيصة والحقد بين أولاده يتألم منهم جميعاً.

فلذلك هذه الآية يجب أن تكون في كل ذهن منا، قال تعالى:

### ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾

[ سورة الحجرات: 10 ]

الأصل: إنما المؤمنون إخوة، فإذا رأيت بين أخوين خصومة، جفاء تدابر، عداوة، حسد، بغضاء، عدم سلام، أنت مهمتك ألا تعمق هذا الخلاف، والله معك حق، يجب ألا تنتظر إلى وجهه، هذا موقف لا أخلاقي، إذا رأيت أخاً يجافي أخاً، أخاً يعادي أخاً، يحسد أخاً، في خصومة، في مشكلة، أنت مهمتك: فأصلحوا بين أخويكم، يؤكد ذلك قول الله عز وجل:

### ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[ سورة الأنفال: 1 ]

والآية من أدق الآيات، أصلح نفسك، تعاهد قلبك، نقّ نفسك من الأمراض، من أمراض الحسد، من أمراض الغيبة، النميمة، الفحش، سوء الظن بإخوانك، طهر نفسك من الغيظ، من الاستعلاء، من الكبر، هذه كلها أمراض.

أولاً: أصلحوا ذات بينكم، يعني أصلحوا أنفسكم.

ثانياً: المعنى أصلح العلاقة التي بينك وبين الناس، علاقتك مع والدتك فيها مشكلة أصلحها، علاقتك مع أبيك علاقتك، مع أخيك، مع جيرانك، مع زملاءك، مع زوجتك، مع أولادك، مع أبيك، أصلحوا ذات بينكم، العلاقة التي بينكم، هذا المعنى رقم اثنين.

ثالثاً: أصلح العلاقة بين اثنين، إما أن تصلح نفسك، أو أنت طرف مع الثاني، أو أنت ليس لك علاقة، أصلح بين اثنين، والقرآن إعجازه في إيجازه، إعجازه في أنه يحمل وجوهاً كثيرة، فإذا رأيت في نفسك مرضاً، استعلاءً، حسداً، بغضاً، ضغينة، أثره فهذا مرض، أصلح ذات بينك، كما قال سيدنا عمر:

### ((تعاهد قلبك))

وإن رأيت بينك وبين أخيك جفاء، حسداً، استعلاءً، كبراً، حقداً، فأصلح هذه العلاقة، أصلحها بكلمة طيبة، باعتذار، بهدية تطيب بها قلبه، كما قال عليه الصلاة والسلام، أنت ما عليك شيء، والعلاقات كلها ناجحة مع الناس، لكن تعرف أن بين أخوين مشكلة، بين زوجين، أختك وزوجها، فلا يكثر، هذا أمر لا يليق، أصلح بينك وبينها، لك أخوان متعاديان، أصلح بينهما، قال لي مرة صهر: أشكو لأخ زوجتي أخته، قال له: أنصحك، طلقها، المؤمن لا يفعل هذا، فأصلحوا بين أخويكم.

هدده بالقتل في الزيت المغلي، قال له: لا أفعل، قال له: أزوجك ابنتي، وأجعلك شريكاً في الملك، لا أفعل، قبل رأسي، لا أفعل، قبل رأسي، وسأطلق إخوانك معك، قال: أما هذه فنعم، سأفعل، افهموا منه، والله لأن أمشي مع أخ في حاجته خير لي من صيام شهر، واعتكافه في مسجدي هذا.

بشكل أو بآخر حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وكلما عم خيرك على الناس كلما اقتربت من الله، وكلما ضاق خيرك عن الناس، وتمحورت حول ذاتك كلما ابتعدت عن الله.

مرة قرأت تقديمًا للنبي الكريم، قال: يا من جئت الحياة فأعطيت، ولم تأخذ، يا من قدست الوجود كله، يا من رعيت قضية الإنسان، يا من هياك تفوقك لتعيش واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع، يا من كانت الرحمة موجتك والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

هل شفعت بين زوجين؟ وفقت بين زوجين، من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها، وبكل خطوة خطاها عبادة سنة، قام ليلها، وصام نهارها.

الدين معاملة، الدين مؤثرة، الدين صفح، الدين خدمة، الدين بذل، الدين عطاء.

هذه القصة ما اخترتها لكم إلا لهذا الغرض، قال له: قَبِلْ رأسي، وأطلق سراح إخوانك، قال: أما هذه فنعم، حباً وكرامة، فلما عاتبه أصحاب رسول الله أنك قبلت رأس العليج، قال: بهذه القبلة أطلقت ثمانين صحابياً.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (043 - 127) : إذا أراد الله بعبده خيراً فقهه في الدين

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-11-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: قبل أن أشرع في شرح بعض الأحاديث الشريفة التي اخترتها لكم من كتاب الجامع الصغير لابد من مقدمة تلقي ضوءاً على محور هذه الأحاديث المقدمة.

إن الإنسان له جانب عقلي وجانب نفسي هو وإن غذاء العقل هو العلم، وإن غذاء القلب هو الحب، والذي لا يحب أو لا يُحب ليس من بني البشر، إذا كنت تنتمي إلى بني البشر فلا بد من أن تحب، ولا بد من أن تُحب، السؤال الآن أن تحب شيء واقع، هذه حقيقة لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن ينكرها، لأن هذا من جيلة الإنسان، ولكن المشكلة من تحب، المشكلة كلها من هو أهل أن تحبه؟ زوجتك، أولادك، عمك، الدرهم والدينار، الشهوات، المذات، المباحج، لا بد من أن تحب، لأنها فطرتك، لأنها جبلتك، لأنها طبيعتك، ولكن السؤال الدقيق من هو أهل أن تحبه؟

بادئ ذي بدء كل شيء فإن، ليس أهلاً أن تحبه، لسبب بسيط، لأنه فإن، لأنك إذا تورطت، وأحبيته غاب عنك في أدق اللحظات، لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي، ولكن أخ وصاحب في الله، فلما يتورط الإنسان يتورط في حب غير الله فقد غامر وقامر بحياته، وقد ضل ضلالاً ميبيناً، وقد ضل سواء السبيل، وقد اتجه إلى طريق مسدودة، وقد انطلق في هاوية ما لها من قرار، لسبب بسيط، لأن الذي أحبيته لن يدوم لك، هذا أول سبب، فأحب الباقي، ودع الفاني، أحب الذي يدوم إلى الأبد، ودع الذي ينتهي عند الموت، ألم يقل عليه الصلاة والسلام:

((عش ما شئت فإنك ميت، وأحب ما شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به))

حتى إن هذا الإنسان الذي طرق باب سيدنا عمر ليشكو زوجته فسمع صراخاً في بيت عمر، فعاد أدراجهم، سيدنا عمر سمع طرق الباب، انطلق ليفتح الباب رأى رجلاً قد ابتعد، يا أبا العرب تعال، لماذا طرقت الباب، وابتعدت؟ قال: جنتك أشكو مما أنت منه تشكو، أشكو لك من المشكلة نفسها، قال له: يا أبا العرب، هذه الزوجة، إما أن تفارقنا، وإما أن نفارقها، وليست أبدية، دارها تعش بها.

هذا حل معقول، الحياة لا تدوم، شيء من المداراة، وشيء من التفاهم، وشيء من التنازل، منك شيء، ومنها شيء، التقوا في منتصف الطريق، القضية انحلت.

من المؤهل أن تحبه؟ الله سبحانه وتعالى، أول موضوع، أول قسم بالدرس لماذا يجب أن تحب الله؟ لأنه باق، ولماذا يجب ألا تتورط في حب الدنيا؟ لأنها زائلة، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبي.

يوجد سبب آخر، لأن المخلوق مهما علا شأنه لا يستطيع أن يدفع عنك ضرراً، ولا أن يجلب لك نفعاً، لو كنت أقرب الناس إلى فلان، وصرت في مرض عضال يبعث لك باقة ورد يموت، يبعث له إكليلاً، وغير ذلك، يبكي، يقول: تأثرنا لموتك، هل يستطيع مخلوق أن يتدخل ويشفيك؟ لا يقدر، أولاً لأن الله عز وجل باق على الدوام، هو الذي ينبغي أن تحبه، الشيء الثاني لأن ما سوى الله لا يستطيع أن يجلب لك نفعاً، ولا أن يدفع عنك ضرراً، قال تعالى:

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾

[ سورة فاطر : 14 ]

﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾

[ سورة فاطر : 14 ]

يجب أن تحب الله، لأنه باق على الدوام، ولأن أمرك كله بيدك.

النقطة الثانية في الدرس يا ترى المعول عليه أن تحبه أم أن يحبك ؟ أن تحبه شيء طبيعي وبديهي، لأنه المنعم، لكن الشيء الذي يسعدك أن يحبك هو، عندك إنسان أعطيته منحة كبيرة، فأحبك، هو ما له فضل في هذا الحب، أما إذا رأيت منه عملاً أخلاقياً رائعاً، تضحية، إثارة، الآن تحبه، فمحبتك له بعطائك إياه محبة ابتدائية، أما إذا وقف موقفاً أخلاقياً، وقف موقفاً مخلصاً، الآن تحبه محبة لها نوع خاص.

درسنا اليوم يا ترى إذا أنت أحببت الله عز وجل لأنه يغدوك بنعمه، كما قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ مِنْ نِعْمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي ))

[ الترمذي ]

إذا أحببت الله عز وجل لما يغدوك به من نعمه ماذا يقتضي حبك لله عز وجل ؟ أن تلتزم أمره ونهيه، الآن إذا طبقت أمره تماماً أحبك الله، السؤال: هل عندك دليل على أن الله يحبك ؟ في الحديث الشريف طائفة من أقوال النبي عليه الصلاة والسلام فيها إشارة إلى أن الله إذا أحبك أراد بك الخير، وإذا أراد بك الخير فعل معك كذا وكذا، وهذا محور درسنا.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه في نفسه))

أنت عالم، هذه النفس البشرية خلقت للأبد، عالم زاخر بكل شيء،

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.

فإذا كنت غنياً في نفسك، إذا كنت مؤمناً بربك، إذا كنت صادقاً مع نفسك، إذا كنت أميناً على من ائتمنتك، إذا كنت محباً لمن خلقك، إذا كنت صابراً، إذا كنت ذاكرًا، إذا كنت شاكراً، إذا كنت متوكلاً، إذا كنت مستسماً، إذا كنت مفوضاً، أنت دولة، قال تعالى:

## ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾

[ سورة النحل: 120 ]

هناك شخص بألف بمليون، بمئة ألف مليون، النبي عليه الصلاة والسلام أقسم الله بعمره، قال تعالى:

## ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[ سورة الحجر: 72 ]

الله عز وجل خاطب النبي عليه الصلاة والسلام، فقال:

## ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[ سورة القلم: 4 ]

قال تعالى:

## ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[ سورة الشرح: 1-4 ]

لا يذكر الله عز وجل إلا ويذكر معه النبي عليه الصلاة والسلام، وأنت أيها المؤمن لك نصيب من هذه الآية، إذا أنت أخلصت لله عز وجل إخلاصاً جيداً، وأحببت الله حباً صحيحاً صادقاً،

وانطلقت لخدمة الخلق كي يرضى عنك رب الخلق، إذا كنت كذلك فالله عز وجل يرفع لك ذكرك بقدر إيمانك، ويقدر إخلاصك، وإذا أحببته ألقى حبك في قلوب الخلق، إذا أحببته فيما بينك وبينه ألقى حبك في قلوب الملائكة، فإذا أحببته، وانطلق لسانك بذكر نعمائه ألقى حبك في قلوب الخلق، إذا خفته ألقى في قلوب الخلق الخوف منك، صارت لك هيبة، إذا اشتغلت به اشتغل الناس بك، بمعنى حديثهم أنت، إذا اشتغلت به اشتغل الناس بك، إذا أحببته أحبك الناس، إذا هبته هابك الناس، إذا خفته خافك الناس، معادلة دقيقة جداً، ومعادلة رياضية بالثواني لا بالدقائق.

إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله، إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك مما في يديك، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله.

((إذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه في نفسه)).

إن جلست مع غني تحس أنه منتشٍ ممتلئ، عنده معنويات عالية بشكل لا يصدق، من أين هذه المعنويات ؟ تصور إنساناً يعمل عند ملك، دخل على الملك، وقابله، هذا الملك ابتسم بوجه أثنى على ذكائه، أجلسه بجانبه، منحه شيئاً، يخرج ويمشي بالعرض، ابتسامته، منتشٍ، يحس بمكانة عليّة، إذا كان الإنسان العادي أقوى من الآخرين، له مكانة عند الآخرين، الله جعله فوقهم، خصك بابتسامته، أو بنظرة، أو بمصافحة حارة، أو بهدية، أو أثنى عليك، تنتشي أنت، هذا انتشاء مزيف، أما إذا شعرت أن خالق الكون يحبك، وأنتك بعينه، وأنتك برعايته، هذه المعنويات، إذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه في نفسه، وإذا هذا الإنسان امتلأ قلبه حباً للعالم قد يجعل غناه في دفتر شيكاته، يقول لك: أنا معي شيك مفتوح، لكن هذا لا ينفعه حينما يأتي الأجل، وهذا لا ينفعه إذا أراد الله المعالجة، إذا أنت غني بماذا ؟ غني بممتلكاتك أم غني بنفسك ؟ المؤمن غني بنفسه، وغير المؤمن غني بممتلكاته، لذلك من علامات قيام الساعة أن قيمة المرء في آخر الزمان متاعه، ولكن المؤمن قيمته في معرفته بربه، وفي تطبيقه لمنهجه، وفي حبه له.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ))

[ متفق عليه ]

رتبة العلم أعلى الرتب، إن الله عالم يحب كل عالم، الفرق الدقيق بين الإنسان وغير الإنسان هو العلم. رجل واقف عند قصاب يقول لك: هذه كلى، هذا الكظر، هذا الكبد، المعدة، الأمعاء، عضلات، عظام، أوتار، دماغ، نخاع، سواد، كبد، البنية واحدة تقريباً، يمكن أن يكون حيواناً أقوى من الإنسان، أضخم، أوزن، أسرع بصره، أدق، النسر ثمانية أمثال بصره، الكلب شمه مليون ضعف، شم الإنسان يكفي أن تعطيه بعض أدوات

المتهم حتى يميز رائحته من بين الملايين بالشم، الكلاب أقوى، بالبصر النسور أقوى، بالسمع القطط، والكلاب أدق سمعاً، يتعرفون إلى الزلازل قبل وقوعها، من بعض الدواب في خفة الحركة القطط، في سرعة الجريان هناك الغزال، أي حيوان لحكمة أرادها الله عز وجل جعله يتفوق على الإنسان، إلا الإنسان بالعلم والخلق، فإذا تخلف في عقله وفي أخلاقه كان دون مستوى الحيوان، وهذا الذي قاله الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾

[ سورة البينة: 6-7 ]

الإنسان المؤمن خير ما برأ الله والكافر شر ما برأ الله إذا:

((... إذا أراد الله بعبدٍ خيراً ففقهه في الدين))

بالمناسبة أي علم ممتع لو تعلمت تاريخ العصور البيزنطية في متعة، أي علم تقرأ تاريخ جغرافيا، فيزياء، كيمياء، فلك، تقرأ مثلاً تشريح بعض الحيوانات، أي علم ممتع، هناك علم ممتع، ونافع، إذا كان معك اختصاص الناس في أشد الحاجة له تطلب أرقاماً غالية كثيراً، مختص بالكومبيوتر، ونحن بحاجة له، تطلب في الشهر ثلاثين ألف مثلاً، هناك علم ممتع، وعلم ممتع نافع، أما العلم الديني فممتع نافع مسعد لا في الدنيا فحسب، بل في الدنيا والآخرة.

((إذا أراد الله بعبدٍ خيراً ففقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوبه))

هذه كلها مقاييس، إذا أردت أن تعرف أيا حبك الله عز وجل، أريد بك خيراً ففقهك في الدين، يعني جمعك مع أهل الحق، جعل قلبك يهفو إلى المساجد، جعل المسجد مأوى لك، قال تعالى:

﴿فَأُوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾

[ سورة الكهف: 16 ]

الكهف في آخر الزمان هو المسجد، أنت أويت إلى بيت الله حيث معرفة الله، حيث آياته، حيث سنة نبيه، وسيرة

أصحابه، فذلك:

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ))

وإذا أراد به شراً بالمعنى المعاكس يريد خمس نجوم دائماً، يريد عرساً بمكان فخم، يريد حفلة مختلطة، يريد نادياً ليلياً حيث الخمر، والغنى، والفسق، والفجور، فالناس رجالان، بر تقي، وفاجر شقي، فالمؤمن يأوي إلى بيوت الله، وغير المؤمن يأوي إلى أماكن اللهو والطرب، الحديث دقيق:

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا وَبَصَّرَهُ بِعِيُوبِهِ))

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ))

دائماً في تفكير يا ولدي لا أحيّد لك هذا السفر، هذا واعظ من نفسه، هذه الصفقة لا تريدها فيها شبهة، فلان لا تزره ضال مضل، فلان زره دائماً، إذا أراد الله بعبده خيراً فعنده واعظ داخلي يأمره وينهاه، الواعظ هو الملك، أنت بين إلهام ملك ووسوسة شيطان، تأكد أن حركتك اليومية إما بوحى من ملك أو بوسوسة من شيطان، فإذا كنت مع الله قبيض الله لك ملكاً يلهمك رشداً، وإذا كنت مع الشيطان لا سمح الله قبيض لك قريناً يوسوس لك كل فعل سيئ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾

[ سورة النمل: 4 ]

الشيطان يريك المعصية متألمة، يريك أكل مال الناس مغنماً، وذكاء، يريك العدوان بطولة يريك الانغماس بالشهوات نكاءً، هكذا، هذا الذي دعاه النبي عليه الصلاة والسلام:

((اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه))

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ))

(( وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا وَبَصَّرَهُ بِعِيُوبِهِ ))

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ))

الواعظ من نفسه عنده محكمة داخلية، عنده ميزان داخلي، معه ميزان والله لو نطبق الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام والله لمات القضاة من الجوع، ولأغلقت المحاكم كلها، ما هو الميزان ؟

قال: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، هذه كنتك التي في البيت تعاملها معاملة كما تتمنى أن يعامل زيد ابنتك، وهي عنده، لما تعامل أم زوجتك معاملة أنتتظر من زوجتك أن تعامل بهذه المعاملة، أترضى من زوجتك أن تسخر من أمك ؟ لماذا تسخر من أم زوجتك ؟ لو طبقت هذه القاعدة في العلاقات الاجتماعية، في العلاقات المالية، في البيع في الشراء، في كل شيء عامل الناس.

أقول لكم ولا أكتمكم: إن الإنسان إذا استخدم مقياسين سقط من عين الله مرة كنت في محل تجاري الابن حمل، إياك يا بني، ظهرك، لم ينتبه بعد دقيقتين أو ثلاث عنده صانع حمله حمله، قال: سيدي، فقال: أنت شاب في أول حياتك، ما انتبه لنفسه أن ابنه خاف على ظهره، أما الصانع فشاب، مقياسان، حينما تقيس الأمور بمقياسين انتهيت كإنسان، سقطت من عين الله، يجب أن تقيس الأمور كلها بمقياس واحد، قال: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، هذا كيف طبقه النبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ:

((إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ائْذَنْهُ فِدْنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَنْحِبُهُ لِأُمِّكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِإِخْوَاتِهِمْ قَالَ أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ قَالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ أَلْفَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ))

[أحمد]

إذا أطلق بصره في فتاة هذا الشاب نفسه لو رأى شاباً آخر يحدق في أخته يمكن أن يغلي، هذا مقياس، هذا المقياس إذا طبقناه في حياتنا فلن نفع في مشكلة، ولا قضية، ولا معضلة، ينتهي كل شيء، أنت واقف وراء الطاولة، أمام موظف، أنت موظف أمامك مراجع، لو كنت محله أترضى أن يقول لك: تعال غداً، وبعد غد،

وتخلق له مشكلة، تخوفه، أترضى أن تكون محله ؟ لا ترضى، أنت بائع، أترضى لو كنت شارياً أن تغش، أن يدلّس عليك ؟ لا ترضى، هذا المقياس، قال: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ وَعَظْمًا مِنْ نَفْسِهِ يَأْمُرُهُ وَبِنَهَاةٍ))

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ))

قيل: وما عسله ؟ ليس معنى أنه أطعمه عسلاً، أي يفتح له عملاً صالحاً قبل موته، يرزقه عملاً صالحاً، إن في الدعوة إلى الله، إن في هداية الناس، إن في خدمتهم، إن في بناء المساجد، إن في إطعام اليتامى، إن في رعاية الأرمال، إن في تأمين الشباب في بيوت، إن في تزويج الشباب إذا:

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قِيلَ وَمَا عَسَلَهُ قَالَ يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ))

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا صَيَّرَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِ))

هذا مقياس والله.

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا صَيَّرَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِ))

فالإنسان لا يضجر إذا سمح لك الله عز وجل أن تخدم خلقه، هذا شرف عظيم نلته، وهذه مرتبة عالية، تفضل الله بك عليها، ولو شاء لصرفهم عنك إلى غيرك، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾

[ سورة محمد: 38 ]

لا تتدلل كثيراً، أخي ما ارتاح، لا ترتاح هي الدنيا للعمل، كلها هموم، ولكن الهموم كلها مقدسة، لا تمن على الله عز وجل، قال تعالى:

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة الحجرات: 17]

إذا جاء إنسان إلى وليمة، وما أكل، أخي ها نحن جننا، أما إذا أكل يقول: كثر الله خيرك، إذا أكل شيئاً، وإذا ما أكل شيئاً آخر، إذا وضعوا له صحوناً، لكن ليس فيها طعام، انتظر ساعات، ومشى، أخي جننا، يمن عليه، أما لو أكل لا يمن عليه، بالعكس يشكره.

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة الحجرات: 17]

إذا كنتم صادقين في طلب الإيمان، ذقتم حلاوة الإيمان، عندئذ لا تمنون على الله، بل الله يمن عليكم.

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا صِيرَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِ))

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَاتَبَهُ فِي مَنَامِهِ))

الإنسان الصادق إذا كان في طريق غلط يرى مناماً فيه تحذير، معنى هذا أنه غال على الله، فالعتاب في المنام صير حوائج الناس إليه، طهره قبل موته، عسله، فقهه في الدين، زهده في الدنيا، بصره بعيوب نفسه، جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه، جعل غناه في قلبه.

هذه كلها من علامات حب الله لك، هذا مقياس.

أجرى أحدهم تحليلاً، يرى في القائمة النسبة الطبيعية، يرى النسبة عنه 350، الطبيعية 125، والله هناك زيادة، الأحاديث كلها معايير طبيعية، هكذا المؤمن، فإذا طبقت عليك هذه الصفات فاشكر الله عز وجل، ما طبقت هناك شيء آخر.

قبل أن ننتقل إلى السيرة أقرأ عليكم مرة أخيرة الأحاديث.

((إذا أراد الله بعبد خيراً جعل غناه في نفسه)).

((إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره بعيوبه))

((إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه))

((إذا أراد الله بعبد خيراً غسله قيل وما غسله قال يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه))

((إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته))

((إذا أراد الله بعبد خيراً صير حوائج الناس إليه))

((إذا أراد الله بعبد خيراً عاتبه في منامه))

وفي حديث آخر:

((إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا))

ثوب أبيض عليه سواد فوراً تتظفه، أما ثوب أصله أزرق، ومن الشحم والزيت والوجل صار أسود، اسكب عليه لتر حبر لا يظهر، ليس هناك مشكلة، إذا كان الإنسان كله ذنوب، كله انحرافات، فلا يشعر على شيء، أما النقي الظاهر فيشعر، كلمة قالها بلسانه قال:

((يا عائشة قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته))

قالت: صفة قصيرة فقط، هذه الكلمة.

إذا شعر الإنسان أن الله عز وجل يتابعه كلما غلط في ضربة يفرح.

الدرس الماضي سيدنا ابن حذافة الذي حدثتكم عنه كان قائداً لسرية فيها ثمانون من أصحاب رسول الله، وقد وقعوا في أسر هرقل، وكيف أن هرقل ملك الروم عذبهم، ووصل إلى قائدهم ابن حذافة، وعرض عليه أن

يتنصر، أو أن يضعه في بقرة من النحاس، فيها زيت مغلي، وكيف أن ابن حذافة هذا الصحابي الجليل قال: والله لا أفعل، فجاء برجل، ووضعه أمامه في هذه البقرة، فانفصل جلده عن لحمه فوراً، ثم عرض عليه أن يزوجه ابنته، وأن يجعله شريكه في الحكم على شرط أن يتنصر، فأبى، قال: والله لا أفعل، ثم جاءه كتاب من سيدنا عمر يأمره أن يطلق سراحه، قال: قبل رأسي، وانطلق، قال: والله لا أفعل، إلى أن قال له: قبل رأسي، وخذ كل أصحابك، قال له: أما هذه فنعم، وقبل رأس هرقل، ولما بلغ عمر ما فعل قام أمام أصحابه جميعاً، وقبل رأسه إكراماً له، هذا سيدنا ابن حذافة، طبعاً كان في القسطنطينية استنبول حالياً مقر هرقل.

رجل عربي كان ملكاً من ملوك الغساسنة في القسطنطينية، رجل مقيم مع هرقل كان ملكاً من ملوك الغساسنة اسمه جبلة بن الأيهم الغساني، من آل جفنة، آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام، عاش زمناً في العصر الجاهلي، وقاتل المسلمين في دومة الجندل، وحضر معركة اليرموك، وهو على أطراف الجزيرة، ثم أسلم، وجاء المدينة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، ملك جاء المدينة، وقد أعلن إسلامه، سيدنا عمر رحب به، وقربه منه، فهذا لا تزال عقليته عقلية ملك، فلما كان في الطواف، والقصة تعرفونها جميعاً رويتها كثيراً لكم، ولكن الآن سوف نأخذ تتمتها، فلما كان في الطواف يبدو أن بدوياً من قبيلة فزارة داس طرف رداً الذي كان يجرد وراءه، فلما داس طرف رداً انكشف عن كتفه فالتفت، وهو ملك إلى هذا البدوي، وضربه ضربة هشمت أنفه، هذا البدوي ليس له إلا عمر، توجه إلى سيدنا عمر ليشكو جبلة بن الأيهم الملك الغساني.

يقول: فلطم جبلة عينه أو أنفه، فأمر عمر بالاقتصاص منه، فقال: يا أمير المؤمنين أوعينه مثل عيني؟ هو من سوقة الناس، وأنا ملك، والله لا أقيم في بلد علي به سلطان، فهاجر إلى بلاد الروم مرتداً، لأنه رفض أن ينفذ حكم الله، ضرب أنف هذا البدوي، فهشمها، فلما أمر عمر أن يضرب أنفه رفض.

هناك شاعر صاغ هذا الحوار ببعض الأبيات، فيقول له:

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟

قال جبلة: لست ممن ينكر، أو يكتم شيئاً، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي.

قال عمر: أرض الفتى، لا بد من إرضائه، ما زال ظفرك عالماً بدمائه، أو يهشمن لأن أنفك، وتثال ما فعلته كفك.

فقال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين، هو سوقة، وأنا صاحب تاج، هذا من عامة الناس، كيف ترضى أن يخزّ النجم أرضاً.

يقول له عمر: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبداً.

قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ، أنا مرتدّ إذا أكرهتني.

فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحذ عالم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

وارتد إلى بلاد الروم، واستقبله هرقل، وقربه، وأعطاه قصرًا، وأسكنه فيه، وتتصر.

سقت هذه القصة لأن الإنسان أحياناً بساعة غضب يرتكب حماقة يدفع ثمنها طول حياته، وأحياناً يدفع ثمنها بعد مماته، وأحياناً يخلد في النار بسبب موقف غير صحيح، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً))

يصنفون المجرمين مع الأغبياء، لأنه بساعة من ساعات غضب قتل إنسانا، فحكّم ثلاثين سنة في السجن، غبي جداً، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((لا تغضب))

ودائماً الإنسان المستقيم لا يصل إلى مواقف حرجة، فهذا ارتدى ثوباً طويلاً، وهذا مخالف للسنة، بالخطأ داس هذا البدوي طرف الثوب، انخلع من كتفه، انزعج، التفت، فإذا بدوي، ضربه ضربةً هشمت أنفه، البدوي شكاه إلى عمر، عمر يقيم الحق الناس سواسية كأسنان المشط.

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ

((أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَزْوَةِ الْفَتْحِ... ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فُقُطِعَتْ يَدُهَا فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[ البخاري ]

هذا التميز في المعاملة، هذا يوجب الهلاك للأمة، أن الشريف إذا سرق لا يحاسب، والضعيف يحاسب، ابن حذافة رضي الله عنه كان في القسطنطينية، ويبدو أنه كان قبل الإسلام على علاقة مع جبلة بن الأيهم، أراد أن يزوره فلعله يعيده إلى حظيرة الإسلام، فالآن زاره في القسطنطينية في قصره المنيف، يقول له ابن حذافة: ويحك يا جبلة، إن قصرك هذا لأجمل من القصر الذي يقيم فيه هرقل، قال: أجل، ذاك قصرهم القديم، وهذا قصر جديد، يقول له ابن حذافة: متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب، سيدنا عمر بن عبد العزيز كلما دخل على مجلس الخلافة يتلو قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾

[ سورة الشعراء: 205-207 ]

يقول له جبلة: هات ما عندك، فليس بيننا أحد، يقول له ابن حذافة: بلغني أن قيصر قد تغير عليك، فقال جبلة: أفلهذا رغبت في زيارتي؟ يقول له: نعم، لا تبتئس يا جبلة، فلعل الله قد أراد بك خيراً في ذلك، فقال جبلة: أي خير يا أبا حذافة؟ قال: ومن يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام، عد إلى دينك، عد إلى أمتك، عد إلى قومك، عد إلى المدينة، قال: أبعد الذي قد كان بعد الموقف مع عمر؟ قال حذافة: قد ارتد الأشعث بن قيس، ثم رجع إلى الإسلام، في أمثلة أخرى، فقال جبلة: شتان ما بيني وبين الأشعث، الأشعث لم يلحق بقيصر مثلي، ولم يتزوج ابنته قيصر زوج ابنته لجبلة، ابن حذافة قال: بلغني أنك لست معها على وفاق، فلم لا تطلقها، قال: أطلقها وهي ابنة قيصر؟ قال: ولم لا؟ قال: وقد هجرتك ونشزت عنك، قال: وكيف أعيش بعد ذلك، من أين أكل إذا طلقها؟.

معنى هذا تحمل الهوان، قال: تعني الرزق الذي يجريه عليك قيصر؟ قال: سنفرض لك عطاءً من ديوان المسلمين، قال: فهل أجد عندكم هذه العيشة هنا؟ رفاه كبير جداً، يعني أثر هذا الرفاه على كرامته.

فقال ابن حذافة: هذه عيشة الملوك يا جبلة، وليس في الإسلام ملوك، ولكنك سوف تعيش بيننا حراً كريماً، لا يتعبك أحد، ولا يمن عليك أحد.

قال جبلة: ليلطمني أعرابي جلف من بني فزارة.

قال: ذلك الحق، ولا غطاطة على أحد، أيؤخذ منه الحق، ألا تحب يا جبلة أن تقيم في أرض تسوده كلمة الحق؟ قال: تلك آفة الملوك يا ابن حذافة، لا يستطيعون إن عزلوا أن يعيشوا ملوكاً، ولا أن يعيشوا سوقة، فيضيعون بين ذلك وذلك.

قال: لو أن عمر ولاني الشام لكفاني هذا الهوان، قال: ما كان لعمر أن يوليك شيئاً من أمر المسلمين، وأنت ترى أنك ملكاً عليهم، وهم سوقة، ما نضجت، لست أهلاً أن تكون ملكاً عليهم، قال جبلة: أتضمن لي يا ابن حذافة أن عمر يقبلني عن عدت إليه؟ قال: نعم، قال: بعد كل هذا الذي صنعتة معه؟ قال: نعم، إنه لا يملك أن يردك، قال: ويزوجني إحدى بناته؟ قال: ويزوجك إحدى بناته، قال له: أتضمن لي ذلك؟ قال: نعم، قال: وأين أسكن في خص كالخص الذي هو يقيم فيه؟

قال: ويحك يا جبلة، ستكون واحداً من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم، قال: يا ليتني أستطيع أن أفعل هذا يا ابن حذافة، قال: وما يمنعك؟ قال المصير الذي كتب علي.

انظر إلى أهل الشرك دائماً: هكذا الله مقدر علي، دائماً المذنب المنحرف يتهم الأقدار.

قال: هذا مصيري، هكذا الله كاتب علي، قال: كلمة واحدة تقولها يا جبلة، ويتغير هذا المصير كله، قال: هيهات يا ابن حذافة، إني أعرف بنفسني منك، ولكن لي رجاء حبذا لو قبلت.

طلب منه أن يتزوج ابن حذافة ابنته فذهب إلى ابنته، وقال: يا بنييتي إن ابن حذافة يريد الرجوع إلى المدينة، وقد رجوت أن يحملك معه فيزوجك هناك من هو جدير بك من فتيان العرب، طبعاً هو

رفض أن يأخذها لنفسه، قالت له: امرأتك الرومية يا أبي هي التي أوعزت إليك ذلك.

فقال جبلة: إنك تعلمين أنني لست معها اليوم على وفاق، قالت: فعلام تريد أن تقصيني عن القسطنطينية لترميني في الصحراء، فقال: ليست صحراء إنها مدينة عامرة، قالت وردة: أنسيت يا أبي ما كنت تحدثني بالأمس، ألم تقل لي: إن أمير المؤمنين يقيم في خص حقير لا ترضاه أنت لخدمك وعبيدك.

ذكرته بالكلام السابق، فقال لها جبلة: إنه عمر بن الخطاب زاهد في الدنيا، قالت: كلا بل تريد أن تقصيني عنك، تريد أن تقبرني كما قبرت أمي من قبل، وصارت تبكي، قال جبلة: لا والله إنك لأعلى الناس عندي، وما كنت لأصبر على فراقك، ولكنني أخاف عليك، قالت: مم؟ قال: أن يتزوجك علع من علوج الروم، قالت: فما بالك تريد أن تزوج عمتي عالية واحداً منهم، قال: يا وردة قيصر أكرهني على ذلك، ليس لي خيار، وطلبها مني، وأخاف أن يزوجك هو أحد علوج الروم.

طبعاً أنا ذكرت التفاصيل لأن الإنسان لما قال عليه الصلاة والسلام:

### ((من أقام مع المشركين برأت منه الذمة))

صار تحت رحمتهم، وتحت ضغوطهم يمرغون به الوحل، ويضغطون عليه، انظر ساعة غضب شيطاني جعلته يعيش هذه العيشة البعيدة، والتي فيها إهانة لكرامته.

نقطة دقيقة جداً، يقول له: تلك المحنة التي ليس لي بها يد فله عليك يا ابن حذافة إن سألوك عني فقل لهم: إني سعيد في بلاد الروم، أعيش في هذا القصر المنيف كما يعيش قيصر الروم، بل أكرم، وأعز، احك لهم ما رأيت عندي من الجواري والكراسي من الذهب والطنافس والحريير والطيور المغردة، احك لهم كل ذلك، ولا تحك لهم عن ذلي وهواني وعذابي في هذه الديار.

الذي أتمناه على كل مسلم أن يعرف إذا بقي مع دينه، ومع إسلامه، ومع طاعة ربه، ومع إقباله على الله، ومع تطبيقه منهج ربه، وهذه قصة طويلة فيها كثير من التفاصيل نقلت لكم هذه التفاصيل، زوجته امرأة تأمره وتنهيه، ونشزت عنه، واستعلت عليه، وهجرته، وأمروه أن يزوج أخته لعلج من علوجهم، وهو يخاف على ابنته، أن يتزوجها واحد منهم، وهو في ذل، وكرامته في الوحل، هذا كله ما جناه، لذلك هذه القصة يمكن أن تكون

ترجمة تفصيلية لحديث رسول الله الذي ورد في الجامع الصغير:

((من أقام مع المشركين برأت منه الذمة))

أنت انكشفت، كنت مغطى فكشف، كنت في ظل الله فكشفت، كنت تحت رحمة الله فانكشفت، فالإنسان عليه دائماً وأبداً أن يبقى مع منهج الله عز وجل.

أيها الإخوة الأكارم: القصص تعلمنا الشيء الكثير، السعيد من اتعظ بنفسه، لا من اتعظ بغيره، فكلما قرأت قصة، هذه قصة قديمة، هذا جبلة بن الأيهم الملك الغساني كان ملكاً في بلاد الغساسنة، وحارب المسلمين في وقائع عديدة، في دومة الجندل، ثم اهتدى إلى الله، وطاف حول الكعبة، في ساعة غضب، ساعة ثأر، ساعة حمق، ساعة ثأر لكرامته ارتكب هذه الأحموقة، فهشم أنف الأعرابي، فاحتكما إلى عمر، أمره أن يرضيه، قال: أرض الفتى، لا بد من إرضائه، لو أرضيته لانتهى الأمر، مازال ظفرك عالقاً بدمائه، وإن لم ترضه ليهشم الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك، فما تحمل، فقال جبلة: كيف ذلك يا أمير المؤمنين، هو سوقة، وأنا صاحب تاج، هذا من عامة الناس كيف ترضى أن يخزّ النجم أرضاً.

يقول له عمر: نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، وأقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبداً.

قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ، أنا مرتدّ إذا أكرهتني.

فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه، كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصلوك تساوى.

ارتد، وذهب إلى بلاد الروم، وتزوج ابنة قيصر، وعاش في هذا الذل والهوان، هي تأمره أن يرسل ابنته إلى الصحراء، تأمره أن يفعل كذا.

دائماً وأبداً أرجحكم عقلاً أشدكم لله حياً، الله عز وجل أعطانا عقلاً، وبهذا العقل نستطيع أن نحكم، والنبى الكريم يقول:

(( إذا أردت إنفاذ أمر تدبر عاقبته ))

قبل أن تقدم عليه، قبل أن تقدم على هذه التجارة، قبل أن تقدم على هذا الزواج، قبل أن تقدم على هذا السفر، قبل أن تقدم على هذا الطلاق، قبل أن تقدم على هذه الشراكة تدبر عاقبته دائماً، ليكن عملك وفقاً المنهج الإلهي دائماً، ليكن عملك وفق ما أراد الله، لا وفق ما تريد، أقول لكم كلاماً صحيحاً:

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[ سورة طه: 133 ]

والله الذي لا إله إلا هو ما من إنسان ضال على وجه الأرض إلا بسبب خروجه عن منهج الله، وما من إنسان شقي على وجه الأرض إلا بسبب خروجه عن منهج الله، وهذه الآية من آيات الله الدالة على عظمته.

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[ سورة طه: 133 ]

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[ سورة البقرة: 38 ]

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[ سورة الإسراء: 9 ]

اجعل هذا القرآن حكماً في زواجك، في عملك، في حرفتك، في سفرك، في إقامتك، في غضبك، في رضاك، في عطائك، في منعك، في كل أحوالك، فالإنسان إما أن يتبع أمر الله، وإما أن يتعظ،

من عبد الله بن جحش زوج من؟ زوج رملة بنت أبي سفيان، كان معها في الحبشة فتتصر، وعافر الخمر، ومات مرتداً عبيد الله.

فلذلك الإنسان لما يتبع شهوته انتهى، أما إذا حكم عقله نجح، والعقل هو كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((إنما الدين هو العقل ومن لا عقل له لا دين له)).

كما قلت لكم: إذا كان الأخ في مغنم كبير من سفر، لكن على حساب ديته فلا يسافر، إذا كان المغنم الكبير على حساب استقامته، على حساب انضباطه الشرعي فلا يسافر، لأن الآخرة خير لك من الأولى، والله عز وجل قال:

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾

[سورة الأعلى: 1-7]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

[سورة الأعلى: 14-15]

قد أفلح وردت في أربع مواضع، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾

[ سورة الشمس: 9 ]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

[ سورة الأعلى: 14 ]

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

[ سورة المؤمنون: 1-2 ]

هذا هو الفلاح، الفلاح أن تأتي الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (044 - 127) : أحب للناس ما تحبه لنفسك

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-12-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعدل أصحابه وآله الطيبين الطاهرين.

أيها الإخوة الأكارم، حديث اليوم حديث موجز، وقد تكون البلاغة في الإيجاز، وإيجاز النبي عليه الصلاة والسلام من نوع الإيجاز الغني، فقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أنس بن مالك رضي الله خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

(متفق عليه)

وكلكم يعلم أن أعلى درجات الحديث ما اتفق عليه الشيخان، الإمام البخاري، والإمام مسلم.

وفي رواية أخرى أوردها الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ))

الحقيقة أن الإيمان قد يوجد، ولكن قد يكون غير كاف لنجاة صاحبه، فأى إنسان أقر بوجود الله فهو مؤمن، و لكن يا ترى هذا الإقرار وحده يكفي؟ لا يكفي، فإذا قال عليه الصلاة والسلام:

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ))

قد يكون مؤمناً، ولكن لا يؤمن الإيمان الذي يجعله يرقى في درجات القرب، لا يؤمن الإيمان الذي ينجيه من عذاب الله، فالإيمان واسع جداً، دائرة واسعة جداً، فإذا أقررت أن الله سبحانه وتعالى موجود فقد دخلت فيها، ولكن لا بد من التحرك إلى مركزها، في مركزها الأنبياء، و حول الأنبياء الصديقون، كبار المؤمنين، فلا يؤمن أحدكم بمعنى أنه لا يبلغ الدرجة الكاملة من الإيمان، أو الدرجة المنجية من الإيمان، أو الدرجة التي ترقى به في

الإيمان إلا إذا فعل كذا وكذا.

**((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**

هذا الكلام فسرهُ المفسرون، ومن جملة ما قالوا: " المقصود من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن، والحقيقة هذا قيد، وهناك من يفسر هذا الحديث تفسيراً أوسع، حتى يحب لأخيه في الإنسانية، ما يحب لنفسه، المؤمن يتميز دائماً أن انتماءه لكل البشر، لكن بين أن تنتمي إلى الإنسانية، وتبغض ما تفعله الإنسانية، وبين أن تنتمي إلى جهة معينة، وتبغض غيرها، لا لشيء إلا لأنه غيرك، فالمؤمن نظرتة واسعة شاملة.

الآن هذا الحديث يعد قاعد أصولية في الإيمان، أي أنت لن تكون مؤمناً على النحو الذي يرضي الله، لن تكون مؤمناً في الدرجة التي تتجوب بها من عذاب الله، لن تكون مؤمناً في المستوى الذي يقبله الله عزوجل إلا إذا أحببت لغيرك، لأخيك، إن في الإنسانية، و إن في الإسلام، و إن في الإيمان، و إن فيمن حولك، على كل كلما وسعت الدائرة فأنت أرقى، لأن النبي بعثه الله رحمة مهداة، و نعمة مزجاة، وقد تجدون بعض الدول المتقدمة التي تهئ لشعوبها مستوى معيشياً مرتفعاً جداً، و راقياً جداً، و لكن هذا على حساب بقية الشعوب، أنت لا ترضى عن هذا المجتمع الذي يعيشه أفراده في هذا المستوى الرفيع على حساب أنقاض شعوب أخرى، هذه نظرة ضيقة، لا ترضى عن مجتمع إلا إذا قام على العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص.

فلذلك النبي ، والحقيقة قبل أن نتابع الحديث له إضافة،

**((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))**

وحتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه، إذا كنت تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك فأنت في المستوى الذي يرضي الله عزوجل.

النبي فيما رواه أبو هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((... وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا))**

(ابن ماجه)

هذا الذي يُسأل عن شاب من أجل الزواج، فيسأله السائل: بالله عليك، أنشدك الله، هل ترضاه لابنتك؟ والله الذي لا إله إلا هو لو قال له: نعم، أو بلى، أراضاه لابنتي، وهو في الحقيقة لا يرضاه لابنته فقد غش الله ورسوله، وقد غش عامة المسلمين، انطلاقاً من هذا الحديث، أتروجه ابنتك؟ أقبلة لابنتك؟ ادرس الوضع، لو جاءك هذا الخاطب هذا الخاطب يريد ابنتك هل تقبل به، أم أن لك اعتراضات كثيرة على أخلاقه، وعلى دينه وعلى سلوكه؟ إن كنت لا ترضاه لنفسك فلا ينبغي أن تقول بسداجة، وأن تلقي الكلام على عواهنه، وألا تدقق في الأمر، تقول: إنه إنسان آدمي، ما معنى آدمي؟ هذه الكلمة لا معنى لها، إلا أنه منسوب إلى بني آدم، يعني يمشي على رجلين، هذا معنى آدمي، هل ترضاه لابنتك فعلاً؟ هذا الحديث دقيق، هذا الطعام الذي تبيعه هل تأكله أنت؟ نفسك هل تستسيغ أن تأكله، إنك تشهد كيف يُصنع، وكيف يُطبخ، وكيف يعالج بالمواد، و تبيعه في مطعم، هل تأكله أنت، هذا الشيء الذي تركبه عند الناس هل تفعله في بيتك؟ هل تمدد هذه التمديدات في بيتك؟ شيء دقيق جداً، هذا المقياس يدخل معنا في المصالح والحرف والمهن في الصناعات، هذا الشيء الذي تصنعه تقبله لنفسك، تشتريه أنت في هذا المستوى، لذلك هذا الذي يتوهم أن الدين صلاة وصيام وحج وزكاة، وانتهى الأمر فقد وقع في وهم كبير، الدين أعظم من ذلك، الدين يقوم على هذه العبادات، لأنه يقوم على أسس أخلاقية. إذاً: كما يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((... وَأَحِبِّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا))

أنا مرة التقيت مع خياط، لفت نظري دخله كبير، عنده بيتان، بيت للضيوف، فيه كل الغرف والأسرة والمرافق، فسألته: أنت ورثت هذين البيتين؟ قال: لا، هذا من جهدي، ومن عملي، قال لي: لي شيخ نصحني أن أخطب الثوب كما أخطبه لنفسه، قلت: والله هذه نصيحة ثمينة، وقال: بفضل هذه النصيحة أقبل الناس علي، أن أخطب الثوب كما أخطبه لنفسه، هذا سؤال، لا تلتفت إلى الريح السريع، لا تلتفت إلى أمن تصبح غنيا في وقت قصير، التفت إلى نصيحة المسلمين، أصحاب المهن، أصحاب الصناعات، أصحاب التجارات، أصحاب الخبرات، هل ترضى أنت لبيتك هذا؟ لو طبقنا هذا الحديث والله لا أزيد ولا أبلغ لحلت كل مشكلاتنا، وفي الدرس الماضي قلت لكم: عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، وفي هذا الدرس: أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً. لذلك المؤمن يراقب الله عزوجل، لو أتاه طفل صغير ليشتري لحماً يعطيه اللحم الذي يأكله هو، هذا الطفل ليس

بإمكانه أن يراقبه، ولا أن يقيم عمله، ولا أن يوجهه، لكن القصاب المؤمن لا يعطيه إلا الشيء الذي يرضى الله عنه، حتى إنهم قالوا: إن عظمة الدين أن كل علاقة بين اثنين الله بينهما، أخطر شيء، وأعظم ما في الدين أن أية علاقة بين اثنين، بين زوجين، الزوج يتقي الله في زوجته، والزوجة تتقي الله في زوجها، والبائع يتقي الله فيمن يبيعه، والمشتري يتقي الله فيمن يشتري منه، أحيانا يكون البائع مغدورا، أعطاك صنفا مكان صنفا خطأ، أخطأ معك في الحساب، البائع قد يغفل عن مصلحته.

أخ طريم من إخواننا اشترى حاجة من بائع، ولم يدخل في علم هذا البائع أن الأسعار قد ارتفعت أربعة أمثال نظرا لارتفاع الرسوم، وبعد أن اشترى هذه الحاجة عاد إليه، وقال له: إنني سأعلمك أن الضرائب قد ارتفعت لأربعة أمثال هذه الحاجة، عندئذ قال له: أعطني الفرق، فأعطاه الفرق، بعد يومين بفضل الله عزوجل عاد كل شيء إلى ما كان عليه، فالإنسان امتحن، فالمشتري يتقي الله فيمن يشتري منه، والمشتري المؤمن يتمنى أن يربح عليه أخوه، كيف يعيش إذا؟ الصانع يتقي الله فيما يصنع، المزارع يتقي الله فيما يزرع، هناك أدوية، تعالج بعض المزروعات ببعض الأدوية لها آثار في الصحة، فاية علاقة بين اثنين الله بينهما، حتى لو تعاملت مع طفل صغير، حتى لو تعامل الصغير مع الكبير، والضعيف مع القوي، والقوي مع الضعيف، الخبير مع الساذج، قال عليه الصلاة والسلام:

((غبن المسترسل ربا))

المسترسل الغشيم - باللغة الدارجة - غبن المسترسل حرام، إذا:

((... وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا))

وفيما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث مُعَاذٍ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ قَالَ:

((أَنْ تُحِبَّ لِلَّهِ، وَتُبْغِضَ لِلَّهِ، وَتَعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، قَالَ: وَمَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَقُولَ خَيْرًا، أَوْ تَصْمُتَ))

(أحمد)

((وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ)).

بل إن النبي جعل دخول الجنة، و نهاية الآمال منوط بأن تحب للناس ما تحب لنفسك، قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه الإمام أحمد عن خالد بن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر، وهو يقول حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَتُحِبُّ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَحِبِّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ))

(أحمد)

هذا الحديث رواه سيدنا أبو ذر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمَرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ))

(مسلم)

لأن سينا عمر رضي الله عنه عيّن واليا، أعطاه كتاب التولية، وقال له: خذ عهدك، وانصرف إلى عملك، واعلم أنك مصروف رأس سنتك، وأنت تصير إلى أربع خلال، فاختر لنفسك، إن وجدنا أمينا ضعيفا استبدلناك لضعفك، وسلمتك من معرفتنا أمانتك، وإن وجدنا خائنا قويا استهنا بقوتك، وأوجعنا ظهرك، وأحسننا أدبك، وإن جمعت الجرمين جمعنا عليك المضرتين , العزل والتأديب، وإن وجدنا أمينا قويا زدناك في عملك، ورفعنا لك ذكرك، وأوطأنا لك عقبك، قال تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾

(القصص)

قال لي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي لَا تَأْمَرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ))

الإنسان لو تأمر على اثنين وكان ضعيفا يستحي، القوي منهما منهما يجره إلى خائته، و الضعيف منهما يستحي، إذا يقع في الظلم وهو لا يدري، لكن الذي يتولى أمر اثنين يجب أن يكون حازما قوي الشخصية، وقافا عند حدود الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، لا يستحي من الناس إلى الدرجة التي يسكت فيها عن الحق،

((لَا تَأْمَرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ))

وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:

((يا علي إني أَرْضَى لَكَ مَا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي، وَأَكْرَهُ لَكَ مَا أَكْرَهُ لِنَفْسِي، لَا تَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَأَنْتَ جَنْبٌ، وَلَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ،

وَلَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ))

موطن الشاهد، أن يا علي إني أتمنى لك ما أتمناه لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، أما هذا الذي يقوله الناس: ماذا تريد من وجع الرأس؟ لا دخل لك، عليك بنفسك، هذه إذا قالها الإنسان وسط من يحبه، ومع من يستمع إليه فقد خان الله ورسوله، لأن الدين هو النصيحة.

يروى أن أحد المؤمنين اسمه محمد بن واسع كان يبيع حمارا له، قال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته ما بعته، وقع في حرج.

أعرف شخصا ذكر لي قصة لا تزال مؤثرة في نفسي، عنده سيارة فيها عيب خطير، فباعها، وقال لي: بعته، وهو فرح، وكأنه انتصر على من اشتراها، قال لي بالضبط: ألبساناه لواحد، عبارة أحفظها تماما، وكان وقتها في طرطوس سيارات تباع مباشرة، فذهب إلى هناك، واشترى مركبة تروق له، اختارها من حيث اللون المناسب، والقوة المناسبة، وجاء بها إلى الشام، بعد أن أجرى معاملات تسجيلها زارني، وقد رأيتته واجما، قال لي: ضُربت سيارتي ضربا قاسيا جدا، وهو متألم، في خامس يوم، كان في حي المخيم، فوقع في حادث، لكنه حادث وجيع، فقلت له: تذكر ما قلته لي بالأمس، يجب أن تحب للناس ما تحب لنفسك، إذا أعلمت عن عيبها فلا مانع، فهناك من يشتريها بعيبها، حينما تخفي العيب إذا أنت رضيت أن تكون هذه لإنسان، وأنت لا ترضاها لنفسك، قال لبائع

الحمار: أترضاه لي؟ قال: لو رضيت له لم أبعه، فيه عيوب.

عَنْ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ  
بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى))

(مسلم)

هذا الحديث يستتبط منه قطعا أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، و يريد للمؤمن ما يريده لنفسه، ويؤلمه ما يؤلم أخاه.

الآن دخلنا في موضوع أساسي ومتعلق بهذا الحديث، الإنسان إذا تمنى أن يكون متقدرا عن الناس، أن يصل على مرتبة لا يرقى إليها أحد، قال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

(القصص)

العلو في الأرض أن تتمنى أن تكون دائما فوق الناس، أن تتمنى أن تكون أعلى من مستواهم، تنزعج لو أن أحدا اقترب منك، أو كاد أن يصل إلى مستواك، إن في العلم الصالح، وإن في الغنى، وإن في الزواج، تحب أن تكون فوق الناس، قال تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

وقد قيل للنبي: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون من أجود من شراك نعل صاحبه، فهل يدخل في هذه الآية؟ يتمنى أن يلبس شيئا متميزا، يحب إذا ارتدى شيئا لا أحد يكون في مستواه، إذا وجد اثنين يلبسان مثله يشمخ بأنفه، ويقول: هذا اللباس أكل عليه الدهر وشرب، وينزعه، فسئل صلى الله عليه وسلم وقيل له: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون من أجود من شراك نعل صاحبه، فهل يدخل في قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

أجاب النبي إجابة دقيقة، فعن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان رجلاً جميلاً، فقال: يا رسول الله إني رجل حبيب إلي الجمال، وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد إماماً قال: بشراك نعلي، وإماماً قال: بشنع نعلي، أفمن الكبر ذلك؟ قال:

((لا، ولكن الكبر من بطر الحق، وغمط الناس))

(أبو داود)

أي حينما ترى أنك إذا تعارض الحق مع أهوائك وشهواتك فأنت أكثر من أن تنصاع للحق، لو جاءتك نصيحة من طفل صغير، كبرت عليك نفسك.

مرة الإمام أبو حنيفة كان يمشي في الطريق، ورأى طفلاً صغيراً على وشك أن يقع في حفرة، فقال: يا غلام إياك أن تشقظ، قال له هذا الطفل: بل أنت يا إمام إياك أن تسقط، إني إن سقطت وحدي، وإنك إن سقطت سقط العالم معك، لأنه قدوة، و مثل أعلى، كل الناس متعلقون بك، كل الناس يعجبهم ما تصنع، فإذا سقطت من عين الله سقط الناس معك، بمعنى أحببت طموحهم، وأريكت تصورهم، وأوقعتهم في خلل، فمن علامة المتواضع أنه يقبل النصيحة من أي إنسان، ولو كان صغير الشأن، بطر الحق رد الحق، ألا ترضى بهذا الحق؟ هذا الحق يتعارض مع ما أنت عليه، إذا ترفضه، ترى أنك أكبر منه، أو ترى أنك أكبر من هذا الناصح، وغمط الناس أي أن تظلمهم.

قال بعض العلماء: المسلم الحق، المؤمن الحق إذا رأى في أخيه المسلم نقصاً في دينه اجتهد في إصلاحه، يرى أخاه في وضع لا يرضي الله، فيقول: لا دخل لي، لا أريد أن أزجه، لا، أنت مخلص، على انفراد، دون تشهير، التشهير فضيحة، هناك نصيحة، وهناك فضيحة، يجب أن تختار النصيحة، لا أن تختار الفضيحة، فبقدر الإمكان بينك وبينه، قل له: هذه لا تجوز، هذا التعامل لا يجوز، هذه العلاقة لا تجوز، هذه النزهة لا تجوز، هذا الموقف لا يجوز، أنت بهذا ضععت ثقة المسلمين.

بعض السلف الصالح كان يقول: أهل المحبة له نظروا بنور الله عطفوا على أهل المعاصي، مقتوا أعمالهم، ولم يمتوهم، لأنك إذا عرفت الله عزوجل يجب أن يتسع صدرك لكل الناس، أبو حنيفة النعمان – كما قلت لكم سابقاً – له جار مغنٍ، والغناء – كما تعلمون حرام، ولا سيما إذا كان من امرأة، قولاً واحداً، بالإجماع، لو أن المرأة قالت: أشهد أن لا إله إلا الله فصوتها عورة، لذلك النبي أمرها إذا أخطأ الإمام في الصلاة أن تصفق، لا أن

تقول: سبحان الله، الرجال يقولون: سبحان الله، أما المرأة فتصفق، لأن صوتها عورة وهي في الصلاة، وهي تقرأ القرآن، فكيف إذا غنت، وكسرت صوتها و ألاتته ؟ فأبو حنيفة النعمان له جار مغنٍ، كان طوال الليل يقول:

### أضاعوني وأي فتى أضاعو ليوم كريهة و طعان خلس

في أحد الأيام لم يسمع صوته، أيقن أنه موقوف، فذهب وشفع له عند صاحب الشرطة، وخلصه، وفي طريق العودة قال له: يا فتى هل أضعناك ؟ وكانت توبته على يده، فالداعية إلى الله عزوجل نفسه طويل، وأفقّه واسع، و صدره رحب، يتسع حتى للعصاة، ولكن لا يمتقهم، بل يمقت عملهم.

سيدنا عمر لما دخل عمير بن وهب على سيدنا رسول الله، وقال: والله دخل عمير على النبي صلى الله عليه و سلم والخنزير أحب إلي منه، و خرج من عنده وهو أحب إلي من بعض أولادي، هذا أخوك في الله، كان منحرفا، كان عاصيا، فلما عاد إلى الله دخل في قلبك.

الآن هناك موضوع ثالث، إذا رأيت فضيلة دينية في إنسان، هل هناك ما يمنع أن تتمنى أن تكون فيها ؟ قيل: لا، بالعكس، يجب أن تغار في هذا المجال، لقوله تعالى:

﴿خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(المطففين)

ولقوله تعالى:

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

(الصافات)

فالتنافس في أمر الآخرة محمود.

الآن موضوع آخر، لو أن إنسانا سبقك في أمور الدين يجب أن تغار منه، يجب أن تغبطه، أو يجبان تحسده كما قال النبي صلى الله عليه و سلم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ))

(متفق عليه)

والحسد هناك كما قال شراح الحديث بمعنى الغبطة، أي تتمنى أن تكون في مستواه من دون أن تزول النعمة عن أخيك، أما الحسد فأن تتمنى زوالها عن أخيك للتحول إليك، هذه صفة ذميمة، فالنبي قال:

(( لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ))

عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مِثْلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمِثْلِ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ ))

(ابن ماجه، وأحمد)

أحياناً تجد غنيا مؤمناً ينفق على اليتامى والأرامل وعلى الشباب، وفي موضوع الزواج، وموضوع المعالجات الجراحية، كلما قصده إنسان لباه، يعمل ليلاً نهاراً في خدمة الخلق، أنت أحياناً تقول: ليأتي غني مثله، تتمنى أن تكون مثله، تقول: آه لو أنني أملك كما يملك لأنفقته كما ينفق، قال لمن تمنى ذلك:

((فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ))

لأن نية المؤمن خير من عمله، ونية الكافر شر من عمله، أحياناً الكافر يقول: لو معي مال لبنيت مسجداً، وبنيت (شالي).

إذا رأيت أحدا فافك في الدنيا فلا ينبغي أن تتمنى أن تكون مثله، لقوله تعالى في قصة قارون حين خرج على قومه في زينته:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

﴿(79)﴾

(القصص)

بالمناسبة، أنا أقول لكم الآن: قل لي ماذا تتمنى أقل لك من أنت، بالضبط ماذا تتمنى؟ أحيانا المؤمن يتمنى أن يكون إيمانه عاليا، صلاته متقنة، وإقباله جيّدا، ذكره يقظاً، يفهم القرآن كله، أن يكون عالما، أن يكون داعية، أن يسخره الله في خدمة الخلق، قل لي ماذا تتمنى أقل لك من أنت، وهناك إنسان إذا أراد أن يحلم فإنه يحلم ببيت مساحته كذا، وجهته كذا، مركبة نوع كذا، وموديل كذا، فعلى هوى الخيال، خيالك أين يسير؟ اعلم أنك معه، قل لي ماذا تتمنى أقل لك من أنت.

أما قوله تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

(النساء: من الآية 32)

فسّر هذا بالحسد،

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

حتى إن الإمام الغزالي رحمه الله يقول: ليس في الإمكان أبدع مما كان، أي ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، هذا الذي أنت فيه هو أكمل ما يكون بالنسبة إليك، هذا الذي يرضيك.

إذاً يجب أن تحزن أيها المؤمن لفوات الفضائل الدينية، ولا يجب أن تحزن لفوات الدنيا، فسيدنا الصديق t لم يندم على شيء فاتته من الدنيا قط.

الآن عندنا خاتمة لهذا الموضوع، بعض المواقف المشرفة لبعض العلماء .

قال محمد بن واسع لابنه: " أما أبوك يا بني فلا كثر الله في المسلمين مثله " ، لماذا يدعو على نفسه، كان لا يرضى عن نفسه، فكيف يحب للمسلمين أن يكونوا مثله، يتمنى أن يكون الناس أرقى منه، هذا المؤمن .

إلا أن هناك حالة خاصة، إذا خصّ الله إنسانا بشيء تفوق به، وذكره للناس ليقصدوا به، أو ليتحمسوا، أو ليغاروا، فهذه على حسب النية، فالنبي صلى الله عليه و سلم حينما كان يقول:

((أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فُخْرَ ))

(الترمذي)

أنا لا أفخر، لكنني أعلمكم الحقيقة.

سيدنا ابن مسعود قال: " ما أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني " ، طبعاً لنيته أن يتعلم الناس منه.

ابن عباس يقول:

((إني لأمر على الآية في كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم))

الإمام الشافعي يقول:

((وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم يُنسب إليّ))

فهو منكر لذاته

(( ووددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولم يُنسب إليّ ))

يعني من دون أن ينسب إلي .

هذا الحديث مرة ثانية يعد من أصول طريق الإيمان، يعد من قواعد الإيمان، الحديث رواه أنس بن مالك خادم لارسول الله صلى الله عليه و سلم، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

## ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

(متفق عليه)

هذا الحديث العظيم لا تختصره إذا كان عندك تفاحة كبيرة قلت لأخيك: خذ هذه، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم، الأمر أعمق من ذلك، أمر التفاحة سهل عليك، وأن أحببتها، ولكن خذها أنت، الحديث أعمق من ذلك، في مصلحتك وحرقتك، أنت نجار، أنت كهربائي، أنت صانع صاحب مهنة، الشيء الذي ترضاه لنفسك، اصنعه للناس، الشيء الذي تشتهي أن تأكله به لهم، الشيء الذي تلبسه به إياهم، إلا إذا كان هناك بضاعة مستواها متدنٍ، و سعرها رخيص جدا، وأبلغت ذلك، أما في الأصل فينبغي أن تحب للناس ما تحب لنفسك.

الآن كمقدمة قيل أن نتحدث عن علم من الأعلام الحقيقة أن أحب في هذا الدرس درس الأحد أن أعطيكم نماذج من صفوة البشر، اليوم مع أحد أولياء الله الصالحين، هو من أهل القرب، قد نجد أهل العلم، و قد نجد أهل الجهاد، و قد نجد أهل السخاء والبر، والآن مع علم من أعلام القرب.

بشر الحافي كلكم تسمعون به، كان رجلا مسرفا على نفسه، غارقا في المعاصي والشرب والقيان والغناء، وما إلى ذلك، يروى أنه طُرق بابيه، الذي طرق الباب طبعاً فتح له خادمه، قال له: قل لسيدك: إن كان حراً فليفعل ما يشاء، وإن كان عبداً فما هكذا تصنع العبيد، هذا كان في حال سكر وغيوبة وشراب ومعصية، بلغت هذه الكلمة من نفسه مبلغاً بليغاً، فصحا من سكرت، ولحق بهذا الطارق حافيا، حتى سمي بشر الحافي.

والآن مع بعض من قصصه وأقواله، هذا الإنسان يكنى أبا نصر، قال لي بشر ابن الحارث الحافي: أحدثك عن بدو أمري، قال: بينما أنا أمشي رأيت قرطاسا على وجه الأرض فيه اسم الله، ورقة عليها اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر فغسلته، وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهما فيه خمسة دوانق، فاشتريت بأربعة دوانق مسكا، وبدانق ماء ورد، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى في القرطاس، وأطيبه، ثم رجعت إلى منزلي فنمت، فأتاني آت في منامي فقال: يا بشر، كما طيبت اسمي لأطيبين اسمك، وكما طهرته لأطهرن قلبك، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

(الحج)

أحيانا تباع ليس في بلادنا، في بعض بلاد الغرب تباع أحذية في أسفلها كلمة (الله)، أو في أسفلها صورة الكعبة، فالإنسان يجب أن ينتبه، لأنه:

### ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

له كلمة رائعة جدا، ونحن في أمس الحاجة إليها، يقول هذا العارف بالله: " أنا عشت إلى زمن إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلم ديني "، أي في زمن الفتن والاختلاط إذا كان لطيفا كثيرا، هذه صافحتها، وهذه ابتسمت في وجهها، وهذه استحيت منها، وهذا أخذك إلى غداء فيه غنلاء وطرب و نساء، تقول: أنا من طبعي أن أستحي، إذا كنت تستحي فقد ذهب دينك إذا، فنحن في زمن لا ينفع معه إلا بعض الجفاء، وشيء من الجمود، تقول: والله استحيت فصافحتها، استحيت فذهبت معهم، هذه السهرة غير لائقة، كلمة استحيت ذهب بها دينك، فقال: " نحن زمن إن لم نعمل فيه بالجفاء لم يسلم ديننا "، كلمة (لا) لصديق يحرك رائعة جدا، لزوجة طائشة أروع، لشريك يريد أن يأكل مالا حراما أشد روعة، كلمة (لا).

في بعض مناجاته كان بشر الحافي يقول:

### ((لقد شهمني ربي في الدنيا، فليته لا يفضحني يوم القيامة))

القضية ليست سهلة، أن تكون مشهورا، أن يشار إليك بالبنان، أن يعرفك الناس جميعا، قال:

### (( لقد شهمني ربي في الدنيا، فليته لا يفضحني يوم القيامة، وما أقبح مثلي يُظنّ بي ظن، وأنا على خلافه))

هنا نقطة مهمة جدا، إذا كنت مظنة صلاح، والناس يظنونك شيئا ممتازا، يظنون فيك الأمانة والورع، والصدق والاستقامة، والتقوى والصلاح، والإقبال والأحوال، والانضباط في بيتك وعملك وسفرك وحضرك، من الفضيحة الكبرى أن تكون في مستوى أقل من ظن الناس بك، فكان يقول:

((وما أقبح مثلي يُظنّ بي ظن، وأنا على خلافه))

قال:

((ينبغي أن أكون أكثر مما يظن بي))

لهذا كنت أقول لكم "أربعة أدعية أتفاعل معها تفاعلا عجيبا، بعض هذه الأدعية: اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولا فيه رضاك ألتمس به أحدا سواك، أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني، أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك.

كان يقول هذا العارف بالله:

((غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم))

كثرة الظهور تقصم الظهور، فإذا كنت خافيا عن الناس، ولم يعرف الناس مكانك فهذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها.

له دعاء رائع، يقول فيه:

((اللهم استر، واجعل تحت الستر ما تحب، فربما ستترت على ما تكره))

فان الله ستره، ولكن ستره على المعاصي، البطولة أن يسترك الله على الطاعات

((اللهم استر، واجعل تحت الستر ما تحب، فربما ستترت يا رب على ما تكره))

وكان يقول:

((يا أخي بادر بادر، فإن ساعات الليل والنهار تذهب الأعمار))

أبلغ كلمة قالها سيدنا عمر بن عبد العزيز:

((الليل والنهار يعملان فيك))

انظر إلى صورتك قبل خمس وعشرين سنة، ثلاثين سنة، تجد اختلافا كبيرا جدا، من فعل هذا فيك ؟ تعاقب الليل والنهار،

((الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما))

الصالحات، حتى يكون الوقت مستثمرا، وليس منقفا.

ماتت أخت بشر، فأشار إشارة لطيفة، لكنها ليست قاعدة، قال:

(( إن العبد إذا قصر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه ))

أحيانا ربنا عزوجل من تكريمه للعبد أن يجعل عمر زوجته مقارنا لعمره، أحيانا تموت قبيله، تختلف حياته، إن تزوج كان أهله ضده، وأولاده ضده، وإن لم يتزوج لم يجد من يخدمه، ولا من يؤنس وحشته، ولا من يسكن إليه، فمن إكرام الله للعبد أن يجعل عمره متقاربا مع عمر زوجته.

يقال: إن بشر بن الحارث لقيه رجل فجعل يقبله ويقول: يا سيدي يا أبا نصر، فلما ولى تغرغرت عينا بشر بالدموع، وقال: " رجل أحب رجلا على خير توهمه، لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يُدرى ما حاله "، هذا إنسان ظن فيه الصلاه فأحبّه، نفذ، " لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يُدرى ما حاله "، لقيه رجل فجعل يقبله ويقول: يا سيدي يا أبا نصر، فلما ولى تغرغرت عينا بشر بالدموع، وقال:

((رجل أحب رجلا على خير توهمه، لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يُدرى ما حاله))

مرة وقف بشر على بائع فاكهة، فنظر إلى هذه الفاكهة مليا، فقيل له: أتشتي منها شيئا ؟ قال: لا، والله، ولكنني نظرت في هذا الذي يُطعم هذه الفاكهة كيف يعصي الله ؟ الشفافية، يأكل البرتقال والتفاح وما شاكل ذلك، يشتري، معه مال، يضع الفاكهة على الطاولة، ويأكل، ويدعو الناس إلى الطعام، كيف يعصي الله ؟ كيف تتقوى على معصيته برزقه ؟

مرة قال له رجل: مالي أراك يا بشر مغموما؟ لماذا أنت مغموم منقبض؟ قال: " ما لي لا أكون مغموما، وأنا رجل مطلوب؟"، إذا كان الواحد مطلوبا لا ينام الليل، الله عزوجل يطلب الإنسان، يوقفه، ويجري معه تحقيقا دقيقا، يحاسب على كل حركة وسكنة وكل نظرة، وعلى كل درهم أنفقه وكسبه، قال له: مالي أراك يا بشر مغموما؟ قال: وكيف لا أكون مغموما، وأنا رجل مطلوب؟ لعدالة الله عزوجل.

ألا تعرفون هذا الذي طاف حول الكعبة وقال: يا رب اغفر لي ذنبي، ولا أظنك تفعل، كان وراءه رجل فقال: سبحان الله! ما أشد بأسك من رحمة الله! قال له: ذنبي عظيم، قال: فما ذنبك؟ دخل بيتا، وقتل رجلا، وطلب من زوجته أن تعطيه كل ما تملك، أعطته دنانير ذهبية، فقتل ابنها الأول، فلما رأته جادة في قتل الثاني أعطته درعا مذهباً، تسلمها، وتأملها، وأعجب بها، فإذا عليها بيتان من الشعر:

إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وقع مغشيا عليه من وقته، وتوجه إلى الكعبة، وهو يقول: رب اغفر لي، ولا أظنك تفعل، قال: " وكيف لا أكون مغموما، وأنا رجل مطلوب؟".

قال بعضهم: كنت عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة، الإنسان كلما كان جبانا في الفتوى فهذه فضيلة، الفتوى خطيرة جدا، جسر إلى جهنم، قال: جاءه رجل فسأله عن مسألة، أطرق مليا، ثم رفع رأسه، فقال:

((اللهم إنك تعلم أي أخاف أن أتكلم، اللهم إنك تعلم أي أخاف أن أسكت، اللهم إنك تعلم أي أخاف أن

تأخذني فيما بين السكوت والكلام))

إن تكلم بجهل قد وقع في غضب الله، وإن كان يعلموسكت - أكثر راحة له - أيضا وقع في غضب الله، وإذا أحب أن يحرر الآخرين، لا تكلم ولا سكت، فالقضية دقيقة جدا، قال:

(( اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن أتكلم، اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن أسكت، اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام ))

مرة دخل إلى بيته، وتأمل ملياً، وقال

((تفكرت في بشر النصراني، وبشر اليهودي، وبشر المجوسي، فقلت: من سبق منك حتى خصك الله بهذا الهدى ؟ تفكرت في فضل الله علي، وحمدته على أن جعلني من خاصته، وألبسني لباس أحبائه ))

أعداء الله بشر، يزنون، ويشربون الخمر، ويعتدون، و ينغمسون في الملاهي، و يتحدثون، نعمة الهدى أعظم نعمة، مادام الله عزوجل قد ألبسك ثوب أحبائه، وخصك بالهدى، لذلك اقرأ الآين، ولو ألف مرة، فلا مانع، قال تعالى:

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)﴾

(النساء)

قال له أحدهم: يا بشر، أحب أن أخلو معك، قال: إذا شئت، فبكرت يوماً فرأيتته قد دخل قبة فصلى فيها، ولم يره بشر، صلى فيها أربع ركعات، لا أحسن أن أصلي مثلها، فسمعته يقول في سجوده:

(( اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف، يعني المكانة العلية، وإنك تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى، وإنك تعلم أنني لا أؤثر على حبك شيئاً ))

فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء، فلما سمعني قال: " اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن هذا هنا ما تكلمت شيئاً، هناك ناس يحبون أن يُروا وهم يبكون، و يناجون ربهم عزوجل، يقولون: أحوال اليوم تجنن، قرأت القرآن فبكييت حتى شبعت، يحب أن الناس يتعرفون إلى مكانته عند الله عزوجل، وعلامة القرب إخفاء الأحوال مع الله عزوجل، قال:

((اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن هذا هنا ما تكلمت))

أحمد بن حنبل كان معاصرا له، سئل مسألة في الورع، فقال: أنا أجيب عن هذه المسألة، أستغفر الله، هذا أحمد بن حنبل، لا يحل أن أتكلم في مسألة في الورع وأنا أكل من غلة بغداد، يبدو أن فيها شبهة، وبشر يصلح أن يجيبك عنها، فإنه كان لا يأكل من غلة بغداد، ولا من طعام السواد، هو الذي يصلح أن يتكلم في الورع، هذا كلام أحمد بن حنبل.

له كلمة، بشر رضي الله عنه:

((ليس من المودة أن تحب ما يبغض حبيبك))

شخص يبغضه الله لمعصية، لانحراف، لتهاون في صلاة، فإذا أحببته فليس هذا من المودة مع الله عزوجل، ليس من المودة مع الله أن تحب ما يبغضك حبيبك.

يقول بشر:

((بحسبك أن أقوما موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قوما أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم))

بالمناسبة عود نفسك أن تذكر الصالحين، وفي رأسهم النبي وأصحابه الكرام، والتابعون والعلماء الأجلاء، الصادقون، في ذكر الصالحين تنزل الرحمة، تسرّ، و يتغير حالك، تتمنى أن تكون مثلهم، تنطلق إلى السعي في طريقهم، تتشوق لن تكون في مستواهم، تتأسى بهم، تندفع إلى طاعة الله، أما إذا ذكرت اللؤماء، أهل البغي والعدوان، أهل الفسق و الفجور، ينعقد المجلس، أو يقوم من في المجلس عن أنتن من جيفة حمار، فعود نفسك أن الصالحين إذا ذكروا تنزلت على الناس الرحمة.

قال بشر:

(( أكون الرجل مرثيا في حياته مرثيا بعد موته ؟، قالوا: كيف هذا يا بشر ؟ قال: يحب أن يكثر الناس على

جنازته))

يا ترى إذا متُّ ماذا يحدث بعد موتي؟ يمشي في جنازتي نصف مليون، كم عددهم؟ هذا يحب الرياء بعد موته.  
وقال بشر:

(( ما أفبح أن يُطلب العالم فيقال: هو بباب الأمير ))

توفي بشر رحمه الله تعالى، هكذا تروي الروايات، خرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يُجعل في قبره إلا في الليل، كان نهار صائف - أي في أيام الصيف - لم يستقر في القبر إلا في العتمة.

ولما مات ابن حنبل قال ابن خزيمة: بت في ليلتي فرأيتَه في النوم قلت: يا إمام ما فعل الله بك؟ قال

(( غفر لي، وتوجني، وألبسني نعلين من ذهب ))

وقال: يا أحمد لقولك: القرآن كلامي " - هو دخل السجن ثماني سنوات لأنه أصر أن القرآن كلام الله - فقال: يا إمام فما فعل بشر؟ وكان الاثنان ميتين، قال: بخ بخ، مَنْ مثل بشر؟ تركته بين يدي الجليل، و بين يديه مائدة من الطعام والشراب، و يقال له: كل يا بشر، يا من لم تأكل، واشرب يا من لم تشرب، وانعم يا من لم تنعم "، رحمه الله، ورضي عنه.

الدنيا ليس فيها شيء، كل شيء زائلة، الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، فهذا الإنسان أخلص له، هذا لأهل القرب، أحيانا شخص أبرز ما فيه أنه عالم جليل، وهناك إنسان قدم خدمات كبرى للمجتمع، هذا الإنسان نموذج لأهل القرب، لذلك إذا اقترب الإنسان من الله عزوجل ذاق حلاوة لا يعرفها إلا من فقدوها.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (045 - 127) : أحاديث تبدأ بـ طوبى .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-12-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: من الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة طوبى، ومن الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة ويل، ومن الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة عليك، ومن الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة إياك، فإياك تفيد التحذير، و عليك تفيد الإغراء، وطوبى تفيد معنى هنيئاً لمن كان كذا، والويل تعني الهلاك لمن يفعل كذا، أربع زمر: (عليك، وإياك، وويل، وطوبى)، وإذا لم يستجب الرجل لكلام النبي صلى الله عليه و سلم وأمره، و لتحذيره وإغرائه، و لمباركته و إبعاده فمن هو الذي يمكن أن يستجيب له ؟.

حديث اليوم:

((طوبى لمن . يعني هنيئاً . تواضع في غير منقصة))

[ البيهقي في شعب الإيمان ]

هناك خط دقيق بين التواضع والذل، وهناك مواقف إذا فعلتها تذل نفسك، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ))

[ الترمذي وابن ماجه عن حذيفة ]

وقال صلي الله عليه و سلم:

### ((ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير))

[المقدسي في الأحاديث المختارة، والسيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن بسر]

فعل (تواضع) على وزن تفاعل، ووزن تفاعل من معانيه تصنع الشيء، تقول: تمارض، تعاضم، تمارض ليس مريضاً، ولكنه تصنع المرض، تعاضم ليس عظيماً، ولكنه تصنع العظمة، تعالم ليس عالماً، ولكنه تزيّ بزيّ أهل العلم، فوزن تفاعل يفيد التصنع، فكل الأفعال التي على وزن تفاعل تقريباً مذمومة إلا تواضع، هو ليس وضيعاً، ليس ذليلاً، ليس منحرفاً، ليس مذنباً، هو في أعلى درجات النزاهة، في أعلى درجات الطهر، في أعلى درجات العفة، ومع ذلك تواضع، أي تصنع أن يكون مع عامة الناس، التواضع إذاً أن تكون قريباً ممن هو دونك، لذلك من صفات النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما صاحبه أحد إلا ظن أنه أقرب الناس إليه.

دخل سيدنا عمر على سيدنا رسول الله فرآه مضجعاً على حصير، وقد أثر في خده الشريف، فبكى، قال: يا عمر ما يبكيك؟ قال: رسول الله ينام على الحصير، وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير؟! قال: يا عمر إنما هي نبوة، وليست ملكاً، هكذا النبوة،

### (( طوبى لمن تواضع في غير منقصة ))

[ البيهقي في شعب الإيمان ]

كان تواضعه في المكان الصحيح، تواضع وهو عزيز، تواضع وهو عفيف، تواضع وهو نظيف، تواضع وهو مستقيم، إلا أن كل إنسان حينما يقع يتّضع قهراً عنه، انظر إلى صورة المجرم، وقد ألقى القبض عليه، في أدنى درجات الذلة والمسكنة، أسقط في يده، خافض الرأس، خافض الطرف، هذا ليس تواضعاً، المجرم يتّضع، والمنحرف يتّضع، والخائن يتّضع، والسارق يتّضع، والزاني يتّضع، إذا زلت قدم الإنسان يتّضع، ولكن التواضع الذي أمر النبي عليه الصلاة والسلام به، أو أتتى على صاحبه هو أن تكون في أعلى درجات القوة، ومع ذلك فأنت قريب ممن حولك،

### ((طوبى لمن تواضع في غير منقصة))

إذاً حينما لا يحسن الإنسان التصرف، أو حينما يضع نفسه في الموضع الذي لا يليق به فقد ذل، لا نقول: هذا تواضع، هذا ذل، ولا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه.

الآن:

### ((طوبى لمن ذل في نفسه من غير مسكنة))

[ البيهقي في شعب الإيمان ]

حالة المؤمن مع الله حالة تذلل، ولكن المؤمن عزيز إلى أعلى درجة، وذليل مع الله إلى أدنى درجة، لأنه عرف ضعفه، وعرف جهله، وعرف نقصه، وعرف أنه طارئ، وأنه حادث، وأنه ميت، ورأى عظمة الله عز وجل فصغرت نفسه أمام ربه، لذلك هو في عين نفسه صغير، لكنه في عين الناس كبير، بعكس الفاجر والفاسق، هو في عين نفسه كبير، وفي عين الناس صغير.

### ((طوبى لمن ذل في نفسه من غير مسكنة))

الإنسان أحياناً يصاب بمرض عضال يفنقر فقراً شديداً، يشعر بضعفه، لا حيلة له، ليس شيء في يده فيتمسكن، هذا الذل الناتج عن المسكنة ليس فضيلة، ولكن التذلل في نفس المؤمن، فهو أمام ربه ذليل، فكلما تذلل أمام ربه رفعه الله أمام الناس، وكلما استتكف عن طاعة ربه أدله الله بين الناس، العلاقة عكسية، كلما تذلت أمام الله عز وجل، كلما مرغت وجهك في أعتاب الله عز وجل رفع الله لك ذكرك، ورفع شأنك، وأسبغ عليك هيبة ووقاراً، وإذا استتكفت عن طاعة الله، واستكبرت عن عبادته، ورفضت الحق أدلك الله بين خلقه، فلذلك إما أن تتواضع، وإما أن يضعك الله، إما أن تتذلل في نفسك لله عز وجل، وإما أن يذلك الله أمام خلقه، إما تكون عبداً لله، وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم، كن عبداً لله، فعبد الله حر، ولا تكن عبداً لعبد لئيم، فهو الهوان والذل. كأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: هنيئاً لمن تواضع في مكان التواضع، وعرف قدر نفسه، تواضع ولم يذل نفسه، تواضع في موطن التواضع، وأعز نفسه في موطن العز، كلكم يعلم أن أحد أصحاب رسول الله ركب فرسه في بعض المعارك متبختراً به، فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا الموطن، وقد قيل: التكبر على المتكبر صدقة.

## ((طوبى لمن ذل في نفسه من غير مسكنة))

فكلمة فعلت وتركت، وبإمكاني أن أفعل، وأنا أعطيتك، ولي فضل عليك، وأنت لولاي ما كنت شيئاً، هذه كلمات فيها اعتزاز بالنفس، فيها كبر، فيها شرك، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام لما جمع أصحابه الذين وجدوا عليه في أنفسهم قال: أما إنكم لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم، أتيتنا مكذباً فصدقناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فواسيناك، ألم تكونوا ضلالاً - لم يقل فهديتكم قال - فهداكم الله بي.

الحقيقة ليس موضوع التواضع موضوع واقع، إذا أجرى الله الخير على يديك فلا ينبغي أن تتسبه إليك، الله وفقني، وفعلت كذا، الله يسر لي هذا الأمر، أكرمني بهذا البيت، أنعم علي بهذه الصنعة، تفضل علي بهذا العلم، دائماً كلمة أنعم علي، وتفضل علي، وأكرمني، وأجرى على يدي الخير، وجعلني سبباً، وسمح لي أن أتحدث عنه، وسمح لي أن أزور بيته، هذه كلمات المؤمن، لا يرى أنه فعل شيئاً يقتضي أن يتيه به على خلق الله، دائماً يقول: أكرمني الله، أجرى على يدي الخير، وهكذا...

((طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير

معصية))

[ البيهقي في شعب الإيمان ]

الحقيقة لماذا الذي ينفق ماله يشعر بالقرب من الله عز وجل ؟ لأن الإيمان دعوى بالأصل، هو يدعي أنه مؤمن، ولكن حينما أنفق ماله أكد لنفسه قبل غيره أن الله ورضوان الله أعلى عليه من ماله، والمال شقيق الروح.

هناك باخرة غرقت في البحر الأحمر قبل أسبوع، طبعاً باخرة ضخمة تحمل ستمئة راكب، وغرق منها ما يقرب من خمسمئة راكب، ونجا مئة وثمانون، وقصص غريبة جداً ذكرت حول غرق هذه الباخرة، لكن الشيء الذي يلفت النظر أن أحد الذين نجوا بماله قد عارك الأمواج ستاً وثلاثين ساعة، ومعه محفظة فيها كل الأموال التي جاء بها من الحجاز، فقلت: والله هذه القصة تؤكد أن المال شقيق الروح، هو يعارك الأمواج، وبين الموت والحياة، ومحتفظ بمحفظة فيها كل ما جاء به من بلاد الحجاز؟! قالوا في الصحيفة: تحويشة العمر حافظ عليها كما حافظ على حياته، إذاً المال شقيق الروح، فإذا أنفقت المال فهذا مما يؤكد أن الله أعلى عليك، ورضوانه أعلى عليك من مالك الذي جعله الله شقيق الروح، وإذا صمت رمضان معنى ذلك أن رضوان الله وطاعته أعلى عليك من الطعام والشراب، وإذا ذهبت إلى بيت الله الحرام معنى ذلك أن الله عز وجل والقربى منه وزيارة بيته وأداء

فريضته أعلى عليك من أهلك ومالك ومحلك التجاري ومكانتك وكل ألوان النعيم التي في بلدك، إذأ الإنسان لا يرقى إلا بالبذل، إلا بالطاعات، لا يرقى بالاعتقادات، الاعتقاد لابد منه، لكنه شرط لازم غير كاف، بالاعتقاد لا ترقى، لكن ترقى بالبذل.

((طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية))

لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، فهذا المال الذي جمعته بكذك وعرقك، والذي تحريت به الحلال، لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام:

((من بات كالأ في طلب الحلال بات مغفوراً له ))

[السيوطي في الجامع الصغير عن أنس]

لحكمة بليغة أرادها الله عز وجل جعل كسب المال الحلال صعباً، وجعل كسب المال الحرام سهلاً، فإذا شعرت بضيق وحر ج وشدة وهموم من أجل كسب المال الحلال، والحرام مبذول أمامك فهذه طاعة لله عز وجل، هناك مفارقات دقيقة، مثلاً من طبيعتك أنك تحب العاجلة وتكره الآجل، قال تعالى:

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

[سورة الإسراء: 11]

أنت متعلق دائماً بالشيء السريع، والآخرة بعيدة، بعد الموت، والدنيا بين يديك خضرة نضرة، فإذا تركت الدنيا، وطلبت الآخرة فقد ارتقيت إلى الله عز وجل، أنت ضعيف، وقد تسبب لك طاعة الله ضعفاً ومؤاخذة ومسؤولية وحر جاً وضيقاً، ومع ذلك آثرت طاعة الله على كل ما حولك من ضغوط، إذأ ترقى بهذه الطاعة.

((طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة))

دائماً وأبداً انظر في الدنيا لمن هو أدنى منك، وانظر في الآخرة لمن هو أرقى منك تسعد في دنياك وأخراك، إذا نظرت في دنياك لمن هو أدنى منك رأيت نعم الله عليك لا تحصى، أما إذا دخلت على الأغنياء البعيدين عن الله عز وجل خرجت من عندهم وأنت على الله ساخط، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((إِذَا أَرَدْتَ الْحُقُوقَ بِي فَلْيَكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا كَرَادِ الرَّابِ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِقِي نَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيه))**

[الترمذي]

الدخول على الأغنياء أمر خطير، والإنسان في ساعات غفلته وساعات ضعفه وساعات فتور همته يجد أنه لا يملك شيئاً، فيستصغر بيته وأثاث بيته، وما عنده، إلا إذا كان مؤمناً، فهذا المؤمن له حالة خاصة، لذلك:

**((إِذَا أَرَدْتَ الْحُقُوقَ بِي فَلْيَكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا كَرَادِ الرَّابِ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِقِي نَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيه))**

وخالط أهل الفقه والحكمة، لأن الإنسان إذا خالط أهل الفقه والحكمة يستعير كل خبراتهم، ويأخذ بعضاً من أحوالهم، ويأخذ من علمهم، ويأخذ من حكمتهم، ويأخذ من مواقفهم، يتعلم من أخلاقهم، ومن أفعالهم، ومن أفكارهم، لذلك حينما يخالط الإنسان أهل الفقه والحكمة يرقى عند الله عز وجل، والصاحب صاحب، قل لي من تجالس أقل لك من أنت، من جالس جانس، ومن جانس جالس، من جالس جالس، فإذا لم يكن كان بينك وبين هذا الإنسان لغة مشتركة هو يحب الحق، وأنت تحب الحق، هو يحب الفضيلة وأنت تحب الفضيلة، هو يؤثر الورع، وأنت كذلك، هو يحب جهاد النفس والهوى، وأنت كذلك، مادام بينك وبين هذا الذي تتعلم منه قواسم مشتركة أو لغة مشتركة فقد أصبت المجانسة، ومن جانس جالس، لا تستطيع أن تجالس إلا إذا جانست، ومن جالس جانس، من جالس اشتق من علم هؤلاء، ومن أخلاقهم، ومن فضلهم فلذلك:

**((طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة))**

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا، وَيَعْرِفَ حَقَّ كَبِيرِنَا ))

[ الترمذي، أحمد ]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيْضَ اللَّهِ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ ))

[ الترمذي ]

من صفات المؤمن العطف على الضعفاء، وتوقير للكبار، فمن كان أكبر منك سناً كان أكثر منك علماً، وأقدم منك في طريق الإيمان، فيجب أن توقره، الحياة كلها أدب، حينما دخل سيدنا الصديق على النبي عليه الصلاة والسلام كان إلى جانبه سيدنا علي كرم الله وجهه، فقام علي كرم الله وجهه ليجلس محله سيدنا الصديق، النبي عليه الصلاة والسلام تأثر لهذا الموقف الأخلاقي، قال عليه الصلاة والسلام: لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، أحياناً يدخل المسجد رجل وقور كبير في السن، يتمنى أن يجلس في مكان، ويستريح فيه، يرى في المجلس صغيراً حديث السن أخذ أحسن مكان، طبعاً نتمنى على الصغير أن يوقر الكبير، نتمنى عليه.

((... وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة))

((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سيرته، وحسنت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس

شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله))

[ الطبراني في الكبير، ومسند الشهاب، والترغيب والترهيب ]

((طوبى لمن ذلت نفسه))

لله طبعاً، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[ سورة المنافقون: 8 ]

((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه))

كسبه حلال، اللهم ارزقني طيباً، واستعملي صالحاً، رزقه طيب، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، رزقك طيب، وعملك صالح،

((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه))

إتقان العمل يجعل كسبك حلالاً، أن تأخذ السعر المناسب يجعل كسبك حلالاً، ألا تغش الناس في البيع والشراء يجعل كسبك حلالاً، ألا تنتقص من أموالهم.

لاحظ أنا أضرب مثلاً دائماً، أوضح فكرة أعجبتك، غرفة نوم، تقول للنجار: أنا أريد سريرًا واحدًا، لا سريرين، لكن أحذف لك ألفي ليرة، فقط، اذهب إليه بعد سنة عنده غرفة بسرير واحد، تقول: أريد سريرين، فيجيبك: بثمانية آلاف، لماذا إذا أردت أن تحذف السرير حذف ألفي ليرة، وإضافة سرير واحد بثمانية آلاف ليرة ! ما أنصفته، قال تعالى:

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

[ سورة هود: 85 ]

أحياناً يريد إنسان أن يبيع شيئاً، شعرت أنه مضطر، تريد أن تأخذها بأقل سعر، بلا ثمن لاضطراره، هذا حرام، فلذلك يطيب كسبك إذا صدقت مع الناس، يطيب كسبك إذا أنصفته، يطيب كسبك إن لم تبتز أموالهم، يطيب كسبك إن لم تنتقص ما عندهم، يطيب كسبك إن لم تغشهم، يطيب كسبك إن أعطيتهم شيئاً فوق ما يستحق.

**((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سيرته، وحسنت سريرته))**

ليس في داخله أحقاد، الإنسان قد يكون بظاهرة مقبولاً، العكس رائع، قال تعالى:

**﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾**

[سورة المنافقون: 4]

أما المؤمن فمن داخله نظيف، ليس عنده حقد، ولا عنده أسلوب الاحتيال، والمكر، والخداع، والخيانة، والمؤامرة، والتدبير، ليس عنده موقف معلن وموقف مبطن، سر وعلانية، يعتقد ما لا يقول، ويقول ما لا يعتقد، هذه أخلاق المنافقين، المؤمن بر كريم، والفاجر خب لئيم.

**((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سيرته، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته))**

أنا لا أقبل أن مؤمناً مظهره فيه إهمال، غير مقبول، أنت مؤمن تمثل دين الله عز وجل، حتى المظهر الخارجي يجب أن يكون مقبولاً من دون فخامة، لكن من دون ضعف، الإنسان إذا كانت ثيابه نظيفة، ومحله التجاري مرتباً، وبيته مرتباً فأنت تمثل هذا الدين، فلا داعي أن يكون الإنسان الزاهد مظهره غير مقبول، مظهره منفر، بيته منفر، محله التجاري منفر، علاقاته فوضى، غبار في دكانه، حساباته غير مضبوطة، ليس هذا هو الإيمان.

**((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سيرته، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس**

**شره))**

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

**((طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله))**

فضل القول امسكه، وفضل المال أنفقه، وعمل بعلمه.

هذا الحديث من الأحاديث الجامعة المانعة، كان أكثر مكارم الأخلاق مجموعة في هذا الحديث.

أعيد عليكم نص الحديث: عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و نزل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل النذل والمسكنة، طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سيرته، وحسنت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله))

نحن من حين لآخر نتحدث عن أصحاب رسول الله، المقطع الثاني من درس الأحد دائماً في السيرة، سيرة منوعة، إما فقرات وضيئة من حياة رسول الله، أو قصص عن أصحابه الكرام، أو عن التابعين، أو عن العلماء المشاهير العاملين، كأبي حنيفة النعمان، ومن كان على شاكلته.

درسنا اليوم مالك بن دينار: مالك بن دينار كان من كبار العلماء، ومن كبار الزهاد، ومن كبار المحبين لله عز وجل، له قصص كنت أرويها لكم سابقاً.

حينما مر بطريق رأى إنساناً مخموراً، وزبد الخمر على شفثيه، ويقول: الله، الله، وهو سكران، فكبر عليه أن يخرج هذا الاسم العظيم من فم نجس، فغسل فمه، وأكرمه، وكانت توبة هذا السكران على يديه، وقد رأى رجلاً في المسجد يصلي، ويبكي قال له: من أنت؟ قال: إن الذي هداني أخبرك بحالي، وكان قد رأى في المنام أن صوتاً يقول: يا مالك طهرت فمه من أجلنا، فطهرنا قلبه من أجلك.

والإمام مالك بن دينار دخل إلى المسجد، وحدث الناس عن قصته، كان منحرفاً، وكان مقصراً، وكان بعيداً عن الدين، وكانت له بنت يحبها كثيراً، رآها في المنام، ورأى ثعباناً يتبعها، القصة معروفة عندكم، وهو يهرب منه، و الثعبان يتبعه إلى أن رأى ابنته أشارت إلى الثعبان، فابتعد عنه، قال: ما هذا يا بني؟ قالت: هو عمك يا أبت، قال: ومن أنت؟ قالت: أنا عمك الصالح، هاتان القصتان ترويان عن الإمام مالك بن دينار.

على كلِّ هذا الإمام له أقوال، قال الإمام مالك بن دينار: " منذ عرفت الناس لم أفرح لمدهم، ولم أكره مذمتهم، قيل: ولم ذلك؟ قال: لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفرط".

الناس إذا مدحوا بالغوا، وإذا ذموا بالغوا، وإنصافهم قليل، والحقيقة أن الناس لو أنهم جميعاً أثنوا عليك، ولم تكن

عند الله مرضياً فلا قيمة لثنائهم، ولو أنهم جميعاً غضبوا عليك، وكنت عند الله مرضياً فلا قيمة لغضبهم لذلك.

إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب.

يروى أن الإمام مالك بن دينار مرّ بوالي البصرة يرفل، فصاح به مالك: أقل من مشيتك، فهمّ خدمه به، قال أمير البصرة: دعوه، ثم قال: أتعرفني يا هذا؟ فقال له مالك بن دينار، قال: نعم، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، ثم أنت بين هذا وذاك تحمل العذرة، فنكس الوالي رأسه ومشى.

يقول عون بن حكم عن أبيه عن مالك بن دينار قال: قدمت من سفر لي، فلما صرت بالجسر قام العشار الذي يأخذ الضرائب، فقال: لا يخرجن من السفينة أحد حتى يدفع ما عليه، ولا يقوم أحد من مكانه، قال الإمام مالك بن دينار: فأخذت ثوبي فوضعت على عنقي، ثم وثبت، فإذا أنا على الأرض، فقال لي العشار: ما أخرجك؟ قلت ليس معي شيء، قال: اذهب فقلت في نفسي هكذا أمر الآخرة.

وقفه عظيمة، وحساب صعب، ويوم عسير، وهول عظيم، أما المستقيم فلا علاقة له بكل هذا، قال تعالى:

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَخَزُنُهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة الأنبياء: 102-103]

كما أن العشار أوقف السفينة جميعاً، ابقوا في مكانكم، لا أحد يغادر، هو وقف، وحمل ثوبه على عاتقه، وقفز على الأرض، قال: أين أنت؟ قال: ليس معي شيء فتركه، لذلك من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً، من كان صراطه في الدنيا ضيقاً كان صراطه في الآخرة عريضاً، أما كلمة: لا تدقق، وهذه ليس مشكلة، وهذه فيها فتوى، وهذه الله يسامحنا، وهذه الله لا يؤاخذنا، أتغش؟ عندي أولاد، ماذا أفعل، وقت صعب، عندي أولاد، هذه لا تجوز، في غير مذهب، جائزة، لها فتوى، كلما وسعت الصراط في الدنيا يضيق في الآخرة، وكلما ضيقته عليك في الدنيا يتسع في الآخرة، القضية معكوسة، أو بالأصح من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً، ومن حاسبها في الدنيا حساباً يسيراً كان حسابه يوم القيامة عسيراً. كان الإمام مالك بن دينار يطوف في البصرة بالأسواق، فينظر إلى أشياء يشتهيها، فيرجع ويقول لنفسه: "أبشري فو الله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علي".

نقطة مهمة، كلما اشتتهت نفسك شيئاً أعطيتها، معنى ذلك أن هذه النفس ليست كريماً عليك، أما إذا حملتها على

طاعة الله، وحرمتها ما يلهيها عن طاعة الله كرمت عليك، فقال الإمام مالك لنفسه: أبشري فو الله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علي.

وله قول رائع، يقول:

((إن البدن إذا أصابه السقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب، ولا نوم ولا راحة))

المريض لا يهنأ لا بطعام ولا بشراب، ولا بنوم ولا براحة، قال: وكذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم تتجح فيه المواعظ.

وله قول آخر، قال:

((بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ))

هناك همّان، هم الدنيا، وهم الآخرة، فإذا حزنت للآخرة خرج من قلبك هم الدنيا، وإذا حزنت للدنيا خرج من قلبك هم الآخرة.

كان الإمام مالك بن دينار في المقبرة، فإذا رجل يدفن، فجاء حتى وقف على القبر، فجعل ينظر إلى الرجل، وهو يدفن، فجعل يقول:

(( مالك غداً هكذا يصير، مالك غداً هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره))

فلم يزل يقول غداً مالك هكذا يصير.

والله إنها كلمة بليغة، ما منا واحد إلا وسوف يكون غداً كهذا الذي وسد في قبره.

يقال:

((إن مالك بن دينار رأى رجلاً يضحك، فقال: ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا، وأن لي ما حوت البصرة من

أموال والعقد))

إنسان يضحك، وسوف يموت، يضحك، ولا يدري أساخط عنه الله أم راض ؟ يضحك، ولا يعلم مصيره في الآخرة، يضحك، ولم يقف على أحكام كتاب الله عز وجل، يضحك، وليس له عمل يلقي الله به، هذا الضحك يتنافى مع عظم المهمة التي أنت عليها في الدنيا، يقول الإمام مالك بن دينار: " إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه، فأقل عقاب يعاقب الله به ذا علم، ومن له دعوة إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه "، فيصبح ذكر الله كالصلاة والذكر والدعاء، لا معنى له، كلمات يرددنها، وحركات يقوم بها، وأقوال يتفوه بها.

وكان يقول هذا الإمام: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً انتقصه من دنياه، وكف عنه ضيعته، الدنيا تنقص قليلاً، ويجمع الله شمله، هكذا قال عليه الصلاة والسلام:

((من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، وشئت عليه شمله، ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة))

مرّ تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته، العشار أخذ الضرائب، فجاء إلى مالك بن دينار، فذكر ذلك له، قال: فقام مالك بن دينار، ومشى معي إلى العشار، استجار بالإمام مالك بن دينار بمكانته، ووجاهته، فذهب الإمام مالك بن دينار معه إلى العشار، فلما رأوه قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث لنا حاجتك، نحن نأتيك، له مكانة كبيرة، قال: حاجتي أن تخلصوا سفينة هذا الرجل، دعوا هذه السفينة، قالوا: قد فعلنا حباً وكرامة، قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس الدراهم، فقال العشار: ادع الله لنا يا أبا يحيى، قال: قولوا للكوز أن يدعو لكم، كيف أدعو لكم، وألف يدعون عليكم ؟ أتري يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف، هذه إشارة للإنسان، لا يبني حياته على إيذاء الناس، أو على انتقاص حقوقهم، أو على بث الخوف فيهم.

ويقول الإمام مالك بن دينار: " كفى بالمرء خيانةً أن يكون أميناً للخونة، وكفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً، ويقع في الصالحين "، هو سيئ، ويتهجم على الصالحين، هو مقصر، ويتهجم على هؤلاء المتفوقين، هو مذنب، ويتناول على المستقيمين، " كفى بالمرء خيانةً أن يكون أميناً للخونة، يعني شر الناس من باع آخرته بدنيا غيره".

يقول الإمام مالك بن دينار: " خرج أهل الدنيا من الدنيا، ولم يدوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو ؟ قال: معرفة الله عز وجل ".

ويقول الإمام مالك بن دينار:

((إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب))

إذا لم يكن ثمة حزن لم يكن هناك إقبال، هذا البيت يصبح خرباً، ويقول الله عز وجل: حسنت منظر الخلق سنين أفلا حسنت منظري ساعة.

ويقول الإمام مالك بن دينار: " لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها، قلبك أين يصلح، في أي عمل يصلح؟ ما الذي يملأه رضى؟ يقول الإمام مالك بن دينار:

((لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها))

ويقول الإمام مالك بن دينار:

((إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما تزل القطرة عن الصفا))

إذا كان البلاط أملس ثقيلًا لماعًا، هذا السيراميك إذا ألقيت عليه الماء انحدرت سريعاً، حتى لو ألقيت عليه الزيت لا يعلق عليه شيء، يقول الإمام مالك بن دينار: " إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا"، موعظته لا تؤثر في القلوب، لا يسمح الله له أن يؤثر كلامه في القلوب، مادام هو غير صادق، وغير مخلص، كلامه يفقد الحياة، يفقد قوة التأثير، يفقد هذه الروحانية، يقول الإمام مالك بن دينار:

(( إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا))

ويقول:

((إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل، لم يزدك إلا فخراً))

هناك علم يكبرك حتى تصبح من جبابرة العلماء، ومن الطغاة، ومن المتكبرين، وهناك علم كلما ازددت علماً ازددت به تواضعاً،

((إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم))

كما قال الإمام الشافعي: " كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي " ، العلم الذي تطلبه للعمل يزيدك تواضعاً وقرباً من الناس، وحباً لله، ورحمة للخلق، والعلم الذي تطلبه للافتخار يحجبك عن الناس، ويصبح دركات إلى الهلاك.

وكان يرى انحراف قومه فيقول لهم: "أنتم تستبطنون المطر، وأنا أستبطن الحجارة"، كما يقول عليه الصلاة والسلام: لولا شيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباحاً.

أحياناً ترى وضع الناس، انحرافاتهم، تقصيرهم، تقلتهم من أوامر الله عز وجل، لا يستأهلون هذه الأمطار التي هطلت، الحمد لله الأمطار هطلت بكميات كبيرة جداً في أكثر المناطق، أربعة أمثال، أو خمسة أمثال، ما هطل في العام الماضي حتى هذا التاريخ، فيقول لهم: أنتم تستبطنون المطر، وأنا أستبطن الحجارة.

يقول الإمام مالك بن دينار: " إن الله جعل الدنيا دار مفر، وجعل الآخرة دار مقر"، الدنيا نفر منها، والآخرة نستقر فيها، الناس بالعكس يفر في نفسه من الآخرة، ويستقر في الدنيا، ولكن هذا الاستقرار لا يدوم، لا بد من الموت.

سمعت في بعض البلاد أنه لا يمكن أن ترى جنازة أبداً، كأن البلاد ليس فيها موت، من المستشفى إلى المقبرة، من دون أي مظهر من مظاهر الجنازة، فالناس غارقون في ملاحيمهم، في تجارتهم، في دنياهم، نحن الحمد له جنائز كثيرة، وإعلام في المآذن، أحياناً يذكر في الموت.

((إن الله جعل الدنيا دار مفر، وجعل الآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتهم، ولغيرها خلقتهم، وإنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه، واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا كالحية مسها لين، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوي العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم))

طفل عمره سنتان، رأى ثعباناً يقترب منه، فيضع يده عليه، أما العاقل فيفر منه، هذا كلام دقيق وبلوغ.

((إن الله جعل الدنيا دار مفر، وجعل الآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم، ولغيرها خلقتم، وإنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا كالحية مسها لين، وفي جوفها السم النافع، يحذرها ذوي العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم))

قال رجل: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركة، يعني إناء، يستعمله في وضوئه، وفي حاجاته، فكنت عنده، فجننته يوماً، وجلست في مجلسه، فلما قضاه قال لي: يا حارث تعال، وخذ تلك الركة، فقد شغلت علي قلبي، قلت: يا أبا يحيى، إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها، وتشرب، فقال: يا حارث، إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان، وقال لي: يا مالك، إن الركة قد سرقت، فقد شغلت علي قلبي ".  
يعني مثال لطيف، إذا شغلك شيء عن ذكر الله دائماً فهذا قد صار حجاباً بينك وبين الله.  
وكان يقنع بعبادة أو كساء، ويقول: إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأبي الدارين دار مالك، وأي الرجلين أنا ؟ ثم يبكي.  
قال:

((إن العالم إذا أتته في بيته فلم تجده قص عليك بيته رأيت حصيره للصلاة، ومصحفه، ومظهرته في جانب البيت ترى أثر الآخرة))

قال:

(( إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم))

المؤمن إذا سمع أن شخصاً له أعمال طيبة، له صلوات، له أذكار، له خدمات، يفهم كتاب الله، يحفظ كتاب الله، يغلي شوقاً وغيره، يغلي طمعاً وتنافساً، والفجار إذا سمعوا عن أهل الشهوات، وكيف يمضون الليالي والأيام عن رحلاتهم، وعن إنفاقهم، وعن مسراتهم، وعن أعراسهم، وعن مركباتهم، وعن منتجعاتهم أيضاً يغلي الفجار، ويتأوهون، قال تعالى:

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[ سورة القصص: 79 ]

قال:

((إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم فانظروا ما همومكم))

قال: إن الصديقين إذا قرأ عليهم القرآن الكريم طربت قلوبهم إلى الآخرة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، يعني أعظم عقوبة أن يكون لك قلب قاس لا يلين، لا يرحم، لا يتأثر بذكر الله.  
من عقوبات الله عز وجل قال:

((ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وسخط في الرزق))

الإنسان الذي يسخط رزقه، وهو ضعيف في عبادته، وضنك في معيشته، هذه عقوبات من الله، ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وسخط في الرزق.

قال شخص للإمام مالك في الطريق: يا أيها المرائي، قال: متى عرفت اسمي، قال: ما عرف اسمي غيرك، خجل، هذا اسمي فعلاً، دخل عليه اللصوص في البيت، فلم يجدوا شيئاً، فأرادوا الخروج، فقال: لو صليتم ركعتين، دعاهم للصلاة في بيته.

قال أحدهم: دخلنا على الإمام مالك عند الموت، فجعل يقول:

((لمثل هذا اليوم كان دؤوبُ أبي يحيى))

كل هذا تعب سبعين سنة أو ثمانين سنة، الصلوات، وجهاد النفس، والهوى، والإنفاق، وتعلم العلم، والافتداء برسول الله، وخدمة الخلق، كل هذه الجهود التي بذلها في حياته حرم نفسه حظوظها، وشهواتها قال:

((لمثل هذا اليوم كان دؤوبُ أبي يحيى))

إذا كان ساعة اللقاء في ذهن الإنسان دائماً، تصدق، جلس في مجالس العلم، طلب رضوان الله عز وجل، أنفق من ماله، أنفق من وقته، أنفق من علمه، نصح الأمة، أنقن عمله، كان عضواً نافعاً، كف من شهواته، ضبط جواره، ضبط دخله، ضبط مصروفه، أحسن إلى أهله، كل هذه الجهود المتتابة، وهذه الهموم المتلاحقة، وهذا الانضباط الشديد، كل هذا لهذه الساعة، تصور طالباً من واحد أيلول نظم برنامج دراسته، ترك كل الزيارات، والعلاقات، والنزهات، والحفلات، عكف على طاولته، قرأ الكتب المقررة، لخصها، بوبها، قرا المراجع، زار أصدقاءه المتفوقين، ذاکر معهم الدروس، حضر دروس إضافية، كل هذا التعب لهذه الساعة، ساعة الامتحان، كل ما تفعله في الدنيا من أعمال صالحة، من صلوات، من صيام، من حج، من زكاة، من حضور مجالس علم، من اتعاط، من تلاوة القرآن، من حفظ القرآن، من فهم القرآن، من الأمر بالمعروف، من النهي عن المنكر، من الإحسان إلى الزوجة، إلى الأولاد، إلى الوالدين، للحيران، للأقارب، إتقان العمل، نصح المسلمين، كل شيء تفعله لهذه الساعة، فإذا فزت فيها، فقد فزت بكل شيء، لذلك الكفار قال تعالى عنهم:

﴿فَذَرَهُمْ خَوْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾

[سورة الزخرف: 83]

أيها الإخوة: من حين لأخر سبحان الله ! أي إنسان تعرف على الله عز وجل يوصف بأنه ذو عقل راجح، ويوصف أنه ذو نفس طيبة، وذو حكمة بالغة، فهذا الإمام قدوة لنا، فهذا إنسان عاش حياة، وانتهت حياته، وبقي ذكره العطر، وأهل الدنيا يعيشون، ويموتون، ويبقى ذكرهم القدر، فاختر لنفسك، وأنت في الدنيا، إما أن تسعد في الدنيا والآخرة، وإما أن تخسرهما معاً.

فالإمام مالك بن دينار هذا الإنسان له توبة نصوحاً عند الله عز وجل، وقصته تبث الثقة في النفوس، كان قاطع طريق، وكان بعيداً عن الدين بعد الأرض عن السماء، ومع ذلك تاب توبة لو وزعت على أهل بلد لكفتهم، وأكرمه الله بالعلم، وكان من كبار العلماء والعارفين والزهاد، والإنسان حينما يذوق طعم القرب تصغر الدنيا في عينيه، من عرف الله زهد فيما سواه.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (046 - 127) : طوبى لمن تواضع في غير منقصة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-12-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، من الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة طوبى، ومن الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة ويل، ومن الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة عليك، و من الأحاديث الشريفة ما تبدأ بكلمة إياك.

فإياك تفيد التحذير، و عليك تفيد الإغراء، وطوبى تفيد معنى هنيئاً لمن كان كذا، والويل تعني الهلاك لمن يفعل كذا.

أربع زمر، عليك، و إياك، و ويل، و طوبى، وإذا لم يستجب الرجل لكلام النبي صلى الله عليه و سلم، لأمره أو لتحذيره، لإغرائه أو لتحذيره، أو لمباركته أو لوعده فمن هو الذي يمكن أن نستجيب له ؟

حديث اليوم رواه الإمام البخاري في كتابه التاريخ الكبير، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( طوبى لمن تواضع في غير منقصة ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

طوبى أي هنيئاً، هناك خط دقيق بين التواضع والذل، هناك مواقف إذا فعلتها تذل نفسك.

وَعَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدِلَّ نَفْسَهُ، قَالُوا: وَكَيْفَ يُدِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ ))

[الترمذي، ابن ماجه، أحمد]

وفي الحديث:

(( ابْتَغُوا الْحَوَائِجَ بَعْزَةَ الْأَنْفُسِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِالْمَقَادِيرِ ))

[الجامع الصغير عن عبد الله بن بسر]

فعل ( تواضع ) على وزن تفاعل، وزن تفاعل من معانيه تصنع الشيء، تقول: تمارض، تعاضم، تمارض ليس مريضاً، ولكنه تصنع المرض، تعاضم ليس عظيماً، ولكنه تصنع العظمة، تعالم ليس عالماً، ولكنه تزيّ بزي أهل العلم، فوزن تفاعل يفيد التصنع، فكل الأفعال التي على وزن تفاعل تقريباً مذمومة إلا تواضع، هو ليس وضيعاً، ليس ذليلاً، ليس منحرفاً، ليس مذنباً، في أعلى درجات النجاح، في أعلى درجات الطهر، في أعلى درجات العفة، و مع ذلك تواضع، أي تصنع أن يكون مع عامة الناس.

التواضع إذاً أن تكون قريباً ممن هو دونك، لذلك من صفات النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما صاحبه أحد إلا ظن أنه أقرب الناس إليه، و دخل سيدنا عمر على سيدنا رسول الله فرآه مضجعاً على حصير، و قد أثر في خده الشريف، فبكى، قال: يا عمر ما يبكيك؟ قال: رسول الله ينام على الحصير، و كسرى ملك الفرس ينام على الحرير، قال: يا عمر إنما هي نبوة، و ليست ملكاً، هكذا النبوة.

إذاً:

((طوبى لمن تواضع في غير منقصة ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

أي كان تواضعه في المكان الصحيح، تواضع، وهو عزيز، تواضع، وهو عفيف، تواضع، وهو نظيف، تواضع، وهو مستقيم، أما كل إنسان حينما يقع يتضع قهراً عنه، انظر إلى صورة المجرم، وقد ألقى القبض عليه في أدنى درجات الذلة و المسكنة، أسقط في يده، خافض الرأس، خافض الطرف، إذاً هذا ليس تواضعاً، المجرم يتضع، و المنحرف يتضع، و الخائن يتضع، و السارق يتضع، و الزاني يتضع، إذا زلت قدم الإنسان يتضع، و لكن

التواضع الذي أمر النبي به أو أثنى على صاحبه هو أن تكون في أعلى درجات القوة، و مع ذلك أنت قريب لمن حولك:

### (( طوبى لمن تواضع في غير منقصة ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

إذاً حينما لا يحسن الإنسان التصرف، أو حينما يضع نفسه في الموضع الذي لا يليق به فقد ذل، لا نقول هذا تواضع هذا ذل، و لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه.

الآن:

### (( طوبى لمن ذل في نفسه من غير مسكنة ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

حالة المؤمن مع الله حالة التذلل، لكن المؤمن عزيز إلى أعلى درجة، و دليل مع الله إلى أدنى درجة، لأنه عرف ضعفه، وعرف جهله، وعرف نقصه، وعرف أنه طارئ، وأنه حادث، وأنه ميت، ورأى عظمة الله عز وجل، فصغرت نفسه أمام ربه، لذلك هو في عين نفسه صغير، لكنه في عين الناس كبير، بعكس الفاسق والفاجر، هو في عين نفسه كبير، وفي عين الناس صغير.

الإنسان أحياناً يصاب بمرض عضال، يفتقر فقراً شديداً، يشعر بضعفه، لا حيلة له، ليس شيء في يده، فيتمسكن، هذا الذل الناتج عن المسكنة ليس فضيلة، ولكن التذلل في النفس، فالمؤمن أمام ربه ذليل، فكما تذلل أمام ربه رفعه الله بين الناس، وكما استتكف عن طاعة ربه أذله الله بين الناس، القضية علاقة عكسية، كلما تذلت أمام الله عز وجل، كلما مرغت وجهك في أعتاب الله عز وجل رفع الله لك ذكرك، ورفع شأنك، وأسبغ عليك هيبة ووقاراً، وإذا استتكفت عن طاعة الله، واستكبرت عن عبادته، ورفضت الحق أذلك الله بين خلقه، فلذلك إما أن تتواضع، وإما أن يضعك الله عز وجل، إما أن تتذلل في نفسك لله عز وجل، وإما أن يذلك الله أمام خلقه، إما أن تكون عبداً لله، وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم، كن عبداً لله، فعبد الله حر، ولا تكن عبداً لعبد لئيم، فهو الهوان والذل.

كأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: هنيئاً لمن تواضع في مكان التواضع، تواضع، وعرف قدر نفسه، تواضع، ولم يذل نفسه، تواضع في موطن التواضع، وأعز نفسه في موطن العز.

كلكم يعلم أن أحد أصحاب رسول الله ركب فرسه في بعض المعارك متبختراً به، فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله يكره هذه المشية إلا في هذا الموطن، وقد قيل: التكبر على المتكبر صدقة.

((وذلل في نفسه من غير مسكنة))

أي كلمة أنا، وكلمة فعلت، وتركت، وبإمكاني أن أفعل، وأنا أعطيتك، و لي فضل عليك، و أنت لولاي ما كنت شيئاً، هذه كلمات فيها اعتزاز بالنفس، فيها كبر، فيها شرك، لذلك لما جمع النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه الذين وجدوا عليه في أنفسهم قال:

(( لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ، وَصَدَقْتُمْ، أَتَيْنَا مُكْذِبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَصَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ))

[ أحمد، الدارمي ]

ثم قال:

((ألم تكونوا ضلالاً - لم يقل: فهديتكم، قال - فهداكم الله بي))

الحقيقة ليس موضوع التواضع موضوع واقع، إذا أجرى الله الخير على يديك لا ينبغي أن تتسبه إليك، الله وقفي، و فعلت كذا، الله يسر لي هذا الأمر، أكرمني بهذا البيت، أنعم عليّ بهذه الصنعة، تفضل عليّ بهذا العلم، دائماً كلمة أنعم عليّ، وتفضل عليّ، وأكرمني، وأجرى على يدي الخير، وجعلني سبباً، وسمح لي أن أتحدث عنه، وسمح لي أن أزور بيته، هذه كلمات المؤمن، لا يرى أنه فعل شيئاً يقتضي أن يتيه به على خلق الله، دائماً يقول: أكرمني الله، أجرى على يدي الخير، وهكذا.

(( طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، و أنفق من مال جمعه في غير معصية ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

الحقيقة لماذا الذي ينفق ماله يشعر بالقرب من الله عز وجل ؟ لأن الإيمان دعوى في الأصل، هو يدعي أنه مؤمن، ولكن حينما أنفق ماله أكد لنفسه قبل غيره أن الله ورضوان الله أعلى عليه من ماله، والمال شقيق الروح.

يوجد باخرة غرقت في البحر الأحمر قبل أسبوع، طبعاً باخرة ضخمة تحمل ستمئة راكب، وغرق منها ما يقرب من خمسمئة راكب، ونجا مئة وثمانون، و قصص غريبة جداً ذكرت حول غرق هذه الباخرة، لكن الشيء الذي يلفت النظر أن أحد الذين نجوا نجا بماله، أي عارك الأمواج ستاً وثلاثين ساعة، ومعه محفظة فيها كل الأموال التي جاء بها من الحجاز، فقلت: و الله هذه القصة تؤكد أن المال شقيق الروح، هو يعارك الأمواج، و بين الموت والحياة، و محتفظ بمحفظة فيها كل ما جاء به من بلاد الحجاز، قالوا في الصحيفة: تحويشة العمر حافظ عليها كما حافظ على حياته، إذاً المال شقيق الروح، فإذا أنفقت المال فهذا مما يؤكد أن الله أعلى عليك و رضوانه أعلى عليك من مالك الذي جعله الله شقيق الروح.

وإذا صمت رمضان معنى ذلك أن رضوان الله عز وجل و طاعته أعلى عليك من الطعام والشراب، وإذا ذهبت إلى بيت الله الحرام معنى ذلك أن الله عز وجل و القربى منه، وزيارة بيته، وأداء فريضته أعلى عليك من أهلك ومالك ومحلك التجاري ومكانك، وكل أنواع النعيم التي في بلدك.

إذاً الإنسان لا يرقى إلا بالبذل، إلا بالطاعات، لا يرقى بالاعتقاد فقط، الاعتقاد لا بد منه، لكنه شرط لازم غير كاف، بالاعتقاد لا ترقى، و لكن ترقى بالبذل، لذلك:

(( طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، و أنفق من مال جمعه في غير معصية ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

لأن الله طيب، و لا يقبل إلا طيباً، هذا المال الذي جمعته بكذك وعرق جبينك، الذي تحريت به الحلال، الذي كما قال عليه الصلاة و السلام:

(( من بات كالأ في طلب الكسب الحلال بات مغفوراً له ))

[الجامع الصغير عن أنس]

لحكمة بليغة أرادها الله عز وجل جعل كسب المال الحلال صعباً، و جعل كسب المال الحرام سهلاً، فإذا شعرت بضيق و حرج وهموم من أجل كسب المال الحلال، و الحرام مبذول أمامك فهذه طاعة الله عز وجل.

هنا مفارقات دقيقة، مثلاً من طبيعتك أنك تحب العاجلة، و تكره الآجلة، قال تعالى:

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 11]

أنت متعلق دائماً بالشيء السريع، و الآخرة بعيدة، بعد الموت، و الدنيا بين يديك خضرة نضرة، فإذا تركت الدنيا، و طلبت الآخرة فقد ارتقيت إلى الله عز وجل، أنت ضعيف، و قد تسبب لك طاعة الله ضعفاً و مؤاخذه و مسؤولية و حرجاً و ضيقاً، و مع ذلك آثرت طاعة الله على كل ما حولك من ضغوط، إذاً ترقى بهذه الطاعة:

(( و أنفق من مال جمعه في غير معصية، و خالط أهل الفقه و الحكمة ))

[البخاري في التاريخ الكبير، و البيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

أي دائماً و أبداً انظر في الدنيا لمن هو أدنى منك، و انظر في الآخرة لمن هو أرقى منك، تسعد في دنياك و أخراك.

إذا نظرت في دنياك لمن هو أدنى منك رأيت نعم الله عليك لا تحصى، أما إذا دخلت على الأغنياء البعيدين عن الله عز وجل خرجت من عندهم، و أنت على الله ساخط.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا أَرَدْتَ اللُّحُوقَ بِي فَلْيَكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّكَّابِ، وَإِيَّاكَ وَمَجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِقِي نَوْبًا حَتَّى تُرْقِعِيهِ  
((

[ الترمذي ]

الدخول على الأغنياء الإنسان في ساعات غفلته، وساعات ضعفه، وساعات فتور همته يجد أنه لا يملك شيئاً، يستصغر بيته، وأثاث بيته، وما عنده، إلا إذا كان مؤمناً، فهذا المؤمن له حالة خاصة:

((إِيَّاكَ وَمَجَالَسَةَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا تَسْتَخْلِقِي نَوْبًا حَتَّى تُرْقِعِيهِ ))

((وخالط أهل الفقه والحكمة ))

الإنسان إذا خالط أهل الفقه والحكمة يستعير كل خبراتهم، ويأخذ بعضاً من أحوالهم، ويأخذ من علمهم، ويأخذ من حكمتهم، ويأخذ من مواقفهم، يتعلم من أخلاقهم ومن أفعالهم ومن أفكارهم، لذلك حينما يخالط الإنسان أهل الفقه والحكمة يرقى عند الله عز وجل، والصاحب صاحب، قل لي من تجالس أقل لك من أنت، من جالس جانس، ومن جانس جالس.

من جانس جالس، أي إذا لم يكن بينك وبين هذا الإنسان لغة مشتركة، هو يحب الحق، وأنت تحب الحق، هو يحب الفضيلة، و أنت تحب الفضيلة، هو يؤثر الورع، و أنت كذلك، هو يحب جهاد النفس و الهوى، و أنت كذلك، مادام بينك و بين هذا الذي تتعلم منه قواسم مشتركة أو لغة مشتركة فمن جانس جالس، لا تستطيع أن تجالس إلا إذا جانست.

ومن جالس جانس، من جالس اشتق من علم هؤلاء، ومن أخلاقهم، ومن فضلهم فلذلك:

((... طوبى لمن أنفق من مال جمعه في غير معصية، و خالط أهل الفقه و الحكمة، و رحم أهل الذل و

(( المسكنة ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ))

[ أحمد ]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ))

[ الترمذي ]

من صفات المؤمن العطف على الضعفاء، وتوقير للكبار، أكبر منك سنأ أي أكثر منك علماً، أقدم منك في طريق الإيمان فيجب أن توقره، الحياة كلها أدب، حينما دخل سيدنا الصديق عليه الصلاة والسلام كان إلى جانبه سيدنا علي كرم الله وجهه، فقام علي كرم الله وجهه ليجلس محله سيدنا الصديق، النبي تأثر لهذا الموقف الأخلاقي، فقال عليه الصلاة والسلام: لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل.

أحياناً يدخل المسجد رجل وقورٌ كبيرٌ في السن، يتمنى أن يجلس في مكان يستريح فيه، يجد شاب صغير حديث السن، أخذ أفضل مكان، طبعاً نتمنى على الصغير أن يوقر الكبير.

إذاً:

((مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ))

[ الترمذي ]

((طوبى لمن أنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل و

المسكنة))

((طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سيرته، وحسنت سريره، وكرمت علانيته، وعزل عن

الناس شره))

[البیهقي، والطبراني في الأوسط عن ركب المصري]

## ((طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله))

[البیهقي، والطبراني في الأوسط عن ركب المصري]

سنشرح هذا:

طوبى لمن ذلت نفسه لله طبعاً، لله العزة و لرسوله و للمؤمنين، طوبى لمن ذلت نفسه، وطاب كسبه، أي كسبه حلالاً: اللهم ارزقني طيباً، واستعملني صالحاً.

رزقه طيب: أظم مطعمك تكن مستجاب الدعوة، رزقك طيب، وعملك صالح، ((طوبى لمن ذلت نفسه، و طاب كسبه))، إتقان العمل يجعل كسبك حلالاً، أن تأخذ السعر المناسب يجعل كسبك حلالاً، ألا تغش الناس في البيع و الشراء يجعل كسبك حلالاً، ألا تنتقص من أمواله، لاحظ هذا المثل الذي أضربه دائماً، يوضح فكرة أعجبتك، غرفة نوم، تقول للنجار: أنا أريد سريرًا واحدًا، لا سريرين، يقول لك: سنخفض السعر ألفي ليرة، فقط ألفي ليرة؟ تذهب إليه بعد عام، عنده غرفة بسرير واحد، أريد سريرين، فيقول: أريد ثمانية آلاف، لماذا عندما تريد أن تحذف السرير خفضت ألفي ليرة، وإضافة سرير ثمانية آلاف، ما أنصفته، الله عز وجل يقول:

### ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

[سورة الأعراف: الآية 85]

أحياناً يريد إنسان أن يبيع شيئاً، شعرت أنه مضطر، بأقل سعر، تريد أن تأخذها بلا ثمن لاضطراره، هذا حرام، فلذلك طاب كسبك إذا صدقت مع الناس، طاب كسبك إذا أنصفتهم، طاب كسبك إن لم تبتز أموالهم، طاب كسبك إن لم تنتقص ما عندهم، طاب كسبك إن لم تغشهم، طاب كسبك إن أعطيتهم شيئاً فوق ما يستحق،

### (( و طاب كسبه و حسنت سريرته ))

أي لا يوجد أحقاد في داخله، الإنسان قد يكون بظاهره مقبولاً، بالعكس رائع:

### ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾

[سورة المنافقون: الآية 4]

أما المؤمن فمن داخله نظيف، لا يوجد عنده حقد، ليس عنده أسلوب احتيالي، مكر، خداع، ختل، خيانة، مؤامرة، تدبير، موقف معطن، موقف مبطن، سر، علانية، يعتقد ما لا يقول، يقول ما لا يعتقد، هذه أخلاق المنافقين، المؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُؤْمِنُ غَرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لُئِيمٌ))

[ الترمذي، أبو داود ]

((طوبى لمن ذلت نفسه، و طاب كسبه، و حسنت سيرته، و حسنت سريرته، و كرمت علانيته))

[البهقي، والطبراني في الأوسط عن ركب المصري]

أي أنا لا أقبل أن مؤمناً مظهره فيه إهمال، غير مقبول، أنت مؤمن تمثل دين الله عز وجل، حتى المظهر الخارجي يجب أن يكون مقبولاً من دون فخامة، لكن من دون ضعة، فلو أن إنساناً ثيابه نظيفة، محله التجاري مرتب، بيته مرتب، لأنك تمثل هذا الدين، فلا يوجد داع أن يكون مظهر الإنسان الزاهد غير مقبول، مظهره منفر، بيته منفر، محله التجاري منفر، علاقاته فوضى، غبار في دكانه، حساباته غير مضبوطة، ليس هذا هو الإيمان.

((...و حسنت سريرته، و كرمت علانيته، و عزل عن الناس شره))

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، و من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، طوبى لمن عمل بعلمه، و أنفق الفضل من ماله، و أمسك الفضل من قوله))

[البهقي في شعب الإيمان]

فضل القول أمسكه، و فضل المال أنفقه، وعمل بعلمه، هذا الحديث من الأحاديث الجامعة المانعة، كأن أكثر مكارم الأخلاق مجموعة في هذا الحديث، أعيد عليكم نص الحديث، روى الإمام البخاري التاريخ الكبير عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(( طوبى لمن تواضع في غير منقصة، و ذل في نفسه من غير مسكنة، و أنفق من مال جمعه في غير معصية، و خالط أهل الفقه و الحكمة، و رحم أهل الذل و المسكنة، طوبى لمن ذلت نفسه و طاب كسبه و حسنت سيرته و حسنت سريره و كرمت علانيته و عزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، و أنفق الفضل من ماله، و أمسك الفضل من قوله ))

[البخاري في التاريخ الكبير، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان عن ركب المصري]

نحن من حين لآخر نتحدث عن أصحاب رسول الله، المقطع الثاني من درس الأحد دائماً في السيرة، والسيرة ممنوعة، إما فقرات وضيئة من حياة رسول الله، أو قصص عن أصحابه الكرام، أو عن التابعين، أو عن العلماء المشاهير العاملين، كأبي حنيفة النعمان، و من كان على شاكلته.

رسنا اليوم مالك بن دينار:

مالك بن دينار كان من كبار العلماء، و من كبار الزهاد، و من كبار المحبين لله عز وجل.

له قصص كنت أرويهما لكم سابقاً، حينما مر بطريق رأى إنساناً مخموراً، و زيد الخمر على شفتيه، ويقول: الله، الله، و هو سكران، فكبر عليه أن يخرج هذا الاسم العظيم من فم نجس، فغسل فمه، و أكرمه، و كانت توبة هذا السكير على يديه، وقد رأى رجلاً في المسجد يصلي، ويبكي، قال له: من أنت؟ قال: إن الذي هداني أخبرك بحالي، وكان قد رأى في المنام أن صوتاً يقول: يا مالك، طهرت فما من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك.

والإمام مالك بن دينار دخل إلى المسجد، وحدث الناس عن قصته، كان منحرفاً، وكان مقصراً، وكان بعيداً عن الدين، وكانت له بنت يحبها كثيراً، رآها في المنام، و رأى ثعباناً يتبعه، قصة معروفة عندكم، وهو يهرب منه، والثعبان يتبعه إلى أن رأى ابنته أشارت إلى الثعبان، فابتعد عنه، قال: ما هذا يا بني؟ قالت: هو عمك يا أبت، قال: و من أنت؟ قالت: أنا عمك الصالح، هاتان القصتان ترويان عن الإمام مالك بن دينار.

على كل هذا الإمام له أقوال، قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، و لم أكره مذمتهم، قيل: و لم ذلك؟ قال: لأن حامدهم مفرط، و ذامهم مفرط، يبالغ الناس، إذا مدحوا بالغوا، و إذا ذموا بالغوا، إنصافهم قليل، والحقيقة أن الناس لو أنهم جميعاً أثنوا عليك، ولم تكن عند الله مرضياً فلا قيمة لثنائهم، ولو أنهم جميعاً

غضبوا عليك، وكنت عند الله مرضياً فلا قيمة لغضبهم، لذلك:

## إذا صح منك الوصل فالكل هين و كل الذي فوق التراب تراب

يروى أن مالك بن دينار مرّ والي البصرة يرفل فصاح به مالك: أقلّ من مشيتك هذه

قال: قدمت من سفر لي، فلما صرت بالجسر قال العشار، أين عن عون بن حكم عن أبيه عن مالك بن دينار الذي يأخذ الضرائب، لا يخرج من السفينة أحد حتى يدفع ما عليه، ولا يقو

فقال لي الإمام مالك: فأخذت ثوبي فوضعت على عنقي، ثم وثبت، فإذا أنا على الأرض، أحد من مكانه، قال هكذا أمر الآخرة، وقفة عظيمة، و :العشار: ما أخرجك؟ قلت: ليس معي شيء، قال: اذهب، فقلت في نفسي المستقيم فلا علاقة له بكل هذا حساب صعب، و يوم عسير، و هول عظيم

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾

[ سورة الأنبياء ]

كما أن العشار أوقف السفينة، جميعاً ابقوا في مكانكم، لا أحد يغادر، هو وقف، و حمل ثوبه على عاتقه، و قفز على الأرض، قال له: أين أنت؟ قال له: ليس معي شيء، فتركه، لذلك من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً، من كان صراطه في الدنيا ضيقاً كان صراطه في الآخرة عريضاً، أي لا تدقق، وهذه ليست مشكلة، وهذه فيها فتوى، وهذه الله يسامحنا، وهذه الله لا يؤاخذنا، ليس إلا أنه يوسع الصراط، أنت تغش، أنا عندي أولاد، ماذا أفعل، و الوقت صعب، هذه لا تجوز، في مذهب لها فتوى، كلما وسعت الصراط في الدنيا يضيق في الآخرة، و كلما ضيقته عليك في الدنيا يتسع في الآخرة.

قضية معكوسة، أو بالأصح من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابه يوم القيامة يسيراً، و من حاسبها في الدنيا حساباً يسيراً كان حسابه يوم القيامة عسيراً.

كان الإمام مالك يطوف بالبصرة في الأسواق، فينظر إلى أشياء يشتهيها، فيرجع، و يقول لنفسه: أبشري، فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علي، هذه نقطة مهمة، كلما اشتتهت نفسك شيئاً أعطياها، معنى ذلك أن هذه النفس ليست كريمة عليك، أما إذا حملتها على طاعة الله، و حرمتها ما يلهيها عن طاعة الله كرمت عليك، فقال

الإمام مالك لنفسه: أبشري فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علي.

وله قول رائع يقول: إن البدن إذا أصابه السقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، المريض لا يهنأ لا بطعام ولا بشراب ولا بنوم ولا براحة، قال: وكذلك القلب إذا علق حب الدنيا لم تتجح فيه المواعظ.

وله قول آخر، قال: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، و بقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك، يوجد همين هم الدنيا، وهم الآخرة، فإذا حزنت للآخرة خرج من قلبك هم الدنيا، وإذا حزنت للدنيا خرج من قلبك هم الآخرة.

كان مالك بن دينار في المقبرة، فإذا رجل يدفن، فجاء حتى وقف على القبر، فجعل ينظر إلى الرجل، وهو يدفن، فجعل يقول: مالك غداً هكذا يصير، و ليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول غداً مالك هكذا يصير، والله هذه كلمة بليغة، هل يوجد شخص منا إلا وسوف يكون غداً كهذا الذي وسد في قبره.

يقال: إن مالك بن دينار رأى إنساناً يضحك، فقال: ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا، وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعقد، الإنسان يضحك، وسوف يموت، يضحك، ولا يدري أساخط عنه الله أو راض ؟ يضحك ولا يعلم مصيره في الآخرة، يضحك، ولم يقف على أحكام كتاب الله عز وجل، يضحك، و ليس له عمل يلقي الله به، هذا الضحك يتنافى مع عظم المهمة التي أنت عليها في الدنيا.

يقول الإمام مالك بن دينار: إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه، أي أقل عقاب يعاقب الله به من له زي علمي، من له دعوة، إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه، أي يصبح ذكر الله كالصلاة والذكر والدعاء لا معنى له، كلمات يرددها، و حركات يقوم بها، و أقوال يتقوه بها.

وكان يقول هذا الإمام: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً انتقصه من دنياه، وكف عنه ضيعته، أي الدنيا تنقص قليلاً، و يجمع الله له شمله.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِنِصْفِ النَّهَارِ قَالَ: فَعُلْتُ: مَا حَرَجَ هَذِهِ السَّاعَةَ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، سَأَلَنِي عَنْ

حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

((مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نَيْتَهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا نَيْتَهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ فُقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))

[أحمد، الدارمي]

مرّ تاجر بعشار، فحبسوا عليه سفينته، العشار أي أخذ الضرائب، ف جاء إلى مالك بن دينار فذكر ذلك له، فقال: قام مالك فمشى معي إلى العشاء، أي استجار بالإمام مالك لمكانته، ووجهته، فذهب الإمام مالك معه إلى العشار، فلما رأوه، قالوا: يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك نحن نأتيك، له مكانة كبيرة، قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل، هذه حاجتي، دعوا هذه السفينة، قال: حياً، وكرامة، قد فعلنا، قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقال العشار: ادع الله لنا يا أبا يحيى، قال: قولوا للكوز أن يدعو لكم، كيف أدعو لكم، وألف يدعون عليكم؟ أتري يستجاب لواحد، و لا يستجاب لألف، هذه إشارة إلى أن الإنسان لا يبني حياته على إيذاء الناس، أو على انتقاص حقوقهم، أو على دس الخوف فيهم.

ويقول الإمام مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، و كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً، ويقع في الصالحين، أي هو سيئ، و يتهجم على الصالحين، هو مقصر و يتهجم على هؤلاء المتفوقين، هو مذنب، و يتهجم أو يتناول على المستقيمين، كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، أي شر الناس من باع آخرته بدنياه غيره.

يقول الإمام مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا، و لم يدوقوا أطيّب شيء فيها، قالوا: و ما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل.

ويقول الإمام مالك بن دينار: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب، إذا لم يكن فيه حزن ليس فيه إقبال، هذا البيت يصبح خرباً، ويقول الله عز وجل:

((عبدى حسنت منظر الخلق سنين أفلا حسنت منظري ساعة))

[ورد في الأثر]

و يقول الإمام مالك: لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها، أين يصلح قلبك؟ في أي عمل يصلح؟ ما الذي يملؤه رضى؟ ما الذي يملؤه قرباً؟ قال: لو أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لذهبت حتى أجلس عليها.

و يقول الإمام مالك: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما تزل القطرة عن الصفا، إذا كان البلاط أملس صقيلاً لماعاً، أي هذا السيراميك إذا ألقيت عليه الماء انحدر سريعاً، حتى لو ألقيت عليه الزيت لا يعلق عليه شيء، الإمام مالك يقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما تزل القطرة عن الصفا، أي موعظته لا تؤثر في القلوب، لا يسمح الله له أن يؤثر كلامه في القلوب، مادام هو غير صادق، و غير مخلص فكلامه يفقد الحياة، يفقد قوة التأثير، يفقد هذه الروحانية، إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب، كما تزل القطرة عن الصفا.

ويقول: إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، و إذا طلبته لغير العمل لم يزدك إلا فخراً، أي يوجد علم يكبرك حتى تصبح من جبابرة العلماء، ومن الطغاة، ومن المتكبرين، و يوجد علم كلما ازدادت علماً ازدادت به تواضعاً، إنك إن طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، كما قال الإمام الشافعي: كلما ازدادت علماً ازدادت علماً بجهلي، العلم الذي تطلبه للعمل يزيدك تواضعاً، و قريباً من الناس، و حباً لله، و رحمة بالخلق، والعلم الذي تطلبه للافتخار يحجبك عن الناس، و يصبح دركات إلى الهلاك.

وكان يرى انحراف قومه فيقول لهم: أنتم تستبطنون المطر، و أنا أستبطن الحجارة، أي كما يقول عليه الصلاة و السلام:

(( لولا شيوخ ركع و أطفال رضع و بهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً ))

أحياناً ترى وضع الناس فيه انحرافات، تقصير، تغلث من أوامر الله عز وجل، لا يستحقون هذه الأمطار التي هطلت، الحمد لله، الأمطار هطلت بكميات كبيرة جداً في أكثر المناطق، أربعة أمثال أو ثلاثة أمثال ما هطل في العام الماضي حتى هذا التاريخ، فيقول الإمام مالك: أنتم تستبطنون المطر، وإنما تستبطن الحجارة أحياناً.

يقول الإمام مالك: إن الله جعل الدنيا دار مفر، و جعل الآخرة دار مقر، الدنيا نفر منها، والآخرة نستقر فيها، الناس بالعكس يفر في نفسه من الآخرة، و يستقر في الدنيا، و لكن هذا الاستقرار لا يدوم لابد من الموت.

سمعت في بعض البلاد أنه لا يمكن أن ترى جنازة أبداً، كأن البلاد لا يوجد فيها موت، من المستشفى إلى المقبرة من دون أي مظهر من مظاهر الجنازة، فالناس غارقون في ملامهم، في تجارتهم، في دنياهم، نحن الحمد لله جناز كثيرة، و إعلام بالمآذن أحياناً يذكر بالموت، إن الله جعل الدنيا دار مفر، و جعل الآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، و أخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، و لا تهتكوا أستاذكم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حبيتم و لغيرها خلقتم، و إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه، واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين، و في جوفها سم قاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

طفل عمره سنتان إذا رأى ثعباناً يقترب منه، و يضع يده عليه، أما العاقل فيفر منه، كلام دقيق و بليغ: جعل الدنيا دار مفر، و جعل الآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، و أخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاذكم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حبيتم، و لغيرها خلقتم، وإنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه، واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين، و في جوفها السم الناقع، يحذرها ذوو العقول، و يهوي إليها الصبيان بأيديهم.

قال: قدمت من مكة، فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة، أي إناء يستعمله في وضوئه، وفي حاجاته، فكانت عنده فجئته يوماً فجلست في مجلسه، فلما قضاها قال لي: يا حارث، تعال خذ تلك الركوة، فقد شغلت عليّ قلبي، قلت: يا أبا يحيى، إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب، فقال: يا حارث، إنني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان، و قال لي: يا مالك، إن الركوة قد سرقت، فقد شغلت عليّ قلبي، مثال لطيف، إذا شغلك شيء عن ذكر الله دائماً فقد صار هذا حجاباً بينك وبين الله.

وكان يتقنع بعباءة أو بكساء، و يقول: يا إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأبي الدارين دار مالك؟ وأي الرجلين أنا؟ ثم يبكي.

قال: إن العالم إذا أتته في بيته فلم تجده قصّ عليك بيته، رأيت حصيره للصلاة ومصحفه و مظهرته في جانب البيت، ترى أثر الآخرة.

قال: إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، و إن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم، أي المؤمن إن سمع عن شخص له أعمال طيبة، له صلوات، له أذكار، له خدمات، يفهم كتاب الله، يحفظ كتاب الله، يغلي شوقه، يغلي غيره، يغلي طمعاً، يغلي تنافساً، والفجار إذا سمعوا عن أهل الشهوات، وكيف يمضون الليالي والأيام عن رحلاتهم، وعن إنفاقهم، وعن مسراتهم، وعن أعراسهم، وعن مساكنهم، وعن مركباتهم، وعن منتجعاتهم كذلك يغلي الفجار، يتأوهون:

﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

[سورة القصص: الآية 79]

قال: إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، و إن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، و الله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم.

قال: إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، أي أعظم عقوبة أن يكون لك قلب قاس لا يلين، لا يرحم، لا يتأثر بذكر الله.

من عقوبات الله عز وجل ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وسخط في الرزق، الإنسان الذي يتسخط رزقه، و هو الذي ضعيف في عبادته، و ضنك في معيشته هذه عقوبات من الله عز وجل.

قال رجل للإمام مالك في الطريق: يا مرائي، قال له: متى عرفت اسمي، ما عرف اسمي غيرك؟ أي خجل.

قال: دخل عليه اللصوص في البيت، فلم يجدوا شيئاً، فأرادوا الخروج، فقال: لو صليتم ركعتين، دعاهم للصلاة في بيته.

قال: دخلنا على الإمام مالك عند الموت، فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى، كل هذا التعب سبعين سنة أو ثمانين سنة، الصلوات، و جهاد النفس و الهوى، و الإنفاق، و تعلم العلم، و الاقتداء برسول الله، و خدمة الخلق، كل هذه الجهود التي بذلها في حياته، و حرم نفسه حظوظها، و شهواتها، قال كلاماً جميلاً: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى، إذا كانت ساعة اللقاء في ذهن الإنسان دائماً تصدق، جلس بمجالس العلم، طلب رضوان الله عز وجل، أنفق من ماله، و أنفق من وقته، و أنفق من علمه، نصح الأمة، أتقن عمله، كان

عضواً نافعاً، كف من شهواته، ضبط جوارحه، ضبط دخله، ضبط مصروفه، أحسن إلى أهله، كل هذه الجهود المتتابعة، و هذه الهموم المتلاحقة، وهذا الانضباط الشديد كل هذا لهذه الساعة، تصور طالباً من واحد أيلول نظم برنامج دراسته، ترك كل الزيارات والعلاقات والنزهات والسهرات والحفلات، عكف على طاولته، قرأ الكتب المقررة، لخصها، بوبها، قرأ المراجع، زار أصدقاءه المتفوقين، ذاکر معهم الدروس، حضر دروساً إضافية، كل هذا التعب لهذه الساعة ساعة الامتحان، كل ما تفعله في الدنيا من أعمال صالحة، من صلوات، من صيام، من حج، من زكاة، من حضور مجالس علم، من اتعاط، من تلاوة القرآن، من حفظ القرآن، من فهم القرآن، من الأمر بالمعروف، من النهي عن المنكر، من الإحسان للزوجة، للأولاد، للوالدين، للجيران، للأقارب، إتقان العمل، نصح المسلمين كل شيء تفعله لهذه الساعة، فإذا فزت فيها فزت بكل شيء، لذلك الكفار:

﴿فَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

[ سورة الزخرف: الآية 83 ]

أيها الإخوة: من حين لآخر سبحان الله ! أي إنسان تعرف إلى الله عز وجل يوصف بأنه ذو عقل راجح، و يوصف بأنه ذو نفس طيبة، و ذو حكمة بالغة، فهذه قدوة لنا، هذا إنسان عاش حياة، و انتهت حياته، و بقي ذكره العطر، و أهل الدنيا يعيشون، و يموتون، و يبقى ذكرهم القدر، فاختر لنفسك، و أنت في الدنيا إما أن تسعد في الدنيا و الآخرة، و إما أن تخسرهما معاً، فالإمام مالك بن دينار هذا الإنسان له توبة نصوح عند الله عز وجل، وقصته تبث الثقة في النفوس، كان قاطع طريق، و كان بعيداً عن الدين بعد الأرض عن السماء، ومع ذلك تاب توبة لو وزعت على أهل بلد لکفتهم، وأكرمه الله بالعلم، وكان من كبار العلماء والعارفين و الزهاد. حينما يذوق الإنسان طعم القرب تصغر الدنيا في عينيه، من عرف الله زهد فيما سواه.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (047 - 127) : مقياس توفيق المؤمن في الإسلام

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-12-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: في درسنا هذا اليوم أحاديث شريفة ثلاثة، الأول: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((شاب سخي حسن الخلق أحب إلى الله تعالى من شيخ بخيل عابد سيئ الخلق))

[ الديلمي ]

الحديث الثاني:

((قليل الفقه خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب بنفسه، وإنما الناس رجلان، مؤمن وجاهل، فلا تؤذ المؤمن ولا تحاور الجاهل ))

[ الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو ]

والحديث الثالث:

((قليل التوفيق خير من كثير العقل، والعقل في أمر الدنيا مضرة، والعقل في أمر الدين مسرة))

[ الجامع الصغير ]

الحقيقة كل حديث يعد باباً كبيراً من أبواب الدين، الحديث الأول الله يبين أنّ سبحانه وتعالى يحب الشاب حسن الخلق، السخي، لأن الله عز وجل كما يقول في حديث قدسي:

**((إن هذا الدين قد ارتضيته لنفسي ولا يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه طالما صحبتموه))**

[الطبراني في الأوسط عن جابر]

كل مسلم سفير الإسلام، كل مسلم يمثل هذا الدين، فإذا كان بخيلاً نفر الناس منه، فإذا كان سيئ الخلق ابتعد الناس عنه، قال تعالى:

**﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**

[سورة آل عمران: 159]

إذاً ما الذي يرضي الله عز وجل؟ أن تكون حسن الخلق، ما الذي يرضي الله عز وجل؟ أن تكون سخيّاً، فهذا الشيخ ذو العبادة الكثيرة، صلواته، وأوراده، وأذكاره، ولكنه عصبي المزاج، سيئ الخلق، شحيح اليد، حريص على ما في يديه، هذا عند الله عز وجل في المرتبة الدنيا، بينما الشاب السخي حسن الخلق هذا أحب إلى الله تعالى.

إذاً أنا يجب أن أبحث عن المقياس الذي يرضي الله عز وجل، لا على المقياس الذي ينتزع إعجاب الناس، صلوات طويلة، وأذكار، ولكنه سيئ الخلق، شحيح اليد،

**((شاب سخي حسن الخلق أحب إلى الله تعالى من شيخ بخيل عابد سيئ الخلق))**

المقصود أن نضع يدنا على جوهر الدين، والحقيقة أن الدين واسع جداً، يمكن أن تتناول منه بعض العلوم، يمكن أن تتزوّج بزّي رجال الدين، يمكن أن تقلد المؤمنين، يمكن أن ترتدي ثيابهم، يمكن أن يكون لك بسملات، وتمتمات، وحركات، وسكنات مشابهة لأهل الحق، ولكن ما لم تضع يديك على جوهر الدين، فلن تستفيد من الدين شيئاً، ولن تقطف منه أي ثمرة.

الحقيقة ما الذي يدعوك إلى السخاء؟ إيمانك بالله، ما الذي يدعوك إلى أن تكون حسن الخلق؟ إيمانك بالله، في الدين منطلق نظري، وتطبيق عملي، في الدين عقيدة وسلوك، لن يصح السلوك إلا إذا صحت العقيدة، لن تستقيم

على أمر الله إلا إذا عرفت الله، لن تبذل ما في يديك إلا إذا أيقنت بالعوض، لن تضحي بالغالي والرخيص إلا إذا آمنت بالجنة، إذا آمنت بأن هناك بعد الموت جنة وناراً، فالموضوع أخطر بكثير من أن يمارس الإنسان بعض الشعائر، يحضر بعض المجالس، يقوم ببعض الصلوات، ما انتهى شيء، هذا الدين يجب أن يتغلغل في كل كيائك إلى أن يصل إلى كل حجيرة من جسمك، الدين عقيدة، الدين عبادة، الدين معاملة، الدين خلق، وكما قلت في الدرس السابق يوم الجمعة: الوقت ثمين، والعمر قصير، والطريق طويل، والناقد بصير، والبحر عميق، والزاد قليل، هكذا قال عليه الصلاة والسلام، فالإنسان في علم الميكانيك يقول لك: مردود الآلة، يعني المردود الحسن هو أن نأخذ أكبر عمل بأقل طاقة، كيف أن الإنسان يثني على مركبة، يقول لك: تمشي ثلاثمئة وخمسين كيلومترا بملء خزان واحد، يعني بأقل كمية وقود أخذ منها أكبر جهد، أو أكبر عمل، أو أطول مسافة.

كما قلنا في درس سابق: لو فرضنا إنساناً عنده بيت فيه ما هب ودب، وأمر أن يغادر هذا البيت خلال أربع وعشرين ساعة، وله أن يحمل ما تحمله شاحنة صغيرة، ماذا يختار من هذا البيت؟ يختار أعلى الأشياء، وأقلها وزناً، هذا الذكاء، لو لم يكن ثمة موت فمضي ثلاثين سنة في شيء تافه لا مانع، لكن ما دام ثمة موت فالعمر إذاً محدود، كيف أستهلك هذا العمر؟ إما أن أستهلكه استهلاكاً استثمارياً، وإما أن أستهلكه استهلاكاً رخيصاً، إذاً العمر ثمين، فالمفروض أن أعرف ماذا يعنيني من هذا الدين؟ يعنيني أن تكون عقيدتي صحيحة، كل تصوراتي، كل أفكارتي، كل ما أومن به، كل مقاييسي، كل قيمي تنطبق على حقيقة الدين، هذا شيء خطير، لأن أي تصور مغلو، أي انحراف في الفهم لابد من أن يتبعه انحراف في السلوك، هذا كلام واضح كالشمس، انحراف في العقيدة انحراف في السلوك، إيمان بشفاعاة ساذجة واهمة يتبعها تقصير في العمل، إيمان بأن الله لا يحاسب يتبعه انحراف في المعاملة، إيمان بأن النبي سيشفع لنا بلا قيد ولا شرط يتبعه خلل في الاستقامة.

المطلوب أن نتعرف إلى الله عز وجل المعرفة الصحيحة حتى يأتي العمل مطابقاً لهذه المعرفة.

الآن عندنا سؤال: كيف نعرف الله؟ دائماً هناك إلحاح من قبلي على معرفة الله، أصل الدين معرفة الله، الإنسان يمكن أن يحضر ألف درس علم، يمكن أن يسمع كل جمعة خطبة، يمكن أن يقرأ، يا ترى إذا قرأ كتابات إسلامية، استمع إلى محاضرات، حضر مجالس، علم يا ترى هل هذا كافٍ لمعرفة الله عز وجل؟ لابد من بحث ذاتي، لابد من جلسات مع الله، لابد من خلوات، لابد من تأمل، لابد من تفكر في الكون.

أنا أتمنى على كل أخ كريم أن يعرف الله، هذه أكبر قضية في حياته، وأن يعرف الله في كل شيء، من عرف الله استقام على أمر الله، ومن عرف الله سعد في الدنيا، ومن عرف الله سعد في الآخرة، ومن عرف الله فاز، ونجح، وأفلح، وتفوق، ونجا، وسلم.

إذاً لما أتمنى أن أعرف الله بصدق حقيقي فلا بد أن أصل إليه، الكون باب، معرفة أمره باب.

خطر في بالي مرة مثل بسيط، أن هناك هراً مقسماً إلى أربعة أقسام، القسم العلوي هو القرآن، الذي يليه هو الحديث الشريف، الذي يليه هي السيرة النبوية، الذي يليه سيرة الصحابة، فالقرآن كلام الله، وهو أصل كل أصل، أتى النبي عليه الصلاة والسلام فشرح كلام الله، إذاً النبي بين للناس ما نزل إليه، لكن جاءت سيرته بلسانه أبلغ، وبين وأبلغ، ووضح، وحدد، وقيد، وشرح، وفصل ببيانه، الآن سلوكه ترجم بيانه، سلوكه وضح بيانه، أما النبي فواحد، لكن ربنا عز وجل لحكمة بليغة أرادها جعل من أصحابه نماذج متباينة، هناك صحابي غني، وصحابي فقير، صحابي صغير، وصحابي شيخ كبير، صحابي صحيح الجسم، وصحابي مريض، صحابي مكان إقامته بعيدة، كيف تصرف، وصحابي لازم النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا قرأت القرآن، وفهمته، وقرأت السنة، وعرفتها، وقرأت سيرة رسول الله ﷺ، أو استمعت إليها، ثم تابعت أخبار صحابة رسول الله صار فعندك منطلقات نظرية، ثم نماذج كثيرة جداً تبين دقائق الشخصية الإنسانية، فالمؤدى كما قلت قبل قليل أن

((شباب سخي حسن الخلق أحب إلى الله تعالى من شيخ بخيل عابد سيئ الخلق))

الحديث الثاني: يقول عليه الصلاة والسلام:

((قليل الفقه خير من كثير العبادة))

العبادة تحتاج إلى وقت، وإلى جهد، فمهما كثرت فلا ترقى بصاحبها، لأن الذي يرقى بالإنسان هو العلم، أن تفهم آيةً كريمةً فهماً دقيقاً، وأن يهتز عقلك - إن صح التعبير - وأن تهتز مشاعرك حينما استوعبت هذه الآية، ووقفت على حقيقتها، هذا خير لك من كثير العبادة، أن تفهم سر الصلاة، ولماذا أمرنا بها، وحكمة الزكاة، ولماذا فرضت علينا، وأن تفهم حقيقة الحج، ولماذا أمرنا الله به، وأن تفهم حكمة الصيام، ولماذا أمرنا به، إذا فهمت

الحقيقة، فهتم السر، فهتم القصد، فهتم المؤدى، جاءت العبادة وفق ما أراد الله عز وجل، دائماً وأبداً العبادة لها شكل، ولها مضمون، شكلها أن تقف، وأن تركع، وأن تسجد، لكن مضمونها أن تتصل بالله، فإذا ما فهم الإنسان سر الصلاة لم تأت عبادته موافقة لما أراد الله عز وجل، فلذلك:

### ((قليل الفقه خير من كثير العبادة))

الفقه هذا أمر إلهي، لماذا أمرنا به؟ طبقت، ماذا استعدت منه؟ هل انتقلت نقلة نوعية حينما طبقت هذا الأمر؟ بينما أن تمارس الدين ممارسة شكلية، وكأنه طقس من طقوس الديانات الأخرى، أفعال، وأقوال، لا تدري معناها، وبين أن تكون في المستوى الذي أراد الله عز وجل من هذا الأمر،

### ((قليل الفقه خير من كثير العبادة))

ومعروف إذا استعمل الإنسان فكره يريح نفسه، تصور باباً تريد أن تفتحه من دون تفكير، تأتي بمطرقة، تبذل جهداً، تحدث أصواتاً مزعجة، الجيران يستيقظون، ينزلون، ويخاصمونك، بينما إذا كان معك مفتاح لهذا الباب تفتح هذا الباب بأدنى درجة من الجهد، بألطف طريقة، وبأسرع وقت، كل شيء له مفتاح، فلما يفكر الإنسان ترتاح عضلاته، وترتاح أعصابه، أنا أعيش في الحياة، هذه الحياة زائلة، مادام فيها موت إذاً هناك اصطفاء، ماذا ينبغي أن أتعلم؟ ما يطبع في اليوم الواحد من كتب لا تستطيع أن تقرأه في مثتي عام، إذاً لابد أن أقرأ الكتاب المفيد، إنها عملية اصطفاء لما تقرأ، اصطفاء لمن تصاحب، اصطفاء لمن تتعلم منه، الاصطفاء مهم جداً، فالفقه ضروري، هذا الذي قال للنبي: عظمي، وأوجز، فقال: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فقال هذا الأعرابي: قد كفيت، فقال عليه الصلاة والسلام: فقه الرجل.

الحقيقة أن هذا الحديث له تنمة مهمة جداً، أن الفقه أفضل من العبادة، أو

### ((قليل الفقه خير من كثير العبادة))

لكن إذا كنت تريد مقياساً دقيقاً حاسماً يقينياً يقينياً قال عليه الصلاة والسلام:

### ((وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله))

الآن هذا الموطن الأساسي في الدرس، ما دام هناك معصية، وتقصير، وحقوق معلقة بربقتك، ما دام هناك أمر إلهي ما نفذته، ونهي واقع فيه، وتقصير في عملك، وانحراف عن الطريق، وتقصير في المنهج، يجب أن تعلم علم اليقين أن إيمانك لا يكفي، وأن فقهك ضعيف، وأن هذا الإيمان الذي تدعيه لا ينجيك من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة،

### ((وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله))

إذا عبدته فأنت فقيه ورب الكعبة، بلا مرء، بلا مجاملة، بلا مبالغة، إذا عبدت الله عز وجل فأنت فقيه، فإذا أحب الإنسان أن يمتحن نفسه فمن الممكن أن يخالف أمر الله عز وجل، وأن يقصر في ما عليه، ويخل بما في يديه، وتتحرف جواره إلى معصية الله عز وجل، إذا كان عنده استعداد أن يعصي فيجب أن يكون مع نفسه صريحاً جداً، والحقيقة مرة، خاطب نفسك قل: يا فلان لازال بينك وبين الإيمان المنجي مراحل فراح، اجتهد، أنا الذي أعرفه كيف أن العين غالية على الإنسان، سماها الله كريمة،

### ((إذا أخذت من عبيد كريمته))

[الطبراني في الكبير عن العرياض بلفظ: إذا قبضت من عبيد كريمته...]

فأكرم شيء عليك هذه العين، كيف أنت حريص على سلامتها، وحريص على عملها بشكل صحيح، وأدنى ملاحظة، أدنى ضعف، أدنى شعور معين، أدنى ضغط، مباشرة إلى الطبيب، فالمفروض من الإنسان أن يحرص على إيمانه، وعلى قلبه، لأن هذا رأس ماله الوحيد، وهذا زاده إلى الله عز وجل، وهذا ما ينفعه بعد الموت.

البارحة كان عندنا درس خاص، وهذا الدرس فقرة منه فقهية، وكان عن تجهيز الميت، دخل الناس في النزاع، هل نقرأ عليه سورة ياسين، فاضت روحه إلى السماء، نشد لحبيه، نغمض عينيه، كيف نغسله؟ نضعه على الطاولة، مرة عن يمينه، مرة عن شماله، نستتر عورته، ندلكه بماء، يقبله الحي، تفصيلات دقيقة، طريقة التكفين، طريقة التجليس، طريقة الصلاة، الحقيقة شعرت أنا وإخواننا الحاضرون أن الدرس صار له هدف آخر، هذا مصير كل حي، هنا البطولة، مثلما قال ابن دينار: لمثل هذه الساعة كان جهك يا أبا يحيى، فصار أرحمك عقلاً من يعد لهذه الساعة التي لا بد منها لكل صغير وكبير.

أخ البارحة حدثني عن شخص في ريعان الشباب، حوالي أربعين سنة، بأوج نجاحه التجاري، بأوج تألقه، بأوج شبابه، دخل إلى الحمام، انقلب، ومات بلا مقدمة، بلا مشكلة، بلا عرض، بلا أزمة قلبية إطلاقاً، فالإنسان في أي لحظة يمكن أن يغادر الحياة، فالبطولة أن نهىء الموقف الذي يرضي الله عز وجل، يجب أن أعرفه، أنا ألح على معرفته، ومعرفته تبدأ بالتفكير في الكون، وتبدأ بفهم كلام الله، وتبدأ بفهم سنة رسول الله، وتبدأ بفهم سيرة رسول الله، وسير الصحابة، هذا كله يوصل إليه.

### (وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله)

الآن الكثير يحاولون أن يكون لكل مصلحة مقاييس، مع عدادات، يقول لك: مقياس الرطوبة، في مقياس الحموضة بالترية، مقياس ملوحة، مقياس حرارة، مقياس ضجيج، الآن ديسبل، يقول لك: هذا فيه ستون (ديسبل)، مقياس تلوث، مقياس ضغط، ضغط الإنسان اثنا عشر، تقريباً العلوم تتجه إلى اتخاذ مقاييس مقننة، حتى في مقياس للزلازل (رختر)، مقياس للزلازل، ومقياس للحرارة، ومقياس للضغط والرطوبة، والحموضة، كل شيء له مقياس، أليس نحن بحاجة إلى مقياس لإيماننا؟ هذا مقياس أروع مقياس، طبعاً النبي له مقاييس كثيرة، مثلاً: العيادة فوق ناقة، زيارة المريض تقدر بفوق ناقة، يعني بطلب ناقة عشر دقائق، قال النبي عليه الصلاة والسلام: برئ من الكبر من حمل حاجته بيده، ما دام حمل سلة الخضار، ومشى في الطريق فليس متكبراً، حمل جهازاً يصله في الطريق، ما سمح لأحد أن يحمل له الجهاز، ما دام حمل حاجته بيده فليس متكبراً، ما دام أدى زكاة ماله فليس ببخيل، ما دام أكثر من ذكر الله فليس بمنافق، برئ من النفاق من أكثر من ذكر الله، برئ من الكبر من حمل حاجته بيده، برئ من الشح من أدى زكاة ماله، فهناك مقاييس عند رسول الله، لا تسمى فقيهاً، ولا تعرف الله إذا كنت تعصيه، ((وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه))، تضع مقياساً للجهل، أكثر الناس يظنون الجهل أن الإنسان لا يعرف، لا، هذا الذي لا يعرف لا يعرف، أما الجاهل فإنسان عنده معلومات كثيرة، لكن كلها غلط، يحدثك بحديث، ويقول لك، أنا رأيت هكذا، رأيك ما قيمته أمام قول الله عز وجل خالق الكون؟ يقول تعالى:

### ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا﴾

[سورة البقرة: 276]

تقول: أنا رأيت أن تكون النسب معتدلة، لأن الحياة تقوم على تنمية الأموال، من أنت؟

يقولون هذا عندنا غير جائز فمن أنتم حتى يكون لكم عندي

من أنت، حضرتك ؟ كلمة أنا رأيي، إذا رأيت إنساناً يقول: أنا رأيي كذا، وكان رأيه خلاف الشرع فتأكد مليون بالمئة أن هذا إنسان جاهل، ولو كان يحمل أعلى شهادة، ما دام أدلى برأي مخالف لكلام خالق الكون.

أنا مرة كنت أصلح مركبتي، فالمصلح أخذ قطعة من المكبح، ورمها، قلت له: لماذا فعلت هذا ؟ قال: هذه ليس لها لزوم، فقلت: شركة عمرها مئة سنة، فيها خمسة آلاف مهندس، وكل سنة تنمّي خبراتها، والموديل حديث، ثم يأتي إنسان ليس بمتعلم يرمي قطعة من المكبح، ويقول: هذه ليس لها لزوم، ما اقتنعت بكلامه، وتتبع الأمر، كانت مهمة جداً، ولكن تركيبها صعب، من أنت حتى تقول: هذه القطعة ليس لها لزوم، وترمي بها ؟ ما حجمك في العلم ؟ شركة عمرها مئة سنة، وتطور صناعتها بشكل سريع جداً، وهذا الموديل حديث، وتقول: ليس لها لزوم، يوجد استتباط مهم جداً، فلما يقول لك الإنسان: أنا رأيي هكذا، خلاف القرآن، أو خلاف السنة، تستطيع أن تدمغه بالجهل، وأنت مطمئن من دون مناقشة،

((وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب بنفسه))

مطيع تسميه فهيماً، تسميه نكياً، تسميه مفلحاً، تسميه متقوقاً، تسميه فقيهاً، تسميه عالماً، إذا استقام، وإذا قال لك: أنا رأيي هكذا، وكان رأيه خلاف القرآن الكريم فتمسك بختم وتختم عليه بأنه جاهل، وأنت مطمئن، هذا مقياس، كما قال: العيادة فواق ناقة، أعطاك مقياساً، قال له رجل: إذا كان عندي يتيم أضربه، قال: اضربه، أعطاك مقياساً، أفأضربه ؟ قال: مما تضرب منه ولدك، تقدر، تضربه مما تضرب منه والدك، ابنك وجدت معه ليرة، ليست له، أين وجدها ؟ قال: وجدتها في المقعد، أخذتها، وهي لرفيقي، قلت له، قال: لا، لم أقل له، تبقى ساكناً عليه ؟ عمره ست سنوات، يمكن أن تضربه حتى لا يعيدها، فإذا كان عندك يتيم فعل شيئاً تضرب ابنك عليه فاضربه، هذا مقياس دقيق، أنت تنمي مال يتيم، قال تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[النساء: الآية 6]

ما المعروف ؟ الحاجة أو أجر المثل، أيهما أقل، هذا مقياس.

فالآن مركز ثقل درسنا هنا، الآن أنت معك مقياس دقيق، هل أنت فقيه؟ مقياس فقهك طاعتك لله عز وجل،

((وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب بنفسه))

طلع علينا برأي، في اللغة العامية هو (خنفشاري)، طلع برأي، قال: هذا رأيي، هكذا أرى، قل له: من أنت؟ أنت مشرّع؟ أنت أحطت بالعلم كله؟ أين الدليل؟ دائماً حاسب نفسك بهذه الطريقة، بهذا الموقف، خالفت السنة، إذاً أنت جاهل، خالفت السنة معنى هذا أنك لست بفقيه، قلت: رأيي أصوب، لست فقيهاً.

هناك شيء أخطر منه، أنت جاهل، ومعنى جاهل أن معك معلومات غلط، فإذاً من الممكن أن نشبه الإنسان بوعاء، الجاهل وعاءه ملآن، ولكن كله غلط، إذا كان في الخزانة جوارب، ولكن كل واحدة قياس، وكل واحدة لون، ليس فيها جوربان مثل بعضهما، لا تلبس، الخزانة ملآنة، ولكن ملآنة جهلاً، ملآنة معلومات غلط، ملآنة علاقات غلط، ملآنة بأوهام، نحن نريد أن نملاً هذا الوعاء بشيء صحيح، القرآن هو الأصل.

كنت أسير في الطريق، وأخ من إخواننا الكرام الذي يمشي معه له جار يعرفني، الجار استوقفني، قال لي: جاءني خاطب لابنتي، شاب ممتاز، وغني، وحالته المادية جيدة، بيت، ومركبة، ومعمل، قلت: كيف دينه؟ قال: أستاذ دينه رقيق قليلاً، عبر عن قلة دينه أنه رقيق، هو ليس فيه دين إطلاقاً، لكن قال لي: دينه رقيق، قلت له الله عز وجل قال:

﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

[ سورة البقرة: 221 ]

بعد هذا آثروا الغنى، وزوجوه، وحدث الطلاق بينهما، وتزوج كل منهما زوجاً ثانياً، بعد هذا خطفت البنت من قبل شاب أدنى من مستواها بمئة مرة.

هذا الإنسان كيف تحرك في الحياة؟ خلاف القرآن الكريم، البارحة أخ حدثني عن قصة تأثرت بها كثيراً، شاب مهندس في مقتبل حياته خطب فتاة، يبدو أن والدها من أهل اليسار والغنى، فقال له: أنا طالب ابنتك، اسأل عني، سأتي بعد جمعة، قال له: ماذا حدث معكم؟ قال: أنا سألت عنك، فكنت صاحب دين، وأخلاقك عالية، والنبى الكريم يقول:

((إِذَا خَظَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ بَيْنَهُ وَخُلِقَهُ فَرَّوْجُوهُ إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ))

[الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

ولا أقول لك: عندك بيت أو ليس عندك بيت، لا أسألك هذا السؤال، لأنني أنا عندما بدأت لم يكن عندي بيت، لا أقول لك: كم المهر الذي تقدر، فتكتب لها مليوناً، وتعذبها، وتسامحك فيه، كل شيء ممكن، ما أقول لك: ماذا سوف تلبسها، أنا سوف ألبسها، ما أقول لك: أين سوف تسكنها، أسكنها في بيت أنت ترضى به، قلت: والله لو وقف أولياء الأمور هذه المواقف المشرفة لما حدثت عندنا مشكلة، نسيت التفاصيل، هي ثمانية بنود، ولكن في منتهى الذكاء، ومنتهى الحكمة، ما أقول لك: ما نوع الأثاث الذي أنت ستضعه في البيت، أنا أقبل به، هذا لك ولها.

إذا كان الإنسان يمشي على قيم في زواجه، عنده منهج في بيعه، عنده منهج في علاقته بأهله، عنده منهج مع أولاده، ومنهج مع جيرانه، والمؤمن شخصية فذة، يمشي على تعليمات الصانع، فترى في أمره سرّاً.

لماذا كان الشرع؟ الله عز وجل يفرغك له، إذا كنت تريد أن تتحرك من دون شرع فستدخل في مآهات مع الناس، وخصومات، ودعاوى، وبغضاء، وشحناء، وغيبة، ونميمة، ترى كل حياتك مشحونة بالمتاعب، لما تطبق الشرع على كل قضية ترتاح، ليس عندك مشكلة، أنت ما اغتبت أحداً، لا أحد يكرهك، ما كذبت، مكانتك رفيعة، ما نظرت لغير زوجتك، الله يخلق علاقة طيبة بينك وبينها، الابن ربيته تربية صحيحة، لما كبر سرك، ولما فلتته وهو صغير ثم كبر ما سرك، صار عبئاً عليك، صار أكبر مصيبة في البيت، إذا كان متقلنا يرفس، لا تتحملة، أنت أهملته في الصغر فما تحملته في الكبر، كل شيء مدروس، لما تتعلم الدين، تتعلم كيف تعامل الزوجة، كيف تعامل الأولاد، كيف تشتري، كيف تباع، كيف أقضي سهرة، كيف أسر أولادي، تسير على منهج رسول الله ﷺ، كيف أمزح، هناك مزاح يحدث مشكلات في الحياة، وعداوات، وأحقاداً، والنبي كان يمزح، وكان لا يمزح إلا حقاً.

عالم من العلماء عنده تلميذ يبيع الصابون، قال له: أين الصابون؟ قال: ما ثمن الكيلو؟ قال: بخمسة يا سيدي، قال بل ليرة، قال: ما الليرة يا سيدي، والله بخمسة ثمنه، قال: بل بورقة، أليس ملفوفاً بورقة اللوح، داعبه، ما المانع أن يداعب إخوانه، أولاده مزاحاً لا يؤذي أحداً، المزاح يجعل الجو لطيفاً في البيت، في العمل، كثير من أنواع من المزاح النبي عليه الصلاة والسلام أمر بها، وكان يفعلها، تضيء المودة، واشتباك النفوس، فأنت بمزاحك

تمشي على السنة، بغضبك تمشي على السنة، كان صلى الله عليه و سلم يغضب إذا انتهكت حرمت الله، زوجته على الشرفة تنشر الغسيل، لا حول ولا قوة إلا بالله، فقط لا حول ولا قوة إلا بالله، هنا يجب أن تغضب غضباً شديداً، الشرع غالٍ عليك، أما في الأمور الدينية فمتساهل، أما إذا لم يكن الطبخ جاهراً تقيم الدنيا، هذا سلوك عكس السلوك الإيماني.

هذا الحديث:

((قليل الفقه خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، وإنما الناس رجلاً))

هناك آلاف التقسيمات، يقول لك: أبناء الريف، وأبناء المدن، والأذكىاء، والأغبياء، والمنتجون، والمستهلكون، والطبقة البيروقراطية، والطبقة الأرستقراطية، والطبقة الكادحة، آلاف التقسيمات، وهي في الحقيقة قسمان،

((وإنما الناس رجلاً، مؤمن وجاهل))

مؤمن تحبه، لأنه غني متواضع، وسخي، تحبه فقيراً غنياً تجملاً، تحبه من أصحاب الدخل المحدود حكماً في مصروفه، كما هو دخله، تحبه من أصحاب الدخل غير المحدود، يجب أن يخدم الناس، تحبه مثقفاً ثقافة عالية، يسخر علمه في تعريف الناس بالله، تحبه غير متعلم مستسلم، يتلقى كل شيء بالقبول، هذا الجاهل لا يستتكف أن يتعلم، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((وإنما الناس رجلاً، مؤمن وجاهل))

الإيمان يجعل الفقر جميلاً، والغنى جميلاً، الإيمان يجعل المرض مقبولاً، هذا مرض من عند الله عز وجل، هو ساقه إلي لحكمة يريد بها، أنا مستسلم لقضاء الله عز وجل، أتداوى، وأصبر، هذا الذي قال النبي عليه الصلاة والسلام، فعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ، لَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، وَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا))

[ مسلم، أحمد، الدارمي ]

هذا الذي أتمناه على كل أخ كريم، القضية أخطر بكثير من حضور مجلس علم، أخطر بكثير من أن يأتي إلى الجامع، ويعود إلى البيت، هو في بيته بمخالفاته، وأجهزته، وذهابه ومجيئه، الأمر أخطر من ذلك، الذي يريد أن يستفيد من حياته، الذي يريد إذا جاء ملك الموت يشعر أن نفسه من الناجين، من الفائزين، من الفالحين، من المتفوقين يتقيد بشرع الله، الآن في أيام شبابه، في أيام صحته، في أيام حياته، قبل موته يستعد، والاستعداد لهذه الساعة ممنوع، تارة بتلاوة القرآن، تارة بالتفكير في الأكوان، تارة بحضور مجالس العلم، تارة بضبط الجوارح، تارة بإتقان العمل، تارة بنصح المسلمين، هذه كلها أبواب إلى الله عز وجل.

((قليل الفقه خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب بنفسه، وإنما الناس رجالان، مؤمن وجاهل، فلا تؤذ المؤمن، ولا تحاور الجاهل))

الحدث الثالث والأخير، يقول عليه الصلاة والسلام:

((قليل التوفيق خير من كثير العقل، والعقل في أمر الدنيا مضر، والعقل في أمر الدين مسر))

[قيض القدير وقال: رواه ابن عساكر في تاريخه عن أبي الرداء]

هو ذكي، وخبراته واسعة، ومخطط لكل أمر، ومهيئ نفسه، لكن ليس فيه استقامة، إذاً ليس هناك توفيق، تراه يدفع الثمن باهظاً، الله عز وجل يخلق له مشكلة يضيع له كل تعب بها، من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وكان أقرب مما اتقى، أما إذا كان في استقامة كان في توفيق، اسبحوا لي بهذا الكلام أن أقوله لكم، أنتم جميعاً لكم أعمال، شيء في الزراعة، شيء في الصناعة، شيء في الوظيفة، أنا كل خبرتي بهذا الموضوع أخصها بكلمتين: استقيموا ولن تحصوا، كتاجر استقيم، كن صادقاً، لا ترد على كلام السوق كله: إذا ما كذبنا لا نربح، هذه آية أم حديث؟ هذه لا آية ولا حديث، هذا كلام الجهال والفساق، في بالسوق مقولات كلها غلط، كلها أساسها المصلحة، وضيق الأفق، وحب الذات، من أخذ أمي فهو عمي، ما هذا الكلام، ليس له معنى، لئبسته إياها، ما هذه البيعة؟ إذا باع بيعة فيها غش، وفيها عيب، ما ذكره يعدُّ نفسه بالسوق ذكياً.

أنا لي قريب يعمل في تصليح السيارات قال: لي جار جاءه شخص غشيم، معه سيارة جديدة، يظهر أنه غشيم، ومن دول النفط، وغني، وأهمه، وقال له: إن هذه السيارة تحتاج إلى عمل يومين أو ثلاثة، وإياك أن تمشي بها فوراً، يتفاهم الأمر، قال له: أصلحها، قال: نعم، تكلف عشرة آلاف، والقصة قديمة منذ عشر سنوات، قال: أصلحها، وهي في الحقيقة تحتاج إصلاح عشر دقائق، أصلحها المصلح، وأخبر أهله أن هينوا أنفسكم، أخذهم إلى منطقة بلودان أول يوم، ثاني يوم أخذهم إلى نبع الفيحة، ثالث يوم على طريق المطار، هذا جاره شاهده، ما هذا العمل؟ ربع ساعة تقول له ثلاثة أيام، وعشرة آلاف؟! عاتبه، قال له: هكذا العمل، ثالث يوم دخلت في عين ابنه نثرة في المخرطة، حيث يعمل ابنه، أخذه إلى لبنان كلفته العملية ستة عشر ألف ليرة لبناني، لما كان اللبناني بمئة وستين، يعني اثنين وعشرين ألف ليرة، لأنه لا يعرف الله عز وجل، لو عرفه لما تجاوز حدوده هذه القصة قيسوا عليها كل قصة.

إذا كنت تعرف الله لم تتجاوز حدك، تخاف لو كان المشتري طفلاً صغيراً لا تستطيع ان تغشه، الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن.

ذكرت لكم مرة قصة شهيرة هن شخص زارني في البيت، والله قصة لا تصدق، وهو راكب مع صديق في سيارة المطار، قال: في نصف الطريق انحرف انحرفاً مفاجئاً ما فهمت السبب، بعد هذا رأى كلباً واقفاً على طرف الطريق، هذا الكلب أصابه بردٌ في الشتاء، وطرف الطريق دافئ في الشتاء، والذفت في الشتاء أدفئ من التراب، والكلب واقف على طرف الطريق حيز ثلاثين سنتيمتراً، فأحب هذا السائق أن يتسلى فقط، يريد أن يقطع أيدي الكلب، فعبر عن مهارة فائقة، هو ما دهسه، فقط قطع يدي الكلب، قال لي: أنا ما تحملت هذا المنظر، مضى أسبوع، السائق أو هذا الذي كان يسوق السيارة في نفس المكان إحدى العجلات أصابها عطب، فرغ المركبة، وفك البراغي، سحب العجلة، فسقطت السيارة فوق الدولاب، ويده تحت الدولاب، فقطعتا من الرسغ بقدرة قادرة، حتى وصل إلى المستشفى، اسودت يده، السبت الساعة الثانية فعل ذلك في الكلب، السبت الثاني الساعة الثانية كانت يده الاثنتان مقطوعين من الرسغ، هذه قصة واقعية ذكرها لي أخ أعرفه، وهو صادق عندي، وكان راكباً في السيارة، الله عز وجل كبير، إذا عرفته فتأدب مع عباده، مع مخلوقاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِنْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ حُقْفَهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ رَفِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ))

[البخاري ومسلم]

والدليل، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((عَذِبتُ امْرَأَةً فِي هَرَّةٍ حَبَسْتُهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلْتُ فِيهَا النَّارَ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ أَغْلَمُ، لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا، وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ))

[متفق عليه]

العلم ينورك، العلم حارس لك، العلم طريق واضح، أنا لا أعتقد إنساناً يمشي على منهج الله عز وجل إلا ويعيش حياة سليمة، قال تعالى:

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة المائدة: 16]

في بيته سليم، في عمله، مع إخوانه، مع جيرانه، يمشي على الشرع، هذا الحديث: ((وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب بنفسه، وإنما الناس رجالان، مؤمن وجاهل، فلا تؤذ المؤمن، ولا تحاور الجاهل)).

والحديث الثالث:

((قليل التوفيق خير من كثير العقل))

ينشرون الدعايات، ويدفعون مئات الألوف على الدقيقة الواحدة، هذه دعاية ممتازة، وديكور فخم رويًا نصيب بداخل العلب، أما التوفيق فغير هذا، التوفيق أن تستقيم على أمر الله عز وجل، لا تحتاج إلى كل هذه الضجة، ولا هذا الاهتمام، ما دمت في طاعة الله فأنت توفيق، إذا أردت التوفيق فادفع ثمنه، ثمنه الاستقامة على أمر الله، وكل إنسان يعرف بالفطرة الاستقامة، عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، هناك إنسان يغش في الحليب أمام

الزبون، توقف، هات ماء يا بني، زان له نصف كيلو حليياً، ووضع نصف الآخر ماء، هل سمعتم عنها في الأرض يغش الحليب في الغرفة الداخلية، الغش خلاف المنطق، أنت تعرف بالفطرة الحق من الباطل، تعرف ما يجوز وما لا يجوز، ما ينبغي وما لا ينبغي، ما يمكن وما لا يمكن، وتعرف بالفطرة ما يرضي الله،

### ((والعقل في أمر الدنيا مضرّة والعقل في أمر الدين مسرّة))

هذا آخر شيء في الدرس، أنت لما تسلط عقلك على أمور دنياك تتفوق، تركز وضعك، ترى الموت مصيبة، أصعب شيء الموت، أما لما تسلط عقلك على أمور آخرتك ترقى عند الله، وصار الموت عرس المؤمن، الموت بداية السعادة، فالإنسان إذا كان ذكياً لا يسخر ذكاه فقط للدنيا، لما سخر ذكاه للدنيا ترقى دنياه، أما إذا رقيت دنياه وآخرته خربة فعنده ساعة ندم شديدة جداً.

سئل أحد العلماء: لماذا نخاف الموت؟ قال له: القضية سهلة، لأنكم عمرتم الدنيا، وخربتم الآخرة، والإنسان يكره بفطرته أن ينتقل من العمار إلى الخراب، إذا كان الإنسان ساكناً في بيت ستمئة متر، في أرقى أحياء دمشق، فيه كل شيء، انقله إلى بيت خمسين متراً في أحياء دمشق الفقيرة، شيء صعب جداً، النقلة السلبية صعبة، قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾

[سورة الإسراء: 21]

### ((قليل التوفيق خير من كثير العقل والعقل))

شيء من التوفيق أحسن من حركة واسعة جداً من جهد كبير، ومن ذكاء متقد، ومن خطط محكمة، ومن تمهيدات، طالما ليس هناك استقامة، ولا التزام فرينا يؤدب الإنسان، ويتلف له ماله بطريقة أو بأخرى، يؤخره إلى الوراء مئات الخطوات، يقول لك: رجعت إلى الوراء سنتين، تجارة، وبيع، وشراء، وحسابات، وموظفون، وسفر، ليس هناك ربح، يلهمه صفقة خاسرة، يرجع بها إلى الوراء سنتين يأتي إنسان مستقيم ينمو نمواً بطيئاً ومطمئناً، فهذا الكلام أسوقه لكل أصحاب الأعمال بأي مجال، بوظيفة، بتجارة، بزراعة، بصناعة، بأي وظيفة أنت استقم وانظر.

## ((قليل التوفيق خير من كثير العقل))

لأن العقل التدبير، التدبير والإحكام والجهد والوجود الصارخ في السوق، وبث العملاء، وتعيين الوكلاء، والسفر، والاستيراد، والبيع هذه الحركة الضخمة من دون استقامة لا ينتج عنها شيء، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 44]

بحث آخر، نتكلم عن المؤمنين، المؤمن له بحث آخر، نحن درسنا اليوم:

## ((شاب سخي حسن الخلق أحب إلى الله تعالى من شيخ بخيل عابد سيئ الخلق))

مقياس ربنا الأخلاق الفاضلة والسخاء.

والحديث الثاني:

((قليل الفقه خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، وإنما الناس رجالان، مؤمن وجاهل، فلا تؤذ المؤمن، ولا تحاور الجاهل))

والحديث الثالث

((قليل التوفيق خير من كثير العقل، والعقل في أمر الدنيا مضرة، والعقل في أمر الدين مسرة ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (048 - 127) : أحاديث مختلفة بالفتن

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-12-1991

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أيها الإخوة الكرام ؛ أحاديث شريفة تتناول الفتن .

إن أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ . قَالَ : نَعَمْ .

قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ .

قَالَ : نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ .

قُلْتُ : وَمَا دَخْنُهُ .

قَالَ : قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ .

قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ .

قَالَ : نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا .

فَقَالَ : هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا .

قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ .

قَالَ : تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ .

قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ .

قَالَ : فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْضُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ .

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصْبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ ))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصْبَةِ وَيُقَاتِلُ لِلْعَصْبَةِ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي ))

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ : اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِيسَ ، أَتَيْتُكَ لِأَحَدِثَكَ حَدِيثًا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(( مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقِيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بِنِعَّةٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ))

(( قَالَ يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (049 - 127) : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-03-1992

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

وبعد يا أيها الإخوة، عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

**((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))**

[ حديث حسن صحيح في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وفي الجامع الصغير ]

أيها الإخوة الأكارم، كما أتمنى على الله عز وجل أن تكون الأحاديث الشريفة في درس الأحد أحاديث من أركان الدين، الآن نحن أمام تعريف للإيمان من نوع جديد، الشيء إما أن تعرفه بحقيقته، وإما أن تعرفه بآثاره، نقول: يوجد في الأسلاك كهرباء إذا تألقت المصابيح، إيمانك بوجود الكهرباء جاء من آثار الكهرباء، آثارها تألق المصابيح، دوران المحرك، صدح الصوت، فصوت المسجلة دليل وجود طاقة كهربائية، وتألق المصابيح دليل وجود طاقة كهربائية في الأسلاك، إنك إما أن تعرف الكهرباء بحقيقتها، أو بآثارها، النبي عليه الصلاة والسلام عرف الإيمان بآثاره، بطريقة جديدة، قال عليه الصلاة والسلام: ((لا يؤمن أحدكم))، أي: لا يكون مؤمناً، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام نفى عن هذا الرجل الإيمان، هو مؤمن إذا كان كذا، ولا يؤمن إذا كان كذا، معنى هذا حديث خطير، فإذا لم أكن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فليست مؤمناً، أخطر شيء في الطريق إلى الله أن تتوهم أنك وصلت، وأنت لم تصل، أن تتوهم أنك على شيء، وأنت لست على شيء، أن تتوهم أنك تتطوي على إيمان عميق، وأنت في الحقيقة لا تتطوي إلا على إيمان سطحي، فإذا أردت أن تعرف حقيقتك، إذا أردت أن تعرف حقيقة إيمانك هذا الشيء مهم جداً، أنت دائماً إذا شعرت بظاهرة في جسدك ليست طبيعية تحب أن تعرف حقيقة ما في جسدك، يا ترى مرض؟ يا ترى شيء عارض طارئ؟ يا ترى مرض عضال؟ مرض خطير؟ مرض يشفى أو لا يشفى؟ لابد من معرفة حقيقة الشيء؟ أليس الإيمان من أخطر الأشياء في الحياة؟ يا ترى

هذا السؤال الآن: هل أنا مؤمن أم لا؟ النبي عليه الصلاة والسلام أجابك، الإنسان من حين إلى آخر يجب أن يتفحص ذاته؟ أن يتفحص إيمانه؟ أن يقف على حقيقة إيمانه؟ لعله واهم؟ أخطر ما في طريق الإيمان أن تتوهم أنك على شيء؟ وقد تكون لست على شيء؟ توهمك أنك وصلت؟ وأن لم تصل بعد؟ النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف الموجز يقول: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))، ميل قلبك، هل تميل إلى شرع الله؟ هل تميل إلى الاستقامة؟ هل تكتفي بما في السنة، وتكره ما في البدعة؟ هل وسعتك السنة، ولم تستهوك البدعة؟ هل تحب العفة أم لا تحبها؟ هل تحب أن تأخذ مالك، وأن تدع ما ليس لك؟ هل تحب غض البصر كما أمرك الله عز وجل، أم تحب إطلاق البصر؟ هل تحب التعفف أم تحب إطلاق البصر؟ هل تحب التعفف أم تحب التطلع؟ هل تحب التطلع؟ هل يتوافق ليلك مع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام؟ هل هناك انسجام بين ميولك وشرعية ريك؟

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))

أنا الآن سأسألكم: هل لهذا الحديث آية قرآنية تؤكد؟

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))

هل في القرآن الكريم ما يؤيد هذا الحديث؟ قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الفرقان: 43]

هذه الآية جميلة جداً، [اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ]، أنا أقول: لا بد من تطابق الهوى مع شرع الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

[سورة الأحزاب: 36]

الله حكم على هذا الشيء أنه حرام، فأنت راضٍ مرتاح، حكم على هذا الشيء أنه حرام، أدعه، وأنا راضٍ، ما دام ميل النفس يتجه إلى موافقة ما أمر الله، وإلى مخالفة ما نهى الله عنه فهذه حالة طيبة، والحقيقة أيها الإخوة الأكارم، الإنسان على نفسه بصيرة، ولو ألقى معاذيره، فالآية الأولى:

## ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

[ سورة النساء: 65 ]

الإنسان يقول لك: رسول الله انتقل إلى الرفيق الأعلى، فما علاقتي بهذه الآية؟ الجواب سهل: سنته بيننا، إذا اختلفت مع صديق، أو مع جار، أو مع شريك، أو مع إنسان، أو مع زوجة، واحتكمتما إلى سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا قبلت سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ورضيت بها، وأذعنت لها فأنت مؤمن، وإذا رفضتها فلست مؤمناً، النبي في حياته حكمه بين أصحابه، وبعد مماته سنته التي تحكم علاقاتنا فيما بيننا، الآية الأولى التي تؤكد هذا الحديث قوله تعالى:

## ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[ سورة النساء: 65 ]

إذا كنت مرتاحاً لحكم رسول الله فيما أمر، فيما نهى، فيما حرم، فيما أحل، فيما كره، في الذي غضب من أجله، فهذه علامة إيمانك، ويعرف الإيمان اليوم بنتائجه لا بحقيقته.  
ربنا عز وجل بماذا وصف الكفار؟ قال تعالى:

## ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

[ سورة محمد: 9 ]

ترى شخصاً تقول له: هذه حرام، يقول: معك حق، بارك الله بك، والحق معك، ترى شخصاً آخرأ تقول له: الاختلاط حرام، يقول لك: يا أخي من أين خرجت لنا بهذا الدين، ستغرق الأسرة؟ لما ترفض حكم الله عز وجل، لما ترفض توجيهه الله عز وجل، لما ترفض توجيهه الله عز وجل، لما ترفض سنة النبي عليه الصلاة والسلام فهذه بادرة خطيرة، يا أخي هذا ربا، يا أخي لا تدقق، الدين مرن، والعصر تغير، والأمور معقدة، نحن مضطرون، مثل هذه الكلمات دليل رفض ما جاء بهذا الشرع، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾

[ سورة محمد: 9 ]

آية ثانية تبين حقيقة الكفر، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾

[ سورة محمد: 28 ]

المؤمن يحب رضوان الله، ويكره سخطه، والكافر يكره رضوانه، ويحب سخطه، إذاً هذا الحديث على إيجازه حديث كاشف، يكشف لك عن حقيقة إيمانك، ما دامت ميولك ورغائبك تميل مع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وتنفّر من المعصية والانحراف و الكفر فهذه علامة الإيمان، فإذا بلغك أن حكم الله كذا وكذا هل ترتاح نفسك، أم ترى أن هذا فيه خسارة كبيرة لك ؟

حديث آخر من روح هذا الحديث الذي هو محور الدرس، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))

[ متفق عليه ]

يمكن أن تتفحص إيمانك بتفحص ميولك، هل تتطابق ميولك مع شرع ربك، أم تتنافر معه ؟ والآية الكريمة التي هي في هذا المجال دقيقة جداً، هي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

[ سورة التوبة: 24 ]

فسروا لي كيف يكون البيت أحب إلينا من الله ورسوله ؟ وكيف تكون التجارة أحب إلينا من الله ورسوله ؟ وكيف تكون الزوجة أحب إلينا من الله ورسوله ؟ وكيف يكون الأب أحب إلينا من الله ورسوله ؟ وكيف تكون العشيرة من الله ورسوله ؟ من يجيبني ؟ قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[ سورة التوبة: 24 ]

فإذا اختار زوجة فيها رقة من الدين، على جانب من الجمال كبير، اختار جمالها على حساب دينها، وإنسان آخر اختار زوجةً دينها أعظم من جمالها، ففي الحالة الأولى كانت هذه المرأة أحب إليه من الله ورسوله وفي الحالة الثانية كان الله ورسوله أحب إليه من الزوجة التي تروق له ولكن دينها لا يروق له، هذا جواب لطيف أيضاً حينما تحملك محبتك لهؤلاء جميعاً الأب، والابن، والزوجة، والعشيرة، والأموال، والتجارات، والمسكن الجميلة، إذا قدمت هؤلاء جميعاً، أو إذا حملك هؤلاء جميعاً على معصية الله فأنت تحب هؤلاء جميعاً أكثر من الله، وإذا ضحيت ببعض هؤلاء، أو ضحيت برضاء بعض هؤلاء، وآثرت طاعة الله عز وجل فأنت تحب الله ورسوله أكثر.

الصيام دليل على أنك تحب الله ورسوله أكثر من الطعام والشراب، والحج تحب طاعة الله عز وجل أكثر من البقاء في بيتك، ومع أهلك، في متجرك، وفي مكانتك، وفي مجتمعك، الزكاة دليل قطعي على أن الله ورسوله أحب إليك من هذا المال الذي بين يديك، تتفقه رخيصاً، في الآية دقة بالغة:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[ سورة التوبة: 24 ]

حينما تدفعكم محبتكم لهؤلاء على أن تفسقوا فأنتم إذا تحبون هؤلاء أكثر من الله ورسوله، أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام قالوا: يا رسول الله إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه دليلاً، فنزلت هذه الآية دليلاً على حبه الحقيقي.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ))

[ متفق عليه ]

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))

[ حديث حسن صحيح في كتاب الحجّة بإسناد صحيح ]

هذا الحديث الآخر علامة أيضاً على حقيقة الإيمان، بعضهم قال: كل من ادعى محبة الله تعالى، ولم يوافق الله عز وجل في أمره فدعواه باطلة، كلام باطل، العمل هو المحك، وقال بعضهم الآخر: كل محب ليس يخاف الله فهو مغرور، وقال يحيى بن معاذ: " ليس بصادق من ادعى محبة الله، ولم يحفظ حدوده "، وقال أحدهم: المحبة هي الموافقة في جميع الأحوال.

لو قال تيهأ قف على جمر الغضا      لوقفت ممتثلاً ولم أتوقف

كان من يرضى بخدي موطنأ      لوضعتة أرضاً ولم أستكف

الآن هذا شطر الدرس الأول، علامة إيمانك الحقيقي المنجي لك من مهالك الدنيا، وعذاب الآخرة، علامة إيمانك الحقيقي أن يكون هواك، يعني ميولك، رغباتك، حظوظ نفسك موافقةً لشريعة ربك.

الآن سؤال: المعاصي من أين تنشأ؟ لماذا يعصي الإنسان ربه؟ إذا أردناه أن يكون الجواب منسجماً مع هذا الدرس، درس الهوى، أنا حينما يكون هواي متوافقاً مع الشرع، فأنا مؤمن، ومتى أعصي الله عز وجل؟ حينما أنطلق من الهوى، حينما أؤثر الهوى، الهوى، إذا أطلقناه انصرف إلى ماذا؟ إلى الميل نحو الباطل، فلان أخلاقي، الأخلاق إذا أطلقت انصرفت إلى الأخلاق الرضية، فإذا وصفت بقولك: أخلاقه سيئة، فهي سيئة، أما إذا قلنا: فلان أخلاقي، وأطلقنا كلمة الأخلاق فتعني الأخلاق الرضية، الهوى إذا أطلق انصرف إلى الميل نحو الباطل، ونحو الشهوات، ونحو الموبقات، ونحو المخالفات، جميع المعاصي أيها الإخوة أساسها أنك آثرت هواك

على رضا الله عز وجل، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام بماذا وصفه الوحي الذي نزل عليه ؟ لا ينطق عن الهوى، لاحظ نفسك في البيع والشراء، في علاقتك، مع أهلك، مع أولادك، في كل نشاطك اليومي، إما أن تنطق عن الهوى، وإما أن تنطق عن الحق، جاءك مريض، وهذا المريض بإمكانك أن تشير عليه بشيء يكسبك أموالاً طائلة، وهو مستسلم، ووثق من علمك، أنت أيها الطبيب إما أن تنطق عن الهوى، أن ترشده إلى شيء يجلب لك مالاً كثيراً، وإما أن تنطق في الحق بما هو في مصلحته، لاحظ نفسك، لابد من أن تنطق، فإما أن تنطق عن الحق، وإما أن تنطق عن الهوى في كل كلمة تقولها، حتى مع أقرب الناس إليك، حتى في البيع والشراء، حتى في تقييم الأشياء، أحياناً يشتري إنسان حاجة يطلعك عليها، أنت عندك حاجة من نوع آخر، هواك يأمرك أن تبخس هذه الحاجة، وأن تمدح التي عندك حتى تستقر، وترتاح، لكنك تكتشف أن هذه الحاجة جيدة جداً، لماذا تبخسها في عينه، والله جيدة، وأنا أخطأت حينما اخترت هذا النوع، حتى في الأمور العادية جداً، حتى في الأمور التي لا مسؤولية عليها، هناك من ينطق عن الهوى، هناك من يمدح نفسه، يمدح أولاده، يمدح مهنته، يمدح حرفته، ويغفل كل ما عند الآخرين، ينطق عن الهوى، وما أكثر الأمهات اللاتي يقعن في هذا المأزق، ابنتها تتحدث عنها، وعن شطارتها، وعن نظافتها، وعن دقتها، وعن جمالها، وعن... وتغفل كل الأخريات، إنها تنطق عن الهوى.

فالمؤمن من علامة إيمانه أنه ينطق عن الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، يقول الحق ولو كان على نفسه، ولو كان إلى أقرب الناس إليه، ولو كان على ولده، ولو كان على جاره، قل الحق ولو كان مرأً، علامة الإيمان أنك لا تنطق إلا عن الحق، علامة الميل والانحراف والكفر أنك تنطق عن الهوى، دائماً أهل الدنيا يتحدثون بما يوافق مصالحهم، حتى إذا اشترى حاجة، حتى إذا اقتنى شيئاً، دائماً يثني عليه، حتى يريح نفسه أنه اختار أحسن شيء، المؤمن ينطق عن الحق، لا يغش، لا يدلس، لا يبالغ، لا يصغر، التصغير كذب، والمبالغة كذب، المدح الزائد كذب، والذم بلا مبرر كذب، المعاصي جميعها إنما أساسها تفضيل الهوى على طاعة الله عز وجل.

عندنا آية بهذا المعنى ؟ قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

[ سورة الكهف: 28 ]

آية أخرى قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[سورة ص: 25]

لو كنت جائعاً، وأكلت طعاماً حلالاً طيباً وفق السنة فأنت اتبعت الهوى، لكن اتباع هذا الهوى بالحق، لو تشوقت نفسك إلى زوجة صالحة تحصنك فهذا اتباع للهوى، لكنه بالحق، أنت ما طلبت شيئاً غير صحيح، أحياناً الإنسان يميل على الدفء، هو يتبع راحة نفسه، الدفء مباح، يميل إلى البرودة في أيام الحر الشديدة، يميل إلى ثياب تقيه البرد، يميل إلى طعام، وهو جائع، يميل إلى ما أحل الله عز وجل، فاتباع الهوى وفق منهج الله عز وجل لا يسمى اتباعاً للهوى، يسمى تطبيقاً لمنهج الله عز وجل، لكن حينما تتحرف باختيارك إلى شيء لا يرضي الله عز وجل فعندئذ يقال: فلان اتبع هواه، هناك آية دقيقة جداً:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: 50]

لذلك هذا العقل الذي كرمننا الله به إما أن تعمله كما أَرَادَهُ اللهُ، وإما أن تعمله بما لا يرضي الله، إذا سخرته لتبرير أعمالك، انظر، الإنسان تناقشه فيدافع عن وضعه، عن واقعه، إذا كان ماله حراماً يعطيك مبررات أن الشيء صحيح، يستخدم ذكاه وعقله في سبيل تبرير أعماله، مثل هذا الإنسان ساقط، أما المؤمن فيتبع الحق، ولو كان فيه إضرار لمصالحه.

هؤلاء الذين يبتدعون في الدين ما ليس منه ما الذي حملهم على ذلك؟ اتباع الهوى، الهوى أساس البدع، وأساس المعاصي، الأصح من ذلك أنت بين شيئين لا ثالث لهما، إما أن تتبع العقل، أو شرع الله عز وجل، وكلاهما واحد، العقل المطلق يتطابق تماماً مع شرع الله عز وجل، إما أن تتبع عقلك الراجح، أو شرع ربك الحكيم، وكلاهما واحد، أو فطرتك السليمة، أو معطيات الواقع النزيه الواقع، والفطرة، والعقل، والنقل واحد، وإما أن تتبع الشهوة، أنت بين أن تتبع الهوى، وبين أن تتبع الحق، حق وباطل، خير وشر، صالح وطالح، يجوز ولا يجوز، يرضي الله ولا يرضي الله، يقرب من الله، ويبعد من الله عز وجل.

قال بعض العلماء: يجب أن تحب ما أحب الله، ويجب أن تكره ما كره الله ن الحب والكرهية عمل إرادي ؟ أعطني هذا القلم، خذ هذا الدفتر، اذهب من هذا المكان، اجلس على هذا المقعد، كله ممكن، أعمال إرادية، تعال إلى هنا، أحب فلاناً، كيف يأمر الإنسان بالحب والبغض ؟ إذا أمرت أن تحب كيف تحب بالأمر ؟ باتباع الأمر، يطبقه، وهو لا يحب هذا الأمر، الأمر أن تحب ما نزل الله، أن تحب أمر الله، أن تحب الحق، إذا طبقت منهج الله عز وجل بعد حين تتوافق رغباتك مع الشرع.

في الدراسة قل لطالب: أحب الفيزياء، يقول لك: لا أحبها، أنت افهمها بعمق، ودرسها بتؤدة، وتعلمها على يد عالم، وانظر إلى كل هذه الحقائق بالمخبر، وطبقت كل التجارب بالمخبر تحبها، عندئذ أنت إذا طبقت التعليمات، فتصبح محباً لشرع الله عز وجل، أنت حينما تغض بصرك عن محارم الله، وحينما تحرر دخلك من الشبهات، وحينما تؤدي الصلوات، وحينما تتلو القرآن الكريم عندئذ ترتاح نفسك، فإذا ارتاحت نفسك أصبحت مطمئنة لأمر الله، منتهية عن نهيه.

لذلك عَنْ أَبِي أَمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ:

((قَالَ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنْعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ))

[أبو داود]

حينما تكون أهواؤك متوافقة مع شرع الله عز وجل فقد استكملت الإيمان،

((قَالَ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنْعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ))

الآية الكريمة:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة النازعات: 40-41]

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ))

[ متفق عليه ]

هذه بشارة، يعني إذا كنت محباً لأهل الحق، إذا كنت محباً للمؤمنين الصادقين فأنت مؤمن، لا يحب المؤمن إلا مؤمن،

((كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا، وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ))

الآن عندنا نقطة، وهي أن الهوى إذا أطلقناه كما قلت قبل قليل ينصرف إلى الانحراف عن الحق، لكن هناك معنى آخر من معاني الهوى، وهو أن تحب الله عز وجل، هذا الهوى الشريف، هذا الهوى المقدس، مثل هذا الهوى وسام شرف تعلقه على صدرك، إذا كان قلبك ممتلئاً بحب الله عز وجل، فهذا الهوى المحمود الذي أمرنا به، وجاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

((كَانَتْ حَوْلَهُ بِنْتُ حَكِيمٍ مِنَ اللَّائِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَمَا تَسْتَحِي الْمَرْأَةَ أَنْ تَهَبَ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ؟ فَلَمَّا نَزَلَتْ: [أُتْرَجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ] قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكِ))

[ متفق عليه ]

أي هوى هذا، هواه كان مقدساً، هواه كان نقياً، كان علوياً، لما ربنا عز وجل قال:

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾

[ سورة النجم: 7 ]

آفاق المؤمن عالية جداً، لما ربنا عز وجل أنزل:

((فَلَمَّا نَزَلَتْ: [تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ] قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ))

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به))

[ حديث حسن صحيح في كتاب الحجة بإسناد صحيح ]

هنا كيف عرف النبي الإيمان؟ بآثاره، من آثار الإيمان أن يكون هواك تبعاً لما جاء به النبي، المعاصي كلها تنطلق من إثارة الهوى، البدع كلها تنطلق من إثارة الهوى، المراتب الإيمانية العليا تنطلق من إثارة طاعة الله على الهوى، قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[ سورة النازعات: 40-41 ]

الآن قد يسأل سائل: ما هذه الحياة؟ يا رب كلها مدافعة وصراع، لماذا لم يجعل هوانا وفق الشرع؟ لو أنه جبلنا على أن نكره كل معصية؟ الجواب: لا نرقى عند الله، ولا نستحق الجنة إلى الأبد إلا إذا جاء التكليف مخالفاً لهوى النفس، فحينما تؤثر مرضاة الله عز وجل على هوى نفسك فقد ارتقيت، ولكن بعد حين يصبح هوى نفسك مطابقاً للشرع، المجاهدة في الأول، لذلك قال تعالى:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾

[ سورة البقرة: 45 ]

الصبر مرحلة أولى، ولكن بعدما ترتقي نفسك يصبح الهوى موافقاً للشرع، لذلك ترى المؤمنين الصادقين المتفوقين الذي لهم قدم سابقة بالإيمان لا يشعرون بحرج في استقامتهم، استقامتهم مريحة، هم مع الحق، جبلتهم أصبحت عالية، مشاعرهم نبيلة، مواقفهم أخلاقية، من دون مجاهدة، من دون معاكسة، من دون صراع، هذه المرحلة المريحة دفع ثمنها باهظاً، دفع ثمنها من قبل صراعاً مع النفس، ومؤثرة لمرضاة الله عز وجل، وبعداً عن الهوى،

واتباعاً للحق، الإنسان مع تقدمه في طريق الإيمان تصبح أهواؤه موافقة لشرع ربه، هذا الدرس مقياس مشعر، أحيانا ترى مع إنسان ميزان حرارة، هذا يعرف بالضبط متى ترتفع حرارته، والآن أصبح معه تحليل، معه أوراق للتحليل لا يحتاج إلى محلل، هذا الحديث أصبح مقياساً، علامة إيمانك أن تتوافق أهواؤك مع شرع ربك. بالمناسبة، كلمة حق في أول طريق الإيمان، لو فرضنا أنك كنت مدمناً على سماع الغناء، وسمعت أن الغناء حرام فتركته، لو أنك ركبت مركبة، وفيها غناء كالذي تحبه من قبل، ونفسك مالت إلى هذا الغناء فأنت لا تؤاخذ، لأنك ما استمعت إليه، السماع شيء، والاستماع شيء آخر، وإذا كان لك أصدقاء، ولهم رحلات، وأمسيات فيها مزاح رخيص، وأنت حديث عهد بالإيمان، وتاقت نفسك إلى هذه المجالس فهذا شيء طبيعي جداً في أول الإيمان، لكن بعد أن ترسخ قدمك في الإيمان، بعد حين لا تستطيع أن تفعل ما كنت تصبو إليه، لذلك المؤمن الصادق يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، في البدايات يمكن أن تطرب لأغنية تسمعها قبل التوبة، لكن بعد أن تتفوق في الإيمان تصبح هذه الأغنية التي كانت محببة إليك مصدر إزعاج لك، أصبحت تتغنى بكتاب الله، فهذه ملاحظة، الواحد منا من لم يكن في زيادة فهو في نقصان، يلاحظ نفسه، يتطور، تسمو مشاعره، هل يشعر أنه من حين إلى آخر ارتقت أحاسيسه، ارتقت رغباته، ميوله مقدسة أم يحن لزمان الجاهلية؟ يرغب أن يعود كما كان من دون مبالغة، في البدايات يمكن أن تتأثر بالماضي، لكن بعد أن ترسخ القدم في الإيمان ينبغي أن ينطبق عليك قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ))

هذا الحديث إذا كتبتموه، وحفظتموه، وكان مقياساً لكم في تعاملكم مع ربكم، وفي كشف حقيقة إيمانكم، وفي حفركم إلى مستويات أعلى من الإيمان، هذا الحديث يمكن أن يكون مشعراً، وكاشفاً لإيمان المؤمنين.

والآن إلى شيء من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، يا ترى النبي عليه الصلاة والسلام ما دام كان مريباً، كان سيد المرين، وكان إمام المعلمين، والتربية تقتضي المعاتبة، تقتضي التأديب، تقتضي المخاصمة، تقتضي النصح والتوجيه والإرشاد والعتاب، فكيف كانت سنة النبي عليه الصلاة والسلام في تأديب أصحابه ومعاتبتهم؟

أولاً النبي عليه الصلاة والسلام استعمل أشياء كثيرة، استخدم الإشارة والعبارة والمخاصمة والإعراض والهجر والترك، واستخدم معالم وجهه الشريف، التي كانت معبرة عن رضاه أو عن غضبه، وكان أصحابه في أعلى مستوى من الذكاء والفهم، فكانوا إذا رأوا وجه النبي عليه الصلاة والسلام تغير تركوا ما هم فيه إرضاء للنبي، من

ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمرو قال:

((رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ تَوْبِينَ مُعْضَفَرَيْنِ فَقَالَ: أُمَّكَ أَمَرْتِكَ بِهَذَا ؟ قُلْتُ: أَعْسَلُهُمَا، قَالَ: بَلْ أَحْرَقَهُمَا ))

[ مسلم، النسائي، أحمد ]

كلكم يعلم أن السنة المطهرة تنهى عن لبستين، لبسة مشهورة، ولبسة مهجورة، المبالغة بالتزين، متابعة أحدث أنواع الأزياء هذه نهى عنها النبي عليه الصلاة والسلام، لأنها ضعف في عقل الإنسان، وأن تلبس ثياباً مهجورة هذا أيضاً نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام

((رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ تَوْبِينَ مُعْضَفَرَيْنِ ))

يعني مزركشين مزينين، وكان هذا منهيًا، فعن عبد الله بن عمرو قال:

((رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ تَوْبِينَ مُعْضَفَرَيْنِ فَقَالَ: أُمَّكَ أَمَرْتِكَ بِهَذَا ؟ قُلْتُ: أَعْسَلُهُمَا، قَالَ: بَلْ أَحْرَقَهُمَا ))

[ مسلم، النسائي، أحمد ]

اكتفى هذا الصحابي الجليل بهذا العتاب الرقيق، ولما رجع إلى بيته ما كان إلا أن أحرق هاذين التوبين إرضاءً للنبي، وتطبيقاً للسنة، فالمبالغة في ارتداء الثياب الغالية جداً، والمباهاة أمام الآخرين هذا ليس من السنة، النظافة مطلوبة، والأناقة مطلوبة، والثياب الجميلة مطلوبة، لكن كل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده.

النبي عليه الصلاة والسلام في بعض المرات كان عتابه شديداً، فعن أبي بكر أنه جاء والنبي صلى الله عليه وسلم راکع فسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت نعل أبي بكر، وهو يحضر، يريد أن يدرك الركعة، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ السَّاعِي ؟ قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: أَنَا، قَالَ: زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدَّ))

[ البخاري ]

عندنا قاعدة، إذا أردت أن تعاتب إنساناً فذكره بخصاله الحميدة، ثم بين له بعض خصاله التي أنت بصددها معالجتها.

سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه صلى يوماً في مسجد قومه إماماً، فأطال الصلاة جداً، وكان في المصلين ذو حاجة، هذا المصلي في حاجة ماسة جداً، قطع صلاته، وانصرف، فلما علم معاذ رضي الله عنه قال عن هذا الذي قطع الصلاة وانصرف: إنه منافق، كلمة منافق كبيرة جداً، أكبر تهمة، كيف نحن في المجتمع المدني نقول: خيانة عظمى، شيء كبير جداً، فسيدنا معاذ وصف هذا الذي قطع الصلاة، وخرج منها قال: إنه منافق، ما كان من هذا الرجل إلا أن جاء النبي عليه الصلاة والسلام، وهو في قلق وانزعاج واضطراب يشكو معاذاً في تطويل الصلاة، وفي اتهامه له بالنفاق، فعاتب النبي معاذاً عتاباً شديداً ماذا قال له؟ فَعَنَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَوْمُ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ، فَأَمَّهُمْ، فَأَفْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَاِنْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ، وَأَنْصَرَفَ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْأَقْتُ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا تَيِّبَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَاخْبِرْنَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحٍ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَأَفْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ:

((يا معاذُ، أَفْتَانُ أَنْتَ؟ أَفْرَأُ بِكَذَا، وَأَفْرَأُ بِكَذَا... أَفْرَأُ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى))

[متفق عليه]

النبي عليه الصلاة والسلام كان من سنته المطهرة أنه يصلي الفجر بالسور الطويلة صفحتين، ثلاثاً، أربعاً، مرة في صلاة الفجر سمع بكاء طفل صغير، وكان هذا الطفل الصغير ينادي أمه ببكائه، فتروي السيرة أنه قرأ أقصر آية، وأنهى صلاته على عجل رحمةً بهذه الأم التي كانت تصلي خلفه.

أَفْتَانُ أَنْتَ؟ عادها ثلاثاً، قال العلماء عن هذا العتاب الشديد: كان جبراً لخاطر هذا الذي اتهم بالنفاق، أخذ موقف صلى الله عليه.

أحد أصحابه أيضاً نشأت خصومة مع صاحب آخر، فالصاحب التي نشأت معه الخصومة عبد أسود، فما كان من هذا الصحابي إلا أن عيره بلونه في ساعة غضب، فشكاه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، النبي ماذا قال له؟ قال: إنك امرؤ فيك جاهلية، وغضب النبي غضباً شديداً ما كان من هذا الصحابي إلا أن وضع رأسه على الأرض، وأمر بلالاً أن يدوس على رأسه، لعل الله يغفر له.

إذا وجهت لإنسان تهمةً خطيرة، وهو منها بريء، النبي عليه الصلاة والسلام كان يعاتب من أجل هذا عتاباً شديداً.

والهجر استخدمه النبي كأسلوب تربوي لمعالجة أصحابه، كان عليه الصلاة والسلام إذا تألم من رجل أعرض عنه، وإذا زاد تألمه منه هجره، فلعل في هذا الهجران تأديباً له، الثلاثة الذين خلفوا تعلمون قصتهم، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾

[سورة التوبة: 118]

نحن في درس الأحد نتتبع أساليب النبي عليه الصلاة والسلام في معاملة أصحابه، وفي معاملة أزواجه، وفي معاملة إخوانه، وفي معاملة جيرانه، بأنه أخذ الموقف الأكمل والأصح، فإذا اقتدينا به فقد حصلنا على ثواب الدنيا والآخرة.

كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا اطلع على أحد من أهل بيته يكذب لا يزال معرضاً عنه حتى يحدث توبة، كان النبي يتألم جداً من الكذب، فكان يعاتب عليه.

أحياناً الإنسان يقول لك: لا دخل لي، ولكن لما يكون ثمة محبة وعطف واهتمام بالآخرين تعاتب، وتنصح، وتبين، وتذكر، وتلفت النظر، قد يكون أخوك غافلاً، فعل شيئاً لا يرضي الله.

مرة أنا في نزهة، أخ كريم غالٍ علي حدثنا عن زوجته، وعن طبخها، وعن نظافتها، وعن أنافتها، وسماها باسمها، هذا مخالف للسنة، ليس من السنة أن تتحدث عن زوجتك، إن كانت جيدة هي لك، لكن ليس هناك حكمة في أن تلفت نظر الناس إلى أهل بيتك، فإذا سكت معنى هذا أن عمله صحيح، لا بد من أن تنصح، يا أخي هذا لا يجوز، حتى الله عز وجل قال:

## ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾

[سورة القصص: 29]

في القرآن ما ذكر اسم امرأة، أما هذا فيقول: فلانة زوجته، كل كلمتين يقول: فلانة، و الأرقى أم فلان، الأكمل أهلي، ليس من السنة أن تلفت النظر إلى زوجتك، وإلى بناتك، هذا الأكمل.

في بعض عقود القران بطاقة الدعوة، إلى كريمة فلان، أحيانا الاسم يلفت النظر، لأن الله عز وجل ما ذكر اسم امرأة في القرآن إطلاقاً، إلا امرأة واحدة هي السيدة مريم، لأنهم قالوا: المسيح ابن الله، فقال الله المسيح ابن مريم، فقط، ليس في القرآن كله اسم امرأة، هذا من الأدب، وأنت حينما تكون صادقاً مع الناس مخلصاً لهم الله تطلع إخوانك على بعض السنة المطهرة، وقد يكون أخوك نسيها وانحرف.

مرة كان عندي أشخاص زاروني، عم، وصهر، الصهر تحدث عن العلاقة مع الزوجة، والقضية الشرعية، أيضاً ليس من السنة أن يتحدث الزوج أمام عمه، أمام والد زوجته، ولا أمام إخوته عن كل ما من شأنه أن يكون بين الزوجين، هكذا الأدب، لأن الأب يتصور ابنته، والأخ يتصور أخته.

أحيانا نظرة غير مناسبة، مرة قدمت ورقة للتبرع، واحد كتب، والثاني نظر إلى ما كتب، هذه النظرة مزعجة، تنتظر إلى دفتر إنسان من غير إذنه، يكتب قضية، تنتظر ماذا يكتب، هذا ليس من الأدب، ونحن كلما طبقنا أدب النبي عليه الصلاة والسلام ارتفعنا وتأدبنا، المؤمن كامل، فالحكمة تقتضي أن تتصح أخاك، الذي يعلم عليه أن يُعلم من لم يعلم، لكن لما تتصح أمام الناس فهذه فضيحة، أما إذا نصحته فيما بينك وبينه فهذه نصيحة، النصيحة بأدب وباحترام، أنت يا أخي أعلم علم اليقين أنك مؤمن، وأن هذا لو كنت تعلمه لما فعلته، لكنه مخالف للسنة.

يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: " لا أصرم أخواً قبل أعاتبه "، العتاب ولفت النظر والنصح والإرشاد، أحيانا بكلمة، بجملة، بقصة، يمكن أن تلقي عليه قصة، تتصح من خلالها، وهو لا يدري، هذه حكمة بالغة، ومن ألطف أساليب النصيحة، فلان حدثني عن قصة وقعت معه، هو وقع فيما يشبهها، عندئذ ينتبه، كلكم يعلم لما سيدنا الحسن والحسين تناقشا أمام متوضئ أخطأ في وضوئه، قالوا: يا عم احكم بيننا، فلما توضئ أمامه، قال: أنا أسأت الوضوء.

مرة حدثني معلم بعث إلى طلابه سؤالاً، الأولياء كل أسبوع كيف صلاته في البيت، الأب لا يصلي، يجب أن يجيب كثيراً من الآباء، فصلوا خجلاً، الأب مكلف أن يجيب معلم الصف عن صلاة ابنه، أتصلي يا بني؟ والأب لا يصلي، فقال بعضهم: والله صليت خجلاً، حينما أكتب على استمارة ولدي أنه يصلي أم لا يصلي، وأنا لا أصلي، فهناك أساليب في الدعوة لطيفة جداً، ذكية جداً، ليس في الإسلام عنف وإحراج وتحمير وجوه، لا، ممكن أن توجهه له توجيهًا لطيفًا.

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ:

((إِنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: ائْذَنْ، فَذَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَنْحِبُهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفْتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفْتُحِبُّهُ لِأَخَوَاتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ، لِعِمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفْتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))

[ أحمد ]

يمكن أن تتصح نصيحة لطيفة، ونحن على كل يجب أن نتعلم من النبي عليه الصلاة والسلام كيف كان يؤدب أصحابه.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (050 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بـ ما....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-03-1992

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

أيها الإخوة الأكارم: دين الله عز وجل في الأصل دين واضح، ودين عملي، ودين ينسجم مع الفطرة، ودين لا تعقيد فيه، لكن المسلمين في العصور المتأخرة أدخلوا فيه علم الكلام، وأدخلوا فيه الفلسفة، وأدخلوا فيه بعض النظريات، حتى غدا الدين بين أيديهم مسائل معقدة، وألغازاً وأحاجي، الأمر الذي جعل منال هذا الدين صعباً في نظر الناس، فلذلك أي إنسان يُعقد هذا الدين على الناس، و يجعله في أماكن لا ينالها الإنسان فمثل هذا الإنسان يبعد الناس عن طريق الله عز وجل، هذا الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد ذلك، أليس هذا الكون دالاً على عظمة الله ؟ هذا الكون وحده يمكن أن تفهم ما وراءه بأية لغة، الله موجود و هو واحد، و هو كامل، هذا الإله العظيم أيعقل أن يدع القوم معطلين من الأمر و النهي، لابد لهم من توجيهات، تعليمات، من رسالة إلى البشر، هذا القرآن فيه إعجاز، فيه أمر و فيه نهي، و النبي الكريم فصل هذه الأوامر، و القرآن أصل و السنة تبيين، فنحن عندما نؤمن بالله من خلال الكون، و نؤمن بالكتاب من خلال إعجازه، و نؤمن بالنبي من خلال القرآن، يوجد عندنا كون نتعرف إلى الله من خلاله، وعندك قرآن تأخذ منه الآيات المحكمات، والآيات التي تحتاج

إلى تبيان تأخذها من النبي عليه الصلاة والسلام، أما أن ندخل علم الأولين والآخرين و أن ندخل فلسفة الإغريق، و أن ندخل مصطلحات معقدة و تعريفات مبهمه فقال: هذا الجدل من صفات أهل الضلال، عَن أَبِي أَمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ))

[ ابن ماجه، الترمذي ]

يوجد شخص يوصف بأنه عملي، و المسلم عملي، أنت عندما تستقيم تحس بسعادة، حينما تتفق من مالك تحس بسعادة، حينما تصلي، و أنت على طهارة فأنت على استقامة، و أنت على توبة، تشعر بالقرب، هذا هو الدين، الدين معرفة بالله عز وجل، و معرفة بأمره و استقامة على أمره، و عمل صالح، و طلب العلم، أما حينما يجعل الدين معادلات صعبة و متاهات فكرية، و مصطلحات معقدة، و جدل عقيم عندئذ معنى ذلك أننا خرجنا عن خطه الطبيعي، هذه كلمة احفظوها الدين في الأصل سهل، وواضح، و بسيط، و عملي، و له علاقة بالفطرة، ألم يقل أحد العلماء قال: الشريعة رحمة كلها، مصلحة كلها، الشريعة عدالة كلها، الشريعة رحمة كلها، مصلحة كلها، أية قضية خرجت من المصلحة إلى خلافها، من الرحمة إلى القسوة، من العدل إلى الجور، فليست هذه القضية من الدين، و لو أدخلت عليها بألف تأويل، و تأويل، هذا هو، هذا الحديث أنا أذكره كثيراً، لأنني أتفاعل معه،

((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ))

هذا النفس الطويل، هذه المناقشات الفارغة، تجد يستمع إلى خطبة تهز الصخر يقول لك: ثلاث درجات السنة، هؤلاء سبعة، فقط هذه هي المشكلة ؟ الآن مشكلات المسلمين فقط بكم درجة المنبر، لا يوجد عندنا مشكلة ثانية أبداً ؟ الأمور كلها منتظمة، يقيم النكير لدرجة زائدة، أخي و الله المنبر لم نستطع أن نغيره، أحببنا أن نزيل التاج الذي له فمنعونا، تجد يضع اللوم كله لأن المنبر خمس درجات، أو سبع درجات، هذا الدين ؟ فلما يغيب عن الإنسان جوهر الدين، يغيب عن حقيقته، و هي معرفة الله عز وجل، يغيب عن أعظم عمل يفعله، و هو طاعة الله عز وجل، عندما يغيب عن أساسيات الدين تجده تعلق بالفروع و الثانويات، و الأشياء التي لا تقدم و لا تؤخر.

((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ))

نحن عندنا قاعدة أنا أحبها كثيراً قاعدة التدخل الإيجابي، أي هذه القاعدة معروفة، نحن عندنا مثلاً سوق فيه باعة غشاشين أسعارهم غالية جداً، بضاعتهم سيئة، أساليبهم خداعة في البيع و الشراء، أنا عندي طريقة، إما أن أرسل لهم رجال التموين، و أن أضبطهم بالغش، و أن أودعهم في السجن، هذا اسمه أسلوب القمع، يوجد أسلوب آخر أن أفتح محلاً تجارياً، وأبيع به أطيب البضائع مع أرخص الأسعار، مع أطيب المعاملات، فإذا الناس جميعاً ينساقون إلى هذا المحل التجاري، هذا اسمه الأسلوب التدخل الإيجابي، فإذا أنت لك خصم يحمل فكرة معينة، و لا يناقشك، و لا يقدم لك حججه و براهينه، و قلبه حي للمناقشة، و يريد أن يقيم عليك الحجة أنت أره ورعك و استقامتك، اظهر بمظهر إيجابي، عرفه بالله عز وجل، أنت أعط لا تستنفذ جهدك بالخصومات، والمشاحنات و القيل و القال، و كثرة السؤال، هذا نشاط يستهلك طاقتك، أنا أبعد الناس عن المناقشة، و عن الحوار التشنجي، و عن محاولة إقناع الخصوم و محاولة إظهار ما أحمله من أفكار على أنها هي القمة، هذا طريق مسدود، إذا أردت أن تقنع الناس بفكرة فاسلك أي طريق إلا الحوار و المناقشة، الحوار و المناقشة يزداد كل طرف تشبثاً بأفكاره، تنشأ خصومات، تضم الكرامة إلى الأفكار فهو يلح عليه، و يصر عليها، لا لأنه قانع بها، بل لأنه يريد أن يثبت لخصمه أنه على حق، أنا أرى بكم، و أتمنى عليكم أن تبتعدوا عن الحوار، و المناقشات، و السؤال، و الاستفزات، و الامتحان، سأتيه بسؤال لامتحان علمه، و سأتيه بسؤال لأكشفه على حقيقته، دعك من هذا، و ادعُ الناس إلى الله عز وجل، بين لهم عظمة الله عز وجل، بين لهم آياته، بين لهم قرآنه، بين لهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام، بين لهم مواقف للصحابة مشرفة، أعط قبل أن تأخذ، قبل أن تماحك، قبل أن تناقش، قبل أن تجادل، أعط شيئاً إيجابياً، لذلك أسلوب التدخل الإيجابي و ما فتت قوى المسلمين، ولا أضعف مكانتهم، ولا فتت في عضدهم إلا خصوماتهم فيما بيته:

و كل يدعي وصلاً بليلى و ليلى لا تكن لهم بذاك

((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ))

نحن أسلوبنا في الدعوة إلى الله مكان الجدل، أحياناً يقول لي أخ هذا الموضوع لم تشر له بالقرآن ؟ أقول له: هناك فرقة ضالة عاشت قبل ألف عام، وانقرضت، ولها رأي بهذه الآية، أنا معقول أن أصدر لإخواني مشكلة ثم ابحث عن حلها، هم في غنى عنها في الأصل هذه المشكلة، هم في غنى عنها كلياً، أنا أحضر مشكلة أوضحها، أطرحها، ثم أريد أن أزيلها من أذهان إخواني ؟ يجب أن تكون عملياً، أعطهم الشيء الصحيح، الشيء الواضح، الشيء المتفق عليه، الشيء الذي لا يختلف عليه اثنان، ابق في دائرة المتفق عليه، إذا كنت إنساناً موفقاً في عملك تطرح موضوعات متفق عليه دائماً، لا أحد يعارضها، الإسلام فيه مناطق مشتركة، من يستطيع أن يقول لك كلمة لو عرفت الناس بالله من خلال الكون، حدثهم عن آيات الله في السماء، و الأرض، و الشمس، و القمر، و الماء، و الهواء، و الطعام، و الشراب، حدثهم عن كلام الله عز وجل وفق اللغة العربية، اشرحه لهم، فأنا الذي أتمنى عليكم أن كل قضية خلافية تثير المشكلة، تثير حساسية، تثير تشنج، تثير استقزاز دعك منها، العمر أثنم بكثير، أعط ما عندك من خير و دع ما تختلف به مع الآخرين، أعط ما عندك من إيجابيات، أعط ما عندك من خيارات، أي تدخل مع الآخرين تدخلاً إيجابياً لا تدخلاً سلبياً،

((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ))

الجدل أي الحوار المسدود، مرة أب له ابن درس فلسفة بفرنسا، و جاء إلى البلد، فعملوا طعاماً كان الطعام دجاجاً، فيوجد دجاجتان على الطاولة، فهذا الابن أراد أن يتلطف قال له: أنا يا أبت بإمكانني أن أقنعك أن هاتين الدجاجتين هم ثلاث بالدليل والحجة، قال له: لا تقنعني، أنا سأكل واحدة، ولتأكل أمك واحدة، ولتأكل أنت الثالثة، وانتهى الأمر، لا تريد مناقشة، أنا سأكل واحدة، ولتأكل أمك واحدة، وكل أنت الثالثة، وأنا قانع بأنها ثلاثة،

((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ))

أنا و الله أشعر أنني في غنى عن أية مباحكة وعن أي حوار، هذا الوقت ثمين، صل ركعتين، اقرأ صفحتين من كتاب الله، اعمل عملاً صالحاً، الإنسان متى يتألق ؟ إذا عمل عملاً صالحاً، أعان ضعيفاً، ساعد يتيماً، رعى أرملة، خدم والديه، أتقن عمله، يتألق، ابحث عن الشيء الذي تتألق به، و دعك من كل شيء يستنفذ طاقتك و جهدك و وقتك بلا طائل، ألم تسمع هذا العالم الجليل الذي ترك أكثر من مئة مؤلف، وتوفاه الله عز وجل، و رؤي في المنام فسئل: يا سيدي ما فعل الله بك ؟ فقال كلمة قال: ذهبت تلك الإشارات و، اندثرت تلك الصفحات،

و لم يبق إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل، أنت لك صلة بالله ؟ هذا الدين، الدين اتصال، هل وصلت إلى الله ؟ هل تأنس بالله ؟ إذا أوحشك الله من خلقه فليفتح لك باب الأنس به.

العطاء من الخلق حرمان، و ربما كان الحرمان من الله إحسان، إذا فتح عليك باب الفهم في المنع عاد المنع باب العطاء، ربما أعطاك فمنعك، ربما منعك فأعطاك، أنت وصلت إلى معرفة الله لدرجة أنك تتلقى الشيء المكروه و كأنه طيب، رأيت يد الله تعمل في الخفاء، رأيت أن الأمر كله بيد الله، رأيت كمال الله عز وجل، رأيت عدالته، رأيت حكمته، أنست بقربه، هذا هو الدين، قال له بعني شاة ؟ قال له: ليست لي، تعرفون القصة، هذا البدوي الذي قال: و الله إنني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها و لو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإني عنده صادق أمين و لكن أين الله ؟ و الله ركعتان من ورع يا إخوان . نحن في رمضان . خير من ألف ركعة من مخطئ، علم قليل مع استقامة كثيرة خير ألف مرة من علم غزير مع استقامة قليلة، لأن ضعف الاستقامة والوقوع في الشبهات والمحرمات والمخالفات كلها حجب كثيفة، و يغدو العلم ثقافة مكررة، لا تؤثر لا في صاحبها، ولا في غيره، هذا الحديث أتمنى عليكم أن تبتعدوا عن أية مناقشة، عن أية مباحكة، عن أي جدل رخيص، عن أي استفاد للوقت و الجهد، عن أي خصومة فكرية، أنت عليك أن تبين، عليك أن تكون إيجابياً فيما تحمل، اعرض بضاعتك عرضاً جيداً، ولا تنس أن تبقي في المتفق عليه، المتفق عليه مريح، المتفق عليه هذا الكون الدال على الله، المتفق عليه هذا الكتاب الذي ينبغي أن نفهمه وفق ما أراده الله، المتفق عليه الأحاديث الصحيحة التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ما سوى ذلك نقيمه في ضوء الكتاب و السنة.

الحديث الثاني: يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ما عظمت نعمة الله على عبد إلا اشتدت عليه مؤنة الناس))

أتاك الله علماً الله الناس يسألونك، أتاك المال الله الناس يطلبون منك، أتاك جاهاً الناس يتوسطون لك، يطرق الباب كثيراً الله قد لا ترتاح الله لكن هذه نعمة كبرى ساقها الله إليك، و لو شاء الله لكان عكس ذلك، لأوقفك على باب الآخرين فلذلك:

(( ما عظمت نعمة الله على عبد إلا اشتدت عليه مؤنة الناس))

فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال، يجب أن تحتمل لأن الدنيا ليست للسرور، الدنيا للعمل، طبيعة الدراسة أساسها بذل الجهد، و لكن لا أحد سمع أنه يجب الطالب في الصف يجلس بمقعد وثير الله و أمامه ما لذ و طاب من الطعام و الشراب، و أمامه المجالات و الحاجات و المشروبات الباردة، هذا ليس صفاءً، أنت في دنيا، أنت في دار عمل، أنت في دار امتحان، أنت في دار ابتلاء فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال.

أي إذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس إليه، إذا أحب الله عبداً عاتبه في منامه، إذا أحب الله عبداً عجل له بالعقوبة، إذا أحب الله عبداً جعل له من نفسه واعظاً، عنده واعظ داخلي يحاسب سريعاً يجعل حوائج الناس إليه.

الآن عَنْ عَائِشَةَ

((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَرَأَى عَلَيْهِمْ ثِيَابَ التَّمَارِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبِي مِهْنَتِهِ))

[ ابن ماجه ]

أي يوجد أشخاص يأتون المسجد بأخر ثيابهم، بالثياب التي لا يحبونها، يقولون لك: دعك، و يوجد أشخاص يأتون على المسجد يوم الجمعة بثياب مقبولة وجيدة الله فالنبي عليه الصلاة و السلام كانت له ثياب يلبسها يوم الجمعة والعيدين الله و حينما يأتيه الوفود الله وكان عليه قومه يفعلون ذلك، هذا من السنة، الإنسان يعتني بمظهره، بهندامه، لأن هذا المسلم يمثل هذا الدين، قد تنطوي على قلب كالجوهر الله و قد تنطوي على نفس طاهرة طيبة الله و قد ينطوي ذهنك عن ذكاء لماع الله لكن المظهر غير المقبول يذهب هذا كله، المظهر يجب أن يكون مقبولاً الله لا أقول مظهراً فحماً الله هذا إسراف الله لكن مظهر مقبول، ألا يكون لأحد عليك مأخذ في مظهرك الله لأنك تمثل هذا الدين، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام الله فلا يؤتين من قبلك،

((مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ سَعَةً أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِجُمُعَتِهِ سِوَى ثَوْبِي مِهْنَتِهِ،))

و يقول عليه الصلاة و السلام:

((ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة و صلاح ذات البين وخلق حسن ))

صلاة وصلاح ذات البين، و خلق حسن، لذلك النمام لا يدخل الجنة، لماذا ؟ لأن النمام يفسد العلاقات بين الناس، يفتت المجتمع، يقطع الأوصال، يسبب العداوات، يسبب المشاحنات، يسبب البغضاء، يضعف المجتمع، فكما اتسعت رقعة الأذى عظم الخطر لهذا عَنْ هَمَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ حُدَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(( لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، أحمد ]

أي هو النمام، عكس النميمة صلاح ذات البين، قصة أنت إذا سكت عنها تصلح ذات البين، و إذا تحدثت بشيء يرضي يرضي الخصم، تقرب هؤلاء من بعضهم، فصلاح ذات البين، و قد تعرفون ذلك أن صلاح ذات البين تبدأ بإصلاح النفس، ثم إصلاح ما بينك و بين الناس، ثم إصلاح ما بين الناس، أول مستوى بينك و بين نفسك، المستوى الثاني بينك و بين الآخرين، المستوى الثالث فيما بين الآخرين، أنت مع الله، و أنت مع الناس، و فيما بين الناس، فهذا من الأعمال الصالحة التي أتى عليها النبي عليه الصلاة و السلام، و خلق حسن. أي إنسان بلا أخلاق حسنة مكشوف، علمه يسقط، مرة أخ سألني أنه المؤمن أليس في حياته علم وعمل، فإذا قصر في العمل ما خطورة التقصير في العمل ؟ قلت له: لو أنه قصر في العمل لنته سقط العمل وحده، و بقي العلم، إذا قصر في العمل سقط العلم معه، العمل السيء يسقط قيمة علمك الذي تحمله، هذه نقطة مهمة، العمل إذا سقط لا يسقط وحده، يُسقط معه قيمة العلم، فليلاحظ الإنسان أنه لن يسمع منه شيء إلا إذا رأى الناس توافقاً بين أقواله و أفعاله.

((ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة و صلاح ذات البين و خلق حسن))

و في حديث حسن عن أبي هريرة

((أَنَّ رَجُلًا سَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ قَالَ إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلَمَ بِمِظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صَلَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قَلَّةً ))

[ أبو داود، أحمد ]

يوجد بهذا الحديث طابع القانون ما يشم منه أنه قانون، وإذا كان كذلك فمن أين جاء هذا المعنى ؟ إلا أداة حصر، الحصر هنا في النفي والاستثناء، يوجد عندنا صيغة أخرى تفيد القانونية في العبارات ؟

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾

[ سورة الأنبياء: 94 ]

ما هذه الصيغة ؟ هذه صيغة الشرط، و أية صيغة في الحديث أو القرآن تفيد معنى الشرط فالشرط يفيد معنى القانون:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾

[ سورة الأنبياء: 94 ]

و صيغة الحصر تفيد أيضاً القانون، أي حينما تفتح باب إنفاق هل يوجد فرق بين الإنفاق و الصدقة والصلة ؟ ما معنى الصلة ؟ صدقة تدفع للأقارب هي صدقة و صلة في وقت واحد:

((وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صَلَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً))

هل هناك مسألة يراد بها غير الكثرة؟ المسألة سد الحاجات، و الاستكثار عن طريق المسألة شيء آخر

((...مَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قَلَّةً ))

ما أدق هذا الحديث، تفتح باب عطاء يزداد مالك، تفتح باب أخذ لا عن حاجة، و لكن عن استكثار يقل مالك، حديث دقيق.

يقول عليه الصلاة و السلام في حديث صحيح:

(( مَا قَلَّ وَ كَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَ أَلْهَى ))

أيها الإخوة الأكارم: هل يمكن أن يكون الغنى مصيبة، وهل هناك دليل؟ دليل عقلي، أما دليل نصي نقلي؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْعِيًا أَوْ))

[ الترمذي، أحمد ]

الغنى المطغي مصيبة من أكبر المصائب، لأن الإنسان إذا اغتنى، ولم يكن عنده علم يحتمل هذا الغنى ربما طغى، و بغى، و نسي المبتدا و المنتهى، ربما تجبر، و عتا، و نسي الجبار الأعلى، ربما سها، و لها، و نسي المقابر والبلوى.

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ الْخَثْعَمِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((بُسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبُلَى بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَا وَالْمُنْتَهَى بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعَ يَقُودُهُ بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ بِسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَعِبَ يُذِلُّهُ))

[ الترمذي ]

يقول لك: أنا أصابتي دعوة النبي، كيف يكون وضعه الاقتصادي؟ كفاف، حاجاته مؤمنة، شيء زائد لا يوجد، اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً، ألا تحب أن تكون من محبي رسول الله، النبي اختار لنا هذا المستوى، أكل، شارب، دافئ، ساكن ببیت، متزوج، عندك أولاد، لا يوجد عندك مشكلة، و لكن لا يوجد معك أموال طائلة، ليس عندك مجال أن تقيم عرساً بثلاثين مليوناً، و لا بمليونين، و لا بخمسمائة ألف، أنت تقيم حفلة تدعو إخوانك المؤمنين، تحضر كأساً من البوظة، و فرقة منشدين، و أحدهم يلقي لك كلمة، و انتهى الأمر، و باقية ورد، و هذه هي، هذا بإمكان أي مؤمن أن يفعلها، أما البذخ و الترف لا تملكه لذلك: اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً، ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى.

إذاً النبي الكريم عندما خير بين أن يكون ملكاً غنياً، أو أن يكون عبداً فقيراً ماذا اختار؟ ألم يأتيه جبريل يقول لك: أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً؟ قال بل نبياً عبداً أجوع يوماً فأذكره، و أشبع يوماً فأشكره، سؤال: لماذا اختار النبي الطريق الآخر أن يكون عبداً؟ ليكون قدوة للفقراء، شيء آخر: لأن الوضع الثاني أقرب إلى العبودية من الأول، لأنه يوجد غنى مطغياً، أن تكون مكتفياً لا أن تكون جباراً في الأرض، أن تكون مكتفياً و لك حجم معتدل أقرب إلى العبودية مما لو كنت بحجم كبير ومال وفير.

يوجد مقياس رائع جداً في حديث صحيح روي عن أسامة بن شريك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

(( ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت ))

هذا مقياس دقيق، الشيء الذي لا تفعله في حضرة الناس لا تفعله في خلوتك، مقياس دقيق، الشيء الذي تستحي به أمام الناس لا تفعله في خلوتك، الشيء الذي لا تستطيع أن تفعله أمام الناس لا تفعله في خلوتك، هذا الذي قاله: من لم يكن له ورع يصدع عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله، مقياس دقيق جداً، و الشيء الذي تفعله أمام الناس إياك أن تفعله في خلوتك، عندئذ يصبح شرك كعلانيتك، و خلوتك كجلوتك، و ظاهرك كباطنك، و هذا شيء رائع في الإنسان، لا يكون عنده ازدواجية، ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً،

(( ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت ))

أما هذا الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ قَالُوا وَمَا نَدَامَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ أَزْدَادَ وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ نَزَعَ))

[ الترمذي ]

في كلا الحالين فأنت نادم، إن كنت محسناً تتدم لما لم تزد في إحسانك، لم لا تزيد حسناتك، و إن كنت مسيئاً لم لم تقلع عن سيئاتك، مادام الندم حاصلًا إذاً يجب أن نستغل كل وقت، و كل طاقة، و كل فراغ، و كل جهد في طاعة الله عز وجل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((قَالَ مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبًا لَا يَفْكُهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُؤْبَهُهُ الْجَوْرُ))

[ أحمد، الدارمي ]

الصف كم طالباً به ؟ خمسة و أربعون حسب النظام، يوجد خمسة و خمسون، يوجد ثلاثون، تصور معلم صف إذا كان عنده عشرة طلاب فقط يؤتى يوم القيامة مغلولاً، حديث حسن روي عن أبي هريرة، أحياناً الإنسان يترنم بكلمة مسؤول كبير، لها طنين خاص، و نسي هذا المسؤول الكبير أنه مسؤول كبير، أي سوف يسأل.

و الله لو تعثرت بغلة بالعراق لحاسبني الله عنها، لما لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟ سيدنا عمر مرة كان يتجول في المدينة فالتقى بعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: تعال يا عبد الرحمن نعس في المدينة، فرأى سيدنا عمر قافلة قد نصبت خيامها في أطراف المدينة فقال تعال نحرسها في الليل، عمل صالح، جلس سيدنا عمر إذا بطفل يبكي، فقام إلى أمه و قال أرضعيه، أرضعته قليلاً ثم بكى ثانية، قام إليها ثانية قال: أرضعيه، أرضعته قليلاً، ثم بكى الثالثة، غضب كان عصبي المزاج، غضب، و قام إليها، و قال: يا أمة السوء أرضعيه، عندئذ غضبت قالت: أنت ما شأنك بنا، ومن أنت ؟ إنني أطمه، قال لها: و لما تقطمينه ؟ قالت: لأن عمر لا يعطي العطاء إلا بعد الفطام، التعويض العائلي بعد الفطام، يقال: إنه ضرب جبهته وصاح صيحة، وقال: ويحك يا ابن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ؟.

حينما ذهب إلى المسجد ليصلي يقال: إن أصحابه ما فهموا قراءته لشدة بكائه في الصلاة، و في الدعاء دعا، فقال: يا رب هل قبلت توبتي فأهني نفسي، أم رددتها فأعزنيها، يوجد مسؤولية كبيرة، يكون بيدك مجموعة أشخاص تحابي شخصاً باعتبارهم صهرك، تحابي شخصاً باعتباره لطيف المعشر معك، شخص جدي، وعمله جيد، لكن لا يوجد عنده هذا الاحترام الزائد لك فتضايقه، أين العدل؟ فلذلك:

((ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكُّه إلا العدل أو يوبقه الجور))

و هو الظلم، أي إما أنه ينجو بعدالته، أو يهلك بظلمه، لذلك عن أبي ذر قال قلت:

((يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها))

[ مسلم، احمد ]

((ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة و يده مغولة إلى عنقه))

حديث آخر، أيضاً حديث حسن روي عن أبي هريرة.

((ما من أمير يؤمر على عشرة إلا سئل عنهم يوم القيامة ))

حديث حسن روي عن ابن عباس

كان القضاة من السلف الصالح يضربون ويعذبون ولا يقبلون منصب القضاء لقول النبي الكريم:

((قاضيان إلى النار، و قاض إلى الجنة ))

هذه الآن بعضهم أجرى تعديلاً على الحديث، قال: قاضيان إلى النار وقاض إلى جهنم، كان يضرب فلا يقبل لعظم المسؤولية.

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَكْبَرُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَنِيظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ ))

[ ابن ماجه ]

الله يقدر هذا الشيء، قد تكون في موقف بإمكانك أن تغضب، و أن تحرق الأخضر، و اليابس، بإمكانك أن تغضب، وأن تنال من عدوك كل شيء، لكنك إذا كظمت الغيظ:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

[ سورة آل عمران: 134 ]

حديث صحيح روي عن صفوان بن عسال:

عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ:

((أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ قُلْتُ أَنْبِطُ الْعِلْمَ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ خَارِجٍ))

شخص فتح الباب، وخرج، وأغلقه، خرج إلى أين ؟ إلى أين أنت ذاهب قال:

((قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ))

شخص خرج يعقد صفقة، شخص ذهب ليجلب مشكلة، شخص ذهب ليقنتص لذة محرمة، شخص ذهب ليسهر مع أصدقائه للعب النرد، شخص ذاهب ليرتكب معصية، أما هذا المؤمن ارتدى ثيابه، وخرج أين عندي درس:

عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ:

((أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ قُلْتُ أَنْبِطُ الْعِلْمَ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْبَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ حَتَّى يَرْجِعَ ))

[ أحمد، الدارمي، ابن ماجه ]

تحب أن تعرف قيمتك ؟ اجلس مع صديق من سنك لكن تارك العلم اسمع ماذا يقول ؟ يقول كلامًا غلطًا، وتفكيره غير صحيح، مبادؤه سخيفة، أهدافه منحطة، تفكيره سخي، مزحه منحط، علاقاته يائسة، مقهور، لا تعرف قيمة العلم إلا إذا جلست مع أترابك ممن لم يطلبوا العلم، غريب كيف يقبل نفسه جاهلا، على تطاول، على مزاح سيئ، على موقف لا يرضي الله عز وجل.

((... مَا مِنْ حَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ حَتَّى يَرْجِعَ))

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِ ذَلِكَ الْغَرْسِ))

[أحمد]

هذه تشجيع للزراعة، هذا الذي قاله النبي عليه الصلاة والسلام إذا قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها. أنت لما تقيم مشروعًا زراعيًا يطرح كميات من الفواكه زيادة في السوق، أو الخضراوات، وتهبط الأسعار، تتذكرون مرة بيعت البندورة بمئة ليرة، ثاني سنة بسبعين، وستين، ثم ثلاثين، لماذا صارت ثلاثين ؟ لأنه صار الإنتاج وفيرًا، الإنتاج الوفير يهبط الأسعار دائماً، الذي يقوم بمشروع زراعي، التفاح يباع إذا صدرناه سوف نأخذ ثمنه بالقطع الأجنبي، ونحافظ على سعر الليرة، وإذا أكلناه يهبط سعره، لماذا الربا حرام ؟ لأن المرابي لا يعمل، الشرع ما سمح أن تأخذ المال إلا بعمل، والعمل فيه بناء للأمة، بناء للوطن، حينما تقيم مشروعًا إنتاجيًا مثمرًا فأنت ساهمت بتخفيف أعباء الحياة على المجتمع، أنت صنعت بابًا، صنعت حاجة، صنعت لباسًا، قدمت خدمة، أنا أقيس على الزراعة أي شيء آخر، أي عمل إنتاجي، أي عمل مفيد للناس.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (051 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بـ إنما.....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-07-1992

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يجعلون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا في رحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: النفس الإنسانية تحب التنوع أحياناً، وكتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير مرتب أحاديثه وفق حروف المعجم، لذلك تقرأ الحديث تلو الحديث، يجمع بين الأحاديث أنها تبدو بحرف واحد، لكن موضوعاتها متفاوتة، فالإنسان من حين لآخر يحب أن ينتقل من موضوع إلى موضوع، ففي هذا متعة، ودفع للسأم والضجر، وقد اخترت لكم اليوم طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ تبدأ كلها بقوله ﷺ

### ((إنما))

وقبل أن نمضي في قراءة الأحاديث والتعليق عليها وتحليلها، وبيان مقاصد النبي عليه الصلاة والسلام أحب أن أنوه إلى أن الأداة إنما أداة قصر في اللغة، ومعنى القصر قصرُ شيء على شيء، أي حبس شيء على شيء، أي وقف شيء على شيء، في كتب البلاغة يضربون المثل المألوف، إذا قلنا: إنما شوقي شاعر، يعني شوقي شاعر فقط، لا كاتب، ولا ناثر، ولا كاتب قصة، ولا حقوقي، ولا أي شيء آخر، وإذا قلنا: شوقي شاعر، فلا يمنع أن يكون كاتباً، ولا يمنع أن يكون قاضياً، ولا يمنع أن يكون تاجراً، إذا قلنا: شوقي شاعر، فلان مدرس، قد يكون تاجراً مع التدريس، فلان خطيب، وقد يكون تاجراً مع الخطابة، فلان تاجر، وقد يكون عالماً مع التجارة، فلان أب، وقد يكون أحمًا، أما إذا قلنا: إنما شوقي شاعر، يعني أن شوقي شاعر فقط، وليس له صفة أخرى، لأننا حبسنا شوقي على الشعر، وكأن الشعر حلقة، وهو فيها محبوس، هذا إنما شوقي شاعر، لو عكسنا العبارة، و قلنا: إنما الشاعر شوقي، يعني الشاعر هو شوقي فقط، وما سواه ليسوا بشعراء، المعنى يختلف، أول مثل قصرنا

شوقي على الشعر، وفي المثل الثاني قصرنا الشعر على شوقي، أن تقصر شيئاً على شيء، أو أن تقصر هذا الشيء على هذا الشيء، هذا بحسب الترتيب، إذا قلت: إنما شوقي شاعر قصرت شوقي على الشعر، فشوقي شاعر فقط، ليس له صفة أخرى، أما إذا قلت: إنما الشاعر شوقي فقد جعلت الشعر كله محصوراً بشوقي، ولا شاعر آخر سواه، هذه الأداة إن استخدمناها في كلامنا فتعني القصر، وقد يستخدمها الإنسان دون أن يعي معناها، الإنسان إذا تكلم أو كتب أو ألقى كلمة يستخدم كلمات، لكن أغلب الظن أنه لا يستخدمها استخداماً دقيقاً، ولا ينتج من استخدامها معان صارمة دقيقة، لكنك إذا رأيت إنما في القرآن، والقرآن كلام خالق الأكوان، والقرآن معجز، وكمال الله مطلق، وحتى في كلامه يجب أن تأخذ إنما في القرآن مأخذاً آخر، إذا قال الله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[ سورة فاطر: الآية 28 ]

قصرنا الخشية على العلماء وحدهم، لذلك قيل: الطريق الوحيدة إلى الله السالكة هي العلم، فإذا أردت الله عز وجل فعلبك بالعلم، لا يوجد طريق أخرى، أي طريق آخر أولاً طريق خطر، أو إنسان في ساعة صفاء اضطربت نفسه، وجاشت عواطفه، وأراد أن يستقيم على أمر الله، ولم يسلك طريق العلم، هذه نسميها فورة، تلك الفورة سريعاً ما تنطفئ، وسريعاً ما ينتكس صاحبها بأنفه الأسباب، لذلك عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ))

[ الترمذي ]

الشيء المؤلم أحياناً أنك ترى شاباً أو رجلاً لزم مجلس علم، وأقبل إقبالاً شديداً، وتفاءلت نفسه، واضطربت عواطفه، وأحب الله ورسوله، وبذل الغالي والرخيص، فجأة يختفي، تسأل عنه يقدم لك أعداراً واهية، ثم ينمى إليك أنه خرق الاستقامة، وأنه ترك الصلاة، لو سألتني: ما السبب؟ أقول لك: لأنه لم يسلك طريق العلم، سلك طريق العاطفة، وطريق الحال، وطريق العدوى، طريق الحال والعاطفة والعدوى لها أثر مسعد جداً، لكن أثرها لا يدوم، ولا يستمر، شيء يفور، ثم يهدم، بركان يثور ثم ينطفئ، اندفاع شديد، ثم نكسة شديدة، لذلك من قوله تعالى:

## ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[ سورة فاطر : الآية 28 ]

الله ﷻ قصر الخشية على العلم، إذاً العلم أولاً، وثانياً العلم، وثالثاً العلم، يعني العلم وحده هو الطريق إلى الله، كل هذا مستفاد من كلمة " إنما"، إله يتكلم يقول لك:

## ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[ سورة فاطر : الآية 28 ]

إذا قال لك رجل: أتعلم بالحال أنا أقبل على الله عز وجل، فإله يقذف بقلب العلم، والله شيء جميل، ماذا قال النبي؟ هذا الكلام كلام بعض الناس، لكن ماذا قال النبي قال عليه الصلاة والسلام:

((وَأِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ))

[ البخاري ]

معنى " إنما " هذا كلام النبي صلى الله عليه و سلم، والنبي سيد البلغاء، وسيد الفصحاء،

((وَأِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ))

يعني قصرنا العلم على سبب واحد، ألا وهو التعلم، يجب أن تجلس في مجلس علم، يجب أن تستمع إلى كلام الله عز وجل، وإلى تفسيره، وإلى حديث رسول الله، وإلى تفسيره، وإلى سيرة النبي صلى الله عليه و سلم، وإلى أبعادها، طريق التعلم، وطريق المداراة وحده،

((إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، وإنما الكرم بالكرم))

أنا أتمنى على إخواننا الكرام أن يفهموا نصوص القرآن، ونصوص النبي العدنان فهماً دقيقاً دقيقاً، إذا فهمنا معنى إنما أنها أداة قصر تقصر شيئاً على شيء، الآن أسألكم أنا: هل عندكم نصوص قرآنية أخرى أو نبوية فيها إنما:

## ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[ سورة الحجرات: الآية 10 ]

الحديث خطير جداً، إن لم تشعر بالأخوة مع مجموع المؤمنين فليست مؤمناً، الله ﷻ قصر المؤمنين، وقصر الإيمان على ذلك الشعور بالانتماء إلى مجموع المؤمنين، فإذا انتسب فقط إلى مجموعته لا يوجد غيرنا على حق، الباقي كله على باطل، نقول لك: هذا تعصب، وهذا ضيق أفق، وهذا مخالف لنص الآية، المؤمن الصادق لو رأى مؤمناً في أقصى الدنيا الإيمان واضح، معرفة في القلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، ما وقر في القلب، وصدقه العمل، فإذا رأيت مؤمناً أول مرة من بلاد بعيدة إن لم تشعر بحب له وانتماء له وأخوة له بينك وبينه صادقة فالجواب: لست مؤمناً من كلمة إنما، قال تعالى:

## ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾

[ سورة المائدة: الآية 55 ]

أي قصر الولاية على الله ورسوله، قصر العبادة على الله عز وجل، قصر صفته على أنه بشر: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

## ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

الآن كلما قرأنا إنما في القرآن والسنة يجب أن تفهم أن ثمة معنى خطيراً، يوجد لدينا استخدام لغوي آخر للقصر غير إنما، لدينا طريقة أخرى لإحداث معنى القصر غير إنما، النفي والاستثناء، قال تعالى:

## ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

[ سورة النجم: الآية 39 ]

لو أن الله قال: للإنسان ما سعى، شيء جميل، معنى طيب، لكن وله ما يسعى، أنا أقول لك: لي هذا البيت، هل معنى هذا الكلام ليس لي شيء غير البيت؟ لا، لي هذا البيت، ولكن ليس لي إلا هذا البيت، اختلف المعنى،

إذا أول طريقة إنما، والطريقة الثانية النفي والاستثناء، كقوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[ سورة الصافات: الآية 35 ]

نفي واستثناء، كما في قوله:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

[ سورة هود: الآية 6 ]

وقوله:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 144 ]

ما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله أكثر، يوجد طريقة ثالثة للقصر في القرآن، ما هذه الطريقة؟ هي قوله:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

[ سورة الفاتحة: الآية 5 ]

لو أن الآية: نعبد إياك، هل يمنع أن تعبد غيره؟ لا يمنع، أما إذا قال: إياك نعبد، أصبح هناك قصر بطريق تقديم ما حقه التأخير، وفي آية قرآنية قال الله عز وجل:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾

[ سورة الأنعام: الآية 59 ]

لو قال: مفاتيح الغيب عنده وعند غيره، أما عندما عكسها الله عز وجل: وعنده مفاتيح الغيب، إذا نحن فهمنا إنما أولاً، والنفي والاستثناء ثانيًا، والتقديم ما حقه التأخير ثالثًا ويوجد، ضمير الفصل " هو "، من يذكر آية فيها هو؟

## ﴿اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[ سورة الممتحنة: الآية 6 ]

لو قال: الله الغني الحميد لم يكن فيها، ولكن الله هو وحده الغني الحميد، ضمير الفصل أيضاً فيه معنى القصر، وهذا يذكرني بقول سيدنا سعد: ( وما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى )، الآن إذا قرأت الحديث يجب أن تفهمه فهماً دقيقاً، ويجب أن تعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم لا ينطق عن الهوى، أنا في يوم الجمعة ذكرت موضوعاً أحب أن أذكركم به مرة ثانية، في حديث قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

### ((بَرَكَهُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ))

[ الترمذي، أبو داود ]

أبن القدح عن فيك في أثناء الشرب، ونهى عن التنفس في الإناء، ونهى أن يتمسح الرجل بيمينه، يعني إذا قضى حاجة لا يستخدم يده اليمنى، ونهى أن يبال في الماء الراكد، أو على قارعة الطريق، لدينا مجموعة أحاديث تتشدد في الطهارة، أمرنا بغسل رؤوس الأصابع من الظاهر، أي قد يعلق بين الجلد والظفر بعض النجاسة، الإنسان يأكل، فلذلك من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه، هناك أحاديث كثيرة في هذه المعنى فوجئت في هذا الأسبوع وأنا أطلع في كتاب عن الصحة، رأيت تقرير منظمة عالمية تعنى بشؤون الصحة فوجئت بعنوان أمراض القذارة، فذكر مرض التيفويد الإثنائي، 350 مليون إصابة في العالم، مرض التهاب الكبد الإثنائي 250 مليون إصابة في العالم، يعني 250، 350، 150 في مرضين 7، 5، فالمجموع أكثر من ألف مليون، يعني خمس سكان الأرض مصابون بأمراض القذارة، ما معنى أمراض القذارة، أي الأمراض التي سببها القذارة، أما الأغرب من ذلك في تحليل هذا التقرير، وأنا أعتقد أن كاتب هذا التقرير لا يعرف عن دين الإسلام شيئاً إطلاقاً يقول: إن هذه الأمراض أكثرها بسبب عدم غسل اليدين قبل الطعام، وبعده، وعدم الاستتجاء، وتلوث الماء والهواء والطعام، ثم يذكر أن المعطيات العلمية في عصره لا تكفي لمعرفة هذه الحقائق موضوع الجراثيم والعدوى والأمراض الإثنائية والأمراض السارية، وهذه الأمراض حوالي ألف مليون يصاب في العالم، خمس سكان العالم ضحية هذه الأمراض، وثلاثة ملايين حادثة وفاة في العالم، نحن يقولون لنا: حروب أهلية، وزلزال، وفيضانات، مذبحة، طائرة سقطت فيها 350 راكباً، لكن أخبار موت الناس من أمراض القذارة ربما لا تعيننا، أو

ربما لا تصلنا، قضية مفرقة بين الشعوب والأمم، ثلاثة ملايين حادث وفاة في كل عام، نصفها من الأطفال، إذًا ما هذا الدين العظيم الذي أمرك أن تغسل يديك وفمك قبل الطعام، وبعده، ونهاك على أن تستخدم يدك اليمنى في الاستجاء، ونهاك عن أن تتنفس في الإناء، ونهاك على أن تأكل فاكهة قبل أن تغسلها، ونهاك على أن تبول في الماء، ما هذا الدين؟ تشعر أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام ليس من عنده.

ذات مرة تحدثت عن نقطة أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر بذبح الأنعام من أوداجها فقط، يجب أن تقطع أوداج الدابة، الأوداج أي الشريان الأبهري فقط، فلو أن الجزار قطع رأس الدابة كله لكان مخالفاً للسنة، ما حكمة ذلك؟ سألت طبيباً قلت له: ما حكمة أن النبي عليه الصلاة والسلام نهانا على أن نقطع رأس الدابة كله؟ جاء الجواب الذي لا يصدق قال: لأن القلب ياتمر بمركز كهربائي ذاتي، هذا المركز الكهربائي الذاتي يعطيه الضربات النظامية، أي إنسان يكون عنده عدم انتظام ضربات القلب لضعف هذه المراكز، يحتاج إلى بطارية، أعرف شخصاً وضع بطارية للقلب، وربنا جل وعلا جهز القلب بمركز توليد كهربائي، ومركز توليد ثان، ومركز توليد ثالث، الدول المتقدمة جداً لديها مركز توليد كهرباء احتياطي، لا تعمل إلا في حالة الحروب، لو حدثت حرب أو قصف أو عمل تخريبي فوراً تعمل مراكز التوليد الاحتياطية، هذا أعلى درجة من الاحتياط، وربنا عز وجل أودع ثلاثة مراكز توليد كهربائية، الثاني لا يعمل إلا إذا تعطل الأول، وهكذا، ولكن هذا المركز يعطي الضربات النظامية ثمانين ضربة، أحيانا الإنسان يمشي على الدرج، لو صعد أربعة طوابق، ووضع يده على معصمه، وأحب أن يعرف نبضات قلبه، 120 نبضة، إذا فرح فرحاً شديداً، أو تألم ألماً شديداً، أو سمع خبراً مؤلماً، يضع يده يجد 180 نبضة، مادام مركز القلب لا يعطي إلا الضربات النظامية فكيف يصبح القلب يخفق 180 خفقة في الدقيقة؟ يتلقى القلب عندئذ أمراً استثنائياً من الدماغ، يوجد في الدماغ مركز يعطي القلب أمراً استثنائياً برفع ضربات القلب، فنحن لو قطعنا رأس الدابة نهائياً فقلب الدابة ينبض 80 نبضة في الدقيقة، و80 نبضة في الدقيقة هذه السرعة البطيئة لا تكفي لإخراج الدم من كل الأوعية الدموية، لأن مهمة القلب بعد الذبح أن يخرج الدم إلى خارج الدابة، عملية الضخ بدائرة مغلقة، فلما فتحنا الشريانين فقد فتحنا الدائرة، وأصبح الشريان بدل أن يرجع انطلق خارج الجسم، لذلك هل في عهد النبي ﷺ بحوث أو جامعات أو مراكز بحث، أو طب نفسي متطور؟ ما السر إذاً؟ من أين جاء النبي بهذا؟ من عند الله، إنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، قال تعالى:

## ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[ سورة النجم: الآية 4 ]

فإذا أمسكت بكتاب الحديث، واعتقدت أن هذا ليس من عند النبي صلى الله عليه و سلم، بل من عند الله عز وجل، هو المبلغ، لذلك العلماء قالوا: هناك وحي متلو وهو قرآن، وهناك وحي غير متلو، وهو السنة، ولدينا دليل قطعي:

## ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾

[ سورة النجم ]

حتى كلامه اللهم صل عليه، وبعد ذلك:

### ((إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم))

عليها بحوث، وألقي فيها محاضرات، وأقيمت مؤتمرات علمية، وكلمة:

### ((إذا وقعت الذبابة فليغمس جناحها))

الآخر ألفت محاضرات، وكلما تقدم العلم اكتشف جانباً من أن كلام النبي صلى الله عليه و سلم ليس من عنده، مثلاً أحضروا عالم آثار مختص بمنطقة الشرق الأوسط، وسأله: هذه جزيرة عربية، كيف كانت قبل آلاف الأعوام؟ قال: كانت جنات خضراء، وما الدليل؟ في الربيع الخالي آثار لحضارات عريقة أساسها وفرة الماء والنباتين، أين في الربيع الخالي؟ كيف يقول النبي صلى الله عليه و سلم: ((ستعود بلاد العرب مروج وأنهار)) هذه قضية متعلقة بآلاف السنين سابقاً، والحديث في صحيح مسلم، حتى في علم الأجنة فيه أحاديث تشير إلى أن أول حركة يتحركها الجنين في الليلة الثانية والأربعين، وهذا يتفق مع أحدث ما في علم الأجنة، إذاً قضية كلام النبي صلى الله عليه و سلم ليس من عنده، من خالق الكون، فإذا قرأت الحديث بهذه النفسية عندئذ تفهمه فهماً عميقاً، وتعظم كلام النبي صلى الله عليه و سلم، وتأخذ به، هذا الذي قاله سيدنا سعد: (وما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى)، الآن إلى الأحاديث المتعلقة بكلمة إنما.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرْضَى))

[ابن ماجه ]

الآن يقول لك التاجر: يا أخي رضي، ولكنه غشيم، لو كشف له حقيقة هذه السلعة أنها ليست مستوردة، وبضاعة غنية، لأن لها غلظاً فحماً جداً، ومواد أولية من الصنف العاشر، والمشتري ليس متمرساً في هذه البضاعة، إذا كشفت له هذه الحقائق هل يرضى عن هذه الصفقة؟ لا يرضى، أصبح فيها غش، فإذا أخذ الإنسان بقول النبي:

((إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرْضَى))

لأن النبي أخذها من قوله تعالى:

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرْضَى مِنْكُمْ﴾

[ سورة النساء: الآية 29 ]

فلما يكتشف الإنسان أنه كان مغرراً به، وكان مغبوناً غنياً فاحشاً، والبضاعة ليست كما قال صاحبها، وليست مفقودة، بل هي موجودة، وليست من النوع الأول، بل هي من النوع الخامس، عندئذ لا يرضى، وإن لم يرض المشتري فالبيع فاسد، والبائع ربما يعاقب، ربما يعاقب بعقوبات ربما لا تجد لها علاقة بينها وبين الذنب، ولكن الله عز وجل يحاسب الإنسان على مجمل أعماله، هذه نقطة مهمة جداً.

مثلاً يكون الإنسان في محله التجاري نظامياً مئة في المئة، يأتيه موظف فرضاً يتلبسه في مخالفة، هو بريء منها براءة الذنب من دم يوسف، يا أخي ظلموني، الجواب التوحيدي: أن الله جل وعلا لا يحاسبك على مخالفة واحدة، يحاسبك عليها إجمالاً بالتعبير التجاري، حساب ربنا مع العبد ليس حساب سندات، الحساب جارٍ، فإذا كان الإنسان ظالماً في بيته، وذهب إلى محله التجاري، وظلم يمكن أن تربط هذه بهذه، هنا مظلوم، ولكن هنا ظالم، هذا معنى دقيق جداً،

## ((ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم ))

مرة تحدث معي واحد بالحريقة، قال لي: أنا كنت أخطب في جامع النابلسي، قال جاءني موظف، الآن أصبحت القصة قديمة، قلت: جاءني موظف تموين، وألبسني مخالفة، أنا منها بريء، وألبسني ضبطاً، وفيه سجن شهرين، أنا ماذا فعلت؟ قال لي: والله لم أفعل شيئاً، وأنا في عملي لم يكن لدي أي خطأ، ولا مخالفة، قلت له: والبيت، فسكت، الحساب جاري، الحساب جارٍ عند الله عز وجل، يحاسبك بالمحل عن البيت، وبالبيت عن المحل، إذا أسأت إلى المشتري إساءة بالغة ترى في البيت مشاكل، هذا ما قاله الإمام الشعراوي، قال: أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي، وفي قول آخر، ولكن أبعده قليلاً: وأعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي، تحرن معه الدابة أحياناً، معناه أن العلاقة مع الله ليست سليمة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

### ((إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ))

فيا أيها الإخوة الباعة: الله هو الرزاق، يجب أن تتبع هذا الإنسان بيعاً لو كشفت له كل الحقائق يرضى قليلاً، تؤدي شكره قليلاً، من رزقٍ حلال خير من كثير رزق حرام، هذا حديث هنا إنما.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

### ((إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ))

قصر النبي عليه الصلاة والسلام البيع الصحيح المشروع الذي يرضى الله عنه قصره على الرضى بين البائع والمشتري، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

### ((إِنَّمَا الْحَلْفُ حِنْثٌ أَوْ نَدْمٌ))

[ ابن ماجه ]

ما معنى الحنث ؟ فلان حنث بيمينه، أي أخلف بيمينه، حلف ألا يخاطب فلاناً، ثم خاطبه، حينما خاطبه فقد حنث، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّمَا الْحَلْفُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ))

إن لم تحنث تتدم، هذه الأيام الإنسان ينزعج من جاره فيحلف يميناً أمامه أنه لن يقف عليك، إن وقف عليه مرة يقول له: أنت حالف، ما تقف علي، يشمت به، وبعدها تريد الكفارة، وإن أحب أن ينفذ يمينه لزمته الكفارة، ولا سيما بالطلاق، الذي يحلف بالطلاق ذليل، من شيخ إلى شيخ، طلقت زوجتي، والله لا يوجد غيرها، موقفه ذليل، وتحت رحمة المشايخ، وشيخ يخوفه، وشيخ طلقت، وشيخ الأحناف طلقوها، والشافعية بشروط، وبعض المذاهب لم يطلقوها، وأخذ رخصة من أحدهم، يشد بها، وإن أخذها من متشدد خرب بيته، ماذا تريد من هذه المتاهة ؟ كل إنسان يحلف بالطلاق على زوجته أصبح هو تحت رحمتها، إذا أحببت أن تذهب إلى أهلها حلف بالطلاق ألا تذهب إلى بيت أهلها، صار هو تحت رحمتها، ويعتقد بأنه هو السيد القوي، هو يحلف بالطلاق، وأنا لم أسمع إنساناً حلف بالطلاق على زوجته يكاد يكون الإحصاء تسعين بالمئة إلا حنثت، وخرجت كيداً له، إن قاربها كأنه زان، وإن أخذ رخصة من شيخ، والثاني خوفه أدخلوه في الشك، وإن أخذ المتشدد حرمة منها، والأولاد تشردوا، وإن أخذ بالمتساهل ليس له ثقة بهذه الفتوى، يدخل في متاهة، هكذا النبي قال، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّمَا الْحَلْفُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ))

نصيحة لوجه الله، تكلم بما شئت، قل للشخص: أنا أحزن منك، لا يوجد فيها شيء، أن أعتب عليك بعدئذ، وبعد ذلك سوف آخذ منك موقفاً، خذ موقفاً منه، ولكن لا تدخل اليمين، آخذ منك موقفاً، أحزن منك، أما إذا دخلت اليمين أصبح هناك حنث، أو ندم، هذه اليمين العادية قضية سهلة، موضوع يحل بإطعام عشرة مساكين، أما يمين الطلاق فمشكلة كبيرة جداً، أيضاً إنما يعني اليمين حتماً حنث أو ندم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

## ((إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، مالك ]

في الإسلام لا يوجد شؤم، تشاؤم لا يوجد، كهانة لا يوجد، سحر لا يوجد، فكيف يقول النبي الكريم:

## ((إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ))

قال: في الفرس، والمرأة، والدار، يعني من الممكن أن يكون الشاب مؤمناً مستقيماً له مجلس علم، له مرشد، يمشي بطريق صحيح، يحب الله ورسوله، وجد له أهله فتاة أعجبتهم، ممتازة، ولكنها عند الله ليست ممتازة، دينها رقيق كثيراً، شكلها جيد، لكن دينها رقيق، فهذا الرجل تزوجها، تعلق بها، حملته على ترك مجالس العلم، أو لا النبي ماذا قال:

## ((إِن الْقُلُوبَ لَتَصْدَأُ، قِيلَ: مَا جَلَاؤُهَا ؟ قَالَ: نَكَرَ اللَّهُ))

الإنسان أحياناً كما قال أحد الصحابة: نكون مع رسول الله نحن والجنة كهاتين، فإذا عافسنا الأهل ننسى.

لو أن رجلاً ما يأتي يوم الجمعة، يأتي يوم الأحد، يأتي الاثنين إلى عمله، يوم الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، بيع وشراء، أحدهم دفع، والآخر لم يدفع، وهذا له مشكلة، وفي البيت يوجد مشكلتان، يقول لك صدئ قلبي، قلبي انقبض، يريد شحناً، فلما تأتي هذه الزوجة لتحرمه مجلس علم يصدأ قلبه، بالتعبير العامي انحجب عن الله عز وجل، تطلب منه طلباً غير معقول، يأخذها إلى نزهة ليست كما يرضي الله عز وجل، تجد أن دين هذا الإنسان قد تضاعف شيئاً بعد شيء بعد شيء، إلى أن ترك الصلاة بسبب هذه الزوجة، فهل هذه الزوجة شؤم عليه؟ نعم، لذلك يوم القيامة يقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل زوجتي قلبي، أو بالعكس، لأنها هي السبب، هذا معنى قوله تعالى:

## ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾

[ سورة التغابن: الآية 14 ]

فيمكن لزوجة أن تدمر الزوج، تدمره وهو راض، أما إذا تزوج صالحة من بيئة صالحة مؤمنة أعانته على ذكر الله، أعانته على حضور مجالس العلم، أعانته على الصلاة، هكذا كانت الصحابية، تقول للصحابي الجليل: اتق

الله فينا، نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار.

توجد قصة كنت أرويهما سابقاً، أن امرأة سألت عالماً أزهرياً، قالت: يا سيدي هل يجوز أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

### (( النساء ناقصات عقل ودين ))

النبي معقول؟ النبي يتكلم مثل هذا الكلام؟ يتهمنا بالنقص النبي نحن ماذا فعلنا؟ قال: والله ليس معه حق، ولكن هذا الحديث ليس لكم، هذا للصحابيات، أنتم لا عقل لكن ولا دين، فلذلك الإنسان يجب ألا يتزوج امرأة فاسقة، أو دينها رقيق، تدمره، هذا معنى:

### (( الشؤم في ثلاث في الفرس والمرأة والدار ))

جاء رجل في حي راق، وأمامه يسكن أجنب، وأحبوا أن يقيموا حمّاماً شمسيّاً، ولديه شباب في البيت، أين بقوا شبابه؟ إذا البيئة منحطة، بالتعبير المهذب (سبور)، مثلاً لا يوجد لها لا حرام ولا حلال، ويجلسون في الشرفات، وفي الحدائق، وبألبيسة فاضحة، وسهرات مختلطة، وتناول منكر، وأنت لديك شباب، بيت مناسب، سعره مناسب، أحدهم اشترى عبداً، فوجده رخيصاً كثيراً، وذكياً جداً، لماذا هو رخيص؟ اشتراه، وأتى به إلى البيت، وطلب منه كأساً من الماء، قال له: أحضر لك كأساً، هذا ذهاب، ثم أرجع، وأرجع ثلاثة لأضع الكأس، ثلاث مرات، اذهب واشرب، وتعال، هما ذهابان، هذه الذكاء عنده، قصدت من ذلك إن تجد بيتاً مناسباً رخيصاً، ولكن هذا البيت في هذا الحي لا يناسبك تريد حياً محافظاً، تريد حياً مسلماً، إذا كان حياً متقلّلاً لا يوجد فيه أي قيمة، لديك شباب، لديك بنات، يمكن لموقع البيت فقط أن يدمر لك دينك، يمكن أن تضع ابنك أمام مدرسة بنات، الابن يذهب دينه، تختار محلاً في مكان مناسب، وبيتاً في مكان مناسب، الزوجة مناسبة، حتى في بعض الأحيان إذا لم يوجد في المركبة تقوى لله سوف تكون سبباً للفساد، إذا أعطى الأب ابنه مركبة، وهو ليس منضبطاً، واستخدمها لحظوظ الدنيا، ولانحرافات أخلاقية ففي رقبة الأب، يمكن للمركبة أن تكون سبباً في دمار الدين، أو البيت، أو المرأة، هذا معنى الحديث الشريف:

((إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالذَّارِ)).

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ...))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

هذه طاعة الأم والأب العمياء قَالَ الأم طاعتها على العين والرأس قَالَ طاعتها فيما تريد في المعروف، قالت لك: بردت، ركب لي المدفأة، على عيني، أصبح رأسها يؤلمها، على عيني، هذه الأكلة أشتهيها، على عيني، كلها طلبات معقولة، أكلة معينة، دواء معين، غرفة معينة، ترغب في الغرفة القبلية، أعطها إياها، أنت اجلس في الشمالية لا مانع، هذا حقها، لكن لا تقل لك: يا بني برضائي عليك طلق زوجتك، هذه ليست معروفة، ليس لها ذنب هذه الزوجة، ولكن هناك بعض الحساسية، لا أرضى عنك إلا إذا طلقتها، هذه ليست طاعة للأم:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾

[ سورة لقمان: الآية 15 ]

إنما الطاعة في المعروف، يكون الأمر مغطى بأمر الله، مغطى بحديث رسول الله، مغطى بالسيرة، أحياناً يكون الإنسان يعمل في محل، يأتي توجيه من صاحب المحل، اللعب بالوزن مثلاً، أنا لا أطيعه، أنا أعمل لديه، ليس لأمرك طاعة، لا تطع مخلوقاً في معصية الله:

((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ))

[ الترمذي ]

أعرف أحياناً من إخواننا الكرام عمل في شركة، وله سيارته، فالخبير يحمل كيساً في بداخله مشروب، فقال له: أنا لا أسمح، المبلغ ضخم جداً، معاش مجزي، وكبير جداً، قال له: أنا لا أسمح أن يكون في مكتبي مشروب، إن أعجبكم أهلاً وسهلاً، وإلا فالعقد ملغى بيننا، الشيء الغريب أن هذا الموقف الورع كان سبباً لتعلقهم به، وارتقى من مرتبة إلى مرتبة، وقد انتفع منهم كثيراً بسبب هذا الموقف الورع:

## (( لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ))

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ فَعَضِبَ فَقَالَ أَلَيْسَ أَمْرُكُمْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي قَالُوا بَلَى قَالَ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا فَجَمَعُوا فَقَالَ أَوْقِدُوا نَارًا فَأَوْقِدُوهَا فَقَالَ ادْخُلُوهَا فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا وَيَقُولُونَ فَرَزْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّارِ فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ فَسَكَنَ غَضْبُهُ فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

## (( لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلَا يَذْكُرُ احْتِلَامًا قَالَ يَغْتَسِلُ وَعَنْ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ احْتَلَمَ وَلَا يَجِدُ الْبَلَلَ قَالَ:

## (( لَا غُسْلَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْمَرْأَةُ تَرَى ذَلِكَ أَعْلَيْهَا غُسْلٌ قَالَ نَعَمْ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ ))

[ أبو داود، الدرامي ]

أحياناً يحدث زواج بين شاب وشاببة، ليسا منسجمين، مثلاً تزوج امرأة طالبة علم شرعي من مستوى عال جداً، والرجل جاهل، هي معتزة بدينها، معتزة بثقافتها الإسلامية، معتزة بحفظها لكتاب الله، معتزة بدعوتها إلى الله، وهو بعيد عن مجالها، كل يوم مشكلة، أحدهما متعلق بالعلم، والآخر يكره العلم، مثلاً، فتاة بنت رجل دخله غير محدود، تزوجت من شاب دخله محدود جداً، ترى هناك فرقاً كبيراً بين والدها وزوجها، هذا بحث الكفاءة في الزواج، إذا أراد الإنسان أن يزوج فيجب أن يلاحظ:

## (( إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ ))

يكون هناك تشابه وتناسب في المستوى الاجتماعي، في المستوى الثقافي، في المستوى الديني، في المستوى الأخلاقي، في مستوى البيئة، إذا كان هناك تناسب تتجح العلاقة، وعدم التناسب يسبب كل يوم مشكلة، إما أن تحتقره، وإما أن يحتقرها، لا تصفو الحياة إلا بالانسجام، والانسجام يقتضي التناسب، فعن عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلَا يَذُكُرُ اخْتِلَامًا قَالَ:

((يُعْتَسِلُ، وَعَنْ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَمَ وَلَا يَجِدُ الْبَلَلَ قَالَ لَا غُسْلَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ الْمَرْأَةُ تَرَى ذَلِكَ أَعْلَيْهَا  
غُسْلًا قَالَ نَعَمْ إِنَّمَا النَّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ))

لذلك حتى في موضوع الشكل، لماذا النبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن نستأذن بناتنا في التزويج؟ لأنه زوجها سوف يكون شريك حياتها، الأب موافق لأنه أعلم بالرجال، والبنت موافقة لأن هذا سوف يكون زوجها، فإن كرهته ينبغي ألا تجبرها على ذلك، عَنْ ثَوْبَانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ))

[ الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدرامي ]

يعني أعداء الدين لا يخيفون، لا نخاف منهم لأنهم مكشوفون، الرجل الكافر رجل يقول لك: الإله غير موجود، أنت لا تخاف منه، لا يؤذيك، لأنك تأخذ حذرَكَ منه حذراً كاملاً، ولك خطوط دفاع كبيرة جداً، لما ترى الشخص كافراً وملحداً أو زنديقاً أو فاجراً أو مشركاً، وهو يتحدث أنت داخل حصن، أخذت حذرَكَ، لك خطوط دفاع، كل شيء منته، لكن من هذا الذي يمكن أن يضل الناس؟ هو الذي يدعي الدين، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ))

وقد قيل: الخطر على الدين لا من أعدائه، بل من أديعائه، رجل مثلاً ثقافته الإسلامية ضعيفة جداً، رأى شخصاً له زي ديني، يكذب، أو يبتز أموال الناس، أو له انحرافات أخلاقية، وله مظهر ديني، هذا الجاهل مشكلته لا يكفر بهذا الإنسان، يكفر بذلك الدين، لأن كل إنسان داعية، وهناك إنسان له مهمة معاكسة، ماذا يسمى؟ يصد عن سبيل الله، فإذا تزيّن الإنسان بزي ديني، وأساء للناس أخذ دوراً معاكساً للداعية، فإما أن تكون مقرباً، أو إما أن تكون مبعداً، وإما أن تكون محبباً، وإما أن تكون منفراً، إما أن تكون أداة وصل، أو أداة فصل. هناك رجل اسمه روجيه غارودي، هذا رجل كان رئيس حزب أساس مبادئه الإلحاد في فرنسا، ثم أسلم، وسمعت أنه قد حسن إسلامه، وزار هذه البلدة رئيس حزب أساس حزبه أنه لا إله، سابقاً، ثم أسلم، وحسن إسلامه، وفيما سمعت يروي قصته في الحرب العالمية الثانية وقع أسيراً، وقد جاء أمر بجندي مغربي أن يقتله، فامتنع هذه الجندي المغربي عن قتله، وقال: أنا لا أقتل الأسير، ديني يأمرني ألا أقتل الأسير، بقيت هذه الكلمة ثلاثين عاماً

تتفاعل مع وجدانه، هذا الإسلام، الإسلام يمنع أن يقتل فيه الأسير، إلى أن حمله هذا الموقف الأخلاقي العقيدي الورع على أن يسلم، ولا تستغربوا هناك أشخاص كثيرون سبب إسلامهم موقف أخلاقي، يقول لي مرة أحد إخواننا: عندما كان صغيراً دخل إلى المسجد فسرق حذاؤه، فأقسم بالله لن يدخل بيت الله في حياته، كان طفلاً صغيراً، سمعه رجل مصلحاً محسن، قال له: تعال، اشترى له حذاء جديداً، هذا الإنسان المحسن الذي اشترى حذاء جديداً لمن سرق حذاؤه كان له أثر بتحديد الدين إلى أبعد ما يكون، موقف أخلاقي واحد ممكن أن يفعل بك فعل السحر، فأنت وطد نفسك، فإما أن تكون منفراً، أو مقرباً، أو مبعداً محددًا أو منفراً، أداة وصل، أو أداة قطع بعملك، فالكلام ليس له قيمة أبداً، لهذا قال النبي الكريم:

### ((بعثت لمدارة الناس))

الاستعانة باللغة العربية تعني أن أستعين على هدايتهم بمداراتهم، قال أحدهم: عجبت من النبي الكريم، عجبت لمن يشتري العبيد بماله ليعتقهم لما لا يشتري الأحرار بمعرفه، المعروف له أثر، إذا كنت داعية أنا أدلك على الطريق، سر المهنة إذا كان حولك جيران أقرباء أصدقاء زملاء، أخوك مثلاً، ابنك، أحسن له.

أعرف أحد إخواننا الكرام زار أخته مرة، فوجد أنه يوجد في البيت ضجيج، وهناك سوء تفاهم بين أخته وزوجها من أجل 300 ليرة في الشهر، هي تطلب منه 300 من أجل المصروف، وكسوة، وهو دخله محدود، لا يوجد معه، لم يقبل أن يعطيها، فأحبب الأخ أن يعمل عملاً صالحاً، قال لأخته: 300 أنا أدفعها لك، وبقي شيء، فسكتا، جاء أول شهر دفع 300، أول يوم بالشهر، الله يرضى عليك، الله يحفظك، ثاني شهر، دفع، يقول لي بالحرف الواحد: سادس شهر قالت له: يا أخي اعمل لنا درساً؟ قال: كما تريد، جمعت له بناتها، وبنات أختها الثانية، وسبعة آخرين، أعطاهم كل جمعة درس قرآن، ودرس حديث، وحفظ قرآن، الدرس أصبح الآن في حدود سنتين أو ثلاث، أصبحوا يحفظون القرآن، أصبحوا يتحجبون، أتاهم أزواج مؤمنون، هذه 300 ليرة في الشهر، وبعد ستة أشهر من دفعهم أصبح هناك طلب للحق، وإذا أردت أن تخدم الناس فقط فاخدمهم، كن أخلاقياً، كن مهذباً، كن محسناً، كن موثقاً، ابن حياتك على البذل تر أن الإنسان أصبح يحبك، بالبر يستعبد الحر، وبعد ذلك يجب دينك، وبعد ذلك يجب جامعك، بالتسلسل، أول شيء يحبك، وبعد ذلك يقول: والله هذا الإسلام، وبعد ذلك يجب جامعك، وبعد ذلك يقول لك: هل عندك شريط، وبعد ذلك أتصحبني معك إلى الجامع؟ وبعد ذلك ترى أنه أصبح من إخوانك، لم يذهب أولاً إلى الجامع، بعد محاولات طويلة بعد بالإحسان، والإقناع، والإكرام، حتى شعر أنه

مجتمع مثالي، المؤمنون مجتمعهم مثالي، فإذا أردت أن تكون داعية يجب أن تكون محسناً، النبي عليه الصلاة والسلام يوحى إليه، وهو معصوم، أنزل عليه الكتاب، والذي أنزل عليه الكتاب، والمعصوم، والذي يوحى إليه الله خاطبه فقال:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 159 ]

يعني أنت يا محمد على عظمتك، وعلى عصمتك، وعلى نبوتك، وعلى أنه يوحى إليك، أنت بالذات لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فنحن من نحن؟ ليس لدينا لا عصمة، ولا كتاب، ولا وحي، فيجب أن نكون في أعلى درجات التهذيب والإحسان واللطف، بالبر يُستعبد الحر، إذاً:

((إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ))

هذا الحديث إجابة من النبي الكريم لأحد الصحابة، النبي الكريم من أصحابه؟ مرت جنازة أحد الصحابة، قال: لقد استراح الميت، النبي صلى الله عليه وسلم إذا سكت ماذا يعني سكوت النبي صلى الله عليه وسلم؟ يا إخوان يعني أن كلامه صحيح، فما سكت النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: إنما استراح إن غفر له، هذه قاعدة فخذوها: ما بعد الموت أخف من الموت للمؤمن، وما بعد الموت أشقى من الموت للكافر، رجل يدرس فرضاً، وتنتهي الدراسة، ويأخذ الشهادة، ويتعين، ويتزوج، بعد ما درس، وتعب، وأخذ الشهادة سابقاً، وليس الآن طبعاً يرقى، أما إذا ارتكب جريمة يحاكم محاكمة، فعلت أم لم تفعل، وبعد ذلك في الزنزارة، وبعد ذلك يوجد شنق، وبعد ذلك يوجد جهنم، فالمؤمن دائماً في صعود، والكافر في تدهور، فالنبي ماذا قال؟ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَقَدْ أَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْدَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبَلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ دُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِنْ بَطُ بِلَالٍ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

قصر الاستراحة على المغفرة فقط، الإله غفر لك، أما إذا لم يغفر لك فلو أن الناس جميعاً كانوا يحبونك، والله لا

يحبك فأنت أخسر الخاسرين،

### ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾

[ سورة الكهف: الآية 110 ]

يوجد أناس يفهمون هذه الآية فهماً آخر، ماذا يعني أن النبي بشر؟ طبعاً هو بشر، يتوصل منه إلى أنه يخطئ، معنى الحديث السابق أن النبي عليه الصلاة والسلام تجري عليه كل خصائص البشر، لو فرضنا أنه لا يخاف، هل يسمى شجاعاً؟ لو أنه لا يغضب هل يسمى حليماً؟ لو أنه لا يجوع هل يسمى صابراً؟ لو أنه لا يحب وطنه هل يسمى مهاجراً؟ معنى أنه بشر، أي تجري عليه كل خصائص البشر، ولولا لم تجري عليه كل خصائص البشر لما كان عظيماً، ولما كان بطلاً، لأنه يخاف قال:

((لَقَدْ أَخَفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُودِيْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْدِي أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِلبَلَالِ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُؤَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ))

لأنه يخاف، ويجوع، ويؤذى، هل يشعر بالحر؟ طبعاً، اذهب إلى المدينة، وشاهد حرها، أربعون، خمسون، وستون، يحس بالحرارة، ويحس بالجوع، ويغضب، ويحب وطنه، أحدهما وصف له مكة أيام الربيع فانهمرت دمعة على خده الشريف، قال له: يا أصيل، لا تشوقنا، إذا كان يحب مكة فقد تركها متألماً، ولما خرج منها قال: والله إنك لأحب بلاد الله إلي، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت، إذاً يحب وطنه مثل أي إنسان آخر، ويحب أولاده، سيدنا إبراهيم لما مات دمعت عينه صلى الله عليه وسلم، هذا معنى:

### ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾

وليس معناه أنه يخطئ، لا، إنه معصوم، لكن لولا أن خصائص البشر تجري عليه، لا يحب أن تكون زوجته فتية مثلاً؟ طبعاً، لماذا أخذ نساء أراذل كبار السن، ولديها أولاد؟ رحمة بها، أكثر زوجاته كن أراذل، وبعضهن كن دميمات، وبعضهن كان لهن أولاد، إذا هو إنسان، أليس بشراً؟ ألا يتمنى زوجة فتية نضرة؟ بلي، طبيعي، ولكن أظهر بطولته، الحياة ليست متعة، الحياة أعمال صالحة.

أيها الإخوة الأكارم: إذا سمعتم أن الله جل وعلا يقول:

﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾

ليس معناها أنني أغلط؟ لا، معناها لولا أن خصائص البشر كلها بتفاصيلها تجري عليه لما كنت عند الله بهذا المقام العلي، ولما كنت ذا خلق عظيم، يعني أنت تغضب إذا كان الأكل غير جاهز، لو دخل النبي إلى بيته اللهم صل عليه، ولم يجد الأكل، فأنت عندما تغضب هو يغضب، ولكن هو ذو خلق عظيم، هل عندكم شيء؟ قالت: لا، قال: أنا صائم، هل تفعل أنت هذا؟ تقيم القيامة إذا لم يجهز الطعام، هو بشر تجري عليه كل خصائص البشر، هذا معنى قوله ﷺ، عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع خُصومةً بباب حُجرتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:

((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَضْمُ فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَدَقَ فَأَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ  
فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ فَلْيَتْرُكْهَا))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك ]

أنا أعد هذه الحديث أصلاً من أصول الدين، حتى النبي عليه الصلاة والسلام إن حكم لك، وتكلم بفمه الشريف كلمة تبرئك من حق أخيك المسلم، وأنت لم تكن كذلك فلا تتجو من عذاب الله، إذا لم يخلصك النبي فهل الشيخ سوف يخلصك؟ كلام منطقي، إذا كان النبي لا يستطيع أن يخلصك فهل سوف يخلصك شيخ؟ أحدهم قال لإخوانه هكذا سمعت القصة، توفي أحد مرديه، فجاء الملك من أجل أن يحاسبه، فوجد رجلاً ضربه فخرج من القبر، قال: أمثل هذا يسأل؟ هذا تلميذي، ما هذه السحبة، إذا كان النبي لا يستطيع أن يخلصك، أفيخلصك شيخ، لا والله، والله لا ينجيك إلا عملك الصالح، وإلا طاعتك لله، وإلا استقامتك، ابقوا واقعيين، وعلميين موضوعيين، الشيخ يقدم لك الحق الصافي النقي، ويقدم لك إنساً روحياً، وتنتهي مهمته، يبين لك، وإذا كنت أنت أحببته، وأصبح هناك لقاء تشعر بإنس، هذه ثابتة، المرء مع من أحب، نكون مع رسول الله، ونحن والجنة كهاتين، لكن لا يخلصك من ظلامه، لا يخلصك، هذا كلام قطعي.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 052 - 127 ) : الترهيب من أن يحقر المسلم أخاه وترهيب ذي الوجهين

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-08-1992

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، ونفعا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، و ارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الأكارم، من المنزقات التي ينزلق فيها الإنسان في عصرٍ كثرت فيه الاضطرابات والفتن والضغوط، من المنزقات أن يكون ذا وجهين وذا لسانين، سلوك مريح، قال تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾

أنتم الحق معكم،

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)﴾

(البقرة)

أي: إنما نحن مستهزؤون بهؤلاء، قال تعالى:

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)﴾

(البقرة)

أيضا لاحظت أن سلوك الوجهين، وذي اللسانين، ذي الموقفين، ذي الاتجاهين، ذي التصورين، سلوك هذا الإنسان لا يتناسب مع الإيمان إطلاقاً، المؤمن له خط واضح، سريره كعلانيته، معتقده على لسانه، لسانه يترجم معتقده، فلاحظت في حالات كثيرة أن هناك انزلاقاً نحو هذا السلوك، وطالعت كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري - رحمه الله تعالى - وهو من أثنى كتب الحديث، هذا الكتاب بني على الترغيب والترهيب، أنا قبل شهر

تقريباً أدّرسه بعد صلاة فجر كل يوم السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، نأخذ كل يوم فصلاً، فصلاً في الترغيب، وفصلاً في الترهيب، هو أربعة أجزاء، له مختصر اختصاره مخلّ، فرق كبير جداً بين اختصاره وأصله، لذلك ربما لا تجد في الاختصار شيئاً يشدك إليه، لأن اختصاره كما قال بعض العلماء اختصار مخلّ، فأنا عدت إلى أصل الكتاب، ووجدت في الترغيب والترهيب أيها الإخوة باباً عنوانه: ترهيب ذي الوجهين وذي اللسانين.

أحياناً الإنسان بدافع من ذكاء، أو دافع من مصلحة، أو لينعش عمله، أو يريد يسلم نفسه، أو يرغب ألا يكون عنده أعداء إطلاقاً، فيرضي هؤلاء، ويرضي هؤلاء، يجامل هؤلاء، ويجامل هؤلاء، وهو في الحقيقة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، هذا الإنسان ذو الوجهين، وذو اللسانين، يا ترى هو مؤمن؟ والله ما هذا هو الإيمان، هل هو كافر؟ لا والله، عنده عواطف دينية، حينما أخذ هاذين الاتجاهين المتناقضين، وجامل هؤلاء، وجامل هؤلاء ضيع نفسه، وفقد هويته، لا هؤلاء قبلوه، ولا هؤلاء قبلوه، لذلك هناك أحاديث صحيحة وعديدة تحذر، وترهب من أن يكون الإنسان ذا وجهين.

طبعاً أحياناً يكون في الحديث فقرة واحدة تعني موضوعنا، وفقرات كثيرة عولجت في مواطن أخرى، وفي أوقات أخرى.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِينَ))، يعني أصنافاً مختلفة، ومن باب الطرفة أقول: فلان ذهب من عيار أربعة وعشرين، وفلان ذهب ولكن عيار ثمانية عشر، وفلان ذهب ولكن عيار ستة عشر، فلان ذهب عيار أحد عشر، وفلان نحاس مطلي بالذهب، وفلان نحاس ملّمع، وفلان حديد، الناس معادن، هناك معادن ثمينة، ومعادن خسيصة، هناك إنسان بالمعاملة يزداد تألقاً، وبالاحتكاك يزداد ورعاً، وبالسفر يزداد كمالاً، ويتعاملك معه بالدرهم والدينار يزداد عفة، وكرماً، وهناك إنسان عند بعدٍ يرضيك، أما إذا عاملته بالدرهم والدينار لا يرضيك، أما إذا سافرت معه لا يرضيك، أما إذا جاورته لا يرضيك، فالبطولة لا أن يرضى الناس عنك عن بعدٍ، أخي نحن لما نتشارك بغضب، ما هذا الدين إذًا؟ ديننا لا يظهر إلا بالشراكة، إذا كنت جيداً من دون شراكة، ومن دون جوار، ومن دون سفر، ومن دون تعامل بالمادة، فأنت لست جيداً، لكن أنت جيد إذا صمدت على المحاككة بالدرهم والدينار، أنت جيد إذا أتى الناس عنك في السفر، أنت جيد إذا جاورت الناس فأثتوا على جوارك، فلذلك أيها الإخوة عن بعدٍ لا يُعرف الإنسان، لا يعرف إلا بالمحاككة، وهذا ما فعله سيدنا عمر، قال لأحدهم: أتعرفه؟ قال: نعم أعرفه، قال: هل جاورته؟ قال: لا، قال:

هل حاككته بالدرهم والدينار ؟ قال: لا، قال: هل سافرت معه ؟ قال له: لا، قال: أنت لا تعرفه.

((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَجْهِ وَيَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَجْهِ))

ملاحظة مهمة، حتى الذي قبل أن يصلي، قبل أن يصطلي مع الله عنده مكارم أخلاق، عنده شهامة، عنده مروءة، عنده رحمة،

((خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا))

هذا المعدن الطيب إذا جاءه العلم فهو شيء رائع جدا، معدن طيب من دون علم، يفعل عملا صالحا وآخر سيئا، جيد، هو شهم، كريم، لكنه مرتكب ليعض المعاصي، وهو يجهلها أنها معاص، فما أروع ذا الطوية الطيبة إذا تعلم أمر دينه، ما أروع النفس الطاهرة إذا عرفت ربها، ما أروع النفس البريئة النظيفة إذا أقبلت على الله عزوجل،

((وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَجْهِ وَيَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَجْهِ))

إذا اقترب من الكفار الفجار من أهل الدنيا وأنتى عليهم فقد أغضب الله عزوجل، أحيانا الفاسق عنده وحشة، فإذا حاءه مؤمن أنتى عليه يطمئن، أنت طمعتة، أنت جعلته يرضى عن نفسه، المؤمن إذا أنتى على الفاسق يقول النبي الكريم:

((إِنَّ اللَّهَ لِيَغْضَبَ إِذَا مُدِحَ الْفَاسِقُ))

إذا أثبتت على الفاسق أقررتة على فسقه، وأعطيته إشارة، قال لك: نحن مضطرون، الفاسق دائما عنده حالة قلق، حالة عدم توازن، فطرته تعذبه دائما، فإذا لقي مؤمنا، وطمأنه وأنتى على عمله، وأقره على انحرافه أو على تقصيره هذا المؤمن يكون قد غشّه، وورطه ودفعه إلى مزيد من هذا العمل، فلذلك ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها، وذو اللسانين لا يكون عند الله وجيها.

لا تتسوا هذا، وإذا مدحت الفاسق وهناك مؤمن موجود معك، وهذا المؤمن يثق بك، فلما مدحت الفاسق اختل توازن هذا المؤمن، إن صدقك ضيعته، وإن لم يصدقك خسرت، يقول لك: ما هذا الدجل؟ إن صدقك ضيعته، إنسان لا يصلي، إنسان شارب للخمر، إنسان مقصر، إنسان عقيدته فيها زيغ، إنسان مبتدع، تنثني عليه، فإن صدقك أضللت، وإذا كذبك خسرت.

فذلك أيها الإخوة أنا أعاني أحيانا في عقود القران، تجد الخطباء في عقود القران دون تحقق، ودون معرفة يلقون بالمدايح جزافا، و بالثناء غير المتحفظ على الشاب والشابة، العروسين، أنت لست متأكدا، وهناك من يعرفهم، فإذا وضعت علمك ومكانتك الدينية موضع شك هُزئت مكانتك، و هُزئت صورتك عند هؤلاء،

### ((إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق))

إذا مدحت الفاسق أوهمت الناس أنه على حق، أوهمت السذج أنه على حق، و خسرت الأذكياء، الأذكياء لا ينطلي عليهم هذا المديح، حينما يرونك تمدح فاسقا تسقط من أعينهم، خسرت هؤلاء.

أنا أقول كلمة: إذا تكلم الإنسان شيئا غير صحيح، أمامه نموذجان؛ أمامه إنسان بسيط يسلم له، ليس له هذه القدرة ليكتشف خطأه، عنده ثقة، وأمامه إنسان ذكي دقيق، البسيط غششته، والذكي خسرت، فأنت خسرت على جبهتين، الأول البسيط الذي صدقك ووثق بك غششته، والذكي الحصيف خسرت، أما إذا تكلمت الحق، وحرصت على أن تقول الحق، ولو كان الثمن باهظا، إنك ترقى عند الناس.

إذا:

((وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ دَا الْوُجْهِينِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ  
بِوَجْهِهِ وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِهِ))

بالتعبير العامي: أعطه جملة، من أخذ أمي عمي، هذه لا آية ولا حديث، كلام الجهلة.

أحيانا مصيبة المصائب أن ثمة أقوالا لا هي آيات، ولا أحاديث ولا حكم ولا أقوال الصحابة، ولا أقوال التابعين، ولا أقوال علماء، هي أقوال أناس منافقين، أقوال أناس ضعفاء النفوس، يقول لك مثلا: " امش في جنازة، ولا تمش في زواجة"، ما هذا؟ هذا توجيه من؟ النبي الكريم يقول:

## (( أفضل شفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح ))

إذا سعيت في زواج شاب مؤمن من شابة مؤمنة فهذا أعظم عمل عند رسول الله، فأنا أدع قول النبي صلى الله عليه وسلم والتقت إلى قول العامة الساذجة البسطاء دهماء الناس وسوقتهم؟!!

خطورة ذو الوجهين أنه حينما يلتقي بالمؤمنين، و يثني عليهم، يظنونه مؤمنا، فيعطونه بعض أسرارهم، وحينما يلتقي مع الكفار قد ينقل لهم أسرار المؤمنين، نقاط ضعفهم، مشكلات فيما بينهم، وإذا لقي الكفار أعطاهم أسرار المؤمنين، هذا اخطر عملا من النمام، النمام ينقل كلام شخص إلى شخص، أما هذا فنمام مزدوج، ينقل كلام هؤلاء لهؤلاء، وكلام هؤلاء لهؤلاء.

لولا أنني لاحظت أناسا كثيرين يقفون مواقف متناقضة، يجلس مع المؤمنين، فيقول: ما شاء الله، هذا هو الدين، يثني، وتلاحظه مع أهل الدنيا الشيء نفسه، يثني عليهم، وعلى ذكائهم، وعلى حصافتهم، وهم لا يصلون، تركوا الدين، وأموالهم كلها بالربا، نساؤهم كاسيات عاريات، يجلس معهم فينسجم.

أنا أقول كلمة: إذا وجدت نفسك منسجما انسجاما تاما مع إنسان تارك للصلاة أو دينه رقيق أو دخله حرام، والله هذه علامة خطيرة جدا، معنى ذلك أنه ليس عندك هذه الطهارة النفسية، لا هذا السمو الذي يجعلك تأبى أن تكون معهم، العلاقات الحميمة التي يقيمها المؤمنون مع أهل الدنيا هذه مؤشر ليس في صالحهم، أنت لا بد أن تكره تارك الصلاة، يجب أن تشعر أن هذا الذي لا يطيع الله عزوجل لا شأن له، سبحان الله! في بعض الأحاديث أن الله عزوجل أرسل ملائكة لإهلاك بلد، قالوا: يا رب، إن فينا رجلا صالحا، قال: به فابدؤوا، يا رب لماذا؟ قال: لأن وجهه لا يتمر إذا رأى المنكر، أنت أليس لك هذه الغيرة على الدين؟ شخص نساؤه سافرات، تارك للصلاة، تحبه، و تودّه، و تزوره، ولا تتصحح إطلاقا، تريد أن تمرر مصلحتك معه، هذه الحالة حالة مرضية.

فلذلك أيها حتى يزداد المؤمنون ترابطا، حتى يشعر المؤمن بقيمته، لا بد أن يكون ذا وجه واحد، ولسان واحد، قال رجل لسيدنا عمر t: أتحنني؟ فقال له: والله لا أحبك، صريح، الصحابة الكرام كانوا على أعلى درجة من الوضوح والجرأة.

حديث آخر، ولكن عندنا هنا ملاحظة قبل أن ننتقل إلى حديث آخر، لو فرضنا أنك تعرف أن بين هاتين الأسرتين خصاما، وذهبت إلى أول أسرة، وقلت لهم: والله الأسرة الفلانية يحبونكم، وهم حريصون على رضاكم، ولم يتكلموا عنكم ولا كلمة، وتكلمت كلاما معاكسا عند الأسرة الثانية، والله الجماعة أيضا دعوكم ويحبونكم، هذا الوضع الإصلاحى لا ينطبق عليه حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، أنت من أجل الإصلاح يمكن أن تخفي بعض الحقائق، يمكن ألا تتقل بعض الكلمات، هنا في هذا الموضوع والموطن لا ينبغي أن تكون موضوعيا، لو كنت موضوعيا لبعدت الشُّقة بين الأسرتين، فأغفل كل شيء سيئ، وأبرز كل شيء حسن، والحسن زينته، وبادر به قليلا حتى يلين القلب.

أنا أشعر أحيانا لو فرضنا أن ثمة خصاما زوجيا، تسمع من والد الزوجة أنها لا تريد زوجها إطلاقا، وتسمع من الزوج أنه لا يريد لها، لو قلت للزوج: والله إنها لتحبك، وحريصة أن ترجع إليك، وتتمنى أن تكون معك، وذكرت كلاما آخر للزوج مشابها، أو للزوجة مشابها، كذلك هو حريص عليك، فمال قلبها إليه، ومال قلبه إليها، ففي موضوع الإصلاح لو كنت موضوعيا، لو نقلت نقلا أميناً ما قاله الزوج في حق صاحبه لازدادت الهوة، هذه حالات نادرة، لن تصلح بين الناس إلا إذ أغفلت السلبيات، وأدرجت الإيجابيات.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ:

((إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا))

(البخاري)

إذا دخلنا عليه نقول له كلاما بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده.

مثلا، دخل أحدهم على موظف بأدب بالغ، واحترمه احتراما شديدا، أطال الله عمركم، ما شاء الله، كل أعمالك حكيمة، خرج من عنده وهو يلعنه، هذا ليس سلوك المؤمن، إن رأيت من الحكمة أن تمدحه، أو تحترمه فلا مانع، لكن لا تسبه بعد ذلك، أما وأنت في حضرته تتثني عليه، وإذا خرجت من عنده عملت عملا، أو أما وأنت في حضرته تتثني عليه، وإذا خرجت من عنده عملت عملا، أو حركت أصابعك حركة، أو تكلمت بكلمات توحى بأنك لا تحترمه، هذا ليس من أخلاق المؤمن أبدا.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ - وهو عبد الله بن عمر - قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ:

((إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا))

(البخاري)

وفي رواية ابن ماجه عن أبي الشعثاء قال: قيل لابن عمر:

((إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَمْرَائِنَا فنَقُولُ الْقَوْلَ فَإِذَا خَرَجْنَا قُلْنَا غَيْرَهُ قَالَ كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّفَاقَ))

(ابن ماجه)

إذا تكلمت بكلام، و خرجت وتكلمت بكلام آخر، فهذا كما قال عنه سيدنا ابن عمر:

((كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّفَاقَ))

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

((ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ))

رجلان متخاصمان وقفا أمام قاض، تكلم الأول فقال له: معك الحق، تمام، تكلم الثاني فقال له: معك الحق، سمعته زوجته من وراء الستار تقول له: يا فلان، ما هذا الحكم ؟ فقال: والله معك حق أنت أيضا، لك وجهان أو ثلاثة أو أربعة، ليس هذا من أخلاق المؤمن.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

((ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ))

(رواه الطبراني في الأوسط)

إذا دائما عود نفسك أن يكون لك موقف واحد، لسان واحد، عقيدة واحدة، لكن أقول لك: يمكن أن ترى إنسانا قويا، ليس في إمكانك أن تتصح، ولا أن تدمه، فلا مانع، اصمت، أما إذا مدحته فهذا نفاق، إن كنت أضعف من أن تتصح قويا، أو أن تدمه فعليك أن تسكت، وإذا سكت فلا يلومك أحد، أما إذا تكلمت بخلاف قناعتك عندئذ تظهر منافقا.

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ))

(أبو داود)

الآية الكريمة:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾

(البقرة: 8 - 10)

وروي عن أس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جَعَلَ اللَّهُ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ))

لذلك أيها الإخوة، لا شيء يسقطك عند الله، و عند الناس كان تكون ذا وجهين، وذا لسانين.

دائما أقول لكم: كلمة الحق لا تقطع رزقا و لا تقرب أجلا، و ربما إذا قلت الحق - دائما الشخص الذي ترهبه لو نصحته لأحبك، ولو نافقته لأحتقرك، على خلاف ما تظن، إذا نصحته بأدب، لست مكلفا أن تكون وقحا، قال أحدهم لخليفة: إني سأنصحك وأغلظ عليك، قال له: ولم الغلظة يا أخي ؟ لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون، ومع ذلك قال له:

## ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)﴾

(طه)

يمكن أن تتصح إنسانا بأدب جم، وفي التاريخ الإسلامي عندنا مواقف مشرفة جدا، من علماء حينما نصحوا الخلفاء، رجعوا إلى رشدهم، واستفادوا من هذه النصيحة، أحيانا يلتقي إنسان مع مدير ناحية، خوِّفه بالله عزوجل، قل له: كل موقف تقفه سوف تُسأل عنه، الإنسان حينما يكون قويا قوته تجعله يتمادى، أما إذا بينت له أن ثمة مسؤولية، وحسابا دقيقا، هذا الذي أكلت حقه لن يسامحك عند الله عزوجل، إلهٌ عظيم، فأنت بدل أن تثني انصح، لذلك من أعان ظلما سلَّطه الله عليه، من أعان ظلما ليظهر الله آياته يجعل هذا الذي أعان الظالم أول ضحاياه، من أعان ظلما ولو بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا على جبينه: آيس من رحمة الله.

إذا أحاديث الترهيب من ذي الوجهين ومن ذي اللسانين أعيدها على أسماعكم سريعا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كِرَاهِيَةً وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَّجِهِ وَيَأْتِي هُوَ لَاءِ بَوَّجِهِ))

والحديث الثاني: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَنَسُ لِابْنِ عُمَرَ:

((إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ خِلَافَ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا))

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ))

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ))

وروي عن أس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا جَعَلَ اللهُ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ))

هذه خمسة أحاديث شريفة وصحيحة السند والمتن ترهب وتخوف من أن يقف الإنسان موقفين متناقضين، له موقف معطن، وموقف باطن، له مظهر وله مخبر، له سريرة وله علانية، مع هؤلاء، مع هؤلاء، يمدح هؤلاء، ويتهم خصومهم، ويأتي خصومهم فيمدحهم ويتهم الآخرين، هذا السلوك سلوك لا يتوافق مع الإيمان إطلاقاً.

استثنينا من هذا الإصلاح بين أسرتين، بيم أخوين، بين شريكين، بإمكانكم أن تسكت عن الكلمات القاسية التي قالها الأول في حق الثاني، وأن تأخذ من بعض كلامهم، وأن تتبالغ فلا مانع، فلعل قلب الأول يلين للثاني، وهكذا.

هذا الباب الأول الترهيب من أن يكون الإنسان ذا وجهين وذا لسانين.

والباب الثاني الترهيب من احتقار المسلم لأخيه المسلم، وهذا أيضا مرض شائع بين بعض المؤمنين، هو مقتنع أنه على حق، وما سواه على باطل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))

(مسلم)

الإنسان قد يكون مؤمناً غنياً، فإذا احتقر مؤمناً فقيراً ما الذي يحصل؟ قد يكون هذا الفقير أقرب إلى الله من هذا الغني، قد يكون هذا الفقير أشد إخلاصاً، قد يكون هذا الفقير أشد ورعاً، قد يكون هذا الفقير أقرب إلى الله عزوجل، فإذا احتقرته وهو أرقى منك إلى الله عزوجل عندئذ تصاب بخيبة أمل كبيرة جداً، أحياناً الإنسان على مستوى الدراسة يكون الطالب هادئاً لا يحب الضجيج ولا (البهورة) - باللغة العامية - تحتقره، فتعجباً في الامتحان أنه الأول، حينما تعجباً أن هذا الذي تحتقره قد سبقك هذا حالة اسمها خيبة أمل مرة، فالمؤمن حتى لا

يتفاجأ لا يحتقر أخاه المسلم،

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُثْبِرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِئٍ  
مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))

(رواه مسلم)

الآية الكريمة:

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)﴾

(الواقعة: 1 - 3)

عندنا مقاييس في الدنيا، والناس تعارفوا على هذه المقاييس، مقياس المال، مقياس الوجاهة، مقياس الذكاء، مقياس الجمال، مقياس الصحة، مقياس النسب، مقياس القوة، هذه كلها مقاييس، لكن من أدراكم أن الله عزوجل لا يعترف على كل هذه المقاييس، و ليس عنده إلا مقياس واحد، وهو التقوى والطاعة، وسوف نأتي على بعض الأحاديث في هذا المعنى.

هذا الحديث الأول رواه مسلم،

((بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))

ومعنى عرضه سمعته، إذا سئلت عن أخيك المسلم وقلت: ذمته ليس تامة، أين أنت؟ مؤمن قليل ذمة؟ أنت اتهمته بأقدس ما عنده، أنت اتهمته في دينه، تقول: ليس لي به ثقة، حينما تتهم مؤمنا صادقا فقد وقعت في إثم كبير، من أساء الظن بأخيه فقد أساء الظن بربه.

الحديث الثاني، وهذا الحديث دقيق جدا، رواه مسلم أيضا والترمذي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ))

(رواه مسلم والترمذي)

لأن الكبر يتناقض مع العبودية لله عزوجل،

((قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ))

نظيفا، يحب الأناقة، يحب الانسجام في الألوان، يحب أن يكون مظهره أنيقا، ولكنه ليس متكبرا، لا يحب المظهر السيئ،

((قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))

يحبك نظيفا، أنيقا، صاحب ذوق، تلبس سروالا من دون جوارب، ونعل من غير شسع ولا خيوط، وله لحية، ويدعي أنه صاحب دين، هذا لا يجوز، أنت مظنة صلاح، هذا مظهر لا يليق بمؤمن، أنت تمثل الدين، ليس شرطا أن يكون لباسك غاليا، البس أرخص الثياب، لكن تكون فيها نظافة، وشيء مما تعارف الناس أنه مقبول،

((قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))

إذا التقيت بإنسان لأول مرة في حياتك، كنت عند صديق، ودخل شخص فجلس، والصديق مشغول، نظرت إليه، كيف تأخذ عنه فكرة؟ من ثيابه أولاً، من هندامه، من شعره، هل يعتني به؟ وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ))

(أبو داود)

أحيانا من حذائه، من جواربه أحيانا أخرى، فإذا تكلم نسيته مظهره، والتقت إلى كلامه، فإذا عاملك نسيته كلامه، قبل أن يتكلم تأخذ عنه فكرة من مظهره، ومن هندامه وأناقته و ثيابه، وشعره، فإذا تكلم نسيته هندامه، الكلام مثل العسل، فهيم، مثقف ثقافة عالية، متفلسف، لكن حينما عاملك و لم يكن منصفا، ولم يكن متواضعا، كان متعجرفا سلطا، عندئذ تنسى كلامه، وتتأثر بمعاملته، والأكمل أن يجمع المؤمن بين المظهر الحسن و المنطق الحسن، والمعاملة الحسنى، فالنبي صلى الله عليه و سلم قال: لا، ليس هذا كبيرا،

((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ))

بطر الحق أي ردّ الحق، رفضت الحق، رفضت أن تقبله، رفضت النصيحة، رفضت الانصياع لها

((إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ))

وغمط الناس احتقارهم، تعريف جامع مانع للكبر من قبيل النبي صلى الله عليه و سلم.

هناك أشخاص متكبرون، لا يتحمل رجلا قريبا من مكانته، يصفه أنه لا يفهم، وهو الذي يفهم فقط، فلان تجارته رائجة، فيقول: كذاب، فقط أنت الذي يفهم، وأنت تجارتك رائجة، لا يتحمل مديحا لإنسان آخر، هذا متكبر، هذا الذي لا ينصف الناس هذا متكبر، النبي صلى الله عليه و سلم عرّف الكبر بأنه

((بَطْرُ الْحَقِّ - أي ردّ الحق - وَعَمَطُ النَّاسِ - أي عدم إنصافهم - ))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا سَمِعْتُمْ رَجُلًا يَقُولُ: قَدْ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلُهُمْ))

(مسلم، وأبو داود، واللفظ له)

يقال: ليس هناك أحد فيه دين، وأحيانا يقول لك أخ: كل الذين عندك لا يطبقون حديثا، يأتون تضييعا للأوقات، ليس فيهم أحد يطبق؟! ما هذا الكلام؟ كلام فيه مبالغة، تجد واحد واثنين مقصّرين، ولكن كل الحاضرون لا مصلحة في مجيئهم؟! ليس هناك علاقات مادية، ولا مكاسب شخصية، ولا دنيا، يأتي بيت الله ليتعلم، أنت

اطلعت على أعمالهم، تعرف أحوالهم الخاصة، أزعج بعضهم فقلت: كل هؤلاء سيئون، كلما قلت: كل، معنى ذلك أنك جاهل، لأن التعميم من العمى، لا يعمم إلا جاهل.

ذهب أحدهم إلى بلد، لتكن مدينة حلب مثلا، أساء إليه سائق، فيقول: كل أهل حلب سيئون ! ما هذا الكلام؟! فيها صالحون، فيها طيبون، دينون، مستقيمون، ورعون، فيها من هذا الجنس، وفيها من الجنس السيئ، حينما تتجه إلى التعميم فأنت لست مثقفا، و لست عالما، ولست منصفا، وأنت متكبر، هذا حديث خطير جدا، إذا

((إِذَا سَمِعْتُمْ رَجُلًا يَقُولُ: قَدْ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ))

أنا أعاني من هذا، تجد شخصا مقصرا جدا، يقول لك: كل هؤلاء الإخوان غير جيدين، كلهم ؟ لا أحد يطبق شيئا، هذا الكلام يدخل من هنا، و يخرج من هناك، بيوتهم سيئة، معاملتهم سيئة، هل عاملت الجميع ؟ عاملتهم واحدا واحدا ؟ من قال لك ذلك ؟ إذا أزعجك واحد منهم أو اثنان، وكانوا مقصرين حقيقة، تعمم الأمر على أناس طيبين طاهرين ورعين مستقيمين، يدهم طولى في الخير، هذا ليس موقفا منصفا، فعود نفسك ألا تقول: هلك الناس، من قال كل: هلك الناس ؟ الدنيا ما زالت بخير، لو أن الإنسان معه وقت، ويتتبع الأمر سيجد أسرا مستقيمة محافظة، وفيها أعمال لله عزوجل، وهاك حفاظ للقرآن، ودعاة صادقون، إذا قلت: هلك الناس قال النبي صلى الله عليه و سلم:

((فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ))

لا تعود لسانك أن يتهم، لا تكن طعانا، لا تعود نفسك أن ترفعها، وتحط من قيمة الآخرين.

هذا حديث دقيق جدا، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:

((وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَعْفِرَ لِفُلَانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ

لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ - أَوْ كَمَا قَالَ - ))

(مسلم)

أحدهم قال لرجل: والله لا يغفر الله لفلان، هذا آخرته إلى جهنم، إذا كان عاصيا فقل: هذا عاص، إذا مات على هذه الحال فمصيره صعب، هذا كلام صحيح، إنسان شارب خمر، هل هو وليٌّ؟! لا والله، هذا ليس بوليٍّ، هذا شارب خمر، إنسان زان، إنسان سارق، هذا عاص، ولكن ذا لا يمنع أن يتوب وأن يرقى، وأن يسبقك عند الله عزوجل.

كان مالك بن دينا من قطاع الطرق، كان إذا دخل إلى المسجد التف حوله ألوف مؤلفة، وذات مرة حينما رأى احترام الناس له بكى، وذكّرهم بقصتهم، فيمكن للرجل العاصي، المقصّر، التارك للصلاة، إذا تاب وصحا قد يسبقك، أمّا أن تحكم على مصيره فهذا لا يعلمه إلا الله، كم من إنسان فاسق فاجر الله عزوجل قبله وتاب عليه، و أكرمه ورحمه، فهذا الرجل في عهد النبي الكريم يقول:

((وَاللّٰهُ لَا يَغْفِرُ اللّٰهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالَىٰ قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ))

يتناول،

((مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ))

هذا اسمه عند العلماء تَالِيًا على الله،

((مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَعْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ))

كل إنسان يعيّر إنسانا مقصّرا من حكم الله عزوجل أن الله يعافيه و يبتليه، يعافي المقصّر، و يبتلي المعيّر، لا تعيّر إنسانا.

هناك قصة نردها كثيرا، عن أمّ العلاء امرأة... أَنَّ عُمَانَ بْنَ مَطْعُونٍ طَارَ لَهُ سَهْمُهُ فِي السُّكْنَى حِينَ أَقْرَعَتْ الْأَنْصَارُ سُكْنَى الْمُهَاجِرِينَ، قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ: فَسَكَنَ عِنْدَنَا عُمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ، فَاشْتَكَى فَمَرَضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوَفِّي، وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهِدْتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمُهُ ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا عَثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ الْيَقِينُ وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفَعَلُ بِهِ قَالَتْ فَوَاللَّهِ لَا أُزْكِ أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ قَالَتْ فَنِمْتُ فَأَرَيْتُ لِعِثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ذَاكَ عَمَلُهُ))

(البخاري)

النبى ما سكت عنها، لو سكت لكان كلامها صحيحا، قال: أرجو الله أن يكرمه، كلام لطيف، أخي فلان من أهل الجنة قطعاً، لا، ليس هناك قطع في هذا، ليس هناك قطع بالجنة إلا لعشرة، الذين بشرهم النبى صلى الله عليه و سلم، أما الباقي فنرجو الله أن يكون فلان من أهل الجنة، دائماً الرجاء هو الذي يتناسب مع العبودية، أم التالي على الله، والحمد، فلان قطعاً من أهل الجنة، هذا تطاول، أنت عبد، العبد عبد والرب رب، هذا ليس من شأنك، هذا من شأن الله عزوجل.

يقول الله عزوجل في هذا الحديث:

((مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ))

تروى قصة للموعظة، أحد الأولياء والعارفين بالله له كرامة عند الله، كانت سحابة تظله، غمامة تظله، فوقف إلى جانبه رجل، فقال له: ابتعد عني، لئلا يظن الناس بك الولاية، وأنت لست بوليّ مثلي، ابتعد، فقال له: اتركني أفق معك في الظل، فأبى عليه، أنت لست ولياً، ابتعد عني، فلما ابتعد عنه تبعته الغمامة، وبقي الولي بلا غمامة.

هذه لها مغزى كبير جداً، إذا تألّى الإنسان على الله، ونصب نفسه وصياً على الناس، ووزع الألقاب، هذا كافر، وهذا مؤمن، هذا إلى الجنة رأساً، هذا في عذاب جهنم، هذا في البرزخ، من أنت ؟ هذا تألّى على الله، وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه،

((مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ))

إذا وقف أحدهم، ومرت سيارة مسرعة، فلما رآته أبطأت من سرعتها، ففرحت و ركضت، فلما ركضت إليها أسرعته، ألا تشعر أن هذا الإنسان أهانك، أعطاك لقمة، جئت لتأخذها فسحبها منك.

اسمعوا هذا الحديث: عن الحسن رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام:

((إن المستهزئين بالناس يُفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة، فيقال لهم: هلم، فيجيء هذا الإنسان المستهزئ بكربه وغمه، فإذا جاءه أغلق دونه، ثم يُفتح له باب آخر فيقال له: هلم هلم، فيجيء بكربه وغمه، فإذا جاءه أغلق دونه، فما يزال كذلك حتى إن أحدهم لِيُفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال: هلم، فما يأتيه من اليأس))

فالذي يستهزئ بالناس يستهزئ الله بطريقة تكافئ استهزاءه.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((... نَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ تَقْوَى))

(أحمد)

وفي خطبة الوداع يقول عليه الصلاة والسلام:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... قَالَ: لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))

(أحمد)

بقي حديثان في هذا الباب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ t أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي: ألا إني جعلت نسباً، وجعلتم نسباً، فجعلت أكرمكم أنقاكم فأبببتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان خير من فلان ابن فلان، فالل يوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم)).

هناك مقياس عند الناس، وهناك مقياس عند الله عزوجل، فإذا أبيتم إلا أن تقيسوا الناس بمقياس أهل الدنيا المشكلة أنه يوم القيامة مقياس أهل الدنيا ساقط، لا قيمة له، والمقياس الذي يقاس به الناس هو مقياس الله عزوجل، لذلك:

((إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي: ألا إني جعلت نسبا، وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم أتقاكم، فأبيتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان خير من فلان ابن فلان، فاليوم أرفع نسبي، وأضع نسبكم))

أين المتقون ؟

قال تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)﴾

(القصص)

الحديث الأخير: عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَاظَمَهَا بِآبَائِهَا، فَالْنَّاسُ رِجَالَانِ، بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ))

(الترمذي)

وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، قَالَ اللَّهُ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

العبيّة يعني مفاخر الجاهلية، كل واحد يفتخر إما بنسبه أو بقبيلته، أو بشجاعته، أو بكرمه، أو بشيء من قيم الجاهلية

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمُ غُبَيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَاطَمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ، بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ ))

هذا هو التصنيف النبوي، مؤمن تقي، فاجر شقي، آمن بالله واستقام، أو كفر بالله وفجر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمُ غُبَيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ))

(أحمد)

كل إنسان يفخر بشخص له منصب رفيع أو مكانة مرموقة، وليس على الحق، إنه يفخر بفحمة من فحم جهنم،

((أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ ))

الجعلان حشرة حقيرة في البيت، العلماء قالوا: هي الحرياء، وفي بيوتنا تجد صرصور صغير، هين عليك، تقتله فوراً، فالإنسان حينما يعصي الله عزوجل يصبح أهون على الله من الجعلان، أما إذا أطاع الله عزوجل رفع الله قدره، ومنزلته.

إذاً موضوع درسنا اليوم محوران أساسيان، ذو الوجهين وذو اللسانين ليس عند الله وجيهاً، وله وجهان من نار ولسانان من نار، موقف واحد، فكر واحد، لسان واحد، مشاعر واحدة، أما إذا تناقضت سقطت من عين الله، وسقطت من عين الناس.

والموضوع الثاني: الترهيب من أن يحقر المسلم أخاه، بأي سبب، مقياس المال، مقياس القوة، مقياس الجمال ن مقياس الذكاء، مقياس الصحة، مقياس الوجاهة، مقياس النسب، هذه كلها مقاييس باطلة، الله عزوجل أسقطها يوم القيامة، وبقي مقياس واحد هو التقوى:

## ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَمُّكُمْ﴾

(الحجرات: 13)

طبعاً هذا الدرس له مضاعفات، له منعكسات، منعكساته أن يبدو التواضع على كل مؤمن، ألاّ يحتقر مؤمن مؤمناً، ألاّ يحتقر مسلم مسلماً.

أحياناً يكون بيتك واسعاً، فنقول: بيت فلان صغير، إياك أن تقيس هذا المؤمن بحجم بيته، قسه بصدقه، بإخلاصه، بعمله الصالح، بعلمه، بقياس العلم والعمل هو المقياس الذي يجب أن نتسابق فيه، والله عزوجل قال:

## ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(المطففين)

وقال:

## ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾

(الصافات)

وقال:

## ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)﴾

(يونس)

يكون التنافس والتسابق في مضمار الآخرة، في العلم والعمل، أما التسابق في الدنيا فكل المتسابقين خاسر.

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس (053 - 127) : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-07-1993

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: النبي ﷺ يقول:

((حب الدنيا رأس كل خطيئة))

وفي حديث آخر:

((حبك الشيء يعمي ويصم))

موضوع الدنيا أكثر الناس يرون الدنيا بحجم أكبر بكثير من حجمها الحقيقي، فخطئهم أنها غرتهم، وأنهم أعطوها حجماً كبيراً، وهي دون ذلك، فأحد أسباب هلاك الإنسان أن الدنيا تلتهم أمامه، ويقبل عليها بكل طاقاته على حساب آخرته، وعلى حساب إيمانه، وعلى حساب مصيره الأخير، فذلك جزء من إيمان المؤمن أن يعرف حقيقة الدنيا، بل إن حقيقة العلم أن ترى الشيء على ما هو عليه، إن رأيتَه بأكبر ما هو عليه، أو أقل مما هو عليه، فأنت لست بعالم، هذا يسميه العلماء الموضوعية، يعني هذا كأس إن رأيتها إبيرقاً فلست عالماً، وإن رأيتها فنجاناً فلست عالماً، هذا كأس ماء، إذا فهمت الشيء بحجمه الحقيقي دون مبالغة أو دون تقليل فأنت عالم، لذلك قالوا في تعريف العلم: إدراك الشيء على ما هو عليه، إن أدركته بحجم أكبر مما هو عليه فلست عالماً، إن أدركته بحجم أقل مما هو عليه فلست عالماً، نحن مع العلم، نحن مع الواقع، نحن مع النظرة الموضوعية، نحن مع أن نفهم الشيء بحجمه الحقيقي، لكن الإنسان إذا نظر إلى الدنيا على أنها هي كل شيء، ونظر إلى الدنيا على أنها نهاية الآمال، ومحط الرحال، ما شعور هذا الإنسان حينما يدنو أجله، وحينما يدرك أنه لا بد من مفارقة الدنيا؟

هذا شعور لا يوصف، شعور الإحباط، شعور المفاجأة، لذلك اخترت لكم في هذا الدرس حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة، الذي رواه الإمام البخاري.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أُمْسِيَتْ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ))

[ البخاري، أحمد، ابن ماجه، الترمذي ]

ذكرت سابقاً أن إنساناً اشترى بيت في شقتين، والبيت مكسو، فما أعجبتة هذه الكسوة، كسر البلاط، وكسر الرخام، وقلع الرخام، وأعاد كسوة هذين البيتين بطريقة نادرة، وهو صاحب ذوق رفيع، وبدأ يعمل في إكساء هذين البيتين مدة تزيد على سنتين، إلى أن أصبح البيتان بشكل نادر قلّ مثلهما بين البيوت.

يروى لي أخ كريم يسكن في البناء نفسه، وهو من إخوتنا لكرام أن هذا البيت ما إن انتهى، ومضى على انتهائه أسبوع واحد حتى جاءته المنية.

روى لي صديق آخر جاءه إنسان يريد شراء غرفة نوم، أقسم بالله أنه ذهب واشترى الخشب، وأبقاه عامين كي يصبح جيداً، وصار يزوره كل أسبوع، أشرف على صنع هذه الغرفة قرابة سنة، قال لي: مرة انبطح تحت التخت ليرى ما إذا كان في رجل السرير عقدة، ومضى ستة أشهر في البحث عن تزييناتها، وعن مسكاتها فلما أصبحت جاهزة اتصل صاحب الغرفة بالذي اشتراها ليرسلها له فشرع في البيت ضجةً غير طبيعية، ثم علم أنه مات، هناك آلاف القصص، هاتان قصتان أرويها كثيراً، آلاف القصص، البيت لم يسكن، والمزرعة لم تترك، الشهادة لم تستخدم، الدنيا تفر، وتضر، وتتمر.

الحقيقة أقول لكم هذه الكلمة: هناك ملايين الملايين الذين ضحكت عليهم الدنيا، وجعلتهم يركضون خلفها كالسراب، كأنهم حمر مستفجرة، ملايين الملايين ضحكت عليهم الدنيا، تماماً كالجزرة التي توضع أمام الدابة، والمسافة بينهما ثابتة، وهذه الدابة تسعى جهدها كي تصل إليها، والمسافة ثابتة، أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمك فاستخدميه، ومن خدمني فإخدميه، لذلك لئلا تضحك علينا الدنيا، لئلا نفاجأ بملك الموت، ونحن صفر

اليدين، لئلا نندم ندماً لا يوصف، لئلا نقول: يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله، لئلا نقول: يا ليتني قدمت لحياتي، لئلا يعض الظالم على يديه، يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، لئلا يقول: ما أغنى عني مالي هلك عني سلطانيا، خذوه، فغلوه، ثم الجحيم صلوه، لئلا يقع الرجل في هذا المطب الخطير، لئلا تضحك عليه الدنيا ينبغي أن يضحك عليها هو.

لا تستطيع أن تضحك على الدنيا إلا إذا عرفت الله، وعرفت حقيقتها، وتحركت فيها حركةً صحيحة.

فذلك أيها الإخوة الكرام: الإنسان في شبابه مخدر، الناس نيام، لكن متى يستيقظ؟ في خريف العمر، إذا جاء مرض عضال، إذا جاء مرض متعلق بعضو خطير، وشعر أن النهاية قد اقتربت، الذي لم يعد لهذه الساعة عدتها، الذي لم يبال بهذه الساعة تصيبه آلام لا توصف، آلام نفسية، فلئلا نفاجاً يجب أن نتوقع ساعة الرحيل، إذا توقعنا ساعة الرحيل، وأدخلناها في حساباتنا اليومية، عجيب، تجد الإنسان يحسب حساباً لكل شيء، لكل شيء ورقة، أحياناً احتمال احتياجها واحد بالمليون، يقول: احتمال أن نحتاجها، ضعها على السقيفة، وضع إضبارة يحسب، حساباً لكل شيء، فلماذا أكبر حدث في حياته، وأخطر حدث في حياته لا يحسب له حساباً، لذلك النبي ﷺ قال:

((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَابِرٌ سَبِيلٍ))

إنسان غريب نزل بفندق، لو أن الجلالة فيها خلل يتألم؟ ليلة واحدها كلها، إذا كان في القطعة الكهربائية خلل يهتم، يبحث عن مصلح؟ ليلة واحدة.

((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ))

أيها الإخوة الكرام: الإنسان لا يسعد إلا إذا ابتعد عنها، ولا يشقى إلا إذا اقترب منها، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِهَا أَرْغَبَهُمْ عَنْهَا وَأَشْقَاهُمْ فِيهَا أَرْغَبَهُمْ فِيهَا))

خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرها همماً، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حقه، وهو لا يشعر.

((... وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ))

هذا الحديث محور هذا الدرس، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:

((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى))

هذه رواية أخرى.

أحيانا الإنسان يستأجر بيتاً في المصيف، الأثاث متواضع جداً، الأدوات كلها مستعملة، وعتيقة، وفيها خلل، هو من أسعد الناس، يقول لك: صيفية فقط، مدة شهرين، الإنسان إذا شعر أن القضية مؤقتة يسعد، أما القضية الدائمة أي خلل يزعبه، أي تقصير يؤلمه، أي خطأ يكبر عليه، أما إذا كانت القضية مؤقتة فلا يبالي، إنسان استأجر سيارة قلت له: فيها صوت، قال لي: هي مؤقتة، شهر واحد، أما إذا كانت سيارته فلا يتحمل، يصلحها، مادامت مستأجرة مؤقتة فلا عليه، راقب نفسك إذا كان البيت مستأجراً، والسيارة مستأجرة، إذا كان البيت في المصيف، إذا كانت القضية مؤقتة، القضية سريعة فلا مشكلة، مرتاح، أما حينما تشعر أن مكان الاستقرار دائم وفيه خلل هنا تبدأ المتاعب، هذا الحديث الشريف قال عنه العلماء: هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا.

مرة كنت في دائرة حكومية أنتظر، وإلى جانبي شخص جالس يحدث شخصاً آخر، قال له: فلان هلكنا، سيدخل المدفأة إلى البيت، لكن أماننا موتاً، قال: لماذا؟ قال له: منذ ثلاثة أشهر وهو محتار، يعملها خارجية أم داخلية، أفعوه بالداخلي أجمل، والخارجي إذا صار فيها خلل لا يكسر البلاط، قال: بعد ستة أشهر استقر رأيه على أن يجعلها داخلية، وبعد عشرين عاماً إذا حصل خلل يجعله خارجياً.

ومن عد غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت، وما من إنسان جاءته المنية إلا ويخطط لعشرين عاماً قادمة، والقصة التي رويتها لكم عشرات المرات، كنت عند مدير ثانوية شكاً لي هم، وقال لي: في العام القادم سيذهب إلى بلد عربي استعارة، وسيمضي فيه خمس سنوات، ولن يأتي إلى هذا البلد في هذه السنوات الخمس، سيمضي الصيف الأول في بريطانيا، والصيف الثاني في فرنسا، والثالث في إيطاليا، والرابع في إسبانيا، قال لي: أريد أن أتملى منها، أريد أن أعرف الأماكن الأثرية، والمتاحف، والمقاصف، وبعد أن أعود أتقاعد، وأشتري محلاً تجارياً،

وأضع فيه أولادي، وأجعله للتحف، لا يتلف، والتموين لا علاقة به، كل شيء حسبه، وحدثني ساعة، جلست عنده يحدثني عما سيفعله بعد عشرين عاماً، وانتهت الجلسة، وذهبت إلى صفي، وفي الظهر ذهبت إلى البيت، وعدت مساءً إلى العمل في مدرسة خاصة، وفي طريق عودتي إلى البيت، والله الذي لا إله هو وجدت نعيه على الجدران في اليوم نفسه.

لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

(( كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى ))

كبرها تكبير، صغرها تصغر، لما يرى الإنسان أنه غريب أو عابر سبيل كل شيء يرضيه في الدنيا، أما إذا رآها مديدة فلا يرضيه شيء، كل شيء يزعجه، يقول لك: لا حظ لي، ما وفقنا في هذا البيت، ما وفقنا في هذه الزوجة، أولادي ليس كما أشتهي أبداً، دائماً يشكو، أما إذا رأى الدنيا سريعة الزوال، وشيكة الانتقال، يرضيه فيها كل شيء، ماذا قال مؤمن آل فرعون ؟

﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾

[ سورة غافر : 39 ]

هذه دار ممر، أما المقر ففي الآخرة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ))

[ أحمد ]

كلما رأيت واحداً توفي فهو صفحة طويت، صار خبيراً، كان شخصاً له بيت، له أولاد، له غرفته الخاصة، خزائنه الخاصة، مقتنياته الخاصة، مفاتيح مركبته، مسطر دفاتره، مذكراته، فلما انتهى أجله صار خبيراً، الإنسان في أول ليلة يموت فيها الإنسان يقول الله عز وجل: "عبي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت".

حينما يموت الإنسان، حينما يخرج من بيته أقيماً، والإنسان طوال حياته يدخل قائماً، ويخرج قائماً، إلا في مرة

واحدة، وهذه لا بد منها، ويأتي على بيت الله كثيراً مؤمن طالب علم كل يوم خمس صلوات، لا بد من أن يدخل المسجد مرةً أفقياً لا ليصلي، بل ليصلى عليه، هذه حقائق.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا لِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا كَمِثْلِ زَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))

من وصايا السيد المسيح لأصحابه قال:

((اعبروها ولا تعمروها))

وروي عنه أيضاً أنه قال:

((من ذا الذي يبني على موج البحر داراً، تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً))

ما تستقر، فيها مفاجآت، وتغيرات، دخل رجل على بيت أبي ذر الغفاري فجعل يقلب بصره في البيت، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ أين الأثاث والغرف؟ فقال: إنا لنا بيتاً نتوجه إليه، فقال: إنه لا بد لك من متاع مادمت هاهنا، قال: إن صاحب المنزل لا يدعنا هنا، قصد أنه لا بد من الخروج.

دخلوا على بعض الصالحين فقلبوا بصرهم فيه فقالوا: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحل كأنه ماش منقول، فقال: لا أرتحل، ولكن أطرده طرداً.

المرتحل باختياره، لكن هنا طرد، سيدنا علي يقول:

((إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا

تكونوا من أبناء الدنيا))

تشعر أحياناً بشخص أن الدنيا متغلطة إلى أعماق أعماق نفسه، صباحه مساءه، ليله نهاره، مناماته خواطره، مزحه لقاءاته، حتى في النزهة يتكلم على تجارته، هذه متغلطة إلى أعماق أعماقه.

فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

بعض الحكماء قال: عجبت من الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه، مثلاً هنا ولادته، وهنا وفاته، وهو يتقدم بيتعد عن ميلاده، ويقترّب من وفاته، ما معنى ذلك؟ أن الدنيا مدبرة عنه، قال لي أخ كريم: سبحان الله! أنا منذ أربعين سنة أنشط من الآن، طبعاً الإنسان الشاب يصعد كل خمس درجات، بعد هذا اثنتين اثنتين، بعد ذلك واحدة واحدة، ثم يصعد، ويقف بالتسلسل، لاحظ الشاب والمتقدم بالسن، يقول سيدنا علي:

((فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل))

عجبت من الدنيا مولية عنه، والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة، وينسى المقبلة، والله شيء كبير هذه الدنيا التي تدبر عنك وأنت متعلق بها، والآخرة التي هي مقبلة إليك تعرض عنها، سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول في خطبة: "إن الدنيا ليست دار قرار، كم كتب الله فيها الفناء، وكتب الله على أهلها منهم الظعن، فكم من عامر عن قليل سيرتحل، وكم من مقيم مغتبط عما قليل سيظعن، أحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة

يعني أحسن هذه الرحلة خذ منها إلى الدار الآخرة، وتزودوا، فإن خير الزاد التقوى.

الفضيل بن عياض يقول:

((من علامة صدق المؤمن أنه في الدنيا مهموم حزين))

مهموم يخشى ألا يكون قد انتفع من الدنيا، انتفع منها للآخرة، لا ترضيه الدنيا، ولكن يرضيه أن ينتفع منها لآخرته.

كلمة رائعة جداً للإمام الحسن قال:

((المؤمن كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها))

لو تحمل متاعب في سبيل الله يرضى بذلك، أما مناصبها الرفيعة، أموالها الطائلة، بسايتها الغناء، مركباتها الفارهة فلا ينافس فيها.

المؤمن كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن، وللناس شأن آخر، هو بواد، وهم بواد، هو بواد معرفة الله، بواد العمل للأخرة، لا يتألم، المؤمن كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأنه، وللناس شأن آخر.

هناك إنسان استنبط استنباطاً لطيفاً، قال: لما الله خلق آدم عليه السلام أسكنه هو وزوجته الجنة، ثم هبطا منها، ووعدا بالرجوع إليها، وصالحي ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى وطنه الأول.

الإنسان يولد بقرية، وسكن في الشام مثلاً، في بيت فخم بأرقى أحياء دمشق، فيه كل وسائل الرفاه والراحة، حينما يأتي العيد لا يتمنى إلا أن يعود إلى قريته مسقط رأسه، فمن علامة المؤمن أنه يحن إلى الجنة، موطنه الأول، استنباط لطيف.

كان بعض العلماء يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، ورحم في القبر، وحشتي، ورحم موقفي غداً بين يديك.

ارحم في الدنيا غربتي، أنت غريب في الدنيا، ورحم في القبر وحشتي، ورحم موقفي غداً بين يديك.

الإنسان لا يبتعد، يدخل إلى غرفة فارغة في بيت، ويقفل الضوء، كم ساعة يتحمل؟ أين يجلس؟ يا جماعة إذا ما كان أهله معه على الطعام يغضب، هذا القبر، بل على أسوء، القبر هنا فيه سرير، أطفئ المصباح، وأرتج الباب، واجلس، القبر أسوء على التراب.

مرة حضرت دفن أخ كريم أنا أعرفه في الدنيا جيداً، رجل أنيق أناقة تفوق حد الخيال، نظيف، موسوس، بعد أن وضع في القبر وضعت البلاطة، البلاطة أصغر من الفتحة بكثير، يعني هناك مسافة عشرة سنتمترات فرق، جاء الحفار بعد ما انتهى من الدفن وضع البلاطة جرف التراب بالمجرفة، نزل فوقه خمسة كيلو من التراب، كان في الدنيا أنيقاً..

أعقل إنسان هو الذي يسعى إلى هذه الساعة التي لا بد منها، أعقل إنسان ليس هناك شيء واقعي وحتمي عنده كالموت، ما نجا منه مخلوق حتى الأنبياء، النبي ﷺ قال:

((سبحان الله إن للموت لسكرات))

النبي ﷺ سيد الخلق ما نجا الصحابة، ما نجوا، استغفروا لأخيكم، إنه الآن يسأل، هناك قصص لا أساس لها من الصحة، أن واحداً له شيخ، لما دفن وجاء الملكان ليسألاه تلقياً رفسة من شيخه، قيل لهم: أمثل هذا يسأل؟ هذا من جماعتي.

هذه القصص كلها غير صحيحة، كلها كذب بكذب، النبي ﷺ حينما دفن سيدنا سعد، مشى على رؤوس أصابعه، وقال:

((استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل))

وقال:

((سبحان الله إن للموت لسكرات))

ما من حدث واقعي واقعي، قلها مئة مرة، وهو آت لا محالة، سألت طبيباً إذا نفذ إنسان من الفشل الكلوي، ومن ضيق الشريان التاجي، ومن ارتفاع الضغط، ونفذ من... كيف يموت؟ قال لي: بتصلب الشرايين، هذا آخر واحد نفذ من القلب، وما حدث معه جلطة، ولا انفجار بالدماع، ولا سكتة دماغية، نفذ من كل الأمراض، ولا بالعظام، ولا بالعضلات، ولا ورم خبيث، كيف يموت؟ قال لي: بتصلب الشرايين، تتشف الشرايين، والنبي ماذا قال؟

((لكل داء دواء إلا الهرم))

هناك إنسان ما ركب طائرة في حياته كلها، يأكل يوماً الدجاج، ويوماً السمك، مساءً فواكه، وصباحاً وجبات خفيفة جداً، ورياضة، ومشى، وخاف أن يركب الطائرة لئلا تحترق في الجو، وعاش حياة هنيئة، وما من إنسان فيما أعلم يعتني بصحته مثله، ومع ذلك مات في الأخير.

قال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت نادماً مع الخاسرين.  
أحياناً تجد الإنسان سكران في حب الدنيا، إذا قلت له كلمة عن الله تراه ضاق، وتكلم له في الدنيا يجلس معك عشر ساعات، نسي ماذا قال لك، اعتذر، وعنده موعد، تكلمت بالأسعار، الدولار نازل، الآن شراء ممتاز، تكلم في العملات، جلس معك ساعة ساعتين ثلاثاً، تكلم عن الله صار عنده موعد، أو يتشاءب حتى يكرهك أن تتكلم.  
الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت نادماً مع الخاسرين.

قيل لعهد بن واسع: كيف أصبحت ؟ فقال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة.

لو فرضنا إنساناً واقفاً على شريط في أدراج متحركة في المطارات، والدرج يمشي، ويقف، تصور أنك واقف على شريط متحرك، كل يوم ينقلك نقلة، مضى يوم العمر، قصر يوم النهاية، فالحركة تقرب، كيف أصبحت ؟ فقال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة، دفع دفعة.

سيدنا الحسن يقول: قول معروف عندكم إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك.

وقال بعضهم: ابن آدم، إنما أنت بين راحلتين مطيتين يضعانك، هما الليل والنهار، الليل ينقلك إلى النهار، والنهار ينقلك إلى الليل، حتى يسلمانك إلى الآخرة، الليل اليوم ستة عشر في الشهر مضى اليوم، جاء الليل، صار سبعة عشر، كل يوم مرحلة حتى يسلمانك إلى الآخرة.

قال بعض السلف: يخيل لك أنك مقيم، بل أنت دائم السير، تساق سوقاً حثيثاً إلى الموت.

إنسان قضى كل حياته يجمع المال، حتى اشترى البيت، الآن السفارة الكويتية نفسها كانت أجمل بيت مشرف على الشام كلها، أمامه غوطة غناء، شرفة فخمة، بشكل بيضوي، بعد ما سكن في البيت، يقال: إنه كان يعيش في بيت قبو أربعين سنة جمع المال حتى اشترى هذا البيت، ويوم اشتراه، وفرشه جلس على الشرفة قال هذه الكلمة بالحرف الواحد: الآن أمنا مستقبلنا، ثلاثة أيام بعدها مات.

يروون قصة طرفة عن إنسان ضاقت به الدنيا كثيراً، فاتخذ قراراً أن ينتحر، قصة رمزية، ما لها أصل، فجاءه ملك الموت قال له: لماذا تنتحر ؟ قال: من ضيق ذات يدي، لا يوجد شيء آكله، قال: أنا أدلك على طريقة ترتزق بها، قال: ما هي ؟ قال: اعمل طبيبياً، الآن هناك شهادات منذ القديم، ما كانت الشهادات، فإذا دخلت على

مريض، ورأيتني أمام رأسه فأياك أن تعالجه، اهرب من البيت، هذا سيموت، وإن رأيتني أمام قدميه، فعالجه صف له ما شئت، فسوف يشفى، فهذا أخذ التعليمات، وجاء بمحفظة، ووضع بها قارورات فيها سائل أبيض وأحمر وأصفر وأخضر، إن وجد ملك الموت عند أرجل المريض يقول له: خذ ثلاث نقاط بيض، واثنيتين صفر، واثنيتين قبل الطعام، واثنيتين بعد الطعام، يعصدها عليه، يكتب، يخطط، يستعمل الدواء، يطيب، اسمه راج جداً حتى مرضت بنت الملك جاء فوجد الملك يقف عند رجليها، أعطاه التعليمات، فطابت، وكان مرضها خطيراً، فلما شفاها الله عز وجل الملك لشدة فرحه قرر أن يزوجه هذه الفتاة، صار زوج بنت الملك، وطبعاً جاءت الدنيا من أوسع أبوابها، عز، وجاه، وملك، ومال، ليلة عرسه جاء ملك الموت إليه، وقال تشرف، فقال له: كنت أخذني وقتها أهون بكثير، قال الآن.

قد يسقط الإنسان من علي، قد يخيل للإنسان أنه مقيم، بل هو دائم السير، يساق مع ذلك سوقاً حديثاً إلى الموت. قال بعض الحكماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، الأيام تأكل الشهر وشهره يهدم سنته كل شهر يهدم جزءاً من العام، ثم عام جديد، فالأيام تهدم الأسابيع، والأشهر تأكل السنوات.

كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح بالدنيا من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته.

أحد الأشخاص دعا دعاء، لكنه دعاء لطيف، قال: اللهم خذ بيدي إليك حينما يأخذ الناس بيدي، إذا احتاج من يمسه، المؤمن غال على الله، يموت بعز، قال لي أخ: والدتي مربوطة، قلت: لماذا؟ قال: تأكل من نجسها، نربط يديها، وتخلع ثيابها أمام الناس، قال: إنه شيء لا يوصف، يدعو لها في كل صلاة أن يخفف عنها، أحياناً الإنسان يتمنى الموت فلا يجده، تأتي بعض الحالات على الإنسان أعظم شيء أن يموت، وأحياناً يعاقب بتأخير الموت، كيف أن الناس يخافون من الموت، وفي حالات صعبة جداً يعاقب بتأخير الموت. والفضيل قال: كم أتت عليك؟ قال ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك.

إنسان زار مريضاً معه مرض صعب قال له: كيف صحتك؟ قال: الحمد لله، قال: ماذا معك؟ قال المرض الفلاني، قال له: حاجتك، من باب المزاح.

ولكن هذه حقيقة إذا وصل إنسان إلى الستين، النبي ماذا قال ؟ معترك المنايا بين الستين والسبعين، من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة.

الإنسان إذا ذهب إلى نزهة ستة أيام، سبت، أحد، اثنين..، الأربعاء يفكر في العودة، الأربعاء التفكير في قطع بطاقات العودة، تحضير الأغراض، شراء الهدايا، آخر ثلث الرحلة تفكر بالعودة، قال رجل للآخر: هل تعلم ما معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[ سورة البقرة: 156 ]

قال من عرف أنه لله عبده، إنا لله، نحن في ملكه، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جواباً، أنت لله، إذاً عليك أن تعبده، مادمت راجعاً إليه فاعلم أنك موقوف بين يديه، وما دمت موقفاً بين يديه فاعلم أنك مسؤول، ما دمت مسؤولاً فأعد الجواب لهذا السؤال، لذلك أنا أقول دائماً لإخواننا: البطل الذي يهيئ جواباً لأي موقف يفعله لله الجواب.

قال لي موظف: انصحي، هو تموين، الآن التموين خف أما في أيام خلت كان شديداً جداً يستطيع أن يفعل مشاكل كبيرة، قال لي: انصحي، قلت له: اكتب ضبوطاً كثيرة قال: هذه النصيحة ؟ قلت له: كما أقول لك، ضع الناس في السجن على قدر ما تستطيع، وافعل ما شئت، إذا كنت بطلاً هيئ لله جواباً عن كل ضبط تكتبه لله، وليس لعبد الله، إذا كنت بطلاً.

إن كنت لله فاعبده، وإن أيقنت أنك راجع إليه أنت موقوف بين يديه، وإن وقفت بين يديه فلا بد من أن يسألك، وإن سألك فأعد الجواب، فقال: ما الحيلة قال:يسيرة سهلة، قال وما هي ؟ دققوا في الجواب قال:تحسن فيما بقي يغفر الله لك ما مضى.

الآن تبت، إذا تبت توبة نصوحا أحسنت فيما بقي غفر الله لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى، وما بقي إذا تبت إلى الله، وأحسنت فيما بقي غفر الله لك ما مضى، أما إذا أسأت فيما بقي أخذك الله بما بقي وما مضى.

الإمام الأوزاعي مدفون في لبنان من كبار الأمة كتب إلى أخ له رسالة، قال له: أما بعد، فقد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله، والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام. سئل أحد العلماء: كيف أكون زاهداً في الدنيا؟ فقال: بقصر الأمل، إن أصبحت يجب أن تعتقد أنك لا تسمي.

سمعت قصة نائم إلى جانب زوجته من دون أن تنتبه مست يده وجدتها باردة، فقامت مذعورة فإذا هو ميت، فقال بقصر الأمل، إن أصبحت يجب أن تعتقد أنك لا تسمي.

اجتمع ثلاثة أشخاص، فقالوا لأحدهم: ما أملك في الدنيا؟ قال: والله ما أتى علي شهر إلا ظننت أنني سأموت فيه، فقال: صاحبا إن هذا هو الأمل، شهر، فقالا لأحدهم: ما أملك أنت، قال: والله ما أتت علي جمعة إلا ظننت أنني سأموت فيها، فقالا صاحبا: إن هذا هو الأمل، جمعة، فقالا للآخر: ما أملك أنت قال: ما أمل من نفسه في يد غيره، لا أريد شيئاً.

أنا أسمع كل أسبوع تقريباً قصة لا يشكو من شيء، ما من مقدمة، ما من مرض ثابت، ما من قصة بالمرض، فجأةً فارق الحياة.

قال بعض السلف: ما نمت يوماً قط فحدثت نفسي أنني أستيقظ منه، لذلك الدعاء: اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها، معنى هذا ممكن لا يستيقظ إنسان.

أحد الصالحين إذا أراد النوم يقول لأهله: أستودعكم الله، فلعلها أن تكون آخر ليلة، سامحونا، قبل أن ينام كل ليلة. وقال بعض العلماء: إن استطاع أحدكم ألا يبيت وعهده عند رأسه فليفعل، شيء ليس له منزل باسمه، وهو ليس له في شراكة أموال استثمار، وضعهم مع إنسان.

أويس القرني من التابعين سئل كيف الزمان عليك ؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أمسى ظن أنه لا يصبح، وإن أصبح ظن أنه لا يمسي، فمبشر بالجنة أو بالنار.

وقال بعضهم: ما أنزل الموت كره منزلته من عد غداً من أجله، الذي يعد أن غداً سأعيشه، وسأفعل غداً كذا، وكذا، هذا ما عرف حقيقة الموت.

امرأة متعبدة بمكة إذا أمست قالت: يا نفس الليلة ليلتك لا ليلة لك غيرها، فاجتهدت، وإذا أصبحت قالت: يا نفس اليوم يومك، لا يوم لك غيره، فاجتهدت.

ماذا قال أحد الصحابة ؟ والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي، من شدة إقباله على الله، وعمله الصالح واستنفاره.

قال بعض العارفين: إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل لعلي لا أصلي غيرها، وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ:

### ((صل صلاة مودع))

إذا أردت أن تنتفع بصلاتك قبل أن تتوي الصلاة قل لعلي لا أصلي غير هذه الصلاة، يعني صل صلاة مودع. طرق شخص باب صديقه، قيل له: ليس في البيت، قال: متى يرجع، فقالت له جارية في البيت، بنت صغيرة: من كانت نفسه بيد غيره هل يعلم متى يرجع.

آخر حديث قبل أن ننهي الدرس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًّا أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوْ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ))

[ أحمد، الترمذي ]

الإنسان إذا ترك طريق الدين، وترك طريق الآخرة لابد أن ينتظره أحد هذه السبعة، غنى مطغ، مرض مفسد، فقر منس، هرم مفند، موت مجهز، الدجال، الساعة.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (054 - 127) : أحاديث عن الرفق

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-11-1993

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام:

مع طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ في موضوع يفترق إليه معظم المؤمنين إنه الرفق حينما يدخل العنف إلى البيوت أو حينما يكون العنف في العمل فإن أخطاراً كبيرةً تنتظر الناس فلذلك من توجيه النبي عليه الصلاة والسلام أن من صفات المؤمن الرفق، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال:

((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس والتودد إلى الناس وما هلك رجل عن مشورة وما سعد رجل باستغائه رأي، وإذا أراد الله أن يهلك عبداً كان أول ما يفسد به منه رأيه، وأن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة))

الحقيقة العقل رأس العقل الإيمان بالله، يعني قمة العقل أن تؤمن بالله، فمن غاب عن هذه الحقيقة فهو متهم بالغباء، عقله لم ينفعه إما أنه عطله أو إما أنه أساء استخدامه، رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس، معنى هذا أن الإيمان بالله قبل كل شيء، لذلك هناك ما يسمى بالذكاء الجزئي والذكاء الشمولي، فكل إنسان قد يكون متفوقاً باختصاصه إن في الطب، أو الهندسة، أو التعليم، أو بعض الاختصاصات، فمن تفوق في اختصاصه وأبدع فيه وليس مستقيماً على أمر الله عز وجل فهذا ذكاؤه من نوع الذكاء الجزئي الذي لا ينفعه يوم القيامة، لكن الذكاء الشمولي، أو العقل الشمولي هو العقل الذي يصل إلى الله عز وجل، إذا وصل العقل إلى الله فقد استخدم العقل استخداماً صحيحاً، فقد استخدم العقل لما خلق له، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

## ((رأس العقل بعد الإيمان بالله))

والعقل لا يعطل، وقد مر بكم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: إنما الطاعة في معروف.

يعني إنسان يعطل عقله مع إنسان هذا لا يكون إلا مع الله أولاً ومع رسول الله المعصوم ثانياً لأن النبي الكريم عصمه الله بنص القرآن الكريم، ولأن النبي عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نأخذ عنه قال تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[ سورة الحشر ]

ممكن استسلم بعد أن آمنت بالله عز وجل إلى الله، وبعد أن آمنت برسالة النبي إلى نبي الله، وما سوى ذلك هم رجال ونحن رجال كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، لو عطل العقل لانحرف الدين، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

## (( رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس ))

الحقيقة تعلمنا في الجامعة أن الذكاء يبدو في التكيف فالإنسان الذي لا يتكيف يصل إلى أهدافه عن طريق العنف وعن طريق المجابهة هذا ضعيف الحيلة، ضعيف التفكير لا يتمتع بالذكاء اللائق بالإنسان فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول، ولكن بالمناسبة وهذا من معلوماتكم البيهية المداراة شيء والمداهنة شيء آخر، المداهنة أن تطلب الدنيا على حساب الدين، بذل الدين من أجل الدنيا مداهنة لكن المداراة بذل الدنيا من أجل الدين، يعني إنسان حديث عهد بالإيمان قد تبذل له بعض المال، قد تكرمه، قد ترافقه، قد تعطيه بعض الأشياء، قد تعلمه بعض الدروس، أنت تبذل من وقتك، ومن جهدك، ومن مالك من أجل أن تأخذ بيده إلى الله عز وجل فبذل الدنيا من أجل الدين مداراة، أما بذل الدين من أجل الدنيا مداهنة والمداهنة خلق المنافقين، بينما المداراة خلق المؤمنين، والمداراة تحتاج إلى رفق وإذا ابتعد الإنسان عن الرفق سلك أسلوب العنف والعنف لا يأتي إلا بالعنف، في بعض السنوات أكثر من خمسة عشر عاماً قرر كتاب في الشهادة الثانوية كتاب مطالعة ملخص الكتاب كله العنف لا يلد إلا العنف، يعني العنف يلد العنف والعنف الذي ولده العنف يولد عنفاً آخر وهذا نمضي في حلقة مفرغة إلا ما لا نهاية.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

### ((علموا ولا تغنّفوا فإنّ المعلم خير من المعنف))

أنا اليوم قلت لأحد أخوانا: سهل أن ترخي الحبل، وسهل جداً أن تقمع، أولادك مثلاً القمع سهل يحتاج إلى يد قاسية تضرب فترتاح وسهل أن تدع الأمر سائياً، فالتسيب وإرخاء الحبل واللين الشديد سهل، بينما القمع والعنف أيضاً سهل، لكن بطولة المؤمن ليس في تسيب الأمور ولا إرخاء الحبل ولا اللين الضعيف ولا في القمع والشدة والعنف، ولكن بينَ بين، لا تكن ليناً فتعصر ولا قاسياً فتكسر مع أولادك، مع أهلك، مع جيرائك، مع أقربائك، مع الباعة كن ليناً الأمور خذها بالهدوء، خذها بالحلم، خذها بالتؤدة، خذها بالتبصر، خذها بتبصر العواقب، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

### ((لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))

لا شيء يهز شخصية الإنسان كأن يسلك أسلوب العنف، أو كأن يغضب غضباً شديداً إلا أن التغاضب مطلوب، قال بعض الفلاسفة أنا أتغاضب ولا أغضب، التغاضب قد يحتاجه الإنسان ليزرع الرهبة في قلوب من حوله.

سيدنا عمر كان شديداً مرةً قال له سيدنا أبو ذر الغفاري: يا أمير المؤمنين إن الناس قد هابوا شدتك، فبكى عمر وقال: والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباةتي هذه ولكن الأمر لا يناسبه إلا كما ترى.

سياسة المؤمن قد يقول أحكم الطبع غلب التطبع، أنا أنطلق معكم من هذه المقولة، إنسان منفعل أم فاعل؟ إذا كان كل تصرفاته ردود فعل وليس له اختيار في تغييرها هذا ليس إنساناً هذا أصبح أقرب إلى الجماد، مثلاً الحيوان تعطيه مؤثر يعطيك استجابة، أما الإنسان قد يتلقى ضرباً من والده، الضرب مؤثر والاستجابة أن يرد عليها بضرب مماثل، لكن الإنسان فيه عقل هذا أبي كان سبباً في وجودي معه الحق وأنا مقصر، فالإنسان ميزه الله بالفكر، الفكر يتوسط بين المؤثر وبين الاستجابة.

### ((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس))

والحقيقة الإنسان إما أن تسميه ذكياً وإما أن تسميه طيباً على كلِّ الذكي والطيب يلتقيان، يوجد حقيقة قلتها لكم مرةً، لو أتينا بمدير لمؤسسة، لمعمل، مستشفى، وكان هذا المدير على مستوى عالٍ جداً من الإيمان، لو راقبنا سلوكه لكان مثلاً حليماً، متبصراً، يميل إلى التؤدة، يلقي الكلام موزوناً، يعامل من دونه بالتساوي، يقيم العدل في

هذه المؤسسة، ولو جننا بمدير آخر في أعلى مستويات الإيمان لوجدناه أيضاً منصفاً، وعادلاً، وحليماً، ومنتدأً، وحكيماً شيء يحير العمل الأخلاقي يلتقي مع العمل الذكي، يلتقي في النتائج ويختلف عنه في البواعث، المؤمن حينما ينصف من أجل أن يرضي الله عز وجل، إنصافه عبادة، حلمه عبادة، رحمته عبادة، وهذه العبادة جزاؤها جنة عرضها السماوات والأرض، لكن الإنسان غير المؤمن حينما ينصف، وحينما يقف الموقف الأخلاقي هو يبحث عن شهرة، أو عن سمعة، أو عن مصلحة ينالها لذلك قد يأتي أجله وليس له عند الله شيء، يقول أنت فعلت كذا وكذا من أجل ليقال عنك كذا وكذا وقد قيل، هذا معنى ومالهم خلاق، العمل الذكي يلتقي مع العمل الأخلاقي العبادي، يلتقي هذا العمل مع ذاك العمل بالنتائج ويختلف عنه في البواعث.

### ((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس والتودد إلى الناس))

أنت لا تعرف بابتسامتك، بزيارتك، بعيادتك إلى المريض بتقديمك هدية لإنسان بعيد، ببذل معاونة إلى إنسان محتاج، أنت لا تدري أنك فعلت فعلاً سحرياً في هذا الإنسان، الحقيقة في حديث آخر يدعم هذه الحديث، يقول عليه الصلاة والسلام:

### ((بعثت لمدارة الناس))

أما هنا الباء لها معنى دقيق جداً، الباء هنا للاستعانة وحروف الجر كما تعلمون لها معانٍ كثيرة، فالباء للظرفية، والباء للاستعانة والباء للمجازة، والباء للسببية فكل معنى من هذه المعاني هناك آيات كثيرة وأحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى، من معاني الباء للاستعانة، أكتب بالقلم، يعني أستعين على الكتابة بالقلم، إذاً حينما قال عليه الصلاة والسلام: ((بعثت لمدارة الناس)) أي أنا أستعين على هدايتهم بمداراتهم، وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام

### ((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس والتودد إلى الناس))

ما التودد؟ العلماء قالوا: التودد هو المظهر المادي للحب، الحب شعور يبدو في التودد، فالابتسام مظهر مادي لشعور الحب في القلب، تقديم الهدية مظهر مادي لشعور الإكبار في القلب، فكل شعور ينطوي عليه القلب يأتي السلوك الظاهر الذي يدعمه ويؤكد به يسمى هذا تودداً، لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

[ سورة الروم ]

فرينا عز وجل عبر عن الحب بنتائجه، أو عبر عن الحب بين الزوجين بمظهره المادي، وجعل بينكم مودة، لو أن هذه الزوجة أصيبت بمرض عضال أفسدها وجعلها لا تصلح كزوجة، ربنا عز وجل قال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ (21)﴾

[ سورة الروم ]

بين الزوجين المودة والرحمة، إن تحققت المصلحة بينهما فالمودة وإن لم تكن فالرحمة، وهذا من نعم الله عز وجل على الإنسان.

### (( وما هلك رجل عن مشورة ))

النبي عليه الصلاة يقول: ما خاب من استشار ولا ندم من استخار الاستخارة لله عز وجل، والاستشارة لأولي الخبرة من المؤمنين، لو استشرت إنساناً خبيراً غير مؤمن لا ينصحك، أما إذا استشرت إنساناً مؤمناً خبيراً ينصحك، من استشار الرجال استعار عقولهم، من صفات المؤمن أنه يستشير، وأنا أنصح لكم أيها الأخوة في أعمالكم جميعاً كل في حرفته ومهنته، إن رأى رجلاً ذا خبرة عميقة وخلق قويم وتدين صحيح فليجعله مستشاراً له في مهنته قبل أن يعقد هذه الصفقة فليسأله، قبل أن يعطي هذا الإنسان مبلغاً كبيراً ديناً يسأله كل إنسان باختصاصه، بمهنته، بحرفته، طبعا إذا كان مؤمن ينصحك لا شك، أنا مرة كلفت أحد أخوانا يسأل بسوق من الأسواق عن جدوى حرفة من الحرف، أقسم لي بالله أن هؤلاء الذين استشارهم على الصفين نصحوه بأن هذه الحرفة غير مجدية، ولها مشكلات كثيرة، ولا جدوى منها، ولا تغني صاحبها، فيئس، شعرت أن هؤلاء جميعاً ما نصحوه، أرسلته إلى رجل أعرف فيه الإيمان فأعطاه إجابةً على عكس هؤلاء جميعاً، قال له: حرفة جيدة جداً والبيع شديد، والأسواق ساخنة، وصناعتها سهلة وموادها متوفرة قال لي: عجيب، المؤمن من شأنه أن ينصح، نصوح، ناصح أمين ألم يقل عليه الصلاة والسلام:

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((الذِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))**

[ النسائي . أبي داود . أحمد ]

الإنسان إذا نصح إمامه فقد أراح عن كاهله هذا التكليف الإلهي المؤمن ينصح والإمام عليه أن يستجيب لماذا ؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق المعصوم، الذي يوحى إليه، الذي معه القرآن، لحكمة أرادها الله بالغة في موقعة بدر نزل منزلاً هناك أفضل منه فجاء الحباب بن المنذر رضي الله عنه قال يا رسول الله . وهو يفيض إخلاصاً، ويفيض غيراً . أهذا الموقع وحي من الله أم المشورة والرأي، قال: بل المشورة والرأي، فقال هذا الصحابي الجليل: يا رسول الله ليس بموقع، ودل النبي على موقع أفضل منه والنبي استجاب، لماذا استجاب ؟ ليقف الموقف الكامل وليكون قدوة لكل عالم من بعده، ولكل أمير من بعده أن إذا قدمت لك نصيحة، ثمينة، مخلصاً يجب أن تصغي إليها أولاً ويجب أن تستجيب لها ثانياً، إذا أردت رضاء الله عز وجل .

**((وما هلك رجل عن مشورة))**

الإنسان المنعزل دائماً يدفع ثمن انعزاله، ويحصد مغبة عمله ويدفع ثمن انعزاله باهظاً وما هلك رجل عن مشورة الآن أسأل الرجال، أسأل المؤمنين، أسأل المخلصين، عشرات الزيجات انتهت إلى طلاق قبل الوقت المناسب بسبب عدم السؤال، التسرع سؤال سريع، الإنسان يجب أن يسأل، كما يقول بعضهم يجب أن تدرس هذه القضية درساً، أن تضع العقبات، الإيجابيات، السلبيات أن تسأل الخبراء حتى تتخذ قراراً صحيحاً، والحقيقة القرار الصحيح بذاته المعلومات الصحيحة.

فكل إنسان يتخذ قرار بلا معلومات، أو بلا حقائق، أغلب الظن أن قراره ليس صحيحاً وربما اضطر أن يتراجع عنه، ويقول عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف: **((ما سعد رجل باستغناؤه برأيه))** لا يسعد لأنه قد يتوهم، إذا الإنسان عزل نفسه عن المجتمع أو عزل نفسه عن أخوانه، أو عن أنداده، أو عن المؤمنين الصادقين عن العلماء العاملين، يقع في وهم خطير هذا الوهم هو الذي يدفعه إلى سلوك خاطئ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

**((ما سعد رجل باستغناؤه برأيه))**

مرة كنا في الجامعة فجيء لنا بأستاذ زائر يعد من أرقى علماء النحو في المغرب العربي، طبعاً دعي ليلقي علينا محاضرات في اللغة في النحو، لاحظت أنا مدرسي القسم كانوا في الصفوف الأولى بعض هؤلاء المدرسين حضر المحاضرة دون أن يكتب شيئاً والعلماء الحقيقيون والأساتذة الفطاحل الذين يعتد بعلمهم أمسكوا ورقةً وقلماً وأخذوا عن هذا المحاضر بعض هذه المعلومات، أنا استفدت من هذا الموقف فعرفت أن العالم الحقيقي هو الذي لا يستكف عن أن يأخذ عن غيره وإن كان أدنى منه، وأن الجاهل المركب هو الذي يأبى النصيحة ويأبى أن يتعلم عن الآخرين.

ولا تنسوا أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما يروى عنه يقول:

**((يظل المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل))**

ولا أستسيغ أن يقول أحد من العلماء أنا عالم، أراها كلمة كبيرة لبيته قال أنا طالب علم، كلمة لطيفة فيها أدب، كلمة تعطي الإنسان قيمة، أنا طالب علم، وقد التقيت بعلماء تزيد أعمارهم عن ثمانين عاماً يقول أنا طالب علم ولا يقول أنا عالم، فالإنسان كلما ازداد علماً ازداد تواضعاً، والإمام الشافعي يقول: كلما ازدادت علماً ازدادت علماً بجهلي، والتواضع من صفات العلماء الحقيقيين.

الإمام مالك إمام دار الهجرة هذه القصة شهيرة جداً، جاءه وفد من المغرب بثلاثين سؤالاً وعرضوا هذه الأسئلة على هذا الإمام الجليل فأجاب عن سبعة عشر سؤالاً، فلما قيل له والباقي، قال: لا أعلم قالوا: أنت الإمام مالك إمام دار الهجرة أتينا إليك من طرف الدنيا الآخر وقد استغرقت الرحلة أشهراً ثلاثة وتقول لا أعلم، فقال: قولوا لأهل المغرب الإمام مالك لا يعلم، وانتهى الأمر.

وقد قال علماء الإفتاء من قال: لا فقد أفنتي، لا إيجابية، من قال لا أدري فقد أفنتي، والإنسان حينما يظن أنه يعلم كل شيء هو بالتأكيد لا يعلم شيئاً أما إذا وضع لنفسه حجماً أنا بهذا الموضوع موفق إن شاء الله، عز وجل وفقني بهذا العلم وبذاك العلم، أما أنه يدعي أنه يعلم كل شيء هذا شيء فوق طاقة البشر لأن الله عز وجل يقول:

**﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (85)﴾**

[سورة الإسراء]

## ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

[ سورة البقرة ]

وقد يروي التاريخ أن عالماً شاباً تفوق على أهل عصره تفوقاً ملحوظاً، واجتمع الناس حوله وتدافعوا على بابه، وكان قد وفقه الله إلى علم عميق فجاء أحد العلماء المشهورين الذين خبا بريقه مع هذا العالم الشاب فجاء ليكيده، فجلس في مجلسه ولما انتهى الدرس قال يا غلام هذا الذي قلت ما سمعناه من أحد فمن أين جئت به . هو يريد أن يزدريه وأن حجه . فقال هذا العالم الشاب: وهل تعلمت كل العلم؟ أخرج به هذا السؤال، لو قال تعلمت كل العلم خالف الآية الكريمة، قال له: لا، قال ماذا تعلمت من العلم؟ قال: شطره قال: هذا الذي سمعته مني من الشطر الذي لا تعرفه.

**((وما هلك رجل عن مشورة، ما سعد رجل باستغنائاه برأيه))**

وإذا أراد الله أن يهلك عبداً كان أول ما يفسد منه رأيه، يوجد دعاء مشهور، الله اجعل تدميرهم في تدبيرهم، أيام الإنسان يفكر ويفكر فيأتي هلاكه من تخطيطه وتدبيره، لما الإنسان يكون في سخط الله عز وجل مع ذكائه ومع أخذ الحيلة، ومع أخذ الأسباب يدمره الله عز وجل.

وأن أهل المعروف في الدين هم أهل المعروف في الآخرة، وأن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، المنكر ما أنكره العقل والشرع، والمعروف ما أقره العقل والشرع، هذا الحديث أيها الأخوة فيه جوانب كثيرة جداً منها: أن علامة العقل الإيمان بالله وأن علامة العقل مداراة الناس، وأن علامة العقل التودد إليهم، يبدو أن مداراتهم هو الاتجاه السلبي أما التودد إليهم فيها اتجاه إيجابي التودد أن تبذل لهم، أن تعطيتهم من وقتك، ومن خبرتك، ومن مالك أما المداراة أن ترعى شعورهم، أن تحتاط فلا تزعجهم وما هلك رجل عن مشورة، وما سعد رجل باستغنائاه برأيه))

من استغنى برأيه شقي ومن استشار الرجال سعد وإذا أراد الله أن يهلك عبداً عزله عن المجتمع فاعتد برأيه فكان هلاكه في تدبيره.

**((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس والتودد إلى الناس وما هلك رجل عن مشورة وما سعد رجل باستغنائاه رأي، وإذا أراد الله أن يهلك عبداً كان أول ما يفسد به منه رأيه، وأن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة))**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ))

[ ابن ماجه ]

يعني الإنسان أحياناً لو فرضنا معلم، أو أب، قد يخالف ابنه بعض القواعد، قد يرتكب بعض الأغلط، قد تزل قدمه، فأسهل طريقة لتلافي هذا الخطأ أن يضربه ضرباً مبرحاً، لكن أن يقنعه وأن يحلم عليه، وأن يراقبه مراقبةً دقيقة، وأن يتابعه، وأن يتهدده أحياناً وأن يتوعده أحياناً، وأن يحاسبه حساباً دقيقاً هذا يحتاج لنفس طويل يحتاج إلى حنكة، وحكمة، إلى رغبة في عدم جرح نفسه، أما أسلوب العنف سهل وسريع لكن أثره ضعيف وقد يخلق في الإنسان جرحاً لا ينتهي، أما أسلوب التعليم، الإقناع، المداراة، المتابعة المراقبة، إبداء الملاحظة، التشجيع، الترغيب هذا يحتاج الإنسان إلى خبرة في التربية، والحقيقة الأبوة مسؤولية كبيرة، الابن أحياناً ينساق إلى مكارم الأخلاق بفعل أب حكيم وقد يهوي في مهاوي الرذيلة بفعل أب غير حكيم.

(( إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ))

يحب الهادئ، يحب صاحب الصوت المنخفض، يحب الذي يخطط، يحب الذي يأخذ الأمور بالتؤدة بهدوء، الله عز وجل علمنا قال تعالى:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

[ سورة النمل ]

قبل أن تغلي كالمرجل، وقبل أن تنفجر تحقق من هذا الكلام.

قال لي أحد أخوانا عنده معمل حلويات، كلف عامل يأتيه بقطع فجاء بمئة قطعة، عددها فوجدتها تسعاً وتسعين ناقصة قطعة، وهذه القصة من ثلاثين سنة، فذهب إلى معطف أحد الموظفين فوجد في جيبه تلك القطعة، أليس هذا دليلاً واضحاً على أن هذا الموظف مد يده ووضع القطعة في جيبه ! قال لي هذا الأخ: كدت أن أنفجر عليه وأن أطرده لأنه سارق، ثم ملكت نفسي وقلت لها يا فلان تحقق أرجئ هذا إلى اليوم التالي فذهب إلى المعمل كي يحاسبهم فقال له: أرسلت لك مائة قطعة اشتري صانعك قطعة أعطيني ثمن تسعة وتسعين.

انكشفت الحقيقة، أحياناً الإنسان يرتكب حماقة يبقى طوال حياته يذوب ألماً لتسرعه، يعني أيام ترتكب جرائم، أنا أعرف أنه صار مشكلة أخلاقية فأخذ الدم ليحلل هل هذه حامل أو غير حامل والبنات طاهرة وبريئة وعفيفة، صار في خطأ في المخبر وما انتهبه العامل وقال: مبروك حامل، هذا الرجل ذبح ابنته، فالإنسان لا يتسرع يوجد قاعدة ذهبية حينما تغضب إياك أن تتخذ قراراً قل سأخذ قراراً بعد أسبوع، تجد في اليوم التالي هدأت، في اليوم الثالث تحققت في اليوم الرابع جئت بأدلة إيجابية، في اليوم الخامس الأمر بدا لك على شكل آخر، في اليوم السادس الأمر لا يحتاج إلى طلاق ولا إلى فصح شركة، ولا إلى تدمير أسرة، ولا إلى موقف عنيف حاد هذه الآية الكريمة:

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

[ سورة النمل ]

إياك أن تتخذ قراراً في حالتين، قبل أن تستحصل على معلومات دقيقة قطعية، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

﴿(6)﴾

[ سورة الحجرات ]

مرة أحد العلماء الكبار بلغه أن عالماً آخر يغباه، فأرسل له طبق من أفضل أنواع التمر، أو اشترى تمرّاً من أفضل أنواع التمر وانتقى له مما اشتراه طبقاً من أفضل مما في هذا التمر وقدمه مع رسالة لطيفة قال: بلغني أنك قد اغتبتني، ولأني غداً سوف آخذ أحسن أعمالك فأنا لآبِد من أن أقدم لك أحسن ما عندي من تمر خذ هذا التمر مكان أعمالك الصالحة التي سوف آخذها منك غداً.

الحقيقة الإنسان قبل أن ينهش أعراض المؤمنين، قبل أن يقيمهم قبل أن يطعن بهم، من دون تحقق، من دون تثبت ربنا عز وجل يوم القيامة هو الذي يفصل بين خلقه.

رجل قال له: أنا أشفق عليك مما يقوله الناس عنك، فقال له هذا الرجل: وهل سمعتني قلت عنهم شيئاً؟ قال: لا، قال: عليهم فأشفق.

الإنسان لا ينبغي وأنا أقول كلمة: أنا لا أعصي الله فيمن عصاه في، أنا أطيع الله فيمن عصاه في، إنسان تكلم عنك أنت اسكت.

(( إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْغُفِّ ))

يبدو أن أجر الرفيق بالحديث طبعاً له أجر كبير جداً، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: إنسان جاءه غلام وقد كان قد مضى على زواجه ستة أشهر فعلى الدم في عروقه وظن أن امرأته زانية، الأمر عرض على بعض الصحابة، هذا الصحابي الجليل استتبط من قوله تعالى:

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾

[ سورة لقمان ]

﴿وَحَمْلُهُ أَثَنَ شَهْرًا﴾

[ سورة الأحقاف ]

أما أدنى مدة الحمل ستة أشهر، فكان ابنه، الإنسان أحياناً يسأل لا يتسرع، يسأل العلماء، يسأل من يثق بعلمهم، من يثق بتجاربيهم قبل أن يتخذ قراراً خطيراً.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ ))

[ أحمد ]

البيت الهادي من نعم الله الكبرى، بيت الصخب والضجيج وتكسير الأبواب، وتكسير الأواني، والصياح، والغضب والضرب، هذا بيت فيه شياطين، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ فَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ))  
[ مسلم . ابن ماجة . أحمد ]

فإذا دخل الشيطان إلى البيت صار في عنف، خصومات، أعمال عنيفة.

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ))

وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه، وأن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أفبح منه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهُ سَمِعَهَا تَقُولُ: كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَغِيرٍ فَجَعَلْتُ أُضْرِبُهُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ فَإِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[ البخاري . مسلم . ابي داود . ابن ماجة . الدارمي ]

هكذا النبي ﷺ علمنا، سبحان الله إذا الإنسان هادئ يشيع فيمن حوله الهدوء إذا كان هو صاخباً عنيفاً يربي من حوله على العنف، الأب العنيف أولاده عنيفين جداً، تعلموا منه العنف في تعاملهم مع بعضهم عنيفون جداً، هو يضربهم وهم يضربون بعضهم بعضاً.

قرأت البارحة في الجريدة خبر أن أصغر مجرمين في العالم وقعت هذه الجريمة في بريطانيا طفلان لا تزيد أعمارهما عن أحد عشر عاماً قتلا طفلاً سنه سنتان ونصف بلا سبب إلا لأنهما رأوا في بعض التمثيليات في برامج التلفزيون مثل هذه الجريمة فقتلاه والمجتمع البريطاني ضج بهذه الجريمة، طفل أحد عشر عاماً يقتل طفل صغير جداً بلا سبب وبلا هدف، الطفل يقلد إذا الأب حليم يحلم إذا الأب حكيم يكون حكيماً، فمن نعم الله عز وجل أن يكون البيت فيه اللحم، والأناة، والتواصل.

النبي ﷺ لم يرض العنف على البعير، مرة النبي الكريم دخل بستان أحد الأنصار فرأى جملاً، فلما رأى الجمل النبي حن وذرفت عيناه، فالنبي صلى الله عليه بلغ من الشفافية درجة أنه كان يقول: أعرف حجراً بمكة كان يسلم علي، ولما ترك النخلة التي كان يخطب عليها حنت إليه فكان يقف على المنبر ويضع يده على النخلة إكراماً لها، فقال من صاحب هذا الناقة؟ فجيء بصاحبها وكان أنصاريماً، قال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك

الله إياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه.

" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ :

((أُرِدْفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَذَا أَوْ حَائِشَ نَحْلٍ قَالَ فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَأَ إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)) "

[ مسلم . ابن ماجة . أحمد . الدارمي ]

الله عز وجل أعطى بعض الحيوانات ذكاء، الخيل من أعلى الحيوانات ذكاءً، تعرف أن على ظهرها صاحبها، تتبته للخطر أحياناً.

((عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

ورد حديث عن سيدنا علي رضي الله عنه يقول: لما نزلت سورة إذا جاء نصر الله والفتح مرض النبي عليه الصلاة والسلام فما لبث أن خرج إلى الناس يوم الخميس وقد شد رأسه بعصابة فرقي المنبر وجلس عليه مصفر الوجه، تدمع عيناه، ثم دعا ببلال فأمره أن ينادي في المدينة أن اجتمعوا لوصية رسول الله ﷺ فنادى بلال فاجتمع صغيروهم وكبيرهم وتركوا أبواب بيوتهم مفتحة وأسواقهم على حالها ليسمعوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غص المسجد بأهله والنبي يقول وسعوا، وسعوا لمن وراءكم قال عليه الصلاة والسلام: أنا محمد بن عبد الله لا نبي بعدي أيها الناس: اعلموا أن نفسي قد نعتت إلي وحن فراقي في الدنيا واشتقت إلى لقاء ربي، فوا حزناه على فراق أمتي، اللهم سلِّم سلِّم أيها الناس اسمعوا وصيتي واحفظوها، أيها الناس: قد بين الله لكم في محكم تنزيله ما أحل لكم، وما حرم عليكم، وما تأتون، وما تتقون، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعملوا بمحكمه، واعتبروا بأمثاله، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم بلغت فاشهد، أيها الناس: إياكم وهذه الأهواء الضالة المضلة البعيدة من الله تعالى، ومن الجنة، القريبة من النار، وعليكم بالجماعة والاستقامة فإنها قريبة من الله وقريبة من الجنة، ثم قال: اللهم هل بلغت، أيها الناس: الله الله في دينكم وأمانتكم، الله الله فيما ملكت أيما ناكم . أي اتقوا الله . أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإنهم لحم ودم، وخلق أمثالكم، ألا من ظلمهم فأنا خصمه يوم القيامة، والله حاكمه، الله الله في النساء أوفوا لهن مهورهن، ولا

تظلموهن، ألا هل بلغت، أيها الناس: قوا أنفسكم وأهليكم نارا، علموهم وأدبوهم فإنهم عندكم عوام وأمانة.

وهذه الوصية التي وردت في بعض الكتب والكتاب تنبيه الغافلين تشير إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما يفارق الدنيا أخطر شيء يتهدد أمته من بعده أن ينحرفوا عن منهجه، وأن يدعوا صراطه المستقيم، وأكبر شيء يتهدد أمته من بعده أن يقعوا في ظلم بعضهم بعضا، فإذا أردت لهذا الدين أن يستمر كما بدأ وأن يتنامى فلا بد من أن نحافظ على أصوله، لا بد أن نرفض أية إضافة فيه ولا بد من أن نرفض أي حذف من أصوله، فإذا رفضنا الحذف ورفضنا الإضافة استمر الدين كما بدأ عندئذٍ نقطف ثماره كما قطف أصحاب النبي عليهم رضوان الله عليهم.

أيها الأخوة الكرام:

لا أحب أن أطيل عليكم إلا أن محور درسنا اليوم هو الرفق، وقد يقول أحدكم ماذا أفعل؟ طبعي صعب، أنا حاد الطبع، هذا الذي يستسلم لطبعه من دون أن يجهد في ضبط نفسه هذا إنسان بعيد عن أن يكون في المستوى الراقى، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول إنما الحلم بالتحلم، وإنما الكرم بالكرم، وإنما العلم بالتعلم، ولهذا الحديث لفظة لطيفة جداً، أنت حينما تتحلم ولست حليماً، أنت حينما تقهر إرادتك وتحلم ولست حليماً دفعت ثمن الحلم الأصيل فإذا فعلت هذا مراراً تجلى الله عليك بالحلم الخلق الأصيل، فالحلم ثمنه التحلم والكرم ثمنه التكرم، فأنت في أول الأمر تصنع الحلم، تصنع الهدوء تصنع الأناة، تصنع الحكمة، إن تصنعها أكرمك الله بالحلم الأصيل والحكمة الأصيل، والأناة الأصيل، فالخلق الأصيل ثمنه خلق متكلف أنت تضبط أعصابك وتكظم غيظك وتحلم، الله ﷻ يكافئك على حلمك هذا أو على تحلمك هذا بأن يجعلك حليماً، كل إنسان يظن أن هذا الطبع لا يتغير هذا إنسان لا يعرف ما الإنسان أنا أعتقد أن هناك تطوراً جذرياً يصيب كيان الإنسان من قمة رأسه إلا أخصص قدميه إذا عرف الله، وكثيراً ما أسمع ممن حول أختوتنا المؤمنين أن فلان ما كان هكذا.

أنا أعرف زوج كان عنيفاً إلى درجة أنه لا يرتدع عن ضرب زوجته، لأتفه سبب فبعد أن عرف الله عز وجل كان من أنجح الأزواج، ومن أحكمهم، ومن أشدهم حملاً، لا تستمع إلى مقولات الناس أن الطبع يغلب التطبع وهذه الزوجة لا تتغير هذا كلام ليس له معنى، هذا كلام العوام ليس منضبط، لما الصحابة تعرفوا إلى الله وآمنوا بالله صاروا حلماء، حكماء، كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء.

أدق ما في الدرس أن هذا الخلق العظيم، ويكاد الحكيم أن يكون نبياً، والحلم سيد الأخلاق أن هذا الخلق العظيم الذي هو محط آمال كل الناس ثمنه التحلم، والتحلم تكلف الحلم، والتحلم تصنع الحلم أنت لست حليماً لكنك تكلفت الحلم هذا التكلف هو الذي عليك وعلى الله الباقي، على الله أن يهبك خلقاً أصيلاً أساسه الحلم، فإذا

الإنسان في بيته حلِيم، في عمله حلِيم هادئ حكِيم، يفكر، يخطط، يوجه ينصح، يتابع الأمر، يعاتب فهو حكِيم، أما المواجهة والصدام والموقف العنيف هذا لا يأتي إلا بالعنف وأنا لا أبالغ إذا قلت إن عشرات بل مئات الطلاق أساسها موقف عنيد من الزوج مثلاً ردت عليه الزوجة بموقف أعنف، فطلقها، أو موقف عنيف من الزوجة رد عليها الزوج بموقف أعنف فطلقها، أولاد شردوا بلا أب ولا أم لأن الشيطان مناسبتة الوحيدة أن يجعلك تغضب فإذا غضبت أصبحت إنساناً آخر أقرب إلى مخلوق ليس إنساناً.

فهذا الدرس مهمته أن يخيم على بيوتنا، وعلى متاجرنا، وعلى مكاتبنا، وعلى أماكن أعمالنا هذا الخلق الرفيع الذي يتميز به المؤمنون وهو الحلم، وأذكركم:

((عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))  
((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (055 - 127) : الإيمان والعمل

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-08-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: الدرس الماضي كان في الحلال والحرام، وكان آخر دروس الحلال والحرام، وسوف ننقل إلى موضوع آخر، ولكن من عادتي في التدريس أن أجعل بين الموضوعات الكبيرة درساً فيه مراجعة للحسابات.

الواحد منا من حين إلى آخر يراجع حساباته، يرتب مكتبته، يرتب حاجاته، والإنسان يحتاج أشد الحاجة إلى أن يخلو مع نفسه، وأن يتأمل في سلوكه وفي حركاته وسكناته، لأن الحياة أحياناً تستهلك الإنسان.

الإنسان أحياناً ينسى سر وجوده، ينسى لماذا هو على وجه الأرض؟ ينسى الهدف الذي أرسله الله من أجله فتستهلكه الحياة، من عمل إلى عمل، من لقاء إلى لقاء، فجأة يدرك أنه ضيع حياته لغير ما خلق له.

ذكرت مرة مثلاً أعيدته كثيراً، إنسان ذهب إلى بلد، ونام في الفندق، واستيقظ، أكبر سؤال: لماذا أنا هنا؟ حركة هذا الإنسان في هذه البلدة تصح إذا عرف لماذا هو في البلدة، السائح إلى المقاصف والمتزهات، طالب علم إلى المعاهد والجامعات، التاجر إلى المعامل والمؤسسات، فحركة الإنسان لا تصح إلا إذا عرف الهدف، والإنسان كلما قطع مرحلة فعليه أن يدرس ماذا حقق في هذه المرحلة؟ يا ترى نجح، أخشى ما أخشاه أن تتقلب حياتنا إلى أنماط ثابتة متكررة رتيبة، لما يطول أمد الإنسان على سلوك غير متبصر يفقد معنى الحياة والتجدد.

فالذي أريده في هذا الدرس أن يراجع الإنسان نفسه في كليات، حياته، يا ترى عقيدته بالله سليمة؟ أول شيء عقيدته سليمة، في الرخاء لو جاءت شدة هل هذه العقيدة تصمد أمام هذه الشدة؟ هذا سؤال دقيق جداً، ثم إنه إذا عرف الله عز وجل، واعتقد به اعتقاداً صحيحاً، الآن سلوكه متطابق مع الشرع، يقول العامة: هكذا نشأنا، هكذا المجتمع، هذا كلام مردود، ينبغي أن يكون السلوك مطابقاً للشرع، يا ترى أحوالك متطابقة مع وصف النبي

للمؤمنين، مثلاً يقول عليه الصلاة والسلام:

### ((الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن))

ذكرت اليوم في درس الطاووسية ظهراً أن كل شيء أرادته الله وقع، وأن كل ما وقع أرادته الله، وأن الذي وقع وقع لحكمة بالغة مطلقاً، وأن هذه الحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، لذلك هذا الكلام ملخص لكلمة: لكل واقع حكمة، إذا أيقنت أن لكل واقع حكمة، وأن في ملك الله ما يقع إلا ما يريد الله، أكثر الضغوط النفسية والشدة النفسية التي هي الآن المسؤول الأول عن معظم الأمراض العضالة في الجسم هي المسؤولة الأولى عن كل الأمراض العضالة في الجسم، هذه الشدة النفسية أساسها ضعف الإيمان، أساسها ضعف التوحيد، أساسها الخوف من جهات أرضية، أساسها الاعتقاد أن جهات أرضية بيدها الحل والربط، بيدها الخير والشر، بيدها العطاء والمنع، بيدها الإعزاز والإذلال، بيدها الحياة والموت، حينما يعتقد الإنسان أن جهةً في الأرض مستقلة في إرادتها عن إرادة الله تملك الحل والعقد، وتملك الخير والشر، والرفق، والحياة، والموت فهذا هو عين الشرك، وهذا الشرك وحده يسبب هموماً وأسقاماً وأمراضاً ومخاوف لا حصر لها.

فالإنسان بحاجة إلى ساعة تأمل، حياتنا كلها - طبعاً الحياة المعاصرة - فيها ضغوط شديدة، والمطالب كثيرة، والمكاسب قليلة، والوقت كله مستغرق في طلب الرزق، فالإنسان يصل إلى البيت في ساعة متأخرة، يأوي إلى النوم، ويستيقظ إلى عمله، ويعمل عملاً شاقاً إلى أن يأتي المساء، فإذا تابع ما هو فيه من استهلاك لطاقته وقدراته وحيويته يفاجأ بعد فوات الأوان أنه فعل كل شيء إلا الذي خلق من أجله.

فيا أيها الإخوة الأكارم: نحتاج من حين إلى آخر إلى جلسة تأمل مع الذات إلى جلسة محاسبة، إلى جلسة إعادة ترتيب الأوراق، إلى جلسة المنجزات، الإيجابيات والسلبيات، نقاط الضعف ونقاط القوة، المكاسب والخسائر، الأرباح والخسائر، فكل إنسان ليس له جلسة مع نفسه من حين إلى آخر يمضي وقته سدى، ويأتيه ملك الموت على غير استعداد للقاءه.

فنحن أولاً: الدين فيه كليات، وفيه عقيدة، وفيه عبادة، وفيه معاملة، وفيه آداب العقيدة يجب أن تكون سليمة، لأن أخطر شيء في الدين صحة العقيدة، يعني من الممكن أن تخطئ في وزنة واحدة، هناك خطأ في الوزن، وخطأ في الميزان، الخطأ في الوزن لا مشكلة له، لأنه لا يتكرر، أما الخطأ في الميزان فخطير جداً، لو وزنت بهذا

الميزان ألف وزنة كلها غير صحيحة، فالخطأ في أصل الميزان لا في الوزن، فالخطأ في العقيدة خطأ في الميزان، إذا انطلق إنسانٌ إلى عمل، وهو يعتقد أنه صواب، هذا لا يتوب منه، أما إذا العقيدة الصحيحة، وانطلق إلى عمل غير صحيح سرعان ما يتوب منه.

شيء ثان: أتمنى أن يكون لكم أقلُّ شهادة في التعليم العام تحتاج إلى جهد مركز، أقل شهادة، ولو كانت الكفاءة، ولو كانت شهادة ثانوية، درجة الإجازة، الليسانس، البكالوريوس، الماجستير، الدكتوراه، هذه الشهادات الأرض تحتاج إلى جهد مركز جداً، شهادة الإيمان ألا تحتاج إلى جهد؟ ألا تحتاج إلى مراجعة؟ إلى مذاكرة؟ إلى قراءة؟ إلى إصغاء؟ إلى متابعة؟ فلما يتوهم الإنسان أن أعلى شهادة في الأرض أن تكون مؤمناً هذه بلا ثمن وبلا تعب، عندئذ هذا الإنسان لا يعرف من الحقيقة شيئاً، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

### ((ألا إن سلعة الله غالية))

سلعة الله غالية، تريد جنّة عرضها السماوات والأرض، تريد حياة أبدية ناعمة، خالية من كل تعب، بلا جهد جهيد، وبلا ضبط، وبلا مشقة، وبلا تعب، وبلا طلب علم، أية درجة علمية تحتاج إلى وقت، لذلك الإنسان يحضر مجالس العلم من أجل أن يطلب العلم، ومن أجل أن يطبق العلم، فإذا طلب العلم، وطبق العلم حقق الهدف الأول من وجوده، فيجب أن نعتقد جميعاً أنه في حياتنا لا يعلو شيء على طلب العلم، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

أول ملاحظة في هذا الدرس: لا تجعل ارتباطك في المسجد وحضور مجالس العلم مضطرباً، اجعله هو الأصل، وشكل أوقاتك ومواعيدك ونشاطاتك التجارية والاجتماعية والأسرية وفق هذا البرنامج، برنامج طلب العلم هو الأصل، إذا ذهبت إلى بلد أجنبي لطلب العلم، والتحقّت بجامعة فبرنامج الجامعة هو الأصل، فزياراتك الخاصة، لقاءاتك مع أصدقائك، زيارة المتاحف، هذه كلها في أوقات خارجة عن أوقات الكلية، أنت جئت من الشام إلى بلد غربي من أجل نيل الدكتوراه، فبرنامج الكلية هو كل شيء، هو الأصل، وفقه تشكل حياتك، فالذي أتمناه حقيقة: الثبات نبات، وما من إنسان تفوق في الدين إلا بثباته على طلب العلم، والإنسان لما يثبت في طلب العلم يصير معه شيء اسمه التراكم، كل درس لبنة، والدروس كلها سلسلة، دروس التفسير سلسلة، دروس الفقه سلسلة، دروس السبب، سلسلة دروس الاثنتين سلسلة، كل درس لبنة، فأنت لا تشعر إلا وأنت متمكن من حقائق، ولعل الدليل عليها أن السلوك تغير، وحتى يعرف مع من يجلس، مع صديق له في سن واحدة، لكنه متقلت، يصغي

إليه ساعة وهو يتكلم كلاماً سخيلاً، يتكلم كلاماً فيه شرك، فيه ضعف، فيه خوف وقلق وسخف، أحياناً أنت لست كذلك، أنت أرقى بكثير، حضور مجالس العلم أحد ثمارها هذا السلوك القويم، وهذا المنهج المعتدل، وهذا الانضباط، فلما يداوم الإنسان على مجالس العلم يكون قد تراكت عنده الحقائق التي ينالها في كل درس، ولما تتراكم الحقائق وهو لا يشعر شكلت سلوكاً متوازناً، فالسلوك المتوازن ثمن الجنة.

يا أيها الإخوة الكرام: أول شيء: الواحد يطالب نفسه، له ارتباط بمسجد، فيه دروس، يختار الدروس التي بإمكانه أن يتابعها إلى ما لا نهاية، ويثبت عليها، وأحد أسباب التفوق الثبات، والآن هناك جامعات في بعض البلاد الغربية تعطي الشهادة على الدوام فقط، إنسان يداوم، أنت لما تنتقل من مكان إلى مكان لحضور مجلس علم هل هناك عمل أشرف من هذا العمل؟

((إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع))

((ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون كتاب الله إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده))

فارتباطك بدرس العلم ارتباط أساسي، أنا قلت في درس سابق: إن الخطبة محاولة إقناع الإنسان بالتزام الدين، أما إذا اقتنع، وأراد أن يلتزم فالدين يحتاج إلى تفاصيل، إلى معلومات دقيقة حول كتاب الله حول سنة رسول الله. أول نقطة: يجب أن نجعل برنامجاً طلب العلم هو الأصل.

النقطة الثانية: العلم من دون تطبيق لا قيمة له إطلاقاً، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الحسن:

((الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه))

قلت مرة كلمة: المتكلم كلامه لا قيمة له إلا إذا طبق، والمستمع إصغاؤه لا قيمة له إلا إذا طبق ما سمع، فلا المتكلم يفلح، ولا المستمع يفلح إلا إذا طبق، فنحن لا نتحاج إلى عادات تتقلب إلى ممارسات مفرغة من مضمونها، استمعت إلى هذا الدرس، إلى الحديث، إلى هذه الآية في هذه الخطبة، إلى هذا التوجيه: ما موقفك من هذا؟ هناك أسئلة صريحة وخطيرة، فهذا كلام الله، القرآن بين يديك، إذا أمرك الله عز وجل بأمر، وأنت لست

تفعله، ما جوابك لله يوم القيامة، ماذا تقول ؟ هل هيأت الجواب ؟ هل تضمن أن تعيش إلى ساعة واحدة بعد ما أنت فيه ؟ أبداً، فالإنسان العاقل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

**((أرجحكم عقلاً أشدكم لله حباً))**

مرة ذكرت مثلاً مضحكاً عرضوا على إنسان قارورة للزيتون ثمنها عشرون ليرة، وكأس كريستال ثمنه ألف ليرة، قطعة ماس ثمنها خمسة ملايين، وقلنا له: اختر أحد هذه الأشياء الثلاثة، ألا أستطيع أن أحكم على عقل الرجل من نوع اختياره ؟ بالتأكيد أحكم على عقله من نوع اختياره، فأنت كلما اخترت الشيء النفيس كان عقلك كبيراً، الشيء النفيس أن تختار الله ورسوله، قال:

**((يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال الله ورسوله))**

أحد الصحابة كان في طريق الهجرة فلحق به الكفار، وأرادوا منعه من الهجرة، أو قتله، فكان صريحاً معهم، قال: لي في مكة مال كثير خبأته في مخبأ خفي، إن دلتكم عليه أتطلقوني إلى رسول الله ؟ قالوا: نعم، فدلهم على مخبأ ماله فأطلقوه، فلما وصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام قص عليه ما حدث، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((ريح البيع أبا يحيى ريح البيع))**

هو وصل إلى النبي صلى الله عليه و سلم بكل ماله، هذه حقائق نحتاج إليها، كما قلت، أنا أشعر أن العمل الديني عمل رتيب، حضور، استماع، مشكلات قائمة، صلاة غير متألقة، فتور أحياناً، نحن جميعاً بحاجة من حين إلى آخر إلى مراجعة حساباتنا، إلى ترتيب الأوراق، إلى حساب المنجزات، إلى إحصاء السلبات والإيجابيات، أول ملاحظة ضرورة الثبات، والدليل كما قال عليه الصلاة والسلام:

**((أحل الأعمال إلى الله أდومها وإن قل))**

إخوة كثر يسألونني من حين إلى آخر: نشعر بفتور ماذا نعمل ؟ الحقيقة الفتور أحد أسبابه قلة العمل، فإذا تعرضت أنت إلى عمل صالح فأنا لا أشك أن أحداً منكم جميعاً إذا عرض عليه عمل صالح يرفضه، لكن البطولة أن تتحرى أنت العمل الصالح، أن تبحث عنه أنت، إذا شددت قدميك لعمل صالح تبتغي به الله والدار الآخرة فأغلب الظن أن الله يثيبك، ما معنى يثيبك ؟ العمل الصالح الذي تفعله خالصاً لله عز وجل تبتغي به

مرضاة الله عز وجل، هذا العمل يصعد إلى الله، ويعود إليك سكينه في قلبك، فالمخلص دائماً يشعر بسكينه أودعها الله في قلبه هي ثمن عمله الصالح.

الشيء الآخر، أحياناً الأعمال الصالحة أو الأعمال تتجه كلها إلى مصالحك اليومية، قد تكون تجارة واسعة، قد يكون عملاً علمياً، لكن هذا العمل بالنهاية لك، لا تشعر أن هناك رقياً دائماً لهذا العمل، أما حينما تعمل عملاً خالصاً لا تبتغي به إلا وجه الله عز وجل، والإخلاص عندك واضح وضوح الشمس، عندئذ تشعر أن الله قد تجلى على قلبك.

مستحيل أن تتقرب من الله عز وجل ولا ترى من الله السكينه، ولا ترى منه التوفيق، ولا ترى منه النصر، ولا ترى منه التأييد، ولا ترى منه الشوق، إنسان عادي لو سلمت عليه لرد عليك السلام، إنسان عادي لو سألته: كم الساعة يجيبك عن الساعة، خالق الأكوان صاحب الكمال المطلق، الذات الكاملة، تتقرب إليه بعمل، بدعاء، بصلاة، بذكر، بخدمة العباد، ولا تجد من الله ما يقابل هذا العمل؟ إذا أتاني عبي مشياً أتيت هرولة، أي حركة نحو الله، بعبادة، بعمل، بدعاء، بصدقة، بإنفاق، بخدمة، بمطالعة، بنشر علم، بطلب علم، بأمر بالمعروف، بنهي عن المنكر، أي حركة نحو الله يجب، وأقول: يجب لأن هذه أخلاق الله عز وجل، يجب أن ترى الثمرة، والجواب، والجزاء من الله.

أذكر أن أخاً من إخواننا الكرام سألته عن أحواله، وهو صادق إلا قال لي: الحمد لله.

ومرة ثانية، أكثر شيء يشدك إلى الله ليس أن الدين منطقي فحسب، هو منطقي، وليس أن الدين يقدم لك تفسيراً دقيقاً للحياة والكون والإنسان، وليس أن الدين مبني على أسس ثابتة وأبدية، لا يوجد مذهب أرضي إلا وتزلزل، ترى مذهباً عاش سبعين سنة، ثم صار في الوحل، وما من نظرية أرضية إلا تضععت، كلما ظهر بحث جديد يظهر عيبها، وخللها، حتى هذا التاريخ، هل ظهر شيء من أربعة عشر قرناً يناقض قول الله عز وجل؟ أبداً، أنت مع الثوابت، كتاب الله وحي الله إلى الأرض، هذا من أثبت الثوابت، فلا يوجد عندنا مشكلة عقائدية إطلاقاً، أخطر مشكلة المشكلة العقائدية، تؤمن بمذهب ثلاثين سنة، ثم تكتشف أنه مذهب باطل، ليس له أساس من الصحة، هذه خيبة أمل كبيرة جداً، أحياناً تعتقد عقيدة يثبت العلم بطلانها، أحياناً حتى على مستوى العلم يعتقدون أن في السماء أشياء، فتأتي الكشوفات تبطل هذه الاعتقادات، هل في القرآن الكريم كله عقيدة أو حقيقة أو إشارة أثبت العلم عكسها؟ أبداً، أنت مع كلام خالق الأكوان، فالإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن، لا يقبل الله

أحدهما إلا بصاحبه.

الشيء الآخر، دوامنا جيّد، حاولنا أن نطبق كل شيء سمعناه، إخواننا الكرام حديث دقيق جداً:

**((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم))**

إن سميتَه كَشْفًا، إن سميتَه إشراقًا، إن سميتَه تألقًا، إن سميتَه نورًا قذفه الله في قلبك، سماه العلماء كَشْفًا، سماه علماء آخرون إشراقًا، سماه أناس نورًا يقذف في القلب، هذه القفزات النوعية في الحقل الديني لا تكون إلا بطاعة الله،

**((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم))**

إذا أردت الإشراق، إذا أردت أن يقذف الله في قلبك النور فاعمل بما علمت، وحاول دائماً وأبداً أن تطبق ما تسمع، أن تكون وقافاً عند الحلال والحرام، الإمام الجنيد يقول: " ليس الولي الذي يطير في الهواء، ولا الولي الذي يمشي على وجه الماء، الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام ".

شيء آخر، لو أن الإنسان مدحه جميع الخلق، ولم يكن الله راضياً عنك فلا ينتفع بشيء، والقرآن يقول لك:

**﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**

[ سورة يونس: الآية 62 ]

أحياناً لا يقف الإنسان عند دقائق الكلام، يقرأ الآية بشكل سريع، لا خوف عليهم من المستقبل، ولا هم يحزنون على الماضي، إذا تقدمت بالإنسان السن، ورأى صورة له في سن الخامسة عشرة، بالثامنة عشرة، شاب جميل الصورة، والآن في الخامسة والخمسين يشعر بألم لا يوصف،

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ

أما المؤمن الذي أمضى حياته في طاعة الله فيرى أن هذا الماضي وسام شرف له، منذ نعومة أظفاره كان في طاعة الله، وكان في خدمة الخلق، وكان في طلب العلم، وكان في نشر العلم، فلذلك العاقل لا يندم، مرة أخ قلت كلمة: ممكن أن يكون لا بعد نعم، أما نعم بعد لا فغير موجودة، أحياناً تأتيك فرصة، إياك أن تضيعها، اقتحمها،

إن وجدت الخير كان الذي أردت، و إن لم تجد ترفضها، أما إذا رفضتها قبل أن تعلمها، فأنا لم أجد إنساناً أحق من شخص جاءته رسالة سميكة مزقها قبل أن يقرأها، أقرأها، لعل فيها خيراً كبيراً، لعل فيها حوالة بمليون، أقرأها قبل أن تمزقها، أحياناً إنسان يعرض عليه منهج الله، يعرض عليه طلب العلم، يعرض عليه قراءة كتاب، سماع شريط، يرفض، اسمع، ثم ارفض، لا بعد نعم ممكن، أما نعم بعد لا فغير ممكن، فالعاقل لا يضيع فرصة، ولا يدع مناسبة إلا و يستغلها لمصلحته الأخرى.

لازلنا في مراجعة النفس، بدأنا بالدوام، ثنينا بالتطبيق، ثلثنا ببرنامج يومي، وكنت ألح على ذلك، عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ سَمِعْتُ جُنْدَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد ]

عبدى لا تعجز عن ركعتين قبل الشمس أكفك النهار كله، إن بدأ يومه في صلاة الفجر في المسجد فهو في ذمة الله، الحياة فيها مطبات، فيها مفاجآت، فيها ورطات، فيها مزلات أقدام، فيها منزلقات، فيها تهم ظالمة أحياناً، ألا تريد أن تكون في ذمة الله، في رعاية الله، في ظل الله، ابدأ يومك بصلاة الفجر في جماعة، وعندما تزداد الجماعة الناس يأنسون، أحياناً نحن بفضل الله عندنا صفان طويلان، أي حوالي ثمانين شخصاً، أحياناً ثلاثة صفوف أي مئة وعشرون، أحياناً تجد في المسجد سبعة أشخاص، ستة أشخاص، لكن لو أخذت البنية المحيطة بالمسجد يجب ألا يكون هناك محل صباحاً، لو أن الناس جميعاً على منهج واحد، وعلى تطبيق كلام الله عز وجل يجب أن ترى المساجد في الفجر ممتلئة إلى آخرها.

الآن هناك ظاهرة بالمساجد عجيبة جداً: أضخم مسجد يوجد معه مصلى خمسة أوقات، تجد مسجداً مساحته ألفاً متر، معه مصلى مساحته خمسة وعشرون متراً، أو ثلاثون متراً، هذا المصلى يكفي طوال الأسبوع لصلاة الأوقات الخمسة، أما المساحة الواسعة لخطبة الجمعة ألا ينبغي أن يمتلئ المسجد على رحيه في كل الصلوات ؟ إذا كان الله ﷻ شرع لنا صلاة الجماعة، ونحن نقاتل العدو في خط المواجهة الأول، ماذا يعني ذلك ؟ أنها مهمة جداً، إذا كنت تحارب العدو بالسلاح الأبيض وجهاً لوجه في خندق مقابل فيجب أن تصلي الصلاة جماعةً، فكيف بك في السجن، وأنت في راحة وبحبوحة وسكينة.

يا أيها الإخوة الأكارم: النقطة الثالثة، وضع برنامج ديني، شيء من تلاوة القرآن الكريم، وشيء من التفكير، وشيء من أداء الصلوات والنوافل، هذا البرنامج الديني يرفع مقامك عند الله، والدليل قال تعالى:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً (79) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

[ سورة الإسراء ]

هذه الآية دقيقة جداً، لم لم يقل الله عز وجل: اجعلني صادقاً؟ كلام موجز جيد، لما قال:

(( وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ))

لأن ما كل إنسان دخل في عمل خالص لله خرج منه بالنية نفسها، قد يدخل مخلصاً، ويخرج منافقاً، البطولة لا أن تدخل، أن تخرج.

شيء آخر، أحياناً الله عز وجل يصف المؤمنين في كتاب الله الكريم، تقرأ أنت هذه الآيات ينبغي أن تشعر أين أنت من هذه الآية، لما ربنا عز وجل قال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾

[ سورة الأنفال: الآية 2 ]

هذا حال المؤمن، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾

[ سورة فصلت: الآية 30 ]

هذا حال المستقيم، قال تعالى:

﴿تَنْزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة فصلت: الآية 30]

فكلما قرأت آية أو حديثاً عن أحوال أهل الإيمان ينبغي أن تشعر، أو أن تدقق أين أنت من هذه الآية، فكل إنسان أغفل نفسه خسر آخرته.

أحد التابعين الأجلاء قرأ آية كريمة من كتاب الله أن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب فيه ذكركم، فقرأ القرآن، كلما قرأ آية فيها وصف لكبار المؤمنين قال: لست هنا، لست هنا، فلما قرأ الآيات التي فيها وصف للكفار قال: لست هنا، فلما قرأ قوله تعالى:

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾

[سورة التوبة: الآية 102]

قال أنا هنا.

أنت إذا قرأت القرآن الكريم هل تعرف أين أنت من كتاب الله؟ أنت مع أي صنف؟ أي وصف ينطبق عليك؟ هذا شيء مهم جداً.

من الأحاديث المتعلقة بالإيمان، الإيمان كما يقول عليه الصلاة والسلام:

((عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع))

[الجامع الصغير]

العفة النهي الداخلي، أحيانا الإنسان يتمنى، لكن لا يتمكن، أما العفة فحالة أرقى من الداخل، لا يتمنى، العفة أحد خصائص المؤمن، الإيمان في حقيقته

### ((عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع))

لا يقع فيما حرم الله، ولا يتمنى ما ليس له، ولو أن الناس اكتفوا بما لهم، ويئسوا مما ليس لهم، لكانوا في حال غير هذا الحال، لكن الطمع هو الذي أذل رقاب الرجال،

### ((الإيمان عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع))

مادام هناك رغبة أن تأخذ ما ليس لك فقد ابتعدت عن الإيمان، أو رغبة أن تقع فيما نهى الله عنه فأنت أيضاً مما لا تنطبق عليك صفات المؤمنين، وهذا من الأحاديث الصحيحة التي وردت في الجامع الصغير:

### ((الإيمان عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع))

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أنس:

### ((الإيمان نصفان نصف في الصدر، ونصف في الشكر))

هل هناك حالة ثالثة؟ أنت بين حالين، إما أن شيئاً أردته قد وصلت إليه، وإما أن شيئاً قد حرمت منه، فالذي أردته، ووصلت إليه يجب أن تكون شاكراً عليه، والذي حرمت منه ينبغي أن تكون صابراً، ومن أروع الأدعية التي يدعوها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الموضوع:

### ((اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب))

أحياناً الإنسان يستخدم ماله في نصره الدين، يستخدم أحياناً جاهه مكانته في نصره الضعيف، أحياناً يستخدم علمه في نشر الحق، يستخدم طلاقة لسانه، يستخدم قلمه السيل في كتابات ترضي الله عز وجل، يستخدم أحياناً أدواته ومركبته، يستخدمها في خدمة الخلق، يستخدم بيته لنشر الحق، فالمؤمن يوظف كل شيء أعطاه الله إياه في الحق، هذا معنى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام:

### ((اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

حينما تعتقد أن هذه الحياة يجب أن تكون كما تريد فالنبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق، وحبيب الحق كان إذا أصابه خير قال:

((الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات))

وإذا جاءت الأمور على غير ما يريد يقول:

((الحمد لله على كل حال))

فالإيمان يقتضي أن تستسلم، وأن ترضى، والحقيقة، وألح عليها كثيراً أن الشدة النفسية التي مبعثها ضعف الإيمان، وضعف اليقين، وضعف التوحيد هي سبب أكثر الأمراض خطورة في الحياة والإنسان، كلما كانت صحته النفسية جيدة بسبب إيمانه الصحيح وتوحيده الصحيح هذا الإنسان يعيش في صحة لا تعدها صحة بسبب يقينه، أنا أذكر أنه في بلادنا على الرغم من تقلت بعض الناس، لكن هناك بقية إيمان، هذه البقية تجعل الأمراض النفسية قليلة جداً إلى درجة أنها منعدمة، قلما تجد إنساناً عنده خلل، وإذا وجدت فالنسبة قليلة جداً، وقد سمعت في بلاد الغرب أن الذين يرتادون عيادات الأطباء النفسيين مئة وخمسة وخمسون بالمئة، كيف مئة بالمئة يذهبون، وخمسة وخمسون يذهبون مرتين، أو إلى طبيبين نفسيين، لأن ضغط الحياة من دون إيمان يجعل الإنسان مضطرباً، القلق أحد ثمار العصر الحديث المرّة، دع القلق، وابدأ الحياة.

طبع كتاب أول طبعة خمسة ملايين، القلق شرك، الإنسان ضعيف، الإيمان يجعل لك ركناً تأوي إليه، الإله تحتمي به، تلجأ إليه، تثق به، ترتاح لعدالته، ترتاح لقوته، لرحمته، أما الكافر ففاقد للشيء، والله هناك آية أقرأها أشعر بتأثر كبير، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾

[ سورة محمد: الآية 11 ]

تصور طفلاً له أب كبير علماً، وقدرًا، ومالاً، ورعاية، يحرص على أنفاس ابنه، دراسته درجة أولى، طعامه، صحته، غرفته الخاصة، رفقائه، الأجهزة التي في البيت، كي تنمو بذكائه، انظر إلى ابن بلا أب ولا أم في الطرقات مع المنحرفين، مع السارقين، مع الشاردين.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾

[ سورة محمد: الآية 11 ]

أي متفلتين.

إذا قبلك الله عز وجل أن تكون ممن يظلمهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قبلك أن تكون ممن يتولاهم، الواحد إذا وكل محامياً لامعاً جداً يطمئن، يقول: هذا المحامي ما خسر دعوى في حياته، فكيف إذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي يدافع عنك؟ فنحن بحاجة إلى تجديد إيمان، كلما شعر الإنسان أن إيمانه ضعف، وصلاته فترت، وتلاوته للقرآن ما فيها حيوية التي يتمناها، وكلما خف عمله الصالح عليه أن يتحرك حركة تجديدية، التجديد ضروري، حتى رواد المسجد الواحد يحتاجون من حين إلى آخر إلى تجديد، ابحث عن عمل صالح، اعرض خدماتك، اطلب عملاً ترق به إلى الله عز وجل، لما يعمل الإنسان عملاً لوجه الله، لا يرجو إلا الله، وقد يكلفه وقتاً وجهداً ومالاً أحياناً بهذا ترقى، الله عز وجل حاضر ناظر، ناظر إلى هذه التضحية، وهذا البذل، وهذا الإقبال، عندئذ يكافئك، فالإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام:

((الإيمان نصفان، نصف في الصدر، ونصف في الشكر))

والنبي عليه الصلاة والسلام سن لنا صلاة الشكر، إنسان جاء لك بخبر طيب، نجح بشهادة، نجح بعمل، الله سلمه من مرض مخيف، التحليل سليم، الورم غير خبيث، الصورة جيدة، إنجاز تحقق، هذا عمل طيب، النبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن نصلي صلاة الشكر، وشيء لطيف جداً، قال الله عز وجل:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

[ سورة إبراهيم: الآية 7 ]

وفي حديث آخر يتعلق بالإيمان وقد كان محور الدرس الإيمان، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الإيمانُ معرفةٌ بالقلبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ))

[ ابن ماجه ]

يجب أن تعتقد أن في الإسلام ثلاث كليات، كلية فكرية، كلية سلوكية، كلية جمالية، الفكرية هي الأساس، السلوكية هي الثمن، الجمالية هي الهدف، ما من مؤمن إلا ويسعد بالله، لأنه يطيعه، ولأن طاعته لله أساسها معرفته، إن أردت التفوق فعليك بالحركة في هذه الخطوط الثلاثة، خط الإيمان، وخط السلوك، وخط الإقبال على الله عز وجل، ما لم يكن هناك تقصير، أو خلل أو غلو، فإذا نما جانب على حساب جانب كان هناك الخلل والضعف، أما إذا تحركت في الخطوط الثلاثة صاعداً كان هناك التفوق.

((الإيمانُ معرفةٌ بالقلبِ وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ))

والإيمان بالله الإقرار باللسان، وتطبيق بالقلب، وعمل بالأركان، وفي رواية أخرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الإيمانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))

[ متفق عليه ]

أعلى شيء في الإيمان التوحيد، أما أدنى عمل تتبني به وجه الله فهذا نوع من الإيمان لو أزاح أحدهم قشرة موز، لماذا أزاحها ؟ لعل طفلاً صغيراً، أو رجلاً كبيراً تنزلق بها قدمه، فتكسر بها ساقه، فأزاحها رحمة بالناس، وإرضاء لرب الناس، فأزاحة الأذى عن الطريق نوع من الإيمان، وعند الله كل شيء بحسابه، إزاحة الأذى أن تميظ الأذى عن الطريق، ومن الإيمان أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ دلوك في دلو المستسقي، وأن تقف في المركبة العامة لامرأة مسنة محجبة، وأن تعطي دورك في رتل طويل لرجل مسن، والله عز وجل جعل الإيمان منوعاً

كثيراً، فالذي سقى الكلب غفر الله له، رجل يمشي في الطريق اشتد به العطش، رأى بئراً، نزل فيها، شرب حتى ارتوى، ثم خرج، فإذا بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، قال: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغني، نزل البئر مرة ثانية، ملأ خفه ماءً، وأمسكه بفيه، ثم رقي البئر، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له.

ترى حياة المؤمن مبنية على استراتيجية هي الطاعة والعطاء، وحياة الكافر مبنية على أساس واحد، التقلت من منهج الله، والإيذاء، والأخذ.

مرة قلت: الناس على اختلاف ملهم ونحلهم وانتماءاتهم ومشاربهم ومذاهبهم وأعرافهم وثقافتهم وأنسابهم وطبقتهم ومعتقداتهم لا يزيدون على رجلين، رجل عرف الله، فاتصل به، فأطاعه، فأحسن إلى خلقه، فسعد بكل ذلك، ورجل لم يعرف الله، طبعاً هو مقطوع عنه، متقلت من منهجه، مسيء إلى خلقه، شقي، قال عليه الصلاة والسلام:

((الناس رجلان، بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله))

فاجر يعني عاصياً، شقياً بمعصيته، هيناً على الله عز وجل، في آخر الزمان حيث المعاصي تكثر نحن في خير في بلدتنا هذه، أما أن تخرج مظاهرة من بلد أوربي تزيد على مئة ألف إنسان يرفعون لافتات أنهم شاذون جنسياً، ويجب أن يكون لهم حقوق، وأن تعترف الدولة بهم، وأن تعطيمهم تعويض الزواج، مسيرات ضخمة تعرضها الشاشات في الأخبار، هذا شيء خلاف الفطرة، السحاق، واللواط، وتبادل الزوجات، وزنا المحارم، هكذا المجتمع الآن، لذلك ترى موتاً كعقاص الغنم، لا يدري القاتل لم يقتل، ولا المقتول فيم قتل، يقولون: تطهير عرقي، لماذا تقتله؟ ما اقترف ذنباً؟ لذلك هان أمر الله عليهم، فهانوا على الله.

إذا أردت أن تعرف الذي لك عند الله فانظر ما لله عندك، أنت تريد الكرامة، والله يريد منك الاستقامة، قال: يا رب لقد عصيتك ولم تعاقبني، فوق في قلبه أن يا عبدي قد عاقبتك و لم تدر، ألم أحرمك لذة مناجاتي، فالصالحون الذين عندهم حساسية بالغة إذا حُجِبَ عن الله قليلاً يشعر بذلك.

إخواننا الكرام: أنا أجعل بين الدروس المتسلسلة الطويلة درس استراحة ومراجعة حسابات، هذا الدرس من هذه الدروس، أرجو الله سبحانه و تعالى أولاً أن نحاسب أنفسنا حساباً عسيراً، إذا حاسبنا أنفسنا حساباً عسيراً كان حسابنا يوم القيامة يسيراً، دائماً وأبداً تصور ماذا تجيب الله يوم القيامة لو قال لك: يا عبدي لماذا فعلت كذا؟

ورد في الأثر، أن يا عبيدي . يوم القيامة . أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ يا رب عملنا حفلة كلفت عشرين مليوناً، أحضرنا راقصات، ووزعنا خموراً، وأقمناه مختلطاً، أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ ونشرناه بالصحف في بيروت، كله منشور، و النساء كاسيات عاريات، و الخمر تدار، و الراقصات ترقص، والمغنون يغنون، و المبلغ عشرون مليوناً، الحفلة فقط، أما العرس فقد كلف مجموع النفقات مئة مليون ومليونين، كم من شاب يتزوج بهذا المبلغ ؟ كم من شاب كالوردة ينتظر غرفة يسكن بها ؟ وصف الله أهل الدنيا أنهم إذا أمسكوا المال أمسكوه بخلاً و تقتيراً، وإن أنفقوه أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، هذه حادثة، إذا أنفق أنفق تبذيراً، وإذا أمسك أمسك بخلاً، أما المؤمن فله مع الله شأن آخر، أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال: يا رب لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي، قال: عبيدي ألم تعلم بأني أنا الرزاق ذو القوة المتين ؟ إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم.

والله حدثوني عن أسرة تركت مئات الملايين، بعد سنوات لا تزيد على عشر لا يملك أحد أولاده درهماً، الذي يترك ثروة ولا يترك تربية هذا خاطئ، البطولة أن تربي ابنك، لا أن تترك له المال الوفير، إذا تركت له المال قال له: إلى أين أنت ذاهب ؟ قال له: و الله أريد أن أسكر على روح أبي، والله هكذا قالها شاب، وأنزل الناس رجل دخل ورثته بماله الجنة، و دخل هو بماله النار، قال له: أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال: يا رب لم أنفق منه شيئاً على أحد من بعدي مخافة الفقر على أولادي من بعدي، قال: ألم تعلم بأني أنا الرزاق ذو القوة المتين ؟ إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم، سأل عبداً آخر قال: عبيدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال: يا رب أنفقته على كل محتاج ومسكين، لثقتي بأنك خير حافظاً، وأنت أرحم الراحمين، قال: يا عبيدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك، اكسب حلالاً، وأنفق حلالاً، والله عز وجل مكانك بعد وفاتك في تربية أولادك، وفي حفظهم، وفي تأييدهم، وتوفيقهم.

أيها الإخوة: ملخص الدرس أن نجدد إيماننا من حين إلى آخر عن طريق مراجعة الحسابات، وضبط الأمور، وتقويم العبادات، وضبط المعاملات، ومعرفة الإيجابيات والسلبيات، والمنجزات والتقصيرات، هذا كله يرقى بالإنسان، وهذا معنى قول الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[ سورة العنكبوت: الآية 69 ]

وأشرف عمل هذا الجهاد، جهاد النفس والهوى، ورد الجهاد في القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان: الآية 52]

يعني أن تتعلم كتاب الله، وأن تلقيه على الناس، وأن تعلم الناس الخير، هذا نوع من الجهاد، إن لم يكن الجهاد الآخر متاحاً في ظروف معينة، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يلهمنا الخير.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (056 - 127) : إن الله فرض فرائض

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-09-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: حديث اليوم هو الحديث الشريف الذي روي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها ))

[ حديث حسن رواه الدار قطني وغيره ]

أيها الإخوة الكرام: يعد هذا الحديث الشريف أصلاً من أصول الدين، بل يعد هذا الحديث الشريف من جوامع الكلم الذي تكلم به النبي عليه الصلاة والسلام، الدين كله لا يزيد على فريضة، وعلى محرم، وعلى حد ومباح.

((فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ))

يقول رسول الله ﷺ مؤكداً هذا الحديث: ((ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام ))، المشرع هو الله، والإنسان مهما علا قدره، ومهما اتسع علمه لا يصلح أن يكون مشرعاً، لأن هناك شيئين، الأول: قد يكون علمه ناقصاً أو محدوداً، ولو تصورنا العلم الواسع، لكن نفسه قد تأمره بشيء لصالحه، فهو لا يخلو من جهل، أو من تحيز، ولا يخلو من صفة عقلية ناقصة، أو من صفة نفسية ناقصة، فالإنسان محدود العلم، لأن الله عز وجل

يقول:

## ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة الإسراء: الآية 85]

لا يصلح أن يكون مشرعاً، ولأنه قد ينحاز إلى مصلحته، أو إلى بني جنسه، أو إلى طبقته، أو إلى فئته، أيضاً لا يمكن أن يكون مشرعاً، فالحلال ما أحله الله.

(( ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافية، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا هذه الآية: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ))

هذا الحديث بالتعبير المصطلحي يعضد الحديث الأول الذي هو موضوع الدرس.

أيها الإخوة الأكارم: يجب أن تعلم أن في الدين أشياء ثابتة، وفي الدين أشياء متبدلة، وفي الدين أشياء حيادية، لا علاقة لها بأمر سعادتك في الدنيا والآخرة، فالأشياء الثابتة مغطاة بأمر ونهي قطعي الدلالة، والأشياء المتغيرة مغطاة بأوامر ظنية الدلالة، فإذا اجتهد المجتهدون في فهمها فهماً موسعاً فسيغطي هذا الفهم والاجتهاد كل الحالات، وكل الظروف، وكل المعطيات التي يمر بها الإنسان، وهناك أشياء حيادية لا علاقة لها لا بسعادتك ولا بسلامتك، هذه الأشياء الحيادية سكت الشرع عنها، لا حلها، ولا حرمها، إذاً هذه الأشياء المسكوت عنها هي المباحات، فلا إثم إذا فعلتها، ولا إثم إذا تركتها.

سألني مرة أخ قال لي: أعطني مثلاً على هذا الشيء المسكوت عنه، كان يرتدي قميصاً لونه زيتي، قلت له: هذا اللون محرم أم محلل؟ قال: لا علاقة له بالحرام والحلال؟ قلت: هذا اللون من الأشياء التي سكت الشرع عنها، ترتدي أبيض، زيتياً، أسود، بنيّ، فهناك فرائض فرضها فلا تضيعوها، ومنهيات نهى عنها فلا تنتهكوها، وحدود حدها فلا تعتدوها، و أشياء سكت عنها فلا تبحثوا عنها.

أيضاً من باب التعنت، وإن الإنسان لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع، هناك أناس يسألون عن الأشياء المباحة يضيّقون على أنفسهم إلى أن يقعوا في زاوية ضيقة، فالدين يسر، وسددوا، وقاربوا، ويسرّوا، ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا، فالحديث الذي يعضد الحديث الأول:

((ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافية، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً، ثم تلا هذه الآية: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا))

طبعاً هذا مأخوذ من قوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[ سورة المائدة: الآية 3 ]

القضايا التي جاءت في هذا الكتاب والسنة قضايا تامة كاملة، سئل عليه الصلاة والسلام عن السمن والجبن، أنأكلهما ؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

((الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه))

قال لي أخ: هذه الثياب إذا كانت مصنوعة في بلد غربي حرام هي ؟ قلت: لا، قال: الأجانب صنعوها، قلت له: إذا حرام.

هو أراد أن يضيق، طبعاً أنا أقول له لأثير فيه الفكر الفقهي، وليس هناك دليل منع فيه النبي عليه الصلاة والسلام التعامل مع أهل الكتاب، لو كان التعامل معهم محرماً لما فعله النبي عليه الصلاة والسلام، لك أن تشتري، وأن تبيع من غير المسلمين، ولا شيء عليك، والنبي فعل هذا في حياته ليكون مشرعاً، فلست أنت أكثر ورعاً من النبي عليه الصلاة والسلام.

أنا أتمنى على كل إخوتنا أن الذي فعله النبي صلى الله عليه و سلم حق، لا تفكر أن تكون أشد ورعاً من رسول الله ﷺ، فعن أنسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَرَوُجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ:

(( مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ))

[ متفق عليه ]

أنا لا أقول هذا الكلام من هواء، أقوله من واقع، هناك أناس حرموا على أنفسهم أن يروا أمهات نسائهم من باب الورع، النبي عليه الصلاة والسلام حينما سمح أن نرى أم زوجاتنا، أو أم زوجتنا فهذا شيء مباح، فلم يفكر أحد أن يكون

أكثر ورعاً من النبي عليه الصلاة والسلام، هذا بالتعبير الحديث مزيدة رخيصة، المنهج الذي جاء به النبي هو منهج كامل، و الطريق الذي رسمه النبي هو طريق يوصلك إلى أعلى المراتب من دون أن تزيد عليه، ومن دون أن تنقص منه، وعن ابن عباس قال:

((كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَ أَشْيَاءَ وَيَتَزَكُّونَ أَشْيَاءَ تَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ وَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلَالٌ وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ وَتَلَا قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا إِلَّا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ))

[ أبو داود ]

إنسان يبيع حاجة، يبيع أطباقاً، يبيع ملاعق، ليس مكلفاً أن يسأل المشتري: ماذا سوف تفعل بها ؟ الملعة تستعمل بشكل موسع لتناول الطعام، يا ترى هل عندك مطعم ؟ هل تقدم في هذا المطعم مشروباً ؟ أنت لست مكلفاً بهذا، أما إذا رأيت أن إنساناً سوف يستخدم هذه الأشياء في المعاصي، رأيت دون أن تسأله فينبغي أن تمتنع، ولكنك لست مكلفاً أن تحمل نفسك فوق ما تطيق، وألاً تتعنت في التحرك.

((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها))

يقول بعض العلماء: "هذا الحديث يجمع أحكام الدين كلها، الفرائض، والمحرمات، والحدود، والمباحات، ألم يقل عليه الصلاة والسلام:

### ((أوتيت جوامع الكلم))

هذا الحديث من جوامع الكلم".

ويقول عالم آخر: " هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه".

ويقول عالم ثالث: " ليس في أحاديث رسول الله ﷺ حديث واحد أجمع بانفراده بأصول الدين وفروعه من حديث أبي ثعلبة".

أنت أمام أربع كليات، حلال، أمر، ونهي، وحد، ومباح، البطولة أن تعرف كل شيء تفعله كل يوم، ما حكمه الشرعي.

أقول لكم أيها الإخوة الأكارم: ما من شيء بعد الإيمان بالله أنت أحوج إليه من أن تعرف حكم الله، إنك أن عرفت الله تشعر بدافع شديد إلى طاعته، وإلى تنفيذ أمره، وإلى فعل ما أمر، وترك ما نهى وزجر، ولا بد من أن تعرف ماذا أمر، وعن أي شيء نهى.

وحكى بعضهم أن النبي عليه الصلاة والسلام جمع الدين كله في أربع كلمات، قال: " ومن عمل بهذا الحديث حاز الثواب، وأمن من العقاب، لأن من أدى الفرائض، واجتنب المحارم، ووقف عند الحدود، وسلك البحث عما سكت عن الشرع فقد أدى ما عليه".

بالمناسبة، كلكم يعلم أن في الدين فرضاً، وواجباً، الوتر واجب، أما العشاء ففرض، الأضحية تكون أحياناً عند أبي حنيفة واجباً، يا ترى الواجب كالفرض؟

العلماء اختلفوا، عند الأحناف هناك واجب، وهناك فرض، أما عند السادة الشافعية فالواجب هو الفرض، وليس هناك فرق بينهما، لكن السادة الأحناف رأوا أن الفرض ما كان دليلاً من كتاب الله، وأن الواجب ما كان دليلاً من سنة رسول الله، أو أن الفرض ما كان دليلاً قطعي الثبوت والدلالة، والواجب ما كان دليلاً ظني الدلالة، على كل

هناك فرق بين الفرض والواجب.

شيء آخر، لهذا الحديث:

((الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله))

ليس ثمة إنسان يجرؤ على أن يطلق كلمة حلال أو حرام جزافاً.

بالمناسبة ليس شيء أكبر عند الله من أن تحرم ما أحله الله، أو أن تحل ما حرمه الله، هذا الشيء من اختصاص خالق الكون، فإما أن تملك الدليل الواضح القطعي على أن هذا الشيء حرام أو حلال، وإلا فاسكت، أما أن تتسرع، وتقول: حرام، وأقول هذا الكلام لأنني أعلم علم اليقين أن من إخوتنا الأكارم الكثيرين في بداية حياتهم الإيمانية يتسرعون بإلقاء الأحكام الشرعية، لا تقل: هذا حلال، ولا تقل: هذا حرام، وإلا معك الدليل القطعي، والدليل ليس من عندك، من عند علماء ثقافت، أنت وجدت في الكتاب الفلاني العالم الثقة المجتهد أن هذا الشيء حلال، وهذا هو الدليل، أو أن هذا الشيء حرام، وهذا هو الدليل، أما أن تلقي أنت الكلام جزافاً لتحريم شيء وتحليل شيء فهذا يرقى إلى مستوى المعصية الكبيرة، لأن الله عز وجل لما ذكر المحرمات ذكرها بتسلسل تصاعدي، الفحشاء، والمنكر، والإثم، والعدوان، والشرك، والكفر، ثم قال:

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 169 ]

مرة في مسجد الطاووسية جاءني رجل منهار نفسياً، يلتقي بطبيب نفسي، سبب انهياره النفسي أن شيئاً كان يفعله في حياته الخاصة، أنبأه إمام مسجد في الشمال أن هذا شيء من المحرمات الكبيرة، وهو ليس محرماً، حدث معه تأنيب داخلي، هذا التأنيب تنامي وتنامى حتى أحاله إلى مريض نفسي، فلما أخبرته أن هذا الشيء مباح، وليس حراماً حرمةً مطلقة، بل مكروه أذكر أنه مزق الوصفة الطبية والأدوية المسكنة، وارتاحت نفسه. دققوا أيها الإخوة: تحريم الحلال من أكبر المعاصي، وكذا تحليل الحرام، فهذا الشيء من اختصاص العلماء الكبار، أنت تتقل، والقاعدة الأصولية: إن كنت ناقلاً فالصحة، مدّعياً فالدليل، إما أن تتقل عن عالم ثقة، عن عالم يشهد له المسلمون جميعاً لورعه، الشافعي كبير جداً، الإمام أبو حنيفة كبير، الإمام مالك كبير، الإمام ابن حنبل، إما أن تتقل عن عالم، أو قل: لا أدري، وفي كلمة لا أدري دليل على ورعك، وعلى وقوفك عند حدود الله،

الإمام ابن حنبل جاءه وفد من المغرب معهم ثلاثون سؤالاً، أجاب عن سبعة عشر سؤالاً، ولم يجب عن الباقي، فعجبوا، قالوا: أين الإجابة يا إمام؟ قال: لا أعلم، قالوا: الإمام أحمد لا يعلم، وقد أتيناك من أقاصي الدنيا؟! قال: قولوا لمن بعثكم إلينا: إن الإمام أحمد لا يعلم.

يا أيها الإخوة الأكارم: علامة الورع التريث في إصدار الحكم، العالم الورع جبان في إصدار الفتوى، وهذا الجبن وسام شرف له، لا يصدر فتوى إلا بعد حين، بعد دراسة، بعد تحقيق، بعد أن يستأنس بآراء المذاهب، ويستأنس بآراء العلماء، لأن الحلال والحرام من اختصاص الله عز وجل، يقول الله عز وجل:

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل: الآية 116]

رحم الله عبداً عرف حده فوقف عنده، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة الأنبياء: 7]

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾

[سورة الفرقان: 59]

أنت عندك قضيتان، قضية متعلقة بالدين، وقضية متعلقة بالدنيا، القضية المتعلقة بالدنيا اسأل عنها خبيراً، والقضية المتعلقة بالآخرة أهل الذكر، في الحاليتين أمرك الله أن تسأل، والسؤال مفتاح العلم، وأنت بالسؤال تأخذ علم العالم كله، لذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى كان يقول: "لأن يرتكب العوام الكبائر أهون من أن يقولوا على الله ما لا يعلمون"، تورع أن تقول على الله ما لا تعلم، واسأل، وارجع، واثبت بالدليل، وإن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل.

قال أحد العلماء: "ليتق أحدكم أن يقول: أحل كذا، وأحرّم كذا، فيقول الله: كذبت لم، أحل كذا، ولم أحرم كذا.

وقال بعض العلماء: " أدركت علماءنا يقول أحدهم إذا سئل: أكره هذا، ولا أحبه، ولا يقول: حلال أو حرام.

طبعاً إذا سئلت عن الخمر تقول: أكرهه ! أعوذ بالله ! تقول: هذا حرام، بملء فمك، إن سئلت عن حد حده الله، عن فريضة فرضها الله عز وجل، عن نهى نهى الله عنه، أما إذا سئلت عن شيء لا تعرف حكمه الشرعي، لكن نفسك تعافه، فكان بعض العلماء الكبار يقول: أكره هذا، ولا أحبه، وكان يتورع أن يقول: حلال أو حرام، هذا الذي أمر الله به.

بالمناسبة الذي أمر الله به تتوقف عليه سعادتك نقطة مهمة جداً، الذي أمر الله به في كتابه الكريم بآية محكمة قطعية الدلالة، هذا الأمر يغطي الثوابت في حياتك، حيث لو تركته لانهارت سعادتك، أمرك بالصلاة، لا خير في دين لا صلاة فيه، من ترك الصلاة فقد كفر، شيء كبير، قال تعالى:

### ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

[ سورة العلق: 19 ]

القرب فرض لسعادتنا، قال تعالى:

### ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[ سورة طه: 14 ]

### ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[ سورة العنكبوت: الآية 45 ]

الصلاة معراج المؤمن، لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل، الصلاة طهور، الصلاة نور، الصلاة حبور، الصلاة ميزان، فمن وفى استوفى، أمر بالصلاة، قوام سعادتك الصلاة، أمر بغض البصر، قوام سعادتك الزوجية غض البصر، أمر بالصدق، قوام مكانتك بالمجتمع الصدق، أمر بالأمانة، أحد أسباب وفرة الرزق هي الأمانة، فكل شيء الله أمر به يجب أن تعلم علم اليقين أن سعادتك في الدنيا والآخرة متوقفة عليه، وكل شيء أمر به، وكل شيء نهى عنه بآية قرآنية محكمة قطعية الدلالة فهو شيء يحطم سعادتك، يؤدي بك إلى الهلاك.

دقق الآن، أتكلم عن الفرائض والمحرمات، الفرائض والمحرمات تغطي الثوابت في حياتك، أي إنسان في أي

مكان، في أي زمان، فقير أو غني، ريفي أو مدني، مثقف أو غير مثقف، بمكانة عالية أو مع دهماء الناس، في أعلى مرتبة أو في أدنى مرتبة، وسيم أو قبيح، الأوامر التي أمر الله بها، والنواهي التي نهى الله عنها هي التي تتوقف عليها سعادتك في الدنيا والآخرة، لذلك أفضل شيء تتقرب إلى الله به أن تؤدي ما افترض الله عليك، والنبي عليه الصلاة والسلام يؤكد أن الله عز وجل لا يقبل النوافل إلا إذا أوديت الفرائض، لا يقبل نافلاً مع ترك واجب أبداً.

يجب أن تكون المحلات والمحرمات لها مكانة كبيرة جداً عندك.

الآن الأحكام الظنية الدلالة التي اجتهد فيها المجتهدون، رأي الإمام الشافعي أنه يجوز، الإمام أبو حنيفة عنده لا يجوز، الإمام مالك يجوز عنده بشرط، مادام هناك اجتهاد، هناك دلالة ظنية في النص، ومادامت الدلالة ظنية معنى ذلك أن الله عز وجل وسع على العباد، باختلاف المجتهدين يدل على سعة الله لعباده، فالله عز وجل حينما جعل نص كلامه أحياناً ظني الدلالة أراد أن نفهم النص على كل وجوهه، وهذه الوجوه جميعاً تغطي كل الاحتمالات، لذلك الجانب المتغير في حياة الإنسان تغطيه النصوص الظنية الدلالة.

مثلاً: ليس هناك نص قطعي يبين لك أن الزكاة تؤدي عيناً أو نقداً، وفي اجتهاد الإمام الشافعي أنها تؤدي عيناً، الإمام أبو حنيفة اجتهد أنها تؤدي نقداً، أبو حنيفة عاش في البصرة، في المدينة، والشافعي عاش في ريف مصر، الريف غير المدينة، أعط إنسان في الريف كيس قمح يمتلئ لك امتناناً، التور جاهز، والطاحونة جاهزة، والأمور ميسرة، أعط إنساناً ساكناً في المدينة في قبو مساحته سبعون مترًا، أعطه كيس قمح، ماذا يفعل به؟ أين يصونه؟ أين ينشره؟ كيف يطحنه؟ كيف يخبزه؟ يدفع بقدر ثمنه خدمات له، هنا هناك توسعة، لك أن تدفع زكاة مالك نقداً، ولك أن تدفعها عيناً، لأن أداء الزكاة مطلق غير مقيد بحالة، وما دام مطلقاً إذاً فهناك توسعة، أنا أقول لكم كلاماً دقيقاً: الأشياء الفرائض مغطاة بآيات قطعية الدلالة، والمحرمات مغطاة بآيات محكمة قطعية الدلالة، الفرائض يبنى عليها قوام سعادتك، والمحرمات سبب هلاكك، الأوامر والنواهي هذه أخطر ما في الدين، لذلك المؤمن لو قطعه إرباً إرباً لا يفعل ما نهى الله عنه، ولا يترك ما أمر الله به، أما الأحكام الظنية فهذه متعلقة بالظروف والبيئات والمعطيات والتطور، يا ترى المرأة إذا جاءت الدورة قبل طواف الإفاضة ماذا تفعل؟ على رأي أن عليها بدنة عند الأحناف، ورأي آخر تغدو أميرة حجها عند السادة الشافعية، ورأي ثالث تطوف بالبيت، ولا شيء عليها عند الإمام مالك، يا رب كم ديناً هناك؟ إذا كانت المرأة موسرة نقول لها: أنت ينبغي أن تذبجي

بدنة، تطعمين بها الفقراء، وإن كانت مقيمة، لها ابن مقيم في مكة، أو في جدة يمكن أن تنتظر إلى أن تطهر، أما إذا كانت فقيرة ملحقة بفوج لا يسمح لها بالتخلف، نقول لها: طوفي بالبيت، ولا شيء عليك، أريتم كيف أن الأحكام الظنية موسعة فيها رحمة للعباد جميعاً.

لذلك الفقرة الأولى من الحديث: عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها))

[ حديث حسن رواه الدار قطني وغيره ]

عندنا اقتراب، وعندنا مجاوزة، الله سمح بالطلاق، قال تعالى:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 229 ]

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾

[ سورة الطلاق: الآية 1 ]

وإذا طلق الإنسان طلاقاً بدعياً فقد تجاوز الحد، لك أن تبيع السلعة الإنسان أما إذا بعت، وتجاوزت الحد المعقول في الثمن صار في البيع غبن فاحش، هناك حد مقبول عند الله مسموح به، وهناك تجاوز للحد، أما المحرمات فهذه هي قوة جذب فلا بد من هامش أمان تجعله بينك وبينها، لا بد من هامش أمان بينك وبين المحرمات.

لذلك إخواننا الكرام: الورعون هم الذين يضعون هامش أمان بينهم وبين المحرمات، لأن المحرم يشبه نهراً عميقاً، من وقع فيه غرق، والحلال شاطئ مستوٍ جاف، والشبهة شاطئ مائل زلق، فالنهر هو الحرام، والشاطئ المستوي الجاف هو الحلال، والمنطقة بين المنطقتين المائلة الزلقة.

عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ...:

((إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ))

إذا أوصى الإنسان لوارث فقد تجاوز الحد، واخترق الحد، ووقع فيما نهى الله عنه، لذلك إن القرآن الكريم من عمل به حفظ حدودي، ومن لم يعمل به فقد تعدى حدودي.

يا أيها الإخوة الأكارم: أعتقد أنه لا ينبغي أن يشغلكم شاغل، أخطر من أن تعرف دائماً الحكم الشرعي، في أي موضوع، وأقول لكم: المرأة مثلاً إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وحفظ نفسها، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها، أما الرجل فهو معرض إلى ألف مزلق، فينبغي أن يتقنه، لذلك طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم، هناك مزالق كثيرة، أحد هذه المزالق يقول له: ادفع معي نصف ثمن البيت أعطك أجره شهرية، لكن أنا شرطي بعد سنة أسترد المبلغ بكامله، ما درى أن هذه عملية ربوية كاملة، دفعت نصف ثمن البيت، وتقاضيت أجراً ثابتاً، مبلغك محفوظ، هذا حرام، الاسم أجره، أما هي ففائدة، فلو دفعت نصف ثمن البيت، وتلقيت من الساكن به أجره، بعد حين أردت أن تنهي العلاقة فالبيت يقيم، إما أن يعلو المبلغ، وإما أن ينزل، صار هناك ظرف طارئ، استملاك، أو تنظيم، ذهب أربعة أخماس ثمن البيت، فإذا كان المبلغ معرضاً للزيادة والنقصان بحسب السعر فالأجر حلال، صرت أنت مؤجراً، كلمة واحدة، أكثر الاستثمار يقول: أعطي على الألف ثلاثمائة، هذه ربا، إذا لم يكن هناك حساب حقيقي للأرباح والخسائر، لا هناك جرد حقيقي، ولا متاجرة حقيقية فاحتمال الربح والخسارة معاً، فهذا العمل صار استثماراً ربوياً كالمصرف تماماً، فنحن بحاجة ماسة إلى أن نتقنه في الدين، بالمناسبة كل أخ بحسب عمله، أنا أقول: ما من شخص مسلم إلا يبيع ويشترى، والأغلب أنه يشتري، فمعرفة أحكام البيوع وتفاصيلها وأدلتها وشبهاتها فرض عيني على كل مسلم.

ما من إنسان إلا ويتزوج، فمعرفة أحكام الزواج من معاملة الزوجة، وحقوق الزوجة، وحقوق الزوج، وحقوق الولد، هذه فرض عين على كل مسلم، أخطر شيء زواجك، وعملك ألصق شيء بك.

أنت الآن محام، المحامي أجره ليس أجر إنجاز، أجر جعالة، يجب أن تعرف أحكام الجعالة، أنت طبيب، هناك أحكام خاصة بالأطباء، أنت مدرس هناك أحكام خاصة بالمدرسين، فطلب الفقه حتم واجب على كل مسلم. طبعاً هذا الشيء الأساسي، أحكام الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، هذه أركان الإسلام، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، هذه أركان الإيمان، معرفة أركان الإيمان بالتفصيل، ومعرفة أحكام العبادات بالتفصيل هذا فرض عيني على كل مسلم، ثم معرفة أحكام البيوع،

وأحكام الزواج، أيضاً فرض عيني على كل مسلم، إذا كان لك اختصاص، وسافرت فهناك آداب للسفر، هناك سفر إلى طاعة، وسفر إلى معصية، هناك أدعية للسفر، وآداب للسفر، فسافرت فالسفر له أحكام.

في المناسبات الحزينة بدع ما أنزل الله بها من سلطان، لا أصل لها في الدين، يجب أن تعلم حكم الميت، وما الذي يصله من عملك، ترى أحيانا سذاجة، يدفعون أموالا لسقوط صلاة، وسقوط الصيام، والحج البذل، وانتهى، يأتي الغني يقول: لا داعي لأستقيم، عندما أموت يدفعون لي، أين قوله تعالى:

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)﴾

[ سورة النجم ]

في بعض المذاهب إن لم يوص المتوفى بحجة بدل فليس له حجة بدل، يوصي لأنه شعر بالندم، وكان من الممكن أن يحج، ولم يحج، داهمه المرض، أوصى بحجة بدل، وكثير من الأشخاص بلا فقه يأخذون من مال الميت مبلغاً ضخماً لحجة البذل دون أن يوصي، طبعاً إذا كان تبرعاً فلا مانع، ابنه له أن يحج عنه، والابن عمله يعد ملحقاً بعمل الأب، الابن وحده له حالة خاصة، وإذا أوصى المتوفى قبل أن يتوفى فهناك حكم خاص، أما ترك أولاداً أيتاماً ضعافاً ثم نأخذ من إرثه مبلغاً ضخماً لحجة البذل دون أن يوصي، ودون أن يحج عنه ابنه فهذا مخالف لأحكام الفقه، فيجب أن نعلم ما ينبغي، وما لا ينبغي، ما يجوز، وما لا يجوز.

هناك تفسير آخر للحدود هي المعاصي، قال تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 187 ]

أي هذه النواهي التي نهى عنها لا تقربوها.

يا أيها الإخوة الأكارم: مرة ثانية وثالثة ورابعة أقول: ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط، ومن لم يكن له ورع يصدده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

الورع مطلوب، أنت بالورع تقبل على الله، وبالورع تسعد بالله، وبالورع تنتزل على قلبك السكينة، وبالورع تصل إلى الله، فلذلك الورع الورع، والورع والإخلاص، القاعدة: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة، دائماً دقق على شيئين، انطباق عملك على منهج وإخلاص العمل لله، وأنت بالإخلاص تعرف معرفة يقينية أنك إذا فعلت هذا الشيء أمام الناس فعلته منطلقاً، أما إذا غاب الناس عنك، أو غبت عنهم فلن تفعله، إذاً هذا العمل ليس فيه إخلاص.

الآن هناك موضوع سريع ملحق بهذا الموضوع، أحياناً يكون الحكم الشرعي مصرحاً به بشكل قطعي الدلالة، بنص شرعي، قال تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾

[ سورة المائدة: الآية 38 ]

حكم شرعي محدد بدلالة نص، أحياناً يكون الحكم الشرعي بطريق العموم، قال تعالى:

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 157 ]

قال تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾

[ سورة النساء: الآية 23 ]

بدلالة النص، بالنص الخاص، أما يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث فهذا تحريم عام، وإباحة عامة، الطيبات والخبائث، أي شيء ثبت أنه خبيث فهو محرم، لا أقول: هو محرم بالنص الخاص، بل محرم بالدلالة العامة، أحياناً بطريق الفحوى، أسلوب في التحريم قال تعالى:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

[ سورة الإسراء: الآية 23 ]

هل ضرب الأب والأم محرم ؟ ليس هناك نص، لو قرأت كتاب الله كله، وقرأت السنة كلها لا تجد نصاً يحرم ضرب الأب والأم، أما التحريم فمن كلمة ( أف )، طبعاً هذا من باب أولى، إذا كانت كلمة أف محرمة بنص قطعي الدلالة والثبوت فإن يحرم ما فوق الأف من باب أولى، هذه الطريقة اسمها طريقة الفحوى، فإما أن يحرم الشيء بدلالة النص، أو إما أن يحرم الشيء بدلالة العموم، وإما أن يحرم الشيء بدلالة الفحوى، والفحوى موافقة أو مخالفة، طبعاً لا تقل لهما أف ولا تنههما مع النهي عن كل شيء فوق كلمة أف.

وأحياناً:

### ((في الغنم السائمة الزكاة))

الغنم التي ترعى فيها الزكاة، والتي لا ترعى معفاة من الزكاة، أحياناً تجد التحريم والتحليل مقيدتين بشيء، قال تعالى:

﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾

[سورة النساء: الآية 23]

فهذه الربيبة محرمة بقيد، أحياناً تحريم بالقياس، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

### (( كل مسكر حرام ))

هناك أشياء الآن لها أسماء غير الخمر، فإذا أسكرت فهي حرام، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

### ((ما أسكر كثيره فقليله حرام))

ما أسكر كثيره فملاً الكف منه فحرام.

فعندنا حرام بدلالة النص، وحرام بدلالة العموم، وحرام بدلالة الفحوى، وحرام بالقياس، فكل أنواع الخمر، والمخدرات ليس لها علاقة بالحلال والحرام، إذا كان الشيء المسكر محرماً تحريماً قطعياً فالمخدر أشد إذهاباً للعقل من السكر، أيضاً هذا محرم بالقياس.

أيها الإخوة: بقيت فقرة أخيرة في الدرس، وهي دقيقة جداً،

((وسكت عن أشياء رحمة بكم))

لذلك عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((

إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ))

[متفق عليه]

الله عز وجل ذكر لنا في سورة البقرة هؤلاء الذين قيل لهم: اذبحوا بقرة، قالوا: ما لونها؟ فما زالوا يسألون عن تفاصيل حتى أصبحت البقرة التي ينبغي أن يذبحوها واحدة، وقد طلب صاحبها ثمناً فلكياً، من ضيق ضيق الله عليه.

((إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ))

قال تعالى:

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾

[سورة الأنعام: الآية 145]

هذه المحرمات، وهناك محرمات في المطاعم، ومحرمات في الزواج، ومحرمات في كسب المال، ومحرمات في المشروبات، فالله عز وجل ذكر المحرمات في القرآن الكريم، وفي السنة بشكل صريح، وفي السنة أيضاً كما قال عليه الصلاة والسلام:

((أوتيت القرآن ومثله معه))

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا))

[البخاري]

فهذا من تحريم السنة، والنبى صلى الله عليه و سلم قاس على تحريم أن يجمع الإنسان بين الأختين، فالنبى قاس على تحريم الجمع بين الأختين، وتحريم الجمع بين الزوجة وعمتها، والزوجة وخالتها، لئلا تقطع الأرحام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا فَقَالَ رَجُلٌ أَمَلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قُلْتُمْ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلِمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ ذُرُونِي مَا تَرَكَتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَاكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ))

[متفق عليه]

طبعاً الأمر هنا بالأعمال الصالحة، أمر بالإنفاق، لخدمة الآخرين، لمعاونة المساكين، إن أمرتكم بأمر من الأعمال الصالحة فاتوا منه ما استطعتم.

هناك نقطة مهمة جداً قبل أن ينتهي الدرس، الأصل في العبادات الحظر، والأصل في المعاملات الإباحة، العبادات مقننة، صلاة، صوم، حج، زكاة، القراءة في الصلاة، الركوع، السجود، كل شيء متعلق بالعبادات الأصل فيه الحظر،

لا يكون الدليل على الشيء إلا أن يكون هذا الدليل إيجابياً، أما في المعاملات فالأصل الإباحة، شيء لا يثبت إلا بدليل، أما في العبادات فلا ينفي إلا بدليل، الأصل في العبادات الحظر، والأصل في المعاملات الإباحة. مرة ثانية أيها الإخوة الأكارم: عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها))

[ حديث حسن رواه الدار قطني وغيره ]

وكيف أن الأحكام الشرعية غطت الثوابت والمتغيرات، والذي سكتت عنه الأحكام الشرعية هي الأشياء التي لا علاقة لك لا بسعادتك، ولا بسلامتك من الدنيا، هذا الحديث كما قلت: أصل من أصول الدين، وهو جامع لأركان الدين كله، الفرائض، والمحرمات، والحدود، والمباحات، وهم كل مؤمن صادق أن يبحث في كل موقف، وفي كل تصرف عن الحكم الشرعي، وإذا علمت فيها ونعمت، وإلا فاسأل، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة الأنبياء: 7 ]

أخ من إخواننا يعاني من ضائقة مالية شديدة جداً، وعليه ديون متراكمة، عرض عليه أن يصنع بيت مصحف مزخرف، وهذه مهنته وحرفته، الذي عرض عليه هذا المشروع غير مسلم، من أهل الكتاب، فرفض بجهل منه، بلا علم، العمل مباح، والاختصاص يملكه، وهو في أشد الحاجة إلى المال، وعليه ديون متراكمة، رفض من دون أن يسأل، والنبى صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام تعامل مع أهل الكتاب، ولا شيء عليه، وأنا أقول لكم: التحريم سهل، كل إنسان جاهل يحرم كل شيء، ويرتاح، حرام، حرام، الحياة أنت يجب أن تكون فقيهاً، أن تعرف ما يجوز، وما لا يجوز، ما لا يجوز بالدليل، ما يجوز بالدليل، لولا الدليل لقال من شاء ما شاء، فنحن بحاجة إلى دليل، وأنا أنصح إخواننا الكرام: لا تفعل شيئاً بلا دليل، ولا تدع شيئاً بلا دليل، اسأل، وتعلم، واطلب العلم، نحن من فضل الله عز وجل دروس الأحد تقريباً من عشرين سنة كلها فقه، درسنا موضوع الشركات، موضوع البيوع، هذه الموضوعات الحساسة، شركة المضاربة، موضوعات الربا بالتفصيل، العورات، فأنا بحسب ما كنت أجد هذه الأمور نحن في أمس الحاجة إليها فإذا أحب الواحد أن يرجع إلى الماضي بالأشرطة فإنه سيجد موضوع الربا في ثمانية أشرطة، العورات في خمسة، شركات المضاربة لها أحكام تفصيلية، هذا الذي ينبغي أن نبحث عنه، نبحت عن الحكم الشرعي كي يكون عملنا مطابقاً لمنهج ربنا، وبعد معرفتنا بالله فلا شيء نحن في

أمس الحاجة إليه كمعرفة الحكم الشرعي، والقرآن بين يديك، الآيات المكية كلها تتعلق بمخلوقات الله، بالآيات الكونية، أما الآيات المدنية فكلها تتعلق بالتشريع، هناك مرحلة إيمان، ومرحلة تشريع، وهاتان المرحلتان ينبغي أن يسلكهما المؤمن في حياته، في مرحلة يجب أن يؤمن، وفي مرحلة يجب أن يعبد، أنت بالكون تعرفه، وبالشرع تعبه، وهذا الحديث أصل من أصول الدين.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (057 - 127) : من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))

[ البخاري ]

أيها الإخوة الكرام:

### ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا))

قبل أن نذكر معاني المعادة ينبغي أن نعلم من هو الولي، الولي بتعريف القرآن الكريم:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

[ سورة يونس ]

هذا تعريف الله عز وجل، تعريف القرآن الكريم وأي تعريف آخر لا يعتد به، هذا الذي يمشي على وجه الماء، ولم يكن مستقيماً، ليس ولياً، والذي يطير في الهواء فيما يبدو ليس ولياً، والذي يدعي علم الغيب ليس ولياً، والذي

يتحدث عن كراماته ليس ولياً، الولي الذي آمن بالله، واتقى أن يعصيه.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

[ سورة يونس ]

وكل واحد منكم أيها الإخوة ينبغي أن يكون ولياً، ولا خيار له في ذلك إذا كان يطلب العلم.

أيها الإخوة الأكارم:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا))

قالوا: الاستقامة عين الكرامة، يعني إذا كنت ولياً لله، وأردت الكرامات فلا تَرُدُّهَا إِلَّا بِالْإِسْتِقَامَةِ، فالاستقامة عين الكرامة، وإن كنت ولياً، وأردت الكرامة فاطلبها بالعمل الصالح، واطلبها بالعلم، فالعلم عين الكرامة، والاستقامة عين الكرامة، فأنت إذا أردت أن تكون ولياً، وإن أردت أن تكون ذا كرامة فاطلب العلم، واستقم على أمر الله تكن ولياً، فأنت ولي مع الكرامة، لأن كرامة العلم ليس فيها خرق للعادات، لكن فيها عميم الخيرات، وكرامة العمل الصالح والاستقامة ليس فيها خرق للعادات، لكن فيها نخر لما بعد الممات، لذلك أردت أن أبدأ هذا الحديث، أن الأولياء هم الذين آمنوا، وكانوا يتقون، لا بد من أن تؤمن لكن أيها الأخ الكريم، الإيمان دائرة واسعة جداً، كل من قال: لهذا الكون إله فهو مؤمن، هذا الإيمان لا يكفي، ولا ينجي، يجب أن تبحث عن الإيمان المنجي، عن الإيمان الذي يحملك على طاعة الله، هذا هو الإيمان الذي يمكن أن يرقى بك مرةً، ضربت هذا المثل للتوضيح، لو أن الشهوات توزن بوحدات وزن، ولو أن القناعات تقاس بوحدات وزن، فإذا استمعت إلى درس علم هذا شكل خمس غرامات، الشهوات أحياناً كيلو غرام، فدرس واحد لا يصنع إيماناً، الدرس الثاني لا يصنع إيماناً، قراءة كتاب، وانتهى الأمر لا يصنع إيماناً ما لم تتراكم القناعات، وتجتمع حتى تشكل قوة رادعة، أنا أبشّر إخواننا الكرام أنه في اللحظة التي يقول: أنا لا أفعل، هذا لا يجوز، فإذا دخل في الصراع مع نفسه أكاد أقول: قناعاته تكافئ شهواته، فصار في صراع، أما إذا تابع طريق الإيمان دخل في الأعماق، صار عنده قناعات خمسة كيلو، والشهوات كيلو، ترى الاستقامة سهلة عنده، ليس مع نفسه مشادة، ليس هناك محاولة قد تنجح مشادة وربما لا تنجح.

لذلك إخواننا الكرام: كنت في عقد قران، قام خطيب وألقى كلمة، هذه لا تفعل شيئاً، قد تكون قيمة جداً، لا تفعل شيئاً، قرأت كتاباً، سمعت محاضرة، سمعت شريطاً، لا، العلم يحتاج إلى متابعة، إلى تراكم، إلى قناعات تكافئ الشهوات، أنت إنسان فيه شهوة، والشهوة تحدث قوة اندفاع، يا ترى عندك مكابح من إيمانك ؟ امرأة فاتتة تمشي في الطريق هل إيمانك كاف ليحملك لغض بصرك عنها ؟ فإن لم يحملك ماذا أفعل ؟ أين أذهب بعيونني ؟ معنى هذا أن القناعات غير كافية، هذا الإيمان لا ينجي.

بالمناسبة، الإيمان الذي لا يحملك على طاعة الله لا يكفي للنجاة، الله عز وجل وصف عباد الأوثان الذين يعبدون اللات والعزى فقال تعالى:

﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾

[ سورة الزمر : الآية 3 ]

إذا هم آمنوا بالله، وهامم يتقربون إلى الله، لكن أريد أن أصل إلى أن الإيمان الذي يتوارد إليك عفو الخاطر من خطبة جمعة، من درس علم، من لقاء عفوي بالشهر مرة، بالسنة مرة، هذا ليس إيماناً، ولا يصنع استقامةً، ولا يصنع إقبالاً على الله، ولا يصنع تضحية، ولا يصنع إقداماً، هذا الإيمان غير كاف للنجاة.

الولي هو الذي آمن الإيمان الذي يحمله على طاعة الله، أنت دائماً أسأل نفسك: يا ترى إيماني كاف ؟ لماذا قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾

[ سورة النساء : الآية 136 ]

معنى هذا الإيمان غير كاف، لماذا قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 102]

نريد أن نتقي الله حق التقوى، لا بعض التقوى، لذلك أول شيء:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا))

الولي هو الذي يعرف الله عز وجل المعرفة التي تحمله على طاعته، فإذا أردت أن تقيس إيمانك فقسه بمدى كونه يحجزك عن معصية الله، هذا المعنى ورد في بعض الأحاديث، قال رسول الله ﷺ:

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة، قيل: وما حقها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله))

إذاً حتى لا يقع ضحية الإنسان سذاجته، حتى لا يتوهم نفسه مؤمناً، وهو ليس كذلك، أو حتى لا يتوهم نفسه بالإيمان الكافي، وهو ليس بكاف يجب أن يمتحن إيمانه من هذه الزاوية، فيما إذا كان إيمانه لا يحمله على طاعة الله، فهذا الإيمان ناقص، وهو يحتاج إلى أن يجدد إيمانه، لذلك المؤمن لا يفتر، دائماً في أخذ ورد مع نفسه، دائماً في اتهام لنفسه، دائماً يتهمها بالنقص، ويحاول رأب صدعها، ولمّ شتاتها، وحملها على طاعة الله عز وجل، وهذا هو الجهاد الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس والهوى))

هذا المعنى يؤكد أن الله عز وجل يقول:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء]

كل مكتسبات الدنيا تنتهي عند الموت، ولا يبقى منها إلا القلب السليم من الأدران، القلب السليم من الأدران هو القلب الذي يستحق الجنان.

اليوم ذكرت آية في جامع الطاووسية، الآية الكريمة:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان: الآية 63]

يا ترى المشي ببطء من السنة، هكذا قال الله عز وجل، هناك أثر للسيد عمر تقول عنه السيدة عائشة:

((رحم الله عمر، ما رأيت أزهد منه، كان إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا أطمع أشبع، وإذا ضرب أوجع))

يا ترى ما هم الذين على الصواب، يمشون على الأرض هونا، أم أن عمر خالف هذه الآية؟ الحقيقة أن المشي على الأرض هوناً لا يعني أن تمشي ببطء، لكن لا تسمح لعملك أن يستهلكك، لا تسمح لمشاعل البيت أن تلهيك، لا تسمح لرغبة ولو كانت مباحة أن تلغي طلبك للعلم، الإنسان أحياناً يؤخذ، لاحظ عجلة تسير، وعلى هذه العجلة قطعة حديد، هذه القطعة التي على العجلة هل لها إرادة منفصلة عن العجلة؟ لا، تدور معها، فأحياناً الإنسان يستهلك، يجذبه عمله، ويجره، ويستهلكه، وينتهي به، لا يصحوا إلا بالإنعاش، أو بالعناية المشددة، وقد شارف على الدار الآخرة، لذلك يدخل على قلب الشارد الغافل من الآلام ما لا يعلمها إلا الله، العمل الذي يستهلك كل وقتك خسارة كبيرة، البيت الذي يستهلك كل وقتك خسارة كبيرة، المشغلة التي تستهلك كل وقتك خسارة كبيرة.

إذاً نريد أن نصل إلى أن الولي هو الذي آمن بالله الإيمان الكافي الذي يحمله على طاعة الله، ما دام هناك خلل ومخالفة ومعصية فالإيمان غير كاف، إذاً جددوا إيمانكم، الإيمان يتجدد بحضور مجالس العلم، يتجدد بالتفكير في الكون، يتجدد بتدبر آيات القرآن الكريم، ثلاثة مصادر يمكن من خلال القرآن الكريم والسنة القراءة والتدبر والتمعن والتأمل أو التفكير في خلق السماوات والأرض أو حضور مجالس العلم، هذا كله يجدد الإيمان، أما الذي ينعشه العمل الصالح، فالعمل الصالح يرفعه.

نحن نريد التعريف القرآني للولي، في العصور المتخلفة سادت مفهومات مغلوطة عن الولاية، إنسان زاهد تارك للدنيا، تارك للأعمال، يعيش في صومعة، يرتدي ثياباً رثة، أحياناً يتسول، يمد يده للناس، وفي ضمير العامة أن هذا هو الولي، لا والله، الولي إنسان شخصية فذة، تشدك إليها، الولي الحقيقي إنسان ذو مرتبة علمية، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، لو اتخذ له لعلمه، مؤمن يتكلم بالخرافات! مؤمن يتكلم كلاماً غير صحيح! ألم يعلمه القرآن

الكريم، وهو مع الوحي، والوحي من عند الله عز وجل، من عند الخالق العليم الحكيم، معه السنة، وأعلم الناس طراً هو رسول الله صلى الله عليه و سلم، فالولاية مرتبة علمية، والولاية مرتبة أخلاقية، المؤمن أخلاقي، لا تصدق أن المؤمن غير أخلاقي، الدين كله خلق، وحسن الخلق هو الإيمان، والمؤمن ذو مرتبة جمالية، عنده أذواق راقية جداً، أذواقه راقية، فالإنسان عندما يبتعد عن الله عز وجل تصبح أذواقه فجأة غير معقولة، فالإيمان مرتبة علمية، مرتبة أخلاقية، مرتبة جمالية.

**((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا))**

الولي هو الذي آمن بالله، وعمل صالحاً، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)﴾

[ سورة يونس ]

الآن:

**((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا))**

إذا أكرم الإنسان مؤمناً فكأنما أكرم ربه، ومرة ضربت مثلاً: لو أن واحداً قدم لابنك سكرة تقول له أنت: شكراً، لماذا تقول له أنت: شكراً؟ هي لابنك، وليست لك، هو حينما قدمها لابنك قدمها لك، نظراً للعلاقة المتينة والشيجة بينك وبين ابنك، فهذا الذي قدم هذه القطعة من الحلوى هو في الأصل قدمها لك من خلال ابنك، لذلك إذا أكرم المؤمن مؤمناً والله الذي لا إله إلا هو، هو في الحقيقة يكرم الله عز وجل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

((يا ابن آدم مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عِبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمَتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عِبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عِبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي))

[ مسلم، أحمد ]

معنى ذلك أن المؤمن إذا أكرم مؤمناً فكأنما أكرم ربه، من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم ربه، الآن:

### ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا))

مؤمن مستقيم مخلص، أنت افتعلت له مشكلة، تكلمت عنه كلاماً غير صحيح، سألني شخص اليوم: ما الفرق بين الغضب واللعن ؟ في سورة النور ورد الغضب واللعن، في بعض الآيات أن المرأة التي تتهم بالزنا، وتنفي عنها الزنا بشهادة خامسة زوجها يشهد عليها أربع شهادات، لها الحق أن تشهد شهادة خامسة تنفي عنها هذه التهمة، فإن كانت كاذبة غضب الله عليها، والرجل قد يشهد شهادة وحده على زوجته على أنها زانية، هذه الشهادة إن كانت كاذبة لعنه الله، فما الفرق بين الغضب واللعن ؟ هي حينما نفت عن نفسها هذه التهمة أرادت إنقاذ سمعتها، أما هو حينما افتري عليها، واتهمها كذباً، وزوراً، وبهتاناً، هذا إنسان لا يخاف على سمعته، يريد أن يحطمها، لذلك لعنة الله عليه، اللعن هو الإبعاد، واللعن بالمناسبة من أشد العقوبات الإلهية، يقال: الشيطان الملعون، أي مطرود من رحمة الله عز وجل.

الآن مادمت قد أكرمت أخاك المؤمن فكأنما أكرمت ربك، فكيف إذا عاديت الله ولياً ؟

لذلك أيها الإخوة: عد للمليون قبل أن تفكر أن تكون في خندق معاد للمؤمن، أو ولي من أولياء الله، لأن الله سبحانه وتعالى سينصره عليك، أنت قد حاربت الله حينما تحارب أولياءه، فالإنسان المعروف بالصلاح والتقوى والاستقامة لا تفكر أن تكون أنت عدواً له، لأنك إن فعلت هذا فقد عاديت الله عز وجل، يقول لك أحدهم: إذا تهجم إنسان على شرطي فحكمه ستة أشهر عرفياً، قرار جديد، لأن هذا الشرطي يمثل الدولة، فإذا تهجمت على

مؤمن مستقيم معروف بالصلاح والتقوى فهذا عمل كبير، ما الذي يحصل ؟ الأمور دقيقة جداً، كم من إنسان يستفاد من علمهم، ومن دينهم، وأنت كذباً وافترافاً أردت أن تحطمهم، أنت ماذا تفعل ؟ أنت تحطم دعوة إلى الله بأكملها.

سمعت بفرنسا أنهم صوّروا فيلماً سينمائيّاً، دخل هذا الفيلم إلى الأديرة، سمعت أنه بقي يعرض سنوات وسنوات، وحقق أرباحاً بمئات الملايين، هذا الفيلم مضمونه أنهم دخلوا إلى الدير، ووصفوا ما يجري هناك مما يخالف ما يرضي الله عز وجل، الناس ماذا يظنون عندئذ ؟ أن كل هذه الأماكن هكذا ؟ تحطيم دعوة بأكملها، فلما يريد إنسان أن يتهم إنساناً مؤمناً وليس معه دليل ولا معه إثبات، سوف يعد للمليون، لأن ثمة موضوع تحطيم دعوة، الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[ سورة النور : الآية 19 ]

ماذا فعل هذا الإنسان ؟ ما تكلم ولا كلمة، ولا حرك إصبعه، ولا حرك عينيه، ماذا فعل ؟ ما فعل شيئاً إطلاقاً، إلا أنه حينما يتمنى أن تشيع الفاحشة وضع نفسه في خندق الكفار والمنافقين، وهو لا يعلم، لأن الله تعالى قال:

﴿إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[ سورة آل عمران : الآية 120 ]

فلمجرد أن تفرح بخطأ وقع من مؤمن وروجته، أو فرحت بوقوعه فقد وقعت في خطأ كبير، لذلك أيها الإخوة الأكارم: أنا لي أسلوب أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني الآن إلى توضيحه، هذا الأسلوب في الدعوة اسمه التدخل الإيجابي، دعك من إلقاء التهم، ودعك من تنفيذ العيوب، ودعك من الطعن، ودعك من تقييم الأشخاص، ليس هذا هو الأسلوب المفضل، أنت أبرز الدين بشكله الإيجابي فقط، لا يكن همك أن تعلق على أفعال الآخرين، ولا أن تنتقدهم، ولا أن تطعن بهم، ولا أن تتهمهم، ولا أن تحجمهم، هذا السلوك سلوك خاطئ، سلوك تخريب، لا سلوك بناء، سلوك إحداث فتن، لا سلوك رأب صدع، سلوك تعرية الأدوات التي سخرها الله لهداية الخلق، هذا الأسلوب فيه خطأ كبير، أسلوب نشر الغسيل أمام الناس، أسلوب إقحام العامة في أشياء هم بعيدون عنها، أنت يجب أن تكون إيجابياً، فأنت أظهر الإسلام بأبهى ثوب، أظهر عظمة الدين، أظهر عظمة الشرع،

أظهر ما فعله الصحابة الكرام من أعمال بطولية، فإذا كان ثمة خلاف بين صحابيين فلست بحاجة أن تغند هذا الخلاف، أو أن تطعن بهذا الصحابي.

((الله في أصحابي، لو أنفق أحدكم مثل أحدهم ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))

((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

الإيجابية بالدعوة إلى الله رائعة جداً، ونحن في أمس الحاجة إليها، الإيجابية أن تدع الطعن، والتقييم، والانتهاج، والتحجيم، الإيجابية أن تبرز هذا الدين بكتابه الكريم، بسنته، بنبيه، بصحابة رسول الله، أنا مرة قرأت مقالة أعجبتني جداً، هي سبب هذه التسمية التدخل الإيجابي، عندنا خمسون محلاً تجارياً فيها غش وحسد، وبضاعة سيئة، وأسعار غالية، نحن أمام خيارين، إما أن نقمع، وإما أن نتدخل إيجابياً، القمع يكون بإغلاق المحلات، وإيداع أصحابها في السجون، ومكافحة الغش، وقد تنشأ محلاً تبيع أفضل بضاعة، بأرخص سعر، بأنظف شيء، بألطف معاملة، فالكل ينجذبون إليك، هؤلاء الذين حولك إن لم يفعلوا كما تفعل تنتهي تجارتهم.

فأنت مهمتك دك من الطعن، دك من التقييم، أنت لست وصياً، لست قاضياً، أنت داعٍ إلى الله، أبرز هذا الدين بوجهه الإيجابي، وانتهى الأمر.

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))

من هو الولي بالتعريف الذي ورد في الحديث الشريف ؟

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))

الصلوات الخمس قبل قيام الليل، قبل صوم الاثنين والخميس، وصيام رمضان.

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))

لذلك إن الله لا يقبل نافلة ما لم تؤد الفريضة، وقلت لكم من قبل: إن الأمة الإسلامية حيال كتاب الله الكريم أصناف ثلاثة، ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، إذا أدى الإنسان الفرائض فهو مقتصد، وناج، أما إذا أدى النوافل فهو سابق، فأنت بين أن تكون مقتصداً، وبين أن تكون سابقاً بالخيرات، وقد تجمع بينهما، بين بين،

ورد عن سيدنا علي:

((إن للنفس إقبالاً وإدباراً، إن أقبلت فاحملوها على النوافل، وإن أدبرت فاحملوها على الفرائض))

إذا كنت في فتور فالفرائض، وإذا كنت في تألق فالنوافل، أنت بينهما.

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))

لذلك أداء الصلوات الخمس أظم القربات إلى الله، هل هناك آية كريمة تؤكد هذا المعنى؟ قال تعالى:

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

[ سورة العلق: الآية 19 ]

قال تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

[ سورة طه: الآية 14 ]

قال عليه الصلاة والسلام:

((الصلاة معراج المؤمن))

قال عليه الصلاة والسلام:

((الصلاة نور، والصلاة ظهور))

((والصلاة - فيما ورد في الأثر - حبور))

أي سعادة.

((حُبُّ إِلِي مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّبِ، وَالنِّسَاءِ، وَجَعَلَتْ قِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

(أرحنا بها يا بلال))، وكان يقول: ((الصلاة ميزان، فمن وفى استوفى، وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها))

الصلاة عقل، لذلك قال تعالى:

﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[سورة البقرة: الآية 43]

فالذي لا يعلم ما يقول في الصلاة هو في حكم السكران، إذا بادئ ذي بدأ كيف أن البناء له هيكل إسمنتي، الهيكل الإسمنتي للإسلام الفرائض، الصلوات، الصيام، الحج، الزكاة، الصدق، الأمانة، غض البصر، تحرير الدخل، الإنفاق الصحيح، بر الوالدين، الإحسان للزوجة، والأولاد، هذه الفرائض إذا أدت قبلت النوافل، البناء على الهيكل، الآن كسونه، زخرفناه، أسسناه، هذا كله بعد أن يكون البناء على الهيكل، أما أثاث فخم في العراء، فلا محل له، كهرياء متألفة من دون بيت لا محل لها، بالطريق تضع كهرياء، فكلها تضاف على الهيكل الإسمنتي، لكن الولي السابق، الولي المقتصد يتقرب إلى الله بأداء الفرائض، هذا الولي المقتصد، أما الولي السابق فيتقرب إلى الله بأداء النوافل.

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ))

معنى هذا أن الإنسان لما يؤدي الفرض فقد نجا من عذاب الله، كما أن مواطناً أدى ما عليه من ضريبة، أدى الضريبة بوقتها نجا من المضاعفة، ومن الغرامات، والمصادرات، ومن بيع محله بالمزاد العلني، طبعاً مدير المالية بإمكانه إذا تخلف إنسان عن أداء الضريبة أن يضع ممتلكاته في المزاد العلني، وأن يبيعه لحساب وزارة المالية، فالذي يؤدي الضريبة ماذا يفعل؟ ينجو من المضاعفة، والعقاب، والمصادرة، لكن الله سبحانه وتعالى

هذا الذي يفعل النوافل، صلوات، صيام، دفع مال فوق الزكاة، الآية الكريمة التي تؤكد هذا المعنى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ  
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ  
وَآتَى الزَّكَاةَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 177 ]

معنى ذلك أن إيتاء الزكاة فرض، وآتى المال على حبه نافلة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((في المال حق سوى الزكاة))

وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

[ سورة الذاريات: الآية 19 ]

هذه الصدقة، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (24) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)﴾

[ سورة المعارج ]

في جرد معلوم، في حساب دقيق، لذلك سئل أحد العارفين بالله: كم الزكاة يا سيدي ؟ قال: يا بني عندنا أم عندكم؟ قال: ما عندنا وما عندكم ؟ قال: عندكم اثنان ونصف بالمئة، أما عندنا: العبد وماله لسيده، لذلك الحديث دقيق جداً:

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ  
وَيَدَهُ الَّتِي يَنْبِطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ))

[ رواه البخاري ]

فالنوافل إذا زادت أصبحت من السابقين، أصبحت ترى بنور الله، أصبحت تسمع إلهامات لا يسمعا الآخرون، يقولون: هناك إنسان متميز يرى ما لا يراه الآخرون، ويسمع ما لا يسمعون، أحياناً إنسان يسمع صوت العصافير، فيراها تسبح بحمد الله، يصبح سمعه مرهفًا، يقرأ ما وراء السطور، يرى ما وراء الحجب، هذه البصيرة التي ذكرها القرآن الكريم، المؤمن ذو بصيرة، يرى ما لا يراه الآخرون، يقول رسول الله ﷺ: ((أعرف حجراً بمكة كان يسلم علي وأسلم عليه))، كان يعتلي نخلة ليخطب عليها، فلما صنع أصحابه له منبراً حنت إليه النخلة، فكان يضع يده عليها إكراماً لها، المؤمن يسمع ما لا يسمعه الآخرون، ويرى ما لا يراه الآخرون في شفافية.

**((لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة ولزارتكم في بيوتكم))**

أحياناً ألا تشعر أنك إنسان لا من باب الكبر، لكن من باب التميز، أنت متميز، أنت تتحمل أن ترى إنساناً معذباً ثم لا تعاونه، في قلبك رحمة، ترى أن هذا الإنسان عبد لله عز وجل، أنا أقول لكم دائماً من باب التوضيح: أنت طبيب مؤمن، عندك مريض، ماذا ترى أنت؟ أنت ترى أن هذا عبد لله، وأن الله ساقه إليك، وأن الله معك، وأن الله يراقبك، وأن الله سيحاسبك، فترى نفسك تبذل الجهد الأقصى بالعناية والإكرام، والدقة والموضوعية، والمعاونة أحياناً.

قال لي طبيب: جاءني اتصال هاتفي الساعة الثانية ليلاً، أن مريضة في الجادة التاسعة بحالة خطيرة، هل يمكن أن تفحصها عندنا؟ طبعاً لم تكن لديه سيارة، قال لي: ذهبت مشياً، دخلت إلى البيت، بيت فيه فقر شديد، عالجت المريضة، وأنا خارج أعطوني مبلغاً، أنا ما انتبهت، لكن قال لي الزوج: إن هذا من مصروفنا قطعناه، قال: أنا أخذته، ومشيت وصلت إلى البيت فما استطعت أن أنام من مصروفه، الذي كان عنده من أدوية، نماذج طبية متوافقة مع الوصفة قال لي: حملتها في كيس، ووضعت المبلغ الذي أخذته بالكيس، وخرجت مرة ثانية. ماذا يرى هذا الطبيب؟ يرى أن هذه إنسان فقير، والله عز وجل وكيلها، يأتي طبيب آخر يقول لك: هذا زبون يأخذه، ويحضره مئة مرة.

مرة حدثني طبيب صلي الجمعة، وزارنا، قال لي: جاءتني مريضة معها ورم خبيث بصدرها، لكن متفاجم كثيراً، فقال لي: أنا من غيرتي تكلمت مع زوجها بقسوة بالغة على انفراد، قال له: أنت مجرم بحقها، بعد أن صار الورم بالدرجة الخامسة، من الأول كان هناك إمكان معالجة بالأشعة، بالاستئصال، الآن وصل إلى الكتف، وهو يعلم علم اليقين أن هذه ميتة بعد أيام معدودة، وفعلاً بعد أيام ماتت، قال له زوجها: والله عند فلان ما قال لنا: ورم

خبيث، بقينا عنده سنة بأكملها، فقال لي الطبيب: طالب طب من الصف الثاني يعرف أنه ورم خبيث، قال لي: لما علم زوجها هذه الحقيقة وقع على الأرض مغشياً عليه، ثم قال: يا رب انتقم منه، قال لي: أنا الموضوع نسيت، مضى أحد عشر شهراً، ثم دخل علي إنسان شاب في مقتبل حياته، قال لي: جلس على المقعد الذي جلس عليه زوج المريضة، جلس متهاكاً، فلما سألته عن حاله قال: يا دكتور معي ورم خبيث بصدري، قال: ما الاسم الكريم؟ قال: أنا زميلك فلان، هو نفسه الذي أبقي المريضة عنده سنة، يأخذها، ويعطيها الكورتيزون، والمسكنات، وهو يعلم أنه مرض خبيث، ولم يحولها إلى طبيب آخر.

الله عز وجل كبير، ما معنى أنك أنت ترى ما لا يراه الآخرون، تسمع ما لا يسمع الآخرون، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك أنك تشعر أن هذا الإله عظيم معك، وهذا الإنسان عبد الله، والمؤمن الصادق لا يميز، كل العباد عباد الله عز وجل، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، إذا كنت طبيباً أو محامياً، أو مهندساً يمكن أن تسحب الحديد بعد الصب، أو قبل أن يجف الإسمنت، يمكن أن تضع أقل من النسبة المقررة في الإسمنت، ليس معقولاً، يمكن أن نضحي ببناء من أجل توفير مبلغ بسيط، هذا لا يفعله مؤمن، فمعنى كنت سمعته، كنت بصره، هذه النوافل تعطيك رؤية ثابتة، ترى ما لا يراه الآخرون، المؤمن يرى أن الغش مدمر، يمكن أن تضع في الغذاء مادة مؤذية من أجل أن تزيد أرباحك، ترى أن هذا هو الهلاك، يمكن أن تغير بالموصفات من أجل أن تريح ربحاً فاحشاً، لا تفعل ذلك، أنا يحضرني أمثلة كثيرة حول هذا الحديث:

((كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا))

كل حركتك في نور الله، أنت تسير في نور الله، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾

[سورة الحديد: الآية 28]

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ))

أحياناً ألا ترى إنساناً يستمع إلى كلام الله، وقلبه كالصخر، ألا ترى إنساناً يستمع إلى موعظة بليغة، ولا يتأثر بها، أما الذي يتقرب إلى الله بالنوافل فصار عنده أذن تصغي للحق، وعندنا معنى دقيق جداً، قال تعالى:

## ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

[ سورة التحريم: الآية 4 ]

إذا استقام الإنسان على أمر الله معنى ذلك أن أذنه صاغية، وعلامة الإصغاء إلى أمر الله طاعته.

الملخص: أن الإنسان حينما يتقرب إلى الله بالنوافل يحبه الله، وإذا أحبه ألقى في عينيه نوراً، وفي أذنه نوراً، وفي قلبه نوراً، وفي يده نوراً، وفي رجله نوراً، فرجله لا يتحرك بها إلا إلى الطاعات، ويده لا يفعل بها إلا الإحسان، وسمعه يستمع إلى الحق، فيتأثر أشد التأثر.

الصحابة كانوا يقرؤون آية، يرددوها طوال الليل إلى الفجر، هناك آيات كثيرة جداً ورد عن الصحابة أنهم إذا قرؤوها أعادوها إلى الفجر، ما أعتقد أن أحداً من إخواننا الكرام ما أصابته هذه الحالة، آية يتأثر بها أشد التأثر، يبكي، معنى ذلك أن نوراً في أذن الإنسان.

كنت سمعه، كنت بصره، يمكن لإنسان أن يشرب كأس ماء، يأكل فاكهة، يلقي نظره إلى منظر جميل، وهو غافل، أما المؤمن فينظر إلى هذا الجبل بنور الله، ما هذا الجبل؟ إلى البحر بنور الله، إلى الورد بنور الله، حضرت عقد قران، نظرت إلى الورود، من صممها؟ ترى شخصاً يقول: من عند من أخذتها، فقط المؤمن يرى رؤية أخرى، من صمم هذه الورد بهذا الشكل، بهذه الألوان الزاهية الرائحة الفواحة؟ لمن خلقت هذه؟ دائماً المؤمن يتجاوز النعمة إلى المنعم، دائماً يرى يد الله الحانية، يد الله الصانعة، يد الله الرحيمة. معنى ذلك أن الإنسان عندما يتقرب إلى الله بالفرائض نجا، أما إذا تقرب إليه بالنوافل أحبه الله، فإذا أحبه الله كان سمعه، يعني ألقى في سمعه النور، وكان بصره، وكان يده، وكان رجله، وكان مؤيده.

هذا الحديث أصل في الولاية، وأصل في التقرب إلى الله بالنوافل، والدعاء الشريف:

((اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب، وما زويت عني ما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب))

المؤمن الذي في قلبه نور، وفي سمعه نور، وفي بصره نور، وفي يده نور، وفي رجله نور، يرى بنور الله، ويسمع الحق بتوفيق الله، ويتحرك إلى خدمة الخلق بمعونة الله، ويجعل يده معطاءة، لا بطاشة، هذا كله مستقاد.

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ))

صار سؤاله منطقيًا.

هذا الحديث الشريف يحتاج إلى درس آخر، لأنه دقيق جداً، وإن شاء الله نفصل في الموضوع لاحقاً،

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ))

هذا الحديث أصل بأن الولاية لا تزيد على أن تؤمن بالله، وأن تستقيم على أمره، وأصل في أن الإنسان عليه أن يبتعد ما استطاع عن أن يكون متهماً لمؤمن بريء، أو محارباً لولي مستقيم، فهذا مما يوجب سخط الله، وغضبه، فمن فعل هذا فقد آذن الله بحرب، لأنه من يدافع عن المؤمن؟ إنه الله ﷻ الله عز وجل:

﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

[سورة التحريم: الآية 4]

أنت كمؤمن أيها الأخ الكريم يكفك عزاً، ويكفك طمأنينة، ويكفك سعادة أنك في ظل الله، في رحمة الله، في توفيق الله، أنت غالٍ على الله، كل شيء في حياتك في عناية الله، الثمن طاعة الله فقط.

((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ))

والله أيها الإخوة: ما هو الرقم الذي يلفت النظر؟ ألف مليون دولار، وأحدهم في بلد عربي يملك أربعة آلاف مليون دولار، طبعاً ستة وثلاثين سنة، شهادات عليا، بورد، أكريجت، FRS، ماذا يوجد مناصب عليا؟ على رأس النظام العالمي الجديد ملك الحديد، ثروات ضخمة، صاحب شركات السيارات التي تباع في كل بقاع الأرض، والله الذي لا إله إلا هو أن يحبك خير لك من الدنيا وما فيها، أن تكون عند الله محبوباً، قال تعالى:

## ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾

[سورة ص: الآية 44]

## ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾

[سورة النجم: الآية 37]

## ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾

[سورة الصافات: الآية 75]

إذا وصل الإنسان إلى مرتبة أن يحبه الله، أن يكون في عين الله، أن يكون في حفظ الله، والله فقد ملك الدنيا بحدافيرها، ملك الدنيا والآخرة، والله أيها الإخوة أعظم العظماء إذا قيس بمؤمن مخلص مستقيم عرف الله، والله لا شيء أمامه، اقرؤوا التاريخ، نابليون وصل إلى حكم معظم أوربية، وصل إلى أعماق روسيا، ثم صار سجيناً في جزيرة، وكان الحارس يسخر منه أحياناً، فكل شيء زائل، ما الذي يبقى؟ أن ينظر الله إليك بالرحمة، أن يحبك الله.

أنا كنت في عقد قران، قام أحد الخطباء ذكر حديثاً، أنا أعرفه، لكن أصاب وتراً في قلبي، النبي عليه الصلاة والسلام خاطب سيدنا معاذ قال: ((والله يا معاذ إني لأحبك))، من الذي يحبه؟ رسول الله، إذا كان المؤمنون يحبونك فهذه صفة كبيرة جداً، هذا المؤمن المستقيم الشهم الورع الولي يحبك، معنى ذلك أنك إنسان كامل، أما إذا أحبك أهل الدنيا، وأبغضك أهل الدين والله هذه مصيبة، أن يحبك الله شيء عظيم، أن يحبك المؤمنون شيء عظيم، لأن تكون في عين الله شيء عظيم، أن تكون على الصراط المستقيم، أن يلقي الله في قلبك نوراً، في يدك نوراً، في سمعك نوراً، أن تكون ممن يتقرب إلى الله بالنوافل.

إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك.

إخواننا الكرام، أولاً الفرائض، ثانياً النوافل، بالفرائض تنجو، بالنوافل تتقرب، بالفرائض تستحق الجنة، لكن بالنوافل تستحق أعلى مراتب الجنة، بالفرائض تأتيك الدنيا وهي راغمة، لكن بالنوافل تصبح الدنيا تنتقل من قلبك إلى يديك، بالفرائض ربما دافعت التذني، بالنوافل تتابع الترقى.

هذا شيء أساسي، فلذلك الحياة ماضية، والحياة لا تستحق أن تملأ قلب الإنسان، يجب أن تبقى بين يديه، والله عز وجل هو الموفق، أنا شعرت أن هذا الحديث الشريف يمكن أن نستفيد منه في درس آخر من تفاصيل: كنت سمعته، وبصره، ويده، ومؤيده.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (058 - 127) : التقرب إلى الله بالنوافل

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-09-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و أرزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### العبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية :

أيها الأخوة الكرام ؛ تكثر في هذه الأيام الأسئلة حول شعبان ، و حول النصف من شعبان ، و حول صيام النصف من شعبان ، و حول رجب قبلها ، و حول الإسراء والمعراج ، جميل جداً أن يسأل الإنسان عن شؤون دينه ، و عن تفاصيل العبادات ، و لكن قبل أن أمضي بالحديث عن شعبان وهو محور الدرس إن شاء الله ، أريد أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة ، لا بد للمسلم الصادق والمخلص من سلم أولويات ، الشيء الملاحظ أن العبادات نوعان ، عبادات شعائرية كالصيام ، و الصلاة ، و الحج ، و عبادات تعاملية كالصدق ، و الأمانة ، و غض البصر ، و العفة ، و المروءة ، و عدم البهتان و الكذب ، و الإنصاف ، و العدل ، و إنجاز العدل ، و وفاء العهد ، هذه عبادات تعاملية ، و يوجد عبادات شعائرية ، و قد ذكرت لكم من قبل كثيراً أنه لا تصح العبادات الشعائرية ما لم تكن العبادات التعاملية ، لأن هذا الدين منهج ، و حقوق العباد كما تعلمون مبنية على المشاهدة ، بينما حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة ، و كنت سابقاً أضرب هذا المثل ليتضح لكم الفرق الكبير بين أداء العبادات التعاملية و بين أداء العبادات الشعائرية ، يمكن أن نمثل العبادات الشعائرية بالعام الدراسي فيه محاضرات و دروس و مخابر و وظائف يومية و مذاكرات شفوية و أعمال كتابية و أعمال عملية و دراسات و أعمال ، لكن في آخر العام الدراسي فحص عام لكل هذه المواد ، ماذا في الفحص ؟ طاولة ، و ورقة بيضاء ، و مراقب ، فأداء الامتحان يشبه العبادة الشعائرية ، من يستفيد من هذه الساعات الثلاث ؟ الذي أمضى العام الدراسي في مواظبة على الدروس ، و في حفظ لها ، و مذاكرة لها ، و متابعة لها ، و مناقشة ، هذا الطالب أسعد لحظات حياته ساعات الامتحان ، لأن كل علمه سيصبه في هذا الامتحان و سينجح ، و سيتألق ، و يعلو في نظر الناس ، أما إذا طالب لم يدرس أثناء العام الدراسي ، و لم يداوم ، و لم يبذل جهداً في فهم الحقائق ، لو دخل إلى قاعة الامتحان كما يدخل جميع الطلاب

وجلس بأدب جم ، ومعه أقلام رائعة ، ومعه كل وسائل الراحة من حبة أسيرين ، إلى كل شيء ميسر ، لكنه لم يقرأ شيئاً إطلاقاً لا يستقيد إطلاقاً من هذا الامتحان ، بل سيكون هذا الامتحان مشيراً إليه بالإخفاق .

أعود وأقول : العبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، نحن اتفقنا سابقاً أن كل شيء ينبغي أن يكون له دليل ، والمؤمن الصادق الواعي لا يقبل شيئاً بلا دليل ، لو سألتني أحدكم أين الدليل يا أستاذ أن العبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية ؟ أقول: الزكاة ، قال تعالى:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[ سورة التوبة: 53 ]

الحج ، ورد في الحديث الصحيح أن الذي يحج بمال حرام ويضع قدمه في الركاب يناديه مناد في السماء أن لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك .

الصيام:

(( مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ))

[ البخاري عن أبي هريرة ]

الزكاة ، والصيام ، والحج ، الصلاة قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ ﴾

[ سورة العنكبوت: 45 ]

فالذي لا تنهيه صلاته عن الفحشاء والمنكر ما حقق من الصلاة هدفها ، إذا العبادات الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، وأكبر دليل قول سيدنا جعفر عندما سأله النجاشي عن الإسلام فقال له : " كنا قوماً أهل جاهلية - الآن نصغي إلى تعريف الإسلام من صحابي جليل - نعبد الأصنام ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام . . . قال : حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته ، وصدقه ، وعفافه ، ونسبه ، فدعانا إلى الله لنوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة ، والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وصلة الرحم، وحسن

الجوار ، والكف حن المحارم والدماء .

التعريف كان تعريف أخلاق ، هذه العبادة التعاملية ، فإن صحتُ صحت العبادة الشعائرية .

### النوافل ليست مقياساً لتقوى الإنسان :

يبدو أن العبادة التعاملية لا تكلف شيئاً بسيطةً لذلك في شهر شعبان و رجب و رمضان يأتيك وابل من الأسئلة حول مشروعية صيام النصف من شعبان ، أي إذا الإنسان غير مطبق لأصول الدين ولأركان الإسلام ، لماذا يتعلق هذا التعلق الشديد بصيام النصف من شعبان وهو سنة ؟

سأتي بعد قليل إلى أحكام شعبان ، ولكن أنا أريد التوازن ، يوجد سلم أولويات . مرة في بعض الدروس أخ كريم له قريب في بلد غربي بعيد ، أراد أن يرسل له بعض الدروس المصورة في الطاغوسية ، فوضع آلة صغيرة في السدة ليصور الدرس مع الصوت ، ويرسله إلى أمريكا ، يوجد إنسان نظر فوجد هذه الآلة فقال : هذا منكر ، وبالغ في اللوم والتعنيف ، فقلت له : ما قولك بصور متحركة ملونة وموضوع الصورة امرأة شبه عارية ؟ قال : هذا ما يشاهده معظم الناس في البيوت كل يوم ، هذا يتوافق مع مزاجه ومع رغباته يغفلها ، والذي لا يتوافق مع مزاجه ينكره ، أما لا أريد أن أقول الآن حول حرمة التصوير .

((عن مسلم ، قال: كُنَّا مَعَ مَسْرُوقٍ فِي دَارِ يَسَارِ بْنِ نُمَيْرٍ فَرَأَى فِي صُفَّتِهِ تَمَائِيلَ فَقَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ : يَقُولُ إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ))

[البخاري عن مسلم]

هكذا قال النبي ، وفي اللغة المصورين ولها بحث في اللغة طويل ، كم من امرأة طلقت من زوجها عن طريق صورة أجري عليها تعديل ، الآن التصوير متقدم جداً ، ممكن أن نضع رأس هذه المرأة على جسم آخر شبه عارٍ وتقدم لزوجها ، وأنا أريد أن أقول لكم : أسرة محافظة جداً جداً لكنها غنية جداً جداً ، أرادت أن تقيم عرساً في فندق كبير ، وكانت التشديدات أنه لا بد من ألا يكون هناك رجال وكل الخدم من النساء ، وحتى على الأبواب ، وقد وضعت تأكيدات كبيرة جداً أن رجلاً واحداً لن يكون في هذه القاعة ، بل إن كل من يدخل إليها من النساء ، ثم اكتشف أن القاعة مراقبة تلفزيونياً ، وأن خمسة رجال يشاهدون هؤلاء النساء الكاسيات العاريات وهن بأبهى زينة ، فطوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة ، ليس موضوع الدرس الآن عن التصوير هذا موضوع آخر ، لكن أقول : لا يمكن أن نتساهل أن يشاهد الإنسان المسلسلات الساقطة ، والمحطات الأجنبية عن طريق هذه

الصحون ثم ينكر صورة أخذت بشكل بريء ، بمجلس علم ، أو بعقد قران ، أنا لا أعطي حكماً الآن ، ولكن مفارقة حادة وتناقضاً مريعاً ، فنحن لا نريد أن نجعل من النوافل مقياساً لتقوى الإنسان ، أحياناً النبي عليه الصلاة والسلام وهو مع أصحابه - ودققوا في هذا - كانوا في سفر ، وفي شهر رمضان ، بعض أصحابه أفطر وأخذ بالرخصة ، وبعض أصحابه صام وأخذ بالعزيمة ، فلا الذين صاموا أنكروا على الذين أفطروا ، ولا الذين أفطروا أنكروا على الذين صاموا ، لكن تروي بعض الروايات أن أصحاب النبي عليهم رضوان الله كان يوماً حاراً جداً وقد بلغ الجهد من أصحاب النبي مبلغاً لا يطاق فقام المفطرون ، و أوقدوا النار ، وطبخوا الطعام ، وخدموا أخوانهم الصائمين ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال:

((عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرْنَا ظِلًّا الَّذِي يَسْتِظِلُّ بِكِسَائِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا ، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ ))

[البخاري عن أنس]

### قضية النوافل بين الإنسان و ربه لا يحق لأحد التدخل بها :

الحديث الآن عن موضوع صيام النفل ؛ إنسان عنده عمل طويل ، وعنده بعد العمل الطويل أعمال كثيرة جداً ، ينجز في اليوم عشرين عملاً ، هذا إذا أفطر يتقوى على إنجاز هذه الأعمال كلها ، أما إذا صام يوماً واحداً فسيضطر أن يقبع في البيت ، ولا يستطيع أن يتابع ، فقضية صيام النفل لا أحد يتدخل بها إطلاقاً ، رجل متقاعد مرتاح لا يوجد عنده شيء ، نقول له : يجب أن تصوم كل الأيام التي أفطرتها ، ويوجد رجل عنده أعمال كثيرة جداً ، أي لو أنه صام تعطلت كل أعماله له أن يفطر ، فلا الذي يصوم ينكر على الذي أفطر ، ولا الذي يفطر ينكر على الذي يصوم ، هكذا كان أصحاب النبي ، قضايا النوافل لا تتدخلوا بها ، هذه بينك وبين الله ، ألم تصم يوم الخامس عشر من شعبان ؟ يجرئك ، تقول له : والله لم أصم ، فيقول لك : أصلحك الله . النوافل كل إنسان له ظروفه الخاصة ، أما رمضان ففرض ، والنبي قال : " لا تحمروا الوجوه " ترى بيتاً متقلتاً ، لا يوجد أمر إلهي مطبق فيه ، كلهم صائمون يوم الخامس عشر من شعبان ، والله الصيام جميل لكن هذا التقلت !!! أي امرأة تمشي في الطريق كما خلقها الله ، تلبس الثياب الضيقة ، وتبرز كل خطوط جسمها وهي صائمة في النصف من شعبان ، الصيام مستحب لا نستطيع ألا نصوم ، الصيام رائع جداً ولكن لا يتناسب صيام النفل مع هذا الخروج ، صاحب معمل يريد أن يروج بضاعته يعمل إعلاناً بأجهزة التلفزيون فيه فتاة شبه عارية ، يعلن عن بضاعته وهو براءة الأطفال في عينيه ، أما إذا يوم نفل فتراه صائماً ، والله رجل التقيت به ،

قال : أستاذ عندنا مطعم خمس نجوم يباع فيه الخمر ، ولكن شريكي يريد هذا، إن شاء الله في رقبته ، أنا ليس لي علاقة ، قلت له : ألا تقبض الأرباح كل سنة ؟ قال : نعم ولكن أنا ما طلبت منه .

نحن لا نريد شخصية خرافية تتمسك بأشياء وتسهب عن أشياء ، قلت أول الدرس : أريد سلم أولويات ، طاعة الله عز وجل في البيع والشراء ؛ في الحديث يجب أن تكون في الدرجة الأولى ، مثلاً : رجل له مظهر ديني ، وله جامع ينتمي إليه ، عملوا مشروعاً سكنياً والمشروع مستحيل أن يتم لأسباب قاهرة ، فأخذ نصف ثمن البيوت وقال لهم : نعمل حفريات حتى نأخذ النصف الثاني حسب العقد ، فقالوا له : لكن لا يوجد أمل في تعمیر المحضر ، فأخذ المال وهرب به ، والآن كل الناس لهم معه مال ، وله مظهر ديني يحضر في المساجد، مشكلة ؛ الناس عندما يكفرون بالدين من هؤلاء النماذج ، الشعائر في أعلى درجة أما المعاملات ففي أسفل درجة ، ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام .

امرأة تملك بيتاً في الشام مؤجر بسبعين ليرة سورية ، ثمنه اثنا عشر مليوناً ، فعلت المستحيل كي تستعيد ثمن ريع هذا البيت ، أقسم لي شخص قريب ، استطاع ساكن هذا البيت أن يأخذه منها بسبعمئة ألف ليرة فقط ، بأساليب من الخداع والمراوغة ، والمماطلة والتخويف وهي تملك البيت ، وهو من رواد المساجد يصلي ، هذا الذي يكفر الناس بالدين ، الإنسان عندما يكون بكسب المال وإنفاق المال لا يتقي الله عز وجل فهذه الشعائر لا تقدم ولا تؤخر ، وأحياناً تجد أن صلاته وحجه وصيامه عند الله غير مقبولة لأنه يأكل المال الحرام، ويحتال على الناس ، ويغشهم في بيعهم وشرائهم ، فنحن لا نريد مسلماً فلكورياً ، مظهر كلابية بيضاء يوم الجمعة ، معطر ، لكن ماله بالحرام ، نحن نريد مسلماً طاهراً ، أنا مرة التقيت برجل أعرف مركز عمله ، فخامة تفوق كل فخامة ، وصف مركز عمله صعب الوصف ، مرة قال لي : أنا عملي قدر ، سبحان الله ! بعد أيام اضطررت أن أجري إصلاحات في سيارتي رأيت رجلاً مؤمناً يرتدي ثياباً ليس لها لون من شحم إلى فحم إلى طين وانبطح تحت المركبة وفك الجهاز وأصلحه وأخذ أجره معتدلة فكان في نفسي هذا الكلام : إن هذا العمل نظيف ، قد يكون عمك بالوحد ، والشحم ، متعب تحت المطر وفي أيام البرد القارس ، ومع ذلك عمك نظيف وشريف ، ويوجد أعمال فخامة ما بعدها فخامة ، دور اللهو ، ودور القمار ، والملاهي ، فخامة البناء تفوق حدّ الخيال ، وكله مجتمع مخملي ، و أنا أقول : المجتمع المؤمن مخملي يوجد فيه نعومة ، ورقة ، وأدب.

لذلك موضوع الدرس اليوم : الأولويات ، جميل جداً أن تصوم في أيام شهر شعبان ورجب ، ولكن الأجل من هذا أن تكون قائماً على حدود الله عز وجل ، أن يجدك الله حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك ، ليس الولي الذي يطير في الهواء ، ولا الذي يمشي على وجه الماء ، ولكن الولي كل الولي الذي يتقي الله ، قال تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة يونس : 62]

نحن نريد إسلاماً يجذب الناس إليك ، نريد ورعاً ، سيدنا أبو حنيفة النعمان كان يقف مع رجل في ظل بيت فقال له : تتحى عن هذا الظل إلى الشمس ، قال له : لماذا ؟ قال له : لأن هذا البيت مرهون عندي وإني أكره أن أنتقع بظله ، هذا الورع ، وركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط ، لفت نظري في هذه الأيام المفارقات الحادة ، مولد أقيم في مسبح مختلط ، والذين ألقوا الكلمات أثتوا على صاحب هذا الحفل الكريم من أسرة عريقة إلى . . . . عرفت بالتقوى والصلاح . . . . والمسبح مختلط ، هذه هي مفارقات المسلمين ، عرس أقيم في فندق جلبت له الراقصات ، وكل المعاصي ارتكبت في هذا العرس من تكشف للعورات ، ومن شرب للخمر ، ومن أعمال لا ترضي الله عز وجل ، وكل هذه الأعمال نشرت بالصحف ، بصور جميلة وملونة ، أما على بطاقات الدعوة فالطيبون للطيبات .

هذه المفارقات الحادة ، لا نريد نحن إنساناً متقلتاً ويسأل عن صيام شهر شعبان ، لا نريد نحن إنساناً متقلتاً ويبحث عن عبادة شعائرية ليس في أدائها صعوبة إطلاقاً ، قال تعالى:

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة التوبة : 19]

ربما كانت معرفة الله وطاعته والوقوف عند حدوده أمراً يحتاج إلى جهاد ، وربما كان أداء بعض العبادات الشعائرية أمراً لا يقتضي إلا جهداً بسيطاً وسمعةً كبيرة .

((عن أبي سلمة أن عائشة رضي الله عنها حدثته قالت : لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله ، وكان يقول : خُدُوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وأحبُّ الصلاة إلى

النبي ﷺ ما دُوِمَ عليه ، وإن قَلَّتْ ، وكان إذا صَلَّى صلاةَ داومٍ عليها ))

[البخاري عن عائشة]

### مراعاة الأولويات مع عدم التقليل من قيمة النوافل :

أخواننا الكرام ؛ أنا أريد أن أؤكد أنا ما قصدت أبداً أن أقلل من قيمة الصيام في شعبان ، ما أردت أبداً أن أقلل من قيمة نوافل العبادات بالعكس .

(( إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيتُه ، وإن استعذ بي أعذتُه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ))

[البخاري عن أبي هريرة]

أنا ما أردت أن أقلل من قيمة أداء النوافل في هذه الأشهر الفضيلة ، لكن لفت نظري أن إنساناً متقلناً غير منضبط لا بكسب ماله ، ولا بإنفاق مال ، ولا بمظهر زوجته وأولاده، ولا بنقاء بيته من كل جهاز يفسد الحائط فضلاً عن الإنسان ، مثل هذا الإنسان المتقلت من كل قيد الذي لا يرضى قيود الدين ، لا يشغله شيء إلا أن يسأل عن صيام النوافل ، هناك أولويات مثلاً : ممكن أن تتركب سيارة ويكون محرك السيارة محروقاً والسيارة واقفة وتقيم النكير بسبب أن المرأة و البرغي ضائع ؟ أنت بهذا لا تعرف الأولويات في السيارة ، المحرك محروق، ممكن أن يأتي إنسان إلى مستشفى يعاني من أزمة قلبية خطيرة ربما مات بعد دقائق وترى أظافره طويلة تنسى قلبه وتقص له أظافره ممكن ؟ يكون في العقل مشكلة ، ممكن أن تنسى دسام قلبه المغلق وتتنظر إلى أظافره أنهم يحتاجون إلى قص ؟؟ هكذا بعض الناس يرتكبون الأشياء التي لا ترضي الله ، ويدققون في

الجزئيات ونوافل العبادات من جهة ترفعهم في نظر الناس وربما ينتزع إعجاب الناس بها . يوجد أشخاص لا يوجد عنده مانع أن يشرب الخمر ، وأن يزني ، وكلما فتحت محفظته يوجد مصحف ، رجل ورع المصحف لا يفارقه وهو لا يطبق منه شيئاً ، هذه الشخصيات يجب أن تكون معرأة ، أي الإسلام أعمق من ذلك ، قلت لكم : ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخط ، من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله .

حدثني أخ : إنسان يبيع خضاراً نوع درجة خامسة ، الكيلو بليرتين ، ونوع درجة أولى الكيلو بخمس ليرات ، ويوجد عليه ازدحام شديد ، جاء شخص يصلي ملاً أربعة أخماس الكيس من النوع الجيد ووضع نصف كيلو من النوع السيئ ، و أعطاه بسعر النوع السيئ ، كان تعليقي أنه كان عليه أن يضع عباداته الجوفاء في الحاوية ، ممكن أن يسرق من هذا البائع الفقير ، صار الغش ليس من البائع بل من المشتري وهذه حالة نادرة ، المشتري غشاش، نحن نريد إسلاماً متوازناً ، إسلاماً متماسكاً ، لا نريد تناقضاً نريد وضوحاً ، يقول عليه الصلاة والسلام:

((خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُوِمَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّتْ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمًا عَلَيْهَا))

[البخاري عن عائشة]

### الواقعية في الكلام تجعله مسموعاً :

كنت أنا بقاء من أيام ، رجل مندفع قال لي : أبو حنيفة النعمان قرأ سبعين ألف ختمة في حياته ، وأجرينا إحصاء إذا الإنسان قرأ هذه الختمات يجب أن يعيش مئة وتسعين سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يعمل شيئاً، يوجد مبالغت كبيرة جداً ، يوجد قصة قرأتها مرة وأحجمت عن روايتها سنوات عدة غير معقولة :

الرسول العامل الذي جاء من أذربيجان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وصل المدينة ليلاً ، فقال : كرهت أن أطرق باب أمير المؤمنين ليلاً فدخلت إلى المسجد ، طبعاً لا يوجد ضوء سمعت رجلاً يقول ويبكي : يا رب هل قبلت توبتي فأهني نفسي أم رددتها فأعزبها؟ قال له : من أنت يرحمك الله ، قال : أنا عمر ، قال : يا سبحان الله ألا تنام الليل ؟ هو كره أن يطرق بابه ليلاً لئلا يوقظه ، قال له : - وهكذا الرواية قرأتها - إنني إن نمت ليلي أضعت نفسي أمام ربي وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، هذه القصة والله أحجمت عن إلقائها على الناس أعوام

عدة إلى أن عثرت على رواية كما يلي : قال له : إني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، هذا معقول إن نمت ليلي كله لأن الله عز وجل أمر النبي أن يقوم بعض الليل ، ما أمره أن يقوم الليل كله ، يقول لك : هذا الفقيه أربعين سنة صلى الفجر بوضوء العشاء ليس معقولاً . ألف إنسان لا تدعهم ينامون ليلتين متتابعتين يختل توازنهم ، النوم رحمة ، دائماً كن واقعياً ، وإذا كنت واقعياً فكلامك مسموع ، أساساً تعريف العلم هو الوصف المطابق للواقع مع الدليل .

((خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحْبَبُ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُومَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّتْ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمًا عَلَيْهِ))

[البخاري عن عائشة]

ما دوم عليه ، مبني للمجهول ، هذا حديث صحيح ، وكل هذه الأحاديث بالصحيح ، لأن الدين نقل ، وما دام الدين نقلاً فإن أخطر ما في النقل صحة النقل .

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَيْعِ ، فَقَالَ : أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتِ بَعْضَ نِسَائِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرِ مَنْ عَدَدِ شَعْرِ عَنَمٍ كَلْبٍ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ عَائِشَةَ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَجَّاجِ ، وَ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يُضَعِّفُ هَذَا الْحَدِيثَ ، وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ : لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ وَالْحَجَّاجِ بِنِ أَرْطَاةَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ))

[الترمذي عن عائشة]

المرأة هي المرأة جعلها الله غيرةً على زوجها ليحبها زوجها ، هذه لصالح الزوج ، أحياناً الرجال يتأففون من غيرة نساءهم عليهم ، لولا أنها تغار عليك لما أحببتك ، لكن يوجد حالات خاصة هناك غيرة مرضية ، هناك غيرة سوية تتصف بها كل الزوجات ، أي إذا كان الزوج ملاكاً ، مؤمناً ، نقياً ، ورعاً ، مستقيماً ، من بيته إلى مسجده ، وتأخر ذات ليلة ، مع من كنت ؟ ما هذا الكلام ؟ هذه ليست غيرة ، هناك غيرة مرضية تحتاج إلى معالجة ، تحتاج إلى طبيب ، وهناك بعض النساء كذلك ، أما كل امرأة تحب زوجها هذه السيدة عائشة:

(( فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَيْعِ ، فَقَالَ : أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتِ بَعْضَ نِسَائِكَ ))

[الترمذي عن عائشة]

كانت غيرة رضي الله عنها .

((فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لَأَكْثَرِ مَنْ عَدَدِ شَعْرِ عَنَمٍ كَلْبٍ))

[الترمذي عن عائشة]

أي يوم مغفرة ، يوم رحمة هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام .

((عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ أُرِكَ تَصَوْمُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، قَالَ : ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفِرُ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ))

[أبو داود عن أسامة بن زيد]

### خصائص شهر شعبان :

من خصائص هذا الشهر الفضيل أن ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل ، فكان يقول عليه الصلاة والسلام : " أنا أحب أن يرفع عملي وأنا صائم ."

((عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِعُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : أَلَا مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فَأَرْزُقَهُ ؟ أَلَا مُبْتَلَى فَأُعَافِيَهُ؟ أَلَا كَذَّاءٌ كَذَّاءٌ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ))

[ابن ماجه عن علي بن أبي طالب]

هذا الحديث أيضاً في الصحاح .

(( إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ ))

[كنز العمال عن أبي موسى الأشعري]

الاتجاه إلى الله وحده و عدم الإشراف به :

قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

[ سورة النساء : 48 ]

أنا قلت مرة : هذه الآية الكريمة مرت مرات في القرآن عديدة ، وقد تلتبس على بعض الناس ، أولاً أولها المفسرون كما يلي : إن الله لا يغفر أن يشرك به ما لم يتب ، فإذا تاب غفر له كل شيء ، هذه الآية معناها إذا مات مشركاً ، أما إذا رجل كان مشركاً وتاب وأسلم وحسن إسلامه فإذا تاب يغفر له الله ذنب الشرك ، مع أن الشرك كما قال الله عز وجل :

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة لقمان : 13]

مرة وضحت هذه الآية أن إنساناً له في حلب مبلغ كبير جداً ، وعد أن يقبضه الساعة الثانية عشرة يوم السبت ، ركب القطار الساعة السادسة والطريق يحتاج إلى خمس ساعات ليكون الإنسان في حلب ، يمكن أن يرتكب راكب هذا القطار عدداً كبيراً من الأغلط ، يمكن أن يقطع درجة أولى وأن يركب درجة ثالثة بالخطأ ، يمكن أن يركب مع أناس غير مهذبين ينزعج أشد الانزعاج ، يمكن أن يتلوى من الجوع وقد غاب عنه أن في القطار قاطرة مطعم ، ممكن أن يركب عكس اتجاه القطار فيصاب بالدوار ، مع كل هذه الأخطاء القطار في طريقه إلى حلب وسيصل إلى هناك وسيقبض هذا المبلغ ، أما هناك خطأ لا يغفر أن تتركب قطار درعا ، هذا ليس له حل لو كانت المركبة فخمة جداً ، والمقاعد وثيرة ، والقاطرة مدفأة ، والطعام نفيس ، ولكن يسير عكس الاتجاه . فالإنسان وهو مؤمن وهو موحد يغلط ، والله غفور رحيم ، أما أن يتجه إلى غير الله ، إذا اتجهت إلى الله كل

شيء يغفر أما إذا اتجهت إلى غيره فالأعمال الصالحة لا تقبل لأن فيها شركاً ، إذا كنت متجهاً إلى الله فالأغلاط تغفر والذنوب تغفر ، أما إذا اتجهت إلى غير الله بعمل عظيم فلا يغفر لأن هذا العمل لابسه الشرك . يقول الله تعالى : " أنا أغنى الأغنياء عن الشرك - في الحديث القدسي - القلب المشترك لا أقبل عليه والعمل المشترك لا أقبله" .

(( إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا الْمُشْرِكِ أَوْ مُشَاحِنِ ))

[كنز العمال عن أبي موسى الأشعري]

### فضل صيام الاثنين والخميس و فضل الصيام في شعبان :

و:

((عن أسامة بن زيد قال: كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ الْآيَّامَ يَسْرُدُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ الْآيَّامَ حَتَّى لَا يَكَادَ أَنْ يَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ إِنْ كَانَا فِي صِيَامِهِ وَإِلَّا صَامَهُمَا وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرِ مِنَ الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَصُومُ لَا تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ وَتُفْطِرَ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا ، قَالَ: أَيُّ يَوْمَيْنِ ، قَالَ: قُلْتُ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، قَالَ: ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَجِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيَّ وَأَنَا صَائِمٌ ، قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرِ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ يُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَجِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ وَأَنَا صَائِمٌ ))

[أحمد عن أسامة بن زيد]

الأجسام أنواع ؛ يوجد إنسان إذا صام يوماً من دون صيام سابق ولاحق - سبحان الله الصيام في رمضان رحمة يألفه الناس جميعاً نظام موحد - صام يوم أداء ما كان عليه بأيام الصيف يوم واحد كشهر .

((...فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَصُومُ لَا تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ وَتُفْطِرَ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنَّ دَخَلَ فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا ضَمْتَهُمَا ، قَالَ : أَيُّ يَوْمَيْنِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمُ الْخَمِيسِ ، قَالَ : دَانَكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَجِبْ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ، قَالَ : قُلْتُ : وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ ، قَالَ : ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ يُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأَجِبْ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ))

[أحمد عن أسامة بن زَيْد]

هذا الحديث أيضاً عن فضل صيام الاثنين والخميس ، وعن فضل الصيام في شعبان .

و قال أيضاً عليه الصلاة و السلام :

(( إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَأَمْسِكُوا عَنِ الصَّوْمِ حَتَّى يَكُونَ رَمَضَانُ ))

[أبو داود عن أبي هريرة]

ليكون لرمضان بهجة ، أي إذا الإنسان ألف أن يصوم صوماً متتابعاً موضوع ثان ، أما إذا أراد أن يصوم بعد النصف من شعبان أول مرة لا الأولى ألا يصوم ، إذا كان هناك تتابع تابع ، أما أن تبدأ صيام النفل بعد النصف من شعبان فهذا مما نهى عنه النبي ﷺ .

### تلخيص لما سبق :

أعيد وأقول : أريد من هذا الدرس فضلاً عن الحديث عن فضل شعبان والصيام فيه وكيف أن الأعمال ترفع إلى الله ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيغفر لخلقه إلا المشاحن وإلا المشرك ، لكن أردت من هذا الدرس أن يكون عند كل أخ مؤمن سلم أولويات ، فلا يفعل شيئاً ويترك شيئاً أكبر منه ، الأولى أن تطبق المنهج بأكمله ، فجميل جداً أن تصوم النوافل ، والأجمل من هذا أن تكون قائماً بكل الفرائض ، لذلك :

((وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبته ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيتُه ، وإن استعاذ بي أعذتُه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته))

[البخاري عن أبي هريرة]

و:

(( من يأخذ من أمتي خمس خصال فيعمل بهنَّ أو يعلمهنَّ من يعمل بهنَّ قال قلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأخذ بيدي فعدهنَّ فيها ، ثم قال : اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلي جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما نحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ))

[أحمد عن أبي هريرة]

اتقاء المعاصي قبل كل شيء ، أداء الفرائض أيضاً قبل كل شيء ، بعد اتقاء المعاصي وأداء الفرائض لك أن تصوم ما تشاء ، ولك أن تفعل من النوافل ما تشاء ، أما أن تفعل نافلةً ، في الحج مثلاً تراه هجم على الحجر الأسود ، وضرب هذا بيده ، وهذا بصدرة ، وهذا رفسه برجله ، ويريد أن يقبل الحجر ، تصوروا أباً جالساً مع أولاده جاء ابن عاق دفع أول أخ وضرب الثاني ورفس الثالث ويريد أن يقبل يد أبيه ، هل يرضى عنه بهذا العمل؟ يوجد جهل كبير ، يرتكب محرمات ليقوم بأداء سنة ، ولك أن تشير بيدك من بعيد ، لذلك نحن بحاجة للفقهاء ، هذا واقع المسلمين . لن تغلب أمتي من اثني عشر من قلة ، لهذا السبب مليار ومئتا مليون ليست كلمتهم هي العليا تكفي هذه الكلمة ، لأنه إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

محور الدرس جميل جداً أن تصوم في شعبان ، وأن تصوم كل النوافل ، وأن ترقى بها إلى الله ، بل إن الله عز وجل جعل من هذه النوافل سبباً لمحبهته .

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ))

[البخاري عن أبي هريرة]

هذا لا شك فيه ، أما اعتراضى على إنسان تارك الفرائض ، وتارك الأصول ، ومرتكب المعاصي والآثام ، ولا يشغله شيء في هذه الأيام إلا السؤال عن أحقية الصيام في شعبان ، هذا شيء لا يحتمل ، هذه المفارقة الحادة ، قلبه توقف ونقص أطافره ، المحرك محروق ونبعث عن قضيب زينة قد وقع من السيارة ، ونتألم أشد الألم لأن هذا القضيب وقع منها ، فلا بد لكل أخ كريم من سلم أولويات ، لا بد من سلم أولويات تعرف ما هو جوهر الدين ، مرة قلت : هذا الراعى الذي سأله سيدنا عمر : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها ؟ قال : ليست لي ، فقال له : قل لصاحبها ماتت - هذه القصة معروفة وأنا قلتها مئات المرات - هذا الراعى وضع يده على جوهر الدين ولو فاته علم غزير ، وضع يده على جوهر الدين ، إذا قلت : إنى أخاف الله رب العالمين لا أفعل هذا ، هذا الذى يريد الله منك .

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (059 - 127) : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-10-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون: الحديث الشريف اليوم حديث رواه الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))

[ متفق عليه ]

نأخذ من هذا الحديث فقرة واحدة، وهي قول النبي ﷺ:

((فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))

أيها الإخوة: الله ﷻ حينما قال:

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

[ سورة الرحمن ]

فالبيان من أخص خصائص الإنسان، وأعتقد أن أخطر نشاط للإنسان هو كلامه، بل إن الأنبياء العظام بماذا جاؤوا؟ بالكلمة، بكلمة طيبة، والكلمة الطيبة قد تصلح مجتمعا، وقد تنقذ أمة، وقد تسعد البشرية كلها، لكن هذه

الكلمة كما أنها يمكن أن تكون سبب سعادة البشرية يمكن أن تكون سبب شقائها، قال تعالى:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

[ سورة إبراهيم: الآية 26 ]

فيمكن أن تصلح أمة بأكملها بكلمة طيبة صادقة مخلصه، ويمكن أن تفسد أمة بكلمة خبيثة كاذبة مرائية فيجب أن يعلم الأخ الكريم أن أخص خصائص الإنسان البيان قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾

[ سورة الرحمن ]

وانطلاقاً من مقولة أقولها دائماً، وهي أن كل حظوظ الإنسان في الدنيا إما أنها سلّم ترقى به، وإما إنها دركات تهوي بها، خاصة البيان الذي يمكن أن توظفه في هداية البشرية، ويمكن أن توظفه في إضلال البشر، المبادئ الهدامة، المبادئ الوضعية الإلحادية كيف تروّج؟ بالكلمة، بالتأليف، بالكتاب.

بالمناسبة، اللغة العربية أو أية لغة إنسانية فيها أربعة نشاطات، النشاط الأول التكلم، والثاني الاستماع، والثالث الكتابة، والرابع القراءة، فاللغة تكلم، واستماع، وكتابة، وقراءة، فلو أن اللغة كلام واستماع لاقتصرت وظيفة اللغة على من تعاصره فقط، ولكن أن تنتقل الثقافات من جيل إلى جيل، ومن أمة إلى أمة فهذا يحتاج إلى الشق الثاني من اللغة، إلى أن تكتب، وإلى أن تقرأ، أنت الآن تقرأ كتاب الإحياء للغزالي، تقرأ تفسير القرطبي، تقرأ تراث أمة أخرى عن طريق الكتابة والترجمة والقراءة.

فثقافات البشرية تتراكم بهذه الطريقة، لما يدرس الطالب علم الفيزياء في الصف الحادي عشر أو الثاني عشر هو لا يدرى أنه يدرس خلاصة علوم العلماء من ألف عام تراكمت عن طريق اللغة المكتوبة والمقروءة، لذلك:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)﴾

[ سورة العلق ]

علم بالقلم إشارة إلى اللغة المكتوبة، لذلك يؤخذ العلمُ مشافهةً، ويؤخذ مدارساً، وأكمل شيء في العلم أن تأخذه مشافهة ومدارساً، يعني أن تقرأ كتاباً على يد عالم.

أيها الإخوة: مرةً ثانية، البيان أخص خصائص الإنسان، الله ﷻ كرم الإنسان بالبيان، أضرب لكم مثلاً: لو أن البيان لم يكن في بني البشر، وأراد حاكم أمة أن يوجه أمراً ما كيف يُعلم هذه الأمة بشيء ما؟ لا بد من أن يكون لكل مواطن موظف يدفعه إلى الدخول إلى بيته، لكن تصور قرار منع تجول يذاع في الإذاعة مرة واحدة ترى الطرقات فارغة، معنى هذا أن اللغة من تعاريفها أنها أداة اتصال بين أفراد النوع، وهي أرقى اتصال، فإذا قلت لإنسان: اخرج، فإنه يقف ويخرج، أما إذا أردت أن تخرجه بقوتك العضلية فينبغي أن تقف، وتحمله، وأن تلقيه خارج البيت، فاللغة أرقى أدوات الاتصال بين أفراد النوع، اتصال راقٍ جداً، أنت من الممكن أن تأخذ أفكار إنسان وتجاربه وعلمه وخبرته ومشاعره وعواطفه من خلال قراءة إنتاجه العملي.

فاللغة أيها الإخوة الأكارم: تعد أخص خصائص الإنسان، وانطلاقاً من المقولة الشهيرة أن كل حظوظ الإنسان يمكن أن توظف في الحق كما يمكن أن توظف في الباطل ففي اللغة ينتشر الضلال، وباللغة تثار الغرائز في الأدب الرخيص، وباللغة تكاد المكائد، وباللغة تخرب الديار، وباللغة تشتت الجماعات، وباللغة تقصم العرى، وباللغة تؤلف القلوب، وباللغة يجتمع الشمل، وباللغة يعم الخير والرشاد، فيجب أن تعلم أن أخص خصائصك كلامك، ولا يوجد إنسان يسكت، الإنسان الغني والفقير، والتاجر الريفى والمدني يتكلم باستمرار، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في مجموعة من الأحاديث كبيرة جداً ضبط موضوع الكلام.

وبصراحة أقول لكم أيها الإخوة: من أخص خصائص المؤمن ضبط لسانه، لذلك عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(( مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقَلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ))

[ متفق عليه ]

طبعاً لهذا الحديث تنمات وروايات كثيرة، منها: فلا يؤذي جاره، منها: فليحسن قرى ضيفه، منها: فليصل رحمه.

الآن الإيمان إقرار واعتقاد وعمل، ما وفر في القلب، وأقره اللسان، وصدق العمل، هذا الإيمان، ليس إيماناً اعتقادياً فقط، ولا إيماناً صامتاً، الإيمان ناطق، ولا يوجد إيمان ساكن، الإيمان متحرك، في اللحظة التي يستقر فيها الإيمان في قلب الإنسان يعبر عن ذاته بالطمأنينة في قلبه، وبالذكر في لسانه، وبخدمة الناس في عمله، فالإيمان اعتقاد، والإيمان إقرار، والإيمان عمل.

الآن من أعمال الإيمان، كلمة إيمان كلمة كبيرة جداً، يعني من السذاجة أن تصفها بصفة واحدة، أخي الإيمان اعتقاد ؟ لا، الإيمان اعتقاد، والإيمان اتصال بالله، والإيمان طمأنينة، والإيمان دعوة، والإيمان عمل، هل تصدق أن وردة من أخص خصائصها رائحتها، فإن لم تكن لها رائحة فهي وردة اصطناعية، وليست وردة طبيعية، تحكم على أنها ميتة من مادة بلاستيكية، لأن من أخص خصائص الورد الطبيعية فوحان رائحتها، فالإيمان عمل، قال عليه الصلاة والسلام:

((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))

وقد بينت لكم من قبل أن من ألزم لوازم الإيمان بالإيمان باليوم الآخر، لأن الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر متكاملان، أنت إذا آمنت أن لهذا الكون إلهاً خالقاً خلقه، ورباً يمهده، وإلهاً يسيره، ولم تؤمن أن هذا الإله سوف يحاسبك عن كل كلمة، وعن كل حركة، وعن كل سكنة فلا تستقيم على أمره.

ليس ثمة قانون إلا وله كما يسميه الحقوقيون المؤيد القانوني، أصدر نظام سير بتفاصيل في خمسين صفحة، لكن ليس فيه عقوبة واحدة، لا قيمة له أبداً، أما الإنسان إذا لم يكن معه شهادة تسحب منه أوراق السيارة أسبوعين، إذا قاد من دون إجازة أودع في سجن، كل مخالفة لها ردع، لذلك الإيمان بالله مؤيد القانوني اليوم الآخر، هذا الإله خلق، وكلف، ويعلم، وسيحاسب

، ((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) ،

لو قال: من كان يؤمن بالله لما تناسبت المقدمة مع النتيجة، آمنت بالله موجودًا، خالق الكون خالق عظيم، أما إذا ما آمنت أنه سيحاسب عن كل حركة وسكنة فستستقيم على أمره، لذلك جاء أمر النبي عليه الصلاة والسلام:

**((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))**

صدقوني أيها الإخوة أن الناس أحد رجلين ؛ رجل مؤمن بالجزاء، ورجل مؤمن بالعبثية، المؤمن بالعبثية لا يستقيم، وعدم استقامته تنسجم مع إيمانه، إذا كانت الأمور فوضى، وإذا لم يكن لموظفٍ في دائرة دوام ولا من يحاسبه، ولا مكافأة للمحسن، ولا عقاب للمسيء، ولا توقيع، ولا مسؤولية، ولا شيء، فلا أحد يعمل إطلاقاً، إذا لم يكن هناك إيمان بالجزاء فما لا استقامة، ولا التزام، أما إذا أيقن الإنسان بالعبثية فلا يستقيم، ولن تستقيم على أمر الله إلا إذا آمنت بالجزاء يوم الدين، فإذا أيقن الإنسان بالحساب فلا بد أن يستقيم.

أيها الإخوة الأكارم:

**((وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِ خَيْرًا))**

عندك حالتان ؛ إما أن تتطق بالحق، وإما أن تسكت، وفي الحقيقة ما من نشاط إنساني سلس، فيمكن أن تتجر ببساطة إلى كلام فارغ، إلى كلام ليس له معنى، إلى كلام يؤدي، إلى غيبة، لذلك معظم المسلمين، أقول: معظم المسلمين لا يشربون الخمر، ولا يزنون، ولا يقتلون، لكن ما الذي يحجبهم عن ربهم ؟ لسانهم، هذا اللسان فيه انزلاق إلى الغيبة، إلى النميمية، إلى البهتان، إلى الزور، إلى السخرية، إلى الكبر، لذلك أحد أسباب سعادة الإنسان لسأته إذا ضبطه، وهو من أسباب شقائه إذا تغلّت، لهذا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

**((لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))**

[أحمد]

رجل سأل النبي عليه الصلاة والسلام اسمه أسود بن أصرم المحاربي قال يا رسول الله أوصني، إنسان يسأل سيد الخلق، قال: أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام: هل تملك لسانك ؟ قال: ما أملك إذا لم أملك لساني ؟ ويحي إن لم أملك لساني، فماذا أملك ؟ وبصراحة المؤمن لا يكون بطلاً إلا إذا ملك لسانه، لأنه أحياناً تتجر في حديث

ممتع، تعرف قصة عن فلان لو قلتها كأنك تلقي قبلة، ما هذا الحديث، هل هذا معقول؟ معي أدلة، هذه متعة الغيبة والنميمة، فيها متعة وقتية، لكن فيها انقباض وحجاب، لكن ضبط اللسان تكليف، الحديث في الغيبة والنميمة يتوافق مع طبع الإنسان، لأن الإنسان فضولي يحب أن يعرف كل شيء، ما سببه، ما علته، أما ضبط اللسان فهو تكليف، فالإنسان من دون جهد ينزلق في معاصي اللسان، أما ضبط اللسان فيحتاج إلى جهد، ويحتاج إلى يقظة، وإلى دقة.

فلذلك قال: يا رسول الله أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام: هل تملك لسانك؟ قال: ما أملك إذا لم أملك لساني؟ فقال: هل تملك يدك؟ فقلت: فما أملك إن لم أملك؟ يدي، فقال عليه الصلاة والسلام: فلا تقل بلسانك إلا معروفاً، ولا تبسط يدك إلا إلى خير، هذه وصية رسول الله.

وأقول لكم مرة ثانية: لا تستطيع أن تشعر أنك مع الله دائماً إلا بضبط اللسان، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ))

[الترمذي]

مادمت ضابطاً لسانك فأنت مع الله، ومادام اللسان في تقلت جاء الحجاب، وأول حجاب يحجبك عن الله عز وجل تقلت اللسان عن منهج الله عز وجل.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ))

[أحمد]

هذا الحديث أصل في هذا الباب، أن يكون قلبه مع الله مقبلاً عليه، منيباً إليه، خاشعاً له، ينطوي على حب للخير،

((لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانَهُ))

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه))

[الطبراني عن أنس]

أبي حتى يضبط لسانه.

هناك إنسان لا يفتر عن الكلام، يتكلم دائماً، وهناك قاعدة: من أكثر كلامه أكثر خطؤه، ترى إنساناً في جلسة مالكاً ضابطاً لكلامه، لما يغلط يعتذر، ويخاف، يا ترى هل هذا الكلام أحاسب عليه ؟

قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان      لا يدغتك إنه ثعبان  
كم في المقابر من قتيل لسانه      كانت تهاب لقاءه الشجعان

في كل بلاد الأرض أحياناً كلمة تقولها قد تشقيك، لذلك المؤمن لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه.

خرج الطبراني من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

((لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه))

[الطبراني عن أنس]

يعني الكلام الجيد يتكلمه، الطيب يتكلمه، البشارة يبشر بها، التذكير يذكر به، تفسير آية، يفسر حديثاً، يذكر موقفاً بطولياً، يتكلم عنه، ينصح نصيحة، يأمر بالمعروف، ينهى عن منكر، يصلح بين رجلين.

لا غيبة، لا نميمة، لا سخرية، لا إفساد بين الناس،

((لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه))

[الطبراني عن أنس]

ومن حديث معاذ بن جبل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

((إنك يا معاذ لن تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك))

[الطبراني في الكبير عن معاذ]

وأنت ساكت في سلام، فإذا تكلمت كان لك أو عليك.

أحياناً يتكلم الإنسان كلمة فيصغر بها، يروى أن أبا حنيفة النعمان رحمه الله تعالى كان جالساً بين عدد من إخوانه في درس فقه، وكانت رجله تؤولمه، طبعاً النبي عليه الصلاة والسلام كما تعرفون ما رأيي ماداً رجله قط، لكن في حالة شخص معه آلام في مفاصله فيبدو أنه كان معذوراً فمد رجله، فدخل شيخ مهاب، طويل القامة، عريض المنكبين، يضع على رأسه عمامة، فاستحيا أبو حنيفة، ورفع رجله على مضض، جلس الرجل في مجلسه، وبعد أن انتهى الدرس سأله فقال: يا سيدي كيف نصلي الفجر إذا طلعت الشمس قبل الفجر؟ فقال أبو حنيفة عندئذ: يمد أبو حنيفة رجله.

لأن بهذه الكلمة صغر، أحياناً رجل له هيبة يتكلم كلمة واحدة يصغر، فلذلك الإنسان المؤمن عزيز، والمؤمن يمثل دين الله عز وجل، فكلمة تصغر أحياناً، وكلمة يسقط بها من عين الله، ولأن يسقط الإنسان من السماء إلى الأرض فتنحطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله، قد تكون فقيراً، لكنك عند الله عظيم، قد تكون مجهداً، لكنك عند الله كريم، قد تكون متعباً، مريضاً، المرض ليس عاراً، والفقر ليس عاراً، وأن تكون متعباً ليس عاراً، عندك عمل اثنتي عشرة ساعة، أنت مجهد، من بات كالأف في طلب الحلال بات مغفوراً له، لكن:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

أيها الإخوة الأكارم: ومن حديث معاذ بن جبل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال:

((إنك يا معاذ لن تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك))

[الطبراني في الكبير عن معاذ]

الآن هناك دقيق: وأنت ساكت في سلام، أما التكلم بالحق فهو رقي، أنا لا أقول: اصمتوا دائماً، التكلم بالحق فيه رقي.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

### ((مَنْ صَمَتَ نَجَا))

[الترمذي وأحمد عن عبد الله بن عمرو]

ولا سيما في آخر الزمان، إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فأمسك لسانك، والزم بيتك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة.

إذا كانت الأمور مضطربة، أهواء، انحرافات، مبادئ هدامة، ازدواجية، أشخاص لهم ظاهر، ولهم باطن، خداع، قنص، مجتمع اضطرب فيه العهود، مرجت فيه المواثيق، مجتمع أوتمن فيه الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وأمر فيه بالمنكر، ونهى فيه عن المعروف، في مجتمع كهذا المجتمع الزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة.

وفي القرآن الكريم آية توضح هذا المعنى، قال تعالى:

﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾

[سورة الكهف: الآية 16]

فالإنسان كهفه الآن بيته، وكهفه مسجده، أغلقت الباب عليك، من نعم الله العظمى أننا نعيش في أمن، قرأت تحقيقاً صحفياً عن بلاد أمريكا حيث سبعة وثمانون بالمئة من الشعب الأمريكي وهو في بيته خائف، طالب ياباني طرق باباً خطأ فكان الجواب رصاصة استقرت في رأسه، صاحب البيت خائف، ظنه مجرماً فقتله، الحمد لله نحن نتمتع بنعمة لا تقدر بثمن، نعمة الأمن، إذا دخل الإنسان بيته فهو آمن، فيحب أن يصلي ويقرأ القرآن الكريم مع أولاده، ينصحهم، يدير معهم حديثاً ممتعاً، يوجه زوجته، فهو آمن، فبيتك كهفك، ومسجدك كهفك، قال تعالى:

﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُغْبُذُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرِيقًا﴾

[ سورة الكهف: الآية 16 ]

وعلامة الإيمان:

((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ - من هؤلاء - رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

وهو في المسجد كالسمك في الماء، أنا أصدق إنساناً يأتي بيت الله ليس له مصلحة دنيوية، لا صفقة، ولا بيعة، ولا شيء أبداً، لا يبتغي إلا وجه الله، يأتي إلى المسجد، ويجلس على ركبتيه، لا يوجد مقعد وثير، ولا ضيافة، ولا شيء، ولكن فيه رحمة الله عز وجل، يقول لك: والله ارتحت، الحياة متعبة ومقلقة، والإنسان فوقه ألف سيف، هكذا العصر الحديث، تلوث، وأمراض وبيلة، وأخطار، فالإنسان تحت هذا الخوف الشديد يأوي إلى بيت الله عز وجل فيستريح.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ))

[البخاري]

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيْفًا فِي النَّارِ ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

من عدّ كلامه من عمله نجا، كلامك جزء من عملك، لذلك ما الذي يحجبنا عن الله؟ هذا اللسان، قلت لكم قبل قليل: الذين يشربون الخمر قلائل، والذين يأكلون المال الحرام قلائل، والذين يقتلون، والذين يرتكبون الفواحش قلائل، لكن الذين يغطون في أحاديثهم كثير، والمعصية تحجب، ولو كانت صغيرة، وهنا ملاحظة دقيقة جداً أسوقها لكم باللغة الدارجة: حوبنتك تتحجب عن الله بسبب تافه.

القاتل محبوب، الزاني محبوب، شارب الخمر محبوب، آكل الربا محبوب، لكن هؤلاء محبوبون لسبب كبير، أما من أجل كلمة، مزحة، إشارة، طرفة، غيبة، كلمة تقولها تحجب عن الله عز وجل فهذا خطر كبير، لسبب تافه، هذا ليس معقولاً.

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَأْسًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[متفق عليه]

أنت تعرف إذا تكلمت كلمة صادقة مخلص، وهذا الإنسان تأثر بها، واهتدى بها، تهدي بها أمة، والدليل: قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[سورة المائدة: الآية 32]

لو قدر الله عز وجل على يد رجل هدى إنسان، ثم مات، هذا الإنسان له من ذريته ثمانمئة ألف مؤمن، كلهم في صحيفة هذا الذي تكلم كلمة، لم الله عز وجل قال:

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾

[سورة إبراهيم: الآية 24]

هل تعلم لماذا قال الله كشجرة طيبة؟ أنا أضرب لكم مثلاً بشجرة التين، التين كم بذرة فيها؟ هي كلها بذر، وكل بذرة بقدر رأس الدبوس، وكل بذرة شجرة، السيارة كم تحمل من التين؟ مئة ألف بذرة، وكل واحدة تساوي شجرة، وكل شجرة مئة ألف تينة، وكل تينة مئة ألف.

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُقْبِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ))

أحياناً أنت لا تنتبه فتتكلم عن الله عز وجل، أما المستمع فكلمة من كلماتك تفعل فيه فعل السحر، أحياناً إنسان يغير اتجاهه مئة وثمانين درجة بكلمة قالها إنسان، وهناك مغرّبٌ شهير جداً بريطاني دخله بالملايين، دخل إلى مكتبة، فوجد كتاباً استغرب من مؤلّفه، فقال: مَنْ مؤلّف هذا الكتاب؟ هو قرآن كريم، قيل له: خالق السماوات والأرض، طبعاً الكتاب مترجم، أول آية: ذلك الكتب لا ريب فيه، قال: هذا الكلام غير صحيح، والله لأقرّنه كلمة كلمة، ولأجدن فيه الريب، فعكف على قراءته، فأسلم، الآن كل ثروته يشتري بها أسطوانات غنائها ليتلفها، والآن هو من كبار الدعاة إلى الله عز وجل.

والله هناك قصص لا مجال لذكرها الآن، إنسان غير اتجاهه مئة وثمانين درجة من كلمة صادقة مخصصة، فلا تزهد بالكلمة، لا تضن بها على أخيك، أحياناً تفسير آية يحل مشكلة مستعصية عند الإنسان، أحياناً حديث شريف واحد يحل مشكلة.

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُقْبِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُقْبِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

فإذا كانت الكلمة كافية لدخول الجنة، وكلمة أخرى كافية لدخول النار، فمعنى ذلك أن الكلام شيء خطير في حياتنا، والله أحياناً كلمة طيبة من زوج لزوجته ترى الفرحة والسرور والسعادة ملأت البيت، وكلمة قاسية فيها تهكم، فيها سخرية، سباب أحياناً ترى الخلاف شهراً، الاثنى عشر معذباً من كلمة قاسية قالتها الزوجة، أو قالها الزوج، فضبط اللسان عمل عظيم، ضبط اللسان رقي بالإنسان، أنا أشعر أنك تعيش مع مؤمن عشرين سنة فتقول: والله ما قال كلمة نابية، هناك شخص كل كلامه مزاح رخيص، في العورات، كلام كله مغشوش، المؤمن ليس فحاشاً، ولا لعاناً، أحياناً يكون الشخص جميل الصورة أنيقاً فيتكلم كلاماً بذيئاً.

جمال الوجه مع قبح النفوس      كقنديل على قبر المجوس

لما يتكلم كلاماً بذيئاً، يمزح مزحاً رخيصاً، يذكر العورات، تراه صار في الوحل، هذا مكانه الحاوية، شخص يرتدي ثياباً أنيقة جداً، وتكلم كلاماً بذيئاً، أحدهم من وجهاء الأحياء قال له: إما أن تتكلم مثل لباسك، وإما أن تلبس مثل كلامك، اللباس لا يتناسب مع الكلام.

حديث آخر، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْمٍ عَنْ أُمِّهِ ابْنَةِ أَبِي الْحَكَمِ الْغِفَارِيِّ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْنُو مِنَ الْجَنَّةِ حَتَّى يَكُونَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا قِيدُ زِرَاعٍ فَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَيَتْبَعُ مِنْهَا أَبْعَدَ مِنْ صُنْعَاءِ))

[أحمد]

كلمة واحدة تبعده، أحيانا كلمة كبر، كلمة قهر، كلمة سخرية، كلمة استعلاء، كلمة غطرسة، كلمة شك، كلمة خيانة، كلمة واحدة عشرات بل مئات حالات من الزواج فسخت من كلمة، وشركات ضخمة انفصمت من كلمة، ومجتمعات انهارت من كلمة، وحروب دامت عشر سنوات من كلمة، هذه حرب داحس والغبراء، وحرب الفجار في الجاهلية من أسبابها رجل مد رجله، وقال: من كان أشرف مني فليضربها، فقام واحد وضربها، نشبت حرب دامت عشر سنوات من كلمة.

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ))

يقول عليه الصلاة والسلام:

((كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله عز وجل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ))

[البيهقي في شعب الإيمان عم أم حبيبة]

يا أيها الإخوة الأكارم: ليس هناك إنسان ليس له جلستان أو ثلاث في الأسبوع مع أهله، مع جيرانه، في دور في تعزية، في فرح، في عقد قران، في نزهة، في وليمة، لا يوجد إنسان يعيش بمفرده مهما تكن درجته الاجتماعية متدنية، له أقرباء، له أصحاب، زملاء، ماذا تقول في هذه اللقاءات؟ الكلام عن الدنيا يبعد النفوس عن الله عز وجل، أحيانا يكون الجالسون غير متجانسين، أحدهم دخله محدود، والثاني دخله غير محدود، إذا أحب أن يتبجح صاحب الدخل غير المحدود بأعماله التجارية وممتلكاته، وما اشترى، وباع، ونزهاته أدخل الحزن على قلب صاحب الدخل المحدود، وأحرق قلبه، والقهر صعب، والاستعلاء صعب، فيجب تصرف الحديث عن ولائكم،

وعن مصروفك الشهري، ومقتنياتك، هذا كلام فارغ، لا أحد ينتبه لك، واحد دخله محدود، واحد مريض، والثاني أنا أجريت تحليلاً كله كامل، كسر خاطره، اشكر الله بينك وبين نفسك، إذا كنت في نعمة تتمتع بها، وأخوك يفقدها فلا تذكرها أمامه، فإنك تولمه.

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ:

((قَالَ لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَاذْهَبْنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

[مسلم]

واحد شكاً لك عن أولاده، أنا عندي أولاد ملائكة، كسرت خاطره، حكى لك عن زوجته، أنا التي عندي درجة أولى، الحمد لله، هذا كلام غير لبق، كلام فيه استعلاء، كلام فيه قهر، كلام فيه كسر للخاطر، الإنسان دائماً يحب إذا عاش مع الناس عاش مشكلاتهم، الأنبياء عاشوا مع الناس، عاشوا مشكلاتهم، فعن أبي مسعود قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلّمه فجعل ثرعداً فرائضه، فقال له:

((هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ))

[ابن ماجه]

هو واحد من الناس.

سيدنا معاذ مرة سأل النبي عليه الصلاة والسلام، فَعَنْ مُعَاذٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))

[ مسلم، الترمذي، النسائي، أحمد، ابن ماجه ]

الكلام وحده سبب لدخول النار، من يعرف هذا الشيء ؟ الذي طهر الله عز وجل قلبه، الإنسان المؤمن غالٍ على الله، طاهر، عنده حصافة، عنده كياسة، عنده لباقة، عنده حكمة، أحياناً تجلس في مجلس فتسمع كلاماً لا يُسمع، فيه تبجح، فيه مبالغة، فيه اعتزاز بالنفس، فيه شرك، فيه سخريّة، واحد دعاك إلى بيته، وبيته صغير، تقول له: كيف وسعك هذا البيت ؟ لا يُسكن فيه، هل هذا الكلام يقال ؟ هو قصده: لماذا أخذته صغيراً إلى هذا الحد.

مرة دخلت إلى بيت من فضل الله ديوان ديوانان وبينهما ثلاثون سَنَمْتَرًا، غرفة ضيوف، صاحب البيت استحمياً، قال: ماذا نفعل ؟ قلت له: النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق، وحبیب الحق كان إذا أراد أن يصلي قيام الليل غرفته لا تتسع لصلاته ونوم زوجته، وهو سيد الخلق، سبحان الله أشرق وجهه ! من أنت ؟ رسول الله الذي هو أعلى إنسان على الله عز وجل غرفته التي سكن بها لا تتسع لصلاته ونوم زوجته.

دخل عليه عدي بن حاتم الطائي، فألقى إليه وسادة من آدم محشوة ليفاً، قلت: اجلس عليها قال: بل أنت، قال: بل أنت، قال: فجلست عليها، وجلس النبي عليه الصلاة والسلام على الأرض، بيت رسول الله ما عنده إلا وسادة واحدة دفعها لضيفه، وجلس هو على الأرض، إذا استحمياً شخص بيته أمامك، يستحي بأثاثه فقل له هاتين القصتين حتى يطمئن، ويجبر خاطره.

أحياناً الإنسان يتكلم كلاماً يكسر خاطر الناس، يتكلم كلاماً يكره الناس بحياتهم، يكره أخته بزوجها، ما طبختم ؟ معكرونة، استحيت، هذه هي الكلمة ؟ ترى كلامه قاسياً، كلامه فظ، فيه تنفير، الحمد لله، قال: طيبته العافية، قل: الحمد لله على العافية والصحة وراحة البال، إذا كان زوج أخته مستقيماً تكلم لها على استقامته، على أمانته، على حلمه، واجعلها تحبه، ولو كانت حياته خسنة، الأنبياء كانت حياتهم خسنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ))

[البخاري]

ما القاريط ؟ أي خمسة ليرات في اليوم، سيد الخلق كان راعياً، العمل شرف، الله عز وجل يربّي العباد، أيام عملك صعب، اثنتي عشرة ساعة دواماً، ودخل قليل، لما ينقلك إلى عمل ثماني ساعات تتنفس الصعداء، لما لا تنزل بعد الظهر إلى العمل تقول: الحمد لله، أحياناً الإنسان ينقله الله من حال إلى حال، لكن إذا بدأ حياته صعبة، ثم يسر له مع تقدمه في العمر فهذه نعمة كبيرة، أحياناً بالعكس، في أول حياته ترف فاحش، ثم في ضيق، هذا هو السلب بعد العطاء، كان عليه الصلاة والسلام يستعيز بالله من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء.

الآن في المجالس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ))

[الترمذي]

والله الذي لا إله إلا هو أحياناً يجلس الإنسان جلسة فيها كأس شاي، لكن الحديث عن الله عز وجل، يقول لك: هناك تجلٍ منقطع النظير، وسرور، وأحياناً سهرات تكون قطعة من الجنة، فيها إخلاص، فيها حب، فيها ذكر لله عز وجل، أينما جلس يجعل همه ذكر الله، لا يبقى ساكناً، أليس قد سمع آية، حكماً فقهياً، سيرة، تحدث بها، لما تتحدث عن الله عز وجل تملك القلوب، وصارت الجلسة مباركة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ))

[الترمذي، أحمد، أبو داود]

أي عقاب، جلس في مجلس فتكلم عن الأسعار فقط، الجلسة الثانية عن الطقس فقط، الثالثة عن الغلاء، الرابعة عن الناس، أخبار لا تقدم ولا تؤخر، " قال: من هذا؟ قالوا: نسابة، قال: وما نسابة؟ قالوا: يعرف أنساب العرب، قال: ذاك علم لا ينفع من تعلمه، ولا يضر من جهل به"، أشياء لا تقدم ولا تؤخر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ أبو داود ]

يعني عقابًا وألمًا وندمًا.

حديث آخر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ))

[ الترمذي، أحمد، أبو داود ]

هذه نقطة هامة جداً، جلسوا مجلساً لم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم هذا المجلس حسرة يوم القيامة.

وقال مجاهد: " ما جلس قوم مجلساً فترقوا قبل أن يذكروا الله إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم، وما جلس قوم مجلساً فذكروا الله قبل أن يتفرقوا إلا تفرقوا عن أطيب من ريح المسك، وكان مجلسهم يشهد لهم بذكورهم".

لذلك كان الصحابة الكرام إذا تفرقوا يقرؤون جميعاً:

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ

﴿(3)﴾

[ سورة العصر ]

التقيت مع أخ، كيف حالك ؟ يقول: الحمد لله، صحتك بخير، العمل، يقول لي: جيد، علاقتك مع الله كيف ؟ وأحاول دائماً أن أضيف هذا السؤال: كيف، يقول لي: في فتور، ما السبب ؟ هكذا.

يعرض على ابن آدم يوم القيامة ساعات عمره، فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات يوم القيامة، يقول عليه الصلاة و السلام:

### ((إياكم و فضول الكلام، بحسب امرئ ما بلغ حاجته))

[أخرج ابن أبي شيبة نحوه في المصنف عن أبي هريرة بلفظ: لا خير في فضول الكلام]

وعن بعض الأئمة أنه " يهلك الناس في فضول الكلام والمال "، المال الزائد يوظفونه في الربا أحياناً، أو يستهلكونه بالترف الاستعلاء، وفضول الكلام بالغيبة والنميمة، يهلك الناس في فضول القال والكلام.

وقد ورد أن " الإكثار من الكلام الذي لا حاجة إليه يوجب قساوة القلب "، أي الحجاب، الثرثرة، الكلام الزائد.

أورد الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعاً عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

### ((لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ))

وقد قال عمر t: "من كثر كلامه كثر سخطه"، الذي يتكلم كثيراً، الثرثار، كثير الكلام كثير السخط.

قال: " إن الكلام أربعة ؛ أن تذكر الله، وأن تقرأ القرآن، وأن تسأل عن علم فتخبر به، وأن تتكلم فيما يعينك من أمر دنياك"، تريد أن تشتري منزلاً تسأل عن أسعار البيوت، و أوضاعها، فيما يعينك من أمر دنياك، قال رجل لأحد التابعين: " أوصني، قال: لا تتكلم، قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن يأخذ بلسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد، وقال ابن مسعود t: "والله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض أحق بطول سجن من اللسان".

قال: " رأس الحكمة الصمت"، وقال بعضهم: " يا ابن آدم، إنك ما سكت فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك، إما لك أو عليك".

وقال بعضهم: " سجن اللسان سجن المؤمن "

وقال بعضهم: " ما حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان "

الحج أهون من حبس اللسان والرباط والجهاد، أهون من حبس اللسان نشاط متفشٍ سلسٍ ومغرٍ، فأكثر الناس يحجبون بالسنتهم.

قال: "ولو أصبحت يهملك لسانك أصبحت في هم شديد "

إذا دقق الإنسان في كلامه يهتم همًا شديدًا، وهذا الهم مقدس.

سؤال الآن نختم به الدرس.

عند الأحنف بن قيس تناقش أناس وتدارسوا أيها أفضل النطق أم الصمت مطلقاً ؟ فقال قوم: الصمت أفضل، قال الأحنف: النطق أفضل، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه، أما النطق الحسن فينتفع به كل من سمعه.

أنت في جلسة فيها ثلاثون رجلاً، إذا سكت نعدت ونجوت، أما إذا تكلمت بالحق نفعت ثلاثين، فالصامت ينتفع هو وحده، أما المتكلم بالحق فينفع كل من حوله، وهذا فرق كبير.

رجل من العلماء كان عند سيدنا عمر بن عبد العزيز فقال هذا الرجل: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إنني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالاً، ذلك لأن منفعتة للناس أكبر.

فالمتكلم على علم أفضل ألف مرة من الصامت على علم.

هناك نقطة دقيقة ؛ إذا كان المرء يحدث بحديث في مجلس، وأعجبه الحديث، وشعر أنه هو طليق اللسان فصيح البيان، هذا من فلتات البيان، فليسكت إذا أعجبه نفسه، وشعر باستعلاء، وشعر بالتفوق والاستعلاء، وهو من مستوى راقٍ جداً، وأن هذا العلم هو خبرات متراكمة، وطلاقة وتعمق في اللغة، فاسكت أفضل لك.

لو لم تذبوا لخفت عليكم ما هو أكبر، العجب، إذا سكت الإنسان، وشعر أنه قوي بسكوته، وما بالغ الناس، وعرضت آلاف القضايا، ويعرف حلولها، ولكن بقي ساكناً لا يجب أن يتكلم، يعني إن أعجبت بحديثك فاسكت، إذا كان سكوتك جعلك بمنأى عن الناس واستعلاء عليهم الكل تورط، والكل قال كلاماً غير لائق، وأنت بقيت

ساکتًا، قل کلامًا صحیحًا واخذ الشیطان، وإن کان کلامک سیحجک عن الله عز وجل فاسکت، فحیثما أعجبتک الکلام، اسکت وحيثما أعجبتک السکوت فتکلم، هذا الضابط الدقیق للموضوع.

آخر فکرة فی الدرس، صوم الصمت حرام، لیس هذا فی دیننا إطلاقاً، صوم الصمت حرام، فإذا ورد فی غیر دیننا فلا علاقة لنا به، هذا فی شرع غیرنا، أما فی شرعنا فصوم الصمت حرام، وأرجو الله سبحانه وتعالی أن ینفعنا بما علمنا، والحمد لله رب العالمین.

**والحمد لله رب العالمین**

## الدرس (060 - 127) : محبة الله ورسوله

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 05-11-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: نطلق في هذا الدرس من حقيقة أساسية في الدين، وهي أن الدين له كليات ثلاث، كلية عقلية، وكلية نفسية، وكلية سلوكية، وأن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام تفوقوا، لأنهم وازنوا بين هذه الكليات الثلاث، فغذوا عقولهم بالعلم، وغذوا قلوبهم بالذكر، وضبطوا سلوكهم بالشرع، ومن أجل التوازن بين الجانب الفكري والجانب النفسي، من أجل أن نتفوق لا أن نتطرف، التتطرف أن تؤثر جانباً على حساب جانب، أن ينمو شيء، ويضمّر شيء، أن تتجه نحو اليمين، وتدع الطرف الآخر، انطلاقاً من التوازن بين كليات الدين كان هذا الدرس في بيان محبة الله عز وجل، ومحبة رسول الله ﷺ، وفي رياضة النفس، ومحاسبتها الحساب الدقيق.

فسفيان أحد العلماء الكبار في عصر التابعين يقول: المحبة بالتعريف الدقيق الجامع المانع اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه المحبة، أن تتبع رسول الله من أين جاء بهذا الكلام، نريد دليلاً؟

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران: 31]

لن تكون محباً لله، ولن تكون محباً لرسوله ﷺ إلا إذا اتبعت النبي عليه الصلاة والسلام، إياك أن تدعي الحب، وأنت مخالف لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، إياك أن تتوهم أن سلوكاً في الأرض أكمل من سلوك النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن عملاً أكمل من عمل النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن منهجاً أدق من منهج النبي

صلى الله عليه و سلم، أو أن طريقاً أسرع من طريق النبي صلى الله عليه و سلم، أو أن ضماناً أشد من ضمانة النبي عليه الصلاة والسلام.

حينما تعتقد أن منهجاً ما، سلوكاً ما، طريقة ما أسرع، وأفضل في النفس من فعل النبي صلى الله عليه و سلم، من منهجه، فأنت لا تعرف شيئاً عن دين الله.

لذلك بشكل مختصر مفيد: ما الحب ؟ اتباع سنة النبي صلى الله عليه و سلم، ما الدليل ؟

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

[ سورة آل عمران: 31 ]

نعوذ بالله أن ندعي حب الله، ونحن نخالف سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، هذه دعوى عريضة لا تقدم ولا تؤخر.

تعريف آخر للمحبة، تحب الله، محبة الله دوام ذكره، والدليل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[ سورة الأحزاب: 41-42 ]

أما المنافقون فلا يذكرون الله إلا قليلاً، المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، أما المؤمن فيذكر الله ذكراً كثيراً، لذلك ورد في الأثر: " براء من النفاق من أكثر من ذكر الله ".

البند الأول: أن تتبع سنة النبي صلى الله عليه و سلم.

البند الثاني: أن تكثر من ذكر الله.

هذه المقاييس أيها الإخوة الأكارم لها فائدة كبيرة، إن توافرت فيك فاطمئن قلباً، وإن لم تتوافر فشمّر، حبك لله يعني اتباع سنة رسوله، حبك لله يعني دوام ذكره، ابن آدم إنك إن ذكرتني شكرتني، وإذا ما نسيتني كفرتني، أية نعمة أنعمها الله عليك هل تشعر من أعماقك أنها من فضل الله ؟ النبي عليه الصلاة والسلام إذا خرج من الخلاء يقول: ((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في قوته وأذهب عني أذاه))، أن

تتمتع بقوتك، بسمعك، ببصرك، أن تعمل كليتك بانتظام، أن يكون كبدك سليماً، خمسة أمراض للكبد لا شفاء لها في العالم، التهاب الكبد الفيروسي قاتل، وحتى الآن ليس هناك شفاء، وحتى الآن لم تنجح عمليات زرع الكبد، فإذا كان الكبد سليماً، والكليتان، والقلب والرئتان، والدسامات، والعضلات، والأجهزة، والحواس الخمس، هذه نعم عظي، لذلك من علامة محبة الله عز وجل أن تذكره، إنك إن ذكرتي شكرتي، وإذا ما نسيتني كفرتي.

لمجرد أن تذكر أن هذه نعمة الله فهذا أحد أنواع الشكر، أما إذا امتلأ قلبك امتناناً له فهذا مستوى أعلى من أنواع الشكر، أما إذا قابلت نعم الله عز وجل بخدمات للعباد، ودعوة إلى الله عز وجل فهذا أعلى مستويات الشكر.

### ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾

[سورة سبأ: 13]

تعريف ثالث: الحب إثارة المحبوب في كل شيء، يعني جسمك يدعوك إلى الراحة، والنداء يدعوك إلى الصلاة، نفسك تدعوك إلى أن تنتقم، والله يأمرك أن تغفر، نفسك تدعوك إلى أن تطلق البصر، والله يأمرك أن تغض البصر، نفسك تدعوك إلى أن تأخذ، والله يأمرك أن تعطي، فإذا آثرت المحبوب في كل شيء فأنت والله محب لله عز وجل.

أول تعريف: اتباع رسول الله، ثاني تعريف: دوام ذكره، ثالث تعريف: إثارة المحبوب، وقال بعضهم: كراهية البقاء في الدنيا، الإنسان إذا اشتد حبه لله عز وجل يشفق للقاء الله عز وجل، ولا سيما في أواخر حياته، لذلك لا يتمنى إلا أن يلقي الله وهو مؤمن، قالت: بنت بلال: واكربتاه يا أبت، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة، محمداً وصحبه.

كيف القدوم على الله؟ كالعائب رد إلى أهله.

وقال بعضهم: المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب، تمتنع الألسنة عن التعبير عنه.

شيء لا يوصف، أحياناً يقول لك شخص: شعرت بسعادة لا توصف، شعرت أنني ملكت كل شيء، شعرت أنني متفوق، شعرت بطمأنينة ما بعدها طمأنينة، شعرت بسكينة ما بعدها سكينة، شعرت بقوة روحية ما بعدها قوة، شعرت أن الدنيا كلها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأن طاعة الله هي كل شيء، حقيقة المحبة معنى يعتلج

في النفس، ولا يقوى اللسان على التعبير عنه.

حينما درسنا خصائص اللغة، اللغة من خصائصها أنها أحياناً تعجز عن التعبير عما في النفس، قد يقول لك قائل: أنا أحب هذا الشيء، المحبة واسعة جداً، هناك محبة من أجلها يبذل الإنسان حياته.

فما حبنا سهل وكل من ادعى  
سهُولته قلنا له قد جهلتنا  
فأيسر ما في الحب للصب قتله  
وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

وقال الجنيد، وهو من العارفين بالله: حرم الله المحبة على صاحب العلاقة، وقال: كل محبة تكون بعوض، فإذا زال العوض زالت المحبة.

أحياناً الإنسان يتوهم أنه يحب الله على شرط أن يرزقه، يعزه، يعطيه، فإذا امتحنه الله امتحاناً يسيراً أنكر قلبه، ولوى عنقه، واضطربت مشاعره، الحب بلا عوض، فإذا كان بعوض كان معلولاً، ولم يكن حباً حقيقياً، إذا أحببت إنساناً لأنه ينفق عليك باستمرار، فإذا امتنع عن إنفاقه تركته، إنك تحب نفسك لا تحبه، تحب نفسك، لأنك قد جاءك منه خير كثير، فلما منع هذا الخير أعرضت عنه، فليس هذا حباً حقيقياً، الحب الحقيقي بلا عوض، فإذا كان بعوض فهو معلول، لذلك قال بعض العارفين:

وما مقصودهم جنات عدن  
ولا الحور الحسان ولا الخيام  
سوى نظر الحبيب شذى  
مناهم وهذا مطلب القوم الكرام

وقال بعض العارفين: إذا أحببت الله فاحذر أن تذلل لغيره، دائماً المحب ذليل أمام محبوبه، الذي يحب الله عز وجل يتذلل، وهو ساجد، ولكنه يأبى كل الإباء أمام غير الله، بقدر ما المحب متذلل لله عز وجل بقدر ما هو عزيز أمام غير الله، لذلك الله عز وجل وصف المؤمنين:

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

[سورة المائدة: 54]

نعومته، وتواضعه، خضوعه مع المؤمنين، أما مع غير المؤمن فهو عزيز، لذلك النبي قال:

((لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه)) ((وابتغوا الحوائج بعز الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير))

المحب من خصائصه أنه إذا سكت هلك من شدة حبه لله، لا يفتأ لسانه يذكر الله عز وجل، هناك شخص سلبني، ينسحب من المجتمع، لا يعنيه أمر الناس، لكن المحب لله عز وجل دائماً وأبداً يتحدث عن الله، يبين فضل الله، يشرح آيات الله، المحب إذا سكت هلك.

قالت رابعة يوماً لمن حولها: من يدلنا على حبيبنا؟ فقالت خادمة لها: حبيبنا معنا، ولكن الدنيا قطعتنا عنه.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾

[سورة الحديد: 4]

حينما التقت، وقلت: يا رب، يقول الله لك: لبيك يا عبدي، حيثما توجهت فالله معك، فحبيبنا معنا، ولكن الدنيا قطعتنا عنه، لذلك ورد أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وأن حب الدنيا يعمي ويصم، وأن الحب يحتاج إلى تفرغ. أوحى الله إلى بعض أنبيائه أنني إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا ملأته من حبي، وتوليته بحفظي، رأسمالك قلبك، والله عز وجل مطلع عليه دائماً.

((إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))

لذلك قالوا: القلب منظر الرب، وورد في الحديث القدسي:

((أن عبدي طهرت منظر الخلق سنين أفلا طهرت منظري ساعة))

القلب منظر الرب، والدليل:

﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء: 89]

قال إبراهيم بن الأدهم، وهو من المحبين: إلهي إنك تعلم أن أعظم العطاء أنك أكرمتني بمحبتك، وأنستني بذكرك، وفرغتني للتفكر في عظمتك.

إخواننا الكرام: إذا سمح الله عز وجل لنا نستمع إلى آياته تتلى، وسمح لعقولنا أن تجول في معاني الآيات، وقدر على يدينا أعمالاً صالحة فهذه من نعم الله العظمى، هناك أناس محبوبون، هناك أناس منشغلون في الدنيا، هناك أناس همهم طعامهم وشرابهم، همهم شهواتهم، وهناك أناس همهم معرفة الله، وهمهم طاعته، وهمهم فعل الخيرات، وترك المنكرات، همهم التقرب إليه، قال تعالى:

﴿يَمُتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾

[سورة الحجرات: 17]

إذا سمح الله عز وجل للإنسان أن ينفق، وكان من الممكن أن يجعله يأخذ، إذا سمح لك أن تعطي فغيرك يأخذ، وإن سمح لك أن تتلق بالحق، فغيرك ينطق بالباطل، وإن سمح لك أن تتصل به فغيرك يتصل بالقاذورات، إذا سمح لك أن تشكره فغيرك يشكر غيره، أن تذكره وغيرك يذكر غيره، يذكر إلهاً من دون الله.

يا رب إن أعظم عطاء أنك أكرمتني من محبتك، وأنستني بذكرك، وفرغتني للتفكر في عظمتك.

الإنسان أحياناً كل وقته ممتلئاً للدنيا، متى يصعق؟ حينما يأتيه ملك الموت، وهناك إنسان اقتطع من وقته الثمين وقتاً لمعرفة الله، لأن الله عز وجل قال:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[سورة الفرقان: 63]

معنى يمشون هوناً لا يسمح للدنيا أن تملأ قلبه، ولا أن تستحوذ عليه، ولا أن تشغله عن الله، ولا أن تستهلكه، لا يسمح لها، يمشي هوناً، هو يقتطع من وقته وقتاً لمعرفة الله في.

عندنا قاعدة، الإنسان الذي ليس في وقته وقت لمعرفة الله، أو ليس في حياته وقت فراغ فهذا الإنسان لا يحيا حياة إنسانية، أهم شيء في حياة الإنسان وقت الفراغ الذي يملأه بمعرفة الله، والدعوة إليه، وخدمة الخلق، أما لو ألغينا وقت الفراغ من حياة الإنسان، ألغينا وجوده، صار وجوده بهيمياً، طعام، وشراب، وعمل، ونوم، وطعام، وشراب، وعمل، ونوم، واستمتاع، إلى أن يأتي ملك الموت.

إخواننا الكرام: أي عمل يمتص كل أوقاتكم هو خسارة كبيرة، لأن هذا الوقت ثمين جداً، بل هو رأسمالك.

قال بعضهم: من أحب الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، يعني اضطرب، والأحمق يغدو ويروح في لا ش، في لا شيء والعاقل عن عيوبه فتاش.

العاقل يبحث عن عيوبه، والأحمق يغدو ويروح بلا شيء، ومن عرف الله عاش الحقيقة، الله عز وجل أثبت معرفة ظاهر الحياة الدنيا للكفار، لكن ما أثبت لهم معرفة أسرارها، قال تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[ سورة الروم: 7 ]

فمعرفة ظاهر الحياة الدنيا هذا أثبته للكفار، أما المؤمنون فيعرفون حقيقتها، لذلك:

((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، إلا أن يتزود منهما معاً، فإن الأولى مطية  
للثانية))

إخواننا الكرام: محاسبة النفس من سلوك الصادقين، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، الآيات التي تأمرنا بمحاسبة النفس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

[ سورة الحشر: 18 ]

العاقل يعيش مستقبليه، والأقل عقلاً يعيش حاضره، والغبي يعيش ماضيه، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

[سورة الحشر: 18]

ماذا أعددتنا ليوم القيامة من عمل صالح؟ يا بشر لا جهاد، ولا صدقة، فبم تلقى الله إذا؟

وهذا سؤال كبير جداً: يا رب أي عمل أعرضه عليك، وتقبله مني؟ كل واحد منا حجه عند الله بحجم عمله الصالح، ماذا قدمت للإسلام؟ كم من إنسان اهتدى على يدك؟ كم من إنسان أعنته؟ كم من إنسان دلتته على الله؟ كم من إنسان كنت سبباً في هدايته؟ أسأل نفسك هذا السؤال كل يوم: ما العمل الذي يمكن أن تعرضه على الله يوم تلقاه؟

والإنسان بالمحاسبة اليومية ينطلق إلى عمل صالح، لأن الحياة أحياناً تستهلكه، من عمل إلى عمل، من موعد إلى موعد، من لقاء إلى لقاء، من اجتماع إلى اجتماع، من صفقة إلى صفقة، من بلد إلى بلد، فجأة يرى نفسه قد اقترب من مغادرة الحياة الدنيا، ولا شيء معه، والله الذي لا إله إلا هو فيما أتصور أن الذي يشعر بدنو أجله، وليس له عمل صالح تأتيه أحزان وآلام لو وزعت على أهل بلد لكفتهم، شيء صعب عند المغادرة، الإنسان أحياناً يشعر بنفسه أنه نشيط، تغيب عنه ساعة المغادرة، لكن المغادرة آتية لا ريب فيها، الإنسان بلمحة واحدة يصبح خبيراً بعد أن كان شخصاً مهمماً.

هذه الآية مهمة جداً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

[سورة الحشر: 18]

ماذا أعددت؟ قال له: متى الساعة؟ قال: وماذا اعتدت لها؟ هل لك دعوة إلى الله عز وجل؟ هل تصل رحمك؟ هل تنفق من مالك؟ هل تأمر بالمعروف؟ هل تنهى عن المنكر؟ هل قدمت شيئاً للأمة؟ ساهمت في بناء مسجد؟ ساهمت في إعمار مسجد؟ أعنت على نشر الحق، ماذا فعلت؟

العطاء كبير جداً، فلو أن شخصاً مكنه الله عز وجل من هداية إنسان واحد خير له من الدنيا وما فيها، لكن هداية حقيقية، أحياناً يجره إلى الجامع جرّاً، ولا يعيدها، أخي أنا أحضرته، ولكن هو ما أراد أن يأتي، هذا يحتاج إلى تمهيدات، يحتاج إلى زيارات، يحتاج إلى إقناع، يحتاج إلى معاونة، أن يأتي إلى المسجد حياً منك ليست هذه هي الهداية، جهود متواصلة، منوعة، كثيرة، تقنعه، تدله، تعينه، تأخذ بيده، تتلطف معه، تقدم له هدية، تخدمه في شأن دنياه، تعطيه شيئاً يسمعه، تلقي عليه شيئاً يفهمه، إلى أن يميل إليك، ويأتي معك، ويستقر، أما تعال معي بنوع من الإيحاء فهذا لا يقدم ولا يؤخر.

سيدنا عمر هو الذي قال:، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.

في الخبر أنه جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام رجل قال: يا رسول الله، أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام:

**((أمتوص أنت؟ أنت تسألني أن أوصيك، قال: نعم، قال: إذا هممت إلى أمر فتدبر عاقبته))**

حدثني أخ من أيام عن شخص استهوته بلاد الغرب، فانتقل إليها، باع أملاكه، وأقام في عاصمة إحدى الدول الغربية، طبعاً طبيعة الحياة هناك جعلته ينحرف، وبالتالي انحرفت زوجته، وانحرفت بناته، حينما انحرف هؤلاء ما طاق ذلك نشبت الخلافات والخصومات إلى أن سكن وحده، وهجر زوجته، وأولاده، وتفلتوا كما يريدون، يقول لي صديق له: زرته يوماً، فإذا قارورة الحليب أمام الباب، لم تؤخذ في اليوم الثاني، قارورتان في اليوم الثالث، ثلاثة قوارير، أخبر الشرطة، اقتحموا البيت، فإذا هو ميت شر ميتة، وهو يشرب الخمر.

النبي قال:

**((إذا هممت إلى أمر فتدبر عاقبته))**

أحياناً الإنسان تستهويه بعض البلاد، لكن هل تدبرت مصير بناتك، مصير أولادك، هل تدبرت ساعة لقاء الله عز وجل؟ الناس يعيشون مع ما يستجد، يقول لك: أنا عندي مئتا محطة، مئة وسبعون، إلى ما بعد صلاة الفجر في قنوات المجاري، فإذا جاء ملك الموت

فجأة كيف يلقي الله عز وجل ؟ قال: يا رسول الله أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام

: ((أمتوص أنت ؟ أنت تسألني أن أوصيك، قال: نعم، قال: إذا هممت إلى أمر فتدبر عاقبته))

إذا أكلت مالا حراماً، ثم فضحت على صفحات الجرائد ما مصيرك ؟ صار أقل من أدنى مخلوق.

إن كان رشداً فأمضه، وإن كان غياً فانتبه عنه.

في الخبر: أنه ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات، ساعة يحاسب فيها نفسه.

أيها الإخوة الأكارم: الله عز وجل ذكر النفس اللوامة مثنياً عليها، أنت إذا ملكت نفساً لوامة فأنت إنسان مؤمن، المؤمن دائماً يسأل نفسه، لما سيدنا عمر كان يحرس قافلة مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وبكى طفل صغير، فقال لأمه: أرضعيه، فأرضعته، ثم بكى، فقال: أرضعيه، ثم أرضعته، ثم بكى، غضب سيدنا عمر فقال: يا أمة السوء أرضعيه، قالت: وما شأنك بنا ؟ إنني أطمه، قال، ولم ؟ قالت: لأن عمر - ولم تعرف أنه عمر - لا يعطينا العطاء إلا بعد الفطام، أي التعويض العائلي، يقولون: إن سيدنا عمر كاد أن يضرب نفسه، وقال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين ؟ ولما صلى الفجر في أصحابه صار يبكي بكاءً حيث لم يفهم أصحابه ماذا قرأ في الصلاة، ربي هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي، أم رددتها فأعزبها ؟. أنا أتمنى على كل واحد منكم أن يكون له ساعة يحاسب نفسه، أصبت، أخطأت، هل عملت عملاً يرضي الله، أم يغضبه ؟ هذه من أرقى الساعات، تصحيح مسار، المركبة الفضائية إذا رأوها انحرفت عن مسارها الصحيح يصححون مسارها، والمؤمن الصادق دائماً يصحح مساره، ويحاسب نفسه حساباً عسيراً، ويحاسب نفسه كل يوم، يحاسب نفسه على كل كلمة، وعلى كل سكرة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

من فضل الله علينا في الدنيا الخطأ يصحح، يتاب منه، الحسنة تمحو السيئة، يمكن أن تعين أخاك، يمكن أن تدفع صدقة، يمكن لهذا الذنب أن يمحي بعمل صالح، هذا معنى: للعاقل ساعة ينبغي أن يحاسب نفسه، قال تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة النور: 31]

التوبة نظر للفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إني لأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه في اليوم مئة مرة))

مئة مرة يستغفر، لذلك قال بعضهم: المنافق يبقى في حاله أربعين عاماً، والمؤمن يتبدل حاله في اليوم أربعين مرة، أحياناً يطمئن، ثم يقلق، ثم يرجو، ثم يخاف، ثم يتوسل، ثم يستغفر، ثم يناجي، يتبدل حاله لشدة اهتمامه بنفسه وبآخرفته في اليوم أربعين مرة.

قال تعالى في المحاسبة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

[سورة الأعراف: 201]

المعنى: في تذكر، وأنا لي كلمة مشهورة: ليس العار أن تخطئ، ليس العار أن تجهل، العار أن تبقى مخطئاً، والعار أن تبقى جاهلاً، كل بني آدم خطاء.

وكان عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالدرّة، يعني بالسوط، إذا جنه الليل، ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟ انظر إلى التاجر إذا كان بائعاً صغيراً، يفتح الدرج، كم الغلة؟ يقول: ثلاثة آلاف، أربعة آلاف، خمسة آلاف، إذا كان البيع مفزقاً أو مجموعاً، المبيعات اثنا عشر ألفاً، إذا كان تاجر جملة يسأل المحاسب: حجم مبيعاتنا كم في هذا الشهر، فكل إنسان بالتجارة يهمله حجم المبيعات، والمؤمن الصادق يهمله حجم أعماله الصالحة التي يسرها الله له.

وقال بعضهم: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريك بخيل مادي قاسي يعبد الدرهم والدينار، كيف يحاسب شريكه على الدققة أدق الحساب.

وقال بعضهم: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريك بخيل لشريكه.

عن السيدة عائشة أن أباهما رضي الله عنه قال لها مرة عند الموت: ما أحد الناس أحب إلي من عمر، ثم قال لها: كيف قلت؟ أعادت عليه ما قال، قال: ما أحد أعز علي من عمر، أما أحب من عمر فالله ﷻ.

للمصاحبة أفعال لا نقوى عليها نحن، أبو طلحة شغله طائر في صلاته، فبعد أن صلى جعل بستانه صدقة لله تعالى ندماً على ما فعل، ورجاء العوض مما فاته.

هناك مؤمن إذا كانت صلاته لم تعجبه يعيدها، إذا كان في الفاتحة غير مقبل على الله بها يعيدها.

ابن سلام كان وجيهاً من وجهاء قومه، حمل حزمةً من الحطب، قيل له: يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلماذك ما يكفيك هذا، قال: أردت أن أجرب نفسي هل تتكره؟

مرة يقول سيدنا عمر، وهو يخطب، وفي أروع موقف من خطابته، خاطب نفسه فقال: كنت عميراً فأصبحت، عمر، فأصبحت أمير المؤمنين، ما فهم أصحابه ما علاقة هذا الكلام بخطبته، فلما سألوه بعد الخطبة، قال: جاءتني نفسي، قالت لي: ليس بينك وبين الله أحد، أي

أنت قمة المجتمع، فأردت أن أعرفها نفسها.

وفي رواية ثانية في أثناء خطبته في مكان دقيق قال: كنت راعياً ترى الغنم على قراريط لأهل مكة، ما علاقة راعي قراريط، والآن خليفة المسلمين، قال: جاءتني نفسي فقالت: ليس بينك وبين الله أحد، فأردت أن أعرفها حجمها.

الإمام الحسن يقول: المؤمن قوام على نفسه، يحاسبها الله تعالى، وإنما خفّ الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا.

الآن في الدنيا إذا توقع الإنسان أن يكون عنده موظف تموين فكل المواد مسعرة، والفواتير كلها جاهزة، إذا حاسب نفسه، ودخل فجأة الموظف، أما الذي ما حاسب نفسه تأتيه خمس مخالفات، عشر مخالفات، فكلما حاسبت نفسك حساباً عسيراً كان حسابك يوم القيامة يسيراً.

المؤمن يفاجئه الشيء يعجبه، فيقول: والله إنك لتعجبني، وإنك لمن حاجتي، ولكن هيهات، حيل بيني وبينك، وهذا حساب قبل العلم، ثم قال: فيفرط في شيء فيرجع إلى نفسه، فيقول: ماذا أردت بهذا؟ والله لأعذر بهذا، والله لا أعود إليه أبداً.

عندنا حسابان، حساب قبل العلم، وحساب بعد العمل، قبل أن تقدم على عمل حاسب نفسك هل يرضي الله؟ إنسان فعل هذا العمل دون أن ينتبه، عندنا حساب بعد العمل، وطن نفسك على حسابين، قبل العمل حساب، وبعد العمل حساب.

مرة سيدنا أنس بن مالك سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد خرج حتى دخل حائطاً، أي بستان فسمعتة، يقول، وبينني وبينه جدار، وهو في البستان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين: بخ بخ، والله لتتقين الله، أو ليعذبنك. قال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألسنت صاحبة كذا؟ ذكرها بماضيها، ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى، فكان له قائداً، وهذا من معاتبة النفس.

الإنسان يجب ألا ينام قبل أن يحاسب نفسه، إذا حاسب نفسه معنى ذلك أنه يصح مساره، إذا غفل الإنسان عن محاسبة نفسه فأخطأه تزداد، لو فرضنا زاوية أولها الفرجة ميلي، ممد الخطين، صار سنتمتراً، خمسة سنتمترات، متراً، خمسة أمتار، أي زاوية كلما مدد خطوط الزاوية اتسعت الفجوة بين طرفي الزاوية، الإنسان إذا أدرك نفسه في البدايات فالقضية سهلة جداً.

قال بعض العلماء: التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح.

وقال إبراهيم التيمي: مثلت لي نفسي، وأنا في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، ثم مثلت لي نفسي وأنا في النار، آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها، وأغللها، قلت لنفسي: يا نفس أي شيء تريدان؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قلت: أنت في الدنيا فاعلمي صالحاً.

إذا حاسب الإنسان نفسه، وهو حي فالقضية سهلة جداً، إنسان اشترى قيراً، وجلس فيه كل خميس يتلو قوله تعالى:

### ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

يقول: قومي لقد أرجعناك، ما دام القلب ينبض فالقضية سهلة جداً، أنت الآن في الدنيا، في دار عمل ودار توبة، ودار تصحيح، ودار مغفرة، ودار محو خطايا، كل شيء يصحح، بالاستغفار، وإنفاق المال، بالاعتذار، بالمسامحة، كل شيء يصحح، فنحن أكبر نعمة أننا في الدنيا في تغيير، بعد التثبيت انتهى كل شيء، الدفتر مفتوح، وبعد أن ختم، وتقدم للمالية، انتهى، لا مجال، أما الآن فالدفتر بين يديك تمحو وتثبت.

قال بعضهم وقد صحب الأحنف بن قيس، قال: كنت أصحابه، فكان في صلاته يدعو، ويقول: يا حنيف - تصغير له - ما حملك على ما صنعت يوم كذا، وما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ يسمونه الحوار النفسي، أنا أعتقد أن الإنسان إذا نمت محادثته لنفسه هذا من علامة سعاده.

الحوار اليومي ترى الإنسان يسافر إلى بلد وحده، من دمشق إلى حلب، ماذا يفعل، هو في حديث نفس، لو أمكن أن يسجل خاطرته لكانت في مئة صفحة، مئتي صفحة، أذهب، لا أذهب، الآن ارجع، ماذا أفعل في البيت؟ مع أولاده، بعمله، بتجارته، هذا حديث النفس، لو استبدلنا طبعاً أكثر موضوعاته دنيوية، لو استبدلنا حديث النفس بمحاسبة النفس، وتقييم عملها، تفحص النية، تفحص الهدف، فالإنسان يرقى رقىاً سريعاً، فالأولى بالإنسان عوض أن تكون خواطره دنيوية لا معنى لها يجعل خواطره حساباً عسيراً لنفسه، قبل أن يحاسب. قال بعضهم: رحم الله امرؤاً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب على غيره.

الإنسان يتدرب، أما إذا قدم امتحاناً فما عاد يقيم نفسه، غيره يقيمه، لما كتب في الامتحان فهذه الورقة تقيم من قبل مصحح، أما في أثناء العام الدراسي يكتب، ويقيم بنفسه، ويعيد، ويحسن، ويتلافى الخطأ، هذا كله ضمن إمكاناته.

قال بعضهم: رحم الله امرؤاً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب على غيره.

رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله، فنظر ماذا يريد به، رحم الله امرؤاً نظر في مكياله، رحم الله نظر في ميزانه، رحم الله امرؤاً، فما زال يقول هذا حتى أبكاني، مقياسك مادي أو معنوي، أو روعي، تقيم الناس بما عندها من متاع الحياة الدنيا، أم بما عندها من متاع، وعلم؟ انظر إلى مكيالك، وانظر إلى الميزان، وانظر إلى بواعث العمل، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب.

نحن انطلقنا أول الدرس أن التفوق أن تجمع بين غذاء العقل وغذاء النفس، وضبط السلوك، الدين كليات ثلاث، كلية عقلية، غذاؤها العلم، وكلية نفسية غذاؤها العلم، وكلية نفسية غذاؤها الذكر، وكلية سلوكية غذاؤها أو ضبطها الشرع، والإنسان إذا تحرك على هذه الخطوط الثلاثة تفوق، أما إذا اعتنى بواحدة وأهمل الثانية، والثالثة تطرف، وغالى، ووقع في الغلو.

الفكرة الثانية: أن محاسبة النفس، ومحبة الله عز وجل هي حقيقة الجانب العاطفي، والجانب النفسي في الدين، وأول شيء قلته تذكيراً لمن لم يحضر في أول الدرس المحبة بتعريفها الجامع المانع الدقيق: اتباع رسول الله ﷺ، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران: 31]

المحبة: دوام نكر الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب: 41]

والمحبة: إيثار المحبوب فيما يحب ويرضى على ما تحب النفس وترضى.

أيها الإخوة الأكارم: أرجو الله سبحانه وتعالى أن نتوازن إذا ملأنا عقولنا علماً يجب أن نملأ قلوبنا ذكراً، الإنسان المتصل بالله هذا إنسان ينتشي بهذه الصلاة، الإنسان المتصل بالله يسعد بهذه الصلاة، ولا أبالغ إذا قلت: لعل هذه الصلاة هي جوهر الدين، ولعل هذه الصلاة أكبر ثمرة من ثمار الدين، والإنسان الموصول يسعد أيما سعادة، والإنسان المقطوع يشقى أيما شقاء.

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس (061 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة ما من .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-11-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام: مع طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ، ولكن هذه الطائفة لا يجمعها موضوع واحد، بل يجمعها بدء واحد، فهناك أحاديث كثيرة تبدأ بقول النبي ﷺ: مَا مِنْ .

وقبل أن نتابع، ونذكر بعض هذه الأحاديث ينبغي أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة اللغوية، كلمة (من) هنا تفيد استغراق أفراد النوع، إذا قلت: ما في هذا المجلس رجل إلا وله تعلق بالله عز وجل، هذا معنى، لو أن أحداً منكم كان غائباً لا يشمل هذا التعميم، أما إذا قلت: ما من رجل في هذا المسجد إلا وقلبه معلق بالله عز وجل، أنا استقصيت كل رواد هذا المسجد الحاضرين والغائبين، فإذا أردت أن تستقصي أفراد النوع فرداً فرداً، إن أردت ألا تستثني أحداً فلك أن تستخدم هذه الصيغة: (ما من)، في الحديث الصحيح عَنْ زَرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ فُلْتُ أَنْبِطُ الْعِلْمَ قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنَحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ حَتَّى يَرْجِعَ))

[ أحمد، الدارمي، ابن ماجه ]

الإنسان يخرج من بيته ليشتري حاجات، ليدوم في وظيفته، ليتاجر، ليزور صديقاً ليستمتع، ليروح عن نفسه، أما حينما تخرج من بيتك في طلب العلم فأنت الآن لك وضع خاص،

((إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ حَتَّى يَرْجِعَ))

الملائكة راضية عن هذا العمل، وأما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ))

أي يسرت أموره، لأن الذي في المسجد حوائجه مقضية، هم في مساجدهم، والله في حوائجهم، ومن اشتغل بذكر الله كفاه الله كل مؤنة، ومن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين، وأنت في بيت الله في ذمة الله، الله معك في بيت الله، وهو خليفتك في بيتك وأولادك وأهلك، إنسان في طلب العالم، إنسان يبتغي مرضاة الله عز وجل،

((مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ حَتَّى يَرْجِعَ))

فهذا الخروج إلى أن تعود أنت في رعاية الله، والله خليفتك في بيتك وأولادك وأهلك، وحوائجك مقضية، وكلمة ما من خارج أي إن أي خروج من البيت في طلب العلم، أي خروج ولو ذهبت إلى صديق يعلمك التجويد، هذا خروج في طلب العلم، لتتعلم أحاديث رسول الله، تفسير كتاب الله، سيرة رسول الله، أحكام الفقه، ما من خروج تخرجه من بيتك في سبيل طلب العلم إلا وضعت لك الملائكة أجنتها رضا لما تصنع، وضعت لك الملائكة أجنتها كناية عن رضاها، وكناية عن عونها لك، والله عز وجل يكلف الملائكة أحياناً بمعاونة المؤمنين .

حديث آخر، كما قلت قبل قليل: ليس هناك موضوع واحد يجمع هذه الأحاديث المختلفة إلا أن هناك بدءاً واحداً يجمع هذه الأحاديث، لأن بعض كتب الحديث مرتبة وفق حروف المعجم، وهذا الكتاب، الجامع الصغير من هذه الكتب التي رتب فيها الأحاديث الشريفة وفق حروف المعجم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنَ اللَّهِمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمَغْفَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))

[ ابن ماجه ]

يوجد دعاء آخر: العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا و الآخرة .

أي السلامة مطلب أساسي لكل إنسان .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّبْغِيِّ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ))

[ الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

أي الآخرة دار جزاء، دار عقاب، دار حساب، لكن هناك ذنوب يعذب صاحبها في الدنيا قبل الآخرة، بل إن المذنب يعذب مرتين، مرة في الدنيا ومرة في الآخرة:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّبْغِيِّ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ))

وقد تحدثنا كثيراً عن صلة الرحم، الله عز وجل جعل في نظام الإسلام تكافلاً اجتماعياً يجعل فلما أمرنا بصلة الرحم، كل إنسان مكفل بأقربائه، بإخوته، بأولاد أخواته، بأعمامه، بأولاد أعمامه، إذا تكفل كل منا بمن حوله أصبح المجتمع في ضمان، وهذا هو الضمان الاجتماعي الإسلامي، والأقربون أولى بالمعروف، والإنسان لا تقبل زكاة ماله للآخرين وفي أقربائه محاييج، من يعرفهم غيرك ؟ أنت وحدك تعرفهم، وقلت لكم من قبل كثيراً: إن صلة الرحم كبيرة جداً، بعضهم مسخها إلى أن تطرق الباب، وتزور أختك لربع ساعة، وترجع، أنا وصلت الرحم، الحقيقة صلة الرحم تبدأ بالزيارة، وتمر بالتفقد، أي تفقد أحوالها المعاشية، أحوالها الصحية، أحوالها الدينية، ثم تستمر بمعاونتها ومساعدتها، ثم تنتهي بهدايتها، فصلة الرحم تبدأ بالزيارة نتابع التفقد، والمساعدة نتابع بالهداية، عندئذ نكون قد وصلنا رحمتنا .

لأن كل شخص منا إذا تفقد أهله في كل الموضوعات، موضوع الهداية، موضوع المساعدة، موضوع تفقد الأحوال، التربية، التوجيه، هذا شيء خطير جداً فلذلك:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ))

احذروا البغي العدوان، البغي الظلم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾

[ سورة يونس: الآية 23 ]

يبدو أن بعض الذنوب ربما لا يعجل لصاحبها في الدنيا، يدخر عقابها في الآخرة، لكن ذنب قطيعة الرحم، ويوجد أحاديث أخرى تشير إلى عقوق الوالدين، عقوق الوالدين و قطيعة الرحم، و لبغي يعجل لصاحبها العقوبة في الدنيا .

و في حديث آخر يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة، والكذب، وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم، و يكثر عددهم إذا تواصلوا))

بالمقابل ما من عمل طيب أسرع ثواباً في الدنيا من صلة الرحم، والعوام يقولون: إن الذي يصل رحمه يوسع له في رزقه، الناس يعلمون هذه الحقيقة بالتجربة، بالوقائع، كل إنسان يتفقد أهله والأقارب والأباعد، ويعينهم، ويساعدهم، ويدعوهم إلى الله عز وجل، ويأخذ بيدهم إليه فهذا الإنسان مع هذا العمل الطيب لعل الله عز وجل يكافئه في الدنيا قبل الآخرة، إذأ علينا بالاستقامة على أمر الله، وصلة الرحم كي ننال الجزاء في الدنيا قبل الآخرة.

((وما من راكب يخلو في مسيره بالله وذكره إلا كان ردفه ملك، ولا يخلو بشعر ونحوه إلا كان ردفه شيطان))

أحياناً يسافر إنسان يسمع قرآناً أم غناء ؟ إن سمع القرآن فمعه ملك يسدده ويحفظه، وإن سمع الغناء فمعه شيطان،

((ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذكره))

أي يذكر الله في مسيره إما أنه يقرأ القرآن، أو يستمع إلى القرآن، أو يذكر الله ذكراً خفياً، أو يستغفر، أو يدعو، أو يوحد، أو يهمل، أو يكبر، أي يذكر الله عز وجل ....

((إلا كان ردفه ملك، ولا يخلو بشعر ونحوه إلا كان ردفه شيطان))

في أوقات الفراغ هذه يجب أن تملأ بذكر الله، لأن المؤمن يوم القيامة لا يندم على شيء قط كندمه على ساعة مرت لم يذكر الله فيها .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ مَالٌ لَا يُؤَدِّي حَقَّ مَالِهِ إِلَّا جُعِلَ لَهُ طَوْقًا فِي عُنُقِهِ شُجَاعٌ أَقْرَعٌ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَهُوَ يَتَّبَعُهُ ))

[ النسائي، الترمذي، ابن ماجه ]

كل إنسان له مال لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له طوقاً في عنقه هذا المال، وهو شجاع أقرع . الشجاع الثعبان الكبير المعمر . الثعبان إذا عمر سنوات طويلة جداً أصبح أقرع، فالشجاع الأقرع هو الثعبان المخيف:

((مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ مَالٌ لَا يُؤَدِّي حَقَّ مَالِهِ إِلَّا جُعِلَ لَهُ طَوْقًا فِي عُنُقِهِ . مَا هُوَ الطَّوْقُ . شُجَاعٌ أَقْرَعٌ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَهُوَ يَتَّبَعُهُ))

وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَمَا أُمِرَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ الْجُمُعَةَ وَيُنْصِتُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ))

[ البخاري، النسائي، أحمد، الدارمي ]

شيء جميل، إنسان اغتسل يوم الجمعة، وذهب إلى المسجد، وجلس بأدب جم، واستمع إلى الخطبة، وأدى صلاة الجمعة خاشعاً قلبه، وعاد إلى البيت، هذه الصلاة بهذه السكينة والوقار، وذلك الإخلاص كانت كفارة لما قبلها، الجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما .

((و ما من رجل يتعاضم في نفسه ويختال في مشيته إلا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان))

لأن الكبر يتناقض مع العبودية لله عز وجل، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، و

((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني شيئاً منها قصمته))، وفي رواية: ((أذقته عذابي، ولا أبالي))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ رَجُلٍ يَحْفَظُ عِلْمًا فَيَكْتُمُهُ إِلَّا أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ))

[ ابن ماجه ]

الحقيقة كتمان العلم خيانة، وتبانه أمانة، وأمانة العلماء التبيان، أمانة الأنبياء التبليغ، هناك أمانة التبليغ، وهناك أمانة البيان، النبي يبلغ، والعالم ينطق بالحق، وينقل عن رسول الله ﷺ ما علمه .

إذا وجد منكر، وأنت بأسلوب لطيف بينت الحقيقة، أي أدبت ما عليك، وانتهى الأمر، في مجلس، في ندوة، في سهرة، في نزهة، يوجد منكر قولي، أو منكر عملي، أو مخالفة للسنة، فإذا سكنت فأنت شريكهم في هذا الإثم، أما إذا تكلمت بأدب ولطف وحكمة فقد أدبت ما عليك، أما هذا فقد أدى ما عليه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعَاءٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ فَمَا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا أَنْ يُدَخَّرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَإِمَّا أَنْ يُكْفَرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ أَوْ يَسْتَعْجِلُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْجِلُ قَالَ يَقُولُ دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجَابَ لِي))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك ]

أيّ دعاء له استجابة، لأن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا بسط إليه يديه أن يردهما خائبتين، لكن لو أن إجابة الدعاء ليست في صالح المؤمن فالله ﷻ يؤخر الاستجابة، فما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم، أي ما لم يطلب معصية، إثمًا، مخالفة، أو قطيعة رحم، أو يستعجل، يقول: دعوت ربي فما استجاب لي، أي لم يصبر، استعجل، وقال: دعوت ربي فلم يستجب لي .

وفي حديث صحيح آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ وَمَنْ أَنْبَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

[ مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

كما بدأت في أول الدرس: خروجك من البيت إلى المسجد أنت في ذمة الله، والملائكة تضع أجنحتها لك، هذا الحديث يتم ذاك الحديث، وهذا الطريق ينتهي بك إلى الجنة، الطريق من بيتك إلى المسجد لطلب العلم هذا الطريق له تنمة، ينتهي بك إلى الجنة،

((مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ وَمَنْ أَنْبَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

وكما قال عليه الصلاة والسلام:

((أنا جد كل تقي و لو كان عبداً حبشياً))

قضية النسب من دون استقامة وإيمان لا قيمة لها إطلاقاً، إلا أن النسب إذا أضيف إلى الإيمان والاستقامة كان تاجاً للمؤمن، كان عليه الصلاة والسلام ذا نسب، أما النسب فيهدر حينما لا يستقيم الإنسان على أمر الله، الله عز وجل يقول:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)﴾

[ سورة المسد ]

وهناك نسب قصير يشمل كل المؤمنين، وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أنا جد كل تقي و لو كان عبداً حبشياً، و آل محمد كل تقي، كل تقي من آل محمد))

((ما من رجل يصلي عليّ مئة إلا غفر له))

نحن اتفقنا أن الورد:

((إني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة))

فإذا استغفر الإنسان مئة مرة، وصلى على النبي مئة مرة، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له مئة مرة جمع أفضل الذكر، الاستغفار والتوحيد والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام .

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((ما من رجلٍ يليّ أمرَ عشرةٍ فما فوقَ ذلكِ إلا أتى الله عزَّ وجلَّ مغلولاً يومَ القيامةِ يدهُ إلى عنقه فكهُ برُّهُ أو أوبقهُ إثمهُ أولها ملامةٌ وأوسطها ندامةٌ وآخرها خزْيٌ يومَ القيامةِ ))

[ أحمد ]

حديث دقيق، فكه: أي فك قيده بره وإحسانه وإنصافه وعدله، أوثقه إثمه: أي اليدان توثقان إذا كان آثماً، وتطلقان إذا كان باراً، أول هذه الولاية ملامة، فالإنسان إذا ولي أمر عشرة، أحياناً يكون رئيس دائرة تحت إمرته ربع الموظفين ينطبق عليه هذا الحديث، ينبغي أن يعاملهم بالعدل، ينبغي أن ينصفهم، ينبغي ألا يقرب أحدهم دون الآخر، ينبغي ألا يكلفهم ما لا يطيقون، هكذا .

هناك مسؤولية كبيرة، والذي يلي أمر عشرة مسؤول مسؤولية كبيرة، والسائل هو الله عز وجل، وقد قال عمر رضي الله عنه: (و الله لو أن بغلة في العراق تعثرت لحاسبني الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟) .

((ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة))

ندم أشد الندم، لأن الإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وهذا الوقت يمضي سريعاً، فإذا ملأته بعمل ينفعك بعد مضي الوقت فأنت من أسعد الناس، وإن استهلكته فأنت أندم الناس، وإن عصيت الله فيه أنت أخسر الناس .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ))

[ الترمذي، أبو داود، أحمد ]

أي حسن الخلق ذهب بالخير كله، يكاد الإيمان بالتعريف الجامع المانع يكون حسن الخلق، ويكاد الهدف من التدين حسن الخلق، وحسن الخلق ثمن الجنة، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وأكمل المسلمين إسلاماً أحسنهم خلقاً، وحسن الخلق ذهب بالخير كله، لذلك:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ))

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد، مالك ]

المصائب للمؤمن كفارات و لغير المؤمن عقوبات، المؤمن:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ))

هذا الحديث للمؤمن يملأ قلبه رضا، قال: مالك يا بنيتي؟ قالت: حمى لعننا الله، فقال عليه الصلاة والسلام:

((لا تلغنيها يا بنيتي، فوالذي نفس محمد بيده لا تدع المؤمن وعليه من ذنب))

شخص مرض، أصيب بوعكة، أصابته شوكة، جرح، وقع كسرت بعض عظامه:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ))

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))

[ أحمد ]

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا حَزَنٍ وَلَا وَصَبٍ حَتَّى الِهِمُّ يَهْمُهُ إِلَّا يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد ]

الهم، الحزن، التعب، النصب، هذا كله مكفرات للمؤمن، وفي الحديث القدسي:

((و عزتي و جلالتي لا أقبض عبدي المؤمن و أنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده، أو إقتاراً في رزقه، أو مصيبة في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدتني أمه))

العبرة أن تصل إلى الآخرة نظيفاً خالصاً إلى الجنة مباشرة .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

[ سورة الضحى: الآية 5 ]

الإنسان قد يكون غير راض، لكن المؤمن يتفاءل، لكن الرضا الحقيقي حينما ترى مقامك في الجنة:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

[ سورة الضحى: الآية 5 ]

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ))

[ الترمذي، أبو داود ]

عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا تَلَقَى مِنَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ:

((مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

[ البخاري، الترمذي، أحمد ]

الخط البياني للبشرية هابط، أي نحن قبل عشر سنوات لم يكن في العالم الفساد الذي في هذه الآن، وقبل عشرين عاماً لم يكن كما هو قبل عشر سنوات، لذلك:

((مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ))

[ مسلم، الترمذي، أبو داود، أحمد ]

أي يتعلق بأجهزة حديثة، أجهزة استقبال فضائية، تجد أنه قلب مئة وثمانين درجة، ترك الصلاة، في الخمسين من عمره ترك الصلاة، انغمس بعالم آخر .

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَدَانُ فَقِيلَ لَهَا مَا لَكَ وَلِلدَّيْنِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي آدَاءِ دِينِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَوْنٌ فَأَنَا أَلْتَمِسُ ذَلِكَ الْعَوْنَ))

[ أحمد ]

أي من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ))

[ مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

الإنسان أحياناً له أخ مؤمن يحبه حباً جماً، فمن شدة حبه وتعلقه به يدعو له بظهر الغيب، إذا سافر يقول: يا رب وفقه، إذا تاجر: يا رب وفقه، إن درس: يا رب أعنه على النجاح، فهذا الدعاء للمؤمن بظهر الغيب لا يرد، لكن هنا في الحديث:

((إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ))

فَأَيَّ دَعَاءٍ تَدْعُو بِهِ لِأَخِيكَ بظهر الغيب يقول لك الملك:

((ولك مثل ذلك))

عَنْ أَسْمَاءَ بِنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ قَالَتْ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ قَالَتْ وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَّقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ))

[ الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

شيء جميل، غلط، تكلم كلمة، حالت منه التفاتة فقام، وتوضأ، وصلى ركعتين، واستغفر الله إلا غفر الله له .

عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))

[ البخاري، مسلم، أحمد، الدارمي ]

معلم مدرسة عنده خمسون طالباً، هؤلاء رعيته، طبيب بمستشفى المرضى رعيته، موظف في دائرته الموظفين الذين بإمرته هم رعيته،

((فَمَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))

وأحياناً الدرس لا يلقي، يُقطع، أو ينهي المعلم الوقت بلا جدوى، هكذا متعب، يريد ألا يدرس، اكتبوا هذا السطر مئة مرة، ماذا أخذتم في هذه الساعة؟ هذا نوع من أنواع الغش، يوجد أساليب كثيرة يغش بها الإنسان من هم دونه، إما لأنه أقوى منهم، أو لأنهم لا يعلمون، يغشهم، أحياناً هناك مدرسون يلقي أحدهم الدرس، ويمشي، لا وظيفة، ولا مراجعة، ولا مذاكرة، ولا تفقد، ولا يعنيه من أمر الطلاب شيء إلا أن يلقي الدرس ويمشي، الطالب لا

يتعلم بالاستماع، يحتاج إلى تدريب، إلى ممارسة، إلى وظائف، إلى متابعة، إلى تقويم، فإذا الإنسان استرعاه الله على رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته حرم الله عليه الجنة .

عن مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ فَقُلْتُ لَهُ حَدِّثْنِي حَدِيثًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ قَالَ فَسَكَتَ ثُمَّ عُدْتُ فَقُلْتُ مِثْلَهَا فَسَكَتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ لِي عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ))

[ مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

كل سجدة لك بها عند الله عز وجل مرتبة .

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيَقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ))

[ ابن ماجه ]

أي ليكثر من صلاته على النبي عليه الصلاة والسلام .

عَنْ الْأَعْرَبِيِّ أَبِي مُسْلِمٍ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

حفت بهم الملائكة أي حفظتهم، عشيتهم الرحمة أي هذا السرور بالقلب، نزلت عليهم السكينة أي الطمأنينة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ))

[ الترمذي، أبو داود، أحمد ]

كل شخص ينتبه إذا سهر مع أصدقائه، مع أقربائه، يجب أن تذكر الله، يجب أن تذكرهم بالله، ذكرهم بآياته، ذكرهم بكتابه، برسوله، بسيرة رسوله، بأمره و نهيه، ذكرهم بالآخرة، لا بد من تذكيرهم بالله .

وهذا الحديث الشريف الصحيح من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ سَمِعَهُ يَقُولُ سُنِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْعَزْلِ فَقَالَ:

((مَا مِنْ كَلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مالك، الدارمي ]

أي باللقاء الزوجي يكون خمسمئة مليون حوين، البويضة تحتاج إلى حوين واحد، كيف عرف النبي هذه الحقيقة؟

((مَا مِنْ كَلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ))

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعًا أَوْ يَغْرِسُ غَرْسًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد ]

هل هناك من حديث أكثر دفعا للإنسان من أن يزرع ؟

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ ))

[ الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

يوجد حديث آخر:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))

[ أبو داود ]

وإن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، والإمام العادل، والعالم العامل، أي عالم يعمل بعلمه، إمام عادل ذو شيبة مسلم، إن أكرمت هؤلاء فكأنما أكرمت الله عز وجل،

((فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ أَوْ حُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ))

و عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجْلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عُوفِيَ))

[ الترمذي، أبو داود، أحمد ]

شيء دقيق، أنت أخ مؤمن، هذا أخوك تحبه لم يحن أجله، عدته في بيته، وهو مريض، قلت سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عوفي، أي لما الإنسان يأتيه من يعوده، وهو مؤمن، ويدعو له، ويشفى تتمن العلاقات بين المؤمنين .

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً ))

[ ابن ماجه ]

إذا أقرض الإنسان ألف ليرة تسجل له خمسمئة ليرة صدقة، فإذا أقرض ألفين تسجل ألفاً، أي نصف القرض صدقة من أجل التعاون، وبعض العلماء يقول: أجر القرض أكبر من أجر الصدقة .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ التَّقِيَا بِأَسْيَافِهِمَا إِلَّا كَانَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ))

[ ابن ماجه ]

لأن كلاهما كان حريصاً على قتل صاحبه .

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

مصافحة فيها حرارة، فيها ابتسامه .

عَنْ أَبِي دَاوُدَ قَالَ لَعِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَأَخَذَ بِيَدِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي قَالَ تَدْرِي لِمَ فَعَلْتُ هَذَا بِكَ قَالَ قُلْتُ لَا أَدْرِي وَلَكِنْ لَا أَرَاكَ فَعَلْتَهُ إِلَّا لِحَيْرٍ قَالَ إِنَّهُ لَعَيْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَعَلَ بِي مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتُ بِكَ فَسَأَلَنِي فَعُلْتُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتُ لِي فَقَالَ:

(( مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَفَرَّقَانِ حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا ))

[ الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

لقاء عادي، سلام، بشاشة، مصافحة حارة إلا غفر الله لهما .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ حَيْرٌ يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، أحمد، الدارمي ]

أي مهما تكن دنيا المؤمن عريضة إذا توفاه الله عز وجل لا يتمنى أن يعود إلى الدنيا، إلا الشهيد لعظم أجر الشهادة يتمنى، الشهيد وحده يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل ثانية في سبيل الله .

أيها الإخوة: هذه الأحاديث في موضوعات كثيرة جداً واضحة، والنبى عليه الصلاة والسلام أوتي الفصاحة، أوتي جوامع الكلم، فإذا شئت طبعاً هذه الأحاديث موجودة في الجامع الصغير، والجامع الصغير مرتب وفق حروف الهجاء، فلو وصلت إلى حرف الميم، ثم حرف الميم مع الألف، ثم حرف الميم مع الألف مع الميم، ثم مع النون، أي ما من ؛ كل هذه الأحاديث تأتي مسلسلة في كتاب الجامع الصغير، وكلام النبي عليه الصلاة والسلام حق من الله تعالى، لأن النبي:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾

[ سورة النجم ]

وكما قال سيدنا سعد - وأقول هذا كثيراً :

((ثلاثة أنا فيهن رجل و فيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس: ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى ))

لأن كلام النبي عند علماء الأصول وحى غير متلو، و هذه الأحاديث كلها صحيحة، الجامع الصغير فيه أحاديث موضوعة، وفيه أحاديث ضعيفة، لكن هناك من نقح هذه الأحاديث، وجعل كتاباً للجامع الصغير يقتصر على الصحاح فقط، وأما الموضوعات والضعاف فقد حذفته، فلذلك الإنسان لا بد أن يكون في بيته كتاب لحديث رسول الله، هذا مؤنس له، فإما أن يقرأ، ويفهم، و إما أن يسأل:

## ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[ سورة الفرقان: الآية 59 ]

## ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

وأنا أرحب أشد الترحيب أن تقدم الهدايا في عقود القران كتباً نافعة، فأنا لاحظت من مدة عندي مجموعة كتب ليست بالقليلة يمكن أن تكون مكتبة كلها جاءتني من عقود القران، فلو دفع مبلغ من المال ثمن كتاب قيم لكان أفضل، أسأل عالماً، أسأل خبيراً بالكتب، أريد كتاباً نافعاً، أحياناً يأتي المصحف، وهو كلام الله عز وجل، لكن لا يوجد بيت إلا و فيه خمسون مصحفاً، حينما يأتيك مصحف كهديّة من عقد قران فهذا المصحف على جلال قدره، وهو كلام الله عز وجل، لكن ما أضاف إلى بيتك شيئاً، لكن إذا وزع كتاب حديث، كتاب فقه مبسط، كتاب في مكارم الأخلاق، كتاب في السيرة لطيف، فقبل أن تدفع ثمن هدايا لعقد القران لابنتك أو لابنك فكر كثيراً في الشيء المناسب الذي يعود نفعه على المسلمين، فممكن أن يقدم كتاباً فيه أحاديث لرسول الله مختار ومنتقى، هذا كتاب نخر، أي هذا الكتاب في البيت يقرأ إن لم يقرأه الأب يقرأه الأم، يقرأه الولد، يقرأه زوجة الولد، كتاب في البيت له قيمة كبيرة جداً، لكن قبل أن تشتري الكتاب يجب أن تسأل الخبراء حتى يعطوك الكتاب النافع المفيد .

وأحياناً أجد مع بطاقة الدعوى إيصال بألف ليرة لبناء ثانوية شرعية، وهذا شيء جميل، أحد إخواننا عمل عقداً لابنته وزع مع كل بطاقة إيصالاً بألف ليرة، مجموع البطاقات مئتان و عشرين بطاقة، دفع المبلغ للثانوية مئتي وعشرين ألفاً، ساهم في بناء هذه الثانوية، هذا عمل خيري، أحياناً يوجد عقود قران لم يوزعوا هدايا إطلاقاً، مجموع الهدايا زوج بهما شابان مسلمان، والله هذا شيء جميل .

أن الأوان أن نتحرك حركة صحيحة، أن الأوان أن نتعاون، أن الأوان أن يأخذ القوي بيد الضعيف، أن الأوان أن ينفق الغني ماله في نفع المسلمين لا على المباهاة، أحياناً عقد قران يكلف عشرين مليوناً ببعض الفنادق، كم من شاب يتزوج بهذا المبلغ ؟ يوجد بيوت بالغوطة بمئتي ألف، ثلاثمائة، والأثاث خمسون ألفاً، قسم عشرين مليوناً على مئتين وخمسين ألفاً كم شاب يتزوج بها ؟ ثمانون شاباً قد سترتهم، في ليلة واحدة ينفق هذه الأموال على المعاصي و الفجور والمغنيات والراقصات والخمر، لذلك الإنسان ماله محاسب عليه، حتى لو عملت عقد قران متواضعاً، قدّم هدية ثمينة، أنا أرى الكتاب هدية ثمينة، أو أن تسهم في مشروع خيري، أيضاً هدية ثمينة، أو أن

تسهم في حل مشكلة لمسلم، زوج شاب .

أيها الإخوة الكرام: طبعاً أحياناً كما تعلمون يكون حديث واحد محور الدرس بأكمله، طبعاً في مثل هذا الدرس نعمق، نفصل، نأتي بالأدلة، بالاستدلالات، بالمضامين، بالأبعاد، بالأحكام، بالعبر، هذا الدرس من نوع خاص، أردت أن أضعكم أمام طائفة كبيرة من أحاديث رسول الله ﷺ كلها تبدأ بكلمة ( ما من )، بدأنا بما من رجل، ما خرج رجل من بيته يطلب علماً إلا سهل الله له طريقاً إلى الجنة، أرجو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا بما علمنا .

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (062 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة المؤمن.....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-11-1995

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام : لازلنا مع كتاب الجامع الصغير ، الذي رتبت فيه أحاديث البشير النذير وفق حروف الهجاء ، فلماذا الكتاب ميزة ، أنك تنتقل من موضوع إلى موضوع دون أن تتقيد بموضوع واحد ، ولكن الذي يجمع كل الأحاديث أنها تبدأ بحرف واحد ، وقبل أن نبدأ في ذكر بعض الأحاديث الشريفة في فصل المحلى بأل من حرف من ، أريد أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة :

لو دخلت إلى مكتبة ، ونظرت إلى مئة ألف كتاب ، أو إلى عشرات مئات الألوف من الكتب ، ليس في هذه الكتب كلها إلا كتاب واحد ، إذا قرأته أنت على يقين قاطع أن كل ما فيه صحيح ، هذا الكتاب هو كتاب حديث رسول الله ، بسبب بسيط ، هو أن الله سبحانه وتعالى عصمه ، النبي معصوم من أن يخطئ ، لو أن الإنسان تلقى توجيهاً ، أو قرأ حقيقة ، أو فكرة من كتاب لغير النبي صلى الله عليه وسلم فاحتمال الخطأ وارد ، الإنسان إذا أخطأ في أمور معاشه فالقضية محصورة ، أخطأ في شراء بيته ، يباع البيت ، أخطأ في اقتناء مركبته ، تباع المركبة ، أما إذا أخطأ في أثن شيء يملكه ، ألا وهو قلبه ، ودينه ، فهذا خطأ مدمر ، فالإنسان أحياناً يتلقى توجيهات من جهات عديدة ، هذه التوجيهات فيها الصواب ، وفيها الخطأ ، فلو أن الإنسان لم يعتمد حديث رسول الله ﷺ فقد وقع في خطأ كبير ، هو أنه قامر بدينه ، الدين كما قال عليه الصلاة والسلام :

((دينك دينك إنه لحمك ودمك خذ عن الذين استقاموا))

فالنبي عليه الصلاة والسلام هو سيد الخلق ، وحبیب الحق ، لذلك سيدنا سعد حينما قال :

((ثلاثة أنا فيهن رجل ، وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس ، ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى))

لذلك أحاديث النبي ﷺ لو مضى عليها ألف عام ، وألفا عام ، ومئة ألف عام حقائقها لا تتبدل ، ولا تتغير ، وما من انحراف ، وما من مشكلة تصيب البشرية إلا بمخالفة منهج رسول الله ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، وصف جامع مانع ، لا ينطق عن الهوى ، أناس كثيرون بل عن معظم الناس إذا نطقوا نطقوا عن الهوى ، يعني عن مصالح ، عن غرائز ، عن ميول ، عن شهوات ، عن نوايا خبيثة ، ينطق عن الهوى ، لكن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى ، من هو السعيد ؟ هو الذي اهتدى بهدي النبي ﷺ في زواجه ، اهتدى بهدي النبي في عمله في تجارته ، اهتدى بهدي النبي في شؤون صحته ، اهتدى بهدي النبي في علاقاته ما من إنسان يهتدي بهدي النبي ﷺ إلا أفلح ، وريح ، وفاز وتفوق .

الآن الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم :

((المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر))

[ مسلم ]

من أجل تمتين العلاقة بين المؤمنين من أجل أن يكون المؤمنون صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، من أجل أن يكون مجتمع المؤمنين مجتمعاً متماسكاً ، من أجل أن تشعر بأخوة الإيمان لا ينبغي أن تفعل شيئاً يضعف هذه العلاقة ، كأن تبتاع على بيع أخيك ، أو أن تخطب على خطبة أخيك ، أو أن تغتاب أخاك ، أو أن تحقره ، أو أن تخذله ، أو ألا تلبى دعوته ، دققوا ، أي شيء يضعف العلاقة بين المؤمنين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها أي شيء على الإطلاق يضعف ويفرق ، ولا يؤلف ، ويوهن هذه الجسور التي بين المؤمنين ، النبي ﷺ نهى عنها ، وأي شيء يقوي هذه العلاقة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها ، يقويها إفشاء السلام ، يقويها أن تعود أخاك المريض ، يقويها أن تهنئه ، يقويها أن تعزيه ، يقويها أن تواسيه ، يقويها أن تقرضه ، يقويها أن تعاونه على أمر دينه ودنياه ، يقويها أن تتصحه ، يقويها أن تبش له ، يقويها أن تبذل له ، مبدأ العلاقات بين المؤمنين ، كل ما من شأنه أن يقوي هذه العلاقة فقد أمر الله به ، كل ما من شأنه أن يضعفها نهى الله عنه ،

فلذلك أنت حينما تتبع منهج النبي ﷺ فأنت في بحر الأمان ، أنت في سلام مع نفسك ، ومع الناس ومع ربك ، لأن الله سبحانه وتعالى أراد أن نطيعه ، أردنا بنص القرآن الكريم :

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾

[ سورة الحشر : 7 ]

أنت مأمور من قبل الذي خلقك أن تتبع هذا النبي صلى الله عليه و سلم ، لأن الله عصمه ، وتولى حفظه ، تولى حفظ كتابه ، وتولى حفظ سنة نبيه ، وأمرك أن تتبعه ، وأدق مثل حديث رسول الله ﷺ يشير بشكل أو بآخر إلى تعليمات الصانع فأنت حينما تتبع سنة النبي ﷺ فأنت تطبق تعليمات الذي خلقك .

فإنسان اشترى حاجة ، أو باع حاجة ، قال لك شخص : أنا أبيعك أرخص من هذا ، أرجع له هذه الحاجة ، وتعال ، وخذها من عندي ، هذا موقف نهى عنه النبي صلى الله عليه و سلم ، لا تشتتر على شرائه ، ولا تبع على بيعه ، ولا تنافسه ، المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، إنسان خطب امرأة من بيت ، يدخل على الخط ، أنا أغنى ، أنا بيتي ملك ، أنا دخلي أكبر ، ما لكم وله ، ارفضوه ، ووافقوا علي ، هذا خطب على خطبته ، فالخطبة ، والبيع لا ينبغي إلا أن ينتهي البيع ، وافقوا أو لم يوافقوا ، عندئذ ادخل ، أنا ما أردت هذه الحادثة بالذات ، أردت أن كل ما من شأنه أن يضعف العلاقة بين المؤمنين نريد أن نبتعد عنه ، وكل ما من شأنه أن يقوي العلاقة بين المؤمنين يجب أن نفعله ، عندئذ يرضى الله عنا .

حديث آخر ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ))

[ مسلم ، أحمد ، ابن ماجه ]

لماذا الحقيقة القوة وحدها ليست مستحبة أن تكون بيد غير المؤمن ؟ لأن غير المؤمن متقلت ، بلا منهج ، محرك مندفع بلا مقود ، والطريق منعطفات ، فالحادث حتمي ، فالقوة إذا كانت بيد المؤمن فهو راشد ، هو حكيم، له منهج يسير عليه في حياته ، منظومة قيم ، افعل ولا تفعل ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

قوي بماذا ؟ المال قوة ، والعلم قوة ، والقوة قوة ، أن تكون في منصب حساس ، أحياناً مدير مخبر يبني على هذا المخبر غذاء المسلمين ، فأبي عينة مغشوشة يؤتى بها لهذا المخبر ، وتحصص ، فلو تواطأ صاحب هذا المخبر مع إنسان ما من دفع الثمن ؟ عامة المسلمين فأحياناً في مناصب حساسة ، فإذا كنت عالماً تحمل شهادة عليا ، تفوقت في عملك ، وصلت إلى هذا المنصب ، فهذا المنصب فيه خدمة للمجتمع ، فإذا كنت مستقيماً نزيهاً فلا تباع ، ولا تشتري ، كنت خير من يتولى هذا العمل ، فالمنصب قوة ، والمال قوة ، والعلم قوة ، فكلمة قوة شاملة، طبعاً العالم غير الجاهل ، الخبير غير الجاهل ، وصاحب المال هو الذي بماله يفعل الأعمال الصالحة ، ورد في حديث قدسي :

(( أحب ثلاثاً ، وحبى للثلاث أشد ، أحب الطائعين وحبى للشباب الطائع ، أشد أحب الكرماء وحبى للفقير الكريم أشد ، أحب المتواضعين وحبى للغني المتواضع أشد ، وأبغض ثلاث وبغضى لثلاث أشد ، أبغض العصاة وبغضى للشيع العاصي أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض البخلاء وبغضى للغني أشد))

فالمؤمن القوي ، هذا الكلام للطلاب ، حينما تتال شهادة عليا هذا مركز قوة لك ، قد يتاح لك أن تخدم المجتمع بشكل جيد ، يتاح لك أن تظهر أمام الناس ، أن تظهر عظمة هذا الدين ، متعلم مثقف ثقافة عالية ، لكن سياجاً من القيم يحكم أعمالك ، لا تتصور مقدار شأن الإنسان المتعلم والأخلاقي بأن واحد ، الناس لا يحبون هذا الإنسان الطيب الجاهل ، أو ذاك المتعلم الفاسق ، نموذجان كريهان ، مثقف ثقافة عالية ، لكنه زنديق ، لا شيء يحكمه ، أو طيب القلب ، لكنه جاهل ، ما الذي يلفت نظرك ، وينتزع إعجابك ؟ أن ترى إنساناً على مستوى عال من الثقافة ، وفي الوقت نفسه على مستوى عال من الأخلاق والانضباط .

## ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

فرق مئة بالمئة ، محلان تجاريان ، واحد صاحبه مؤمن ، والثاني شارد ، إذا فتح المؤمن المحل ، وقال : نويت خدمة المسلمين ، هل تصدقون أن كل حركاته وسكناته ، وبيعه ، وشرائه ، وعقد صفقاته تحسب له أعمالاً صالحة ، أنت حرفتك ، صنعتك ، اختصاصك ، كونك موظفاً ، كونك مدرساً ، كونك طبيباً ، كونك صاحب معمل ، كونك تعمل بالأعمال الحرفية ، كونك بالأعمال الخدمية ، كل إنسان إذا أتقن عمله ، ونوى به خدمة المسلمين انقلب إلى عمل صالح ، لذلك الأعمال العادية التي يقهر الناس على فعلها هي عند المؤمن أعمال صالحة ، نويت خدمة المسلمين ، إذا بعث المسلمين سلعةً جيدةً ، بسعر معقول ، ببشاشة في وجهك ، فأنت تفعل عملاً .

أنا سمعت في بلد إسلامي إندونيسيا ، هذا البلد الآن أكثر من مئتي مليون يفوق العالم العربي كله ، هذا البلد سبب إسلامه هو التجار المسلمون ، ما فتح بالسيف ، ولا بالمعارك ، فتح من خلال التجارة ، فالمؤمن القوي ، الكلام للطلاب ، أنت طالب تفوق بالتجارة ، تفوق بالصناعة ، والحقيقة سأقول لكم كلمة أرجو الله سبحانه وتعالى أن تقع في قلوبكم موقعاً حسناً : الناس لا يحترمون دينك إلا إذا تفوقت في عملك ، الإنسان المهمل الذي يعد أمره فرطاً ، المؤجل ، المرجئ ، غير المتقن ، الذي يسبب من حوله ، هذا الإنسان لا يحترم دينه ، هذا الإنسان يبعد الناس عن الدين ، هذا الإنسان يفسر الناس أن تخلفه بسبب دينه .

فلذلك أيها الإخوة الأكارم : التفوق أحد أسبابه أن يرضى الله عنه ، أن تجذب الناس إلى الدين ، وأنت ساكت ، بانضباطك ، بعفتك ، بنظافتك ، بإخلاصك ، بصدقك .

## ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

هناك أطباء ، وجراحون ، ومهندسون ، وأصحاب حرف ، وأصحاب معامل ، وإنسان متقن عمله إتقاناً كاملاً ، هذا المتقن ينتزع إعجاب الناس ، فإذا رآه متديناً ربطوا تفوقه بتدينه ، فعرفوا أن الدين هو سبب سعادة الإنسان ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام حكيم ، ومرّبٍ قال :

(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ))

إذا ما كان الإنسان قوياً ، أنا في خطب سابقة فرقت بين فقر الكسل ، وفقر القدر ، هناك فقر أساسه الكسل ، ولكن هناك فقر أساسه القدر ، طرقت كل الأبواب ، سلكت كل السبل ، اتخذت كل الأسباب ، وشاء الله لك أن تبقى فقيراً ، هذا الفقر أسميه وسام شرف ، هذه مشيئة الله ، والمؤمن يحترم مشيئة الله ، ويرضى بقضائه وقدره ، طرق كل الأبواب ، سلك كل السبل ، اتخذ كل الأسباب ، لكن حكمة الله شاءت له أن يبقى فقيراً ، هذا اسمه فقر القدر ، فقر القدر غير فقر الكسل ، فقر القدر فيه حكمة ما بعدها حكمة ، قال تعالى :

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾

[ سورة الشورى : 27 ]

هو العليم ، هو الخبير ، هو الذي يعلم ، ونحن لا نعلم ، هو الحكيم ، ونحن لا نعلم ، لذلك أجمل آية في هذا الموضوع ، والله إذا قرأها المؤمن يجب أن يقشعر جلده ، قال تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة البقرة : الآية 166 ]

ربنا عز وجل أحياناً يمتحن معرفتك به ، يمتحن عبوديتك ، يأتي الشيء غير مألوف ، غير معقول ، غير مستحب ، مرفوض ، أنت بعلمك بالله ، وبإيمانك به تقول : الحمد لله على كل حال ، حمداً لله ، يا رب ، أنا راض بقضائك وقدرك ، ثم يكشف الله عز وجل الحكمة البالغة من هذا الفعل الإلهي ، عندئذ تذوب حباً لله ، واستسلاماً ، ورضاءً بقضائه وقدره .

(( وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ))

أنت ما كنت قوياً ، لا لكسل ألم بك ، ولكن لقضاء وقدر نزل بك ، الآن سأوسع الموضوع هناك فقر الكسل ، وفقر القدر ، إذا ما كان الشخص قوياً ، كان سقيماً ، ما كان قوياً ، كان ضعيفاً ، ما كان قوياً ، ما أتيح له أن يتعلم ، ذكرت قبل قليل قوة العلم ، وقوة المنصب ، وقوة المال ، أحياناً أنت أستاذ جامعة ، أستاذ كرسي الكيمياء

الحيوية ، أنت مؤمن ، لن تخطئ في عملك ، سوف تدرس الطلاب بإخلاص ، وسوف تقيم ميزاناً دقيقاً فيما بينهم ، لا تحاب أحداً ، كل إنسان مؤمن وصل إلى مركز من فضل الله عليه أن هذه المركز يشرف به لنزاهته ، واستقامته ، الآن إذا ما أتيح للإنسان أن يصل إلى هذا المركز ، شاءت حكمة الله أن يكون ضعيفاً ، فقيراً ، غير متعلم ، غير قوي ، ماذا يفعل ؟ نقول : هذا وسام شرف ، هذا فقر القدر ، هذا يشف عن حكمة بالغة عرفتها أم لم تعرفها ، أما دقة كلام النبي عليه الصلاة والسلام ، والنبي كلامه يسع الناس جميعاً :

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ))

إذا كنت مؤمناً فأنت على خير ، وأنت عند الله مقرب ، ولو كنت ضعيفاً ، أما إذا كنت قوياً ومتاح لك أن تفعل خيراً أكبر ، كطبيب فتح عيادة يوم الجمعة للمرضى الفقراء مثلاً ، لو ما كان طبيباً لم يتمكن من هذا العمل الطيب ، إنسان معه اختصاص ، محام وجد إنساناً ضعيفاً فنصره ، هو يعلم بالقوانين أوصله إلى حقه ، إنسان مختص بالرياضيات ، وابن أحد أصدقائه ضعيف في هذه المادة ، اختصاصه أتاح له أن يفعل خيراً ، القوة تتيح لك أن تفعل الخير ، النقطة الدقيقة كلام الله عز وجل حينما حدثنا عن قارون ماذا قال له قومه ؟

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾

[سورة القصص : الآية 77]

والله هذه الآية الله ماذا آتاك ؟ آتاك علماً ، وظف هذا العلم في الحق ، آتاك مكانة رفيعة ، وظفها في نصرته الضعيف ، آتاك مالاً ، وظفه في عون الفقراء والمساكين ، فالمؤمن العاقل وهو في الدنيا يوظف كل حقوقه في سبيل الله ، قال تعالى :

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾

[سورة القصص : الآية 77]

ثم يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ))

في هذا الحديث شيء دقيق ، الإنسان أحياناً يستسلم لواقعه ، يقول لك : الوضع غير سليم ، الأمور كلها غير صحيحة ، يستسلم ، العصر فسد ، لا يربي أولاده ، يقول : العلم ما يأتي بالخبز ، يبقي أولاده جهلة ، أحياناً الإنسان يستسلم ، النبي ما قال هكذا ، قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ))

تحرك ، اسع ، فإذا غلبك أمر فقل : حسي الله ونعم الوكيل .

أنا لا أقول لكم : يجب أن يكون أولادكم أطباء ، لكن أعرف أسرة الابن عاد الكفاءة يعيدها أربع مرات ، والبيكالوريا ثلاث سنوات ، وأمه مصرة على أن يكون طبيباً ، وصار طبيباً ، إصرار عجيب ، وحملته على أن يكون طبيباً ، وصار طبيباً .

قلت لكم : أحد شيوخ الأزهر كان أمياً ، حاول أن يتعلم القراءة والكتابة ، وجد جبالا أمامه ، وتقدم في السن ، ستة أربعين عاماً ، وهو جالس بمكان وجد نملة صعقت على الحائط ، ثم وقعت ، ثم أعادت الكرة ، ثم وقعت ، عد محاولاتها فكانت أربعين محاولة ، فاستحيا من ربه ، نملة تصر هذا الإصرار ، وتلح هذا الإلحاح ، فطلب العلم ، وأصر على بلوغه ، وما مات إلا بعد توليه منصب شيخ الأزهر ، هذا غير الأنصار ، هذا الذي قال : أين الأزعر ، ركب دابته من إحدى قرى الصعيد ، واتجه إلى القاهرة ، وسأل : عن الأزعر ، فقال له رجل : ما الأزعر ، هذا اسمه الأزهر الشريف ، ذاك في الخامسة والخمسين من عمره ، تعلم القراءة والكتابة ، وتعلم قراءة القرآن ، وطلب العلم ، وما مات وهو شيخ الأزهر ، مات بالسادسة والتسعين .

الإنسان أيها الإخوة عنده طاقات لا يعلمها إلا الله ، لكن الواحد لا يكسل ، فتضعف همته ، هناك أدلة كثيرة ، الثاني نملة علمته أربعين محاولة .

زارني أخ من مدة ، أنا لا أعرفه سابقاً ، يسمع بعض الأشرطة ، قال لي : أنا من يومين أخذت نتيجتني ، معي ليسانس لغة عربية ، والحمد لله ، قال لي : أنا عمري سبعين سنة ، دخلت الجامعة في السن بالسادسة والستين ، وأخذ في السبعين ليسانس لغة عربية ، ما هذه الهمة ، همة عالية ، استعن بالله ، ولا تعجز ، لا تقل : راحت علي ، عند الكبرة جبة حمرة ، لا تقل هذا الكلام ، هناك متسع ، والله كريم .

سيدنا زيد الخير قدم إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، علم بدعوته ، فقدم ، سمع خطبته أعجب بها ، النبي صلى الله عليه و سلم أحبه ، دعاه إلى بيته ، قال : من الرجل ؟ قال : أنا زيد الخيل ، كان من الشخصيات اللامعة بالجاهلية ، كريماً وجميل الصورة ، وطويل القامة ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : بل أنت زيد الخير ، لا زيد الخيل ، أول شيء النبي غير له اسمه ، قال له : لله درك يا زيد ، ما وصف لي أحد فرأيته إلا كان دون ما وصف لي إلا أنت يا زيد ، جلس مع النبي صلى الله عليه و سلم قليلاً ، وقدم له وسادة لينكئ عليها ، فقال هذا الإنسان حديث العهد في الإيمان : والله لا أتكئ في حضرتك ، وقال : يا رسول الله مرني ماذا أفعل ؟ أعطني ثلاثمئة فارس لأغزو لك بها الروم ، فقال له النبي : لله درك يا زيد ، أي رجل أنت ، ثم غادر بيت النبي صلى الله عليه و سلم ، واتجه إلى قبيلته ، وفي الطريق جاءته المنية ، كان إسلامه من يومين أو ثلاثة ، لكن مات على الإيمان .

الإنسان لا يقل : أنا كبرت ، راحت علي ، اطلب العلم ، أشرف عمل على الإطلاق أن تطلب العلم ، العلم نور ، العلم سلاح ، العلم حارس ، حياة العالم بالله ، بأمر الله حياة راقية جداً ، كيف أن قطعة لحم - وأنت جائع جداً - مشوية ، وقطعة لحمة متفسخة ، والقطعتان لحم ، ولكن شتان بين القطعتين ، هناك إنسان كالجيفة ، روائحه تصعد مئة متر ، إنسان بذيء ومزحه رخيص ، كبره ، استعلاؤه ، قلبه القاسي ، مثل الجيفة ، وهناك إنسان تشتهي أن تجلس معه ، تشتهي أن يعاملك ، تشتهي أن يكون معه .

## (اخرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ)

لا تقل : لا أستطيع ، الزمن صعب ، يا أستاذ لا إمكان ، الاستقامة صعبة جداً ، ماذا نفعل ، نحن مثل الناس ، هذا كلام العجز ، كلام الخور ، كلام الضعف ، كلام الخنوع ، ممكن أن تكون في أفسد بيئة صالحاً ، ممكن أن تكون عالماً ببيئة جهلة ، ممكن أن تكون أخلاقياً ببيئة لا أخلاقية ، والشواهد كثيرة جداً ، هناك فتيات يعملن في الفن ، ويعملن في مستنقع آسن تاب الله عليهم ، وتحجن ، وصرن مؤمنات ، قانتات ، ممكن ، لا تعز لبيئتك السبب ، البيئة لها أثر ، لكن ليس لها كل الأثر ، لا تعز قصورك إلى تربيتك البيئية ، أبي ما ربانا ، رب نفسك أنت ، أبي ما أعطانا ، اجتهد ، المحيط الذي حولنا فاسد ، أنت كن صالحاً .

أنا الذي أريده حقيقة ، والله عرفتها من أمد طويل ، التعبير عنها دقيق ، كلنا ضعاف ، الله قوي ، كلنا فقراء ، الله غني ، كلنا لا نعلم ، الله الذي يعلم ، أما إذا أردت الحق ، وأصررت عليه يعينك الله ، إذا أردت الاستقامة يعينك الله عليها ، إذا أردت أن تحصن نفسك الله عز وجل يستجيب لك ، أنت لا شيء بالأساس ، لا شيء فعلاً ، وليس أدباً مع الله ، فعلاً لا شيء ، والله كل شيء ، أنت ليس عليك إلا أن تطلب بصدق ، فإن طلبت بصدق أنالك الله مرادك ، إذا كان عندك قدرات ذاتية ضعيفة يمكن أن تضعف معها ، لو أن لك إمكانيات محدودة يمكن أن تضعف معها ، أنت لا شيء ، والله كل شيء ، الفرق بينك وبين المتفوق أنه أراد ، وأنت لم ترد ، قضية إرادة فقط ، لو أردت الخير وصلته ، لو أردت العلم أعانك الله عليه ، لو أردت أن تنفق المال أغناك الله ، لو أردت أن تعلم الناس علمك الله ، لو أردت أن تكون خيراً أكرمك الله ، أنت لا شيء بالأساس ، كلنا لا شيء ، والله كل شيء ، لكن الله يستجيب بقدر صدقك ، الله عز وجل لا يتعامل مع التمنيات ، التمنيات لا شأن لها عند الله إطلاقاً ، قال تعالى :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾

[سورة النساء : الآية 123]

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾

[سورة الإسراء : الآية 19]

تحرك ، اطلب العلم ، اخرج من بيتك ، يا رب اهديني ، لو قال الإنسان : اهديني ، واهد بي ، ألا يهديه الله ؟ يا رب دلني عليك ، ودلني على من يدلني عليك ، ألا يدلله الله عليه ؟ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

[سورة العنكبوت : الآية 69]

الله عز وجل يخلق من الضعف قوة ، من المحدودية في التفكير عبقرية ، من الخطأ ينتج الصواب ، أحياناً الإنسان لا ييأس ، أنا أريد من هذا الدرس ومن هذا الحديث بالذات لا تضعف ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ﴾

[سورة آل عمران : الآية 139]

أنت الله معك ، خالق الكون معك ، وما من إنسان يبتغي وجه الله بعمل صالح ، بطلب علم إلا أكرمه الله عز وجل ، أعرف أخصاً كريماً يعمل مدرس لغة إنكليزية ، وتقاعد ، وصار في الخامسة والخمسين ، اشتهد أن يقرأ القرآن ، وأن يحفظه ، الآن يقرأ كتاب الله كله ، ويحفظه في الخامسة والخمسين ، يقول لك : العلم في الكبر كالكتابة على الماء ، ليس صحيحاً إذا أصررت ، اقرأ كتاب الله ، اطلب العلم ، اعمل عملاً ، دائماً هناك حديث يؤرق المؤمن ،

((يا بشر لا صدقة ولا جهاد ، فبم تلقى الله إذا؟))

هذا السؤال الدقيق ، مستقيم ، لكن أنت حينما تصل إلى ملاقاته الله عز وجل ما العمل الذي بين يديك ؟ ما العمل الذي سوف تقدمه لله عز وجل ؟ يا رب أنت خلقتني ، وأرسلتني إلى الدنيا ، وأمضيت في الدنيا سبعين عاماً ، ثم جئت إليك ، وهذا العمل الذي فعلته تقريباً إليك لك دعوة إلى الله ، لك إنفاق ، لك معاونة ، أما لا

معاونة ، ولا إنفاق ، ولا دعوة ، ماذا تفعل إذاً ؟ والله اشترينا بيتاً ، ورتبناه ، هذا البيت انتهى عند الموت ، كل منجزاتك الدنيوية تنتهي عند الموت ، هذه لا تذكر أبداً .

أخ صار يأتي إلى المسجد ، صار له زيارات ، ثم أخبرني ابنه أنه توفي باكراً ، طبعاً من واجب الأخوة أن نشيعه ، أنا أعرف بيته ، وأعرف عمله ، عنده معمل ضخمة ، وعنده مركبات ، وعنده بيوت ، وأذواقه عالية جداً ، ورحلاته كثيرة ، وضع في النعش ، وصلينا عليه ، وكان أحد علماء دمشق يرتاد مجالسه أيضاً ، فقال : ليؤبنه ، فقال : أخوكم أبو فلان كان يؤذن ، اقرؤوا الفاتحة ، انتهى التأبين ، تأبين إنسان لا يزيد عن دقيقة ، ماذا يقول ؟ أين أعماله ؟ إذا كانت مساحة بيته هل تذكر عند التأبين ؟ لا تذكر ، ماركة سيارته تذكر عند الموت ؟ لا تذكر ، حجمه المالي هل يذكر ؟ ماذا يذكر عند الموت ؟ عمله الصالح فقط ، اعلم عملاً يتكلم عنك دقيقتين ، أو ثلاث دقائق ، أو خمس دقائق ،

((لا صدقة ، ولا جهاد فبم تلقى الله إذا ؟))

الرجل كان صالحاً أنا لا أذمه أبداً ، أحياناً يكون عمل الإنسان قليلاً ، منشغل بالدنيا ، غارق في الدنيا ، لكنه من مشكلة إلى مشكلة ، من حل قضية إلى حل قضية ، من صفقة إلى صفقة ، نريد عملاً لله ، نريد عملاً للأخرة ، نريد طلب علم ، تعليم علم ، أمراً بالمعروف ، نهياً عن المنكر ، إنفاق مال ، نريد إصلاح أحوال ، معاونة ضعفاء .

إخواننا الكرام : أرجو الله سبحانه وتعالى أن تضعوا هذا السؤال يومياً : ماذا قدمت لأخوتي قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

[ سورة الحشر : الآية 18 ]

انظر لساعة مغادرة الدنيا ، حينما يوضع الإنسان في النعش ، ويؤخذ ليدفن ، ماذا قدم لله ؟ هناك أناس لهم أعمال كالجبال ، أن تضع اللقمة في فم امرأتك هي لك صدقة ، اسأل نفسك دائماً : ماذا قدمت للأخرة ؟ أنا أعطيتكم أمثلة ، ألك دعوة ؟ الدعوة عمل عظيم ، هل لك إنفاق ؟ والإنفاق عمل عظيم ، هل لك خدمة ؟ والخدمة عمل عظيم ، الإنسان يخدم بعضلاته ، إنسان يدعو إلى الله بعلمه ، إنسان ينفق بماله ، لا مال ، ولا خدمة ،

ولا علم ، ماذا تعمل ؟ يعمل لدنياه ، والدنيا تنتهي عند الموت .

((أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ ))

لا تقل : لا أقدر ، الذي قدر مثلك معه الخصائص نفسها ، والذي قدر طلب من الله ، وافترق إلى الله ، أصر على طلبه ، والذي قدر سبق في طلبه .

((أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَتْ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ))

الماضي لا جدوى من الحديث عنه.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها.

أدق شيء أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ، تصور ، لا أقدر ، كلنا لا نقدر ، لكن نقدر بالله ، كلنا ضعاف، نحن أقوىاء بالله ، كلنا لا نعلم ؛ نعلم بالله ، كلنا فقراء ، أغنياء بالله ، لا تقل : لا أقدر ، لأن الله وحده هو الذي يقدر ، وأنت لا تقدر ، لكن أنت تقدر على شيء واحد ، أن تطلب ، إذا دخل إنسان إلى المطعم فما عليه أن يدفع شيئاً ، إلا أن يطلب ، هذا الطعام مجاناً ، لكن الشرط أن تطلبه ، فالإنسان إذا كسل عن أن يطلب فهو أكسل الناس ، طلب فقط ، اطلب بصدق .

أنا قلت لكم : صليت في مسجد في بعض المدن السورية ، حدثني صاحبه أقسم بالله حينما أنهى الخدمة الإلزامية أنه كان لا يملك قرشاً ، باع قطعة حلي أخته بثلاثمئة ليرة سورية ، والقصة قديمة ، واشترى بطاقة طائرة ، وذهب بها إلى الخليج ، قال لي ، وهو في الطائرة: قال : والله الشفتان لم تتحرك ، إلا أنني قلت في نفسي : لأن أكرمني الله لأبنيّن لله مسجداً ، خاطر مرّ على ذهنه ، والله عز وجل أكرمه ، وحدثنا عن قصة بناء المسجد ، فكانت تلفت النظر .

الله حاضر ، ناظر ، اطلب ليعطيك ، لكن اطلب بصدق ، الزعبرة مشكلة ، والتلبسة مشكلة ، اطلب بصدق يعطك ، اطلب العلم يعلمك ، اطلب المال يغنك ، اطلب خدمة الناس يقوّك ، الله هو الموجود ، استعن بالله دائماً ، اسأل نفسك هذا السؤال : ماذا قدمت لآخرتي ؟ ماذا سأقدم بين يدي ربي يوم القيامة ؟ ماذا فعلت يا عبدي ؟

قال تعالى :

﴿وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيْنَ يَدَيْهِ الدِّينَ (46) حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ (47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48)﴾

[ سورة المدثر ]

الحديث من الأحاديث الأساسية ، لا تعجز ، لا تضعف همتك ، لا تقل : لا أقدر ، لا تقل : الزمن صعب ، لا تقل : البيئة معقدة ، لا تقل : الناس كلهم متقلتون ، أنا مع الناس ، لا ،

((من قال : هلك الناس فهو أهلكهم))

وفي رواية :

((فهو أهلكهم))

هو الذي جعلهم يهلكون بكلامه .

((... وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

حديث آخر ، عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ))

[ ابن ماجه ، الترمذي ]

هناك أشخاص نموذج عجيب ، إذا خدم إنسان خدمة ، وهذا الإنسان أساء له يحلف بالله ألا يخدم إنساناً في حياته ، أنا عندي حديث شريف أعزي به نفسي دائماً ، وأسلي به كل مسلم :

((اصنع المعروف مع أهله ، ومع غير أهله ، فإن أصبت أهله أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله))

لو أساء يسيء ، لو تنكر لك ، لو جحد فضلك ، أنت فعلت هذا مع ربك ، الله موجود ، ويحفظ عملك الصالح

((اصنع المعروف مع أهله ، ومع غير أهله ، فإن أصبت أهله أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله))

الإنسان إذا انسحب من المجتمع ، وانزوى ، وتقوقع ، يقول : الناس ليس فيهم خير ، لا تخالط أحداً ، العمل بالمخالطة ، يجب أن تخالط المؤمنين ، يجب أن تنصحهم ، يجب أن تعينهم ، إلا إذا كان المجتمع فسد فساداً كلياً ، ساعتئذ أن تباعد عنه خير ، موضوع دقيق حساس يحتاج إلى من ينبئك بدقائقه ، أحياناً تكون العزلة أفضل ، و أحياناً الاختلاط أفضل ، أما القاعدة أعطيكم إياها ذهبية كعبة شد الحبل ، إن دخلت إلى مجتمع ، وقدرت على أن تشدهم إلى الدين فادخل معهم ، خالطهم ، أما إذا شدوك فابتعد عنهم ، أنت حسيب نفسك ، و تعلم أنت علم اليقين من أنت ؟ إن كنت تقدر على أن تشدهم فكن معهم ، أما إن لم تقدر فابتعد عنهم ، هذا المقياس الدقيق .

المؤمن الذي يخالط الناس ، و يصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ، و لا يصبر على أذاهم ، إذا دخل الإنسان بزواج الإنسان و آلمه رأسه فلك أجر كبير ، أنت دللتني عليهم ، أنا لا أعلم ، أحياناً زوجان يتقاهمان الإنسان أربعة أشهر وهم ساكتون ، يتشاجران ، يأتون إلى الوسيط ، هذه زوجتك ، لماذا عندما كنت معها أربعة أشهر بأحلى حياة ما شكرتني على هذا ؟ كنت ساكناً ، ثم في أيّ مشكلة يرجع إلى الوسيط ، و مع ذلك لو جاءتك المتاعب من هذا الزواج أفضل شفاعاة أن تشفع بين اثنين في النكاح .  
ورد بالأثر :

((من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل كلمة قالها ، وبكل خطوة خطاها عبادة سنة ، قام ليها ، و صام

نهارها))

الإنسان بحق نفسه قصير ، أب عنده خمس بنات ، يجب أن تُعرف فيه أنت ، الفت النظر إلى بناته ، إذا كان بناته محجبات مؤمنات طاهرات ، تحرك حركة ، دل الناس عليه ، هذا عمل عظيم ، يوجد أناس ليس عندهم هذه الرغبة ، إذا كان الأخ مؤمناً ، وبيت فيه عفة ، وفيه أدب ، وعلم ، وانضباط ، وتعرف شاباً مؤمناً يريد امرأة طيبة فاسع ، تحرك ، أفضل شفاعاة أن تشفع بين اثنين في نكاح ، ولما تتزوج البنت ، ويكون الزوج مؤمناً فأنت

جبرت خاطر العائلتين والأسرتين ، هذا عمل عظيم ، أنا أقول لكم : من أجل الأعمال أن تسهم في تزويج الشباب المؤمنين بالشابات المؤمنات ، طبعاً سيأتيك بعض المتاعب ، لابد منها ، ستكون أنت مسؤولاً ومرجعاً ، وكل قضية يأتون إليك ، ويلومونك على هذا الاختيار ، لا مانع من هذا .

((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ))

ترى شخصاً مؤمناً ليس له عمل صالح ، يسمع دروساً ، في بيته لا يعاون ، ولا يقدم شيئاً ، هذا إذا أحب الله أن يرقيه ببنتليه بالمصائب حتى يرقى ، فالأعمال الصالحة أكثر راحة من المصائب ، انتبهوا ، لأن المؤمن المستقيم غالٍ على الله ، والله يريد أن يرقيه ، فإما أن ترقى بعمل صالح ، وإما أن ترقى بصبرك على مصيبة ، والمصيبة دائماً يرقى المؤمن بها ، ولكن هناك رقي أسرع ، وأكثر راحة أن ترقى بعمل صالح ، تحرك ، لا تكن سلبياً ، لا تكن منسحباً متقوقعاً ، أولاد أخيك أنت عمهم ، يقول : أمهم حيوان ، هذا الكلام لا يقال ، لأدنى سبب ينسحب ، لا يخدم أحداً ، تكلم كلاماً طيباً ، واخدم الناس ، فإن الله عز وجل يكرمك .

قال لي أخ : احترق قلبي ، شكا مشكلته لأخ زوجته ، فقال له : أنصحك ، قال : نعم ، قال : طلقها .

((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ أَكْبَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (063 - 127) : أحاديث شريفة عن الهجرة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-05-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... نحن في مناسبة هجرة النبي ﷺ، أردت في هذا الدرس . إن وفقني الله عز وجل . أن أتناول موضوع الهجرة من زاوية واحدة، ذلك أن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث الصحيح، أن الله سبحانه وتعالى يقول:

### (( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))

يعني عبادة في زمن الفتنة كهجرة إلي، أما أحاديث الفتنة، وأحاديث الفتن، وأحاديث آخر الزمان، فما أكثرها، وما أكثر الموضوع منها، وما أكثر الضعيف.

عُدت إلى صحيح البخاري على باب الفتن لأرى الأحاديث الصحيحة، والبخاري، كما تعلمون، من أصح الكتب بعد كتاب الله، فوجدت في أحاديث البخاري الصحيحة عن الفتن شيئاً دقيقاً جداً، وكأن النبي ﷺ يعيش معنا، هذه الأحاديث أيها الإخوة قيمتها أنك تستطيع أن تفسّر بها ما يجري، وأنت لا تفاجأ، إن كان هناك أسئلة تحير، ففي هذه الأحاديث إجابة عنها. أولاً عي صحيحة، وثانياً أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى بل هي وحْي من عند الله عز وجل، والله يعلم ما سيكون.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( أنا فَرَطُكُمْ على الحوض . (فرطكم ) أي أسبقكم، سابقكم على الحوض . ليرفعن إلي رجالاً منكم . يوم القيامة . حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني . أي جذبوا ومنعوا . فأقول: أي رب أصحابي !! يقول الله عز وجل: لا تدري ما أحدثوا بعدك ))

الذين جاءوا بعد النبي ﷺ، يرونه يوم القيامة، يأتي ليسيقيهم من حوضه الشريف، يجذبون ويمنعون.

(( يقول: أي رب إنهم أصحابي !! يقول الله عز وجل: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ))

إذاً كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار ؟ الفرقة الناجية كما قال عليه الصلاة والسلام:

(( ما أنا عليه وأصحابي ))

فأول شيء من علامات الفتن أن يحدث في الإسلام أمورٌ لم تكن من قبل.

\* \* \* \* \*

حديثٌ آخر يصف حالة آخر الزمان.

حدثنا زيد بن وهب، سمعنا عبد الله قال: قال لنا النبي ﷺ:

(( إنكم سترون بعدي أثره ))

يعني كل إنسانٍ يحب نفسه، يحب مصلحته، يؤثر كسب المال من أي طريقٍ كان، لا يعنيه عامة المسلمين، ينبغي أن يشبع وحده، وأن يسكن وحده، وأن يتزوج وحده، وأن يتتعم وحده، وأن يطمئن وحده، كأن هذه العلامة علامة صادقة على هذا الزمان..

(( إنكم سترون بعدي أثره . أي حباً للذات . وأموراً تنكرونها . قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال: أدوا إليهم

حقهم وسلوا الله حقكم ))

يعني أد الذي عليك، واطلب من الله الذي لك، قد تعيش إلى زمان لا تستطيع أن تتعامل مع الناس، تتجو من عذاب الله أن تؤدي لهم حقهم، وأن تسأل الله حقك منهم، أد حقهم واطلب من الله حقك منهم.

(( إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها. قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم ". ))

قاعدة ممتازة لآخر الزمان، الإنسان أحياناً لا يستطيع أن يتعامل مع أهله، مع أقرب الناس إليه، نقول له: أد الذي عليك، واطلب من الله الذي لك، الإنسان أحياناً لا يستطيع أن يتعامل مع شريكه، نقول: أد الذي عليك واطلب من الله الذي لك، لا يستطيع أن يتعامل مع جاره، نقول له: أد الذي عليك واطلب من الله الذي لك.. " إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها. قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم "

\* \* \* \* \*

وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

(( من كره من أميره شيئاً فليصبر ))

ما كل شيء يعجبك وما كل شيء ترتاح له، عليك أن تصبر لأنك إن لم تصبر أحدثت فتنة كبيرة، لذلك أنت مطيع لله عز وجل إذا صبرت على أميرك، لأنه فتنة تدوم، شر مستطير، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن..

(( من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية ))

دائماً المسلم مصلحة المسلمين مقدمة على مصلحته الخاصة، أمن المسلمين مقدم على أمنه الخاص، كفاية المسلمين مقدمة على كفايته، هذا سبب صبره.

\* \* \* \* \*

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

(( من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية ))

يعني لو أردت أن أطبق هذا الحديث على المسجد، يعني إن رأيت من أخوك شيء، هل هذا يستدعي أن تدع المسجد، وأن تدع الجماعة؟ هناك أناس على أي تصرف سيء من أخ لهم يدعون المسجد، هذا غلط كبير، يعني إن رأيت مثلاً مشكلة في المسجد، أتهدم المسجد؟ أصلح هذه المشكلة، ابتعد عن هذه المشكلة، ف..

(( من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية ))

الإنسان وحده يظلم قلبه، وتضعف نفسه، ويفتي لنفسه، ويتجاوز الحدود، ويعيش مع الأناس بانحرافاتهم، وتصوراتهم، أما إذا أتى بيت الله عز وجل ففيه الحق، وفيه النور، وفيه الطمأنينة، لو أن إنسان في المسجد أزعجك، هل يعني ذلك أن تدع المسجد؟ لو أن الأمير أزعجك ينبغي ألا تفارق الجماعة.

\* \* \* \* \*

ثم إن النبي ﷺ كما قال بعض أصحابه: "بايعنا رسول الله على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن نرى كفراً بواحاً لنا من الله فيه برهان". كلام دقيق جداً: بايعنا رسول الله على السمع، أن نصغي للحق وأن نطيع..

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

(سورة النساء: من آية " 46 ")

لا..

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

(سورة البقرة: من آية " 93 ")

على السمع والطاعة في منشطنا، في إقبال الدنيا علينا وفي إدارها عنا، في صحتنا وفي مرضنا، في قوتنا وفي ضعفنا، في التقاف الناس حولنا وفي انفضاضهم عنا، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا ولو كنا مستضعفين، ولو كنا الأقل عدداً والأقل حظوظاً، نحن بايعنا رسول الله على السمع والطاعة، والدنيا لا تقدم ولا تؤخر، وألا ننازع الأمر أهله، أنت تبتغي الله والدار الآخرة، دعك من الدنيا، ودعك من أهل الدنيا، ودعك من حظوظ الدنيا، ودعك مما في الدنيا، إلا أن نرى كفرةً بواحاً لنا من الله فيه برهان، يعني حينما يكون النطق بالكفر صريحاً، وحينما يكون الفعل فعل الكفار صريحاً هذا شيء آخر، لكن بايعنا النبي على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله.

\* \* \* \* \*

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول:

(( لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب ))

ألا يفسر هذا الحديث بعض ما يعانيه المسلمون والعرب اليوم ؟

(( ويل للعرب من شرٍ قد اقترب. فقالوا: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث ))

يعني الصالحون صالحون ليسوا مصلحين، إذا انسحبوا، وهربوا، ولم يأمرُوا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، واكتفوا بأنفسهم، ولم يعيبنوا بما يجري. ".أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث". أما هؤلاء الصالحون لو نهضوا وشمروا، وأمرُوا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأقاموا الإسلام في بيوتهم، وبنلوا، وضحوا، عندئذٍ يختلف الأمر.

\* \* \* \* \*

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أطمٍ من أطام المدينة . أي على تلةٍ صغيرة . فقال:

هل ترون ما أرى ؟

قالوا: لا.

قال: " فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر ".

الآن اصعد إلى الجبل وانظر إلى المدينة، ربما رأيت الفتن على السطوح، أليس كذلك؟ هذه تستقبل البلاء، هذه لاستقبال البلاء، وهذه رؤية غيبية كأن النبي ﷺ حدّثنا عما سيكون، لأن النبي إذا حدّثنا عما سيكون هذا من إعلام الله له، ليس علم غيبٍ، ولكن الله عزّ وجل يقول:

﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾

( سورة الجن )

أشرف النبي ﷺ على أطمٍ من آطام المدينة فقال:

هل ترون ما أرى ؟

قالوا: لا.

قال: " فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر ".

\* \* \* \* \*

فلذلك نعود إلى مناسبة هذا الدرس..

(( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))

ونحن في ذكرى الهجرة، المعنى الذي يناسبنا، أو علاقتنا بالهجرة، أو الموقف العملي من الهجرة أن نعبد الله في زمن الفتنة، في زمن النساء الكاسيات العاريات، المائلات المميلات، في زمن يصدّق فيه الكاذب، ويكذّب فيه الصادق، في زمن يضام فيه الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، في زمن يؤتمن فيه الخائن ويخون الأمين، في زمن يؤمر فيه بالمنكر وينهى عن المعروف، ف عبادة في هذا الزمن كهجرة إليّ، يعني لك أن تصل إلى

مرتبة الهجرة إذا عبدت الله في زمن الفتنة.

\* \* \* \* \*

يقول عليه الصلاة والسلام:

(( إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ))

الحقيقة الجهل له معنيان ؛ معنى علمي ومعنى أخلاقي، إن رأيت إنساناً يعرِد، يعتدي، يصول ويجول تقول: هذا جاهل، وهذه جهالة، فالجاهلية عصرٌ فيه جهلٌ وفيه انحراف، والشاعر يقول:

لا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلین

\* \* \*

معنى الجهل أحياناً هو الانحراف، التعدي، الطغيان، العريضة. يقول عليه الصلاة والسلام:

(( إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ))

قلما ترى إنساناً يعرف الحقيقة، الناس نيام، الناس في خضم المعاصي، الناس في خضم الفتن، أية صرعة تأتيهم من الخارج يقدونها ولو على حساب دينهم، ولو على حساب مبادئهم، ولو أنها تقضح نساءهم، ولو أنها تنقش فيهم الفواحش، تقليد ؛ تسميه عصرنة، تسميه حداثة، تسميه حضارة، تسميه تقدّم، على كلِّ الناس لو دخل الكفار حجر ضبٍ لدخلتموه، هذا من علامات آخر الزمان.

(( ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج والمرج، لا يدري المقتول لم يقتل ولا القاتل فيم

يقتل))

" موتٌ كعقاص الغنم "، لا يدري القاتل لم يقتل، يقتل امرأة، وأنتم رأيتم بأعينكم في لبنان، طفلاً، شاباً، مريضاً، إنسان بريء مدني ليس له علاقة يقتل، لماذا ؟ لا يعرف، لا يدري القاتل لم يقتل ولا المقتول فيم قتل، هذا زمن الهرج والمرج، فلذلك:

(( يرفع فيه العلم، ويكثر فيها الهرج والمرج ))

\* \* \* \* \*

يقول عليه الصلاة والسلام، متحدثاً عن آخر الزمان، وهذه قاعدة أساسية، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ))

الذي يسب مسلماً يفسق، هذا مسلم، هذا رجل عرف الله، استقام على أمره، هذا إنسان منضبط، فالذي يسبه فاسق، أما الذي يقاتله كافر. يقول عليه الصلاة والسلام:

(( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ))

\* \* \* \* \*

ومن علامات آخر الزمان . هذه كلها أحاديث في البخاري في باب الفتن . يقول عليه الصلاة والسلام:

(( لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ))

من خصائص الكفر الاقتتال، وقبل الاقتتال الطعن، البغضاء، الازدراء، الإجحاف، الظلم، ثم القتل.

(( لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ))

والله عز وجل عندما وقعت فتنة بين الأنصار ؛ بين أوسهم وخزرجهم، غلاماً بإيعاذ من أحد أهل الكتاب ألقى قصيدة فيها هجاء للأوس، استفزوا وكادوا يقتتلون، فقال الله عز وجل في مناسبة هذه الحادثة:

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾

( سورة آل عمران: من آية " 101 " )

فالاقتتال، والخصومات، والعداوات، والإنكار، والطعن هذا كله من الجاهلية، من أيام الجاهلية..

(( لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ))

\* \* \* \* \*

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام:

(( ستكون فتنٌ - فتن كثيرة - القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعذ به ))

أحياناً يكون بيتك حصن، مسجدك حصن، إخوانك حصن، أقرب الناس إليك حصن، يعني:

(( إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فامسك لسانك، والزم بيتك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

أيام الإنسان إذا خرج إلى الطريق بلا سبب، وبلا هدف ليتنزّه، يفتن، الطريق فيه فتنة، لو فتح مجلة ليقراها فيها فتنة، لو أراد أن يشاهد ما يشاهده الناس بالليل فتنة، الفتنة في بيته، في الطريق، في القراءة، في السماع، لو ركب مركبة عامة ليسافر، كل الطريق فيه فتنة غناء، فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

(( ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه.. ))

تشرف لها أي تعرض لها، يعني مقهى عام فيه اختلاط، وفيه أغاني، وأنت مسلم وزوجتك محجبة، ليس هذا مكانك، أنت لك مكان آخر، حفلة مختلطة، مثلاً فندق، أشياء لعلك تقتن بها، فعلى قدر المستطاع ابتعد عن أماكن الفتن، عن أماكن المعاصي، عن أماكن الموبقات.

\* \* \* \* \*

لازلنا في أحاديث الفتن، و:

### ((عبادة في الهرج كهجرة إليّ))

نحن في مناسبة هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، نحن ليس هناك مكة ومدينة لنهاجر من مكة إلى المدينة، انتهت الهجرة بفتح مكة لقول النبي ﷺ:

### (( لا هجرة بعد الفتح ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

ماذا بقي لنا من الهجرة ؟ أن تهجر ما نهى الله عنه، أن تهجر أهل الدنيا، أن تهجر أهل المعصية، أن تهجر الفتن، أن تهجر الموبقات. أريد أن أذكر أن هذه الأحاديث أذكرها لأنك في زمن فتنة، وإن عبدت الله في هذا الزمن نجوت وكتب لك أجر المهاجر.

\* \* \* \* \*

قال: عن حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. موقف ذكي، الناس يسألون النبي عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت:

يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال: نعم.

شرٌّ وجهلٌّ، الوحي السماوي كله خير، بعد الخير شر، وبعد الشر خير، لأن " أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها ".

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال: نعم، وفيه دَحْنٌ . يعني شوائب، بدع، انحرافات، الإسلام انحرف قليلاً .

قلت: وما دخنه ؟

قال: قومٌ يهدون بغير هديي .

يخالفون السنة، يتعدون عنها، يفعلوا شيئاً ما فعله رسول الله، ما فعله أصحابه، يبحثون في موضوعات أغفلها النبي وأصحابه، يتحدثون عن خَلْق القرآن، هو كتاب الله، لو أن هناك فائدة ترجى من بحث هذا الموضوع لذكره النبي الكريم وأصحابه الأجلاء .

قومٌ يهدون بغير هديي تعرف منهم وتتكبر .

يعني ممكن عرس مختلط، نساءً كاسيات عاريات، ورجل له دعوة إلى الله يجلس بينهم ليبارك هذا العرس ؟  
تعرف منهم وتتكبر، غير معقول .

قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال: نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها .

دعوة إلى النار، إلى المعصية، إلى الفجور، إلى العصيان، إلى الزنا، إلى الخمر، إلى أكل أموال الناس بالباطل .  
دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها .

قلت: يا رسول الله صفهم لنا .

قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

كن مع الجماعة، كن مع أهل الحق، انضوي معهم، انتمي إليهم..

## ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾

( سورة التوبة )

تلتزم جماعة المسلمين، إذا في فجور، وفسوق، ونوادي ليلية، وزنا، وخمر، ونساء كاسيات عاريات، وريا، واكتساب أموال بالباطل، والناس فوضى لا يضبطهم شرع، ولا قانون، ولا حُلُق، ولا دين، إذا مرجت عهودهم، وانغمسوا في ملاذ الدنيا، تلتزم جماعة المسلمين، بيوت الله جنة أيها الإخوة، ألم يقل الله عزَّ وجل:

## ﴿ فَأُوْا إِلَى الْكُهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) ﴾

( سورة الكهف )

الجامع كهف، وبيتك كهف، ومكان بعيد عن الناس كهف، ومكان بعيد عن الطُرُقَات كهف، إذا واحد أحب يقعد بمحل تجاري مظل على الشارع، ألا يفتن؟ يفتن، مكتب أحسن من محل، ومكتب ما له إطلالة على الشارع أحسن، هكذا يقول عليه الصلاة والسلام:

تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

يعني كما قال عليه الصلاة والسلام:

## (( الجماعة رحمة والفرقة عذاب ))

( من الجامع الصغير: عن " النعمان بن بشير " )

## (( عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ))

( من الجامع الصغير: عن " عمر " )

## (( وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ))

( من رياض الصالحين: عن " أبي الدرداء " )

والإنسان كلما ارتقت مشاعره يرى جنته في بيت الله، وعلامة المؤمن أنه في المسجد كالسمك في الماء، والمنافق في المسجد كالعصفور في القفص، يرتاح المنافق إلى أماكن فيها فجور، وفيها فسق وعصيان، المؤمن يرتاح إلى أماكن جميلة لكنها بعيدة عن المعاصي، يرتاح إلى بيوت الله، يرتاح في بيته، يرتاح في مكان لا معصية فيه.

\* \* \* \* \*

ويقول عليه الصلاة والسلام قال: أخبرني ابن عباس . أحد أصحاب النبي . أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين . يعني لقاء لا يرضي الله لا تكن معهم أنت، حفل غير شريف، غير مستقيم، غير نظيف، أنت ليس لك مكان معهم، لا تكن معهم، لا تكثر سوادهم، قال: فيأتي السهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله أو يضره فأنزل الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾

( سورة النساء: من آية " 97 " )

يعني إذا كان في مكان فيه معصية، ما لك مكان أنت معهم، فإن كنت في هذا المكان وصار مكروه، وصارت مشكلة، فمت، توفت الملائكة هذا الإنسان ظالماً لنفسه، لا تكثر سواد المشركين، كثر سواد المسلمين، أنت حينما تأتي إلى بيت الله، وترى البيت ممتلئ، كثر سواد المسلمين، قويت معنويات الحاضرين.

شيء جميل جداً في هذه المدينة الطيبة، تجد برمضان المغرب ما في أحد في الطرقات، الناس كلهم صائمون، وقت التراويح الناس كلهم إلى بيوت الله، أنت ماذا تفعل؟ تكثر سواد المسلمين، أما لو أنه كان في مباراة، والناس تركوا الصلاة، واتجهوا لهذه المباراة مثلاً، تركوا صلاة الجمعة أحياناً، فأنت لا تقوي العصاة بل قوي المؤمنين، أحياناً وجودك مع المؤمنين يقويهم، وقوي الضعاف، لك مكانة أنت، فإذا حضرت، يقولون: فلان كان موجود، وكان فلان موجود، أحياناً وجودك يقوي الحق، إذا إنسان له مكانة، له مرتبة علمية، له مرتبة إدارية، له مكانة

في مجتمعه، وحضر مجلس علم، حضر خطبة الجمعة، جلس على ركبتيه، إذا واحد ضعيف يقول: فلان ذو مرتبة، فلان ذو مكانة، كان في الدرس، كان في الجامع، كان بالخطبة، كان حضران معنا، هذا شيء عظيم، الفكرة دقيقة: كثير سواد المسلمين، قوي معنويات الضعفاء، قوي معنويات المترددين، قوي معنويات المقصرين، أحياناً وجودك لو ما استقدت ولا كلمة له معنى كبير، وجودك تكثير لسواد المسلمين.

الآن ما الذي يحدث؟ لك مكانة وما أتيت، فلان ما أتى، معنى هذا أن المجيء غير ضروري، تضعف معنويات الباقين، أحياناً يكون أخ تعبان بشخص أتى به على الجامع يقول: أين فلان؟ ما جاء، كيف دعاني وهو ما جاء؟ قلت قيمة المجيء بنظره، إذا أنت اعتنيت بإنسان، وعاونته على دينه، وتوبته، ودعوته إلى بيت من بيوت الله، وأنت ما حضرت، وسأل: أين فلان؟ لم يجده، ضعفت المسلمين، فكرة دقيقة كثير سواد المسلمين، لا تكثر سواد المشركين، لا تكثر سواد العصاة، ببعض البلدان العربية إذا في مباراة كرة قدم، يدع الناس صلاة الجمعة، الجوامع فارغة لأنه في مباراة، هذه مشكلة كبيرة جداً.

من علامات آخر الزمان، الفتنة السريعة، سريعة وحادة، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

يقول عليه الصلاة والسلام:

يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع به شعف الجبال . أي قمم الجبال . ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن".

يعني إذا كان محلك التجاري أمام ثانوية بنات، في أفضل من هذا، مكان آخر، إذا محل تجاري كل الزبائن نساء مشكلة، لأنهن كاسيات عاريات، مائلات مميلات، في حرف فيها فتن كثيرة جداً، يعني:

يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن".

يرووا أن الإمام أحمد بن حنبل توفاه الله عز وجل، فراه أحد تلاميذه في المنام، هو قبل أن يتوفاه الله كان يقول: كلا بعد، كلا بعد. فخافوا عليه ما هذه الكلمة، وما معناها؟ فسأله تلميذه في المنام قال له:

يا سيدي، ما معنى قولك كلا بعد ؟

قال الإمام أحمد: جاءني الشيطان وقال لي: نجوت يا إمام، قلت: كلا بعد.

الإنسان مادام حي معرّض للفتنة، ما في إنسان تجاوز الخط الأحمر، كل إنسان ممكن يفتن، لذلك المؤمن يبتعد عن مواطن الفتنة.

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا الأعمش عن يزيد، حدثنا حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن:

(( الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ))

وحدثنا عن رفعها قال:

(( ينام الرجل النوم فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكس . أثر يسير جداً . ثم ينام النوم فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجلي . أي الدملّي . ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ))  
بيع أساسه الكذب، أساسه الغش، أساسه التلفيق، أساسه التدليس، يشتري البضاعة، ويبيعها، ويقبض ثمنها، ولا يؤدي حق صاحبها، هكذا. قال:

(( فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل . ذكرت هذا في خطبة سابقة . ما أعقله، وما أظرفه، وما أجده، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان ))

يمدح بعقله، وذكائه، وظرفه، وحنكته، وشطارته، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان، قد لا يصلي، وقد يأكل مالاً حراماً.

يقول عليه الصلاة والسلام:

" اللهم بارك لنا في شأمننا . يعني في شأمننا . اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا ؟ قال: اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا . قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا ؟ قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن،

وبها يطلع قرن الشيطان ."

يعني النبي عليه الصلاة والسلام ندبنا إلى السكنى في الشام في آخر الزمان، وقال:

(( هي خير بلاد المسلمين للمسلمين يومئذ ))

وحدثنا عمر بن حفص، عن حذيفة بن اليمان يقول: بينما نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال:

(( فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره ))

يفتن بأهله، لأنه أحياناً يدخل النار من أجل أهله، إذا كانت له زوجة فاسقة لا تتحجب، فاسقة تقسد عقول الشباب، فزوجته فتنة، ويفتن في ماله، قد يكسب مالاً حراماً وثيراً، وفره هذا المال تغريه أن يكسبه، وولده، وجاره. قال: هذه الفتنة أحياناً تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال عليه الصلاة والسلام:

(( ولكن الفتن تموت كموج البحر ))

يعني الحقيقة الشيء الذي يلفت النظر أن العالم أصبح قرية واحدة، فتنة تظهر في مكان تنتشر في كل الأمكنة بأيام، سرعة من سرعات الأزياء تنتشر في كل بلاد العالم، انحراف معين، فسق معين، فجور معين ينتشر، هذه وسائل الاتصال نعمة ونقمة، لأنك تعرف أخبار العالم، لكن أحياناً ترى الفتن، والضلالات، والانحرافات تنتقل.

\* \* \* \* \*

وحدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان . كان الواحد إن أراد أن يحج بيت الله الحرام يحتاج إلى أربعة أشهر ذهاباً، الآن ساعتين، في طائرات أسرع من الصوت بين أوروبا وأمريكا ساعتان . وتظهر الفتن، ويكثر الهرج . وهو كثرة القتل من علامات آخر الزمان . وحتى يكثر فيكم المال فيفيض . والحقيقة في أحياناً كتل نقدية كبيرة جداً تعبر عن ذاتها بالبزخ، والترف، والإنفاق غير المعقول . وحتى يتناول الناس في البنيان . في بعض بلدان الخليج بناء من أرقى الأبنية يهدم ويقوم مكانه بناء أربعين طابق . وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه... "

ضيق، رفاه كثير، مال كثير، انتحار كثير، انتحار بين الأغنياء، بين المترفين، هذا الضيق النفسي لقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾

(سورة طه)

وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها

إن كانت هذه كناية فمعناها أن كل شيء يأتينا من الغرب جيد، راقٍ، متقن، أفكارهم، عاداتهم، تقاليدهم، أزيائهم، احتفالاتهم، أعرافهم، أنماط حياتهم كلها مقدسة عندنا، والإنسان لا يرقى بين الناس إلا إذا كان كالأجانب ؛ في أعياده، في احتفالاته، في لباسه، في تقاليده، حتى في سلامه يقول لك: باي. قل له: السلام عليكم. إذا ما في كلمة أجنبية، أو تصرف أجنبي، وجلسة أجنبية، وجلسة مائلة على السيارة، وثياب معينة، وحركات معينة لا يكون راقٍ، يقول لك: هذا بلدي، إذا ما كان متفرنح.

" وحتى تطلع الشمس من مغربها ."

والحقيقة في شيء غريب جداً، ثقافة الغرب معممة على العالم كله، حتى أدق التقاليد كلها مقتبسة من الغرب، أزياءنا، احتفالاتنا، ولأتمنا، طعامنا، شرابنا، حتى أنماط سلوكنا، كلها مشتقة من الغربيين، هذا معنى تطلع الشمس من مغربها، يوم كان المسلمون في أوجههم كان الأجانب يقلدوننا. قال حينها إذا طلعت الشمس من مغربها..

﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) ﴾

( سورة الأنعام: من آية " 158 " )

أحياناً تجد الشاب ما له هدف بالحياة إلا عيشته بأمريكا، لو أعطيته هذا الكارت الأخضر، كأنه ملك الجنة، يذهب إلى هناك، يخيب ظنه، يجد وحشة، يجد قسوة، يجد عمل مضني، يجد أن الإنسان يقتل لأتفه سبب، بعد المغرب ما في حركة، فساد في أجهزة الإعلام غير معقول، كان يتمنى أن يكون هناك، طبعاً الحديث عن الهجرة، في هجرة معاكسة في سبيل الشيطان.

\* \* \* \* \*

قال:

(( ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ))

تأتي فجأة كالزلال. قال:

(( ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها ))

﴿ لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْثَةٌ ﴾

( سورة الأعراف: من آية " 187 " )

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2) ﴾

( سورة الحج )

أيها الإخوة... عوداً على بدء نحن في ذكرى الهجرة، والله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي يقول:

(( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))

إذا كنا في زمن الفتن، وهذه الأحاديث كلها في صحيح البخاري تبين أن زمناً شاع فيه الفساد، وانتشرت فيه

المعاصي، عليك أن تلوذ بالجماعة، وأن تلوذ بإمام الجماعة، وأن يكون لك مسجد تؤوي إليه، وأن تبتعد عن الفتن، فلعن الله سبحانه وتعالى يكتبك مع هؤلاء الذين عبدوا الله في زمن الهرج، فكأنهم هاجروا إلى الله ورسوله.

أيها الإخوة... ختاماً لهذا الدرس، أرجو الله سبحانه وتعالى أن نستفيد من هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة التي وردت في صحيح البخاري في باب الفتن، إن أردتم أن ترجعوا إليها في باب الفتن في أواخر هذا الصحيح، هذه الأحاديث تعطينا فكرة أن النبي ﷺ استعاذ من آخر الزمان وقال:

(( اشتقت لأحبابي. قالوا: أولسنا أحبابك؟ قال: لا، أنتم أصحابي، أحبابي أناسٌ يأتون في آخر الزمان، القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أجرهم كأجر سبعين. قالوا: منا أم منهم؟ قال: بل منكم. قالوا: ولم؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون ))

فنحن في زمنٍ صعب، والفتنة أكثر أنواع الفتن تأثيراً فتنة النساء، فالإنسان بقدر ما يبتعد، بقدر ما يغض بصره، بقدر ما يبتعد عن كل شيءٍ مثير، يَسَلِّم دينه ويقترّب من ربه، فإذا تساهل في هذه الأشياء، تفلت من هذا الاتصال المُسعد، وعاش في شقاءٍ كبير.

أيها الإخوة الكرام... لا تنسوا أن لكل شيءٍ ثمناً، فكما قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه، يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

(( أحب الطائعين وحبّي للشباب الطائع أشد، أحب الكرماء وحبّي للفقير الكريم أشد، أحب المتواضعين وحبّي للغني المتواضع أشد، وأبغض ثلاثاً وبغضّي لثلاثٍ أشد، أبغض العصاة وبغضّي للشيخ العاصي أشد. ))

أنا كنت في العمرة العام الماضي، حدثني أخ كريم له جار عمره خمسة وستين سنة، في المدينة المنورة، اشترى هذا الصحن وترك الصلاة، وهو يسكن إلى جوار قبر النبي، وترك الصلاة وعمره خمسة وستين سنة، وبدأ يتَّبَع هذه المحطّات، في فتن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل، كم قضية بالمحاكم فيها اغتصاب أموال، أسمع قصص لا تصدق، ليس له حق إطلاقاً بهذا البيت، ادعى أنه دفع ثمنه وحلف يمين كاذب، واتفق مع القاضي، هذه الفتن، فتن في كسب الأموال، وفي اقتناص الشهوات.

دعونا من الأحاديث، تعريف الفتنة بشكل مختصر: حرية في كسب الأموال، حرية في اقتناص الشهوات، إذا

أمور الشهوات ما فيها انضباط، وكسب المال ما فيه انضباط، هذا هو الفساد، لذلك قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾

(سورة الروم)

فصار في بؤس، المعاصي تخلف كآبة، المظاهر جميلة، بيوت جميلة، المناظر جميلة، في أناقة، في ترتيب، في أشياء تدغدغ عواطف الإنسان، المنعكس كآبة، المنعكس ضيق، المنعكس نفور، المنعكس شقاء في البيوت، شقاء في الأعمال، ضياع في النفوس، انتحار كثير، أمراض نفسية كثيرة الآن، إنسان يتكلم مع نفسه وهو يسير في الطريق، حالات انفصام الشخصية كثيرة جداً، هذا زمن الفتنة، ونحن من حيث التدئين في أرقى بلد، " رأيت عمود الإسلام قد سل من تحت رأسي فأتبعته بصري فإذا هو في الشام .. " فعليكم بالشام في آخر الزمان ". ونحن في أقدس بلد، وأطهر بلد فيه فتن أيضاً.

فنحن في ذكرى الهجرة، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لنا هجرةً من نوع آخر، أن نعبده، لك جامع، اجلس في المسجد، في فكرة شرحتها زيادة وهي: كثر سواد المسلمين، يأتي أخ فيجد الجامع ممتلئ، معنى هذا شيء عظيم، أنت مجيئك يقوي المسجد، يقوي الحق، إذا كان لك مكانة لك أجر أكبر، إذا كان لك مكانة، مرتبة علمية، مرتبة اجتماعية، مرتبة إدارية، يشار لك بالبنان وتحضر، معنى هذا أنك كثير تستفيد، فالضعيف، المتردد، رجل للأمام ورجل للخلف يثبت، كثر سواد المسلمين لا تكثر سواد العصاة، لا تكثر سواد المشركين.

(( فعليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وإنما يأكل الذئب من الغنم

القاصية))

وكيف الإنسان إذا أدى زكاة ماله . دققوا في هذه الفكرة . إذا أدى زكاة ماله حفظ الله له بقية ماله، فأنت إذا أدبت زكاة الوقت بطلب العلم حفظ الله لك بقية الوقت، والله أيها الإخوة بوقت قصير تتجزز إنجاز كبير، الله عزَّ وجل يبارك لك في وقتك، هم في مساجدهم والله في حوائجهم، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فالله يجعلنا من الذين اهتدوا إليه، وابتعدوا عن الفتن، وكل بلاد الله الآن فيها حق وفيها باطل، فيها مساجد وفيها ملاهي، فيها لقاءات خيرة وفيها لقاءات شريرة، فيها سهرات باطلة وفيها سهرات حق، فهنيئاً لمن له مسجد علم وسهر سهرة ذكر الله عزَّ وجل، صاحب مؤمنين إذا نسي ذكره، إذا شرد أعانوه، إذا ضعف قوه.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (064 - 127) : لكل داء دواء

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-06-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء :

أيها الأخوة الكرام ؛ موضوع الدرس اليوم موضوع يمس كل إنسان ، هذا الموضوع حول أن إنساناً أصابته مصيبة ، هذه المصيبة نغصت عليه حياته أو قلبت حياته إلى جحيم ، ما السبيل إلى الخلاص منها ؟ هل في هذا الدين القويم ، وهذا الشرع الحنيف ، دواء ناجح لهذا الداء ؟ وما أكثر المصائب ! مصائب في المال ، مصائب في النفس ، مصائب في الأهل .

ثبت أيها الأخوة في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

(( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ))

[ البخاري عن أبي هريرة ]

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا ، النفي والاستثناء ، هذه صيغة الحصر بمعنى أن أي داء أنزله الله عز وجل أنزل له شفاءً ، بقي الداء بأوسع معانيه الداء المادي والداء المعنوي ، الداء في الجسم والداء في النفس .

(( مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ))

[ البخاري عن أبي هريرة ]

وفي صحيح مسلم :

(( لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ))

[مسلم عن جابر]

أولاً : هذا الحديث يملأ النفس ثقةً برحمة الله ، ثانياً : الحديث علمي كل شيء خلقه الله مما يؤدي الإنسان خلق له ما يشفيه ، طبعاً فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، هذا الموضوع متعلق بالطب ، إذا عرف الطبيب حقيقة المرض ووصف له الدواء برأ بشرط أن يسمح الله لهذا الدواء أن يفعل فعله ، وفي حديث ثالث ورد في مسند الإمام أحمد :

(( عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ ))

[أحمد عن عبد الله]

((عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ : قَالَتِ الْأَعْرَابُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى ، قَالَ : نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي خُرَّامَةَ عَنْ أَبِيهِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ))

[الترمذي عن أسامة بن شريك]

حديث رواه الإمام البخاري ، وحديث رواه الإمام مسلم ، وحديث رواه الإمام أحمد في مسنده .

### القنوط واليأس يساويان الكفر :

كل هذه الأحاديث تبين أن أي داء خلقه الله خلق له شفاءً ، يأس لا يوجد ، قنوط لا يوجد ، اليأس هو الكفر ، القنوط هو الكفر ، لا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال تعالى :

﴿ لَا يَنْفُسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾

[سورة يوسف : 87]

القنوط واليأس يساويان الكفر ، السبب لأن المؤمن يؤمن بأن الله بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير ، وأن العبد إذا دعاه سمعه ، فإذا كان الدعاء خالصاً استجاب الله له .

## شفاء الأمراض الجسدية و النفسية بالقرآن :

النقطة الثانية : الآن هذه الأحاديث الصحيحة أريد أن أصل منها إلى تعميم الموضوع لا إلى تضيقه ، أكثركم توهم أن لكل داء دواء أي كل مرض خلقه الله في الإنسان له دواء ، أنا أريد أن أوسع هذا : أي مرض يصيب الإنسان حتى ولو كان مرضاً نفسياً ، حتى ولو كان قضية في الدين ، كل مشكلة لها حل ، والدليل :

(( عَنْ جَابِرٍ قَالَ : خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجْرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ اخْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمَمِ ، فَقَالُوا : مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ : قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ شَاكَّ مُوسَى عَلَى جُرْحِهِ حَرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ))

[ أبو داود عن جابر ]

إذا إنسان لا يملك الجواب هذا داء ، الجهل شفاؤه السؤال ، معنى هذا أن النبي وسع الموضوع ، الأحاديث الصحيحة الثلاثة ليست متعلقة بالطب فقط ، إنسان يعاني من مرض الجهل ، هذا المرض دوائه السؤال ، فقال عليه الصلاة والسلام :

((...قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ أَوْ يَعْصِبَ ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ))

[ أبو داود عن جابر ]

أخبر أن الجهل داء وأن شفاؤه هو السؤال ، طبعاً درسنا اليوم نريد من هذا الدرس أن نوسع مفهوم هذه الأحاديث، أي مشكلة تعاني منها ؛ أي قضية نفسية ، اجتماعية ، أسرية، زوجية ، مالية ، اقتصادية ، مرضية ، أي مشكلة تعاني منها ما من داء إلا وقد خلق الله له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله ، أي إن لم تعلم الدواء ليس معنى هذا أن الدواء غير موجود، إن لم تعلم الدواء اسأل من يعلم الدواء ، لكل داء دواء .

الآن القرآن الكريم الله عز وجل جعله شفاءً ، لا شك أعيد مرة ثانية : الأحاديث الصحيحة الثلاثة التي بدأت بها الدرس قد يتوهم أحدكم أنها متعلقة بالجسم فقط ، الله عز وجل جعل القرآن هو الشفاء ، كم من مشكلة فكرية يعاني منها الإنسان يجد حلها في القرآن ، كم من سؤال مستعص يراد الإنسان يجد حله في القرآن ، كم من حالة كآبة يعاني منها الإنسان يجد حلها في القرآن ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾

[سورة فصلت : 44]

القرآن شفاء ، ربنا ﷺ جعل هذا رحمةً لنا وشفاء الأمراض النفسية ، أمراض في الفكر ، أمراض في العقيدة ، الأزمات النفسية ، الضيق النفسي ، اليأس أحياناً ، الشرود ، الخوف الشديد ، الخوف المرضي ، هذه كلها أمراض شفاؤها بالقرآن .

### الدعاء شفاء لكل مشكلة :

أيها الأخوة ؛ يوجد عندنا دواء لكل داء ، الآن بدأنا في الأدوية ، دواء لكل داء في تناول كل إنسان ، وبإمكان كل إنسان أن يتناوله ، مبدول ولكن لا أحد يعبأ به ، والله الذي لا إله إلا هو إن هذا الدواء يفعل فعل السحر في الأمراض ، هذا الدواء هو الدعاء ، أنا أعلم علم اليقين أن أناساً كثيرين لا يقيمون وزناً للدعاء ، ما الدعاء ؟ أنت حينما تدعو خالق الكون الله جلّ جلاله بعلمه وقدرته ورحمته معك ، لكن الدعاء له شروط ، الآن أخ يعاني من مشكلة ، يعاني من ضيق ذات يد ، لا سمح الله من مرض عضال ، من شبح مصيبة ، من مشكلة في بيته ، من مشكلة بأولاده ، مشكلة مع زوجته ، مشكلة في دخله ، في رزقه ، مشكلة في نفسه كآبة ، أية مشكلة تعاني منها الدعاء هو الشفاء لهذه المشكلة ، لكن الدعاء علمه أصحاب رسول الله فاستعملوه كما أراد الله .

أولاً : يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح :

(( ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلَبٍ غَافِلٍ لَاهٍ ))

[ الترمذي عن أبي هريرة ]

أول شرط من شروط الدعاء المستجاب أن يجتمع القلب مع اللسان ، دعاء باللسان لا قيمة له ، لا يستجاب ، أما إذا كان القلب مع اللسان كان القلب خاشعاً ، وكان حاضرأً ، وكان مخلصاً ، وجاء الدعاء فهذا الدعاء يعد أكبر سلاح بيدك ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلَبٍ غَافِلٍ لَاهٍ ))

[ الترمذي عن أبي هريرة ]

دعاء فصيح ، صوت مرتفع ، موزون ، فيه سجع ، منتقى ، محكم ، والقلب غافل ، والقلب ساه ولاه ، هذا الدعاء لا يقبل ، أما إذا جعلت قلبك مع لسانك ، كان قلبك حاضرأً وخاشعأً ، وكان قلبك ملتفتأً إلى الله عز وجل فهذا الدعاء يفعل فعلاً سحريأً ، أول شرط صحوة القلب وحضوره .

الشرط الثاني : أكل المال الحرام يبطل قيمة الدعاء ، في الدخول يوجد شبهة ، لا يوجد ورع ، لا يوجد دقة ، في البيع كذب ، تدليس ، إخفاء عيب ، يمين كاذبة ، يمين فاجرة ، تساهل ، آلاف المخالفات في البيع والشراء ، إذا كان هناك مخالفات في البيع والشراء صار المال حرامأً ، ومن أكل طعامأً اشتراه بمال حرام منع الدعاء المستجاب .

## الأسباب التي زهدت الناس بالدعاء :

أيها الأخوة ؛ ما الذي زهد الناس بالدعاء ؟ أن المسلمين يدعون الله ليلاً ونهارأً ، صباحأً ومساءً ، في لقاءاتهم ، في محاضراتهم ، في خطبهم ، في صلواتهم ، وأدعية فصيحة وعالية ، وموزونة ، ولا تجد أن هناك استجابة من الله عز وجل ، لذلك الناس بجهلهم انكمشوا عن الدعاء ، منذ متى نقول : اللهم شئت شملهم - لأعدائنا اليهود -

اللهم فرق جمعهم ، اللهم اجعل كيدهم في نحرهم ؟ لم يصبهم شيء إلى الآن ، والمشكلة بالداعي ، مهما كان الدعاء فصيحاً ، مهما كان الدعاء قوياً وبصوت مرتفع ، يحتاج إلى حضور قلب ، أكل المال الحرام يبطل قيمة الدعاء ، يقول عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث ورد في صحيح مسلم :

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ ( يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) وَقَالَ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

أحياناً تكون آلة كبيرة جداً لا تعمل ، يكون الخط الكهربائي مقطوعاً ، إذا وصل عملت ، هذا الدعاء افرضه آلة كبيرة ، إذا أكلت مالا حراماً أو القلب ساه ولاه ، الدعاء لا يفعل فعله ، ندعو فلا يستجاب لنا .

ذكر الإمام أحمد في كتاب الذكر أن بني إسرائيل أصابهم بلاء فخرجوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون إليّ أكفاً قد سفكتم بها الدماء ، وملأتم بها بيوتكم من الحرام ، الآن حين اشتد غضبي عليكم لم تزدادوا مني إلا بعداً .

يارب أي عبادك أحب إليك ؟ قال : أحب عبادي إليّ تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء . اليد النظيفة والقلب الطاهر والنفس الطاهرة هذا الدعاء يفعل فعله .

### قصة حول الثقة المطلقة بالله عز وجل :

يوجد قصة جرت معي يوجد فائدة من روايتها ، والقصة أعتقد قبل خمس عشرة سنة في هذا المسجد ، بعد أن انتهى درس الأحد أنا خرجت ، استوقفني رجل خارج المسجد وقال لي : بعثني إلى عندك فلان - وذكر لي اسم صديق توفي رحمه الله- قلت له : ما الموضوع ؟ قال : لي عندك سؤال ، قلت : تقضل - وذهبت به إلى البيت وكانت بيتي في العفيف - قال لي : أنا شاب أحمل شهادة عليا درست في أوروبا ، ولي منصب رفيع في معمل، وأنا مصاب بمرض الصرع أقع في الساعة ، هل يوجد عندك حلّ لهذا المرض ؟ قلت له : أنا لست طبيباً ، قال : أعلم و لكن هل يوجد عندك حلّ كرجل دين وأنا أعلم أنك لست طبيباً ولكن كرجل دين مشكلتي هل لها حل

عندك ؟ طبعاً اسمحوا لي أن أقول لكم أنا تورطت وقلت له : يوجد حل عندي قال تعالى :

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمُنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[سورة النساء : 147]

طبعاً قلت هذا الكلام ، قال لي : ماذا أفعل ؟ قلت له : تب إلى الله توبةً نصوحةً، ولكن أنا ما التقيت بإنسان مهتم ومتطلع إلى حل لمشكلته كهذا الإنسان ، قال لي : ماذا أفعل ؟ ذكرت له غض البصر مثلاً ، أداء الصلوات في أوقاتها ، ضبط السان ، ضبط المنزل ، ضبط الزوجة ، وأذكر أنه أخرج ورقة وكتب أربعين أو خمسين بنداً ، ويقول ماذا أفعل؟ ويبدو أنه متلهف تلهفاً بلا حدود ، وذكرت له بعض الطاعات وبعض المخالفات ، قال لي : إن شاء الله سأفعل .

أذكر أن هذه الحادثة يوم الأحد ، الأحد الثاني قال لي : تأتيني في الأسبوع ثلاث مرات أو أربع ، مرة في السيارة، مرة في المكتب ، مرة في الطريق ، قال لي : حياتي جحيم لا يطاق ، وأنا أحمل شهادة عليا ودارس دراسة عليا ، ولي عمل ، ولي بيت وزوجة ، شيء لا أحتمله ، قلت له : خير إن شاء الله ، والذي أعرفه أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمُنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

[سورة النساء : 147]

ولكن بعد أن ذهب كأني ندمت ، هل معقول مرض في الدماغ ، تخريش في الدماغ ، مرض مستعص ليس له حل أنت بهذه البساطة قلت : له حل ؟ والله الذي لا إله إلا هو الدرس الثاني حضر الدرس وسلم علي بحرارة وقال : أستاذ أبشرك أول أسبوع ما صار معي ولا حادثة ، ولكن أنا رأيته صادقاً جداً في عزمته على التوبة ، في الأسبوع الثاني سأله قال : الحمد لله ، أذكر سبعة أسابيع كنت أسأله كل أسبوع ، الأسبوع الثامن غاب قلت في نفسي: عاد له المرض ، وأنا شعرت بإحباط لأنني تورطت معه وقلت له : يوجد حل طبعاً ،

استقم يعافك الله، الأسبوع التاسع رجع وهو الذي بادرني ، قال : اطمئن يا أستاذ أنا ارتكبت مخالفة ورجعت لي والله ، دخل إلى عند صديق له ، ويوجد اختلاط وسهر ، وملاً عينيه من الحرام وغلط ، فقال: في الطريق جاءتني ، بعد هذا الله عز وجل أخذ بيده ، والتقيت به منذ فترة وطمأنني ، أي مرض ليس له شفاء مستعص

ولكن عامل الله عز وجل بإخلاص فشفاه .

أنا أردت من هذا الدرس إذا أخ عنده مشكلة ، عنده قضية ، قضية مسدودة الأمل، ضعيف ، المرض عضال ، المشكلة مستحكمة ، القضية مالية ، أنت تخاطب خالق الكون كل شيء بيده ، كل شيء بيده ، لا يستعصي عليه شيء وهو على كل شيء قدير ، قال تعالى :

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾

[سورة الشعراء : 80]

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

[سورة الذاريات : 58]

يوجد أدلة كثيرة جداً لا يوجد أخ إلا وعنده قصص ، أنت تعامل رب العالمين من بيده ملكوت كل شيء ، يجير ولا يجار عليه ، فإذا الإنسان شعر أنه ليس من المعقول أن الله يشفيني ، أن يخلصني ليس معقولاً . . . معنى هذا أنت يائس من رحمة الله ، هذا اليأس نفسه مرض ، أما المؤمن فيوجد عنده تفاؤل ، ثقة بالله عز وجل ليس لها حدود .

**الدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء :**

الدعاء كما قال عنه العلماء من أنفع الأدوية ، صدقوني أيها الأخوة إذا أخ عرض لي قضية يبدو أنها مستعصية، وليس لها حل ، والطرق كلها مسدودة ، أنصحه بإخلاص بصلاة الليل ، وأن يدعو الله في السجود ، ياربي ألم تقل في الحديث الصحيح :

((إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجَرَ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

فكل إنسان يعاني من مشكلة ، وطبق هذه الشروط ، دخل حلال ، في دخله لا يوجد كذب ، ولا تدليس ، ولا غش ، ولا احتيال ، ولا إيهام ، ولا احتكار ، وقلب حاضر خاشع ، وإخلاص لله ، أنت بالدعاء أقوى إنسان على وجه الأرض ، أنت أقوى من أي مشكلة ، أقوى من أي مرض ، أقوى من أي قضية تبدو مستحيلة الحل .

الدعاء من أنفع الأدوية ، عدو البلاء ، يدافع البلاء ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل بالمؤمن ، من حديث علي رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

(( الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض ))

[ابن حبان و الحاكم عن أبي هريرة]

أنا أريد هذا الدعاء الذي يئس الناس منه ، لأنهم يسمعون أدعية فصيحة جداً والله لا يستجيب ، نحن نريد دعاء طاهراً ، دعاء من قلب خاشع ، دعاء من إنسان مستقيم ، دعاء من إنسان دخله حلال ، دعاء من ورع ، أنت بالدعاء أقوى إنسان على وجه الأرض ، أحياناً يقول لك إنسان : عندي زوجة لا يوجد إمكان أن تتصلح ، غلطان الله تعالى قال :

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

[سورة الأنبياء : 90]

عندي ابن شارد ، الله عز وجل يهديه إليه ، الآن استمعوا أيها الأخوة إلى قول النبي ﷺ فيما رواه الحاكم في مستدركه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت ، قال لي رسول الله ﷺ :

((لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة))

[الحاكم في مستدركه من حديث عائشة]

أنا لا أطلب منكم أن تتركوا السعي وتتوانوا وتدعوا ، لا ، تقوم بالأسباب بكاملها ولكن وحدها لا تكفي ، عليك أن تؤدي الأسباب كلها قال تعالى :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ قُلْنَا قُلُوبُهُمْ مُّغْضُوبَةٌ مِنْهُ ذَكَرْنَا \* إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبِعْ سَبَبًا﴾

[سورة الكهف : 83-85]

إياك أن تفهم مني أن تدع الأخذ بالأسباب ، أبدأ هذا سلوك فيه معصية ، تأخذ بكل الأسباب ، ابن مريض تأخذه عند أمهر الأطباء ، وتنفذ التعليمات بأدق تفاصيلها ، ثم تقول: يا رب أنت الشافي ، أنت المعافي ، الأمل بك ، الرجاء منك ، يوجد فرق بين أن تأخذ بالأسباب وتعتمد عليها ، وبين أن تأخذ بها طاعةً وأن تعتمد على الله هذا موقف دقيق ، عندك منزلتان ؛ الأخذ بالأسباب منزلق ، وأن تعتمد عليها ، وترك الأسباب معصية ، فأنت إنك عاص إن لم تأخذ بها ، وإما أن الإنسان مشرك إن اعتمد عليها ، لكن البطولة أن تأخذ بها وأن تجعل ثقتك بالله عز وجل ، يقول عليه الصلاة والسلام من حديث ثوبان فيما رواه الحاكم والترمذي :

(( لا يرد القدر إلا الدعاء ))

[الحاكم عن ثوبان]

أنا والله الذي لا إله إلا هو لا أصدق إنساناً قام في جوف الليل فتوضأ وناجى رب السموات والأرض ، يارب هذه مشكلتي بين يديك ، هذه قضيتي ، هذه مصيبتني ، أنت القادر على شفائي ، أنت القادر على رفع البلاء ، الأمل معقود عليك ، أنت القوي ونحن الضعفاء ،

أنت الغني ونحن الفقراء ، لا يوجد إنسان يقف ليصلي ويناجي الله ويضع كل ثقته بالله ، الله يخيب رجاءه ، قال تعالى :

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَيْلَةً مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾

[ سورة النمل : 62 ]

التقيت من أسبوعين مع أخ قال لي : يوجد إنسان أخذ مني مبلغاً كبيراً على أساس أن يعطيني أرباحاً طائلة وكان نصاباً ، والمبلغ كبير وأنا جمعته من أقبائي ، وأخذ مبالغ كبيرة من الناس ، وجدت لا يوجد أمل ذهب المبلغ ، قال لي : صرت أصلي قيام الليل هذا المبلغ ليس لي ، وثقوا بي وأعطوني إياه ، أقسم لي بالله أنه ما أعطى أحداً مبلغه الكامل ، كيف لا أعرف ، أعطاني مبلغني بالتمام والكمال ولم يعط أحداً غيري ، بفضل الدعاء ، أنا أشجعكم ، أعطيك ألف دليل على أنك إذا دعوت الله مخلصاً مهما تكن قضيتك عويصة ، مهما تكن المشكلة مستحكمة ، مهما بدا لك الطريق مسدوداً ، مهما بدت العقبات كؤودة ، مهما بدا لك الأمل ضعيفاً ، الله عز وجل هو القوي ، الغني ، بيده كل شيء ، وقد تجد استثناءات غير معقولة .

أنا أعتقد أنه لا يوجد أحد من أخوتنا الكرام إلا عنده عشرات القصص التي تؤكد هذا الكلام .

### الإلحاح بالدعاء :

الآن يوجد شيء بالدعاء ؛ الإلحاح بالدعاء ، يقول : دعوت أنا لكن لم يستجب لي ، لا ، يجب أن تلح في الدعاء ، لأن الله يحب الملحين في الدعاء ، أسأله مرة ، ومرتين ، وثلاث ، والظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، وأنت تمشي في الطريق ، وأنت تقود مركبتك ، وأنت في بيتك ، يا رب ليس لي غيرك ، الله يحب الإلحاح ، لا تلح على إنسان إلا أن الله يحبك ، الإنسان إذا ألححت عليه يكرهك أما الله فبالعكس مهما ألححت على الله فإنه يحبك .

(( مَنْ لَا يَسْأَلُهُ يَغْضَبُ عَلَيْهِ ))

[ أحمد عن أبي هريرة ]

وفي حديث آخر :

((لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد))

[الحاكم عن أنس]

النبي الكريم في غار ثور وصلوا إلى الغار ، قال سيدنا الصديق : لو نظر أحدهم إلى موقع قدمه لرآنا ، في الخندق قال تعالى :

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾

[سورة الأحزاب : 10]

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾

[سورة الأحزاب: 25]

الآن دخلنا في تفاصيل الدعاء ، الإلحاح في الدعاء :

((مَنْ لَا يَسْأَلُهُ يَغْضَبُ عَلَيْهِ))

[أحمد عن أبي هريرة]

((لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد))

[الحاكم عن أنس]

تدعو وتهلك ؟ مستحيل ، مستحيل على ذات الله أن تدعوه وأن يهلكك ، وفي الحديث الصحيح :

((إن الله يحب الملحين في الدعاء ))

[الحكيم ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة]

موانع الدعاء ؛ أول مانع : أن يكون الدخل حراماً ، ثاني مانع : أن يكون القلب ساه وواه عن الله ، ألا يكون في خشوع ، المانع الثالث : هذا المانع أن يستعجل العبد وأن يستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً ، بذر بذراً ويقول : زرنا البارحة الزيتون أين الزيتون ؟ لم تخرج فقلعها ، هذا الذي يستعجل ويقول : دعوت فلم يستجب لي ، ليس أنت تقرض على الله عز وجل وقت الإجابة ، أنت دعوت انتهى دورك ، الآن انتظر من الله أن يستجيب لك في الوقت المناسب ، وفي الوضع المناسب ، الله جعل لكل شيء قدراً ، أما الذي يقول : دعوته ولم يستجب لي ، معنى هذا أنت فرضت على الله عز وجل تنفيذ الدعاء بوقت معين ، لا ، هذا سوء أدب مع الله ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام بالحديث الصحيح في صحيح البخاري :

(( يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ : دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إذا قلت دعوت ولم يستجب لي معنى ذلك أنك تعجلت ، وكأنك بيست من رحمة الله ، وكأنك فرضت على الله وقتاً معيناً لإجابتك ، وهذا من سوء أدبك مع الله ، دعوت وقت الإجابة بيد الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾

[سورة يونس : 89]

بعد كذا سنة الله عز وجل استجاب ، وفي صحيح مسلم :

(( لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتِعْجَالُ ؟ قَالَ : يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

إذاً من المصيبة الكبيرة أن تدع الدعاء لتوهمك أن الله لم يستجب لك ، كم مانع صاروا ؟ ثلاثة غفلة القلب ، والدخل الحرام ، والاستعجال هذه موانع الدعاء ، وفي مسند أحمد :

(( لا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ ؟ قَالَ : يَقُولُ دَعْوَتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي ))

[أحمد عن أنس]

### من المصيبة الكبيرة أن يدع الإنسان الدعاء لتوهمه أن الله لم يستجب له :

أنت لا تعرف متى الإجابة المناسبة ، أنا ذكر لي أخ هو طالب طب كان يدرس في حلب قال لي : أنا بلدي في إلب ، يوم الخميس أردت أن أذهب إلى بلدي ، جاء إلى مركز الانطلاق في السيارة خمسة ركاب ، جلست في المقعد الأمامي- وهو قطعه صغيرة- المقعد الخلفي ممتلئ و هناك مقعد في الأمام ، يأتي شخص ضخم الجثة ، عظيم الهيئة ، متعجرف ، متكبر مع صديقه ، قال لي : فتح الباب وحملني ولم يكلمني وركب هو وصديقه ، قال لي : شعرت بدناءة وذل ، يقول لي : اسمح لي بالمحل أعطيه المحل ، ما تكلم وركب ومشى ، قال لي : اشتغل الحقد بنفسني ، بحياتي ما نويت أن أقتل مثل هذه الساعة ، انتظر ساعة ثانية حتى امتلأت السيارة عند تقفاز السيارة قلبت والكل ماتوا ، صار هناك انزلاق ومات جميع الركاب ، خلال ثانية انقلب الذل والحقد إلى شكر لله عز وجل ، الحمد لله الذي حملني ووضعني خارج السيارة . أحياناً الله عز وجل ينجيك ، أنت تملئ حقداً ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، هذه الآية عندما تقرأونها يجب أن تدخل إلى أعماقكم ، قال تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: 216]

أحياناً سبب نجاتك إساءة لك ، فلذلك يقول بعض العلماء : إذا جمع مع الدعاء حضور القلب ، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة ، متى أوقات الإجابة ؟ الثلث الأخير من الليل ، هذا أول وقت إجابة ، في السحر ، وعند الأذان ، إن سمعت المؤذن فادع فوق الأذان وقت الإجابة ، بين الأذان والإقامة ، عقب الصلوات المكتوبات ، تنتهي من صلاتك : " اللهم اهدني فيمن هديت ، عافني فيمن عافيت ، أعني على دوام شكرك وذكرك وحسن عبادتك " لا تدع الدعاء عقب الصلوات الخمس لأن هذا الوقت وقت إجابة ، وعند صعود الإمام

يوم الجمعة على المنبر حتى تتقضي الصلاة ، أنت في بيت الله ، أنت ضيف الله عز وجل .  
وآخر ساعة بعد عصر ذلك اليوم ، عصر يوم الجمعة وقت إجابة .

إذا جمع مع الدعاء حضور القلب ، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة ، وانكساراً بين يدي الله عز وجل ، وذلاً وتضرعاً لله ، ورقةً ، واستقبل الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، ورفع يديه إلى الله ، وبدأ بحمد الله والثناء عليه ، ثم ثنى بالصلاة على محمد بن عبد الله ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ، ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة ، وتملق الله ، ودعاه رغبةً ورهبةً ، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده ، وقدم بين يدي دعائه صدقة ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ، ولا سيما إذا صادف الأدعية التي أخبر عنها النبي أنها مظنة إجابة ، دعا بدعاء النبي . دعاء النبي : " اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ قضاءك ، نافذ فيّ حكمك ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أعوذ بك أن تحل عليّ غضبك ، أو تنزل بي سخطك ، أعوذ بك من تحول عافيتك ، وفجأة نقمته ، وجميع سخطك ، ولك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله "

هذا من دعاء النبي ، احفظوا أدعية النبي لابد لكل أخ منا من كتاب الدعاء المستجاب ، كتاب صغير أدعية النبي احفظوها ، أدعية جامعة مانعة ، من أدعية النبي الماثورة:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ :  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ  
، قَالَ : فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ))

[الترمذي عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه]

لأن سيدنا يونس غريب ما دعا الله قال تعالى :

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ  
مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنبياء: 87-88]

ما دعا ولكن عندما قال : لا إله إلا أنت سبحانك هذا دعاء ، الثناء دعاء ، الثناء على الله دعاء ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

أخ من أيام في جامع الطاغوسية جالس يحكي قصته ؛ له مع أخ مبلغ ضخم وهذا الإنسان صعب ، فكان دعوته لله مخلصاً ، بعد أن دعا لله دعاء مخلصاً ، وسجد لله ، من شدة شكره لله وفقه الله و أعيد له المبلغ ، أنت تعامل مع الله مباشرة ، اعرض له همومك ، مشكلاتك ، ارفع قضيتك له ، اسأله ، بعلمه ، بقدرته ، بحكمته ، برحمته .

أدعية مستجابة تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها :

((سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدًا، قَالَ : فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ))

[الترمذي عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه]

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا يَغْنِي وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : تَدْرُونَ بِمَا دَعَا قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ))

[النسائي عن أنس ]

((عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ( وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ) وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ ( اَللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ ))

[الترمذي عن أسماء بنت يزيد]

((عَنْ رَبِيعَةَ بِنْتِ عَامِرٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : أَلْظُّوا بِنَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ))

[ أحمد عن ربعة بن عامر ]

أي احتموا ، تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها ، إذاً الرحمن الرحيم ، الحي القيوم، ذو الجلال والإكرام هذه فيما ورد عن النبي من أسماء الله العظمى ، من أجمع أدعية النبي عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَهُ أَمْرٌ قَالَ : يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ))

[ الترمذي عن أنس بن مالك ]

أيضاً في جامع الترمذي :

((عَنْ سَعْدِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ ))

[ الترمذي عن سعد ]

قال الترمذي حديث حسن صحيح ، ذي النون سيدنا يونس ، يوجد أيضاً حديث آخر عن سيدنا سعد :

((ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا فدعا به يفرج الله عنه ، فقيل له : بلى ، قال : دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ))

[ الترمذي عن سعد ]

**الدعاء سلاح خطير وهو بيد كل إنسان :**

هذا الليل أمامكم ، وكل إنسان بإمكانه أن يصل إلى ما يريد عن طريق الدعاء بشرط أن يكون دخله حلالاً ، قلبه خاشعاً ، لم يستعجل ، هذه ثلاثة موانع للدعاء ، وإن كان في وقت إجابة أفضل . من أدعية النبي صلى الله عليه انه قال :

((عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُرْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا ، قَالَ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا))

[أحمد عن عبد الله]

الحقيقة إذا قرأتم السنة لوجدتم أن أحوال النبي كلها أوعية ، إنسان خرج من بيته إلى السوق يوجد خمسين مطباً في السوق ، يوجد صفقة خاسرة ، دين ميت ، مشكلة مع التموين ، هناك ألف مشكلة :

((عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ))

[أبي داود عن أم سلمة]

أقدمت على عمل قل : " اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك يا ذا القوة المتين ".  
بيدك سلاح خطير ، خالق الكون يصير معك ، بعلمه ، وحكمته ، وقدرته ، وغناه ، ورحمته ، إذا دعوته ، كن مع الله تر الله معك بعضهم قال ونحن في ختام هذا الدرس : الدعاء سلاح ، لكن السلاح يحتاج إلى ساعد قوي ، فالسلاح لا يحده بل يساعده " ليس كل إنسان قرأ الدعاء وصل ، قلب طاهر ، يد نظيفة ، دخل حلال ، قلب خاشع ، وقت إجابة ، تذلل ، تضرع ، إخلاص ، المهم الساعد القوي الذي يحمل هذا السلاح الفتاك ولا يوجد مانع ، سلاح وساعد قوي ، وانعدام المانع - والمانع كما قلت لكم - دخل حرام ، استعجال ، قلب غافل. لا يوجد مانع يوجد طهر في القلب ، وإخلاص ، والدعاء موجود ، يصبح الدعاء من أنجح الأدعية التي في يد المؤمن ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

((الدعاء سلاح المؤمن))

[ابن حبان و الحاكم عن أبي هريرة]

أحياناً هناك موضوعات كثيرة تعرض في موضوع الدعاء تحتاج إلى معالجة متأنية ، لكن أحد هذه الموضوعات قد يقول قائل : الله عز وجل يرانا ويعلم أحوالنا فلماذا أمرنا أن ندعوه ؟ أب يرى ابنه بحاجة إلى معطف لا يشتري له هذا المعطف إلا إذا سأله ؟ العبرة أن الدعاء وسيلة وهدف في الوقت نفسه ، وسيلة من أجل أن تصل إلى مرادك ، أما هو هدف لأنه يعد أعلى درجة بالصلة بالله عز وجل ، الدعاء هو نفسه هدف ، فرينا عز وجل حينما يخلق لك حاجة وينتظر أن تدعوه من أجل أن تتصل به ، من أجل أن تسعد بالاتصال به ، من أجل أن تذوق طعم القرب منه ، صار الدعاء هدفاً ، إلى الآن كان وسيلة يوجد عندنا مشكلة يحلها ، أما الآن يوجد شيء جديد الدعاء نفسه هدف ، الدعاء اتصال بالله ، الدعاء قرب ، الدعاء رحمة ، أحياناً الإنسان يدعو الله فينتعم بقربه ، يدعو الله فيسعد بقربه ، وقد ينسى موضوع الدعاء لأنه حصل المراد وصار قريباً من الله عز وجل.

أيها الأخوة ؛ أرجو الله سبحانه وتعالى أن يترجم هذا الدرس إلى أدعية من قبلكم الآن الموضوع بين أيديكم ، هناك حل لكل مشكلة ، الله عز وجل ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا ، وكل إنسان يتحرى الحلال بدخله ، ويكون ورعاً ، ويدعو الله بقلب خاشع ، ولا يقول : دعوت ولم يستجب لي ، لينظر كيف أن الله سبحانه وتعالى يذهب عنه الغم والحزن .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (065 - 127) : أحاديث شريفة عن آخر الزمان

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-06-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام: يحتاج الإنسان أحياناً إلى تفسير مقنع لما يجري حوله ، فبينما هو يقرأ القرآن الكريم يقرأ قوله تعالى:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

(سورة آل عمران)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(سورة الحج)

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

(سورة الروم)

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾

(سورة آل عمران)

ويقرأ حديث رسول الله ﷺ:

((أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً))

(صحيح البخاري)

يقرأ القرآن والسنة ، فإذا المؤمنون هم المنتصرون ، وهم الذين لهم العاقبة ، يتلفت المؤمن حوله لا يرى أثراً من هذا ، لا يرى نصراً ولا يرى تفوقاً ولا يرى نجاحاً ، هو المؤمن الآن بحاجة إلى تفسير ، لماذا يجري الذي يجري؟ هؤلاء المسلمون الذين لم يغلبوا من اثني عشر ألف من قلة ، لم يغلبوا كما قال عليه الصلاة والسلام ما بهم يغلبون أحياناً وهم مليار ومائتين مليون ؟ المسلم الآن يحتاج إلى تفسير مقنع ، والحقيقة النبي الكريم أطلع الله على الغيب.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (26) ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

(سورة الجن)

الله ﷻ أطلع النبي عليه الصلاة والسلام على بعض من علم الغيب ، أطلعته على ما يجري في آخر الزمان ، على أحوال أمة في آخر الزمان ، لذلك إذا قرأنا هذه الأحاديث محور هذا الدرس طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة التي تتحدث عن آخر الزمان ، أما علاقتنا بهذه الأحاديث أن نبتعد بكل ما أوتينا من قوة عن وصف المسلمين في آخر الزمان لئلا ينطبق علينا ما قدره الله عليهم ، لأن الله سبحانه وتعالى عادل ، فإذا انحرف المجموع واستقام واحد لهذا الواحد معاملة خاصة ، واحد فقط عرف الله واستقام على أمره له معاملة خاصة ، نسعى بكل جهدنا أن يعم الخير الناس جميعاً ، ولكنه في آخر الزمان إذا رأيت شحاً مطعم وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، النبي عليه الصلاة والسلام ينصحك ، ظرف استثنائي يقول لك: فالزم بيتك خذ ماتعرف دع ماتكر عليك بخاصة نفسك دع عنك أمر العامة ، توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام صارخة لكل مكان وزمان.

عبد الرحمن بن جبير حدّث عن أبيه فقال: لما فُتحت قبرص المسلمون فتحوا قبرص ، فُزّق بين أهلها ، بكى بعضهم على بعض ، رأيت أبا الدرداء الصحابي الجليل يبكي وحده ، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه المسلمين ؟ فقال: ويحك يا جبير ! دققوا! ما أهون الخلق على الله إذا هم أضاعوا أمرهم ، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى ، هو ينظر إلى هؤلاء القوم الأقوياء ، أصحاب الصولة والجملة ، كيف أدلهم الله ، وكيف فقدوا ملكهم ، وكيف اصبحوا أسارى ، وكيف هم يبكون ، قال أبو الدرداء: ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمرهم ، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

إخواننا الكرام: كلمة أسوقها لكم بصدق شديد إذا هان أمر الله عليك هنت على الله ، إذا علم أمر الله عندك كنت عند الله عظيماً ، إذا هان أمر الله عليك ، سيان أطعت أم عصيت ، صليت أم لا تصلي ، استقام لسانك أم لم يستقم ، كان دخلك حلالاً أو حراماً ، إذا استوى عندك الأمران هنت على الله ، وإذا هنت على الله رأيت ما ترى ، أبو الدرداء وحده صار يبكي ، قال: يا أبا الدرداء ما يبكيك ؟ تبكي في يوم عز المسلمين ؟ فقال أبو الدرداء: إنما أبكي لأنه ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمره فصاروا إلى ما ترى.

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو داوود في الملاحم:

((قَالَ سُلَيْمَانُ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَغْدِرُوا ، أَوْ يُغْدِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ))

(سنن أبي داوود)

إخواننا الكرام: حقيقة أضعها بين أيديكم لا يوجد مؤمن على وجه الأرض إذا ساقا الله له بلية أو مصيبة غلا ويعلم علم اليقين أن الله عادل ، وأنه فعل قبل أن تصيبه المصيبة ما يستحق هذه المصيبة ، إلا أن الإنسان أحياناً يظن الظن بغيره ، أما كل إنسان على حدا ، لو كان صادقاً مع نفسه وساق الله له مصيبة يعلم علم اليقين أن هذه المصيبة ما ساقها الله له إلا وهي محض عدل ! هذا كلام مقطوع به ، لكن نحن قد نسمع آلاف القصص عما يصيب الناس لجهل أو نقص معلومات نقول: لا يستحق ، فلان مغضوب ، لكن النبي عليه

الصلاة والسلام يقول:

قال النبي ﷺ:

((ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر))

(الإصدار للإمام القرطبي)

لذلك قال عليه الصلاة والسلام: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا ، أَوْ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ))

يقول لك الإنسان: والله يستحق ، إن الذي ساقه الله لي أقل ما فعلت ،

(( لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا ، أَوْ يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ))

عن النبي ﷺ أنه قال:

((عَنْ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ))

(صحيح البخاري)

محفوظة برعاية الله ومشمولة بعطفه ومحفوظة بأطاف الله محفوظة بتوفيق الله محروسة بعين الله.

حديث "لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها"

((أخرجه أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلًا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من

حديث علي وابن عمر بلفظ "ما لم يعظم أبرارها فجارها ويدهن خيارها شرارها" وإسنادهما ضعيف))

(تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي)

ممکن أن يكون الدخول حرام ، ولديه ملهى أو مسبح مختلط وعمل حفلة مولد ويدعى أناس ليلقوا كلمات يشيدون بفضله ممكن ! أو عقد قران يجري في نادي ويقوم الخطباء فيسمون على الأسترتين الكریمتین الوریعتین الطاهرتین ثم يكون العرس في فندق من الفنادق الضخمة توزع فيها الخمور وتحضر النساء كاسيات عاريات وترقص الراقصات والأسترتان کریمتان طاهرتان تقیتان من أعرق أسر دمشق ، وكتب على بطاقة الدعوة الطیبون للطیبات!

دقق في الحديث:

((لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه مالم يمالئ قراءها أمراءها ، ومالم يزكي صلحاءها فجارها ، وما لم يهن خيارها أشرارها ))

إذا الأشرار أهانوا الخيار ، إذا الصلحاء زكوا الفجار ، إذا القراء لم يلقوا الأمراء ، رفعت عنها يد الله ، أي هانت على الله ! سيان أعزت أم ذلت ، قويت أم ضعفت.

قلت لكم في بداية الدرس: المسلم أحياناً يحتاج إلى تفسير مقنع لأنه يقرأ كتاب الله.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

(سورة النور)

إقرأوا كتاب الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(سورة الحج)

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾

(سورة آل عمران)

يقراً حديث رسول الله:

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعٌ مِائَةٌ وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةٌ آلَافٌ وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ ))

(سنن أبي داود)

ينظر إلى ما حوله وإلى من حوله ، الوضع مختلف ، هو الآن بحاجة إلى تفسير هذا هو التفسير الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ما أطلع الله به على الخلق.

يقول لك: الرزق قليل ، هل فتشت عن المعاصي والآثام ؟ هل فتشت عن الكذب والتدليس ؟ عن إخفاء العيوب ؟ عن بضاعه لا ترضي الله ؟ وعن الخداع في البيع والشراء ؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءَ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ ))

(مسند الإمام أحمد)

مكان عمل ، صاحب المحل يملأ عينيه من الحرام ، وينزل حديثاً رقيقاً مع من في المحل من النساء ، ويقول لك: الرزق قليل.

إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ ، أضع بين أيديكم أحاديث رسول الله الصحيحة ، التي نرجو الله سبحانه وتعالى أن نبتعد بعد الأرض عن السماء عن أن تنطبق علينا ، إن لم تنطبق علينا لم تنطبق نتائجها علينا ، إن نجونا منها حصلنا ما وعدنا به ربنا.

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى فَصْعَتِهَا قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَمِنْ قَلَّةِ بَنِي يَوْمِنَدٍ ؟ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمِنَدٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُنَاءً كَغُنَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ: قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

(مسند الإمام أحمد)

من كل أفق ثلاثين دولة أحياناً ،

((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى فَصْعَتِهَا قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَمِنْ قَلَّةِ بَنِي يَوْمِنَدٍ ؟ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمِنَدٍ كَثِيرٌ (مليار ومائتا مليون ) وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُنَاءً كَغُنَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ: قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))

تفسير ثالث ، النبي عليه الصلاة والسلام كما قلت في مطلع الدرس نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر ، إذا خالفت أمته سنته ربما تهزم بالرعب مسيرة سنة !

(( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ ، يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ))

(مسند الإمام أحمد)

ألست معي أن كثيراً من مجالس المسلمين من ندواتهم ولقاءاتهم وحفلاتهم وولائمهم ومآسيهم ، تنطلق الألسنة لنشر أعراض الآخرين ، أليست الغيبة محرمة وأنها من الكبائر ؟ ومع ذلك يفعلها الناس

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالذِّبْنِ ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الصَّانِ مِنَ اللَّيْنِ ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّبَابِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُّونَ فَبِي حَلَفْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا ))

(سنن الترمذي)

أحياناً نتوصل إلى الدنيا من خلال الدين ، ندخل بين الدين وبين الدنيا ، نلبس الدنيا لبوس الدين ، نلبس الدين لبوس الدنيا ، الدنيا هي الأصل ، نجعل الدين في خدمتها ، وطريقاً إليها ، هذا هو ختل الدين بالدين ، لذلك: **يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الصَّانِ مِنَ اللَّيْنِ .**

نعوم رقة لسان لطيف ابتسامة مشرقة ،

**((يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الصَّانِ مِنَ اللَّيْنِ ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الدِّبَابِ.))**

هذه النماذج أليست موجودة في حياتنا ؟ مجاملات مدح ثناء ، فإذا ذهب بعد مترين تكلمنا عكس ما قلناه في حضرته !

**((أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الدِّبَابِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَبِي يَغْتَرُونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُونَ فَبِي حَلَفْتُ لِأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلِيكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا ))**

أضع لكم نماذج من حديث رسول الله الصحيح عن حالة المسلمين في آخر الزمان ، فإن لم تجدوا استخلاقاً ولا تمكيناً ولا دفاعاً ولا حفظاً ولا نصراً ولا تأييداً ولا توفيقاً بأسنا بيننا ، إن وجدتم شيئاً حرتم في تفسيره هذا هو التفسير !

**((ذكر ابن ابي الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال: قال علياً كرم الله وجهه: يأتي على الناس زمان لا يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ))**

أعرف رجل مسلم ولد في هذه البلدة الطيبة وعمل بالتجارة وذهب على مصر ، وسأل أحد أصدقائه هناك: أين قبر محمد ؟ من محمد ؟ قال لهم: النبي الكريم ، قالوا له: في مصر قبره ؟ مسلم من أسرة مسلمة ما عرف عن الدين شيئاً.

**((يأتي على الناس زمان لا يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه))**

هناك أخطاء كبيرة جداً ، لا يعرف شيء عن الدين ولا عن فرائض الدين وواجباته ، يرتكب كل الموبقات وكأنها مشروعة ، لم يعلمه أحد ، أبوه لم يحرص على تربيته ، هذا من علامات آخر الزمان .  
ومن مراسيل الحسن إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل .

مكتبات ضخمة ومكتبات مقروءة ومكتبات مسموعة ومكتبات مشاهدة ، موجود كل شيء ، رسائل محاضرات جامعات كليات كتب ملخصات تدريبات كل شيء موجود ، أما التطبيق فلا يوجد !

لذلك إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل ، تحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ، هذا شيء والله ملاحظ ، تجد المديح من أرقى مستوى ، أحلى من العسل ، فإذا سُئِلَ عن هذا الذي مدحه في حضرته بعد ساعة ، مط شفتيه أو رفع حاجبيه أو تكلم كلاماً قبيحاً وهذا من علامات آخر الزمان ، أنا أعطيك مبررات لما يجري حولنا ، المسلم يتساءل أين وعد الله ؟ ألسنا مسلمين ومؤمنين ؟ ما هذا الذي يجري في كل بقاع الأرض ؟

لي صديق ذهب لبلد إسلامي في الاتحاد السوفيتي سابقاً يبدو أن أحد المسلمين في مكان عام أو في الجمعية التعاونية عرفه مسلم فأحبه حباً شديداً ! وقدم له زجاجة خمر هدية لأنه مسلم ! جهل خمر يشربون الخمر ، حدثني أحد خطباء المساجد ذهب إلى بلد إسلامي في شرق أوروبا قال لي من فمه والله: مسجد مكتظ بالمصلين وأكثرهم يأخذ من جيبه الخمر ويشربه في المسجد ويتأثر بهذا الخطاب ! سبحان الله هكذا .

من أجل أن تعرفوا لماذا تخلى الله عنا ، العواطف لا تجدي ، ذكرت قبل قليل أن الإسلام بكل نشاطاته يجب أن ينتهي بنا إلى أن نتصل بالله ، وأن نسعد بقربه في الدنيا والآخرة ، وإلا فلم يكن اتصال ، وتلك السعادة أصبح الإسلام ثقافة فلکور وطقوس وعادات وتقاليد وتراث ، عنده عاطفة إسلامية تطبيق لا يوجد أبداً .

إنسان تعرف أن له اتجاه إسلامي تدعوه إلى الإسلام في رمضان بمكتبته تدخل القهوة والشاي ! سبحان الله أستاذ في الجامعة ، درسنا له فكر غلامي ، في رمضان لا يصوم ، تطبيق لا يوجد ، فنحن لا ينبغي أن نعتب على الله بل على أنفسنا ، ينبغي أن نحاط .

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)﴾

(سورة البقرة)

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا

لَا تَعْلَمُونَ (80)﴾

(سورة البقرة)

أنا في هذا الدرس أردت أن أجيب عن سؤال واحد: لماذا نحن هكذا ؟ أين استخلاف الله لنا ؟ أين تمكين الله لديننا ، أين تطمين الله لنا ؟ أين دفاعه عنا ؟ أين نصره وقوله تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)﴾

(سورة الروم)

هذه الأحاديث وتلك الوقائع تقدم لكم التفسير المقنع ، الموقف العملي أن تنجو أنت بطاعة الله وبالتطبيق لا بالحديث والفلسفة وبالإقبال على الله والاتصال به وبالمداومة على ذكره.

إذا أظهر الناس العلم وضيعوا الجهل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام.

يقول: من سنة لم أزور أختي ، تقنخر بهذا الكلام ؟ أحتك من لها غيرك ؟ تقاطعوا بالأرحام ، أحياناً بين أخوين دعاوى ، أعرف رجل له أخت كانت يتيمة توفي والده فحرص على تعليمها والعناية بها إلى أن نالت ليسانس في الحقوق وأصبحت محامية ، الآن تكيد له في القضاء ! هو وإياها في القضاء من أجل أن تأخذ منه بيتاً ! أخ وأخت من أم وأب واحد في القضاء ، كم دعوة في القضاء بين الأهل ؟ بين الآباء وأبنائهم ، وبين الأخوات وأخوانهم ، بين الأم وابنها ، دعوة نفقة وابنها غني لا يعطيها ، مثل هؤلاء المسلمين يحتاجون أكثر من ذلك.

الحديث الصحيح المشهور الذي يحل بعض المشكلات وهذا الحديث من دلائل نبوة النبي:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ))

(سنن ابن ماجه)

((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ))

يستعيز النبي بالله أن يدرك أصحابه هذه الحال.

((لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ))

أحدث إحصاء لمرضى الإيدز خمس وثلثون مليون ! أنا قبل ستة أشهر ألقىت خطبة إذاعية عن الإيدز ، وكان تحت يدي أحدث إحصاء عشرين مليون ! منذ أيام قرأت خمس و ثلاثين مليون مصاب بالإيدز ، في كل عشر ثواني يموت إنسان في الإيدز ! كل ثلاث ثواني يموت إنسان من الدخان ! إحصاءات رسمية ، قبل أسبوعين كان مناسبة مكافحة التدخين ، وزير الصحة تلقى مكالمة هاتفية من صديق له من أحد علماء أمريكا ، يقول هذا الصديق لوزيرنا: إن علبة الدخان التي تأتيكم هي من أسوأ أنواع الدخان بالعالم ، ولو كانت الماركات فخمة ، العلبة الواحدة فيها من الأذى والضرر ما يساوي خمس علب تباع في بلادهم ! ذكرت هذا في خطبة الجمعة ، وأحد علماء مصر ذهب بنفسه إلى أميركا فرأى بأم عينه كيف ينقع ورق التبغ بالخمير ! الذي يتحدثون عنها نكهة التبغ ، وعندي كتاب اشتريته من معرض الكتاب السابق ، وقبل أسابيع قرأته، وذكرت بعض مافيه في إحدى خطب الجمعة ، وهذا الذي يظهر في الدعايات كما قيل لي شاب وسيم الطلعة ، يرتدي ثياب الكايبوي يقول تعال إلى حيث النكهة ، هذا الشاب مات بمرض السرطان في الرئة ! وقال قبل موته: كنت أكذب عليكم فالدخان هو الذي قتلني ، ماذا يقول عليه الصلاة والسلام ؟

(( لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَصَّتْ فِي  
أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ))

أليست هذه الفقرة من الحديث من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ؟

(( وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ ))

قال لي: يملأ الكازية على التمام مثلاً ثلاث وعشرين ليتر ، الثانية على التمام تسعة عشرة ليتر ، معنى هذا يوجد تلاعب في العداد

(( وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشَدَّةِ الْمُتُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ  
أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُنْطَرَوْا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ))

يقال بعض الحروب الحديثة خمسمائة وثلاث وسبعين مليار نقلت من بلاد الشرق إلى بلاد الغرب عقب هذه الحرب.

(( وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ  
تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ ))

كل بأس المسلمين على بعضهم ، كل شدتهم وقوتهم على بعضهم ، هذا الحديث وحده من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

((وذكر أبو عمر بن عبد البر عن أبي عمران قال: بعث الله عز وجل ملكين إلى قرية أن دمرها فيها فوجدوا فيها رجلاً قائماً في المسجد يصلي فقال: يا ربي إن فيها عبدك فلان يصلي، فقال الله عز وجل دمرها ودمرها معهم إنه ماتنعر وجهه في قط ))

أب صالح يصلي ، ابنته تسير بثياب ضيقة تبدي كل مفاتها ، يقول لك: صبية وهو يصلي ، ليس له علاقة هذه ابنته ، تثير الشباب تظهر مفاتها ، زوجته في الشرفة بثياب متبذلة ، مرتاح تماماً وبراءة الأطفال في عينيه ، لا مشكلة ابداً.

قال: ما تنعرج وجهه في ، دمره معهم ، صلاح ونعومة ، في المسجد درس لطيف ، جزاه الله خيراً للأستاذ ، والبيت ليس فيه شيء من الدين ، لا الزوجة ولا البنات ولا الأولاد ، موبقات وأجهزة لهو ، مرتاح لا مشكلة ، ويجلس في الصف أول في المسجد ! هذه النماذج بها أهلكنا الله عز وجل ، أين الغيرة على الدين ، هذه التي تسير في الطريق أليس لها أب أو أخ إلى هذه الدرجة ! ما بقي شيء للزوج إطلاقاً ، كل شيء في الطريق.

في رواية أخرى

((ذكر الحميدي عن سفيان بن عمينة قال: حدثني سفيان بن سعيد عن مسعد أن ملكاً أمر أن يخسف بقرية فقال: يا ربي إن فيها فلاناً العابد فأوحى الله عز وجل أن به فابدأوا ! لماذا يا ربي ؟ قال: لأنه لم يتنعرج وجهه في ساعة قط ))

نحن نريد حركة إلى الله ، نريد موقف عملي ، وبيت مسلم ، محل إسلامي لا كذب فيه تدليس لا يوجد ، أما نحن مع الناس ، صرعاتهم نأخذ بها أخلاقهم نأخذ بها ، ونحن مسلمون ونصلي في المسجد ونؤدي واجباتنا الدينية وكأن شيئاً لم يكن.

مثل هؤلاء المسلمين لن ينصروا ولم يأخذ الله بيدهم ولن يدافع عنهم.

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا يَغْنِي صَنُّ النَّاسِ بِالْذِّينَارِ وَالذِّرْهَمِ وَتَبَايَعُوا بِالْعَيْنِ ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَلَاءً فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ ))

(مسند الإمام أحمد)

العين أسلوب ربوي بغلاف شرعي ، وكمن أسلوب في البيع والشراء أساسه الربا ومظهره إسلامي ، سجادة في هذا المحل يأتي طالب قرض الربا يشتري هذه السجادة بألف ديناً ، ثم يبيعهما للبايع نقداً بثمانمائة ! بيع وشراء ، اشتراها مسيئة بألف ثم باعها نقداً بثمانمائة ،

ويقول لك هذا بيع ، هذا هو بيع العين ، أسلوب في البيع ربوي مغلف بغلاف شرعي ، وهذه من حيل المنافقين .

(( ذَا يَغْنِي صَنَّ النَّاسُ بِالذِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ وَتَبَايَعُوا بِالْعَيْنِ ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقْرِ ))

طبعاً النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة جداً حض على الزراعة ، وجعل كل من يزرع كل ما يؤكل من زرعه صدقة ، لأنه قدم للناس خدمات جل ، إلا أن هذا الحديث يعني شيء آخر ، الإنسان ركن إلى مزرعة لا يريد ولا يطلب العلم ولا يعلم أحد ، يريد مسبح وفيلة ومسرور ، فواكه لذي وجو لطيف ، نقي لا تلوث فيه ، الحياة رسالته أن يكون مسرور ، ليس له هم أبداً .

(( وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقْرِ وَتَرَكَوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَلَاءً فَلَمْ يَرْفَعُوهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ ))

الحياة الرخاء يعيش ليسر ويتنعم وليحقق لذاته فقط لا رسالة ولا هدف ولا طلب علم ولا تعليم علم ولا يهمله المسلمون ، لا يهتم إلا بمصالحه فقط ، هذا النموذج هو سبب البلاء .

يقال أن باختصر الذي أجلى اليهود عن أرضهم وشردهم في الآفاق قال لبعض أنبيائهم: ما الذي سلطني على قومك ؟ قال: عظم خطيئتك وظلم قومي أنفسهم .

ومرة سؤل تيمر لند من أنت ؟ قال: أنا غضب الرب ! إذا غضب الله عز وجل أنزل بهم ، والحديث القدسي الذي أرويه لكم كثيراً:

(( أنا ملك الملوك ، أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي فإن العباد أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرفقة والرحمة ، وإن هم عصوني حولتها عليهم بالسخطة والنقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لصلاحكم ، وإذا أراد الله بقوم خيراً جعل أمرهم إلى حلمائهم ، وجعل أغنيائهم اسخياتهم ، وجعل أمرهم شوري بينهم ، أما إذا غضب على قوم كان أمرهم إلى نساءهم وأمرائهم شرارهم وأغنيائهم بخلائهم ))

((قال يونس: يارب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك من رضاك ؟ كيف ترضى عنا وكيف تغضب ؟ قال: فأوحى إلي إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضائي عنكم ، وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم ))

مقياس دقيق ، النبي عليه الصلاة والسلام استعاذ من إمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لن يغفر ، استعاذ من رجال سوء إن رأى خيراً كتّمه ، وإن رأى شراً أذاعه.

(( وفي معجم الطبراني من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال عليه الصلاة والسلام: ما طفف قوم كيلاً ولا بخسوا ميزاناً إلا منعهم الله عز وجل القطر من السماء ، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت. ))

بعض الإذاعات الأجنبية أجرت مقابلة مع طالبات في الجامعة في معظم الدول العربية ، الأسئلة تمارسي الجنس؟ قالت: نعم ، تسعة من عشرة يمارسون الجنس قبل الزواج ! ببساطة ، الإنسان يحتار شيوع الزنا إلى درجة غير مقبولة ، طبعاً في بلاد الغرب جريمة الزنا كأنك تشرب كأس ماء !

حدثني أخ كريم كان هناك في كل دورات المياه في التعليم الثانوي إرشادات للطلاب والطالبات في ممارسة الجنس ، يمارس في دورات المياه أثناء الدوام ! شيء طبيعي.

لذلك النبي الكريم قال: ما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما ظهر في قوم الربا إلا سلب الله عليهم الجنون ، وما ظهر في قوم القتل إلا سلب الله عليهم عدوهم ، ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف ، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر إلا لن ترفع أعمالهم ولم يسمع دعائهم.

اخترت لكم هذه الأحاديث من أجل أن تعطينا تفسيراً مقنعاً لماذا تخلى الله عنا ، والله عز وجل يقول: وإن تعودوا نعود.

وقد حدثنا عليه الصلاة والسلام في إحدى خطبه بعد أن صعد المنبر ، حمد الله وأثنى عليه وقال:

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ قَدْ حَفَرَهُ شَيْءٌ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا ، فَدَنَوْتُ مِنَ الْحُجْرَاتِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ ))

(مسند الإمام أحمد)

أنا أعرف معرفة يقينية أن رواد المساجد وطلاب العلم والذين يرجون رحمة الله بعيدون عن هذه الأحاديث كلياً لكن أنا أحذر إخوتنا أن الإنسان إذا تساهل ربما تسللت الفتنة إلى بيته ، من أجل أن نبقى يقظين وحذرين المؤمن كيس فطن حذر .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

(سورة النساء)

كان عندي أخ والده ركب صحن ، وبعد أن ركبه قال له: أجربه فشاهد مناظر غير معقولة ، قال له: الآن تأخذه! قال: عجيب قال: عندي بنت وابن أغلى علي من هذا الجهاز إنزعه وخذ أجرتك ، لم يكن يعلم أنه موجود شيء لا يرى ، إذا كان أولادك غاليين عليك هل تضحى بأخلاقهم من أجل أن ترى أنت ما في العالم كله ؟ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ

((مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ))

ومن أحاديث رسول الله في آخر الزمان:

((إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة ))

(الجامع لجلال الدين السيوطي)

أحياناً الإنسان يغلق بابه ويرتكب معصية ، من الذي تضرر ؟ واحد هو الذي اقتترف المعصية ، إذا خفيت الخطيئة لن تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة.

كثير من الناس يقولون: أقمنا في مكة والمدينة أسبوعين لم ارى وجه امرأة شيء مريح جداً ، لا يأتيه ولا خاطر نسائي ، مع العلم أن هناك معاصي كثيرة في البيوت ، لكن هذ المعاصي التي في البيوت لا تضر إلا أصحابها، أما إذا انتشر الفساد في الطرقات هذا الفساد يجذب النفوس المريضة ، ممكن إنسان بريء يفتن بهذا الفساد ، هذه النقطة دقيقة جداً ، إذا خفيت الخطيئة لن تضر إلا صاحبها ، وإذا غفرت فلن تغير وضرت العامة.

ومن أحاديث رسول الله ﷺ التي حدثنا بها عن حالات آخر الزمان أنه قال

(( يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيكم اليوم ))

(للمتقي الهندي)

أحياناً الإنسان يحاول إخفاء أنه دين ، يحاول أن لا يظهر بمظهر ديني ، وأن لا يصلي أمام الناس ، هذه من علامات آخر الزمان.

(( يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيكم اليوم ))

لكن هذه البلدة والحمد لله أخبر عنها النبي قبل خمس وألف مائة عام !

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ فَأَتَّبَعْتُهُ بَصْرِي فَعَمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ))

(مسند الإمام أحمد)

المساجد عامرة ، والدعوة إلى الله نشيطة ، ورواد المساجد شباب ، مقبلين على الدين ، هذه نعمة صدقوني لا تجدوها في أية بلدة أخرى وأنا متأكد مما أقول: عليكم بالشام في آخر الزمان

((رَأَيْتَ عَمُودَ الْكِتَابِ اخْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ فَأَتَّبَعْتُهُ بِصَرِيٍّ فَعَمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ ))

يوجد ألف دليل على ذلك: في رمضان يوجد أعراس في الشام ، كل مسجد فيه عرس ، الناس كلها إلى المساجد ولصلوات التراويح يقفون ساعات طويلة يستمعون إلى كتاب الله ، مالذي يحدوهم إلى ذلك ؟  
والله بلاد أخرى كل الناس وراء أجهزة اللهو يتابعون المسلسلات وقت صلاة التراويح ، أما عندنا فلا وهذه نعمة كبيرة.

أنا أحب أن أكون واقعي أبرز الخير الإيجابيات والسلبيات ، نحن بخير نصلي في المساجد ونستمع إلى خطب ونحضر دروس مرتاحون هذه نعمة حافظوا عليها واشكروا الله عليها، في بلاد أخرى لا تستطيع أن تستمع إلى مجلس علم ولا أن تدخل إلى مسجد ، هذه نعمة من نعم الله وأنا أعني ما أقول ، نعمة اشكروا الله عليها ، المساجد مليئة بالمصلين ، دروس العلم في كل مكان.

((عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء ، قيل: مم ذاك ؟ قال: مما يرى من المنكر لا يستطيع يغيره.))

(للمتقي الهندي)

وفي حديث دقيق جداً يجب ان نعيه وعياً جيداً:

((عَنْ خَالِدٍ وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ ، وَ قَالَ عَمْرُو عَنْ هُشَيْمٍ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُعَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُعَيِّرُوا إِلا يَوْشِكُ أَنْ يَعْتَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ))

(سنن أبي داود)

الأقوياء والأغنياء صالحون وقلة تعمل المعاصي ، الأقوياء والأغنياء بإمكانهم أن يمنعوا هؤلاء القلة من أن تعمل المعاصي فلن يفعلوا ذلك إلا عمهم الله بالعقاب ، أنت أب وهذه ابنتك مصروفها منك ، أنت رجل يجب أن لا تتدخل ولا تفرض رأيك على لباسها في الطريق ؟ لماذا سلبي ؟

((مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا إِلَّا لَا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ  
بِعِقَابٍ))

ويجاء يوم القيامة وهذا الحديث في صحيح البخاري:

((عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لِأَسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فَلَانًا فَكَلَّمْتَهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَبِي لَا أَكَلِمَهُ إِلَّا أَسْمِعْكُمْ إِنِّي أَكَلِمُهُ فِي  
السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ  
سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالُوا وَمَا سَمِعْتُهُ ؟ يَقُولُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرِحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ  
فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا  
أَتِيهِ ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ))

(صحيح البخاري)

قبل أن تتكلم كلمة للناس عد للمليون هل أنت مطبق لها ؟ ألا تستحي من الله ؟ ابن آدم عظ نفسك ، فإن  
وعظتها فعظ غيرك وإلا فاستحي مني.

نقطة دقيقة في الدرس: معظم المسلمين لا يقتلون ولا يشربون الخمر ولا يزنون الأكثرية، بيوت هذا البلد ،  
خمسين بناء ، كل بناء فيه خمس طوابق ، كل طابق أربع شقات ، أكثر البيوت لا يوجد فيها قتل ولا زنا ولا  
خمر ، بيوت المسلمين تقريباً ، ما الذي يهلكهم ؟ محقرات الذنوب اختلاط غيبة نميمة نظر إطلاق بصر ،  
شبهات في الدخل.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهِنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاحٍ فَحَصَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ ، وَالرَّجُلُ  
يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا ، فَأَجَّجُوا نَارًا ، وَأَنْضَجُوا مَا قَدَّفُوا فِيهَا ))

(مسند الإمام أحمد)

عود واثنان وثلاثة اصبحت النار عظيمة ، فالذنب الصغير كمصافحة وهذه أختي وهذه سامحنا الله وهذه الله يغفر لنا وهذه ماذا نفعل نحن ضعاف أمام الله وسوف لن يعاقبنا إن شاء الله.. اجمعهم تجدهم شكلوا نار عظيمة **إِيَّاكُمْ وَمُحَرَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ ،**

وفي صحيح البخاري:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ:

**((إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ ، إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ))**

(صحيح البخاري)

**((ومرة ثانية في صحيح البخاري: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ ، إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ))**

كلما استعظمت الذنوب الصغيرة كنت عند الله عظيماً ، وكلما استصغرت الذنوب العظيمة كنت عند الله صغيراً ، علامة إيمانك أنك تستعظم الذنب ، أما المنافق ذنبه كالذبابة لا يستعظمه أبداً.

مثلاً:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**((عَذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ فَقَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا ، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ))**

(صحيح البخاري)

إنسانة تدخل إلى النار من أجل هرة حبستها ! حدثني شخص: يوجد موظف عنده رغبة وهواية أن يعذب الناس ، يأتيه مراجع يضع له عقبة ، في اليوم الثاني عقبة ثانية ، على خمس أو ست أيام ، أسبوعين ثلاثة ، تجد هذا الإنسان بدأ يغلي ، يقول له: استويت هذا يكفيك فيوقعها له، وكان ممكن أن ينجز له عمله من اليوم الأول وأول ساعة ، القضية واضحة ، لكن يحب أن يبرز أهميته في وضع عقبات ، ما مات هذا الإنسان إلا بورم خبيث

وعان منه سنتين ، أحياناً الإنسان يقول لك: أنا أصلي ، هل تعامل الناس بالحسنى ؟ وتسهل أمور المسلمين ؟ أم تعقدها ، الله عز وجل المقياس الذي يقيس به عباده من نوع خاص ، مدى نفع هذا العبد لعباد الله ومدى طاعته لله، هذان المقياسان هم اللذان يحاسب الله بهما الناس.

أردت من هذا الدرس أن يكون تفسيراً مقنعاً للحالة التي يحاول الإنسان في تفسيرها.

إن النبي عليه الصلاة والسلام ذكر ما سيجري في آخر الزمان ، فلعن هذا الذي يجري ، نبتعد عنه بعد الأرض عن السماء ، فننجو بديننا وأهلنا من هذه الأخطاء

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (066 - 127) : لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-06-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام:

هناك في الكون حقيقة كبرى هي الله، أي شيء يقربك من الله ينبغي أن تفعله لأن السعادة كلها بالقرب من الله، وأي شيء يبعدك عن الله ينبغي أن تدعه لأن الشقاء كله في البعد عن الله.

درسنا اليوم الذي يبعد عن الله، هو الذنب، من الأدعية المأثورة اللهم لا تقطعنا بقواطع الذنوب، ولا بقبائح العيوب، موضوع الذنب العدو الأول للإنسان، لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه.

أيها الأخوة:

((عن ابن عباس رضي الله عنه يقول: يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، والذي يتبع الذنب أعظم من الذنب، لا تأمن الذنب ولا تأمن سوء عاقبته والذي يتبع الذنب أعظم من الذنب))

يعني إذا فعلت ذنباً وليس لهذا الذنب عاقبة، أو عقاب، أو نتيجة مؤلمة افعله إذاً ما قيمة الذنب ؟ ولكن لأنه ما من ذنب تفعله إلا وله عاقبةً محزنة، إلا ويعقبه ندم شديد، إلا وينتهي بصاحبه إلى الدمار فالعاقل لا يفعل الذنب لأن عاقبته محققة، قطعية الحدوث.

((يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، والذي يتبع الذنب أعظم من الذنب))

يقول ابن عباس: قلة حياتك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب. لأنك حين تصلي تقول السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، لا تقبل مني شيئاً إلا من كتاب الله قال تعالى:

### ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)﴾

(سورة ق)

ألفاظك، حركاتك، أفعالك، سكناتك، ذهابك، مجيئك، قطعك وصلك، رضاك، غضبك، كله مسجل، فقلة حياة الإنسان ممن عن يمينه من الملائكة وممن عن شماله من الملائكة وأنت على الذنب أعظم من الذنب، ضحكك وأنت لا تدري ما الله ما صانع بك وأنت على الذنب أعظم من الذنب، يقترب الذنب ويضحك، يقترب الذنب وينام ملء عينه.

أخوانا الكرام:

محور الدرس يوجد في الكون حقيقة ليس هناك من حقيقة سواها هي الله، أي شيء يقربك من الله هو الخير المطلق، هو السعادة هو الفلاح، هو النجاح، هو الذكاء، هو العقل، وأي شيء يبعدك عن الله هو الذنب، لذلك درسنا اليوم عن الذنب.

ضحكك وما تدري ما الله صانع بك عقاباً على الذنب أعظم من الذنب، اثنين الآن فرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب يعني إذا الإنسان اقترف معصية واعتبرها مغنماً وفرح، أيام الإنسان يضحك ملء فيه لذنب اقترفه ويقول: رأينا ليلة القدر، ويكون غارق في معصية قذرة، يقول لك: فلان فوق الريح ويكون ماله حرام فرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب.

الآن حزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، نوى أن يقترب معصية وما صح له، الملهى مغلق للإصلاحات، انزعج جداً.

قال: خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب، هذا كلام سيدنا ابن عباس، يعني لا تجعل الله أهون الناظرين إليك، لا يوجد إنسان لا يستحي من صديقه أن يقترب أمامه معصية، من إنسان ليس قوياً لا يقدم ولا يؤخر، كل واحد منا يستحي من إنسان قد يكون عادي

الإنسان يخاف من قوي أو من كريم، يخاف من كريم أن يحرم من عطائه، يخاف من قوي أن يناله عقابه، أنت أحياناً تستحي من صديق لا يملك لا عطاءً ولا منعاً، أليس الأجدر أن تستحي من الله لا تجعل الله أهون الناظرين إليك، لذلك من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

الإمام أحمد يقول: حدثنا الوليد فقال: سمعت الإمام الأوزاعي يقول: سمعت بلال بن سعد يقول . أنا أردت هذا القول كثيراً . لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت.

اجترأت على خالق الكون، الإمام الفضيل بن عياض يقول: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله. يوجد علاقة عكسية العلاقات نوعان علاقة طردية، وعلاقة عكسية، الطردية إذا ازداد الملح في الطعام، ازداد ضغط الدم، هذه علاقة طردية، ويوجد علاقات عكسية كلما قل الوزن الصحة ازدادت هذه علاقة عكسية مثلاً الفضيل بن عياض يقول: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

كلما كبر الذنب عليك عند الله صغر، وكلما استهونتته ماذا حدث؟ لا تدقق، ماذا فعلنا الله غفور رحيم، كلما صغر الذنب عند الله كبر.

قال: أوحى الله إلى موسى أن يا موسى إن أول من مات من خلقي إبليس ذلك أنه عصاني وإنما عد من عصاني من الأموات العاصي ميت، قال تعالى:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)﴾

(سورة النحل)

ميت، منته، خالص، العاصي ميت، في المسند وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَغْلُوَ قَلْبُهُ ذَلِكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ ( كَلَّا بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))

( الترمذي ابن ماجة . أحمد )

كلما أذنب ذنب نكتت نكتة سوداء في قلبه إلى أن يغلف القلب بطبقة قاسية تمنع القلب عن أنوار الله، وعن تجليات الله، وعن ذكر الله، وعن السكينة التي يودعها الله في قلب المؤمن.

أخوانا الكرام:

مرة ثانية العدو الأول الذي يقطعك عن الله، يبعدك عن رحمته يبعدك عن نوره، يبعدك عن تجليه، يبعدك عن توفيقه، يبعدك عن حفظه، يبعدك عن تأييده، يبعدك عن نصره، هو الذنب، لذلك أحد كبار القادة المسلمين يخاطب الجنود: اعلموا أن ذنوبكم أضر عليكم من عدوكم.

والحديث الجامع المانع، القصير، الموجز:

**((لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه))**

يوجد أقوياء، أشرار، أمراض، أوبئة، أشياء مخيفة في الحياة كلها بيد الله، يحكمها الله أما إذا أذنب العبد ذنباً كلها سلطت عليه لذلك:

**((لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه))**

ورد في بعض الأحاديث القدسية أن الله تعالى يقول:

**((إني إذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإني إذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي ليست لها نهاية))**

أيام الخير كله دنيا، وصحة، ومكانة، وسرور، وسعادة وتوفيق، وأعمال تجري على يدك لا يعلمها إلا الله، أعمال كالجبال تبدأ بطاعة، وأحياناً البلاء، والخوف، والقلق، والدمار، وحجز الحرية أحياناً بمعصية جرت معصية، هذه سلسلة المعصية تجر إلى معصية، والطاعة تجر إلى طاعة، الإنسان متحرك.

وكيع شيخ الشافعي قال: إن العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاماً له. هنا العلاقة غير واضحة، إنسان ارتكب معصية فيما بينه وبين الله، أما له مكانة عند الله، له شأن، له مركزه الاجتماعي، محبوب، معزز، مكرم، مبدل، فكيف الإنسان يعصي الله عز وجل ثم يفاجأ أن الناس يكرهونه؟ التعليل قال: إن العبد يخلو

بمعاصي الله فيلقي بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر .

ما أخلص عبد الله إلا جعل قلوب المؤمنين تهفو إليه بالموددة والرحمة وإذا عصيت الله وحدك فيما بينك وبينه ألقى الله في قلوب المؤمنين بغضك، ترى لا أحد يحبه، الناس يبتعدون من حوله ينفضون من حوله، ولم يعلموا عنه شيئاً هذا سر .

إذا أحب الله عبداً ألقى محبته في قلوب الخلق، وإذا أبغض عبداً ألقى بغضه في قلوب الخلق، وإذا الله عز وجل ألقى محبتك في قلوب الخلق خدمك عدوك، وإذا نزع محبتك من قلوب الخلق تطاول عليك أقرب الناس إليك، لا تثق لا بزوجة ولا ولد ثق بالله إن رضي الله عنك رضيت عنك الزوجة، ورضي عنك الولد وكان كل أولئك في خدمتك .

الإمام أحمد يروي عن أبي الدرداء أن: اعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم في الموتى واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثيراً يطغيكم .

أنا لي تعليق لطيف أن التفكير بالموت يجب أن تجعله عبادةً يومية ادرس ونل أعلى الشهادات، حقق مكانة علمية، تاجر، أسس عمل توظف، تزوج، اشتري بيت، كله مشروع، هذا من الدنيا المشروعة ولكن لا تنسى الموت، لأن التفكير في الموت يومياً هذه عبادة له وجه إيجابي دقيق، الوجه الإيجابي أن التفكير بالموت يبعدك عن المعصية أنت على الطريق المستقيم دائماً، والتفكير اليومي للموت يبعدك عن الخمول مع الله، فالموت يدفعك إلى الله ويقيك الذلل يمنة ويسرة، لذلك النبي ﷺ قال:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُوا ذَكَرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ يَغْنِي الْمَوْتَ ))

( ابن ماجة . أحمد . الترمذي . النسائي )

إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، إن أحزمكم أشدكم استعداداً له واعلموا أن البر لا يبلى وأن الذنب لا ينسى .

أنا قلت لكم مرة زارنا طبيب كريم وهو يعمل في الأشعة والأورام قال لي: زارتي مريضة في مقبل العمر وزوجها ابن عمها مصابة بورم بجنجرتها، هذا الورم كاد يميتها وقد طافت على أكثر الأطباء وكلهم اعتذر على معالجتها لأن حالتها متقدمة جداً لا أمل في شفائها قال هذا الطبيب بعد أن أعلنت أن هذا المرض لا دواء له وأنه بلغ

درجة مستعصية وكاد ينصرف هو وزوجته، قال لي: وقع في قلبي أنه أجري محاولة والله هو الشافي، فنادى زوجها قال له: أسمح لي أن أعالج زوجتك بشكل يائس، قال: أنا أتمنى ذلك، استأجر غرفة بفندق بسوق الهال فقير جداً من الساحل . يحمور . وعالجها ستة أشهر، يعني تراجع بسيط جداً وحملت من زوجها، فالرأي أن يسقط الجنين لأن الحمل يضعف مقاومة الجسم، ثم خطر في بال الطبيب أن هذه ميتة فلعل هذا المولود يسعد أباه، وهو من أثر زوجته فاتخذ قرار معاكس أن يبقي الحمل على ما هو عليه، يقول لي الطبيب: بعد سنة ونصف، طبعاً لم يتقاض منهم شيئاً، صار في تحسن يكاد أن يكون تاماً ثم انتهى الأمر إلى الشفاء التام، يقسم بالله هذا الطبيب أن هذا الزوج كل عام يأتيه بهدية كبيرة جداً بتكتين سمن بلدي وخروفين ثلاثة، ومونة السنة من الزيتون، شيء غير معقول قال لي سنة، سنتين، ثلاثة، أربعة، ثلاثين سنة بالتمام والكمال وكل سنة يطلب منه حاجة والله فضلت، خجلنا منك ما فعلنا شيء فقال له: أنا بلغت أولادي من بعدي إذا تمت أن يقدموا لك نفس الترتيب ماداموا أحياء البر لا يبلى، قال لي: مرة ألح علي أن أزور قريته، إلحاح ليس طبيعي، فخرجنا، ولم ندخل القرية إلا وسمع ضرب رصاص فخاف، الوضع ليس طبيعي فقال له: هل يوجد شيء، ترحيب بك، كل من في القرية يعلم بما فعلت معي هذا المؤمن.

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، هذا الوفاء من أرقبالمستويات إنسان خدمك سنتين ما تقاضى منك قرش، والله جعل الشفاء على يده، فلذلك لما الإنسان يذنب مع الله يكون قليل وفاء .

يعني:

إلى متى أنت في اللذات مشغول      وأنت عن كل ما قدمت مسؤول  
تعصي الإله وأنت تظهر حبه      ذاك لعمرى في المقال بديع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب يطيع

واعلموا أن البر لا يبلى، إذا مع إنسان ما ضاع البر، نسيت الشاهد، نسيت لماذا أنا قلت لكم القصة إذا مع إنسان شاب، يمكن غير متعلم بسيط ما ضاع معه المعروف، ثلاثين سنة ووصى أولاده من بعده فكيف مع الله عز وجل ؟ إذا أنت استقمت على أمره خدمت له عباده، أكرمتهم، ألقيت المحبة في قلوبهم، ما ابتزرت أموالهم، ما غششتهم، ما كذبت عليهم، ما بنيت مجدك على أنقاضهم، ما بنيت غناك على إفقارهم، ما بنيت حياتك على موتهم هؤلاء الذين يسيئون للخلق لهم عند الله حساب عسير، والله مهما علا الإنسان ومهما بلغ من القوة أعلى

درجاته إذا ما كان في خدمة عباد الله هو الشقي وحده.

القصة ذكرتها أنه أنت مع إنسان، إنسان ثقافته متواضعة، شاب بمقتبل حياته له ابنة عم متزوجها، المرض الخبيث كاد أن ينهيها لأنه اشتغل معه سنتين، قال له: أنا وصيت أولادي من بعدي مهما امتد بهم الحياة أن يقدموا هذه الهدية ما امتد بهم العمر، هذا مع إنسان ما ضاع المعروف كيف مع الواحد الديان، إنسان يخطب ود الله والله يضيعه، هذا يتناقض مع وجود الله، هذا من سابع المستحيلات، تستقيم، تطلب الحلال، تصبر على الطاعة، لا تؤذي إنسان، لا تغش إنسان، لا تكذب على إنسان، وتكون أنت في مؤخرة الركب معنى هذا أن الدين باطل، هذا الدين منهج الله عز وجل، أن البر لا يبلى وأن الذنب لا ينسى والذنوب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تُدان.

يقول بعض العلماء إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلة، ترى المستقيم في إشراق في وجهه، في تألق، في حركة زئبقية في عينيه، في نضارة بوجهه، والمنحرف، مرتكب الذنوب، تراه أزرق على أسود، على كمود، على فتور، الوجه صفحة الإنسان، صلي قيام الليل وانظر في المرأة، ليس أنا، شيء جميل جداً إذا الإنسان اتصل بالله عز وجل، وعمل أعمال صالحة ترى في وجهه تألق، وإذا كان انغمس في المباحات، أكل حتى شبع نام حتى شبع، أهمل عباداته وما ارتكب معاصي فقط انغمس في المباحات وهمته ضعفت في العبادات ترى وجهه تغير لونه.

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ذي عقل يقول في دعائه اللهم لا تشمت بي الأعداء وهو يشمت بنفسه كل عدو له، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يعصي الله ويشمت به في القيامة كل عدو.

يعني إذا الإنسان عصى الله لأبد من أن يعاقبه الله، وإذا عاقبه الله سوف يشمت به أعداؤه، الذي حريص ما أحد يشمت به يجب أن يكون على طاعة الله، الذي حريص حرص لا حدود له على أن لا يشمت أحد به ليكن طائعاً لله لأن الله عز وجل أعز وأجل من أن يشمت به عدوه، حتى لو المؤمن لزمه معالجة من الله هو حريص على طاعة الله، الله يجعل المعالجة فيما بينه وبينه سراً ما أحد يشعر لكرامتك على الله قد يعالجك ولا أحد يدري فيما بينك وبينه.

المشكلة أن المعاصي لها آثار قبيحة جداً، إليكم عدد لا يستهان به من آثارها، أول أثر من آثار الذنوب حرمان العلم، إن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور، ولما الإمام الشافعي جلس إلى شيخه وكيع نصحه أن طريق العلم ترك المعاصي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي      أرشدني إلى ترك المعاصي  
وأعلمني أن العلم نور      ونور الله لا يهدى لعاصي

يوجد عندنا أكثر من ثلاثين نتيجة للذنب، أول واحدة حرمان العلم.

قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية، هذا العلم عطاء نفيس لا يلقى في قلب عاص، ولا في قلب غافل.

ثانياً حرمان الرزق:

((عَنْ ثُوبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرَّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ))

(ابن ماجة . أحمد )

قال تعالى:

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16)﴾

(سورة الجن)

تحرم العلم، وتحرم الرزق، درسنا الذنب العدو رقم واحد، أعدى أعداء المؤمن الذنب.

ثالثاً . وحشة يجدها العاص في قلبه، يقول لك ليس مرتاح، قلبي مقبوض، شيء يملل، حياة مملّة، ندفش، هذه كلها كلمات الناس الذنب له أثر في القلب وحشة لا يوجد سرور، يكون بيت فخم ثلاث مائة متر، دخل مفتوح غير مغلق، مركبة جاهزة، زوجة، أولاد ولا يوجد سرور، يأتي إنسان مستقيم يسكن في أول بيت من فوق يعيش في الجنة، ما هذا السر ؟ إذا الإنسان استقام على أمر الله ألقى الله في قلبه السرور، وإذا عصى الله عز وجل ألقى الله في قلبه الوحشة، قال بعض العلماء: لو اجتمعت لذات الدنيا بأسرها لا تفك وحشته. الأكل تراه يأكل مثل القرفانين، خمسين لون على الطاولة، وهو قرفان، يذهب إلى النزهة يتشاجر مع زوجته في النزهة، لا يوجد سرور، يعودوا وهم غضبانين من بعض، إذا أكل لا يوجد سرور المؤمن على حياته الخشنة، وبيته الصغير، وزوجته الوسط، سعيد أعلى أنواع السعادة.

وهنا يوجد تعليق بسيط هذه الوحشة لا يحسها إلا إنسان سبق له أن اتصل بالله ثم انقطع عنه، أما إنسان

بالأساس ليس له صلة بالله يقول لك: لا يوجد من هو أسعد مني، هذه الوحشة لا يحسها إلا إنسان سبق له أن اتصل بالله ثم وقع بذنب حجب عن هذه السعادة أكل طعام طيب ولم يسر بطعام آخر، هذه الوحشة وحشة مؤمن كان له صلة بالله وهو أشد الناس سعادةً بها ثم حجبت عنه بذنب ارتكبه إذا إنسان قام ليصلي فوجد أن صلاته ليس لها طعم، لا يوجد فيها إقبال، أين اقشعرار الجلد، المؤمن يقشعر جلده، يجل قلبه، تنهمر دموعه، لا يوجد شيء، ابحث عن الذنب الطريق مسدود، إذا إنسان السيارة ما عملت معه، يفتح الغطاء معنى هذا أنه يوجد مشكلة لا يبقى جالس في مكانه، وإذا الإنسان وجد الطريق إلى الله مسدود يبحث عن ذنب ارتكبه وهو لا يشعر. الآن يوجد عندنا مشكلة ثانية، ترى مرتكب الذنب له مع الناس علاقات سيئة، كلامه قاسي، تصرفاته حمقاء، لا يوجد حكمة، الله عز وجل يجعل في قلبه وحشةً فيما بينه وبينه، ويجعل في قلبه وحشةً فيما بينه وبين الناس، إذا إنسان له ذنوب في البيت ليس حكيم فوراً يسب، فوراً يطلق، ويعلق مع المشايخ هذا سمح له وهذا لم يسمح له، وهذا متشدد وهذا متساهل.

الإمام الشعراني يقول: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامراتي. يعني أعرف مقامي عند الله من أخلاق زوجتي، صار في وحشة مع أولاده، مع جيرانه، مع شريكه لا يوجد سرور، لا يوجد حكمة في الكلام، كلمة قاسية عملت مشكلة.

حرمان العلم واحد، حرمان الرزق، وحشة القلب، وحشة بينه وبين الناس، الآن تعسير أموره، لا يوجد تيسير كلما طرق باباً رآه مسدوداً، يقول لك أضربها يمين تأتي شمال، أضربها شمال تأتي يمين، تاجر بالكفن ما أحد مات، تعسير أموره بسبب الذنوب، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2)﴾

(سورة الطلاق)

ومن لم يتق الله جعل الله له من أمره عسرى، الآن صاحب الذنب يجد في قلبه ظلمة حقيقية، لما يريد أن يتصرف لا يرى رؤية صحيحة، يرتكب خطأ مميت، خطأ قاتل، أيام كما فعل اليهود في خيبر يهدم بيته بيده، أيام يهدم أسرته بيده، أيام يعين على عقوق أولاده، صار في عمى، لما ارتكب الذنب انقطع عن الله لا يوجد نور في قلبه أعمى كالخبطة العشواء.

قال: ظلمة يجدها في قلبه كما يحس بظلمة الليل البهيم. ابن عباس له قول رائع قال: إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق.

يعني كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذَّرِّكَ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (145)﴾

(سورة النساء)

مرة أحد الولاة كان متخفياً رأى إنساناً يصلي قاعداً، يبيع قرب فلما انتهى من صلاته قال له هذه القرية . محله عالي وسلم . يأتي مثل الطير وينزلها، قال له: أنا قصدت التي إلى جانبها، قال له: نعم نزلها له، قال: أنا قصدت الثالثة، أصعده وأنزله عشر مرات بكل نشاط فضربه وقال له: تصلي قاعداً، وأنت نشيط جداً لمصالحك، الإنسان يجد نفسه نشيط جداً لمصالحه، خفيف، كل خمس درجات قفزة واحدة، يأتي إلى العشاء يصلي قاعداً، من أين جاء الضعف ؟ من الذنب، ارتكب ذنباً وحجب عن الله، الصلاة مملّة بالنسبة له ليس لها معنى.

أخوانا الكرام:

أنا أضع يدي على المنطقة الدقيقة بالإنسان إذا في مخالقات الطريق مسدود، كل شيء بالدين ملل يصبح، وإذا في توبة نصوح واستقامة ترى نفسك للصلاة خفيف جداً، الصلاة على وقتها، تكون بعمل منسجم به إلى أقصى درجة تدعه أذن المؤذن تقوم وتصلي، تشعر بقرب من الله وانهمار دموع هذه الصلاة، هذه الصلاة التي أمرنا الله بها لقاء مع الله، الإنسان يلتقي مع صديق يقول لك: سررنا وصار تجلي، أنت تلتقي مع خالق الكون يحتاج هذا إلى تقديم.

الآن الإنسان عندما ارتكب ذنب، والذنب حل محل طاعة، كل ذنب له طاعة، إذا ارتكب ذنب عقوق الوالدين ماذا حرم ؟ حرم بر الوالدين، يوجد نقطة بالذنب، هذا الذنب عليه عقاب، فوق أنه يعاقب عليك أذهب عليك الطاعة المقابلة، عقوق الوالدين أذهب عليك بر الوالدين، إطلاق البصر أذهب عليك غض البصر، تغلت اللسان أذهب عليك ضبط اللسان، أيام إنسان يخسر وذهب عليه الريح هذا معنى حرمان الطاعة، قال: لو لم يكن للذنب

إلا عقوبة أنه صد عن طاعة لكفى ذلك، يعني الذنب لو أنه ليس له عند الله عقاب إلا أنه أذهب عنك طاعة هذا أكبر عقاب، حرمك من طاعة، فانتك طاعة غض البصر بإطلاق البصر، فانتك طاعة بر الوالدين بعقوق الوالدين، فانتك طاعة الصدق بالحديث بالكذب بالحديث، فانتك طاعة البيع المبرور ببيع فيه غش.

ويوجد حديث طويل خلافي حول أن الذنب يقصر العمر، أوجه تفسير هو أن العمر وعاء العمل، فإذا كان العمر كله معاصي يعني لا يوجد ربح أبداً، إنسان فتح محل أول ما استفتح بمخالفة تموين ثاني، مخالفة ضريبة المالية، الثالثة نظافة، الرابعة، يقول لك: لا يوجد ربح ندفع ولا نقبض، أما إذا كان مستقيم تأتي الأرباح، معنى يطيل العمر العمل الصالح والذنب يقصر العمر، يعني لا يوجد مردود بهذا العمر، فالعمر قيمته بالعمل الصالح، أوضح مثل أعينه جداً، فتحت المحل التجاري بعت بالمليون، فتحت خمسة أيام بعنا بمائة ليرة، الوقت هل له قيمة؟ ليس له وقت العمر ليس له قيمة ترى الإمام الشافعي عاش أقل من خمسين سنة، النووي أقل من خمسين سنة، ترك رياض الصالحين، الأذكار، بغية المحتاج ترك كتب هي الآن كتب أساسية في العالم الإسلامي، محمد بن قاسم الثقفي، فتح السند، فتح بلاد الباكستان وبنجلادش كلها كم كان عمره؟ سبعة عشر عاماً، في أي عام توفي؟ في السادسة والثلاثين من سبعة عشر عاماً إلى السادسة والثلاثين فتح بلاد السند، قال لي رجل أن هذه المنطقة مرتفعة وأهلها معمرين يعيشون مائة وثلاثين سنة، قلت له: عمر من دون طعمة، إذا كان عمر لا يوجد به أعمال صالحة وفيه معاصي لا يوجد له قيمة، النقطة الدقيقة الزمن ليس له قيمة العبرة بالمحتوى، بالمضمون، فهذا الموضوع المعاصي تقصر العمر وتمحق البركة، وكما أن البر لا يزيد العمر إلا بركة كذلك المعصية لا تزيد العمر إلا محقاً للبركة، لا يوجد سرور.

الآن يوجد عندنا خطر جديد قال: المعصية تزرع أمثالها. كل معصية تجر إلى معصية، وكل طاعة تجر إلى طاعة، مرة رجل سأل النبي ﷺ سؤال كأنه غير واقعي:

ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: إيمان بالله، قال له: مع الإيمان عمل؟ قال له طبعاً أن تعطي مما رزقك الله، قال: فإن كان لا يجد ما يعطي، قال: يأمر بالمعروف، قال له: فإن كان لا يستطيع، قال له: فليعن الأخرق، قال: فإن كان لا يحسن، قال: فليمسك أذاه عن الناس، قال: أو إن فعل هذا دخل الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: ما من عبد يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة.

((عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ: يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَصَدِّقُ، قَالَ: قِيلَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمُلهُوفَ قَالَ: قِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ يُمَسِّكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقٌ))

( البخاري . مسلم . النسائي . أحمد . الدارمي )

الحسنة تجر إلى حسنة، حضرت درس علم والله سررت هل يوجد درس ثاني، درس ثالث، صليت الضحى بعد هذا الأوابين ثم قيام الليل، قرأت من القرآن ثم خمس صفحات من القرآن، ثاني يوم عشر صفحات، الإنسان بالتعبير الحديث . ديناميكي . إذا فعل حسنة تجره إلى حسنة، وإذا فعل معصية تجره إلى معصية.

قلت لكم إنسان ركب صحن قرعوا عليه الباب الساعة التاسعة نائم، الساعة العاشرة، الحادي عشر، الثانية عشر ونصف والصلاة بعد هذا العصر، الخامسة مساءً حتى استيقظ، لا فجر ولا جمعة ولا عصر، معصية جرت معصية.

الآن من أخطار المعاصي الذنوب أنها تضعف القلب عن إرادته يكون عند الإنسان إرادة للطاعة كلما ارتكب ذنباً تضعف إرادته بالنهاية يريد المعصية، يكون أول الأمر لا يريد يفعل الذنب مغلوباً إرادته ضد عمله، ومع استمرار الذنوب تتوافق إرادته وعمله، بعد هذا يقول هكذا الحياة، قال: تقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً، إلى أن تتسلخ من قلبه هذا أخطر ما في الذنب يعين على أن تريد المعصية، في أول الأمر الإنسان يعصي وإرادته مع الطاعة يتألم، يتمزق، إذا استبرأ الذنب ولم يتب من ذنبه قسى قلبه، قال تعالى:

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾

( سورة الحدي )

لذلك التوجيه القرآني، قال تعالى:

﴿يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾

(سورة النساء)

يجب أن تكون التوبة عقب الذنب، وإذا تأخرت تضعف إرادة التوبة وتقوى إرادة الذنب.

يوجد أخطر من هذا الذنب إذا الإنسان استمر عليه ينسلخ من قلبه استقباحه، يصير عنده الذنب حسن فزين لهم الشيطان أعمالهم يرتكب أقبح المعاصي، ويقول لك أنت لا تفهم، أنت ما رأيت شيء أنت حاصر نفسك بهذا الدين، هذا الدين تخلف، وهو كان يصلي أخطر شيء في الذنب أن الإنسان ينتقل إلى مرحلة يصبح يستحسن المعصية ويستقبح الطاعة، الاستمرار بالذنب يضعف إرادتك على التوبة ويقوي إرادتك على المعصية، ثم يوجد أخطر تستقبح التوبة وتستجمل المعصية.

ألا تشاهدون إنسان يمشي بالطريق مع زوجة منقلبة إلى أقصى درجة ويتباهى بها، كيف يفكر؟ يتباهى بزوجته وثيابها تكشف كل مفاتها، لا يوجد عنده مانع أن تصافح وتجالل كل أصدقائه، أبدأ الآن استقبح الطاعة و استحل المعصية هذه من عواقب المتابعة للذنوب.

قال: الذنب سبب لهوان العبد على ربه، يعني بالتعبير العامي المؤمن غالي على الله، غالي جداً، كرامته غالية على الله وصحته غالية على الله، وبيته غالي على الله، تراه محفوظ، موفق منصور، الله يدافع عنه، وإذا ارتكب معاصي هان على الله، لما هان الله عليك هنت عليه، هان على الله العاصي، المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، والله الذي لا إله إلا هو لأن تسقط من السماء إلى الأرض لا سمح الله فتتطم الأضلاع أهون من أن تسقط من عين الله، قد تكون فقيراً جداً، ولكن عند الله كبير، عند الله محبوب، الفقر ليس وصمة عار، المعصية وصمة عار، المهاجرين نخبة المجتمع الإسلامي كانوا فقراء، قال تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيُنْزِرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ  
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8)﴾

(سورة الحشر)

أنت احرص أن لا تسقط من عين الله، إذا الإنسان ارتكب المعاصي سراً وكذب، وناق و دجل، وسمح لنفسه أن يفعل ما لا يرضي الله يسقط من عين الله.

إذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد والدليل، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾

(سورة الحج)

لا أحد يكرمه، إذا كنت غالي على الله لك هيبة في بيتك، عند أولادك، عند إخوانك، عند جيرانك، عند زملائك بالعمل مرهوب الجانب، محترم، معزز، مبجل، أما إذا لا يوجد طاعة إلى الله بالتعبير العامي . مغسول قدرك . دخلنا إلى بيت، أخ من أخوانا يريد أن يشتري بيت دخلنا إلى البيت ومعنا صاحب البيت، رأينا طفل مستلق على ظهره يتابع فيلم ورجل فوق رجل، دخلنا ولا تحرك ولا غير جلسته ودخل الأب ومعه ضيوف وما تحرك، ما هذا الأب؟

قال: إن العبد ما يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه وهذه علامة الهلاك، إذا قال لك: ماذا فعلنا؟ ما الذي صار أكلناها، سهرنا معاً ما الذي حصل؟ إذا قال لك ماذا صار؟ معنى هذا أنه هلك، انتهى، إذا ارتكب معصية خالف بها نص قرآني، أو نص نبوي وقال لك ماذا صار أين تعيش أنت؟ فهذه علامة الهلاك فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله وإن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل:

((عن ابن مسعود رضي الله عنه إنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ قَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ))

(البخاري . مسلم . الترمذي . أحمد )

ذنوب المنافق ذبابة، ذنب المؤمن جبل، الرجل يبكي من ذنب إذا مؤمن وارتكب غلطة وانحجب يبكي، الأخطر من ذلك الذنب شؤم على غير صاحبه، إنسان آخر، أنت طالب علم بمسجد لك أخ ارتكب ذنب إذا عيرته بهذا الذنب ابتليت به، وإن قلت عنه اغتبتته وإن رضيت به شاركته بالإثم، الذنب شؤم على غير صاحبه إن ذكره فقد اغتابه، وإن رضي به ارتكب معصية يقول لك كان ذكياً دبر نفسه، إذا قلت كان ذكياً أنت شريكه بالإثم، إذا قلت شاطر أكل مال حرام ركز وضعه، . برم . كلمة برم أنت شريكه بالإثم أنت أربكت الناس ماله حرام وبرم؟ ماله حرام وشاطر، ماله حرام وذكي، ماله حرام ودبر نفسه، ماله حرام وركز وضعه، وتكيف مع الوضع وماله حرام، معنى هذا أنك شريكه بالإثم، إذا قلت أهكذا يفعل أين عقله عيرته ابتليت به، إذا فضحته اغتبتته، الذنب شؤم على غير صاحبه، أيضاً مشكلاته أن حوله مشاكل.

أيضاً الذنب يورث الذل، العز كله في الطاعة، قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾

(سورة فاطر)

والذل في المعصية لذلك الدعاء المأثور اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك، يقولوا أن جارية رأت سيدنا يوسف وكان عبداً بالقصر وصار عزيز مصر مرة يمشي بالموكب فقالت: سبحان من جعل العبيد ملوكاً في طاعته وجعل الملوك عبيداً بمعصيته.

آخر شيء الذنوب تفسد العقل، لأن في العقل نور والمعصية تطفى نور العقل، وإذا طفى نور العقل ضعف ونقص، قال بعض السلف ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله. مستحيل أن يعصي الإنسان ربه وعقله في رأسه أبداً، والدليل: فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية لأنه في قبضة الله وتحت قهره وهو مطلع عليه وفي داره وعلى بساطه وملانكته شهود، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، هل يقدم على التضحية بكل ذلك عاقل؟

لا يوجد إنسان يعصي الله وعقله في رأسه، لذلك النبي يسير في الطريق وجد رجل مجنون، فسأل سؤال العارف من هذا؟ قالوا: هذا مجنون، قال: لا هذا مبتلى، المجنون من عصى الله، هذا مبتلى مريض يوجد عنده مرض في جسمه، أما المجنون من عصى الله، قال تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا

كَارِهُونَ (28)﴾

(سورة هود)

المجنون من غاب عن هذا الخير، طبعاً قال: صاحب الذنب تصيبه لعنة رسول الله لأن النبي قال:

((عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْوَأْسِمَةَ وَالْمُوتَشِمَةَ وَالْوَأْسِلَةَ وَالْمُسْتَوِصِلَةَ يَغْنِي لَعْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))

(البخاري . مسلم . الترمذي . ابن ماجة . أحمد . النسائي . أبي داود)

((عَنِ الْحَارِثِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا شَكَّ إِلَّا أَنَّهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ لَعْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكِلَ الرَّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدِيهِ وَكَاتِبَهُ وَالْوَأْسِمَةَ وَالْمُسْتَوِصِمَةَ وَالْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ وَكَانَ يَنْهَى عَنِ النَّوْحِ))

(مسلم . الترمذي . ابن ماجة . النسائي . أبي داود)

((عَنْ شَبِيبٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَوْ حَدَّثَنِي أَنَسٌ قَالَ لَعْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةَ عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَالْمَغْضُورَةَ لَهُ وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ لَهُ وَبَائِعَهَا وَالْمَنْبُوعَةَ لَهُ وَسَاقِيَهَا وَالْمُسْتَقَاةَ لَهُ حَتَّى عَدَّ عَشْرَةَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ))

(ابن ماجة . الترمذي)

((وَلَعْنُ اللَّهِ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ))

(النسائي . مسلم . أحمد)

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَعْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجَّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ قَالَ فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُلَانًا وَأَخْرَجَ عُمَرَ فُلَانًا))

( الترمذي . ابن ماجة . أحمد . الدارمي . أبي داود)

((ولعن الله من لعن والديه، ولعن من اتخذ شيئاً في جروح غرضاً للرمي، ولعن الله من ذبح لغير الله، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً، ولعن من عمل بعمل قوم لوط))

أكثر من مائتي حديث فيهم لعن، مرتكب الذنب ماذا يصيبه ؟ يصيبه لعنة رسول الله، أما قال لأحد الصحابة والله إني لأحبك يا معاذ، فشتان بين من يحبه رسول الله وبين من يلعنه، إذا الإنسان ارتكب طاعة تصيبه محبة رسول الله وتكريم رسول الله، وإذا ارتكب معصية تصيبه لعنة رسول الله.

أيها الأخوة:

جمع لشتات الموضوع، الحقيقة الأولى في الكون والوحيدة هي الله، أي شيء يقربك منه، علم، استقامة، عمل، طاعة، عبادة قرآن، ذكر، أمر بالمعروف، غض بصر، كل شيء يقربك منه هو الخير المطلق، وكل شيء يبعدك عنه هو الشر المطلق، والله عز وجل لا يبعد إلا صاحب الذنب لذلك الحديث:

**((لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه))**

لا تخاف في الكون يوجد مليون خطر، يوجد أشرار، أقوى أمراض، أوبئة، فيروسات، يوجد شيء يحير العقول، لا تخف إلا ذنبك ولا ترجون إلا ربك وهذا ملخص الملخص.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (067 - 127) : وجاهدكم به جهاداً كبيراً

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-12-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام:

شكوى يشتكيها أكثر المؤمنين، يقول لك هذا المؤمن إنني في أول انطلاقتي إلى الله عز وجل كانت لي أحوال لا توصف، ثم إن هذه الأحوال بدأت تتناقص حتى أصبحت أنكر قلبي، فما سبب ذلك ؟

الحقيقة لهذه المشكلة ملاسبات كثيرة، أول شيء يقال في مستوى هذه المشكلة، أن الإنسان حينما يتوب إلى الله عز وجل ينتقل نقلة نوعية من التقلت إلى الانضباط، من الإساءة إلى الإحسان، من عدم التقيد إلى التقيد، من الغفلة إلى الصحو، من الانقطاع عن الله إلى الاتصال بالله فهذه النقلة النوعية تورثه سعادة كبيرة جداً لكنه بعد أن ألفها وداوم عليها هي هي ولكن إحساسه بها يضعف.

إنسان في مكان بارد جداً يعاني من أشد حالات البرد دخل إلى غرفة باردة خلال الدقائق الأولى شعر بسعادة لا توصف، ولكن بعد ربع ساعة أو بعد نصف ساعة ألف الدفء وأصبح شيئاً عادياً، من أجل أن يتأكد أنه في غرفة دافئة لو خرج إلى خارج الغرفة لرأى برداً قارصاً.

فذلك أول جواب لهذه المشكلة، الإنسان في البدايات ينتقل نقلة نوعية وحادة من الشقاء إلى السعادة، بعد أن يألف هذه السعادة إحساسه بها يضعف وهي موجودة، لو أن إنساناً يسكن في بيت صغير جداً ثم انتقل إلى بيت كبير، الأيام الأولى إحساسه باتساع البيت لا يوصف، ولكن بعد حين يألف هذا الاتساع أو إحساسه باتساع البيت يضعف، لأن البيت ما صغر بقي كبيراً، ولو أنه عاد إلى بيت صغير لعاش حياة لا تطاق، هذا تطمين، الإنسان في البدايات بكاء، أحواله متأججة، بعد أن يألف طريق الإيمان يخف بكأؤه ويضعف إحساسه بأحواله،

هذه أول نقطة.

لكن يوجد نقطة ثانية يجب أن أضعها بين أيديكم، الإنسان أحياناً يضعف عمله الصالح، فإذا ضعف عمله الصالح فترت صلته بالله عز وجل، وأقوى دليل على هذه الحالة، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)﴾

(سورة الكهف)

يعني الله عز وجل هو الخالق، هو العظيم، ليس هناك حواجز بينك وبينه، إلا المعاصي فإن ألغيت المعاصي صار الطريق إلى الله سالكاً بقي عليك أن تقدم شيئاً، أن تقدم تضحيةً، أن تقدم مالا، أن تقدم خبرةً، أن تقدم خدمةً من أجل أن ترقى إلى الله، لذلك تجد في مسجد أخوةً كثيرين المتألقون منهم هم الذين انطلقوا إلى أعمال صالحة خالصة لله عز وجل، فكل إنسان له عمل صالح خالص تراه متألقاً أيما تألق، منطلقاً أيما انطلاقة، من أعلى مستويات الأعمال الصالحة أن يرزقك الله عز وجل هداية إنسان، هذا الحديث الذي قاله النبي لسيدنا علي كرم الله وجهه يجب أن لا يغيب عنكم إطلاقاً:

((فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْزُ النَّعَمِ))

(البخاري . مسلم . أحمد)

أحدنا ألا يطمح أن يكون محسوباً على هذا الحديث، والله أيها الأخوة لولا أن هذا الأمر وهذا التكليف بين أيدي المؤمنين لما كلفنا الله به، ورد في بعض الأحاديث:

((من مات ولم يحدث نفسه بالجهاد مات ميتة جاهلية، ويوجد رواية مات على غير ملة الإسلام))

ما هو الجهاد المتاح الآن للمسلمين ؟

قال تعالى:

### ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)﴾

(سورة الفرقان)

هذا جهاد متاح، حضوركم في هذا المجلس من أجل طلب العلم وأنا حينما أوفق إلى نقل بعض ما في القرآن والسنة هذا أيضاً تعليم فالجهاد متاح، وجاهدهم به جهاداً كبيراً، هذا جهاد متاح، فلما الإنسان يفكر أن لي صديق، جار، ابن عم، أخ، صاحب، ويجد مودة، حب،

قرباية، لقاءات، لما لا أجعل من هذا الصاحب زاداً لي إلى الآخرة؟ لما لا أجلس معه جلسة إيمان لا جلسة دنيا؟ لما لا أنقل إليه بعض ما سمعت منه من دروس العلم؟ لما لا أعتني به؟ لما لا ألبى بعض حاجاته؟ لما لا أتقده؟ لما لا أحسن إليه؟ لما لا أقدم إليه هديةً أستميل قلبه إليها؟ لما الإنسان ينطلق إلى هذا عندئذ ربنا سبحانه وتعالى يجري على يديه الخير.

الحديث الشريف الصحيح الذي رواه أبو هريرة:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))

(مسلم . الترمذي . أبي داود . أحمد)

أنت ممكن فرضاً هذا شيء محرم، أن تودع مبلغاً في مصرف وأن تتقاضى عليه أعلى فائدة لا سمح الله ولا قدر. ولكن الفكرة افتراضية . لكن ممكن تنصح إنسان بإيداع أمواله في هذا المصرف والمصرف يعطيك مثل ما يعطيهم ليس معقول، لكنك مع الله هكذا يحصل إن مكنك الله من هداية إنسان، هداية حقيقية تبدأ بإقناعه وتنتهي بطلبه للعلم، وتستمر في العمل الصالح إذا مكنك الله من هداية إنسان كما ينبغي فكل أعماله الصالحة مثلها لك.

((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))

ولا سمح الله ولا قدر:

((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))

أنا لا أنسى مرة دعينا إلى افتتاح مسجد في الصبورة، الذي أشاد هذا المسجد رأيت فيه حيوية، وانطلاقاً، وشعوراً بالتفوق لا يوصف استقبلنا واحداً واحداً، وأطعمنا، ثم ألقيت كلمات كثيرة تشيد بهذا العمل الجليل، ثم انتهى الحفل وانصرفنا، خرجت من الشارع الفرعي الذي أشيد به المسجد فإذا أمامي ملهى على الطرف الثاني الذي أشاده لم يدع منكراً إلا واستقدمه إلى هذا الملهى، والمنكرات غير مألوفة في بلدنا، وبعد أن افتتح بأسبوع وافته المنية . يعني فطس . طبعاً هذا الذي يليق به، هذا كل من صلى في هذا المسجد في صحيفته، كل فرض أدي في هذا المسجد في صحيفته، كل درس ألقى في هذا المسجد في صحيفته، كل خطبة ألقيت فيه في صحيفته، كل من انعقدت توبته في هذا المسجد في صحيفته والطرف الآخر كل من اقتترف معصية في صحيفة من أشاد هذا الملهى، هذا حديث دقيق:

(( مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا ))

في درس الطاووسية في الظهر جاء رجل من بلد بعيد في طرف الدنيا الآخر قال لي: جئت من عند أخي لتوي، أخوه له عمل بالأفلام والمونتاج وما إلى ذلك، الأفلام بعضه إباحي، وبعضه عمل بعيد جداً، قال: سمع شريط عن أسماء الله الحسنى وعد آية هي قول الله تعالى:

إن بطش ربك لشديد، استمع إلى هذا الشريط أكثر من خمسين مرة وكان هذا الشريط سبب توبته، وسبب التزامه، وسبب صلاته وسبب قيامه، وسبب طاعته، وسبب إقباله، وسبب طاعته، فأنت حينما تلقي كلمة الحق لا تدري إلى أين تطير هذه الكلمة ولا تدري من يسمع هذه الكلمة، ولا تدري من يتأثر بهذه الكلمة، وقال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

(سورة إبراهيم)

أيها الأخوة:

أنا أفرح كثيراً عندما أجد أخوة كرام يسعون لنشر الحق، في بيتهم عند أولادهم، عند زوجتهم، عند أقربائهم، عند جيرانهم، عند زملائهم في العمل، أما هذا الذي لا يفكر إطلاقاً في نشر الحق ولا بالدعوة إلى الله، ولا بنقل ما تعلمه، ولا بتنفيذ قول النبي ﷺ:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

هذا الذي لا يفعل هذا إطلاقاً ولا يحدث نفسه أن يفعل هذا هذا يموت ميتة جاهلية أو يموت على غير ملة الإسلام، لأن الجهاد كما قلت قبل قليل ذروة سنام الإسلام، ولأن الجهاد المتاح الآن جهاد القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)﴾

(سورة الفرقان)

وجهاد النفس والهوى، لك أن تجاهد نفسك وهواك ولك أن تتعلم هذا الكتاب وأن تعلمه، حديث آخر:

((عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَنُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))

(مسلم . الترمذي . النسائي . ابن ماجة . أحمد . الدارمي)

أنا ذكرت لكم من قبل، مرة حضرت عقد قران الشيء الذي يلفت النظر أن الدعوة وصلنتي أما العادة يقدمون شيء كتاب، قطعة ما وصل شيء، خطيب الحفل قال: إن الداعي إلى هذا الحفل قد رصد قيمة الهدية لتزويج شباب المسلمين، مبلغ قريب من مليون ليرة فهذا مودع في أيدي أمينة، وسوف تتولى هذه الجهة إنفاقها على تزويج الشباب، هذه سنة حسنة، يعني ماذا يصنع صحن في بيتي الصحن كلها متفاوتة غير متناسبة، لا يوجد

مكان لهذه الصحون وهذه القطع، لكن إذا زوجت شاباً أو شابين بقيمة هذه الهدية هذه سنة حسنة.

((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ))

يوجد سنة أخرى أن نوزع كتاب قيم، طبعاً أنا لي على توزيع المصاحف ملاحظة، ما من بيت مسلم إلا وفيه مئات المصاحف أما إذا وزعت كتاب فقه، كتاب حديث، كتاب سيرة مثلاً ممكن تتشكل مكتبة إسلامية متواضعة في بيوتنا، وإذا عندك كتاب وجاءك كتاب مشابه له قدمه هدية لمن ليس عنده هذا الكتاب، العبرة أن الإنسان يفكر، المسلم إذا فكر وبحث عن عمل صالح ارتقى.

البارحة أحد أخوانا أجرى عملية كل الأخوان زاروه وقدموا له الهدايا، أنا شعرت بسعادة لا توصف، المؤمنون هكذا يد واحدة قلب واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

(( تَمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرَقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ))

يوجد آلاف العادات السيئة، الأعراس، التصوير بالأعراس الاختلاط، هذا التبذل، هذه الألبسة الفاضحة، هذه كلها تقليد.

((وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))

أيها الأخوة الكرام:

جواباً عن سؤال طرحته في أول الدرس لماذا يشعر بعض الأخوة المؤمنين بفتور في قلوبهم مع أنهم مستقيمون؟ الشعور بأن الاستقامة أزلت من أمامك كل العقبات التي تقف بينك وبين الله، ولكن العمل الصالح هو الذي ينقلك إلى الله عز وجل، هو الذي يجعلك على صلة محكمة بالله عز وجل فلذلك لا بد من أن نفكر جدياً في عمل

صالح، وفي قمة الأعمال الصالحة أن تأخذ بيد أخ لك إلى الله ورسوله، يحتاج هذا إلى جهد، إلى زيارة، إلى تفقد، إلى تقديم هدية أحياناً، إلى معاونة، يحتاج إلى إقناع، إلى متابعة، هذه الجهود إذا تابعت ووصلت إلى درجة النضج آتت أكلها وشعرت وأنت قدير العين أن هذا الذي مكنك الله من هدايته هو في صحيفتك إلى يوم القيامة، يعني تصور أن رسول الله ﷺ طبعاً المليار ومائتين مليون في صحيفته أينما ذهب، في بعض البلاد الإسلامية في مدينة واحدة ثلاثة آلاف مسجد في مدينة واحدة، كل هذه المساجد يذكر فيها اسم الله عز وجل وتؤدى فيها الصلوات وتلقى فيها الدروس من الذي سبب كل هذا الهدى ؟ تذهب من الشرق إلى أطراف الباكستان، ثم إلى المغرب، ثم إلى الشمال، ثم إلى الجنوب هذا عمل ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ))

(مسلم . الترمذي . النسائي . أبي داود . أحمد)

ما معنى قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)﴾

(سورة النحل )

أمة، يعني أنت بقلب كم إنسان ؟ الإنسان إذا دعا إلى الله صار بقلوب المئات، بل بقلوب الألوف، بل صار كل من انتفع بدعوته يكن له وداً كبيراً هذا الشيء واقع، لذلك حجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

أنا أقترح عليكم تطبيقاً لهذا الدرس، أو الصيغة العملية لهذا الدرس، أو الحكمة من هذا الدرس، أولاً إن حضرت درس تفسير أو حديث أو فقه، أو درس أسماء الله الحسنى، لابد من أن تأخذ منه الاستماع وحده دون مراجعة لا يجدي، ماذا قيل في هذا الدرس ؟ ما الحديث الذي شرح في هذا الدرس ؟ ما الآية التي شرحت في هذا الدرس ؟ القصة، الحكم، إشارة إليها، إشارة إلى الأفكار الأساسية وطن نفسك طول هذا الأسبوع تتحدث بهذه الموضوعات، على الطعام في زيارة، في عيادة مريض، في سهرة، في وليمة، في سفر، هكذا قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

( البخاري . الترمذي . أحمد . الدارمي )

أنت اختر من الذي سمعته شيئاً تفاعلت معه واجعله محور الحديث طوال الأسبوع، ماذا قال سيدنا علي ؟ قال: يا بني العلم خير من المال لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

أنا حدثت كثيراً عن موضوع الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الله ينبغي أن تفتح القلوب قبل أن تفتح الأذان، ينبغي أن تكون أنت قدوة لمن تدعوه لأن القدوة قبل الدعوة، ينبغي أن تحسن إليه قبل أن تبين له، لأن الإحسان قبل البيان، ينبغي أن تبدأ بالأصول لا أن تبدأ بالفروع، فالأصول قبل الفروع، ينبغي أن تنتقل معه بالتدرج لا بالطرفة، فأسلوب الله عز وجل في تحريم الخمر معروف، أسلوب تدريجي، ترى أول ما علمه من الدين التطهير، أيام في بعض البلاد الذي فيها أجانب أول شيء يلزمه به أن يتطهر . الختان . رجل طويل عريض أمهلنا في الختان قليلاً اصطبر قليلاً، يوجد أشياء يضعونها عقبة، الله عز وجل الخمر حرمها بالتدرج، أو يلاحظ صورة في البيت فيقول له حرام، أو يجد عصفور مثلاً، يترك أساسيات الدين ويأتي إلى بعض التفاصيل، والبيت غير ملتزم وغير منضبط والعقيدة زائغة، والسلوك متقلت، يجب أن تبدأ بالأصول قبل الفروع كما قلت القدوة قبل الدعوة، والإحسان قبل البيان، والأصول قبل الفروع، والترغيب لا الترهيب، يعني نبدأ بالعذاب وجهنم والحنش الأقرع، هذا خاف، تكلم عن الجنة وما فيها من خيرات حسان، في الدنيا تكلم عن توفيق الله وحفظ الله، وتأييد الله ومعونة الله، الترغيب قبل الترهيب، الأصول قبل الفروع الإحسان قبل البيان، القدوة قبل الدعوة، التربية لا التعرية ليس القصد أنا أفصح الناس وأعنفهم، وأصغرهم أمامي لأنني أنا داعية لا، القصد أن آخذ بيدهم وأريهم. هل يوجد إنسان لا يوجد إنسان حوله ؟ له زوجة، أولاد، أقرباء جيران، أصحاب، زملاء بالعمل، له أخوات، أخوة، فنحن نريد أن نترجم هذا الدرس إلى عمل، اجمع حولك من يلوذ بك من أقرب الناس إليك واجعل لهم جلسة أسبوعية في الدين، الحقيقة شيء يدعو إلى التألق أنا سوف ألقى درس اليوم، ماذا أقول، السماع سهل جداً.

أنا مرة كنت في العمرة يوم جمعة شيء جميل، الإنسان يرتدي أجمل ثياب ويأتي إلى المسجد مرتاح لا يوجد عنده مشكلة، أما المنكلم شيء والمستمع شيء آخر، فأنت طول عمرك تستمع حاول أن تتكلم، تلقي درس، بموضوع قرآن، بموضوع سنة، سيرة فقه، تاريخ، موعظة عامة، رقائق، إلى آخره.

ما عندما تحضر وتتكلم صرت محاسب أمام نفسك، صار سؤال يطرح عليك أنت هكذا ؟ يعني أكبر شيء يدفعك إلى الله أن تعلم الناس، صدقوني أقول لكم كلمة هي من أسرار الدعوة أكبر مستفيد من الدعوة هو الداعي نفسه، حينما يتكلم له حساب خاص عند الله كل كلمة قالها لا يطبقها يشعر بانهدام، اختلال توازن، فإذا أردت أن تكون متوازناً، وإذا أردت أن تكون إلى الله منطلقاً، وإذا أردت أن تتسجم مع نفسك فحاول أن تدعو إلى الله وأن تلتزم بكل ما دعوت إليه، حاول أن تدعو إلى الله وأن تلتزم بكل ما دعوت إليه تتألق إذا لا يوجد فحص لا يوجد دراسة، رجل يقول في الصيف أريد أن أقرأ ولا يقرأ شيء أما في العام الدراسي يقرأ ولاسيما الكتاب المقرر، إذا الإنسان لا يوجد عنده دعوة إلى الله عز وجل ليس مضطراً أن يقرأ شيء، ولا يحضر، ولا يضبط نفسه، ولا يتابع قلبه، أما عندما يلقي درس صار له حساب خاص، دائماً القدوة له حساب مضاعف إن أحسن له حساب مضاعف، وإن أساء له عقاب مضاعف، إن أحسن له جزاء مضاعف جزاء عمله الصالح وجزاء من اقتدى به وإذا أساء عليه إثم عمله السيئ وإثم من اقتدى به.

مرة كنت في مكان أعرف رجل تاب إلى الله توبةً نصوحة ولزم دروس العلم رأيت يصفاح امرأة أجنبية لا تحل له، كيف فعلت هذا؟ يقول: فلان كان يصفاح الناس وهو يحمل شهادة عليا في الشريعة مثلاً، هو ما خطر في باله أن هذا محرم لأن فعله فلان إذا لا شيء فيه، إذا كن قدوة حسنة.

إذا الذي أريد أن أقوله يجب الدرس أن يترجم إلى جلسة أقرب الناس لك، أخوتك، أخواتك، أبناء أخوتك، أبناء أخواتك، جيرانك زملائك، أقرب الناس إليك، أصح كلمة قالها النبي ﷺ:

((إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا مُطَاعًا وَهَوَى مُتَّبِعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ ))

(الترمذي . النسائي . ابن ماجة )

خاصة نفسك، من يلوذ بك، أو صداقة، أو جاراً، أو عملاً هؤلاء الذين يلوذون بك هؤلاء أنت محاسب عليهم، أنا لا أنسى قصة ذكرتها لكم كثيراً، أخ كريم أعان أخته بمساعدة بسيطة قال لي: بعد ستة أشهر طلبت مني أختي درس، فاستجاب، ولكن حياته تبدلت عنده الخميس درس عليه أن يحضر الدرس، أخذ من الجامع الصغير عدد من الأحاديث وأخذ شرحهم، وحفظهم، الذي يعلم، حينما تعلم تتعلم، لأن سماع الدرس غير إلقائه، سماع الدرس لا يحتاج إلى جهد، أما التحضير والإلقاء يحتاج إلى جهد، وأنت تتعلم بقدر ما تبذل من جهد، يوجد أناس يقرؤون وهم مضجعون بالسرير ويقرأ ويقلب، يقول لك: الكتاب كله انتهيت منه، لا تذكر بالمائة ثلاثة منه ثاني

يوم ولا واحد بالمائة، يوجد رأي أنه تذكر بعد حين بالمائة سبعة وبعد أسبوع لا تذكر شيئاً، الكتاب نفسه ضعه على طاولة وأمسك قلم اقرأ الفقرة ولخصها بالهامش وضع خط أحمر، ضع سؤال هذه الطريقة تثبت المعلومات، بالضبط لا يوجد جهد، لا يوجد تذكر فنحن نريد من هذا الدرس العملي، حدثني أستاذ بجامعة الشريعة قال لي: أنا لا أضيع وقت الغداء مع أولادي قبل أن يغسلوا أيديهم من الطعام أجلس معهم عشر دقائق يوجد آية، حديث، شرح، كل يوم آية العلم يتراكم، كل يوم حديث، فنحن نريد من كل أخ كريم يكون له درس علم هو يدرس، يتدرب، يلقي شرح آية، شرح حديث قصة عن الصحابة، يوجد أب يجلس مع أولاده مساءً يقرأ لهم قصة صحابي، يوجد كتب لطيفة جداً فيها سير الصحابي بشكل مختصر وبأسلوب أدبي رفيع، والكلمات مضبوطة بالشكل، سلاسل معروفة إذا الإنسان ألزم نفسه أن يقرأ كل يوم قصة عن صحابي وتحلقوا حوله وأنصتوا، وقرأ القصة، وعلق عليها، وعلق على بعض المواقف، هكذا المؤمن، أفضل من أن تسمح لهم يتابعوا أشياء ويتعلموا الجريمة.

لي صديق يعمل في القضاء قال لي: أنا رفعت إلي ثلاث قضايا طفل ارتكب جريمة على منوال ما رآه في بعض المسلسلات، وطفل ألقى بنفسه من الطابق الرابع في الهواء على منوال ما رآه في بعض المسلسلات التي هي للأطفال، ذكر لي ثلاث جرائم ارتكبت وهي تقليد أعمى لما رآه الطفل في بعض المسلسلات، لما أنت تعطي شيء من السيرة، من التفسير، من الحديث، لك جلسة مع أولادك مع أقربائك، مع جيرانك، مع زملائك في العمل، هذا الذي ألح عليه في هذا الدرس أن يكون لك دعوة، هي تبدأ متواضعة، تبدأ مع أطفال صغار، تبدأ مع أخوة صغار، تبدأ مع صغار، تبدأ مع أصدقاء لكن تنتهي بدعوة كبيرة، أساس نجاح الدعوة الإخلاص وأنت إذا أردت أن تتعلم فعلم، إن أردت أن تتلقى فألقي، إن أردت أن تثبت فثبت، الحقيقة العمر قصير والمهمة خطيرة، وهذا الحديث:

**((قَوْلَ اللَّهِ لِأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))**

أخ من أخواننا له عمل أبعد ما يكون عن الدعوة إلى الله عمل بعيد جداً، طبيعة العمل لا تتصل بالعلم إطلاقاً، تقاعد من عمله وبدأ يعلم الأطفال الصغار في دورة تحفيظ قرآن كريم قال لي: شعرت بسعادة لا توصف أن إنسان يجلس مع أطفال صغار مقبلون على الحياة ويعلمهم آداب الإسلام، تعاليم القرآن، هدي النبي العدنان، ماذا يشعر؟ يشعر بإنجاز كبير، أنتم تقولون بالصلوات على النبي و على أسعدنا محمد و على سيدنا و على أسعدنا، أي أسعد الخلق قاطبة هو النبي عليه الصلاة و السلام، و أسعد الناس قاطبة هو الذي دعا إلى الله و

انطلق من حاجاته إلى حاجات الخلق، من حظوظه إلى هداية الخلق، من مصالحه إلى نشر الحق، فلذلك كل إنسان يمكن أن يكون داعية، نحن مرة في درس من الدروس يمكن بخمس أو ست دروس تكلمت عن القضاء في الإسلام، فكان هناك مقدمة مهمة جداً: أن كل إنسان شاء أو أبى هو قاض، لا تتوهم أن القضاء أن تكون على القوس بقصر العدل، هؤلاء قلة، أما الأب قاض، و التاجر قاض و الجار قاض، و أنت تحكم مئات المرات في الشهر و تُسأل و يُرجع إليك و يُؤخذ رأيك فأنت قاض، و أنت حينما تكون صحيح العقيدة، طليق اللسان، منضبط في السلوك، تدعو إلى الله عز وجل أنت داعية، ما هو الداعية ؟ ليس الذي يقف على المنبر، كل مؤمن داعية بعمله، في بيته، بسلوكه، بطلبه العلم، بنقله للعلم، يمكن أن يكون داعية، فلذلك الأحاديث التي تحض على الدعوة إلى الله تزيد في الصحاح عن ثمانية وثلاثين حديثاً وهذان الحديثان من أبرز هذه الأحاديث.

يوجد حديث آخر:

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جَاهِدُوا بِأَيْدِيكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ))

(النسائي . أحمد . أبي داود . الدارمي )

أنك بإمكانك أن تجاهد جهاداً لسانياً في نشر الحق، لا يغيب عن ذهنكم أن الدعوة إلى الله كما كنت أقول كثيراً فرض عين على كل مسلم، والدليل قوله تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)﴾

(سورة العصر )

فالتواصي بالحق أحد أركان النجاة، والدليل الثاني، قوله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

(سورة يوسف )

فإن لم تدعو إلى الله على بصيرة أنت لست متبعاً لرسول الله ومن ليس متبعاً لرسول الله لا يحبه الله ولا يحب الله،  
قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾

(سورة آل عمران)

هذا الدليل الثاني إلا أن الدعوة إلى الله كما قلت قبل قليل فرض عين وفرض كفاية، فرض عين في حدود ما تعلم وفي حدود من تعلم كل واحد منكم مظنة صلاح فيمن حوله فلان له درس، فلان يحضر في الجامع الفلاني بين أهله وأقربائه، هو مادام يطلب العلم إذاً هو مظنة علم، فهؤلاء الذين حولك والذين يعتقدون أنك تطلب العلم هؤلاء زادك إلى الله وهؤلاء الذين أنت موكل بهم، لذلك الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم في حدود ما يعلم وفي حدود من يعلم أما حينما قال الله عز وجل:

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)﴾

(سورة آل عمران)

ولتكن منكم أمة، أي هذه الدعوة التي هي فرض كفاية، يعني التبحر في العلم ومعرفة الدليل التفصيلي ورد الشبهات، هذه فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تتطلقوا من هذا الدرس إلى جلسة أسبوعية مع أولادك مع جيرانك، مع من تحب، مع من يلوذ بك، أو مع خاصة نفسك عليك بخاصة نفسك، جلسة أسبوعية محورها آية قرآنية أو حديث شريف، أو قصة عن صحابي، أو موضوع فقهي، أو تلاوة قرآن أو حفظ قرآن، هذه الجلسة المتكررة تجعلك تتطلق بالعلم وتتعلم وترسخ، وتبين، وتوضح، أما إذا سئلت يشحن ذهنك، وتتفتق عبقريتك فإذا بعد حين تجد أن أناساً عديدين اهتموا على يدك، بعد حين تجد أنك دعوت إلى الله بشكل أو بآخر، فلا تضن أيها الأخ الكريم على نفسك بخير عظيم.

وكل إنسان إذا تولى إنسان، أنا لي ملاحظة قلتها كثيراً، هذا المسجد ألا يستطيع أحدكم أن يأخي واحد فقط من رواد هذا المسجد اتخذ أخ، ما معنى أخيته؟ أي تفقدت أحواله، إن مرض عدته وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن استعانك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن طلب منك شيء أعطيته، وإن سألك عن شيء أجبته، هذا الأخ، وإذا غاب عن الدرس تفقدته يعني لا تقدر شعور الأخ إذا غاب درس واتصلوا به نحن

قلقون عليك معنى هذا أنه مهم، أنا أتألم أشد الألم من إنسان غاب شهر ما أحد تتفقه، لا نعرف، وأشعر من خلال عتابي لهم بألم أنه شهرين في الفراش ما أحد طرق بابي أين مكنتي في الجامع ؟ ليس لي مكانة إطلاقاً.

أنا ألح عليكم بالحاح كل أخ منكم ياخي أخ، إذا غاب تتفقه يوجد مشكلة انقل لي إياها، له قضية ابحتها، له سؤال أجبه ما تمكنت كلف من يجيبه، أصابه خير هنأته، جاءه مولود قدمت له هدية سافر ودعته، قدم من سفر استقبلته، واحد إذا كانت همتك أعلى اثنين، همتك أعلى ثلاثة، أعلى أربعة، أعلى خمسة، عشرة هذا العلم الصالح، الحقيقة ليس درس العلم أنه سمعنا ومشينا، علاقات متينة، أخوة صادقة، معاونة، مآثرة، تضحية، هذا مجلس العلم فإن أردت أن يرضى الله عنك فأخي أماً في الله، هذا فعله النبي في المدينة قال لأصحابه تأخيا اثنين اثنين، يكون لك أخ في الله تتفقه ويتفقدك، تعينه ويعينك، تقرضه ويقرضك، تسأله ويسألك، تأخذ بيده ويأخذ بيدك، تقيل عثرته ويقيل عثرتك، تدخل على قلبه السرور ويدخل على قلبك السرور، وما أجمل الحياة مع أخ في الله ليس في الدنيا أثن من أخ في الله.

يا أيها الأخوة الكرام:

أنت حينما تتصل بإخوانك وترعاهم وتتفقد أحوالهم، وتلقي عليه بعض ما علمك الله، دعوت إلى الله وأنت لا تدري، وهذه دعوة ذكية، لا تحتاج إلى ضجيج ولا إلى صخب، ولا إلى مشكلات دعوة لطيفة، ترى المؤمن كل من حوله يحبه، كل من حوله يستمعون إليه يقتنون أثره، ينهلون من علمه، يتأثرون بكلامه، فكن علماً، أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم، وربنا عز وجل شكور.

ما قولك بإنسان أب رحيم له ابن غاب عن البيت ولم يعد، الأب والأم إذا غاب الابن عن البيت ولم يعد شيء لا يحتمل، يعني ألم مستمر، قلب في حرقه، فالأب له ابن يحبه حباً جماً وخرج ولم يعد أسبوع أسبوعين شهر شهرين، ولا يعرف يا ترى في السجن؟ متشرد في الطرقات ؟ يا ترى مريض ؟ أين ينام ؟ قلق لا يحتمل أحد أصدقاء هذا الأب رأى ابنه في مكان، فأخذه، وأطعمه، وألبسه وأصلح ذات بينه، وجاء به إلى أبيه تائباً راجعاً، قد يقول هذا الأب عملت معي عملاً لا أنساه حتى الموت، إذا كان أب عادي له ابن شارد أرجعته له، إذا كان عبد شارد، عبد ضال، فاسق، منحرف أفتعته، وهذبتة، وحملته على الاستقامة، وجعلته يتوب إلى الله ماذا فعلت أنت مع الله ؟ ما معنى قوله عز وجل إنه شكور ؟ يعني يشكرك لأن الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعيله فذلك الإنسان لو تأمل عمل الدعوة إلى الله لوجده صنعة الأنبياء وهو أعظم عمل على الإطلاق، وكل

واحد منكم بإمكانه أن يكون داعية أقول لكم شيء أبلغ من ذلك هل يوجد بيت لا يوجد به بنات ؟ من جاءته بنتان فأحسن تربيتهما فأنا كفيله في الجنة، قالوا وواحدة، قال وواحدة.

يعني كل واحد إذا عنده بنات ابنته وحدها يمكن أن تكون طريقاً له إلى الجنة إذا رباها، وهذبها، وأكرمها إلى أن يزوجها أو يموت عنها فهو في الجنة.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يأخذ هذا الدرس منكم مأخذاً عملياً وأن ينقلب إلى جلسة مع من يلوذ بكم، مع خاصة أنفسكم، يعني أيام يقول لي فلان، وفلان، وفلان الله عز وجل أكرمني وجاءوا معي إلى الدرس، فلان، وفلان، وفلان صاروا من إخواننا، هذا عمل عظيم، يعني كل إنسان غيور على من حوله إذا ذاق طعماً طيباً يشتهي من يحب، فأنت إذا أردت أن يحبك الله فأحب للناس ما تحب لنفسك.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (068 - 127) : النصف من شعبان

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-12-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً ، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### ارتباط العبادات الشعائرية بالعبادات التعاملية :

أيها الأخوة الكرام ؛ تكثر في هذه الأيام الأسئلة حول شعبان ، وحول النصف من شعبان ، وحول صيام النصف من شعبان ، وحول رجب قبلها ، وحول الإسراء والمعراج ، جميل جداً أن يسأل الإنسان عن شؤون دينه ، وعن تفاصيل العبادات ، ولكن قبل أن أمضي بالحديث عن شعبان وهو محور الدرس إن شاء الله ، أريد أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة .

لابد للمسلم الصادق والمخلص من سلم أولويات ، الشيء الملاحظ أن العبادات نوعان ، عبادات شعائرية كالصيام ، والصلاة ، والحج ، وعبادات تعاملية كالصدق ، والأمانة ، وغض البصر ، والعفة ، والمروءة ، وعدم البهتان والكذب ، والإنصاف ، والعدل ، وإنجاز الوعد، و وفاء العهد ، هذه عبادات تعاملية ، وقد ذكرت لكم من قبل كثيراً أنه لا تصح العبادات الشعائرية ما لم تكن العبادات التعاملية ، لأن هذا الدين منهج ، وحقوق العباد كما تعلمون مبنية على المشاححة ، بينما حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة ، وكنت سابقاً أضرب هذا المثل ليتضح لكم الفرق الكبير بين أداء العبادات التعاملية وبين أداء العبادات الشعائرية ، يمكن أن نمثل العبادات الشعائرية بالعام الدراسي ؛ فيه محاضرات ودروس ومخابر ووظائف يومية ومذكرات شفوية وأعمال كتابية وأعمال عملية ودراسات وأعمال ، لكن في آخر العام الدراسي فحصاً عاماً لكل هذه المواد ، ماذا في الفحص ؟ طاولة ، و ورقة بيضاء ، ومراقب ، فأداء الامتحان يشبه العبادة الشعائرية ، من يستفيد من هذه الساعات الثلاث ؟ الذي أمضى العام الدراسي في مواظبة على الدروس ، وفي حفظ لها ، ومذاكرة لها ، ومتابعة لها ، ومناقشة ، هذا الطالب أسعد لحظات حياته ساعات الامتحان ، لأن كل علمه سيصبه في هذا الامتحان ، وسينجح ، وسيتألق ، ويعلو في نظر الناس ، أما إذا كان الطالب لم يقرأ أية كلمة أثناء العام الدراسي ، ولم

يداوم، ولم يبذل جهداً في فهم الحقائق ، فلو دخل إلى قاعة الامتحان كما يدخل جميع الطلاب ، وجلس بأدب جم ، ومعه أقلام رائعة ، ومعه كل وسائل الراحة من حبة أسبرين، إلى كل شيء ميسر ، لكنه لم يقرأ شيئاً إطلاقاً لا يستفيد إطلاقاً من هذا الامتحان ، بل سيكون هذا الامتحان مشيراً إليه بالإخفاق .  
أعود وأقول : العبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية .

**دليل أن العبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية :**

نحن اتفقنا سابقاً أن كل شيء ينبغي أن يكون له دليل ، والمؤمن الصادق الواعي لا يقبل شيئاً بلا دليل ، ولا يرفض شيئاً بلا دليل ، لو سألني أحدكم أين الدليل يا أستاذ أن العبادات الشعائرية لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية ؟ أقول : الزكاة ، قال تعالى :

﴿قُلْ أَنْعَمُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[ سورة التوبة : 53 ]

الحج ، ورد في الحديث الصحيح :

(( من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله له : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك ))

[الأصبهاني في الترغيب عن أسلم مولى عمر بن الخطاب ]

الصيام : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(( مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ))

[البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ]

الزكاة والصيام والحج ، الصلاة ، قال تعالى :

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[ سورة العنكبوت : 45 ]

فالذي لا تنهيه صلواته عن الفحشاء والمنكر ما حقق من الصلاة هدفها ، إذاً العبادات الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، وأكبر دليل قول سيدنا جعفر عندما سأله النجاشي عن الإسلام فقال له : كنا قوماً أهل جاهلية ، الآن نصغي إلى تعريف الإسلام من صحابي جليل جليل : " نعبد الأصنام ، ونؤتي الفواحش ، ونقطع الأرحام .... حتى بعث الله فينا رجالاً نعرف أمانته ، وصدقه ، وعفاه ، ونسبه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة ، والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء " .

التعريف كان تعريف أخلاق ، هذه العبادة التعاملية فإن صحت صحت العبادة الشعائرية .

### النوافل ليست مقياساً لتقوى الإنسان :

يبدو أن العبادة التعاملية لا تكلف شيئاً ، بسيطة ، لذلك في شهر شعبان و رجب و رمضان يأتيك وابل من الأسئلة حول مشروعية صيام النصف من شعبان ، أي إذا الإنسان غير مطبق لأصول الدين ولأركان الإسلام لماذا يتعلق هذا التعلق الشديد بصيام النصف من شعبان وهو سنة ؟ وسأتي بعد قليل إلى أحكام شعبان ، ولكن أنا أريد التوازن ؛ يوجد سلم أولويات .

مرة في بعض الدروس أخ كريم ، له قريب في بلد غربي بعيد ، أراد أن يرسل له بعض الدروس المصورة في الطاووسية ، فوضع آلة صغيرة في السدة ليصور الدرس مع الصوت ويرسله إلى أمريكا ، يوجد إنسان نظر فوجد هذه الآلة فقال : هذا منكر ، وبالغ في اللوم والتعنيف ، قال لي بعض المصلين مرة ثانية ومرة ثالثة ، قلت له : ما قولك بصور متحركة ؟ قال : أشد حرمةً ، متحركة ملونة أشد حرمةً ، متحركة ملونة وموضوع الصورة امرأة شبه عارية ، قال : أشد حرمةً ، هذا ما يشاهده معظم الناس في البيوت كل يوم ، فهذه تتوافق مع مزاجه ومع رغباته يغفلها ، والذي لا يتوافق مع مزاجه ينكره ، أنا لا أريد أن أقول الآن حول حرمة التصوير .

(( عن مسلم ، قال : كُنَّا مَعَ مَسْرُوقٍ فِي دَارِ يَسَارِ بْنِ نُمَيْرٍ فَرَأَى فِي صُفَّتِهِ تَمَائِيلَ فَقَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ : يَقُولُ إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ ))

[مسند الحميدي عن عبد الله بن مسعود]

هكذا قال النبي ، وفي اللغة المصورين ولها بحث في اللغة طويل ، كم من امرأة طلقت من زوجها عن طريق صورة أجري عليها تعديل ؟ الآن التصوير متقدم جداً ممكن أن نضع رأس هذه المرأة على جسم آخر شبه عارٍ وتقدم لزوجها ، وأنا أريد أن أقول لكم أسرة محافظة جداً لكنها غنية جداً جداً ، أرادت أن تقيم عرساً في فندق كبير ، وكانت التشديدات أنه لا بد من ألا يكون موجود رجالاً وكل الخدم من النساء ، حتى على الأبواب ، وقد وضعت تأكيدات كبيرة جداً أن رجلاً واحداً لن يكون في هذه القاعة ، بل إن كل من يدخل إليها من النساء ثم اكتشف أن القاعة مراقبة تلفزيونياً وأن خمسة رجال يشاهدون هؤلاء النساء الكاسيات العاريات وهن بأبهى زينة ، فطوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة ، ليس موضوع الدرس الآن عن التصوير هذا موضوع آخر ، لكن أقول : لا يمكن أن نتساهل أن يشاهد الإنسان المسلسلات الساقطة ، والمحطات الأجنبية عن طريق هذه الصحون ثم ينكر صورة أخذت بشكل بريء ، بمجلس علم ، أو بعقد قران ، أنا لا أعطي حكماً الآن ولكن مفارقة حادة وتناقضاً مريباً ، فنحن لا نريد أن نجعل من النوافل مقياساً لتقوى الإنسان ، النبي عليه الصلاة والسلام وهو مع أصحابه - ودققوا في هذا - كانوا في سفر وفي شهر رمضان ، بعض أصحابه أفطر وأخذ بالرخصة ، وبعض أصحابه صام وأخذ بالعزيمة ، فلا الذين صاموا أنكروا على الذين أفطروا ، ولا الذين أفطروا أنكروا على الذين صاموا ، لكن تروي بعض الروايات أن اليوم كان يوماً حاراً جداً ، وقد بلغ الجهد من أصحاب النبي مبلغاً لا يطاق ، فقام المفطرون ، و أوقدوا النار ، وطبخوا الطعام ، وخدموا أخوانهم الصائمين ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال :

((عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرْنَا ظِلًّا الَّذِي يَسْتَنْظِلُ بِكِسَائِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ذَهَبَ الْمُفْطَرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ ))

[ البخاري عن أنس ]

على موضوع صيام النفل ؛ إنسان عنده عمل طويل ، وعنده بعد العمل الطويل أعمال كثيرة جداً ، ينجز في اليوم عشرين عملاً ، هذا إذا أفطر يتقوى على إنجاز هذه الأعمال كلها ، أما إذا صام يوماً واحداً فسيضطر أن يقبع في البيت ، ولا يستطيع أن يتابع ، ففضية صيام النفل لا أحد يتدخل بها إطلاقاً ، رجل متقاعد مرتاح لا

يوجد عنده شيء نقول له : يجب أن تصوم كل الأيام التي أفطرتها ، ويوجد رجل عنده أعمال كثيرة جداً ، لو أنه صام تعطلت كل أعماله له أن يفطر ، فلا الذي يصوم ينكر على الذي أفطر ، ولا الذي يفطر ينكر على الذي يصوم ، هكذا كان أصحاب النبي ، قضايا النوافل لا تتدخلوا بها ، هذه بينك وبين الله ، ألم تصم يوم الخامس عشر من شعبان ؟ يجرئك ، والله لم أصم ، فيقول له : أصلحك الله .

## سلم الأولويات :

أيها الأخوة : رمضان فرض ، أما النوافل فكل إنسان له ظروفه الخاصة ، والنبي قال : " لا تحمروا الوجوه " ، ترى بيتاً متقلتاً ، لا يوجد أمر إلهي مطبق فيه ، وكلهم صائمون في الخامس عشر من شعبان ، والله الصيام جميل لكن هذا التقلت !!

امرأة تمشي في الطريق كما خلقها الله ، تلبس الثياب الضيقة ، وتبرز كل خطوط جسمها وهي صائمة في الخامس عشر من شعبان ، الصيام مستحب لا نستطيع ألا نصوم ، الصيام رائع جداً ولكن لا يتناسب صيام النفل مع هذا الخروج .

صاحب معمل يريد أن يروج بضاعته ، يعمل إعلاناً بأجهزة التلفزيون فتاة شبه عارية ، يعلن عن بضاعته وهو براءة الأطفال في عينيه ، أما إذا يوم نفل فتراه صائماً ، والله رجل النقيت به ، قال : أستاذ عندنا مطعم خمس نجوم يباع فيه الخمر ، ولكن شريكه يريد هذا، إن شاء الله في رقبته ، أنا ليس لي علاقة ، فقلت له : ألا تقبض الأرباح كل سنة ؟ قال : نعم ولكن أنا ما طلبت منه .

نحن لا نريد شخصية خرافية تتمسك بأشياء وتسهب عن أشياء ، قلت أول الدرس: أريد سلم أولويات ، طاعة الله عز وجل في البيع والشراء ، في الحديث يجب أن تكون في الدرجة الأولى ، والإنسان كلامه من عمله ، كسب ماله ، إنفاق ماله ، رجل له مظهر ديني وله جامع ينتمي إليه ، عمل مشروعاً سكنياً ، والمشروع مستحيل أن يتم لأسباب قاهرة ، فأخذ نصف ثمن البيوت وقال : اعملوا حفريات حتى نأخذ النصف الثاني حسب العقد ، فأجابوه : لكن لا يوجد أمل ، المحضر لن يعمر ، فقال لهم : الآن هاتوا المال ، أخذ المال وهرب به ، والآن كل الناس لهم معه هذا المال ، وله مظهر ديني يحضر في المساجد ، مشكلة الناس عندما يكفرون بالدين من هؤلاء النماذج ، الشعائر في أعلى درجة أما المعاملات ففي أسفل درجة ، ترك دائق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام .

امرأة تملك بيتاً في الشام ، مؤجر بسبعين ليرة سورية ، ثمنه اثنا عشر مليوناً ، فعلت المستحيل كي تستعيد ثمن

ربع هذا البيت ، أقسم لي شخص قريب أن ساكن هذا البيت استطاع أن يأخذه منها بسبعمئة ألف ليرة فقط ، بأساليب من الخداع ، والمراوغة ، والمماطلة ، والتخويف وتملك البيت ، وهو من رواد المساجد يصلي ، هذا الذي يكفر الناس بالدين ، الإنسان عندما يكون بكسب المال وإنفاق المال لا يتقي الله عز وجل فهذه الشعائر لا تقدم ولا تؤخر ، وأحياناً تجد أن صلاته وحجه وصيامه عند الله غير مقبولة ، لأنه يأكل المال الحرام ، ويحتال على الناس ، ويغشهم في بيعهم وشرائهم ، فنحن لا نريد مسلماً فلكلورياً ، كلابية بيضاء يوم الجمعة ، معطر ، لكن ماله بالحرام ، نحن نريد مسلماً طاهراً .

أعرف رجلاً ، مركز عمله فيه فخامة تفوق كل فخامة ، قال لي مرة : أنا عملي قدر ، سبحان الله ! بعد أيام اضطررت أن أجري إصلاحات في سيارتي ، رأيت رجلاً مؤمناً ، يرتدي ثياباً ليس لها لون من شحم إلى فحم إلى طين ، وانبطح تحت المركبة ، وفك الجهاز وأصلحه وأخذ أجرة معتدلة ، فكان في نفسي هذا الكلام : إن هذا العمل نظيف ، قد يكون عمك بالوحد ، والشحم ، متعب تحت المطر ، وفي أيام البرد القارس ، ومع ذلك عمك نظيف وشريف ، وهناك أعمال فخامة ما بعدها فخامة ، دور اللهو ، ودور القمار والملاهي ، فخامة البناء تفوق حدّ الخيال ، وكله مجتمع مخملي ، وأنا أسميه مجتمع جنيفيس وليس مخملياً ، المجتمع المؤمن مخملي يوجد فيه نعومة ، ورقة ، وأدب . فلذلك موضوع الدرس اليوم الأولويات.

### المفارقات الحادة بين أخلاق المسلمين و أعمالهم :

جميل جداً أن تصوم في شعبان ورجب ، ولكن الأجل من هذا أن تكون قائماً على حدود الله عز وجل ، أن يجدهك الله حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك ، ليس الولي الذي يطير في الهواء ، ولا الذي يمشي على وجه الماء ، ولكن الولي كل الولي الذي يتقي الله ، قال تعالى :

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[ سورة يونس : 62 ]

نحن نريد إسلاماً يجذب الناس إليك ، نريد ورعاً ، سيدنا أبو حنيفة النعمان كان يقف مع رجل في ظل بيت قال له : تتحى عن هذا الظل إلى الشمس ، قال له : لماذا ؟ قال له : لأن هذا البيت مرهون عندي وإنني أكره أن أنتقع بظله ، هذا الورع ، وركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط ، لفت نظري في هذه الأيام المفارقات الحادة ، مولد أقيم في مسبح مختلط ، والذين ألقوا الكلمات أثنوا على صاحب هذا الحفل الكريم من أسرة عريقة

إلى أسرة عرفت بالتقوى والصلاح . . . . . والمسبح مختلط ، هذه هي مفارقات المسلمين ، عرس أقيم في فندق جلبت له الراقصات ، وكل المعاصي ارتكبت في هذا العرس من تكشف للعورات ، ومن شرب للخمر ، ومن أعمال لا ترضي الله عز وجل ، وكل هذه الأعمال نشرت بالصحف ، بصور جميلة وملونة ، أما على بطاقات الدعوة فالطيبون للطيبات .

هذه المفارقات الحادة ، لا نريد نحن إنساناً متقلتاً ويسأل عن صيام شهر شعبان ، لا نريد نحن إنساناً متقلتاً ويبحث عن عبادة شعائرية ليس في أدائها صعوبة إطلاقاً ، قال تعالى:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ  
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة التوبة: 19]

ربما كانت معرفة الله وطاعته والوقوف عند حدوده أمراً يحتاج إلى جهاد ، وربما كان أداء بعض العبادات الشعائرية أمراً لا يقتضي إلا جهداً بسيطاً وسمعةً كبيرة .

((عن أبي سلمة أن عائشة رضي الله عنها حدثته قالت : لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله ، وكان يقول : خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمًا عَلَيْهَا ))

[متفق عليه عن عائشة ]

**من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله :**

أخواننا الكرام أنا أريد أن أؤكد ، أنا ما قصدت أبداً أن أقلل من قيمة الصيام في شعبان ، ما أردت أبداً أن أقلل من قيمة نوافل العبادات بالعكس .

(( عن أبي هريرة قال : قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، وإن استعاذ بي أعذته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ))

[البخاري عن أبي هريرة ]

أنا ما أردت أن أقلل من قيمة أداء النوافل في هذه الأشهر الفضيلة ، لكن لفت نظري أن إنساناً متقلتاً غير منضبط لا يكسب ماله ، ولا بإنفاق ماله ، ولا بمظهر زوجته وأولاده ، ولا ببقاء بيته من كل جهاز يفسد الحائط فضلاً عن الإنسان ، مثل هذا الإنسان المتقلت من كل قيد الذي لا يعرعى قيود الدين ، لا يشغله شيء إلا أن يسأل عن صيام النوافل ، هناك أولويات ؛ مثلاً : ممكن تركب سيارة ويكون محرك السيارة محروقاً والسيارة واقفة وتقيم النكير بسبب أن المرأة و البرغي ضائع ؟ لا تعرف الأولويات في السيارة ، المحرك محروق ، ممكن أن يأتي إنسان إلى مستشفى يعاني من أزمة قلبية خطيرة ، ربما مات بعد دقائق ، وترى أظافره طويلة تنسى قلبه وتقص له أظافره ممكن ؟ يكون في العقل مشكلة ، ممكن أن تنسى دسام قلبه المغلق وتتنظر إلى أظافره أنهم يحتاجون إلى قص ؟ هكذا بعض الناس يرتكبون الأشياء التي لا ترضي الله ، ويدققون في الجزئيات ونوافل العبادات من جهة ترفعهم في نظر الناس ، وربما ينتزع إعجاب الناس بها .

يوجد أشخاص لا يوجد عنده مانع أن يشرب الخمر ، وأن يزني ، وكلما فتحت محفظته يوجد مصحف ، رجل ورع ، المصحف لا يفارقه وهو لا يطبق منه شيئاً ، هذه الشخصيات يجب أن تكون معراً ، أي الإسلام أعمق من ذلك ، قلت لكم : ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخلط ، من لم يكن له ورع يصدده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله .

حدثني أخ : إنسان يبيع الخضار ، نوع درجة خامسة الكيلو بليرتين ، ونوع درجة أولى الكيلو بخمس ليرات ، ويوجد عليه ازدحام شديد ، جاء شخص يصلي ملاً أربعة أخماس الكيس من النوع الجيد ووضع نصف كيلو من النوع السيئ ، وأعطاه اثنتي عشرة ليرة ، كان تعليقي أنه كان عليه أن يضع عباداته الجوفاء في الحاوية ، ممكن أن يسرق من هذا البائع الفقير ؟ صار الغش ليس من البائع بل من المشتري ، وهذه حالة نادرة ، المشتري

غشاش ، نحن نريد إسلاماً متوازناً ، إسلاماً متماسكاً ، لا نريد تناقضاً نريد وضوحاً .

## الدين نقل و أخطر ما في النقل صحته :

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّتْ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمًا عَلَيْهَا ))

[ متفق عليه عن عائشة ]

كنت أنا بقاء من أيام ، رجل مندفع قال لي : أبو حنيفة النعمان قرأ سبعين ألف ختمة في حياته ، وأجرينا إحصاء إذا الإنسان قرأ هذه الختمات يجب أن يعيش مئة وتسعين سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يعمل شيئاً ، يوجد مبالغت كبيرة جداً ، يوجد قصة قرأتها مرة وأحجمت عن روايتها سنوات عدة غير معقولة ، الذي جاء من أذربيجان رسول العامل في أذربيجان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وصل المدينة ليلاً ، قال : كرهت أن أطرق باب أمير المؤمنين ليلاً فدخلت إلى المسجد ، طبعاً لا يوجد ضوء ، سمعت رجلاً يبكي ويقول : يا رب هل قبلت توبتي فأهني نفسي أم رددتها فأعزبها ؟ قال له : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عمر ، قال : يا سبحان الله ألا تنام الليل ؟ هو كره أن يطرق بابه ليلاً لئلا يوقظه ، قال له - وهكذا الرواية قرأتها - إنني إن نمت ليلي أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، هذه القصة والله أحجمت عن إلقائها على الناس أعوام عدة إلى أن عثرت على رواية كما يلي : قال له : " إنني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي " هذا معقول ؛ إن نمت ليلي كله ، لأن الله عز وجل أمر النبي أن يقوم بعض الليل ما أمره أن يقوم الليل كله ، يقول لك : هذا الفقيه مدة أربعين سنة صلى الفجر بوضوء العشاء ، ليس معقولاً . ألف إنسان لا تدعهم يناموا ليلتين متتابعتين يختل توازنهم ، النوم رحمة ، دائماً كن واقعياً ، وإذا كنت واقعياً كلامك مسموع ، أساساً تعريف العلم الوصف المطابق للواقع مع الدليل .

((خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ : مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّتْ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمًا عَلَيْهَا ))

[ متفق عليه عن عائشة ]

ما دووم عليه ، مبني للمجهول ، هذا حديث صحيح ، وكل هذه الأحاديث بالصحاح ، لأن الدين نقل وما دام الدين نقلاً إن أخطر ما في النقل صحة النقل .

((عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ ، فَقَالَ : أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتِ بَعْضَ نِسَائِكَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرِ مَنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمٍ كَلْبٍ وَفِي النَّبَابِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثُ عَائِشَةَ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ الْحَجَّاجِ وَ سَمِعْتُ مُحَمَّداً يُضَعِّفُ هَذَا الْحَدِيثَ وَ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ وَالْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ))

[ الترمذي عن عائشة ]

المرأة هي المرأة جعلها الله غيرةً على زوجها ليحبها زوجها ، هذه لصالح الزوج ، أحياناً الرجال يتأففون من غيرة نساءهم عليهم ، لولا أنها تغار عليك لما أحببتها ، لكن يوجد حالات خاصة هناك غيرة مرضية ، وهناك غيرة سوية تتصف بها كل الزوجات ، أي إذا كان الزوج ملاكاً ، مؤمناً ، تقياً ، نقياً ، ورعاً ، مستقيماً ، من بيته إلى مسجده وتأخر ذات ليلة ، مع من كنت ؟ ما هذا الكلام ؟ هذه ليست غيرة ، هذه غيرة مرضية تحتاج إلى معالجة، تحتاج إلى طبيب ، وهناك بعض النساء كذلك ، أما كل امرأة فتحب زوجها ، هذه السيدة عائشة قالت :

((فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَخَرَجْتُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ ، فَقَالَ : أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتِ بَعْضَ نِسَائِكَ ))

[ الترمذي عن عائشة ]

كانت غيرة رضي الله عنها .

((فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرِ مَنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمٍ كَلْبٍ))

[ الترمذي عن عائشة ]

أي يوم مغفرة ، يوم رحمة هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام .

((عن أسامة بن زيد قال : قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان ، قال : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ))

[النسائي عن أسامة بن زيد]

## خصائص شهر شعبان :

من خصائص هذا الشهر الفضيل أن ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل ، فكان يقول عليه الصلاة والسلام : " أنا أحب أن يرفع عملي وأنا صائم ."

(( عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر لي فأغفر له ؟ ألا مسترزق فأرزقه ؟ ألا مبتلى فأعفيه ؟ ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر ))

[أخبار مكة للفاكهي عن علي بن أبي طالب]

هذا الحديث أيضاً في الصحاح .

((عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن ))

[ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري]

قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾

[ سورة النساء : 84 ]

أنا قلت مرة : هذه الآية الكريمة مرت مرات في القرآن عديدة ، وقد تلتبس على بعض الناس ، أولاً أولها المفسرون كما يلي : إن الله لا يغفر أن يشرك به ما لم يتب ، فإذا تاب غفر له كل شيء ، هذه الآية معناها إذا مات مشركاً ، أما إذا رجل كان مشركاً وتاب وأسلم وحسن إسلامه فإذا تاب يغفر الله له ذنب الشرك ، مع أن

الشرك كما قال الله عز وجل :

﴿وَأُدَّ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة لقمان : 13]

مرة وضحت هذه الآية أن إنساناً له في حلب مبلغ كبير جداً ، وعد أن يقبضه الساعة الثانية عشرة يوم السبت ، ركب القطار الساعة السادسة والقطار بخمس ساعات يكون في حلب ، يمكن أن يرتكب راكب هذا القطار عدداً كبيراً من الأغلط ، يمكن أن يقطع درجة أولى وأن يركب درجة ثالثة بالخطأ ، يمكن أن يركب مع أناس غير مهذبين ، ينزعج أشد الانزعاج ، يمكن أن يتلوى من الجوع وقد غاب عنه أن في القطار قاطرة مطعم ، ممكن أن يركب عكس اتجاه القطار فيصاب بالدوار ، مع كل هذه الأخطاء القطار في طريقه إلى حلب وسيصل إلى هناك وسيقبض هذا المبلغ ، أما هناك خطأ لا يغفر أن تتركب قطار درعا ، هذا ليس له حلّ ، ولو كانت المركبة فخمة جداً ، والمقاعد وثيرة ، والقاطرة مدفأة ، والطعام نفيساً ، ولكن يسير عكس الاتجاه . فالإنسان وهو مؤمن وهو موحد يغلط ، والله غفور رحيم ، أما أن يتجه إلى غير الله ، إذا اتجهت إلى الله كل شيء يغفر ، أما إذا اتجهت إلى غيره فالأعمال الصالحة لا تقبل لأن فيها شركاً ، إذا كنت متجهاً إلى الله الأغلط تغفر والذنوب تغفر ، أما إذا اتجهت إلى غير الله بعمل عظيم فلا يغفر لأن هذا العمل لابسه الشرك.

يقول الله تعالى : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك - في الحديث القدسي - القلب المشترك لا أقبل عليه والعمل المشترك لا أقبله .

((عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي آيِلَةِ النَّصْفِ مِنْ

شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ ))

[ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري]

و :

((عن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الأيام يسرود حتى يقال لا يفطر ، ويفطر الأيام حتى لا يكاد أن يصوم إلا يومين من الجمعة إن كانا في صيامه ، وإلا صامهما ولم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان ، فقلت: يا رسول الله إنك تصوم لا تكاد أن تفطر وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما ، قال : أي يومين ، قال : قلت : يوم الاثنين ويوم الخميس ، قال : ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين وأحب أن تعرض عملي وأنا صائم ، قال: قلت : ولم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر يرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ))

[النسائي عن أسامة بن زيد]

لأنه مشرع صلى الله عليه و سلم . الأجسام أنواع يوجد إنسان إذا صام يوماً من دون صيام سابق ولاحق - سبحان الله الصيام في رمضان رحمة يألفه الناس جميعاً ، نظام موحد - كان عليه بأيام الصيف يوم واحد كشهر .

((...فقلت : يا رسول الله إنك تصوم لا تكاد أن تفطر وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتها ، قال : أي يومين ، قال : قلت : يوم الاثنين ويوم الخميس ، قال : ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين وأحب أن تعرض عملي وأنا صائم ، قال : قلت : ولم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، قال : ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر يرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ))

هذا الحديث أيضاً عن فضل صيام الاثنين والخميس ، وعن فضل الصيام في شعبان .

(( إذا كان النصف من شعبان فأمسكوا عن الصوم حتى يكون رمضان ))

[مستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة]

ليكون لرمضان بهجة ، أي إذا الإنسان ألف أن يصوم صوماً متتابعاً فهذا موضوع ثان ، أما إذا أراد أن يصوم بعد النصف من شعبان أول مرة فلا ، الأولى ألا يصوم ، إذا كان هناك تتابع تابع ، أما أن تبدأ الصيام بعد النصف من شعبان النفل فهذا مما نهى عنه النبي ﷺ .

## تطبيق منهج الله بأكمله :

أعيد وأقول : أريد من هذا الدرس فضلاً عن الحديث عن فضل شعبان ، والصيام فيه ، وكيف أن الأعمال ترفع إلى الله ، وكيف أن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيغير لخلقه إلا المشاحن وإلا المشرك ، لكن أردت من هذا الدرس أن يكون عند كل أخ مؤمن سلم أولويات ، فلا يفعل شيئاً ويترك شيئاً أكبر منه ، الأولى أن تطبق المنهج بأكمله ، فجميل جداً أن تصوم النوافل والأجمل من هذا أن تكون قائماً بكل الفرائض ، لذلك :

((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيتُه ، وإن استعاذ بي أعذتُه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته ))

[البخاري عن أبي هريرة]

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : من يأخذ من أمتي خَمْسٍ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ قَالَ قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهِنَّ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : اتَّقِ الْمَخَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ وَأَحْسِنُ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ ))

[أحمد عن أبي هريرة]

اتقاء المعاصي قبل كل شيء ، أداء الفرائض أيضاً قبل كل شيء ، بعد اتقاء المعاصي وأداء الفرائض لك أن تصوم ما تشاء ، ولك أن تفعل من النوافل ما تشاء ، أما أن تفعل نافلةً ففي الحج مثلاً تراه هجم على الحجر الأسود ، وقد ضرب هذا بيده ، وهذا بصدره ، وهذا رفسه برجله ، ويريد أن يقبل الحجر ، تصوروا أباً جالساً مع أولاده ، جاء ابن عاق دفع أول أخ ، وضرب الثاني ، ورفس الثالث ، ويريد أن يقبل يد أبيه ، هل يرضى عنه بهذا العمل ؟ يوجد جهل كبير ، يرتكب محرمات ليقوم بأداء سنة ، لك أن تشير بيدك من بعيد ، لذلك نحن

بحاجة للفقهاء ، الآن برمضان إكراماً لشهر رمضان المبارك أكملوا أنتم ، كل شيء ساقط في رمضان إكراماً لهذا الشهر ، هذا واقع المسلمين .

(( وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ ))

[أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

هذا السبب مليار ومئتا مليون ليست كلمتهم هي العليا تكفي هذه الكلمة ، لأنه إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

### النوافل سبب لمحبة الله و اجتناب نواهيه :

محور الدرس جميل جداً ؛ أن تصوم في شعبان ، وأن تصوم كل النوافل ، وأن ترقى بها إلى الله ، بل إن الله عز وجل جعل من هذه النوافل سبباً لمحبتة .

((وَمَا تَقْرَبْ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ))

هذا لا شك فيه ، أما اعتراضى فعلى إنسان تارك الفرائض ، وتارك الأصول، ومرتكب المعاصي والآثام ، ولا يشغله شيء في هذه الأيام إلا السؤال عن أحقية الصيام في شعبان ، هذا شيء لا يحتمل ، هذه المفارقة الحادة، قلبه توقف ونقص أظافره !! المحرك محروق ونبعث عن قضيب زينة قد وقع من السيارة ، ونتألم أشد الألم لأن هذا القضيب وقع منها ، لا بد من سلم أولويات تعرف ما هو جوهر الدين ، مرة قلت : هذا الراعي الذي سأله سيدنا عمر : بعني هذه الشاة وخذ ثمنها ؟ قال : ليست لي ، فقال له : قل لصاحبها ماتت - هذه القصة معروفة وأنا قلتها مئات المرات - هذا الراعي وضع يده على جوهر الدين ولو فاتته علم غزير ، وضع يده على جوهر الدين إذا قلت : إنني أخاف الله رب العالمين لا أفعل هذا ، هذا الذي يريد الله منك .

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (069 - 127) : الإستعداد لشهر رمضان

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1996-12-22

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

#### تمهيد .

أيها الأخوة الكرام ؛ مع أنه بقي لشهر الصوم أقل من أسبوعين أردت أن يكون موضوع الدرس عن شهر الصيام والسبب كما قلت في درس سابق في غير هذا المسجد إن أردت أن تكون في هذه النقطة بسرعة مائة لا بد من أن تتطلق قبل هذه النقطة كي تتصاعد سرعتك في هذا النقطة ، يعني إذا أردت أن يصح صيامك من أول يوم لا بد من أن تستعد لهذا الشهر الكريم منذ الآن ، الأشياء العظيمة الجليلة يستعد لها من وقت طويل .

أولاً :

هل تصدق أنك أمام فرصة سنوية كي يغفر لك كل ذنب اقترفته في الماضي ، عن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رقي المنبر فقال :

(( آمين آمين آمين ، فقيل : يا رسول الله ما كنت تصنع هذا ؟ فقال : إن جبريل ﷺ قال : رغم أنف من دخل عليه رمضان ثم لم يغفر له ))

[أخرجه البزار في مسنده]

إن لم يغفر له فمتى .

لو أن إنساناً عليه مائة ألف دين لأشخاص عديدين ، أتيح له أن تسقط كل هذه الديون بقاء واحد مع إنسان ، إن التقيت مع فلان كل هذه الديون تسقط ألا تحرص على هذا اللقاء ؟ إن كانت ديون لأشخاص وكان هناك

فرصة كي يزاح عنك كل هذه الديون ألا تحرص على هذا اللقاء .

نحن بعد أسبوع وأكثر أمام فرصة كي يغفر لنا كل ذنب ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ))

[ أخرجه البخاري ]

ألا تحب أن الماضي كله أن تسامح به ، أن تغفر لك كل ذنوب الماضي ، عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(( مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْتُقْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ))

[ أخرجه البخاري ومسلم ]

الحج فرصة والصيام فرصة ، ونحن مع هذه الفرصة ، بإمكانك أن تفتح مع الله صفحة جديدة في رمضان ، أو بإمكانك أن تفتح مع الله صفحة جديدة في شوال ، إذا صمت رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله لك ما تقدم من ذنبك .

هذا أول شيء يشجع .

ثانياً :

الشيء الثاني من منا يجب المصيبة ؟

من منا يجب أن يعذب ؟

من منا يجب أن يفترق ؟

من منا يجب أن يمرض ؟

من منا يجب أن يهان ؟

عندما كان سيدنا معاذ رديف النبي ﷺ ، وهذا الحديث البارحة سألني أخ علي الهاتف قال أريد حديثاً أضعه في إمساكية وسأخصص له أكبر مساحة قلت له أمهاني ، راجعت الأحاديث وجدت هذا الحديث خير حديث يكتب على إمساكية رمضان .

عَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ رَدِفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ ، فَقَالَ :

(( يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ، قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَغْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَرُوا ))

[ أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ]

ونحن على أبواب شهر عبادة من أفضل الشهور ، إذاً هناك فرصتان :

فرصة أن يغفر لك كل ذنب سابق ، أن تفتح مع الله صفحة جديدة ، أن تسقط كل الديون ، أن تسوى كل الحسابات ، أن تغفر كل الذنوب .

ومع فرصة أخرى أنك إذا عبدت الله وحده العبادة التي أرادها الله عز وجل فلن يعذبك الله ، وهذه أكبر أمنية للإنسان ، أن يعيش سليماً معافى في بدنه ، آمناً في سريه ، عنده قوت يومه ، أن يكون له مأوى يأوي إليه ، وزوجة ترضيه ، وأولاد أبرار هم قره عينه ، فلذلك نحن أمام فرصة ، فرصة أن تطوى كل أعمالنا السابقة وأن تغفر ، وأن تفتح مع الله صفحة جديدة ، ومع فرصة أن يضمن الله لنا أن لا يعذبنا لأننا نقبل على عبادته في هذا الشهر .

## تقوية الإرادة .

هذا شيء والشيء الآخر الذي أريد أن يكون واضحاً لديكم ، في وسط المسلمين هناك مشكلة وهي أن الحق معروف والحق بين ، والباطل بين ، الحلال بين والحرام بين فما لهؤلاء الناس يقعون في الحرام وتضعف نفوسهم عن أن يأكلوا الحلال بعضهم يعزوا ذلك إلى ضعف الإرادة ، والله ﷻ هو المرابي ، هو الذي يربينا في رمضان تتقوى إرادتنا السبب ، الله ﷻ ينهانا في رمضان عن الطعام والشراب ، والطعام والشراب مباح ، بربكم في الإفطار لو أن إنساناً شرب كأس من الشاي مع قطعة من الجبن ماذا فعل ؟ هل فعل شيئاً هل يشعر بوخز الضمير ،

هل يشعر بخجل إذا وقف بين يدي الله عز وجل ، لأنه شرب كأس ماء وأكل قطعة جبن مع الخبز ؟ لا ، الله ﷻ يمنعنا في رمضان عن أن نأكل الطعام الذي خلقه لنا ، يمنعنا عن أن نشرب ، يمنعنا عن أن نلتقي بمن أحلها لنا ، لا طعام ولا شراب ، ما الذي يحصل أنت أيها المؤمن تدع الطعام والشراب ، فلأن تدع الغيبة والنميمة ، ولأن تدع الكذب والبهتان ، ولأن تدع قول الزور ، أكل أموال الناس بالباطل أولى ، تتوازن أبداً أن تدع الطعام والشراب وتكذب ، أن تدع الطعام والشراب وتغتاب ، أن تدع الطعام والشراب وتأكل أموال الناس بالباطل .

فرينا سبحانه وتعالى نهاك عن المباحات كي تقوى إرادتك على فعل الطاعات .

أضرب لكم مثلاً بسيطاً ، حينما نمضي ثلاثين يوماً في صلاة التراويح كل يوم عشرين ركعة في أول أيام العيد حينما تصلي العشاء تراه خفيفاً جداً أربع ركعات ، اثنتين سنة ، ثلاثة وتر ، انتهت الصلاة ، أما في رمضان ساعة الصلاة عشرين ركعة الصلاة و وتر وسنة وفرض ، فلذلك تجد الصلاة سهلة جداً بعد رمضان ، لأن الله ألزمك أن تصلي التراويح ، تجد من السهل جداً أن تستقيم على أمر الله لأن الله منعك من المباحات ، إذاً كأن رمضان شهر تقوى فيه الإرادة ، شهر والله هو المربي يربيك على ترك المباحات ، فلأن تدع المباحات من باب أولى ، ولا أتألى على الله أكثر ، المسلمين يتورعون في رمضان على إطلاق البصر في رمضان يقول لك أنا صائم وإلا الصيام ليس له معنى ، ربنا عز وجل عودك بشهر أن تغض بصرك وفي هذا الشهر أن تضبط لسانك وفي هذا الشهر أن تقرأ القرآن، وفي هذا الشهر أن تصلي الفجر في مسجد لأنه يوجد سحور استيقظت لتتناول طعام السحور والفجر أذن والجامع قريب والليل في رمضان كالنهار ، فتأتي إلى المسجد وتصلي في جماعة ، عودك أن تصلي في جماعة لعلك تعتاد على الصلاة في جماعة طوال العام . أمرك أن تدع المباحات لعلك تتعود على ترك المحرمات طوال أشهر العام ، يعني هو الله ما أرادنا أبداً أن نصعد في رمضان ثم نعود إلى ما كنا عليه هذا الشاعر الذي قال :

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقاً تسعى إلى مشتاق

هذا الشاعر ما فهم حكمة الصيام ، هذا كالناقة عقلها أهلها ثم أطلقوها فلا تدري لما عقلت ولما أطلقت .

## رمضان قفزة نوعية للمؤمن .

أيها الأخوة الكرام ؛ أحياناً يوجد رسم بياني يوضح الأمور ، رمضان للمؤمن درج يقفز قفزة نوعية في رمضان ويستمر على هذه القفزة وذاك المستوى طوال العام إلى رمضان الثاني يقفز ويستمر ، يقفز ويستمر ، فهو يتابع الترقى ، كل عام يوجد شهر يسمونها بعض الناس دورة مكثفة ، أحياناً ممكن إنسان يأخذ شهادة عليا بأربع

سنوات ، أحياناً تجري بعض الجامعات دورة مكثفة يعني اثني عشر ساعة تدريس في اليوم وكل يوم ويوم الجمعة تدريس ، ومحاضرات ووسائل معينة وأطروحات في ستة أشهر يمكن أن تأخذ من العلوم ما تأخذه في سنتين ، رمضان أيها الأخوة دورة تعبدية مكثفة .

الذي أرجوه والذي أتمناه على أخوتنا رواد هذا المسجد وطلاب العلم الشرعي فيه أن يجعلوا من هذا الشهر شهر عبادة كما أراد الله ، الناس فعلوا العكس ، شهر رمضان شهر ولائم ، شهر سهرات حتى السحور ، شهر إحياء الليالي في المسامرات والأحاديث وكأن هذا الشهر شهر استجمام ، شهر علاقات كثيفة جداً ، هو شهر عند الله هو شهر عبادة ، شهر عزلة ، شهر انكفاء على الذات ، شهر تلاوة قرآن ، شهر قيام الليل ، شهر ملازمة المساجد ، فالإنسان في هذا الشهر ، كما قلت قبل قليل لماذا جعلت هذا الدرس قبل عشرة أيام من بدء الصيام ؟ من أجل أن نهىء أنفسنا ، يعني القضايا الكبرى لا تحل في رمضان ، القضايا التي فيها مشاحنة وفيها أخذ ورد حلها الآن أو أجلها لما بعد رمضان ، اجعل هذه الشهر شهر عبادة خالصاً ، رتب برنامج ، أيام الإنسان قلت لكم سابقاً يقول لك يوجد بائع في الميدان يبيع فول طيب وهو ساكن في المهاجرين ، يركب سيارته وينزل من المهاجرين إلى الميدان ليشتري كيليين فول ، يعني الفول أغلى عليك من دينك ، أيام أقرب مسجد ، مدهامتان الله أكبر ، قال رجل للإمام أطلت الصلاة ، قال له : كلمة واحدة ، فقال له : مدهامتين في ركعة واحدة ، وإنسان يصلي التراويح في مسجد يسمع جزء وكما قال الإمام الغزالي أفضل قراءة للقرآن أن تقرأه أو أن تستمع إليه وأنت في الصلاة وفي مسجد واقفاً ، يعني أكمل عبادة .

فإن أتيت لك أن تسمع القرآن كله في رمضان فما قولك ، أيها الأخوة يجب أن نبرمج هذا الشهر بما يرضي الله ، أنا لست ضد الولايم لكن إذا كان وليمة والطعام طيب من أجلنا هذه الكوساية ، لا يوجد استطاعة إلى التراويح ، برك ، إن شاء الله نصليها قبل أن ننام ، يوجد سلسلة ، أنت معاهد الله أن تقوم رمضان ، الله ﷻ فرض علينا شهر الصيام ، والنبي الكريم سن لنا قيامها ، ينبغي أن لا يشغلك شيء عن أداء الصلاة في رمضان ، برمج عمك ولقاءاتك ، وبرمج علاقاتك على أن تصلي التراويح في المسجد وأن تختار كما تختار بائع فول من الميدان من أجل كيليين فول تدفع بنزين أربع أمثال ثمن الفول ، ابحث عن مسجد تروح في الصلاة فيه ولو كان بعيداً من أجل أن تستفيد في هذا الشهر في أعلى درجة .

## فوائد التمر للصائم .

الشيء الذي أريد أن أقوله لكم أنا في درس في العام الماضي كان هناك ندوة أجريتها فتحدثت عن التمر ، والإنسان يكون تارك الطعام اثني عشر ساعة وهو جائع وسيأكل ، ولكن لو أنه أكل ثلاثة تمرات ، أنا والله في رمضان الماضي والذي قبله والذي قبله ، أول شيء ثلاث تمرات ونصلي المغرب ونجلس للطعام ، الإنسان

وكأنه في الإفطار ، هذه التمرات الثلاثة هذه تصل من الفم إلى الدم في عشر دقائق ، وهذا من أغرب خصائص التمر ، يعني سكر التمر سكر أحادي سهل الهضم فتضع التمرة في فمك وانظر إلى الساعة بعد عشر دقائق تشعر أنك قد شبعت لأن هذا السكر يصل إلى الدم ويصل إلى مركز تبليغ الشبع في الإنسان فإذا أكل ثلاث تمرات يجلس إلى الطعام وكأنه في الإفطار لا يوجد جوع كبير ، صار في إقبال على الطعام معتدل ، إن أكلت قليلاً من أجل التراويح ، من أجل أن تقف نشيطاً ، من أجل أن تتمنى أن يقرأ الإمام ضعف ما يقرأ ، والله أخوة كرام وكثيرون أكدوا لي أنهم يتمنون أن يضاعف الإمام قراءته في رمضان لشدة السرور ، وهذا السرور يحتاج إلى خفة ، إلى جسم غير مثقل في الطعام ، فأكبر عدو للصائمين وجبة الإفطار ، هذه تعيقه عن عبادته ، هذه تجعله يبرك ، هذه تجعله يصلي التراويح في البيت ثماني ركعات ومدامتان ، هذه تجعله ينصرف عن المسجد ، فوجبة الإفطار مهمة جداً يجب أن تختار إفطاراً خفيفاً ، ويجب أن تأكل التمر والتمر متواجد والحمد لله ، أن تأكل التمر وتصلي المغرب وفق السنة النبوية الشريفة وأن تحرص على صلاة التراويح في المسجد ، وأن تحرص على سماع الدرس بعد الصلاة .

## رمضان شهر العبادة والمغفرة .

هذا شهر عبادة ، شهر قرب ، أيام الإنسان يكون عنده امتحان يلغي كل علاقته ، يلغي كل السهرات ، كل المواعيد ، النزاهات ، يقول لك عندي امتحان ، نحن أمام فرصة سنوية إن صح صيامنا غفر الله لنا ما تقدم من ذنوبنا ، يعني فرصة أن تفتح مع الله صفحة جديدة .

أيها الأخوة :

(( مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ))

إذاً فرصة .

(( حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ ))

يوجد معك ضمانتان ، ضمانة مغفرة وضمانة عدم تعذيب ، والله عز وجل ما أرادنا أن نصعد ثم نهبط ، هؤلاء الذين يفعلون ذلك كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، يعني ولي رمضان ، عاد إلى ما كان عليه من تفلت أو تسيب ، أو تقصير ، أو إلى ما شابه ذلك ، والله سبحانه وتعالى ما أرادنا أن نصوم على أن الصيام عادة من عاداتنا ، سلوك صار مألوف لا يعني شيئاً ، لأن الفرق بين الطقوس والعبادات فرق كبير جداً ، العبادات في

الأديان السماوية ، أما الطقوس في الأديان الوضعية حركات وتمتمات لا تعني شيئاً ، ذكرت البارحة كلمة في الأحمديّة :

أنه لو أن مدير عام في مؤسسة ، أمر موظف أن يركب سيارة إلى حلب وقال له حينما تصل إلى حلب تركب سيارة أخرى وتعود بها إلى دمشق .

قال له : لماذا .

قال له : هكذا .

هذا الأمر يتناسب مع مدير شركة ، بلا معنى ، لا تلتقي بأحد ، ولا تتصل بأحد ، ولا تعطي شيئاً لأحد ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ، انتقل إلى حلب ثم عد إلى دمشق ، هذا الأمر لا يليق بإنسان عاقل أقل العقل ، فكيف يليق هذا بإله عظيم ؟ دع الطعام والشراب ، واسهر إلى السحور ، وتابع مسلسلات ، والحفلة إكراماً لشهر رمضان المبارك ، وهذه المعصية إكراماً لشهر رمضان المبارك ، وهذه الوليمة المختلطة إكراماً لشهر رمضان المبارك ، هذا الكلام ليس مقبول إطلاقاً ، رمضان هذا الشهر العظيم صار في الوحل .

حدثني أخ كان في بلد عربي قال لي كل شيء جيد في الإعلان مهيء في رمضان ، الناس يعزفون عن الصلاة في المساجد ليتابعوا هذه الأشياء ، صار رمضان موسم سياحي ، موسم معاصي ، موسم اختلاط ، موسم سهرات حتى الفجر ، ليس هذا هو الصيام .

أيها الأخوة ؛ نرجو الله سبحانه وتعالى أن نصوم كما أراد الله عز وجل .

قال بعض العلماء : هناك عالم بالشرعية ، وهناك عالم بالطريقة ، وهناك عالم بالحقيقة .

عالم الشرعية يقول لك الصيام أن تمتع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس مع نية هذا تعريف عالم الشرعية .

لكن تعريف الصيام عند عالم الطريقة يجب أن تضبط لسانك ويجب أن تضبط جوارحك ويجب أن تضبط بيتك ، ويجب أن تقرأ القرآن ، ويجب أن تصلي القيام من أجل أن تقبل على الله في رمضان ، هذا عالم الطريقة ، هذه الطريقة التي تحقق فيها الصيام .

إذا قال لك عالم الشريعة : الصلاة حركات وسكنات وقراءات تفتتح بالتكبيرة وتنتهي بالتسليم هذا تعريف عالم الشريعة .

أما عالم الطريقة يقول لك الصلاة ذكر لله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ ائْتُوا مَا أُوحِيَ إِلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

[ سورة العنكبوت الآية : 45 ]

عالم الطريقة يقول لك : واسجد واقترب ، عالم الطريقة يقول لك الصلاة وعي وعقل ، لأن الله ﷻ يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

[ سورة النساء الآية : 43 ]

فالذي لا يعلم ما يقول في الصلاة هو في حكم السكران .

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَعُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِسَتِ الشَّيَاطِينُ ))

ألا يسأل أحدكم يا رب لما لا تسلسل هؤلاء الشياطين طوال العام ، مرتاح ، وتدعهم علينا بعد رمضان ؟ الجواب : إنك حينما تطيع الله عز وجل تسلسلهم أنت ، ما قال سلسلهم الله ، وسلسلت الشياطين ، من سلسلها ؟ أنت بطاعتك لله سلسلتها .

لو فرضاً حي راقى أخلاقياً وراقى دينياً جاء إنسان فتح محل فيه معاصي ، فيه خمر ، فيه شيء من القمار والألعاب ، هذا المحل بيد من إغلاقه ؟ بيد أهل الحي إذا امتنعوا عن دخوله يغلق ، أهل الحي لا يحتاجون إلى أن يتوسطوا إلى المسؤولين الأخلاق والآداب العامة أن يغلق هذا المحل ، أنتم بامتناعكم عن دخوله يغلق ، هذا

إغلاق حكيم ، حتى يكون كلام النبي منطقي ومنسجم مع العقل السليم من الذي يسلسل الشياطين في رمضان المؤمنون حينما يتوبون إلى الله ويغضون أبصارهم ويضبطون ألسنتهم ، ويصبرون على بعض أذى الناس ، وحينما يحسنون وحينما يطعمون ، وحينما يقرؤون القرآن هم باستقامتهم وأعمالهم الصالحة يبطلون عمل الشياطين وكأن الشياطين مسلسلة .

أيام يقول لك رجل باللغة الدارجة شيء يربط اليدين ، أي أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، المؤمن عندما يتوب إلى الله عز وجل هو الذي يسلسل الشياطين .

(( إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُحْتُّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ ))

## الاصطفاء .

الحقيقة يوجد فكرة دقيقة ، الله اصطفى مكان ، واصطفى زمان ، واصطفى إنسان .

اصطفى بيت الله الحرام ، الصلاة في هذا البيت تعدل مائة ألف صلاة ، والإقبال على الله في هذا البيت إقبال شديد مكثف ، اصطفى هذا المكان لينسحب هذا الاصطفاء على كل مكان ، أنت تأتي بيت الله الحرام في الحج أو العمرة تصلي صلاة من نوع آخر ، صلاة فيها إقبال ، فيها سرور تشعر بالقرب من الله عز وجل ، أراد الله حينما اصطفى هذا المكان أن ينسحب على كل شهور العام .

واصطفى زماناً ، اصطفى رمضان ، واصطفى المكان لينسحب على كل مكان ، واصطفى هذا الزمان والله أعلم ليكون هذا الاصطفاء مستمراً في كل شهور العام .

أجمل شيء إنسان ألزم نفسه في رمضان أن يصلي الفجر في جماعة ، والله أنا العبد الفقير أسعد أي سعادة حينما أرى أحد أخوان المسجد ألزم نفسه أن يصلي الفجر في جماعة ، يصلي الفجر في جماعة طوال العام أنت في رمضان تغض البصر ما أروعك لو تسحب هذه الطاعة على كل شهور العام .

أنت في هذا الشهر تضبط جوارحك ، الله عز وجل اصطفى هذا الشهر لينسحب على كل شهور العام .

واصطفى النبي الكريم ، اصطفاه على كل الخلق ، صفوته من خلقه ليكون هذا النموذج مطبق عند كل إنسان .

اصطفى بيت الله الحرام ليتسع هذا الاصطفاء إلى كل مكان ، واصطفى شهر رمضان لينسحب هذا الاصطفاء

على كل شهور العام ، واصطفى النبي محمد عليه الصلاة والسلام ليكون هذا النموذج متكرراً عند كل إنسان ، هذه  
حكمة الله .

## أحب الأعمال إلى الله أدومها .

أيام الإنسان يلزم نفسه ما لا يطيق ، يسمي الناس هذا الإلزام لزوم ما لا يلزم ، أجمل ما مر معي في موضوع  
الصيام أن أعرابي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى  
عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ :

(( تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ - قَالَ : وَالَّذِي  
نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ فَلَمَّا وُلِيَ - قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَرَّهُ أَنْ  
يُنْظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا ))

لذلك أحب ما تقرب إليه العباد إلى الله ما افترض عليهم ، أحياناً يخطر على بال بعض الناس أن يببالغوا في  
الصيام ، جميل جداً ، أما حينما يرتكب الموبقات مع هذه النوافل ، إن الله لا يقبل نافلة ما لا تؤدي الفريضة ،  
ما تقرب المتقربون إلى الله تعالى بأحب مما أدوا ما افترضه الله عليهم .

الشيء الثاني ، إن الله لا يمل حتى تملوا ، افعلوا ما تطيقون :

(( عن عائشة رضي الله عنها حَدَّثَتْهُ قَالَتْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ  
فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ وَكَانَ يَقُولُ : خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ  
إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوِمَ عَلَيْهَا ))

هذا الحديث يعطيك الحد الأدنى ، أي العبادات الأساسية ، الصلاة والصوم والحج والزكاة وضبط الجوارح وضبط  
الأعضاء وضبط البيت والإنفاق ، هذا إذا تم فأنت من أهل الجنة ، الحد الأدنى ، هناك حد أقصى ، هناك  
أصحاب اليمين وهناك السابقون السابقون ، هناك المقتصدون وهناك السابقون ، هناك المقصرون وهناك  
المقتصدون وهناك السابقون .

عَنْ سَهْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(( إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ ))

هذا الحديث أيضاً ورد في البخاري ، يعني الصائمون لهم باب يدخلون منه إلى الجنة هو باب الريان ، يوجد شيء في الموضوع دقيق ، هو الأمر الإلهي حينما اتضحت حكمته وضوحاً جلياً وحينما تتصل ثماره بمصلحتك، يقل عنصر العبادة فيه ، يعني الله أمرك أن تكون أميناً ، أو أن تكون صادقاً ، الصدق منجاة ، الصدق فيه عز ، الصدق فيه شرف ، في مكانة عليّة ، الصادق محترم بين الناس ، الصادق لا يحتاج أن يحلف الأيمان ، الذي ألف الناس منه الصدق لا يستحلفونه ، ولا يكذبونه ، الصدق واضح جداً ، الأمين الأمانة غني ، الأمين غني بالمعنى المادي لأنه موثوق يثق الناس به ، يعطونه أموالهم ليتجر لهم به ، الأمانة لصالح الإنسان ، فكلما اتضح الأمر الإلهي اتضحت حكمته بجلاء واتصلت منفعته بك شخصياً أقبلت عليه ببساطة ويسر لأنه في النهاية أنت الرباح الأول ، أما حينما تكون في شهر تموز أو آب والحرارة تسعة وأربعين والنهار سبعة عشر ساعة تدخل إلى البيت الساعة الثالثة لا تشتهي شيئاً إلا كأس ماء ، تدخل إلى الحمام يوجد صنوبر ماء من العداد الماء مثل البوظ لا تستطيع أن ترتشف قطرة واحدة ، أنا ماذا أفعل أشرب كأس ماء ، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(( قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِفْتُ وَلَا يَضْحَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ))

قال الأب لابنه إياك أن تكذب ، فقال الابن : سمعاً وطاعة يا أبي ، إياك أن تتكاسل ، قال الابن : سمعاً وطاعة ، إياك أن تهمل أسنانك ، قال : سمعاً وطاعة ، أما الابن جائع جداً والطعام طيب جداً ، قال له : لا تأكل ، هذا الأمر غير معقول ، فإذا ابن ذو ثقة كبيرة بوالده يقول سمعاً وطاعة يا أبي ، أعلى أمر تعبدي من يذكره على الإطلاق ؟ أن يذبح ابنه سيدنا إبراهيم ، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ  
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة الصافات الآية : 102]

وابنه ليس صغيراً ، يساعده وهو نبي ، وبلغ معه السعي ، هذا أعلى أمر تعبدي لأنه غير منطقي أب نبي كريم  
أبو الأنبياء وله ابن نبي وهو يساعده في الدعوة إلى الله ، اذبحه ، أعلى توكل توكل سيدنا إبراهيم قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ  
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾

[سورة إبراهيم ]

إنسان يسافر يهيئ كل شيء كل من حول البيت يلبون طلبات البيت ويوجد طعام وشراب وكهرياء ووقود ،  
وبالهاتف يأتي كل شيء إلى البيت ومع ذلك يعلق الأب ، إنسان يضع زوجته وابنه في الصحراء ويذهب ، هذا  
أعلى توكل .

فكلما اتضحت حكمة الأمر ، اتصلت منفعته لصالحك ينخفض فيه مستوى التعبد ، وكلما غابت عنك حكمته  
وابتعدت عنك منفعته وأمرت به يرتفع مستوى التعبد في الأمر ، الصوم من أرقى العبادات لأنك تدع الطعام  
والشراب وسائر المفطرات المباحة تقرباً من الله عز وجل ، أنت رأيت الطعام والشراب والمباحات أقل عندك شأناً  
من طاعة الله عز وجل ، كثير من الرجال مسلمين نشؤوا في بيئة إسلامية لا يصومون هل من المعقول أن يحرم  
نفسه الطعام والشراب في رمضان من أجل دخينة ، ليس مستعد أن يغير مجرى حياته أبداً ، أن يترك شيئاً لله ،  
يوجد في أوساط المسلمين أناس لا يصومون لكن لا يصوم سراً ، أما جهراً ينافق أحياناً ، الذي لا يصوم جهراً  
هذا فاجر الذي لا يصوم سراً هذا عاصي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله :

(( كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَزِفْتُ وَلَا  
يَصْحَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقِلْ إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ  
مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرِحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ))

الناس يفعلون العكس إذا صام يضيق خلقه كثير ، وينفجر لأتفه سبب يقول لك أنا صائم ، يعلو صوته ، يقسو كلامه ، قد يضرب ، لأنه صائم مع أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

(( وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُتْ وَلَا يَصْخَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ))

أنت انظر إلى شعور الصائمين يوم العيد ، انقضت أيام الصيام وجاءت أيام الإفطار وصام إيماناً واحتساباً وارتقى عند الله عز وجل وكتب الله له الأجر وقبله منه والآن يأكل كما يأكل كل الناس وقد حاز صواب الصيام ، وانظر إلى المفطر الذي أفطر في رمضان ، الآن يأكل الناس معه كما يأكل في الإفطار لكنه أفطر يوماً من رمضان فلن يجزه صيام الدهر كله ولو صامه ، قال تعالى :

﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 184 ]

حتى لو كان يوجد عذر ، إذا الإنسان معذور في سفر أو مرض بإمكانه أن يصوم ، الأولى أن يصوم ، لكن ذكرت لكم من قبل أن النبي عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه في غزوة في رمضان طبعاً الإفطار جائز ، الإفطار رخصة ومن أخذ بالرخصة لا شيء عليه، والصيام أيضاً جائز ، أنا سمعت عن أناس وهم في مشقة كبيرة يصومون ، والله يعينهم على الصوم ، هذه عزيمة ، الإفطار رخصة والصوم عزيمة .

فأصحاب النبي رضي الله عنهم أجمعين كانوا مع النبي الكريم في غزوة فبعضهم صام وبعضهم أفطر ، أروع ما في الموضوع أن الصائمين لم يأخذوا على المفطرين ، وأن المفطرين لم يأخذوا على الصائمين ، بل إن الذين أفطروا خدموا أخوانهم الصائمين خدمةً عالية فقال عليه الصلاة والسلام :

(( عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَصَامَ بَعْضٌ وَأَفْطَرَ بَعْضٌ فَتَحَرَّمَ الْمُفْطِرُونَ وَعَمِلُوا وَضَعَفَ الصُّوَامُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ قَالَ فَقَالَ : فِي ذَلِكَ ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ ))

أنت في سفر أو في مرض لا سمح الله ، السفر رخصة والمرضى رخصة ، إن أمكنك أن تصوم مع السفر والمرضى فصم لقول الله عز وجل :

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[ سورة البقرة الآية : 184 ]

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(( مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ))

يعني نحن كما قلنا في بداية الدرس مقبلون على شهر عظيم ، على شهر عبادة فرصة سنوية لمغفرة كل الذنوب ، وفرصة سنوية لاكتساب رضوان الله عز وجل ، وكما قال الإمام الشافعي : إن الله لا يعذب أحبابه ، أي أنك إذا صمت رمضان إيماناً واحتساباً أنشأ الله لك حقاً عليه أن لا يعذبك ، وهناك للصيام معاني كثيرة جداً لا مجال لذكرها في درس واحد ، الصيام يعلم النظام ، تصور اثني عشر مليون إنسان يفطرون في دقيقة واحدة ويأكلون طعام السحور في وقت واحد ويتوجهون إلى المساجد في وقت واحد ، شيء جميل أن ترى أمة لها نظام فالله عز وجل جعل من هذا الشهر مظهر تنظيمي رائع للأمة الإسلامية ، ترى من أقصاها إلى أقصاها ، من المغرب إلى الصين يتناول طعام السحور ويدع الطعام والشراب ويفطر مع أذان المغرب ويصلي التراويح ويقرأ القرآن نظام رائع ، انظر إلى دمشق مع أذان المغرب كأن التجول ممنوع شيء جميل ، كل الناس في البيوت يأكلون ، هذا مظهر حضاري ، مظهر نظام هذه من حكم الصيام الجانبية يعلمك على النظام يعمل روح جماعية أيام الإنسان يصعب عليه أن يصوم يوم وحده ، أما في رمضان الصوم سهل جداً لأن الناس كلهم صائمون .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع في هذا الدرس وأن نطبق ما تكلم فيه في رمضان وأن يكون هذا الشهر عتقاً لنا من النار .

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (070 - 127) : رمضان شهر القرآن

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-12-1996

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### ترتيبات في رمضان :

أيها الأخوة الكرام، من المناسب جداً أن يكون الحديث في هذا الأسبوع عن رمضان، لأنكم تعلمون من العام السابق أننا في رمضان نستنفر، فهناك ترتيبات في رمضان أساسها تلاوة القرآن في الفجر والتراويح بكامله، نقرأ كل يوم إن شاء الله تعالى أربع صفحات في صلاة الفجر، وست عشرة صفحة في صلاة التراويح، وبعد صلاة الفجر هناك درس، وبعد صلاة التراويح هناك درس، وفي جامع الطاووسية كما تعلمون هناك درس يومي بعد صلاة الظهر، وفي جامع الأحمديّة في الحميدية درس يوم الأحد والثلاثاء والخميس بعد العصر، ودرس الجمعة بعد العصر في رمضان، أما درس السبت ودرس الأحد ودرس الاثنين فهذه تتوقف في رمضان كما فعلنا في العام الماضي.

أردت من هذا الكلام أن أصل إلى حقيقة وهي، الإنسان أحياناً في عامه الدراسي يستنفر، أو يدخل دورة مكثفة في موضوع ما، ذكرت هذا في الدرس الماضي وألح عليه، أنت أمام فرصة لتفتح مع الله صفحة جديدة، وذكرت أيضاً أن الإنسان أحياناً ينتقل من بيته إلى مكان بعيد ليشتري طعاماً نفيساً، فول أحياناً، يقول لك: في الميدان بائع درجة أولى، ينتقل من بيته في المهاجرين إلى الميدان ليشتري كمية فول يظنها أنها جيدة جداً، فلماذا لا يختار لدينه الجامع الذي يرتاح له، والصلاة التي يطمئن لها، والإخلاص الذي يظنه أو يحكم عليه؟ أيها الأخوة: قضية رمضان قضية كبيرة جداً، لما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

((رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى؟))

[ الترمذي عن أبي هريرة ]

يمكن أن نجري بعض التوجيهات المتعلقة بهذا الشهر مع أنني بدأتها في درس سابق.

## الإكثار من تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان :

أيها الأخوة الكرام: القرآن الكريم هو ما كان يعني به عليه الصلاة والسلام، كان يكثر من تلاوة القرآن، وكلكم يعلم أن تلاوة القرآن يمكن أن تكون تلاوة تعبد، ويمكن أن تكون تلاوة تدبر، تلاوة التعبد يمكن أن تقرأ كل يوم جزءاً أو جزأين بحسب الفراغ، أما قراءة التدبر فهذه مهمة جداً، هذه يمكن أن ترفعك عند الله، لأن الله سبحانه وتعالى قال:



﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ

الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾

[ سورة القدر: 1-3 ]

القرآن حمال أوجه لكن من أوجه معاني هذه الآية أنك إذا قدرت الله حق قدره خير من أن تعبدته ثمانين عاماً، ليلة القدر خير من ألف شهر لذلك قال تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ نَزَّاهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾

[ سورة الأنعام: 91 ]

الإنسان متى يعصي الله إن لم يعرف الله، أما إذا عرفه فلا يعصيه، إذا أردت سبباً وجيهاً لطاعة الله هو أن تعرفه.

## أثمن وقت هو الوقت التي تمضيه في معرفة الله :

لذلك الوقت التي تمضيه في معرفة الله هو أثمن وقت، وهو استثمار للوقت، وهو الذي يعود عليك بعد انقضاء الوقت بالخير العميم، والإنسان أيها الأخوة في تعامله مع الله لا ينبغي أن يكون شكلياً، أي الإله يستمع إليك، ألا تقول في الصلاة: سمع الله لمن حمده، الإله يراقبك لينظر كيف تعملون وهو:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

[ سورة الحديد: 4 ]

فحينما تعمل صالحاً مع الله في رمضان فالله عز وجل يعرف، أحياناً أنت مصطلح على خطوط عريضة، ما قولك أن تصطلح مع الله على خطوط دقيقة؟ ما قولك أن تسجل ما ينبغي أن تفعله في رمضان؟ أنا ألح على هذه الفكرة أننا إذا أردنا أن ننطلق من هذه الفكرة بسرعة مئة لا بد من أن نتحرك قبل هذه النقطة كي نصلها بسرعة مئة، فالذي هم عليه الناس يبدأ رمضان، إلى أن يتعرفوا إلى حقيقة الصيام، و واجبات الصيام، وإلى مندوبات الصيام، وإلى ما ينبغي أن يفعله في رمضان يكون قد مضى نصف رمضان، هذه الثلاثون يوماً كيف أن الله عز وجل واعد موسى ثلاثين يوماً وأتمناها بعشر، هذه الثلاثون التي هي فرصة سنوية كي تفتح مع الله صفحة جديدة.

## الاستقامة أساس في رمضان :



صيام المؤمن هو ترك المعاصي والآثام

الآن إذا طرحنا موضوعات الصلاة، رمضان القرآن، ورمضان الصلاة، ورمضان الإنفاق، القرآن والصلاة والإنفاق، قبل هذه الثلاثة رمضان الاستقامة ليس هناك معنى إطلاقاً وليس هناك التزام بين إنسان يدع المباحات، يدع الطعام والشراب، ويرتكب الموبقات، شيء مضحك، تناقض مريع، تناقض حاد بين من يرتكب الموبقات وبين من يدع الطعام والشراب، ما أمرنا الله عز وجل أن ندع المباحات إلا تمهيداً لترك المخالفات،

فرمضان لا يحتمل مخالفة إطلاقاً إلا إذا أردت أن تكون من هؤلاء العوام الذين يعني عندهم الصيام ترك الطعام والشراب، الإمام الغزالي سمى هذا الصيام صيام البهائم، وأما صيام المؤمنين فهو ترك المعاصي والآثام، وأما صيام الأتقياء فهو ترك ما سوى الله، ترك الطعام والشراب صيام عوام العوام، وترك المعاصي والآثام صيام

المؤمنين، وترك ما سوى الله صيام الأتقياء والكبراء.

### أخطر شيء في العبادة أن تغدو عادة :

قلت: رمضان الاستقامة، ورمضان القرآن، ورمضان الإنفاق، ورمضان الصلاة، أربعة مراكز ثقل في رمضان، إن قلنا: الاستقامة هذه الحركة العفوية في الحياة، هكذا نعيش، هكذا الزوجة، هكذا البنات، هكذا الأولاد، هكذا البيع والشراء، هناك مبالغة، تدليس، كذب، تساهل، هذا الوضع غير المستقر، هذا الوضع لا يؤهلك أن تكون صائماً صياماً مقبولاً، حينما تحاسب نفسك على الكلمة، وعلى النظرة، وعلى الليرة الواحدة كيف أخذتها، وكيف أنفقتها، أنت الآن توهل نفسك للصيام، أما حينما تتساهل، التساهل معه حجاب، أخطر شيء أيها الأخوة في العبادة أن تغدو عادة، وأخطر شيء في العبادة أن تفرغ من مضمونها، وأخطر شيء في العبادة أن تغدو سلوكاً غير مفهوم، لذلك نحن من أجل التآلق، من أجل أن ترتفع حرارة الإيمان، يجب أن نقطف ثمار الصيام، من أجل أن نصل إلى الواحد الديان لابد من الاستقامة.

### الاستقامة تقتضي الصمت و ضبط اللسان و العين و الأذن :

ضبط اللسان، قلت لكم سابقاً التكليف ذو كلفة، والإنسان أحياناً يرتاح إذا سمع حديثاً عن الناس، عن أخطائهم، عن فضائحهم، عن مشكلاتهم، عن حماقاتهم، يستمع، يبالغ، ويشارك، أما الاستقامة فتقتضي الصمت، تقتضي ضبط اللسان .

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقَهُ ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

ضبط اللسان، أنت حينما تدرّب نفسك ثلاثين يوماً أن تضبط اللسان تضبط نفسك، علماء كثيرون إذا تكلمت كلمة أمامهم على إنسان يقولون لك: اسكت

هذه غيبة، فالإنسان حينما يدع الغيبة يشعر أنه ضبط نفسه، ضبط اللسان وضبط العين، وأنا أرجو الله سبحانه



وتعالى أن يببالغوا في غض أبصارهم، لأن إطلاق البصر، أو التساهل في غض البصر، أو استمرار التراخي في النظر، هذا ينشئ حجاباً بينك وبين الله، أنا أضع يدي على الجراح، الصيام صيام، أنا لا أريد منكم أن تفهموا أن الصيام ترك الطعام والشراب، لو أن هذه العبادة هكذا فالله غني عنها، ولا يعقل أن يكون أمر خالق الكون أن دع الطعام والشراب طوال اليوم وفي الليل كُل ما شئت، أغلب الناس يقلبون الليل نهاراً والنهار ليلاً في رمضان، يأكل ثلاث وجبات، أول وجبة دسمة جداً مع الإفطار، وجبة الساعة الثانية عشرة قبل أن ينام، و وجبة على السحور، عكس الثلاثة كانوا في النهار فأصبحوا في الليل.

القصة أن رمضان يحتاج إلى ضبط اللسان، لا كلمة، ولا تدليس، ولا غيبة، ولا نميمة، ولا مبالغة، ولا نظرة لا تليق، هذا في الكلام، وفي النظر، وفي السماع، سماع الأغنيات ورد أحاديث كثيرة تنهى عن سماع الأغاني، وهناك درس أنا ذكرته من قبل واضح جداً فيه الأدلة الكافية القرآنية والنبوية، فضبط الأذن وضبط العين وضبط اللسان، طبعاً هذا من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام.

### الضبط يجعل الإنسان أقرب إلى الله عز وجل :

الضبط يجعلك أقرب من الله، هذا القرب متى يجب أن يستغل؟ في التراويح، أي في اللقاء مع الله، كيف عندما الإنسان يلتقي مع شخص عظيم يهين نفسه، يرتاح، يلبس، يتجمل، يتعطر، يأتي إليه مقبلاً باشاً، أنت أيضاً في رمضان على موعد مع الله عز وجل، ذكرت هذا من قبل أنه من أحيا رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما كان من ذنبه.



((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

كلاهما جزاؤه المغفرة من الله ورسوله، يوجد نقطة دقيقة تطرح دائماً، لماذا المشكلات في الحياة؟ لماذا الفقر؟ لماذا الشقاق الزوجي؟ هنا سألني رجل سؤالاً، لماذا تأتينا الزوجات تعذبنا دائماً حتى يصل ذلك إلى مرحلة اليأس؟ أنت منطقي، الله عز وجل غني عن تعذيبنا، لماذا الفقر؟ لماذا الشقاء الزوجي؟ لماذا شقاء الأولاد؟ لماذا مشكلات المجتمع متفاقمة؟ يجب أن تعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى حينما يقول:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[ سورة الشورى: 30 ]

أنت الآن أمام مرحلة ضبط، الذي تقدر عليه اضبطه فوراً، والذي لا تقدر عليه يجب أن ترسم خطة لضبطه، أنت لا تستطيع في ليلة واحدة أن تقنع زوجتك أن تكون على شاكلتك، ولا أن تقنع أولادك، ولكن حينما ترسم لهم خطة كي ينضبطوا، بالحسنى، بالتوجيه، أن تصحبهم معك إلى المسجد، أن تكرمهم، أن تقنعهم، أن تجلس معهم، هذه الخطة تغفر لك ما كان من تقصير بالماضي.

### من مراحل صيام المؤمنين ضبط العين واللسان :

أول نقطة الاستقامة، أنت صائم ولا نظرة، غض بصر حازم، ولا كلمة، ضبط لسان حازم، ولا سماع، ضبط أذن حازم، إذا ضبطت عينك عن أن ترى ما حرم الله، وضبطت أذناك عن أن تسمع ما حرم الله، وضبطت لسانك عن كل ما حرم الله، والمعاصي المتعلقة باللسان من الغيبة، والنميمة، والبهتان، والإفك، والسخرية، والكذب، المحاكاة وما إلى ذلك، ضبط العين واللسان وضبط ما سوى ذلك مما نهى الله عنه، هذه مرحلة من مراحل صيام المؤمنين، قلت لكم قبل قليل: صيام العوام شيء وصيام المؤمنين شيء آخر، وصيام الخواص شيء ثالث، نحن نطمح أن نكون مع صيام المؤمنين في ترك كل ما نهى الله عنه، والإنسان حينما يشد إلى مسجد وحينما يلزم، أي أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.

## تعدد المناهج يفضي إلى الاضطراب والحيرة :

أنا لي ملاحظة: الإنسان المفروض أن يوحد وجهته، التبعض يضعف التقدم، أحياناً الإنسان لزم مسجداً هذا المسجد فيه منهج، هذا المنهج نقله نقلة نوعية جداً، أحياناً ينتقل إلى مسجد آخر الذين هم فيه على العين والرأس إلا أن اختلاف المنهج يعمل اضطراباً، هنا شيء فيه تشدد، وهنا يوجد تساهل، أيهما على حق؟ هنا يوجد تشدد وهنا يوجد تساهل، فالإنسان عندما ينتقل في البدايات من منهج إلى آخر يضيع بين المناهج، فأنا من باب النصيحة أنصح الإنسان أن يلزم



منهجاً واحداً، ومنهلاً واحداً حتى يقوى عوده، فإذا قوي عوده نقول له: انتقل إلى أي مكان شئت، واجلس مع أي إنسان شئت، ولكن في البدايات هناك خطر من تعدد المناهج، لأن تعدد المناهج يفضي إلى الاضطراب والحيرة، تكون في حال متابعة الترقى تنتقل إلى حال آخر الموازنة، وأيهما على حق، ومن معه الأدلة، وما وجهة نظر فلان وفلان، فالأولى أن نتابع منهجاً واحداً كي نصل إلى شيء، وبعد ذلك نبحث عن كل شيء.

## الطريق إلى الله سالك عندما تستقيم و تضبط جوارحك :



هذه النقطة الأولى الاستقامة، والثانية الصلاة، أيضاً كما قلت لكم الإله ﷻ أعظم وأكرم وأجل من أن يكون أمره ترك الطعام والشراب، هذا شهر عبادة، دورة مكتفة، قفزة نوعية، وصول إلى الله عز وجل. الشيء الثاني أنت حينما تستقيم، وتضبط لسانك، وعينك، وأذنك، ودخلك، وإنفاقك، وأهلك، وهواك، صار الطريق إلى الله سالكاً، كيف تصلي؟ أولاً: أحد الوسائل أن تكون مع الله في الصلاة، أن تعمل فكرك فيما تقرأ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

## (( ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها ))

[أمنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب]

فحينما تكون مع الإمام في قراءته، ومع الفاتحة في معانيها، ومع سبحان ربي العظيم في الركوع، ومع سبحان ربي الأعلى في السجود، ومع الصلوات الإبراهيمية في القعود، مبدئياً إذا كنت مع المعاني التي تقرأها في الركوع والسجود، والقيام والقعود، هذا نوع من الخشوع في الصلاة، أما أيضاً مرة ثانية: الله ﷻ غني ألف مرة عن أن تقف بين يديه وأنت ساهٍ عما تقرأ، قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

[ سورة المعارج: 34 ]

المؤمن الصادق حينما يقف ليصلي كأنه يستمع إلى كلام الله من الله :

أما قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

[ سورة الماعون: 5 ]

فأيضاً صلاة الفجر في المسجد، وصلاة العشاء في المسجد، والتراويح في المسجد، والتأمل في الآيات التي تقرأ، المؤمن الصادق حينما يقف ليصلي وكأنه يستمع إلى كلام الله من الله، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[ سورة الزمر: 53 ]

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[ سورة الأنعام: 54 ]

أنت حينما تستمع إلى الإمام يقرأ الآيات ينبغي أن تكون معه، وأن تتلقى هذا القرآن عن الله ﷻ.

## تأخير الصلاة عن وقتها من عمل الشيطان :

لذلك مرة ثانية: رمضان الاستقامة وهذا تعبير حديث، رمضان الصلاة، الصلاة تؤدي في أوقاتها، ومن أخر الصلاة عن وقتها أذهب الله البركة من عمره، أي في رمضان جرب هذه الطريقة؛ حينما يؤذن المؤمن دع كل شيء وقم إلى الصلاة، من فضل الله كل واحد طبق هذه الطريقة، حينما يؤذن المؤذن دع كل شيء وقم إلى الصلاة، لأن المنادي يناديك حي على الصلاة، حي على الفلاح، أنت في رمضان لأن تأخير الصلاة عن وقتها من عمل الشيطان،



والأعمال أحياناً تكون متتابعة وجذابة، فلذلك هناك بعض البرامج في الكمبيوتر تذكرك بالصلاة، لأن الإنسان يجلس والوقت لا يشعر به يخرج على الشاشة انتبه دخل وقت العصر، هل صليت العصر؟ وهكذا، فالمؤمن عنده مذكر من نفسه بأداء الصلوات في أوقاتها وتأمل فيما يقرأ، لكن فوق هذا إن الله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، هذه النفحات ليست في يدك، لكن بيد الله عز وجل، يمنحك إياها في الوقت المناسب، وفي المكان المناسب، أنت كن مؤهلاً إلى تلقيها، عرض نفسك له، والله سبحانه وتعالى لا يرضن عليك بها، أحياناً الإنسان بالتراويح يبكي بكاءً شديداً ويشعر بقرب من الله لا يوصف، ممكن يوم الجمعة، أو يومان، أو ثلاثة، هذه بحسب همته ونشاطه، أحياناً يتجلى الله على قلبك فتشعر بقرب لا يوصف من الله عز وجل، فإذا الإنسان صلى التراويح واقترب من الله عز وجل يوجد آيات في سورة النجم تفيد بعض المعاني اللطيفة، قال تعالى:

﴿ تُمْ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾

[ سورة النجم: 8-9 ]

أنا قلت لكم: إذا أهدنا في بعض ساعات صفائه مع الله صلى صلاة متقنة، وغشيته السكينة، وتجلي الله على قلبه، وغشيته السكينة قل لنفسك: يا فلان هذه هي الصلاة التي أمر الله بها، هذه هي الصلاة التي قال عنها النبي: "أرحنا بها يا بلال"، هذه الصلاة التي ترقى بك إلى الله، هذه هي الصلاة التي تستمد بها من الله الكمال، هذه هي الصلاة التي تلقي في قلبك طمأنينة ورضى، وتجر ينابيع الحب، هذه هي الصلاة، فنحن رمضان الاستقامة، لكن الناس جعلوا رمضان شهر اجتماعيات، شهر لقاءات، هو هو، سهراته، انغماساته، طريقة بيعه وشرائه، طريقة كسبه للمال، إنفاقه، ولائمه، لقاءاته مع أصدقائه، ولكن في رمضان تتضاعف، هذا النمط مرفوض عند خواص المؤمنين، هذا رمضان لله عز وجل، فرمضان الاستقامة أولاً، رمضان الصلاة، أي الإنسان في رمضان يحرص على الصلوات في وقتها وفي المسجد، لأن صلاة الجماعة تعدل سبعاً وعشرين ضعفاً من صلاة الفرد، إذا رجل أراد أن يقرأ في غرفة النوم سريعاً ما ينام، فراش مريح والكتاب ممل، ترى وقع الكتاب من يده و نام، أما حينما يجلس في مكتبة، وله زملاء إلى جانبه، وكلهم يعكف على الكتاب، والكتاب أمامه مفتوح، والإضاءة جيدة، ومعه قلم ويجلس على كرسي، فهذا الجو جو دراسة، ففي الأعم الأغلب يدرس كثيراً بهذه الطريقة، أما لو قرأ في الفراش ينام، أحياناً الصلاة في البيت تختصر كثيراً لأن الفراش جاهز، عينك على الفراش وتصلي وتقرأ: قل هو الله أحد، والفراش جاهز، أما حينما تأتي إلى المسجد، وتقف مع الجماعة، وتستمع إلى الإمام يتلو صفحة أو أكثر في الركعة، تتأمل آياته، هذه الصلاة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، أنت أفهم الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، فلذلك رمضان الاستقامة، رمضان الصلاة.

الآن رمضان القرآن، أنا أتمنى على كل منكم أن يبدأ بختمه بالقرآن الكريم، ختمة تدبر، هذه الختمة توازي ختمة التعبد، اقرأ كل يوم جزءاً تعبداً، وقرأ ختمة تفكر، لا يوجد مانع، مصحف من مصاحف البيت أمسك قلماً، وضع خطوطاً، وضع إشارات، أسهم، تعليقات، أو اختر بعض الآيات اكتبها لابد من مدارس القرآن، لابد من دراسته، لابد من الوقوف عند أمره ونهيه، عند حلاله وحرامه، وآياته الكونية، وآياته التاريخية، وآياته القصصية، وآياته المتعلقة بسنن الله في خلقه، لابد من وقفة متأنية مع كتاب الله، كتاب الله أيها الأخوة كالبحر الزاخر كلما غصت فيه وجدت اللآلئ والجواهر، أحياناً تطرب لمعنى حرف، لمعنى كلمة، باستنباط حكم شرعي، قد تفهم آية تملأ قلبك طمأنينة وثقة بالله عز وجل.

شيء آخر: لو أن طالباً أراد أن يحضر محاضرة في الجامعة يذهب ليحضر هذه المحاضرة، يستمع إليها قد يفهم وقد لا يفهم، علماء التربية ينصحون لو أن هذه المحاضرة جزء من كتاب مقرر، أنت إذا قرأت الكتاب المقرر قبل أن تحضر المحاضرة وتوقع ما الذي سيطرح في هذه المحاضرة، ما النقاط الأساسية، هذه النقطة كيف تفسر؟ أنت عندك ثاني يوم من رمضان أغلب الظن سنقرأ الجزء الثاني، ما المانع أن تقرأ هذا الجزء في اليوم الأول لتجد كيف ستطرح الموضوعات في هذا الدرس؟ أو ما النقاط الأساسية في هذا الجزء؟ أنت حينما تقف وراء الإمام كي تستمع إلى القراءة أنت بذهنك الجزء كله، ولك وقفات عند بعض الآيات، ولقد تأثرت أشد التأثر من بعض الآيات، فإذا جلست تستمع إلى الدرس أنت تريد أن تفهم ماذا سيقول المتكلم، وأي آية سيطرحها، كيف سيطرحها، من أي زاوية، ما المدلول، ما العمق، هذا الجهد في سماع القرآن هو الذي يرسخ معانيه.

الموضوع سأوضحه لكم بطريقة أخرى، لو أمكن أن نعطي وحدة جهد في الدراسة، رجل مسك كتاباً وقرأه مستلقياً بلا تعب، بلا تدبر، بلا دقة، بلا تمحيص، بلا تأن، قرأه قراءة تصفح حتى أتى عليه، نقول نحن: أعطى عشرة من مئة من الجهد، ماذا بقي عليه؟ تسعون بالمئة، لو أعطى في القراءة الأولى تسعون بالمئة من الجهد ماذا بقي عليه؟ عشرة، أنت حينما تقرأ الآيات التي سنقرأ مسبقاً، وتضع إشارات، هذه آية أحكام، وهذه آية كونية، وهذه فيها أمر ونهي، وهذه فيها سنة كونية ثابتة، وهذه من كلمات الله، أنت حينما تفعل هذا وتقف لتصلي وراء الإمام تتفاعل مع قراءته أشد التفاعل لأنك مهياً، ألم يقل الله عز وجل:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُّقَاتِلَةٍ يُضَاهِيهِمْ إِذَا جَاءُوا الْحَرَبَ وَيَنْهَاهُمْ إِذَا الْحَرَبُ هَٰذَا سَمَاءُ عِلْمٍ لَّيْسَ بِهَا حَرْبٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي خَلْقِهَا يُشَاقِقُونَ ﴾

[ سورة سبأ: 46 ]

معنى ذلك أنت مكلف أن تتفحص هذا الكلام - كلام الله عز وجل - وأن تقف عند مدلولاته، وعند أبعاده، وعند أمره ونهيه، وحلاله وحرامه، وقصصه، وأخباره، وإعجازه العلمي، والتشريعي، و التربوي، واللغوي، والبياني، وما شاكل ذلك.

إذاً رمضان الاستقامة، ثانياً: رمضان الصلاة، ثالثاً: رمضان القرآن، هذا القرآن يجب أن تقرأه وأن تستوعبه وأن تصغي إلى تفسيره، وأن تعمل بآياته، وأن يكون هذا القرآن ربيع قلبك في رمضان، كي يستمر معك إلى ما بعد رمضان.



الشيء الرابع: رمضان الإنفاق، كان عليه الصلاة والسلام:

((أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ وَكَانَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ نَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَغْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهِ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))

[البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما]

مثلاً صلة الرحم هذه عبادة قد تغيب عن معظم الناس، يجب أن نتفقد أخوتك وأخواتك، وأصهارك، وأولاد عمك، وكل من يلوذ بك في رمضان زيارة، زيارة تفقد، زيارة مساعدة، زيارة دعوة إلى الله، خصص جزءاً من رمضان للعلاقات الاجتماعية، وقد يكون الوقت المناسب قبل المغرب بعد العصر، هذا الوقت الناس يدعون أعمالهم لتأثرهم بالصيام، يجب الإنسان أن يعمل قائمة.

الآن رمضان الإنفاق، من الإنفاق أن تجلس مع من يلوذ بك متفحصاً، مستكشفاً، وقد تجد من المناسب أن تعين هؤلاء الذين يلوذون بك، إعانة مادية، إعانة توجيه، وقد تأخذ بيدهم إلى الله عز وجل، هذا أيضاً من لوازم شهر رمضان، فنحن كمؤمنين من طلاب العلم الشرعي الشريف إذا فهمنا الصيام على أنه دورة مكتفة ننتقل نقلة نوعية من مستوى إلى مستوى، ومن مرحلة إلى مرحلة، ومن مكان إلى مكان، ومن حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، هذا الفهم العميق من الصيام يجعلنا نفهم الصيام ونحن في أسعد حالة.

### الحكمة من كون العيدين عقب عبادة :

دققوا عند المسلمين أعياد كثيرة من أبرزها عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك، ما حكمة أن يكون العيدين عقب عبادتين؟ الحكمة من ذلك أن الإنسان إذا أدى هذه العبادة أداءً كاملاً يفرح فرحاً شديداً، يعبر عن فرحه بالعيد، أي أمكنه الله أن يصوم الصيام الذي أَرَادَهُ اللهُ عز وجل، فكل هذه الدروس المسبقة عن رمضان هدفها أن نستعد لهذا الشهر.

## الأشياء المستحبة و غير المستحبة في رمضان :

ذكرت من قبل أن العلاقات الحادة في رمضان غير مستحبة، فك شركة في رمضان غير مستحب، تطليق امرأة في رمضان غير مستحب، إجراء عنيف في رمضان غير مقبول، هذا رمضان العبادة، رمضان التفرغ لله عز وجل، فالأولى أن تتعد عن كل علاقة حادة، عن كل علاقة فيها شدة، فيها عنف، هذا يبعدك عن صفاء النفس وعن تفرغها لله عز وجل.

الشيء الثاني: يكون الأخ مثلاً يلزم الدروس في هذا المسجد، يحضر صلاة التراويح وما بعد التراويح والفجر، يكون عنده مركبة أحياناً، هذه المركبة يجب أن تملأها من الأخوة القريبين من بيتك، هذا من الأعمال الطيبة، إذا إنسان ساكن بجهة من الجهات وحوله أربعة أخوان من رواد هذا المسجد لو اتفق معهم على أن يلتزموا أن يصلوا الفجر والعشاء جميعاً في المسجد، فأنت ضمننت الثبات والاستمرار، وثانياً أمنت لهم طريقاً سهلة للوصول إلى المسجد، هذا مما يرفع من قيمة عملك الصالح، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شَدَّ إِلَى النَّارِ ))

[ الترمذي عن ابن عمر ]

من الجميل جداً أن يتعاون الأخوة، قال لي بعض الأخوان في منين والتل: يستأجرون سيارة عامة كبيرة بمبلغ يسير جداً أقل من أجرة الراكب من دمشق إلى منين، هذا الباص الكبير أو المتوسط يتسع لعشرين راكباً من البيت إلى المسجد إلى البيت، اتفقوا معه، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[ سورة المائدة: 46 ]

## المساعدة والإكرام والبشاشة تحبب الناس بـرمضان :

ولا تنسوا أيها الأخوة كل رمضان ينضم إلى المسجد أناس جدد تشدهم الصلاة، تشدهم بعض الدروس، فأنت إذا رأيت أحاً جديداً يجب أن تكون في غاية الكمال، الاهتمام، والمساعدة، والإكرام، والبشاشة، والمصافحة، والمودة،

أنا أعرف أناساً كثيرين بدؤوا علاقتهم مع الله في رمضان، وفي مسجد معين، فرجل قد يأتي إلى هذا المسجد عابراً، فإذا به يصبح من الأخوة الكرام الثابتين، بسبب أن الصلاة والدروس شدتهم إلى المسجد، فأنت أيضاً ساهم في شيء ثان، هناك من يدعو إلى هذا المسجد بعض أصدقائه و أخوانه وأقربائه أيضاً ساهم، في رمضان جو خاص، تجل خاص، في رمضان تأثر خاص، هذا كله من لوازم رمضان، فاجعل من هذا الشهر خالصاً لله عز وجل، في هذا الشهر جمد مشكلتك مع الله، يوجد إنسان حامل مشكلته ويسير، كلما جلس يشتكى، لا يوجد إنسان على الإطلاق خال من المشكلات، هذه المشكلات من لوازم الحياة الدنيا، والدليل حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ تَأْرِبَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا ))

[الترمذي عن خالد بن أبي عمران]

### المؤمن المتين الموقن برحمة الله يجعل الله وقع المشكلات عليه خفيفاً :

المصائب لا تلغى ولكن تخفف، يخف وقعها على المؤمن، فأنت إذا أيقنت، وإذا أقبلت، وإذا تحركت، وإذا عبت الله عز وجل وقع بعض المشكلات يضعف كثيراً، المشكلة هي ولكن قد تخفف، يوجد أدوية مرة، أدوية الأطفال فيها طعم حلو طيب، فأحياناً تأتي المصيبة للمؤمن كأدوية الأطفال، يوجد دواء ومادة فعالة ولكن فيه مادة سكرية، ومذاق هذا الدواء مستطاب عند الأطفال، فالمؤمن المتين الموقن برحمة الله ويعطاءه، الله ﷻ يجعل وقع بعض المشكلات عليه خفيفاً، وإنسان آخر لا يحتمل.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يترجم هذا الدرس إلى تطبيق، وأن نكون جميعاً في رمضان من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وممن صاموا صياماً مقبولاً، رمضان شهر الطاعة، شهر القرب، شهر الحب، شهر الإنفاق، شهر التقوى، شهر الصلاة، شهر القرآن، هذه كلها معاني رمضان، وأبلغ حديث قاله النبي في هذا الموضوع:

((رغم أنف عبد أدرك رمضان فلم يغفر له، إن لم يغفر له فمتى؟))

[ الترمذي عن أبي هريرة ]

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

### الموت يلغي كل شيء و لا تبقى إلا الأعمال الصالحة :

رمضان كما قلت أيها الأخوة: الشهر الذي ننتظره بفرغ الصبر، والأيام تمضي ونحن الآن نتحدث عن رمضان، وهو على الأبواب، ولكن والله قد لا تصدقون ما بين غمضة عين وانتباهتها انتهى رمضان، وجاء العيد، ننتظر عيد الأضحى المبارك، ما بين غمضة عين وانتباهتها يأتي عيد الأضحى ثم يأتي الصيف، ثم يأتي الشتاء ثم يأتي رمضان، إلى أن نلقى الواحد الديان، والإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، وما من يوم ينشق فجره إلا ينادي: أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة، وكل شيء ما سوى طاعة الله ومعرفته والعمل الصالح لا قيمة له، الموت ينهي كل شيء، الموت ينهي فقر الفقير، ووسامة الوسيم، ودمامة الذميم، وصحة الصحيح، ومرض المريض، وقوة القوي، وضعف الضعيف، يلغي كل شيء، لا تبقى إلا الأعمال الصالحة، الإنسان عندما يصوم رمضان صياماً صحيحاً، ويشعر أن الله قبل منه هذا الصيام، وأعتقه من النار، فقد فاز فوزاً عظيماً.

نحن على أبواب شهر لو صمناه كما أراد الله لفزنا فوزاً عظيماً، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الشهر الكريم عتقاً لنا من النار

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 071 - 127 ) : الصلاة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-03-1997

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام:

في صحيح مسلم حديث في باب الصلاة ذكره لي أحد الأخوة الكرام فرأيت من المناسب أن يكون محور هذا الدرس:

(( عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ))

أيها الأخوة:

هل تذكرون أن الله سبحانه وتعالى حينما وصف الجاهلية وصفها بأنها جاهلية أولى، وما معنى أن يقول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَبْرَجْنَ نَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[ سورة الأحزاب ]

أنت حينما تفتح دفتر حسابات تجد كلمة دفعة أولى، معنى ذلك أن هناك دفعة ثانية، ما وصفت هذه الدفعة بأنها أولى إلا لأن هناك دفعة ثانية، والجاهلية الثانية أشد خطراً من الجاهلية الأولى، كان الرجل في الجاهلية يئد ابنته وهي طيبة، وهي حية، بنت وديعة كالوردة تحفر لها حفرة وتوضع فيها، هذه الجاهلية الأولى، قال تعالى:

## ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)﴾

[ سورة التكوير ]

في الجاهلية الثانية تطلق الفتاة على حريتها فتفسد وتفسد وتنحرف وتحمل الناس على الانحراف، تتأذى وتؤذي، تعرض كل مفاتها في الطريق ولا أب يردعها، ولا أخ يردعها، ولا زوج يردعها، أليست هي جاهلية ثانية ! هذا الذي قال هذا البيت دخل السجن أدخله عملاق الإسلام عمر، قال هذا الشاعر:

هذا الذي يعد أهجا بيت قالته العرب، في الجاهلية الثانية شعار كل إنسان، مادام الدخل وافر دعك من الناس، لا تهتم بهم لا ينبغي أن تنصرف منهم، من بعدي الطوفان كما قال نيرون.

(( عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَّهُمْ لَيَسُوا عَلَى شَيْءٍ ))

أحياناً عبارة نبوية، فلان ليس على شيء، ليس على علم، ليس على علم، ليس على منطق، ليس على قيم، ليس على هدف نبيل ليس على مبادئ، لا شيء يضبطه، متقلت.

(( وَهُمْ يَغْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ))

كلكم يعلم أن العرب كانت تعبد الالة، والعزة، تأخذ حجراً فتعبده تجعل من بعض التراب ما يشبه التمثال فتعبده، تصنع من التمر صنماً فتعبده، يقول هذا الصحابي لاحقاً:

(( فَسَمِعْتُ بَرَجِلَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ ))

أنا أريد أن أقف عند فقرات هذا الحديث، يعني إنسان تحمله معرفة الحقيقة إلى أن ينتقل من بلد إلى بلد، من مدينة إلى مدينة من حي إلى حي، ذكرت مرة أن بعض الناس يركب مركبته وينتقل من حي في المدينة إلى طرفها الآخر ليشتري كيلو فول ويقول لك . ظراف . تنتقل من طرف المدينة إلى طرفها الآخر من أجل وجبة طعام واحدة تروق لك أفلا ينبغي من طرف إلى طرف من أجل درس علم، من أجل أن تعرف الله، من أجل أن تعرف كلام الله، من أجل أن تعرف الحقيقة، من أجل أن تسير على منهج واضح، هذا الصحابي الجليل قال:

(( فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ ))

الإنسان أيها الأخوة يعرض عن طلب العلم كبيراً، يقول من فلان المؤمن لا يستتكف عن أن يطلب العلم من أي إنسان، خذ الحكمة ولا يهملك من أي مكان خرجت، الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها التقطها.

(( فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا ))

نحن الآن والحمد لله نصلّي في المسجد، الأذان يصدح في المآذن الصلاة تقام جماعةً، يوم الجمعة المساجد ملاءة بالمصلين، نُؤدي شعائر الله ونحن مطمئنون، هؤلاء الصحابة الكرام الذين بذلوا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل أن ينشروا هذا الدين نحن ينبغي أن نتابع عملهم لا أن نقطف ثمار جهدهم، ينبغي أن نتابع مسيرتهم، هم أوصلوه لنا وعلينا أن نوصله إلى غيرنا.

أخوانا الكرام:

الذي لا يشعر في نفسه بحاجة إلى نشر هذا الدين يموت على ثلثة من النفاق، ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

[ سورة الفرقان ]

ربنا عز وجل سمى معرفة كتاب الله وتعريف الناس، تعلمه وتعليمه، قراءته، وإقراءته، أن تتلقاه وأن تلقيه على الناس، أن تفهمه وأن تنتقل فهمه للناس، سماه الله جهاداً كبيراً، ومن مات ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلثة من النفاق، وهذا الذي لا يشعر بحاجة إلى نقل الحق إلى الناس هذا يخالف نص هذه الآية:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾

[ سورة يوسف ]

فالذي لا يتبع النبي لا يدعو إلى الله، أما إذا كنت متبعاً للنبي فلا بد من أن تدعو إلى الله.

((فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا))

ألم يخطر في بالك لماذا أراد الله عز وجل لأتبيائه العظام أن يكونوا ضعفاء، هو يستخفي، النبي يخاف، لما كان كفار قريش يعذبون آل ياسر هل استطاع النبي أن يخلصهم؟ لا يستطيع قال صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

ما الحكمة من أن النبي شاء له الله أن يكون ضعيفاً؟ تستطيع أن تقول على النبي أنه ساحر وتنام في بيتك مرتاحاً، لك أن تقول أنه كاهن وتنام في بيتك مرتاحاً ولا شيء عليك، ولك أن تقول عليه أنه مجنون وتنام في بيتك مرتاحاً ولا شيء عليك، شاء الله أن يكون النبي في بادئ الدعوة ضعيفاً من أجل ماذا؟ لو أنه قوي، لو جعله ملكاً لآمن الناس جميعاً به لا عن قناعة، ولا عن رغبة، ولا عن عبادة، ولكن عن خوف، لذلك قالوا الأنبياء يملكون القلوب، لكن الأقوياء يملكون الرقاب، القوي يملك رقبة الإنسان لكن لا يملك قلبه لا يملك هذا القلب إلى النبي ومن كان على شاكلة النبي، ومن اتبع النبي بإحسان، العبرة أن تملك القلوب لا أن تملك الرقاب، لذلك شاءت حكمة الله ﷺ أن يكون الأنبياء ضعفاء حتى يكون الإيمان بهم ثميناً، الذين آمنوا برسول الله لم يؤمنوا خوفاً، لأنك تستطيع أن تدم النبي ولا شيء عليك، ولم يؤمنوا به طمعاً لأنه فقير لا يملك شروى نكير.

(( عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا

عَائِشَةُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ ))

(مسلم . النسائي . أبي داود . أحمد)

بربكم أنتم جميعاً هل في بيت من بيوتكم لا يوجد وجبة طعام واحدة؟ لا يوجد قطعة خبز مع كأس شاي، مع قطعة جبنه؟ لم يجد شيئاً في البيت، فقال هذا الصحابي:

(( فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرْءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ ))

يجترئون عليه، ينالون منه، يؤذونه.

(( فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ))

فَتَلَطَّفْتُ، سبحان الله المؤمن يوجد عنده أدب، أنا يلفت نظري هذا الصحابي الجليل زيد الخيل الذي سماه النبي زيد الخير في أول لقاء بينه وبين إسلامه ساعة، أعطاه النبي وسادة ليتكى عليها قال: والله لا أتكى في حضرتك. فالإنسان كلما امتلأ إيماناً ازداد أدباً مع الله ومع رسوله ومع المؤمنين.

رجل سأل سيدنا حمزة فقال له: أيكم أكبر أنت أم رسول الله؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

سيدنا عمر يقول عن سيدنا الصديق، كنت خادمه، وجلواذه وسيفه المسلول فكان يغمدني إذا شاء، وتوفي عني وهو عني راض وأنا بهذا سعيد.

(( فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ، قُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ ))

لم يقل من أنت، قال ما أنت، من، أقرب.

(( قَالَ أَنَا نَبِيٌّ ))

تواضع إلى أقصى درجة.

(( فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ))

معنى ذلك أنه من أجل أوامر الله عز وجل أن تصل رحمك ذكرت هذا كثيراً في رمضان وفي العيد، يعني القضية أن هؤلاء الذين حولك هم أولى الناس بدعوتك إليهم، هم أولى الناس بإكرامك لهم، هو أولى الناس بإرشادك لهم، هم أولى الناس بإحسانك، إذا تكفل كل إنسان بمن حوله انتهى المجتمع نهض كله، نظام رائع، أنا أسميه التكافل الاجتماعي، إذا كل إنسان تفقد أهله، زارهم، تفقد أحوالهم، عاونهم، دعاهم إلى الله، كل إنسان حوله أناس إذا جميع الناس يهتدون إلى الله، يعني إنسان الله عز وجل ساقه إلى المسجد وأنعم عليه بنعمة الهدى واصطلح مع الله أنا أرى أنه لابد أن يفكر في أن يجلب إنسان إلى هذا المسجد بالكلمة الطيبة، بالإقناع، بالعمل

الطيب، بالعمل الصالح، بالوجه الباش، بالكلمة الرائعة، بالهدية اجلبه إليك.

(( قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ ))

بصراحة بناء بني بشكل غير صحيح مائل، لا يوجد حل لابد من أن تهدمه وأن تبني بناءً صحيحاً، الترقيع أن ترقع مشكلة تعالج بمشكلة، قضية تعالج بقضية، يعني إذا ما أتيت بهذه الملهيات أولادي ينصرفون إلى بيت آخر، أنا أضرب مثل مضحك: هل يمكن طبيب تجميل إذا في ندبة على خدك الأيمن أردت أن تجري لها عملية جراحية أن يقول لك سأنزع لك قطعة من خدك الأيسر أضعها على خدك الأيمن، ما فعل شيئاً، احفظوا هذه القاعدة، لا تعالج مشكلة بمشكلة، أنا أستمع كثيراً إلى بعض الأخوة يعالج مشكلة بمشكلة، المشكلات لا تعالج إلا بمنهج الله عز وجل، إلا بطاعة الله.

(( قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ ))

نبي عظيم سيد الأنبياء والرسول.

(( قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ قَالَ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ ))

يوم جاء هذا الأعرابي لم يكن مع رسول الله إلا رجلان حر وعبد يعني كان معه أبو بكر و بلال فقط، العبرة أن تكون على حق هؤلاء نواة المجتمع الإسلامي أنت لا تياس ابدأ من الصفر أقتع واحداً أن يكون على الحق، هذا الواحد سوف يتزوج، وسيبحث عن فتاة مؤمنة سينجب، سيربي أولاده تربيةً سالحة، صارت هذه الأسرة في صحيفتك، سيصاهر أسرة أخرى على شاكلته، صار في أسرتين لك صديق، قريب، جار، أخ، ابن عم، صهر، ابحت عن نشرالحق.

(( فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ ))

ينبغي أن يفرح النبي.

(( قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا ))

يوجد شدة بالغة، كان النبي رؤوفاً به رحيماً، أنا أرى أن القيادة أنت عندك أخوان ينبغي أن لا تلقي بهم إلى التهلكة، ينبغي أن ترحمهم، ينبغي أن تحرص على مصالحهم، لا ينبغي أن تغرر بهم وتتجو أنت بنفسك، لا، ينبغي أن تكون أباً لهم، ينبغي أن لا تدفعهم إلى المخاطر، ينبغي أن تبحث عن سلامتهم وسلامة أهلهم، هم اثنين حر وعبد وصاروا ثلاثة.

(( قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ ))

شدة ما بعدها شدة، ضغط ما بعده ضغط، تتكيل ما بعده تتكيل.

(( قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي ))

النقطة الدقيقة هنا أن النبي عليه الصلاة والسلام واثق ثقة لا حدود لها بأن الله سينصره، حينما كان بالطائف وسخر منه أهل الطائف وكذبه أهل الطائف، وأغروا صبيانهم أن يضربوه حينما قفل عائداً إلى مكة قال له سيدنا زيد: يا رسول الله أتعود إلى مكة وقد أخرجتك؟ أخرجتك وهدرت دمك كيف تعود إليها؟ فقال عليه الصلاة والسلام: إن الله ناصر نبيه.

في غار ثور، ألم يقل له سيدنا الصديق لقد رأونا، قال يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون.

في أثناء الهجرة تبعهم سراقة قال له ﷺ: كيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى.

معنى ذلك أن ثقة النبي بنصر الله لا حدود لها، ألا نحتاج نحن اليوم إلى هذه الثقة؟ يجب أن تؤمن أن هذا دين الله، والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن هذا الدين دين الله لتلاشى من ألف سنة، لشدة ما حوله من مكرين ولكنه دين الله كلما اشتد أعداؤه عليه كلما ازداد قوة، يعني بعض الدول في شمال إفريقيا أنشأت أربعة آلاف كنيسة كلها الآن مساجد والحمد لله.

((وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ))

ماذا نفهم من هذا ؟ يبحث عن الحقيقة، أخوانا الكرام قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)﴾

[ سورة العنكبوت ]

والله الذي لا إله إلا هو زوال الكون أهون عند الله من أن تبحث عن الحقيقة ولا تجدها، لابد من أن تجدها ابحث عنها بصدق.

(( فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ ))

أقبلوا عليه، التفتوا حوله، وآمنوا به، ونصروه، وهذا والله مما يرضي الله عز وجل، أقبل على أهل الحق، عاونهم، هيئ لهم السبل لنشر الدعوة، أعنهم بكل ما تستطيع إنك شريك لهم في الأجر.

أخوانا الكرام:

الآن الإسلام يحتاج إلى تعاون لا ينهض بالإسلام فرد واحد ينهض بهم فريق، فريق عمل، كل إنسان يسد ثغرة مثل الأسرة الأب في معمله، والأم في مطبخها، والأولاد في مدارسهم، كل فرد في الأسرة له جهة يؤديها، والمسلمون اليوم يجب أن يتعاونوا.

(( فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ ))

هل يستطيعون قتله ؟ لا يستطيعون والدليل، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

[ سورة المائدة ]

لما نزلت هذه الآية صرف النبي حراسه، يوجد امرأة عالمة في أوروبا سبب إسلامها هذه الآية، لو كان الوحي من عند الرسول لا يصدقه هو اخترعه، لما قال الله له والله يعصمك من الناس صرف حراسه، انتهى الإله قال له، يعني الله يعصمك من أن تقتل فتنتهي الدعوة بقتلك مستحيل.

قال أحد الأشخاص أراد أن يقتل النبي فساوقه إلى النبي ليعاقبه فكان هلوغاً، قال: هون عليك لن ترع لن ترع، لن نخيفك ولو أردت ذلك لما سلطت علي، هكذا قال له النبي عليه الصلاة والسلام.

في بعض المعارك رجل أراد أن يقتل النبي، قال: أين محمد لا نجوت إن نجا، فالنبي عليه الصلاة والسلام لا بد من يلقاه بنفسه مع أن الصحابة الكرام تمنوا أن لا يلقاه هو، أمسك برمحه ووكزه في كتفه فولى هارباً، يقول: والله لو بسق علي لقتلني.

﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

(( مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ فَقَدِمَتْ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ عَرَفْتَنِي ؟ ))

أعتقد أنه عشر سنوات أو أكثر اثني عشر سنة، عندما كان معه اثنين في أول الدعوة الآن بعد الهجرة، يعني هذا غاب ثلاثة عشر عاماً وهو يبحث عن الحقيقة إلى أن وصل إلى النبي.

(( فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ عَرَفْتَنِي ؟ قَالَ: نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ، قَالَ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ ))

أخوانا الكرام:

يوجد أشخاص إذا ما جلس مع مثيل له لا يتكلم، هو مثقف ثقافة عالية، إذا ما شخص أمامه يحمل شهادة عالية يبقى ساكت يترفع عن أن يكلمه كبر، إذا ما كان مع أُناده، مع نظرائه، مع أشباهه يسكت أما الرحيم هذا شخص في السلم الاجتماعي في الدرجة السفلى إنسان أعرابي ليس له شأن ولا مكانة ولا مال، ولكنه يبحث عن الحقيقة، وصدقوني في هذه المناسبة لن يرضى الله عنك إلا إذا جعلت اهتمامك لكل الناس، كل الناس لعل هذا الذي تزدره هو عند الله كبير:

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾

[ سورة هود ]

هذا الذي تراه أنت في الدرجة الدنيا قد يكون عند الله في الدرجة العليا، هذا الذي تظنه فقيراً هو عند الله غني، هذا الذي تظنه بعيداً هو عند الله قريب، فذلك النبي عليه الصلاة والسلام من شدة رحمته بأمته، لشدة أدبه مع ربه، لشدة حرصه، أعرابي جاهل يقول له:

(( أَخْبَرَنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْصِرَ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ))

لذلك عند الأحناف لا يجوز أن تصلي بعد الفرض أية صلاة إلى أن تشرق الشمس وترتفع مقدار ربح وقد عدها الفقهاء عشرين دقيقة لا ينبغي أن تصلي بعد أداء صلاة الصبح إلا بعد أن تطلع الشمس بعشرين دقيقة أخذاً من هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم.

(( ثُمَّ صَلَّى فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ))

حينما تكون الشمس في كبد السماء تماماً يختفي الظل، يصير الظل فوق الرمح تماماً، ثم اختفى لما اختفى الشمس في كبد السماء تماماً أشعتها عامودية على هذا العمود إذاً يختفي الظل فإذا مالت أو زالت، يقال وقت الزوال، يعني الوقت الذي تتحرف به الشمس عن قبة السماء.

(( ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينِيذٍ تُسَجِّرُ جَهَنَّمَ فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينِيذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ))

الذين يعبدون الشمس يعبدونها حين الشروق وحين السجود عندنا في هذا الدين القويم ثلاثة أوقات الصلاة فيها مكروهة، حين شروق الشمس حتى ترتفع في الأفق، وعند انتصافها في كبد السماء حتى تزول وعند اصفرارها حتى تغيب، هذا مأخوذ من هذا الحديث الشريف.

(( قَالَ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَلُوْضُوءَ حَدَّثَنِي عَنْهُ، قَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَقْرُبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَبِئُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ ))

الصلوات كفارة لما بينها إذا الإنسان مستقيم لكن غفل قليلاً تكلم كلمة ليته لم يتكلمها، قام توضأ وصلى هذا الوضوء وهذه الصلاة تحط عنه الخطايا.

(( ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ فَإِنَّ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ ))

لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت، دقق أن تقول الحمد لله كل شيء ساقه الله لك يحمد عليه، هذا كلام ربنا، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . اسم الله الأعظم . كل شيء أساسه الرحمة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾

[ سورة الفاتحة ]

(( فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ  
كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ ))

يروى أن النبي عليه الصلاة والسلام مر بقبر، فقال عليه الصلاة والسلام: صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من نوافلكم . يعني ركعتين سريعتين . خير له من دنياكم كلها.

يوجد في الدنيا قصور، ومعامل، وشركات ضخمة، وطائرات ضخمة، وفنادق، إنسان اشترى فندق في فرنسا يعني ممتلئ طوال العام، ثمانين طابق خمس نجوم كم هو دخله؟ صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من نوافلكم خير له من دنياكم كلها.

(( فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ  
كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ ))

فإذا الإنسان قام إلى الصلاة بوضوء كهذا الوضوء وصلاة كهذه الصلاة كفر الله عنه كل خطاياها، فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما.

(( فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أَمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَبُو  
أَمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ انْظُرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ، فَقَالَ: عَمْرُو يَا أَبَا أَمَامَةَ لَقَدْ كَبُرَتْ  
سِنِّي وَرَقَّ عَظْمِي وَاقْتَرَبَ أَجْلِي وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لَوْ لَمْ أَسْمِعْهُ مِنْ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ  
مِنْ ذَلِكَ ))

([ مسلم . النسائي . ابن ماجة . أحمد )

يعني هناك أشياء كثيرة جداً نستنبطها من هذا الحديث كيف كان الإسلام رجلين، وكيف كان النبي يحرص على أصحابه، ويحرص على سلامتهم، ويطلب لهم الرخاء، والهدى، والنقاء، وكيف أن هذا الأعرابي الذي قدم على رسول الله صبر عليه النبي وتلطف به وألقى عليه ما هو مطلوب منه، وكيف هو تذكره، هذه الذاكرة القوية دليل اهتمام.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع بهذا الحديث وأن نقوم إلى الصلاة كما وصف النبي هذه الصلاة وأن نستنبط من هذا الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام كما حملوا هذه الرسالة وضحو من أجلها وبذلوا الغالي والرخيص والنفيس أن نسعى نحن إلى نقل هذه الحقائق إلى الآخرين، قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)﴾

[ سورة البقرة ]

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (072 - 127) : الترغيب في الرفق والحلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-03-1997

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام: تعلمون أن من أجل كتب الحديث الشريف كتاب الترغيب والترهيب، فقد صنفه المؤلف رحمه الله تعالى على الترهيب في فصول كثيرة من أشياء تهلك الإنسان، وعلى الترغيب في أعمال كثيرة تقرب الإنسان من الله.

النبي عليه الصلاة والسلام ما من شيء يقربك إلا الله إلا أمرك به، وما من شيء يبعدك عنه إلا نهاك عنه، السعادة وكل السعادة أن تصل إلى الله، الطمأنينة والتوفيق والنجاح والفلاح لذلك أي شيء يقربك أمرك به، وأي شيء يبعدك نهاك عنه.

فالعبارة أن تصل إلى الله، وأن تسعد به، نقول نحن التفكير، ويكون التفكير في خلق السماوات والأرض من أجل أن نصل إلى الله، التفكير وسيلة، نقول العمل الصالح، الإنسان يعمل صالحاً من أجل أن يصل إلى الله، نقول بر الوالدين من أجل أن تصل إلى الله، كل العبادات والمعاملات والآداب من أجل أن تصل إلى الله، وكل المكروهات والتنزيهية والتحريمية، وكل المحرمات حرمت وكرهت لأنها تبعدنا عن الله عز وجل.

ليس من عادتي أن أفتح الكتاب لا على التعيين، ولكن سبحان الله فتحته هكذا فإذا موضوع الترغيب في الرفق والأناة والحلم، ورد أن الحلیم كاد أن يكون نبياً، والحلم سيد الأخلاق.

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتَ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتَ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتَ وَعَلَيْكُمْ ))

(صحيح البخاري)

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

الدليل انظر إلى هذا الطفل الصغير كيف ينزع سنه تلقائياً من دون ألم ! أي طبيب مهما كان حاذقاً لا بد من أن يخدره، ولا بد من التخدير من ألم، أما هذا السن حينما ينزع دون أن يشعر، الله عز وجل رفيق، أحياناً الإنسان يؤمن وفيه مليون علة، ممكن أن يقبله الله ويتجلى عليه ! وكل فترة يطهره من علة، فإذا اصطاح الإنسان مع الله وتاب له، أليس معنى هذا أن نفسه طهرت كلياً ؟ كل فترة يظهر منه عيب، الله عز وجل أظهره له، وانزعج من هذا العيب، وعالجه له بمشكلة، ثم تاب عليه، ثم ارتقى به لمشكلة ثانية.

الله عز وجل حلیم ورفیق، ينقلنا شيئاً فشيئاً من حال إلى حال، وكل منا له مع الله تجربة، كيف الله عز وجل حلم وصبر عليه، وهو يرتكب المعاصي والآثام ويمده ويعطيه ويقويه، ثم اصطاح مع الله، هناك عيوب يطهره منها عيباً عيباً !

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

إخواننا الكرام: أثنى شيء على الإطلاق أن يحبك الله ! يروى كما سمعت أنه في أحد السنوات العجاف شحّت السماء إلى درجة أن الناس كادوا يهلكون، فالعلماء دعوا الله في خطبهم، وصلوا صلاة الاستسقاء، والسماء لا تزال شحيحة، قال رجل صالح دعا الله وقال: يا رب بحق حبك لي أن تنزل الماء علينا من السماء ! ما أتم هذه الكلمات حتى فتحت أبواب السماء كأفواه القرب ! رجل سأل هذا الرجل الذي دعا هذا الدعاء: كيف عرفت أن الله يحبك ؟ قال: اقرأ قوله تعالى:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

(سورة المائدة)

اعتمد على أصل الآية:

### ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

أنت موجود في الدنيا لأن الله يحبك، المحبوبة أساس الوجود والخلق، خلق الله الإنسان.

### ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

بدا بأنه يحبهم وثى بأنهم يحبونه، لذلك إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، قصة تروى للموعظة: سيدنا إبراهيم جاءه ضيفاً فقال: أنتما موحدان؟ قالوا: لا، فطردهما! فعاتبه الله عز وجل، قال: يا إبراهيم أنا أطعمهما من خمسين عاماً، أنت لم تتحملهم ولا مرة واحدة إن لم يكونوا موحدين؟ الحديث القدسي

(( لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلالي إن لم ترضى بما قسمته لك فلاسلطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحوش في البرية ثم لاينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد))

إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، إذا قلدت الله عز وجل في رفقته ترقى عنده، الذي ذكرته قبل قليل أن هناك أشخاص لا تستطيع أن تصل إليهم مستحيل، أما ربنا عز وجل جعل لك طرائق كي تصل إلى حبه، والشيء بسيط جداً، اقرأ القرآن الكريم: إن الله يحب الصادقين، إن الله يحب المحسنين، إن الله يحب الصابرين، إن الله يحب التوابين، إن الله يحب المحسنين، إن الله يحب المتوكلين، اثنا عشرة آية مع حذف التكرار طبعاً، اثنا عشر طريق سالك إلى الله إلى محبته، فأحد الطرق المؤدية إلى محبة الله عز وجل أن تكون رقيقاً. النبي عليه الصلاة والسلام ضرب في الطائف، جاءه جبريل قال:

((فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت، إن شئت أطبقت عليهم الأخشيين))

(مختصر تفسير ابن كثير)

((قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))

(صحيح البخاري )

هذه الرحمة، فإن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ضمن البيت وخارجه وفي عملك وسفرك وفي إقامتك وحريك وسلمك، حتى إذا قتلت حيواناً، إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، لا تعذب حيواناً.

هذه رواية البخاري، في رواية لمسلم:

((عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))

(صحيح مسلم)

بعض علماء هذا الحديث فسر الحديث تفسير رائع، النتائج التي تحصلها بالرفق لا تستطيع أبداً أن تحصلها بالعنف، لأنه:

((يا داود نكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها))

الأسلوب الإيجابي فعال جداً، يعطي من الخير والعطاء والتوفيق ومن تأليف قلوب الناس، يعطي من المحبة طريق الرفق ما لا يعطيه طريق العنف.

لذلك ورد أيضاً:

((علموا، ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

(الإصدار لجلال الدين السيوطي)

(( يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ))

ما سوى العنف ؟ موقف ليس فيه عنف، لكن لا يوجد فيه رفق، الشيء الدقيق أن الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

(سورة النحل)

كما أنت مأمور بالعدل مأمور بالإحسان.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

فالقضية التي لا تجري معك على العدل تجري معك على الإحسان.

إخواننا الكرام: ليس في الدين إلا هذه المراتب الثلاث: مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، الأولى والثانية تؤكدان آية كريمة، قال تعالى:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾

(سورة الحجرات)

أنت لن تكون مسلماً إلا إذا خضعت لأمر الله بقبضه وقضيته، بكل تفاصيله، مشكلة المسلمين أن الأوامر اختزلت ونسخت إلى خمس أوامر: يصلي ويصوم، يحج ويذكي، ويشهد أنه لا إله إلا الله، وانتهى كل شيء ! هو في الأصل لم ينته شيء، كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الجواب، كل أمر للنبي عليه الصلاة والسلام يقتضي الجواب، أنت أمام مجموعة أوامر كثيرة جداً، وأضيف إلى هذا أنك أمام مجموعة مواقف.

لي صديق توفيت ابنته في سن صغير، في الثالثة عشرة من عمرها وهي ابنته الوحيدة، وهو متعلق بها أشد التعلق، في التعزية ماذا أقول له ؟ قلت له: إن النبي عليه الصلاة والسلام جعله أسوة لنا، ليكون أسوة لنا أذاه الفخر، فيكون بذلك أسوة للفقراء، دخل إلى بيته قال:

((بَاب إِذَا نَوَى بِالنَّهَارِ صَوْمًا وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: عِنْدَكُمْ طَعَامٌ؟ فَإِنْ قُلْنَا لَا، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ يَوْمِي هَذَا))

(صحيح البخاري)

وأنا أقسم بالله أنه ما منكم واحد إلا وفي بيته شيء يؤكل، هل أحلس بهذا اليمين؟ لا يوجد أحد من الحاضرين إلا وفي بيته شيء يؤكل، أما أن يدخل النبي إلى بيته فلا يجد شيئاً يأكله، قال: فإنني صائم!

أذاقه الغنى، لمن هذا الوادي؟ قال: هو لك! قال: أتتهزأ بي؟ قال: لا والله، قال: أشهد أنك رسول الله، فأذاقه النصر.

لا يوجد قائد ينتصر في المعركة إلا ويأخذه العجب ويتيه على الناس، تأخذه الغطرسة ويأخذه الكبر، دخل مكة التي أخرجته، وذكرت بأصحابه، وانتمرت على قتله، وناصبته العداة عشرين عاماً، دخل مكة مطأطئ الرأس تواضعاً لله عز وجل، أذاقه القهر في الطائف.

((اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، لمن تكلني إلى عبد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك))

(الإصدار للإمام القرطبي)

وأذاقه موت الولد، الولد غالي جداً، قال:

((ورويانا في صحيح البخاري، عن أنس رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرّفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال: "يا بنَّ عَوْفٍ! إِنَّهَا رَحْمَةٌ" ثم أتبعها بأخرى فقال: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ))

(الإصدار للإمام النووي)

أذاقه الله أن يقول الناس عن زوجته أنها زانية ! هل يحتملها أحد منكم ؟ حديث الإفك، أذاقه تطبيق بناته، طلقت ابنته، الله عز وجل جعله أسوة، فلذلك النبي كان رقيق.

**((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ ))**

من عطاء ومن خير وتأليف قلوب ومن اجتماع الناس حول إنسان ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه.

الإنسان بنیان إذا جرحته وهدمته الله لا يرضى عنك، أنت ممكن أن تفعل شيء صنعة، أحياناً البنات يعملن في الصوف، ممكن أن تعمل البنت كنزة من الصوف خلال شهر، وتأتي أنت بخمس دقائق وتزرعها لها ؟ معقولة ؟ الإنسان بنیان الله، ملعون من هدم بنیان الله.

**((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))**

إذا كان هناك موقف لا فيه رفق ولا عنف هذا أيضاً غير مطلوب، المطلوب أن تكون مرفق.

**((عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ))**

(صحيح مسلم)

هذه كلها أحاديث وردت في البخاري ومسلم، أنا سمعت عن ملك رحمه الله جمع رؤساء القبائل لوليمة، أحد رؤساء القبائل لم ينتبه، يوجد وعاء ماء لغسل الفاكهة، شرب منه ! طبعاً المدعوين ابتسموا ابتسامة سخرية، ما كان من هذا الملك إلا أن أمسك بإناء آخر مشابه وشرب منه، سترأ لحال هذا الذي سخر الحاضرون من عمله !

هذا العمل فيه ذكاء بالغ وخلق عالي، النبي الكريم قال: لا تحمر الوجوه، لا تخجل إنسان ولا تضيق عليه وتحرجه، لا تحمر وجه إنسان إن أردت أن يحبك الله.

لذلك

**((إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))**

سمعت أن أحد الأشخاص كان يتوضأ أمام الحسن والحسين رضي الله عنهما، وارتكب أخطاء فادحة في الوضوء، فبأسلوب لطيف جداً سألاه أن يكون حكماً بينهما في الوضوء، وتوضأ كل منهما، قال: والله أنا المخطئ

الله عز وجل ألهم الإنسان أساليب كثيرة جداً لتنبية الناس لأخطائهم، لكن أسلوب لا يجرح، النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يواجه أحد بما لا يكره من رحمته ورقته وحرصه لمحبة الناس له، لا يواجه أحد بما يكره، ماذا يفعل؟ هو مكلف بأن يربي أصحابه، كان يصعد المنبر ويقول:

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَتْهَا بَرِيرَةُ تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتَ أُعْطِيتُ أَهْلَكَ وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لِي، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُهُ ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْتَاعِيهَا فَأَعْتَقِيهَا فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لَهُ وَإِنْ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ))

(صحيح البخاري)

العبد الفقير أحياناً أجد فيه خطأ في المسجد غير معقول وغير محتمل، لا أعالجه في نفس اليوم حتى لا يشار إلى صاحبه، أقول في درس آخر في بعد المساجد لا يوجد تربية عالية، أحدهم يجلس هكذا، أنا أقصد إنسان في جامعي يجلس هكذا، عندما غيرنا الجامع يعني هذا أنه لم يعد هناك حرج للمخطئ، فممكن أن توجه توجيه صحيح وأن تلفت النظر إلى أخطاء كثيرة جداً دون أن تجرح الناس، وهذا أسلوب.

((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ عَابَهُ))

((إِنَّ اللَّهَ لِيُعْطِيَ عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْخَرْقِ وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الرَّفْقَ وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَحْرَمُونَ الرَّفْقَ إِلَّا حَرَمُوا مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى))

(الإصدار للحافظ العراقي)

الخرق أي الحمق، يقابل الرفق الحمق.

((وعن جرير بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق، وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق، ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا))

(الإصدار للحافظ الهيثمي)

((عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق))

مر معنا في الأحاديث السابقة أن الرفق يقابل العنف، في هذا الحديث الرفق يقابل الخرق، والخرق يعني الحمق، وإذا أحب الله العبد أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير.

الملاحظ أن الناس في هذا العصر من بعدهم عن الله عز وجل سلكوا طريق العنف، بالمناسبة كان هناك كتاب مقرر للشهادة الثانوية، الكتاب قصة شعوب مضطهدة في أفريقيا ناضلت من أجل الخلاص من الاستعمار، لكن هذا الكتاب مبين على محور واحد، هذا المحور أن العنف لا يلد إلا العنف أبداً، سلسلة لا تنتهي، تقف موقف عنيف تجد موقف عنيف مقابله، العنف لا يلد إلا العنف، أما الرفق والود..

مثلاً إنسان أخطأ، لو قال أخطأت انتهى كل شيء، أخ كريم شكى لي عن أخ آخر، أردت أن أعاتب الآخر، قال لي: أنا أخطأت، لم أتمكن من أن أقول كلمة واحدة ! انتهى الأمر، أخطأت وسأعتذر منه.

فإذا كان الإنسان واقعي ومنصف، ووقف موقف لطيف أو موضوعي، إخواننا الكرام: الموضوعية جزء من الدين، وهي أن تقول ما حدث فعلاً

مرة كنت عند طبيب، أكبرت هذا الطبيب، أصبح هناك خطأ بالمعالجة، فقال: أنا أخطأت، وأنا لا أستطيع أن أكشف خطأه أبداً ! معلوماتي لا تسمح لي أن أكشف خطأه، وبإمكانه أن يعزو الخطأ بشيء آخر بكل بساطة، وأنا لن أعرف ذلك، لكن أنا أكبرت في صدقه، قال لي: أنا أخطأت، حصل خطأ مني، تعلقت به أكثر لأنه موضوعي.

إخواننا الكرام: الحياة أساسها القيم الأخلاقية، فإذا الإنسان كان موضوعي وصف ما حدث، أصبح عالم، أما إذا وصف الواقع بغير ما هو لم يعد عالم.

((إن الله عز وجل ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق))

((وإذا أحب الله العبد أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير))

يوجد أجواء لطيفة مودة ومحبة ومسامحة وأجواء اعتذار وتطيب قلب وجبر خاطر، هذه أجواء مسعدة، الإنسان قد يأكل أخشن الطعام، وقد يرتدي أخشن الثياب، وقد يسكن بأصغر بيت، لكن مع الجو اللطيف شيء مريح، وقد تطعمه أطيب الطعام مع العنف لا يحتمل.

طرفة سمعتها: زوج ابنته قال للعريس: أريد النقد منك تقسيطاً، كل يوم دفعة، قال هذا: سنعيش مع بعضنا ثلاثين أو أربعين سنة كيف سأدفع لك كل يوم دفعة؟ قال لا: أريد النقد مقسط على أيام العمر، الكلمة الطيبة للفتة اللطيفة، الكلمة المواسية، الاعتذار أحياناً، تطيب القلب، هذا المهر

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ))

(سنن الترمذي)

أنا كنت أقول أن هناك في الدعوة إلى الله طريقان طريق تأليف الكتب، وطريق تأليف القلوب.

إخواننا الكرام: عشرات ولا أبالغ، بل مئات المواقف السابقة الخيرة الحكيمة الذكية تشد الإنسان إليك، موقف واحد عنيف ينفر الناس منك، فلذلك كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ))

الآن الرفق قابله النبي بالعنف، والرفق قابله النبي بالحمق، والآن الرفق ساواه النبي مع الخير، ومن حرم الرفق حرم الخير كله، رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح.

((عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ يَرْفَعُهُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيَرْضَى بِهِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ))

(موطأ مالك)

معونة الله عز وجل تتأتى من الرفق، فإذا سلكت طريق العنف تأتيك معونة الله عز وجل.

مر معنا في الحديث أن من كظم غيظه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً، إذا أنت عفوت عن إنسان أصبح موالي لك تمام مرتاح، مهما بدا لك الإنسان ضعيفاً أمامك لو قسوت عليه يقلقك، أحياناً يتكلم عنك كلام غير صحيح، أنت لا تستطيع أن تكذب، الخبر السيئ يسري، أحياناً الإنسان ينتقل بكلام غير صحيح، فلذلك تأليف القلوب شيء يحتاج إلى حكمة بالغة جداً.

((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ ))

(مسند الإمام أحمد)

فالرفق أحد أسباب الخير الذي تتاله، أسمع قصص بين الأزواج غير معقولة إطلاقاً عنف ما بعده عنف، أخت كريمة اتصلت بي قبل يومين أن زوجها حلف عليها يمين طلاق ألا تزور أهلها، إلا إذا جاء أبوها، أبوها لا يأتي، قلت لها: إذا جاء في غياب زوجك دقائق معدودة، قالت: لا يأتي أبداً! سنتان تخاف أن تزور أبوها فتطلق من زوجها، والأب لا يزور صهره ولا زيارة شكلية، الصهر أخذ موقف، والأب أخذ موقف والضحية الفتاة، هذا عنف.

أحياناً تطلق المرأة لأسباب تافهة لعنف وقد يخسر الإنسان امرأته لأسباب تافهة، فالعنف كما قال عليه الصلاة والسلام: لا يأتي بالخير.

((عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ ))

يوجد بيوت جوها مريح وعفوي، لا يوجد تكلف أو تدقيق، أنا عندي قاعدة إذا وقعت المحبة رفعت الكلفة، الحياة مع التكلف لا تطاق، حياة مع القنص وأساسها النقص لا تطاق، الحياة فيها مودة وتسامح، النبي الكريم قال

((التمس لأخيك عذراً ولو سبعين مر))

نحن ولا مرة، قال: ولو سبعين مرة.

**((عن عائشة قالت: "قال النبي ﷺ: الرفق يمن، والخرق شؤم، وإذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق))**

(الإصدار لجلال الدين السيوطي)

الشؤم يسبب الشر، واليمن يسبب الخير، الخير معقود بالرفق، والشر معقود بالعنف، الرفق يمن، والخرق شؤم أي الحمق.

أحياناً تنهار إنجازات كبيرة من عدم الرفق، سمعت عن مشروع تقريباً من أندر مشروعات الشرق الأوسط، مشروع دوائي، وقع خلاف بين الشركاء على أسباب تافهة جداً، كان من الممكن أن يعود هذا المشروع بالخير الكبير الكبير على المنطقة كلها، وعلى الشركاء وكل العاملين في أمور الطب لأسباب نفسية مبعثها العنف بين الشركاء، صفي المشروع والآن يوجد خسارات كبيرة جداً.

العنف يهدم شركات ومنجزات أحياناً.

**((ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم))**

(الإصدار لجلال الدين السيوطي)

أخ سألني: وجدت رسالة من ابني إلى فتاة، هل أطرده من البيت؟ أضربه؟ أقنعه لا تكن قنعياً، كن مقنعاً، بالإقناع، بين له منهج الله، ومحاذير هذا.

أنا ذكرت لكم أنني كنت في العمرة في الفندق الذي أنا فيه أمام المصعد يوجد كتب كثيرة جداً موضوعة بشكل لطيف مكتوب فوق: خذ الكتاب اقرأه، أعدّه إلى مكانه، وجدت كتاب مكتوب عليه شريط بالفيديو، لفت نظري فأخذته وقرأته في الغرفة، القصة مؤثرة جداً، القصة تعد نموذجية لمخالفة حديث رسول الله: فتاة جامعية هكذا تقول: هي أساس القصة رسالة جاءت من السجن إلى دار النشر، هذه الدار طبعت هذه الرسالة على شكل كتيب من أربعين صفحة، وعنوان الكتاب شريط الفيديو، ملخص هذه الرسالة أن فتاة جامعية أرسلت قصتها إلى هذه الدار تقول: أنا فتاة جامعية خرجت من بيتي مرة تبغني شاب، أسمعي كلمات إطراق وما شاكل ذلك، فانزعجت أشد الانزعاج وارتجفت، ثم عنفته وتابعت سيرتي، تابع الكلام مرتين أو ثلاثة، عدت إلى البيت إذا هو يتصل بي هاتفياً ويعتذر منها لعله أزعجها، إلا انه قال: إنني أريد الزواج منك، وأنا راقبتك أسابيع كثيرة، وجدت الأدب

والكمال والعفة والحرص وما إلى ذلك.

تقول هذه الفتاة: هذه الكلمات أسعدتني كنت إذا خرجت من البيت وأنا أتمنى أن أراه في الطريق، اختلف الوضع، وكنت إذا عدت إلى البيت أنتظر أن يتصل بي، نشأت علاقة بين هذا الشاب وهذه الفتاة إلى درجة أنه استطاع أن يستدرجها إلى بيت !

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَامِي فِيكُمْ فَقَالَ: اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكُذِبَ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بِحَبْحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلِزِمِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ))

(مسند الإمام أحمد)

ولكن في هذا البيت لعله سقاها قهوة أو شاي وفيهما مادة مخدرة، والذي أُراده منها حصل، فلما صحت ورأت أنها انقلبت من فتاة إلى امرأة صرخت مذعورة، قال: إطمأني أنا سأ تزوجك، هذه الكلمة سكنت من روعها، وتابعت العلاقة به إلا انه في أحد الأيام تجهم في وجهها، قال لها: أنا معي شريط، قالت: ما الشريط ؟ قال: اذهبي لأريك مضمون الشريط، ذهبت معه، فإذا الذي تم بينه وبينها على شريط الفيديو، قال: هذا الشريط بإمكانني أن أجعل أهلك يذبحونك، فإن لم تتصاعي إلى أمري أطلعت أهلك عليه، صار يجمعها مع الرجال، كل يوم مع رجل، ويتقاضى من هؤلاء مبالغ طائلة، ولا يعطيها شيئاً أبداً، كل يوم تأتي جعلها عاهرة، هي خائفة من الشريط، ترسخ لأوامره من الشريط، ثم فجأة خطر له أن يؤجر الشريط، صار الناس يداولونه إلى أن وصل إلى ابن عمها، أعلم أهلها فهربت من البيت، الأهل باعوا البيت وانتقلوا إلى بلدة أخرى خوفاً من العار، وحدث بين الأهل ما لا تحمد عقباه، وتابع هو استغلالها إلا ان أرادت أن تقتله وقتلته، طعنته بالسكين، حكموا عليها ثلاثين عاماً، أرسلت هذه الرسالة إلى السجن، أنا قلت حينما قال عليه الصلاة والسلام:

(( لا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا ))

هذا كلام النبي، لو علمنا الفتيات لا يمكن أن تدخل فتاة بيت لا تعرفه فهذا منهج رسول الله، لماذا الدين ضروري؟

قال: يا بني العلم يحرسك وان تحرس المال.

مرة سائق تكسي ركبت معه امرأة قال لها: إلى أين يا أختي؟ قالت: إلى حيث تريد، فهم مرادها وعد هذا غنيمة كبيرة وانتهى به الأمر إلى رسالة أعطته إياها، قالت له في هذه الرسالة: مرحباً بك في نادي الإيدز، نقلت له هذا المرض، أعطته خمس آلاف دولار مزورة، دخل من أجلها السجن، لماذا يجب أن نحضر مجالس العلم؟ كي نعرف أمر الله،

خواننا الكرام: الله ضمان لسلامتنا، وليس حداً لحريتنا، أنا اضرب مثل دائماً: إذا كنت في حقل، وقد رأيت لوحة انتبه حقل ألغام، هل تتابع السير؟ هل تحقد على من وضع اللوحة؟ لا بل تشكره، هل تعد هذه اللوحة تقليداً لحريتك؟ لا إنها ضمان لسلامتك.

لذلك إذا فهمت أمر الله ونهيه أنه ضمان لسلامتك فأنت فقيه في الدين، هذا هو فقه الدين.

تصور هذه الأسرة التي دمرت والتي فضحت، وهذه الفتاة كان من الممكن أن تكون زوجة إنسان لامع جداً، كان من الممكن أن تكون امرأة شريفة فاضلة لأنها ما عرفت منهج الله، وعرها الشيطان، وانسأقت وراء كلماته المعسولة، فأصبحت مومس، أصبحت فتاة عاهرة، والمجتمع يلفظها.

((عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ، رَفُوقٌ بِالضَّعِيفِ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَمْلُوكِ))

(سنن الترمذي)

الآن نريد من رسول الله موقف عملي، هذه كلها أحاديث نظرية، العملي قال:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))

(صحيح البخاري)

ممكن إنسان أن يسبب أذى لمسجد ؟ بال في المسجد، والأصحاب الكرام لغيرتهم على هذا المكان الطاهر أرادوا أن يقعوا فيه.

وذاة مرة أحد علماء الشام المشاهير كان مع إخوانه في بستان، وكان البستان قد سقي من الماء، فأصبح الطريق فيه وحلاً، جاء إنسان يركب دابة ولا يهتم بأمر الناس، والطين يتطاير من أقدامها، فصاحوا به كثيراً ولم يرتدع حتى أصاب الطين الشيخ وإخوانه، فيمكن أن أحد الأخوان لم يستطع التحمل فقام ووقع فيه، فقال هذا الشيخ الجليل: ما أفلح قوم لا سفيه لهم. فقام هؤلاء الصحابة الكرام يقعوا فيه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((دَعُوهُ وَهَرِيْقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ دُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبْتَلِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعْتَبِرِينَ))

تطبيق عملي:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا))

(صحيح البخاري)

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا))

(صحيح البخاري)

ما انتقم لنفسه إطلاقاً ! ولا اختار إلا الأسهل إلا أن يكون إثمًا، هذا من رفق رسول الله، هذه السنة العملية.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيْنٍ سَهْلٍ))

(سنن الترمذي)

المؤمن يألف ويؤلف، فلا خير في من لا يألف ولا يؤلف.

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَشْجُ إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمَ وَالْتُّودَةَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْيَاءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَمْ شَيْءٌ حَدَّثَ لِي؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ شَيْءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ))

(سنن ابن ماجه)

هناك قاعدة: أحياناً يغضب الإنسان، أنا أنصح الأخوة جميعاً أن لا تتخذ قراراً وأنت غضبان، أرجئ القرار لبعده أسبوع دائماً، عندما تجد أن الأمور قد هدأت، وارتاحت أعصابك، وأصبح تفكيرك صحيح، الميزان أصبح دقيق، المتراجحات أصبحت واضحة، إياك أن تتخذ قراراً وأنت غاضب.

فذلك

((تَحْرُمُ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ))

التأني من الله، والعجلة من الشيطان، الشعور بالندم لا يطاق ولا يحتمل

((عن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس؛ فيقال: انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة؛ فيقولون إلى أين؟ فيقولون إلى الجنة؛ قالوا قبل الحساب؟ قالوا من أنتم؟ قالوا أهل الفضل؛ قالوا وما كان فضلكم؟ قالوا كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا سيء إلينا عفونا؛ قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين))

(الإصدار للإمام القرطبي)

((حديث علي "إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم، وإنه ليكتب جباراً عنيداً ولا يملك إلا أهل

بيته))

(الإصدار للحافظ العراقي)

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَزَّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))

(صحيح البخاري)

لو كان مع غيره لكان قد ذهب، أمر له بالعطاء.

((عن عائشة "سمعت رسول الله ﷺ يقول: وجبت محبة الله على من أغضب فحلم"))

(للإمام جلال الدين السيوطي)

الحديث الذي قبل الأخير:

((ابتغوا الرفعة عند الله، تحلم عن جهل عليك، وتعطي من حرمك))

(الإصدار للمقي الهندي)

في الجاهلية كان في شيء آخر وهو: ألا لا يجهل أحد علينا، فنجهل فوق جهل الجاهلين، هذا سلوك جاهلي.

الحديث الأخير:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))

(صحيح البخاري)

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (073 - 127) : الفتن - آخر الزمان

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-06-1997

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و ارزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين

أيها الأخوة الكرام:

قفزت إلى ذهني حكمة متعلقة بتناول الطعام، هذه الحكمة اجلس إلى الطعام وأنت تشتهيهِ ودعه وأنت تشتهيهِ، هذه حكمة بالغة في تناول الطعام، اجلس إليه وأنت جائع وقم عنه قبل أن تشبع، أحياناً يطرح موضوع في درس الأحد أول درس ثاني درس ثالث درس أشعر أن الأخوة الكرام تأثروا تأثراً شديداً، أصل إلى الدرس الرابع أو الخامس أشعر أنهم وصلوا إلى حد ما قبل الإشباع فأدع هذا الموضوع إلى وقت آخر وندخل في موضوع جديد، الحكمة من ذلك أن نكون دائماً في تجدد، وأن نأخذ من موضوعات الفقه ومن أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ما نحن في أمس الحاجة إليه.

الحقيقة في كتاب صحيح البخاري وهو من أصح الكتب بعد القرآن الكريم باب الفتن، وفي هذا الباب أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ فيها ما يدهش، إنسان قد يستوعب عصره، قد يستوعب ثقافة عصره، وقد يتتبع أخبار الأمم السابقة أما أن يكشف لك المستقبل إلى نهاية الدوران طبعاً هذا ليس من عند النبي، قال تعالى:

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾

[ سورة الجن ]

فالذي أخبرنا عنه النبي عليه الصلاة والسلام عن أحوال آخر الزمان ليس من عنده لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولكن الذي أخبرنا عنه النبي عليه الصلاة والسلام هو من عند الله، لأن كل ما تكلم به النبي لا ينطق به عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

من أجمع الأحاديث المتعلقة بآخر الزمان والذي ينضوي تحت كتاب الفتن في صحيح البخاري أن أبا إدريس الخولاني يقول:

((عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))

[ البخاري . أبي داود . ابن ماجة . أحمد ]

هذا منهج أيضاً أين هناك ؟ أين الأخطار ؟ أين مكامن الشر ؟ أين المنزقات ؟ قد تسأل عن الخير وهذا شيء طبيعي وطيب لكن ينبغي أن تبحث عن الخطر أين يكمن الخطر ؟ أين يكمن المنزلق ؟ متى تزل قدمي ؟ ما الذي يجذبني إلى المعصية ؟

((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))

لأن الخير لا يسبقه لكن الشر يدركه، الخير مع الإنسان، الخير لا يسبق أما الشر يدرك.

((فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ))

في جاهلية زنا، خمر، ربا، ظلم اجتماعي، كبر، عتو عنجهية، اقتتال لأسباب تافهة، عصبية عمياء، يعني يمد أحدهم رجله يقول من كان أشرف مني فليضربها، يقوم إنسان فيضربها فتتشب حرب تدوم عشر سنوات، أسباب تافهة جداً حروب طاحنة غزو، ونهب، وسلب، وخمر، وزنا، كانت المرأة تتقلب بين عشرة رجال، وكان أحدهم بكل بساطة يقول لامرأته اذهبي إلى فلان فاستبضعي منه شيء لا يصدق، فوضى بالجنس لا توصف، فوضى بالأخلاق، الخمر شيء في دمهم تمشي، الربا الفاحش، القهر.

((فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ))

جنئنا أنت نعرف أمانتك، وعفافك، وصدقك، نعرف نسبك دعوتنا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد أبائنا من الحجارة والأوثان، أمرتنا بصدق الحديث، أداء الأمانة، صلة الرحم، حسن الجوار، الكف عن المحارم والدماء، جاءنا خير دللتنا على الله عبدنا الله أطعناه أقبلنا عليه، شرفت قلوبنا بذكره، سعدنا، اطمأننا اغتبتنا، تصادقنا، تحاببنا.

((فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟))

بعد أن جاء الوحي وأنزل القرآن وبين النبي معاني هذا الكتاب والتف العرب حوله وفتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجاَ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

((قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟))

نحن كنا في جاهلية وشر جاءنا الله بك أصبحنا بخير، هل بعد هذا الخير من شر نعم.

((قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ))

الدخن يعني دخان، جو غير صافي، اللون غير صافي لون قريب من السواد، سواد فاقع أو لون رمادي داكن، الدخن الحقد، القلوب غير صافية، العلاقات غير نظيفة، في صلاة وفي صوم وفي حج وفي مساجد وفي قرآن وفي كل شيء ولكن لا يوجد صفاء، لا يوجد حب، لا يوجد علاقات نقية جداً، لا يوجد اندفاع شديد إلى الله

((قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى))

تركت السنة، ترك الهدى الذي جاء به النبي، قلنا الغربيين تتبعناهم، اعتزنا بهم، لو دخلوا جحر ضب لدخلناه، لا نعتر إلا إذا كان الشيء عن الغرب، تقاليدنا، عاداتنا، احتفالاتنا، أفرحنا أترحنا، لباسنا، ثيابنا، كل مظاهر حياتنا مقتبس من الثقافة الغرب

((قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ))

يصلون أما لقاءاتهم مختلطة، يصوموا، أما دخلهم حرام، يحجوا أما عقيدتهم زائغة، يدخلون إلى بيت الله جميعاً أما في بغضاء، في تحاسد، في طعن، وفي نفوس مريضة.

((قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ))

في شيء جيد وشيء سيئ، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً هؤلاء أمرهم إلى الله، ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخط من هو المخط؟ هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، حديث رائع جداً.

((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهِذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ قَوْمٌ يَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ))

شيء تعرفه من الشرع وشيء ليس من الشرع، شيء فعله النبي وشيء ما فعله النبي، شيء جاء به القرآن وشيء لم يأت به القرآن.

((تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ))

ولكن يبدو الشر متعاطم.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ))

دعوة إلى المعصية، دعوة إلى الإباحية، دعوة إلى اغتصاب الأموال، دعوة إلى القهر والظلم.

((دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا))

ما أكثر الدعاة إلى النار، ما أكثر الدعاة إلى المعاصي والآثام ما أكثر الدعاة إلى الفحش والتفحش، ذكرت لكم في درس سابق أن حول الشام ما يزيد عن ثلاثة وستين نادي ليلي ما في هذه النوادي؟ يقومون الليل، يصلون، يقرءون القرآن أم يرتكبوا المعاصي والآثام؟ ذكرت لكم أيضاً أن في هذه البلدة كما سمعت من أحد الأخوة الكرام

الدعاة واستفهمت منه بالهاتف يعني عدد كبير جداً من بيوت الدعاة نعم

(( دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قُدُّوهُ فِيهَا ))

هذه الصحون في بناء واحد كما سمعت أكثر من ستة عشر صحناً في بناء واحد، ما في هذه الصحون ؟ فقط من أجل أن يروا الصلاة في الكعبة هكذا يقولون يعني في قلبهم حرقاً لا حدود لها من أجل أن يرى الصلاة في الكعبة، اشتراه ودفع هذا الثمن الباهظ لهذا الهدف فقط، والله يعلم السرائر .

(( دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قُدُّوهُ فِيهَا ))

أيها الأخوة الكرام:

أنا أعني ما أقول، جاء رجل إلى أحد خطباء المساجد واني أحترمه كثيراً وقال له: حدثت معي هذه القصة أرجوك أن تذكرها على المنبر، وذكرها على المنبر: أب وزوجته وأولاده يتناولون طعام العشاء ويتابعون المحطات التي تأتي عبر هذه الصحون والتي كلما اتسعت ضاقت صحون المائدة، يبدو أن محطة ساقطة فيها فيلم إباحي ما إن ظهر على الشاشة حتى حول الأب المحطة إلى غيرها لكن أحد أبنائه عرف رمزها وتجاهل وبدأ أمام أبيه يعني شاب بريء جداً براءة الأطفال في عينيه، وبعد أن آوى الأب والأم إلى فراشيها قاما إلى هذا الجهاز وقلبا محطاته حتى عثرا على هذه المحطة وهاج بهما الهياج إلى أن سمع الأب أنيناً في الغرفة المقابلة استيقظ ليجد الذي لا يحتمل، ليصعق، ليجد ابنه فوق ابنته وذكر هذا لخطيب مشهور ورواها على المنبر، وأعتقد أن هذا يقع كثيراً.

(( دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قُدُّوهُ فِيهَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جَلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنِّ ))

يعني يتكلمون العربية، جلدهم من جلدنا، من قومنا.

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ:

((فَمَا تَرَىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ))

طبعاً هذا الحديث له تقاسير كثيرة جداً، يعني التفسير القريب يعني كن مع المؤمنين، آوي إلى مسجد، آوي إلى جماعة طاهرة جماعة تقية، جماعة مخلصه، انضم إليهم الجماعة رحمة والفرقة عذاب، استأنس بهم، تقوى على دينك بصحبتهم، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) ﴾

[ سورة التوبة ]

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً (28) ﴾

[ سورة الكهف ]

((أَلَيْسَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَمَا تَرَىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ))

لابد لك من جماعة صادقة مؤمنة، عفيفة، طاهرة، مخلصه بعيدة عن أمور الدنيا، بعيدة عن المصالح، بعيدة عن الرغائب تبتغي وجه الله، هؤلاء كن منهم، كن معهم، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: .. يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شِدَّةً إِلَى النَّارِ))

[ الترمذي ]

((قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَمَا تَرَىٰ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: تَلَزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا))

يعني في بلدة لا يوجد فيها دروس، في بلاد كثيرة لا يوجد فيها دروس.

((قَالَ: فَأَعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا))

هذه الفرق الضالة المضلة، والمنحرفة الشاردة، التائهة، التي تقترى على الله الكذب، التي تأتي بشيء ليس من الدين، التي تلغي بعض الدين، هؤلاء الذين يحاربون الإسلام بتفجيره من داخله باصطناع نماذج إسلامية وهي ليست كذلك.

((قَالَ: فَأَعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا))

يعني معقول أناس يهاجمون قريةً يذبحون تسعين رجلاً وامرأة ويبقرون بطون الحوامل، ويقال عنهم في الأخبار إنهم الأصوليون المسلمون هذا عمل إسلامي؟ هذا عمل إجرامي من يرضى به هذا لو عرضته على أهل الأرض قاطبةً على مليار ومئتين مسلم هل يقبله هذا هو الدين، الدين قتل، الدين جريمة، الدين بقر امرأة حامل الدين قتل طفل صغير.

((قَالَ: فَأَعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا))

هذه الفرق التي تشوه الدين، تمسخ الدين، تزور الدين، تضيف عليه ما ليس منه، تؤول تأويلاً منحرفاً، هي التي تجهل هؤلاء.

((قَالَ: فَأَعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

طبعاً الإنسان أحياناً يكسب مكاسب كبيرة إذا كان مع أناس منحرفين، يضمّنوا له بيت، مركبة، مركز، إياك

((اعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا))

نسمع من حين إلى آخر أنه يوجد عبدة شيطان وهذه انتشرت في معظم البلاد الإسلامية، يعني شيء لا يقبله منطق، لا يقبل منطقاً ولا خلقاً، ولا ديناً ولا ذوقاً إطلاقاً.

((عَتَزَلْ تِلْكَ الْفَرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ عَلَى أَضَلِّ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

يعني إذا كان موقفك الشريف، النبيل منعك من المكاسب المادية اقبل خشونة الحياة ولا تكن عوناً لهؤلاء على الفساد والإفساد.

مرة قال لي أخ وله أخ مقيم في بلد غربي ما وظيفته ؟ وظيفته أنه يجري تعديلات على الأفلام الإباحية، إنسان أحياناً يكون عمله كله معصية، مبني عمله على معصية، على إفساد على إيذاء على إيقاع الشر، على ابتزاز الأموال، عملك شيء خطير جداً، ابحث عن حرفة شريفة.

((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرَّمَ))

[ ابن ماجه ]

(( إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله عباد الله وأجملوا في الطلب واستجملوا مهتمكم))

((حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

يعني يجب أن توطن نفسك على أن تعيش حياةً خشنة من أن تكسب ما لا حراماً يجب أن توطن نفسك على أن تعيش حياةً خشنة من أن تكون أداة بيد الأشرار، يجب أن توطن نفسك على أن تعيش حياةً خشنة من أن تكون عوناً على إفشاء الضلال والمعصية، هذا الحديث أيها الأخوة من أخطر الأحاديث.

((أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولًا كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ نَعَمْ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَسْتَنْوُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي))

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)﴾

[ سورة الأنفال ]

يعني إذا كانت سنتك في حياتهم مطبقة ما كان الله ليعذبهم، لو أنهم لم يطبقوا سنتك واستغفروا ربهم ولزموا ورجعوا أيضاً هم في بحبوبة ثانية بحبوبة المغفرة.

((قَالَ: قَوْمٌ يَسْتُنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرِّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا))

قرأت في الجريدة أنه السلطات في تركيا منحت امرأة أعلى وسام تركي من الدرجة الممتازة لأن هذه المرأة حققت أكبر ضريبة نالتها الخزينة، ماذا تعمل هذه المرأة؟ تدير أكبر شركة دعارة في العالم استحققت وسام من الدرجة الأولى، كيف بكم إذا أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً، الأصل الشر، الأصل هي المعصية.

((فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرِّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَسْنَتِنَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ، قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا قَالَ فَاعْتَرِزْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعْصَى عَلَى أَضَلِّ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))

[ البخاري . أبي داود . ابن ماجة . أحمد ]

هذا حديث شريف صحيح ورد في البخاري عن أحوال آخر الزمان لذلك النبي قال: اشتقت لأحبابي، قالوا: ألسنا أحبابك قال: لا أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أجرهم كأجر سبعين قالوا: منا أم منهم؟ قال بل منكم، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون "

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ))

[ الترمذي ]

((عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصْبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةٌ))

[ النسائي ]

العصبية انحياز أعمى، قال الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

الانحياز الأعمى إلى أمة أو إلى قوم، ولو كانوا منحرفين، ولو كانوا ضالين مضلين أنا معهم على الحق أو على الباطل

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ))

غير واضحة الإسلام واضح، الإسلام يعمل تحت أشعة الشمس كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنِ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ يَقُولُ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِعَ فَمَادًا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكَتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لِنَيْلِهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا))

[ الترمذي . أبي داود . أحمد . الدارمي ]

ذكرت لكم كثيراً أننا لو اخترنا أكبر جامع في الشام الأموي وقد يتسع إلى مئة ألف مصلي واخترنا أعظم خطيب في الشام وألقى على هؤلاء خطبةً من أروع الخطب لكن الأبواب مغلقة فالصلاة باطلة لماذا ؟ لأن دين الله لكل الخلق، دين مغلق لا يوجد، شيء لا يقال للعامة لا يوجد، دين الله، الحق لا يخشى البحث، ولا يستحيا به ولا يحتاج إلى أن تكذب له، ولا إلى أن تكذب عليه، ولا يحتاج إلى تضخيم، ولا إلى تقليل من شأن خصومه، الحق حق هو أعظم من ذلك وأجل من ذلك، لذلك الإسلام أممي، الإسلام يلقي على رؤوس الأشهاد لأنه دين الله عز وجل.

## ((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ))

يعني تحت راية، مبدأ غير معروف، قتل في سبيل مبدأ وضعي من صنع البشر ما أنزل به قرآن، يعني دعوة ضبابية، دعوة غير واضحة، دعوة غير متماسكة، دعوة غير قوية، دعوية ينقصها دليل، هؤلاء الذين يعبدون الجردان، الذين يعبدون البقر، يعبدون النار، ومعظم الناس الذي يعبد شهوته، قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا (43)﴾

[ سورة الفرقان ]

## ((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ))

من علامات آخر الزمان:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتَلَ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيْمَ قُتِلَ فَقِيلَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ الْهَرْجُ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ))

[ مسلم ]

يقول لك مائة ألف جرحوا في ليلة واحدة، في جنوب إفريقيا خمسة مئة ألف بأيام ذبحوا، نصف مليون مياه النيل تبدلت

((يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتَلَ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيْمَ قُتِلَ))

يوم يدوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير .

((مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَدْعُو عَصْبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ))

قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْصُرْ أَهْلَكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ))

[ الترمذي . أحمد ]

يعني المؤمن ودوداً مع كل الناس لكن حبه وولائه لله عز وجل هناك رواية أخرى لهذا الحديث:

((عَنْ أَبِي سَلَامٍ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِبَشْرٍ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَفَحْنُ فِيهِ فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايِي وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسِي))

يعني القلب شيطان، المظهر إنسان، أو ذئب في صورة إنسان ضبع في صورة إنسان، ثعلب في صورة إنسان، يعني وحش في صورة إنسان.

((قَالَ: قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ))

[ البخاري . أبي داود . ابن ماجة . أحمد ]

الحكم الشرعي لا تنهى عن منكر إذا نتج عن ذلك فتنة هي أشد من المنكر نفسه، وهذا ما يقع، الإنسان يجب أن يختار أهون الشرين لو أنكرت منكراً ونتاج عن هذا المنكر فتنة أشد ألف مرة من المنكر الذي تنكره، يروون قصة مشهورة كثيراً أن سيداً عنده عبد رأى على رأس سيده ذبابة فقلق من أجله فأمسك صخرة وضرب سيده بها من أجل أن يقتل الذبابة فسحق رأسه ممكن، هل يمكن من أجل أن تقتل ذبابة على رأس إنسان أن تسحق رأسه، هذا ما يفعله بعض الناس حروب أهلية تدوم عشرات السنين، المنكر لا ينكر إلا إذا كانت النتيجة إلى خير، أما إذا أدى الإنسان المنكر إلى فتنة أشد من المنكر الذي تنكره عندئذ وقعت في فتنة كبيرة.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فُقِتِلَ فُقِتِلَ جَاهِلِيَّةً وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

[ النسائي . ابن ماجة . أحمد ]

يعني الشيء المعروف لما الإنسان عندما يفصل عن جماعة المؤمنين ويفك يده من طاعة من عاهده على الطاعة، ويفارق الجماعة يموت ميته الجاهلية.

(( وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً فُقِتِلَ فُقِتِلَ جَاهِلِيَّةً وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْ ))  
أيها الأخوة الكرام:

أحاديث كثيرة وردت في صحيح البخاري عن فتن آخر الزمان ومن هذه الأحاديث أيضاً:

((وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

فكل إنسان سلك طريقاً ملتويماً طريق الجريمة والانحراف والعنف بلا مبرر ينطبق عليه هذا الحديث:

((وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ))

((حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَاصِمٌ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: اطْرُحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَتِكَ لِأَجْلِسَ أَتَيْتُكَ لِأَحَدِثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيًّا))

[ أحمد ]

يعني مثيروا الفتن، والاضطرابات، وهذه الفتن تنتهي بقتل الأبرياء وسفك الدماء هؤلاء يموتون ميتة جاهلية.

أيها الأخوة:

في بعض الأحاديث أيضاً وشرحها قيل:

((في آخر الزمان يكون بعد أئمة يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي))

((قَالَ: قَوْمٌ يَسْتَنُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي))

هناك من يدعو الآن إلى كتاب الله وحده من دون السنة ويصف السنة بأنها فهم مرحلي من رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يعتدون بها، هناك دعوة إلى إلغاء السنة، هناك دعوة إلى الاكتفاء بالقرآن الكريم، ومن يدعو بهذه الدعوة يخالف نص القرآن الكريم لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

[ سورة الحشر ]

أحكام كثيرة جداً لا نعرفها إلا من رسول الله، أنصبه الزكاة من أين أتينا بها ؟ قال تعالى:

﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾

[ سورة المجادلة ]

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) ﴾

[ سورة التوبة ]

أما تفاصيل الزكاة، مصارف الزكاة، أنصبة الزكاة، ملابسات الزكاة هذه من بينها ؟ إلا النبي عليه الصلاة والسلام، فهذه الدعوة إلى إلغاء السنة دعوة خطيرة جداً، وأما قول النبي عليه الصلاة والسلام:

**((تعرف منهم وتنكر))**

معنى هذا أنه في شيء مقبول وشيء غير مقبول، مع أن منهج الله عز وجل لا يمكن أن نقطف ثماره إلا إذا طبقناه بكامله من جميع جوانبه، وفي شرح بعض هذه الأحاديث: أنه من أنكر المنكر براً ومن كره سلم.

يعني المنكر يجب أن تنكره فإذا شهدت معصيةً وأنكرتها كمن غاب عنها، ومن غاب عن معصية فأقرها كان كمن شهدها، إذا أنت لابد لك من البراء والولاء، البراء والولاء.

قال ابن مسعود وصى من سأله عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عن أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أمتي لا تجتمع على ضلالةٍ فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم ))

[ ابن ماجه ]

النبي عليه الصلاة والسلام معصوم بمفرده، بينما أمته معصومة بمجموعها، ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام عليكم بالجماعة قال قوم المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجةً على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين، يعني عليكم بالجماعة من الجماعة ؟ دهاء الناس لا، سوقتهم، لا، رواد الملاحية، لا، إذا قال النبي الكريم عليكم بالجماعة فسرره الصحابة الكرام المراد أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين.

وفي شرح آخر للحديث الأول، إن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم، يعني إذا فرقة ضالة، منحرفة ماجنة، لو حقق من خلالها مكاسب كثيرة إن مت فقيراً عاضاً على أصل شجرة خير لك من أن

تتبع أحداً من هؤلاء.

وفي أيضاً في شرح للحديث الأول، أنهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في أجسام إنسية، يعني الجسم إنسية يعني الجسم إنسي أما القلب شيطاني.

أيها الأخوة الكرام:

سقت لكم هذه الأحاديث لأبين لكم أن النبي ﷺ أطلع الله على بعض الغيب الذي يكون في آخر الزمان، وهذا الاطلاع فائدته الكبيرة أنه يقي، وفي تحذير، فنحن كما فهمنا من هذه الأحاديث الشريفة علينا أن نبقي، وأن نلزم طاعة الله وطاعة رسوله، وأن نكون مع أخوتنا المؤمنين الذين أمرنا أن نكون معهم قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (28)﴾

[ سورة الكهف ]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)﴾

[ سورة التوبة ]

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (074 - 127) : آخر الزمان - مزايا الصحابة الكرام

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1997-06-29

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام:

ورد في صحيح مسلم:

((عن ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَجِدُونَ النَّاسَ كَابِلِ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً))

ما الراحلة ؟ قطيع من الإبل يعد مائة تبحث عن راحلة فقد تجد فيها واحدة، ما معنى هذا الكلام ؟ معنى هذا الكلام أو قبل أن نشير إلى معنى هذا الكلام الراحلة النجيبة المختارة من الإبل كاملة الأوصاف فإذا كانت هذه الراحلة في إبل عرفت، أي التسوق قليل، الصدق قليل، الزهد في الدنيا و طلب الآخرة قليل، الالتزام الكامل قليل، أن يتقي الإنسان ربه حق ثقاته قليل، أن يكون صادقاً مائة في المائة قليل، فإذا كنت بطلاً فكن من هذا القليل، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

(سورة الأنعام )

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ﴾

(سورة يونس )

فسر نجاحك و سر تفوقك و سر فلاحك و سر فوزك لا أن تكون مع الأكثرية المقصرة، مع الأكثرية الشاردة، مع الأكثرية المحجوبة عن ربها، لا أن تكون مع الأكثرية التي انغمست في حب الدنيا، كن مع الأقلية، كن مع هؤلاء القليل، قال تعالى:

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)﴾

(سورة هود)

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

(سورة ص)

فالإنسان أحياناً يتبع الكثرة، يتبع الخط العريض في المجتمع، يتبع التيار العام، ليس هذا بطولة، هذا الذي يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت و إن أساءوا أسأت ليست هذه البطولة، البطولة أن تكون من القلة التي عرفت سر وجودها و غاية وجودها، التي عرفت ربها، التي اتبعت منهج ربها، التي حرصت على التقرب منه، التي جعلت المال وسيلة و لم تجعله غاية، التي جعلت المرأة وسيلة إلى رضوان الله و لم تجعلها غاية:

((تَجِدُونَ النَّاسَ كَابِلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا ))

الراحلة كما قلت قبل قليل النجبية المختارة من الإبل كاملة الأوصاف التي إذا وجدت في إبل عرفت، لذلك يشير بعض شراح الحديث إلى أن المعنى: الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب بل هم أشباه الإبل المائة لكن المؤمن وحده هو المتفوق، لكن الملتزم وحده هو المتفوق، لكن المؤمن يُعرف من بين الآلاف المؤلفة بصدقه، المؤمن يعرف من بين المئات باستقامته، يُعرف من بين الكثرة الكثيرة بإخلاصه، بمنهجيته، بتطبيقه لمنهج الله عز وجل، و قالوا هذه الراحلة تمثل الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها و الراغب في الآخرة هؤلاء أيضاً قلة قليلة، و قال بعض شراح الحديث هذا الراحلة التي شبه بها النبي المؤمن هذه الراحلة كاملة الأوصاف، حسنة المنظر، قوية على الأحمال و الأسفار، يجعل عليها الرجل فهي فعالة نافعة، لينة، خاضعة، هذا معنى الحديث الشريف أي الملخص لا تكن مع الكثرة، الكثرة تتبع سرعات الأزياء، يهودي في فرنسا يرسم ما ينبغي أن ترتدي نساء المسلمين فهذا هو الذي ينبغي أن نلبسه هكذا يقول بعض المسلمين المتفلقين، فينبغي لا أن تكون مع الكثرة، لا أن تكون مع الخط العريض، لا أن تكون مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت و إن أساءوا

أسأت، ينبغي أن تكون مع الحق، ينبغي أن تكون مع منهج الله عز وجل، إذاً هذا الذي يستأنس بأنه مع المجموع هذا عنده ضعف في اليقين، لو تتبعته أحوال الناس، لو أن شيئاً شاع بين الناس، أي آلاف مؤلفة، ملايين مملينة تتبعه أما القلة القليلة من المؤمنين تجتنبه فالعبرة لا أن تكون مع الكثرة بل أن تكون مع القلة، مرة اختلف ملك مع عالم فحكّم الوزير بينهما الملك فالوزير وقع في موقف حرج قال: أيها الملك إن الأكثرين يرون رأيك و يقصد أن الأكثرين تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (36)﴾

(سورة يونس)

هذا ينقلنا إلى موضوع أحرص عليه حرصاً بالغاً لأنه متعلق بأصل عقيدتنا و هو أن النبي ﷺ كما ورد في صحيح مسلم يقول:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ. ))

هذا الحديث ورد بروايات كثيرة سأضع بين أيديكم هذه الروايات و بعدها نشرع في شرح الحديث.

الرواية الثانية:

((عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ ))

في رواية ثالثة:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثَتْ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَذْكَرَ الثَّالِثِ أَمْ لَا قَالَ: ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا))

و في رواية رابعة:

((سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمْ السَّمَنُ))

و الرواية الأخيرة:

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ))

هذه كل الروايات التي وردت في صحيح مسلم.

ماذا نستفيد و لماذا ذكر النبي هذه الحقائق أن خير القرون قرنه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ؟ و خير كما تعلمون اسم تفضيل.

أولاً: لكرامة النبي عند الله عز وجل اصطفاه و اختار له أصحابه الكرام فأحد أكبر كرامات النبي على الله أنه جمعه بأصحاب كرام يعرفون قيمة دعوته و ينصرونه و يفدونهم بأموالهم و أنفسهم.

الشيء الثاني: أن هذا النبي العظيم الذي هو سيد الخلق أجمعين آتاه الله الوحي المبين فجعل أصحابه ممن يفهم هذا الوحي العظيم و يطبقوه ليكونوا استمراراً لدعوته العظيمة.

الشيء الثالث: هو أن الذين عاصروا أصحاب رسول الله هم أيضاً من خيرة البشر.

الشيء الرابع: هو أن الذين عاصروا من عاصر أصحاب رسول الله هم أيضاً من خيرة البشر فالنبي عليه الصلاة و السلام:

### ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾

(سورة النجم)

يؤكد أن خير القرون على الإطلاق قرنه و أن بعد هذه الخيرية من جاء بعد أصحابه أي التابعين و أن خير هؤلاء أيضاً بعد هذين الفريقين من جاء بعد التابعين، فصحابة النبي و التابعين وتابعوا التابعين، تسمعون مني في بعض الأحاديث و يُسمع منكم و يسمع من يسمع منكم، عندنا أصحاب رسول الله و عندنا التابعين و عندنا تابعوا التابعين، الآن قبل أن نشرح هذه الأحاديث التي وردت بصيغ مختلفة لابد من أن نقف وقفة متأنية عند دلالات هذه الأحاديث.

أولاً: لو أن إنساناً طلع علينا الآن بفهم لكتاب الله ما فهمه أصحاب رسول الله هذا الفهم ينبغي أن يرد هذا الفهم لأن خير من فهم كلام الله هم أصحاب رسول الله، و لأن خير من طبق كلام الله هم أصحاب رسول الله، لذلك أحد مقاييس فهم القرآن الكريم أن نفهمه فهماً وفق ما فهم أصحاب رسول الله و التابعين و تابعوا التابعين و بعد ذلك كل إنسان يُؤخذ منه و يرد عليه، كلما أعمل أحد فكره و أراد أن يحدث في الدين شيئاً جديداً لابد من أن نسأله من أين جئت بهذا ؟ نحن عندنا قاعدة دقيقة جداً في منهج البحث هذه القاعدة: إن كنت ناقلاً فالصحة، مدعياً فالدليل، أما أن تدع الدليل إن تركت الدليل لا قيمة لأي كلام تقوله لولا الدليل لقال من شاء ما شاء:

((عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَاَنْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ))

ابن عمر قال: دينك دينك إنه لحمك و دمك خذ عن الذين استقاموا و لا تأخذ عن الذين مالوا.

أيها الأخوة الكرام:

آلاف الفرق الضالة، آلاف الفرق المنحرفة، آلاف الفرق التي زاغت عقيدتها و انحرف سلوكها و هي ترفع أعلام الإسلام، وهي تدعي أنها تنتمي لهذا الدين، فنحن في آخر الزمان أمام ركام من المقولات التي تقال تحت اسم الدين و الدين منها براء، أي أنت لو أنك أمام مئات القطع الصفراء اللامعة و هذه القطع الصفراء اللامعة منها ما هو ذهب بأعلى نسبة أربعة و عشرون، و منها ما هو ذهب بمعيار واحد و عشرون، و منها ما هو ذهب بمعيار ثمانية عشر، منها ما هو ذهب بمعيار ستة عشر، منها ما هو ذهب بمعيار أحد عشر، منها ما هو نحاس مغطى بالذهب، منها ما هو نحاس ملمع، منها ما هو معدن أصفر خسيس، و قلنا لك اختر من هذه

القطع ما يحلو لك ؟ بريك متى تكون فائزاً و ذكياً و فالحاً و متفوقاً ؟ إن استطعت أن تختار من هذا الركام، من القطع الصفراء اللامعة أن تختار ما كان منها ذهباً خالصاً إذا أنت إلى ماذا تحتاج ؟ تحتاج إلى جهاز يكشف لك نسبة الذهب في هذه القطعة، هذا المقياس يجب أن نبحت عنه، أوسع هذا المثل، نحن أمام ركام لا يحصى من المقولات الدينية أكثرها مغلوطة، أكثرها تزوير أكثرها افتراء على الدين، أكثرها انحراف، أكثرها جر النصوص إلى المنافع و الأهواء، أكثرها تأويل النصوص بما يتناسب مع الرغبات و المصالح، كيف أبحث عن أصل الدين؟ و كيف أصل إلى أصل الحقيقة؟ و كيف أصل إلى ما كان عليه النبي و أصحابه ؟ و كيف أكون من الفرقة الناجية ؟ هنا المشكلة، أن تصل إلى المنهج القويم الذي سار عليه سيد المرسلين، قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

(سورة هود)

لذلك أيها الأخوة عملية البحث عن الحقيقة أعظم عمل تقوم به أنت عملية أن تضع يدك على سنة رسول الله الصحيحة التي قالها و فعلها و اتصف بها و أقرها، لذلك الحديث الأول:

(( يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيُكْمَ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ: فَيُكْمَ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيُكْمَ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ))

الفنم من الناس الجماعة من الناس، لو أن أحدكم سألني ما هذا الفكر الذي يطرح و هو فكر منحرف بعيد عن صحة العقيدة و عن سلامة النهج ؟ أقول لك: هناك من يريد إلغاء السنة النبوية بدعوى أنها فهم مرحلي من قبل النبي عليه الصلاة و السلام، أي انقضى أمده و انتهت علته و علينا أن نفهم القرآن فهماً جديداً ما فهمه أصحاب رسول الله، و ما أكثر الكتب التي تطرح في الأسواق و التي تحاول أن تقجر الدين من داخله، لا تحاول أن تهاجمه بل تحاول أن تقجره من داخله، هذا الحديث الشريف الصحيح هو الذي يرد على هؤلاء جميعاً يعني أي فهم لكلام الله، مثلاً قوله تعالى:

## ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾

(سورة الحج)

هم لا يصلوا إذاً لماذا؟ لأن الله لم يمكنهم بعد، هذا فهم منحرف، و قوله:

## ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾

(سورة آل عمران)

يقول لك: هناك فتوى بقطر عربي إسلامي كبير أن كل الأموال إذا أودعت في البنوك و أخذت عنها الفوائد ليست من الربا، إذا ما الذي حرمه الله عز وجل؟ إذا كان هذا ليس رِباً ما الذي حرمه الله عز وجل؟ لئلا يظهر أناس في آخر الزمان يحلون ما حرم الله، أو يجرمون ما أحل الله، لئلا يظهر أناس يقولون:

## ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(سورة الكهف)

البنون البناء، لئلا يظهر أناس يقولون: لا على المرأة أن تبدو أمام أبيها كما خلقها الله، لئلا يظهر أناس يجرون نصوص الدين إلى السلوك الإباحي، لئلا يظهر أناس يفرغون الدين من مضمونه، أكبر رد على هؤلاء إن خير القرون هو قرن رسول الله ثم الذي بعده ثم الذي بعده و أصحاب رسول الله ما فهموا هذا الفهم أبداً بل إن الذي يلفت النظر و يثلج الصدر أن القضايا التي ما التفت إليه أصحاب رسول الله ينبغي نحن ألا نلتفت إليها، أحياناً ترى كتاب في العقيدة هو في الحقيقة كتاب مأخوذ عن منطق لأمة قديمة جداً، منطق معقد جداً تجد أن فهم هذا الكتاب يكاد يكون مستحيلاً، إذاً هل يعقل لأن تكون عقيدة الدين عقيدة المسلم بهذا التعقيد؟ لما لا نأخذها من كتاب الله؟ لما لا نأخذها من سنة رسول الله؟ الحقيقة يجب أن نجدد بمعنى يجب أن نزيح ما علق بالدين مما ليس منه، أنا مرة بناء في دمشق قديم جداً و بناء أثري و له قيمة كبيرة لكن لشدة مرور الأيام و الليالي ترسب على حجره لون أسود شوه معالمه، قبل سنوات هذا البناء جدد كيف؟ أزيل عن حجره بطريقة حديثة جداً، بطريقة الرمل المضغوط ما علق به من شوائب فعاد إلى رونقه السابق.

أيها الأخوة:

أنا أقول لكم كلاماً دقيقاً جداً التجديد في الدين لا يعني أن تضيف عليه شيئاً جديداً، هذا فهم خطير، التجديد في الدين لا يعني أن تضيف عليه ما ليس منه، التجديد في الدين أن تنزع عنه ما ليس فيه، عملية نزع لا عملية إضافة هذا هو التجديد، أرجعته جديداً، مثلاً ثوب قذر غسلته عاد جديداً أي عاد إلى أصله، عاد إلى بهائه، عاد إلى رونقه، فنحن أكبر رد على من يدعي التجديد في الدين هذا الحرام حلالاً و هذا الحلال حراماً، نضيف و نحذف و نؤول و نجر أعناق النصوص و نلويها هذا كله مما يشوه الدين لذلك خير القرون قرن رسول الله ﷺ، و الإمام أحمد بن حنبل حينما دخل في محنته الشديدة، حينما أنكر خلق القرآن الكريم و دخل السجن و عُذب ثم ناظره أحد الخلفاء ماذا كانت حجته ؟ أن هذا الموضوع بأكمله جملة و تفصيلاً هل عني به أصحاب رسول الله ؟ قال: لا، لو أن هذا الموضوع خطير ألا ينبغي للنبي أن يذكر فيه رأياً ؟ قال: نعم، هل ذكر فيه النبي شيئاً ما؟ قال: لا، هل بحثه أصحاب النبي ؟ قال: لا، قال إذاً هذا الموضوع جملة و تفصيلاً لا يعيننا، هذا منهج قويم، أي أنا أقول لكم هذا الكلام الدقيق أيها الأخوة، أي أنت عندك امتحان خطير، امتحان مصيري، امتحان يبنى عليه مستقبلك، و هذا الامتحان في كتاب مقرر و أنت في بيتك مكتبة عامرة بالكتب فهل من العقل أن تدع الكتاب المقرر و أن تقرأ كتاباً لا علاقة له بالامتحان ؟ هذا نوع من الجهل و الغباء، العمر قصير لا يتسع لمناقشات و حوارات و خصومات و أخذ و رد، ما الذي يميز المسلمين اليوم ؟ تشرذمهم و تفرقهم و اختلافهم و تمزقهم، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْباً لَشَيْءٍ أَسْتَ مِنْهُمْ﴾

( سورة الأنعام )

إذاً نحن نفهم القرآن الكريم كما فهمه النبي عليه الصلاة و السلام و أصحابه الكرام و كما فهمه التابعون و كما فهمه تابعوا التابعين، نطبق القرآن الكريم كما طبقه رسول الله و كما طبقه أصحابه الكرام و كما طبقه التابعون و كما طبقه تابعوا التابعين فقط، أما أن نلتفت إلى كل ناعق، إلى كل من يدعي التجديد فيضيف على الدين ما ليس منه أو يحذف منه ما هو من صلبه فهذا ابتداع و قد قال عليه الصلاة و السلام:

## (( كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ))

أيها الأخوة الكرام:

المشكلة أن الابتداع في غير الدين ليس له حرج إطلاقاً، الحياة تتجدد البيوت تطورت، المركبات تطورت، وسائل المعيشة تطورت، كل شيء في تطور مستمر، هذا شأن الدنيا لا يعيننا إطلاقاً يعيننا أن الدين عقيدة و سلوك و منهج، فالعقيدة لا يجوز أن يزداد عليها و لا أن يحذف منها و لا أن تشوه و لا أن تزور، و المنهج ينبغي أن نحافظ عليه، و أذكركم بالقاعدة الأصولية.....

أريد أن أقول لكم أيها الأخوة إن الموضوعات التي لم تشغل أصحاب رسول الله ينبغي ألا تشغلنا، إن القضايا التي اهتم بها أصحاب النبي ينبغي أن نهتم بها، إن السلوك الذي سلكه أصحاب رسول الله يجب أن نسلكه، قلت لكم مرة نصيحة تكتب على ظفر: اتبع لا تبتدع، إتضع لا ترتفع، الورع لا ينكسر، اتبع، قلت لكم مرة هناك بدعة في اللغة مقبولة، بدعة اللغة أي كل شيء جديد هذا الشيء الجديد يُعرض على الشرع الحنيف فإن وافق الحلال فهو حلال و إن وافق الحرام فهو حرام و إن كان متعدد الاستعمال كان موقوفاً على نوع استعماله، أي مسجلة يمكن أن تستمع منها إلى القرآن الكريم و إلى دروس العلم فهي حلال مائة في المائة، و يمكن أن تستمع من خلالها إلى الأغاني الساقطة فهي حرام، موقوفة على نوع استعمالها، هذه بدعة لم تكن على عهد رسول الله، بدعة اللغة: كل شيء لم يكن من قبل يوزن بميزان الشرع إن وافق الحلال فهو حلال أي إذا كان بالمسجد كانت إنارته جيدة النبي عليه الصلاة و السلام دخل مرة إلى مسجده فرأى فيه فوانيس متألقة قال: من فعل هذا ؟ أحد أصحابه تميم الداري كان بالشام فاشترى هذه المصابيح، القناديل بالضبط مع حبالها و علقها في المسجد النبوي و أسرجها بعد المغرب فدخل النبي فسر بها سروراً كبيراً قال: من فعل هذا ؟ قالوا: تميم الداري، قال: أين هو ؟ لما التقى به قال: نور الله قلبك لقد نورت هذا المسجد، و لو أن لي بنتاً لزوجتكها، فهناك صحابي استغل المناسبة قال: أنا عندي بنت فزوجها، إذاً إذا اعتنينا بإضاءة المسجد، بتلطيف جوه، بتنظيف مرافقه، بوضع الفرش فيه هذا من السنة، هذا معنى قول النبي:

((عَنِ الْمُؤَدِّرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعَمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا))

أما حينما تضيف صلاة لم تكن، حينما تضيف فكرة لم تكن، حينما تحذف من الدين أحد أركانه، حينما تفرغ الدين من مضمونه، حينما توجه النصوص وجهة ما أرادها الله عز وجل و لا فهمها أصحاب رسول الله إطلافاً، أنت مبتدع:

(( كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ))

الآن نقف قليلاً مع شرح الأحاديث التي وردت بروايات متعددة، يقول عليه الصلاة والسلام: خيركم قرني، اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ، ما معنى قرنه ؟ قالوا أصحابه معنى قرنه أي أصحابه، من هم أصحابه ؟ قال العلماء: بل ما هو عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي ﷺ و لو ساعة فهو من أصحابه، لكن حينما قال عليه الصلاة والسلام: خير القرون قرني أي أصحابي، هل يفهم من هذا أن أصحابه هم أفضل من الأنبياء السابقين ؟ الجواب لا، هناك مراتب، سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم، المرسلون، أولي العزم من الرسل، المرسلون، الأنبياء الصديقون، أصحاب رسول الله، فإذا قال عليه الصلاة والسلام: خير القرون قرني ليس معنى هذا أن أصحابه أفضل من الأنبياء السابقين النبوة مقام كبير جداً، النبوة مقام يعني أن النبي لا ينقطع عن الله و لا لحظة، مالك يا حنظلة تبكي سيدنا الصديق ؟ قال: نافق حنظلة، و لما يا أخي ؟ قال: نكون مع رسول الله و نحن و الجنة كهاتين فإذا عافسنا الأهل ننسى، لشدة كمال الصديق و تواضعه قال: أنا كذلك يا أخي انطلق بنا إلى رسول الله، لقي النبي الكريم فحدثاه بما جرى فقال: أما نحن معاشر الأنبياء فتتام أعيننا و لا تنام قلوبنا، أما أنتم يا أخي فساعة و ساعة لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة و لزارتكم في بيوتكم، إذاً لا يجوز أن نفضل صحابياً على نبي سابق كما أنه لا يجوز أن نفضل صحابية على السيدة مريم و على السيدة امرأة فرعون و غيرها ممن شهد لهم النبي بالصدقية، شيء آخر: قرنه أصحابه إذاً من هم الذين يلونهم ؟ قال: أبناء أصحابه، ما معنى ذلك ؟ أن أصحابه الكرام ربوا أبناءهم تربية عالية و هذا شأن المؤمن المؤمن لا يقر له قرار إلا إذا كان ابنه على شاكلته أو أفضل منه فالإنسان يسعد بفوز أبنائه و يشقى بشقائهم، من هم الذين يلونهم بعد الذين يلونهم ؟ قالوا: أبناء أبنائه، إذاً أصحابه و أبنائهم و أبناء أبنائهم أصحابه و التابعون و تابعوا التابعين، و قال بعضهم القرن: الأتاس الذين اقترنوا في عصر واحد، أي الذين عاشوا مع النبي طالت مدة

صحبتهم أم قصرت، و قال بعضهم القرن: الأمة بعد أن تهلك عن آخرها يقال لها قرن إن لم يبق منها أحد يقال لها قرن، و قال بعضهم: القرن عشر سنين، و قال بعضهم: سبعون، و قال بعضهم: أربعون و قال بعضهم: مئة و عشرون، لأن من أصحاب رسول الله من عاش مئة و عشرين عاماً:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ))

و قال بعضهم: مائة، و الأوجه القرن الأول أصحابه و الثاني التابعين و الثالث تابعوا التابعين، قال:

((ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ))

قال هذا ذم، حينما يشهد يحلف مع شهادته، حينما يشهد دقق كم هي الأخلاق منهارة، شاهد تستشدهه يشهد و يحلف كأن هذا الشاهد يتوهم أن الذين يستشهدونه يكذبونه فيشهد و يحلف، أي ضعفت الثقة بالكلمة السادة المالكية استنبطوا من هذا الحكم أو من هذا الحديث أن الشهادة ترد لمن حلف منها، لكن جمهور العلماء على أنها لا ترد، و معنى قول النبي أن الإنسان يجمع بين الشهادة و بين اليمين فتارة تسبق شهادته يمينه و تارة يسبق يمينه شهادته، أي المراد أنه خلف بعد هؤلاء الأصحاب الكرام:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾

(سورة مريم )

و الخلف: خلف من بعدهم خلف، هل هناك فرق بين خُلف و خَلَفَ ؟ العلماء قالوا: فرق كبير، إذا كان الذين جاؤوا بعدهم صالحين فهم خُلف، و إن كان الذين جاؤوا بعدهم طالحين فهم خَلَفَ:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ (59)﴾

(سورة مريم )

خير خلف لخير سلف، الخلف بفتح اللام التابعون الصالحون، و الخلف التابعون السيئون، قال تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (59)﴾

(سورة مريم )

طبعاً اللغة دقيقة جداً أي أحياناً الإنسان يتفصح و يقول: تجارُب و التجارُب هي العدوى بالجرب صوابها تجارِب، و قد يتفصح و يقول: هذا الطبيب أخصائي في كذا . و الأخصائي هو الذي يخصي . و صوابها اختصاصي، و بعضهم يقول فلان مؤلِّع بكذا و المؤلِّع هو الثور الأحمر ينبغي أن يقول مؤلِّع بكذا، و هناك من يقول فلان محترم و المحترم من الحرمان ينبغي أن يقول مبجل، و هناك أخطاء شائعة كثيرة جداً تجري على ألسنة الناس و اللغة منها براء .

النبى عليه الصلاة و السلام أتى على هؤلاء الذين يشهدون دون أن يطلب منهم الشهادة و هنا يذمهم فكيف نوفق بين المعنيين ؟ أحياناً صاحب القضية يعرف كل جوانب الحقيقة و عنده شهود كثيرون و لم يطلب منك أن تشهد، أما هناك قضية ضاعت و خفيت على القاضي و هناك شاهد لا يعلم صاحب القضية أنه شهد الحقيقة مبادرة ليشهد أمام القاضي لينتقد الحق، أكثر الناس يتوانون، قال تعالى:

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾

(سورة البقرة )

﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

(سورة البقرة )

﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾

(سورة البقرة )

عن طريق الشهادة تستنقذ الحقوق، أي أنت إذا شهدت حادث مروري و تعلم علم اليقين أن السائق بريء و خصمه تلبسه و قذف الاتهام عليه و كتب هذا في الضبط و ذهبت أنت إلى القضاء لتشهد الحقيقة لا تنسى أن عدل ساعة يعدل أن تعبد الله ثمانين عاماً، أداء الشهادة جزء من الدين، أن تنطق بالحق و ألا يأخذك بالله لومة

لائم، هذا هو الدين إلا أن هناك تفاصيل دقيقة جداً أي من وقع في حد من حدود الله أنت كمسلم لست مكلفاً من قبل ولي أمر المسلمين بالبحث عن هذه المخالفات ليس لك أن تذهب و تخبر عنه فالله ستره و أنت لا ينبغي لك أن تفضح ستر الله عز وجل، هذا الذي يشهد و لا يستشهد، أما حينما تقع ظلامه و تدعى إلى الشهادة ينبغي أن تشهد، لذلك في موضوع الحدود لو أن حداً انتهك و بلغ الإمام ذلك فقد قال عليه الصلاة و السلام:

(( لا عفا الله عنه إن عفا ))

بعض شراح الحديث فهموا هذا الحديث على أنه شهادة الزور، النبي عليه الصلاة و السلام نهى أشد النهي عن شهادة الزور و عدها من الكبائر، بل هي من أكبر الكبائر لأنه من خلال هذه الشهادة تضيع الحقوق، الله عز وجل هو الحق، و حينما تضيع الحقوق يهتز عرش الرحمن لذلك:

((عن عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَذَاكَرْتُهَا حَتَّى ذَكَرْنَا الْقَاضِيَّ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِيِ الْعَدْلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ ))

مرة تاجر يطوف حول الكعبة يقول: ربي اغفر لي ذنبي و لا أظنك تفعل، يمشي وراء هذا الرجل إنسان فقيه قال: يا هذا ما أشد يأسك من رحمة الله؟ قال: ذنبي عظيم، قال: ما ذنبك؟ قال: كنت مع حملة لقمع فتنة فلما قمعت هذه الفتنة و احتلت المدينة أبيحت لنا هذه المدينة فدخلت أحد البيوت فرأيت في هذا البيت رجلاً و امرأة و طفلين فقتلت الرجل و قلت لامرأته: أعطني كل ما عندك من نقود، أعطتني أحد عشر ديناراً ذهبياً، قتلت ولدها الأول فلما رأته جاداً في قتل الثاني أعطتني درعاً مذهبة، أعجبتني ثمينة جداً تأملتها فإذا عليها بيتان من الشعر قرأتها فوقع مغشياً علي، ما هذان البيتان؟ كتب على هذه الدرع:

إذا جار الأمير و حاجباه      و قاضي الأرض أسرف في القضاء  
فويل ثم ويل ثم ويل      لقاضي الأرض من قاضي السماء

و كل واحد منا أيها الأخوة إذا كان في موقع قوي، في موقع بإمكانه أن يوقع الأذى في الناس، ليفكر ألف مرة أن الله أقدر عليه منه على هؤلاء لذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ، قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ فَعَلِمَ ذَلِكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ))

من هو القاضي الذي يستحق النار ؟ هو الذي حكم بغير علم، و الثاني هو الذي عرف الحقيقة فحكم خلافها . الثاني أشد عذاباً . بعض الخبثاء قال: قاضيان إلى النار و قاض إلى جهنم في آخر الزمان، أي الثلاثة طبعاً، القضاء أيها الأخوة شيء مخيف، حقوق الناس بين يديك و الله سبحانه و تعالى مع الحق و لكن و الله أيها الأخوة لا يخلو أي بلد من قضاة نزيهين، قضاة صادقين، قضاة لا يبيعون دينهم بالدنيا بأكملها هؤلاء لكنهم قلة كما قلنا في مطلع الدرس، أما لا تخلو و الذي يعمم جاهل و التعميم من العمى، في أي شيء احذر التعميم، احذر أن تقول كل هؤلاء سيئون هذا كلام خطير، يجب أن تقول في الناس من هو صالح و فيهم من هو طالح. أيها الأخوة:

و من متممات هذا الدرس أن النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه أبو هريرة في صحيح مسلم أيضاً أنه قال:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ))

رواية ثانية:

(( عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ))

أيها الأخوة:

ألم يقل الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

( سورة الفتح )

ألم يقل الله عز وجل:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾

( سورة الفتح )

لقد حرف تحقيق:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ (18)﴾

( سورة الفتح )

و إذا رضي الله عن إنسان فمن أنت حتى لا ترضى عنه ؟ و ما قيمة عدم رضائك عنه ؟ إذا كان رب السماوات و الأرض، إذا كان الله في عليائه قد رضي عن أصحاب رسول الله فمن أنت حتى لا ترضى عن بعضهم ؟ لذلك و التاريخ يشهد أن كبار الصحابة و أوائل الصحابة كانوا في عداد الذين بايعوا النبي عليه الصلاة و السلام و قد قال الله في حقهم:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ (18)﴾

( سورة الفتح )

لذلك سب أصحاب رسول الله حرام من فواحش المحرمات، و من لابس الفتن منهم و غيره لأنهم مجتهدون، و المجتهد إن أصاب له أجران و إن لم يصب فله أجر فهو بين الأجر و الأجرين، و سب أحد أصحاب رسول الله من المعاصي الكبيرة و هذا مذهب جمهور العلماء و قول النبي عليه الصلاة و السلام:

((لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ))

قال أهل اللغة: النصيف هو النصف، معنى ذلك لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ في ثوابه ثواب نفقة أصحاب رسول الله و لا مداً مما أنفق أصحاب رسول الله، و جمهور العلماء على تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم و سبب تفضيلهم أنهم أنفقوا وقت الضرورة و ضيق الحال بخلاف غيرهم، و لأن إنفاقهم كان في نصره رسول الله ﷺ، و هو الذي لا ينطق عن الهوى و حمايته و ذلك معدوم بعده، أي أنت لن يتح لك أن تتصر رسول الله، قد تتصر بعض المؤمنين، قد تتصر بعض الدعاة، و لكن لن يتح لك أن تصدق رسول الله و الناس يكذبونه و أن تتصره و الناس يخذلونه و أن تدافع عنه و الناس يستهدفونه، و قد قال الله عز وجل:

﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾

(سورة الحدي)

إذا جمهور العلماء على أن أصحاب رسول الله أفضل ممن بعدهم جميعاً لأن سبب هذا التفضيل أنه كان في أنفسهم من الشفقة و التودد و الخشوع و التواضع و الإيثار و الجهاد ما لم يكن عند غيرهم.  
أيها الأخوة:

لكن أريد أن أضع بين أيديكم هذه الحقيقة: طبعاً الصحابة درجات هناك من طالت صحبته و قاتل مع رسول الله و أنفق ماله و هاجر و نصر و هناك من رآه ساعة كوفود العرب، هناك من صحبه قبل الفتح فتحمل ما تحمل، هناك من صحبه بعد الفتح، فليسوا سواء، من صحبه قبل الفتح و دفع الثمن باهظاً و من صحبه بعد الفتح و كان الأمر يسيراً، و ليسوا سواء من لقيه ساعة نسميه صحابي مع من عاش معه سنوات عديدة و قاتل معه و أنفق ماله و أيده و نصره و قدم له كل معونة. نحن لا ندخل بين أصحاب رسول الله كلهم على العين و الرأس و قد قال عليه الصلاة و السلام:

((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

أي أربع خمس أطباء كبار معهم أعلى الشهادات و \_أجرى كل واحد مائة ألف عملية لا يحق لحاجب أن يوازن بينهم، لا يحق لمرضى أن يوازن بينهم، فإذا ذكر أصحابي فأمسكوا و هذا من الدين، هذا الذي يأمرنا به النبي عليه الصلاة و السلام، أي أردت من هذا الدرس أن أبين لكم في مطلعته أنه لا ينبغي أن تكون مع الأكثرية لأنك:

﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (116)﴾

(سورة الأنعام )

ثم بينت لكم أن خير القرون هو قرن رسول الله أي أصحابه و أبناؤهم و أبناء أبنائهم، أي أصحابه و التابعين و تابعي التابعين، ثم بينت لكم الموقف الكامل الذي ينبغي أن تتقنه من أصحاب رسول الله جميعاً من دون استثناء .

**والحمد لله رب العالمين**

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-07-1997

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة الكرام :

إنني أحرص دائماً على أن تكون موضوعات درس الأحد من الموضوعات التي تشتد الحاجة إليها ، فلو طرحت عليكم هذا السؤال : ما هو أكبر خطر يهدد المسلمين ؟ قد يخطر في بالكم أعداء المسلمين ، قد يخطر في بالكم الجهل ، قد يخطر في بالكم الدنيا الخضرة النضرة هذه تصرفهم عن دينهم ، لكن هل يخطر في بالكم أن أكبر خطر يهدد المسلمين هي الخصومات فيما بينهم وإيكم الدليل من السنة النبوية المطهرة :

عن أبي هريرة:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ' إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ' . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : قَوْلُهُ : ' سُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ ' ، يَعْنِي : الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ، وَقَوْلُهُ : ' الْحَالِقَةُ ' . يَقُولُ : إِنَّهَا تَحْلِقُ الدِّينَ ))

إياكم أي أن النبي عليه الصلاة والسلام يحذرننا أشد التحذير من سوء ذات البين ، سوء العلاقة بين المؤمنين ، لو استعرضت أحاديث رسول الله ﷺ ولا سيما الجانب الاجتماعي منها لوجدت العجب العجاب ، أي شيء يضعف العلاقة بين المؤمنين نهى النبي عنه وأي شيء يمتن العلاقة بين المؤمنين أمر النبي به ، مما يمتن العلاقة إفشاء السلام ، مما يمتن العلاقة عيادة المريض ، ما يمتن العلاقة إجابة الدعوة ، دعاك يجب أن تلبيه ، مما يمتن العلاقة أن تساعد وأن تقرضه وأن تنصره ، وأن توقره ، فكل حديث شريف متعلق بالناحية الاجتماعية قد تجد فيه العجب العجاب ، مما يضعف هذه العلاقة الغيبة هناك تحريم من الكبائر ، النميمة ، المحاكاة ، أن

تقلب أخاك ، أن لا تنصره ، أن تسلمه ، أن تحترقه ، أن تغتابه ، أن تنقل إليه ما قاله زيد فيه ، فكل شيء يمتن هذه العلاقة أمرنا النبي به ، وكل شيء يضعف هذه العلاقة نهانا النبي عنه ، أما في هذا الحديث وصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى لب المشكلة قال :

((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ، إِنَّهَا تَخْلِقُ الدِّينَ ))

يعني الدين ينتهي يصبح طقوساً لا معنى له شكليات ، هذا الحب لا معنى له ، الأخ المؤمن غيبته مقدسة ، أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانوا مع النبي في غزوة تقعد النبي أحدهم قال : ما فعل فلان ، أحدهم قال : أعجبه بستانه عن أن يجاهد معك ، فقال أحد أصحاب رسول الله قال : والله ما نحن بأشد حباً لك من هذا الذي تخلف عنك ولو علم أنك تلقى عدواً ما تخلف عنك ، فتبسم عليه الصلاة والسلام وسر من هذه الإجابة .

أنا الذي أريد أن نعيش الإسلام ، الإسلام في الكتب لا قيمة له ، كتب أحاديث ، كتب فقه ، نحن نريد أن نعيش الإسلام ، حينما كنا في الجامعة في اختصاص الأدب علمونا أنه هناك أدب كتب وهناك أدب حياة ، أدب الكتب يؤخذ من الكتب ويصب في الكتب لكن أدب الحياة يؤخذ من الحياة ويؤثر في الحياة ، الذي نسعى إليه إن شاء الله أن نعيش الإسلام ، هذا أخوك مقدس ، من أكرم أخاه فكأنما أكرم ربه ، أخوك يجب أن تكف اللسان عن الحديث عنه في غيبته ألم يقل عليه الصلاة والسلام : من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته .

يعني ليس من السهل أن يطرح اسم أخ في غيابه أن ننهش في عرضه نتهمه في اتهامات لا دليل لها كلما احتطنا وطبقنا سنة النبي تمتنت العلاقة بين المؤمنين وهذا الذي يرضي الله ، وهكذا كان أصحاب رسول الله لذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ ))

النبي يحذرنا أن تنشأ علاقة سيئة بينك وبين إخوانك ، هذا تحذير وقائي ، الطريقة العلاجية لو أن هناك مشكلة،

قال تعالى :

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

(سورة الحجرات)

المؤمن الطيب ، الطاهر ، الذكي ، لا يعدم الكلمة الطيبة ، الاعتذار ، الهدية كما قال عليه الصلاة والسلام :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

((النبي ﷺ قال : ' تَهَادُوا ، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لَجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فَرَسِنَ شَاةٍ ))

بين أخوين يوجد مشكلة وصل كلام غير صحيح ، إنسان نم بينهما ، بلغه أنك اغتبتة في غيبته ، الحل ؟ الهدية، قدم له هدية رمزية واعتذر له أنت أصلحت الذي بينك وبين أخيه، والله الذي لا إله إلا هو لو أن كل واحد منا سعى جهده لإصلاح كل علاقة بينه وبين أخوته المؤمنين لكننا في حال غير هذا الحال ، والله الذي لا إله إلا هو مرة ثانية لا شيء يؤلمني أشد الألم كأن أكتشف أنه بين الأخوة الكرام خصومات ، حسد ، غيرة أحياناً، طعن، كل أخ له عند الله مقام ، هذا الذي ترك الدنيا من أجل ، هذا الذي التزم جانب الحق ، هذا له مكانته ، وتحرم غيبته ، ودائماً وأبدأ التمس لأخيك عذراً ولو سبعين مرة ، أنا الذي أراه أنه على أول خطأ الأخ يعادى ، أين قول النبي التمس لأخيك عذراً ولو سبعين مرة ، ينبغي أن تلتمس له العذر .

(( عن أبي الدرداء قال :قال رسول الله ﷺ : ' أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا :

بلى ، قال : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْخَالِقَةُ ' لا أقول هي تحلقُ الشَّعْرَ ، ولكن تَحْلِقُ

((الدين))

ولا تنسوا أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن امرأة تذكر أنها تكثر من صلاتها وصدقته وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال : هي في النار .

هذا التاريخ ، تاريخ الصحابة المشرق ألا ينبغي أن نجعله قدوة لنا ، والله كل واحد منا يستطيع أولاً أن يحسن الظن بأخيه ، ثانياً أن يلتمس له العذر ، ثالثاً أن يكف عن غيبته ، رابعاً أن يساعده ، أن يعاونه والقاعدة الثابتة أيها الأخوة : بلغت عن أخوك شيء إن كنت ذا إيمان كبير قد تعتقد أن هذا الشيء لا أصل له فلا تتبالي به أما

إذا شوشك فاذهب إليه مباشرةً وقل له بلغني عنك كذا وكذا ما قولك ، يوجد احتمالين إما أن يكون هذا الذي بلغك عنه ليس له أصل إطلاقاً ، أو له أصل وهناك وجهة نظر أنت لم تطلع عليها ، أو له أصل وقد تاب عن هذا الشيء ، لا تترك شيئاً في قلبك اتجاه أخوك ، أما إذا هذا الشيء شوشك ما عليك إلا أن تذهب إليه فوراً ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(سورة الحجرات)

(( عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ' أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِن فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِن تَحْلِقُ الدِّينَ ))

ما قيمة العالم الإسلامي إذا كان ممزق ، مشتت ، مبعثر ، مشرذم ، هؤلاء ضد هؤلاء ، على مستوى البلد ، على مستوى المدينة ، على مستوى الأحياء ، على مستوى الأسر ، ترى في كل أسرة شرخ هؤلاء يعادون هؤلاء ، فهذه الخصومات تفتت وحدة المسلمين وتضعف قوته .

(( عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه ، أن النبي ﷺ قال : لم يكذب من نَمَى بين اثنين ليصلح وقال أحمد بن مُحَمَّدٍ مُسَدِّدٌ لَيْسَ بِالكَاذِبِ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَقَالَ خَيْرًا ، أَوْ نَمَى خَيْرًا ))

يعني النبي سمح أن تقول لأخيك فلان يقدرك ، فلان يعرف قيمتك ، فلان يثني عليك ولو لم يكن هذا صحيحاً ، النسيمة كما قال عليه الصلاة والسلام : المنام لا يدخل الجنة .

(( عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَمَامٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ حُدَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ إِنْ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ ))

عندما تقول لأخ أن فلان تكلم عنك كذا وكذا ، أنا أشعر أن هوةً سحيقةً نشأت بين الأخوين بفعل المنام ، أما أن تتم بالخير أي أن تتقل إليه كلاماً طيباً ، والله أثنى عليك ، يعرف أنك ذو مكانة ، كان يتمنى أن يفعل كذا معك، يعني كنت البارحة في عقد قران دعيت لإلقاء كلمة ما أن اعتليت المنبر إن صح التعبير لأتكلم حتى

دخلت الضيافة صدقاً تألمت ، ساعة ونصف ما وجدتم وقتاً للضيافة إلا بعد أن بدأت بالكلام وقف بعدي خطيب وقال للحاضرين خرج إلى خارج الحفل فاعتذر الذي يقدم الضيافة أشد الاعتذار لأنه قدمها في وقت غير مناسب وهو يعلم أنه هذا لا ينبغي ولكن كادت هذه الحلوى أن تسيح بالحر فقدمها ، يعني هذا الاعتذار لم يبق في القلب شيئاً ، اعتذار طيب جداً في البيت غلظت مع زوجتك يوجد أزواج يركبون رأسهم ، لو أنك قلت والله الحق معك يعني لم أنتبه وتكلمت هكذا ، انتهى كل شيء .

أنا أقسم لكم بالله أن ألف مشكلة وقد ينتهي معظمها إلى الطلاق يحل بكلمة اعتذار ولكن الشيطان ينفخ بآب آدم، يعني يقسم عليها يمينا لا ترى إلا أن تكسر يمينه ، بدأت المشاكل أما لو في اعتذار ، كلمة اعتذار ، كلمة طيبة ، كلمة حارة كما يقولون تنتهي المشكلة لذلك الكلمة الطيبة صدقة .

((عن أبي هريرة ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ' أَوْ قَالَ إِلَى الْمَسْجِدِ صَدَقَةٌ))

((عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ - مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ - لَا يُلْقِي لَهَا بِالَا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا فِي دَرَجَاتٍ إِنْ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بِالَا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

لذلك :

((لم يكذب مَنْ نَمَى بَيْنَ اثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُسَدَّدٌ لَيْسَ بِالْكَاذِبِ مَنْ قَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا))

يعني مسموح لك أن تصلح بين الناس ولو بطريق الكذب ، طبعاً هذه رخصة من النبي من أجل تمتين العلاقة بين المؤمنين ، والحقيقة تماسك المؤمنين أحد أسباب قوتهم ، وتمزقهم أحد أسباب ضعفهم ، قال تعالى :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(سورة الأنفال)

أنا لا أريد أن يكون هذا الدرس درساً للإعلام أنه يوجد أحاديث صحيحة رواها الأستاذ أنا أريد أن يطبق هذا الدرس فيما بينكم ، يعني إذا في علاقة غير طيبة ، في شيء في القلب ، يوجد مأخذ ، علاقة مشوشة بينك وبين أخيك ، بلغك أنه قال عنك كذا ، اذهب إليه وافتح معه صفحة جديدة واعتذر إليه أو يعتذر منك ومتن

العلاقة بينك وبينه لأن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر بل حالقة الدين ، أنا بدأت الدرس بهذه المقدمة ، قد لا تصدقون أن أكبر خطر يهدد المسلمين هذه الخصومات التي بينهم ، ترى جماعات ودعوات ، وفئات ، وكتل ، وتجمعات ، كل يتهم الآخر والآخر يتهم الأول ، وكل يظن أنه هو على حق هذا الذي مزق المسلمين .

(( عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنه سيكون بعدي اختلاف وأمر فإن استطعت أن تكون السلم فافعل ))

قال أحد الشيوخ الكبار : عاش تسعين أو أكثر وما استطاع أحد في كل حياته أن يغتاب عنده أحداً ، اسكت يابا، هذه غيبة ، الشيخ بدر الدين عاش عمراً وهو سيد علماء الشام وما استطاع أحد في حياته كلها أن يغتاب عنده أحداً ، قال : مرة قيل له أن هؤلاء الجماعة يقولون كذا وكذا ، قال : هل يعقل هذا ، بقي من هؤلاء من يقول هذا وهذا ، هذا هو جوابه ، يعني لا قبله ولا رفضه ، ممكن أن تكون أنت في حرز حريز حينما تسعى إلى لم الشمل وردء الصدع ، يعني إن استطعت أن تكون السلم فافعل ، يعني كون مصدر سلام لا مصدر خلاف ، سبب قطيعة ، سبب انهيار علاقة ، سبب عداوة ، سبب خصومة ، كن سبب وئام ، سبب محبة ، في بعض أخوانا الكرام الله يجزيهم الخير كل ما التقى معي يقول لي : كنا البارحة عند الأستاذ الفلاني وهو يهديك السلام أقول له : عليك وعليه السلام ، أنا أزور بعض الأخوة العلماء يقول أرسلت لنا سلام ونحن شاكرين لك ، هذا الأخ عمله أن يبلغهم سلامي ويبلغني سلامهم ، شيء جميل هذا يعمل مودة بالغة ، شيء جميل أن تكون أنت أداة إصلاح ، أداة وئام ، أداة تقريب ، أداة إخلاص " ...

(( فإن استطعت أن تكون السلم فافعل ))

أخوانا الكرام : أكثر الناس يظنون أن المعاصي سرقة ، زنا ، خمر ، قتل ، هذه كبائر رواد المساجد بعيديون عنها بعد الأرض عن السماء ، أما المعاصي التي يمكن أن يرتكبها رواد المساجد الغيبة ، النميمة ، الحسد ، الضغينة ، فإن استطعت أن تكون أداة جمع لا تفريق ، لا إبعاد جذب لا تنفير فافعل .

((وكل نفس كتب عليها الصدقة كل يوم طلعت فيه الشمس ، فمن ذلك أن تعدل بين الإثنين صدقة))

يعني إذا حكموك بين الاثنين وقفت موقف صريح وواضح ومع الحق فهذه صدقة ، كلمة الحق صدقة .

((وأن تعين الرجل على دابته وتحمله عليها صدقة وترفع متاعه عليها صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشي بها إلى الصلاة صدقة))

يجب أن تفعل الصدقات كل يوم حفاظاً على صحتك ، في أحاديث صحيحة كل سلامة عليها صدقة يعني كل عظم صغير ، السلاميات معروفة الإنسان فيه مائتان واثنين عظمة ، فهذه العظام عليها صدقة ، فكلمة العدل صدقة ، إصلاح ذات البين صدقة ، أن تعين الرجل على دابته صدقة ، أن ترفع متاعه عليها صدقة ، أن تميظ الأذى صدقة طبعاً يعني من هذا الحديث إصلاح ذات البين ، و مما يقرب العلاقة بين المؤمنين التعاون .

عن أبي بشر عن سلام بن عمرو اليشكري عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إخوانكم فأصلحوا إليهم واستعينوهم على ما غلبوا وأعينوهم على ما غلبكم وأعينوهم على ما غلبهم "

هذه قاعدة أيها الأخوة والله الذي لا إله إلا هو لو طبقناها لهانت علينا كل متاعب الحياة ، القاعدة المجموع لواحد والواحد للمجموع ، يعني كل إمكاناتك لكل أخوانك وإمكانات أخوانك مجتمعين لك ، هذا التعاون أيام الإنسان يحتاج إلى أخوانه .

((إخوانكم فأصلحوا إليهم واستعينوهم على ما غلبوا وأعينوهم على ما غلبهم ))

يعني يوجد إنسان يريد أن يشتري غرفة نوم لا يعرف هناك أنواع سيئة وله أخ نجار قال له : أرجوك أن تذهب معي إلى السوق طبعاً الوقت ثمين جداً ولا سيما في هذه الأيام ضحى بساعتين من وقته وذهب معه ونصحه بنوع والسعر وقال له : اشترى هذه ، هذا استعنت به على ما غلبك ، أنت تجهل طريقة الشراء ، هو يستعين بك على ما غلبه ابنه ضعيف في الرياضيات وأنت عندك اختصاص قويته له ابنه ، إذا كل أخ أعان إخوانه على ما غلبهم واستعان بهم على ما غلبه صار في تعاون ، والحقيقة الحياة هي قرض يعني أنت حينما تقرض الله قرصاً حسناً وأفضل قرض أن يكون القرض لله عز وجل ، سبحان الله يوجد كلمة مؤثرة يعني الله عز وجل جعل كل الأعمال الصالحة على الإطلاق ولو كانت للبهائم جعلها قرصاً له يوجب السداد ، قال تعالى :

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(سورة البقرة)

أخ قال لي : امرأة متقدمة في السن عمرها تسعين سنة حاملة حاجة كبيرة وتصعد الجبل ، والأخ معه سيارة فدعاها فركبت معه وحمل لها متاعها وأوصلها إلى الجادة العاشرة، قال لي : بقيت جمعة سعيد ، أخ ثاني قال لي : جاء إلى البيت الساعة الثانية عشرة مساءً بدمر رأى شاب وامرأة إلى جانبه تحمل طفلاً صغيراً والفرع ظاهر عليهما توقف طفل حرارته واحد وأربعين وهؤلاء غرباء عن دمشق فأخذهم بسيارته إلى المستشفى وبقي معهم حتى الفجر وأعادهم ، أقسم لي بالله أنه خلال أسبوعين عاش حالة قرب من الله لا توصف . كل الخلق عيال الله لا تقول له من أين أنت ، هذا عبد لله ، أنت تقرض الله قرضاً حسناً بخدمته ، وأبواب الخير أيها الأخوة لا تعد ولا تحصى.

(( عن أسماء بنت يزيد قالت: قال لها رسول الله ﷺ : لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث يُحدِّثُ الرجل امرأته ليرضيها وَ الكذب في الحرب وَ الكذب ليُصلح بين النَّاسِ ))

يعني أخوانا الأزواج فهموا من هذا الحديث أن الكذب جائز على الزوجات فتوسعوا ، تجلس أنت في مجتمع النساء اشترى لي هذا الشيء بخمسة آلاف ، فنقول لك هذا ثمنه ألفين ، هذا الحديث ليس هذا معناه إطلاقاً لما الزوج يغير أسعار الحاجيات ويرفع ثمنها وهو يظن أن هذا الكذب مباح ، ليس هذا الكذب الذي أراده النبي يعني لو أنها قالت له : أتحبني ، وقال لها: والله أحبك وكان حبه لها أقل من تصريحه لذلك لا يوجد مانع ، هو أراد أن يمكن مركزها ، أن يجعلها تركز إليه .

(( لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث يُحدِّثُ الرجلُ امرأته ليرضيها ))

السيدة عائشة فعلت هذا ، قالت : يا رسول الله كيف حبك لي ؟ قلقة ، بالمناسبة المرأة إذا نجحت في زواجها نجحت في حياتها ، حياتها كلها زواجها فإذا خطبت وتزوجت وأحبها زوجها وصلت إلى كل أهدافها ، أما الرجل زواجه أحد فصول حياته ، دائماً وأبداً الأزواج .

هذه زوجته الذي يستعين بها على أمر دينه ، هذه أم أولاده ، هذه التي قسمها الله له ، يعني أحياناً الحكمة لا أن تمون عندك امرأة غاية فيما تريد هذه تقعدك عن طلب الحق ، قد يكون الخير في الوسط ، لو أن زوجة سألت

زوجها أتحبني قالت السيدة عائشة : كيف حبك لي ، قال لها النبي عليه الصلاة والسلام : كعقدة الحبل ، يعني عقدة متينة جداً ، تقول له من حين لآخر ، يقول عليه الصلاة والسلام : على حالها .

دائماً الزوجة تحب أن تعرف مكانتها عند زوجها هل هو يحبها ، هل يحرص عليها ، هل باقية عنده إلى ما شاء الله ، أم أنه يفكر في تطليقها فلو أن زوجة سألت زوجها أتحبني ، يعني الكمال لله وحده فهو قال كلاماً أعلى مما هو فيه ، هو كذب بالحقيقة وهذا ليس بالكذب، فقال :

((لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث يُحدِّثُ الرجلُ امرأته ليرضيها والكذبُ في الحربِ))

لأن الحرب خدعة لماذا نكذب بالحرب من أجل أن لا نقتل الأعداء من أجل أن نأسرهم لنهديهم إلى الله عز وجل، يعني بالإسلام لا يوجد حرب تدمير في حرب هداية ، مشروعية الحرب في الإسلام نشر الحق فالمحارب المؤمن يحرص على أن يأسر الطرف الآخر ليدله على الله.

((وَالكُذْبُ لِيُضْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ ))

((عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أمه أم كلثوم بنت عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وكانت من المهاجرات الأُول اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ أخبرته : أنها سمعت النبي ﷺ وهو يقول : لَيْسَ الكُذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنِي خَيْرًا ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كُذِّبَ إِلَّا فِي ثَلَاثِ الحَرْبِ وَالإِضْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا))

يعني يكون الزوج مؤمن لكن شكله ليس كما ينبغي ، فلو أن زوجته قالت والله إنني أقدرك وأنت كل حياتي ولم يكن هو في نفسها كما تقول أيضاً هذا مسموح به ، يعني مسموح للزوجة أن تعبر عن محبتها لزوجها أكثر من الواقع ، ومسموح للزوج أن يعبر عن محبته لزوجته أكثر من الواقع من أجل أن يسير هذا المركب وأن نصل إلى دار الأمان بسلام ، لا يوجد شيء دائم ولا يوجد شيء أبدي ، وذكرت هذه الرواية لهذه الزيادة ، يعني أيضاً هي لو أنها عبرت عن محبتها العالية لزوجها وهي في الحقيقة أقل من ذلك لا يوجد مانع لأنها هي تطمئنه ويطمئنها، تزداد ثقته بها ويزداد ثقته بها .

((عن ابن عباس أن زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ : مُغِيثٌ ، كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ))

يعني امرأة طلبت فراق زوجها وزوجها يحبها كثيراً

(( فقال النبي ﷺ لِعَبَّاسٍ : يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ، فقال النبي ﷺ : لَوْ رَاجَعْتَهُ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ، قَالَ : إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ ، قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ))

يعني الذي أريد أن أقوله لا ينبغي أن تضع مكانتك الدينية في أمر شخصي ، القضايا الشخصية دعها لأصحابها هناك من يتدخل في أخص خصوصيات الإنسان ، أحياناً أب يضغط على ابنته ليزوجها من ابن عمها وهي لا تحبها ، لا ينبغي أن يفعل هذا إطلاقاً ، لأن عقد الزواج لا يصح إلا بموافقة وليها وموافقتها هي .

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا ، فقال النبي ﷺ : لَوْ رَاجَعْتَهُ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ، قَالَ : إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ ، قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ))

هذا الحكم الشرعي إياك أن تضغط في أمر شخصي ، النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا خطب أحد ابنته يعطيها ظهره ويقول لها يا بنيتي إن فلان ذكرك يستأذنها ، فلا بد من أخذ إذن الفتاة في زواجها إلا أن الأب يبين لها ويوضح ويفصل حتى يقنعها بما هو خير له ، أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينقلب هذا الدرس إلى ممارسات يومية ، أن ينقلب هذا الدرس إلى سلوك ، أن تصفى كل علاقة بين مؤمنين بالكلمة الطيبة ، بالاعتذار ، بالهدية، قال عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُدْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ))

ما معنى تهادوا؟ يعني فعل مشاركة ، يعني تهديه ويهديك ، رد الهدية واجب ، عملياً قدمت هدية وجاءك مكانها ما خسرت شيئاً ما الذي ربحته؟ محبة أخيك لك ، الكلمة الطيبة ، الهدية ، الاعتذار ، صفي كل علاقة بينك وبين أخوانك ، هذا مما يرضي الله عز وجل وهذا

مما يقوي المسلمين ، والحد الأدنى يكون في مكان صغير في الأرض يطبق فيه الإسلام كاملاً ، نحن لا نحتاج إلى كتب وإلى علوم بقدر ما نحتاج إلى مجتمع مسلم حقيقي وهذا الذي بلغني أنه في أمريكا يوجد حي في نيويورك حي إسلامي استطاع سكان هذا الحي أن يمنعوا المخدرات ، الزنا ، يمنعوا كل مشكلة وأن يتعاملوا كل تعامل طيب فصار الحي مضرب مثل والشركات العظمى تهافتت على فتح محلات في هذا الحي شيء رائع جداً.

نحن نريد أن نعمل نموذج مصغر للإسلام جامع صغير الأخوة متعاونون ، متناصحون ، متبادلون ، لا أحد ينتقص من قدر أحد لا أحد يزعج أحد ، لا أحد يحقر أحد ، هذا الذي يرضي الله عز وجل ، وأقول عود على بدء ، إن أخطر شيء يهدد المسلمين سوء ذات البين بينهم وربنا عز وجل يقول :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

( سورة الأنفال )

وإن الشيطان يئس إن يعبد في أرضكم ، لن يعبد الشيطان بعد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ولكن رضي في التحريش بين المؤمنين .

((عن جابر قال: قال النبي ﷺ : إن الشيطان قد يئس أن يعبدَهُ المصلُّونَ ولكنَّ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ))

فبقدر ما تحرص على علاقتك الطيبة بأخيك بقدر ما ترقى عند الله .

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 076 - 127 ) : فرض تعلم العلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-07-1997

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة المؤمنون: درس اليوم حول توجيهات نبوية وردت في بضع وسبعين حديثاً في صحيح البخاري ومسلم حول تعليم العلم، أنتم الآن تتلقون لكن لا بد من أن تلقون العلم، أنتم الآن تستمعون لا بد من أن تحدثوا، أنتم الآن تأخذون لا بد من أن تعطوا، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

عن أبي بكر رضي الله عنه:

(( أن النبي ﷺ قال: ' إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا: أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مَتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ ' قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ' أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ ؟ ' قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ' أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ ' قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ' أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ الْحَرَامُ ؟ ' قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ' فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ' قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ' أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ ' قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ' فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي لَدِيكُم هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَاسْتَلْقُونَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مِنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ ' ثُمَّ قَالَ: ' أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ ' قُلْنَا: نَعَمْ ! قَالَ: ' اللَّهُمَّ اشْهَدْ ))

هذا مبدأ، أموال الناس محرمة، أعراض الناس محرمة، دماءهم محرمة، يعني لا يوجد قتل ولا شتم ولا سرقة، الأموال مصونة والدماء مصونة، والأعراض مصونة، هذا هو المجتمع المسلم، عدوان لا يوجد، تطرف لا يوجد، أن يجتهد إنسان ويريد أن يقيم الحد بنفسه لا يوجد، تطرف هذا جهل.

النبى عليه الصلاة والسلام سيد المرين، إمام المعلمين، يسأل ليلفت الانتباه، يسأل ليثير الاهتمام.

((السنة اثنا عشر شهراً منها: أربعة حُرْمٌ، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرّم، ورجب مُصْرَ الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا ؟ ' قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: ' أليس ذا الحجة ؟ ' قلنا: بلى، قال: ' أي بلد ))

مكة يقصد.

((فأي يوم هذا ؟ ' قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: ' أليس يوم النحر ؟ ' قلنا: بلى، قال: ' فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، هذا في بلدكم، هذا في شهركم هذا ))

هذا هو المجتمع المسلم والذي نسمعه عما يجري في بعض البلاد الإسلامية من جرائم وقتل باسم الدين فهذا ليس من الدين في شيء إطلاقاً الأعراض مصونة، والأموال مصونة، والدماء مصونة.

((وستتقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم))

الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

( سورة فصلت )

هذا تهديد، كل عمل سوف تحاسب عليه، هناك عدالة مطلقة أنت بين خيارين صعبين إما أن تؤمن أن لهذا الكون إلهاً فعلاً بيده كل شيء وسيحاسب الإنسان عن كل شيء وسيعطي كل ذي حق حقه، وإما أن تؤمن بالعبثية والعبثية نفاها القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

(سورة المؤمنون)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

(سورة القيامة)

لابد من أن تختار أحد الخيارين، العبثية تتناقض مع عدالة الله، العبثية تتناقض مع وجود الله،

(( وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ))

والله أيها الأخوة: لو إنساناً قوياً تخشى بطشه وأنت موقن أنه سيسألك لا تتحرك حركة ولا تتكلم كلمة ولا تقف موقف إلا بعد أن تتصور أنه إذا سألك بماذا تجيبه، إنسان قوي تخشى بطشه يفعل ما يقول، يكشف حركاتك وسكناتك، أنت مع إنسان لا تنطق بكلمة ولا تقف بموقف، ولا تفعل شيئاً قبل أن تهيب جواباً فيما لو سألك بماذا تجيبه، يقول النبي عليه الصلاة والسلام

((وَسْتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنِ أَعْمَالِكُمْ أَلاَ فَلَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضَلَالًا))

لا ترجعوا بعد هذه الدعوة العظيمة ضلالاً لاترجعوا بعد هذه الدعوة إلى الفضيلة ضلالاً، لا ترجعوا بعد هذه الدعوة إلى السلام ضلالاً،

((فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا لئيبغ الشاهد الغائب ))

هنا موطن الشاهد، ورد هذا الحديث تحت باب تعليم العلم ألا لئيبغ الشاهد الغائب، أنت شاهد زوجتك غائبة، أنت شاهد زميلك في العمل غائب، أنت شاهد ابنك غائب، أنت شاهد أخوك غائب، أنت شاهد صديقك غائب، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ؟

## (( لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ))

من لوازم حضور مجلس العلم إن أردت أن تقطف ثمرته الكبرى، هذا الذي تسمعه ينبغي أن تبلغه، وشيء لطيف جداً جداً أن الإنسان إذا حضر مجلس علم في الأسبوع، مجلسين ثلاث مجالس يحاول أن يجعل حديثه في الأسبوع مع أصدقائه في وليمة، في نزهة، في سهرة، في لقاء، في سفر، في حفلة، أثناء الطعام، ليحضر حديثه في هذا الأسبوع عن مضمون الدروس التي حضرها عندئذ يكون قد طبق سنة النبي عليه الصلاة والسلام ليبلغ الشاهد الغائب، ليس شرطاً أن تعيد على صديقك كل ما قيل في الدرس، لكن درس ساعة أو أقل ألا تذكر منه شيئاً، ولا كلمة ولا حديث ولا فكرة ولا شاهد ولا قصة مستحيل النبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا وهذه لام الأمر، ليبلغ الشاهد الغائب فاجعل مضمون حديثك يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))

اجعل مضمون حديثك طوال الأسبوع أن تبلغ من حولك، من يلوذ بك أن تبلغ خاصة نفسك، أقرب الناس إليك، أن تبلغ أحبابك، أصدقائك أن تبلغ من تثق بهم، مضمون هذه الدروس، ليبلغ الشاهد الغائب، يوجد شيء ثالث، هذا الذي بلغته لعله أوعى منك، هذا الذي بلغته لعله أعمق فهماً منك، هذا الذي بلغته لعله أكثر نشاطاً منك، فإذا أخذ هذا الذي بلغته ونقله إلى الناس كل عمله في صحيفتك، أنت الذي بلغته ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى ممن سمعه، وصدقوا أيها الأخوة أخواة كرام كثيرون بلغوا بعض ما في جعبتهم من حق لمن حولهم والذي رأيته ودهشت له أن هؤلاء الذين بلغوا كان ارتباطهم بالحق و إقبالهم على الله وإقبالهم على بذل الخير أضعاف مضاعفة من الذين بلغهم، وهذا كلام النبي ﷺ، أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أو آخرها، أنت بلغ لعل الذي بلغته يسير بالآفاق في هذا الموضوع، في هذا الحديث،

(( لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ وَكَانَ مُحَمِّدًا إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ صَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ ))

هناك قصة لا أقصد منها إلا بيان الحقيقة، كنت بعقد قران وإلى جانبي عالم جليل وانتهت فرقة الإنشاد من إنشادهم و وقف عريف الحفل ليقدّم أحداً للإلقاء كلمة فإذا بشاب يندفع وسط الحضور ويمسك بالإقط ويتكلم كلام طيب، وكلام متوازن بلغة فصحي، طبعاً من خلال كلامه علمت أنه مثقف ثقافة عالية ثم تحدث عن العريس وأشاد بفضلها واستقامته والتزامه، ويبدو أن العروس قريبتها تحدث عنها أيضاً وعن حفظها لكتاب الله، ثم قال أنا كنت طالباً في الصف السادس وهذه القصة من عام سبعة وخمسين وكان لي أستاذ يشجعني على الصلاة والآن سأقدمه لكم ليلقي كلمة، أنا ظننت أن الذي بجانبني فإذا هو يقدمني قلت: سبحان الله تعالى إلى هنا من أنت، قال لي: أنا طالب لك قبل أربعين عاماً، يقسم بالله العظيم أنه ما ترك الصلاة منذ ذلك التاريخ، ماذا كلفت؟ كلمة، شجع طفل صغير دخل ليصلي في مسجد سرق حذاءه فخرج يبكي رآه رجل رق قلبه، اشترى له حذاءً جديداً، هذا الطفل الآن رجل يقسم بالله أنه ما ترك الصلاة منذ ذلك اليوم، لأنه إنسان يرق قلبه لدرجة أن يشتري لي حذاءً جديداً أنت بلغ.

والله أيها الأخوة أسمع قصص لا أصدقها، رجل شارد كل شيء عنده ولكن فاقده أثنى شيء، قال لي: عندي فيلا في رأس جبل ببلاد بعيدة جداً مناظر رائعة جداً، من مركبات، من البيوت، قال لي فاقده شيء لا أعلم أي شيء أفقده، زار أخته في بلد بعيد، قال لي ركبت سيارتي ثلاثة آلاف كيلو متر، قال أعطوني شقة خاصة، قال لي: أصابني أرق، ضاقت نفسه رأى شريط وضعه فسمعه، شيء رائع جداً، قال: وجدت نفسي اليوم التالي سأل صاحب البيت هل عندك من هذه، قال له: عندي ثمانية وعشرين شريط، طبعها وأخذ النسخة الثانية، قال لي: سمعتها في طريق العودة ثلاث آلاف كيلو متر واحداً واحداً وقلب حياته مائة وثمانين درجة، ثم استقدم من هذه الأشرطة أربع مائة وخمسين شريطاً، سبحان الله وسلك إلى الله عز وجل، يعني كلمة حق ألقيتها أنت سببت هداية أسرة، هداية إنسان، لا تضمن بكلمة، مرة أخ من أخوانا الكرام زارني في العيد و وضع لي بطاقة وهذه لا أنساها أبداً تفقدته وغاب عن المسجد شهرين أو ثلاثة، اتصلت به هاتفياً، قال لي: أنا لا أنسى هذا الاتصال ولن أغيب درساً بعد ذلك اليوم، أيام كلمة، سلام حار، تطيب قلب، أحياناً يكون الإنسان عنده عقدة من موضوع يوجد آية تحل الموضوع أذكر له هذه الآية.

رجل قال لي على الإسلام ألف مأخذٍ ومأخذ، يعيش في بلاد الغرب ويعيش مع الشبهات التي تلقى ويتهم بها الإسلام وعلاقاته كلها مع الغربيين، فله على الإسلام وعلى أمته ألف مأخذٍ ومأخذ، أنا قدمت له بعض الأشرطة وقلت له اسمعها، أقسم بالله أنه سمع كل شريط أربع مرات، قال لي: حلت كل المشكلات وانضم إلى المسجد،

وكان ينهى أبنائه عن حضور الدروس في هذا المسجد، بلغ هذا الإسلام دين الله عز وجل يتوافق مع الفطرة، مع العقل، مع الواقع، مع المنطق، الإنسان لو وجد كل شيء ولم يجد الله لم يجد شيئاً، لو ملك كل شيء ولم يصل إلى الله لم يملك شيئاً، يوجد فراغ في النفس لا يملأه المال، قد تجد أصحاب الأموال في ضيق لا يحتمل يوجد فراغ لا تملأه المرتبة الاجتماعية، قد تكون في أعلى مرتبة اجتماعية لكنك من الداخل منهار فلذلك هذا الحديث الطويل سقته لكم لكلمتين،

(( لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ وَكَانَ مُحَمِّدًا إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ صَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ ))

والنبي عليه الصلاة والسلام، أنت حينما تقف أمام مقامه الشريف ماذا تقول ؟ أشهد أنك أديت الأمانة وبلغت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجاهدت في الله حق الجهاد وهديت العباد إلى سبيل الرشاد. حدثني صديق قال لي: له ابن خالة دعاه كثيراً إلى حضور درس فأبى ثم ساقه بالحياء، وهذا القريب ينوي أن يحضر درساً واحداً حتى يكف عنه لسان صديقه، سلام حار، سؤال طيب عن صحته، هو الذي شده إلى الدرس، أحياناً أخ كريم يصافح أخوه بحرارة يسأله عن صحته يتفقده، يذكر له نقطة آية حديث قصة، حكم شرعي، هذا الحديث الكلام ثمين جداً، قال تعالى:

### ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

(سورة الرحمن )

لماذا علمه البيان ؟ للثرتة، لسخافات الأمور، للطعام والشراب، للذائذ، أم علمه البيان ليتعرف إلى الواحد الديان، أم علمه البيان ليعرف الخلق بربهم، إذاً الشاهد هنا ليلبغ الشاهد الغائب، أنت حضرت من أجل أن تأخذ أجرك مرتين عليك أن تبلغ ما سمعت، القضية سهلة جداً حضرت درس الجمعة، والأحد، والاثنين، حضرت درس في هذه الجمعة في السهرة مع أصدقائك، مع أقربائك، مع زملائك، مع زملاء العمل، مع زملاء الحرفة... ألقى تعلم يوجد شيء في العلم مهم جداً، التلقي سهل، الإلقاء صعب إذا الإنسان ما حاول أن يلقي لا يتعلم الإلقاء، والدليل، أنا أضرب هذا للطلاب، اقرأ بحثاً في أي كتاب، كتاب تاريخ، فلسفة، جغرافية، كتاب فيزياء، فلك، كيمياء، واضح أبعد الكتاب وحاول أن تكتب ما فهمت شيئاً صعب لا بد من التدريب، لا بد من التمرين، من

الممارسة حتى تستطيع أن تلقي الذي تلقيتَه وأن تسمع الذي سمعته، وأن تعطي الذي أخذته، تدريب، أنت جرب نفسك اجعل هذا اللسان ينطق بذكر الله، حديث الطعام والشراب لا ينتهي، يقول لك ما هذه الكوسايات مثل القطر، طعم الحلوى، أو أسعار البيوت، كلام الناس في مجالسهم والله لا معنى له.

((عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا [ عن ] مثل جيفة حمار، وكان عليهم حَسْرَةٌ ))

راقب جلسة يقول لك لا يوجد خير سار، ينهضون من المجلس وكأنهم مشلولون، لو أن هذا المجلس ذكر الله فيه والله ينهضون إلى قيام الليل ينهضون إلى تلاوة القرآن، ينهضون وهم مستبشرون، ينهضون وهم متفائلون، ينهضون وكأن كوابيس أزيحت عن كواهلهم، الشر كابوس إن تحدثت عن اللؤماء تعكر المجلس، إن تحدثت عن الظلام تعكر المجلس، ترى كوابيس، تحدث عن أصحاب رسول الله، عن إخلاصهم، عن صدقهم، عن حبهم، عن تضحيتهم.

مرة كنا في نزهة، أن فلان يدعو الناس ويكرمهم من أجل أن تشدهم إلى الله عز وجل، يوجد رجل أسلم وبعد إسلامه بقليل كان هناك غزوة فشارك فيها فانتصر أصحاب رسول الله فأعطوه الغنائم، قال: ما هذه قالوا: غنائم، قال: غنائم، أنا ما على هذا أسلمت، أنا أسلمت على الذبح، في الغزوة الثانية قتل فذكروا هذا للنبي عليه الصلاة والسلام، فقال: هو هو، قالوا: هو هو، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام، أسلم ليقتل في سبيل الله ما أسلم ليأخذ الغنائم.

الآن تعمل لإنسان رجلين من قصب، وتكرمه وتُدلُّه، وتدعيه إلى وليمة حتى تشده إلى المسجد قليلاً، نحن محمولون والصحابة حملوا الإسلام، فرق كبير بين الرعيل الأول الذين حملوا، قال: أوذيت بالله وما أوذني أحد مثلي، وخفت بالله وما خاف أحد مثلي، ومضى علي ثلاثون ما يدخل جوفي إلا ما يواريه إبط بلال، ماذا ذقنا نحن، إذا كان ريحه مليون ربحهم نصف مليون يندب حظه يقول لك السوق واقف، مسموم لا يوجد عمل ويأكل ويشرب وكل شيء موفر عنده، فهؤلاء الصحابة الكرام الذين أكلوا ورق الشجر في أعوام القطيعة حينما قاطعوهم بني هاشم.

((عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَقْعُدُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ يُجْلِسُنِي عَلَى سَرِيرِهِ فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ سَهْمًا مِنْ مَالِي فَأَقَمْتُ مَعَهُ شَهْرَيْنِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ الْقَوْمُ أَوْ مِنَ الْوَفْدِ، قَالُوا: رَبِيعَةُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ فَمَرْنَا بِأَمْرِ فَضْلِ نُخَيْرٍ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ))

هذا الشاهد نخير به من وراءنا، تعليم العلم قد تقرأ حديث طويل شاهده في كلمتين، فليبلغ الشاهد الغائب.

((فَمَرْنَا بِأَمْرِ فَضْلِ، نُخَيْرٍ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرَبَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدَهُ قَالَ أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تَعْطُوا مِنَ الْمَعْنَمِ الْخُمْسَ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ عَنِ الْحَنْتَمِ وَالذُّبَابِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُرْفَتِ وَرُبَمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ، وَقَالَ: احْفَظُوهُمْ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ))

الحقيقة أحياناً الإنسان يعيش مع زوجته زوجين، يعني ذكر وأنثى مكلفة بالطعام والشراب والطبخ، والخياطة، وهو مكلف بكسب الرزق لا يعاملها إلا كزوجة فقط.

يوجد حقيقة أخواننا لماذا تجلس مع صديق حميم ساعات طويلة دون أن تشعر بالتعب ولا بالملل؟ لأنه يوجد تجاوب، يوجد تشابه، يوجد أفكار مشتركة، قيم مشتركة، أهداف مشتركة، طموحات مشتركة اهتمامات مشتركة، معاناة مشتركة، فكما اتسعت المنطقة المشتركة بينك وبين إنسان آخر كلما ازداد الحب، والوئام، والاتصال، إذا أنت بالعمل وزوجتك بالعمل المنزلي، لا تفهم عليك ولا تفهم عليها، هي لها اهتماماتها وأنت لك اهتماماتك، إذ ما أقمتم منطقة مشتركة من العلم الشرعي بينك وبينها تبقى زوجة وتبقى أنت الزوج والهموم رتيبة ومملة، وتعليقات سخيفة والقضايا التي بين كل زوجين، ويغدو البيت ليس كجنة كما نتمنى أن يكون، قال عليه الصلاة والسلام:

((احْفَظُوهُمْ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ))

والذي يلفت النظر أن أصحاب النبي عليهم رضوان الله لهن زوجات لكن زوجات أصحاب رسول الله كن فقيهاً وكن عالمات، يعني امرأة من أصحاب رسول الله من الصحابيات في معركة أحد تنطلق إلى أرض المعركة تجد أباهما قد قتل تقول: ما فعل رسول الله أهو حي؟ ثم تجد أخاها قد قتل تقول ما فعل رسول الله أهو حي، ثم تجد ابنها قد قتل، ثم تجد زوجها قد قتل، وتقول ما فعل رسول الله، إلى أن رآته بعينيها فقالت: يا رسول الله كل

مصيبة بعدك جلل، يوجد بين رجال المسلمين اليوم رجل يرقى إلى هذه المرأة؟ شعار الناس اليوم:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعِد فإنك أنت الطعام الكاسي

إذا عنده دخل، وبيت، وزوجة، أولاد، ليس له علاقة بأي شيء، أما ترى أباه، و أخاها، و زوجها، و ابنها قد قتلوا وتساءل عن رسول الله.

صحابية جليلة تقول لزوجها: اتقي الله بنا نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، الآن بالعكس تضغط وتضغط وتنتقم إلى أن تؤمن لها حاجتها وهي تعلم أنك أمنت من مال حرام، أكثر الزوجات يدفعون أزواجهم إلى المال الحرام، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، هذه صحابية، أنت ابذل جهد في تربية زوجتك علمها، سمعها الحق، رغبها بالحق، ذكرها بالحق.

((حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِئِي فَلَهُ أَجْرَانِ وَأَيُّمَا مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوْلَاهِ وَحَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ ))

الآن لا يوجد إمام ولكن ذكرت هذا الحديث لزواوية معينة، أنه علمها فأحسن تعليمها، رجل ليس مسلم آمن بنبيه ثم آمن برسول الله له أجران إنسان يوجد عنده أمة علمها وأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران، هذا الحديث فيه إشارة إلى أن الإمام اللواتي يؤخذن أسيرات في الحرب ويضعن عند المسلمين هذا هو حالهن نقلتها من الكفر إلى الإيمان أعتقتها وتزوجتها، إن آمنوا فإخوانكم، ليس كما تروي الكتب ما يفعله الناس في العصور العباسية بموضوع الإمام.

((عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَسْطِرْ عَلَى هَلَكَةِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا "

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ وَيَقُولُونَ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ وَإِنْ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْغَلُهُمُ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ وَإِنْ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ امْرَأً مَسْكِينًا أَلْزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ مِنْ بَطْنِي فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: لَنْ يَنْبَسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ تَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيُنْسِي مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا فَبَسَطْتُ نَمْرَةً لَيْسَ عَلَيَّ تَوْبٌ غَيْرَهَا حَتَّى

قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا وَاللَّهِ لَوْلَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ) إِلَى قَوْلِهِ ( الرَّحِيمِ ) ((

سيدنا أبو هريرة يتحدث عن نفسه لماذا أكثر الحديث عن رسول الله، هو كان مسكيناً وقبيل أن يعيش الكفاف على أن يسمع وينقل، أخوانا الكرام: هذا الحديث موجه إلى أخواتنا المؤمنات:

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تَعْلَمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَأَجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ اثْنَيْنِ قَالَ فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ))

يعني باب الجنة مفتوح لكل أم تربي ولدين من أولادها، أخوانا الكرام انقلوا هذا إلى زوجاتكم أن كل أم تربي ثلاثة من أولادها، أو اثنين منهم ذكوراً أو إناثاً تربية صحيحة، تهذبهم، تعلمهم، تعلمهم مبادئ الخير والحق والكمال، إن هذه الأم سيدخلها الله الجنة والجنة أعظم عطاء إلهي، آخر حديث:

((عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ سَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرَنَا))

يعني كان عليه الصلاة والسلام رحيماً بأصحابه وكان واقعياً.

((قَالَ: ازْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرْ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))

أحاديث هذا الدرس كلها حول التعليم، أولى الناس بأن تعلمهم زوجتك، شريكة حياتك، التي عاشت معك على السراء والضراء وأولادك وأخواتك وجيرانك، شركائك وزملائك، هؤلاء هم خاصة نفسك يقول عليه الصلاة والسلام:

((عن أبو أمية الشَّعْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيَّ فَقُلْتُ يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ: كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ( عَلَيْنَا أَنْفُسُكُمْ ) قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا خَبِيرًا سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بَلِ انْتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْتَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ يَغْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ وَرَأْدِي غَيْرُهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ قَالَ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ))

أقرب الناس إليك الذين يلوذون بك، الذين تثق بهم، الذين تأمن جانبهم الذين لا تخاف منهم، هؤلاء خاصة نفسك علمهم، انقل لهم ما سمعت من دون استعلاء طبعاً، قال رجل: هل تعرف تفسير هذه الآية ؟ قال له: أعلم وذكرها له، فقال له: ليس هذا هو المعنى، فقال له: ما المعنى، قال له: المعنى فوق مستواك.

أحب أن يعلمه، حطمه، حجمه، صغره، ليس هذا هو التعليم، التعليم اليوم استمعنا إلى الموضوع الفلاني، استمعت ونقلت، ليس أنت عالم، التواضع جميل وأنت بالتواضع تدخل إلى قلب الإنسان كلمة فيها استعلاء هل تعلم معنى هذه الآية، لا، قل له المعنى مباشرة.

(( قَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرْ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّ

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (077 - 127) : حقيقة الحياء

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-09-1997

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أحاديث كثيرة جداً تتحدث عن الحياء: وكيف قورن بالإيمان فإذا رفع أحدهما رفع الآخر، من علامة الإيمان الحياء، الحياء يدل على الإيمان، الحياء أن تستحي من معصية، أن تستحي من نقيصة، أن تستحي من أكل مال الآخرين، أما الخجل هو لا تستطيع أن تطالب بحقك أن لا تبوح بسرّك،

أيها الإخوة الكرام من أجمع الأحاديث الشريفة في هذا الموضوع قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلِتَذْكَرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ))

اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ :

من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموتى والبلاء، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياة، وردت كلمة حق في عدة آيات من القرآن

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) ﴾

(سورة آل عمران)

قال العلماء: حق تقاته أن تطيعه فلا تعصيه، وأن تشكره فلا تكفره، وأن تذكره فلا تنساه، الإنسان يستحي من الله، لكن قد يستحي من الله، ليس الحياء الحق الذي أراده النبي عليه الصلاة والسلام، استحي من الله حق الحياء، قيل: وما حق الحياء يا رسول الله؟ قال: أن تحفظ الرأس وما وعى، في هذا الرأس عينان، فمن أطلقهما ليتعرف على آيات الله في الآفاق وفي النفس فقد استعملهما وفق ما أراد الله عز وجل، أما إذا أطلق العينين في العورات ونظر إلى ما حرم الله، قال عليه الصلاة والسلام:

((من ملأ عينيه من الحرام ملأه الله من جمر جهنم))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس))

وغض البصر مدرسة، والإنسان يؤخذ من نقطتين: من نقطة النساء، ونقطة المال، فإذا حصنت نفسك من النساء بغض البصر، ومن المال بالعفة، فقد استطعت أن تتجو من أي فساد، فاستحي من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، هذه العين ينبغي أن تبكي من خشية الله، ينبغي أن تحرس في سبيل الله، ينبغي أن تنظر إلى آلاء الله، ينبغي أن تكون نافذة لك إلى الكون، إلى مخلوقات الله، أما إذا استخدمتها في المعصية، ماله هواية في الصيف بيته في المزة ينتقل إلى الصالحية ليتجول في هذا الطريق مرتين أو ثلاث مرات يملأ عينيه من الحسناوات ولا يفعل شيء بعد حين أصيب بمرض نادر اسمه " ارتخاء الجفون " لا يستطيع أن يرى إلا ليمسك الجفن بيده ويرفعه، الله عز وجل يجعل العقاب من جنس الذنب، ليعرف الإنسان أن هذا جزاء الذنب الذي اقترفه الله عز وجل قال: من يؤمن بالله ما أصاب من مصيبة إلا في الكتاب، ومن يؤمن بالله يهدي قلبه، إذا آمن أن الله لا يفعل بعدابنا إن شكرنا أو آمنا يهدي قلبه إلى سر المصيبة إما أن يلقي في روعه أن هذه المصيبة من أجل كذا وإما أن تأتي المصيبة متناسبة مع الذنب، فمن أطلق بصره في الحرام لا يدري ماذا سيكون في عينيه في المستقبل، العبرة ليس في شباب الإنسان بل في خريف العمر، وخريف العمر متعلق بشباب الإنسان، كيف أمضيت هذا الشباب؟ كيف استعملت الجوارح؟ فأن تستحي من الله حق الحياء أي أن تحفظ الرأس وما وعى، في الرأس عينان، يجب أن تغضهما عن محارم الله، في الرأس أذنان ينبغي أن لا تستمع بهما إلا إلى الحق لا

إلى الكذب ولا إلى الغيبة ، ولا إلى الفجور ولا إلى البهتان ولا إلى القصاص المكشوفة، ولا إلى المزاح الرخيص، هذه الإذن ينبغي أن تستمع بها إلى الحق، في الرأس فم ولسان ، أو نؤاخذ بما نقول ؟ قال: ويحك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ! إذا إنسان ضبط عينه وضبط أذنه وضبط لسانه، قطع مرحلة كبيرة جداً إذا ضبط عينه من أن تملأ من الحرام، وإذا ضبط أذنه من أن يستمع إلى ما يرضي الله من غناء أو غيبة أو نميمة أو فاحشة أو ما شاكل ذلك، وضبط لسانه بحيث لا ينطق إلا بالحق، لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، فضبط اللسان شيء من الدين وضبط العين وضبط الأذن، الخواطر: الدماغ ويوجد به خيالات وتصورات ، فمن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم من كل خاطر ووسواس وفكر لا يرضي الله عز وجل فقد استحيا من الله حق الحياء، حفظ سمعه وبصره ولسانه وتفكيره، حديث جامع مانع " فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى " ماذا يدخل إلى هذا البطن ؟ أيدخل طعام اشتريته بمال حرام ؟ ما معنى قول النبي الكريم: "ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة " لعلك تفهم من أطب مطعمك أن يكون الطعام طيباً ؟ لا أن يكون الطعام قد اشتريته بمال حلال، والمال الحلال هو المال الذي اكتسبته من طريق مشروع، سليم من الغش والكذب والاحتيال والاحتكار والاستغلال ولا ضغط ولا إيهام ولا شراء من بائع مضطر، إذا كان شرائك وبيعك حلالاً كما قال عليه الصلاة والسلام:

"إن أطيب الكسب كسب التجار الذين: إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا أؤتمنوا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يظروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم ينقذوا " حديث جامع مانع، هذا الرأس، دماغ، عينان، أذنان، لسان، فإذا طهرت دماغك من الخواطر الشيطانية والوساوس، وإذا طهرت عينك من النظر بها للحرام، وإذا طهرت أذنك من أن تستمع إلى ما لا يرضي الله عز وجل، وإذا طهرت لسانك من معاصي اللسان وما أكثرها من غيبة ونميمة وفحش وافتراء وسخرية وتقليد ومحاكاة وكذب وإذا طهرت الدماغ والعين والأذن واللسان فقد ضمنت القسم الأعلى.

أما البطن: ورد في كتب الفقه أن هناك أشياء تسقط العدالة إنسان له صفتان: صفة الضبط، وصفة العدالة، الضبط صفة عقلية، والعدالة صفة نفسية، فالمؤمن ضبطٌ عدلٌ العدالة تسقط متى؟" من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو من من كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته" فإذا كذب الإنسان سقطت عدالته، ولا تقبل شهادته، إذا ظلم سقطت عدالته، ولا تقبل شهادته، إذا وعد وأخلف سقطت عدالته، ولا تقبل شهادته، إلا أن هناك أشياء لا تسقط العدالة ولكن تجرحها فيمكن أن تأتي

بإبريق بلور وتأتي بمطرقة تجعله ضحياً هذا سقوط العدالة، وقد تأتي بإبريق فيصاب بشعر أصبح نخباً ثانياً، كان ثمنه ألف أصبح ثمنه خمسة، لكن لم يكسر نهائياً يستعمل استعمال خفيف هذا جرح عدالته، ويجرح العدالة أن تأكل في الطريق، يجرح العدالة أن تبول في الطريق، ويجرح العدالة أن تسير عاري القدمين، يجرح العالة أن تنتزه في الطرقات، يجرح العدالة أن تتحدث عن النساء، يجرح العدالة أن تطف بتمرة، يجرح العدالة أن تأكل لقمة من حرام، كم الكيلو ؟ ولا تنوي الشراء ذقت اللبن دون أن تنوي شراء اللبن هذه لقمة من حرام، يجرح العدالة أن تطلق لفرك العنان، يجرح العدالة أن تقود برزونا، (حيوان مخيف أو كلب متوحش) يجرح العدالة أن يعلو صوتك في البيت، هذه تجرح العدالة فاستحي من الله حق الحياء، قال: وما حق الحياء ؟ قال: أن تحفظ الرأس وما يعلوه، وأن تحفظ البطن وما حوى، لي صديق في العيد والده حي يرزق فدخل والده قال لي: أنا عمري ست وتسعون عاماً وأجريت قبل يومين تحليلاً شاملاً فلم يكن في جسمي شيء غير طبيعي ثم أقسم هذا الرجل أنه لم يأكل في حياته درهم واحد حرام، ولا يعرف الحرام، إذاً الله عز وجل حفظه أن تحفظ البطن وما حوى، أن لا تأكل حراماً أي أن لا تكسب حراماً أي أن لا تستخدم طريقة لكسب المال غير صحيحة، فإذا كان أحدهم تجارته أساسها الغش والتزوير والكذب والأيمان الكاذبة وان يأتي ببضاعة من مصدر لها غلاف أو ماركة من مصدر آخر، قماش تايواني عليه حاشية ميد إن فرانس، غالي الثمن جداً ووضعت هذه الحاشية بالمكواة فقط هذا غش، فالريح أصبح مالا حراماً، معنى الأكل أصبح خبيثاً ، معناه الدعاء غير مستجاب شيء كبير جداً. لذلك لماذا المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت نفسها، دخلت جنة ربها ؟ فالمرأة دينها سهلاً أما الرجل أكثر من مائتين معصية في البيع والشراء، أحدها الحلف الكاذب، اليمين الفاجرة منقفة للسلعة منقحة للبرق، يحلفون بالأمانة، والله وكيلك وديني وإسلامي، لا نربح كلفتها أكثر، كلام كذب غير صحيح، يا أخي بالصلاة لا أشعر بشيء لأن طريقك مسدود، لا تشعر بشيء، لأن أيمانك كاذبة، شيء آخر تطري وتثني على هذه البضاعة بما ليس فيها أفضل نوع أحسن من هذا لا تجد، حتى أنا أرثدي منه فإذا أردت أنت أن تروج القماش وفصلت منه بنظراً هل يعني أن القماش جيد ؟ جاء دلال يريد بيع بيت البيت شمالي والزيون راهن قال لهم: أريد صلاة العشاء فأخذ السجادة ليصلي باتجاه الشمال اطمأنوا الجماعة، إذاً فالبيت قبلي، كل النوافذ هكذا، فاشتروه فاكشفوا باليوم الثاني أن البيت شمالي، الغش متقشي تنعدم به البركة والريح والسرور، "وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموتى والبلى" فالموت يسبب الردع، الإنسان الغبي يعيد الماضي ويعيد نفسه، قال: ألهي بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمر ابن كلثوم، والإنسان الأقل نكاء يعيش حاضره، والإنسان

الذكي يعيش مستقبله، يا ترى ما أخطر حدث في حياة الإنسان ؟ الموت مصير كل حي هل يستطيع أحد من الحاضرين أن يقول أنا لن أموت ؟ لي صديق وأخ مدرس، ذكي، رشيقي، ونحيل الجسم وقوام، بيته متوازن، أكله قليل، حركته كثيرة، لا يحمل هم، لا يدخن، جلس بمجلس مع أصدقائه قال لهم: أنا موتي بعيد جداً سألوه لماذا ؟ قال لأن طعامي قليل، فأنا أمشي ورياضي ولا أدخن ولا أحمل هموم إطلاقاً، هذا الكلام قاله يوم السبت مساءً في السبت القادم كان تحت الأرض، والله الذي لا إله إلا هو فالغني يعيش الماضي ، الأقل ذكاء يعيش الحاضر، الذكي العاقل يعيش المستقبل، ما أخطر حدث في هذا المستقبل ؟ الموت: الذي ينقلك من المالكي على باب صغير، من بيت ثمنه مائة وخمسون مليون إلى حفرة لها باب صغير لها حفر على الجردان ممكن، نقلة مخيفة جداً هذا واقع، إقرأوا النعوات كلها وسيشيع إلى مثواه الأخير، ما المثلوى الحالي الذي هو بيتك فمهما اعتنيت بالبيت وزينته وزخرفته ووسعته ومهما جعلته مطلاً على منظر جميل وهيأت له التكييف والتدفئة والأثاث الفاخر، فهو مثلوى مؤقت. " وليذكروا الموتى والبلا " النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أكثرنا ذكر هذه اللذات، مفرق الأحباب مشتت الجماعات عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارق واعمل ما شئت فإنك مجزي به " هذا الحديث يا إخوان من أصول الأحاديث: "أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلا "ضمن لي أن تضبط سمعك ولسانك ودماعك وأن تضبط طعامك من حلال وأن تذكر الموت والبلى كل يوم فإذا أنت على المنهج المستقيم، على الصراط المستقيم، فإذا أنت مع الصديقين والشهداء والصالحين، فإذا أنت في جنة، وإذا أنت في ببحوحة، وإذا أنت في أمن وأنت في سرور، وإذا أنت في ثقة، وإذا أنت في سعادة، الرأس وما وعى، والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلا، أضبط لسانك وسمعك، وبصرك، أما من أغنية لأخرى، ومن قصة لقصة، ومن ففش لففش، والنظر من عورة لعورة، وهي مثل أختي نوهي مثل عمتي، نحن لا توجد بيننا التكلفة، وأهلية محلية، هل هي آية أم حديث ؟ لا آية ولا حديث، ولكن إذا كان إطلاق البصر، وإصغاء للاغاني، وكذب، وغيبة، ونميمة، ودخل مشبوه تجسد بطعام حرام، قال له: " عظني ولا تطل قال: قل آمنت بالله ثم استقم، قال أريد أخف من ذلك قال إذا فاستعد للبلاء " هذا الكلام مفيد ومختصر .

فإذا حفظنا الرأس وما وعت وبطوننا وما حوت وذكرنا الموت والبلا فقد استحيينا من الله حق الحياء . والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم  
أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي  
الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس (078 - 127) : اغتتم خمسا قبل خمس

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-08-1998

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه ، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة المؤمنون :

دروس العلم يمكن أن تتجه اتجاهين ، الاتجاه الأول أن تتجه إلى تقرير الحقائق الموضوعية ، هذه الدروس يغلب عليها الطابع العلمي إنها تخاطب العقل ، إنها تستهدف أن تحدث قناعة في الإنسان والقناعة في الإنسان أساس حركته ، أساس استقامته ، أساس ارتباطه هذه دروس العلم .

هناك دروس أخرى تتجه إلى إحداث موقف ، لا إلى إحداث قناعة القناعة حاصلة ، ولكن الإرادة ضعيفة ، الدروس التي تتجه إلى تقوية الإرادة وإحداث موقف هذه الدروس تتجه في الأعم الأغلب إلى القلب هناك دروس تتجه إلى العقل لإحداث قناعة وهناك دروس تتجه إلى القلب لإحداث موقف ، الدروس التي تخاطب العاطفة وتتجه إلى القلب نحن في أمس الحاجة إليها ، والدروس التي تتجه إلى العقل وتخاطبه ، وتعالج موضوعات دقيقة نحن في أمس الحاجة إليها ولكن كل من هذه الدروس لا يغني عن الآخر ، إن كل منها كالمح في الطعام إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده .

أنا أشعر من حين إلى آخر أننا بحاجة إلى دروس تتجه إلى القلب تتجه لا إلى إحداث قناعة ، القناعة متوافرة ، بل إلى إحداث موقف بل إلى تقوية الإرادة ، بل إلى أن تأخذ حقائق الدين موقف الجد ، بل إلى أن تترجم قناعاتك إلى مواقف ، إلى سلوك ، إلى واقع ، أردت أن أجعل محور هذا الدرس حديثاً شريفاً صحيحاً رواه الحاكم وقال صحيح ورواه أكثر من محدث وقيل إنه حسن في إسناده وفي متنه فالحديث معروف عندك جميعاً وقد سمعتموه من الخطباء والمدرسين عشرات بل مئات المرات ، لكنكم ألغتم أنني حينما أجعل الحديث محور الدرس

نحلله ونغوص في أعماقه ، وحينما نذكره مرةً واحدة كشاهد نمر عليه كما يقال مر الكرام .

حديث اليوم :

قال عليه الصلاة والسلام لرجل وهو يعظه ، الموعظة تتجه إلى القلب ، وقد يسخر بعضهم من المواعظ ، كيف يسخر من موعظة والله جل في علاه يقول :

﴿وَعِظُهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)﴾

[ سورة النساء ]

كيف نسخر من دروس الموعظة والله جل في علاه يقول :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾

[ سورة يوسف ]

الحديث الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل يعظه :

(( اغتتم خمساً قبل خمس ، شبابك ))

أكثركم من الشباب ، ولكنكم والله وأنا لا أحنث بهذا اليمين لا تعرفون قيمة الشباب ولا يعرف قيمة الشباب إلا الشيوخ ، إلا الكهول ترى الشاب خالي الهم من آلاف الموضوعات ، انظر إلى حياة الشيخ يعنيه ضغطه ويعنيه دسامات قلبه، وتعنيه مرارته وبحصتها وكليته وضعفهما ، ويعنيه قلبه ، ويعنيه دماغه ، ويعنيه آلام في مفاصله، تارةً يبحث عن تحليل ، وتارةً يبحث عن طبيب ، يعني مجموعة كبيرة جداً من الهموم ، الشاب مرتاح منها ، هل يخطر على قلب الشاب في السنة مرةً أن في قلبه خلاً؟ إطلاقاً فهذا العمر الفارغ من الهم ، الفارغ من الضعف ، الفارغ من المقلقات ، ألا ينبغي أن يستغل في طاعة الله ، في معرفة الله ، في حفظ كلام الله ، في الدعوة إلى الله ، في حضور مجالس العلم ، في التزود بالعلم ، في نشر العلم ، في ملازمة أهل الحق .

قلت لكم قبل كل شيء والله الذي لا إله إلا هو لا يعرف قيمة الشباب إلا الشيوخ ، إلا من تجاوز سنه الأربعين ، آلام ، وهموم ومقلقات ، وتحاليل ، وأطباء ، وسهر ، وشكوى ، وآلام في المفاصل وازدياد حمض الأسيدي ،

الكولسترول ، شحوم ، من طيبب إلى طيبب من مصور إلى مصور ، ترى الشاب لا يخطر في باله شيء كالحصان ، فالنبي العدنان عليه الصلاة والسلام يقول :

### ((اغتم خمساً قبل خمس))

اغتم هذا السن ، سن العطاء ، سن البناء ، سن الاندفاع ، سن الإرادة القوية ، سن البطولة ، ألا تغارون من سيدنا أسامة بن زيد سبعة عشر عاماً عينه النبي قائداً لجيش فيهم أبو بكر ، وفيهم عمر وعثمان ، وعلي ، هذا الشباب ، الإسلام يعتز بالشباب وقد أقول لكم يعني لا تبني نهضة أمة إلا على الشباب ولا ينتشر هذا الدين إلا على أيدي الشباب ، ولا يرجى لهذه الأمة أن تعود إلى سابق عهدها من قيادة الأمم إلا الشباب ، طاقة ، اندفاع ، فراغ ، صفاء ، قيم ، مبادئ لو نظرت إلى إنسان تقدمت به السن انكفاً على نفسه ، همومه كلها ذاتية ، يعني أصبحت همومه أكثرها في صحته ، وبعضها في أولاده وزوجات أولاده ، وتأمين حاجات أسرته ، والتوفيق بين دخله وبين مصارفه ، لكن الشباب لا يفكر في هذه الموضوعات ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

### (( اغتم خمساً قبل خمس ))

والله أيها الأخوة أنا أقول لو أن إنساناً جاءني وأنا شاب في أول انطلاقة الشباب وأعطاني كل خبرته التي تزيد عن خمسين عاماً في طريق الإيمان والله لو قدمت له روحك لكان هذا قليل ، قدم لك خبرات خمسين عاماً بكلمات معدودات ، افعل ولا تفعل ، إياك أن تفعل كذا ، الزم كذا ، داوم على كذا ، احفظ بصرك ، احفظ قلبك ، احفظ أمر ربك ، استقم ولا تخف ، أقم أمر الله ولا تعجز ، كن مع الله ولا تبالي ، كن مع الله ترى الله معك ، يعني إذا الله عز وجل أكرم شاب برجل يقدم له خبراته في الإيمان ، خبراته مع الله خبراته في طريق الحق ، خبراته في الدنيا المحفوفة بالشهوات والمنزقات والمكاره ينبغي أن تستجيب هذا هو سر التعليم ، لو أن الإنسان لا يتعلم إلا بتجربته الشخصية لما كان هناك جدوى من التعليم ، لماذا نعطي أبناءنا في المدارس خبرات الأجيال السابقة ؟ أنتم لا تصدقون أن الذي وصلت إليه الإنسانية في عشرين قرناً يتعلمه الطلاب في الصف التاسع ، يقول لك : قانون أرخميدس ، قانون السقوط ، قانون كذا ، كل مائة عام خرج عالم بقانون ، عالم من فلتات العلماء وكشف شيء درسه في كتاب نصف صفحة .

لماذا التعليم ؟ التعليم يقدم للجيل خبرات الأجيال السابقة ، طبعاً في الرياضيات ، العلوم ، الفيزياء ، الكيمياء ، لكن نحن في التعليم الديني خبرات آلاف العلماء ، آلاف الدعاة ، آلاف أهل الحق كل خبراتهم مع الله صبوها في كتب ، فحينما تدرس كتاباً ، حينما تقرأ حديثاً حينما تطلع على تفسير ، حينما تجلس مجلس علم ، ماذا تأخذ أنت ؟ تأخذ خبرات بعضها فوق بعض ، فلذلك أيها الشباب اغتنموا شبابكم طاقة تحتاج إلى توجيه ، الشباب محرك جديد لا يحتاج إلا إلى مقود فإذا افتقر إلى المقود دمر صاحبه ، لو انطلقت سيارة بلا سائق والمحرك ممتاز ألسنت موقناً أن دمار هذه السيارة مائة في المائة والشباب حينما يندفع يستجيب إلى شهواته ، لشهوة بطنه ، لشهوة فرجه ، يستجيب إلى شهواته الاجتماعية ، يعيش لحظته وينسى آخرته ، وينسى ربه ، إنما يدمر نفسه .

أخطر ما في هذا الحديث أن الشباب لا يدوم ، يعني الشباب ينسى أن الشباب مؤقت يظن أنه دائماً نشيط ، دائماً فارغ الهم ، فارغ البال ، دائماً مندفع ، دائماً يقفز قفزاً على الدرج ، قد يأتي يوم درجة درجة ، وقد يأتي يوم يباع البيت بسبب أنه مرتفع ، وقد يأتي يوم يحتاج إلى من يعينه للصعود . يحتاج إلى عكاز . فأخطر ما في الموضوع الشباب لا يدوم ، فإذا كان لا يدوم كيف تستغله ؟ بقيل وقال ، في لعب ، في حركات عشوائية ، في نشاط سخي ، في الغيبة ، في مزاح رخيص ، في نزوات فارغة ، في نشاط سخي

(( " اغتنم خمساً قبل خمس ))

كلام النبي عليه الصلاة والسلام .

الله عز وجل قال :

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17)﴾

[ سورة نوح ]

والنبات شاهد ، انظر إلى البرعم ، زهر ، ورق ، ثمر ، اصفرار ذبول ، حطبة ، وهكذا الإنسان ، من هو البطل؟ البطل هو الذي يصل بعقله إلى ما سيكون ، من هو الطالب المتفوق ؟ هو الذي يتخيل الفحص طول العام الدراسي ، الفحص مائل أمامه طوال العام الدراسي ، من هو الذكي ؟ هو الذي يعد كل العدة لساعة لقاء الله عز وجل ، يعد العدة لساعة لكي لا يصعق فيها ، لئلا يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا ،

يصيح الكافر صيحةً عند الموت لو سمعها أهل الدنيا لصعقوا .

مركز الثقل في هذا الحديث كل شيء لا يدوم كأنه انقضى ، اركب سيارة الوقت محدود مهما طال السفر نجد في المحطة الأخيرة تفضل وانزل ، وأنت راكب مركبة رجل قطع نصف الطريق ، ربع الطريق أربعة أخماس الطريق ، يوجد محطة أخيرة ، فأول نقطة في هذا الدرس الشباب لا يدوم ، وما دام الشباب لا يدوم كيف نستغل هذه الفترة المتألفة من حياة الإنسان ؟ لماذا لا تحفظ القرآن ؟ العلم في الصغر كالنقش على الحجر ، والعلم في الكبر كالكتابة على الماء يعني إذا الإنسان ما أتيج له أن يحفظ وقد بلغ به سنه درجةً عاشرَةً فلينصح الشباب أن يحفظوا ، هذا الوقت هو أنت ، الوقت هو أنت هذه الكلمة ما رأيت كلمةً أبلغ منها ، الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، مامن يوم ينشق فجره إلا وينادي يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإن لا أعود إلى يوم القيامة لا تنسى أن الإنسان يوم القيامة ولو كان مؤمناً ، لو دخل الجنة لا يندم إلا على ساعة مضت لم يذكر الله فيها .

قرأت مرة كلمة ، لو أن الدنيا كلها بيد إنسان وجاءه الموت ودفعها كلها من أجل أن يمد في أجله ساعة واحدة ليصلي بها ركعتين لله عز وجل لما استطاع ، قال تعالى :

﴿فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)﴾

[ سورة يونس ]

أحد العلماء مر بمقهى رأى فيه أناساً يلعبون بالنرد ، فتنهد وقال يا سبحان الله لو أن الوقت يشتري من هؤلاء لاشتريته منهم ، ترى المؤمن يقول ياريت اليوم خمسين ساعة ، طموحه أن يحفظ القرآن أن يقرأ الكتاب الفلاني ، يحظر هذا المجلس يتابع هذا الموضوع يتعلم تجويد ، يتعلم فقه ، يتعلم أصول الفقه ، يتعلم تاريخ التشريع يعرف كيف يكون داعية ، يتعلم الخطابة ، يتعلم كيف يكون إنساناً منيراً للآخرين وعنده مشاغل بيتية يقول لك لو أن النهار خمسين ساعة ، وترى أشخاص يقتلون الوقت قتلاً ، يمضون أوقاتهم في موضوعات سخيفة لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

(( اغتتم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ))

الشيخوخة لها أحكام ، مرة كنت عند طبيب يقول لمريض أمامي لا يوجد بك شيء ولكن هذه أعراض سنك ، كلمة بليغة ليس هناك وضع خطير ولكن ما تشكو منه أعراض طبيعية للشيخوخة ، هذه أمراض الشيخوخة ، ترى في التخطيط صار ضعف ، ارتفع الضغط لأنه بالخمسين من عمره ثلاثة عشر ، تسعة بالستين ، كل سن له ضغط معين فالشيخوخة قادمة لا محالة ، ماذا أفعل في الشباب ؟ يجب أن أستغله في طاعة الله . بالمناسبة هذه كلمة أقولها لكم دائماً : من كان في شبابه مع الله عز وجل ، يعني أنا أرجح لا أجزم في الأعم الأغلب أن الله سبحانه وتعالى يهبئ له شيخوخة متألفة ، والله أرى أناساً من أهل العلم والفضل في سن التسعين ، خمسة وتسعين ، بالمائة وعشرة ، حدثنا أخ من إخواننا الدعاة إلى الله والده تقدمت به السن عاش مائة وخمسة عشر قال لي: والله أنا في أي مسألة لا أذكر ما رأي الإمام الشافعي فإذا سألت والدي يقول لي يا بني الشافعي يقول كذا وأبو حنيفة يقول كذا ، وقرأ هذا في الكتاب الفلاني في الصفحة الفلانية وعمره مائة وخمسة عشر عاماً ، من عاش تقياً عاش قوياً ، الله يمتع في صحته بسمعه ببصره ، بذاكرته ، بمكانته ، قال تعالى :

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)﴾

[ سورة يس ]

يوجد أرذل العمر ، لا أعتقد رجل له أقرباء صار خارج الاهتمام وضع في غرفة كلما دعا أناس إليه تفلتوا منه ، سكتوا أمامه يتغامزون ، يتصايحون ، يسخرون أحياناً ، يدعون عليه بقصر العمر يهينه أقرب الناس إليه هذا أرذل العمر ، إذا الإنسان أمضى شبابه في أرذل العمر الله سبحانه وتعالى أعظم وأكرم من أن يجعل شيخوخته دليلاً مهانة لا الله غني ، كل شيء بحسابه .

والله يوجد أشخاص بالتسعين يتألقون ، يتمتعون بكامل قواهم زرت شخص والد صديقي تسعين سنة ، قال لي : أجريت تحاليل كاملة كلها طبيعية ، وأنا كنت كل سنة أزوره اشتھيت أن يعيد لي قصة مرتين ، يقول : هذه القصة أنا قلتها لك المرة الماضية ويقول لي قصة جديدة ، سبحان الله ذاكرة قوية ، جسم كامل ، وقال لي : والله ما أكلت قرشاً حراماً في حياتي ولا فعلت الحرام .

الله كريم ولا أحد يتكلم كلام غير واقعي ، كلكم تريدون شيخوخة راقية ، متألفة ، لا يوجد فيها خرف ، فقر ، إهانة، الله عز وجل إذا كرم عبد يجوز أول حياته يضيق عليه لكن بآخر حياته يعطيه بحبوبة ، وكلما تقدم به السن لا يوجد عنده إمكان أن يعمل مثل الشباب ، فالله عز وجل من تكريم الله للإنسان في وقت ضعفه يوفر له

رزقاً حسناً يكفيه ويغنيه ، أنت عندما تمضي هذا الشباب في طاعة الله ماذا تنتظر من الله ؟ تنتظر من الله كل خير ، كل إكرام ، كل عطاء ، أنا أسمع من خلال خبراتي في علاقتي الذي أمضى شبابه في استقامة .

والله زارني شخص وهذه القصة قلتها لكم كثيراً من أجل الموعظة ، قال لي : كم تقدر عمري ؟ أنا قدرت ستين سنة ، قال ستة وسبعون ، وقال : أنا مثل الحصان ، أعارك الجدار ، أثناء الحديث سألته عن عمله ، كان موظف وفي منطقة حساسة جداً وممكن أن يكون معه مئات الملايين من خلال عمله ، قال لي : والله ما أكلت قرشاً حراماً في حياتي وما آذيت إنساناً ، فلما خرج قلت يا ليتنا نعرف قانون الله عز وجل .

يوجد قوانين ثابتة ، أنت ما آذيت ولا عبد من عبادي ، ولا استغليتهم ، ولا ابتزيت أموالهم ، خدمتهم ، نصحتهم ، رحمتهم ، وأنا سأرحمك ، وأنا سأعلي قدرك ، سأرفع مكانتك ، سأهني لك كل العيش الكريم ، له مكانته ، وبيته ، وأولاده ، وأصهاره ، ومركبته ومصيف ، عاش معزراً مكرماً ، ما أكل قرشاً حراماً في حياته ولا أذى إنساناً كل شيء في حسابه ، لو إنسان عنده وقت ، أو عنده إمكانية يفهم هذه التفاصيل ، كل إنسان له قصة مع الله ، وسوف ترى من قصص الناس العجب العجاب ، الله عز وجل يعامل العباد بأدق التفاصيل ، ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر .

قال لي أخ كريم أن إنسان عمره ستين سنة ، إبهام رجله أسود زاره طبيب وأعطاه الرأي القطعي لابد من قطعها مرض الغنغرين الموات بالتعبير الفصيح ، له خمس أولاد وكلهم من أصحاب الدخل المحدود . هذه عبارة لطيفة عن الفقر . الأربعة أولاد استجابوا إلى رأي الطبيب ماذا نفعل أمر الله ، إلا واحد منهم كبر عليه أن تقطع إصبع أبيه إبهامه فتوسل للطبيب وانفعل ، ورجاه ، فقال له الطبيب: يا بني لابد من قطعها إن لم نقطعها من هنا سوف نقطعها بعد أيام من هنا لكن الطبيب أكبر في هذا الابن ، هو واحد من خمسة الأربعة استسلموا ماذا نفعل أمر الله ، وأبوك كبير في السن وليس صغير ماذا نفعل بلا هذا الإبهام إلا هذا الابن الخامس وكاد يغلي غليان ، الطبيب أكبر فيه هذه البنوة الراقية، الغيرة على سلامة الأب وقال له : انظر يا بني ممكن لكن تحتاج إلى جهود جبارة يوجد تعليمات منهكة ، ثلاث حمامات للإبهام باليوم مع خمس ست مواد مع شاش وإذا تقدم السواد سننمتر لابد من أن تقطع فوراً ، قال له : أنا أتكفل هذا الابن يسكن في المزرعة والأب في الجادة السابعة في المهاجرين والابن موظف فكان يضطر أن يستيقظ الساعة السادسة ويذهب إلى والده يسخن الماء ويحضر الخمس مواد ويضعها في الماء ويحلم حمام لوالده ، اثنين ، ثلاثة ، ثم ينشف ويضع الشاش ، ويذهب إلى وظيفته يتغذى ، ويحضر إلى والده ، هل تصدقون أنه بقي بهذه المعالجة سنة ونصف ، كل يوم مرتين أو ثلاثة من المزرعة إلى المهاجرين وأراد الله عز وجل أن يكرم هذا الابن بشفاء إبهام أبيه وشفي تماماً ، يقول لي راوي

القصة خمس أولاد الأربعة يعانون من أصعب أنواع الفقر ، وهذا الخامس أصبح معه أكثر من خمس مئة مليون ، هذا الذي كان موظف بقدره قادر الله عز وجل كافأه أكرمت والدك أنا أنساك من فضلي ، لو أن الإنسان معه وقت ينظر في كل قصة ما هو أساسها ، اسمعوا مني هذا الكلام كل قصة فيها عشر فصول ، مائة فصل ، ممكن أن تعرف فصل ، واثنين وخمسة ، وعشرة ، وخمسين ، وتسعين ، ممكن أن تعرف تسعة وتسعين فصل ويوجد استفهام أما إذا عرفت الفصل المئة ينجلي هذا ذلك الاستفهام ، تعرف لماذا أكرم الله هذا الإنسان ولماذا عذب فلاناً لماذا أعطى ولماذا منع ، لماذا رفع ، ولماذا خفض ، لما أعز ولماذا أذل ؟

والله يا أخوان العز بيده ، والذل بيده ، والإكرام بيده ، والإهانة بيده ، والعطاء بيده ، والمنع بيده ، والنفع بيده ، والضر بيده ، والله هذا الإيمان ، والله مالم تؤمن أنه لا رافع ولا خافض ولا معز ولا مذل ولا معطي ولا مانع إلا الله ، هو الإيمان أن لا ترى مع الله أحداً ، الإيمان أن ترى أن الله هو كل شيء وما سوى الله لا شيء فذلك :

### ((اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ))

هذا الكلام للشباب ونحن تجاوزنا ، شبابك ، والإنسان من شب على شيء شاب عليه ، أيام تلاحظ ، رجل قال لي : أنا مضيت ذهب وقتي ، قلت له : ما شاء الله حولك ، فقال : العداد قلب والدولاب مسح ، عبر عن كبر سنه أن العداد قلب والدولاب مسح تلاحظ إنسان تتكلم معه عشر سنوات تنتهي يقول : أعطوني الطاولة لنلعب ، ما فهم شيء ، الإنسان بشبابه يوجد عنده وعي ، إدراك بعد الخمسين يتكلس عقله يقول لك خشب ، يسمع ويهز رأسه وهو هو لا يغير ولا يبدل ، عاداته ، مزاحه ، لقاءاته ، الاختلاط ، هو هو لا يغير شيء في حياته ، لذلك من بلغ الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتهجز إلى النار ، معنى هذا أنه فلس ، الشاب معجونة ، الشباب حديد حامي على أي طريقة تجلس ، الشباب غصن نضر كيف ما تريد أن تحركه ، أما الشيوخوخة خشبة يابسة انتهى .

فذلك أنا أقول الشيوخوخة التي سبقها معاصي أما شيوخوخة المؤمن أجمل من الشباب لأنه جمع بين الحكمة والاندفاع ، أكثر شيء في الشباب الاندفاع ، والشيخ أكثر شيء فيه الحكمة ، أنت انظر إلى إنسان مؤمن متقدم في السن من فلتات الدنيا لأنه جمع بين حكمة الشيوخ وبين اندفاع الشباب ، وأنا أقول لكم كلام وأعني ما أقول : المؤمن لا يشيخ أبداً ، ولكن ترى في هويته ولد سنة ألف وتسع مائة وعشرة ، ولكن يبقى شاب ، الإيمان من طبيعته أن يبقى الإنسان شاب دائماً والسبب ؟ يوجد سبب واضح جداً أن الإنسان مادام له هدف لم يصل إليه يوجد عنده حيوية ، الطالب إذا دخل الثانوي يقول لك كان عندنا أستاذ واحد لا يوجد غيره ست ساعات ملينا منه ، هنا أستاذ رياضيات ، أستاذ فيزياء ، أستاذ كيمياء ، عربي ، يذهب إلى الجامعة يقول لك أنا طالب جامعي

صرت ، يوجد عنده محاضرة مساءً ، صباحاً ، غير ترتيب ، إن أخذ لسانس يمشي بالعرض على جمعة زمان ثم يمل منها ويصير هذا طبيعي ، لم يتزوج عندما يتزوج دخل إلى عالم جديد ويظن أن الزواج هو جنة الدنيا ، وبعد هذا يراه جحيم الدنيا أحياناً ، يأتيه ولد يفرح به ، ثم كبر الولد يريد أن يزوج ابنه ، يمشي بأطوار ، متى الإنسان تنتهي سعادته ؟ عندما تنتهي كل آماله ، هذا بيته ، وهذه زوجته وأولاده ، ودخله انتهى الآن تبدأ متاعبه، يعني مادام أهدافك استوعبتها وصلت لها ، انتهت سعادتك وصار ملل ، أنت يجوز تستغرب ، اجلس مع رجل معه ألف مليون ، انظر كيف يقرف ويقرف ، مالل ، عد مع رجل واصل إلى أعلى منصب تراه مل ، خمس هواتف ، وعشر موظفين وهو كله ملل وقرف هذه الحالة أساساً ، كل شيء يمل في الدنيا ، خذ بين أربع مائة متر أربع جهات ، شهر ، شهرين وبعد هذا طبيعي جداً .

هكذا طبيعة الدنيا ، طبيعة الدنيا لها بريق سريعاً ما يزول ، الزواج فترة ، تراه على الهاتف ثلاث ساعات الخطيب مع المخطوبة أربع ساعات لا يمل ، تأتي إلى عنده إلى البيت وتصبح زوجته ، أين ذاهب اليوم ؟ اليوم عندي سهرة ، كنت لا تستطيع أن تفارقني لحظة الآن يريد فقط أن يفارقها ، هكذا طبيعة الحياة ، كل شيء يمل إلا إذا عرفت الله ، لماذا أنت في شباب دائم ؟ لأنك إذا عرفت الله ، الله لا نهائي مهما سعيت إليه هو عظيم ، وبعيد المنال ولكن يعطيك شيء كثير ، إذا أنت إذا جعلت أهدافك ماديةً ، محدودةً أصبت بالضجر والملل ، أما إذا جعلت أهدافك روحيةً ، قدسيةً ، علويةً ، إلهيةً شعرت في شباب دائم .

في استنبول يوجد قبر أبي أيوب الأنصاري أليس كذلك وأشهر أحياء استنبول حي الأيوب له اسم معين ، سيدنا أبو أيوب الأنصاري حمل على حمالة في أثناء الجهاد ، كانت سنه أضعف من أن يمشي على قدميه ، ما هذا الشباب ؟ قال تعالى :

### ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾

[ سورة التوبة ]

حتى الذي تقدمت به السن مأمور أن يجاهد لأن المؤمن شاب دائماً أنا أعني ما أقول إذا خالط الإيمان مشاشة قلبك فأنت شاب حتى آخر لحظة في حياتك وهذا الشباب شباب أن الأهداف التي تسعى إليها أكبر بكثير من حياتك ، المؤمن أهدافه مقدسة ، خرج من ذاته خرج من أموره الشخصية اليومية ، أهل الدنيا مقبورون في

شهواتهم وفي مصالحهم الذاتية لا يوجد عنده شيء ، همه كله مصالحه اليومية أما المؤمن همه الآخرين .

((اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك))

يعني قريب من المعنى ، الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى ، إذا إنسان أصيب بمرض لا سمح الله كل ما رأى شخص في الطريق هذا المرض بريء منه ، لا يوجد عنده هذه المشكلة ، والمريض يظن أن مرضه أصعب شيء ، والأمراض كلها صعبة ، إذا كان مرض جلدي صعب ، إن كان بالكليتين صعب ، إن كان بالهضم صعب ، إن كان بالعصاب صعب ، إن كان بالعضلات صعب ، الشلل صعب ، الرجفان صعب ، القرحة صعبة ، التهاب الزائدة ، تشمع الكبد ، ضيق الشرايين صعب ، الضغط العالي صعب هات لي مرض سهل كله صعب ، لكن كل مريض يظن أن مرضه أصعب الأمراض وكلما وقعت عينه مريض على صحيح قال: ياريتني مكانه ، تخرج من أعماق قلبه .

والله لي صديق وقلت لكم هذه القصة سابقاً ، صديق صديقي يحمل دكتوراه بالجيولوجيا وعين بمرتبة قريب من وزير من وزارة من وزارات الدولة المهمة ، وله بيته ، ومركبته ، وزوجته الفرنسية ومكانته ، وفهمه ونكاؤه ، فقد بصره في شبابه طبعاً خلال شهر أو شهرين جاملوه ثم سرحوه ، على مدة شهرين يرسلون له البريد إلى البيت مع موظف ويقول له : يا سيدي هذه المعاملة هكذا ماذا التوجيه؟ يقول له اكتب كذا موافق أو عدم موافق ، شهرين ثم سرحوه قال لصديقي : والله يا دكتور أتمنى أن أجلس على الرصيف أتكفف الناس ولا أملك من الدنيا إلا هذا المعطف على كتفي وأن يرد إلي بصري .

مرة التقيت مع إنسان غني ، ومسرف ، تأفف وقال لي ما هذه البلد؟ إذا الإنسان ما كان دخله في الشهر مائتين ثلاثمائة ألف كيف يعيش في هذه البلد ؟ لا يعاش بها إلا بمائتي ألف ، هذه كلمة كبيرة يا أخوان ، أصيب بمرض عضال قال لأحد عواده بالحرف الواحد : يا فلان الإنسان يكفيه ألف ليرة بالشهر ، رضي بألف ، ماذا يقصد ؟ يعين يا ليتني ترد إلي صحتي ودخلي ألف واحد بالشهر ، من مائتي ألف ، هذه صحتك قبل سقمك الإنسان هل يملك صحته ؟ لا يملكها الإنسان مادام صحيح ويتحرك ، والإنسان عندما يقعد ثقيل ، أما بالحركة خفيف ، احمل رجل مغمى عليه يظهر أن وزنه خفيف لا يتحرك معك يمكن إنسان أن يشعر بألم في ظهره إذا رفعه ، معنى هذا أن الإنسان بالحركة خفيف أما إذا أصابه فالج يصير ثقيل و ثقيل بالمعنى الآخر .

(( " اغتتم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك .. ))

مادام الصحة طيبة تحرك إلى المساجد ، والله يوجد أخوان يتمنوا أن يحضروا درس علم ، كل درس بعشرة آلاف ليرة حيل بينهم وبين هذه الدروس لأسباب صحية قالوها والله ، والله عز وجل أن يمتع بصحته ويحضر هذه الدروس .

قدم لنفسك خيراً وأنت مالك مالك  
من قبل أن تصبح فرداً ولون حالك حالك  
ولست والله تدري أي المسالك سالك  
إما لجنة عدن أو في المهالك هالك

قال : هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي فلا يغركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي .

لي أصدقاء أطباء لنا جلسة معهم من حين لآخر يحدثوني عن حالات المرضى قبل أن يأتيهم الموت فزع إذا إنسان إيمانه ضعيف بالله كل دنياه في هذا البيت إلى . باب صغير . أربع مائة متر كله مزين الرخام ، والترتبات ، والله أسمع منهم وصف لا يصدق تراهم مثل الأطفال صار عندهم دعر ، في الآخرة لا يوجد شيء ، ما ترك شيء ، ما صلى فرض بحياته ، ووجد نفسه معه أزمة قلبية وتخطيط خطير جداً ، الطبيب تحول وراجع التخطيط مرتين ثلاثة ، وقال القضية تحتاج إلى مستشفى وإلى عناية مشددة ، ويجب أن تعتنوا كثيراً ، ورأى هذا البيت كيف تعب به جداً ثم . باب صغير . والله مشكلة .

لا يغركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي ، لا ترى إنسان مات ووضع في النعش لا تعرف ما أحواله وهو بالنعش ما ترك من ذنوب ، وما عليه من حقوق ، وما فعل فتن ، ما أفسد الناس من ظلمهم ، من أفسدهم ، من أذلهم ، وأضلهم ، من كذب عليهم البطولة أن تعد العدة لهذه الساعة ، في كلمة لطيفة جداً قال : دار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عليها ترحل .

اركب من حمص إلى دمشق تقطع من حمص عشرة كيلو متر أنت أقرب إلى الشام مع أنه بقي مائة وخمسين ، مادام متجه نحو الشام فأنت أقرب إليها ، كل ما مضت ثانياً ابتعدت عن حمص واقتربت إلى الشام . قال : ودار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل . بريك من بلغ الأربعين أليس هو أقرب إلى الآخرة من الدنيا ، يعني في أحسن الأحوال إلى الستين بقي نصف المسافة ، قطع الثلثين شطح به حظه إلى السبعين

أقل مما مضى ، إلى الثمانين قد ما مضى ، فلذلك هذا سؤال محرج ، سؤال مزعج ، دائماً الأبطال يواجهون الحقائق المرة قبل أن تواجههم ، يفارقوا الدنيا قبل أن تفارقهم ، يتخلوا عنها قبل أن تتخلى عنهم ، يعرفون حجمها في الوقت المناسب قبل أن يعرفون هذا الحجم بعد فوات الأوان ، يعرفون قيمة الدنيا وهم فيها قبل أن يعرفوا قيمتها وقد تركوها ، هذه البطولة ، البطولة أن تعرف الأمر قبل أن يأتي الأمر ، انظر العالم كله يقول لك : إنه يخطط إلى عام ألفين ، دول بالمقياس العصر الراقي دائماً التخطيط إلى عام ألفين ، يقول لك السكان ، الخدمات ، المياه الصرف الصحي ، الطعام ، الغذاء ، التلوث ، دائماً التخطيط لسنة ألفين ، هذه الدول المتقدمة بمقياس العصر ، دول بين بين تعالج مشكلاتها ، والدول المتخلفة تتكلم عن ماضيها ، نحن ... واقعها سيئ جداً وتتغنى بماضيها ، أناس في الماضي ، وأناس في الواقع وأناس في المستقبل .

وقصة الثلاث سمكات معروفة عندكم ، صياد رأى ثلاث سمكات قال : كيسة ، وأكيس منها ، وعاجزة . بليدة . القصة رمزية ، مر الصياد مع صديقه تواعدا أن يرجعا ومعهم شباكهما ليصيذا ما فيه من السمك فسمع السمكات كلامهما ، قال : أما أكيسهن ، أذكاهن أعقلهن ، فقالت : العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها ، فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان التي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت . يوجد غدير موصول بنهر فهذه الذكية جداً سمعت قول

الصياد لصاحبه السمكات ظراف للغذاء ، فهذه الذكية خرجت من الغدير . أما الأقل عقل الكيسة فبقيت في مكانها حتى عاد الصيادان يوجد إهمال فذهبت حتى تخرج من حيث خرجت صديقتها فإذا في المكان قد سد ، أول عمل سدوا الثقب الصيادان ، فقالت : فرطت وهذه عاقبة التقريط ، هذا التقصير ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ثم أنها تماوتت وطففت على وجه الماء فأخذها الصياد فوضعها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر ونجت . ضحكت على الصياد . وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت تقول أنا بنت فلانة ، ولكنها صيدت وأكلت .

كيس جداً عاقل جداً ، أقل عقل ، غبي ، الكيس جداً للمستقبل دائماً ساعة اللقاء مع الله ، قال لي أحدهم : أخذنا محضر وعملنا في المزاد تمثيلية ، يعني دخل أناس كلهم من طرفه ورفعوا سعر بسيط جداً حتى رسي على سعر قليل جداً ، ولكن في بالمحضر أيتام وأرامل ، المحضر يساوي سبع مئة ألف رسي بأربع مائة ألف ، أحد أخونا عنده محل قال لي : هذا المحضر لا يعجبني أكل هم هذه الجورة ، قلت له : أنت أجبت معك حق ، كيف سوف أواجه ربي أنني أستطعت أن أخلصه بأربع مائة عوضاً عن سبع مائة ويوجد أيتام وأرامل ، قلت له : إما

أن تدفع الفرق لأصحابه وإما أن تتسحب من هذا المشروع ، وهذا الذي فعله بعد حين .

فالإنسان يجب أن يتذكر نزلة القبر ، كيف سيواجه الله عز وجل قال تعالى :

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾

[ سورة فصلت ]

اعمل وكثر ، قال تعالى :

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)﴾

[ سورة الغاشية ]

رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت .

أنا ما رأيت أذكى من إنسان حسن العلاقة مع الله ، مع الله عامرة من باب استقامته ، كلهم عباده لا يغش إنسان ، ولا يؤذي ، ولا يدلّس ولا يكذب ، ينصح كأنها له ، يارب هل يرضيك ذلك ؟ هل أنت راض عني ، كلهم عبادك وأنا أخدمهم جميعاً حباً بك ، هذا هو الدين الناس فهموا الدين صلاة شكلية ، وفهموا الدين صيام شكلي ، ونسوا أن الدين استقامة ، صدق ، أمانة ، وقف عند حدود الله عز وجل .

سيدنا أبا الدرداء وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم ، قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، قال : حجوا حجة لعظام الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا يوماً شديداً حره لطول يوم النشور .

سيدنا علي يقول : من أمضى يومه في غير حق قضاءه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه وظلم نفسه .

قال : يا ابن آدم لا تغتر بشبابك ، فكم من شاب سبقك إلى الموت . لا يوجد في حياتنا الآن بهذه السنتين شباب ماتوا بالثلاثين ، بالخمسة وعشرين ، يوم عرسه ، طلع على السطوح ليضبط هوائي التلفزيون ما رجع ، بعد يومين عرسه ، كثير في قصص ، نوع من الوهم يقول أنا شاب مازلت ، من قال لك ذلك ؟

(( اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك ))

الذي عنده زوجة اليوم حامل ، واليوم تتوحم ، واليوم تحتاج إلى طبيب ، واليوم لا تستطيع ، واليوم معها آلام مفصلية ، وإذا جاءه ولد اليوم حرارته أربعين ، واليوم ظهروا أسنانه ، كلما تأتيت زوجة ولد ، ولدين ، ثلاثة ، ترى الهموم لا تلحق أن تحل مشاكل ن ابنك في المدرسة أرسلوا يريديونك ، مقصر ، يحتاج إلى مدرس خاص ابنتك لها مشكلة مع الأنسة اذهب وقابل المدرسة ، زوجتك تشكو تحتاج إلى صورة طبقية ، تسأل أين الصورة الطبقيّة تحتاج إلى ثلاث آلاف ليرة ، ترى نفسك من مستشفى إلى عيادة ، مدرسة ، روضة تحتاج إلى واسطة لابنتك حتى يقبلوها في الحضانة ، دبر واسطة .

(( " ... وفراغك قبل شغلك ... " ))

كلما كنت شاب أكثر تكون فارغ والوقت طويل ، إذا شاب سهر مع أصدقائه لا أحد يحاسبه أما إذا كان متزوج يوجد علاقة أمامه أين أنت إلى الآن ؟ يوجد مسؤول ، هذا معنى الفراغ قبل الشغل .

قال : دقائق قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان .

في أبيات لطيفة :

سيصير المرء يوماً جسداً ما فيه روح

أنا والله أشعر إذا إنسان يتغسل ، يوجد مرة سوف أنت لن تتغسل بل تُغسل ، هذه لابد منها ، إذا مرة يفرك يديه في مرة غيره سوف يغسله والماء قد تكون ساخنة زيادة لا يهمله يقول لك هذا ميت ، مع أن السنة أن يكون الماء معتدل كأنه حي ، ولكن لا يهتموا لذلك منظر التغليف منظر كثير مؤثر ، لما يضبوا الرجلين ويربطها ويعقدتها ، وضب اليدين ، صره صر ووضع بالنعش ، فلذلك :

سيصير المرء يوماً جسداً ما فيه روح

بين عيني كل حي علم الموت يلوح

كلنا في غفلة والموت يغدو ويروح

انزل إلى الطريق كم نعوة في الطريق ، مرة سألت أخ في دفن الموتى قلت له كم ميت عندك في اليوم ؟ وكيف الموسم هذه السنة ؟ قل لي يوجد خمسين ميت كل يوم في الشام والنوعات لعشرين أما الثلاثين بلا نوعات ، بالإعلام بالمآذن.

كلنا في غفلة      والموت يغدو ويروح

نُح على نفسك يا      مسكين إن كنت تنوح

لتموتن وإن عمرت      ما عمر نوح

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذي العزة والجبروت ، الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر .

النبي الكريم سئل :

((عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، قَالَ : فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أَوْلَيْكَ الْأَكْيَاسُ ))

[ ابن ماجة ]

الأفضل من كانت أخلاقهم فاضلة ، أما الأذكى أكثرهم للموت ذكرا يوجد حديث عن رسول الله ﷺ :

(( " لو علمت البهائم ما تعلمون بعد الموت عن الموت ما أكلتم منها لحماً سميناً أبداً ))

ألا ترون غنمة سميحة إطلاقاً ، لو تعلم البهائم وليس الأشخاص ما تعلمون عن الموت ما أكلتم منها لحماً سميناً.

ويوجد حديث ورد في كتب الأحاديث :

ما من بيت إلا وملك الموت يقف فيه في اليوم خمسة مرات فإذا رأى العبد قد انقضى أجله وقطع رزقه ألقى عليه غم الموت فغشيته سكراته ، فمن أهل البيت الضاربة وجهها ، والصارخة بويلها والممزقة ثوبها ، يقول : فيما الجزع و مما الفرع ما أذهبت لواحد منكم رزقاً وما قربت له أجلاً ، وإن لي فيكم لعودة حتى لا أبقى فيكم فو الذي

نفس محمد بيده لو يرون مكانه ويسمعون مكانه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم.

ثم يقول عليه الصلاة والسلام :

((والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أنتم عليه بعد الموت ما أكلتم طعاماً عن شهوةٍ ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ولذهبتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم ))

(( عَنْ هَانِيٍّ مَوْلَى عُمَانَ قَالَ : كَانَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ تَذَكَّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ ))

[ ابن ماجه . الترمذي ]

إن نجوت كل ما بعد الموت أهون من الموت ، وإن لم تتجو كل ما بعد الموت أصعب من الموت .

((وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْطَعُ مِنْهُ ))

هذا معنى :

((اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك ))

إذا معه مال إذا أنفق بعضه في طاعة الله يرقى ، أما إذا اختفى المال ذهب المال منع من عمل كان من الممكن أن يرقى به .

أيها الأخوة الأكارم :

سيدنا عمر رضي الله عنه ، قال : كان يخاف من لقاء الله خوفاً شديداً ، قلت البارحة نقطة أن حجم خوفك من الله بحجم معرفتك به مؤشر الخوف يدل على مؤشر المعرفة ، فكلما ازدادت معرفتك ازداد خوفك ، وكلما قلت معرفتك قل خوفك ، رأس الحكمة مخافة الله .

كان يخاف من لقاء الله خوفاً شديداً ، وكان دائم البكاء لدرجة أنك ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع ، كان يقول ليت أُمي لم تلدني ، وليتني شعرة في صدر أبي بكر ، وكان يقول : أنا حسنة من حسنات أبي بكر .

مرة تعرفون رجل أحب أن يمدحه نفاقاً قال له ما رأينا خيراً منك بعد أبي بكر ، فنظر إليهم نظرة حادة ، حتى أن قال أحد الحاضرين لا والله لقد رأينا من هو خير منك ، قال : من هو ؟ قال : أبو بكر قال : والله كنت أضل من بعيري وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك .

الملاحظ أن السلف الصالح كانوا يخافون الموت خوفاً شديداً ، اليوم تلاحظ ملاحظة ترى جنازة تسير والذين يمشون في الجنازة يتحدثون في الصفقات ، السوق بارد ... وتدخل الجنازة إلى المسجد يقفون خارج المسجد يدخلون ، يعني وراء الجنازة يمشون .

وقلت البارحة أكثر الناس صلةً بالموت أكثرهم بعداً عن الله عز وجل ، يباع القبر مرتين ثلاثة ، وإذا رأى قبر فارغ اغتصبه ووضع له شاهدة وكتب توفي ونقطتين ، وثمنه عشرة آلاف ليرة ، أكثر الناس احتكاكاً بالموت أبعدهم عن الله عز وجل ، المشكلة السلف الصالح كانوا يخافون الموت .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (079 - 127) : من كتاب منهج التربية النبوية للطفل - فصل الأربعون النبوية للأطفال

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-10-1998

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام: في عقد قران وُزِعَ كتابٌ لطيف عنوانه منهج التربية النبوية للطفل، وأنا أتصفحه هذا اليوم وجدت فصلاً لطيفاً هذا الفصل مكتوب فيه " الأربعون النبوية " لا النووية، " الأربعون النبوية للأطفال "، مؤلف الكتاب جمع أربعين حديثاً صحيحاً تتعلق بالطفولة وما من بيتٍ في الأعم الأغلب من بيوت المسلمين إلا وفيه طفل، وهذا الطفل فلذة كبد الأب والأم، ويسعد الأب بسعادة ابنه ويشقى بشقاء ابنه، لذلك تُعد العناية بالأطفال من أخطر أعمال الآباء والأمهات، فبالعناية بهم يسعدون، وبإهمالهم يشقون.

أحاديث..... الأول مثلاً: روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال:

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبياء الله وأصفيائه ))

(رواه أبو النصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده)

الطفل بحاجة ماسة إلى مثل أعلى، فإن لم يكن النبي ﷺ وأصحابه الكرام مثلاً علياً لابنك، فالممثلون والممثلات ولاعبوا الكرة والساقطون والساقطات هم المثل العليا لابنك، الابن في طور التقليد، وفي طور التطلع إلى من هو أكبر منه، فإن لم تملأ هذا الفراغ بصحابي، بالنبي، بخُلُقِ النبي، بشجاعة النبي، بكرم النبي، برحمة النبي، باستقامة النبي، بعدل النبي، بأخلاق أصحابه الأطهار... تعلق هؤلاء الصغار بأناس ساقطون منحرفون يعلمون هؤلاء الصغار كل لقيطة وكل انحراف.

لذلك هذا الحديث خطير: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن، طبعاً من السذاجة أن تفهم هذا الحديث أنه يا بني أحب رسول الله، الطريقة لتطبيق هذا الحديث أن تُعرّفه بشمائله، أن تُعرّفه بأخلاقه، ما الذي يمنع أن تجلس مع أولادك في الأسبوع مرة تقرأ لهم فصلاً من سيرة رسول الله، أنت لا تدري ما يحصل لنفس هذا الصغير، هكذا كان النبي، هكذا كان رحيماً، هكذا كان يُصغي الإناء للهرة، هناك طفل كلما شاهد حيوان يدهسه عن غير فهم، أما حينما تُعلم ابنك أن يُصغي الإناء للهرة، أن يُطعم الهرة الجائعة، أن يُنقذ النملة من الغرق، أن يرحم الحيوان، أن يعطف على الصغير.... هذه أخلاق.

حدثني أخ: أصبح الطفل في أمريكا يتلذذ في قتل الجماعية، قتل مدرسته وأربع طلاب بلا سبب، فلذلك هذا الحديث فيه أمر والأمر يقتضي الوجوب: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن.

معنى ذلك لا بد من أن تجلس مع أولادك لتعلمهم سيرة النبي، يعني أمتع جلسة في المنزل، أمتع جلسة بينك وبين أولادك حينما تُحدثهم بالعلم، حينما تجلس جلسة لا علاقة لها في تنظيف المنزل ولا في مشكلات المنزل ولكن لها علاقة في العلم وهذا شيء مؤنس، وتلاوة القرآن... هذا القرآن ربيع القلوب تلاوته عبادة، حفظه عبادة، فهمه عبادة، تطبيقه سعادة، منهجنا المقرر، هذه ثلاث فقرات في المنهج النبوي: أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبياء الله وأصفياه.

لا يوجد شيء أروع في الطفل من أن يُتقن القرآن، يُتقن تلاوته يُتقن فهمه، يُتقن العمل به، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(سورة البقرة)

قراءة القرآن حق تلاوته أن تقرأه قراءة صحيحة، وأن تفهمه فهماً صحيحاً، وأن تُطبقه تطبيقاً صحيحاً.

أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

((إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))

(أخرجه الترمذي)

والله هذا الحديث للصغار والكبار، احفظ أمر الله يحفظك من كل مكروه، أنت في أمن، أنت في سلامة، أنت في سعادة، أنت في رضا، أنت في طمأنينة؟

احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ " تقع في مأزق تقول يارب يقول لك لبيك يا عبي، إن عرفتي في الرخاء أعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله:

لا تسألنَّ بُنيَّ حاجةً  
وسل الذي أبوابه لا تُغلقُ  
الله يغضب إن تركت سؤاله  
وبُنيَّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

يعني إنسان قال يا رب إذا أعطيتني سوف أبني جامع، قال له شخص ساخراً: من أين لك أن تكون غنياً؟! هذا شيء من سابع المستحيلات، فقال له: أنت أكرم من الله عز وجل؟.

قصة في بلد إسلامي: إنسان بائع متواضع فقير يعيش يوماً بيوم، يكسب قوت يومه، فادخر بعض المدخرات المالية واستدان واقترض وكانت في البلد مولدات الكهرباء رائجة جداً في البلد واشترى أربعين مولدة بكل ما يملك ومع الديون والقروض، وبعد شراءه للمولدات تم تأسيس شركة للكهرباء في هذا البلد، هذه المولدات لا تُباع ولا تُشترى فأين يضعها؟ اشترى أرض بعيدة ووضع فيها المولدات وسورها بشريط شائك ونسي الموضوع كلياً.. كلياً حتى أقسم بالله أنه نسي الأرض والموضوع كله.. شيء انتهى بيعه، كان هناك شركات خاصة تقوم بوصل التيار الكهربائي للمدينة فعندما أسست شركة كهرباء عامة فهذه المولدات لا قيمة لها إطلاقاً.. إطلاقاً، بعد عشر سنوات وصل العمار إلى هذه الأرض وأصبحت منظمة فباعها بأربعين مليون ريال وبنى مسجد ضخماً، فالله إذا أعطى أدهش.

يعني إنسان أحياناً يسمع قصة فيشعر بنفسه صغير.. حدثني أخ طبيب عنده ابن عنده مشكلة في قلبه يحتاج إلى عملية جراحية طفل صغير.. يعني خلل في قلبه.. والعملية تُكف 250 ألف وأهل الخير كُثُر فأخبر الطبيب أنّ هذا الإنسان عمليته مُغطاة من أحد المُحسنين، فالطبيب فرح، ولما أبلغَ هذا الإنسان رفض أن يأخذ هذا المبلغ، هذا الإنسان ماذا يعمل ؟ عنده ورشة أحذية في الجبل، قال له يوجد لدي شيء أبيع هذه الورشة وأعود صانعاً في صنّع الأحذية ودع هذا المبلغ لمن لا يجد ما يبيعه، يقول لي الطبيب: لم أجد إنسان عنده شهامة وعنده عفة... أنت فقير !! قال له يوجد لدي شيء أبيع هذه الورشة وأعود صانعاً في صنّع الأحذية ودع هذا المبلغ لمن لا يجد ما يبيعه.. ورفض أن يأخذه، وباع الورشة وعاد صانعاً، وعالج ابنه.

والقصة الثانية سمعتها اليوم: آذن فقير جداً محروم ورثَ أرض في أحد أحياء دمشق المتطرفة، ورجل مُحسن أحب أن يُنشئ مسجد هناك فكلف مهندس من إخواننا بأن يبحث له عن أرض مناسبة فوجد الأرض المناسبة هي التي ورثها الآذن منذ فترة فساومه على شرائها وكان الثمن 3.5 مليون وكتب الشيك، فلما علم صاحب الأرض أنها من أجل المسجد مزّق الشيك وقال: أنا أولى أن أقدمها لله عزّ وجل يقول هذا الرجل الميسور صاحب مئات الملايين: في حياتي لم أشعر أنني صغير كهذه اللحظة أمام هذا الإنسان.

الإنسان يكبر في عمل، ويصغر في عمل، يكبر حتى تجد أنه لا نهاية لِكِبْرِهِ، هذا القلب يكبر ويكبر حتى يتضاءل أمامه كُلُّ كبير، ويصغر ويصغر حتى يتعاضم عليه كُلُّ حقير، هناك إنسان دنيء، وهناك إنسان كبير، مالك لا يجعلك كبير ولكن أخلاقك هي التي تجعلك كبير، إنسان في أمس الحاجة لهذا المبلغ قدّمه لوجه الله عزّ وجل والآن المسجد أنشئ وبلغت تكلفته عشرات الملايين وصاحب أرض هذا المسجد إنسان فقير، والذي رفض أن يأخذ مبلغ 250 ألف قال له أنا لدي شيء أبيعُه أعط هذا المبلغ لمن لا يجد ما يبيعه.

(( إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أنّ الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليكم رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ))

وروى أبو داود والحاكم عن عمر بن عبد العاص رضي الله عنهما قال:

((قال: قال رسول الله ﷺ: " مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ))

(رواه أبو داود)

لاحظ الأب إذا جاء إلى المنزل مساء يسأل زوجته الأولاد تناولوا الطعام... تجيبه بأن تناولوه، أدوا واجباتهم المدرسية.. تجيبه بنعم.... أما هل أقاموا الصلاة؟! قلما يسأل عن هذا السؤال.

أما النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل بيته يسأل: الأولاد هل صلّوا العشاء.. الصغار.. هذا هو الحرص، سيدنا عمر طُعن وهو إمام أغمي عليه ونزف منه الدم وعندما أفاق قال: هل صلّى المسلمون الفجر؟ لذلك:

(( مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ))

أقول لكم حقيقة ثمنها مدفوع ثمناً باهظاً: " لا تقدر أن تُربّي ولدك في سن الـ 15 "، إن لم تبدأ تربيته في سن الخامسة لن تستطيع السيطرة عليه بعد ذلك، لا تغفو وتصحو بعد فوات الأوان، لا تُهمله وهو صغير فيكتسب عادات سيئة ويتعلّم كلمات بذيئة، بعد ذلك تتألم أشد الألم... إخواننا الشباب الذين عندهم أولاد صغار: يجب أن تعتنى به منذ سن الخامسة لكي يتشرب الدين، يتشرب حُب الله ورسوله، يتشرب المسجد، يتشرب الكلام الطيب.. العفة..

قد يقول أحدكم أمر تكليفي؟، لا.. هذا أمر تاديبى، يوجد شيء في الفقه اسمه أمر تاديبى، الطفل إذا بلغ مُكَلَّف بالصلاة تكليف شرعي، لكن الطفل مستحيل فجأة أن يُصلي، لا بُدَّ من أن تُؤدِّبهُ على الصلاة في سن مبكرة، في السابعة هناك أمر وفي العاشرة هناك ضرب.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا غُلَامَ زَوَّدَكَ اللَّهُ النَّقْوَى وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ وَكَفَاكَ الْهَمَّ " انظروا لعظمة رسول الله كبير.. صغير.. طفل صغير.. " جاء غلام قال له إني أريد الحج فدعا له قال يا غلام زَوَّدَكَ اللَّهُ النَّقْوَى وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ وَكَفَاكَ الْهَمَّ، قال فلما رجع الغلام على النبي ﷺ قال: يا غُلام قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ " هناك شيء في التربية اسمه احترام شخصية الطفل، الأشخاص العُظماء تلقوا تربية راقية جداً، أيام أب يضرب ابنه أمام أصدقائه... كم هي صعبة.. مجرم..، الطفل له مكانة، له كيان، حينما ضُربَ أمام أصدقائه فقد حطّمته وسحقته، يجب أن تعد إلى المليون قبل أن تضرب ابنك أمام أقربائه وأمام أصدقائه سوف تحطّمه، فيما بينك وبينه فم بحاسبته وقم بتأديبه واضربه أحياناً ولكن احترم شخصيته، أيام أم يأتي صديق ابنها لعندها فنُعد له عصير.. لا تدري كم من السعادة التي تدخل على قلب الطفل، شيء لا يُقدّم ولا يُؤخر، طلب منها عشاء

فتجيبه بكل لباقة... هناك قصة رواها لنا أخ:

أخ مُقيم في أمريكا وله ابن جاء في الصيف في دورة هنا، فلهذا الابن صديق زنجي وثني، فمرةً هذا الصديق زاره فلاحظ الزنجي أنّ الابن قبل يد والده ووقف باحترام بالغ أمامه، وعندما عَرَفَ الأهل بأن معه صديق فصنعوا طعام وقدموه إليه، هذا الشاب الزنجي الوثني أعجبه هذا الدين، أعجبه احترام الابن للأب، وأعجبه عناية الأب بصديق الابن،.. يعني هينوا طعام وقدموه له.. أنت في المنزل عندما تحترم أصدقاء ابنك طبعاً في حال كونهم منضبطين، يعني أمام صديقه كنت لطيف مع ابنك أثنت عليه، قُمت بتشجيعه، شَعَر أنك أخذته معك دائماً... الحياة تحتاج إلى عناية بالغة بالأطفال حتى إذا كبر يُعجبك، وإذا كبر ليكون قرّة عين لك.

لذلك أحد مبادئ التربية احترام شخصية الطفل لا تُهينهُ، لا تُحطمه، هذا الضرب المُبرِح، الضرب على الوجه، السُّباب، الشتائم هذه تُحطم الطفل، تجعله مُشاكساً، وكُل أخ له علاقة بالعلم والتعليم والمدارس.. الطفل المُشاكس، المُزعج، المُؤذي، البذيء، هذا طفل يعيش في منزل مُنهار، المنزل المُنهار يفرز أطفال سيئين والمنزل المتماسك يفرز أطفال متوازنين، طفل سأل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قال له أريد الحج قال له: يا غلام رَوَدَكَ اللهُ التَّقْوَى ووجَّهَكَ في الخير وكفاك الهم، فلما رجع الغلام على النبي ﷺ قال: يا غلام قَبِلَ اللهُ حجك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك، كأنه كبير .

لي قريب له كلمة تُعجبني قال: هذا الصغير هو كبير لكنّ قياسه صغير، عامله كأنه كبير، احترامه، ودلته، أقنعه.. يعني.. ابنك وقع في الغلط أقنعه بأنه على غلط بيّن له، اجعله صادق معك، لا تكن عنيف فيكذب عليك بعدها، يشعر أنه ممكن أن يقول لك كُل شيء.. كُل شيء فعله.. استمع منه وحدّره بأن لا يُقدم عليها مرة أخرى:

((علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف))

(أخرجه الحرث ابن عدي في الكامل و البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة )

((عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَهَا تَقُولُ كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَغْبٍ فَجَعَلْتُ أُضْرِبُهُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ فَإِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ))

مرةً سمعت بأن طالب أرسله والده من أمريكا إلى الشام ليتعلم الدين واللغة فالتحق بمعهد، يجوز أنه ارتكب غلطة فعوقب عليها وأهين كلما يُذكر اسم سوريا وهو في أمريكا يرتجف، تعني عنده أن في هذه البلد عقوبة، أيام مُعلم عربي يكون قاسي يكره الطلاب بمادته، أيام أستاذ رياضيات يكون قاسي يكره الطلاب بمادته... تتشأ عند الطفل عُقدة... انظر لأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام: يا غلام زَوَدَكَ اللهُ التَّقْوَى ووجَّهَكَ في الخير وكفَّاكَ الهم وبعدها قال له: قَبِلَ اللهُ حُجَّكَ وغفر ذنبك وأخلف نفقتك.

((أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال:

" عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ فَرَعْتُ مِنْ خِدْمَتِهِ قُلْتُ يَقِيلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ إِلَى صِبْيَانٍ يَلْعُبُونَ قَالَ فَجِئْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ قَالَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ الصِّبْيَانِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ لَهُ فَذَهَبْتُ فِيهَا وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فَيْءٍ حَتَّى أَتَيْتُهُ وَاحْتَبَسْتُ عَنْ أُمِّي عَنِ الْإِثْيَانِ الَّذِي كُنْتُ آتِيهَا فِيهِ فَلَمَّا أَتَيْتُهَا قَالَتْ مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ لَهُ قَالَتْ وَمَا هِيَ قُلْتُ هُوَ سِرٌّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَاحْفَظْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ قَالَ ثَابِتٌ قَالَ لِي أَنَسٌ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَوْ لَوْ كُنْتُ مُحَدِّثًا بِهِ لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ))

يعني أعجبه أنه يحفظ سِرَّ رسول الله، تجد أطفال في عهد النبي والصحابة الكرام شيء لا يُصدّق، سيدنا عمر يمشي في الطريق فرأى أطفال عندما رأوه هربوا فتوقف واهد ولم يهرب، فلفت نظر سيدنا عمر فسأله وقال له يا غلام: لِمَ لم تهرب مع من هرب ؟ قال له: أيها الأمير لست ظالماً فأخشى ظلمك ولست مذنباً وأخشى عقابك والطريق يسعني ويسعك، ذكاء وأدب وفهم.

في عهد عبد الملك بن مروان جاءه وفد للتهنئة يتقدمهم غلام فغضب فوبّخ حاجبه وقال ما شاء أحد أن يدخل علينا حتى دخل حتى الصبيان !! فابتسم الغلام وقال: أيها الأمير إن دخولي عليك لم يُنقص من قدرك ولكنه شرفني.. بمعنى أنه أنت بقيت في مقامك ولكن أنا تشرفت.. قال له أصابتنا سنة أذابت الشحم، وأصابتنا سنة أكلت اللحم وأصابتنا سنة دقت العظم، ومعكم فضول أموال فإن كانت لنا فعلام تحبسوها عنا، وإن كانت لله فنحن عباده، وإن كانت لكم تصدقوا بها علينا،.. قال والله ما ترك لنا هذا الغلام في واحدةٍ عذراً..

دخل وفدُ سيدنا عمر بن عبد العزيز.. الحجازيين يتقدمهم طفل صغير فانزعج.. قال له اجلس وليقم من هو أكبر منك سنًا، قال له: أصلح الله الأمير، المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا وهب الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً قد استحق الكلام، ولو كان الأمر كما تقول لكان من أمتي من هو أحقُّ منك بهذا المجلس.. أعجب..

إذا تمت تربية الطفل بشكل صحيح واحترام شخصيته وإعطاؤه الثقة.. أنا أقول لكم كلمة: ليس هناك طفل لا يغلط، الأب المُرِّي يوطأ نفسه على خطأ ابنه لكن البطولة أن لا يُعاد الخطأ، يجب أن ترفع هذا الشعار: ليس العار أن تُخطئ.. العار أن تبقى مُخطئاً، ليس العار أن تجهل.. العار أن تبقى جاهلاً

المُلاحظ أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان يحترم الأطفال ويُحبهم، ومحبة الأطفال واحترامهم جزءٌ أساسي من التربية.

أخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنسٍ رضي الله عنه قال:

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ قَالَ أَحْسِبُهُ فَطِيمًا وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النَّعِيرُ نَعْرًا كَانُ يَلْعَبُ بِهِ فَرَبِّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا فَيَأْمُرُ بِالْبَسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا ))

إخواننا الكرام صدقوني: إذا دخلت إلى بيتك، بيت صغير متواضع، طعام متواضع، أثاث متواضع، زوجة وسط، تستطيع أنت أن تجعل فيه البهجة بنفسيتك الطيبة، بمرحك وابتسامتك وعطفك، بإيناسك لأطفالك، وهناك بيت قطعة من الجحيم كله خناق وعراك وسباب، أنت بإيمانك واستقامتك ونظرك البعيد تجعل من البيت جنة.. السعادة لا تأتي بالمال، لا تأتي بالبيت الواسع، لا تأتي بالأثاث، لا تأتي بالطعام الطيب، تأتي بالود والحب.. ممكن أن تأكل أحسن أكل مع أولادك وهم راضين ومسرورين.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَوَلَدَهُ نُحْلًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ ))

يعني أكبر مزية يُعطيها الأب لابنه.. الخلق الحسن..، العوام يقولون: " المرّبي غالي ". يعني الطفل الخلق.. هذه آلاف الملاحظات وآلاف التوجيهات وآلاف المتابعات حتى أصبح مُهذب، والطفل المُهذب شيء لا يُقدّر بثمن، أنا لا أرى ولا أعتقد أنّ في الأرض أب أسعد من أب يرى ابنه صالحاً.

النبى عليه الصلاة والسلام علّمنا فقال: رأى رجلاً معه غلام فقال للغلام: من هذا الرجل؟ قال: أبى، قال أبوك؟! فلا تمشي أمامه ولا تجلس قبله، ولا تستثب له، ولا تدعُ باسمه.. توجيه دقيق.. ماشي أنت وابنك، ماشي أنت وأبوك يجب أن تُبقي أبوك يمشي في الأمام، دخلت للغرفة لا تجلس قبل أن يجلس، ولا تقوم بعمل يُسبب له سُبَاب، لا تُناديه باسمه.. " هذه قاعدة علّموها لأولادكم

وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت:

**((كان عليه الصلاة والسلام يقول: ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب))**

نظر بوالده نظرة إزورار.. هذا عاق لوالديه.. يعني أقل إساءة تُعد عقوق:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءِهِ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

(سورة الإسراء)

لو دفعت الباب بقوة كأنك قلت له أف، يُحدّثك على الهاتف طلبت منه مبلغ وليس معه فتضايقت وأغلقت السماعه في وجهه، سوف تودّعه على الهاتف فتُغلق السماعه في وجهه؟! هذه إساءة بالغة جداً، ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب، ويقول عليه الصلاة والسلام:

**((عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ))**

نفى عنه عن أن ينتسب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام: مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ. وكان النبي عليه الصلاة والسلام يُعلّم الصغار إذا قرعوا باب أن يُعطوا ظهرهم للباب، تجد الآن يطرق الطفل الباب تجده أمام الباب هكذا كأنه يُراقب البيت!! فتفتح المرأة مستعجلة يراها كما هي، فالسنة إن طرقت الباب أن

تُعطي ظهره للباب يُمنّة أو يُسرّة.

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال:

((عن عمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ وَكُلَّ بِيَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ))

هذا أدب الطعام، نحنُ أجرينا سابقاً ثلاثون درساً في تربية الأولاد في الإسلام.. ثلاثون درساً.. ومن فضل الله لاقوا قبول حسن في كل الأوساط، هناك قسم عن التربية الإيمانية، وقسم عن التربية الأخلاقية، والتربية العقلية، والتربية الجسمية، والتربية النفسية، والتربية الاجتماعية، والتربية الجنسية، وكلها آيات وأحاديث رائعة جداً تُبين ماذا ينبغي على الآباء أن يفعلوا في تربية أولادهم.

وقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ))

لي قريب مُقيم في أمريكا جاء في الصيف ومعه ابن عمره خمس سنوات... يبدو أنه لعب كثيراً في النهار... قالت له جدته اهدأ ومساءً سوف أصطحبك في مشوار فصدقها وهدأ، وفي المساء لم تأخذه فقال لها أنتِ كذبتِ عليّ، بصراحة لا تكذب على ولدك، مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ.

دقق: بابا قُلْ له أنا لست هنا؟! ما هذه " ليس هنا !! " معناها الأب كاذب، أو يقول له: " بابا يقول لك هو ليس هنا " ؟!!.

تخرج مع ابنتها مشوار وتقول أمام الأب لم نخرج، بنت صغيرة شاهدت أمها تكذب خرجت وعادت مع والدتها وقالت لم نخرج هذه أخطاء كبيرة جداً.

كان عليه الصلاة والسلام من أحسن الناس خلقاً:

((حَدَّثَنَا أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَدَمْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَا صَنَعْتَ ))

((قَالَ أَنَسُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا فَأُرْسِلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي قَالَ فَتَطَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتِكَ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنَسُ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلَا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ))

ثم إنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يَعِدُ كُلَّ أَبٍ عنده بنات قال:

من كان له ثلاث بنات أو أخوات... بنتٌ فاتها قطار الزواج تكون أحياناً عبء على أخيها أما المؤمن ليست بعبءٍ عليه، هذا الحديث الجنة لمن ربى بناته أو أخواته، قال:

(( عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ ))

أخت أو بنت... هذه إضافة رائعة، وكان عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ إِذَا اتَّقَى وَأَشَارَ بِإِصْبُعَيْهِ الْاُوسَطَى وَالَّتِي تَلِي الْاِإِبْهَامَ ))

وكان عليه الصلاة والسلام يصف عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس رضي الله عنهم ثم يقول من سبق إليّ فله كذا وكذا:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ثُمَّ يَقُولُ مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْزِمُهُمْ ))

يصفهم في نسق ويقف بعيداً عنهم، ويقول: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْزِمُهُمْ. يصفهم في نسق ويقول تعالوا إليّ تسابقوا ومن شدة السرعة يقعون على ظهره وصدرة ويقبلهم ويلتزمهم.

أردت من هذا الدرس أن تقفوا مع أخلاق النبي مع الصغار، ليس هناك منزل إلا وفيه صغار، بهدوتك وحلمك ومحبتك وعدلك بين أولادك، وأنت اتصالك بالله يجعل عندك قوة جذب وإشعاع، والانقطاع عن الله يُسبب جفوة، فالمنزل يُمكن أن يكون قطعة من الجنة بابتسامة لطيفة وبمداعبة، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً، كان يقول أكرموا النساء والله ما أكرمهنّ إلا كريم، البنات الصغار المؤمنات الغاليات، ممكن أن يكون منزلك جنة بأي مستوى مادي، بأي موقع، بأي مساحة بأي دخل، بأي أثاث، فبواسطة إيمانك واستقامتك وبمحبتك هؤلاء الصغار يصبحون أصدقائك وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يُحب الصغار ويحترمهم ويُسلم عليهم حتى في بعض الأحاديث أنه كان يتسابق معهم: شيء لا يُصدّق !!، في بعض الأحاديث كان يُركبهم أمامه على الناقة ليفرحوا. أيها الأخوة:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(سورة الأحزاب)

يعني.. على قدر استطاعتك إعتنِ بالصغار ودلهم وأحبهم وأكرمهم لكي ينشئوا مؤمنين طاهرين، لكي يكونوا قرة عينٍ لك، لكي يكونوا صدقة جارية من بعدك:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (080 - 127) : الحب في الله

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 31-01-1999

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و أرنا الحق حقاً و أرزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة المؤمنون:

الأبواب التي نألفها في كتب الدين العقيدة، والقرآن، والفقه وأبواب الفقه، والأخلاق، ومكارم الأخلاق، ومساوئ الأخلاق والأطعمة، والأشربة، والحظر، والإباحة، هذه أبواب مشهورة في كتب الفقه، مما يلفت النظر أن بعض الأبواب فيها أكثر من مائتي حديث، ويوجد أبواب حديثين ثلاثة، أما في باب أكثر من مائتي حديث في باب واحد.

مما لفت نظري أن الحب في الله وهو من الخلق الذي يتسم به المؤمن، أكثر من مائتي حديث حول الحب في الله، فقد يسأل سائل لماذا أكثر النبي عليه الصلاة والسلام من هذه الأحاديث في هذا الموضوع في الله؟ يبدو أن الحب في الله قوام الدين، ويبدو أن الحب في الله هو المحور الذي يتمحور حوله المؤمنون هو الذي يجمعهم، هو الذي يوحدهم، هو الذي يجعلهم طاقةً كبيرة، هو الذي يجعلهم صفاً واحداً في وجه أعدائهم، الحب في الله يبيث فيهم روح الجماعة، و روح الجماعة شيء لا يقدر بثمن.

يعني قد تجد في العالم الإسلامي كل شيء إلا الحب في الله مساجد، جامعات، مؤتمرات، كتب، مكتبات، لكن لا تجد حباً في الله، في بعض المرات وجدت جمع ممن يعمل في الحقل الديني جمع كبير، وجدت وداً بينهم لا يوصف، كل منهم يأخذ أخاه بالأحضان ويقبله ويثني عليه وأنا أعلم أن في غيبة بعضهم بعضاً يتحدثون ما لا تحمد عقباه هذه مشكلة، ظاهرة خطيرة، في المواجهة مديح وثناء، وتكريم وعطاء، لكن في الغيبة ليسوا كما هم في الواجهة، هذه هي المشكلة، صار في موقف مزدوج، ود وثناء ومديح، حينما تواجه إنسان، ونقص وطعن وتقليل أهمية، وانتقاد حينما يغيب عنك، هذا الذي جعل المسلمين مشرذمين، متفرقين ضعاف، هذا الذي أذهب

ريحهم قال تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) ﴾

[ سورة الأنفال ]

وأنا من عادتي أن أبقى في الأحاديث الصحيحة المألوفة، لكن نعمتها، من هذه الأحاديث الصحيحة المألوفة التي وردت في البخاري ومسلم:

(( عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ ))

[ أبي داود ]

أفضل الأعمال صيغة تفضيل، هذا الولاء والبراء، يعني ما لم تحب المؤمن وإن كان فقيراً، ما لم تحب المؤمن ولو كان ضعيفاً وما لم تتبرأ من الكافر و المنافق ولو كان قوياً ولو كان غنياً فأنت لست مؤمناً، بل إن الحب في الله والبغض في الله هو الذي يذيقك حلاوة الإيمان.

أحياناً الإنسان يجد في الطريق أحد إخوانه ينتعش، في مكان كأنه وجد نفسه، كأنه وجد روحه، هذه من علامة الإيمان، من علامة صدق الإيمان، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام يجعل من الحب عملاً ما تفسير ذلك ؟ ما قال أفضل المشاعر الحب في الله، ما قال أفضل أحوال القلب، قال:

(( ... أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ... ))

هذه تحتاج إلى وقفة متأنية، لو قال أفضل المشاعر واضحة هناك مشاعر كثيرة أفضلها أن تحب في الله، هناك أحوال تعترى القلب كثيرة أفضلها أن تحب في الله، أما يقول عليه الصلاة والسلام

(( ... أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ... ))

قال شراح الحديث: من لوازم الحب في الله أن تحب أولياءه، أو أن تحب النبي عليه الصلاة والسلام، وأن تحب أصحابه، وأن تحب أولياءه، من لوازم الحب. وهذه النقطة دقيقة جداً فصل بها بعض العلماء، قال: هناك حب في الله، وحب مع الله، الحب في الله عين التوحيد والحب مع الله عين الشرك.

كلمة واحدة بين أن تحب في الله وبين أن تحب مع الله، من لوازم الحب في الله أن تحب النبي وأصحابه، وأن تحب صالح المؤمنين، وأن تحب أولياء الله الصالحين، وأن تحب أي مؤمن أي مؤمن، هذه النزعة الضيقة أن تحب أخوان جامعك فقط، هذه النزعة يجب أن نحاربها لأنها تقتت المسلمين، يجب أن تحب كل المؤمنين، يجب أن يكون انتماؤك لمجموع المؤمنين، قال تعالى:

### ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (88)

[ سورة الحجر ]

والآية الثانية:

### ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (215)

[ سورة الشعراء ]

في أي مكان المؤمن يجب أن تحبه، ويجب أن تعاونه، ويجب أن تمنحه ودك، ومعاونتك، على كل كيف جعل النبي عليه الصلاة والسلام الحب في الله عملاً؟ قال: من لوازم الحب في الله أن تحب أولياء الله، ومن لوازم أن تحب أولياء الله أن تقتفي أثرهم فهذا الحب ينقلب إلى عمل، الآن حينما تمتن علاقتك مع المؤمنين هذه العلاقة المتينة تنقلب إلى حب، صار في علاقة متناوبة، قال عنها علماء المنطق: هي علاقة ترابطية، هناك في الإسلام بعض العلاقات الترابطية دقيقة جداً، العمل الصالح يزيدك قريباً من الله والقرب من الله يحملك على العمل الصالح، فبين القرب من الله والعمل الصالح علاقة ترابطية، وبين الحب في الله وبين العمل الصالح علاقة ترابطية إنك إن . كيف تمتن علاقتك مع أخيك؟ أن تسلم عليه، أن تبتسم له، أن تعينه إذا سألك العون، أن تعود إذا مرض، أن تساعد إذا افتقر، أن تقرضه إن استقرضك، طبعاً يوجد حديث مشهور:

((أندرون ما حق الجار؟ إذا استعان بك أعنته، وإذا استنصرك نصرته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا مرض

عدته، وإذا مات شيعته...))

أنت إذا لبيت دعوته، وسلمت عليه، وبششت له، وعدته إذا مرض، وهنأته إذا أصابه خير، وعزيتة إذا أصابه شر، أنت قمت بأسباب الحب في الله، فالنبي سمي الحب في الله عمل لأنه تارة ينقلب إلى عمل، وتارة يكون العمل سبباً له، أنت حينما تلبى دعوة أخيك وحينما تسلم عليه، وحينما تبش له، وحينما تواسيه، وحينما تعاونه،

وحيثما تهنته، وحيثما تعزیه، متنت علاقتك معه فكان الحب في الله، وحيثما تحبه في الله تقتفي أثره، فالنبي عليه الصلاة والسلام عبر عن الحب بالعمل لأن العمل نتيجة أو سبب.

يوجد نقطة دقيقة إنسان لا يبغض أحداً هذا منافق، لا بد من أن تبغض في الله، إنسان يرتكب معصية أمامك لا يصلي يشرب الخمر أنت تحبه وتجاهله، ومستحيل، قال: من أرضى الناس جميعاً فهو منافق. كما أنه لا بد من أن تحب في الله لا بد من أن تبغض في الله أنا لا أقول لا بد أن تقاتل في الله، أنا أقول لا بد من أن تبغض إنسان ولو كان أقرب الناس إليك إذا كان مقيماً على معصية مصراً عليها ينبغي أن تبغضه ولو أعطاك بيتاً، أساساً من علامات الحب في الله أن هذا الحب لا يتزعزع حينما الذي تحبه في الله يصل إليك منه أذى غير مقصود، ومن علامة البغض في الله أن هذا البغض لا ينقلب إلى حب إذا نالك من هذا الذي أبغضته في الله خير، الخير لا يلغي البغض في الله، والإيذاء غير المتعمد لا يلغي الحب في الله، هذا الحب المتين في الله لا يتأثر لا بالعطاء ولا بالمنع، أما أكثر الناس إذا إنسان أعطاهم شيء يعبدونه من دون الله، وإذا حجب عنهم شيئاً يتهمونهم بالكفر وهو من كبار المؤمنين، يعني الذي يحبك لعطائك هذا لا يحبك هو يحب ما عندك، والذي يبغضك لمنحك هذا لا يحبك في الأصل إنما كان يعلق الأمل على عطائك فلما خاب ظنه أبغضك هذه علاقات مادية بين الناس.

أما علاقات المؤمنين، يعني سمعت قصة تأثرت لها أن رجلاً صالحاً جداً في العصور الوسطى في بغداد، له دعوة يبدو أن بعض علماء الظاهر أنكروا عليه بعض الأشياء فتوسطوا إلى أولي الأمر بمنعه من التدريس، حينما منع من التدريس بسعي من هؤلاء العلماء علماء الظاهر قيل له أدعو عليهم، قال: الله لا يستجيب لي، قيل له لما؟ قال: لأن نيتهم تحرسهم. نيتهم الطيبة تحرسهم، يعني أصابه ضرر، توقفت دعوته لكنه يعلم علم اليقين أن الطرف الآخر ما أراد بهذا العمل إلا وجه الله، وأنا لا أقر أن الإنسان يكون في دعوته خلل أو خطأ، إلا أن هذا الإنسان يعرف أن الذي منعه من هذه الدعوة يبتغي بذلك وجه الله.

أخواننا الكرام:

بحسب ما أرى أن المسلمين الآن في أمس الحاجة في الحب في الله، كتلة واحدة وإن كان شيء من الخيال، تصور العالم الإسلامي وحده الذي يعد مليار ومائتي مليون لو قاطع بضائع الدول المعتدية على المسلمين والله لركعت هذه الدول، والله لركعت ركوع، ولكن لا يوجد تعاون، لا يوجد وحدة، لو أن البلاد الإسلامية وحدها امتنعت عن شراء الكماليات من الدول المعتدية على المسلمين لركعت هذه الدول ولكن التفرق هو الذي يسهل لهؤلاء مصالحهم.

الحب في الله أن تشعر أن أخوك أقرب الناس إليك، يعني حملته أو حملك لا يهم، أيام تحمله أضعف منك، أقر منك، تحمله أو يحملك، هكذا ربي النبي أصحابه الكرام، وهكذا ينبغي أن نكون يعني أنا من طموحي أن يكون الكل لواحد وأن يكون الواحد للكل كل المؤمنين ينهضون نهضة رجل واحد إذا ألم بأخيهم مكروه والواحد إذا أكرمه الله بشيء هو للمؤمنين، هذه مشاعر الحب مشاعر التعاون، الحديث القدسي المعروف:

(( قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجَبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَادِلِينَ فِيَّ ))

[ أحمد . مالك ]

لا تقيس إيمانك بمعلوماتك يعني إنسان قد يكون غير مسلم وذكي جداً يحصل معلومات في الدين تتيح له أن يمنح دكتوراه وغير مسلم في جامعة باريس قسم الشريعة الإسلامية هناك من يمنح دكتوراه في الشريعة وهو يهودي، لا تقيس إيمانك بالمعلومات.

مرة كنت في جلسة أخوة كرام يعملون في الحقل الديني في الحج كنا ننتظر صلاة الفجر في منى، قال له: كم فرعون وردت في القرآن، يعني تناقشوا مناقشة لطيفة ممتعة لكن هذه حل محلها ديسك برنامج قرآن كريم، إذا العلم كم قد، وكم لو، وكم كلمة فرعون وردت، قضية سهلة جداً، ديسك ثمنه مائة وخمسين ليرة، تسأله أي سؤال تأخذ الجواب خلال ثانية ليس هذا العلم، العلم أن تفهم حقيقة هذا القرآن وأن تعمل به.

فيا أيها الأخوة:

الذي أتمناه أن يكون في كل مكان في العالم الإسلامي مساحة صغيرة تطبق الدين ولو أنها صغيرة هذه تنمو، ولكن لا بد من مساحة لا بد من حيز، لا بد من مسجد ولو واحد العلاقات فيه طيبة جداً، أنا والله أعتز، أحياناً أسمع تناء على أخوانا والله كأني مالك الدنيا العلاقات طيبة، في حب، في تعاون، في مآثره كأنه رجل واحد كأنه إنسان واحد، هذا كلام طيب جداً وطبعاً هذه من آثار المنهج الإلهي الصحيح، الصحابة الكرام الذين فتحوا العالم وهم عشرة آلاف شخص، والله شيء لا يصدق، ولكن بحبهم، هل من الممكن سيدنا خالد بن الوليد يطلب نجدة من سيدنا الصديق؟ طبعاً هو كان معه ثلاثين ألف والفرس كانوا مائة وثلاثون ألف فطلب مدد، سيدنا الصديق كم يرسل له؟ إنسان عنده ثلاثين واجه مائة وثلاثين يجب أن يرسل له ثلاثين ألف، وإذا بسيدنا الصديق يرسل له واحد، واحد! القعقاع بن عمرو، وصل إلى عنده، نظر إليه سيدنا خالد قال له: أين المدد، قال: أنا، قال له: أنت المدد، معه كتاب من سيدنا الصديق فتحه، طبعاً بعد السلام والكلام... قال له: يا خالد لا تعجب أن يكون

القعقاع هو المدد فو الذي نفس محمد بيده إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم. وفعلاً لم يهزم وانتصر، ما هذا الحب.

يعني هل من الممكن جيش طويل عريض فيه صحابة كبار كسيدنا عمر، وعثمان، وعلي، يكون قائده شاب في السابعة عشر من عمره، ممكن؟ ما هذا النظام، سيدنا أسامة بن زيد قائد جيش راكب الناقة وسيدنا الصديق يمشي بركابه، قال له: والله يا خليفة المؤمنين لتركبن أو لأنزلن، شيء فوق طاقتي، قال له: ما علي والله لا ركبت ولا نزلت، وما علي أن تغبر قدماي ساعة في سبيل الله، ممكن؟

ممكن سيدنا الصديق يأتي إلى سيدنا عمر يقول له: مد يدك لأبايعك، سيدنا الصديق أول إنسان بعد رسول الله يطلب من عمر أن يبايعه خليفة، يقول له سيدنا عمر: أي أرض تغلني وأي سماء تظلني إن كنت أميراً على قوم فيهم أبو بكر، هذه فوق طاقتي، فقال له: لكنك أقوى مني يا عمر، قال له: ولكنك أفضل مني، ما الحل؟ قال له: قوتي إلى فضلك نتعاون.

إنسان جاء من بلد والله على علم عالي وأنا أحسن الظن به كثيراً قلت له: هل تحب أن نهى منبر لك، قال: لا أنا أحب أن أساعدك. أنا كثير تأثرت لهذا الموقف الأخلاقي نحن واحد، لا يهم من في الواجهة، يهم أننا نحن نتعاون، يوجد عندك هذه النفسية أن تتكر ذاتك من أجل أن تحقق الهدف، الحق واحد إذا أنت كنت قائد في الجيش أو جندي الحق واحد، العبرة أن الجيش ينتصر، هذا الإخلاص، إذا عز أخوك فهن أنت.

### ((أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ))

نحن في أمس الحاجة إلى هذا الحديث، يوجد مواقف من الصحابة أنا أطرب لها كثيراً النبي ﷺ سأل عن رجل في تبوك أين فلان؟ يوجد إنسان طعن به، قال: أعجبه بستانه ماذا يريد بالجهاد والدنيا حر وصيف، فقال صحابي: لا والله، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، والله يا رسول الله لقد تخلف عنك أناس ما نحن بأشد حباً لك منهم ولو علموا أنك تلقى عدواً ما تخلفوا عنك، النبي ابتسم وسر سروراً كبيراً، هذا الحب.

أنت لا تذهب بعيداً، الذي منكم أب إذا رأى أولاده يتقاتلون ويتسابون، ويهيجون من بعضهم الطعام، وأب وجد أولاده يتعاونون، ويتناصحوا، يعاونوا بعضهم، ويأثروا أنفسهم بالطعام والشراب، هل يوجد أب في الأرض يحب أولاده متخاصمين؟ مستحيل، هل يوجد أب لا يطرب أشد الطرب لأبناء متعاونين، والله المثل الأعلى، الله لا يحبنا أن نقاتل، لا يحبنا أن نتشتم، لا يحبنا أن نتهم بعضنا، هذا أشرك، وهذا كفر.

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ ))

[ مسلم . أبي داود . أحمد . مالك ]

أَهْلَكُهُمْ، أي أشدهم هلاكاً، أَهْلَكُهُمْ هو وصفهم بأنهم هلكى هم ليسوا هلكى.

أخوانا الكرام:

هذا الحديث مهم جداً مع أنه بسيط، ومألوف، ومطروق ومسموع، وكل إنسان يعرفه:

((أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ))

يعني الملخص اعمل عمل تمتن علاقتك بأخيك، سلم عليه بحرارة مرض عوده، مات أحد أقرباءه عزيزه، طلب معاونة عاونه، طبعاً مستحيل أن يكون شيء من طرف واحد، بعد هذا يمل، أما من طرفين باستمرار لا يمل، يعني أنت قدمت له وقدم لك، أهديت له وأهدى لك، زرته وزارك، عدته وعادك، نصحته ونصحك، وقفت معه ووقف معك، وأكثر هذه الأفعال مشاركة تزاوروا، يعني زرته وزارك، تبادلا، تناصحا، أكثر الأفعال التي تؤدي إلى تمتين العلاقة بين المؤمنين فيها صيغة المشاركة.

(( عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغُلُّ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشُّحْنَاءُ ))

[ مالك ]

معنى تهادوا أي قدم له هدية ويقدم لك هدية، سبحان الله في أدوية ناجعة ولكن الناس لا ينتبهوا لها، جار سيء جداً بذيء اللسان شرس، قال لي شخص: سكنت إلى جانبه وندمت على شراء البيت قدم له هدية، قال: جاءني صندوق تفاح قلت في نفسي أسترضيه بها فانقلب مئة وثمانين درجة، هكذا قال النبي ﷺ:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ ))

[ البخاري . مسلم . الترمذي ]

ومرة سمعت أن النبي قال لأحد أصحابه من يقطع لسانه، أحدهم فهم أنه يحتاج إلى مقص، من يقطع لسانه بالإحسان إليه.

أيام تحسن إلى إنسان تسكته ويكون لسانه طويل جداً، تحسن له فيسكت.

فالنبي قال:

ذبوا عن أعراضكم بأموالكم.

((ذُبُّوا عَنْ حُرْمِ أَعْيَابِكُمْ وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنْهُمْ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ...))

[ الدارمي ]

هذه حكمة بالغة، ذبوا أي دافعوا عن أعراضكم بأموالكم، حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعَدَدْتُ ... ))

فَلَقِينَا رَجُلًا، فاعل مؤخر، طبعاً هذا أسلوب رائع في الخروج من الموقف الحرج، رجل سألك وأراد أن يخرجك، فأنت لا تكون مطية له رد له الكرة إلى ملعبه، رد له الإحراج بإحراج مثله يقولوا أنا أبا حنيفة كان ذكي جداً رحمه الله تعالى، دخل على المنصور يوجد قاضي عند المنصور من أعدائه، والعداوة قد تكون غيرة حسد، وقد تكون بغية وعدوان، أراد القاضي أن يشفي غليله من أبي حنيفة، قال له: يا إمام إذا أمرني الخليفة بقتل امرئ أقتله أم أتريث فلعله مظلوم، والخليفة جالس، إذا قال له لا ترد عليه مشكلة، إذا قال له اقتله مشكلة، فقال له: الخليفة على الحق أم على الباطل؟ تفضل وتكلم والخليفة جالس، قال: على الحق طبعاً، فقال له: كن مع الحق، فلما خرج قال أبو حنيفة: أراد أن يقيدني فربطته.

يوجد مواقف ذكية جداً، متى الساعة؟ في رواية النبي على المنبر وهو يخطب قال له: وماذا أعددت لها؟ نقل الكرة إلى ملعبه، رد على سؤاله بسؤال آخر، هذا أسلوب.

(( فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا، فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّ ))

[ البخاري . مسلم . الترمذي . أبي داود . أحمد ]

يقولون أن النبي عليه الصلاة والسلام أن رجل مر فقال: هذا الرجل يحب الله ورسوله، فأحب أن يرى ماذا يفعل في الليل افتعل مشكلة أنه أنا يوجد مشكلة مع زوجتي وأريد أن أنام عندك الليلة، هذا جاء نام عنده فوجد شيء عادي، العشاء صلى وذهب ونام إلى الفجر، استيقظ صلى الفجر وعاد ونام، أين أوراده، أين قيام الليل، فلما سأل، قال له: أنا لا يوجد في قلبي غل لمؤمن.

سر تفوقه عند الله أن قلبه سليم، أيام الإنسان يحصل مكان عند الله بعبادة كثيرة، وأيام يحصل مكان عند الله بمكانة عالية، قد يكون الخلق العالي لا يقل عن العبادة الكثيفة، يوجد إنسان يصل إلى مقام بعبادة، والعبادة ضرورية، القرآن الكريم يقول:

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (79)

[ سورة الإسراء ]

العبادة مطلوبة لكن إذا إنسان أخلاقه عالية جداً يؤدي الفرائض هذا الذي يتمتع بخلق عالي جداً قد لا يقل شأناً عند الله عن هذا العابد

(( ... قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ))

ترى شخص عبادته من أعلى درجة لكن حاقداً، يتمنى أن تقع مشكلة بين المؤمنين.

أخواننا الكرام:

بالمناسبة يعني إذا أنت فرحت لمشكلة وقعت بين المؤمنين عد نفسك منافق ولا تغلط، لأن الله عز وجل قال:

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَيَوَّلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)﴾

[ سورة التوبة ]

وإذا تألمت ألم حقيقي، إذا أخوك أصابه ضرر عد نفسك من المؤمنين، هذا مقياس دقيق ولا يخيب أبداً، إذا أخوك صار معه دكتوراه ماذا حصل؟ أنت لا تتحمل، إذا أخوك أخذ منصب رفيع إذا أخوك دعا إلى الله ونجح في الدعوة لا تتحمل.

لذلك الشافعي رضي الله عنه قال: أنا أتمنى أن يهتدي الناس بعلمي دون أن يعزى إلي مرة قال لي أخ أنه ذهب إلى بلدة في الشمال قال لي: حضرت خطبة منقولة من كتابك كلمة كلمة، قلت له: والله هذا يسعدني، ما هو المانع إذا كان هذا الكتاب أكثر ما فيه صار على السنة خطباء المساجد، لا يقول ولا كلمة عن أصل الخطبة لا يهمني، العبرة أن هذا الكلام وصل إلى الناس، هكذا يجب أن يكون المؤمن.

(( قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ ))

أنت مع أحببت هذا الحديث ورد خمسين رواية تقريباً، معنى هذا الحب مهم جداً، الإنسان يحب المؤمنين معهم، إنسان يحب الكفار يقول يعيشون حياة، أمورهم مرتبة، يثني عليهم وينسى كل أخطائهم من هوي الكفرة حشر معهم ولا ينفعه عمله شيئاً، إذا زار بلدة أنيقة جداً نظيفة يقول: أناس راقين جداً، وإذا زار بلدة إسلامية متخلفة المسلم يكون فقير أحياناً، ينزعج كثير.

الولاء، يجب أن توالي المؤمنين ولو كانوا ضعافاً ولو كانوا متخلفين، أنت ساعدهم، والله يا أخوان يوجد أخ عندما كنت في أمريكا ألقى محاضرات في . ديترويت . يوجد وجه أمامي طبيب لفت نظري جداً بإقباله على الدروس، من حوالي شهر أو أقل طرق بابي قبل المغرب، قال لي: أنا كنت في . ديترويت . وكنت أحضر دروسك وأنا قررت أن آتي إلى الشام واستقرت في الشام وفتحت عيادة أتأمل أن تزورني، وعملت افتتاح للعيادة، ذهبت إلى العيادة ما شاء الله كأنك في أمريكا عيادة فخمة جداً، أحدث الأجهزة، كلها غرف كالنمط الغربي، عيادة هضمية،

باطنية، قلبية، نسائية شيء أنيق فسألته فقال: أنا يوجد عندي عذاب دائماً هناك أنا، أنا أعالج أعداء المسلمين، أحببت هذا العلم الذي حصلته أن أعالج به المسلمين.

صدقوني بقيت أسبوعين وأنا في نشوة، والله إنسان عظيم لم يستطع يجعل علمه في خدمة أعداء المسلمين، أراد أن يكون علمه للمسلمين، هذا هو الولاء والبراء، طبعاً قلت له هنا سوف تجد متاعب مثل كل بلد نامي، ليس الأمور ميسرة كما كنت، ولكن ألا ينبغي أن نضحي؟ ألا ينبغي أن نعمل عمل يرضي الله عز وجل ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ولو كنت في بلد المركبة رخيصة والفيلا رخيصة، والأمور كلها ميسرة لا تشعر باختلال توازن والله أنا حاولت أن أبارك له عمله وأن أشجعه، وقدم له أي مساعدة ولكن لفت نظري وقال: أنا أحب أن أعالج المؤمنين، أحب أن أجعل من علمي في خدمة المسلمين، ونقل أحدث أجهزة ونقلها إلى الشام وتعاونوا أربع خمس أطباء هذا نمط مريح جداً تدخل إلى مركز طبي كل شيء فيه هضمية، صدرية، قلبية، نسائية، نحن نريد هكذا شباب، ممكن أن تدرس في أمريكا ولكن أن تعود إلى بلدك، أن تستقر في بلدك، أن تقدم العلم إلى أمتك، لا إلى أعداء أمتك.

يوجد عدد من إخواننا سافروا إلى أمريكا ليدرسوا قلت عنهم غيابياً ولا أعرف مدى صحة كلامي ولكن أنا يغلب على ظني أنهم كذلك قلت: والله الذي لا إله إلا هو عودتهم إلى بلدهم بعد أن ينهوا الدراسة بالمائة مليار، لأنهم أصحاب مبدأ يحملون رسالة، لا قضية الحياة مريحة فاستقر ونسي أهله، لا ذهب ليتمكن من علم يعود نفعه به على المسلمين هم ثلاثة ذهبوا من أخوانا يحصلون البورد من أمريكا، قلت والله يقيني بعودتهم إلى بلدهم وخدمتهم لأمتهم بالمائة مليار لأنهم يحملون مبدأ وأصحاب رسالة، والإنسان عندما يعرف الله عز وجل هذا الرفاه كله تحت قدمه، هو يعيش لمبدأ لا يعيش لمصلحة.

((قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّ))

الطبيب، يوجد حديث يغطيه:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الآخِرَةِ ))

[ مسلم . الترمذي . أبي داود . ابن ماجة . أحمد . الدارمي ]

إنسان مريض جاء طبيب مختص اختصاص عالي متعمق بالعلم عالجه بتؤدة وصف له دواء ناجح وشفوي، هذا نفس عنه كربة من كرب الدنيا، لذلك الله عز وجل الطبيب يكافئه يوم القيامة بعبء كبير.

يوجد معنى أنا أعيدته منذ مدة كثيراً وأنا متأثر به ومؤمن به وإن كان هذا المعنى ليس بصالح الدعاء إلى الله: الجنة إخواننا الكرام يستحقها كل من عمل عملاً يرضي الله مهما كان نوع العمل، أنا سوف أصورها بمدينة جميلة جداً، وكل إنسان دخلها أصبحت مباحةً له بقصورها، ومطاعمها، وحدائقها، ومسابحها، ومراكبها، وكل ما فيها من جمال وحدائق، إنسان دخلها بدراجة، إنسان دخلها بشاحنة، إنسان دخلها بسيارة سياحية، إنسان دخلها بطائرة، إنسان دخلها بأفخر سيارة، إنسان دخلها ماشياً، بعد أن دخلوها الوسائل ليس لها قيمة.

دخلوا إليها فأنت أي عمل، أنت طبيب، مهندس، محامي مدرس، صاحب مصلحة صاحب مهنة، أتقنتها، خدمت بها المسلمين، مثلك مثل أكبر داعية، لأن القضية أن تعمل عملاً خالصاً لوجه الله، كانوا أجدادنا إذا فتح المحل التجاري يقول: نويت خدمة المسلمين. من يصدق أن عمك، حرفتك اليومية هذا العمل التجاري الروتيني اليومي من يصدق أنه ينقلب إلى عبادة إذا نويت به خدمة المسلمين، هذا المؤمن، حتى حرفته، مهنته، تربية أولاده، في بيته، إذا أدخل على قلب أولاده السرور هذا عمل صالح، حتى لو أخذ أولاده نزهة هذا عمل صالح، حتى إذا اشترى لأولاده ثياب جميلة هذا عمل صالح، يوجد أشياء أصبحت عادات عند الناس لا يرقون بها، المؤمن العادات عنده عبادات ما قولك، ولا سمح الله المناق العبادات المحضة يعاقب عليها لأنها نفاق، يعني إذا حج، أو صلى أو صام قد يحاسب عليها لأنه فعلها رياءً، أو سمعةً، فإذا أنت مؤمن إيماناً كبير يمكن أن تكون عاداتك عبادات عند الله عز وجل.

(( قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّتَ ))

آخر حديث:

(( عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِأَنْاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهُهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ))

[ أبي داود ]

والله الذي لا إله إلا هو من علامة إيمانك أن تحب شخصاً من قارة ثانية لا يجمعك معه شيء إلا إيمانك، لا مهنتك كمهنته، مرة أستاذ الإلهيات في جامعة السوربون كلف ببحث موازنة القرآن بالإنجيل، قرأ القرآن تأثر فأسلم وأقام بتونس سنوات عديدة ثم جاء إلى دمشق ونزل بضيافة أحد أخوانا، هذا الأخ الكريم أكرمه إكراماً شديداً أعطاه بيت فخم ورعاه رعاية كافية، فمرة جاء به إلى مسجدنا وأنا دعوته إلى بيتي يعني شعرت بحب عجيب، إنسان من سكان باريس يحمل دكتوراه بالإلهيات . اللاهوت . لا يوجد شيء يجمعني معه، فلما صار مسلم وعرف الله كأني وجدت نفسي به.

من مدة كتابه اطلعت عليه، رجل أمريكي ملحد أستاذ رياضيات في سان فرانسيسكو إنسان ملحد هل يوجد شيء يجمعك معه، لا عربي، ولا مسلم، ولا مؤمن، ولا شيء، لا يوجد أي شيء يجمعك معه، أسلم والآن هو الآن من كبار الدعاة في أمريكا ما تمكنت أن ألتقي به، من كبار الدعاة قرأت كتابه، شيء تقرأه تبكي عملت أربع دروس في العثمان من كتابه، ما هو السر ؟

قال: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إلي منه، وخرج من عنده أحب إلي من بعض أولادي. هذا الدين لما عرف الله عز وجل كأنه أخوك، مرة سمعت مناقشة رجل أساسه من السند مقيم في جنوب إفريقيا ولا يتكلم العربية ولكنه مؤمن كبير ناظر بعض رجال الدين، كانت مناظرته عالية جداً، قلت: والله أقرب لي من أخي النسبي، أقسمت بالله لما سمعت محاضرتة أقرب إلي من أخي النسبي، هذا هو الدين، الدين يجمع ولا يفرق،

الدين يقيم علاقة ود تفوق حد الخيال، والدليل قوله تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿(63)﴾

[ سورة الأنفال ]

((قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تَخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ

يَتَعَاطَوْنَهَا...))

إنسان أحياناً وكيل شركة يأتي مدير عام الشركة يحتفل به احتفال يفوق حد الخيال، يقدم له هدايا، قطع ذهبية، وفولكلور، وفنون دمشقية، ويطعمه في أفضل مطعم، لأنه يوجد نفع كبير، لو أن هذه الشركة سحبت الوكالة منه وجاء إلى الشام زيارة ثانية لا ينظر إليه إطلاقاً، بالعكس يعاديه، اليوم تمدح البضاعة لا يوجد منها، لما سحبت منه الوكالة أصبحت هذه البضاعة غير جيدة، ثاني يوم يغير كلامه، هذه مصالِح.

(( هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ))

هذا درسنا اليوم أن تحب إخوانك المؤمنين، أن تحبهم حباً عميقاً أن تفرح لنجاحهم، لفوزهم، لتفوقهم، أن تفرح لهم عند نجاحهم وعند حل مشكلاتهم، أن تكون عوناً لهم، أن يكون الجميع للواحد والواحد للجميع، هكذا ربي النبي أصحابه، أما المظاهر الصارخة الإسلامية هذه لا تقدم ولا تؤخر، الدين ليس برقص، عرضوا بهذا الجامع فولكلور إسلامي، رقص، ونحن على عكس ذلك نسير على الكتاب والسنة، فالدين ليس برقص، ولا فولكلور، ولا غناء، ولا طرب، ولا نقوش، ولا زينة، الدين منهج يطبق بين المؤمنين.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (081 - 127) : قضاء حوائج المسلمين

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 11-04-1999

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و ارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة المؤمنون: عقد الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم باباً سماه باب قضاء حوائج المسلمين، فالله عز وجل يقول:

### ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

(سورة الحج)

الفلاح مربوط بهذه الآية بفعل الخير، الإنسان حينما يأتي إلى بلد في ذهنه شيء يجب أن يحقق، إن جاء تاجر في ذهنه أن يعقد صفقة رابحة، إذا جاء طالب علم في ذهنه أن يعود بشهادة، إذا جاء سائح في ذهنه أن يزور الأماكن الجميلة، فالإنسان حينما يتحرك في ذهنه شيء الله عز وجل جعل الفلاح جبلة الإنسان، حب الفلاح حب التفوق والنجاح، لا يوجد شعور أجمل ينتاب النفس كالشعور بالإنجاز بالنجاح والفلاح والتفوق، فربنا عز وجل يبين لنا في هذه الآية أن الفلاح بفعل الخير بسبب بسيط، هو أن الزمن يمضي، فالذي استهلك الزمن استهلاك رخيص وأنفقه إنفاق رخيص، أكل ونام وشرب وارتاح وعمل نزاهات واستمتع، الاستمتاع ليس له مردود مستقبلي أبداً.

في نقطة دقيقة: الله عز وجل قال:

### ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38)﴾

(سورة الدخان)

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾

(سورة ص)

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

(سورة الروم)

فالعلماء قالوا: الحق لا يس خلق السماوات والأرض، أنا ممكن أن أعرف الحق تعريف إيجابي، وممكن أن أعرفه تعريف سلبي، الله عز وجل قال:

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

هذه الباء باء الملايسة، فالحق لا يس خلق السماوات والأرض، تعريف هذا الحق من نفي الباطل، ماخلقتاهما باطلاً، وماخلقتاهما لاعبين، فالحق نقيض اللعب ونقيض الباطل، الباطل الشيء الزائل، واللعب الشيء العابث، كلمة حق تعني لاعبث ولالعب، ولازوال، الإنسان خلق ليبقى، يتوهموا الناس أن فلان مات، فلان ذاق الموت، الإنسان باق إلى الأبد وقالوا:

﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِتُونَ (77)﴾

(سورة الزخرف)

هذا الأبد المخيف المسعد أو المخيف مرتبط بهذه السنوات المحدودة، الأبد الذي لانهاية له مرتبط بهذه السنوات التي نمضيها على وجه الأرض

والله أيها الأخوة: لو شعرنا بخطورة الوقت لما أمكن أن ننام من شدة خطورته ! كل كيانك بضع سنوات، الإنسان بضع سنوات وبضع أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، فالفلاح أن تفعل في هذا الوقت الزائل ما ينفعك بعد مضي الوقت، العام الدراسي وقت ممكن أن يستهلك باللعب والنوم وتناول الطعام والنزهات، لكن هذا الاستهلاك ليس له مردود مستقبلي، أما لو درس الطالب في هذا الوقت الذي سيمضي ينفعه هذا العمل بعد مضي العام، ينتهي العام الدراسي ناجح إلى أن ينال أعلى شهادة، يحقق أعلى أهدافه فيها.

فلذلك كلمة:

### ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

فلاح الإنسان بفعل الخير، طبعاً فعل الخير كلمة، لكن هو واسع جداً، في بيتك فعل خير ضمن عملك ضمن حركتك، أي حركة تتحركها فيها فعل خير، هذا الإحسان أساساً، المؤمن كيفما تحرك عنده عبث، وقت يمضي هكذا بلامعنى مستحيل، هذا يتناقض مع سر وجوده في الحياة.

إذا الإنسان قرأ القرآن يتبع كلمة يفلحون.

﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)﴾

(سورة البقرة)

هذا الفلاح، لو شققت صدور الناس الفلاح عند الناس المال، أن تكون ذا منصب رفيع، أن يكون لك بيت جميل، مركبة فارهة، زوجة جميلة، مكانة عليية، هذا الفلاح عند الناس، أما عند الله العمل الصالح، لأن هذا العمل الصالح زادك في الآخرة.

العمل الصالح هو الذي تسعد به ولكن متى تفعل هذا العمل الصالح ؟ لا بد من أن يسبق العمل الصالح إيمان بالله، ولا بد من أن يسبق الإيمان بالله تفكر في خلقه، ولا بد من أن يسبق العمل الصالح الاستقامة على أمر الله، تريد أن تفكر تؤمن تستقيم، الآن جاء العمل الصالح في مكانه الصحيح، أما عمل صالح من دون إيمان للدنيا رياء، عمل صالح من دون استقامة لا يعينك أن تتصل بالله عز وجل، المعاصي حجاب، العمل الصالح يرفعك إلى الله، ولكن الذي يحول بينك وبين أن ترتفع هو ما يرافق العمل الصالح من مخالفات، لذلك ورد في الأثر ركعتان من روع خير من ألف ركعة من مخط.

إخواننا الكرام: كلام فيه مصارحة، أسأل نفسك كل يوم ماذا قدمت للمسلمين، لو سألك الله عز وجل يا عبدي أرسلتك إلى الدنيا وعمرت عما مديداً ماذا فعلت من أجلي ؟ الآن طرح عليك السؤال: ماذا فعلت من أجلي ؟ ماذا قدمت ؟ قد تجيب مليون عمل فعلته من أجل ذاتك لك لمصلحتك لدخلك لبيتك لأولادك لراحتك، ماذا فعلت من أجل الله ؟ أي وقت أمضيته في سبيل الله؟ أي مال أنفقته في سبيل الله ؟ أي خبرة قدمتها في سبيل الله

والله أيها الأخوة: لو يعلموا الناس ما في العمل الصالح من سعادة في الآخرة، النبي الكريم مرّ مع أصحابه على قبر، قال كلمة: قال صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تتفلكم خير له من كل دنياه. لو أننا سنفضّل، يوجد شركات أدوية أربعة آلاف مليون دولار فائضها النقدي آخر العام ! أربع مليارات زيادة عن توظيفها، يوجد شركات عملاقة ميزانياتها أقوى من ميزانيات دول، لو أنك تملك هذه الشركة وجاء ملك الموت أنت في خسارة ! يسمع الإنسان أحياناً أخبار أن ملك الحديد بأميركا مات بزورق مع مومس مثلاً، شخص كبير مليونير يموت ميتة تافهة حقيرة وهو في حالة انسياق لشهوة دنيئة، هذه الحياة، الموت قطع ينهي كل شيء، ينهي غنى الغني وفقير الفقير، وقوة القوي وضعف الضعيف، وسبحان من قهر عباده بالموت، كلنا سوف نموت، هذا الموت أكبر واعظ وملقن.

سيدنا عمر بن عبد العزيز طلب من أحد علماء عصره أن يكون معه دائماً، قال له: إذا رأيتني ضللت فأمسكني من تلابيبي، وهزني هزاً شديداً وقل لي: اتقي الله يا عمر فإنك ستموت.

بطولتك أيها الأخ أمام كل موقف تقفه وأمام كل عمل تعمله وأمام كل عطاء تعطيه وأمام كل منع تمنعه، لو أن الله سألك لماذا فعلت هذا ؟ ما الجواب الذي عندك ؟ يجب أن تهيبّ جواب الله عز وجل.

ذات مرة أخ من إخواننا لا يوجد اتصال شديد بيننا يعمل في التموين موظف كبير، قال لي: انصحنى أستاذ، أنا أحببت أن أداعبه فقلت له: اكتب ضبط كما تشاء ! وضع الناس بعدرا، نظر إلي وتعجب قال لي: هكذا تقول ؟ قلت له: نعم هذا ما أقوله لك، لكن إذا كنت بطل تهيبّ الله جواب عن كل ضبط وليس لعبد الله ! أنت هل معك جواب لكل شيء تفعله ؟ لكل عمل لماذا غضبت ؟ لماذا أعطيت ؟ لماذا منعت ؟ لماذا طلقت ؟ لماذا رفعت السعر ؟ يوجد سؤال وأجب عنه لماذا كذبت ؟ أحياناً الإنسان يكذب لمصلحته.

فأيها الأخوة: أفضل أنواع الإيمان أن تشعر أن الله معك دائماً يراقبك على الكلمة والحرف على الحركة على السكنة، هذا حال المراقبة ينتج عنه حالة استقامة.

لذلك الله عز وجل قال:

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)﴾

الدنيا كلها تتركها بثانية، القصص لا تنتهي عن الأغنياء، كنت مرة بحلب أطلعوني على قصر بحي الشهباء فعلاً شيء بعام الأربعة والسبعين، القصة من خمس وعشرية سنة تقريباً، وصفوه لي أنه يوجد فيه رخام بخمس ملايين بقدر خمسمائة مليون اليوم ! قصر صاحب القصر عمره اثنان وأربعين سنة، وضع في قبر أكثر من

قامته، فالحفار اضطر أن يدفعه من صدره حتى أصبح رأسه..

والله مرة لي صديق والده رجل من صناعي كبير في البلد، له بيت من أقدم بناء في المالكي، أنا دخلت للبيت، البيت تحفة أربعمئة متر وصلونات، وقسم شرقي وقسم حديث كل مافي العالم من رفاه في البيت، جاءت مرة على بلدنا سبعة أيام مطيرة متلاحقة وصفات بردى، أصبح هناك إشكاليات كبيرة في المرجة في هذه الأيام توفي، فتح القبر فيه ماء سوداء دخلت له سياق، سألوا ابنه فقال: ضعوه ماذا سنفعل؟ مدير معمله يحضر عندنا قال لي: أنا جمعة لم أستطع تناول الطعام، أين وضعوا معلمي، كان يحضر حرامات في الشتاء بالبريد من فرنسا، مُهبر خفيف، يعيش حياة تفوق حد الخيال، قبر فيه مياه سوداء وضع، هذا المصير القبر يحل كل مشكلة، الموت ما ذكر في ضيق إلا وسعه، ولا سعة إلا ضيقها !

إخواننا الكرام يجب ان يكون العمل الصالح هدف واضح من أهدافنا، كل يوم بيومه، ماذا فعلت اليوم من أجل الله وحده؟ لا تريد ثناء ولا مدح ولا شكر ولا قطعة رخام على المئذنة توضع لا يلزمك إلا أن يرضى الله، هكذا عمل لوجه الله تبتغي عمل لوجه الله.

### ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ (69)﴾

(سورة الأعراف)

كلمة دقيقة حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وكلما علت مكانتك قدر الله عز وجل على يديك عمل صالح كبير، صاحب هذا الكتاب الإمام النووي عاش أقل من خمسين سنة، ترك كتاب شرح صحيح مسلم من أدق الشروح، وترك رياض الصالحين والأذكار وترك بغية المحتاج من أوسع كتب الفقه الشافعي ومات، وهذه الكتب استفاد منها المسلمون بكل أقطارهم ولعشرات بل مئات السنين والخير للأمام، وعاش أقل من خمسين سنة ! والإمام الشافعي عاش من أقل من خمسين سنة، وترك هذا الفقه العظيم.

فعليك أن تقوم عمل يكون لك فيه أثر ضخم، والله مرة هذه القصة أروها كثيراً: أخ حضر عندنا وله صوت حسن كان يؤذن قبل الخطبة، صار نوع من الزيارات بيننا عاش حياة مرفهة جداً مات، قال ابنه: مات والدي ! ذهبنا إلى الجنازة أحد علماء دمشق كان يحضر عنده أيضاً ابنه، وقف قال: أخوكم كان مؤذن ترحموا عليه، انتهى التأبين ! فنظرت كلمة فقط، ماذا سيقول: سيتكلم عن بيته، بيته فخم جداً، سيارته على الديكور في البيت على سفراته لأوروبا على أدواقه في الطعام، هذا لا يحكى عند الموت، يحكى على عمله قال: كان مؤذن ترحموا عليه، فأنا انصدمت وقتها وقلت: على الإنسان أن يعمل عمل يتكلموا عليه دقيقة دقيقتين، الذي سيقم شخص تقييم للأخرة يلتغى تسعين بالمائة من أعماله، تسع وتسعين بالمائة من أعماله تلتغى كلها، قيمة تقييم أخروي ماذا

فعلت من أجل الله؟ هنا المشكلة، لا يوجد أحد من الناس يقدر بمليون، أما مر شخص أمام النبي سأل أصحابه عنه قال:

(( عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا))

(صحيح البخاري)

الكرة الأرضية معروفة، محيطها أربعين ألف كيلو متر، تستطيع أن تقسم المحيط على البي ينتج القطر، ممكن تعرف حجم الكرة رياضياً وسهل جداً، وخذ حجم إنسان متوسط وقسم حجم الكرة الأرضية على حجم إنسان، تعرف هذه الأرض تتسع لكم رجل لو أفرغناها، كرة مجوفة، هكذا قال النبي وهو لا ينطق عن الهوى، قال: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا فَأَيْنَ بَطُولَتِكَ؟ تكون وفق مقاييس الله متفوق، يقول لك: على مقياس رختر، يلزمك على مقياس الله عز وجل تكون متفوق.

الله يريد إخلاص قلب منيب عمل طيب فقط، أما شكلك وحجمك ونوع بيتك، الإنسان بآخر الزمان قيمته من متاعه فقط، مكانتك تستمدها من بيتك، من مساحته ومن موقعه ومن الزينة التي فيه من نوع الأساس، تستمد مكانتك من سيارتك، حتى السيارات درجات يوجد مائة وثلاثين، ومائتين ومائتين وثمانين، وثلاثمائة وخمسمائة وخمسين ويوجد ستمائة، تسترد مكانتك من رقم كتب في الخلف، الرقم أحياناً أربع وعشرين مليون أحياناً، مكانتك تأخذها من بيتك ومن سيارتك ومن منصبك ومن شهادتك، هذا معه بورد وهذا أكريجي وهذا إف آر إس هذا رئيس المجمع العلمي كلمات، في آخر الزمان الإنسان يستمد مكانته إما من بيته أو شهادته؟ أو من منصبه الرفيع؟ أو من مركبته أو من رحلاته أو مغامراته... لكن لا أحد يفكر كيف يستمد مكانته عند الله! النبي الكريم يقول: ابتغوا الرفعة عند الله.

والله أيها الأخوة: يمكن أن تفعل كل يوم هذه الأعمال مئات الأعمال و لا تنسى قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)﴾

(سورة الزلزلة )

قال ذرة، إذا نملة حرص على بقائها حية على المغسلة وأنت مقدم على أن تتوضأ فسمحت لها أن تتابع مسيرها إلى أعلى المغسلة، أنت أنفذت نفس: قالت نملة:

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)﴾

(سورة النمل)

المقدمة حول فعل الخير، اجعل هذه الكلمة منهجك، حزمك عند الله بحجم عملك الصالح المخلص، الآن كلام أدق: العمل الصالح ما تعريفه ؟

ما وافق السنة وكان خالصاً لله عز وجل ما ابتغي به وجه الله وما وافق السنة، إذا كان خالصاً وصواباً.

كثير من الفرق الإسلامية يفعلون عمل هم يقولون أنهم مخلصون به لكن لا يوافق السنة، أو يعملون عمل موافق السنة من دون إخلاص، الإخلاص وموافقة السنة كلاهما شرط لازم غير كاف، تتحرى أن هذا العمل هل يرضي الله عز وجل ؟

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

(صحيح البخاري)

بهذا الزمان ألف إنسان بواجتك وباجة إلى مالك ولعلمك ولحكمتك وخبرتك ونصيحتك، ويمكن كيفما تحركت يكون لك عمل صالح

((المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ))

يقول لك: والله ألبسته إياها، طلعت منها، أوهم الناس.

قال: يوجد رجل في مصر يريد شراء سوبر ماركت وجد إعلان بالجريدة، واضع وقت لمقابلته صاحبها بين الساعة الثانية والنصف حتى الثالثة، فجاء الشاري فوجد مائتين زبون وثلاثمائة زبون، قال له: والله مشغول، أنا صحيح أني وعدتك في هذا الوقت لكنني مشغول، أعدك عدأ بنفس الوقت، فوجد نفس الازدحام، قال له: هذا الموعد غير جيد تعال إلي في البيت جاء إلى البيت فباعه إياها بأعلى سعر، هذا وجد مائتين زبون أول يوم ثاني يوم فاستبشر، اشتراها، يوجد أمامه معمل معه نصف ساعة إجازة في هذا الوقت وطوال النهار لا يوجد ولازبون، وعده بهذا الوقت فباعها بالطريقة نفسها ! كما اشتراها باعها كله غش بغش.

المؤمن لا يدلس ولا يكذب ولا يوهم، يرى الله يراقبه، الذكي عند الناس الذي يغش الناس، بالغش والاحتتيال والتدليس، يكون الفروج منقوع ثلاثة أيام بالماء، أخذ كمية أوقيتان من الماء، يضع له ضوء أحمر، وهذا اللون يعطيه لون زهر كأنه طازج، لا ينتبه الزبون، يجد في البراد ضوء أحمر هذا له معنى، ليعطي لون أنه طازج، كل أعمال الناس غش الآن، الغش بشكل غير معقول.

فلذلك أيها الأخوة: المؤمن أندر من الكبريت الأحمر، الذي يخاف الله عز وجل يخاف أن يأكل قرش واحد حرام، والله لا أنسى أخ والد صديقي قال لي: أنا عمري ست وتسعين سنة أجريت تحليل البارحة كله تمام، كله طبيعي، قال: لم أكل قرش حرام بحياتي ! ولا أعرف الحرام.

إذا نشأ الإنسان في طاعة الله دخله وإنفاقه وطعامه حلال، الله عز وجل في الأعم الأغلب يعافيه، يا سيدي ما هذه الصحة ؟ يقول: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر من عاش تقياً عاش قوياً، أنت عندما تسير في طريق الإيمان أنت تسير مع الله عز وجل، ليس مع أشخاص بل مع خالق الكون ! تسير مع من بيده كل شيء، مع من إليه يرجع الأمر كله، صحتك وأهلك بيده، انظر لهذا الحديث:

((المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ))

فندق بيع ببراءة ذمة غير صحيحة مزورة، وعليه ضرائب بالملايين، بعدما اشتراه صاحبه جاءت الضرائب ! هذا نمط الناس أنه كلما كان ذكياً أكثر يلبس همه للآخرين، ويخرج هو ويشعر بأنه شاطر فهيم، أما المؤمن يعد نفسه شاطر إذا كان لم يغش أحد أبداً، ولم يكذب على أحد.

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.))

إذا أنت تخدم الناس الله عز وجل يهبى لك من يخدمك، هذه قاعدة، أنت تعاون يوجد من يعاونك تعطي هناك من يعطيك، تتفق هناك من ينفق عليك، تيسر الأمور للآخرين هناك من ييسر لك، الحياة دين ووفاء.

(( وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

هذا حديث منهج، إياك أن تظلم، عليك أن تقدم خدمات لإخوانك، عليك أن تفرج عليهم كربهم، عليك أن تستر عيوبهم، المؤمن ستير والكافر فضائحي، كلما سمع قصة ممتعة يرويها ألف مرة، ليضحك الناس على حساب إنسان، المؤمن معطاء، الكافر أخاذ، باني حياته على الأخذ، هذا على العطاء، المؤمن مع إخوانه يقضي لهم حوائجهم، غير المؤمن عبء عليهم، يضغط عليهم ليقضوا لهم حوائجهم.

هي كلمتين: عطاء واخذ، المؤمن يعطي والكافر يأخذ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا، ونحن بينهما.

الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا، والمؤمن كلما كثر عطائه كثر كثر مكانته عند الله عز وجل.

حديث ثاني في قضاء حوائج المسلمين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

(صحيح مسلم)

هذا الحديث لو ارويه ألف مرة لا أشبع منه، جامع مانع، هذا حديث صحيح منهج، وكل فقرة منه درس، أول فقرة: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

تساعد الناس بكل موضوع، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ لَكَ مَعَ شَخْصٍ مَبْلَغَ قَالِ لَكَ: وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ، حَسَنَ أَعْطَيْكَ مَدَّةَ شَهْرٍ آخَرَ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. نفست كربة ويسرت على معسر، وسترت مسلم وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. مادام لك عمل صالح الله عز وجل معك.

((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))

أنت قادم إلى الجامع لماذا قادم؟ لا يوجد ضيافة ولا كرسي مريح ولا شيء، أرجو الله عز وجل أن نكون جميعاً في سبيل الله، ليس لنا مصلحة، مصالح مادية لا يوجد، رجل يترك بيته له جلسة مريحة يجلس مع زوجته، أعطونا كأساً من الشاي أو صحن فواكه، البيت أسلى له من هنا، ترك بيته وجاء لبيت الله عز وجل، لماذا؟ ليلتمس فيه علماً هذا الطريق هو نفسه إلى الجنة

((سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ))

أحياناً في جلسة روحانية يقول لك: سررنا، شعرنا بالتجلي أو سكينته، هذا عطاء الله عز وجل، تشعر نفسك خفيف ليس لك ولا مشكلة، الهموم كلها تنساها، متطلع إلى الله عز وجل، تسميها تجلي تسميها سكينته تسميها سعادة تسميها سرور والله جلسة جميلة، هذه كلها كلمات متشابهة والمضمون واحد

((نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشَّيْتُهُمُ الرَّحْمَةَ، وَحَقَّقْتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

مهما كان لك صلة مع إنسان متفوق لو كنت ابنه، مهما مدحت أبوك، أبوك بمكانته وأنت بمكانتك، أنا أريد أن أنه تنويه أن القضية هنا المديح.

أيها الأخوة: المردود محصلة الإيمان، محصلة معرفة الله، محصلة هذه المجالس، المحصلة العمل الصالح، بالتجارة نشاطات كثيرة، تشتري محل تتوسع تأخذ مستودع، تتوسع تأخذ مكتب استيراد، تتوسع تحضر هيئة محاسبة، تتوسع تحضر مندوب مبيعات، تتوسع تقوم بالمراسلات مثلاً... هذه المستودعات والمكاتب والمراسلات والموظفين، هي التجارة كلها كلمة واحدة ربح، فإذا لم تربح كله فارغ! يجب أن تحقق الربح وإلا كل هذا النشاط ليس له معنى.

أرأيت هذا المثل على الدين، يوجد صلاة وصوم وحج وعمرة، نقوم بالحج فنزين ونضع السجاد ونقوم بالعراضة، يأتي رمضان نتسحر نفطر، يأتي العيد نلبس ونزور وندخل لجامع ونصلي، هذا النشاط كله إذا لم يتوافر الاستقامة والعمل الصالح كله فارغ، أصبح فلكلور! أصبح تقاليد وعادات، أصبح بالتعريف الدقيق ثقافة، سلوك تألفه أمة، ثقافة أمة، أما الذي تريده أنت تنهض إلى الله ويلزمها عمل صالح مخلص هذا محور الدرس. بصراحة إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم، ممكن الكلمة الطيبة صدقة، الابتسامه صدقة تربية الأولاد صدقة العناية بالزوجة صدقة العناية بالجار صدقة الدعوة إلى الله صدقة شرح القرآن صدقة، مليون صدقة لديك، والله عز وجل كله يدونه لك، الله سميع بصير.

أنا أتمنى أن تسأل نفسك كل يوم: اليوم ماذا فعلت؟ كيف مضى هذا اليوم؟ أنت بضعة ايام كلما مضى يوم ذهب قسماً، هم يحسبوا من عمرك إذا رجل عاش ستين سنة فرضاً، ستين ضرب ثلاثمائة وخمس وستين يعادلون رقم، ويحسبون كم أسبوع وكم ساعة وكم صيف وكم شتاء وكم خريف وكم ربيع، فنحن جميعاً نلحق رمضانين بالشتاء أو اثنين بالصيف، الثالث غير مؤكد، جاء أيام النهار ثمانية عشرة ساعة، وحر شديد، الآن نحن بالشتاء، رجل لحقه مرتين بالصيف إما يلحق الثالثة وإما لا يلحقها هذه الدنيا بضعة أيام، كله سيسير.

فمحور الدرس إسأل نفسك كل يوم ما العمل الذي سأضعه بين يدي يوم القيامة ؟ ماذا فعلت ؟ كان السلف الصالح يفتح الدكان يقول: نويت خدمة المسلمين، يحضر أجود البضاعة ويبيعها بألطف معاملة، والله أخ من إخواننا أنا معجب فيه منذ كنت، عنده معمل صناعات غذائية يقول لي: هؤلاء أولاد المسلمين أعطاه والده عشر ليرات هل أطعمه شيء منته مفعوله الله لا يرضى عني، قال: والله أفضل زبدة وأفضل شوكولا وأفضل فانيليا وأفضل وأفضل، قال: يجب أن لا أريح على حسابك، قال لي: بل أنا أريح لأن كلفة.. الآخرين ماذا يفعلوا ؟ مواد غذائية منته وقتها إلى أين تباع ؟ إلى المعامل لا يوجد من يحاسبك أن هذه منته مفعولها، اشتروا ستوكات، بيض نصف فساده ذهب على الكاتو فوراً ! كل شيء سينتهي مدة صلاحيته يدبروه، لكن إذا رجل ينصح المسلمين بمعمله يقدم أكلة نظيفة من مواد أولية جيدة بسعر معتدل، هذا طريق للجنة إذا كل رجل انتبه لمهنته خدم المسلمين طريق للجنة، انتبه لأولاده طريق للجنة، انتبه لزوجته طريق إلى الجنة، انتبه لجيرانه طريق للجنة، ساعد إخوانه طريق للجنة، بذل من ماله طريق للجنة، بذل من علمه طريق للجنة، الله عز وجل قال: الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

أينما كنت يوجد طريق إلى الجنة، تنصح إنسان تسبح تذكر، تقدم نصيحة تقرأ موضوع تمكن علمك الديني، كل عمل ممكن أن يكون طريق غلى الجنة، والله عز وجل خلقك للعمل الصالح، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وكل رجل الله أجرى على يده عمل صالح، سيدنا صلاح الدين رد سبع وعشرين جيش إفرنجي واستعاد البلاد وأنقذها من الصليبيين هذا عمل سيدنا الصديق يعد المؤسس الثاني للإسلام، ألم يكن له ردة بعد وفاة النبي اللهم صلي عليه ؟ سيدنا عمر فتحت في عهده الآفاق والبلاد إلى أذربيجان، جاءه عامله على أذربيجان، كل السعودية الآن تبوك الأردن سورية تركية كلها اصعد إلى الاتحاد السوفيتي وأذر بيجان فوق، بعهد سيدنا عمر وصلت فتوحاته إلى أذربيجان، هذا حجم الإنسان، البلقان ما يجري فيه الآن كلهم مسلمين على يد محمد الفاتح فتح القسطنطينية وتابع، فكل إنسان له عند الله عمل، اسأل نفسك ماذا عملت ؟ هذا أهم سؤال كل يوم قبل أن تنام، ماذا قدمت للإسلام ؟ والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضا عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (082 - 127) : الورع وترك الشبهات

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-08-1999

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام لا زلنا في رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين عليه أتم الصلاة والتسليم، اليوم هو باب الورع وترك الشبهات وقبل أن نمضي في الحديث عن هذا الموضوع الجليل لابد من مقدمة الدين كله في جوهره وحقيقته ومحوره الفعال أن تسعد بالله، لأن الله ﷻ مصدر كل سعادة، كل شيء عنده، عنده كل متطلبات الحياة عنده كل متطلبات النفس، عنده كل المصير، المصير عنده، الحالة الداخلية عنده، الحالة المادية عنده، كل شيء يخطر في بالك خزائنه عند الله، والله عز وجل خلقك ليسعدك.

الآن المؤمنون كيف يتفاوتون؟ يتفاوتون بالورع، حقائق الدين واحدة، ما من مؤمن إلا يؤمن بأن الله خلق هذا الكون، وأنه إله هذا الكون، وأن هناك جنة، وأن هناك نار الحقائق التي جاء بها القرآن وأنت بها السنة، قاسم مشترك بين كل المؤمنين، ولكن بما يتفاوت المؤمنون، كيف يكون هذا سباق، وهذا أقل سبق؟ بالورع، لذلك ورد في الأثر أن ركعتان من ورع، أن قلت، لو قلت أن ركعتين، أما أن ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخطئ، يجب المؤمن يصل إلى درجة يكون في عنده حساسية ذاتية، أنا كيف أتصل بالله، كيف تكون العلاقة بيني وبين الله عامرة، كيف؟ بالورع، في نقطة مهمة جداً، جداً، لا يمكن أن تترك شيء لله، إلا الله عز وجل يعوضك خيراً منه أضعاف مضاعفة، في الخطبة يوم الجمعة الثانية تحدثت عن غض البصر، قلت هذا الذي غض بصره عن محارم الله يعني شكل واقعي حرم نفسه الاستمتاع بمنظر النساء في الطرقات والنساء في الطرقات كاسيات عاريات، مائلات مميلات، لم يبق لأزواجهن منهن شيء، كل شيء للطريق، طيب هذا المؤمن غض بصره عن محارم الله خوفاً من الله، يعني حرم نفسه باللغة الواقعية متعة النظر إلى محاسن المرأة، أنا أقول لكم هذه الكلمة والله وأنا متأكد منها، والله زوال الكون على الله أهون من أن تحرم نفسك شيئاً خوفاً من الله وألا يعوض عليك أضعافاً مضاعفة.

ابن القيم رحمه الله تعالى لفت نظره أن الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ  
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾

(سورة النور: 30)

إلى آخر الآية، ثم يقول الله عز وجل:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة النور: 35)

ما معنى ذلك ! يعني أنت حينما غضضت بصرك عن محاسن امرأة أجنبية نور الله قلبك، نور بصيرتك، صار في عندك رؤية صحيحة، وقرار سليم، بعض العلماء ذكروا عشرة فوائد لغض البصر منها:

النور الذي يقذفه الله في القلب، منها الشعور بالقوة، أنت تفعل شيئاً ليس في الأرض كلها جهة تحرم، في الأرض كلها، في كل بلاد العالم، في كل أنظمة العالم، في كل قوانين العالم، ليس هناك من يحرم إطلاق البصر في المرأة، إلا الله، أما الإنسان حينما لا يسرق يعني يخاف إن سرق أن يعاقبه إنسان، فإن لم يسرق نقول لعله يخاف من إنسان، أما الذي يغض بصره عن محارم الله هذا حتماً يخشى الله وحده، لأنه ما من جهة أرضية تمنعك أن تطلق البصر، ذكرت أنواع متنوعة، لكن في أخ لفت نظري، قال لي ذكرت آية دهشت من أجلها ما هذه الآية ؟ سيدنا يوسف، أولاً أخوانا الكرام، إذا أنت قرأت كلام لإنسان قد يكون ضعيف باللغة، قد يكون أصاب أو أخطأ، أو رمية من غير رامي، أما إذا قرأت كلام الله يجب أن تفهمه حرفاً حرفاً، حركةً حركةً، والاستنباط كله قطعي، سيدنا يوسف قال ربي:

﴿وَالْأَلْفَاقُ تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾

### ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (33)

( سورة يوسف: 33 )

فالله وصف الإنسان الذي يتعلق بامرأة لا تحل له بأنه جاهل لماذا ؟ لأنه حرم نفسه حور العين إلى أبد الأبد، إذا كان أنت القرآن مؤمن فيه إيمان حقيقي قضية تباركنا كلام ماله معنى، إذا أنت كلام الله عز وجل عندك ذا مصداقية عالية جداً، إذا كان كلام الله ذا مصداقية عالية جداً، أعلى درجة من الصدق، وقال لك في حور عين تأخذ بالألباب، إلى أبد الأبد، فأنت من أجل أن تمتع نظرك بامرأة لا تحل لك لسنوات معدودة ضيعت سعادة الأبد مع الحور العين، إذاً العقل تعبان طيب ما هو العقل ؟ له تعريفات كثيرة جداً، لكن أختار تعريف واحد جهاز لو أعملته لا تتدم، فإذا ندمت معنى ذلك أنت لم تعمل هذا الجهاز يعني أنت مثلاً بعت بيتك، وقبضت ثمنه عملة أجنبية، وفي بجيبك جهاز دقيق جداً لو فحصت به هذه العملة عرفت ما إذا كانت مزورة أو صحيحة، وما استخدمته، وإذا بعد ما بعت بيتك، وقبضت ثمنه وطوبت، العملة كلها مزورة، لماذا تتألم ألماً لا حدود له، لأن معك جهاز لو استخدمته لرفضت هذه العملة، فما استخدمته أنت، إذاً هو جهاز كل إنسان استخدمه لا يندم، فإذا ندم معنى ذلك هو لا يستخدمه " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين " يعني اختار متعة موقته على متعة أبدية، اختار شيء فان على شيء باقي، اختار سنوات معدودة على أبد الأبد.

الحديث عن أوامر الله عز وجل كل ما الواحد دقق، ووقف وانضبط، وكان أروع كان أقرب إلى الله عز وجل، فالقضية واضحة جداً، أنت تكون أقرب إلى الله بقدر ورعك، أنت تسعد بالله عز وجل بقدر ورعك، هذا الذي دفعني إلى اختيار هذا الباب في رياض الصالحين، باب الورع وترك الشبهات.

في نقطة، أيام الإنسان يقول لك هذه الأكلة ثقيلة عليّ، تضايقت منها، الإنسان بعد سن معين بتلاقي صار عنده خبرات غنية جداً بالطعام والشراب، هذه ثقيلة، هذه ملحها زيادة، هذه ما فيني نام إذا أكلتها، شيء جميل جداً، صار في عنده حكمة في تناول الطعام والشراب، يقول لك بلا عشاء أريح لي، أفيق مرتاح، هذه الأكلة ملحها عالي وأنا معي ضغط لا تناسبي، صار عنده حساسية بصحته جيد، بس يا ترى لو أهدنا عنده حساسية بقلبه، أنا اليوم أصلي صلاة متقنة، السبب ؟ عامل عمل طيب، منضبط، ضبط لساني تماماً، كثير في مغريات اللغيبية سكتت، في مغريات، لكلمة باطلة سكتت، في جلسة لا ترضي الله اعتذرت عنها، في صديق لا يحب العمل

الطبيب أنا هجرته، لما الإنسان يعمل أعمال كلها لله، يعطي ويدع، يصل ويقطع في سبيل الله يشعر أنه قريب من الله، أنا الذي أتمناه في هذا الدرس أن يصل الإنسان إلى هذه الحساسية، يكون في عنده مشعر داخلي، أنا الآن على صلة بالله متينة، هذه الصلة انقطعت، ما السبب ؟ في مخالفة في سوء ظن بالله، في تقصير بصلاة، في تأخير صلاة عن وقتها فكل شيء حجبك عن الله عز وجل يجب أن تأخذ منه درس وعبرة يعني في حقيقة لا أعرف هي مريحة أم غير مريحة لكم، لا يمكن وألف لا يمكن تغفل عن الله وتستمر بالغفلة والله لا يصحيك، بطريقة أو بأخرى، وقد تكون الطريقة مزعجة، يصحيك الله عز وجل، فإذا عندك حكمة بالغة عندك حساسية بالغة، عندك إحساس بمستوى اتصالك بالله، في عندك مشعر دائماً فقبل أن يأتي الشيء المزعج، أنت وحدك بارد إلى مبادرة مع الله، بادر إلى مبادرة، يعني إنسان أيام يتصدق يحس حاله ترممت الأمور، واقع بحجاب مع الله لمخالفة، لو عمل عملاً طيباً.

### ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

(سورة هود: 114)

أيام الإنسان يصوم، أيام إنسان يقرأ القرآن، أيام يخدم أخ، أيام يجلس مع واحد أعلى منه ويستفيد منه، يعني أنت لماذا بأمور جسمك عندك رغبة دقيقة جداً ما يكون في خطأ بجسمك، الآن واحد لا سمح الله وجد ذبابة تطير أمامه لا ينام الليل، يسأل طبيب عيون يأخذ موعد يمكن بعد شهرين ما في موعد، يقول لك عين ما معها لعبة، إذا بالقلب أصعب لماذا بأمور القلب والعين حريص جداً على سؤال طبيب، على متابعة، على تنفيذ تعليمات الطبيب، لماذا بأمور قلبك الذي يقول الله عنه.

### ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

(سورة الشعراء: 88 . 89)

لماذا بأمور القلب ما في اهتمام فيها، هي أهم شيء .

أخوانا الكرام:

كل أمراض الجسم تنتهي عند الموت، أما أمراض النفس تبدأ عند الموت، وإلى الأبد، شوفي مرض خطير إذا الإنسان سمع فيه بيريك، هذا المرض ينتهي عند الموت، أخطر مرض، أزعج مرض الموت ينهيه، أما أمراض القلب تبدأ عند الموت، وإلى الأبد، لذلك الله قال:

(( يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم ))

والله عز وجل قال: تعاهد قلبك، اعتني بقلبك، القلب كما يقول بعض العلماء، علماء القلوب، بيت الرب، ورد في بعض الآثار القدسية، أن عبدي طهرت منظر الخلق سنين، أفلا طهرت منظري ساعة، يعني واحد أيام بقلبك والله مدخل بيتنا مو حلو، بدنا ندهنه والله عندي طقم كنبات صار عتيق، يقعد الضيف الكنباية مو حلوة يغير طقم الكنبات، ويدهن بيته، ويضع برادي، يعني الناس يحسنوا بيوتهم، لأن البيت منظر الخلق، طيب قلبك هذا منظر الرب، يعني إن الله ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، في غيبة، في حسد، في حقد، في أنانية، في رغبة بأخذ ماليس لك، هي كلها أمراض بالقلب، فأنا أردت من هذا الدرس أن أصل، العبرة بالتدين، الوصول إلى ثمرة الدين العبرة بالتجارة تريح، وإلا مالها معنى، التجارة كلها أساسها الريح كل نشاطاتها والتصميم، والمحاسبة، والمراسلة، والمبيعات والمستودعات، واستخدام شركات، وأخذ وكالات، من أجل كلمة واحدة هي الريح، وكل ما في الدين من أجل أن تسعد بالله، فإن لم تسعد به، الدين ماله معنى أبداً، شيء مفرغ من مضمونه، يعني أحياناً علبة لأسواره ثمينة جداً، الأسواره قد يكون ثمنها خمسمائة ألف، لها علبة مخمل، لو العلبة فتحتها لقيت ما فيها شيء، شو قيمة العلبة خمس ليرات ثمن العلبة، عشر ليرات، لو نسبت العلبة إلى مضمونها لا شيء أبداً صفر تقريباً، الآن لو نسبت مظاهر الدين إلى مضمونه صفر، البس كلابية واحمل مسبحة، وتعطر مسك عطر مشايخي وروح على الجامع، واجلس أول صف، واعمل حضرة، وإذا ما في استقامة، مظاهر الدين إلى جوهره لا شيء، علبة لأسواره ثمنها نصف مليون ليرة، قيمتها صفر أمام ثمن المضمون، إذا المضمون راح.

في لنا أخ توفي، الله يرحمه، كان يحضر معنا في المجلس هو كان شب وكان صاحب دعابة، وكان يشتغل بمحل بسوق الحميدية فكان عنده رغبة كل يوم بكير صباحاً، يكنس المحل ويضع القمامة بعلبة أنيقة جداً، ويلفها بورق هدايا، ويضع لها شريطة حمراء ويضعها على طرف الرصيف، يأتي واحد ساذج يلاقي علبة ثمينة جداً يظن فيها مطيف ألماس، يأخذها ويسرع بالمشي يلحقه، بعد مائتين ثلاثمائة متر، يفك الشريطة، على مهله

مسرع، مفكر معه غنيمة مطيف ألماس فيها، بعد مئتين كمان يفك الورق، بعد مائتين ثلاثة يفتح يوجد قمامة المحل، يقوم يسب ويخانق.

أنا أقول لكم كلام دقيق، إذا الدين فرغته من مضمونه، جوامع وصلاة، وأشرطة وخطب، ومكتبة، ودكتوراه في الشريعة، الدين اتصال بالله، الدين شعور بالأمن، الدين شعور بأن الله يحبك، الدين انضباط، والله لا أبالغ، مائة ألف بند بمنهجه، كيف تتام، كيف تأكل كيف تعامل زوجتك، أولادك، كيف تعمل نزهة، كيف تعمل احتفال كله وفق المنهج، وإلا الناس فهموا الدين عبادات شعائرية، لا تقدم ولا تأخر، هذا الكلام كله سببه أن أصل معكم إلى أن جوهر الدين أن تسعد بالله، جوهر الدين، وهذه السعادة تحتاج إلى اتصال، والاتصال يحتاج إلى ورع، ومع الله عز وجل في حقيقة بس رهيبة.

الأقوياء بالعالم، أي إنسان أعلن ولائه لهم يقربوه، في صفة عامة، الأقوياء بالعالم أي إنسان أعلن ولائه بلسانه أو بشيء آخر غير لسانه، فيقربوه، بس الله عز وجل العظيم، صاحب الأسماء الحسنی لا يمكن يقرب عبد إلا بكمال من جنس كمال الله عز وجل، يعني لا يقرب إنسان كذاب، لا يقرب إنسان مؤذي للناس قال له مثل بهم يا رسول الله، قال لا أمثل بهم فيمثل الله بي ولو كنت نبياً، لا يمكن الله يقربك منه، وأنت غلطان مع الناس.

### ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (55)

(سورة الأعراف: 55)

يعني إذا كان تعتدي على أخوك المؤمن، وتطلع بدعاء من أفصح الأدعية، بصوت جهوري، يا رب أنت الله، قد ما تقدر تقاصح بالدعاء لا يرد عليك، لأنك معتدي

### ((ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين))

كنت بعقد قران قبل أن آتي، ألقيت كلمة، واحد ألقى كلمة لفت نظري، أخ ذكر لي في محطة فضائية عملوا حوار مع واحد من تركيا قال بلغة عربية فيها لكمة، قال نحن منعنا الحجاب، وحاربنا الله ورسوله، وعقدنا اتفاقية مع إسرائيل ضد المسلمين، وفعلنا وتركنا وستة عشر محطة فضائية إباحية عندهم، فعاقبنا الله عز وجل، شخص حكى هذا الكلام، كلام طيب، يعني أنا أستعرض الخسائر والله شيء لا يصدق يا أخوان، ثلاثين دولة من حلف الناتو، ثلاثين دولة عم تقصف بلغراد ستة أشهر بكاملها، صح هذا الكلام ؟ ستة أشهر ثلاثمائة طلعة باليوم،

بأحدث طائرات العالم، طائرات الشبح، مع استخدام الأقمار الصناعية، وأشعة الليزر، وفي قنبلة مرة عطلوا الكهرباء بكل بلغراد، أتذكرون؟ أنا تتبعت أخبار حرب البلقان، شيء مخيف، لم يبق شيء، ما بقي مصفاة نفط، ثلاثين دولة عم تقصف البلقان ستة أشهر بلياليها وأيامها، وبأحدث أنواع الأسلحة، ما أوقعت خسارة واحد بالمائة مما أوقعها زلزال استمر 45 ثانية فقط، آخر خبر اليوم نصف ميزانية تركيا خسارتها في هذا الزلزال، نصف الميزانية 50 مليار دولار، قريب 50 ألف دفنوا تحت الأنقاض، الأبنية لن تبقى ولن تزر.

### ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾

(سورة هود: 82)

درس لنا، درس، مو نحنا أحسن، إذا ماشيين على الخط نفسه أماننا مثل هذا المصاب، على الله سهلة، عدة ثواني 8 رختر، ما عاد في شيء، درس 7 و 8 بالعشرة، كان كل شيء منتهي " جعلنا عاليها سافلها " في 8 دقائق، هذا درس لنا يا أخوان، يجب أن نتعظ، فكل إنسان يضبط بيته، يضبط بناته، يضبط أولاده، يضبط زوجته، يضبط عمله، يضبط دخله، يضبط حواسه، أعضائه، جوارحه، يضبط لسانه، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، درسنا على الورع، يتفاوت المؤمنون بالورع، كلما كنت أكثر ورعاً كنت أكثر قريباً من الله عز وجل، وكلما كنت أكثر قريباً كنت أكثر اتصالاً وسعادةً، وكلما كنت أكثر قريباً حققت الهدف من الدين، الدين شيء عظيم.

الآن لو واحد اشترى سيارة لا تمشي، غسلها، رتبها، حط لها عصفور، حط لها عين الحاسد تبلى بالعمى مثلاً، بس ماعم تمشي يمل منها بعدين، يطلع من جلده منها، لما تمشي يذهب بها إلى مكان جميل، صار في اهتمام، إذا أنت ما قطفت ثمار الدين تمل منه والدليل المناقنين.

### ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَأَوْنَ النَّاسَ وَلَا يُذَكَّرُونَ اللَّهُ إِلَّا قَلِيلاً (142)﴾

(سورة النساء)

لماذا قاموا كسالى ؟ لأنهم محجوبون عن الله سبحانه وتعالى اتصال ما في، في مخالقات، في تجاوزات، في تقصيرات، في ظلم أحياناً، في حجاب، قد ما فيك صلي، الطريق غير سالك، إياكم ثم إياكم، ثم إياكم أن تفهموا مني إذا في حجاب لا تصلي، لا، يجب أن تصلي، ولكن اسعى أن تكون الصلاة صحيحة.

وعن وابصة بن معبد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((جئت تسأل عن البر ؟ استفهام، يعني يا وابصة جئت تسأل عن البر . قلت: نعم . البر من أوسع الكلمات . فقال: استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك.))

حديث حسن رواه أحمد والدارمي في مسنديهما [

لما ذهبت إلى أمريكا، يمكن ما التقيت مع إنسان من دون مبالغة إلا وسألني عن شراء بيت بالتقسيط، لأن البيت هناك ثمنه نقدي مائة ألف دولار، بالتقسيط ثلاث مائة ألف، ثلاث أمثال، فكل واحد اشترى بيت بالتقسيط بفائدة عالية جداً في عنده شعور بالقلق، لأن أنت عما تسأل إذا قلق أنت، في قلق عندك، إذا واحد له عمل ظاهر مشروع مائة بالمائة واشترى طعام وأكله، وأكله وسمى بالله، وأكله باعتدال، مع زوجته وأولاده، في إنسان يسأل شيخ بالأرض أنا عملت شيء غلط سيدي من البديهي ما في شيء، الشيء الواضح لا يحتاج إلى سؤال، الأعمال المشروعة الطيبة ما بدها سؤال واضحة، أنت متى تسأل حينما تشعر بقلق، حينما تشعر أنه في مشكلة، عندئذ تسأل، فالجواب الدقيق أن الإنسان إذا شيء ما ارتاح له هي مؤشر، إلا في حالات نادرة والعياذ بالله، حالات انطماس البصيرة، انطماس الفطرة، هؤلاء المجرمين بقلق ما شعرت بشيء، إذا واحد لا سمح الله دعس اثنين، واحد مات وواحد ما مات، يلي ما مات عما يصرخ، هذا ما عم يحكي، هذا ميت لأنه ما عم يحكي، يعني عدم الصياح دليل موت، مو دليل ما في شيء، أبلغ من ما في شيء، ميت هذا نهائي، الآن إذا قال لك أنا ما عندي ولا مشكلة، ميت.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

(سورة النحل: 21)

## ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (22)

(سورة فاطر : 22 )

بقبر عايش، بقبر شهواته، يقول لي أحد الأطباء إذا كان زار مريض وجده خالص في عنده ثلاث وسائل بدائية من معرفة موته وسائل بدائية، يأتي بمرآة يضعها أمام أنفه، إذا طلع عليها بخار ماء إذا واحد مسك النظارة وعمل ها بصير بخار ماء من زفيره، إذا كان وضعنا مرآة أمام فم الميت وأنفه وما في عليه شيء أبداً معناها ما في تنفس، إذا وضعنا يدنا على الشريان اليدوي هذا تعرف كم دقائق قلبك بالدقيقة، ثابت ما في حركة أبداً، هذا مؤشر ثاني، والمؤشر الثالث تأتي بمصباح شديد تضعه في عينه، فإذا البؤبؤ ما انكمش، صغر يكون ميت قطعاً موت دماغ، فإذا كان ببؤبؤ العين ما صغر، والمرآة ما انطبع عليها بخار ماء، والنبض صفر، معناها عظم الله أجركم منتهي الزلمة، فإذا واحد ما بحس بشيء، يقرأ قرآن ما في شيء يصلي ما في شيء، يذكر ما في شيء، ما عنده مشكلة، ما عنده ولا سؤال يسأله، لو فرضنا طالب شكى لطالب، قال له والله أنا ما عم نام الليل، عندنا أستاذ ظالم، وظائفه كثيرة، وإذا واحد قصر بجيب أبي ثاني يوم، ويكتب أبي تعهد، وأبي يعمل لي قتلة، ما عم يرحينا الأستاذ، وبالنهار أبي صعب عم يكلفني بأغراض، هذا الثاني خارج المدرسة، ينام للظهر، يذهب على الأفلام، ويقعد مع رفقاء السوق يقول له والله أنا ما عندي مشكلة بنوب، مين الأهم ؟ يلي ما عنده مشكلة أم يلي عنده مشكلة، يلي ما عنده مشكلة منتهي، بتلاقي شخص ماله ولا سؤال، ما عنده ولا قضية، يفعل ما يشاء، يطلق بصره حيث يشاء، يجلس مع من يشاء، يأكل ما يشاء، يلتقي مع من يشاء، ما عنده ولا مشكلة، لأنه ما عنده ولا مشكلة هو أكبر مشكلة صار، هذا خارج المدرسة، أما كل طالب ضمن مدرسة في عنده ألف مشكلة، في عنده مذاكرة، في عنده أساتذة، في عنده حفظ، عنده كتابة وظائف عنده كتابة أطروحة، عنده تقرير، عنده أشياء كثيرة، بدو يوفق بين رغبات والده ووالدته وأستاذه، ومدرسته، والدوام، وخدمة أهله، هذا عنده مليون مشكلة لأنه إنسان حي، إنسان صحيح، سليم، أما يلي ما عنده ولا مشكلة هذا إنسان ميت

## ﴿أموات غير أحياء﴾

هذا الحديث: أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

((جئت تسأل عن البر، قلت: نعم يا رسول الله، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك))

حديث حسن رواه الإمام أحمد والدارامي

أخوانا الكرام:

في موضوع أرجو الله أن يمكنني أن أوضحه لكم، إذا كان الإنسان كان ورع وترك شيء لله، لو الله عز وجل ماله سنن بالحياة أن يعوضه أضعاف مضاعفة أجمل، ما كان أحد مشى بالدين أبداً، مو معقول تحرم نفسك هذه الشهوة، وتبقى بلا شيء، هذه مستحلية عند الله عز وجل، والدليل: ما تقرب إليَّ عبدي شبراً إلا تقربت منه ذراعاً في نهاية الحديث إذا أتاني مشياً أتيته هرولةً، يعني مستحيل تخطب ود الله بشيء ما يجيك تعويض أضعاف مضاعفة من نوع ثاني، يعني أنا بدأت بغض البصر، تغض بصرك عن محاسن امرأة فقط حرمت نفسك فقط، بس، صار في بقلك نور، صرت قريب من الله، صار في عندك قوة قلب، صدق فراسة، صار في عندك رضى عن الله عز وجل يلقي بقلبك من السعادة أضعاف مضاعفة عم فانتك من لذة النظر، من غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه، طبعاً مو بغض بصره بكل شيء، تركت مال حرام، خطبت فتاة فلم تقبل بها لركة دينها، مستحيل تترك شيء لله، الله عز وجل ما يعوض عليك أضعاف مضاعفة، ما ترك عبد شيء لله إلا عوضه خيراً منه في دينه ودنياه، يعني أنا بدي أكد لك لما أنت تأخذ موقف، تلتزم بالحق، وتدع عن نفسك يعني أشياء باطلة، أنت أغنى الناس تصبح الله عز وجل يعطيك سعادة مكثفة، من نوع ثاني، هو في شيء، في لذائذ حسية، وفي سعادة نفسية، السعادة النفسية ثمنها ترك اللذائذ الحسية، المحرمة طبعاً، مو المحللة، المحرمة، فكل إنسان ترك لذة حسية محرمة، الله يعوضه مكانها أضعاف مضاعفة من السعادة النفسية اللذائذ الحسية متناقصة ويعقبها كآبة، الآن أكبر مرض بالعالم مرض الكآبة، شو الكآبة ؟ عذاب الفطرة، الإنسان لما يخالف فطرته يحس بكآبة كبيرة جداً، فالكآبة مرض من أمراض النفس سببه الخروج عن الفطرة، فاللذة الحسية مؤقتة، ومتناقصة، ويعقبها كآبة السعادة النفسية مستمرة، ومتنامية، وتنتهي بك إلى الجنة، السعادة النفسية التي تنتهي بك إلى الجنة ثمنها ترك اللذة الحسية المحرمة فقط، شوف إذا إنسان اشتري شيء، في عندي كتاب فن البيع، كتاب مؤلفه إنسان بأمريكة ومترجم، جزءان كبيران، فن البيع، ما في إنسان يشتري حاجة إلا بشعور

نفسى، أن الحاجة أثن من المال، أبدأ، بالأرض كلها، لا يمكن تشتري كتاب، قال لك هذا ثمنه 500 ليرة، أنت إن لم ترى أن هذا الكتاب أثن من 500 ليرة لا تشتريه، البياع بالعكس لا يمكن أن يبيع حاجة إلا إذا رأى أن هذا المبلغ النقدي أعلى منه، البياع ببيع بحالة نفسية معينة، أن الشيء المباع أهون عنده من ثمنه، يقول لك بعثك، الشاري لا يشتري حاجة إلا إذا أيقن أنها أثن من ثمنها بكثير بهذا يتم البيع والشراء، فأنت لما تبيع نفسك لله.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

(سورة التوبة: 111)

لازم يكون في عندك يقين قطعي أن الثمن أعلى من نفسك.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾

يعني مرة واحد هيك حب يداعبني مداعبة، قال لي لسع بتقول أن المؤمن أنه سعيد وسعيد والله مثله مثل الناس، ما أظن أنه هو مكذب كما قلت، بس حب يجس النبض، قال لي إذا كان في موجة حر يحس بها مثل أي إنسان آخر، وإذا في أزمة ماء يعاني منها، وإذا في أزمة مواصلات يعاني منها، وإذا في غلاء أسعار يعاني منها، وين المؤمن بتقول سعيد وسعيد، يعني الحقيقة أخرجني بهذا الكلام، وأنا ما عندي كان جواب إلا كما يلي، قلت له إذا واحد موظف عنده ثمان أولاد، بيته بالأجرة، معاشه ثلاث آلاف، ثمانية أولاد وبيت بالأجرة وثلاثة آلاف وعليه دعوى إخلاء، شو هذا وضعه، يعني شيء لا يحتمل، له عم عنده خمسمائة مليون، وما عنده أولاد، ومات بحدث فجأة، هو وريثه الوحيد، من ثلاثة آلاف بالشهر وثمان أولاد وبيت بالأجرة ودعوى إخلاء، إلى خمسمائة مليون، لكن حسب الأنظمة النافذة في عليه براءة ذمة، وفي معاملات، يعني لحتى قبض أول مبلغ لبعده سنتين وانتهت المعاملات، وتحول هذا المبلغ إليه، لماذا هو في هاتين السنتين من أسعد الناس، مع أنه أكله ما تغير، ما معه قرش، صح ما قبض ولا قرش بس عنده شعور قوي أنه مالك خمسمائة مليون، هذا الشعور يمتص كل متاعب حياته بعد موت عمه.

الآن المؤمن لما اصططح مع الله، الله وعده بالجنة، هذا الشعور يلغي له كل متاعب الحياة، إنسان متميز موعود بالجنة، الله عز وجل قال:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (61)﴾

(سورة القصص: 61)

هذا مثل هذا، فالمؤمن إنسان يعيش كما يعيش الناس يعاني ما يعانون، يتألم كما يتألمون، الأسعار إذا ارتفعت يتأثر فيها، إذا كان البيوت غلت يتأثر أيضاً، إذا في أزمة مياه يتأثر، صح، بس لأن الله وعده بالجنة، وخطه البياني صاعد دائماً، وله سعادة أبدية، يوقن بها يقين قطعي، يقين بوجوده، فهذا الشعور، وهذا الوعد، يمتص كل متاعب الحياة، هذا الكلام الواقعي.

مرة إنسان له دعوة بسيطة سألت تلميذه، قال له لماذا تغض بصرك عن النساء يا بني؟ يعني في ناس يعملوا مزادات، قال له سيدي أنا أرى هذه الفتاة مثل القمامة، قال له لا هذا الكلام غير صحيح يا بني، غير صحيح، المرأة محببة للرجل، أما الصحيح أنت وازنت بين اتصالك بالله، واستمتاعك بمحاسنها، أيهما أعلى عندك، اتصالك بالله، ضحيت بالأدنى مقابل الأعلى، أما هو النظر إلى المرأة غير مزعجاً بالعكس محبباً، أمر واقعي، الواقعية خطك البياني صاعد أنت حينما تغض بصرك عن المرأة تنتظر ما عند الله من حلاوة يورتك إياها في قلبها، من غض بصره أورثه الله حلاوة في قلبه إلى يوم يلقاه فأنت حينما تكون واقعي ترقى، المؤمن يدع أشياء حرما الله، لا يشعر بالحرمان إطلاقاً، يشعر أنه هو عبد الله مطيع، نفذ أمر الله عز وجل وينتظر التكريم والعتاء من الله، وعامل الله وشوف، وعامله مباشرةً أخلص له، وأسأله، واطلب من عنده، منه كل عطاء، وتجد العجب العجاب، أنا أدعوكم إلى عقد اتصال بالله مباشر، إلى مناجاة إلى سؤال، كنت أضرب مثل مضحك، واحد قال لك كم الساعة عمو؟ الدنيا شتاء، ولايس قميص صوف، الدنيا برد كثير، وفوقه قميص إفرنجي، وبعدين كم الكنزة قاسي شاربيها جديد، وبعدين كم الجاكيت وكم المانطو، كم كم صاروا، مو آكل كم كم، لا موضوع ثاني وقال لك عمو كم الساعة، وما سك شنتايتين بيدك، تضعهم على الأرض تقيم كم المانطو، وكم الجاكيت، وكم الكنزة، وكم القميص وكم القميص الداخلي، تقول له السابعة والرابع، يعني طفل سألك سؤال، إذا أنت سألت الله عز وجل بالصلاة، الله ما راح يرد عليك؟ يتجاهلك، لا، أسأله بإخلاص شديد، أسأله وكأنه

يسمعك، الله يقول لك: سمع الله لمن حمده، أنا عم أسمعك يا عبدي، احمدي تفضل سمع الله لمن حمده، اشكره على نعمة أنه أوجدك، ونعمة هداك له ونعمة متعك بسمعك، وبصرك، وصحتك، وأولادك، اشكره، سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً، يعني اعقد هيك مناجاة معه، اعقد صلة معه، إذا في خطأ استغفر، إذا في تقصير اعتذر، إذا في خطأ بسلوكك يا رب سامحني، خلبيك على صلة معه باستمرار، أنا أريد هذه الصلة تتعقد مع الله عزوجل، هي الدين كله، تلاقي في بقلبك نور، تلاقي في توفيق، تلاقي مرتاح، تلاقي عندك زخم روحي قوي، بتحس بحالك أنت ليس كبيراً لكن بمستوى آخر أنت، أنت حامل هم المسلمين، يعني أنت إنسان مقدس بتصير، غالي على الله كثير، لذلك الله قال، يعني ممكن خالق الكون، هل يوازي خالق مع مخلوق؟ ممكن الله عز وجل يقسم بعمر رسول الله قال له:

### ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)﴾

(سورة الحجر: 72)

الله عز وجل أقسم بعمر رسول الله، قد ما عمره مقدس، ما ضيع ثانية من حياته، ما ضيع وقت، والله أعجب، سهرة للساعة الواحدة كلها غيبة ونميمة، أو كلام بالدنيا، إذا ما عندك شيء تحكيه انسحب، روح نام أريح لك، يعني كيف الناس عايشين بالملهيات وبالسخافات، إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ودنيها، وأنت غالي على الله، أي إنسان، هي مراتب الدنيا مالها قيمة بالآخرة أبداً إطلاقاً، العبرة بمرتبك عند الله عز وجل، بحسب إخلاصك وعملك لك مرتبة عنده، فأنت أطيعه وخاف منه وأرجه، وناجيه في الليل وفي الصلاة صل صلاة متقنة، واخدم عباده لا تحمل غل لأحد واستفتي قلبك وأن أفتاك الناس وأفتوك، شيء فيه حرج، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، هذا ملخص الدرس، الحديث محوره، يعني يتفاوت المؤمن عن أخيه المؤمن بالورع، والورع سبب بالاتصال بالله والاتصال بالله هو ثمرة الدين في الجنة.

في سؤال ؟ عم يقول أخ كريم ما معنى قوله تعالى:

### ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)﴾

(سورة الرحمن: 29)

هل من توضيح بسيط يفسر هو " كل يوم هو في شأن " لنقطع ما يفكر به البعض أن الله له يوم يحكم به بين أهل السماء، و يوم يقبض بين الحيتان في البحر، ويوم بين البشر الحقيقة يعني طبيب وقف أمام مريض طلب إضبارته، وجد ضغطه مرتفع، قال لهم أوقفوا الملح، وضع هذا المريض ضغطه مرتفع، شأن الله معه، إنسان مقبل شأن الله معه الإكرام إنسان معرض شأن الله معه المعالجة، إنسان كريم شأن الله معه أن يرزقه رزقا طيباً حلالاً، إنسان مقصر شأن الله معه أن يؤدبه، يعني في كل لحظة، كل لحظة هو في شأن، أقبلت يكرمك، أعرضت يؤدبك، أسرفت يضيق عليك، تكبرت ينزلك تواضعت يرفعك

﴿كل يوم هو في شأن﴾

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾

( سورة النحل: 60 )

كالطبيب، الضغط مرتفع أوقفوا الملح، ضغطه هبط أكثروا الملح، فقر دم أطعموه لحمه، معه شحوم ثلاثية أوقفوا المواد الدسمة أطعموه خضار وفواكه، كل حالة بالجسم يقابلها إجراء خارجي، فالله عز وجل ينظر إلى قلبك، مقبل يكرمك، معرض يؤدبك، مسرف يفركك، متصدق يغنيك، بار بوالديك يوفقك بعملك

((كل يوم هو في شأن))

ناظر إليك هذا معنى يليق بعظمة الله، يعطيك حماس كبير أن أنت الله ينظر إليك، فكيف أنت يعالجك، أو يكرمك، أو يؤدبك.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (083 - 127) : وصية النبي عليه السلام لأبي ذر الغفاري

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-04-2000

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الواعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون، موضوع الدرس اليوم وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقبل أن أشرع في شرح هذه الوصية، لابد من كلمة بين يدي هذه الوصية. قالوا: من استشار الرجال استعار عقولهم، فكيف إذا استشرت حبيب الحق وسيد الخلق؟ قد تستشير إنسان له خبرة في الطب، أو في المحاماة أو في الاقتصاد أو التجارة، فتريح كثيرًا جدًا من استشارته، ونصيحته، لكن الإنسان حينما يجد أنّ خير خلق الله قاطبة، والإنسان الأول الذي وصل إلى أعلى درجة من السعادة، وأنتم حينما تصلون على النبي عليه الصلاة والسلام، تقولون: وعلى أسعدنا محمد، فهذا الرسول العظيم الموصول برب كريم، سينصحننا فالإنسان الموفق يأخذ هذه النصيحة بكلّ خلية في جسده، وبكلّ قطرة في دمه.

عن أبي ذر قال:

((دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقال: يا أبا ذر! إن للمسجد تحية، وتحيته

ركعتان فقم فاركعهما، قال: فقمت فركعتهما، ثم قلت؛ يا رسول الله! إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟))

كلكم يعلم أنّ هناك في أركان الإسلام صلاةً وصيامًا وحجًا وزكاةً وشهادةً، فالشهادة مرة، والحجّ والزكاة والصيام تسقطان عن الفقير والمسافر على اختلاف فيما بينهم، أما الفرض المنكر الذي لا يسقط بحالٍ إطلاقًا هو الصلاة، وأول ما يحاسب عنه المرء يوم القيامة الصلاة فإن صحّت صحّ عمله، وإن فسدت فسد عمله.

قوله: فما الصلاة؟ أي ما قيمتها؟ وما حقيقتها؟ وما مكانها في الإسلام؟ والنبي يقول:

### ((الصلاة عماد الدين))

وهذا الشبيه لا يعرفه إلا أهل البادية، خيمة كبيرة جدًا، وبيت من الشعر، قوام هذا البيت عمود في الوسط، فإذا سحبتُه أصبحت الخيمة قماشًا ملقى على الأرض، كانت بيتًا فأصبحت قماشًا.

قال: خير موضوع، أي خير شيء كلفنا الله به هو الصلاة، لأنّ خالق الأكوان سمح لك أن تتصل به، كما - والله المثل الأعلى - وعظيم من عظماء الأمة سمح لمواطن أن يدخل عليه متى أراد، مع أنّ أكبر الشخصيات لا يستطيعون الاتصال به إلا بعد شهر أو شهرين، أما واحد فمسموح له أن يتصل به كلما شاء، اتّصال هاتفي أو زيارة.

قال: فمن شاء أقل ومن شاء أكثر، إن استكثرت بها فنعيم ما تفعل وإن استقلت، فالحد الأدنى الفرائض، والحد الأعلى النوافل، أي كما شئت، فالخير كلّ في الصلاة، وحينما مرّ النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه على قبر، قال عليه الصلاة والسلام: صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنقلكم خير لكم من دنياكم كلّها، كلمة دنياكم كبيرة، فهناك شركات أرباحها ألوف ملايين الدولارات، وهناك بيوت ومحلات تجارية وشركات أدوية، وشركات غذائية، وأساطيل بحرية وجوية، وثروات باطنية، وبترو، قال: صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنقلكم خير لكم من دنياكم كلّها، خير موضوع، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ الإنسان طموح، والإنسان يحب الكمال، والأكثر، والأكمل والأقوى، والأدوم والأطول، قال: إيمان بالله لأنّ الإيمان بالله يبنى عليه كلّ شيء وجهاد في سبيله وهذا هو الدين كلّه؛ أمنت بالله، وضبطت أهواءك ونواتك وشهواتك، وكسبك للمال، وعلاقاتك بالنساء، وبأفراحك وأترحك، أنت آمنت بالله وسرت على منهجه، وهذا أعظم عمل، لذلك هذا الذي يأتي إلى بيوت الله ويجلس على الأرض ليتعرّف إلى الله وإلى كتابه وسنة نبيه، هذا ماذا يفعل؟ يفعل أعظم عمل، وكلّ إنسان له بيت وجلسات مريحة في بيته، وله غرفته الخاصة، وقد يطلب من أهله شايًا أو قهوة، ويجلس مع أهله؛ قد يمزح ويضحك، راحته الجسميّة والنفسيّة مؤمنة في بيته أما حينما يدع بيته ويأتي إلى بيت من بيوت الله ليتعرّف إلى الله، وإلى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، هو يقوم بأعظم عمل على الإطلاق لأنّ هذا الحضور والاستماع يجعل القناعات متراكمة بعضها فوق بعض، هذه القناعات المتراكمة شئت أم أبيت، لا بدّ من أن تُترجم إلى سلوك، صادق أمين، لا يكذب، ولا

يغشّ، ولا يستعلي، ولا يتكبر، ويغتاب، ولا ينمّ، ما سبب هذه المواقف ؟ لأتّه مستقيم على أمر الله تعالى.

قلت: فأبي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً، مؤمن يصلي، وآخر يصلي، أيهما أفضل ؟ من كان خلقه أفضل، مؤمنان حجاً بيت الله تعالى أيهما أفضل ؟ من كان أحسن خلقاً، مؤمنان يؤديان زكاة أموالهما أيهما أفضل ؟ من كان أحسن خلقاً، مؤمنان يعتمران في الشتاء، أيهما أفضل ؟ من كان أحسن خلقاً، مؤمنان يحضران مجالس العلم، أيهما أفضل ؟ من كان أحسن خلقاً، الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان، فالعبادات تؤدى وهي فرائض، ولكن الذي ترقى به عند الله هي عملية الضبط، فإذا قلت لي: ما تعريف الخلق ؟ قلت لك الضبط، من هو الحليم ؟ ضبط نفسه من أن يغضب، ومن هو الكريم ؟ ضبط نفسه من أن تبخل، ومن هو الشجاع ؟ ضبط نفسه من أن تهرب، من هو المنصف ؟ ضبط نفسه من أن ينحاز، فالإنسان ينحاز أو يهرب من الخطر، أو يحرص على المال، من هو المؤمن ؟ هو الذي ضبط هذه الشهوات، ووقعها وفق منهج الله تعالى، الإيمان هو الخلق، وهناك فكرة مهمّة جدّاً، وهي أنّ الله عز وجل يعطينا خصائص، أحياناً يلفت نظري أنّ امرأة تحبّ أولادها حباً لا حدود له، فإذا كان لزوجها ابن لغيرها، وكان عندها في البيت، تقسو عليه قسوة لا حدود لها، ماذا نستنبط ؟ هي ترحم أولادها رحمةً لا حدود لها، وتحرص على صحتهم ودراساتهم، وعلى راحتهم، وعلى شبعهم، وعلى كسوتهم، هي نفسها تقسو على ابن زوجها قسوةً لا حدود لها، هناك استنباط خطير جدّاً، وهي أنّ تلك الرحمة التي أودعها الله في قلب الأمّ ليست من كسبها، إنّما أودعها الله من أجل أن تستقيم الحياة، ومن أجل أن يربي الآباء أولادهم ومن أجل أن تربي الأمهات أولادها، فهذه رحمة أودعها الله في المرأة، لا فضل لها في كسبها، بل تجد امرأة سافرة وفاسقة، وامرأة ماجنة، وامرأة ملتزمة، وكلّ هؤلاء النسوة يحبون أولادهم، فهذه الرحمة الخاصة التي أودعها الله في قلوب الأمهات من أجل أن تستمر الحياة، ومن أجل أن تربي النساء أولادهنّ، هذه رحمة أكاد أقول لا ترقى بها المرأة، ولكن الرحمة التي ترقى بها هي الرحمة العامّة، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: ولكنها رحمة عامّة، قصّة ذكرتها لكم كثيرًا، رجل لا أعتمد على المنامات، ولكن يُستأنس بها، رجل صالح له قريبة، توفيت، فقال لي رأيتها مرات عديدة لفترات متباعدة تشتعل نارا، وبعد ثماني سنوات فيما يذكر رآها في هيئة طيبة جدّاً، ترتدي ثياب بيضاء ومشرق، فقال يا فلانة لعلها عمّت أو خالته: ما فعل الله بك ؟ فقالت: يا بني الحليب، كان لها ابن زوج وأولاد، فإن صبّ الحليب لأولادها ملأته، أما كأس ابن زوجها فتضع ثلثه حليباً، والباقي ماء ! إذا رحمتها بأولادها لا أجر لها بها لأتّه شيء أودعه الله في القلب، أما حينما ترحم الناس، وترحم المرأة ابن زوجها كما لو كان ابنها، هنا ترقى، فأنا لا أقلل من رحمة المرأة بأولادها،

ولكن هذه فطرة، لذلك لا تجد في القرآن كلمة آية واحدة تحضنا على أن نرحم أولادنا، ممكن أن يصدر مرسوم تشريعي على كل مواطن أن يلتزم بتناول طعام الفطور مثلاً! مستحيل لأن هذا الكلام لا معنى له، وهو تحصيل حاصل، وكل إنسان يشعر بالجوع فيأكل، فالشيء الذي أودع في أصل فطرة الإنسان لا يكلف به، ولكن هناك آيات كثيرة توصي الأبناء بالآباء لأنه لم يودع الله في أصل الإنسان برّ الوالدين، فبرّ الوالدين تكليف، أما محبة الأولاد طبع، ليس في القرآن آية تؤكد أو تكلف الإنسان بما أودعه الله في طبعه، تحصيل حاصل، هذه اللقطة وهي رحمة الأم بأولادها، يعني بطعامهم، وشرابهم، وكسوتهم، وصحتهم، ونومهم، هذا شيء ليس من كسبها، ولكنه فطريّ أما حينما ترحمهم فتعرفهم بالله عز وجل، هذه كسبية، وحينما تحرص على آخرتهم، وعلى دينهم، وصلاتهم واستقامتهم، وصدقه، وأمانتهم، هذه الأم ترقى عند الله بشيء من كسبها، أما الشيء الفطري، انظر إلى أم لا تحب أن توقظ ابنها على صلاة الفجر، تقول: دعها يرتاح، حرصها على بقاءه مرتاحاً في السرير هذه رحمتها الفطرية لا الكسبية، أما حرصها على أن يستيقظ ويصلي الفجر في وقته، هذه رحمة كسبية، فالأب والأم لا يرقى في تربية أولاده إلا إذا حرصت على آخرتهم وطاعنهم لربهم، أما إذا حرصت على طعامهم وشرابهم وربهم فهذا الحرص من رحمة أودعها الله في قلبك الآباء والأمهات، وهناك أمثلة صارخة جداً

أمّ تخبز على التنور، وابنها على طرف التنور، فكلمها وضعت رغيفاً ضمت ابنها وشمته وقبلته وعانقته مرّ سيدنا موسى فعجب من هذه الرحمة، قصة رمزية، قال يا موسى هذه رحمتي أودعتها في قلب هذه الأم وسأنزعها، فلما نزع الرحمة من قلبها، بكى ابنها فألقته في التنور، ألا ترون قطة تأكل أولادها؟ شيء معروف، ترحمهم ثم تأكلهم، رحمتهم برحمة أودعها الله في قلب هذه الحيوانات، حينما نزع الرحمة أكلتهم، فقلت يا رسول يا رسول الله أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً، فأنت بالخلق ترقى إلى أعلى عليين، لذلك الإسلام مجموعة قيم بنيت على عبادات، بني الإسلام على خمس، مجموعة قيم بنيت على عبادات، ولكن الإسلام ليس هو هذه العبادات فقط، بناء بني على خمس دعائم، هذه الدعائم ليست هي البناء، البناء شيء آخر، أمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، فصاحب الخلق الحسن ذهب بالخير كله، وبالنهاية أنت كائن عبادتك فرائض، أما أخلاقك فهي مكتسبات، وبالمناسبة وهذا شيء أعلق عليه أهمية كبرى، لا يجذب إلى الدين عبادتك، ولكن معاملاتك، الذي يجذب الناس إلى الدين أخلاقك العلية لا عبادتك الشعائرية.

قلت: فأبي المسلمين أسلم، قال: من سلم الناس من لسانه ويده، ضبط لسانه وعدّ الإمام الغزالي أربعة عشرة آفة من آفات اللسان، وقال أحد أصحاب النبي يا رسول الله: أوؤاخذون بما نقول؟ فقال: تكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً تهوي به سبعين خريفاً. فالمؤمن لا يؤذيهم لا بلسانه ولا بيده.

قلت: فأبي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، أي صلاة هادئة، صلاة متقنة، وفيها اطمئنان وخشوع، هذه أفضل صلاة.

قلت: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السيئات، بالمناسبة نحن في ذكرى الهجرة، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: عبادة في الهُج كهجرة إليّ وحقيقة الهجرة أن تهجر ما نهى الله عنه، فأفضل الهجرة هي هجر السيئات، طبعاً قال عليه الصلاة والسلام لا هجرة بعد الفتح، لكن الهجرة قائمة بين كلّ مدينتين تشبهان مكة والمدينة، فإن كنت في مدينة لا تستطيع إعلان إسلامك فيها، وفي مدينة لا تستطيع أن تصلي ولا أن تحجّ بناتك، ولا أن تربّي أولادك، ولا أن يكون دخلك حلالاً، والدخل في هذه المدينة فلكي، أما في مدينة أخرى الدخل قليل جداً، ولكن بإمكانك أن تصلي وأن تربّي أولادك، وأن تحجّ بناتك، وأن تقيم أمر الله في بيتك وعملك، يجب أن تهاجر من تلك المدينة التي فيها دخل فلكي، إلى المدينة التي تستطيع إقامة شعائر دينك، وإلا فالعقاب هو النار، ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، هذا الذي لم يهاجر وآثر الدنيا العريضة على حساب دينه، هذا جزاؤه جهنم خالداً فيها أبداً، هكذا نصّ الآية الكريمة:

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾

[ سورة النساء ]

فالهجرة بين مكة والمدينة أُغلق بابها بعد الفتح، ولكن بين مدينتين تشبهان مكة والمدينة قائمة إلى يوم القيامة، بل إنّ أفضل أنواع الهجرة أن تهجر ما نهى الله عنه.

قلت: فما الصيام؟ قال: فرض مجزيء وعند الله أضعاف كثيرة، الصيام يقوي لك إرادتك، أنت في الصيام تدع المباح، وتدع الطعام والشراب، وهما مباحان، فلأن تدع بعد الصيام المحرمات من باب أولى، فكأنّ الصيام يقوي

لك إرادتك.

قلت: فأى الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه، أي من قدّم حياته في سبيل الله تعالى، لكن هناك أنواع ثلاثة من الجهاد، هناك جهاد النفس والهوى، وهذا في مكنة كل واحد منا، في أيّ مكان، وفي أيّ زمان، غصّ البصر جهاد، وضبط اللسان جهاد، وحمل النفس على طاعة الله جهاد، وكفّها عن الحرام جهاد، فكلّ فعلٍ تتبغى به وجه الله فهو جهاد، هذا الجهاد جهاد النفس والهوى، وهو أوّل شيء، لا تنتظر من إنسان مهزوم أمام نفسه أن يفعل شيئاً في الأرض، ولا أن يهديّ طفلاً لأنّ حال واحد في ألف أفضل من قول ألف في واحد، فألف واحد مهزومين أمام أنفسهم، ألف واحد فصيح اللسان، بليغ العبارة، قويّ البيان، ولكن مهزوم أمام نفسه، ألف واحد من هؤلاء لا يستطيعون إحداث تأثير في طفل، بينما واحد انتصر على نفسه حاله يؤثّر في ألف، فحال واحد في ألف أفضل من قول ألف في واحد، فالحال الاستقامة والورع والنزاهة والإخلاص، هذا الجهاد الأوّل، وهو متاح لكلّ إنسان في كلّ زمان ومكان كائنًا من كان، وفي أيّ ظرفٍ كان، والجهاد الثاني سمّاه الله جهادًا كبيرًا، هو الهدف من الجهاد القتالي جهاد الدعوة، أو الجهاد الدعوي، قال تعالى

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)﴾

[ سورة الفرقان ]

أن تتعلّم القرآن وأن تعلّمه فهذا جهاد كبير، وبنصّ الآية الكريمة، ولعلّ النبي عليه الصلاة والسلام عناه حينما قال: خيركم من تعلّم القرآن وعلمه فالذي يتعلّم القرآن ويعلمه هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم خير الناس قاطبة، وهذا هو الجهاد الدعوي متاح لكلّ إنسان في كلّ زمان، والجهاد القتالي متاح أحيانًا، ولا يتاح أحيانًا أخرى، أما الأصل فهو الجهاد الدعوي، لأنّ الجهاد القتالي تمهيد للجهاد الدعوة.

قلت: فأى الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مقلّ تسر إلى فقير، قصّة أرويهما دائمًا، آذن مدرسة فقير، ورث أرضًا، رجلاً من أغنياء هذه البلدة الطيبة غنيّ ومحسن، أراد أن يبني مسجدًا فكلف أحد إخواننا المهندسين أن يبحث له عن أرض فيها أطراف دمشق ليجعلها مسجدًا، فهذا المهندس استقرّ رأيه على هذه الأرض، صاحبها حاجب عنده ثمانية أولاد، ودخله أربعة آلاف بالشهر، هذه الأرض ورثها منذ شهر عن قريب له، فلمّا استقرّ رأي المهندس على شرائها لتكون مسجدًا، جاء المحسن ليرى الأرض، وليتفق مع صاحب الأرض، صاحبها رضي أن يبيعها بثلاثة ملايين ونصف، جاء المحسن الكبير وتخصّص الأرض وأعجبته الأرض وكتب شيكا بمليونين ليرة، فقال له

صاحبها: ومتى البقيّة؟ فقال له: عند التنازل، فقال صاحب الأرض: أيّ تنازل؟ قال: هذه الأرض سوف تكون مسجداً، ولا بدّ من أن تذهب معنا إلى الأوقاف كي تتنازل عنها، فهذا الأذن الفقير، الذي لا يكفيه الراتب للخبز والشاي، مَرَّق الشيك وقال له: أنا أولى بك أن أقدمها لله عز وجل، وقدمها أخونا المهندس جزاه الله خيراً إكراماً له عيّنه ناطور لهذا المشروع، وأعطاه الأجر المألوف أربعة آلاف، فرفض أن يأخذها، فهذا الذي لا يملك من هذه الدنيا إلا هذه الأرض وقدمها لله تعالى، فلو كان الواحد يملك سبعة مائة ملايين ليرة، وقدم أرضاً بثلاثة ملايين، هل هو مثل الأوّل؟ ذاك جهد المقلّ، وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام: ربّ درهم سبق ألف درهم، ودرهم تنفقه في إخلاص خيرٍ من مائة ألف درهم تنفق في رياء، ودرهم تنفقه في حياتك خير من مائة ألف درهم تنفق بعد مماتك أنا عندي بالبيت إضبارة، وكلّما كلّفني أحدهم بوصيّة تبقى معي نسخة في هذه الإضبارة، من حينٍ لآخر أفتحها، الشيء الذي لا يصدّق أنّ معظم هذه الوصايا لم تتنقذ، ترك أربعة بنايات، فأهله ما دفعوا من أجل آخرته شيئاً، أكثر الوصايا لم تتنقذ، لذلك درهم تنفقه في حياتك خير من مائة ألف درهم تنفق بعد مماتك.

فهذه وصيّة النبي عليه الصلاة والسلام لسيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

**((قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله))**

العلماء قالوا: التوحيد نهاية العلم، أعلى درجة في العلم التوحيد، فلو كان مع الواحد بورد، فهو أقلّ من هذه بكثير، لأنّ البورد تحتاج إلى نكاه، وقد يكون حامل هذه الشهادة غير مستقيم، فالذكاء غير العقل، وكلّ إنسان تفوق في اختصاصه نكي، ولكن كلّ إنسان عرف الله وعرف سرّ وجوده، وغاية وجوده هو عاقل، وشتان بين العاقل والذكيّ، فالعاقل من عرف الله تعالى، ونهاية العلم التوحيد، وأن لا ترى مع الله أحداً، وأن ترى يد الله تعمل في الخفاء، وأن ترى أنّ الله قبل كلّ شيء، وبعد كلّ شيء، وفوق كلّ شيء، ووراء كلّ شيء، وأن ترى أنّ الله وحده المتصرّف لا رافع ولا خافض ولا معزّ ولا مدلّ، ولا معطي ولا مانع ولا خافض ولا رافع ولا قابض إلا الله عز وجل، نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى.

قلت:

((زديني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء، هذا الذي عناه النبي عليه الصلاة والسلام فعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم أزكاها عند مليكم وأرفعها لدرجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربون رقابكم وتضربون رقابهم ذكر الله عز وجل))

[رواه أحمد]

إن تلوت القرآن فأنت ذاكرٌ، وكذا إن صليت، وفكرت في الكون، ودعوت إلى الله، وأمرت بالمعروف، فأوسع نشاط على الإطلاق هو الذكر، وبتعبير آخر: الذكر هو الطاقة، فسيارة من دون طاقة عبء، ومكيف من دون كهرباء لا قيمة له، وغسالة من دون كهرباء لا قيمة لها فالذكر للمؤمن طاقة، فالطاقة موحدة ولكن آثارها متباينة، والذكر طاقة، وبه يفعل المستحيلات، وبلا ذكر لا يقوى على أداء الصلوات، تضعف نفسه، تماما كالشحن، أنت تشحن هذه البطارية فإذا بها ذات مفعول مخيف، أما إن لم تُشحن فقَدت قيمتها.

قلت: زديني، قال: إياك وكثرة الضحك! فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، على الإنسان أن يضحك باعتدال، كان النبي بسامًا ضحّاكا، وكان يمزح ولا يمزح إلا حقًا، أما أن يكون الضحك هدفًا أساسيًا، وأن يجعل الضحك سلوكًا يوميًا، هذا يتناقض مع الإيمان، لم يقل النبي: إياك والضحك، ولكن كثرته، ولأن الله عز وجل أضحك وأبكى، وكلما الإنسان ضحك يجب أن يذكر أن الله الذي أضحكه قادرٌ على أن يبكيه ولا يوجد إنسان يضحك إلا لأن الله عز وجل سلّمه، ولا توجد عنده مشاكل، عنده بعضها ومقبولة، أما هناك أخبار ينتهي الضحك كليًا.

لو سافر ثلثة من الشباب أو جلسوا جلسة، ذهبوا إلى نزهة، وكان الضحك ديّنهم، في النهاية ينقبضون، أما إذا ابتسموا، وضحكوا وذكروا الله عز وجل، نكّر الله عز وجل يلقي عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفّهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده.

قلت: زديني، قال عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، فلو اختلفوا على الأسعار، اسكت، اختلفوا على أسعار الدولار؛ صعد أو نزل! أنت اسكت، اختلفوا على أنواع البيوت وعلى ما سيكون، فكل قضية دنيوية ترفع عنها، عليك بالصمت إلا من خير، إن طرح شيء بالدين، وكنت تعرف الحق أنت، حينها تكلم لأنك إن سكت فأنت شيطان، الساكت على الحق شيطان أخرص، عليك بالصمت إلا من خير،

لأن الصامت في سلام، والمتكلم إما له أو عليه، قد يتكلم الإنسان بكلمة لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفًا.

وأنا ألاحظ في المجالس، واللقاءات، وفي السهرات، الصامت له هيبة كبيرة جدًا، فأحيانًا كلمة مرتجلة وغير مدروسة تندم عليها أشد الندم، وقد تتألم ألمًا لا حدود له، أما لو بقيت ساكنًا فأنت في سلام، والمتكلم إما له أو عليه، والإنسان قد يسقط بكلمة واحدة، والقصة المشهورة أن أبا حنيفة النعمان لما كان يلقي درسًا عن صلاة الصبح، دخل شخص، وكانت رجل أبا حنيفة تؤلمه، فمدّها بين إخوانه وتلاميذه، فدخل إنسانًا طويل القامة، عريض المنكبين، يرتدي جبّة وعمامة، فاستحى منه ورفع رجله جلس في الدرس، سأل هذا الرجل الداخل سؤالًا قيمًا، فقال له: كيف نصلي الصبح إذا طلعت الشمس قبل الفجر؟! فقال أبو حنيفة: أن لأبي حنيفة أن يمدّ رجله! فالواحد قد يسأل سؤالًا يسقط من عين الناس، فالصامت يبقى مستورًا، أما المتكلم إما أن يفتضح وإما أن يعلو، الصامت في سلام، والمتكلم إما له أو عليه، قال: قال عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك.

قلت: زدني، قال: عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي، قلت: زدني، قال: أحب المساكين وجالسهم، أقول لكم هذه الملاحظة: تلبية دعوة الأغنياء والأقوياء من الدنيا، أما تلبية دعوة الضعفاء والفقراء فهي من الآخرة، إنسان دعاك إلى عقد قران في أطراف دمشق، وهو فقير جدًا فتلبية هذه الدعوة من أعمال الآخرة لأنه من دُعِي ولم يلبي فقد عقّ أبا القاسم، ولكن غنيّ كبير دعاك حينها تجد نفسك في أول المدعوين، لا تقل: هذا جبر خاطر! لا، هذه دنيا، حتما هناك ضيافة جيّدة جدًا، ووجاهة، تجد شخص يحبك إن زرتّه يشرف بك، ويهشّ لك، ويرحب بك، وآخر لا قيمة لك عنده سواء زرتّه أم لم تزره، أنا أقول لكم: لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثل ما ترى له، صاحب من يحبك ويحترمك، ويقدرك، إن زرتّه كان عيدًا عنده، أما إذا صاحبت من هو أعلى منك يزور عنك، ويقيمك لمالك، ولا قيمة لعملك عنده مثل هذا اعرض عنه. قلت: زدني، قال: انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك، أحد إخواننا الأطباء دعيّ إلى متمر في الهند، تحدّثنا من أيام، فقال لي: إذا الواحد سافر نحو الشرف يرى نفسه ملك، البيت هناك في نيودلهي، قطعة من ثياب داخلية عتيقة، مع قطعة من كيس نايلون، وخيش، وكارتون مخيطين كلهم! فالأرض هناك تراب، أسرة خمسة أشخاص ينامون في هذا البيت، فإذا الواحد رأى مثل هذا البيت يرى بيته قصر، فكلّ إنسان يذهب نحو الغرب يقول نحن ما عندنا شيء، فالواحد بحاجة للذهاب إلى المكانين حتى يكون توازن، فأنت عندك غرفة نوم، وغرفة ضيوف، ومفتاح بيت، وتأكل وتشرب،

وهؤلاء الذين يخبر عنهم كل يوم، عظم على جلد، ويموتون جوعاً، أنت عندك أكل تأكله وماء نقي تشربه، لذا انظر إلى من هو تحتك، فإذا الواحد دخل على الأغنياء غير المؤمنين المتكبرين، والمتعجرفين، خرج من عندهم وهو على الله ساخط، قال أحدهم: هذه الثرية ثمنها ثلاثة ملايين ونصف، والمستمع عنده بلورة فقط ! وهذه السجادة ثمنها ثمانمائة وخمسون ألفاً، وهو عنده سجادة وطنية ثمنها ثلاث آلاف، فكل واحد سكن ببيت، ومرتاح، ومبسط، فإذا دخل على أهل الدنيا المستكبرين، والله لا أبالغ الغني المؤمن تشتهي الغنى منه، ومن تواضعه، ورحمته، وسخائه فإذا قلت أنا أغنياء فأقصد غير المؤمنين، والشاردين، أما الغني المؤمن فالمال قوة له، وأنت بالمال قد تفعل كل شيء، وتمسح الدموع عن آلاف الأسر، وقد تزوج الشباب وتعين الفقراء والمساكين، وتعالج المرضى، فالمال قوة كبيرة جداً، ولكن ما دام الحديث قد طرح، إليكم هذه الحقيقة، فإذا الطريق سالك وفق منهج الله تعالى، اسع إليه لأنك إن حصلت على المال فأنت أقوى في العمال الصالح من الفقير، إذا الطريق إلى منهج رفيع سالك وفق منهج الله تعالى اسع إليه، وأنت في هذا المنصب أقدر على خدمة الخلق مما لو كنت ضعيفاً، أما إذا كان الطريق إلى الغنى معاصي وآثام، وشبهات وربا، وبضاعة محرمة، ونشر الفساد في الأرض، فلو احتاج طريق الغنى إلى تأسيس ملهى، فالفقر يكون وسام شرف، ولو كان دخلك لا يكفي لخمس أيا، إذا طريق الغنى سالك وفق منهج الله تعالى حينها كن غنياً، أما إذا طريق الغنى محفوف بالمعاصي والآثام كن فقيراً ولك وسام شرف على هذا الفقر، وإن كان طريق القوة سالماً وفق منهج الله تعالى اجعلني على خزائن الأرض، رئيس ووزارة، قال تعالى:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ (55)﴾

[ سورة يوسف ]

أما إذا كان طريق القوة يبني على معصية الله تعالى فالضعف وسام شرف، وهذا هو المنهج الإسلامي، فالواحد يتمنى أن يكون غنياً، يقول عليه الصلاة والسلام: أتمنى أن يكون أحد ذهباً، ولا يمضي عليه ثلاثة أيام إلا أنفقه في سبيل الله تعالى، تؤمن بيتاً لإنسان، وزواج وعمل، أنعشت، مرة دخلت بيتاً، أحد إخواننا أصيب بأزمة قلبية حادة، فزرت بالبيت، وعنده خمسة أولاد، وجدته الحزن مخيم على هذا البيت، هو فقير، وعمله متعب، وأزمة قلبية حادة يقول لي: تلقيت اتصالاً هاتفياً من جهة قيل له: اذهب إلى الطبيب الفلاني، وسوف تجرى لك العملية من دون مقابل، اتصل بالطبيب فقال له: أنا جاهز، وبعد أيام أجريت له عملية قلب، وكانت ناجحة جداً، كلف

حوالي أربعمائة ألف، رجع للبيت وزُرتَه بعد العمليّة.

والله أيها الإخوة وجدْتُ أولاده يكاد الواحد منهم يرقص من شدّة الفرح، لأنّ أباه صحّ من مرضه، فهذا الذي قدّم مبلغًا هكذا ماذا فعل ؟ أسعدَ أسرة، لذا قد تسعد أنت أمة، وحي، وأُسرة وإنسان، فإذا كان طريق الغنى سالك وفق منهج الله تعالى فمرحبًا بالغنى لأنّ الغنى أقدر على العمل الصالح من الفقير، وكذا طريق القوّة إن كان سالكًا وفق منهج الله تعالى، فالقويّ أقدر على خدمة الناس من الضعيف، أما إذا كان طريق القوّة ممرّه الإجباري معاصي وآثام ونفاق، وكذب ودجل، أقسم لي أحدهم أنّ كازينوا ربح ثمانية ملايين بأربعة وخمسين يوما ! فالناس كلّها وراء الكازينوهات !! فهذه المشاريع المربحة فيها غضب الله وسخطه، فإذا أنت طريق الغنى محفوف بالمعاصي فكُن فقيرًا واجعل الفقر وسام شرف لك، وهذه حقيقة مهمّة، اختار ؛ ممكن أن تكون غنيًا وفق منهج الله، وهذا لا مانع فيه، ولكن إذا كان الطريق معاصي وآثام، فالله هو الغنيّ. قال: انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدي نعمة الله عندك.

قلت: زدني، قال: قل الحق وإن كان مرا، قلت: زدني، قال: ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ينتقد الناس وهو فيه علة لا تنتهي، ولا تجد عليهم فيما يأتي، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي، فأنت تزكّي نفسك وتسامحها، وتمدحها، وتتغاضى عن عيوبها، وتحاسب الناس عن أدقّ الهفوات، فهذا إنسان مهزوز، ومتناقض، ولولا أنّ قصّة وقعت ما روئتها، ولكنتها وقعت لأناس لي معهم صلة، إنسانة لها بيت، ومتزوجة، ولها في البيت ابن متزوج، فابنها جاء بغسالة أوتوماتيك لزوجته، أقامت عليه النكير، وقالت: سوف تعلّمها على الكسل، إلخ... بنفس اليوم أتى صهرها بغسالة بابنتها فقالت: رضي الله عنه فلان !! شيء غير معقول، انحياز أعمى، إذا الشيء لمصلحتك تمدحه فالتناقض أبشع صفة بالإنسان، والله كنت يوما بمحلّ تجاري، يوم عطلة، وكان يوم عيد، وكان عنده صانه بسبب ابنه تماما، فحمل هذا الصانع أول ثوب، وثاني ثوب وثالث، إلى أن قال: لا أستطيع الحمل، فقال صاحب الدكان: أنت شاب، حمل ابنه ثوب واحد وقال له: إحذر ظهرك !!! ما خجل ! أحيانا تجد شخص عنده صانع يتيم يطلب منه أن يلتحق بمدرسة ليلية كي يأخذ مثلاً كفاءة فلا يتركه ! ولكن لابنه يقيم له مليون ليرة من أجل الدروس الخصوصية كي يكون طبيبا، أما ابن الناس، وهذا اليتيم ممنوع عليه الشهادة، يحب أن يتركه جاهلاً، أرايتم كيف أصبح المسلمون ؟ فالله تعالى لما يرى هذا الحال يمقتنا جميعاً، البطولة ألاّ تتناقض مع نفسك، عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، فإذا الكنة لم تقف باكراً يسبها، أما ابنته فيقول هي متعبة ! فهذه المواقف كلّها في بيوت المسلمين، وهذا التناقض كلّه يجلب

سخط الله عز وجل، عامل الناس كما تحب ان يعاملوك، فكيف تحب أن تعامل ابنتك عامل زوجة ابنك كما تحب أن تعامل ابنتك، ثم ضرب بيده على صدري وقال: يا أبا ذر! لاعقل كالتدبير، ولا ورع كالكف؛ ولا حسب كحسن الخلق فأعلى نسب أن تكون حسن الخلق، وأعلى ورع أن تمتنع عن المعصية، وأعلى عقل أن تستخدم عقلك في شؤون آخرتك.

أعيد عليكم نص الحديث، عن أبي ذر قال:

(( دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقال: يا أبا ذر! إن للمسجد تحية، وتحيته ركعتان فقم فاركعهما، قال: فقمته فركعتهما، ثم قلت؛ يا رسول الله! إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر، قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله، قلت: فأبي المؤمنين أكملهم إيمانا؟ قال: أحسنهم خلقا، قلت: فأبي المسلمين أسلم، قال: من سلم الناس من لسانه ويده، قلت: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السيئات، قلت: فأبي الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر، قلت: فأبي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، قلت: فما الصيام؟ قال: فرض مجزيء وعند الله أضعاف كثيرة، قلت: فأبي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه، قلت: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مقل تسر إلى فقير، قلت: زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء، قلت: زدني، قال: إياك وكثرة الضحك! فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، قلت: زدني، قال عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، قلت: زدني، قال: عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي، قلت: زدني، قال: أحب المساكين وجالسهم، قلت: زدني، قال: انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك، قلت: زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت: زدني، قال: قل الحق وإن كان مرًا، قلت: زدني، قال: ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما يأتي، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي، يا أبا ذر! لاعقل كالتدبير، ولا ورع كالكف؛ ولا حسب كحسن الخلق))

عن أبي ذر قال:

((دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقال: يا أبا ذر! إن للمسجد تحية، وتحيته ركعتان فقم فاركعهما، قال: فقمتم فركعتهما، ثم قلت؛ يا رسول الله! إنك أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر، قلت: يا رسول الله! أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله، قلت: فأبي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً، قلت: فأبي المسلمين أسلم، قال: من سلم الناس من لسانه ويده، قلت: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السيئات، قلت: فأبي الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر، قلت: فأبي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، قلت: فما الصيام؟ قال: فرض مجزيء وعند الله أضعاف كثيرة، قلت: فأبي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه، قلت: فأبي الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها، قلت: فأبي الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مقل تسر إلى فقير، قلت: فأبي آية ما أنزل الله عليك أفضل؟ قال: آية الكرسي؛ ثم قال: يا أبا ذر! ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة، قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وعشرون ألفاً، قلت: كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا، قلت: من كان أولهم؟ قال: آدم، قلت: أنبي مرسل؟ قال: نعم، خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ثم سواه وكلمه قبلاً، ثم قال: يا أبا ذر! أربعة سريانيون: آدم وشيث وخنوخ - وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم - ونوح، وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك؛ يا أبا ذر! وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد، وأول نبي من أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وبينهما ألف نبي))

قلت: يا رسول الله! كم كتاب أنزل الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على خنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، قلت: فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المغرور المبتلى! إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لترد على دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر، وكان فيها أمثال: على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب؛ وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث: تزود لمعاد ومرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسان، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه؛ قلت: فما كان في صحف موسى؟ قال: كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم

هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار: ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها لأهلها ثم

اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل، قلت: يا رسول الله! هل فيما أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا أبا ذر! تقرأ لقد أفح من تركى - إلى قوله: صحف إبراهيم وموسى}. قلت: يا رسول الله! أوصني، قال:

((أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، قلت: زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء، قلت: زدني، قال: إياك وكثرة الضحك! فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، قلت: زدني، قال عليك بالصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، قلت: زدني، قال: عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي، قلت: زدني، قال: أحب المساكين وجالسهم، قلت: زدني، قال: انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عندك، قلت: زدني، قال: لا تخف في الله لومة لائم، قلت: زدني، قال: قل الحق وإن كان مرا، قلت: زدني، قال: ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك، ولا تجد عليهم فيما يأتي، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي، يا أبا ذر! لاعقل كالتدبير، ولا ورع كالكف؛ ولا حسب كحسن الخلق ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (084 - 127) : التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-06-2000

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام... رياض الصالحين من كلام سيّد المرسلين عليه أتمّ الصلاة والتسليم من أدقّ كتب الحديث، فيه أحاديث صحيحة، مبنّية تبويهاً رائعاً، من أبواب هذا الكتاب القيمّ باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين، ومن عادة الإمام النووي رحمه الله تعالى أنه يبدأ باب كتابه ببعض الآيات الكريمة..

الآية الأولى أيها الإخوة، ودققوا:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

(سورة الشعراء)

المجتمع كما تعلمون نظامه نظام الأسر، أسر، فإذا الإنسان بدأ بعشيرته الأقربين، أي واحد منكم له أخوة وأخوات، وأعمام وأخوال، أولاد أعمام وأولاد أخوال، له عمات وخالات، وأولاد عمات وأولاد خالات، أي إنسان في حوله مجموعة ؛ إما من قرابة الأب أو من قرابة الأم، وفي حوله زملاء، وفي أصدقاء، في حوله جيران، بين جارٍ وصديقٍ وزميلٍ، وقريبٍ تابعٍ للأب، وقريبٍ تابعٍ للأم، لماذا أمر الله النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق قال له:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)﴾

(سورة الشعراء)

أي ابدأ بعشيرتك الأقربين، في ملمح لطيف في هذه الآية: الإنسان الغريب بينك وبينه حواجز، وبينك وبينه شكوك، وبينك وبينه سوء ظن، فلو دَعَوْتَ غريباً إلى مسجد لاعتذر، يخاف، لعل في الأمر شيء غير جيد، أما حينما تدعو أخاك، أو تدعو ابن عمك، أو تدعو ابن خالتك، أو تدعو جارك، أو تدعو صديقك، أو تدعو زميلك، لا توجد الحواجز، فما دام في هذا المجال ليس هناك حواجز، ابدأ بهذا.

لذلك كل واحد منكم أيها الإخوة . الآن أنا أريد أن أضع النقاط على الحروف . كل واحد منكم لا ينبغي أن يزهّد بدعوة من حوله إلى الله، بل إن دعوة من حوله إلى الله مُقَدِّمَةٌ على البعيد، أولاً الأقربون أولى بالمعروف. في ملمح آخر من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، أنك حينما تقدّم معونة لقريب، هي عند الله بأجرين، بأجر الصدقة وأجر الصلّة، وهناك أحاديث كثيرة تنص على ذلك، إذا الإنسان قدّم شيء من ماله إلى أقرباؤه، هي صدقة وصلّة في وقت واحد، الآن إذا دعوت إلى الله من حولك ؛ إخوتك أو أخواتك، أولاد إخوتك، أو أولاد أخواتك، أولاد عمّاتك أو أولاد خالاتك، أولاد أعمامك أو أولاد أخوالك، جيرانك أصدقائك زملائك، هذا من حولك، ماذا فعلت ؟ هؤلاء أولى بالدعوة إلى الله من غيرهم.

ولكن في ملمح آخر : أنت حينما تكون في بيت، وأنت قد اهتديت وحدك إلى الله، وإخوتك ليسوا كذلك، هم جبهة ضدك، أنت حينما يكون إخوتك في البيت قد اهتدوا إلى الله، أصبحت جميعاً جبهة حق ضد الباطل، إذا أولاد أعمامك، أولاد أخوالك، أقربائك، جيرانك، فأنت حينما تبحث عن هداية القريب، لا تنس أن هذا القريب سيكون داعماً لك، وشيء ملاحظ أحياناً يكون في بيت من البيوت أربع أولاد في مسجد واحد، في التزام وانسجام، أما واحد مهتدي إلى الله، الأربع ضده، في مشاحنات بالبيت لأن هناك معركة أزليّة أبدية بين الحق والباطل، معركة قديمة ومستمرة إلى ما شاء الله بين الحق والباطل، فانظر إلى هذا التوجيه، توجيه من الله عز وجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام:

### ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)﴾

(سورة الشعراء )

الأقرب .. والله أنا أحياناً بعض الإخوة الكرام، جزاهم الله خيراً، يأتي إلى المسجد ويلتزم ويصطلح مع الله، بعد حين جلب أخاه، أخوه الثاني، ابن عمه، جاري، زميلي، صديقي، صارت مجموعة، هو استراح وأراح، فأنت حينما تدعو إلى الله أقرب الناس إليك ينتفعون منك وتنتفع بهم، لأنهم أصبحوا عوناً لك على الحق.

أنت لاحظ بيت فيه أربع بنات، لهن أربع أزواج، إذا زوج واحد مهتدي إلى الله وثلاثة متقلّتون، هذه المسكينة زوجة المُلتزم تعاني من متاعب لا تنتهي، لأن زوجات غير الملتزمين يتكبرون عليها، ذهبنا إلى المكان الفلاني، وجلسنا في المقهى الفلاني، وسافرنا إلى كذا، جلسات مختلطة، ولائم مختلطة، هذه تُعزّل، أما لو أزواج الأخوات اهتدوا جميعاً إلى الله أصبح ليس هناك مشكلة، صاروا جميعاً في انسجام، فأنت حينما تحرص على هداية أقربائك إلى الله، أنت هديتهم، وأعانوك على الحق، ما دام هناك آية كريمة معنى هناك توجيه حكيم وقويم جداً..

### ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)﴾

( سورة الشعراء )

بالمناسبة، هل هناك بالإسلام ما يسمى بالضمان الاجتماعي ؟ نعم، الضمان الاجتماعي في الإسلام على أساس نسبي وجغرافي، نسبي: كل إنسان ملزم بقريبه أن ينفق عليه، أبداً ما في إنسان إلا وهناك جهة ملزمة بالإنفاق عليه، الزوجة زوجها، الأولاد الأب، مات الأب الأعمام، دائماً في جهة يجب أن تُنفق على هذه الجهة الفقيرة، ففي إلزام، ولو فيما أذكر قبل سنوات طرحت موضوع باب النفقة، باب النفقة باب بالفقه دقيق جداً، هذا الباب لا بد لكل إنسان من جهة ملزمة بالإنفاق عليه، وفي عندنا قاعدة بالفقه " الغرم بالغنم " فكل إنسان يرث ينبغي أن ينفق، ما دام هذا الإنسان يرث من هذا الإنسان، إذاً هذا الإنسان ينبغي أن ينفق عليه، فأردت من هذه المقدمّة أنك إذا أردت أن تعين من حولك ممن يلوذ بك في شأن دينهم، عاد الخير عليك أضعافاً مضاعفة.

مناسبة ثانية: ماذا نفعل بقول النبي عليه الصلاة والسلام وهو الصادق المصدوق لا ينطق عن الهوى:

(( إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه.. ))

( الجامع لأحكام القرآن )

الهوى المتبع المال والنساء، الشح المطاع نفوس بخيلة، ممكن يركز نفسه بمئات الألوف ويضن على طالب علم بما يقيم أودّه، ما تفسير ذلك ؟ هو أن الإنسان فيه هذه الجبلة قبل أن يعرف الله..

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21)﴾

( سورة المعارج )

ذات مرة حدثني أخ، قال لي: أعمل بمكان . قصة لعلها قديمة، قال لي: يعطيني صاحب العمل ألفين ليرة، على مدار الشهر، أنا مهمتي بالعمل أن آتي له بأغراض البيت، أقسم لي بالله أنه باليوم الواحد لا يكفيه عشرة آلاف، هو عشرة آلاف باليوم، بذخ منقطع النظير، ويعطيه طوال الشهر ألفين، فما معنى:

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21)﴾

( سورة المعارج )

أي يريد الإنسان أن يعيش لحاله، دائماً المؤمن يتمنى الخير لكل من حوله، غير المؤمن يحب أن يعيش وحده، أن يأكل وحده، أن يعيش في حبوحة وحده، أن يأكل ما لذ وطاب وحده، أن يسكن في أجمل بيت وحده، هذه النزعة الفردية بالإنسان قبل أن يعرف الله..

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21)﴾

( سورة المعارج )

إن أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، وإن منعوه منعوه بخلًا وتقتيراً، ممكن الآن في أعراس بالعشرين مليون، مرة بالشام في عرس بلغ خمسة وثمانين مليون، عرس واحد، هناك من يزوج بمائتي ألف، إقسم خمسة وثمانين مليون على مائتي ألف، فكم شاب يتزوج بهذا المبلغ أنفق في ليلة واحدة على الخمر والنساء، لذلك الكافر إذا أنفق ماله أنفقه إسرافاً وتبذيراً، وإذا منعه منعه بخلًا وتقتيراً، فالإنسان خُلِقَ هَلُوعاً..

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ

﴿(22)﴾

( سورة المعارج )

اختلف، في استثناء ؛ المصلي اتصل بالغني فصار غنياً، اتصل بالكريم فصار كريماً، المؤمن يعيش في الآخرين، دقق في هذه العبارة، هناك مَنْ يعيش الناس له، وهناك مَنْ يعيش للناس، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم.

((إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه . يقول لك النبي والحديث صحيح: فالزم بيتك . هرجُ ومرجُ . فالزم بيتك وأمسك لسانك))

( الجامع لأحكام القرآن )

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغتك إنه ثعبان  
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

\* \* \*

في الهرج والمرج أمسك لسانك، إلزم بيتك.

((... فالزم بيتك وأمسك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة ))

( الجامع لأحكام القرآن )

هذا توجيه نبوي حكيم، والحديث صحيح.

(( إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه ))

( الجامع لأحكام القرآن )

كل واحد له دين خاص، هكذا قناعاتي، هكذا أرى، هكذا أفهم، ما في خضوع لله عز وجل، ما في استسلام له، له عقيدته الخاصة، ومزاجه الخاص، وأحكامه الشرعية الخاصة، ليس قنعان أن الربا حرام، ليس قنعان، وليس قنعان أن الاختلاط حرام، هذه نصف المجتمع، فكل واحد له قناعة خاصة، وعقيدة خاصة، وتطور خاص.

إذا رأيت شحاً مطاعاً . حرص على المال . وهوى متبعاً . المال والنساء . وإعجاب كل ذي رأي برأيه فالزم بيتك .  
اجعله كهفك..

﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (16)﴾

( سورة الكهف )

اجعل ملاذك بيتك وجامعك.

(( ... فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر . الآن . عليك بخاصة نفسك ))

من هم ؟ أنت، وأولادك، وأقرباؤك من جهة الأب، وأقرباؤك من جهة الأم، وجيرانك وأصدقائك، وزملائك، هكذا فسّر ابن حجر العسقلاني، كلمة عليك بخاصة نفسك، أي ليس لوحده، من حولك، إخوان طبيين طاهرين، موثوقين، أمناء، أعفّة، صادقين، هؤلاء عش معهم، عش بجو رائع.

والله أيها الإخوة، لو لم يكن في الالتزام في مسجد إلا هذه الميزة لكفت، تيعيش مع مؤمنين، أولاً لا يغدروك، ولا يطعنوا بك، ولا يحتالون عليك، تعش مرتاح، في أخطاء لا يوجد أحد معصوم، ولكن لا يوجد غدر، ما في طعن، ما في مقلب، ما في ابتزاز، ما في تهديد، أخ مؤمن يخاف الله عز وجل، عليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة، دع العامة لربها، وكما روى عليه الصلاة والسلام عن ربه في الحديث الصحيح:

(( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))

في الطريق نساء كاسيات عاريات، أينما تحركت في فتن، فتن، ومشكلات، وصراعات.

(( إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فالزم بيتك، وأمسك لسانك، وخذ ما تعرف،  
ودع ما تنكر، عليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة ))

( الجامع لأحكام القرآن )

فأنت إذا طبعت توجيه النبي عليه الصلاة والسلام نجوت من فتن آخر الزمان، لأنه.. " عبادة في الهرج كهجرة  
إلي "

إذاً الضمان الاجتماعي في الإسلام أساسه القرابة، وأساسه الجوار جغرافياً، العلماء قالوا: أربعون بيت جار شمالاً، أربعون بيت جار جنوباً، أربعون بيت يميناً جار، وأربعون بيت يساراً جار، إذا كانت ناطحة سحب أربعون بيت ل فوق، باليابان في ثلاثين تحت الأرض، وباليابان ثلاثين تحتك، فأربعين بيت بست جهات كلهم جيران، هذا الضمان الاجتماعي على الأساس الجغرافي، ففي قرابة وفي جوار، وهذا أضمن شيء.

الآن..

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

( سورة الشعراء )

أحياناً من مقابلة الآيات بعضها بعضاً، تظهر معاني دقيقة، في آية:

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)﴾

( سورة الحجر )

في آية أخرى..

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

( سورة الشعراء )

مؤمن طيب، طاهر، مستقيم، ولكن ليس من جماعتك، فهو على عيننا ورأسنا، أنت انتماءك لمجموع المؤمنين، عظمة الإسلام، أنت انتماءك لمن؟ لمجموع المؤمنين، فأنا أخفض جناحي وأتواضع لمؤمن من أتباعي، وأخفض جناحي وأتواضع لمؤمن ليس من أتباعي، فهذا مؤمن، عظمة الإسلام أن كما قال عليه الصلاة والسلام:

(( المؤمنون بعضهم لبعض نصحاء وادون وإن افتقرت منازلهم، والفجرة بعضهم لبعض غششة خونة وإن  
اجتمعت أبدانهم ))

( الدر المنثور في التفسير المأثور )

والله أيها الإخوة، بين المؤمنين من الحب، والود، والإخلاص، والصدق ما لا يوصف انظر الناس إذا عاملوا بعضهم بعضاً، وكانوا شاردين عن الله، كل واحد لُغم، كلمة بعقد غلظت فيها راح البيت، غلظة بعقد شراكة راحت الوكالة، عايش مع أناس قنّاصين، أقعد مع المؤمنين لا توجد مشكلة أبداً، ما في مشكلة، تجد نفسك مرتاح، في ود، طعن بالظهر لا يوجد تأمر عليك لا يوجد، ابتزاز ما في، احتيال ما في، غش ما في.

﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

( سورة الشعراء )

تواضع للمؤمنين، فأنت لاحظ مسجد، يدخل له شخص معه أعلى شهادة بالعالم، يدخل واحد أمي، من دخل أولاً يجلس أولاً، يدخل واحد معه مائتي مليون فهذا مليونير، يدخل مديونير أي عليه ديون، يجلسون بمكان واحد، لا توجد طبقية في الإسلام، سيدنا الصديق لما اشترى بلال من سيده صفوان، أراد صفوان أن يهين بلالاً، قال له: والله لو دفعت به درهماً لبعته. درهم أبيعك إياه.

قال له: والله لو طلبت به مائة ألف درهمٍ لدفعتها لك. ووضع يده تحت إبطه قال: هذا أخي في الله حقاً.

ما هذا الإسلام؟ أخوك بالله، مثقف، غير مثقف، فقير، غني، مدني، ريفي، هذا كلها تحت القدم، المؤمن لا يمكن أن يضاف على اسمه كلمة، هذا بصراحة، مؤمن، لا يضاف عليه، غني تشتهي الغنى منه، من تواضعه، من سخاءه، وإذا فقير، تشتهي الفقر منه من عفته، وتجمله، وأناقته، وإذا مثقف فهو متواضع، على الرغم من ثقافته، غير مثقف، متعلم، ماذا يقول سيدنا علي؟

دقق في هذا القول هذا من نهج البلاغة، يقول: " قوام الدين والدنيا أربعة رجال ؛ عالمٌ مستعمل علمه . أي عالم عامل، عالم مطبّق، بالفلسفة الإغريقية اسمه حكيم، من هو الحكيم الفيلسوف؟ الفيلسوف إنسان فيلسوف أي عنده علم عالي، أما الحكيم فيلسوف طبّق علمه، استخدم علمه . وجاهل لا يستكف أن يتعلم . أحد أركان الدنيا،

جاهل متواضع يتعلم، هناك إنسانان لا يتعلمان: المستكبر، والمستحي، لا يتعلمان، مرة كنا في الجامعة، في الأدب العربي، جاءنا عالم كبير جداً من تونس، عالم باللغة، فدعي بإلقاء محاضرة على طلاب السنة الرابعة، وكنت وقتها في هذه السنة، أول صفين لأساتذتنا، كلهم دكاترة، أنا أراقب الأساتذة، هذا الضيف من أكبر علماء اللغة بشمال إفريقيا، فجاء يلقي محاضرة، الأستاذ المستكبر ما جاء بقلم وورقة، أما الأستاذ المتفوق العالم الكبير جاء بقلم وورقة وكتب، رآها نقيصة بحقه أن يكتب، فالإنسان يطلب العلم دائماً، يظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل - وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدينه.

الآن:

فإذا ضيَّع العالم علمه، استتكَف الجاهل أن يتعلم . يقول لك: أنا فلان ليس مطبق عمله وأنا لا أطبق، زهدته بالعلم، صراحة في كلمة ولو أنها قاسية: الآن الناس كفروا بالكلمة الأنبياء بماذا جاءوا ؟ الأنبياء جاءوا بصواريخ؟ جاءوا بمحطات فضائية ؟ جاءوا بكمبيوتر ؟ جاءوا بترسانة أسلحة ؟ الأنبياء بماذا جاءوا؟ بالكلمة، الأنبياء جميعاً ماذا قدّموا ؟ قدموا كلمة صادقة فقلبت وجه الأرض، الآن بالعالم كله الكلمة لا أحد يعبأ بها، لأن ليس لها معنى، ليس لها مضمون، قد يقول إنسان شيء، وهذا الشيء صار سلوك، سلوك شائع، كلام أحلى من العسل، وفعلٌ أمر من الأصل، من الصبر، تنكر عليه حساباته، تنكر عليه أمانته، تنكر عليه استقامته، تنكر عليه عفافه، أما إذا حدّثك تجده قطب من أقطاب لنديا، هذا النموذج خطير جداً فالكافر واضح، والمؤمن واضح، من هو الخطير ؟ المنافق، عنده ازدواجية ؛ موقف معلن، وموقف مبطن..

فإذا ضيَّع العالم علمه استتكَف الجاهل أن يتعلم . من قطع الطريق على طلب العلم ؟ من ضيَّع علمه . وإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنيا غيره . يعني هذا الفقير يأس من الغني، تجده يتعامل مع الشيطان، لكي يأمن حاجاته، حدثوني عن شخص، والقصة قديمة جداً، رجل ملحد، وله مهمة قذرة جداً في المجتمع، فعنده ابن مرض مرضاً يحتاج لعملية في بلد بعيد، يمكن كان ثمن البيت عشرين ألف، بيت أربعة وصالون، تكلف العملية ستين ألف، ففي واحد دله على جامع، والأمر قديماً كان كفي، والشيخ ما عرف أنه إنسان ملحد، وهو فقير، له ابن له عملية في الاتحاد السوفيتي، ممكن تحكونا كلمتين، هذا العالم ببساطة حكى ولم مبلغاً يقرب من الستين ألف، وأخذوه على البلد البعيد، والعملية نجحت ورجع، هذا الملحد الذي له مهمة قذرة ما عاد ترك المسجد إطلاقاً، التزم وتاب لله عز وجل، لما وجد أناس حلوا له مشكلة ابنه، فانضم للمؤمنين..

أما إذا الفقير يأس، ولم يجد أحد معه، فسيتعاون مع الشيطان، إذا أغنياء المؤمنين ضيعوا الأمانة، أهملوا، تجد هؤلاء الفقراء الشباب يتعاملون مع إبليس من أجل تأمين حياتهم.

والله مرة حدثني أخ قال لي: ما كل النساء المومسات سيئات، لكن قسم كبير عن حاجة عن حاجة ماسة، فأغنياء المؤمنين حينما يقصرون فيما عليهم من واجبات تجاه الفقراء، قد يحولون امرأة شريفة إلى مومس، طبعاً الجاهلة، الحرة تجوع ولا تأكل بثديها، هكذا في المثل العربي القديم، فإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنياه غيره، حديث دقيق لسيدنا علي:

قوام الدين والدنيا أربعة رجال: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستتفك أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيَّع العالم علمه، استتفك الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله، باع الفقير آخرته بدنياه غيره .

أيها الإخوة الكرام... فعندما الإنسان يقدم، صار في تعاون صار في تكاتف، أنا لي قناعة أن كل الكلام النظري ليس له قيمة، الآن الناس كفروا بالكلمة، فمثل بسيط: أب هذا أب نادر جداً، أب وحش، يأتي بأطيب الطعام يأكله وحده أمام أولاده، وأولاده يتضورون جوعاً، إذا قال هذا الأب: أبنائي إني أحبكم. فهل كلمة أحبكم لها معنى عندهم؟ أبدأ، هؤلاء كفروا بهذه الكلمة، لأن الممارسة خلاف الكلام، كفروا بهذه الكلمة، ففي عهد الأنبياء الكلمة مقدسة، جاؤوا بالكلمة الصدقة..

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)﴾

(سورة إبراهيم)

مثل كلمة كشجرة طيبة، احفظوا هذه الكلمة، الأنبياء جاءوا بالكلمة الصادقة، والكلمة الصادقة وحدها يمكن أن تصلح الدنيا بأكملها، كلمة صادقة، تصوّر صحابي أثناء الهجرة، ألقى القبض عليه، قال لهم: أعاهدكم إن أطلقتهموني لن أحاربكم، صدقوه وأطلقوه، وصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وفرح به النبي، بعد حين في غزوة، ومن شدة حبه للجهاد انخرط مع الجنود، رآه النبي قال له: ارجع، أنت عاهدتهم ألا تقاتلهم. رأيتم إلى هذه الأخلاق، هكذا.

أرسل النبي عبد الله بن رواحة، ليهود خيبر ليقم تمرهم، وهناك اتفاقية بينهم، فأرادوا أن يغروه بحليّ نسائهم كي يخفّض التقييم، أي رشوة، قال: " والله جنّتكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم عندي أبغض من القردة والخنازير، ذلك لن أحيّف عليكم ". فهل لديك هذه الأخلاق، أعدى أعدائك تعامله بالعدل ؟.

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)﴾

( سورة فصلت )

قال لي واحد: أستاذ يجب أن تكون في شدة، قلت له: يجب أن تفرّق بين أخلاق الجهاد وأخلاق الدعوة...

فأخلاق الجهاد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾

( سورة التوبة: من آية " 73 " )

بالمعركة لا يوجد حل وسط، لا توادنا يا سيدي أنا سأضربك. هذه معركة، تحتاج للشدة والقسوة، أما أخلاق الدعوة:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

( سورة آل عمران: من آية " 159 " )

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)﴾

( سورة فصلت )

يجب أن تفرّق بين أخلاق الحرب وبين أخلاق الدعوة، أخلاق الدعوة كلها لطف، كلها نعومة، كلها تواضع، كلها إيناس، فهذا الذي يخلط بين أخلاق الدعوة، يقول لك: هذا كافر. الله عز وجل قال:

### ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾

(سورة المائدة: من آية " 8 " )

أي يحملتكم..

### ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

(سورة المائدة: من آية " 8 " )

اعدل مع هذا الكافر، إن عدلت معه قرّبتك من الله، وقرّبتك منك، أحياناً إنسان عنده ابن عاق، جاءتني ورقة الآن يقول صاحبها: أن رجل تنازل عن كافة أملاكه إلى أحد أولاده، بقصد حرمان بقية أولاده السبعة، قال: فما حكم هذا التصرف؟ هذا التصرف حرام عند علماء المسلمين جميعاً، وفي كتب الفقه كلها، لأن هؤلاء السبعة العاقين برأي الأب، لما حرم السبعة وأعطى واحد، زادهم عقوقاً، أما لو عدل بينهم خفف من عقوقهم إن كان فيما يقول صادقاً.

الآية الثانية، قال:

### ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)﴾

(سورة الشعراء )

أنت تريد النصيحة أم الفضيحة؟ تريد الدعوة إلى الله أم التأنيب؟ تريد أن تأخذ بيده إلى الله أم أن تحطّمه؟ ضمن الدين في معاصي، في معاصي ضمن الدعوة، قضية نفس مستعلية.

آية ثانية، يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(سورة المائدة: من آية " 54 ")

بعض الشيوخ لهم كلمة: أنه يروح الزاهد يأتي العاشق. أحياناً الإنسان يمن على الله عز وجل، فقد ينصرف، وقد يأتي من هو مشتاق، فإذا الله عز وجل سمح لك تعطي فاشكر الله، سمح لك تعطي، سمح لك تحل مشكلات الناس، إذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس إليه، إياك أن تتأفف، لأنه قادر . والله أقول كلمة ولعلها قاسية . قادر الله عز وجل يجعل أذكى إنسان وأغنى إنسان ينقب بالحاوية ليأكل طعام متسخ، قادر، شخص أقسم لي بالله فقال لي: والله عندي بيت مساحته مع حديقته ألف متر، أي فيلا، عندي ثلاثة سيارات، واحدة للسفر ضخمة جداً، واحدة للمدينة، واحدة للمعمل، قال لي: والله ما دخل بيتي الحلويات إلا بالصواني، والفواكه إلا بأكبر كميات، وعنده طباخين بالبيت، وعامل حديقة حكى لي عن حياته، والقصة طويلة جداً، يذهب إلى سوق الهال، وفي قمامة سوق الهال، في شوية خس معسقلين، كبهم صاحبهم يلزموه، في شوية سبانج، شوية سلق مثلاً، يأتي بطبخه من قمامة سوق الهال من شدة الفقر، الله قادر، أغنى واحد وأذكى واحد يجعله ينقب بالحاوية.

في أخ من إخواننا توفي رحمه الله، قدم بيت لجمعية خيرية، البيت الآن صار مركز تدريب مهني للفتيات الفقيرات، تعليم للخياطة، والبيت ثمين جداً بأرقى أحياء دمشق، عملوا له حفل تكريم، كل الذين تكلموا أثنوا عليه، وعلى إحسانه وكرمه، بيت كبير وبجي راقى، وقدمه هدية لجمعية خيرية، وصار الآن مركز تدريب مهني، وهذا عمل طيب، قام أحد إخواننا ألقى كلمة قال له: أيها المحسن الكريم، كان من أن تكون أحد المنتفعين بجمعيتنا، يقف صف طويل معه هويته ويبصم على منتين ليرة على العيد، قال له: كان من الممكن أن تكون أحد المنتفعين بجمعيتنا، ولكن الله كرمك وجعلك تعطي، فاشكر الله.

فإذا واحد أعطى الله عز وجل مكنه أن يعطي، من يومين أو ثلاثة كنت بمكان، واحد ألقى طرفه لكن يبدو أنه ضحك الجميع ضحك شديد، فكان تعليقي على ضحكهم، أنه اقرأ قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43)﴾

( سورة النجم )

واحد يكون ما عنده مشكلة كبيرة، صحته طيبة، أولاده أمامه، بيته منتظم، دخله كافي فيضحك إذا كانت طرفه لطيفة، كنت في دعوة لافتتاح كلية القرآن الكريم، فكان شيخ القراء موجود، حدثنا عن أستاذه، فأستاذه توفي رحمه الله وهو من كبار علماء القرآن الكريم، فكان يقرأ أمامه:

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18)﴾

( سورة النبأ )

فقال له أعدها، فذكرنا دقائق لفظ التاء، أعدها، عادها، مرة ثانية، الثالثة، رابعة، خامسة، قال له: سيدي فتأتون، ممكن تسمع طرفه لطيفة تضحك، لماذا ضحكت لأن الله عز وجل سمح لك أن تضحك، ما عندك مشكلة كبيرة، فلو أخذت خزعة منك، وظهر أنه ورم خبيث، فهل تضحك؟ مستحيل تضحك، مستحيل، في أمراض وبيلة تلغي الضحك من حياة الإنسان كلياً، لو عنده غسل كلية في الأسبوع مرتين، يضحك؟ يحتاج إلى تبديل صمام بأمريكا يكلف ثلاث ملايين فهل يضحك الواحد؟ لا يضحك، ما دام استيقظ صباحاً معافى في جسمه، آمن في سربه عنده قوت يومه.

انظروا يا إخوان، فهم الحياة بعمق ضروري جداً، إذا واحد منكم استيقظ صباحاً يسمونها جاهزية تامة؛ عينه سلمية، سمعه سليم، ينطق، يتحرك، يقضي حاجته بنفسه، ما في عنده مشكلة بجسمه، في طعام ببيته، زوجته أمامه، أولاده أمامه، ما في عليه مذكرة بحث أراد أن يطلع على الزيداني، على حلب، يسافر، ليس ملاحق، يتمتع بحقوقه المدنية، حر، وصحته سليمة، وزوجته وأولاده، هذا ملك.

مرة ذكرت أن لو فرضنا مَلِك، وخير بين أن يموت بمرض وبين أن يكون موظف بقصره، لا يتردد دقيقة، معنى ذلك أن كل واحد الله عز وجل معافيه، أعطاه شيء ثمين جداً، لما أقول لصندوق العافية، الإنسان لما يدفع زكاة صحته التي يتمتع بها، هذه صحة ثمينة فإذا أنت آمن في سربك، هذا أمن الإيمان، لست مرتكب معصية، ما لك ظالم إنسان، ما لك باني مجدك على أنقاض إنسان، أنت آمن في سربك معافى في جسمك عندك قوت يومك، فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

مرة قلت لكم: ملك جبار سأل وزيره من الملك؟ قال له: أنت يا سيدي، قال له: لا يا بني، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤيه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، وأنا إن عرفناه جهدا في إحراجة. فالإنسان في عنده ميزات كبيرة جداً إذا شكر الله عليه..

### ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

(سورة إبراهيم: من آية " 7 " )

لا تبحث عن النواقص، ابحث عن الموجودات، واحد دخل السجن ذات مرة، وطلع، قالت له زوجته: ما عندنا شيء اليوم، صار يبكي، قال لها: ما عندنا شيء، عندنا أكل لسته أشهر، قصدها ما عندها طبخ، في بيت ما في جينة وزيتون وشاي؟ بكل بيت في مونة لسته أشهر، لما قال لها: ما عندنا شيء استحي من الله، عندنا كل شيء، فإذا الإنسان شكر الله عز وجل، كان عليه الصلاة والسلام تعظم عنده النعمة مهما دقت، لو شرب كأس من الماء.

يا أيها الإخوة:

### ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

(سورة المائدة: من آية " 54 " )

فإذا الله عز وجل سمح لك أن تسمع الحق أشكر الله، سمح لك تخدم الناس أشكر الله، سمح لك أن تنفق أشكر الله، لأنه: إذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس إليه، إذا أحب الله عبداً جعله مفتاحاً للخير مغلقاً للشر، في إنسان مهمته شريرة، فإذا أحب الله جعله مفتاحاً للخير..

## ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(سورة المائدة: من آية " 54 " )

لإخوانه متواضع جداً، أما للكافرين عزيز، أحياناً يكون العكس، أمام المؤمنين متجبر، أمام الأقوى منه دليل، أرأيت إلى هذا النموذج ؟ أمام إنسان أقوى منه دليل أدل من شاة، أما على من هو ضعيف متجبر، هذا اللئيم، قال سيدنا علي: " والله والله مرتين، لحفر بئرين بإبرتين . بئر بإبرة . وكنس أرض الحجار في يومٍ عاصفٍ بريشتين . ريشة، صحراء كلها رمل يجب أن تكنسها بهذه الريشة . ونقل بحرين ذاخرين بمنخلين، تنقل بحر من مكان لمكان بالمنخل . وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين، أهون عليّ من طلب حاجةٍ من لئيم لوفاء دين".

غسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين، كنس أرض الحجاز في يومٍ عاصفٍ بريشتين، نقل بحرين ذاخرين بمنخلين، حفر بئرين بإبرتين أهون من طلب حاجةٍ من لئيم لوفاء دين، فاللئيم على الضعيف متجبر، أمام القوي دليل، المؤمن..

## ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(سورة المائدة: من آية " 54 " )

فهل أنت تصدق أن سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه كان في معركة عدد جنوده ثلاثين ألف، العدو مائتا ألف، فطلب مدد من سيدنا الصديق، طلب مدد، قائد جيش بالفتوح، والخليفة مهمته أن يمدده، فطلب مدد، سيدنا الصديق أرسل له واحد، اسمه القعقاع بن عمرو، والله قصص مثل الخيال، فلما جاءه القعقاع قال له: أين المدد؟ قال له: أنا، ما هذا الكلام، معه كتاب، ففتحه فإذا به قول سيدنا الصديق له: " أحمد الله إليك، يا خالد لا تعجب من إرسال القعقاع، فوالذي بعث محمداً بالحق إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم ". ما هذه القوة، واحد كألف، الآن ألف كأف، فلذلك الله عز وجل قال له:

## ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

(سورة المائدة: من آية " 54 " )

لا يكون العكس، لا تكون أمام القوي دليل، وعلى المؤمن الضعيف متجبر، في شخص دون أن يشعر بعقله الباطن، إذا رآه ضعيف تجده ضغط عليه، تجبر عليه، أمام قوي تجده دليل لدرجة مخزية، فلا، أنت تواضع للمؤمن المستقيم العفيف، وقف موقف عزيز أمام إنسان منحرف..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

( سورة المائدة: من آية " 54 )

إخواننا الكرام المحبوبة أصل في الدين، فإذا الواحد قرأ القرآن ولم يتأثر، ذكر الله لم يتأثر، صلى لم يتأثر، في عنده مشكلة مع الله كبيرة جداً، ديننا مبني على الحب، الإنسان بالحب يبذل روحه، أحد الأعراب آمن، ودخل مع النبي في غزوة، وحدث النصر، فأعطوه غنيمة قال: ما هذه ؟ قالوا: هذه غنيمة، قال: ما على هذا أسلمت، أنا أسلمت على الذبح، الشرط أن يموت في سبيل الله، في المعركة الثانية ذبح، قتل، فبلغ النبي ذلك، فبكى، قال: هو هو، قالوا: هو هو. أما نحن ماذا قدمنا ؟ نحن محمولين، مرتاحين، نأتي على الجامع مرتاحين، كان سيدنا ياسر يعذب، سيدنا بلال يوضعوا صخرة على صدره وهو يقول: أحد أحد، فلذلك:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

( سورة المائدة: من آية " 54 )

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (085 - 127) : قصة أصحاب الأخدود

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-07-2000

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، من علامات التوفيق في حياتك الدنيا، أن تتظر لمن هو أدنى منك، فهذا أحرى بك، أن لا تحتقر نعمة الله عليك، أن تتظر لمن هو أدنى منك في شتى المجالات، يعني، أهدنا يأتي إلى المسجد، ويصلي، ويستمتع لدرس علم، ولا شيء عليه، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، فأصحاب النبي ﷺ، شكوا له مرة، ما ألم بهم من ضيق، فذكر لهم النبي عليه الصلاة والسلام قصة أصحاب الأخدود،

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)﴾

[سورة البروج]

يعني أحيانا، الذنب الوحيد الذي يُؤخذ به الإنسان، ويستحق أن يقتل، أنه آمن بالله، يعني، الإنسان، هناك نعم، لا تُعد، ولا تُحصى، أنك مؤمن، وتصلي، وتصوم، وتحج البيت، وزوجتك محببة، وأنت آمن في بيتك، آمن في بيتك، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، ونحن الآن في بلاد كثيرة لا تستطيع أن تدخل المسجد، ولا أن تحضر مجلس علم إطلاقا، أنا أذكركم بنعمة الله الكبرى عليكم، أن تأتي، تستمع إلى درس علم، تستمع إلى آيات الله تتلى عليك، تستمع إلى حديث رسول الله يُسرُّ لك، تصلي وأنت مطمئن، يعني، بالتاريخ القريب، وليس البعيد، بتركية، من وُجد معه مصحف، يقتل، مثلا، يعني، قصص لا تعد ولا تحصى من قصص الضغط على

المسلمين، فإذا كنت آمنة في سربك، معافا في جسمك، عندك قوت يومك، فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها، أنا أريد من خلال هذا الدرس أن تقدروا نعمة عبادة الله، نعمة عبادة الله، النبي عليه الصلاة والسلام فسر في الصحاح، في البخاري ومسلم والكتب الصحيحة، فسر الآيات المتعلقة بأصحاب الأخدود، فقال عليه الصلاة والسلام: كان ملك من الملوك، وكان له كاهن يكهن له - هذه القصة رواها النبي عليه الصلاة والسلام بألفاظها، كان ملك من الملوك، وكان له كاهن يكهن له - بالمناسبة، لما ربنا عز وجل، ذكر فرعون، قال:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)﴾

[سورة القصص]

وكل إنسان أعان إنسانا ضالا، فله الإثم نفسه، يعني من عظمة هذا الدين، أنه من يشفع شفاعة حسنة، يكن له نصيب منها، إذا أنت ساهمت في هداية إنسان، كل أعمل هذا الإنسان الصالحة في صحيفتك، كل فضائله في ميزان حسناتك، كل أعماله الجليلة في حوزتك يوم القيامة، لأنك ساهمت في هدايته، أي شفعت له شفاعة حسنة، دللته على الله، دللته على الخير، أعنته على طاعة الله، مسكته بالكتاب، حبيته بالمسجد، حملته على الإستقامة، شجعته على العمل الصالح، فكل أعماله الصالحة، هو وذريته من بعده إلى يوم القيامة، في صحيفتك أرايت إلى هذا الكرم الإلهي؟ يمكن أربح تجارة على الإطلاق، التجارة مع الله، على الإطلاق يعني، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

هنيئاً لمن كانت مفاتيح الخير على يديه، هنيئاً لمن استخدمه الله في الخير، هنيئاً لمن جعل الله تعالى حوائج الناس عنده، هنيئاً لمن كان مصدر خير للناس، مصدر رحمة للناس، مصدر خير للناس، هكذا الدنيا، من يشفع شفاعة حسنة، يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعة سيئة قال لك: ماذا أفعل له، والله معي قرشين، قل له والله الآن أكثر شيء الملاهي شغالة، يقول لك ملهى وتربح أرباحا طائلة، كل هذه المعاصي، أنت قلت كلمة، تكلمت كلمة، أقنعته، أن الآن الأمور، التجارة التقليدية واقفة، أما تجارة السياحة، والملاهي، والنوادي الليلية، والمطاعم المتقلبة، هذه ممتازة، فأنشأ ملهى، أقام مقصفا، جمع، فكل هذه الأعمال التي تمت في هذا المقصف، وفي هذا الملهى، وكل أنواع المعاصي التي ارتكبت في هذا الملهى، في صحيفة، لا الذي أنشأه بل الذي أشار عليه أن

ينشئه، من يشفع شفاعه حسنة، يكن له نصيب منها، ومن يشفع شفاعه سيئة يكن له كفل منها، أنتبه، عد للمليار قبل أن تدلّ إنسانا على معصية، أو على كسب غير مشروع أو على عمل لا يرضي الله، أو على علاقة مشبوهة، إحرص أن لا تتطرق بكلمة تسبب مخالفة، أو انحراف، أو تقصير، أو محبة للدنيا، فهذا الملك الظالم كما روى النبي، النبي عليه الصلاة والسلام يحدثنا، كان عليه الصلاة والسلام، بالتعبير المعاصر، كان متحدثا لبقا، مصطلح ثابت في علم النفس، متحدث لبق، فشرح النبي عليه الصلاة والسلام لنا قصة أصحاب الأخدود، الله عز وجل قال:

﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿7﴾﴾

[سورة البروج]

يعني أنت ماذا تحملت في سبيل الدعوة، يعني، الآن يقول لك كان لنا ملتقى، قمنا بنزهة، حتى نسمع الناس الحق، الإنسان الآن يُغرى بنزهة بوليمة، حتى يسمع كلمتي حق، كان من كان قبلكم يُنشر بالمناشير ليرجعوا عن دينهم، ماذا تحمل أصحاب رسول الله؟ تحملوا الشيء الكثير، ألم تقم حروب، وضعوا أنفسهم على أكفهم؟! ضحوا بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس، فيا أيها الإخوة الكرام نحن مع قصة رواها النبي عليه الصلاة والسلام، عن أصحاب الأخدود، لأن هؤلاء الذين وضعوا في الأخدود، وحرقوا بالنار، لهم ذنب واحد هو أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، فقط، هذا أكبر ذنب عند الطغاة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام هذا الحديث الطويل، موجود في الصحاح كلها، وقد شرح به عليه الصلاة والسلام قصة أصحاب الأخدود، فقال: كان ملك من الملوك، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له، يعني يسمونها المنطلقات النظرية، الإنسان يحتاج إلى من يدعمه بالفكر أحيانا، يعني كل إنسان، طبيعة الإنسان، يحتاج إلى دعم فكري، ماذا قال فرعون:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)﴾

[سورة غافر]

ما من إنسان إلا يعبر عن واقعه بكلام مقبول، لأن الإنسان منطقي، واحد يغش الناس، إسألته، لماذا تفعل هذا ؟ يقول لك، يا أخي، الزمن صعب، أنا عندي أولاد، هذه بلوى عامة صارت، يعطي تبريرات، طبعاً غير مقبولة إطلاقاً، لكن ما يوجد إنسان، يرتكب معصية، ولو جهاراً إلا يغطيها بكلام معسول، يعني، إذا أحب أن يعمل اختلاطاً، يقول لك المرأة نصف المجتمع، ينبغي أن لا تحبسها، أنت تستمتع بها لكن أنت تجعلها في الوحل، من أجل شهوتك فلذلك أيها الإخوة، هذا الملك، كان ملكاً من الملوك وكان لذلك الملك كاهنٌ يكهنُ له فقال الكاهنُ: انظروا لي غلاماً فهما-يريد غلاماً ذكياً، فطنا، سريع الفهم، سريع التعلم، - أو قال فطناً لقناً- بالرواية فهما، أو كان فطنا، أحد كتاب الأدب له تعبير لطيف، قال لي صديق، كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني، صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً عن سلطان الجهالة، فلا يتكلم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا تكلم بنى القائلين، وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جد الجد، فهو الليث عاديًا، وكان لا يُدلي بحجة إلا إذا رأى قاضياً فهما، فهم يعني سريع الفهم، وشهوداً عدولاً، -، لقنا ألقنه أي يتعلم عن طريق التلقين - فأعلمه علمي هذا فإني أخاف أن أموت - الكاهن حريص على أن تستمر هذه الكهانة والتدجيل من بعده، يعني تجد إنساناً متقلتا، يتمنى أن يكون ابنه متقلتا مثله، فإذا تاب إلى الله عز وجل، يتمنى أن يكون ابنه مثله، إن الطيور على أشكالها تقع، والله عز وجل أحياناً، هؤلاء الدجالون، هؤلاء السحرة، المشعوذون، قد يأتيهم رزق وفير، فخرق العادات على يد المنحرفين، ضلالات، وخرق العادات على يد المؤمنين الصالحين كرامات، وخرق العادات على يد الأنبياء والمرسلين معجزات، فأنت بين معجزة، وبين كرامة، وبين ضلالة، إلا أن المعجزة، أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يتحدى بها الناس، لأنها دليل أنه رسول، بينما الكرامة، هذا إشعار لك فيما بينك وبين الله أن الله يحبك، واسمعوا ماذا سأقول، والله أيها الإخوة، والله ثم والله، ثم والله، ما من مؤمن على وجه الأرض يخطب ودَّ الله، بعمل بخدمة، بطاعة، بإنفاق، ببذل، بنصيحة، بتواضع، بأنه يرحم الناس، إلا أشعره الله فيما بينه وبينه بطريقة أو بأخرى، أنه يحبه، يعني أنت مشدود للدين لا لأن الدين منطقي فقط، هو الدين منطقي، الدين قد ذلك تفسيراً كاملاً للكون والحياة، الدين جعلك متوازناً، الدين أعطاك المركز القيادي في الحياة، الدين جعلك الإنسان الأول، الدين أعطاك تفسيراً متكاملًا، متناسقًا، توجد موت، إذا واحد غير مؤمن، هناك مشكلة، مشكلة غير معقولة، يعني قبل يومين حدثني أخ، إياكم أن تفهموا مني إلا الذي أريد أن أقوله لكم، أخ يعتني بجسمه عناية، من عشرين سنة، ما ترك المشي يوماً، ولا ترك السباحة يوماً، ولا يوماً، مشي وسباحة، وكلما جلس في مجلس،

كل قليلا، كل خضرا، كل فواكهها، كل خبز نخالة، اعتن بصحتك، اعمل رياضة، امش، اسبح، هذه دعوته الوحيدة، ما عنده موضوع غيرها، من يومين ثلاثة، رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جنته، بالمسبح، سلت، تحرك حركتين، انتهى، وافاه الأجل، يوجد طبيبي قلب، ما لحقاه، ما هذه الحياة؟! إنسان يغادر الحياة خلال أربعة دقائق، مباشرة، خلاص انتهى، مغادرة بلا عودة، طيب، أهله لم يروه، يا ترى هناك حسابات؟ هناك علاقات؟ هناك أشياء باسمه مسجلة، خلاص انتهى، هذا الشيء، يعني بهذا الشهر زمان، أخوان كريمان بهذه الطريقة ماتوا، بأربع دقائق كان منتهيا، لا يشكو شيئا، على الإطلاق، أخ ثان عنده دعابة، قاعد بسهرة، قال أنا ستطول بي الحياة، لماذا يافلان؟ قال: أنا أكلي قليل أولا، وأمشي، وأنا لا أحمل نفسي الهموم، كله كلام علمي، هذه أسباب طول الحياة، أكله قليل، رشيق، لا يدخن يمشي، رياضي، لا يحملها، قال هذا الكلام في جلسة يوم السبت، السبت القادم كان تحت الأرض، مدفونا، معنى ذلك أنه إذا واحد ما آمن بالآخرة عنده مشكلة كبيرة، يوجد اختلال توازن، يعني، الآن الواحد حتى يستقر، يكون عنده دخل معقول، يركب مركبة، يسكن في بيت ملك، يجد زوجة في بيته، مثلا، يجد له ولدين ثلاثة، يموت مليون موة حتى يصل، بالخمس والأربعين استقر وضعه، بالخمسين، بقي له عشر سنوات، بعد العشرة، شرف، الآن امش، قضية المغادرة قضية مخيفة جدا، ممكن يغادر بثانية، نعم، إذا من دون إيمان، الإيمان قدم لك تفسيراً منطقياً، أنه توجد حياة دنيا، دار عمل، وتوجد آخرة أبدية، دار جزاء، هنا المهم أن تعمل، الآخرة المهم أن تستمتع، بجنة عرضها السماوات والأرض، فأنت مشدود للدين، لا لأن الدين منطقي فقط، لأن الله عز وجل عاملك معاملة رائعة جدا، ذابت نفسك محبة له، قال لي واحد من مدة: كيف أثبت على هذا الطريق؟ قلت له: والله إذا واحد فتح محلا تجاريا، وكل يوم مبيعاته مليون ليرة، وريحه بالمائة خمسين، معقول أن يترك هذا العمل؟! !

إذا قال لك كيف أثبت على هذا العمل؟ هذا كلام غير منطقي، مادام يوجد ربح أكيد، وغلة عالية جدا، وأرباح بالمائة خمسين، وعندك دخل فلكي، كيف تترك؟ تتشبت بهذا العمل تشبثا عجيبا، إذا وَكَانَ لِدَلِكِ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَكْفُهُ لَهُ فَقَالَ الْكَاهِنُ: انظُرُوا لِي غُلَامًا فَهَمَا فَأَعْلَمَهُ عِلْمِي هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ

فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ - كثير من الحرف مبنية على الدجل، مبنية على الكذب، وأنا أنصح الإخوة الكرام، قضية فك السحر، وقضية شيخ يطالع الجني من الإنسان، هذه قضايا كلها خرافات في خرافات، ليس معقولا أن الإنسان أن الله عز وجل، في موضوع خطير كهذه الخطورة ألا يكون له تشريع، قال

## ﴿وَأَمَّا يُنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة الأعراف]

استعذ بالله بقلب حاضر، أما أنه يوجد دجالون، وأناس يعيشون على الخرافات والأباطيل والأوهام، قال: فَتَنْظُرُوا لَهُ عَلَى مَا وَصَفْتَ-وجدوا غلاما على ما وصف، فهما، فطنا لقنا، - فَأَمْرُوهُ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْكَاهِنَ-أي يأتي إلى بيته - وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ. فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ-غلام ذكي جدا، يعني الإيمان يحتاج إلى ذكاء، سيدنا سليمان، لما أراد أن يهدي الملكة بلقيس، ماذا فعل ؟ امتحن ذكاءها، جاء بعرشها من اليمن، وغير تغييرا بسيطا، قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو، إجابة رائعة، إذا كان هو قالت كأنه هو، وإن لم يكن هو، كأنه لا تعني أنه هو، وإذا أصابه تبديل، كأنه هو، يعني يحتمل كلامها ثلاث حالات، فالإيمان يحتاج إلى فطنة، نعم، واحد قام على المنبر يخطب، ومتحمس كثيرا، ردد قول خبيب، قال: ولست أبالي حين أقتل مسلما، على أي جنب كان في الله مصرعي، قالوا له إنزل، ولست أبالي حين أقتل مسلما هذا في النار خالدا مخلدا صار، هي البيت، ولست أبالي حين أقتل مسلما، على أي جنب كان في الله مصرعي، مسافة كبيرة جدا، بين أن تقول ولست أبالي حين أقتل مسلما، على أي جنب كان في الله مصرعي، وبين أن تقول ولست أبالي حين أقتل مسلما، على أي جنب كان في الله مصرعي، يعني كثير من القصص والنوادر أن الدعوة تحتاج فطنة، تحتاج ذكاء، تحتاج حكمة، والنبي عليه الصلاة والسلام طلب النخبة، قال: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين الإنسان المتفوق يحمل معك، أما هناك شخص أنت تحمله، الصحابة حملونا، يعني والله مقام أبي أيوب الأنصاري في استنبول، يعني سبحان الله، من أين جاء هذا الصحابي الجليل، عمره ثمانون سنة، من أقاصي الدنيا، كم كيلومترا، بين مكة والمدينة وبين استنبول حتى هذا البلد ينعم بالإسلام ؟ أربع وثمانون مليون مسلم، في استنبول عشرة آلاف مسجد، عشرة آلاف مسجد باستنبول، وكلها تؤذن باللغة العربية، وكأنك في الشام، نعم، فوجدوا غلاما ذكيا، لقنا، فطنا ليتعلم هذا العلم من الكاهن، الذي هو أساس ملك هذا الملك الشديد، - وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْعُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ . قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسَبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمَنِيٍّ مُسْلِمِينَ-يعني كلمة مسلم لاتعني أن دينه الإسلام الآن، يعني الأنبياء جميعا مسلمون، كل إنسان خضع لمنهج الله فهو مسلم، لذلك توجد آيات، حصرا، الأنبياء الذين ذكروا في القرآن واحدا واحدا، هناك آية تؤكد أنه كان مسلما، وأنا أول المسلمين، فالإسلام بالمعنى الواسع، كل إنسان استسلم لله،

وخضع لله، فهو مسلم، فيروي هذا الصحابي الجليل أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين يعني أناس أتقياء عرفوا الله، وانقطعوا إلى صومعتهم يعبدون الله عز وجل، - . قال: فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ - توجد على الطريق صومعة لراهب، هذا الغلام فطن ذكي، بدافع حب الفضول، يعني، دخل عليه، استأذن منه، سمع منه كلاما آخر، كلام الباطل كله دجل، كلام مضحك، كلام بلا دليل، كلام بلا تعليل، كلام غير متماسك، كلام سطحي، كلام فيه مبالغات، أما اجلس مع إنسان مؤمن، كلام منطقي، كل قضية ودليلها، والحادثة ينبأ بها، يبدو أن هذا الغلام، طرب طربا لا حدود له لكلام هذا الراهب، صار له جلسة مع ساحر، كاهن، وجلسة مع راهب، والفرق مئة وثمانون درجة، أنا أقول لك كلمة، أكبر إنسان يخدم الدعوة، هو الإنسان الضال، تجد إنسانا قدرا مزاحه منحط أمانته مشكوك بها، كلامه كذب، نظراته شهوانية، تعليقاته لازعة، أناني، وصولي، منافق، متعجرف، أنت توازن موازنة طبيعية مع مؤمن، تجد أنه لا يوجد مثله، يعني أكبر شيء يخدم المسلم هو الطرف الثاني، من خلال موازنة بسيطة، تجد أن المسلم متألق، والكافر في الوحل فهذا الغلام صار يسأل ذلك الراهب، كلما مر به، فلم يزل به حتى أخبره، فقال: إِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ، - فالملك كان يُعبد من دون الله، ألم يقل فرعون: ما علمت لكم من إله غيري، ألم يقل فرعون: أنا ربكم الأعلى، فهذا الغلام فطن، فعند الكاهن الإله هو الملك، وعند الراهب الإله هو الله، - قال: فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَمْكُتُ عِنْدَ الرَّاهِبِ وَيَبْطِئُ عَلَى الْكَاهِنِ، - ذلك لم يعجبه، أكثر وقته مع الراهب، أقل وقته مع الكاهن، - فَأَرْسَلَ الْكَاهِنُ إِلَى أَهْلِ الْغُلَامِ إِنَّهُ لَا يَكَادُ يَحْضُرُنِي - فعاقبه أهله - فَأَخْبَرَ الْغُلَامُ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فقال له الراهب: إِذَا قَالَ لَكَ الْكَاهِنُ أَيْنَ كُنْتَ فَقُلْ: عِنْدَ أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ لَكَ أَهْلُكَ أَيْنَ كُنْتَ فَاجْبُرْهُمْ أَنَّكَ كُنْتَ عِنْدَ الْكَاهِنِ، - فلما الكاهن أخبرهم، انكشف الأمر، فإذا تأخر عن الكاهن، يعاقبه أهله، يعني، أنا أقول لواحد: أنت حتى عرفت الله ماذا دفعت ؟ أيام يكون فيه شدة شديدة، أيام يكون فيه أب ظالم، لا يسمح لك أن تحضر درس علم، لا يسمح لك، الأسر المتقلة، إفعال الموبيقات كلها، الإبن معزز مكرم، لما يتوب إلى الله، فيغض بصره، يقام عليه النكير، هذا من علامات انحراف المجتمع، فصار إذا تأخر عند الكاهن يُحاسب، وإذا تأخر عند الراهب، يُحاسب،

قال: فَبَيْنَمَا الْغُلَامُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ - في أثناء الطريق، هو لا يزال محتارا، هذا يقول الملك إله، وهذا يقول الإله خالق السماوات والأرض، لا يزال لم يأخذ قرارا لكن كلام الراهب منطقي، وكلام الكاهن غير منطقي، - كَثِيرٌ قَدْ حَبَسَتْهُمْ دَابَّةٌ - يعني وحش كاسر واقف في مكان قطع الطريق ممر إجباري بين بلدين، واقف وحش مخيف يعني فالناس خافوا، هذا الغلام يبدو على اتصال بالله شديد، -، فقال بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ

الدَّابَّةَ كَانَتْ أَسَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ الْغُلَامُ حَجْرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الرَّاهِبُ حَقًّا فَاسْأَلْكَ أَنْ أَقْتُلَهَا، - قال له يا رب دلني بك عليك، إذا كنت تعلم أن هذا الراهب يقول حقا، وأنت أنت خلقت السماوات والأرض، فممكنني من قتل هذه الدابة، - قال: تَمَّ رَمَى فَقَتَلَ الدَّابَّةَ، - فالناس فرحوا فرحا شديدا أنظر الإنسان، أحيانا يوظف نجاحه لذاته، وهذا شرك بالله، وأيام يوظف الإنسان نجاحه للدعوة، لله، كثير من الأشخاص، يُوفِّقون في عمل، هذا من خبرات متراكمة، يقول لك، قل توفيق الله عز وجل، بيّن للناس أن هذا النجاح بسبب طاعتك لله عز وجل، أعز هذا النجاح إلى الله، أنت عبد، فهذا الغلام، قال له يا رب: إن كان كلام الراهب حقا، وأنت خالق السماوات والأرض، وأن هذا الملك يقول باطلا، وأن هذا الكاهن، يعني، يعينه على كفره، فممكنني من قتل هذه الدابة، فألقى عليها حجرا أصاب مقتلا من مقاتلها فماتت، فكبر الناس، وعلموا أنه بدعاء رب السماوات والأرض، صار فيه فرح، فرح جديد، عند الناس كلهم، أنا ربحكم الأعلى، الملك، الآن توجد قرية، شاهدوا بأعينهم، كيف أن غلاما دعا الله، قال يارب، إن كان كلام الراهب حقا فممكنني من قتل هذه الدابة، - هذه قصة رواها النبي عليه الصلاة والسلام، - فقال النَّاسُ مَنْ قَتَلَهَا قَالُوا الْغُلَامُ، فَفَزِعَ النَّاسُ فَقَالُوا قَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ، قَالَ فَسَمِعَ بِهِ أَعْمَى فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَدَدْتَ بَصْرِي فَلَكَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ لَهُ: لَا أُرِيدُ مِنْكَ هَذَا وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ بَصْرُكَ أَنْتُمْ بِالَّذِي رَدَّهُ عَلَيْكَ؟ - يعني وظف كل إمكاناته في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، قال: نَعَمْ قَالَ: فدعا الله فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصْرَهُ - فالأعمى صار عنده يقين قوي بصحة عقيدة هذا الغلام، وهناك رواية أخرى أن هذا الأعمى كان وزيرا للملك، فلما علم أن هنالك غلاما يشفي الأمراض المستعصية، أتاه، قال له: أنا لا أشفيك أنا عبد ضعيف، ولكن أدعو الله لك، قال له أدعو الله لك خالق السماوات والأرض، فإن شفاك الله ينبغي أن تؤمن، فهذا وزير الملك، لما دعا له الغلام آمن برب السماوات والأرض، ذهب إلى الملك، قال له أنت لم ترد علي بصري، لكن رب هذا الغلام رد لي بصري، فأنت لست إليها، فصار عند الملك مشكلة، صار في أهل القرية طرح خلا ف طرحه، و صار هناك إنسان شفاه الله من العمى، وبدأت تجري على يديه خوارق، لكن هذا الغلام يعزوها إلى الله عز وجل، أبرئ الأكمه والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله، والمؤمن دائما يرجع أعماله الصالحة إلى توفيق الله وإلى حفظ الله، قال له إن رجعت إليك بصرك، يجب أن تؤمن بالذي رده إليك، قال له نعم، فدعا الله، فرد الله عليه بصره، فآمن الأعمى، فَبَلَغَ الْمَلِكُ أَمْرَهُمْ. فَبِعَثَ إِلَيْهِمْ فَأَتَيْ بِهُمْ فَقَالَ: لِأَقْتُلَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لَا أَقْتُلُ بِهَا صَاحِبَهُ، فَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ - جاء بالغلام، مازال يعذبه حتى أقر من شدة التعذيب بالراهب، جاء بالراهب، وجاء بالأعمى، وجاء بأهل القرية، - وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ عَلَى مَفْرَقِ أَحَدِهِمَا فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ الْآخَرَ

بِقَتْلِهِ أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغُلَامِ -يعني قتل كل واحد، الراهب قتله بالمنشار، والأعمى وزيره قتله، وكل من آمن برب هذا الغلام قتله، قد تستغربون هذا الكلام، لكن يعني، التاريخ الحديث في بلد من إفريقيا، جُمع علماء هذا البلد، وأحرقوا بالنار، في ساحة المدينة الكبرى، هذا شيء ثابت قبل عشر سنوات وقال الذي أحرقهم، سأصحح القرآن بالقلم الأحمر، ونحن والحمد لله هذه من نعم الله الكبرى، تصلي، وتصوم، وتأتي مجالس العلم، وأنت في راحة كبيرة، هذه نعمة لا يعرفها إلا من فقدها، هذا الغلام، طبعاً قتل كل من آمن برب الغلام، بقي الغلام، فقال: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَأَلْفُوهُ مِنْ رَأْسِهِ،- الآن الله عز وجل تدخل، فانْطَلِقُوا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَلَمَّا

انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يُلْفُوهُ مِنْهُ جَعَلُوا يَتَهَفَّتُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَيَتَرَدَّدُونَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْغُلَامُ. قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْبَحْرِ فَيُلْقُوهُ فِيهِ فَيَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى الْبَحْرِ فَعَرَّقَ اللَّهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَأَنْجَاهُ -يعني هذا الغلام صار عقدة كبيرة جداً، ليس هناك طريقة، حاول الملك أن يقتله بها إلا نجا، والذين أمرهم به هم الذين يهلكون، فقال الْغُلَامُ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي حَتَّى تَصْلُبُنِي وَتَرْمِينِي وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَصَلِبَ ثُمَّ رَمَاهُ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ هَذَا الْغُلَامِ.

قَالَ: فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صَدْغِهِ حِينَ رُمِيَ ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ أَجَزَعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةَ فَهَذَا الْعَالَمِ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، قَالَ: فَخَذَ أَخْذُودًا ثُمَّ أَلْقَى فِيهَا الْحَطَبَ وَالنَّارَ ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنِّ دِينَهُ تَرَكْنَاهُ وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ، فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأَخْذُودِ. قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ:

﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)﴾

[سورة البروج]

((قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ حَتَّى بَلَغَ {الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} فَأَمَّا الْغُلَامُ فَإِنْتَهُ دُفِنَ، قَالَ فَيَذَكُرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِصْبَعُهُ عَلَى صَدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ))

[رواه الترمذي]

الإنسان أحيانا يضحي بنفسه من أجل إثبات حقيقة، أو من أجل تحجيم عدو، فهذه القصة التي وردت في الصحاح، والتي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، في كتب الحديث، هذه قصة تؤكد أن الإنسان حينما يؤمن، يجب أن يوطن نفسه على الابتلاء، الإمام الشافعي سئل، أندع الله بالابتلاء أم بالتمكين؟ فقال: لن تمكن قبل أن تبثلي. أنا لا أريد أن تفهموا من كلامي أن الإنسان سوف ينشر بالمناشير، هذه تحتاج إلى إيمان كبير جدا، ولكن، يعني إذا كان شيء من المتاعب، إذا كان ضايقوا الشاب لأنه التزم بدينه، معقول الشاب، لأدنى مضايقة، يترك؟ لا قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)﴾

[سورة الحج]

فالبطولة، لا أن تعبد الله على حرف، أن تعبد الله في المنشط والمكروه، وأن تعبد في إقبال الدنيا وإدبارها، وأن تعبد قبل الزواج، وبعد الزواج، وأن تعبد قبل أن تؤسس عملا، وبعد أن تؤسس عملا، وأن تعبد والدنيا مقبلة عليك، وأن تعبد والدنيا مدبرة عنك، فأما الذي يعبد الله في الرخاء فقط، هذا يعبد نفسه، ليس من إنسان في الرخاء إلا تجده حامدا شاكرا، يقول لك حامدينه، شاكريه، لكن ليس هناك التزام، أما إذا جاءت الأمور على غير ماتريد، يبدأ الضجر، ويبدأ القلق، وما إلى ذلك، فطبعا هذه القصة، وإن كان تصورهما صعبا جدا، أن الإنسان لأنه آمن بالله العزيز الحميد، ينشر بالمناشير ويحرق في الأخدود، ولكن إذا أهل ضايقوا شابا لأنه التزم، معقول أن هذه المضايقة البسيطة تصرفه عن الدين، أنا أقول لكم قصة هذه تؤلمني كثيرا، يعني أخ يكون غير ملتزم، هذا الجامع مفتوح، بابه مفتوح، أي إنسان يدخله، أي إنسان كائنا من كان، يجوز الجامعة، هناك تسجيل، هناك شهادات، هناك امتحان مقابلة، هناك شروط قبول، الجامعة ترتيب آخر، أما الجامع، هذا فيه عينات عشوائية من المجتمع، لو فرضنا إنسانا أساء لك في هذا المسجد، قد يأتي إنسان إلى هنا وليس فيه جنس الدين وقد يكون إنسان منافق كبير، وقد يكون إنسان وصولي، فإذا أساء لك إنسان، خلاص ترك الجامع، هناك واحد لا أستطيع أن أنظر إليه، معقول إنسان دخل كلية الطب مثلا، ومعلق آمالا على هذه الكلية، سيغدو طبيبا لامعا، ولأن طالبا من طلاب هذه الكلية أساء إليه، ترك هذه الكلية، يكون أحمقا، يا بني، أنا زعلتك، قال لا أستاذ، أنت ما حكيت ولا كلمة، هناك واحد زعلني أستاذ، لن احضر خلاص، مادام هو بهذا الجامع أنا لن

أحضر، والله شيء مضحك، حتى لا ينظر إليه فقط، هناك إنسان لأدنى سبب، لأدنى شبهة، تجده ترك الحق،  
إسمع الآية:

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)﴾

[سورة البروج]

مرة اللهم صل عليه ذكر أن صحابيين وقعا في أسر مسيلمة الكذاب، مسيلمة الكذاب قال لأحدهما أتشهد أني رسول الله؟ قال ما سمعت شيئا، فقتله، جاء للثاني، قال أتشهد أني رسول الله؟ شهد له، خاف، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: أما الأول فقد أعز دين الله فأعزه الله، وأما الثاني فقد قبل رخصة الله، شايف عظمة الإسلام، ما حملك فوق طاقتك، لو فرضنا أن أصحاب الأخدود آمنوا بأن الملك ربهم، يجوز أنه بالحكم الشرعي لا شيء عليهم، لكن كانوا أبطالاً، اعزوا دين الله فأعزهم الله، أنا مرة ذكرت أنه في عصر الدول المتتابعة كان هناك ملك ظالم، أراد أن يقهر العلماء، فجاء بلحم خنزير، وأمرهم أن يأكلوه، وكل من لم يأكل قتله، كلهم أكلوا طبعاً، واحد من العلماء الكبار ورع جداً، فمن شدة هيئته، ومكانته الكبيرة في المجتمع، خادم الملك، قدم له لحم ظأن، قال له ياسيدي هذا ليس بلحم خنزير، فقال له العالم ولكنه عند الناس لحم خنزير، ولم يأكل فقتله، أحياناً الإنسان يضحي بحياته، لكن يكون درساً كبيراً جداً للناس، هؤلاء ضحوا بحياتهم، ولكنهم كانوا مثلاً أعلى لكل الذين تحملوا الضغط، في سبيل عقيدتهم.

يعني كتعليق على هذا الدرس، وطن نفسك أن تحمل هم المسلمين، وطن نفسك أن تتحمل في سبيل الله الشيء الكثير، وطن نفسك أن الحياة ليست مزرعة ورود، والحياة فيها متاعب، ولما الإنسان يأخذ طريق الهدى، هناك خصوم، هناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل، هذه المعركة أرادها الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

[سورة الأنعام]

ليس من دعوة صادقة إلا لها خصوم، فلو كان الأمور يعني سهلة جدا، ليس هناك جنة أساسا، تصور أن الله عز وجل جعل الكفار كلهم بأمريكا، وجعل الشرق كله مؤمنين، لا فيه معركة خندق، ولا فيه أحد، ولا فيه بدر، ولا فيه هجرة، ليس هناك شيء، الأمور كلها سهلة لم يعد هناك جنة، فهناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل، والمؤمن لا يرقى إلا بتحمل قرار بطولي، أنت آمنت بالله، هذا قرار بطولي، أحيانا هذا الإيمان بالله يمنحك أن تأكل مالا حراما، قد يأتيك عرض مغر جدا، تقول معاذ الله، واحد مثلا، طالب طب تخرج حديثا، أخذ شهادة، عينوه طبيبا شرعيا، هناك جريمة قتل، هذا المقتول ترك مائتي مليون، قال له خذ خمسة ملايين، وقل وفاة طبيعية، والله شيء مغر، خمس ملايين، عشر ملايين، بيت ما عنده تحل كل المشاكل عشرة ملايين، قال لا معاذ الله هذه جريمة قتل، فشوف، أيام الإنسان هناك امتحانات صعبة جدا، حكى لي مهندس، أن هذا الإسمنت، السننيمتر مكعب، يتحمل خمسمائة كيلو، ضغط، مع الشدّ على خمسة كيلو غرامات يقطع، فالإسمنت يتحمل ضغطا مخيفا، خمسمائة كيلو غرام يحملها سننيمتر مكعب واحد، أما لو شددت هذا السننيمي، بخمسة كيلو غرامات، يكسر كل طبخة إسمنت، يعيرون قوى الشد، الطبخة ناجحة جدا، ستة كيلو غرامات، الطبخة فيها خلل، ثلاثة كيلو غرامات، أنا أقول كل مؤمن، ينكسر على شيء، على إغراء معين أو على ضغط معين، فكلما كان إيمانك قويا، لا تكسر لا على سياط الجلادين اللاذعة، ولا على سبائك الذهب اللامعة، سبائك الذهب اللامعة إغراء، وسيط الجلادين اللاذعة، أحدّ أحد، هذا تخويف، ضغط، فكل مؤمن، معرض لضغط، أو معرض لإغراء، فبطولته، أن يتماسك، أمام الضغط، وأمام الإغراء، أما أنه مؤمن، لا ضغط، ولا إغراء، طول حياته، للجنة، هذه مستحيلة، والدليل قوله تعالى:

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُنْزَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة العنكبوت]

سنة الله في الخلق أن يمتحن المؤمن، وأحيانا ربنا عز وجل يُفرز المؤمنين بهذه الطريقة، تأتي شدة، المؤمنون يُهرزون، حكى لي صديق كان بالقاهرة أثناء الزلزال، لما صار الزلزال هناك أطباء عملوا في المستشفى أربعة وعشرين ساعة، في إنقاذ الجرحى، وهناك أطباء ولّوا إلى الإسكندرية، مكان آمن، ترك رسالته، ترك مهمته، ونفذ بريشه، فمن دون زلزال لا تعرف من المخلص، كلهم يتكلمون كلاما طيبا، يقول لك نحن في خدمة المجتمع،

نحن جنود المجتمع، نحن رسل الصحة، ما دام ما فيه زلزال، الكلب يتبروز بالكلام، لأن الكلام سهل، لما صار الزلزال، الطبيب المخلص المؤمن، بقي في المستشفى، يخدم الجرحى كل الوقت، والطبيب الذي إيمانه ضعيف ولَّى هاربا إلى الإسكندرية، فالإنسان بالزلزال يُمتحن الإنسان، فدائما فيه فرز عند الله عز وجل، الفرز يكون بالشدة أياما، وأياما ليس بالشدة، الشيء المغربي كلهم جابوا صحونا، والله شيء يسلي، يعني، عندك مائتي محطة دجتل، مائتي محطة، فيفيه إغراء، وفيه ضغط، أنت ممتحن بالإغراء، وممتحن بالضغط، بالإغراء، ممكن تسقط في الامتحان، وبالضغط ممكن تسقط، فأنا ذكرت هذا الدرس، حتى يوطن المؤمن نفسه أنه أخذ قرارا بطوليا، وأخذ قرارا سيتيح له أن يكون من أهل الجنة إلى أبد الأبدين، فهذا القرار يحتاج إلى التحمل، فنحن الحمد لله ما أحد ذاق منا شيئا صعبا، نحن في بحبوحة، نأتي إلى الجامع، وإذا صار صاحب دين الناس يحترمونه، أحيانا زيادة، ليس هناك شيء، هذا الوضع المريح جدا، هناك ناس تركوه أيضا، تغريه بعزيمة، تغريه بسيران، تغريه يسمع كلمتين، تعطيه هدية، حتى يسمع، كان أصحاب النبي رضوان الله عليهم، يعني يتحملون من الشدائد ملا يحتمله إنسان، النبي الكريم قال:

(( لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال))

[ أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ]

وقال:

(( أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل [فالأمثل] يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاءه وإن كان في دينه دقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة))

[رواه ابن ماجه في سننه]

أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه القصة التي رواها النبي عليه الصلاة والسلام، شرحاً لأصحاب الأخدود، وأن تكون باعثاً لنا على أن يقوى عودنا وعلى أن تشد همتنا، وأن نتحمل بعض، يعني الابتلاءات، لأن الله عز وجل لا بد من أن يبتلي، إما أن يبتلي بالأشياء المحببة، أو بالأشياء غير المحببة، فإما هناك ضغط، أو هناك إغراء، والمؤمن متماسك أمام الضغط، وأمام الإغراء

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 086 - 127 ) : من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-2000

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا في برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام:

بعض من وصايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقع تحت يدي كتاب عنوانه مئة وصية ووصية من وصايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حينما يكون الموصي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالأمر يأخذ مأخذاً آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:

يا أبا ذر أحكم السفينة، فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، واخلص العمل فإن الناقد بصير.

الله ﷻ يقول:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً﴾

(سورة الكهف: 28)

ماذا يقابل

(( وكان أمره فرطاً ))

أمره محكم [يا أبا ذر أحكم السفينة] يعني أنت إن لم تكن سفينتك محكمة، يعني إن لم تكن عقيدتك متينة، إن لم يكن إيمانك قوياً، إن لم تكن مفهوماتك عن الدين صحيحة، إن لم تكن تصوراتك عن الحق واضحة، فمعنى ذلك أن الأمر ليس محكماً عكس المحكم " وكان أمره فرطاً " [ يا أبا ذر أحكم السفينة، فإن البحر عميق ] يعني الحياة فيها فتن، البحر عميق قد يغرق، الإنسان قد يغرق في فتنة، وقد يغرق في شهوة، وقد يغرق في حرفة، وقد يغرق في هوى، وإذا قال الله عز وجل:

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنَ فِي الْقُبُورِ﴾

(سورة فاطر : 22)

أي هذا الذي قبر في بحر شهواته، قبر في مصالحه، يعني منته همه الدنيا، منتهى آماله ومحط رحاله، فهو كأنه في قبر [ يا أبا ذر أحكم السفينة، فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل] يعني في إنسان مقاومته هشة، في إنسان مقاومته متينة، فكلما ازداد إيمانك كانت مقاومتك للشهوات قوية، لذلك الله عز وجل نعى على أهل الحرف الذين يعبدون الله على حرف فإذا أحكمت عقيدتك صح سلوكك ونجوت في الدنيا والآخرة، كلمة أحكم السفينة ؛ إن لم تكن محكمة غرقت بها، وإن لم تكن عقيدتك محكمة غرقت في بحر الشهوات وفي لذة المصالح والنزوات.

الفقرة الثانية من النصيحة: واستكثر الزاد فإن السفر طويل يعني حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، حتى المؤمن الذي نجى من عذاب النار لا يندم في أخرته إلا على ساعة مرت لم يذكر الله فيها. يعني أيها الأخوة الكرام: بصراحة واضحة يجب أن تسأل نفسك سؤالاً لا تخجل من أن يكون الجواب سلبياً، لأن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، ماذا قدمت بين يدي ربك يوم القيامة ؟ ما العمل الذي يمكن أن يعرض على الله ؟ ما في إنسان ما في عنده إمكانيات المشكلة الآن إنسان بلا عمل صالح، عمل يومي، كسب مال، وطعام وشراب، واستلقاء، ونزهة، وحل مشكلة، لكن ما في عمل هادف في إرضاء الله عز وجل، يعني أكاد أقول أن الإنسان الغربي إنسان بلا هدف هدفه الاستمتاع بالحياة، أما الإنسان المسلم إنسان ذو هدف، يعني لما ربنا عز وجل قال:

## ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

(سورة النساء: 104)

الكافر يعيش حياةً صعبةً، ويجهد نفسه، ويتعب قلبه، ولكن بلا هدف، أما المؤمن يرجو رحمة الله عز وجل، كل متاعبه أعمال صالحة كل جهوده درجات يرقى بها عند الله، بل إن عاداته تعد عبادات، أما عبادات المنافق تعد سيئات، فلذلك الله عز وجل يعني خلقنا في الحياة الدنيا للعمل الصالح.

لإنسان حينما يستيقظ ينبغي أن يفكر أنا ماذا فعلت اليوم، يوماً بيوم، ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فأني لا أعود إلى يوم القيامة، معنى ذلك أن كل يوم ينقضي هو بضع من الإنسان، جزء منك قد انقضى، لأنك في الأصل بضعة أيام، فهذا اليوم لو إنسان باع بمليون ليرة لا يعد عند الله رابحاً هو عند الله خاسر، لقوله تعالى:

## ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

(سورة العصر: 1 . 2)

هناك إنجازات يعرفها الناس، اشترت بيت، أخذت وكالة شركة حققت أرباح، الله ﷻ يقسم بمطلق الزمن إن الإنسان لفي خسر لأن مضي الزمن يستهلكه، متى تربح؟ إذا أنفقت الزمن في العمل الصالح أما حينما ينفق الزمن في المباحات أنت خاسر، يعني دقق ما معنى إنفاق استهلاكي، إنفاق استثماري، واحد راح نزهة ونزل في فندق هو وزوجته وأولاده، قضى أربع أو خمسة أيام، يعني غرف جميلة ومناظر خلابة وطعام طيب، وسبح، وانتهت الخمسة أيام، وطلب الفاتورة 130 ألف هذا المبلغ إذا دفعه هل يرجع، خلص، هذا اسمه إنفاق استهلاكي، أما إذا دفع 130 ألف لشركة استثمارية تعطي أرباح مذهلة، أصل المبلغ محفوظ وهناك أرباح طائلة تتأتى من هذا الأصل، فلما عد 130 ألف لشركة استثمارية، ودفع هذا المبلغ لها، هذا اسمه إنفاق استثماري، فأنت إما أن تتفق الوقت إنفاقاً استهلاكياً، بأن تأكل وتشرب وترتاح، كالنموذج الغربي تماماً، الإنسان الغربي إنسان استمتع ما له هم أبداً، همه بيت فخم مسبح، حمام من مستوى راقي جداً، رياضة من أجل جسمه، مكان للنزهات، مكان لقضاء العطلات، فقط.

لما النبي عليه الصلاة والسلام قالت له السيدة خديجة: خذ قسطاً من الراحة . بعد أن جاءه الوحي . فقال عليه الصلاة والسلام: انقضى عهد النوم يا خديجة، الراحة انتهت، يقول عليه الصلاة والسلام: إياك عبد الله والتتعم فإن عباد الله ليسوا بالمتتعمين، قد يسر عرضاً، أما أن يقصد النعيم، أن يقصده، ويلح عليه، ويركز عليه، مستحيل، هو يعيش لهدف هل سمعتم طالب عنده امتحان مصيري، خطر في باله أن يأكل شطيرة من طرف المدينة الآخر فركب أول سيارة، وثاني سيارة، وروح أربع ساعات، وامتحانه غداً الساعة الثامنة يكون أحرق، مع أنه ما فعل شيئاً ما فعل حراماً، لكن استهلاك هذا الوقت جريمة، وقت ثمين.

سبحان الله يلي أخوان درسوا الجامعة، وقدموا الامتحانات يعرفوا قيمة الوقت، لما أنت تكون بالامتحان، ومعك ساعتين، أو ثلاث ساعات، حريص على الدقيقة، كل دقيقة تعني علامة زيادة، والمجموع له علاقة بالدراسات العليا، فكيف الطالب أثناء الامتحان يحرص على الوقت حرصاً لا حدود له، كذلك المؤمن يحرص على وقته في الدنيا.

أحد العلماء مر بمقهى رأى رواده يلعبون النرد، فقال يا سبحان الله لو أن الوقت يشتري من هؤلاء لاشتريناها منهم. الوقت وعاء العمل، الحقيقة أئمن شيء تملكه هو الوقت، لأنه لا معنى لوجودك من دون وقت، يعني واحد أصابه مرض عضال انتهى ما عاد في عنده وقت، انتهى الوقت، فإذا انتهى الوقت المال ما له معنى إذا انتهى الوقت المنصب ما له معنى، إذا انتهى الوقت الزوجة ما لها معنى، إذا انتهى الوقت لا شيء له معنى، يعني إذا انتهت الحياة أنت انتبه تملك أعلى شيء في الحياة هو الوقت، في هذا الوقت بإمكانك أن تتوب في هذا الوقت بإمكانك أن تعرف الله، بإمكانك أن تعمل عملاً صالحاً.

فمن وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا أبا ذر أحسن السفينة، فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، لو بقينا في هذه الفقرة من هذا الحديث، أو تلك الوصية، يعني الزاد أنواع، هناك زاد من أعلى المستوى،

قال الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(سورة فصلت: 33)

يعني أن يستخدمك الله في هداية الخلق، هذا من أعظم الأعمال على الإطلاق لأنه.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

(سورة المائدة: 32)

هذه النفس "من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " دقق أنت إذا الله عز وجل سمح لك أن تهدي شاب، هذا الشاب بعد حين جاء بصديقه إلى المسجد، بعد حين تزوج فتاة مؤمنة، بعد حين أنجب ذرية صالحة يعني قد يسمح الله لك بهداية إنسان، ويكون هذا الإنسان سبباً لهداية آلاف الناس، فالعمل الصالح، هل تصدق أن كل من اهتدى إلى الله في صحيفة رسول الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(سورة الأنبياء: 107)

حتى كان سيدنا عمر يقول: ما أنا إلا حسنة من حسنات أبي بكر، يعني أنت ساهمت ببناء أسرة، ساهمت بهداية إنسان، ساهمت في حل مشكلة، يعني ذهبت إلى استنبول وجدت قلعة التي فتحها محمد الفاتح، قلت هذه من أعتى المدن الغربية القسطنطينية، مدينة غربية مستعصية عاتية، الآن فيها عشرة آلاف مسجد، في بدمشق 360 مسجد في استنبول في عشرة آلاف مسجد، إذا حان وقت الظهيرة كل هذه المآذن تصدح بذكر الله، في صحيفة من ؟ الذي فتح هذه البلاد، والذي جعلها مسلمة، يعني الأعمال الصالحة مهمة جداً، لكن نحتاج إلى إيمان عميق، وهذا الإيمان تتعقد به همة عالية، وهذه الهمة يترجمها الله إلى عمل عظيم.

أحد الصحابة رضوان الله عليه اسمه زيد الخيل، كان من أجمل الرجال في الجاهلية، يروى أنه إذا ركب الفرس لامست قدماه الأرض من شدة نمو قامته، و وضاعت وجهه، دخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعجب به، فقال من الرجل ؟ قال زيد الخيل، ومن أدب النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يبدل أسماء بعض أصحابه، قال

بل زيد الخير واصطحبه إلى داره وهذا إكرام شديد، في داره قال له يا زيد ما وصف لي أحدٍ فرأيتَه، إلا رأيته دون ما وصف، إلا أنت يا زيد، أحبه النبي أعطاه وسادةً ليتكى عليها، قال والله لا أتكى في حضرتك، لا فعل هذا أمامك، ما هذا الأدب ! كيف تعلم هذا الأدب ؟ فقال له النبي لله درك يا زيد، أي رجل أنت! قال له يا رسول الله أعطني ثلاثمائة فارس لأغزو بها الروم، وعاد إلى مضارب أهله، وفي الطريق توفاه الله، يعني بين إيمانه ووفاته أيام معدودة.

لكن الإيمان العالي يعقد همة عالية، والهمة العالية تترجم إلى عمل عظيم، يعني بجرأة أسأل نفسك، ما العمل الصالح الذي تدخره عند الله، هناك أناس كثيرون من الله عليهم بأعمال جليلة، أعمال كالجبال أعمال علمية، أعمال خيرية، أعمال دعوية، أعمال تضحيات، أعمال جهادية، هناك أعمال عظيمة، فأنت أسأل نفسك ما العمل الذي أدخره عند الله عز وجل، يا ترى الأولاد ربيتهم تربية إسلامية، أم فتيات ربيتهم تربية طاهرة عفيفة، أم زوجة أخذت بيدها إلى الله، أم أم وأب كنت بارًّا بهما، أو عمل صالح أحسبته عند الله عز وجل، الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى، والمؤمن لا بد له من نصيب من هذه الأعمال، لذلك من وصية النبي عليه الصلاة والسلام: يا أبا ذر أحسن السفينة، فإن البحر عميق واستكثر الزاد فإن السفر طويل.

### ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾

(سورة البقرة: 197)

يعني في إنسان معه ملايين مملينة، لكن زاده من العمل الصالح قليل، في إنسان أعمال جليلة وزاده من المال قليل، من هو الغني الحقيقي كما قال سيدنا علي الغنى والفقر بعد العرض على الله.

وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، يعني هناك عقبة تحاسب عندها على كل شيء، والعقبة كؤود أي مرتفعة، لذلك: خفف ظهرك فإن العقبة كؤود.

مرة اجري استبيان للتعرف على حالات الخيانة الزوجية فمن أسئلة هذا التبيان، لماذا لا تخون زوجتك عرضوا السؤال على ألف رجل فجاءت الإجابات متفاوتة، أحد هذه الإجابات لا أستطيع لأني أعمل معها في بقالية واحدة، هذا أقل الإجابات قيمة، في إجابة أخرى لا أستطيع تحمل الذنب، في عنده حساسية أخلاقية لا يستطيع تحمل الذنب.

بالمناسبة أيها الأخوة أكاد أقول لكم إن المرض الأول في العالم النفسي هو الكآبة، والكآبة مرض نفسي خطير سببه مخالفة الفطرة، الفطرة متوافقة مع المنهج توافق تام، أي شيء في المنهج الإلهي مزروع مثله في الفطرة الإسلامية، فإذا الإنسان اصطاح مع الله وأطاع الله ارتاحت فطرته من العذاب الداخلي، ارتاحت هي الكآبة، فذلك الكآبة أخطر مرض، الإنسان حينما يرتكب الذنوب يصاب بالكآبة، قد لا يحتمل الذنب.

في ملاحظة الإنسان إذا اختار عمل مبني على إيذاء الآخرين أو مبني على سلب أموال الآخرين، أو مبني على إلقاء الرعب في الآخرين، قد يكون عمل له ميزات كبيرة، وله دخل ضخم، لكن هذا إذا دخل إلى بيته ليستريح لا يستريح، يعذب عذاباً نفسياً لا يعذبه أحد، ما هذا العذاب ؟ عذاب الفطرة.

مرة ذكرت لكم أنه فندق في ألمانيا كتب على رأس السرير إن لم تتم فالعلة ليست في سررنا إن فرشنا وثيرة، ولكن العلة في ذنوبك.

أيام نقرأ حياة مجرم تلاقه بعد ما اقترف جريمته لا يقدر أن ينام حدثني أخ قال لي: شاب طائش، أو رجل يقود مركبة في بيروت الساعة الواحدة ليلاً، وكان مسرع، أب أرسل ابنه ليأتيه بحاجة من البقالية، فهذا السائق دهس هذا الطفل، وأماته، والساعة الواحدة بالليل تابع سيره طبعاً لا أحد ألقى القبض عليه، ولا أحد علم بهذه المشكلة وكما هي العادة سجلت ضد مجهول، قال في شرطي تركي وجد جريمة فكتب تقرير، قال تم القبض على المقتول، أريح، المقتول موجود لأنه، ولأن القاتل بالفرار والأمن مستتب، فهذا بعد أن دهس هذا الطفل بقي فيما أذكر عشرين يوماً لم ينم دقيقة واحدة، ما الذي يعذبه ؟ الفطرة، التقى مع طبيب نفسي وحدثه بما جرى، فقال له الطبيب النفسي لا بد من أن تبحث عن أهل هذا الطفل وأن تدفع لهم الدية بالتمام والكمال حتى تستطيع أن تتام، الآن أخوانا الكرام لما أهدنا يرتكب معصية لا ينام الليل، يحمل نفسه فوق ما تطيق، حينما يظلم، حينما يأكل أموال الناس بالباطل، حينما يبني مجده على أنقاض الآخرين، حينما يبني غناه على فقر الآخرين، هناك وسائل لا تعد ولا تحصى لأكل مال الناس بالباطل، لا تعد ولا تحصى، يعني ممكن إنسان، في مهن كثيرة جداً، المهن

الراقية لها مشكلة أن أصحابها موثوقون، زارني البارحة طبيب، قال لي والله لولا خوف الله تعالى بإمكانني، بسبب حرص الناس على حياتهم وعلى سلامة أجهزتهم بإمكانني أن أكون أغنى إنسان، لأن المريض قد يبيع بيته، لا يسألك المريض، اعمل تحليل، اعمل إيكو، اعمل مرنان لا يسأل، هو قلق على صحته، وليس في مستوى علمك ليناقتك، قال لي والله لولا خوف الله لكنت من أغنى الأغنياء، ولكن خوف الله قيد كما قال عليه الصلاة والسلام: الإيمان قيد الفتك، أما إذا إنسان ما فيه إيمان يفتك بالناس بأساليب كثيرة جداً، قد يفتك بهم مباشرة إذا كان قوياً، وقد يفتك بهم احتيالياً إذا كان ذكياً.

يعني الآن مثلاً محامي، نأتي بالمهن الراقية، لو قال لك هذه الدعوة رابحة، وماطلك ثمان سنوات، ثم فوجئت أن الدعوة خاسرة وكان قد أخذ منك مبالغ طائلة، هل تستطيع أن تناقشه ؟ أبداً، إذا هذه الحرفة أصحابها موثوقون، لذلك بإمكانهم أن يأكلوا المال الحلال أو الحرام المدرس كذلك، لو أقنع الأب أنه عشر دروس خصوصية ينجح بالرياضيات، والطالب ضعيف جداً، الطبيب، الصيدلي، أكثر المهن الراقية أصحابها موثوقون.

فيا أيها الأخوة:

خفف ظهرك فإن العقبة كؤود، يعني الله عز وجل بصير.

### ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

(سورة طه: 7)

### ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

(سورة غافر: 19)

كل شيء عنده بمقدار، وأخلص العمل فإن الناقد بصير، يعني أنت بإمكانك أن توهم نفسك بشيء لكن الله كاشفك، وقد قال الله عز وجل:

## ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾

(سورة الحاقة: 18)

وفي الدنيا يعلم جهرك، ويعلم سرك ويعلم ما خفي عنك

((يعلم السر وأخفى))

أخلص العمل فإن الناقد بصير.

أول شيء إن صح الإيمان صح العمل، وإن صح العمل ينبغي لصحته أن تكون نيته عالية طيبة.

أيها الأخوة الكرام:

الوصية الثانية من وصايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

لا بد من توضيح لهذا الموضوع هناك خصائص للنفس، كل هذه الخصائص أولاً لصالح الإيمان وحيادية، من خصائص النفس مثلاً.

## ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

(سورة المعارج: 19)

شديد الخوف، لو لم يكن هلوعاً لما وقف على باب الله أبداً، ولما تاب إليه، لأنه هلوع يخاف المصيبة، يخاف الخطر، يخاف المرض يخاف الدمار، يخاف الموت، يخاف الفقر، يخاف السجن، لأنه خلق هلوعاً، إذاً هذه الخصيصة لصالح إيمانه.

## ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

( سورة الإسراء : 11 )

عجول، لو أنه خلق غير عجول لاختار الآخرة ولا أجر له بها لأنه عجول، إذا اختار الآخرة يرقى عند الله. الآن الإنسان خلق بتعبير أو بآخر يغار، هذه خصيصة حيادية فإذا حسدت أهل الدنيا هذه نقيصة، أما إذا حسدت أهل الآخرة هذه ميزة هذه غبطة، فالحسد قيمة حيادية، يمكن أن تكون في صالح الإيمان، أو في صالح الكفر والعدوان، إلا أن الناس في معظمهم مع فساد الزمان يحسدون بعضهم بعضاً على الدنيا، بينما المؤمنون يحسدون بعضهم بعضاً على أمور الآخرة، يعني قد لا يستسيغك أن إنسان اشترى بيتاً فخماً، أو تولى مرتبةً عاليةً لكن قد يستسيغك أن إنساناً وفقه الله إلى الدعوة إليه لذلك هناك حسد محمود سماه النبي حسداً تجاوزاً، أما هو في الحقيقة غبطة، قال عليه الصلاة والسلام:

لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله علماً فهو ينفقه أثناء الليل وأطراف النهار، ورجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه أثناء الليل وأثناء النهار.

يقول عليه الصلاة والسلام: إياكم والحسد، الحسد إذا أطلق انصرف إلى الحسد على الدنيا فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وبالمناسبة كختم لهذا الدرس هناك خلافات بين الناس، بعض هذه الخلافات طبيعية جداً لأن أساسها نقص المعلومات، وبعض هذه الخلافات قذرة جداً لأن أساسها الحسد والبيغي.

## ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

( سورة الشورى : 14 )

وهناك حسداً، أو تنافس شريف هذا محمود، قال تعالى:

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

(سورة المطففين: 26)

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾

(سورة الصافات: 61)

فهذه الوصية أيها الأخوة الأولى:

يا أبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 087 - 127 ) : الاستغفار

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-01-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

أستوحي أحياناً بعض الموضوعات من مشكلات الأخوة الكرام، فحينما يشتد الإلحاح على سؤال بعينه معنى ذلك أن هناك مشكلة عامة، فمن خلال بعض الأسئلة التي تتكرر وتتواتر أستوحي موضوعاً بهذا الدرس، أكثر من أخ يسألني إذا أذنبت ذنباً أتوب فإذا وقعت به ثانية ماذا أفعل ؟

ويبدو أن هذه ظاهرة منتشرة، أن يقع المرء بالذنب أكثر من مرة، فليأتوا بهذا الموضوع موضوعات ثلاثة تجيب عن هذا السؤال بشكل شاف إن شاء الله.

أولاً: هذا الذي قتل تسعة وتسعين نفساً والقصة معروفة عندكم، وسأل راهباً وقال له لا توبة لك فكم لك به المائة، ثم سأل عالماً فقال له لك توبة ولكن اخرج من هذه الأرض إلى أرض أخرى، ماذا أعطاه الثاني ؟ أعطاه شيئاً حاسماً في قطع أسباب الذنب.

مادمت في بيئة سيئة، مادمت في مكان يعصى الله فيه، مادام حولك أناس يدعونك إلى المعصية، مادامت الإغراءات عالية جداً في مكان، العبرة لا أن تتوب من هذا الذنب تقع به غداً العبرة أن تبحث عن البعد عن أسباب الذنب، هذا موضوع دقيق جداً، حينما سهرت مع هؤلاء تورطت في بعض الذنوب إذاً ينبغي أن تتبعد عنهم، حينما خلوت بهذه الموظفة سولت لك نفسك أشياء لم تكن تفعلها من قبل، إذاً ينبغي أن تتبعد عن الخلوة بامرأة لا تحل لك، حينما تنزهت في المكان الفلاني طاش بصرك يمناً ويسرة لأن فيه من الحسنات الكثيرات مثلاً.

حينما تعاملت مع فلان في علاقة مالية مالت نفسك إلى أن تأخذ ما ليس لك لأنه يفعل هكذا هنا تسهر في مكان معين وترى أنك تنسى واجباتك الدينية مع هؤلاء لأنهم بعيدون عن الله عز وجل... إذا قلت لي أنا أكرر الذنب أقول لك ابحث عن أسباب الذنب وابتعد عنه.

حدثني أخ جزاه الله خيراً، قال لي: أنا عندي معمل بسيط فأقنعني الناس أن المرأة راتبها أقل من العمال ولا تسرق مصلحتك إلى جهة أخرى، ف جاء بفتيات، قال لي: دون أن أشعر أنا معهم كل يوم ابتعدت عن الله شيئاً فشيئاً ضعفت صلاتي، أخرت صلاتي، انقطع ذكري، أنكرت قلبي، فتشكى إلي مرةً، فقلت له: هناك أسباب للذنب مستمرة ينبغي أن تقطعها، وهذا الرجل أنا أثني عليه والله أخذ موقف آخر وبدل جنس الموظفين ودفع أكثر بكثير، ويوجد مع الشباب متاعب أكثر بكثير لكن سلم صدره، وارتاحت نفسه، واصطلح مع ربه، وعادت له أحواله وصلاته، وأقباله وتألفه.

العوام يقولون: الإنسان حكيم نفسه. من أي جهة يأتيك منه قلق أو بعد عن الله ينبغي أن تستأصلها، أن تبتعد عنها، يمكن أن تكتب قائمة سوداء، هذا الشخص لن أصاحبه، هذا المكان لن أذهب إليه، هذا اللقاء لن أكرره، هذه الخلوة لن أعيدها، الذهاب إلى هذا المكان لن أفعله، أنت حكيم نفسك.

المكان الذي عصيت الله فيه، أو البيئة التي عصيت الله فيها، الإغراءات التي خضعت لها، أو التهديدات التي خفت منها فعصيت الله عز وجل، ينبغي أن تبتعد عنها، والإنسان حكيم نفسه.

هذا أول استتباط دقيق جداً حينما قال له الراهب ليس لك توبة كمل به المائة أما العالم قال له لك توبة ولكن لا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية.

سبحان الله أماكن المعصية محزنة، وأماكن الطاعة مفرحة، لو أن رجلاً جلس مع إخوانه في مكان متواضع جداً وصار نوع من السرور والتألق يغدو هذا المكان جنة، ولو كان في أفخر مكان وأعلى مكان وعصى الله فيه يغدو هذا المكان جحيماً، فالعبرة أن تعيش مع المؤمنين أن تعيش في بيوت الله، أن تكون أجواؤك أجواء إيمانية، في موضوع سابق تحدثت لكم عن أن أول علاجٍ لضعف الإيمان أن تحيط نفسك بأجواء إيمانية، المسجد جو إيماني، أخ مؤمن بيته إسلامي لن تدخل عليك امرأته كي تسلم عليك وهي في أبهى زينة، لو جلست في مطعم لن ترى امرأة كاسية عارية، إذا أقم الوليمة في بيتك أو اطلب أن تقام الوليمة في البيت، جو طاهر مريح، الأماكن العامة موبوءة فيها تقلت، وفيها شيء محرم، فيها شيء يغضب الله عز وجل فأنت مهما أخذت احتياطات قد تنظر إلى امرأة، أو تستمع إلى أغنية، أو تشهد مشهداً يثير غرائذك، لا أنت المكان الذي يعصى الله فيه ابتعد عنه من أجل أن لا تقول أنا كررت الذنب ماذا أفعل؟ والحقيقة سؤالك وجيه إنك كلما كررت الذنب

وجدت التوبة أصعب، والحجاب بينك وبين الله أكثر، ومشروع التوبة شاق، أهون توبة أول توبة لكن الثانية أصعب وقد يأتي وقت لا تستطيع أن تتوب وقد يأتي وقت تنقض التوبة كل يوم مائة مرة وصار الطريق مسدوداً، في مثل هذه الحالة لابد من أن تتبعد عن سبب الذنب.

أيها الأخوة:

مرة ثانية إن كانت صحبة فلان واللقاء معه فالأولى أن تتركه، إن كانت الخلوة والوحدة قد يقع الإنسان بذنب وحده ويوجد ذنوب كثيرة يقع بها الإنسان لوحده إذا ينبغي أن يخفف قدر المستطاع من الوحدة مثلاً، إن كان رؤية ما تبتثه الفضائيات سبب لنقض التوبة ابتعد عنها كلياً، الله سبحانه وتعالى أعلى، الله وعدك بجنة عرضها السماوات والأرض لا شيء في الدنيا يعدل طاعة الله عز وجل، إن كان السير في طريق معين يلفت نظرك إلى الغاديات والرائحات ابتعد عن هذا الطريق سر في طرق فرعية، هذا المؤمن، المؤمن يجاهد نفسه وهواه.

((عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ ))

[مسلم، الترمذي، أحمد]

إذا كان بالتفكير أعصي الله، أفكر في معصية وأسترسل في هذه الخواطر إلى أن أشتهي أن أفعلها إذا دعك من هذه الخواطر، مثلاً من الأدلة التي تؤكد هذه الحقيقة النبي ﷺ يقول:

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَدَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))

[ البخاري، مسلم، أبو داود، أحمد ]

من خلال هذين الحديثين الشريفين يتضح أن الهروب من أسباب المعصية هو ضمان أن لا تعود إلى المعصية ثانياً، أما إذا كنت في بيئة منحرفة ومع أصدقاء فاسدين وفي جو موبوء بالشهوات، وفي مكتبة مفعمة بالمغريات، وفي أجهزة تسبح بالأغنيات، وفي محطات تكشف لك عن ما يجري في نوادي الليل، فأنت مع هذه البيئة الموبوءة لن تستطيع أن تحكم استقامتك بل كثيراً ما تنقض توبتك، هذه القضية واضحة.

قرأت كلمة لسيدنا عيسى عليه السلام أن الشريف ليس الذي لا يقترب ذنباً أو لا يقترب خطيئةً ولكن الشريف الذي يهرب من أسباب الخطيئة.

لكن لو أن مؤمناً وقع في الذنب ثانياً بماذا نجيبه ؟ قلنا له أولاً ابتعد عن أسباب هذه المعصية، إن ابتعدت عن أسباب هذه المعصية في الأعم الأغلب ان الله سبحانه وتعالى يعينك على نفسك، في شيء آخر توحيدى، قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)﴾

[ سورة يوسف ]

يجب أن تستعين بالله على الاستقامة، لا أن تعتد بنفسك وبارادتك، كل إنسان اعتد بنفسه كأنه وقع في شرك خفي، الله ﷻ ربما يضعف له مقاومته تأديباً له، إذ كان نبي كريم كسيدنا يوسف يقول: وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فالأمر بديهي جداً أن تستعين على طاعة الله بالله.

وقرأت في شروحات بعض الأحاديث أن معنى لا حول ولا قوة إلا بالله أي لا حول عن معصية الله إلا بالله ولا قوة على طاعته إلا به. يارب اعصمني من أن أخطئ، يا رب اهدني سبيل الاستقامة لا أحميد عنها أبداً، اهدني لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت، هذه الاستعانة تعطيك مقامة كبيرة جداً، ولقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

[ سورة هود الآية: 114 ]

وبعد هذا نقول له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

((عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن عبداً أصاب ذنباً ورُبماً قال أذنب ذنباً فقال رب أذنبت ورُبماً قال أصبت فأغفر لي فقال ربه أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فأغفره فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً ورُبماً قال أصاب ذنباً قال قال رب أصبت أو قال أذنبت آخر فأغفره لي فقال أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب))

[ البخاري، مسلم، أحمد ]

معنى الحديث: ليس لنا إلا الله نتوب ألف مرة، والمؤمن مذنب تواب، الأولى أن تدع أسباب الذنب، والأولى أن تستعين بالله على ترك الذنب والأولى أن ترمم التوبة الثانية بصدقة وحينما تقع بالذنب مرة ثانية ليس لك إلا أن تتوب إلى الله لا يوجد طريق ثان، تصوروا أن الله لن يفتح باب التوبة ما الذي يحصل؟ الإنسان من أقل ذنب يفجر لا يوجد أمل يأس، ولكن الله عز وجل بفتح باب التوبة أصلح من عباده أعداداً لا يعدون ولا يحصون، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

[ سورة النساء: الآية 27 ]

بل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 222 ]

حديث آخر:

((عن عقبه بن عامر رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أهدنا يذنب قال: يكتب عليه، قال: ثم يستغفر منه ويتوب، فقال: يغفر له ويتاب عليه، قال: فيعود ويذنب قال: فيكتب عليه، قال: ثم يستغفر منه ويتوب، قال: يغفر له ويتاب عليه، قال: فيعود فيذنب، قال: يكتب عليه، وإن الله لا يمل حتى تملوا))

هل يوجد غير الله عز وجل ؟ أنا أعطيك العلاج الأولي، لكن بعد هذا لا يوجد غير الله، تتوب إلى الله مرة واثنين وأربعة، وكل عدد التوبات من ذنب واحد قل يرتاح أكثر، حينما ترتقي نفسك إلى مستوى الشرع، حينما يكون هواك تبعاً لما جاء به النبي هذه مرتبة عالية جداً حينما يقول النبي ﷺ:

((نعم العبد لو لم يخف الله لم يعصه))

هذا شيء راقٍ جداً أنت في مستوى الشرع طاعت نفسك إلى الفضائل تمقت الرذائل، يعني يجب أن تصل إلى درجة لو يكن هذا العمل محرماً لا تفعله شيء ثابت وهذه أعلى مرتبة،

((نعم العبد لو لم يخف الله لم يعصه))

ارتقت نفسه إلى مستوى الشريعة فصار هواه تبعاً لما جاء به النبي، يعني هواه في العفة، هواه في صحبة الأكابر، هواه في ضبط اللسان، هواه في غض البصر، هواه في قول الحق، هواه في التواضع، يفعل هذا لا عن جهاد ومشقة بل عن طيب نفس ومسرة.

(( خياركم كل مفتن تواب، قيل فإن عاد، قال: يستغفر الله ويتوب، قال: فإن عاد، قال: يستغفر الله ويتوب، قيل حتى متى ؟ قال سيدنا علي حتى يكون الشيطان هو المدحور))

يوجد نقطة مهمة:

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾

[سورة النساء: الآية 17]

إذا طال عليك الأمد بالذنب يصبح عادةً ومن أصعب الحالات ترك العادات، ليتوبوا من قريب أما إذا طال عليهم الأمد قست قلوبهم فأصبح كالحجر الأصبم، العبرة أن تتوب من قريب الآن، كلكم يعلم أن لك يوماً مشهوداً هو هذه الساعة، ويوماً مفقوداً هو الماضي، ويوماً موعوداً هو الموت، ويوماً موروداً هو يوم القيامة، ويوماً ممدوداً هو الخلد في الجنة أو النار. أنت بين يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مورود، ويوم موعود، ويوم ممدود، أخطر هذه الأيام على الإطلاق اليوم المشهود الذي أنت فيه، هذا يحدد أيامك القادمة.

وقيل للحسن: ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ويستغفر، ثم يعود، فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار.

الشيطان يدفع عليها ملايين أن تئس من رحمة الله، أن تتصرف عن التوبة، أنا لا أتوب، هذا الذي يتمناه الشيطان، خيب ظنه وتب إلى الله عز وجل.

سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول في خطبته: أيها الناس من لم يذنب فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإنما هي خطايا في أعناق الرجال وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها.

الحقيقة أرجى آية في القرآن الكريم على الإطلاق هي:

﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر: الآية 53]

والله يا أيها الإخوة: التائب يشعر براحة والله لو وزعت على أهل بلد لكفتهم، يشعر بخفة.

قلت لهم البارحة أني كنت في مطار أمستردام، في بطاقة الصعود إلى الطائرة مكتوب الفرع رقم واحد، ويوجد خمسة فروع وكل فرع تقف به مائة طائرة، فخطر في بالي أن هذه بوابات خروج وأيضاً لكل إنسان بوابة خروج لا يوجد إنسان إلا وله بوابة يخرج منها من الدنيا، هذا يخرج بحادث، وهذا بالدماغ، وهذا بالقلب، هذا بالأعصاب، هذا بالكليتين، هذا بالكبد، هذا مثلاً بالورم الخبيث، لا يوجد أحد ليس له بوابة، إذاً من هو المؤمن؟ يموت مثل

الناس، ببوابة كذلك، تجد عالماً كبيراً معه مرض معين نقله إلى الدار الآخرة، الذي تكلمته البارحة أن بطولة المؤمن أن يجعل هذه البوابة التي لا بد منها بوابة إلى الجنة، أما بوابة الكافر إلى النار، هذا المعنى أنه كلما أذنبت ينبغي أن تتوب، هل هناك آية تؤكد هذا المعنى ؟ طبعاً أرجى آية قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

[ سورة الزمر : الآية 53 ]

لكن هنا الآية:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾

[ سورة آل عمران : الآية 135 ]

ذكروا رحمته و ذكروا عفوه و ذكروا مغفرته و ذكروا محبته، ورد ببعض الآثار أن:

يا داود لو يعلم المعرضون انتظاري لهم و شوقي إلى ترك معاصيهم لتقطع أوصالهم من حبي و لماتوا شوقاً إلي، هذه إرادتي في المعرضين فكيف بالمقبلين ؟

إن علمت أن لك رباً يحبك و يرحمك و يعفو عنك و يغفر لك و يقبل توبتك ينبغي أن تتوب:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[ سورة آل عمران : الآية 135 ]

الجريمة أن تصر على ذنبك:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾

[ سورة البقرة : الآية 206 ]

و كل إنسان لا يتعظ من مصيبة أراد الله أن تحمله على التوبة فنفسه أكبر مصيبة.

من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر مصيبته في نفسه أكبر بكثير، النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله ﷺ فسر قوله تعالى:

### ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة: الآية 195]

من ألطف تفسيرات هذه الآية: أي إذا أذنب أحدكم فلا يلقين بيده إلى التهلكة و لا يقولن لا توبة لي، إن قال المؤمن لا توبة لي فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، أنا بهذا الكلام لا أشجعكم على تكرار الذنب لا سمح الله و لكن أطلب منكم أن لا تئسوا و لو أعدت الذنب مرتين و ثلاثة ليس لك إلا الله، أي و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة إذا أذنب أحدكم فلا يلقين بيده إلى التهلكة و لا يقولن لا توبة لي، و لكن ليستغفر الله و ليتب إليه فإن الله غفور رحيم.

و عن البراء قال له رجل يا أبا عمارة: ما معنى قوله تعالى:

### ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (195)

أحد الصحابة سئل أهو الرجل يلقي العدو فيقاتل حتى يقتل؟ قال: لا، و لكنه الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفره الله لي، يوجد شخص هداه الله بالزمن القديم يطوف حول الكعبة و يقول: ربي اغفر لي ذنبي و لا أظنك تفعل، فقيل له: يا هذا ما أشد بأسك من رحمة الله، قال: ذنبي عظيم، قال: ما ذنبك؟ أي المؤمن انظروا يظل المسلم بخير ما لم يسفك دماً هذا عمل كبير، قال له: ما ذنبك؟ قال له: كنت في حملة لقمع فتنة فلما قمعت أبيحت لنا المدينة فدخلت بيتاً من بيوتها فرأيت فيه رجلاً و امرأة وولدين فقتلت الرجل و قلت لامرأته أعطني كل ما عندك، أعطتني كل ما عندها، فقتلت ولدها الأول فلما رأته جاداً في قتل الثاني أعطتني درعاً مذهبة . من الذهب . غالية جداً، أعجبتني قرأت عليها بيتين من الشعر فلما قرأتهما وقعت مغشياً علي، البيتان:

و قاضي الأرض أسرف في القضاء

إذا جار الأمير و حاجباه

لقاضي الأرض من قاضي السماء

فويل ثم ويل ثم ويل

أي الله عز وجل بطشه شديد، و الله قبل أشهر رجل من أهل العلم متواضع أخطأ بقيادة مركبته فاصطدم بسيارة فكتب ورقة أنه أنا فلان الفلاني، قال له: الله يحميني منك، قال له: دع الله يخلصك مني، لم يمض أربع و عشرون ساعة حتى أصيب بحادث فأصبح مشلولاً بأربعة أطرافه، لا يزال الآن، فالذي عالجه حدثني أي طبيبه، أربعة أطراف و ذهب نطقه، ما هذا الكلام ؟

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)﴾

[ سورة البروج ]

فأنت إياك أن تقول كلمة فيها تطاول على الله، قال: يا أبا عمار ما معنى قوله تعالى:

﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة(195)﴾

أهو الرجل يلقي العدو فيقاتل حتى يقتل ؟ قال: لا، و لكنه الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفره الله لي، يوجد شخص آخر يطوف حول الكعبة قال له يا ربي هل أنت راضٍ عني ؟ كان وراءه الإمام الشافعي قال له: يا هذا هل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ قال له: يا سبحان الله من أنت ؟ قال له: أنا محمد بن إدريس، قال له: كيف أرضى عن الله و أنا أتمنى رضاه ؟ ما هذا الكلام ؟ قال له: إذا كان سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله، أي إذا عندك إمكان أن ترضى بقضاء الله و أن تقبله، و الله أعرف رجل أصيب بمرض خبيث في أمعائه كان صديقاً لي، و قد توفي رحمه الله، بقي سنتين، تقسم بالله زوجته أنها ما سمعت منه في السنتين كلمة تأفف، إلا ربي لك الحمد أنا راضٍ عنك، هذه أكبر درجة، حينما تأتي مصيبة تقول يا ربي لك الحمد أنا راضٍ يا رب.

انظر موقف النبي عليه الصلاة و السلام:

(( إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، و لك العتبة حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع ))

و يقول سعيد بن المسيب في قوله تعالى:

﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾

[ سورة الإسراء: الآية 25 ]

أي هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، ليس لنا إلا الله.

وعن وهب بن جرير عن أبيه قال: كنت جالساً عند الحسن إذ جاءه رجل فقال: يا أبا سعيد ما تقول في العبد يذنب الذنب ثم يتوب؟ قال: لم يزد بتوبته من الله إلا دنواً، أذنب وتاب معنى ذلك طلب من الله، ثم قال: ثم عاد في ذنبه ثم تاب، قال: لم يزد بتوبته إلا شرفاً عند الله، ثم ذكر حديثاً عنه ﷺ ثم قرأ:

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 201 ]

أي كلما تبت توبة ارتفع مقامك عند الله، هذا الحق، حتى أكون معكم واقعياً ليس من السهل أن تتوب من الذنب مرة ثانية، التوبة الثانية صعبة و الثالثة أصعب بكثير، و الرابعة أصعب بكثير جداً فكل بطولتك ألا تعود، ولكن إذا عدت ماذا تفعل؟ الجريمة أن تياس من الله:

﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

[ سورة يوسف: الآية 87 ]

القنوت والياس من رحمة الله جريمة، أقول لكم أيها الإخوة طالما القلب ينبض باب التوبة مفتوح، إذا كان في العمر بقية.

أخت كريمة تحضر معنا من عام أربع وسبعين ولا تزال فيما أعتقد لها بنت وصهر ليسوا على ما يريد الله عز وجل بل إن صهرها ملحد، والأم أم تدعو ابنتها إلى دروس الأحد هذه القصة قديمة جداً منذ عشرين عاماً، بعد إلحاح طويلٍ طويلٍ أرادت البنت أن ترضي أمها إرضاء فقط حضرت مرة واحدة، وكان عندنا هنا قاعدة قديمة مهذمة متداعية، ولا يوجد غيرها في ذلك الوقت والنساء يجلسن هناك، فلما دخلت ابنتها إلى قسم النساء فرحت

الأم فرحاً لا حدود له لأن الله هدى ابنتها، والبنت جاءت مرة واحدة لترضي أمها وهي لا تعباً بشيء أبداً، ثم جاء زوجها وحضر معنا حضر درسين فقط يوم الأحد ثم وافته المنية، يروي أولاده هو محمول إلى المستشفى في أزمة قلبية قال لهم: كل شيء سمعتموه مني باطل والحق هو الذي سمعته في هذين الدرسين.

أنا والله دهشت من هذه القصة، إنسان قضى عمره في الإلحاد ويبدو أنه مفكر ورأى كلامي حق، حضر درسين فقط ووافته المنية ولعل الله تاب عليه، الصلحة في لمحة يا أيها الإخوة.

الآن آخر فقرة في الدرس وأرجو أن لا تطول، أول فقرة ينبغي أن تبتعد عن أسباب الذنب، وأن تستعين بالله على الاستقامة، وأن تحدث عند كل ذنب توبة، ولو تعددت.

الآن دوام الاستغفار يقول الله عز وجل على لسان سيدنا نوح:

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

[ سورة نوح: الآية 28 ]

سيدنا نوح قال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[ سورة هود: الآية 47 ]

أذكر لكم آيات من القرآن الكريم، الأنبياء يستغفرون كل يوم، قال النبي ﷺ:

((إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة))

هنا يوجد معنى جديد ما كل استغفار من ذنب، النبي الكريم يستغفر الله في اليوم أكثر من مئة مرة، إذا ما كل استغفار ذنب، سيدنا موسى:

﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[ سورة القصص: الآية 16 ]

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلاَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 151 ]

سيدنا إبراهيم:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾

[ سورة الشعراء ]

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾

[ سورة إبراهيم: الآية 41 ]

إذاً الاستغفار هو من شأن الأنبياء فمن أنت ؟ من شأن الأنبياء العظام.

قال العلماء: الاستغفار له مواضع أول مواضعه عند الذنب، وهو أكد هذه المواضع، اعتراف بالذنب وطلب للتوبة، وسؤال الله أن يمحو أثر هذا الذنب، قال تعالى على لسان سيدنا آدم:

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 23 ]

سيدنا موسى وكزه فقضى عليه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾

[ سورة القصص: الآية 16 ]

وسيدنا يونس لما ذهب مغاضباً قال تعالى:

﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[ سورة الأنبياء: الآية 87 ]

والله عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾

[ سورة النساء: الآية 110 ]

والآية التي قلتها قبل قليل:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 135 ]

يقول عليه الصلاة والسلام للسيدة عائشة:

(( عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ كُنْتَ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدْمُ وَالِاسْتِغْفَارُ ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، الدارمي، أحمد ]

وفي حديث لرسول الله ﷺ:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُقَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ))

[ الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

الآن عندنا موقع ثاني، الاستغفار عند الذنب الآن تفاجأون ومتى؟ وبعد كل طاعة، صليت ماذا تقول؟ أستغفر الله العظيم لعلك لم تؤدها كما ينبغي، لعلك قصرت فيها، لعلك شردت فيها، لعله جاءتك خواطر فيها، لعلك أسرعت فيها فهذه موطن آخر بعد الطاعة.

كان عليه الصلاة والسلام يقول:

(( عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ))

[ مسلم أبو داود، ابن ماجه، أحمد، مسلم ]

بعد الفراغ من الحج قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[ سورة البقرة: الآية 199 ]

وبعد الفراغ من الوضوء، وبعد الفراغ من قيام الليل، قال تعالى:

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 17 ]

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18)﴾

[ سورة الذاريات ]

وبعد النصر، قال تعالى:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)﴾

[ سورة النصر ]

الإنسان لا يأتيه العجب أو التيه، أيام يحقق نجاح فيتكلم كثير، يقول أنا فعلت هكذا... أصبح عنده عجب في نفسه ونسي الله عز وجل، أنت بحاجة إلى أن تستغفر عقب النجاح، يوجد نجاح مهم جداً ودخل الناس في دين الله أفواجا فسبح، دخل مكة فاتحاً ﷺ فاستغفر الله عز وجل.

أحد العلماء يقول: أرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً بعد الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه وأنه لولا الأمر لما أقدم أحد على مثل هذه العبودية.

أولاً عند الذنب

ثانياً عقب الطاعات كالصلاة والصيام والحج والزكاة.

ثالثاً في الأذكار اليومية الراتبية.

(( عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَأَغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

عقب الصلاة، عقب الخروج من البيت، الدخول إلى البيت....

رابعاً: الاستغفار في كل وقت وحين يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ الْأَعْرَبِ الْمُرَبِّيِّ وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّهُ لِيُعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ))

[ مسلم، أبو داود، أحمد ]

(( قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ))

[ البخاري، الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

أيها الإخوة الكرام:

من أدعية النبي عليه الصلاة والسلام:

(( إِنْ اللَّهُ لِيُعْجِبَ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ))

أرجو الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يلهمنا أن نستقيم على أمره فإذا أذنبنا أن نتوب إليه مرة ومرتين... وأن نجعل الاستغفار دائماً في حياتنا.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (088 - 127) : الترغيب في البداءة في الخير

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-01-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام من الأحاديث الدقيقة التي جاءت تحت باب الترغيب في البداءة بالخير ليستن بها، والترهيب من البداءة بالشر، لئلا يستن بها. عن جرير رضي الله عنه قال..

يا أيها الإخوة قبل أن أقرأ الحديث، كلما ارتقى إيمان المؤمن يشعر أنه إذا قرأ حديثاً صحيحاً أن هذا الحديث ليس من عند النبي، إنما هو من عند الله، لأن الآية الواضحة قطعية الدلالة..

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾

(سورة النجم)

فعن جرير رضي الله عنه قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاءه قوم غزاة مجتابي النمار. يعني مقطعي الثياب، ثيابهم مهترئة، أجسامهم ظاهرة. والعباء، متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه النبي عليه الصلاة والسلام. تغير لونه. لما رأى ما بهم من الفاقة...

أيها الإخوة بكلام صريح، إن لم يكن في صدرك قلب رقيق لا يحتمل رؤية البؤس، ولا الفقر، ولا المرض، ولا الظلم، ولا القهر، صدقني إن لم يرق قلبك لبائس، أو فقير، أو مهجور، أو مظلوم، أو مريض، فلست مؤمناً، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول:

## ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

(سورة الزمر: من آية " 22 " )

أبعد القلوب عن الله القلب القاسي، قد يؤدي عباداته ولكن قلبه كقطعة من حجر، لا يلين لا يرحم زوجته، لا يرحم أولاده، لا يرحم جيرانه، لا يرحم مريضه، لا يرحم موكله، لا يرحم الشاري، بحاسة سادسة يرى أن هذا الشاري مضطر لهذه الحاجة فيضاعف أسعارها أضعافاً مضاعفة، فالذي لا يرحم لا يرحم، الذي لا يرحم مقطوع عن الله، الذي لا يرحم بعيداً عن الله، فالنبي تمعر وجهه، أنت اجعل هذا الحديث مقياساً لك، ما أكثر البائسين، ما أكثر المرضى، ما أكثر الفقراء، ما أكثر الأيتام، ما أكثر الأرامل، ماذا يعني هذا الكلام ؟

يعني هذا الكلام أنه ينبغي ألا تسرف في الإنفاق، ولو كنت في بحبوحة، لأن هناك، والله حدثني أخ شخص أخطأ مع شخص براتبه الشهري، قال له: قبضته، وهو لم يقبضه، كاد الدم يجف في عروقه، طعام شهرٍ بأكمله، أحياناً خمسة آلاف يحلون ألف مشكلة، فهناك من ينفق مئات الألوف، ملايين ليلة واحدة، من أجل الظهور، وحب الظهور يقسم الظهور.

أنا كنت قد حدثتكم أن بعض فنادق دمشق الكبرى، أرادت أن تشجع الناس ولا سيما الأغنياء على إقامة عقود القران فيها، فدعت كل من عقد قرانه في هذا الفندق خلال ستة أشهر، فإذا هم ستة عشر عقداً، دعوا إلى حفل تكريمي، المفاجأة أن ثلاثة عشر عقدٍ منهم آل إلى الطلاق قبل مضي ستة أشهر، كثرة الظهور تقسم الظهور.

فالنبي عليه الصلاة والسلام تمعر وجهه، أنت امتحن نفسك، هل لك قلب رقيق ؟ هل تشعر أن المسلمين إخوانك جميعاً وأن بؤسهم يؤلمك، وأن سعادتهم تسعدك، وأن سلامتهم تطرب لها، أم أنك تعيش وحدك لا تنتمي إلى مجموع المسلمين ؟

أيها الإخوة... هناك ملمح دقيق في قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه ))

( من الجامع لأحكام القرآن: عن " ابن حاتم المزني " )

كأن النبي فرّق بين الدين والخلق، فقد تكون ديناً بمعنى تصلي وتصوم وتؤدي زكاة مالك وتحج بيت الله الحرام، ولكن ليس لك قلب رقيق، قلب قاسي، والتصرفات قاسية جداً، والله لولا أنني قد يسأل أحدكم: ما الذي يحمل الأستاذ على اختيار موضوع معين؟ صدقوني أن الذي يحملني على اختيار الموضوعات ما أعانيه من مشكلات من حولي، تجد كل يوم في مشكلة، تقول لي زوجته: يحضر عندك، وهو قاسي لدرجة غير معقولة بالبيت. فيا رب هذا الإنسان وديع في المسجد ينقلب إلى وحش في البيت، وحش لا يرحم، لا يرحم زوجةً، ولا يرحم ابناً، ولا يرحم بنتاً، يعيش لوحده، يعيش لحظوظه، لذلك النبي اللهم صلي عليه قال:

### ((خيركم خيركم لأهله))

(من مختصر تفسير ابن كثير)

فكل إنسان بالبيت يشعر بحرية، لا يوجد رقيب عليه، قد يتكلم أقسى كلمة مع زوجته، قد يرتدي أفصح ثياب لا يعبأ، قد يمارس شيء يستحي أن يفعله أمام طفل في البيت، فالنبي جعل المقياس هو البيت، المنضبط في البيت حتماً منضبط خارج البيت، كيف أننا في فحص إجازة السوق، يكلف المفحوص بأصعب شيء في القادة وهو أن يرجع القهقرة بطريق ملتو ضيق ويوجد علامات متحركة، فلو مس علامة راسب، أما أن ينطلق بالمركبة إلى الأمام قضية سهلة جداً.

وأنت أيها المؤمن ممتحن في بيتك، فحينما تكون في بيتك رحيماً، حينما تكون وديعاً، حينما تكون مُنصفاً، حينما ترحم زوجتك، حينما ترحم بناتك، حينما ترحم أولادك، إذا كنت صالحاً في البيت، فأنت صالح خارج البيت، كل هذا ذكرته لأن النبي عليه الصلاة والسلام تمعّر وجهه حينما رأى قوماً حفاةً، عراةً، فقراء.

ولذلك حينما أمر الله بقرية أن تهلك، أرسل إليها الملائكة ليهلكوها.

قالوا: يا رب إن فيها رجلاً صالحاً.

قال: به فابدؤوا.

قالوا: لم يا رب!؟

قال: لأن وجهه لا يتمعر إذا رأى منكر.

هو مستقيم، هو ناج في زعمه، ولكنه لن يفكر أن يأخذ بيد أحد إلى الله.

ويا أيها الإخوة... كلام دقيق وواضح كالشمس، " من لم يجاهد ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على ثلثة من النفاق"، وإن لم يكن الجهاد القتالي متاحاً، فالجهاد الدعوي متاحٌ بشكل واضح جداً، ما الذي يمنعك أن تنقل درساً إلى إخوانك، إلى جيرانك، إلى أصحابك، إلى من يلوذ بك، إلى أقربائك، إلى أولادك، ما الذي يمنعك ألا تقدم شريطاً لدرس تأثرت به إلى من تحب، لا بد من أن تحدث نفسك بالجهاد ولو كان جهاداً دعوياً وقد سمّاه الله جهاد كبيراً، فقال الله عز وجل: به فابدؤوا؟ لماذا؟ قال: لأن وجهه لا يتمعر إذا رأى منكراً.

والله أنا أعاني من كثيرين، تجد أخ مستقصي لا يهتم أحد، الناس كلها هالكة. أهكذا بهذه البساطة؟ من قال هلك الناس فهو أهلكهم، أشدهم هلاكاً، وفي رواية ( فهو أهلكهم )، أي هو الذي وصفهم بأنهم هلكى وهم ليسوا كذلك، أنا أيها الإخوة أربأ بكم أن يكون انتماؤكم ذاتياً تنتمي مثلاً، تنتبه لنفسك، يهتك دخلك، أولادك، بيتك فقط، أما المؤمن في عنده هموم غيرية، يعيش للمسلمين، يسهم بحل مشكلة من مشكلات المسلمين.

والله أخ من إخواننا، جارنا، قال لي: أنا عندي معمل وأقدم كل سنة تقاويم، وعدد كبير ومالها فائدة، فكل محل فيه عدة تقاويم، خطر بباله يعمل مؤلف فيه كلمات طيبة، مضيئة، واقعية، صادقة، مخلصه، مدعمه بالأدلة، وبدلاً من التقويم يطبع مؤلف ويوزعه بأعداد كبيرة مكان ثمن التقويم الذي لا معنى له الآن، فهو فكر يحل مشكلة، فكر يقدم شيء للناس.

حينما تعيش للناس، صدقوني أيها الإخوة، تحل مشكلاتك الذاتية إكراماً من الله عز وجل، وحينما يعيش الناس لك تتعجر مشكلاتك الداخلية، فإن عشت للناس تولى الله شؤونك، والله من أربعين عاماً هذا الحديث متغلغل في أعماقي:

## (( من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

لا يوجد مؤمن يشغله الناس، هموم الناس، بؤوس الناس، ضلال الناس، يشغل بإصلاحهم، بخدمتهم، بإشاعة الفضيلة فيهم، بهدايتهم، بتعليمهم، بمساعدتهم، بحل مشكلاتهم بتمريض مريضهم، بإعطاء فقيرهم، بنصرة مظلومهم، لا يوجد إنسان يتولى خدمة الخلق إلا أعطاه الله فوق ما يعطي السائلين، دون أن تشعر، لأن الله أكرم الأكرمين، وهؤلاء كلهم عباده فإذا كنت أنت في خدمتهم.

أنا والله أيها الإخوة حينما أرى أماً كريماً يهتم بإخوانه، يهتم بمشكلاتهم، يحاول أن يمد لهم يد المعونة، أن يقدم لهم حل لمشكلاتهم، والله يكبر في عيني، وأنا والله أرى إخوة آخرين . سامحهم الله . لهم بهذا الجامع حوالي خمسة وعشرين سنة ما سمعت منه أنه قدم شيء، ولا سألني عن شيء، يحضر، يقول لك: الدرس حلو، خير إن شاء الله، لا يقدم شيء ؟!

وأخوة كثيرون يقولون لي: أنا كهربائي، أي خدمة، أنا محام، والله طبيب جراح، قال لي: أنا طبيب جراح من تحب أعمل له عملية في الجامع، بعثنا له اثنين، ثلاثة، أربعة، القصة قديمة قبل صندوق العافية، فالطبيب قدم، المحامي قدم، صانع قدم، صاحب حرفة قدم، الإنسان في عنده شيء يقدمه.

فالنبي عليه الصلاة والسلام لما رأى ما بهم من الفاقة تمرر وجهه، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام وصلى، ثم خطب فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

( سورة النساء )

ثم ختم الآية فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

(سورة النساء)

وتلى عليهم آية ثانية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتِظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

(سورة الحشر)

ثم قال: تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمره.

كنا مرة في حفل لجمع تبرعات لصندوق العافية، في إحدى مزارع دمشق، وكان في هذا الحفل نخبة من أغنياء البلد، ألقى كلمة، وألقى أحد الدعاة كلمة، والمفاجأة أنه جُمع في هذا الحفل خمسين مليون لصندوق العافية، ولكن الذي لفت نظري، أن عاملاً يعمل في المزرعة قدّم ألفين ليرة، أن أطفالاً صغاراً قدموا كل ما في حوزتهم، خمسمائة ليرة، سبعمائة ليرة، ثم بلغني أنه في بعض البلاد الإسلامية أحدثوا وقفاً للأطفال، الوقف نحن يبدو أننا نسيناه، فالوقف من أعظم أعمال البر، والوقف يمكن أن يحل مشكلات المسلمين، وذكرت لكم من قبل فيما أعلم أنني حضرت مؤتمر للوقف في دمشق فرأيت شيئاً لا يصدق، رأيت في بعض البلاد الإسلامية وقف لتشجيع الأطفال على المطالعة، تُولف قصص راقية إسلامية، يطبع منها أعداد كبيرة، توزع على البيوت مجاناً لأنها وقف، ثم توزع ثانيةً وثالثةً، إلى أن يتعشّق الطفل المطالعة، وقف للقرض الحسن.

فكر هذا الذي يهتم بأمر المسلمين ماذا يمنع أن ينشأ في دمشق مصرف للقرض الحسن، واحد ميسور معه مبلغ هو له، أنا أضعه لخدمة الناس كإقراض لا كهبة، وبالطبع يكون في موظفين، خبراء للتحقيق، ضمانات، وكالات، كفالات، يقدّم لكل إنسان بحاجة لقرض، هذا كان صندوق القرض الحسن.

صندوق الوفاق الزوجي، كم بيت بالشام فيه مشكلة، والزوجة حردانة، والزوج مزعور والأولاد مشردون، هذا وقف أيضاً، هذا الوقف فيه علماء دين، فيه خبراء اجتماعيين، له مقر في عندهم سيارات، إذا كان واحد يعاني بمشكلة مع زوجته، أو هي تخبر، فيأتي الخبراء، يأتي العلماء يوقّفون، يضعون الحلول، يجمعون الزوجين، يتصلون بالأهل، يخففون حدة البغضاء، هذا وقف.

وقف للتوعية المرورية، وقف للتوعية الصحية، وقف لطلبة القرآن، وقف للشباب الفقراء ليتعلموا الكمبيوتر، هذا وقف، والله سمعت شيئاً لا يصدق، ثم شعرت أن الوقف يمكن أن يحل مشكلات المجتمع بأكملها، وقف للزواج، في وقف وقفه المسلمون للزوجة الغاضبة، أحياناً قد تجد زوج وحش، يفتح الباب في منتصف الليل ويركل زوجته إلى الطريق، ولا أحد لها، في وقف تذهب فتنام، وتأكل وتشرب، إلى يرضى عنها زوجها، طبعاً برعاية أشخاص أمناء محترمين.

في وقف للأواني المكسورة، صانع معلمه قاسٍ جداً، انكسر معه شيء، يذهب بقطعة من هذا شيء إلى هذا الوقف فيأخذ قطعة جديدة، حلينا المشكلة، في وقف للحيوانات المريضة مرجة الحشيش هذه وقف إسلامي، كل حيوان مريض يأكل ويشرب ويرتاح إلى أن يعافى، كانوا رحماء، كان بقلوب المؤمنين رحمة كبيرة جداً، والله لا يحضرني أنواع الأوقاف التي قرأت عنها، أنا مثَّلت البلد في المؤتمر، فألقيت كلمة فيه، فاستعرضت ماذا يعني الوقف؟ الوقف أي أنك هذا الشيء حبست الأصل وسبَّلت الثمرة، ريعه للمسلمين.

فالذي أتمناه في هذا الدرس أن يمتحن أحدنا، وأنا معكم، قلبه، أيرق لفقير؟ أيرق لمريض؟ أيرق لمحتاج؟ أيرق لأرملة بائسة؟ أيرق لإنسان عاطل عن العمل؟ إن لم تُرحم تُرحم، إن أردتم رحمتي فارحموا عبادي، والله سمعت قصصاً لا تصدق، من معاملة الله ﷻ لمن يرحم عباده.

أحدث قصة قلتها لكم: أن سائق تكسي أوقفه شخص يبدو مريض قال له: آخر جادة بالجبل. قال له: حاضر تقضل، قال له: ما معي ولا قرش. قال له: اطلع، تقضل. في رحم في قلبه، وصل لآخر جادة، أربع خمسة أولاد خرجوا من البيت: بابا أحضرت لنا خبز، قال لهم: بابا والله استحييت من السائق طالعني ببلاش أقول له قف لأحضر الخبز. السائق انتبه نزل لحاله وأحضر خمسة ربطات وطلع، قدمهم له، نزل للبلد اثنين من السعودية: تروح على المطار؟ حاضر، ما شارطوه، الطلب خمسمائة ليرة، أعطوه ألفين وخمسمائة ليرة، في اثنين بالمطار لفندق الشام، تنزل؟ أنزل، أوصلهم، فأعطوه مائتي دولار، اثني عشر ألف وخمسمائة ليرة أخذهم بساعة ونصف بحسنة هذا الذي أوصله إلى آخر جادة فمن، فمن شدة رحمته اشترى لهذا الفقير لحم، وخضار، وحلويات وخبز وطلع، وأعطاه ألفين، قال له: الألفين لا أخذهم أما هؤلاء الله يجزيك الخير. من لا يرحم لا يُرحم.

أنا ذكرت هذه القصة يوم الجمعة، أحد إخواننا سمعها، رواها لمن حوله، فأحد الأغنياء قال: له مني ألف وخمسمائة كل شهر. بحثنا عنه وجدناه، فقلنا له: إذهب وخذ معاش كل شهر، كلها بدأت من رحمة إنسان بائس قال له لآخر جادة، وليس معي شيء. فو النبي يعلمنا أنك إن لم تُرحم لا تُرحم، وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

والله قال لي أخ . توفي رحمه الله . قال لي: أنا اشتغلت بالجمرك أربعين سنة، و والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت ليرة حرام. أنا أدهشت بالجمرك، ولا ليرة، مرة جاءه رصاص من المهريين، قال: أصبت بأثني عشر رصاصة بجذعي، أخذت إلى المشفى، كدت أموت، والموت بيني وبينه دقائق، وجد في المشفى خمسة ألتار دم مناسبة له، أعطي هذه الألتار، وأنا مضجع قبل العملية ناجيت الله فقلت: يا رب إذا أنا أؤذي لك واحد من عبادك بكل حياتي موتي وإذا ما أؤذي واحد طيبني، وعاش بعدها خمسة عشر سنة، ومات بالتسعين، قال لي: والله لا أشكو شيء، وقال لي: ما آذيت إنسان بحياتي إلا تهريب المخدرات لا أتحملة . ومعه حق . هذا لا أرحمه، هذا يجب أن نبطش به.

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾

(سورة الحشر)

الآن عقد تسهيلات، قال: تصدق رجل من دينار . دينار، خمسمائة ليرة . تصدق رجل من درهمه . مائة ليرة . من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمره.

أنا قبل شهر تقريباً أو قبل سنة، دعاني أخ من طلاب العلم الأفارقة لبيته، بيته بعيد كثيراً بطرف المدينة، وبالشتاء القارس وليس عنده سجادة، تصور ما في سجادة على البلاط، وبرد شديد، قلت: كم واحد منا عنده على السقيفة بساط عتيق، سجادة مهريّة، كم واحد عنده مدفأة عتيقة، براد لا يريده، هذه الحاجات التي هي تشكل عبأ على بعض البيوت ليس لها محل ولا تباع ولا تشتري وحاجزة مكان، والله في عدد من الإخوة أحضروا كم بساط وسجادة عتيقة، لا يهم طالب علم، قاعد له سنتين ثلاثة، عندك مدفأة عتيقة، عندك براد عتيق، عندك سجادة، بساط، فرشاة، ديوان لا تريده أنت لا يعجبك، وهذا لواحد لا يوجد عنده بالغرفة على البلاط فرشاة إسفنج، الديوان مريح جداً، قلت والله طريقة لطيفة، الذي عنده أثاث متضايق منه وليس بحاجة له، نحن ممكن نعطيهم لطلاب العلم الأفارقة، والأتراك، والذين يأتون من البلاد البعيدة، وهم فقراء جداً، وهؤلاء يدرسون هنا ليعودوا إلى بلادهم دعاة إلى الله عز وجل.

فالنبي أعطى تسهيلات قال: ((تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره)). قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت . أي كادت تقع من يده . قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب.

أنا مرة دعيت إلى ميثم في رمضان، تمنوا أن ألقى كلمة لعلي أحسن الناس، وهذا منذ سبع سنوات، والله ألقيت كلمة وإن شاء الله تكون مخصصة، تبرعوا الحاضرين بستة ملايين تقريباً، وكل سنة تصير، ستة، خمسة، سبعة، في سنة كان الترتيب لا يكون في تبرع عني كل واحد حسب طاقته، فجمع مليون، أو يمكن ثمانمائة ألف، هذا قال يكفي خمسة عشر ألف، وهذا يكفي خمسة، ما عندما جاره بالمحل قال: أنا مائة ألف، وهو أغنى منه فاستحي قال له: أنا مائة وخمسين، ماذا قال الله؟ قال:

### ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾

(سورة البقرة: من آية " 271 ")

في بعض المواطن يجب أن تذكر، لا كبيراً ولا فخرأً، ولكن كي تشجع الناس، فمرة هذه وقت صندوق العافية خمسين مليون التبرع، وبعوض الميامن ستة ملايين بمرضان، عندما صار اقتراع من دون إعلان ثمانمائة ألف، من ستة ملايين إلى ثمانمائة ألف، فهذا الأنصاري جاء بصرة . حتماً فيها ليرات ذهبية، دنانير، وثقيلة جداً . تعجز كفه عنها، بل قد عجزت، وتهافت المؤمنون والصحابة الكرام، قال حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة. كأنه من ذهب، صار وجهه مثل الشمس من فرجه.

والحقيقة يا إخوان الأنبياء قم البشر، مشكلات الناس مشكلاتهم، أفراح الناس أفراحهم، آلام الناس آلامهم، وكل إنسان تصدى للدعوة إلى الله يجب أن يشعر بما يشعر به الآخرون، أن يرحمهم، أن يتعاطف معهم، أن يضع يده على جراحهم، فالنبي أصبح وجهه كالإبريز، كالذهب الخالص من شدة الفرح فقال عليه الصلاة والسلام:

((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم

شيء))

أنا مضطر أن أوضح لكم أن هذا الحديث لا كما يتوهمه بعض الناس، أنا سأحدث شيء بالإسلام، كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، البدعة في الدين مرفوضة، البدعة في العقيدة مرفوضة، البدعة في المعاملات مرفوضة، البدعة في العبادات مرفوضة، إنك تجترئ على الله، تدخل على الدين ما ليس منه، إنك تتهمه بالنقص، وإن حذف من الدين شيئاً تتهمه بالزيادة، إنك مبتدع.

الذي قصده النبي عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً)) في حياتنا الدنيوية، الآن مثلاً إحداث صندوق للزواج ما كان على عهد النبي هذا سنة حسنة، إحداث صندوق العافية ما كان على عهد النبي، تهيئة الراحة في المساجد ما كان على عهد النبي، كان الأرض بحصص، الآن في سجاد، وموضوع تحت السجاد لبّاد، سماكته خمسة مليمتر تقريباً لصد الرطوبة، وفي تدفئة، وفي تبريد، وفي تكييف، وفي ماء بارد، وفي ماء ساخن، هذا كله ما كان على عهد النبي، وفي تسجيل، هذا معنى:

(( من سن في الإسلام سنة حسنة ))

أما تتوهم البدعة في الدين، سنة حسنة في الدين، لا يوجد سنة حسنة في الدين، أنت معنى ذلك تضيف على الدين شيء،

(( فله أجزؤها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ))

لكن قد تسمع أنت إلى كلمة ( تجديد في الدين )، التجديد الدين لا يقبل إلا بحالة دقيقة ونادرة، أي أن تنزع من الدين ما علق به مما ليس منه، بالضبط، ولا أزيد حركة، أن تنزع عن الدين ما علق به مما ليس منه، أول خميس له في القبر، والأربعين، وهل هناك الخمسين تبعه، وثلاثة سنوات زوجته لابسة أسود، قد يكون أخوها مات، ثلاثة سنين لابسة أسود، وكل أربع في أخذان خاطر، هذه كله ليس من الدين، هذه كلها عادات وتقاليد لا أصل لها في الدين، وفي من هذا القبيل آلاف العادات التي لا أصل لها في الدين، هذا كله ينبغي أن نحاربه، تجد أهل الميت، مفجوع، عمى قلبه، يجب أن نحضر أكل من السوق، للذين وقفوا طلعوا بالجنابة ماذا قال النبي ؟ قال:

((اصنعوا لأهل جعفر طعام فإنه قد جاءهم ما يشغلهم))

( من سنن الترمذي: عن " عبد الله بن جعفر " )

لا، فوق همه، وفوق نكبته، وفوق مصابه اشتري أكل، وأطعم الناس، هذا منهي عنه فالمؤمن تسعه السنة، ولا تستهوه البدعة.

قال:

(( ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ))

فقد يقول: يا بني نحن ربينا صفتين لا يوجد عندنا بالبيت، يأتي كل أخواتي البنات وأزواجهم نأكل سفرة واحدة، هكذا أمي تريد، وهكذا أبي يقول لي. هل أبوك مشرّع؟ هذا الصهر رأى كل أخوات زوجته، فتجده يتقدم ويقول: والله هذه أحسن من هذه، الله عمى قلبي لو، أخذت هذه. فهذا يحدث، تجده يوازن: لماذا لم يأخذ هذه؟ لم يرونيها لي، ضحكوا علي غشوني، تخلصوا من الوسطى. هذا كله يحدث بسبب هذه العزيمة المشتركة.. " الحموموت .. فألف عادة ليس لها أصل بالدين ألف عادة غلط بالدين.

(( ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ))

هذا الاختلاط، هذه العادات والتقاليد التي تبتعد عن الشرع، ما نشأ عليه بعض المسلمين من أشياء لا ترضي الله عز وجل، كثير في البلاد الإسلامية أشياء محرمة يفعلونها، كنت مرة بقرية في أواسط سوريا، يعيشون على بيع السلم، بيع السلم شرعي، ولكن تطبيقه غير شرعي يأتي بدوي من البادية عنده قطيع غنم يكاد يموت من الجوع، يبيع الصوف على ظهر الغنم بعشر ثمنها، ليعطوه ثمن علف، فبيع السلم موجود وصحيح ولكنه ليس بسعر لا يصدق، فرضاً كيلو الصوف بخمسين، يشتريه منه بخمس ليرات، فهذا كان ممكن يحصل ثروة كبيرة على الربيع، يجد نفسه كل شيء عنده أحضر به علف للغنم بفترة بسيطة، ويقولون: هكذا بلادنا كلها.

بحلب . هكذا سمعت . أن واحد يدفع مبلغ لشخص ويجلس ببيت من دون مقابل، يعطيه مليونين، يقعد بالبيت بلا أجر، عندما يطلب مبلغه يسترد مبلغه يسلم البيت، هذا قرض جرّ نفعاً، وهذا محرم، وهنا بالشام كذلك يقولون: هذا تاجر آدمي كثير، ما شاء الله حوله، لا يحب الحسابات، يعطيني على المائة ألف بالشهر ألفين، هكذا أريح لي يا أستاذ، أما هذا ربا ما في حسابات بالمرة، يعطي على مائة ألف ألفين بالشهر هكذا أريح، فمائة طريقة لكسب المال المحرم، ببلدنا وبالشمال وبالوسط، إن كان ببيع السلم، وإن كان ببيع التقسيط.

(( ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ))

( رواه مسلم )

هذا الحديث أيها الإخوة أحد أحاديث كتاب الترغيب والترهيب، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به، أنا لا أعتقد أن هناك بيت مسلم ولا يوجد به كتاب حديث، لا أعتقد، حديث شريف، سنة النبي، كتاب من الصحاح، رياض الصالحين، الترغيب والترهيب، هذه كتب مهمة جداً، فالإنسان يقرأ سنة النبي، وبالأحاديث اعتمد على الصحيح، حتى في الترغيب والترهيب هناك كتاب أعجبنى اسمه إتحاف المسلم لما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، فالأحاديث الصحيح مائة بالمائة أخذت من الترغيب والترهيب فجعلت في كتاب صغير، وكل حديث ركن من أركان الإسلام، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بيدنا جميعاً، إلى معرفة سنة النبي وتطبيقها، لأنك إذا قلت: أنا أحب الله. يقول الله لك:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

( سورة آل عمران: من آية " 31 " )

علامة حبك لله اتباع سنة النبي، وكيف تتبعها إن لم تعرفها؟ معرفتها أولاً، واتباعها ثانياً.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (089 - 127) : اتباع الكتاب والسنة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-01-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة مرة ثانية نعيش مع بعض الأحاديث الشريفة المتعلقة في اتباع الكتاب والسنة، سبب اختياري لهذه الأحاديث، أنني ألتقي مع أناسٍ كثيرين يقول بعضهم: هكذا علمنا والدنا. يقول بعضهم الآخر: هكذا قال الشيخ الفلاني. من والده إلى شيخ معين، إلى كتاب، إلى مقالة، إلى مجلة، إلى ندوة في الفضائيات، يتلقى توجيهاتٍ من مصادر شتى، ولا يتأكد من صحة هذا النقل، الشيء الخطير أن هذا العلم دين، فأغلى شيء في حياتك دينك، لأنك إن صح دينك سلمت وسعدت، وإن استقيت دينك من مصادر غير موثوقة، فعشت في أوهام، وانطلقت إلى تصرفات بعيدة عن الدين، هلكت وأهلكت.

ما أروع قول الإمام الغزالي: " لأن يرتكب بعض الناس الكبائر أهون من أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ". قضية بيت يتغير، حرفة تتبدل، مركبة تبيعها، أما دينك إنه لحمك ودمك، يجب أن تأخذ عن الذين استقاموا في عقيدتهم، واستقاموا في سلوكهم، واستقاموا في علاقاتهم، ولا تأخذ عن الذين مالوا.

هذه الحقيقة يجب أن تتحصن بمنهج، دقيق كلامي: أن تتحصن بمنهج، والله عددٌ كبيرٌ جداً من المسلمين قد يزيد عن معظمهم ما عندهم منهج، مرة يقول لك: الشيخ الفلاني بالفضائية الفلانية أفتى بالربا، فهل أنت أفهم من الشيخ ؟ مرة يقول لك: سمعت خطبة، مرة يقول لك: قرأت كتاب، في كتب فيها ضلالات، في كتب عناوينها براءة لكن مضمونها خطيرٌ جداً، كمن يقول في كتابه: أن الفتاة يمكن ان يراها والدها كما خلقها الله، ولا شيء عليها، لأنه والدها، وقد غطاها ببعض التفسيرات المضحكة للآيات الكريمة.

أنا حينما كنت في بعض البلاد، شيء لا يصدق أن مثل هذه الكتاب رائجة هناك، وهي عندهم دين، وهي عندهم صحيحة، فمع فوضى المعلومات، ومع تعدد المصادر، ومع انحراف بعض من يتصدون للدعوة إلى الله، ومع كثرة النفاق، ومع إرضاء أهل الدنيا، ومع الخوف من الأقوياء، نسمع من يومٍ إلى آخر أشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

فلذلك، ما الذي يعصمنا من هذه الضلالات؟ وما الذي يعصمنا من هذه الانحرافات؟ وما الذي يبقينا على الطريق الصحيح؟ أن يكون عندنا منهج، نظام، مبادئ ثابتة، أوضح مثل: لو أعطيناك ألف ثوب قماش، وعلى كل ثوبٍ طوله، يا ترى هذه الأطوال المكتوبة على هذه الأثواب صحيحة؟ لعل في غش، لعل في مبالغة، لعل في كذب، لعلها واقعية، ما الذي يحل هذه المشكلة؟ أن يكون معك متر.

أنا أتمنى والله أيها الإخوة أن معرفة منهج التلقي أخطر من التلقي نفسه، ذلك أن الميزان إذا صحَّ صحَّ الوزن، وإذا اختلف الميزان اختلف الوزن، ولي مقولة شهيرة: " أن الخطأ في الميزان لا يصحح، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر، فأهون ألف مرة أن تخطئ في وزنة واحدة من أن يكون ميزانك مختلاً ".

درس اليوم على الميزان، اقرأ كتب، اقرأ صحف، تسمع أخبار، تسمع أقوال من يعمل في حقل الدعوة، تسمع أقوال منقولة عنهم وقد يكونون بريئين من قولها، أنت أمام هذه الفوضى وأمام هذا الزكام من المقولات، ماذا ينبغي أن تفعل؟ فلو أدخلناك على غرفة فيها مائة ألف قطعة صفراء براقية، وقلنا لك: هذه القطع بعضها من الذهب الخالص، وبعضها من ذهب عياره أقل (18) وبعضها عيار (16) وبعضها (11) وبعضها نحاسٍ مطليٍّ بالذهب، وبعضها نحاسٍ ملّمع، وبعضها معدنٌ خسيس مطليٍّ بلون معدنٍ نفيس، ولك أن تبقى في هذه الغرفة ساعة، وأن تأخذ مائة قطعة، من هو البطل؟ الذي يأتي بمقياس يكشف مستوى الذهب في هذه القطع، فيأخذ مائة قطعة من الذهب الخالص، من هو الأحمق؟ الذي يدخل هذه الغرفة بلا مقياس، فيأخذ أخذاً عشوائياً، وقد يكون حظه من القطع الخسيسة لا النفيسة.

فسبحان الله مع تطور الحياة، ومع كثرة التأليف، ومع تعدد المشارب، ومع اختلاف المسلمين، ومع افتراقهم إلى مللٍ ونحلٍ، وطوائفٍ واتجاهاتٍ، ومصالح، ومع من يتاجر بالدين، ومع من يبتغ الدين بالدنيا تجد ركاباً من المعلومات، بعضها صحيح وبعضها غير صحيح.

فمثلاً: أي كتاب تفتحه تقرأ: قال رسول الله ﷺ. هل تعتقد أنه حديث رسول الله ؟ لا، ستمائة ألف حديث موضوع، أعداد مذهلة مثل:

**((كل الناس هلكي إلا العالمون، والعالمون هلكي إلا العاملون، والعالمون هلكي إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم))**

هذا حديثٌ موضوعٌ لا أصل له، هدفه التئيس، إن كنت من الناس فأنت هالك، وإن كنت عالم فأنت هالك، وإن كنت عاملاً بعلمك فأنت هالك، وإن كنت مخلصاً فأنت هالك.

**((ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن))**

يعقل أن قلب المؤمن يسع الله ؟ هذا كلام فيه زندقة، طبعاً الأحاديث التي تروى ولا أصل لها كثيرة جداً.

فلا بد من منهج تلقي، لا بد من مقياس، إن كنت ناقلاً فالصحة، متبعاً للدليل، هذا منهج، إن أردت أن تنقل فتحرى الصحة في النقل، إن أردت أن تبتدع فعليك أن تأتي بالدليل القياسي.

\* \* \* \* \*

عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر الأسود، ويقول: " إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبّلتك ". ما معنى هذا الكلام؟ معنى هذا الكلام أنه في حياة المسلم رجلاً واحد كلامه هو الدليل، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل فعلاً غير صحيح، وقد أمرنا الله أن نأخذ منه أقواله وأفعاله وإقراره فقال:

**﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾**

(سورة الحشر: من آية " 7 " )

أنت أمام هذا الحديث ينبغي أن تقلد النبي، إن أتيح لك أن تعرف الحكمة لا مانع، لكن من الخطأ الفاحش أن تعلق تطبيق هذه السنة على فهمك للحكمة، نبي كريم، والدليل: أنك مع إنسان ليس رسولاً وليس نبياً لكن طبيب متفوق، يعطيك التعليمات ولا تفكر في مناقشة كلامه، هذا طبيب، هكذا قال لي، غير معقول يغلط، أنت مع طبيب لا تناقشه، فكيف تتيح لنفسك أن تناقش رسول الله ؟ وهذا معنى قوله تعالى:

## ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

(سورة الحجرات: من آية " 1 " )

لا تقدم اقتراحات بخلاف ما في الكتاب والسنة، لا تقدّم حلول لم ترد في الكتاب والسنة، أيعقل أن ينسى الله عز وجل ؟ البداء من صفات المخلوقين، لكن ليس من صفات الخالق، ما البداء ؟ يعني بدا لك شيء لم يكن بادياً من قبل، فعدلت رأيك، عدّلت القرار، ألغيت قرار، طوّرت قرار، لأن البداء من صفات المخلوقين لكنه لا يعقل أن يكون من صفات الخالق، كأن يقول: أن الله غاب عنه شيء، ثم بدا له إذاً هذا التشريع لا يناسب هذا العصر، لا..

## ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(سورة المائدة: من آية " 3 " )

فأنا أول شيء بالمنهج . منهج التلقي . أنا مخلوق من خالقٍ عظيم، كل هذا الكون يشهد بعظمته، وعلمه، وخبرته، ورحمته، وقدرته، وحكمته، وهذا الكتاب كتابه، وهذا الإنسان نبيّه، وأقواله أقوال نبيّ معصومٍ مؤيّدٍ بالوحي، معه معجزات، فأول شيء بمنهج التلقي: أنني لا بد من أن أستسلم إلى الله في قرآنه، وإلى النبي في سنته القولية أو العملية، أو إلى قول عالمٍ ينقل لي ما في القرآن وما في السنة، أنا لا أتبع رأيه بل أتبع نقله فقط، هذا المنهج، لكن أنت حينما تنساق إلى طاعة الله، يتفضل الله عليك فيمنحك حكمة هذا الأمر، تكون قد جمعت بين الحُسْنَيْنِ، جمعت بين مرتبة العبادة الخالصة، وبين مرتبة العلم، فكل إنسان طبق ما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم، منحه الحكمة.

فذلك يقول سيدنا عمر: " والله إني لأعلم أنك حجّر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ". فمن الممكن تفهم حكمة ألف أمر ويغيب عنك حكمة أمر، أنت كمؤمن..

## ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب: من آية " 36 " )

أنا ما لي خيار، وعلّة أي أمرٍ أنه أمر، هذا منهج، أنت ما لك ند لله عزّ وجل حتى تناقشه، أنت عبد مأمور، فإذا ثبت عندك أن هذا كلام الله، وأن تأويله هكذا، أو أن هذا كلام رسول الله، وأن تأويله هكذا، لا يمكن أن تقكّر بوضع الأمر على بساط البحث، أما أن يتفضل الله عليك فيكشف لك حكمة هذا الأمر، هذه منحة إلهية يعطيك إياها أو لا يعطيك، لكنك مطبقٌ للأمر في كل الأحوال.

طبعاً هذا ينقلنا إلى ما يقال اليوم: التجديد في الدين، التجديد في الفقه، تطوير الدين، قولبة الدين وفق العصر الحاضر، أن نحدث أشياء لم تكن من قبل، لعلّي ذكرت بعض هذا في الدرس الماضي، لكن من خطورته أوسع هذا في هذا الدرس.

الدين لا يقبل التطوير، ولا التجديد، ولا التغيير، ولا التحسين، ولا الزيادة، ولا الحذف، لأنه من عند الله، والله مطلق في كماله، الله عزّ وجل لا يغيّب عنه شيء، ولا تخفى عنه خافية، وخبرته قديمة قدم وجوده. ذات مرة زرت معمل سيارات لكنه ضخم جداً، فهذا الذي قدّم خدمة هذه الزيارة، أردت أن ألقت نظره إلى الله عزّ وجل، قلت له: هل تذكر مركبة من عام ألف وتسعمائة وعشرة؟ لعله ذكر بعض هذه المركبات، بسيطة جداً، الإضاءة في فانوس على الذيل، والتشغيل بحركة من خارج المركبة، والبوق هوائي، والمحرك حركة واحدة، والعجلات صب ما فيهم هواء، مركبة بسيطة جداً، لو وزناها مع مركبة حديثة جداً، والله رأيت مركبة فيها خارطة مبروطة بالقمر الصناعي، أنت اكتب هدفك كل الطرقات تظهر على الشاشة، الحقائق، الأبنية، الجسور، الطرقات، فروع الطرقات كلها على الشاشة، والمركبة زُمِرَ لها بمثلث، والخارطة تسير، وهذا برنامج ناطق، تمشي على طريق، فتسمع من يقول لك: بعد خمسة مايل هناك انعطاف نحو اليسار، تسير فيه كذا كيلو متر أو كذا ميل، يعني ناطق مشاهد.

أقسم لي بالله أحد الإخوة الكرام أنه خرج من بيته في مدينة، واتجه إلى مدينة فيها مؤتمر إسلامي، والمسافة حوالي أربعمائة كيلو متر، ما اضطر يسأل إنسان، فمركبة كهذه المركبة فيها ثلاثمائة أو أربعمائة إجراء أمني يقي الراكب العطب مثلاً، فيها ما لا يوصف، هل توازن هذه المركبة الحديثة مع مركبة قديمة؟! فالمقعد تضعه بشكل ترتاح به، محفوظ في الذاكرة، لو جاء ابنك وغير هذا المقعد، أنت بكبسة زر يعود إلى البرنامج الذي برمجته عليه. ممكن وأنت في المركبة أن تشاهد كل شيء، أن تتصل بأي إنسان، مثلاً من أجل أن تكون متناسبة مع الجو المريح هناك حركة تبدل الهواء في ثواني، ويأتي هواء بارد في الصيف، وفي الشتاء هواء ساخن، فما الذي حصل؟ ما الذي جعل هذه المركبة الحديثة جداً تتطور عن مركبة بدائية جداً؟

هو أن خبرة الإنسان حادثة، يعني تزيد، أما خبرة الله قديمة، هل سمعت أنه في إنسان موديل تسعة وسبعين ؟ ظهر تعديل على حركاته، ارتفعت عتبة الرؤية عنده، كانت رؤيته سوداء فأصبحت ملونة مثلاً ؟ هذه ليست واردة أبداً لأن خبرة الله قديمة قدم وجوده، فالإنسان كامل كمال مطلق.

بالمناسبة أنا لا أرضى أن تقول: زائدة دودية، ولكن زائدة، أي مدافعة، ما يسميه الأطباء الزائدة الدودية هي في الحقيقة مدافعة، خط دفاع، زائدة، بالذال، دودية. فحينما تعلم أن الله كامل وكمالها مطلق لا يمكن أن يكون تشريعه يحتاج إلى تعديل، والدليل يقول الله عزَّ وجل:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

واضحة. قال:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾

تتازعتم أنتم وأمرؤكم، أو أنتم وعلماءكم في شيء..

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

(سورة النساء: من آية " 59 " )

الله عزَّ وجل أحالنا إلى الكتاب والسنة، وهذا كلامٌ إلى يوم القيامة، أفيعقل أن تنشأ مشكلةً تشريعية ونختلف حيالها، ثم نرجع إلى الكتاب والسنة فلا نجد شيئاً ؟ أيعقل أن نحال على معدوم !!؟ مستحيل.

قلت لكم في درسٍ سابق فيما أذكر: أنني حضرت مؤتمراً للفقهاء في دمشق، قبل أشهر تقريباً، خرجت بانطباع دقيق جداً هو أن العلة ليست في الإسلام ولكنها في المسلمين، يعني ما من حاجةٍ إلى تشريعٍ إلا وفي التشريع الإسلامي ما يغطي هذه الحاجة، ولكن إذا رفضنا الدين نحن في الأصل هذا موضوع آخر، أما ديننا فيه كل التشريعات الملائمة لكل عصر.

\* \* \* \* \*

الحديث الآخر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

(( من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ))

أخطر شيء عقائدنا وعباداتنا، هذه منتهية، هذه مقطوعٌ بها، هذه توقيفية، نزلت بكمالٍ مطلق وانتهى الأمر، ما علينا إلا الاتباع، لذلك أعلى الخلفاء قاطبةً . سيدنا الصديق . قال:

((إنما أنا متبع ولست بمبتدع))

إنك تتبع الذات الكاملة، تتبع الكمال المطلق، تتبع الحكمة المطلقة، تتبع العدل المطلق، لذلك:

((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ))

بل البطولة أن تنزع عن الدين ما ليس منه.

وفي حديث دقيق يقول:

((إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ))

( من الجامع الصغير: عن " حذيفة " )

ما معنى هذا الحديث ؟ قد يفهمه الناس فهماً آخر، معنى هذا الحديث أنه: إن كان فعلك مطابقاً للشرع، وقد أنكره الناس، فلا تعباً بهم، فاصنع ما تشاء، إن كان فعلك مطابقاً للشرع، أنا أقسم لكم بالله أن هناك نساء مسلمات يقلن لأزواجهن: ازنِ ولا تتزوج علي. الشيء المسموح ترفضه، والشيء المحرم ترضاه.

فذلك:

((إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ))

إذا كان فعلك صحيحاً وفق الكتاب والسنة، وقد ورث الناس من آبائهم وأجدادهم إنكاراً لهذا الشيء، فلا تعباً بكلام الناس، وعليك بطاعة الله.

بالمناسبة، هذا الذي يحفل بكلام الناس إلى درجة غير معقولة، لا بد من أن تحفل بكلام الناس، ولكن إلى درجة غير معقولة فهذا مرض، لأنه مَنْ عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به والأمور لا تستقر إلا على الصحيح، والله عزَّ وجل هو الحق ومتكفلاً أن يظهر الحق.

من بعض منهج التلقي: أنت إنسان لك خالق، ولهذا الخالق كتاب، وقد أرسل نبياً، ولهذا النبي أحاديث، فكل سلوك، أو فعل لا ينطبق على الكتاب والسنة ينبغي أن ترفضه، وكل سلوك ينسجم مع الكتاب والسنة، ولو كان مستهجناً، ينبغي أن تفعله ولا تعباً بقول أحد، هذا منهج التلقي، أنت معك تعليمات الصانع فقط، أطبق هذا ولا أعبأ بأحد، لكن إذا أمكنك أن توضح، وأن تبين، وأن تقرب، وأن تسدد هذا أفضل، لكنه لو صار هناك تصادم، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قالت لي مرة أخت على الهاتف: زوجي يجبرني على أن أذهب معه إلى البحر، وأن أسبح بثياب البحر مع أصدقائه، وإلا طلقني، قلت لها: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فرعون بكل جبروته لم يستطع أن يحمل امرأته على عبادته، قالت:

﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ  
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)﴾

(سورة التحريم)

وهذه القصة إخواننا الكرام خطيرة جداً، مؤدَى هذه القصة أن المرأة مستقلة في إيمانها عن زوجها، فلا يقبل منها أن تقول: هكذا يريد زوجي، وإن شاء الله برقبته، لا برقبته هي، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

\* \* \* \* \*

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، كأنه منذر جيش. هذه عاطفة جياشة، هذا إخلاص شديد..

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)﴾

(سورة التوبة)

في الآن سلوك معاكس، مجاملة، تكون غرقان بالمعاصي ويمدحك كذلك بقوله: ما شاء الله حوله، فهيم والله، لبق، اجتماعي، الله يكثر أمثالك. وهو غارق بألف معصية أمامه، المجاملة كذب. مرة كنت في جلسة لم أجد فيها إلا يمدح الحاضرون بعضهم بعضاً مدحاً غير معقولاً، وكله كذب، قال لي واحد: أين كنت؟ والله كنت بجلسة كذب، الله وكيلك كله مديح فارغ، نحن لو بدلنا المديح بالنصيحة، بأدب طبعاً، وبلطف، وبدليل، فهذا أقوى بكثير.

مرة دخلت على أحد الإخوة التجار . المحسوبين على المؤمنين . يعني دين، ويحضر مجالس علم، وله مكانته، لكن وجدت عنده وظيفة بوضع لا يقبل إطلاقاً، فعانتته: أنك أنت محسوب علينا، أقسم لي وقال لي: والله زارني عشرات من الرجال الذين يعتد بهم ما أحد نصحني هذه النصيحة، والله جزاه الله خيراً بدلها بموظف بعد ذلك، فلا يتناسب هذا الوضع مع مكانتك الدينية، أنت اطلع من المديح للنصيحة، المديح والله فارغ، وبعض الأحاديث تقول:

((احتوا في وجه المداحين التراب))

كن معتدل بالمديح، واجعل مديحك واقعي، وأن يكون مديحك بحكمة، ولكن الشيء الذي يحير أن النبي له حديثان يبدوان متناقضين، الأول يقول:

((إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإسلام في قلبه))

(من الجامع الصغير: عن "أسامة بن زيد")

والثاني:

(( أحثوا في وجه المداحين التراب ))

( من الجامع لأحكام القرآن )

أحدهم مدح آخر أمام النبي الكريم قال:

(( لقد ذبحته ))

فكيف نجمع بين الأحاديث ؟ قال: المؤمن موحد ومتواضع، فإذا مدحته رأى فضل الله عليه، فازداد محبة لله، وازداد تواضع، وازداد نعومة ولين، ولكن ضعيف الإيمان إذا مدحته يستعلي ويتكبر.

فكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول:

(( صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين ))

بعثته من علامات قيام الساعة، بعث النبي في آخر الزمان، بعثته من علامات قيام الساعة، والأحاديث عن علامات قيام الساعة كثيرة جدة، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول:

(( أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله ))

يعني خير كتاب تقرأه، خير منهج تتبعه، خير حبل تتمسك به، خير دستور تمشي عليه، خير نص تتعامل معه، فيه نبا من قبلكم، وخبر ما بعدكم، فيه الحلال والحرام، فيه الأمر والنهي، فيه أخبار الأمم السابقة، فيه آيات كونية دالة على عظمة الله عز وجل.

(( بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب

الله ))

يعني فضل كلام الله على كلام خلقه، كفضل الله على خلقه، يعني المسافة بين خالق ومخلوق، كالمسافة بين كلام خالق وكلام مخلوق، مهما كان كتاب قِيم، إذا كان قديم تجد فيه شيء مضحك، والله كتاب مشهور شهرة في العالم الإسلامي تفوق حد الخيال، من ليس عنده هذا الكتاب فليس من الأحياء بعضهم قال، هذا العالم وقتها كان يتوهم أن المعدة مفتوحة كالوعاء، وأن الطعام الحار يخرج منه بخار إلى الدماغ، فيعطّل التفكير، هذا الشيء غير صحيح، إنسان ثاني تقرأ في كتابه: أن حبل السرة هو حبل فيه دم وفيه هواء، لكي يتنفس الطفل، لا تجد كتاب إلا فيه خطأ، ولكن هذا الكتاب الكريم، كتاب الله، مع كل التقدم العلمي، هل يوجد فيه آية تناقض مع حقيقة علمية؟ مستحيل، أنا ذكرت مرة في ندوة أزيغت في رمضان، أن الله عز وجل قال:

### ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)﴾

(سورة الواقعة)

أن هذا النجم كان هنا قبل عشرين مليار سنة، بعض المجرات تبعد عنا عشرين مليار سنة، ومشى، لكن ما سرعته؟ مائتي وأربعين ألف كيلو متر بالثانية، تقترب من سرعة الضوء، فأين هو الآن؟ مائتي وأربعين ألف كيلو متر ثانية، بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربعة وعشرين، بالسنة ضرب ثلاثمائة وخمسة وستين، بعشرين مليار سنة، فأين هو الآن؟ فهذا المكان الذي أصدر الضوء منه، هل هو نجم؟ لا ليس نجم اسمه موقع، كلمة موقع لا تعني أن صاحب الموقع في الموقع، فلو أن القرآن كان ليس من كلام الله لوجدت آية تقول: فلا أقسم بالمسافات بين النجوم. لأن النجم ليس ثابت، لو قال بالمسافات بين النجوم ليس قرآناً هذا كلام بشر، أما لأنه كلام خالق البشر.

### ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)﴾

(سورة الواقعة)

هذا النجم كان في هذا الموقع، وانطلق بسرعة هائلة، وبعد عشرين مليار سنة جاءنا الضوء من هذا الموقع الذي تركه صاحب الموقع، فمهما تقدم العلم يقترب من الدين، وأكبر غلط يرتكبه بعض المسلمون، أنه يقول: مرحى للدين إذا وافقه العلم. لا، هذا تفكير معكوس، قل: مرحى للعلم إذا وافق الدين. فالدين هو الأصل، لا تمدح الدين بتطابقه مع العلم، لا، امدح العلم إذا تطابق مع الدين، هذا هو الأصل.

إذاً:

((إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة))

وفي رواية:

(( وكل ضلالة في النار ))

إذا كان صنعة المطلق في كماله كانت هكذا، فأبي تبديل وتعديل نحو الأسوأ، الله ماذا قال:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)﴾

(سورة الإنسان)

النطفة فيها مورثات، والبويضة فيها مورثات، تصميم ربنا عز وجل لو أن هناك مورثين في البويضة وفي النطفة مختلفين في قوتهما، الأقوى يغلب الأضعف في التصميم الإلهي، لو فرضنا إنسان من أسرة معها تخلخل في العظام مبكر، هذا الإنسان تزوج من أسرة بعيدة عنه، معها قوة في العظام بحسب المورثات، إذا صار تزواج بين هذين، المورث القوي يغلب المورث الضعيف ويأتي الطفل قوي، أما لو استسخرنا، كما يفعل البشر، أخذنا خلية من ندي الحيوان، ولقحناها ونمت في أنبوب، ثم وضعناها في رحم، ثم نمت، فالنتائج ليس وفق منهج الله، الناتج شقيق الأصل، والخطأ يكرس في التماثل، والخطأ يتلاشى في التباعد، لذلك قال سيدنا رسول الله فيما رواه عمر عنه، موقوف عن سيدنا عمر: " اغتربوا لا تصووا ". أقوى دليل على أن الاستسناخ غير جيد أنه تعديل عن خطة الخالق، والخالق مطلق، فالتعديل نحو الأسوأ.

ولكن بعد ذلك صار في فضائح، هذه النعجة التي كادت عن طريق الاستنساخ، أصابتها أعراض الهرم بعد أشهر، وكأنها عاشت أعوام طويلة، لأنها خلال المنهج الإلهي.

### ((وشر الأمور محدثاتها))

انظر للناس تجد أغلبهم يسهرون إلى ساعة متأخرة من الليل، أجمل ساعة في اليوم الفجر، " لو يعلم ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً "، أهدنا أحياناً يكون خارج دمشق ينام باكراً في الساعة التاسعة أو العاشرة، تجده يستيقظ كالحصان وهو متفهم لعباداته وتلاوة القرآن، مقبل على الله عز وجل، كل نهاره سعيد، بهذه الساعة المباركة التي كانت في السحر. " لو يعلم الناس ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً ".

نحن نأخذ من الحضارة ما ينفعنا، سئل أحد الأدياء: ماذا نأخذ وماذا ندع من حضارة الغربيين؟ قال: نأخذ ما في رؤوسهم وندع ما في نفوسهم، إحساسنا ملكنا وإحساسهم ملكهم، ولكن المعرفة قَدَّرَ مشترك بين الجميع. ويقول: إن ثقافة أي أمة ملك البشرية جمعاء، ذلك لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع عسلها!؟

فالثقافة ملك البشرية، يمكن أن نأخذ ما في رؤوسهم، أما ديننا دين عظيم، أما يجب أن يكون أنواع الزواج ثلاثة؛ عقد بين شخصين، بين ذكركين، أو أنثيين، أو ذكر وأنثى، هذا خلاف الطبيعة، خلاف الفطرة، خلاف المنهج، طلع علينا مؤتمر السكان بأشياء لا تصدق، أناس شاردون عن الله، ما في عندهم منهج، نحن عندنا منهج من عند خالقنا ومربينا.

### ((وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار))

ثم يقول:

((أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي))

ماذا نستنبط من هذا؟ أن كلما اغتنى المواطن تغتني الدولة، أحياناً قي ضرائب تقلل الضرائب، ضرائب غير معقولة، فماذا يفعل الناس؟ يحجمون عن العمل، فتقل الضرائب، فماذا وجه النبي؟ هذا توجيه عام اقتصادي قال:

((أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا لأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي))

طبعاً هذا التوجيه ليس متعلقاً بالنبي فقط، بكل ولي أمر من المسلمين، إذا المواطن اغتني، صار خزانة للدولة، طبعاً دفع الضرائب، دفع ما عليه.

ذات مرة جرت تجربة ببعض البلاد: وزير النقل أو البريد اقترح مضاعفة ثمن الطوابع يأتي خمسين مليون جنيه، فقال: نضاعف القيمة يصبحوا مئة مليون. حساب بسيط، فلما تضاعفت ثمن الطوابع جاء خمسة وعشرين مليون، لأن الناس أصبحوا يرسلون الرسائل بشكل شخصي مع بعضهم بعضاً، فليس كل حساب على الآلة الحاسبة صحيح، فهنا التوجيه أن ينبغي أن يغتني المواطن، فإذا اغتني تغتني معه الدولة، لا ينبغي أن يفتقر المواطن.

(( أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا لأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي أو علي))

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عليه السلام:

(( من رغب عن سنتي فليس منه))

في بعض إخواننا الكرام تجد النمط الغربي سائد في مجتمعاتنا، لازم تكون احتفالاتنا وأعيادنا عن النمط الغربي، وطعامنا وشرابنا ودعواتنا وولائمنا والأعراس كلها على النمط الغربي، هذا الشيء فيه غلط كبير، هذا طمس عن شخصية الأمة،

((فمن رغب سنتي فليس مني))

والدليل: إن الله ﷻ لن يقبل دعوى محبته إلا بالدليل، فقال:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

(سورة آل عمران: من آية " 31" )

حدثني أخ . هو من بلد عربي بعيد، مقيم في أمريكا، قال لي: تبايع بعض الأشرطة الإباحية بأسعار مرتفعة جداً، هي في الحقيقة لأزواج في غرف النوم، في آلات تصوير خفية في بعض الفنادق، فحينما يقيم إنسان عقد قران بفندق، تقدم له هدية أن ينام الليلة الأولى في غرفة من غرف الفندق، ويصوران، وترسل الأفلام إلى بلاد بعيدة، فتبايع بأثمان باهظة، فطوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة، انتبهوا، في أناس من الطبقة الغنية تريد كل شيء فخم، كل شيء غالي، بأعلى مكان، بأجمل مكان، بأرقى مكان، لكن في مطبات، فأنا أقول هذه الكلمة: طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة.

شخص اشترى آلة تصوير ملونة متحركة فيديو، صور أهله، والشيطان بعد ذلك وسوس له أن يصورهم بوضع غير مقبول، بعد ذلك من دون ثياب، بعد ذلك بقاء زوجي، مستعير عدد من أفلام الفيديو من بعض المحلات، بالخطأ وضع الفيلم الخاص به بغلاف فيلم مستعار، هذا المؤجر وجد فيلم جديد، أجره، ووصل لأخ صاحب الموضوع، هذا الرجل اضطر أن يبيع بيته وأن يسكن في مدينة بعيدة جداً، أنا أذكر هذا الكلام مع أنه قاسٍ جداً، ومع أنه لا يقبل، ولكن لكي أنبه إخواننا ما كل آلة حديثة استخدمها استخدام غير مشروع، طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة.

الآن آلاف المشكلات تعاني منها النساء بسبب صور، صار في برامج مذهلة، يقام رأس وتوضع على شخص آخر، دون أن تشعر، دون أن تلاحظ الفرق، ممكن تقدم صورة إلى زوج لزوجته من حيث رأسها فقط، أما جسمها لامرأة ثانية، وتكون هذه الصورة سبباً في الطلاق، فنحن نريد أن نقلد الغربيين أن في عرس مع فيديو مع تصوير، فهل يعقل أن تصور هذه النساء الكاسيات العاريات في العرس وصار في وثيقة، أحياناً تكون بيد الزوج فيحدث الطلاق، يوزع هذا الفيلم على أقربائه إغاضة لزوجته، فأنا أقول لكم أشياء حادة جداً ولكن اخترتها لتكون رادعاً لنا جميعاً عن أن نستخدم شيئاً ما فعلها النبي، من رغب عن سنتي فليس من أمتي.

والله بعد أن رأيت ماذا يمكن أن يكون في المونتاج في الصور شيء لا يصدق، في تقدم علمي مذهل، ممكن تضيف إنسان، تحذف إنسان، تضع رأس إنسان على جسد إنسان آخر، خيارات ليس لها نهاية، ولن تستطيع كشف هذا التصوير، فعندما قال النبي:

## ((إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون ))

(من الجامع لأحكام القرآن: عن " عبد الله بن مسعود " )

يبدو أن الله أنبأه بما سيكون:

## ((إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ))

أكثر الفتيات اللواتي يستدرجن إلى الزنا عن طريق صور، ضبطت في صور، وهددت أن تصل إلى أهلها، فلانت، أكثر ما يجري الآن تحويل الفتاة من فتاة إلى مومس عن طريق صورة النقطة في غفلة منها، ثم هددت بها، أحياناً أحتاج إلى أن أذكر بعض القصص، مرة كنت بالعمرة، فمدخل الفندق في المدينة المنورة، استاند مكتوب عليه قصص أن أقرأها وأرجعها إلى مكانها، وجدت قصة، أخذتها وقرأتها في الليل، هي فتاة مسجونة بمصر، قتلت شاباً، فحكم عليها بسنوات طويل، هذا الشاب استدرجها بعد اتصال هاتفي، بعد كلام لئِن، بعد تمثيل متقن جداً، استدرجها إلى بيت، وخذرها، وفعل بها الفاحشة وصورها، ثم أراها الصورة وقال: هذه إن لم ترضخي لي أرسلها إلى أهلك، رضخت له وصار يؤجرها لأصدقائه، إلى أن وصلت هذه الصورة إلى أهلها، فطعنته وقتلته وحكمت بالسجن، سببها صورة.

فدائماً الأب الراقي ينبه: ينبغي ألا تدخل ابنته إلى بيت لا تعرفه، لو صديقتها، كثير أشياء تجري عن طريق الصديقات، أبداً لا تدخل الفتاة إلى بيت لا تعرفه، قد تخدر، وقد تمارس معها الفاحشة، وقد تصور، وقد تبتز بهذه الصورة، فأنا ذكرت هذا تعميقاً لقول النبي الكريم:

(( طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،

ومن رغب عن سنتي فليس مني))

المؤمن الصادق جهده منصب على معرفة الأمر والنهي، وتطبيق الأمر والنهي لينجو، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لنا أهلنا، وشبابنا، وبناتنا من كل سوء، فالمصيبة الكبيرة أن تكتشف أنه في خلل في بيتك، هذا خلل لا يحتمل، وكل تقصير في التربية، وكل تقصير في التوجيه قد ينتج عنه خلل خطير.

أعيد وأذكّر بمنهج هذا الدرس: أهم شيء أن تمتلك منهج التلقي، منهج التلقي ؛ خالق الكون هو المشرع بالكليات من خلال القرآن، ورسوله الكريم الذي أوحى إليه وعصمه عن كل خطأ، هو أيضاً المشرع عن الكتاب والسنة، ما إن تمسكنا بهما فلن نضل بعدهما أبداً، وأقوال ما سوى الكتاب والسنة نعرضها على الكتاب والسنة، فإن وافقته فعلى العين والرأس، وإن خالفته نركلها بأقدامنا، هذا هو المنهج. أنا مخلوق، لي خالق عظيم هو صانع حكيم معه تعليمات، أنا انطلقاً من حبي لذاتي ومن حرصي على سلامتي أتبع تعليمات الصانع.

فماذا يجري في الحفلات من تصوير، ومن ابتزاز، ومن تعزّي، هذا كله من عادات الأجنبي، فالأجنبي لا يوجد عندهم شيء حرام، كله مباح لهم. قال له:

يا أبت أحببت الفتاة أتزوجها ؟

قال له: لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري.

رأى فتاة ثانية قال له: لا يا بني إنها أختك أيضاً وأمك لا تدري، طبعاً ممن حوله. رأى فتاة ثالثة، فقال له كذلك، فضجر وحدث أمه، قالت: خذ أياً شئت فأنت لست ابنه وهو لا يدري.

لا يوجد تكليف بين النور أبداً، نحن كمسلمين والحمد لله في انضباط، في بقية . أقول بقية . بقية حياء، بقية خجل، بقية مروءة، بقية عفة، هذه البقية نعمة كبيرة، فكيف إذا كانت هذه العفة والمروءة والحياء والخجل في الأوج كما كان عند

الصحابة الكرام.

يا إخواننا الكرام كلمة أخيرة: ديننا ليس في الصلاة والصيام فقط، ديننا في المعاملات، في غض البصر، في ضبط للسان، في ضبط العين، في إقامة الإسلام في البيت في نساء مؤمنات، عفيفات، طاهرات، رакعات، ساجدات، الإسلام فيه أولاد أبرار، فأنت لا تقطف ثمار الدين إذا صليت، بل إذا طبقت أحكامه التفصيلية في حياتك، عندئذ يغدو بيتك مقدساً، ويغدو من حولك على شاكلتك، وعندئذ يسعدون بك.

إخواننا الكرام ما يسمع الإنسان من قصص بين عموم المسلمين الشاردين عن الله، شيء يندى له الجبين، شيء لا يصدق، وهذا سبب تخلي الله عنا، فنحن بذنوبنا نستحق أن يتخلى الله عنا، أما إذا عدنا إلى ديننا، وإلى إيماننا، وإلى شرعنا، وإلى ورعنا، وإلى عفتنا، وإلى حيائنا، وإلى طاعتنا لله، لعل الله يغيّر، التقيت مع أخ اليوم بجامع الطاووسية، استصحبني، قلت له كلمة مختصرة وهو في ضيق: غير حتى يغير، إن لم تغير لا يغير، لا

تنتظر أن يغير الله سننه من أجلك، التغيير منك لا من الله عز وجل، غير لكي يغير لا تغير لا يغير.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

(سورة الرعد: من آية " 11 " )

والحمد لله رب العالمين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 090 - 127 ) : الاصطفاء

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 28-01-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

ذكرت في خطبة الجمعة أن هذا الإنسان الذي لا يستحق إلا أن يكون رقماً في مجموع لا معنى له، أن هذا الإنسان الذي لا يستطيع أن يؤثر بأحد، من صفاته أنه يعيش ماضيه وحاضره فقط يعيش ماضيه يتغنى إما بأمجاد من سبق أو بشبابه وطفولته وما إلى ذلك، وأما حاضره فهو له دور واحد في هذا الحاضر دوره ردود فعل، تأتيه الأفعال فيرد عليها لكنه لا يخطط لمستقبله أبداً إطلاقاً، والإنسان إن لم يعلم أن عمره ثمين جداً وأن الوقت وعاء عمله وأنه ما لم يخطط لمستقبله فإنه هالك لا محال وهذا شأن معظم الناس.

هذه المعاني تستقى من حديث صحيح في كتاب إتحاف المسلم لما في الترغيب والترهيب لحديث البخاري ومسلم، هذا المعنى ينطلق من قول النبي ﷺ أو من دعائه:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّسِعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا))

[النسائي، الترمذي، مسلم]

نحن الآن في ثورة معلومات، المعلومات التي تأتينا لا تعد ولا تحصى قد تسأل موقع معلوماتي عن معلومة تأتيك مائة ألف بحث، هناك غزارة في المعلومات لا تصدق، هناك كتب كنت أقول دائماً ما يطبع في اليوم الواحد باللغة الإنكليزية لا تستطيع أن تقرأه في مائتي عام، هناك كتب في اللغة العربية في موضوعات شتى لا تعد ولا تحصى، هناك نشاطات لا تحصى هناك علاقات لا تنتهي، هناك مشاريع لا تنقضي، أنا ماذا أفعل ؟ أمام هذا الكم اللامتناهي من المعلومات، أمام هذا الكم اللامتناهي من الحقائق، أمام هذا الكم اللامتناهي من النشاطات، ماذا ينبغي أن أفعل ؟ ماذا علي أن أفعل ؟

أيها الإخوة الكرام:

الجواب الدقيق عن هذا السؤال لا بد من الاصطفاء، وأوضح مثل: لو أنك تملك مكتبةً فيها مائة ألف كتاب وعندك بعد أربعة أيام فحص مصيري مادة أساسية في سنة الاختصاص والتخرج يبني عليه وظيفتك، ودخلك، وزواجك، وحياتك الدنيا، هل يعقل أن تتناول كتاب من هذه المكتبة لا علاقة له بالامتحان

هل يعقل أن تقرأ قصةً لا معنى لها، أمام حالة واضحة جداً يوجد امتحان لمادة أساسية في سنة التخرج لاختصاص نادر لو تخرجت لعينت ولو عينت لتزوجت، وبينك وبين الامتحان أربعة أيام فلا بد من أن تستقي من كل هذه الكتب الكتاب المقرر.

ولابد أن تصطفي من كل هؤلاء الناس إنساناً يدلك على الله وترقى به، يرقى بك إلى الله حاله ويدلك على الله مقاله، ولابد أن تصطفي من كل هذه الأمكنة مكاناً يقربك من الله، مسجد، بيت الله الحرام، مكان، جلست أنس، جلسة فيها روحانية، أخوة مؤمنين.

محور هذا اللقاء إن شاء الله الاصطفاء، لا بد من أن تصطفي وإلا الحياة قصيرة والاهتمامات لا تعد ولا تحصى، ادخل إلى مكتبة في الأدب ألف كتاب، في الفن، التمثيل، الرسم، الموسيقى، النحت، التاريخ، تاريخ الإغريق، تاريخ اليونان، تاريخ الرومان، تاريخ الأمة العربية، تاريخ الإسلامي، في التربية، علم النفس، علم الاجتماع، الفلك، الرياضيات الطب، الهندسة، الكتب لا يمكن أن أقرأ كل هذه الكتب، ماذا أختار منها ؟

أيام الإنسان بحكم حركة الحياة يسمع أخبار، ممكن أن تتابع أي خبر في أي مكان في العالم وكل يوم ماذا فعل خاطفوا الطائرة ماذا فعلوا؟ ترى نفسك موزع بين مائة موضوع، موضوعات لا تعنيك إطلاقاً تتابعها ولكن ممتعة المتابعة، فأنت مع ما يجري في العالم كله تضع أربع ساعات، ماذا كسبت من هذه الساعات، شيء وقع ولا أحد يستشيرك ولن تستطيع أن تقول كلمة ولا أن تدلي برأي، ولا أن تحرك ساكناً، شيء يقع، الذين يحركون الأحداث لا يستطيع أن تصل إليهم، أنت فقط تلقي، تلقي...

تتلقى والوقت يضيع أما حينما يأتي الموت ماذا أعددت لهذه الساعة.

أنا كل إحساسي اليوم من هذا الحديث

(( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ))

ممكن أن تقتني مجلة فيها قصة ثلاثين صفحة علاقات، خيانة، حب، موقف غير أخلاقي، أو موقف أخلاقي، شيء يتكرر، أنا أريد أن أقول العمر ثمين، والوقت غالي ولا بد من أن تصطفي ما تقرأ، وأن تصطفي من تصاحب، وأن تصطفي مكان تذهب إليه، وأن تصطفي زمان تقبل به على الله عز وجل، كل هذه المعاني من قول النبي ﷺ في بعض أدعيته

(( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ))

الوقت يمضي سريعاً وكل واحد منا لو سأل نفسه سؤال ولو كان قاسي هل بقي بقدر ما مضى، إذا الإنسان تجاوز الأربعين من عمره هل بقي بقدر ما مضى؟ كلما مات إنسان أسأل كم عاش؟ أنا أسأل هذا السؤال دائماً اثنين وستين، تسعاً وخمسين، واحد وخمسين، تسعة وأربعين، واحد وأربعين، تسعة وثلاثين، ثلاثة وسبعين، كل إنسان خرج من الأربعين قلما يكون الذي بقي بقدر ما مضى إلا أقل، فما دام الذي مضى قد مضى بلمح البصر فالذي بقي أيضاً يمضي بلمح البصر، إذاً ماذا ينبغي أن أتعلم؟

يوجد مجالات غالية جداً فيها موضوعات قيمة ولكن كلها لا تعنيك قضية خلاف في دولة في إفريقيا، تحليل دقيق جداً، دولة في آسيا صراع بين الصين وتايوان، ممكن كلها أن تطلع عليها! أنا لا أزهدي في العلم ولكن هناك علم لا ينفع لعله ينفع عند أهله لو أن إنساناً من الصين وإنساناً من تايوان وقرءوا هذه المقالة يستفيدوا كيف الأمور تجري، أما أنت لا في العير ولا في النفير، موضوع عن أمتك يمكن أن تقرأه عن صراعنا مع أعدائنا

يمكن أن تقرأه، أما صراعات بعيدة وأحداث بعيدة عنا نتابعها باستمرار.

أو نقرأ شعر، ما هذا الشعر الجاهلي؟ شيء جميل، غزل وهجاء ووصف وحماسة، كلها موضوعات غير إسلامية، غزل رخيص وفي هجاء كاذب ومر ولاذع، وفي وصف يماني اللغة ولكن هل من المعقول أنا أعيش عمراً وحيداً معد لجنة عرضها السماوات والأرض أن يكون كل اهتمامي بشعر غزلي، أو شعر هجاء، أو شعر وصف، أو شعر... والشعر كله جانب من حياة الإنسان.

أنا الذي أتمنى على الله عز وجل أن ننتبه إلى أن المستقبل خطير جداً المستقبل يجب أن تخطط له، ماذا ينبغي؟ ينبغي أن أفهم كلام الله، ينبغي أن أقرأ تفسير القرآن، ينبغي أن أفهم سنة النبي العدنان، ينبغي أن أتخلص من هذه العادات غير الجيدة، نحتاج إلى مراقبة للذات، مراقبة للعمل، فالنبي الكريم يعوذ بالله من علم لا ينفع.

كنت أقول دائماً هناك علم ممتع لكنه غير نافع، علمونا في الجامعة أنه يوجد قصيدة لهوميروس اسمها الإلياذة تقريباً عشرين ثلاثين ألف بيت شعر، فيها تاريخ الإغريق بأكمله وطبعاً كلها آلهة ووثنيات، وكلها عادات وتقاليد بعيدة عنا بعد الأرض عن السماء، قراءة هذه القصيدة مترجمة إلى اللغة العربية لعل ذلك يكون شيء ممتع يطلع الإنسان على تاريخ الأمم ولكن ما علاقتها بحياتنا؟ هذا علم ممتع ولكن غير نافع يوجد ألوان الأدب، المسرحيات، القصص، الشعر، المقالات، يوجد كتب سيرة ذاتية، سيرة موضوعية، بحوث في الفن، في النحت مثلاً، يوجد موضوعات لا تعد ولا تحصى، وهذه كلها موضوعات رصينة، ويوجد أيضاً موضوعات ساقطة تبثها الفضائيات، يمكن أن يتوزع الوقت كله في مشاهدات وفي قراءات، وسماعات لا تقدم لك في دينك شيئاً لكنها إن لم تكن فيها معصية فهي استهلاك رخيص للوقت، بريكم عندك الساعة ثمانية غداً امتحان و أنت جائع و بلغك أنه يوجد بالميدان بائع يبيع شطائر لذيذة المذاق و لا يوجد عندك سيارة ممكن تركب بباص و تنتظر بالدور، إلى باص ثاني، تجد عنده خمسين شخصاً تقف و تنتظر ساعة كي تأخذ هذه الشطيرة تأكلها و ترجع ساعة أخرى، أذهبت من وقتك ثلاث ساعات، يقول لك: أنا لم أعمل شيئاً حراماً، هذا صحيح و لكن ارتكبت بحق الوقت جريمة، أنت لم تعمل حراماً و لكن أكلت شطيرة، أنت جائع، و شطيرة طيبة المذاق، لكن استهلاك ثلاث ساعات لتناول شطيرة و الوقت يعد عليك بالدقائق حتى الامتحان، هذا عمل فيه خطأ كبير، فأحياناً يوجد أعمال ليست محرمة و لكن لأنها تستهلك وقتاً كبيراً محرمة لغيرها، الشيطان كنت أقول لكم دائماً إنه يغري الإنسان

بالكفر، فإن رآه على إيمان يغريه بالشرك، فإن رآه على توحيد يغريه بالبدعة، فإن رآه على سنة يغريه بالكبيرة، فإن رآه على طاعة يغريه بالصغيرة، فإن رآه على ورع يغريه بالمباحات، كله حلال لكن المباحات تستغرق وقتاً كبيراً جداً وهذا الوقت أثنى شيء تملكه، في الوقت تتعرف إلى الله في الوقت تطلب العلم، في الوقت تعرف سنة النبي ﷺ، في الوقت تعرف الفقه والحلال والحرام، في الوقت تصل رحمك، في الوقت تعطف على مسكين، في الوقت تدعو إلى الله، في الوقت تأمر بالمعروف، هذا كله في الوقت، فهذا الذي يلعب النرد، أو هذا الذي يسهر سهرة فارغة ليس لها معنى إطلاقاً.

والله أيها الأخوة كما يقول النبي ﷺ:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ أحمد، الترمذي، أبو داود ]

يتكلمون عن الأسعار، وعن الأعمال، وعن الأبنية، والسيارات، والقوانين الحديثة، وقت ضاع سداً، أنا ما رأيت إنساناً ناجحاً في حياته إلا رأيت الوقت ثمين جداً عنده، وما رأيت إنساناً تافهاً في حياته إلا أهون شيء عنده الوقت.

حدثني أخ وقال لي: أنا أرغب أن أتقن اختصاص ولا يوجد عندي وقت وبيته في مكان بعيد يركب سيارة عامة، ويوجد عندي كل يوم ساعة طريق، أخذت الكتاب أقرأ في السيارة العامة كل يوم تقريباً عشرين صفحة، ساعة ركوب سيارة عامة استقاد منها. إنسان أحياناً يذهب إلى طبيب ويوجد انتظار يأخذ معه كتيب صغير في جيبه يوجد انتظار يقرأ، إما أن تقرأ، وإما أن تستغفر، أو تحفظ كتاب الله، وإما أن تتلو كتاب الله غيباً، وإما أن تنتظر في آية من آيات الله، وإما أن تدعو إلى الله، وإما أن تتصح، الوقت ينبغي أن لا يضيع سدى، لأن المؤمن المتفوق الناجي يوم القيامة يندم على ساعة مضت لم يذكر الله فيها، من قول النبي الكريم:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ))

يعني هذا أنه يجب أن تصطفي من العلوم ما ينفع، بربك هل ترى كتاباً أعلى من كتاب الله؟ أبدأ كتاب الله دستورنا، منهجنا، حبل الله المتين، كلام رب العالمين، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، هذا هو القرآن.

إذاً أي وقت تمضيه في تلاوته، أو في فهمه، أو في تطبيقه، أو في تعليمه فهذا استثمار للوقت، وأي وقت تمضيه في موضوع يمت إليه بصلة، موضوع لغة عربية هذه اللغة تعينك على فهم كتاب الله، أحياناً بلاغة تعينك على فهم كتاب الله، أحياناً حديث شريف هذا تفسير النبي لكتاب الله تقريباً، أي شيء يمت بصلة إلى الله يجب أن يشغلك، وأي شيء يبعدك عن الله يجب أن تبتعد عنه لذلك النبي الكريم هكذا في بعض الأحاديث يقول:

(( ما من شيء يقربكم إلى الله تعالى إلا أمرتكم به، وما من شيء يبعدكم عن الله إلا نهيتكم عنه ))

هذا هو المقياس، الله هو كل شيء، تسعد بقربه وتتجو بحفظه وترقى برضاه، فلا بد أن تكون على طريق يوصل إليه، هذا أول فقرة بالدعاء:

(( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ))

ابحث عن علم ينفع، أنت لاحظ مريض مع طبيب من أعلى مستوى هذا المريض من شدة ثقته بهذا الطبيب لا يسأله التعليل يتأكد من الطريقة الدقيقة في استعمال الدواء ولا يسأله التعليل لثقته به، والمؤمن كذلك لا شيء يعلو في حياته على معرفة حكم الله في أي موضوع، حكم الله هكذا انتهى الأمر.

(( وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ))

هذا القلب، هذا الذي قال عنه الله عز وجل:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[ سورة الشعراء ]

هذا هو قلب النفس، هذا القلب الذي يكبر ويكبر ولا نرى كبره فيتضاءل أمامه كل عظيم، يوجد قلب أكبر من المجرات، قلوب الأنبياء أكبر من المجرات، يكبر هذا القلب ولا نرى كبره فيتضاءل أمامه كل عظيم، ويصغر ولا نرى صغره فيتعاضم عليه كل حقير.

كنت مسافراً إلى بيروت فالسائق يتكلم طول الطريق عن نفسه وعن بطولته وعن أعماله، أشبعنا حديثاً عن نفسه، والإنسان يصدق، في العودة رجعت معه جندي فقير، راكب اشترى عدداً من العلب الغذائية، وأنا أريد أن أنزل في مكان قبل آخر الخط فنزلت وهو نزل قبلي وفتح صندوق السيارة يخرج علب الجندي ويدخلها خلف الدولاب، يعني نفسه دنية إلى درجة أخذ بعض العلب الغذائية من بضاعة الجندي الفقير ورماها خلف العجلة الاحتياط، يعني كل شيء قاله في الطريق صار تحت الأقدام.

هذا هو القلب الصغير، علبة ثمنها تقريباً خمسين ليرة، عشرين ليرة، وهذه سرقة دنا نفسه، ويوجد إنسان أقسم بالله شخص وجد في سيارته ثمانية عشر مليون في كيس أسود ويبحث عن صاحبها عشرين يوماً حتى وجده وأعطاه الكيس، هذا إنسان آخر، انظر إلى القلب الكبير، قلب دنيء لدرجة أنه يسرق من جندي فقير بعض العلب الغذائية وإنسان آخر في أمس الحاجة إلى ألف ليرة يجد ثمانية عشر مليوناً في السيارة ويبحث عن صاحبها، قال عليه الصلاة والسلام:

((عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: تجدون الناس معادن فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام))

[ البخاري، مسلم ]

فأنت كلما عرفت الله على معدتك، مرة كنت في استنبول رأيت ألماسة وسمعت أن ثمنها مائة وخمسين مليون دولار، وهي بحجم البيضة ألماس برلنت وعليها إضاءة كأنها شمس، والألماس أساسه فحم، ويوجد فحمة بالحجم نفسه ثمنها قرشين، بائع الفحم يبيعه ربيع ليرة.

قلب كالألماس وقلب كالفحم، كلما عرفت الله ارتقيت وكلما ابتعدت عنه إلى شهوات الدنيا سفهت.

وجدت طبيباً في مدينة في أمريكا من أخوانا الكرام قال لي: كنت أعالج مريضة يوجد عنده فطور ما كنت أعرف أصلها، عملت تحليل وزرع بعد هذا كان يوجد حالة نادرة جداً، ثم فوجئ أنها تعاشر كلباً، إنسانة مكرمة خلقت لتكون زوجةً تعاشر كلباً، طبعاً انتقل إلى أسنانها من لعابه فطور لم يوجد مثلها في البشر توجد في الكلاب.

إذا الإنسان سقط من عين الله يكون أحقر إنسان، وقد تقرأ عن بعض المجرمين أشياء لا تصدق، قبل أشهر إنسان مسلم من لبنان دخل إلى مدينة قمار في أمريكا وكسب مليوني دولار وذهب إلى بيته سحب مسدسه وقتل زوجته وأولاده الخمسة ثم انتحر وقال ليغفر لي الله.

انظر طريق الدين طريق العفاف والطهر والنقاء، طريق الطمأنينة والسعادة، أساساً الآية:

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾

[ سورة البقرة: الآية 5 ]

الهدى رفعهم، وقوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ﴾

[ سورة إبراهيم: الآية 3 ]

أي شيء ضمن شيء، هم داخل كآبة أو داخل السجن، أو داخل القبر بعد الإعدام، بين أن يكون الإنسان له قلب كبير، هذا القلب الكبير سببه معرفة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾

[ سورة الحج: الآية 46 ]

النبي الكريم استعاذ بالله من علم لا ينفع، تمسك جريدة مائة وأربعين صفحة، وكل حرف يسمونه قياس تسعة، إذا ما كان بصره اثنتي عشرة على عشرة يحتاج إلى نظارات، اثنتين وأربعين صفحة بحرف تسعة يكون كتاب مائتي صفحة كل يوم، كل يوم...

في مصر يوجد خمسين طن كتب كاسدة ويوجد عندهم معمل ورق فأحالوا هذه الكتب الكاسدة إلى معمل الورق يصبحوا عجينة ورق، فجاء معلق خبيث كتب وهنا يتحول اللت إلى عجن، أما يقول لك لت وعجن. يوجد كلام ليس له نهاية، محور اللقاء محور هذا الدرس المبارك إن شاء الله الاصطفاء، طالما يوجد علم لا ينفع لابد من أن تصطفي من العلوم ما ينفع، يوجد أصدقاء لا ينفعون لابد أن تصطفي من الناس ما ينفعك، من يرقى بك إلى الله حاله ويدلك على الله مقاله.

مادام يوجد أماكن فيها موبقات لابد أن تصطفي مكان فيه قربات، إن بيوتي في الأرض المساجد، يمكن أن تصطفي كتاب، صديق، مكان، لقاء، جلسة، مجلس، ندوة، سهرة، يوجد سهرة فيها ذكر الله عز وجل، أكثر الدينين لهم جلسات لطيفة يتدارسون كتاب الله، كتاب فقه، كتاب حديث، شيء جميل جداً، وعندهم علاقات لطيفة جداً، عندهم مزح بريء لطيف مسعد، اختر جلسة راقية، دائماً صاحب في أمور الدين من هو فوقك وصاحب في أمور الدنيا من هو دونك.

حدثني أخ طبيب قال لي أنا أسافر إلى أوربا كل سنة تقريباً أرجع وعندي كآبة أرى عندنا أشياء كثيرة ناقصة، طرقائنا، مواصلاتنا، التعامل مع الناس صعب أحياناً، قال لي هذه المرة سافرت إلى الهند وجدت بلدي أرقى بلد في العالم، قال لي واصفاً لبيت عبارة عن جدرانه من أقمشة مهترئة أو من أكياس نايلون عتيقة، أو من كرتون مخرطة، هذا الجدار أرض تراب ويوجد داخله خمسة أشخاص وأهمهم وأبيهم يسكنون، هذه حياة الرصيف بيت له فروغ، أسرة هنا أسست وأنجبت أول ولد والثاني والثالث على الرصيف لا يوجد غرفة نوم، وجلس، وضيف، فلما الإنسان يرى بلاد فقيرة جداً يرى نفسه في بحبوحة، يوجد أناس في القوارب، الآن سبعين مليون نزلوا في نهر يتطهروا، اشكروا الله يوجد عندك حمام وماء نظيفة، هذا النهر قذر والذي فيه أقذر، أديان كلها.

دائماً في أمر الدين صاحب من هو فوقك تقتبس من علمه، من لطفه، من حكمته، من نظام حياته، من تصرفاته.

فالغني تشتهي الغنى من تواضعه ومن سخائه، ومن محبته للناس ومن إكرامه لهم، الغني المسلم إنسان كبير جداً وله شأن كبير هو يؤلف القلوب بماله والآخرين يؤلفون القلوب بعلمهم، وهو بماله، فإذا قلنا غني المقصود غني غير مؤمن، غني متكبر.

لا تصاحب في أمر الدنيا إلا من هو دونك فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك، سيدنا عمر قال: من دخل على الأغنياء خرج من عندهم وهو على الله ساخط. إذا السجادة ثمنها ثلاث ملايين وهو لا يملك، قال لي أحدهم يوجد صنوبر ماء بثمن بيت.

القلب لا يخشع لأنه قلب بعيد عن الله مشغول في الدنيا، لذلك قال سيدنا عمر تعاهدوا قلوبكم، هل القلب فيه محبة إلى الله؟ أقول هذا مرات كثيرة إذا ذكرت الله فلم تشعر بشيء وإذا تلوت القرآن فلم تشعر بشيء، وإذا صليت فلم تشعر بشيء يوجد مشكلة كبيرة في إيمانك، إياك أن تكون كالنعامة تتعامى عنها، يوجد مشكلة كبيرة تعاهد قلبك.

(( وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ))

مهما أعطيتها تقول هل من مزيد، المؤمن هناك شيء يبلغ به سؤله، دخلوا على سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في الشام وكان قائد الجيوش الإسلامية وجدوا في بيته قدر ماء مغطى برغيف خبز وهو يجلس على جلد غزال وسيفه معلق على الحائط، قالوا: ما هذا يا أمين هذه الأمة؟ قال: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير ألا يبلغنا المقت!

(( وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ))

يا أيها الإخوة:

كم خطيب يدعو يوم الجمعة اللهم دمرهم، اللهم شتت شملهم، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم، اللهم اجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، ما تدمروا لأننا نحتاج إلى دعاء يمثل مجموع المؤمنين الصادقين، طبعاً إذا الإنسان دعا نيابة عن المجموع ينبغي أن يكون المجموع على مستوى الدعاء، فالنبي الكريم يقول:

(( يا سعد أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ))

يعني اشترط طعاماً بمال حلال كسبته من حلال عندئذ الطعام طيب وإذا كان طعامك طيباً فدعاؤك مستجاب، والحقيقة لما يكون الإنسان مستجاب الدعاء يشعر أن الله معه، أما إذا دعا ولم يستجب له لأن مطعمه غير طيب أو لحكمة أرادها الله.

هذا هو الحديث الأول:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا))

(( في بعض الروايات من عين لا تدمع، ومن أذن لا تسمع ))

الأذن تسمع الصوت ولكن إن لم تستجب فكأنما لم تسمع وأقوى دليل على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

[ سورة التحريم: الآية 4 ]

يعني علامة الإصغاء هو التوبة، الحركة، الموقف العملي، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَلْمِزُوا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)﴾

[ سورة الأنفال ]

السمع عند الله الاستجابة فقط، في رواية لهذا الحديث عين لا تدمع، يعني عين تبكي من خشية الله، أو عين تحرس في سبيل الله، أو عين تغض عن محارم الله، هذه عين أطاعت الله ومادامت أطاعت الله عز وجل أغلب الظن أن الله يحفظها لك، كذلك الأذن لو أنها كفت عن سماع الغناء وعن سماع أي شيء لا يرضي الله أغلب الظن أن الله يحفظها لك واليد والرجل واللسان وكل هذه الأعضاء وهذه الأجهزة إذا أطعت الله فيها يحفظها الله لك.

(( قَالَ أَسَامَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ بِهِ أَقْتَابُهُ فَيُدَوَّرُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدَوَّرُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ مَا أَصَابَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَقَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ))

[ البخاري، مسلم ]

أقتابه: أمعاؤه.

والله أيها الإخوة هذا كلام يقصم الظهر، الحديث سهل، كل إنسان طليق اللسان، ذكي الفكر، إذا حافظته قوية، يتكلم كلاماً يسمونه متحدثاً لبقاً، فالكلام سهل لكن البطولة أن تكون في مستوى هذا الكلام. المؤمن الصادق يحاول أن يكون إنساناً فعالاً قبل أن يكون قوياً، مرة أحد الخطباء في عهد بني أمية صعد المنبر، أو أحد الخلفاء صعد المنبر فأرتج عليه أي اضطرب فقال: يا أهل الشام أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال، مادام الفعل هو الأساس، سبحان الله أنا أشعر الآن مع كثرة الكلام في أي موضوع الناس انصرفوا عن الكلام يقول لك: كلام بكلام، لكن ما الذي يهزمهم؟ العمل، الموقف الأخلاقي أي أنت لا تستطيع أن تحدث تأثيراً إيجابياً بإنسان إلا بعمل، بعمل بطولي، كان يوجد أمانة، كان هناك عفة، يوجد صدق، يوجد وفاء، تضحية فما لم تكن، و الله إنسان دعاني إلى طعام حدثني عن حياته السابقة فكان مقيماً بحي من أحياء دمشق المتطرفة، القصة من حوالي أربعين سنة، قال لي: نحن اثني عشر أخاً بغرفة واحدة نزحوا من فلسطين عقب الحروب القديمة، قال لي: الطريق إلى الطريق العام تقريباً يوجد ثلاثين سنتيمتر من الطين السائل في الشتاء، و هو طالب طب فما الحل؟ كيف يصل من غرفته إلى الطريق العام؟ كيف يصل إلى الجامعة بحداء و بجوارب و ببنطال إذا الطين السائل أربعين سنتيمتراً، طريق يوجد فيه أمطار و أطيان و بين البيت و الطريق العام هذا الطريق، قال لي: أمي كانت تحمل لي جوربين و حذاء و تمشي في الطين إلى الطريق العام، مع وعاء ماء، أغسل رجلي و أرتدي الجوارب و الحذاء و أذهب إلى الجامعة، تنتظرنني في المساء لتحمل لي حذائي و جوربي و أعود إلى البيت، أربع، خمس سنوات في الطب، قال لي: مرة احتجت إلى كتاب، هذا الكتاب لا يوجد معي ثمنه و هو أساسي فباعته حليها و اشتريت لي الكتاب و بكى، قال لي: و ماتت و لم ترني طبيباً، لكنها أوصتني بأختي، ماذا فعل بعد التخرج؟ قال لي: وصلت إلى أمريكا فأعطونا أول راتب ستمائة دولار، تقول له زوجته: ادفع أربعمائة إلى أهلك و يكفيننا الباقي، قال لي: هذا الموقف لا أنساه لزوجتي، ثم بدأ يرسل، قال لي:

كل أخوتي الذكور و الإناث اشترى لهم بيوتاً في الشام و لهم رواتب شهرية منه إلى الآن، لأن والده ووالدته أوصياه بأخوته، فهذه بطولة، الإنسان يرقى بأعماله الصالحة و يسقط بلؤمه، و الله يوجد أعمال يشقى بها الإنسان في جهنم إلى أبد الأبدين، و هناك أعمال دائماً أخوانا هناك قاعدة: الخير أو متاعب الخير تنقضي و يبقى ثوابه، و لذائد الشر تنقضي و يبقى عقابه، هذا الذي يعق أمه أو يعق أباه، أقول هذا الشخص كان يوجد فيه خير فما نسي الفضل لأمه و أبيه، لكن كم شاب الآن و الله هناك شباب تركوا بلادهم و تركوا أمهاتهم عشرين سنة و لم يبعث أية رسالة، تزوج و عاش و أهله فقراء، هذا لما ربنا عز وجل يوم القيامة يكشف له عن عمله ماذا يحصل له ؟ تصور، هناك آباء و أمهات كل ما عندهم لأولادهم، سافر و لم يعد أحب واحدة فاسقة، فاجرة، عاش حياة منحطة، ضنّ على أهله برسالة، باتصال هاتفي، أنا أعرف أناساً عشرين سنة و لا رسالة، يعيش في بحبوحة كبيرة جداً و أهله فقراء أما هذا فطلع صاحب أصل، حكى لي قصة ماذا فعل مع أهله والله أبكاني وأنا أكبرته جداً، قال لي: الحمد لله كل أخوتي في بحبوحة وأنا أنفق عليهم جميعاً وأعطيتهم فوق ما يحتاجون تنفيذاً لوصية أمي وأبي، الأم آية من آيات الله والأب كذلك، فأنت حياتك كلها كلمة في الأخير، اذكر واحداً لا على التعيين تقول الله يرحمه عمل كذا وأحسن، واذكر إنساناً خبيثاً جداً، زاني، شارب خمر، سافل، ظالم مثلاً أول كلمة تقول الله يلعنه.

في النهاية الإنسان كلمة واحدة إما ان يترحم الناس عليه وإما أن لا يترحموا عليك، قال تعالى:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾

[سورة الدخان: الآية 29]

غير المؤمنين، أما المعنى المخالف المؤمن تبكي عليه السماء والأرض، تبكي في مكان سجوده، في مكان عمله، أيام أكون في جلسة يتكلم عن رجل صالح كيف كانت أعماله ترى الجلسة كلها صار فيها خير، صار فيها سرور ورحمات، سمعت عن رجل من أهل العلم عنده كان معهد شرعي قالوا لي أولاده ما أكل في حياته لقمة تزيد عن طلابه أبداً، إذا أكلوا لحم يأكل معهم وإذا لم يأكلوا لا يأكل، عاش من أجل الطلاب والمعهد والدعاة إلى الله، الله عز وجل رحمه بهم.

اترك أثر خطط للمستقبل لا تكون علماً لا ينفع، على هامش الحياة، مهمش إنسان، رقم بمجموع كبير لا يعني شيئاً، الأولى أن يكون الإنسان كبيراً عند الله، والعمل الصالح بين يديكم جميعاً، وكل واحد منكم بإمكانه أن يعمل عملاً صالحاً، فأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا.

آخر حديث:

(( عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ قُلْتُ مَا هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيُنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ))

[ أحمد ]

هناك قصة بليغة، كان رجل عنده عبد فهذا الرجل له شيخ، الشيخ زار التلميذ، العبد رأى سيده أديب جداً مع شيخه ليس معقول احترامه احتراماً يفوق حد الخيال، ف جاء إلى الشيخ وقال له: يا سيدي لعلك تأمر سيدي أن يعتقني، فقال له: إن شاء الله أقول له، مضى جمعة جمعيتين شهر شهرين ولا أي حركة، يا ترى ما قال له الشيخ؟ ثم زاره ثانية بعد أن زاره قال له العبد: يا سيدي قلت لك أن تقول لسيدي أن يعتقني، قال له: إن شاء الله أفعل وأيضاً مضى سنة ولا أي حركة، ثالث مرة قال له بعد شهر أعتقه، فالتقى هذا العبد بالشيخ وقال له: يا سيدي إذا كان أمر إعتاقي يتم بكلمة منك فلماذا أخرتها حتى الآن؟ قال له: يا بني لقد أرهقتني أنا وفرت من مصروف البيت مبلغاً أعتقت عبداً ثم أمرت سيدك أن يعتقك.

يعني ما أمر سيده أن يعتقه حتى كان قدوة له، وأنت حينما تكون قدوة في شيء تقول عن هذا الشيء وأنت قوي النفس، أما حينما تكون مقصراً في هذا الشيء تتحدث عنه وأنت ضعيف النفس فلن تستطيع أن تؤثر إلا إذا كنت في مستوى دعوتك.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 091 - 127 ) : اتقوا اللاعنين

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-02-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة المؤمنون:

حديث شريف سيكون إن شاء الله محور هذا الدرس، ولكن يحتاج إلى تمهيد، التمهيد هو أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال

(( عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ فِي هَذِهِ  
الْخَمْسَةِ فِي الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالدُّرَّةِ ))

(سنن ابن ماجه)

هذا الذي كان في عهد النبي قمح وشعير وتمر وزبيب، انتشر الإسلام في الخافقين، تذهب إلى بلاد المحصول الأول الذي يخزن والذي هو قوت العباد الرز، ويوجد أيضاً العدس، والحمص، فماذا قال العلماء ؟

قال العلماء: مع النص

(( إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ فِي هَذِهِ الْخَمْسَةِ فِي الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ  
وَالدُّرَّةِ ))

ولكن لم يرد الرز أو العدس أو الحمص، ومحاصيل أخرى لا يعلمها إلا الله، التمر والزبيب فإذا قلت أن التمر فاكهة، والزبيب عنب ولكن لا يوجد تفاح، لم يرد تفاح ولا أجاص ولا... أنواع متنوعة من الفواكه، يقولون أن بعض البلاد ولعلها قبرص تعدل ميزانها التجاري من تصدير الأفوكادو إلى أوروبا، أيضاً لم يرد في الحديث الأفوكادو، فماذا يفعل الفقهاء ؟

قال الفقهاء قاعدة رائعة وهي: تجب في علتها لا في عينها.

ما علة القمح ؟ محصول أساسي يخزن ويعد قوت العباد، فأى محصول زراعي يشبه القمح والشعير والتمر والزبيب تجب فيه الزكاة، إنطلاقاً من هذه القاعدة:

((تجب في علتها لا في عينها))

((حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى ابْنِهِ وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ، بِأَنَّ لَا تَقْضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَقْضِيَنَّ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ))

(أخرجه البخاري)

لأن غضبه يجعل حكمه مضطرباً، فلئلا يأتي حكمه ظالماً أو مضطرباً ينبغي أن لا يقضي وهو غضبان، العلماء أيضاً حملوا على هذا الحديث فيما أذكر ثلاثاً وثلاثين حالة، مثل قاض ابنه مريض ومرضه مخيف ويحتمل أن يكون مصاباً بالتهاب السحايا، وهذا المرض مميت، فتشوش والده وعنده في المنزل قضية، أيق له وهو في هذه الأزمة الطاحنة (أي أزمة مرض ابنه ) أن يقضي في هذا الموضوع ؟

يقاس على الغضب مرض ابنه، وأي شيء يدعو إلى الاضطراب يقاس على الغضب، معنى ذلك أن الله عز وجل حين قال:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)﴾

(سورة الماعون)

فقط الذي يدع اليتيم ؟ اليتيم يجب أن يكرم فإن لم تكرمه فقد أسأت إليه فكيف إذا ضربته ؟ ذكر الله لنا حالة حادة وقس عليها آلاف الحالات، وهذا معنى البلاغة في الإيجاز، أي كلام موجز يحتمل معاني واسعة.

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾

(سورة الإسراء)

فقط لا نقل لهما أف، رجل ضرب أباه ! يقول لك: أنا لم أقل له أف.

فلأنه لا يوجد أقل من أف فهذه محرمة، فما قولك فيما فوقها ؟ فهي محرمة من باب أولى.

فحينما تملك هذا الفكر الفقهي أن أف محرمة إذا ما بر أباه من شدّ نظره إليه، فهذه مثل أف، أو من أغلق الباب بعنف، قال له أبوه كلمة فأغلق الباب بعنف ! هذه أشد من أف، إذا المؤمن يحمل على كلمة أف ألف حالة، محرمة عنده، ويحمل على

((لَا يُقْضَيْنَ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ))

ألف حالة.

ويحمل على

((إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرِّكَاءَ فِي هَذِهِ الخَمْسَةِ فِي الحِنْطَةِ والشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ وَالرَّيْبِ  
وَالدُّرَّةِ))

ألف محصول، المنطلق القياس.

حسناً حرم الله الخمر، يوجد الآن للخمر أسماء جديدة مثل (الويسكي) والعياذ بالله هل هي محرمة ؟ هذه لم ترد بالقرآن !.. شيء مضحك!

((عَنِ ابْنِ عُصَمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ))

(صحيح مسلم)

يقول لك: مشروبات روحية، وقيم روحية. وكلها روحية بروحية، تصور أن الخمر اسمها مشروبات روحية !  
وتصور أن العلمانيين إذا أحبوا أن يعبروا عن الدين يخلون أن يقولوا إسلام بل يقولون: قيم روحية. يستحي أن  
ينطق بكلمة إسلام أو قرآن أو إيمان. ويقول لك: قيم روحية. ومشروبات روحية.

حسناً عندنا كل

((كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ))

وهذا هو القياس أنا أعطيك تمهيد لأن الحديث دقيق جداً. ف ( كل مسكر حرام ) كل أنواع الخمر، فالمخدرات  
أشد حرمة.

حسناً أن لا يكون القاضي غضبان، وهناك حالات كثيرة تشبه الغضب تنسحب عليها.

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾

ويوجد مائة حالة تشبه أف

((إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ فِي هَذِهِ الْخَمْسَةِ فِي الْأَحْنُطَةِ وَالشَّعِيرِ))

وفي الرز، والبطاطا فهو محصول أساسي جداً ويخزن، ( التمر والزبيب ) والتفاح فهو محصول أساسي جداً،  
فالعلماء قالوا:

((تجب في علتها لا في عينها))

الحديث الذي بين يدي:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ. قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ))

(سنن أبي داود)

قالوا: معنى اللاعنين أي الأمرين الجالبين للعن، أي عمل عملته فلعن الناس من فعلوه (لعنه الله)، النبي جاء بحالتين بسيطتين

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ. قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ))

أي يقضي حاجته في الطريق، طريق عام ملك للناس جميعاً وإنسان وقح، في هذه الأيام مثل مدخل بناء، أو في درج، مدخل عمارة، مدخل معمل، يقضي حاجته في الليل الساعة الثانية عشرة ليلاً لم يره أحد، فإن رآه أحدهم فهذا القدر، ولو بقي مضبوط اللسان ماذا يقول في قلبه؟ يقول: لعن الله من فعلها، قليل حياء، لا أصل له، عديم التربية.

إن كنت مهذباً وضبطت لسانك فلا تملك قلبك، بل تلعنه في قلبك، لأنه أساء إساءة بالغة، اسمحوا لي أن أقول لكم طبقوا قاعدة.

((عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّكَاةَ فِي هَذِهِ الْخَمْسَةِ فِي الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَالْتَّمْرِ وَالزَّيْبِ وَالذُّرَّةِ))

(سنن ابن ماجه)

وينطبق على هذا الحديث أكثر من محصول، وأقول لكم:

((لَا يُقْضَيْنَ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ))

وينطبق على هذا الحديث ثلاثٌ وثلاثين حالة.

### ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾

(سورة الإسراء)

وهناك مائة موقف يشبه أف

### ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾

(سورة المائدة)

ولو سميت الخمر بألف اسم فكله محرم، ومعه المخدرات، هل ترون القياس؟ الآن

### ((اتقوا اللاعنين))

الشيئين اللذين يجلبان اللعن لمن فعلهما، وهذا مثل، فهل نبقى بالمثل فقط؟ هذه الحالة فقط؟ كرجل تخلى في الطريق، حسناً إن تخلى في مدخل بناء؟ أليس بجرام؟ الأمر ذاته، حسناً رجل عنده كلب عقور، ووضعه في مدخل بناء من دون أن يربطه، ويوجد في هذا البناء أطفال صغار يجب أن يذهبوا إلى مدرستهم الساعة السابعة صباحاً، وصاحب الكلب نائم، والكلب من دون قيد، ألم تخف أنت أهل البناء؟ ألا يستحق من فعل هذا اللعن؟

الآن درسنا: أي عمل يلعن الناس صاحبه أو من فعله يجب أن تحمله على هاتين الحالتين أي عملٍ يسبب أن يلعنه الناس أو أن يلعنوا من فعله يجب أن يحمل على هذين الفعلين، الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم، الوقت صيف والحر شديد والطريق إلى سفر، ويوجد شجرة كالدوحة كأنها مظلة كبيرة، الناس يرتاحون تحتها في الصيف، فقضى رجل حاجته تحت هذه الشجرة، وجاء آخر ليستريح فرأى هذا الشيء المقزز، ماذا يقول في نفسه؟ يقول: لعن الله من فعلها، قليل الأصل، قليل التربية، قليل الذوق إنسان همجي.

الآن حياتنا معقدة جداً، أي إذا فتح الإنسان فتحة مياه مالحة ولم يغلقها، فكم حادث سير يقع؟ فإن حدث حادث مع أحدهم دون أن يشعر ينهال بالسباب على من أبقى هذه الفتحة مفتوحة، رجل وضع حجر كبير وراء عجلات سيارته وهو يصلح سيارته، ثم مشي وتركه، والطريق سفر، آخر يمشي بسرعة مائة وعشرون في الليل ولم ينتبه

له، فتحطمت سيارته وانقلبت رأساً على عقب، ألا يستحق اللعن؟ رجل ركب صحن ويبدو أن السوق حار على الصحن، وثبته ببرغيين بدلاً من أربعة، في أيام عاصفة طار هذا الصحن وسقط فوق بنت مثل الوردة فقتلها، ألا يستحق هذا الإنسان اللعن؟ إنسان ركب بلور ووضع له مسمارين فقط، والمعجونة طرية، جاء آخر فاصطدم به فجاء فوق طفل فقتله، ألا يستحق اللعن؟ بكل حرفة، بكل مهنة، يوجد أشياء مزعجة جداً.

رجل زرع شجرة أمام منزله، وصنع لها قفصاً عند حداد غير متقن، وهذا القفص له نتوءات حادة، فكم من إنسان تمزقت ثيابه من هذه النتوءات؟ رجل يمشي دون أن ينتبه علق معطفه بهذا النتوء الحاد فشرطه، بدلة جديدة يلبسها، ألا يستحق اللعن؟ والله لو كان هناك مجال لتفاصيل لوجدت مائة ألف حالة، وكل حالة يستحق صاحبها اللعن، مثلاً أنت لديك بستان فيه عنب، وتخاف عليه من الدبابير، فجئت بدواء ورششته به، مكتوب على هذا الدواء أنه إن بقي على العنب أقل من شهرين فهو مسرطن، أنت لم تهتم قطف الثمار وبعثها، وجاء إنسان بريء واشترى منك العنب، وأخذت حقك، قبضت ثمن الكيلو خمس وعشرون ليرة سورية، أكله الأولاد فحدث معهم ورم خبيث، والشيء الذي لا يصدق أن الأورام الخبيثة أصبحت بنسب مخيفة، عشرة أضعاف الأورام الخبيثة، دواء مسرطن، فواكه مهرمنة، فمن أجل أن يكبر حجم الخضراوات تأتي بهرمون محرم دولياً ممنوع استيراده، وأي صيدلية تتبعه تغلق، تأتي به عن طريق التهريب، ونرش هذه الطماطم أو البندورة

أو الخيار فتظهر بحجم كبير، ونبيعها بسعر عالٍ، أما من أكله وأصيب بمرض خبيث فهذا لا يهم، المهم أنني قد بعت بضاعتي بسعرٍ عالٍ، فلو فرم الله هذا الإنسان فرماً، ما قضية أن يبتال إنسان في الطريق أمامها؟ ولكن هذا ما كان على عهد النبي ﷺ، أما هذا الحديث فيجب أن يفهم فهماً واسعاً جداً.

والله هذه القصة لولا أنها واقعية، والذي حدثني بها أتق بعلمه وصدقه، ما أرويهما على الإطلاق، رجل شك بسلوك ابنته، وابنته بريئة، جاءه خبر من حاسد أو ماكر من رفيقة حاقدة مثلاً، أحياناً إن تفوق الإنسان في المدرسة ينشأ حسد من زملاءه، بالمناسبة الحسد: أنت ممكن أن تتمنى أن ينتقل هذا الخير من فلان إليك هذا حسد واضح، ولكن هناك حسد أشد من هذا تمنى فقط أن يذهب عنه الخير، دون أن يصل إليك، فهذا حسد أشد، الأول تمنى له الخير، أما الثاني فتمنى له أن يذهب عنه دون أن يصل إليه، أما الثالث فكنتم واتصل بالهاتف، وعمل وشاية، عمل شكوى باطلة حتى يصاب الآخر بالضرر، فيبدو أن البنت متفوقة بالمدرسة، ولها رفيقة لا تعرف الله أبداً اتصلت بوالدها وقالت له: ابنتك لها صلة مع شاب، وربما أن تكون حامل مثلاً. ألا يمكن أن يكون مثل هذا

الأمر ؟ ممكن ..

الأب سيخرج من جلده، فوراً أخذ عينة إلى المخبر للتحليل، موظف المخبر سقطت من يده العينة وضاعت، ولم يجد عينة غيرها، وخاف من صاحب المخبر فكتب أن النتيجة إيجابية أي يوجد حمل، جاء الأب عشية فقال له: مبروك حامل.

عشية ذبح الأب ابنته، ألا يمكن أن تحدث مثل هذه القصة ؟ لقد حدثت في الشام، يا أخوان

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ بَلْ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ))

(صحيح البخاري )

والله أقول لكم كلمة أخرى ليس القذف اللفظي وحسب، بل لو ذكر اسم فلانة أمامك وقلت: لا أعلم، الله أعلم.

أنت لم تقل شيئاً، أنت قذفتها بهذه الحركة، قذفتها دون أن تشعر، السيدة عائشة قالت عن ضررتها صفيية: إنها قصيرة.

((عَنْ أَبِي حُدَيْفَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدِّدٍ تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ، لَقَدْ قُلْتَ كَلِمَةً لَوْ مُرِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَرَجَتْهُ ))

(سنن أبي داود)

فأنت خذ هذا المقياس، أي كلمة أو أي ابتسامة أو أي نظرة ساخرة أو أي عمل، أحياناً يصنع الإنسان شيء غير متقن، يكبر نتوءات فائتاء تنظيفه تجرح اليد، وإن كان الوعاء غير نظيف أصيب بمرض الكزاز، ما قولكم؟ لفت نظري ببعض البلاد التي زرتها أن أعمدة الكهرباء لها أوتاد من أجل تثبيتها، على ارتفاع مترين إلى الأسفل هذه الأسطوانة محاطة بأسطوانة من الإسفنج قطرها عشرة سنتيمترات، حتى لا يتأثر طفل مسرع دخل بها خطأً، أليس هذا بعمل إنساني ؟ بلى هو عمل إنساني، دخلت إلى بعض الحدائق فوجدت بعض الأجهزة الرياضية، ولكن الأرضية سوداء لمستها فإذا هي مكعبات كوشوكية صغيرة، وهي عبارة عن العجلات القديمة المهترئة التي تفرم وتصبح مكعبات توضع تحت الأدوات الرياضية وتحت ألعاب الأطفال، فلو سقط الطفل لا يتأذى، كلما أجرينا إجراءات وقاية للأطفال والكبار كان أفضل، كم إنسان مات بتماس كهربائي في بيته، كم إنسان مات

بانفجار أسطوانة غاز ؟ كم إنسان مات؟ وما شابه، من حين لآخر يوجد انفجار اسطوانة، السبب هو أنها غير محكمة، ويجب أن تتسق لكنها لم تتسق، فإذا مشيت بهذا الباب تجد أنه ما من مصلحة، ما من حرفة إلا وجدت عمل يسبب لعن من عمله، فإذا كان عندك فكر فقهي، وكان عندك أفق واسع جداً

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ. قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ ))

إن هذا يستحق اللعن ولكن أي عمل وأي صناعة، يوجد صناعات فيها إهمال شديد جداً، كم من بناء بيت المصعد فيها غير محصن ؟ كم طفل مات بهذه الحفر ؟ كم طفل مات باختناق الغاز؟ يوجد الآن أجهزة لها إجراءات وقائية، فلو نسي الأهل الغاز مشتعلًا فإنه ينطفئ من تلقاء نفسه، هذا كله من الدين، الإنسان هو هدف هذه الحياة كلها، مهما فعلت من إجراءات وقائية فأنت تفعل شيء من صلب الدين، هذا هو الدين ! يوجد مواد مسرطنة، مواد قد انتهى مفعولها، هناك غش لا يعلمه إلا الله، سمعت مرة أن الألبسة البالية تؤخذ إلى مكان في بعض البلاد ثم تقرم، ثم يعاد غزلها إلى خيوط تسمى براتو، هذا الخيط ضعيف جداً لأنه مستهلك، فيصنعونها منها كنزات، وجوارب وألبسة منظرها جميل جداً، تلبس لبستين وتنتهي، فأنت تتبع موظفاً كنزة ثمنها ثمانمائة ليرة سورية، ومعايشه أربعة آلاف ليرة سورية، أي ما يعادل خمس معاشه، يلبسها مرتين فتتهترئ وتصبح لا تحتل، ألا يسب من صنعها ؟ بلى يسبه، والله يكاد يكون اللعن قلبي باستمرار، فيوجد صناعات سيئة جداً، وصناعات مفعولها منته، وصناعات مسرطنة، وصناعات غير متقنة، نتوءاتها عالية جداً، قد تسبب جروح، قد تسبب حوادث سير، مرة متعهد طرقات لم يضع إضاءة كافية ولوحات جيدة، قال لي أحدهم أنه خلال عام أربعة عشر شخص توفوا بحوادث في نفس المنطقة، أي قصر في وضع اللافتات المضيئة والمشتعلة، ويوجد تحويلة تحتاج لإضاءة من قبل خمسة كيلو مترات، في أحد البلاد التي زرتها رأيت لوحة من دون مبالغة ثلاثة أمتار بثلاثة أمتار، تقول: انتبه هناك مطب، أي ارتفاع، قبل ثلاثة آلاف، قبل ألفين، قبل خمسمائة، ربما لو كان الشخص لا يرى بعيونه لانتبه، أي خمسة لوحات جاءت بتسلسل، مثلاً لاحظت مرة في جسر لها ارتفاع محدد خمسة أمتار ونصف، ويوجد شاحنات محملة ارتفاع أعلى من خمسة أمتار ونصف، فلو دخل هذا الرجل بالجرس أتلّف بضاعته أو كسر الجسر، قبل كل جسر قوس وله أجراس من ألفي متر، فإذا مشى تحت هذا القوس وحمولته أعلى يسمع أجراس غير طبيعية، فينتبه أن هنالك جسراً عليه أن لا يخترقه، الأمثلة لا تعد ولا تحصى كلما ارتقى إيمانك عملت عملاً متقناً تمنع الناس أن يلعنوك، كلما ارتقى إيمانك ! وهذا الشيء واسع جداً، بالصناعات أحياناً تجد صناعة زجاجية غير متقنة، القالب غير متقن، لها نتوءات، مع التنظيف تجرح اليد، يوجد أبريق وطنية لها نتوءات حادة ناجمة عن ضعف القالب، تراها مثل الشفرة، وطفلة صغيرة غير منتبهة تنظف الإبريق، تضع يدها

عليه فتجرح يدها، لا يوجد عندهم أدوية، والإبريق غير نظيف فتتجم عنها مشكلة، فانظر فهمنا للحديث:

(( اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ . قَالُوا : وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ ))

هذا الحديث يبدو بسيط يتعلق بمن قضى حاجة في الطريق، أو قضى حاجة في ظل الناس لكن أي عمل على الإطلاق يسبب لعن الناس عندما سألوا النبي عليه الصلاة والسلام وما اللاعنان قال كذا وكذا.

شرح الحديث للإمام النووي يقول: اللاعنين: الأمرين الجالبين للعن.

الآن انتقل لمعنى اللعن، اللعن: أن تكون بعيداً عن الله، ان يبعدهك الله عن ذاته العلية، أي أن يطردك من رحمته.

قال العلماء: أي حديث فيه كلمة لعن فهذا المضمون من الكبائر.

أحد تعريفات الكبائر: أن تفعل شيئاً تسبب اللعن لمن فعله. هكذا أحد الكبائر، لذلك إتقان العمل جزء من الدين، هل تصدق أن إنسان لم يتقن إغلاق الزيت بعلبة السرعة فتسبب بالقتل؟ رجل قادم من الحجاز إلى الشام ومعه زوجته وخمسة أولاد، توقف في محطة وغير زيت علبة السرعة، يوجد في المحطة موظفين صغار بالسن أطفال، قال له معلمه غير له الزيت، هذا الطفل شده شداً خفيفاً، طلبه معلمه فتركه كما هو وذهب، قال له: ماذا حدث؟ قال له: لقد انتهى تفضل.

بعد المشي سال الزيت من مكانه، فرغ الزيت مما أدى لمشكلة في علبة السرعة، توقفت السيارة نزل صاحبها وفتح غطاء المحرك، درجة حرارة أشعة الشمس ست وخمسون درجة، أصيب بضربة فمات في الصحراء، ومعه زوجة وخمسة أولاد، ما سبب موته؟ أن الولد لم يحكم إغلاق علبة السرعة، ملعون صاحبه؟، صدقوا أن الإنسان يلعن في اليوم الواحد مائة شخص دون أن يشعر، مهمل، مقصر، غير متقن، أحياناً بئر يحفر بشكل غير فني فيسبب متاعب لا تنتهي، يكلف أحياناً الملايين لأنه حفر بشكل غير مستقيم،

(( اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ ))

كل عمل يسبب لك اللعن، كما أننا قسنا على التمر والزبيب والقمح والشعير مئات المحاصي، وكما أننا قسنا على غضب القاضي ثلاثاً وثلاثون حالة، ممنوع أن يصدر قرار وهو في هذه الحالة، وكما أننا قسنا مائة موقف على

### ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾

(سورة الإسراء.)

كما أننا قسنا أشياء كثيرة، وكل أنواع الخمر كلها محرمة مهما اختلفت أسماءها لعة الإسكار، كل عمل يسبب اللعن فهو محرم بنص هذا الحديث، هذا هو الدين، الدين هو الحياة، الدين حرفتك، وظيفتك، إن أنت قابلت موظفاً وقضيتك تحل بدقيقة، وقال لك: تعال غداً.

هو يتكلم مع صديقه ويشرب القهوة وأمامه جرائد، وهذا الرجل عكر لهما مزاجهما، تعال غداً، هذا الرجل قد يكون أتى من حلب، غداً تعني ألف ليرة أجرة الفندق، ويريد أن يتناول طعام الغداء والعشاء، من أجل أن تقول له تعال غداً، حسناً أبرة غير معقمة، أخ من أخوتنا ظهر في جسده بعض الحبوب غير المعقولة من حلاق أدواته غير معقمة، هل تصدق الآن أن مرض الأيدز ممكن أن ينتقل عن طريق حلاق؟ إن حلق لشخص يحمل هذا المرض، وحلق لشخص آخر ولم يعقمه انتقل إليه، وهذا شيء مخيف.

حدثني أخ عن ولادة ولدت، العادة أن هذه الإنسان أثناء الولادة لها إضبارة تصف زمر دمها وكل أوضاعها، فمع كل ولادة إضبارتها، ولادة ولدت ولادة سليمة وأخذت من غرفة العمليات نسوا الإضبارة بسبب الإهمال، أتوا بولادة أخرى ونسوا أن يأتوا بإضبارتها، المولد وجد إنسانة على الطاولة ووجد إضبارة، فالشيء المألوف أن هذه الإضبارة لهذه الإنسانة، لزم لها دم فتح المصنف فوجد الزمرة (+O) أي أو إيجابي، أتوا بدم من هذه الزمرة التي هي مختلفة عن زمرتها مما أدى لانحلال في دمها فماتت، هل تصدق أن نسيان أخذ إضبارة تسبب بموت إنسان؟ وقعت!

فلو أردت أن تتوسع بالدين فالطبيب محاسب حساب لا يعلمه إلا الله، والمحامي كذلك، والمهندس كذلك، والمعلم كذلك، إذا لم يتقن المعلم عمله يرسب الطالب، وأبوه ظالم فقتله قتلة روحه بها، عندما يغضب الرجل يصبح وحشاً، المعلم لم يعلمه ولم يعتني به، فهذه هي، كل شيء غير متقن "كحل" هل هي آية أم حديث "كحل" هذا شعار الناس "كحل"، مرة كنت أدرّس كان هناك متعهد تعهد تجديد البناء كله، في ثانوية التجهيز الأولى المشهورة، وهي قديمة جداً، المتعهد بدّل النوافذ والأبواب، وأنا في الدرس كان يضع غالات الأبواب، وأنا أنظر

يضع البرغي وبثلاث دقات يدخل إلى الداخل، البرغي يجب أن يدور، وهذا أفضل من الضرب أفضل بكثير، هذا الغال عياره يومان، فوراً سينفك البرغي إذا لم يثبت، قلت له هل هذا معقول؟ قال لي: لا تدقق أستاذ عافاك الله، لاتدقق!

لا تدقق وكحل أصبحت شعارات، لأنها صنعتنا، يوجد مواد مؤذية، ومواد كيميائية، يكفي أن تكون الكهرباء غير متقنة تميت طفلاً في الحمام، مائتان وعشرون من الفولطات هذا التيار قاتل، إن لمست بيدك تيار مائتان وعشرون في الحمام ولم تلبس شيئاً بقدمك، ويوجد ماء فهذا شيء مميت، عم سأتكلم؟ عن أخطار الغاز أم التمديدات، كم من حريقة حدثت في محلات تجارية سببها وجود وصلة داخل التيب، انحلت فأحدثت شرارة، فاحترق المحل كله، أحياناً توفر مبلغ بسيط فتسبب هبوط بناء بأكمله، كم من بناء هبط، بسبب عدم الإتقان، أو أسمنت قليل، أو أسمنت منتهٍ مفعوله، قتلت خمسة أشخاص، والبناء تهدم، والبناء مكلف الملايين، لأنك استخدمت أسمنت أقل ثمناً ومنتهى المفعول، أحياناً طبيب، طيلة عمري أعلم أن الدواء المنتهي المفعول لا ينفع لكن لا يؤدي، لكن ثبت العكس، يتفكك ويصبح مؤذياً، يمكن أن يكون لديك دواء لم يبيع معك، تمحو مكان الصلاحية وتبيعه لإنسان جاهل، هذا الدين؟ الدين أن لا تبيع الدواء، والله يا أخوان هذا الدرس موضوعه لو أتيت بمائة ألف مثال لم يكفي، هذا هو حال المسلمين، غش وعدم إيقان، مريض تعالج بسرعة غير معقولة، أعطاه الطبيب أبر أحدثت معه تحسناً أصابته بصدمة مات بها، ممكن! عندما نعطي المريض دماً نجري ما يسمى بالتصالب، لو تأكدنا من الزمرة الدموية، علينا أن نضع نقطة من الدم مع نقطة من الدم الذي أخذه، فإن تتافرا يظهر، وهذا اسمه التصالب، صدقوني أيها الأخوة أن عشرات المرضى ماتوا لأن الموظف استكسل أن يجري التصالب، استكسل مأخوذة الزمرة خطأ، أعطوه دم إنحل دمه ومات فوراً، وكل بالنهاية قضاءً وقدرًا، كله

عمل سيدك، هل ترى الجهل؟ كله سبحان الله منتهٍ أجله، هذا الكلام غير صحيح، أنا أعتقد أن الطبيب يحاسب كقاتل، النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((من طبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن))

أي يجب أن يدفع الدية، في بلاد أخرى قد يصل التعويض إلى خمسين مليون، دخلت إلى طبيب قلب في أمريكا يريني عيادته، أراني أصابير والله دون مبالغة من الجدار للجدار، قال لي: هؤلاء جميعاً مرضاي، وجميعهم قد ماتوا.

هو طبيب قلب، ليس هو من قتلهم ولكن أجلهم قد انتهى، يحتفظ بالأصابع خمس سنوات حسب القانون، لعل أن يخطر ببال ابن أن يقيم دعوى على الطبيب بعد أربع أو خمس سنوات عليه أن يحتفظ بالوثائق كيف عاجله، الإنسان غالٍ على الله كثيراً، وكلما كان الإنسان له مكانة وله حقوق، وله واجبات كلما كان المجتمع راقٍ أكثر،

وكلما كنت في مجتمع الإنسان ليس له قيمة، وليس له حقوق، وليس له واجبات، والوقت رخيص جداً يكون الإنسان متخلف، بالمفهوم الحضاري أو الديني الأخلاقي أو الوطني، بكل المفاهيم المجتمع متخلف، فأنا أتمنى أن تفهم دينك ليس بالجامع وحسب بل بالمحل والعمل، إتقان عملك جزء أساسي جداً من الدين، يوجد مخابر، يوجد مصانع، كم إنسان مثلاً فقد يده في مصنع لسبب بسيط جداً وهو عدم وجود تعليمات واضحة، لا يوجد تعليمات واضحة، مرة دعي أحد أهل الغنى إلى حفل عشاء كي يتبرعوا لصندوق العافية، فعرضوا مناظر للمرضى، إحداهن قد احترقت بكاملها، لأن زوجها اشترى مادة التتر ولم ينبهها، وضعت على الرف فوق الغاز، ولما ارتفعت درجة الحرارة التهب التتر وأحرقها كلها، سقطت الزجاجاة فوقها، حروق مخيفة، ترى أن أكثر الأمراض الوييلة سببها سوء استعمال، عدم وجود تعليمات، أنا ألاحظ في بعض البلاد تحذير، المرأة التي على طرف السيارة عليها تحذير أن المسافة فيها غير حقيقية، يوجد مرايا بنورامية تعطيك الأشكال كبيرة جداً ولكن لها مشكلة، المسافة التي تظهر على المرأة مختلفة عن الواقع، يوجد تحذير إذا انتهى الأمر، لكن ماذا يفعلون بتحذير الدخان؟ يضعونه بحرف لا يقرأ، لا تلاحظه أنت، لا تلمحه، فوراً كلمة بحرف صغير هنا التحذير، يغيرك بالإعلان ويغفل التحذير بخط صغير أو لا يقرأ، أو بوقت زمني لا يقرأ، هذا أيضاً من الغش، فكلما كان إيمانك قوياً وجدت نفسك منضبط انضباط عجيب، أنت تخاف من الله، لأن جميع الخلق عباده هؤلاء عباد الله، ترى طفل معه عاهة دائمة سببها خطأ من الوالدين، والطفل الذي معه عاهة يحدث شقاء في الأسرة لا ينتهي، الآن والحمد لله يوجد قليلاً من الوعي، يوجد غازات لها منصب وقاية، وإن نسيها الأهل ينطفئ من تلقاء نفسه، هذه الأشياء أعدها أنا حضارية، الرجل يجب أن ينتبه في بيته، إن كان عنده شرفة أو غيرها، فالغلطة تسبب آلام لا تنتهي، أنا أقول لكم ما علاقة هذا الكلام بهذا الحديث اللطيف الذي هو كلمتان، والله قناعتي أن كل الذي قلته جزء بسيط من معنى هذا الحديث، كل شيء يسبب اللعن أتركه، في صناعتك، أحد إخواننا عنده معمل بدلات رياضية، صَدَّرَ إلى ألمانيا صفقة كبيرة جداً، ولما فحصوا وجدوا أن السحاب له قفل، عبارة عن شريط أبيض يوضع عندما ينتهي السحاب ليقلوه، قطعة معدن، لما فحصوا هذه القطعة وجدوا أن هذه القطعة هي معدن مشع، فأعادوا البضاعة بكاملها، وثمانها الملايين، أو أن يخصم مليونان، وسماكة هذا القفل تساوي ما يعادل ربع ميلي، ربع ميلي بالبدلة فحصوه فإذا به معدن مشع وهذا مؤذي، ينتبهون للناس لهذه الدرجة.

نحن لدينا أدوية مسرطنة، كيف يبيع الفلاح العنب ولم يمضي ستون يوماً على الرش؟ بل مضى خمسون يوماً وبيع العنب، أكلوا فتسرطن الدم، الحديث عن هذه الموضوعات لا ينتهي، حدث ولا حرج، أحياناً يكون في الطحين أشياء مقززة، وأنت لا تعلم، فإن وجد الإيمان بالله عز وجل لا يمكن أن تعمل عملاً يسبب الأذى للمسلمين، لا يمكن، فإتقان عملك، ضبط أمورك إجراءات وقائية لمصلحتك هذا الشيء جزء من الدين، هذا هو الدين، الدين هو الحياة، الدين هو العمل المتقن، الدين هو السلامة، الدين هو السعادة، الدين هو الصدق، الدين هو الأمانة، الدين هو الخير، لا تفهموا الدين على أنه صوم وصلاة فقط، أو عبادات شعائرية، هذا فهم سقيم

للدين، الدين هو الحياة، ان تكون في أعلى مستوى في عملك، وفي حرفتك، أنا أقول لكم بعض المشاهد، أنا لا أمدح هؤلاء، لا والله، والله هم بعيدون عن الله بعد الأرض عن السماء، لكن مثلاً مرة كنت مسافراً وجدت أن للطفل طريق خاص، يوجد طريق معبد، ورصيف للمشاة وطريق خاص عرضه متر خاص لدراجات الأطفال وهم في ذهابهم إلى المدرسة، شيء جميل للطفل له طريق خاص، وصل الطفل لتقاطع، يوجد شرطة خاصة للمدارس، هذا الطفل يمسك بيد الشرطي ومعه لوحة مكتوب عليها "ستوب"، إذا حمل اللوحة لا يمكن لإنسان أن يمشي، وإذا مشى فإنه يدفع مبلغ فلكي، إذا رفع كلمة "ستوب" توقف الطريق، يمسك هذا الطفل ويوصله إلى الطرف الثاني، يوجد على كل تقاطع طريق شرطي، حتى يعبر الطفل الطريق عن طريقه، وكلمة "ستوب" كلمة مقدسة، الآن كم من طفل مات عندما كان ينزل من باص المدرسة، ومشى في الطريق المعاكس دون انتباه فصدته سيارة؟ عندما يقف الباص يرفع لوحة "ستوب" فيقف الطريق بالاتجاهين، يجب أن يكون بعدك عن باص المدرسة ثلاثون متراً وإلا تدفع غرامة كبيرة جداً، ثلاثون متراً بعيداً عن الباص وواقف، لأن الباص قد وقف وعمل "ستوب"، من أجل أن يمر الطلاب، فالطفل حر بيته على اليمين أو اليسار لا يهم، أليس هذا العمل طيباً؟ هؤلاء أولادنا والولد غالٍ جداً، والله الأخ الصديق الذي ماتت ابنته بهذا الصحن كانت ابنته مثل الوردية، ماذا حدث بالأسرة من أجل برغيين، بدلاً من أربعة وضع برغيين، يوم عاصف طار الصحن وجاء فوقها فقتلها، فمن أجل برغيين قتل طفلة، لاتقل لي هذا قضاءاً وقدرأ، انتهى أجلها! نعم إنتهى أجلها، ولكن على يد هذا الإنسان ولسوف يحاسب، تريدون دليلاً قوياً

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

(سورة النور)

معنى هذا أن الذي مشى بالإفك، وتكلم عن السيدة عائشة واتهمها بالزنى وهي زوجة النبي عليه الصلاة والسلام والمدينة كلها عرفت، والنبي قد انزعج، وأربعون يوماً والوحي منقطع، ولا يستطيع أن يثبت أو أن ينفى، وأهل بيته، والله يا أخوان هذا شيء لا يحتمل، قال

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

أي أن الله أراد، وكل شيء أراد الله هو خير، قال:

### ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)﴾

(سورة النور)

دققتم ! التوحيد لا يعفي من المسؤولية، تقول لي شغل سيدك، وهكذا أراد الله، وانتهى أجله، لا إله إلا الله انتهى أجله، ولكن أنت مقصر، ولو كان قد انتهى أجله على يد الفضيل المؤمن فسوف يحاسب، كأنه قاتل.

### ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾

(سورة يس)

فيا أيها الأخوة: أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينقلب هذا الدرس إلى واقع، إلى ممارسة، كل إنسان بحرفته، يعتبر أن كل الناس عباد الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعباده، كلهم عيال الله أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، سمعت مرة من شخص صالح كان عنده معمل صابون، الصابون ينشر في الشمس، كان ينشر هو الصابون أربعة أمثال المدة، لماذا؟ قال: لأن الصابون لو نشر لمدة قليلة (قصة قديمة والعمل بدائي) يذوب بسرعة بيد السيدة. حتى لا يدعو عليه أحد، لدينا الكثير من الأخوان الذين عمروا الأبنية، قال لي: والله آتي بأحسن أنواع المصاعد، حتى لا يلعنني أحد.

رجل باع طقم كنبات، والذي اشتراه فرح به فدعا أصدقاءه، من اليوم الأول فسد الطقم، ركض إليه فقال له: هل جلستم عليه في النهار.

ركب مصعد، كل يوم يتعطل، كل يوم يقف، اثني عشر طباقاً وإحداهن لديها مرض بالقلب وهي في الطريق ماتت، يحاسب من ركب المصعد من نوع رخيص كقاتل، فأخ من إخواننا جزاه الله عنا خيراً قال لي: والله أركب أعلى نوع حتى لا يلعنني أحد.

هل ترون كيف كان فهمه للدين؟ بأي مصلحة، بأي شيء، والله أتيت بأمثلة واحد من مليار، بقدر ما أسمع من قصص، بقدر ما أرى بعيني إهمال المسلمين، يبسط فيضع الأسمت في الطرف، بعد يومين تجد البلاطة قد خفت، هطل المطر ومشيت عليها فرششت أحدهم من الأعلى إلى الأسفل، ألا يمكن لهذا أن يحدث، ممكن،

وهذا كله إهمال، لأنه لا يوجد دين، حدثني أخ طيب والله كبير بعيني كثيراً، قال لي: الجنة قلت له أين؟ قال: في المشفى العام.

مريض فقير ما معه مال، يأتي هذا الأخ الطبيب يعتني بالمرضى، ويحكمهم ولو كأنهم في أرقى مشفى، كأن هذا المريض أعطاه مليون ليرة، يسأله عن التحاليل، ويقعد معه ساعة، يخرج الساعة الواحدة من المشفى، قال لي: أعيش في جنة، فهؤلاء ليس لديهم واسطة، ولا أحد يعرفهم. قال لي: الجنة العمل في مستشفى عام.

لأنه فيه قربي لله، وهؤلاء عيال الله عز وجل، عندما تفهم الحياة بهذا الشكل تصبح إنساناً آخر، كل هؤلاء عيال الله، حتى الحيوانات، هل تستطيع أنت أن تعذب حيوان؟ قال له:

هلا حجبها عن أختها أتريد أن تميتها مرتين؟

ممنوع أن تذبح شاة أمام أختها ممنوع، بئعي الدجاج أحياناً يذبح الدجاجة ويضعها في ماء يغلي حتى ينتفخا بسرعة، ولكنها لم تمت، قال الله سبحانه وتعالى:

### ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾

(سورة الحج)

لم تمت، بئعي السمك الذين يبيعونه طازج، مازال السمك يتحرك يفتحون قلبه ويخرجون أحشاءه، ما تزال السمكة حية، تمهل قليلاً، فإن لم يكن لديك رحمة بالسمكة، لماذا النبي عليه الصلاة والسلام قال بأن الحيتان في البحار تصلي على معلمي الناس الخير يعلمون الناس أن لا يفتحوا بطن السمكة قبل أن تموت، أن لا يعذب الدجاجة بعد أن يذبحها لا يذبح الشاة أمام أختها، لا يمثل بالحيوان، هكذا، فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينقلب هذا الدرس إلى واقع، أنا مهدت ثلاثة تمهيدات، قضية القمح والشعير والتمر والزبيب، وقضية لا تقل لهما أف، وقضية الخمر مائة أسم للخمر، هذا كله محرم

(( رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا اللّٰعِيْنَ. قَالُوا: وَمَا اللّٰعِيْنَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيْقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ ))

الآن قس كل شيء ممكن أن يسبب اللعن قسه على هذا الحديث، تجد نفسك منضبط في عملك إلى أقصى درجة .

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارضى عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (092 - 127) : الترغيب في بناء المساجد

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-02-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

لازلنا في إتحاف المسلم لما في الترغيب و الترهيب من صحيح البخاري و مسلم، و الباب اليوم الترغيب في بناء المساجد في الأمكنة المحتاجة إليها:

(( عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

أيها الإخوة الكرام:

كما أنتم تعلمون و كما أنتم تشاهدون معركة الحق و الباطل معركة أزلية أبدية، فإما أن تبني مسجداً، و إما أن تبني ملهى، المسجد يدعو إلى الله و أماكن اللهو تدعو إلى الشهوة، فهناك شهوة و هناك عقل، يوجد دنيا و يوجد آخرة، يوجد خير و يوجد شر، و الإنسان لا بد له من عمل يعرض على الله، و الناس الآن في غفلة شغلهم دنياهم و طعامهم و شرابهم و معاشهم و أولادهم و تجارتهم، لكن هذه اللحظة التي نفارق فيها الدنيا متصورة لكن لا يعيشها الإنسان، لو عاشها لارتعدت فرائصه، مغادرة الدنيا من كل شيء إلى لا شيء، من بيت فخم إلى حفرة تحت الأرض، من زوجة و أولاد إلى وحشة ما بعدها وحشة، فهذه المغادرة من الدنيا إلى الآخرة تحتاج إلى إعداد كبير، الذي يرقى بك عملك الصالح، فإيا أيها الإخوة الكرام حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح، و الله

الذي لا إله إلا هو ينبغي ألا تغمض عينيك إلا و أنت قلق عن العمل الذي قدمته بين يديك يوم القيامة، تسمع أزمة قلبية حادة عمره اثنين و ثلاثين سنة، سبحان الله في هذه الأشهر الستة أكثر من سبعة أو ثمانية أشخاص في الثلاثين من عمرهم جاءتهم أزمة قلبية حادة أودت بهم، الإنسان إلى أين سيذهب ؟ ذهاب من دون رجوع، كيف كان؟ هل هو مستعد للقاء الله ؟ هل تاب من ذنوبه و آثامه ؟ هل في رقبته مال حرام ؟ هكذا، فلا بد من أن نستعد لهذه الساعة، و النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

(( عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْكَفَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

مرة ثانية أيها الأخوة:

التفكر بالموت شيء، و أن تعيشه شيء آخر، الذين أصابتهم أمراض حادة و كانوا على مشارف مغادرة الدنيا يعلمون علم اليقين ما معنى مفارقة الدنيا، الإنسان حينما يوقن أنه سيغادر كل اللذائذ التي استمتع بها في الدنيا لا شيء تذهب أدرج الرياح، تبقى المسؤولية، فمن هو البطل الذي هيا لنفسه مكانة عند الله باستجابته و طاعته؟ إذاً بعد أن تؤمن الإيمان الذي يملكك على طاعة الله ينبغي ألا تبحث عن شيء، بحثك عن عمل صالح يصلح للعرض على الله، من أبرز هذه الأعمال الصالحة: أن تبني لله مسجداً لأنه لا كيان بلا أرض، الجامعة تحتاج إلى بناء، التطبيب و الناس يحتاج إلى مستشفى، تعليم الطلاب يحتاج إلى بناء، الدعوة إلى الله تحتاج إلى مسجد، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18)﴾

[ سورة الجن: الآية 18 ]

بآخر الفصل حديث لعلي أستبق ذكره. خير البلاد مساجدها، و شرها أسواقها.

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ  
أَسْوَاقُهَا ))

[مسلم]

الأسواق ترغب في الدنيا و قد لا تملك ثمن هذه السلعة، لأن السير في أسواق راقية جداً و لا تملك ثمن هذه السلعة الجميلة تنشأ مشكلة الشعور بالحرمان، و إذا معك زوجتك فعندك في المساء قتال معها، هذا الفستان أعجبها و أنت لا تملك ثمنه، و البضاعة معروضة بشكل رائع جداً، بشيء مغرٍ أما أسعارها باهظة فوق طاقة أصحاب الدخل المحدود، فتجد الإنسان يأتي مع زوجته إلى المسجد و يعودان إلى البيت على وفاق تام، لأنها سمعت حقوق الزوج و واجبات الزوجة، و سمع هو حقوق الزوجة و واجبات الزوج، فكل واحد من الطرفين سعى لإرضاء الله عن طريق إكرام الطرف الآخر، هذه من ثمار المجيء إلى المسجد، أما من ثمار المجيء إلى الأسواق لابد من مشكلة لأن ما كل شيء تراه عينك تملك ثمنه جيبيك، و طوبى لمن اكتفى بحاجاته الأساسية، الحاجات الثانوية لا تنته، و الحياة الدنيا أربابها و الذين يعيشون للدنيا يخترعون كل يوم سلعة جديدة و جهازاً جديداً، صعب أن تمسك الفرشاة و تفرشي أسنانك الآن يوجد فرشاة معها حركة ذاتية، محرك و بطارية، خذ من الدنيا ما شئت و خذ بقدرها همأً، كل ميزة تتملكها يقابلها هم حينما يصيبها العطب، فهذا القول رائع جداً.

خذ من الدنيا ما شئت، و خذ بقدرها همأً، و من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، أخذ من حقه و هو لا يشعر .

أحياناً إدارة الأعمال الكبيرة جداً، إدارة الأموال الكبيرة جداً، تحتاج إلى طاقة قد لا يملكها الإنسان تنعكس أزمة قلبية في نفسه، هذا من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه، أخذ من حقه و هو لا يشعر، لكن أعمال البر سبحانه الله لها أثر كبير جداً، أنا لا أريد أن أبقى في مضمون الكلمة فقط، أريد أن أوسع المعنى، بناء مسجد، بناء ميثم، بناء ثانوية شرعية، تأليف كتاب دعوة إلى الله، عمل خيري، مساعدة أيتام، مساعدة طلاب علم، لا بد لك من عمل صالح يصلح للعرض على الله، أنا أتمنى على كل واحد منا أن يسأل نفسه سؤالاً محرراً، ماذا فعلت اليوم من أجل الجنة؟ ماذا فعلت اليوم من أجل الدار الآخرة؟ ما العمل الذي أبتغي به وجه الله و لا أريد ثناء و لا مديحاً و لا شكراً و لا تعقيباً و لا هدية لوجه الله؟ هذا الذي يبقى، و ذكرت لكم إنه من أجمل ما فسر به المفسرون قوله تعالى:

## ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)﴾

[ سورة الرحمن ]

أي أنشأنا جامعة عملاقة مكلفة ثلاثة آلاف مليون عند قيام الساعة تصبح هباء منثوراً، أسسنا جسور، أسسنا طرق، مثلاً أقمنا مستشفيات:

### ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)﴾

ما الذي يبقى و لا يفنى ؟ عمل صالح ابتغي به وجه الله، أي من أعظم هذه الأعمال أن تُنشئ كياناً بدعوة إلى الله، أي مسجد أو تدريس أو معاونة طلبة علم أو معاونة دعاة إلى الله، و الدنيا مفعمة بالأعمال الصالحة، و الله الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، بإمكانك أن تفعل كل شيء، بل إن الله لا يكلفك فوق طاقتك، يكلفك اختصاصك، إن آتاك الله مالاً أنفق من هذا المال، إن آتاك الله علماً أنفق من هذا العلم، إن آتاك الله جاهاً أنفق من هذا الجاه، إن آتاك الله حكمة وفق بين الناس، لا يوجد إنساناً لا يملك شيئاً، أي هذا رزق:

### ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 3 ]

يوجد شخص عنده قدرة على الإقناع، و عنده قدرة على التوفيق بين الناس، هذا إذا أصلح بين الناس وصل إلى أعلى درجات الجنة، و الذي طبب المسلمين و أخلص لهم يصل إلى الجنة، و الذي باعهم سلعة جيدة مقبولة معقولة يصل إلى الجنة، كل اختصاص و كل حرفة و كل ميزة و كل هوية تصلح أن تكون سبباً للجنة، يقول عليه الصلاة و السلام:

((مَنْ بَنَى مَسْجِداً لِلَّهِ تَعَالَى قَالَ بُكَيْرٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

و أنا أذكركم بقصة لعلمكم سمعتموها مني كثيراً، رجل من أهل اليسار، من أهل الغنى أراد إنشاء مسجد في أحد أحياء دمشق الجنوبية المكتظة بالسكان و ليس فيها مسجد، كلف أحد أخوانا الكرام أن يبحث له عن أرض مناسبة، و الرجل من الأغنياء الكبار، وجد أرضاً مناسبة، مساحتها مناسبة، شكلها مناسب، صاحبها آذن مدرسة ورثها قبل أسابيع و لا يملك من الدنيا غيرها، و دخله محدود جداً و عنده أربعة أو خمسة أولاد، يشكو الفقر و الحاجة و الفاقة، و الأرض مناسبة جداً فتم الاتفاق على شراء هذه الأرض من هذا الوريث، و جاء بهذا المحسن الكبير ليرى الأرض و ليدفع الثمن، فجاء بهذا المحسن و رأى الأرض و أعجبه، و الثمن مقبول و جيد و معقول ووقع الشيك بمليون ليرة، هذا الأذن قال له: أين البقية لماذا ليس ثلاثة ملايين و نصف؟ قال له: البقية عند التنازل، قال له: أي تنازل؟ قال له: حينما تتنازل لنا في الأوقاف أدفع لك بقية الثمن، قال له: و ما علاقة الأوقاف بهذا؟ قال له: نريد أن نجعلها مسجداً، عندما قال له مسجد، ارتعد و قال له: أعطني الشيك و مزق الشيك، قال له: أنا أولى منك أن أقدمها لله، لا يعقل أن أبيعك أرضاً تقدمها أنت لله مسجداً، أنا أولى أن أقدمها لله منك، يقول هذا المحسن بحياتي ما صغرت أمام إنسان كما صغرت أمام هذا الأذن، و استحيا من الله أن يأتي من يشتريها و يجعلها لله مسجداً، أنا أتمنى أنه يجب أن يكون لك عملاً تتبغى به وجه الله، الإنسان أحياناً عنده كل شيء له أجر لا يتحرك دون أجر، لا يتكلم كلمة من دون نسبة، كم لنا نسبة؟ لا يستطيع أن يتحرك حركة إلا ليحسب كم له من هذه؟ لا، لا يوجد، إذا لا يوجد شيء لا يتحرك، هذا أقر إنسان يوم القيامة، أقر إنسان يوم القيامة الذي لا يتحرك إلا بأجر، الله عز وجل خلقنا لنريح عليه، خلقنا ليعطينا شيئاً لانهائياً مقابل شيء بسيط.

إذاً:

(( مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ))

الآن يوجد عندنا حديث آخر، هذا المسجد يمكن أن يبنى و يتأسس، طبعاً هناك من يدفع مالا، هناك من يأتي بالمواد، هناك من يبني، أحدهم يقول لك أنا سوف آخذ منك نصف أجرة لأنه بيت الله، و النصف الثاني محسوب صدقة عند الله عز وجل، إنسان سيأخذ فقط سعر المواد معنى هذا أن أجرته محسوبة صدقة عند الله عز وجل، إنسان يقدم المواد و أجرته، أحدهم قدم ماله، و الآخر قدم جهده، و الآخر قدم ماله و جهده، أنشأنا مسجداً إنسان قدم جهاز تكبير صوت مثلاً جهاز إنارة، جهاز مولدة، أي المسجد بناء يحتاج إلى عشرات بل

مئات الأشياء، مرافقه من أجهزته، كله داخل في البناء، الله عز و جل كما قلت قبل قليل خلقنا لنريح عليه، أي حركة تتحركها لك فيها أجر، الآن الصيانة و الفرق بيننا و بين بعض البلاد المتقدمة مادياً، نحن لا يوجد عندنا صيانة أبداً، يبنى البناء بعد حين يتداعى، يوجد إهمال شديد لا يوجد تنظيف، أحياناً تجد محلاً تجارياً تزييناته مكلفة ملايين، اللوحة التي في مدخله لا تنظف، أمطار و غبار إلى أن تغدو سوداء اللون و لا يفكر صاحب المحل أن ينظفها، موضوع الصيانة و التنظيف هذا جزء من الحضارة، تدخل أحياناً إلى بناء منشأ منذ أربعين سنة تتوهم أنه من يومين انتهى من الصيانة، و أنا أقول لك هذه قضية حضارة، قضية رقي، أي الذي يقدر أن يتم كل حاجاته مجددة، بالتنظيف و العناية و المتابعة و الصيانة و الإصلاح، و النبي الكريم قال:

(( أصلح دنياك و اعمل لآخرتك ))

أي مشكلة بالبيت تحتاج إلى نقطة زيت في الباب، يزقزق الباب و كلما يزقزق البيت يصرخ بأولاده و يشتمهم، فالمشكلة هذه من ثلاث سنوات و كل يوم يوجد مشكلتين ثلاثه، أيقظتني، فتحت الباب، فضع له زيتاً و انتهى، أحياناً يكون الباب ليس له دافع و الدنيا برد و شتاء كذلك أغلق الباب يريد دافعاً و انتهى الأمر، لو إنسان فكر أن يصلح حياته هذه ليست من الدنيا هذه من الدين، تحل مشكلة، تجد شخصاً كل مشكلة لها عنده حل، هذا استطراد، لكن الصيانة مهمة جداً، تجد مسجداً مهملاً، أساس بنائه جيد لكنه مهمل، و هذا يحتاج إلى جهد، فهذا الذي ينظف، يعتني، يلمع البلور، يلمع الثريات، يغسل السجاد، أحياناً يأتي إنسان يرتدي بذلة كحلية اللون يركع و يسجد يجد بقعتين بيضاوتين على ركبتيه، معنى هذا أن السجاد منذ شهرين لم ينظف، أما إذا كان منظفاً و مغسولاً تجد السجاد له لمعة، أي الأولى أن تكون بيوتنا نظيفة جداً أم بيت الله ؟ بيت الله، الآن هؤلاء الذين ينظفون، هؤلاء لهم عند الله أجر لا يعلمه إلا الله، فالنبي عليه الصلاة و السلام:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا سَوَدَّ أَوْ امْرَأَةً سَوَدَّ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ ؟ فَقَالُوا: مَاتَ قَالَ أَفَلَا كُنْتُمْ آدِنْتُمُونِي بِهِ دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ أَوْ قَالَ قَبْرَهَا فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا ))

[ البخاري، مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

أرأيت إلى هذه الأخلاق، هذا الإسلام، أي بحسب مقاييس المجتمع أما عند الله تكون هذه المرأة عند الله في مكانة عليّة، لكن بمقياس المجتمع أدنى رتبة الذي يعمل في تنظيف الطرق أليس كذلك ؟ ما قولك أن أبا الأنبياء نبي كريم أوحى الله إليه و إلى ابنه أن:

### ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 125 ]

إذاً تنظيف المساجد من أعظم الأعمال، مرة أخ من إخوانا جاء والده من مصر، حضر خطبة الجمعة و اضطر لقضاء حاجة في أثناء الخطبة فقال لي: غير معقول ! كأنه ببيت، المرافق في مسجدكم كأنها في بيت من شدة النظافة، فبفضل من ؟ بفضل عدد من الأخوة الكرام لهم مكانة كبيرة عند الله تبرعوا لتنظيف هذه المرافق بأيديهم، بأعلى المواد، فتنظيف المسجد شرف عظيم.

هناك نقطة دقيقة جداً يتوهم إنسان أن أعظم عمل الدعوة إلى الله، أن تلقي درساً تلقي خطبة، هذا عمل، من أدراك أنك إذا نظفت المسجد بإخلاص قد تفوق الذي يتكلم، من أدراك ؟ قيمة العمل عند الله ليست بالوجهة لكن ببذل الجهد، فالنبي عليه الصلاة و السلام ذهب إلى قبرها و صلى عليه و هذه من خصوصيات ﷺ، لا يوجد صلاة على إنسان مدفون، الصلاة على إنسان فوق الأرض لا تحت الأرض لكن لكرامتها عند الله ولم يقتد الصحابة في هذا ولم يبين حكم شرعي إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام تولى بنفسه الصلاة عليها وهو في القبر وغضب غضباً شديداً لأن أصحابه لم يلموه بموتها.

وفي حديث آخر ونحن في المساجد قال رسول الله ﷺ:

(( عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُصَغَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوْقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمَهُ وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد، النسائي، ابن ماجة، مالك، الدارمي ]

يعني أجر الصلاة في المسجد خمساً وعشرين ضعفاً كأجر الصلاة في البيت أو في السوق أي في محله التجاري، وإذا كنت تنتظر إقامة الصلاة فأنت في صلاة، أحياناً في بعض المساجد تقام صلاة الظهر بعد عشرين دقيقة من الأذان، والفجر بعد ثلاثين دقيقة، والمغرب بعد خمس دقائق، إنسان دخل مع أذان الظهر وصلى السنة وهو ينتظر إقامة الصلاة هذا الوقت هو من الصلاة، فانتظار الصلاة من الصلاة.

وفي رواية أخرى:

(( اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه ))

كيف يؤذي الإنسان في المسجد؟ أنا يوم الجمعة لفت نظر وأنا لا أعرفهم من بعض الأخوة أو بعض من ارتادوا هذا المسجد، أو بعض من لم يكن لهم عهد بمسجد، تكلموا بصوت مرتفع وكأنهم في الطريق والناس جميعاً يصلون هذا بعيد بعد الأرض عن السماء، عن أن يكون في مستوى بيت الله، كل الأخوة يصلون وحديثهم مسموع بصوت مرتفع فشوش على الحاضرين صلاتهم، هذا نوع من الأذى، أحياناً يأتي أخ يصلي مع اثنين في الحرم والدرس قائم ويقول الله أكبر بصوت مرتفع ويشوش على الدرس هذا نوع من الأذى، شخص آخر يصلي مقتدياً بإمام وقد تكون الصلاة سرية أو جهرية يقرأ الفاتحة بصوت مرتفع يعني غلاظة ما بعدها غلاظة شوش على الكل صلاتهم يعمل موجات ترتفع موجة وتنزل موجة، ما هذا؟ خشوع لا والله ليس بخشوع لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، النبي الكريم نهى عن هذا، وهذا الرجل إذا رفع صوته ليس له، أحياناً يأتي مع ابنه الصغير والله أنا أحب الصغار وأتمنى على كل أب أن يأتي بأولاده أما دون السننتين، زوجته ضغطت عليه وقالت له خذ معك هذا ليس موضوع طلب علم والطفل ما نظف...

هذا مكان السجود ما قولك أليس هذا إيذاء شديد! والله بضع عشرات من الإخوان في هذا المسجد يأتون ويحضرون الماء ويغسلون أيضاً هذا إيذاء، أيام تأتي أخت كريمة وأنا أتمنى أن كل أخت أن تأتي إلى المسجد، لكن معها خمسة أو ستة أولاد تتركهم يركضوا و يلعبوا معهم بسكويت وغيره هذا غير معقول، نحن انزعجنا جداً من هذا الشيء، عملنا لترتيب أن أخت كريمة تبرعت تعمل درساً للصغار، عملنا المصلى العلوي و كل سيدة معها أولاد تدفع أولادها للمصلى و هي تسمع الدرس، هذا شيء جميل لأن بعض النساء وجدوا الفرصة ممتازة،

عندها استقبال تضع أولادها بالجامع و تذهب، أليس هذا كله إيذاء للمسجد، نحن قلنا التي معها أولادها نقبل لها أولادها و لكن ليست هي بالاستقبال و زوجها عنده سهرة و ليس عندهم مشكلة إلا الأولاد فوضعهم بالجامع و ذهبوا، هذه مشكلة كبيرة جداً، دقق بالحديث:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمَهُ اللَّهُمَّ ثُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ ))

[ البخاري، مسلم، النسائي، الترمذي، أبو داود، أحمد، ابن ماجه، مالك، الدارمي ]

هذا بيت الله، حتى لو أن الإنسان حمل قشة من المسجد له أجر، بيت الله أي الله عز وجل قال:

((إن بيوتي في الأرض المساجد، و إن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارنا و حق على المزور أن يكرم الزائر ))

فأنت عنصر خدمي بالجامع، للخدمة، عنصر نظيف، صوت منخفض و رفع الصوت من المنكرات، و الله أعرف أناساً يتكلم في المسجد و هو ممتلئ بالمصلين و كأنه في فلاة، مرتاح، فهذا لا يعظم شعائر الله:

﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[ سورة الحج: الآية 32 ]

أنا سوف أدقق مرة أخرى على كلمة: و في رواية ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمَهُ اللَّهُمَّ ثُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ)) يؤذي فيه: إذا أذى، هناك إيذاء بالصوت، هناك إيذاء مع أولاده الصغار، إيذاء باللغو في المسجد، هذا كله إيذاء، أو بعدم تنظيف المسجد، أو ترك شيء من بقايا الطعام بالمسجد، من بضع سنوات أو أكثر، من اثنتي عشرة سنة تقريباً كان عندنا إحياء بالمسجد ينتهي الإحياء تجد المكدوس و الأكل و الشرب نظل شهراً و نحن ننظف المسجد، هكذا، أي بالحرمين برمضان الكل يأكلون و لكن تمرأ و قهوة و تُمَد ملاءات من البلاستيك و تقام بأقل من دقائق شيء جميل جداً، كلما كنت لطيفاً بالمسجد و كلما كنت نظيفاً و أنيقاً تكون أقرب إلى الله عز وجل:

(( عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَلْتُ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا بَنِي سَلَمَةَ دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ دِيَارُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ ))

[مسلم، أحمد]

يعني الزموا دياركم تكتب آثارك، أعادها ثانية، فقالوا: ما يسرنا أنا تحولنا، وفي رواية لهذا الحديث أخرى إن لكم بكل خطوة درجة

أخ جاء من دوما راكب ساعة من الزمن هذا بالأجر يتساوى مع أخ إلى جوار المسجد ؟ لا والله، يوجد مشقة بالغة فكلما كان مكانك أبعد كان أجرك أكبر، مكانك تكتب آثارك، وليس معنى هذا أن الإنسان يبيع بيته المجاور للمسجد ويسكن بعيداً هذا ليس وارد، بيته قريب نعمة، بيته بعيد له أجر، والله جبار خاطر، لا يوجد إنسان عند الله ليس له شيء حتى لو كان بيتك بعيداً.

أيها الأخوة:

المشقة في الإسلام لا يمكن أن تكون مطلوبة لذاتها، أما إذا فرضت علينا مرحباً بها، قد يأتي الصوم في أشهر الصوم في أشهر الحر الشديد وقد لا تتوقع أن يدوم الصيام سبعة عشر ساعة والحر خمسة وأربعين، يوجد مشقة مرحباً بهذه المشقة لأن العبادة فرضتها، قد تطوف حول البيت في الحج بمشقة بالغة، وقد ترمي الجمار بمشقة بالغة هذا كله لك أجر عليه كبير انطلاقاً من أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً قابلاً في الشمس فقال عليه الصلاة والسلام وسأل عن حاله قالوا: نذر أن يبقى في الشمس قال: امره فليتحول إن الله غني عن تعذيب هذا نفسه.

إذا الله يسر أمر، يسر ركوب، يسر طائرات، مواصلات، إذا إنسان يوجد عنده في البيت ماء فيجة فأراد حتى يكسب أجر حمل التتاك من مكان بعيد وعبء وجاء بها إلى البيت هذا مجنون، المشقة لا تطلب لذاتها أما إذا فرضت عليه مرحباً بها.

يوجد قاعدة أساسية كل إنسان يحرم نفسه بلا مبرر النبي عليه الصلاة والسلام بلغه أن بعض أصحابه أراد أن لا يتزوج تقريباً إلى الله، وبعضهم الآخر أراد أن لا يأكل اللحم تقريباً إلى الله، وبعضهم أراد أن يقوم الليل تقريباً إلى الله فجمعهم وقال:

((عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذًا وَكَذَا لِكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأُصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي))

[ البخاري، مسلم، النسائي، أحمد ]

الإسلام واقعي، الإسلام متوازن، الإسلام وسطي، جمع بين الدين والدنيا، وبين الدنيا والآخرة، وبين حاجات الجسد وحاجات الروح، وبين حاجات العقل، يوجد في الإسلام غذاء للعقل العلم، غذاء للروح القرب، وغذاء للجسم، قال تعالى:

﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾

[ سورة الأعراف: الآية 32 ]

أنت ليس مكلفاً أن تعيش الحرمان في التقرب إلى الله إلا أنه حينما أمرك الله أن تصوم هذه مشقة أرادها الله، والمشقة الإلهية التي أرادها الله متناسبة مع حاجة الإنسان قال تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[ سورة البقرة: الآية 286 ]

في حالات معينة الإنسان يفطر في السفر أو في المرض.

وفي حديث آخر:

(( عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أُنْبَعْدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشَى فَأُنْبَعْدُهُمْ وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيَهَا ثُمَّ يَنَامُ ))

[ البخاري، مسلم ]

يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ ))

[ مسلم، أحمد، ابن ماجه ]

المؤمن الضعيف على العين والرأس، إنسان بيته قريب نعمة، بيته بعيد له أجر، من أروع ما قرأت أن النبي عليه الصلاة والسلام بلغه أن صحابيين وقعا في أسر مسيلمة الكذاب، مسيلمة الكذاب سأل الأول أتشهد أنني رسول الله، قال: ما سمعت شيئاً فقتله، سأل الثاني أتشهد أنني رسول الله فشهد له أنه رسول الله، بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فماذا قال عنهما؟ قال: أما الأول فقد أعز دين الله فأعزه الله، وأما الثاني فقد قبل رخصة الله، والثاني ليس آثم، الله رخص له إذا أكره على الكفر نجاهاً بحياته سمح له أن ينطق بالكفر فقال له النبي: وإن عادوا فعد ولا شيء عليك.

انظر إلى عظمة الإسلام يوجد حد أدنى وحد أعلى، الحد الأعلى حد البطولة هذا تخييري لا قصري، والأدنى مسموح والأعلى مأجور، أنت في ببحوحة كبيرة لك أن تقلد أولي العزم.

عالم أحد حكام المغول أراد أن يتحدى علماء المسلمين فجمعهم وجاء بلحم خنزير وأمرهم أن يأكلوا فمن لم يأكل فقتله، يوجد عالم جليل ورع وقور من شدة محبة الناس له وتقديرهم له استطاعوا دون أن يعلم هذا الملك أن يضعوا له بدل لحم الخنزير لحم ضأن فلو أكله فلا شيء عليه، فلم يأكل وقال: هذا عند الناس لحم خنزير وقتله الملك. كم هو ورع خاف على سمعة العلم، قال: هذا عند الناس لحم خنزير فإذا أكلت سقط العلم في أعينهم ولم يأكل وقتل.

يوجد مواقف تحتاج إلى عزيمة، مرة الحسن البصري يبدو أنه تكلم كلام أزعج الحجاج فقال الحجاج لمن حوله: والله يا جبناء لأروينكم من دمه فجيء به ليقنله فجاء بالسياف، ومد النطع، وكل شيء جاهز لقتله، والحجاج وما أدراكم... قال: إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، الحجاج مخيف ضرب الكعبة بالمنجنيق وصلب أحد الصحابة... لما جيء بالحسن البصري ورأى الأمر كله واضح حرك شفثيه بتمتمات لم يسمعها أحد فإذا بالحجاج يقف له ويقول له: أهلاً بأبي سعيد وقال له: أنت سيد العلماء ومازال يدنيه من مجلسه حتى أجلسه على سريره وسأله واستقتاه وضيغه ثم ودعه إلى باب القصر، السياف صعق أين قتله والخادم أيضاً، فتبعه الخادم وقال له: يا أبا سعيد لقد جيء بك لغير ما فعل بك فماذا قلت بريك؟ قال: قلت لربي يا ملاذي عند كربتي، يا مؤنسي في وحشتي اجعل نعمته علي برداً وسلاماً كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم. الأمر بيد الله، قلوب العباد بيد الله، أنت مع الله إذا كنت مع الله كان عدوك معك يخدمك، وإن لم تكن مع الله تطاول عليك أقرب الناس إليك.

أيها الأخوة:

أنا أتصور أن صلاة الجماعة في المسجد لها فوائد كبيرة جداً، أحد هذه الفوائد أنك تلتقي بأخيك، الجماعة رحمة، أخوك قد يأخذ بيدك إلى الله وقد تأخذ بيده، قد ينصحك وقد تتصح، قد تحل عنده مشكلتك وقد تحل عندك مشكلته، قد يكون متألّق تألقه يطفئ على أخيه روحانية عجيبة.

صدقوا أيها الأخوة يحدثونني أخوان لا أعرف؟ ولكن شيء متكرر أخ مثلاً تأخر ولم يبق وقت فوق في حرج يا ترى يأتي إلى المسجد أم لا يأتي يذهب ويصلي العشاء فقد يجتمع مع إخوانه ويشعر براحة ما سمع من الدرس ولا كلمة ولكن دخل بيت الله عز وجل والتقى مع إخوانه فشر باحة، أنا أتمنى أن يكون تعارف بينكم، هذا في تقصير والله شديد يكون أخ من أخوانا فرضاً له اختصاص نادر ثمان سنوات أنا لا أعلم أنه يحضر عندنا، ونحن نبحت عن هذا الاختصاص ولمصلحته، نبحت عن هذا الاختصاص في الطب النادر ولا نجد وهو يحضر هنا منذ ثمان سنوات وهذا تقصير.

يجب أن نعرف بعضنا، قد يكون أخ يشكي البطالة ويوجد أخ آخر عنده فرصة عمل فكلما تعرفنا إلى بعضنا أكثر هذا يرضي الله أكثر لأن النبي ﷺ أمرنا أن يكون هناك تواصل بيننا، فلا يكفي أن تأتي إلى المسجد وتجلس في زاوية فقط، لا تعرف أحد ولا أحد يعرفك هذا خلاف السنة، إذا التقيت مع أخوك اسأله عن اسمه من هو؟

عمله، اختصاصه، بيته، أولاده، تأخذ فكرة، يمكن أن تخدمه أو يخدمك والحياة فرص أحياناً، قد يكون أخ عنده ضائقة مادية شديدة وعمله واقف وأخ بحاجة إلى صاحب مصلحة هو يتقنها ولكن لا يعرفه، يبحث خارجاً عن شخص يغشوه ويأخذوا منه سعر عالي جداً ويسيئوا له، لا يوجد مانع كل ما التقيت مع أخ تتعرف عليه سؤال بسيط قال تعالى:

### ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾

[ سورة المائدة: الآية 2 ]

والعجيب أن الطرف الآخر غير المؤمن يتعاونون تعاوناً مذهباً، تعاوناً غير معقول، وأنت أولاً أن تتعاون مع إخوانك، أخ فتح محل جديد يجب نحن أن نتعامل معه نشترى منه، إلا يوجد منزلق بالمناسبة أيام يتوهم هذا الأخ أن هؤلاء الأخوان كلهم دراويش ويحبونه ويحبوا الله فإذا أنا ربحت زيادة مسموح، هنا صار عندنا مشكلة كبيرة جداً، أما أنه لا يفاصلك يستحي أن يساومك، يستحي أن يقول لك هذه البضاعة غالية تستغل هذه الناحية وترفع السعر معنى هذا أنك أنت جنيت لتستغل إخوانك.

أنا والله أتألم ألماً شديداً إذا أخ فتح مصلحة وما لبيناها كلنا، كلنا نشترى من عنده يشعر أنه منتمي إلى جامع، يوجد ترابط، تعاون، أنا والله شهد الله في كل حياتي لا يمكن أن يكون أخ عنده مصلحة وأبحث عن غيره لأن هذه خيانة، أخ ملتزم إذا ربح منك ويدفع زكاة ماله وينفق ماله على أولاده وزوجته فقط المنهج تعطي آخر يشرب الخمر بربح منك أو متقلت أو لا يدفع زكاة ماله لا يجوز.

والحقيقة الذي يشدك إلى الجامع لك أخوان طيبين، أنا مصر على هذا لو أنت عرفنا مصلحتك عندك حرفة، محل الألمنيوم، محل نجارة، وأنت مؤمن مستقيم وستكرم الأخوان، تعارفوا على بعضكم وتعاونوا، ما الذي يمنع أن كل أخ يعرف أخين ثلاثة؟ النبي قال: تأخيا اثنين اثنين.

الحد الأدنى أخ ما جاء إلى الدرس أخبره هاتقياً، أزوره لعل مريض، لعل عنده مشكلة، لعل عنده مشكلة مع زوجته، يصلح بينهما، كبير عليه أن يطلبها على الهاتف، وهي كبرت عليها أن لا يأتي ويأخذها، هو جالس في قلعته وهي في قلعته والأمر يتفاقم ويوجد تغذية سيئة جداً، يأتي الأخ الثالث يزور بيت الحمي يبين لهم فضائل صهرهم ويقنعهم أنه يجب أن ترجع وهكذا الأصول.

قد يكون له مشكلة مالية مع زوجته، اجتماعية، مشكلة مع ابنه، قضية محتار بها، وأنا أتمنى وأنا قلت هذا مئات المرات أن يتآخى الأخوان اثنين اثنين، والحد الأدنى واحد، واثنين أفضل، ثلاثة أفضل، أربعة أفضل، فكلما التقيت مع أخ أسأله عن اسمه، عمله، اختصاصه، سكنه، هذا سؤال طبيعي إذا التقى المؤمنان يقول الأول ما اسمك؟ ما اسم أبيك؟ من أين أنت؟ هذا شيء أشد بالمودة:

(( عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: كَانَ رَجُلًا لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ أَوْ قُلْتَ لَهُ لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظُّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ؟ قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنَزَلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمَشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّ))

[ مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

أنت فكر، أنت حينما تتجه إلى بيت الله:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ))

[ مسلم، أبو داود، الترمذي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

أنت ارتديت ثيابك و خرجت من منزلك و ركبت سيارة عامة باتجاه جامعك، هل تدري أن هذا طريق الجنة ؟

((عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَنْصَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا طَلَبَ))

[ الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

يوجد ملاحظة أخيرة لعلمكم تأخذونها أنتم على بعض الأحاديث: أي معقول بكل خطوة باتجاه المسجد تمحي خطيئة؟ بعقلية الإنسان من يعطيك على كل حرف تحكيه، قعدت مع ابنه سجل لك حديثاً مع ابنه، وجهت ابنه ساعة من الزمن فأعطاك على كل حرف مليون ليرة، لا أحد يصنع ذلك، لكن الله غني، الله يصنعها، قد تجد يوم القيامة لقمة وضعتها في فم زوجتك تجدها كجبل أحد يوم القيامة، الله على كل شيء قدير، هذه الفكرة غير مقبولة في عالم البشر، شخص قال له: ضع أموالك عند فلان، هذا صاحب دين و جيد، وضع أمواله، أعطاه

عشرة ملايين فريحو خمسة ملايين، جاء صاحب المحل أعطى خمسة أخرى لمن قال له ضعهم عند هذا، هل هذا معقول؟ بعالمنا ليست معقولة، أما عند الله معقول، ممكن أن يعطيك عطاءً كبيراً لعمل قليل و لكنه مخلص تبتغي به وجه الله، فصدق حينما تأتي بيت الله بنية طلب العلم، بنية تدعيم الحق أحياناً، مثلاً أنت جعل الله على يدك هداية خمسة و دعوتهم إلى الدرس و قد جاؤوا أين الذي دعانا؟ فلم يجده، يأخذوا عليه يا ترى أليس هو مقتنع بالدرس؟ لماذا إذاً دعانا للدرس؟ إذا أنت دعيت أماً للجامع فمجيبك أصبح فرضاً، لأنك إذا تخلفت زرعته، فشك بمصداقتك، لماذا لم نرك؟ و الله كنت مشغولاً، لو أنت تفقدتهم بأول فترة و قال لك و الله كنت مشغولاً هل تقبلها منه؟ لا بل توبخه، ماذا مشغول هل يوجد عمل مع طاعة الله عز وجل فأنت عندما تقصر بعد حين زعزت ثقة الناس فيك، و أضعفت من مصداقتك، و أحياناً تلتقي بإخوانك هذا شيء رائع، أحياناً تسمع الدرس رائع، أحياناً تدعم الحق، لو فرضنا نكلم بأشياء تعرفها جميعها أنت بمجيبك دعمت الحق، فلذلك مثلما قلنا في البداية: خير البلاد مساجدها و شرها أسواقها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة المنافقون: الآية 9]

يقول لك أحدهم أنا قبل الدرس بربع ساعة جاءه ضيف، و الله يوجد أخوة لطفاء جداً يقولوا له: تفضل نحن يوجد عندنا مدعوين لسهرة، يظن أن هناك عشاء، يأتي به إلى الجامع، فيظهر أنه لا يوجد شيء فقط درس علم، أي نوع من الطرفة يأتي به، أما أنا أعمل نظاماً بحياتي هذه أوقات الدروس مقدسة، لا أقرب منها أبداً، أعتذر من أي إنسان يريد أن يبعدي عنها، أو أحاول أن أقنعه أن يأتي إليها.

**والحمد لله رب العالمين**

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-04-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أيها الإخوة الكرام:

لا يغيب عن بالكم أن الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، وأنها سيدة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسموات، وأن الله عز وجل حينما بين لنا أن سبب هلاك الأمة في آخر الزمان ترك شيء واحد واتباع شيء واحد.

هذا الفساد العريض، هذا التخلف عن قيم ديننا، هذه المشكلات التي يعاني منها الناس ما يعانون أرجعها الله إلى كلمتين قال تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً (59) ﴾

[ سورة مريم: الآية 59 ]

وتعلمون أيضاً أن أركان الإسلام خمسة، الصلاة والصيام والحج والزكاة والشهادة، وأن الصوم والزكاة والحج يمكن أن تسقط عن المريض والمسافر والفقير وأن الشهادة ينطق بها مرة واحدة، ماذا بقي من أركان الإسلام؟ الصلاة، الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال، لو أن إنساناً عرضك للقتل إذا صليت لك أن تصلي برموش عينيك وأنت نائم، هذه صلاة الخوف قصرها نوعي لا كمي بينما صلاة المسافر قصرها كمي لا نوعي.

الفرض الوحيد المتكرر الذي لا يسقط بحال هو الصلاة إن صحَّ صح العمل وإن فسدت فسد العمل، وحينما قال الله عز وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَٰعِدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59)﴾

أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة لا يعني تركها ولكن يعني تفرغها من مضمونها، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)﴾

[ سورة المؤمنون: الآية 1-2 ]

فقالوا: الخشوع في الصلاة ليس من فضائلها بل من فرائضها وشتان بين فضائل الصلاة وفرائض الصلاة.

أيها الإخوة:

قد ورد في الحديث القدسي أنه:

(( ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ))

معنى ذلك أنه ينبغي أن تعرف لمن تصلي، مع من تتصل، بين يدي من تقف، من تتاجي، من تخاطب، من تدعو، لمن تركع، لمن تسجد، هذه بديهيات الصلاة، وسبب تخلف المسلمين وضعفهم وشتات أمرهم وتغلب أعدائهم عليهم، وشرذمتهم، بترك الصلاة، أضاعوا الصلاة لا يعني أنهم تركوها ولكنهم فرغوها من مضمونها.

ونحن أيها الإخوة:

أينما جلست ومع من التقيت يكاد يكون الحديث واحد الأخطار التي تواجه الأمة الإسلامية أخطار كبيرة جداً لأن الطرف الآخر قوي جداً وزكي جداً وغني جداً، وهو يكيد للمسلمين كيداً يشيب لهوله الولدان قال تعالى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)﴾

[ سورة إبراهيم: الآية 46 ]

إله يقول ونحن نطلع من حين لآخر على أنواع مكرهم، يتمنون أن لا نأكل، أن لا نشرب، أن نكون فقراء، يتمنون أن نموت، فالقضية الآن قضية خطيرة جداً، يعني قبل التواصل الثقافي، وقبل الانفتاح، وقبل ثورة المعلومات، وقبل العولمة، الأمر كان بخير، يعني كل بلد مستقلة عن البلد الآخر، الآن يوجد شيء اسمه عولمة، يعني السلوك اليومي للمجتمعات الغربية يجب أن يعمم على كل الشعوب، فنحن أمام عزو ثقافي، غزو فكري، غزو علماني، النموذج الكافر، الإباحي، الغارق في الشهوة هذا نموذج يجب أن يعمم بقوة السلاح، أي بلد نام لا يصدر تشريعات ترسخ توصيات مؤتمر السكان يعاقب اقتصادياً، وأي بلد نام لا يصدر تشريعات تبيح الحرام وتجعل المجتمع منحللاً يعاقب.

فالقضية الآن قضية أكبر بكثير مما نتصور، عندما قال الله عز وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا(59)﴾

هذا هو الغي، الغي الذي وعدنا به وجدناه الآن، أنت ماذا تفعل بأولادك؟ أينما ذهبوا الفساد ينتظرهم، أينما تحركوا، ذكرت لكم في الخطبة أن هذه الأفلام التي يشاهدها الصغار في كل المحطات أفلام فيها أسماء إحادية، بل فيها أسماء تتهم الله بالجبن والبخل.

حدثني أخ قبل أيام أنه شاهد برنامجاً علمياً على شكل قصة في إحدى القنوات الفضائية الأجنبية يقول الطبيب لامرأة أن الله لا يستطيع أن ينقذك ولكني أنا سوف أنقذك، عن طريق الاستنساخ، الآن الكفر معمم، الإلحاد معمم، الإنسان الإله هو المسيطر.

أنا أتمنى أن نعرف حقيقة وضع المسلمين، نحن أمام أخطار كبيرة جداً وأنا أناقشكم مناقشة موضوعية، لما الإله يقول:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا(59)﴾

لماذا تخلفوا ؟ لما ضعفوا ؟ لماذا تشرذموا ؟ لماذا قوي عليهم عدوهم؟ لماذا خارت قواهم؟ لأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، ثلاث كلمات، تضيع الصلاة لا يعني تركها ولكن يعني تفرغها من مضمونها، واتباع الشهوات لا يعني الشهوات التي أباحها الله كالزواج وكسب المال الحلال لا، والعلو في الأرض وفق طاعة الله، بل إنه يعني الشهوات المحرمة، والوعد والوعيد فسوف يلقون غيا وقد لقي المسلمون ذلك الغي.

أنا أقول لكم أيها الإخوة:

الشيء البديهي أن أبدأ بالأولويات، أول كلمة ينبغي أن تقولها علي من نفسي، وعلي من أسرتي، وعلي من أولادي، إذا كل واحد منا عاهد الله عهد موثق، يا رب انا أعاهدك أنني سأقيم الإسلام في بيتي وفي عملي وسأكون نموذجياً، وملتزماً، هذا يكفي، يجب أن نفهم أنه لا معنى أن يتخلى الله عنا إذا كنا معه مستحيل، أحياناً تجلس مع مسلم بحالة يأس منه كبيرة جداً يقول لك انتهينا، يشيد بالغرب، وبقوة الغرب، وبأسلحة الغرب، وبأجهزة الغرب، وباستطلاعات الغرب، وبأقمارهم الاصطناعية وأسلحته الفتاكة، وسيطرته وهيمنته، يبالغ دون أن يشعر وينسى الله، وينسى أن الله فوق كل قوي، وأغنى من كل غني، وكيده يغلب أي كيد، ومكره يحبط أي مكر، ينسى الله.

أنا أتمنى عليكم في أي جلسة، في أي حوار، في أي مكان لا تنسى الله، لا تغفل على أن الله موجود، والإله الذي لا يحميك ولا ينصرك، ولا يقويك، ولا يؤيدك، ولا يوفقك هذا ليس إله ينبغي أن لا تعبد، لكن الإله الذي ينبغي أن تعبد هو الذي يدافع عنك مهما يكن عدوك قوياً هو أقوى منه، مهما يكن عدوك مأكراً، قال تعالى:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ(46)﴾

مهما يكن عدوك محتالاً قال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾

[ سورة النساء: الآية 142 ]

أنا الذي كنت أقول لكم دائماً أخطر شيء للأمة أن تهزم من داخلها يجب أن تعلم أن الله معك وأنت مؤمن، وأن الكفر مهما يكن قوياً بإمكانك أن تنتصر عليه بشرط أن تقيم أمره في بيتك وعملك.

(( ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ))

هل عرفت الله؟ كلمة كلمة إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ماذا تعرف عن الله؟ يعني بعض الشباب يعرفون عن السيارات وعن أنواعها وخصائصها وميزاتها وأرقامها وأنواع صنعها مالا يصدق، لو أنهم عرفوا عن دينهم معشار ما يعرفون عن سيارات العالم لكانوا في حال آخر، ماذا نعرف عن الله؟ ماذا نعرف عن قدرته؟ حكمته عن رحمته؟

((... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ))

البند الثاني:

((... وكف شهواته عن محارمي... ))

هنا أضع النقاط على الحروف، أضعكم أمام مسؤولياتكم تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي، يعني عرف الله واستقام على أمره، ضبط الشهوة، المهزوم أمام شهوته لا يمكن أن يقاتل طفلاً، كيف تنتظر من إنسان مهزوم أن ينتصر؟ امرأة تجذب قلبه، منظر امرأة عابثة تخالب لبه، ماذا تنتظر من هذا الإنسان؟ انتهى.

ماذا قيل عن فرعون؟

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54)﴾

[ سورة الزخرف: الآية 54 ]

الفاسق ضعيف، الفاسق جبان، الفاسق متهاك.

((... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ))

(( عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى ))

[أبي داود، أحمد]

كان عليه الصلاة والسلام إذا أحزنه أمر بادر إلى الصلاة، نحن الآن أمام هذا الواقع، نحن في واقع صعب جداً المكاسب نادرة، المطالبات كبيرة جداً، الأولاد لا تملكهم، كل شيء يدعو إلى المعصية، كل شيء يدعو إلى الربا، كل شيء يدعو إلى الشهوة، عولمة مهيمنة على العالم كله، فسق وفجور، إباحية وتهتك، أسرة مفككة، الزوج في واد والمرأة في واد والأولاد في واد، كل شيء يعرض على الناس يدعوهم إلى معصية الله، عالم الجنس، علم الشهوة، عالم الإباحية، عالم التقلت، هذا الواقع.

((..إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى..))

هذا التيار الإباحي ماذا يقابله؟ قيام ليل، اتصال بالله، ذكر الله، أحكام الصلاة، أنت تحتاج إلى طاقة، إلى شحنة قوية جداً تواجه بها المغريات والمنكرات والمعاصي والآثام.

((... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ))

استقام، يجب أن تعلم أين حدود الله؟ ما يجوز وما لا يجوز؟ ما ينبغي وما لا ينبغي؟ ما يمكن أن تفعله وما هو محرم أن تفعله؟ ولكن حينما يهون أمر الله على الناس يهونون على الله عز وجل.

نحن الآن في الدرجة اثنين وثلاثين، في آذار عشر درجات فوق المعدل، هذا طقس غير مألوف إطلاقاً، لم نصل إلى الحد المعقول من الأمطار، ولا سيما في الشام.

فيا أيها الإخوة:

يجب أن ننظر يوجد وضع خطر جداً، وضع جغرافي، وضع مناخي، وضع شهواني، وضع اقتصادي، قال تعالى:

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16)﴾

[ سورة الجن: الآية 16 ]

هذه كلها مذكرات من الله عز وجل، نقول أنا ضعيف ؟ أدي الذي عليك.

أيها الإخوة:

مرة كما كنت أقول لكم دائماً أحد الخلفاء الأمويين ولعله آخر خليفة أموي، الناس نفروا منه فكان إذا جاءت أيام العيد، أو جاءت صلاة العيد الناس يصلون العيد وينصرفوا عن خطبته، أراد أن يخطب قبل الصلاة ليضمن بقاء الناس في المسجد فصعد إلى المنبر قبل الصلاة وكان يوجد أحد التابعين قال له وأمسكه من طرف رداءه: أيها الأمير هذا ما فعله رسول الله لكن الأمير تابع صعوده وخطب قبل الصلاة ولم يعبأ بنصيحة هذا التابعي. أما التعليق الرائع أن واحداً قال أما هذا فقد أدى الذي عليه.

فأنت مكلف أن تؤدي الذي عليك، أن تسهم بعمل في خدمة المسلمين مهما يكن قليلاً، مهما يكن متواضعاً أنت ساهمت بنيت لبنة واحدة في صرح الإسلام.

الذي أتمناه عليكم أن ننتق من همومنا الخاصة، والله يوجد هموم كثيرة، أن تحمل مرة هم المسلمين ماذا فعلت؟ إنسان يعلم الطلاب الصغار لوجه الله تعالى، إنسان يقدم شيء للمسجد، إنسان يعالج المرضى مجاناً، إنسان يوزع بعض ماله على الفقراء، إنسان يعلم بعلمه، بجاهه، يعني:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

أنت حجمك عند الله بحجم مالك، "... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصبر على معصيتي "

تواب كثير التوبة، يحاسب نفسه كل يوم، أخطأ يقول يارب سامحني، يا رب اغفر لي، يا رب لن أعيد هذا الذنب، دائماً يوجد مراقبة حتى قالوا: إن المنافق يعيش في حال واحد أربعين عاماً بينما المؤمن الصادق الورع يتقلب في يوم واحد بأربعين حالاً.

قلق، طمأنينة، خوف، رجاء، ابتهاج، دعاء، من شدة خوفه من الله، شدة الخوف دفعت عمر بن الخطاب عملاق الإسلام أن يسأل سيدنا حذيفة بن اليمان أن يسأله بربك اسمي مع المنافقين، سيدنا عمر من شدة الخوف.

فيا أيها الإخوة:

قد يكون الحديث عن القبر غير محتمل لكن والله نحن جميعاً شئنا أم أبينا، أحببنا أم كرهنا رضيينا أم لم نرض، لا بد من ساعة نكون تحت أطباق الثرى في القبر، في بيت الدود، في بيت الوحشة، في بيت الغربة، في بيت المحاسبة، في بيت انتهاء الشهوات، قال تعالى:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

[ سورة سبأ: الآية 54 ]

القبر يحتاج إلى توبة، إلى إخلاص، إلى طاعة، إلى عمل صالح، فهذا معنى قول النبي الكريم فيما يرويه عن ربه:

(( ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصبر على معصيتي ))

كثير التوبة،

((... وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وأوى الغريب..))

والله أيها الإخوة هناك مجالات للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، كل شيء أمامك ربما كان طريقاً إلى الله في بيتك، في عملك، وأنت ماش في الطريق لك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وأن تغض بصرك عن محارم الله، وأن تفعل شيئاً يرضي الله.

((.. وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب...))

يوجد مرضى، يوجد غرباء، يوجد أبناء السبيل، يوجد جائعين، يوجد متألّمين من شدة المرض، أنت بشكل أو بآخر بإمكانك أن تسهم في تخفيف الآلام عن المسلمين.

((...وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي...))

إخلاصاً، ما هذا الحديث ؟ جمع كل شيء أن تعرف الله من خلال التفكير، وأن تستقيم على أمره، وأن تتوب كلما زلت قدمك، وأن تعمل الصالحات من كل أنواع الصالحات، وأن تكون مخلصاً بهذه الأعمال.

((... كل ذلك لي وعزتي وجلالي، جاء القسم، إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس ))

تألّق، والله تجد مؤمن ورد في بعض الأحاديث:

(( أولياء أمتي إذا رؤوا نكر الله بهم ))

لو لم يتكلم ولا كلمة إذا رأيت ذكرت الله، إذا رأيت تذكرت الله، إذا رأيت تذكرت الجنة، إذا رأيت اشتهيت أن تكون مؤمناً مثله، هذا المؤمن طاقة، متألّق، مشحون.

((...وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس ))

يا إخوان:

المؤمن شخصية فذة، شخصية كبيرة جداً، المؤمن مرتبة أخلاقية ومرتبة علمية، ومرتبة جمالية، أذواقه عالية جداً، حتى حياته ولو أنها متواضعة ولو أن بيته صغير، ولو أن طعامه خشن، ولو أن دخله محدود ولكنّه يحيا حياة فيها ذوق عالي، مرتبة جمالية، ومرتبة أخلاقية أخلاقي، لن يغدر.

أحد الصحابة ألقى القبض عليه ليقتل مكان بعض كفار قريش الذين قتلوا في بدر، طبعاً أخذ وهو في السجن ابن صاحب البيت جاء إلى حجره ومعه سكين، هو مقتول بعد ساعة ما الذي يمنعه أن يقتل هذا الغلام وهو ميت ؟ فلما لمحت أم الغلام ولداها بين يديه طار صوابها فقال لها: لن أفعل ذلك. لها معنى عميق، يوجد قيود، الشرع قيده، القرآن قيده، الدين قيده، لن يغدر بك مؤمن، ولن يأخذ مالك بالحرام مؤمن، ولن يخدعك مؤمن، مستحيل مرتبة أخلاقية عالية جداً، مرتبة جمالية أدواقه عالية جداً، مرتبة علمية هو عرف الحق، عرف الحقيقة الكبرى في الكون، عرف منهج الله، عرف حقيقة الكون، وحقيقة الدنيا، وحقيقة الإنسان، إذا قلت مؤمن. مثلاً في حياتنا العلمية بروفيسور شيء كبير يعني أستاذ جامعة ومعه دكتوراه له ثلاثين مؤلف، كلمة بروفيسور يعني تفعل صدمة، يقول لك بورد، يعني طبيب درس في أمريكا معه بورد، وهذه غير البورد كلمة بورد لها رنين، نحن نعيش بقيم الغرب، ونعيش بمصطلحات الغرب، كلمة مليونير، بورد، بروفيسور، أما إذا أنت مؤمناً حقيقياً كلمة مؤمن تفعل صدمة، يعني إنسان يتمتع بمرتبة أخلاقية لا يمكن يرتكب الحرام، أو أن يأكل المال الحرام، أو أن يكذب، أو أن يخدع، أو أن يدجل، أو أن يضلل أبداً، أو أن يشهد الزور .

يقولون من أساء الظن بأخيه فكأنما أساء الظن بربه، مؤمن من رواد المساجد يكذب مستحيل، يخدع مستحيل، يبتز مالك مستحيل، يوهمك مستحيل، أيام أخ يترجاني أن أوصي به طبيب مؤمن والله أستحي ماذا أقول له ؟ هذا طبيب مؤمن يعرف أن الله عز وجل يراقبه في عمله، وأن هذا الذي بين يديه من عباد الله أقول في قلبي والله لا يمكن أن يوصى طبيب مؤمن، ولا يوصى محامي مؤمن، ولا مهندس مؤمن، ولا معلم مؤمن لأن معرفته بالله عز وجل وخوفه منه والطمع برحمته أكبر دوافع لطاعته.

لذلك المؤمن مرتبة علمية ومرتبة أخلاقية ومرتبة جمالية، عوض أن تتصدم من كلمة بروفيسور، وبورد، وكلمة مسؤول كبير، وكلمة يجب أن تصعق من كلمة مؤمن كبير، لكن عندما صار في دعوة فارغة الناس لم يعبؤوا بهذه الكلمة.

((...)) إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم

الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي... ((

لا أذكر قصة على التندر، أحد الإخوة الكرام ممن يعمل في التبريد أعلمني بهذه الحقيقة أن أي براد ثلاجة إذا كانت واقفة وأنت نقلتها إلى بيتك بسيارة بشكل أفقي في البيت وضعتها قائمة وأعملت فيها الكهرباء يحترق المحرك فوراً، يجب أن تبقى عدة ساعات واقفة حتى يأخذ الزيت مكانه في المحرك ثم تعمل الكهرباء، مرة أنا أمشي في الحريقة رأيت شاباً فقيراً يحمل براد من مؤسسة براد بردي صغير ويظهر عليه أنه فقير وأنا على الرصيف الآخر قلت في نفسي لعل لم أحد يخبره وهو فرح به ووضعه على سيارة شاحنة بشكل منبسط أفقي وخطر في بالي حسب ما أعلمت أنه سوف يعمل فوراً من فرحه به ويحرق المحرك ويحتاج إلى خمسة آلاف، والله انتقلت من رصيف إلى رصيف وأخبرته إياك أن تعمل هذا البراد قبل خمس ساعات من وصوله إلى البيت. وشعرت أنني قدمت شيئاً ماذا كلفتني ؟ كلفتني عشر خطوات وكلمة أقولها لهذا الإنسان، أرجو أن يقبل الله هذا العمل.

المؤمن أين ما تحرك يجب أن يخدم، يبين، يوضح، أيام تنزع حجر، ترى مؤمن راكب سيارته وحجر في منتصف الطريق وطريق سفر، إذا إنسان يسير في الليل بسرعة مائة وعشرين قد يسبب الحجر هلاك أسرة فتجد بعض الناس يقفون ويزيحون هذا الحجر هم الأول خدمة الخلق ولا يفرق بين إنسان وإنسان، هم المصلحة، هم قوة المسلمين، هم سلامتهم، هم راحتهم، فكل مؤمن وقد يكون تاجراً، النبي ﷺ يقول:

(( عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ))

[ الترمذي، الدارمي ]

و الله أنا أقول يا ربي تاجر باع واشترى وريح كيف مع النبيين ؟ هذا تاجر مؤمن داعية انتقل ذهني إلى أن أندونيسيا أسلمت عن طريق التجار، أكبر قطر إسلامي، ماليزيا، باكستان، بانغلادش، دول كبرى الآن مسلمة سبب إسلامها التجار، فإذا أنت تاجر لك باب إلى الجنة، مدرس، معلم، مهندس، قاضي، بناء، فاعل، ترى المؤمن مؤمن أين ما وجد.

((...)) إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلماً... ))

يجب بعد أن تبت إلى الله وعقدت العزم أن تطيعه، بعد أن عرفت الله وسلكت طريق الإيمان يجب ان تتبدل أخلاقك بدلاً جوهرياً يجب أن تقول زوجتك والله ما كان هكذا. والله سمعت هذا من أناس كثيرين، كان شرساً، كان غضوباً، كان لسانه بذيئاً، كان جباراً الآن وديع كالمك الإسلام هذبه.

يا رسول الله ما هذا الأدب ؟ قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

لا تعرف قيمة إيمانك ولا قيمة طاعتك لله إلا إذا جلست مع إنسان تائب وشارد، ترى تعليقاته لاذعة، ملاحظاته قاسية، كلماته بذيئة، مزاحه فاحش تفكيره مصلحي مثل هذا الإنسان لم يرق عند الله، اجلس مع مؤمن.

أخ من إخواننا قال لي: دخلت إلى بقالية حول المسجد دخلوا طلاب ثلاثة من طلاب المعهد ويوجد أولاد آخرون قال لي: والله الفرق صارخ بين أبناء المعهد مهذبين، أدباء، يوجد غض بصر، كلام لطيف، وبين الطلاب الشاردون، إذا لم يكن المؤمن صارخ في كماله في تواضعه، في منطقته، في دعوته، في وفائه بالعهد، ما عاد مؤمناً مرة ثانية مرتبة أخلاقية، مرتبة علمية، مرتبة جمالية، يجب أن تتمتع بميزات ثلاث كمؤمن عرفت الله أنت على علم ولك أنواق جمالية تعرف كيف تأكل، كيف تشرب، كيف تنام، من تصاحب، كيف تنتزه، كلها مراتب جمالية.

يجلسون بمقهى الأغاني تصدح بأعلى صوت وصوت الطاولة لا يحتمل والنساء متبذلات، وكل رجل عينه على امرأة، وكل امرأة عينها على رجل ويعودون في شقاق فيما بينهم لا ضحكت زيادة أمام فلان ؛ لا أنت لماذا نظرت إلى فلانة ؟ يعودون وماذا عملوا ؟ نزهة.

يأتي المؤمن مكان بعيد فيه جمال في الطبيعة، جالس مع أهله وأولاده، يوجد أنس ولطف، حتى نزهة المؤمن تختلف، أنواقه عالية جداً، يوجد كثير من الأشخاص كل يوم في القهوة جالس على كرسي خيزران يلعب طاولة، وقهوة، وأركيلة، وجالس وقد يكون غني تارك بيته وزوجته وأولاده، مقعد مريح في البيت ومعه أولاده وزوجته وبناته، وهو يجلس في القهوة هذا عنده ذوق !

لا يوجد ذوق أبدأ، وأحياناً والعياذ بالله تجد إنساناً غنياً جداً مبتلاً بالقمار، له دخل فلكي وإنفاقه فلكي، يقول لك مليونين دولار في مونتكارلو أذهب، ثلاثة ملايين دولار، الناس بحاجة إلى الدولار وهو ينفق أموال طائلة، أهل الغنى في كل مكان في العالم بعد الوصول إلى قمة الغنى يغرقون في القمار، قال: هو الداء الذي لا براء منه، يوجد إنسان من أصل لبناني هكذا قرأت في الأخبار ومسلم مقيم في أمريكا عنده زوجة وأولاد معه حوالي مليوني دولار خسروهم في ليلة واحدة يعني مئة مليون ليرة سورية خسروهم في ليلة واحدة في مقمرة كبيرة وجاء إلى البيت معه مسدس قتل زوجته وأطفاله الخمسة ثم قتل نفسه وكتب ورقة ليغفر الله لي.

هو الداء الذي لا براء منه وليس لذنوب صاحبه اغتفار  
تشاد له المنازل شاهقات وفي تشيد ساحتها الدمار  
نصيب النازلين به سهاد وإفلاس فيأس فانتحار

نهاية الغنى القمار ترى شيء عجيب يقامر في كل ثروته أحياناً أعمى.

من ثمار الصلاة الصحيحة المتقبلة عند الله.

((... على أن أجعل له الجهالة حلماً والظلمة نورا))

الجهالة لها معنيان، معنى علمي ومعنى أخلاقي، هنا بمعناها الأخلاقي إنسان أحمق، لئيم، بخيل، شرس، معتدي.

لا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال تعالى:

﴿وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 33 ]

فالجهالة من معانيها اللؤم، والشراسة، والعدوان هذا المعنى الأخلاقي، أما بالمعنى العلمي الحديث هنا ليس المقصود هنا بالمعنى العلمي.

((... على أن أجعل له الجهالة حلماً...))

كريم، لطيف، حلیم، رحيم، منصف، واضح، بين.

((... والظلمة نورا...))

كان تأئه أبصر، صدقوا هذا الحديث يكتب بماء الذهب لأنه جمع كل مرتكزات الإسلام معرفة الله ممن تواضع لعظمتي، الاستقامة على أمري، دوام التوبة، العمل الصالح، الإخلاص، الآن تبدل الجهالة إلى حلم، تبدل الظلمة إلى نور الآن من نتائج الرائعة:

((... ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبه..))

((... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم الجائع وكسى العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس على أن أجعل له الجهالة حلماً...))

كل النقائص كمالات، كل الحماقات كمالات، والظلمة نورا، كل العمى والتهيه والضلال إشراق.

((... ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه أكأه بقربي واستحفظه ملائكتي مثله عندي كمثل

الفردوس لا يمس ثمرها ولا يتغير حالها ))

أقول لكم بصراحة ما يعانيه المسلمون من مشكلات والله لا تعد ولا تحصى على أي مستوى، الاقتصادي، والاجتماعي، والديني، والصناعي، هذه المشكلات لا تحل إلا بالصلاة، الصلاة الصحيحة، أنت عندما تصلي الصلاة الصحيحة اتصلت بخالق الأكوان صار عندك طاقة كبيرة كونية ملكتها.

أيها الإخوة:

(( عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى ))

[أبي داود، أحمد]

وكان إذا حضر وقت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه

((عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ قَالَ رَجُلٌ قَالَ مَسَعَرٌ أَرَاهُ مِنْ خُرَاعَةَ لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ غَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا ))

[أبي داود، أحمد]

(( عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُبِّبِ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءَ وَالطِّيبُ وَجَعِلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ ))

[النسائي، أحمد]

(( عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَالصَّلَاةُ نُورٌ الْمُؤْمِنِ.. ))

[ابن ماجه]

قال تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) ﴾

[سورة طه: الآية 14]

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19) ﴾

[سورة العلق: الآية 19]

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

[سورة النساء: الآية 43]

معنى هذا أن الصلاة عقل، والصلاة معراج المؤمن، والصلاة مناجاة المؤمن، وإن أكبر شيء في الصلاة ذكر الله، قال تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

[ سورة العنكبوت: الآية 45 ]

يعني أكبر ما فيها، وبعضهم قال: إن ذكر الله لك في الصلاة أكبر من ذكرك له، تذكره أنت مستعيناً فيعينك، تذكره أنت ملتجئاً فيلجئك تذكره أنت ضعيف فيقويك، أنت فقير فيغنيك، أنت تائه فيرشدك، كما قال الله عز وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا (59)﴾

الله عز وجل لخص ما يعانيه المسلمون في شتى أقطارهم في آخر الزمان أنهم سيلقون غيا، القرآن كلام خالق الكون، أنهم سيلقون غيا وهذا الغي سببه أنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فأمام كل مسلم هذه المسؤولية، يعني أنت عليك أن تلتزم الصلاة التي أرادها الله وأن تتبعد عن كل شهوة محرمة وعلى الله الباقي إن لم يفعل مجموع المسلمون هذا وفعلته أنت وحدك لك معاملة خاصة وحدك، الله أكرم وأجل من أن يأخذك بجريرة غيرك لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[ سورة الأنعام: الآية 164 ]

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيقَاتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)﴾

[ سورة الزمر: الآية 61 ]

نحن أيها الإخوة:

لم نر شيئاً بعد يوجد بلاد مشردة بالآفاق يقول لك النازحون ثلاث مئة ألف ينامون في العراء، وفي أيام البرد الفارص، يوجد أشخاص فقدوا أموالهم، فقدوا أولادهم، فقدوا أسرهم معذبون، في معالجات إلهية لا تنتهي، الآية دقيقة جداً إن لم تتبع الشهوات المحرمة ضمن المنهج لا يوجد مشكلة:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا رَبٌّ لَطِيفٌ خَلِيقٌ ﴾  
﴿ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[ سورة القصص: الآية 50 ]

اتباع الهوى وفق هدى الله لا شيء عليه، الغي الذي وقع به المسلمون وعاقبهم به الله بسبب تضييع الصلاة واتباع الشهوات، العلاج إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، أي أن تزكي نفسك بالمعنى الواسع وأن تتصل بالله عز وجل.

قال تعالى على لسان السيد المسيح قال:

﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) ﴾

[ سورة مريم: الآية 31 ]

أنت أمام حركتين حركة نحو الله صلاة، حركة نحو الخلق إحساناً إن اتصلت بالله وأحسننت نجوت، طبعاً أتمنى النجاة لكل الخلق ولكن إن لم يستجب الناس ماذا أفعل؟ يا أيها الذين آمنوا عندئذ نقول لكم عليكم أنفسكم، كل إنسان عليه من بيته ومن عمله، هذا الحل العملي أما حتى يهتدي المسلمون جميعاً هذا طريق طويل لا تعلق هدايتك على هداية إنسان آخر، ولا تحمل إنسان آخر مسئوليتك، كل إنسان محاسب لوحده أنت مسؤول بأي ظرف وما كلفك الله إلا ضمن وسعك قال تعالى:

﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[ سورة البقرة: الآية 286 ]

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الحديث الشريف يعني باعثاً لنا على التطبيق.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (094 - 127) : أصلحوا رجالكم وحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-04-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

يقول ﷺ:

(( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصْلِحُوا رِجَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالشَّامَةِ فِي النَّاسِ ))

[ أحمد، أبي داود ]

موضوع قد لا يُعالج في المساجد ولكنني أجد أنه من الموضوعات المهمة، ذلك أن الدعوة إلى الله في عصر الفتن عمل معقد في عصر الشبهات، في عصر زينة الأرض وزخرفها، الزينة تجذب، والأرض مزخرفة، أماكن اللهو أنيقة جداً، بيوتات أهل الدنيا مرتبة جداً مدن الشاردين عن الله أنيقة جداً، نظيفة، منظمة جداً، هذه المظاهر مظاهر الدقة والنظافة والنظام تخطف أنظار شباب المسلمين، فتجد أن أكثر شباب المسلمين يرنو بنظره إلى أن يعيش في بلاد الغرب، نقط دقيقة، ما دام الإسلام هو الحياة وما دام النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحدثنا عن ربه يقول:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ))

[ الترمذي، أبي داود، ابن ماجه، أحمد، مسلم ]

فلماذا حذف الجمال من الإسلام ؟ لماذا صار المسلم له منظر لا يُرضي، بيته لا يُرضي، محله لا يُرضي، علاقاته لا تُرضي، أي يهمل كل مظهر أنيق، يهمل كل مظهر نظيف، يهمل كل مظهر منظم، ليس هناك نظام ولا انسجام ولا نظافة، إذا ذهبت إلى بلاد الدنيا تجد نظام يفوق حد الخيال، تجد نظافة ما بعدها نظافة، هناك بلد من بلاد شرق آسيا، يقال عنها أنظف بلد في العالم، لو أن إنسان ألقى عقب سيجارة، يدفع مائة ألف ليرة، أي ألفا دولار، لو أنه أعاد هذه المخالفة مرة ثانية لابد من أن يعمل عشرة ساعات ينظف المدينة، ويرتدي ثياب عمال التنظيفات، ولو كان في أعلى منصب، يتساءل الإنسان لماذا هذه الشعوب وتلك البلاد التي ما عرفت ربها والتي آمنت بالدنيا فقط، وقد يعبد بعضها أوثاناً من دون الله، ومع ذلك هناك نظام ونظافة وجمال، الأشياء الباطنة حدّث عنها ولا حرج، الانهيار الأسري، تفكك الأسرة، الإباحية، اختلاط الأنساب، الفواحش، مهما حدثتكم عنها فالواقع أشد، ولكن لماذا اقترن النظام والنظافة والجمال، بالفسق والفجور والعدوان ؟ ولماذا اقترن الإهمال والفوضى والمناظر التي لا تُرضي بالإيمان ؟ هذه مشكلة كبيرة، هذه المشكلة ليست في الإسلام، نحن صنعناها، والشيء الذي يلفت نظري أنك حينما تكون في بلاد الغرب، الرجل العربي المسلم إذا وعد إنسان غربي يأتي قبل ربع ساعة، هناك إذا وعد أخيه المسلم يأتي بعد ساعة، ما هذه المفارقة ؟ من قرن بين الفوضى، واختلاف المواعيد، والمظهر غير الأنيق، والمظهر غير النظيف مع الإسلام، ومع الدين هذه المشكلة تُنْفَر الشباب من دينهم، وتُحَبِّب الغرب إليهم، فتجد طموح كل شاب أن يعيش هناك، أن يبقى هناك، أن يعمل هناك، أن يتجنّس هناك، هذا بحق الأمة جريمة، الأمة بشبابها، فلأمة ثلاثة أعمار: أطفال وشباب وشيوخ، الشيوخ انتهوا، يحدثونك عن الماضي دائماً، والصغار لا يعلمون شيئاً، من هي القوة الفعالة في المجتمع ؟ الشباب، من هم صانعو المستقبل ؟ الشباب، من هم الذين أنيط بهم نهوض الأمة ؟ الشباب، هؤلاء في معظم البلاد الإسلامية تركوا بلادهم، هذه الملاحظة بحكم سفري وجدت هذا الربط المؤلم بين الفوضى وعدم المظاهر الجمالية وبين خلاف المواعيد، فهذه طرفة، إذا إنسان مسلم في بلاد الغرب له اسم هو آ ب م.

الألف تعني إن شاء الله، فكلما وعدك وعداً يقول لك إن شاء الله، في المفهوم العامي، في المفهوم الساذج، بمفهوم المُتَفَلِّتِينَ، أي لن يدفع لك هذا المبلغ، إن شاء الله سأدفع لك، لن يأتي على الموعد. والباء أي بكرة، تأجيل، والميم أي معلى، ماذا حدث ؟ يسمونها في بلادهم آ ب م أي إن شاء الله وبكرة ومعلى، أنا أريد أيها الإخوة ما لم يكن في العالم الإسلامي مكان تظهر فيه معالم الإسلام، عظمة الإسلام، عظمة هذا الدين، ما لم نقطف ثمار هذا الدين، لن يطمع أحد بديننا، لو أن كل مسلم ضبط مواعيده، ضبط علاقاته، ضبط حساباته،

ضبط بيته ضبط عمله، جمل بيته، أنا لا أتحدث هنا عن الغنى، لأن الطبقة الواسعة في المجتمع ليست غنية، أنا لا يؤلمني أن يكون البيت صغير، أو متواضع، بل يؤلمني الفوضى في البيت، يؤلمني المظهر غير الجمالي في البيت، ليس هناك انسجام، هناك حاجات ليس لها لزوم، أنت حين تنزع المدفأة ويبقى شريط المدفأة اثني عشر شهراً مسيباً هكذا، ألا تنزعج من منظره، تجد أشياء موجودة تخرش العين، تؤذي النظر، فلماذا لا يكون الإسلام جميلاً؟ لماذا لا يكون المؤمن أنيقاً؟ لماذا لا يكون محله مرتباً؟ لماذا لا يكون المؤمن أنيقاً، ومحله مرتباً ونظيفاً؟ لماذا جمعنا بين الفسق والفجور والكفر والإباحية وبين الأناقة والجمال والنظام؟ ولماذا جمعت الفوضى والإهمال في المنظر مع الإيمان؟ هذه مشكلة، قد تزور بلدة ليست إسلامية، تجدها نظيفة جداً وأنيقة، لو زرت بلداً أو بلدة إسلامية صغيرة، لا تُسرُّ بها إطلاقاً، ما هذه المشكلة؟ هذه مشكلة كبيرة، هذه مشكلة سوف تُسبب نزيف الشباب من بلادهم، أنا لا أتمنى أن يكون للإنسان قصر، لا ليست هذه غايتي، في بيتك المتواضع شيء من النظام، شيء من الأناقة، شيء من النظافة، شيء من المظهر المقبول، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

(( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالشَّامَةِ فِي النَّاسِ ))

[ أحمد، أبي داود ]

لماذا الفتاة السافرة أنيقة جداً والمُحجَّبة غير أنيقة؟ النفس تحب الأناقة، تحب العناية، تحب النظافة، تحب الإهتمام، فكل مظهر مُنقَر يتلبس به المسلم، هو يُنقَر من دينه دون أن يشعر، وكل مظهر أنيق محب يتلبس به الكافر، هو يجذب إلى دينه دون أن يشعر، أي دائماً هناك قواعد أساسية، حينما يقول الله عز وجل:

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

[ سورة الممتحنة: الآية 5 ]

والله الذي لا إله إلا هو لا أرتوي من هذه الآية، أي موقف من المسلم فيه خطأ، فيه وعد كاذب، فيه احتيال، فيه إهمال مظهر، فيه ثقلت، فيه مخادعة تعين الكافر على التشبث بكفره يقول إذاً أنا الصبح وهذا خطأ، فضبط المواعيد من صفات المؤمنين، ضبط الأمور من صفات المؤمنين، المظهر المقبول من صفات المؤمنين، النظافة من صفات المؤمنين، الإنسان حين يسافر يشاهد نماذج عديدة، بلاد في آسيا عمرها الحضاري من

عمرنا تماماً، لكن فيها نظافة ونظام يفوق حد الخيال، فإذا كل إنسان هان دينه عليه، وأنت سفير المسلمين، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يُؤْتَيْنِ من قبلك، وعندما غير المسلم يرى المؤمن منضبط، واضح، صادق، أمين هناك جمال في حياته، هناك مسحة جمال، الله عز وجل خلق الجمال، العالم الغربي استغل جمال الطبيعة إلى حد يفوق الخيال، تجد مثلاً في بعض الأماكن الجميلة الدولة قَدَّمت حديقة، قَدَّمت أماكن للطعام، إذا زرت هذه الأماكن تجدها مُجَمَّع للقمامة، أليس كذلك؟ هذا الذي يأكل ويدع بقايا الطعام في الأرض وبمشي هذا إنسان عديم الذوق، حينما تجد المكان نظيف جداً وفيه سلات للمهملات وأماكن لبقايا الطعام، وتضع بقايا الطعام على الأرض، اذهب إلى جبل قاسيون في النهار تجد آثار ما يشربه الناس ويأكلونه على أوسع مسافة، هل هذا هو الإسلام؟ هل هذه هي النظافة؟ هل هذه هي الأناقة؟ قد يكون الدرس غريباً بالنسبة إليكم، ولكن بالنسبة لي هو ليس غريباً، هذا من صلب الدين، إذا كنت مسلماً وتعتز بإسلامك وبلدك فلماذا هذه الفوضى؟ ولماذا هذا المنظر الذي لا يُرضي؟ المؤمن مُرتَّب، مُنظَّم، له مظهر مقبول كما قال عليه الصلاة والسلام:

(( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالشَّامَةِ فِي النَّاسِ ))

[ أحمد، أبي داود ]

لو أن بنتاً صغيرة نظرت إلى أمها المؤمنة المسلمة المصلية الصائمة القائمة وجدتها تهمل نفسها إهمالاً شديداً، ووجدت هذه البنث معلمتها التي ليست منضبطة بالدين إطلاقاً، سافرة تبرز كل مفاتها، لكن وجدت في هذه المعلمة الأناقة، النظافة، الترتيب، ولم تجد في أمها كذلك، تميل إلى ماذا؟ تميل إلى سلوك الثانية، وتمقت سلوك الأولى، أنت قد تجد القضية ليس لها علاقة بالدين، قضية نظافة و ترتيب وأناقة. هذه من صلب الدين، الدين هو الحياة، إنك إن كنت نموذجاً محبباً للناس أحب الناس دينك، النفس بطبيعتها كما قيل، النفس البشرية تحب الجمال، وتحب الكمال وتحب النوال، تحب الجمال هذه فطرة الإنسان، وتحب الكمال، هناك موقف، هناك بطولة، موقف فيه صدق، هناك أمانة، موقف فيه ضبط، موقف فيه كرم، موقف فيه تضحية، موقف فيه وفاء، نظرب له، أحياناً نكون في جلسة، تتطرح مواقف عن قصص نبيلة لبعض الأشخاص فتشعر براحة عجيبة، تشعر بسرور، يقال صار في تجلي، هذه رائحة الأعمال الطيبة، رائحة الأمانة، مرة إنسان باع بيته، سمعت هذه القصة وتأثرت بها، البيت أساسه مجمع، أي فيه مشروع كبير، باع بيته فرضاً بمائتين وسبعون ألفاً، الذي اشترى البيت أجاب وأقر وقال اشتريت، ونكتب عقداً، قال لا: تعال يوم السبت القادم ومعك المال وأتنازل لك عن البيت،

في إدارة المشروع بدون عقد، قال له: نعم، وبعد يومين يأتي من دفع لهذا الإنسان خمسين ألفاً زيادة، فبلغ الشاري أنه دفع بهذا البيت خمسين ألف ليرة زيادة أيقن يقيناً قطعياً أن البائع لن يبيعه البيت، جاء يوم السبت والمال معه، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، فقال له: لقد جنتك بالمال، قال له: وأنا جاهز، لم يقل له أريد أن أُغَيَّر السعر، بعد التنازل ودفع المبلغ، وأصبح البيت بملك الشاري، قال له: لي عندك سؤال؟ ألم يأتك فلان الفلاني ودفع لك خمسون ألفاً زيادة، قال: نعم ولكني لا أبيع ديني بخمسين ألفاً، أنا بعثك، إلى هنا انتهت القصة، ولكن حدث أن هذه البيت بمشروع، وكان سعره غير مغلق، أي مفتوح سعره، طبعاً بعد ما أغلق سعره بِبَيْع البيت، عندها فوجئ الشاري الجديد، أن هناك ثلاثين ألفاً يجب أن تُدفع لإدارة المشروع، ماذا فعل الشاري؟ دفعها ولم يعلم البائع، وهي على البائع، هنا تسمع قصة فيها وفاء، فيها وعد، عندها تشعر براحة عجيبة في الجلسة نفسها تسمع قصة فيها لؤم، عندها تحس بضيق تقول تعكر المجلس، لذلك قالوا بذكر الصالحين تتعطر المجالس، وأنا بالمناسبة أنصحكم إذا جلستم، إذا سمرتم في سهرة، أو في اجتماع لا تفتح ملف الأخطاء الاجتماعية كأنك بحاوية، أحياناً بأي جلسة حين يفتح الملف لا يُغلق، فلان سرق، فلان نهب، فلان لئيم، فلان خلص الشركة، فحين يفتح ملف الأخطاء وملف سقوط الإنسان، تجد أنه ضاق الصدر، هذه هي الرائحة النتنة للأفعال السيئة، والحالة الأولى الرائحة العطرة للأعمال الطيبة، مثلاً سائق تكسي فقير جداً، وجد كيساً فيه عشرين مليون ليرة، يأخذ بالحساب: بيت بخمسة ملايين، سيارة خاصة، محلاً تجارياً ويحل كل مشاكله، بحث عن صاحب هذا المبلغ عشرين يوماً، يدور حول المكان الذي وجده فيه، ووضع أخباراً أنه وجد مبلغاً إلى أن التقى فيه وسلمه المبلغ بالتمام والكمال، صاحب هذا المبلغ لم يرض إلا أن أخذ هذا السائق إلى سوق السيارات، واشترى له سيارة جديدة، بمليون ليرة. القصة الطيبة تشكل راحة نفسية، تؤمن بالإنسان على أنه مخلوق مكرم، اقرأ تاريخ المسلمين الذهبي، شهد الله أنك تتغذى بمواقف الصحابة، سيدنا عمر قال له سيدنا الصديق: ابسط يدك كي أباعك، قال له سيدنا عمر: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا كنت أميراً على قوم فيهم أبو بكر، هذا الشيء فوق طاقتي. قال له سيدنا الصديق: أنت أقوى مني يا عمر، قال له أنت أفضل مني، فقال له: قوتي إلى فضلك، نتعاون. هذه القصة نموذجية، في التعاون نسمع أن سيدنا الصديق كان يحلب شياه جيرانه، صار خليفة، وصار في قمة المجتمع الإسلامي، طبعاً جيرانه أيقنوا أن هذه الخدمة انتهت، في اليوم الذي انتهت فيه الخلافة، طرق باب الجيران، قالت الأم لابنتها: افتحي يا ابنتي، فلما فتحت قالت: من الذي طرق الباب؟ قالت: جاء حالب الشاة يا أمه، جاء الصديق يحلب الشياه وهو خليفة المسلمين، هنا تجد الكرم والتواضع والوفاء وحسن العهد. أما

اليوم فتسمع قصص القنص والاحتتيال، والانحراف الأخلاقي، والخيانة الزوجية، والسقوط، والأزواج الشرسين، تجد كل زوج كالوحش في البيت، والزوجة الخائنة، والابن الفلتان، عند سماعك لهذه القصص تقعد ولا تتمكن من الوقوف، فلذلك بذكر الصالحين تتعطر المجالس، وقياساً على ذلك وبذكر اللئام تتعكر المجالس، طبعاً أنا لا أمنعكم أن تتحدثوا عن أخطاء من حولنا، ولكن أن لا تكون الجلسة كلها أخطاء، عندها تئس، تشعر بانكماش، تحس بوهن، بضعف، الإنسان معنوياته مهمة جداً، لذلك إذا كانت علاقاتنا وتعاملنا مع المؤمنين حتى مرحنا ونزهاتنا معهم تجد وفاء وحياء وأدب وخجل وكلمة لطيفة وموقف ذكي، والله تجد من بعض المؤمنين مواقف ذكية جداً تُحَارُّ لها، سيدنا عمر يخطب الآن وهو خليفة المسلمين، وهو في رأس المجتمع الإسلامي، نزل درجة، ولكن لماذا لم يقف على الدرجة الأخيرة؟ قال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي في مقام أبي بكر، مع أن أبي بكر قد توفي وأصبح هو الخليفة، ومع ذلك نزل درجة، شيء مدهش، سيدنا عثمان لم ينزل درجة ولكن لحكمة بالغة أيضاً، أحد الخلفاء سأل: لِمَ لَمْ ينزل؟ فقال له: والله لو فعلها. يخاطب خليفة أموي. لكنك في قعر بئر لا نهاية لها، سيدنا عمر وقف موقفاً كاملاً، وسيدنا عثمان وقف موقفاً كاملاً أيضاً.

رسول الله سأل عن شخص: أين فلان؟ فقالوا له: بتبوك، فقال: لقد شغلته بستانه، فقام أحد أصحاب رسول الله وقال له: لا والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، لقد تخلف عنك أناس ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو علموا أنك تلقى عدواً ما تخلفوا عنك، ما هذا الدفاع؟ ما هذا الوفاء؟ فأنا الذي أراه أن هذا العصر فيه معلومات كثيرة، كما قالوا عنه ثورة المعلومات، أي موضوع يمكن أن أقدم لك فيه مائة بحث مرتب ومنظم، وسائل المعلوماتية كبيرة جداً، هناك كتب إسلامية لا يعلمها إلا الله، بأي موضوع هناك ألفي كتاب، أشرطة كاسيت لمئات العلماء، هناك فيديو، إنترنت، كل شيء موجود، مساجد كبيرة، لكن لا يوجد حب، لا يوجد مجتمع إسلامي راقى، مجتمع يقوم على العدل والوفاء والصدق والأمانة لا يوجد، أحد إخواننا الكرام له قريب أسمع عنه كثيراً من أرقى تجار دمشق، عنده صانع قال له: يا سيدي إن أردت أن أفتح محلاً لوحدي هل تحزن، فقال له: أبداً يا ابني على عيني، فقال له: حسناً، أماننا محل معروض للبيع، فقال له: لا بأس، لا مانع عندي، فقال له: ولكني لا أملك ثمنه، فروغه تسعين ألفاً ومعه فقط عشرة آلاف منها، فقال له: أنا أكمل لك الباقي، فقال له: ولكن لا يوجد عندي بضاعة، فقال له: أنا أعطيك بضاعة، هذا الإنسان عاش حوالي تسعين عاماً ومات في ليلة القدر وهو يقرأ القرآن، يعيش للناس، حدثني أخ ببلدة بعيدة وهو بائع أقمشة، ذكر لي اسم تاجر بالشام وصار بيكي، فقلت له: خيراً، قال لي: هذا الإنسان هو سبب حياتي سبب سعادتني، فقد باعني بضاعة بالدين ولم أتمكن من سداد

ثمنها، فالسوق صعب جداً وعلي تكاليف كبيرة، فجا ليزوره ومعه سندات، مبالغ ضخمة، قال له: والله لا يوجد معي، هل يمكن لنا أن نتغذى سوية، قال له: لا بأس، فقال له: ولكن بالبيت لأنني لا أستطيع أن أدعوك إلى المطعم، فدخل ورأى البيت صغير، ماذا يفعل بعض التجار ؟ يشتري بيت، يؤسسه، بأموال الناس كلها يشتري بضائع ويبيعها، ويحل مشاكله بها، ويماطلهم، فظن التاجر أن هذه هي طريقته أيضاً، فوجد بيتاً صغيراً، أثاث متواضع، فهذا يعني أنه لم يأكل أموال حرام، ولكن السوق أحواله متعبة، ماذا قال له هذا التاجر ؟ قال له: أين السندات، فأراه إياهم وقال له: سأمزقهم، تعال إلي وخذ بضاعة مرة أخرى، وإن أردت أشياء لا توجد عندي فأنا سأكلفك وبع وردّ لي ديوني، أي شخص شبه مفلس، وليس معه ما يسد ديونه، فجاء التاجر وفوق هذه الديون الشديدة أعطاه بضاعة وكفله عند بائعين آخرين، وأخذ الله بيده وسدد ديونه، وزرناه في بيته وهو أربعمائة متر ومن أحلى ما يكون، وكل هذا الخير بفضل هذا التاجر الذي أمدني ببضاعة بعد أن كدت أفلس، ثم بعت البضاعة وربحت، والله حين ذكر اسمه بكى من شدة امتنانه منه هكذا كان السلف الصالح، إذا إنسان لديه صانع آخرته يكون صهره وشريكه، الآن تعمل عنده عشرين سنة، ولا ينالك شيء منه يعصرك عصاراً. والله حدثني أخ، له ابن لم ينجح بالدراسة، وضعه في محل ميكانيكي، طبعاً سيعمل بدون أجر لأنه سيتعلم صناعة، ولم يعطيه معلمه قرشاً واحداً، مع أنه يعمل طوال النهار، يجلب الطعام وتنظيف المحل وحين يريد فك المحرك فإنه يرسله خارج المحل، هذا هو اللؤم، فحين التعليم يرسله خارج المحل، استخدمه خمسة سنوات للتنظيف وتأمين حاجاته، فالبلد مليئة باللؤم والجشع والقهر والظلم والاستغلال.

أيها الإخوة الكرام:

نحن الآن بحاجة إلى مجتمع مسلم، فيه صدق وليس فيه كذب أبداً، فيه أمانة وليس فيه خيانة، فيه وضوح وليس فيه خداع، فيه نظافة، فيه جمال طبيعيّ أنا أخاف جداً حين أتحدث عن الجمال والنظافة، أخاف أن تظنوا أنني أحب حياة الأغنياء، لا والله، لكن ممكن أن تكون أنت أفقر إنسان ولكن يكون بيتك نظيف ومرتب، الأمور واضحة فالترتيب جزء من الحياة، أنا لا أقول أن يكون دخلك كبير أبداً، مهما كان دخلك قليل ومهما كانت حياتك خشنة، ممكن أن تكون جميلة، وأنيقة، وفيها مسحة رائعة، فأنا هذا الذي أدعو إليه، من خلال خبرتي أيها الإخوة لم أجد شيء يجلب الناس إلى الدين، كالخلق الكريم

فعندما النبي قال:

(( قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ))

[ مسلم، البخاري، الترمذي، أحمد، النسائي ]

مع أن الإسلام غير الخمس، فالإسلام من ضمن قيم، الخمس هم صوم، صلاة، حج، زكاة، شهادتين، هذه أعمدة، أما البناء فشيء آخر، فنحن فهمنا أن البناء هو الأعمدة فقط، مشكلة المسلمين الأولى أنهم فهموا الدين خمس أركان للإسلام فقط، فإذا صلى وصام وحج وزكى أدى كل شيء، الآن يعيش حياته كما يحلو له، يكذب، يحتال، مسلم طُلب لشهادة لا علاقة له بالمحل أبدأ فقال له: خمسة آلاف، شاهد زور، يريد مالاً، قال له: حسناً، تقضل، دخل إلى المحكمة لأول مرة في حياته، فوجد قاضياً ومصحفاً، قال له القاضي: ضع يدك على المصحف، فقال له: تمهل قليلاً، خرج وقال له أريد عشرة آلاف، فسأله: لماذا؟ فقال له: لأنه يوجد يمين، هل هذا مسلم؟ يوجد حلف يمين كذب لذلك طلب عشرة، تجد ألف شاهد زور وألف كاذب يشهد معك، مثلاً يقول لك على التلفون: والله الحق معك، والبيت لك، لكن خصمك دفع لي ثلاثين ألفاً، ادفع لي مثلهم حتى أحكم لك، هو أحد إخواننا الذين نعرفهم، ونعرف أن البيت له، قال له: دفع لي خصمك ثلاثين ألفاً، ادفعهم حتى أحكم لك، في باب الجابية أشخاص . أنا أقدس أي عمل، لكن بحسب السلم الإجتماعي هناك أعمال أقل مستوى من أعمال أخرى . هناك أناس أعمالهم بالمجارير والمياه المالحة، يقفون ومعهم عدّتهم، هذا القاضي لو جلس بباب الجابية وعمل بالمجارير أشرف عند الله عز وجل من أن يأخذ قرار بحسب المبلغ، هذه مشكلة أيها الإخوة، فحياتنا يجب أن نُثَوِّرَ بالقيم، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، يعيش بمبادئه وكرامته وقيمه وبمواقفه.

لنا صديق مهندس تزوج من فتاة بعد فترة بسيطة جداً فوجيء أن معها ورم خبيث بالرحم، وبقي يخدمها أربع سنوات، وهي على فراش الموت، قال له أبوها مرة: هذه ليست زوجتك، هذه ابنتي، يكفيك ما تحملته حتى الآن، كان يخدمها ويطبخ لها، هذه الفتاة لها عمّات مُتقلّبات أشد التقلّات، أي يسبحن في البحر بثياب السباحة مع الرجال، أعتقد أن هذا تقلت قطعاً وليس اتهاماً، هؤلاء تحجبين لأنّ هذا الزوج لابنة أخيهم أخذ لُبهم، هل يوجد زوج مسلم يفعل هذا الشيء؟ المسلم بالتعبير الدارج شيء له معنى كبير جداً، هذا مسلم أي أخلاقي، وفي، صادق أمين، مضبوط، لا يخون، الذي يشد الناس للدين ليس الفلسفة والكلام الفارغ وإنما المواقف الأخلاقية، الاستقامة، فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون درس الأحد تسليك لله تعالى، درس عملي، تطبيقي، نصل فيه

إلى الله، أنت حينما تعمل عملاً أخلاقياً تبقى أسبوع نشوان.

حدثني أخ قال لي أنه وهو قادم من الزيداني في الساعة الثانية عشرة ليلاً، وجد امرأة مع زوجها يمسان طفلاً صغيراً والوضع يبدو كأنه مأساوي، وقفت وقلت لهم خيراً . أثناء أحداث لبنان، فزوج وزوجته قد فرا من القصف، والحرب الأهلية وسكنوا في دمر، يبدو الابن حرارته واحد وأربعون، ولم يعرفوا أحداً في الشام، فوقف وهو خطيب مسجد وقال: أية خدمة فحدثوه بالأمر، فدعاهم إلى الركوب معه، وأوصلهم إلى المشفى، وهم بحاجة إلى الأدوية، فدار لهم على جميع الصيدليات حتى وجد لهم الدواء، وطلب ضرب إبر للابن، فذهب إلى بيت أحد الصيادلة حتى يضرب الإبرة للابن، وانتهى من عمله الساعة الرابعة صباحاً، وأرجعهم إلى بيتهم، وعاد إلى بيته. قل لي: والله عشرة أيام مغموس بسعادة لاتوصف، لأنه قام بعمل لوجه الله عز وجل، حدثني أخ طبيب أسنان قال: جاءتني إنسانة فقيرة جداً ولها عمل في التعليم وأسنانها في المقدمة مشوهة، فكلما ابتسمت الطالبات تغامزن وتهامسن عليها، فذهبت إلى هذا الطبيب لإصلاح أسنانها، مبلغ كبير ستون ألف يكلف التقويم، فشكرته، هو لم تهن عليه، قال لها: عندي حل، عمل لها مواعيد، خلال ستة أشهر عمل لها تقويم من الطراز الأول، وقال لها: هذا هدية مني، هو ابتغى بها وجه الله، قال لي: طوال حياتي وأنا أعمل بطب الأسنان ما مر علي ستة أشهر وأنا بجنة كهذا العمل.

زارني البارحة طبيب وقال لي يا أستاذ أريد أن آخذ رأيك، فقد اتهمت بالجنون، قلت له خيراً، قال لي: أنتتي امرأة فقيرة جداً وليس معها غير الخمسمائة ليرة فقال لها: لا بأس، وردّها لها، ليس معها ثمن دواء فأعطها ثمن الدواء، أي ربما يأخذ الثلث، والثلثين الباقيين بدون ثمن، ربما نصف الثلث ثمن أدوية، فقال لي: أنا عند زملائي وكأنتي مجنون، ولكن نفسي لا تطاوعني أن أجد امرأة مُحجّبة وفقيرة وتريد دواء ثمنه ألف ومئتين، ومعاينة سبعمائة، فقلت له: والله أنت تفعل عين العقل، أنت والله عند الله كبير، هو طبيب في مستشفى عام، المرضى لا أحد يهتم بهم، و لا أحد يوصي بهم، قال لي: والله أعالجهم وكأنهم في أرقى مستشفى، تحليل، اهتمام، سماع قصة المريض، وعندما أنتهي أشعر بسعادة لا تُوصف، وكأنتي في جنة، اعمل عملاً لله، وانظر ما الذي يحصل معك، لوجه الله فقط لا تتبغ ثناء، ولا كتاب شكر، ولا مديح، لا تريد أن تبني جامعاً فقط من أجل الرخامة التي توضع عليه، لأجل أن يُقال أنّ هذه المنذنة أنشأها المُحسن فلان، هذه مشكلة، لأنّ ما تريده هو فقط الرخامة.

أيها الإخوة: إن كان هناك شيء في الدرس يمكن أن يكون مركزياً، فهو أن تعمل عملاً لوجه الله، لا تتبغ أحداً،

ولا ثناء، ولا سُمعة، ولا مديح، ولا كتاب شكر، ولا تزكية، اعمل لوجه واحد يكفيك الوجه كلها، إن قَدَّمَ كل إنسان خدمة لإخوانه، كل إنسان خفف شيء عن المسلمين، فهذا شيء عظيم.

مرة أخ من إخواننا الكرام . جزاه الله كل خير . في أيام الصيف الحارة شعر أحد الأشخاص بدوار، على الرغم من وجود الستائر ولكنها لم تكن كافية، وكاد أن يصاب بضربة شمس بسبب الحر الشديد جداً، وهو مهندس، فقال لي: هل أستطيع أن أضع طبقة أخرى من الستائر، فقلت له: أجل . جزاك الله خيراً . فوضع طبقة أخرى بيضاء، فوضَع هاتين الطبقتين من القماش حلَّ الكثير من المشاكل، بسبب وجود منطقة عزل بينهما، لو أن كل شخص عمل عملاً طيباً للتخفيف عن المسلمين، هناك الكثير من طلاب العلم، الكثير من الطلاب الأجانب، معاهد لتحفيظ القرآن وجوامع، قد تحتاج هذه المرافق إلى إتمام نقص ما، هذا الشيء أيها الإخوة يرقى بك عند الله، وأنت حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، والله هناك أشخاص قدموا الكثير من الخدمات التي لا يعلمها إلا الله، وهم والله أسعد الناس لأنهم متصلون بالله عز وجل، لذلك نريد إسلام عملي، أخلاقي، نريد إسلام قيم، إسلام مبادئ، إسلام محبة، لا إسلام عدا، آلمني جداً أينما ذهبت أجد المسلمين بأسهم بينهم، يتقاتلون مع بعضهم، أعداءنا يتآمرون لإفقارنا، وإضعافنا، ونحن كل همنا أن هذا الشيخ ليس جيداً، متناسين أن هناك آلاف الأشياء غير الجيدة غير هذا الشيخ، وهذا كله رغبة فقط لإيقاع الفتنة، لأن الشيطان كما قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَسَ أَنْ يَغْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد ]

ولكن رضي في التحريش بين المؤمنين، كل إنسان يخلق مشكلة لمؤمن ويتحرش به، ويطعن به، ويسقِّهه، ويجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، هذا إنسان له عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (095 - 127) : من الكبائر الباطنة عدم العمل بالعلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-05-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

أحرص حرصاً شديداً أن يكون الموضوع المعالج في درس الأحد منتزعاً من الواقع، فأنت حينما تدخل إلى المساجد ترى رواداً كثيرين، وطلاب علم لا يعدون ولا يحصون، ولكن حينما ترى واقع المسلمون تجد شيئاً لا يسر، هذه المشكلة الأولى والأخيرة عدم العمل بالعلم.

في هذا الدرس لا يعنيني الطرف الآخر الذي كفر بالله والذي آمن بالدنيا، والذي جعل همه دنياه، أنا يعنيني هؤلاء الذين يرتادون بيوت الله، هؤلاء الذين يطلبون العلم، هؤلاء الذين يستمعون إلى قوله تعالى وإلى قول نبيه عليه الصلاة والسلام، هؤلاء ينبغي أن يحاسبوا أنفسهم حساباً شديداً لأنهم إن فعلوا ذلك كنا جميعاً في حال غير هذا الحال.

ففي بعض الكتب التي تتحدث عن الكبائر وكلكم يعلم أن الكبيرة كبيرة، وقد قال الله عز وجل:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾

[سورة النساء: الآية 31]

العلماء فاضوا في الحديث عن الكبائر، بدءوا بسبعة وانتهوا بسبعين وبعضهم جعلها سبع مائة، ومعنى كبيرة تحجب عن الله، يعني صاحبها ملعون، صاحبها مطرود من رحمة الله، يعني صاحبها ينتظره عقاب أليم في الدنيا وعذاب كبير في الآخرة، هذا معنى كبيرة إلا أن المفاجأة أن كبائر الظاهر من قتل، زنا، شرب خمر، يسهل أن تتوب منها لأنها ظاهرة جلية واضحة، لكن كبائر الباطن هذه أخطر، إنسان عنده كبر في داخله، عنده استعلاء، عجب، موقف ازدواجي، والسبب أن الله عز وجل يقول:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[ سورة الشعراء ]

معنى سلامة القلب نجاته من الرب، يعني كم مسلم بالمائة مسلم يحرص على قلبه ؟ كم مسلم في مجموع المسلمين يهتم بسلامة قلبه ؟ أن يكون طاهراً، متواضعاً، صادقاً مع الناس صادقاً مع نفسه، هذا هو محور الدرس الكبيرة الخامسة والأربعون، كتاب جليل فيه الكبائر الباطنة، الباطنة وليست الظاهرة، من هذه الكبائر الباطنة عدم العمل بالعلم.

فالنبي عليه الصلاة والسلام من دعائه الشريف يقول:

((عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا))

[ مسلم، الترمذي، النسائي ]

علم لا ينفَع تَرى له درس علم من عشرين سنة لكن لا يغض بصره عن محارم الله، له درس من عشرين سنة لكن له لقاءات مختلطة ويمتَع عينيه ممن لا يحل له، طالب علم عشرين سنة يغتاب المسلمين وينام مرتاح البال هذه هي المشكلة، المشكلة فيمن يرتاد المساجد والذي يطلب العلم، هذا قد يأكل المال الحرام، قد يغتاب المسلمين، قد ينحرف في علاقاته الاجتماعية فالذي أريده من الله عز وجل أن يمكنني في هذا الدرس إن أوضح لكم خطورة وجناية هذا الذي يطلب العلم ويلقى على مسمعه قال تعالى وقال عليه الصلاة والسلام وهذا حلال وهذا حرام ثم تجده في النهاية ليس ملتزماً، تكاد هذه المشكلة تكون في معظم بلاد المسلمين، في شيء لطيف

أنه يوجد مساجد مائة بالمصلين، دمشق فيها تقريباً ثلاث مائة مسجد أو أكثر وكلها مكتظة يوم الجمعة معنى ذلك أن في ثلاث مائة خطيب، معنى ذلك أن في ثلاث مائة خطبة كل جمعة، لماذا قصر العدل ممتلئ بالخصومات والدعاوى الكيدية ؟ هنا المشكلة.

التقيت مع قاضي وقلت له قال تعالى:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

[سورة ص: الآية 24]

الإمام الشافعي استنبط أن الذي يبغى على خليفه ليس مؤمناً، يمكن إنسان يصلي، ويصوم، ويأخذ من الليل كما يأخذ المؤمن ولكنه إذا خلا بمحارم الله انتهكها، لا نقيم له يوم القيامة وزناً، ليس له وزن عند الله أبداً، استفتاح هذا الدرس بهذا الدعاء:

(( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ))

العلم الذي لا يطبق لا ينفع بل هو حجة على صاحبه وليس حجة له هو حجة عليه وليس حجة له، وفي حديث صحيح وهذا الحديث والله الذي لا إله غيره تتخلع له رقاب الناس، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ الْأَعْمَشِ يَقُولُ: يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَأَكُمُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ))

[متفق عليه]

هنا المشكلة أمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية، فأنت كلما دعوت الناس إلى الله، كلما أمرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر أسأل نفسك هذا السؤال الحرج أنت في مستوى هذه الدعوة ؟ هل تأتمر بما تأمر وهل تنتهي عن ما تنهى ؟ أين أنت من كلامك ؟ وفي حديث آخر رواه الطبراني وأبو نعيم وقال غريب:

(( الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم ))

لك عشرين سنة في الجامع تسمع كل جمعة خطبة وكل جمعة درس تفسير وكل أحد درس حديث، وفي لقاءات، وعقود قران، وأشرطة، وكتب، والعلم يحوطك من كل جانب والفقهاء والاسئلة تسألها من تشاء بلا مقابل، لا تجرؤ أن تدخل على محامي كي تستشيريه دون أن يكون في جيبك مبلغ من المال تعويض أتعابه، ولا تجرؤ أن تدخل عيادة طبيب ما لم يكن في جيبك مال هو أتعاب الطبيب، لكنك تجرؤ وأنت مطمئن إلى أنك تسأل أي عالم عن حقيقة الحكم الشرعي دون أن تفكر بأن تعطيه شيئاً ويجيبك لوجه الله قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

[ سورة القمر: الآية 17 ]

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

وفي حديث آخر:

(( أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ليقال له قارئ ))

وفي آخره يعني أولئك الثلاثة نفر أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة "

(( عن عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ حَدَّثَهُ أَنَّ شَفِيًّا الْأَصْبَجِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَنْشُدْكَ بِحَقِّي وَبِحَقِّ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيُقْضَى بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَادَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِّمْتَ..... فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْلَيْكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

[ مسلم، النسائي، الترمذي، أحمد ]

أول من تسعر بهم النار يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه، ليس معنى هذا أن عالماً يعني عالم كبير، يعني أنت، أي إنسان طلب العلم اسمه تجوزاً عالم، يعني يعلم الحلال والحرام يعلم الخير والشر، يعلم الفرض والواجب، يعلم ما ينبغي وما لا ينبغي، يعلم ما يجوز وما لا يجوز.

(( أولئك الثلاثة نفر أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة ))

العلم علمان علم يعد حجةً لك وعلم يعد حجةً عليك، الحديث الذي تسمعونه مني كثيراً:

(( عَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ ))

[ الترمذي ]

هكذا سمعت قراء كبار في مصر إذا دخلت بيوتهم لا تجد فيها شيئاً من القرآن، ابنته مغنية كبيرة، ولها أغاني ولها أدوار على المسرح وقد ربيت في بيت القرآن، أنا فوجئت مرة أكثر الذين يطبعون القرآن ليسوا مسلمين، ينشرونه ويبيعونه، القرآن تجارة إن طباعة أو تلاوة أو تسجيلاً، لكن هذا الذي يشتري بكلام الله ثمناً قليلاً، كل إنسان يحفظ كلام الله ينبغي أن تكون له أخلاق تتناسب مع هذا الكتاب الكريم.

قصة قديمة جداً وأرجو أن لا تعاد، أحد أقربائي توفي فذهبت لكي أهيأ له لوازم التعزية، ذهبت إلى مكان دفن الموتى تبغني قراء تبغوا السيارة وتحلقوا وبذل ماء وجوههم وركضوا وعرضوا بضاعتهم رخيصةً وتنافسوا وتلاسنوا هؤلاء يحفظون كلام الله؟ شيء مؤلم جداً هذا الذي يحفظ كلام الله ينبغي أن لا يسهو مع من يسهو، أن لا يغفل مع من يغفل ألا يتساهل في سلوكه مع من يتساهل إنه قبلة الأنظار، إنه محط العيون، ما آمن بالقرآن من استحل محارمه والحديث الصحيح:

(( عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ))

[ الترمذي، الدارمي ]

خمسة أسئلة، كل سؤال فقرة واحدة إلا سؤال المال فقرتان، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به، كل إنسان يحاسب نفسه هذا الذي استمعت إليه من هذا الشيخ وقد جاءك بالدليل من كتاب الله، والدليل من حديث رسول الله الصحيح أين أنت منه ؟

أحد التابعين الأجلاء قرأ القرآن فقرأ قوله تعالى أن في القرآن ذكر الإنسان، قال تعالى:

﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾

[ سورة الأنبياء: الآية 10 ]

فبدأ يقرأ القرآن قراءةً جديدةً فيجد ليجد أين هو ؟ فلما قرأ آيات الكفار والمشركين قال: لا أنا لست من هؤلاء ولما قرأ آيات المؤمنين قوله تعالى:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾

[ سورة السجدة: الآية 16 ]

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

[ سورة السجدة: الآية 16 ]

﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾

[ سورة الأنفال: الآية 2 ]

قال: لا والله لست من هؤلاء، إلى أن وصل إلى قوله تعالى:

﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾

[ سورة التوبة: الآية 102 ]

قال: أنا من هؤلاء، وهذا تابعي جليل.

فأنت إذا قرأت القرآن ينبغي أن تسأل نفسك أين أنا من هؤلاء ؟ ما الآيات التي تنطبق علي، آيات المؤمنين، آيات لا سمح الله ولا قدر آيات المنافقين، آيات الكفار، أم آيات المقصرين.

(( عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟ ))

[ الترمذي، الدارمي ]

الحديث له عدة روايات لكن ينبغي أن أتلوها على مسامعكم جميعاً:

(( عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَمِلَ ))

[ الترمذي ]

لو أن مؤمناً نظر إلى سابق عمره، عمره خمسين سنة معظمها أمضاها في طاعة الله وفي طلب العلم وفي خدمة الخلق وفي إنفاق المال وفي خدمة المؤمنين، وفي تقديم الخير للمسلمين، عندئذ يموت إذا مات قرير العين، يا رب والله ما قصرت، وهذا شعور المؤمن حينما يجد أن عمره أفناه في طاعة الله شعور لا يوصف، لكن حينما يمضي الإنسان عمره في غير ما خلق له ويشعر بدنو أجله يندم أشد الندم.

(( لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَمِلَ ))

العلم كما قال بعضهم: العلم ما عمل به فإن لم يعمل به كان الجهل أولى، صار عليك حجة حينما تعلم ولا تعمل صار هذا العلم حجة عليك.

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

(( إن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون لما دخلتم النار وهنا المفارقة العجيبة  
فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم))

لذلك أندم الناس يوم القيامة عالم دخل الناس بعلمه الجنة ودخل هو بعلمه النار، أندم الناس يوم القيامة غني دخل ورثته بماله الجنة ورثوه حلالاً فأنفقوه في سبيل الله فدخلوا الجنة ودخل هو بماله النار، المال نفسه كسبه من حرام وأخذه أولاده بعد موته حلالاً فأنفقوه في طاعة الله فدخل أولاده الجنة بماله ودخل هو النار بماله والمال واحد، وعلم العالم واحد، دخل هو بعلمه النار ودخل الذين تعلموا منه الجنة.

لذلك كنت أتلو على مسامعكم من حين لآخر أربعة أدعية قرأتها في كتاب اقشعر لها جلدي الدعاء الأول:

اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك. كلام رائع ألتمس سمعةً أو مكانةً أو أن يقال فلان فصيح عالم.

الدعاء الثاني: اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك. يوم الجمعة ارتديت ثوب أبيض تعطرت، اغتسلت، تعطرت عطر خاص مشايخي، أمسك مسبحة خاصة وذهبت إلى المسجد، أين كنت في ليلة الجمعة؟ وماذا كنت تفعل في تلك الليلة؟ اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، إنسان حدثنا أحد الدعاة جاء إليه يطلب مساعدة تمسكن بكى ويكاد ينهار أولاده تشرذوا لا يجد قوت يومه الكلام مؤلم جداً فهذا الأخ الداعية أرسل معه شخص يحقق وأعطاه خمسين ألفاً، وفي الطريق قال له تأخذ خمسة وعشرون ألف وتقول له رأيت البيت كما قلت له. عرض عليه نصف المبلغ ولكن تعود وتقول له كما قلت له صحيح.

صار نوع من النفاق، نوع من الكذب، نوع من الدجل عام.

الدعاء الثالث: اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني. تعلم علم وشرحه وأتعمق بشرحه وأبينه بلغة جلية فصيحة، وحلله وأن أدعمه بالشواهد، فالذي سمع هذا الكلام طبقه فسعد والذي قال هذا الكلام لم يطبقه فشقي.

الدعاء الرابع: اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبدةً لأحد من خلقك. أكون قصة، أيام الإنسان يغلط غلطة كبيرة والله يؤديه تأديباً شديداً تصبح قصته قصة تروى في المجالس، كنت أقول كلمة إن شاء الله أن تكون دقيقة في فهم أن الحياة مسرح مقاعد مشاهدين وخشبة مسرح إذا كنت مستقيماً وملتزماً وطائعاً لله عز وجل لك مقعد مع المشاهدين ترى على خشبة المسرح أشياء لا تعد ولا تحصى ارتقاع أناس، سقوط أناس، أما إن لم تكن مستقيماً لا بد من أن تجر إلى خشبة المسرح وأن تنزل بك نازلة وأن تصبح قصةً ممتعةً لهؤلاء المشاهدين، اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبدةً لأحد من خلقك.

(( إن أناساً من أهل الجنة ينطلقون إلى أناس من أهل النار فيقولون لما دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون إنا كنا نقول ولا نفعل ))

وفي حديث آخر:

(( ما من عبد يخطب خطبةً إلا الله عز وجل سائله عنها أظن قال ما أراد بها ))

سائله عنها أي سائله عن تطبيقه لها.

قال أحدهم: كان مالك بن دينار إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول: تحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم وأنا أعلم أن الله عز وجل سألني عنها يوم القيامة ما أردت بها ؟

يروى أن أحد كبار العلماء أظنه ابن المبارك دخل على إخوانه وكانوا بآلاف مؤلفة قال يا رب: لا تحبني عنك بهم. يوجد بالدنيا مظاهر قوة، شعور بالتفوق، أماكن مرتفعة، مكاسب دنيوية، إنسان تجمع الناس حوله، عظمه، وقروه، بجلوه، وعذروه، نصره، هذه فتنة. ويقول أيضاً هذا العالم الجليل: ولا تحبهم عنك بي. يصبح نوع من الشرك الشيخ يحبني، الشيخ يودني، لي مكانة عند الشيخ، الشيخ أنا غالي عليه يطلبني بكل موقف يرتاح لا يهمله رضاء الله عز وجل، الشيخ راض، وهذا شرك.

لا تحبني عنك بهم ولا تحبهم عنك بي. لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي ولكن أحياناً وصاحباً في الله.

وقد سئل عليه الصلاة والسلام يا رسول الله أي الناس شر ؟ فقال ﷺ: اللهم اغفر سل عن الخير ولا تسل عن الشر شرار الناس شرار العلماء .

الذين تعلموا ليتصدروا المجالس وليصرفوا وجوه الناس إليه .

كنت في عقد قران قلت أتمنى صالة الصف الأول خمسة آلاف ولا يوجد بها صف ثاني لا فيها إحراج أبداً تضع الناس كلهم في الصف الأول، لأنه إن لم يكن في المكان اللائق أول صف يتغير لونه، يمتنع لونه، يقول ما عرفوا مكانتي وما عرفوا قدري، أنا مكاني في أول صف وضعوني في الصف الثاني مع أن سيد الخلق وحبیب الحق كان يجلس حيث ينتهي به المجلس .

هذه قيم الإنسان جاء قبلك وجلس، يجب أن تهيء أناساً يجلسوا ويقوموا، مجمعة أشخاص إذا جاءوا يجب أن تعمل ترتيب تضع أناس صغار في الكراسي الأولى حتى إذا جاء إنسان له مقام كبير يجب أن تضعه في الصف الأول، أو يهينوا كراسي يأتي فريق ضيف له مكانة فيأتي بكرسي، كان الصف الأول الذي جلس باكراً فصار في الصف الخامس، مشكلة كبيرة مع أن النبي عليه الصلاة والسلام علمنا التيامن وعلمنا أن يجلس الإنسان حيث انتهى به المجلس وانتهى الأمر .

أنت انظر يوم الجمعة بالحج مهما كان مكانته كبيرة تأخر آخر إنسان يجلس، يأتي طفل أول الناس يجلس أمام، هذا لمسجد والكعبة المشرفة بالحج فيها موعظة كبيرة جداً، مهما تكن عظيماً مكانك في المسجد حيث ينتهي بك المجلس، ومكانك في الطواف وفي السعي أيضاً بحسب مجيئك .

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

(( مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه ))

وفي حديث آخر:

(( كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به ))

وفي حديث آخر:

(( أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه ))

يا أيها الإخوة:

إنسان يلزم أن يكتب أحياناً، أنا اليوم تعلمت في خطبة الجمعة هذه الآية وهذا الحديث يحاول كل جمعة أن يحاسب نفسه على التطبيق فكلما طبق الذي سمعه ارتقى عند الله وكان صادقاً في طلب العلم ونفعه الله بهذا العلم.

حديث دقيق جداً:

(( عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى حي من قيس أعلمهم شرائع الإسلام قال: فإذا هم قوم والعياذ بالله كأنهم الإبل الوحشية ))

سمعت شريط قال: يا بني إنسان مذهبه شافعي وإنسان مذهبه حنبلي وإنسان مذهبه مالكي وإنسان مذهبه مالكي وإنسان مذهبه بغالي وحش، كلام بذيء، حركات مشبوهة، نهم شديد، ينام كالدابة، يأكل كالوحش.

جالسين أناس يأكلون يبدو أنهم شباب وجائعين، فقال رجل: من يذكر آيةً تنطبق على هؤلاء، فقال أحدهم: وإذا الوحوش حشرت.

(( فإذا هم كأنهم الإبل الوحشية طامحاً أبصارهم ليس لهم هم إلا شاة أو بعير ))

أكل فقط، الآن الناس أكل وجنس، لهم شيطان في حياتهم أن يملئوا بطونهم وأن يقضوا شهواتهم من أي طريق بأي أسلوب هذا دينهم لذلك قال تعالى:

﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

[سورة الكهف: الآية 105]

لذلك هم صغار عند الله، قال:

(( فإذا هم كأنهم الإبل الوحشية طامحاً أبصارهم ليس لهم هم إلا شاة أو بعير فانصرفت إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا عمار ما عملت؟ فقصصت عليه قصة القوم وأخبرت بما فيهم من السهوة، فقال يا عمار الآن دققوا: لا أخبرك بأعجب منهم وحوش قوم علموا بما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم))

أولئك وحوش فعلاً من هم الأوحش منهم؟ الذين علموا ما جهل هؤلاء ثم غفلوا عن الله كغفلتهم، مثلاً لو ذهبت إلى أدغال إفريقيا إلى أدغال أمريكا اللاتينية، غابات الأمازون، غابات في أستراليا فيها قبائل متوحشة، لا يوجد مشكلة ما تعلموا لكن لو ذهبت إلى مجتمع إسلامي وهذا الإنسان يستمع إلى خطبة ثلاثين سنة و قد سمع مئات الآيات ومئات الأحاديث وحضر مجالس علم، وملتقي مع مشايخ، ودائماً يتقرب لهم، أما بالتعامل آكل مال حرام؟ معتدٍ اعتداء أخلاقي.

(( فقال يا عمار: لا أخبرك بأعجب منهم قوم علموا بما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم))

حديث آخر:

(( يقول عليه الصلاة والسلام إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً))

المؤمن واضح والكافر واضح، الكافر لا يعشك واضح يقول لك أنا الدين لا أفنع به، والمؤمن واضح.

(( يقول عليه الصلاة والسلام إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، فأما المؤمن فيجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه شركه ولكن أتخوف عليكم منافقاً عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون))

وفي حديث آخر:

(( إن أخوف ما أخافه عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان وإني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه للخطيئة يعملها))

قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية.

شكوت إلى وكيع سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأنبأني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام:

(( نبئت أن بعض من يلقي في النار يتأذى أهل النار بريحه فيقال له ويلك ما كنت تعمل ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبتن ريحك، فيقول: كنت عالم فلم أنتفع بعلمي))

أيها الإخوة:

والله هذه النصوص تقصم الظهر، والله أنا أخاطبكم وأخاطب نفسي وأحذركم وأحذر نفسي، وأتمنى عليكم وأتمنى على نفسي أن نكون دقيقين جداً فيما تعلمنا وأن يكون همنا الأول تطبيق ما تعلمنا ومن عد كلامه من عمله نجا.

بعض الأسئلة أجيب عنها:

س: فضيلة الشيخ أدامكم الله وبارك بكم وجزاكم الله كل خير، أنا من مقتضيات عملي أزور منازل المسلمين لأعمال الصيانة وفي بعض الأحيان نجد بعض الطعام أو الفاكهة أو ما تيسر ولكن دون علم صاحب المنزل نأكل فقال لي أحد العمال عندي بأن الذي نأكله حرام، فهل هو حرام وإن كان حراماً فهل يجب أن نستسمح من الذين أكلنا من بيوتهم؟

ج: والله كلام هذا العامل صح وحق، الورع ورع والورع لا يتجزأ، كلكم يعلم أن أكل لقمة من حرام تجرح العدالة إن كان سمحاً لا يوجد مشكلة.

س: أنا في شركة يتطلب العمل فيها بعض التنقلات ومصاريف التنقلات تقوم الشركة بدفعها بعد تسجيلها خلال الشهر المتعارف عليه أن جميع التنقلات تتم باستخدام سيارة أجرة هل يجوز أن أقوم بهذه التنقلات باستخدام واسطة نقل أرخص وأخذ أجرة التوكسي؟

ج: صاحب الشركة عندما قال لك استخدم التكسي قصده الإسراع وقصده إكرامك فإذا كان واسطة نقل أرخص تؤدي المهمة نفسها لا يوجد مانع أنت أولادك أولى بالفرق، ركبت في سيارة عامة أما إذا المركبة العامة تحتاج إلى ضعف الوقت وهذا الوقت ملك معلمك وليس ملكك، عندما قال لك خذ تكسي معنى ذلك أن هو يريدك أن تأتي بسرعة، وأنت غبت ثلاث ساعات وسجلت تكسي وركبت ميكرو هذا حرام، أما لو فرضنا أن هذه السيارة العامة تصل تماماً كالتكسي أنت رفعت نفسك وأحببت رفاهتك لنفسك أن يكون لأولادك فأخذت سيارة عادية عامة وما أخذت تكسي هذا هو الجواب، أما إذا كان مستوى الشركة تعطي موظفيها أجرة تكسي فأنا لي حق أن آخذ تكسي أو ما آخذ تكسي ولكن دون أن أؤخر العمل، أما ترى أن في المواصلات العامة تحتاج إلى ساعتين والمعلم يريدك أن تغيب ربع ساعة ويريدك لأمر ضروري فأنت أيدت عليه تكسي وركبت ميكرو وأخذت من وقته ساعتين ليس لهم فائدة هذا هو الجواب.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (096 - 127) : أمرني ربي بتسع .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-11-2001

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال:

((أمرني ربي بتسع خشية الله في السر والعلانية))

حينما يكون مسافة بين خشيتك في العلانية وخشيتك في السر فهذا دليل عدم الإخلاص.

كلمة العدل في الغضب والرضا، غضبك ينبغي ألا يخرجك عن العدل ورضاك ينبغي أن لا يدخلك في الباطل.

القصد في الفقر والغنى أن تكون مفتقراً إلى الله معترفاً بضعفك وأنت قوي غني، وأن تكون مفتقراً لله معترفاً بضعفك وأنت فقير ضعيف، القصد في الفقر والغنى.

وأن أصل من قطعني وأعفو عن ظلمي وأعطي من حرمني.

ليست هذه الفقرات هي المطلوبة وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبرةً.

سأتوقف عند آخر فقرة في هذا الحديث، نظري عبرةً أنت محاط بكون كل شيء فيه ينطق بعظمة الله وأنت ترى كل يوم أفعالاً كل فعل لو دقت فيه ترى من خلاله عظمة الله، موضوع درسنا اليوم أن تستنبط من أفعاله ما يقوي إيمانك بالله عز وجل، بالمناسبة يتمتع المسلمون بنعمة لا تقدر بثمن هذه النعمة أنه لا يمكن أن يأتي حدث

في المستقبل يتناقض مع كتابهم ولا مع سنة نبيهم وبالعكس ما من حدث يقع في المستقبل إلا ويؤكد لهم أن هذا القرآن كلام الله بل ما هو أقوى دليل على أن هذا القرآن كلام الله؟ أنا أرى أن أخطر شيء في حياة الإنسان الوحيان الكتاب والسنة ذلك أن الوحيين نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة على الله عز وجل فكل إنسان يتحرك في معزل عن هذه النصوص يدمر لذلك قالوا: عرفت الله من نقض العزائم يعني بشكل أوضح أنا حينما أضع خطة وأتجاهل أن الله موجود وأن الله مطلع وأن الله على كل شيء قدير وأن الله مع الحق وأن الله سيحاسب وأن الله سيعاقب معنى هذا الإنسان الذي يضع خطة يتجاهل فيها وجود الله سبحانه وتعالى وعدله وحكمته وألوهيته وفعله هو إنسان في منتهى الغباء والحمق.

والله أيها الإخوة ما من حدث يجري في هذه الأيام إلا وراءه حكمة يقشعر لهولها الإنسان، يعني من حكم الله عز وجل أنه يقوي القوي قوي يفعل ما يشاء يبطش بمن يريد يقتل من يريد يجتاح أي أرض يريد يقوي بعد أن يقوي هذا الكافر إلى درجة أن ضعيف الإيمان يقول أين الله؟ هذا امتحان إلى أن يؤمن الناس بهذا القوي ويكفروا بالله وهذا والله الذي لا إله إلا هو كاد يحدث قبل شهر، آمن الناس بهذا القوي وكفروا بالله يفعل ما يريد لا يمكن أن يهزم، لا يمكن إلا أن يحقق كل مصالحه وأنا سافرت إلى هناك، المشكلة أن الإخوة الكرام المؤمنون آمنوا أن هذا العملاق يفعل ما يريد كل شيء يأتي كما يريد متحكم بكل شيء بأموال العالم باقتصاد العالم بأسلحة العالم، فأنت كيف تعرف الله إذا كنت مؤمناً بما دونه؟ فربنا عز وجل ينقض هذه العزائم، عرفت الله من نقض العزائم.

ولحكمة بالغة بالغة أرادها الله أن القوي لو جابهه قوي آخر شيء لا بأس به أما حينما يجابه القوي ضعيف لا يملك من الدنيا شيء يملك إيمانه فقط، والله الذي يجري أحياناً هؤلاء الضعاف الذين يصمدون أمام القوي والله أكبر دعوة إلى الله، دعوة إلى الله وساعة جداً ما هذه الدنيا؟ ما هذا الإسلام؟ كيف أن هذا الذي لا يملك شيئاً يقف أمام الذي يملك كل شيء ويتحداه؟ إذاً عرفت الله من نقض العزائم، قال تعالى:

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) ﴾

[ سورة البقرة: الآية 249 ]

أنك حينما ترى ينبغي أن تتعظ فحينما ترى ينبغي أن تعلم أن يد الله تعمل في الخفاء وحينما ترى ينبغي أن تستنبط الدروس تلو الدروس، ألم يقل النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ: نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

الله عز وجل قادر أن يملأ قلوب ثلاثمئة مليون خوف وبلا سبب أو بلا سبب كافٍ، و قادر أن يملأ قلوب ملايين أخرى أمن، الخوف يخلقه الله عز وجل بصرف النظر عن أسبابه والأمن يخلق الله عز وجل بصرف النظر عن أسبابه، قال تعالى:

﴿قَائِي الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)﴾

[ سورة الأنعام: الآية 81 ]

أنت قد تجد مئات الملايين ثلاثمئة مليون امتلاً القلب خوفاً وفرحاً و فرقا وقد تجد مؤمناً لا يملك شيئاً وقد ألقى الله في قلبه الأمن هذه دعوة كبرى إلى الله، هذا الذي جرى أقول لكم بشكل واضح، هذا الذي جرى بإذن الله وقد سمح الله به دون أن ندخل بالتفاصيل، سمح الله به ليظهر دينه على الدين كله، سمح الله به ليلفت نظر الناس جميعاً إلى هذا الدين، شيء خلاف المألوف الضعيف والقوي قوي، أحياناً المال الذي يفوق حد الخيال لا يؤثر مليار دولار وضعنا لمن يأتي بمعلومات، خمسين مليار، ميزانية سوريا ستة وثمانين ملياراً ومع ذلك ما جاءت معلومات، المال لا يؤثر ! لا يؤثر، يا إخوانا المؤمن لا تؤثر به سبائك الذهب اللامعة ولا سياط الجلادين اللاذعة، المؤمن أكاد أقول شخصية فذة، أي مؤمن، أحذكم إذا كان مؤمناً إيماناً قوياً شخصية فذة الإيمان مرتبة علمية ذلك أن المؤمن عرف الحقيقة العظمى عرف الله وشكل كل حياته من خلال هذه المعرفة، الإنسان مبدئي، إنسان قيمي معه مبدأ معه قيماً، عنده حدود، عنده منظومة قيم، المؤمن ذو مرتبة علمية عالية جداً، هذه المرتبة تعني أنه عرف الحقيقة العظمى وانسجم معها، والمؤمن ذو مرتبة خلقية لا يمكن أن يكون المؤمن محتالاً ولا

كذاباً ولا منحرفاً ولا جاحداً ولا قاسي القلب مرتبة أخلاقية ذلك أن المؤمن تحكمه مئات القيم أو تحكمه منظومة قيم.

لما احتلت القدس من قبل الفرنجة ذبحوا سبعين رجلاً في ليلتين، لما فتحها صلاح الدين الأيوبي لم يرق قطرة دم، الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن، المؤمن مرتبط بمجموعة قيم لو تعمقنا قليلاً قد تجد المؤمن ضعيفاً ليس هذا الضعف أصيلاً فيه لكن مناورته قليلة وقد تجد الكافر قوياً قوته جاءت من أنه متقلت من أية قيمة يقتل وينتهك الأعراض ويستبيح أموال الناس يخافه الناس ينضبطن، جاءت قوته من اتساع مناورته وأنا أقول دائماً أيها الإخوة الذي يحير أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ .. ))

[ مسلم، ابن ماجه، أحمد ]

والنبي الكريم جبار الخواطر قال وفي كل خير، يعني إذا كنت بمالك قوياً، قوياً بعلمك، قوياً بمنصبك، متاح لك أن تفعل خيراً لا يعد ولا يحصى، هكذا النبي قال:

(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ))

يوجد حديث آخر يقول:

(( اللهم احشرنى مع المساكين ))

كيف تقول يا رسول الله أن القوي أفضل ثم تقول اللهم احشرنى مع المساكين ؟ كأن النبي أرادنا أن نقول إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون قوياً لأن فرص العمل الصالح متاحة للقوي أضعاف ما هي متاحة للضعيف، إذا كان طريق الغنى سالكاً ضمن منهج الله ينبغي أن تكون غنياً لأن فرص العمل الصالح متاحة للغنى أضعاف ما هي متاحة للفقير، أما إذا كان طريق القوة محفوفاً بالظلم وبيع الدين وبيع العرض وبيع القيم ضعفك وسام شرف لك، ضعيف وهذه أعلى مرتبة لأنك وضعت الدنيا تحت قدمك، إذا كان طريق القوة والغنى وفق منهج الله ينبغي أن تكون غنياً أو قوياً أما إذا كان الطريق محفوفاً بالمعاصي والآثام وظلم الناس

وابتزاز أموالهم وانتهاك حرمتهم ينبغي أن تكون ضعيفاً قوياً عندئذ يكون الضعف والفقير وسام شرف لك.

أيها الإخوة:

أتمنى على الله دائماً أن يفسر كل الأحداث تفسيراً دينياً يعني أي كائن أي إنسان أي جماعة أي فئة أي مجتمع أي أمة تألّفت لا بد من أن يقصمها الله عز وجل، قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (7)﴾

[ سورة العلق: الآية 6-7 ]

((عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسِ الْخَنْعَمِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: بُئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبِلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَغَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدُّنْيَا بِالْدِينِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَخْتَلُ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ طَمَعَ يَقُودُهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ رَعَبٌ يُدْلُهُ ))

[ الترمذي ]

يجب أن تستنبط أن كل إنسان يتأله يدعي الألوهية يدعي العظمة يدعي الكبر يستعلي يقول من أشد مني قوة هذا في أمامه قصم لأن كما قال الله في الحديث القدسي:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ هَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدَفْتُهُ فِي النَّارِ ))

[ مسلم، ابن ماجه، أحمد، أبي داود ]

الآن كدرس، أنا كمؤمن أنا كطالب علم في الجامع ماذا أستفيد من هذه الأحداث؟ ينبغي أن لا أتكبر، ينبغي أن لا أعتد بقوتي ولا بعلمي ولا بنسبي ولا بمالي، ينبغي أن أكون متواضعاً لله عز وجل، ينبغي أن أكون مفتقراً له، الصحابة الكرام وفيهم سيد الخلق حينما قالوا لن نغلب من قلة خذلهم الله في حنين وحينما افتقروا إلى الله في بدر نصرهم الله عز وجل كدرس لنا جميعاً فرادى ومجتمعين لا تقول أنا يتخلى الله عنك لا تقول أنا أوتيت علماً، قال

تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[ سورة القصص: الآية 78 ]

قارون أهلكه الله، قال تعالى:

﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾

[ سورة الزخرف: الآية 51 ]

دمره الله، قال تعالى:

﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

[ سورة النمل: الآية 33 ]

أهل بلقيس دمرها الله عز وجل، أنا ونحن ولي وعندي.

أيها الإخوة:

أول درس حينما تعتد بشيء من حظوظك الدنيوية وتتسى أن الله أكرمك بهذا الشيء فلا بد من أن تنتظر أن تدمر من قبل الله عز وجل، هذا أول درس.

الدرس الثاني هذا الدين دين الله لا تقلق عليه أبداً الله عز وجل قادر أن ينصره بأعدائه، ما الذي يحصل؟ الإسلام اليوم أيها الإخوة شغل الدنيا الشاغل لن تجد كتاباً واحداً في العالم الغربي عن الإسلام نفذت كل الكتب في قوة كبيرة في علم في سيطرة في هيمنة ويوجد جهة أخرى ضعيفة جداً يعني كأنها حصن ممتنع، معنى هذا أنه يوجد سر أين السر؟ هذا سر الإيمان لذلك والله أيها الإخوة حينما كنت أقول على المنبر أن هذا الإيمان إنما يصح تكون أنت أقوى الناس، إن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله.

معاني كثيرة تجول في نفسي لا أجد العبارة المناسبة للتعبير عنها يعني القوة الوحيدة في الكون إذا كانت معك فمن عليك ؟ وهذه القوة الوحيدة إذا كانت عليك فمن معك ؟ أحياناً تجد توفيقاً إلهياً عجباً قد يمنح قوته للضعيف فيغدو أقوى من القوي وقد يتخلى عن الضعيف فيغدو أضعف من الضعيف، إذاً الدرس الأول ينبغي أن لا تعتد بما أتاك الله، والمؤمن الصادق أيها الإخوة حديث دائم هذا من فضل الله علي لقد وفقني الله، لقد أكرمني الله، لقد أعطاني الله، لقد أنعم علي ربي، لا يوجد عنده كلمة أنا، كلمة أنا قالها الشيطان، قال تعالى:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾

[سورة ص: الآية 76]

فأهلكه الله، وكلمة نحن قالها قوم بلقيس، قال تعالى:

﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾

[سورة النمل: الآية 33]

وكلمة عندي، قال تعالى:

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51)﴾

[سورة الزخرف: الآية 51]

هذا فرعون، وكلمة عندي قالها قارون، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[سورة القصص: الآية 78]

لذلك قال بعض العلماء: أنا، ونحن، وعندي، ولي، كلمات مهلكات. أما المؤمن يقول الله هذا درس أيها الإخوة درس بليغ قل الله يتولاك الله قل أنا يتخلى عنك، ويرتكب الإنسان حينما يعتد بنفسه حماقة ما بعدها حماقة، والله أيها الإخوة أحياناً يرتكب الذكي المعتد بذكائه حماقة يتزفع عنها الأحمق، كلام غير منطقي، كلام فيه اضطراب، كلام فيه تناقض، كلام فيه سخف.

كأن محور هذا الدرس إذا كان الله معك فمن عليك وإذا كان عليك فمن معك لا تعقد الأمل إلا على الله ولا تحتمي إلا بالله ولا تعترز إلا بالله.

اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

أول استنباط التآله والكبرياء والعظمة مصيرها إلى القصم، العبد عبد والرب رب، شأن العبد أن يتواضع لله وشأن الرب أن يكون قوياً عظيماً، قاهراً، فعالاً، كبيراً، هذا شأن الرب أي عبد ينازع الله أسماءه الحسنی وصفاته الفضلى يقصمه الله عز وجل. الشيء الثاني الافتقار إلى الله.

أخ طبيب يعمل في مستشفى قال لي باعتزاز ما بعده اعتزاز أنا لا أتأثر بالنظر إلى الممرضات عندي إرادة قوية، سبحان الله، قلت: والله أنت مخطئ سيدنا يوسف نبي كريم ماذا قال ؟

قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾  
(33)

[ سورة يوسف: الآية 33 ]

أنا بالمناسبة أي إنسان يعتد باستقامته يستعلي على الناس باستقامته عقابه أن يضعف الله مقاومته، إذا عبرت إنسان بذنب ورأيت أنك بعيد عن هذا الذنب بعد الأرض عن السماء يبتليك الله به لأن الذي لم يفعل ذنباً لو عبر به أخاه ابتلاه الله به، لو ذكره فقد اغتابه، لو أقره أشركه في الإثم، الذنب شؤم على غير صاحبه إن ذكره فقد اغتابه وإن أقره فقد شاركه بالإثم وإن عبره ابتلي به.

فهذا الذي يجري يعلمنا أنه لا إله إلا الله وأن الأمر بيد الله وأن الله يقوي ويضعف ويطمئن ويخوف، كي تضح الفكرة يمكن أن يملأ الله قلبك أمناً وأنت لا تملك أسباب الأمن، ويمكن أن يملأ الله قلبك خوفاً وأنت لا تملك أسباب الخوف. كمثل قريب من حياتنا لو سافرت إلى بلد بعيد وتعلم أنت أن العجلة الاحتياط ليست جيدة تسافر هذه الساعات الطويلة وأنت في قلق شديد، ثم علمت بعد أن وصلت أن ابنك قد أصلحها لك دون أن يقول لك،

أنت عشت خمس ساعات بقلق شديد و عجلة الاحتياط جيدة ابنك ما قال لك فأنت الآن ممتلئ قلبك قلقاً ومعك أسباب الأمن معك احتياط. ولو أن هذه العجلة ليست صالحة للسير ولا تعلم أنت مطمئن.

معنى هذا أن الله عز وجل قادر أن يخلق الأمن بلا أسباب ويخلق الخوف بلا أسباب ترون أن الله خلق الخوف الآن بلا أسباب كافية قذف في قلوبهم الرعب، ممكن أن يقذف في قلب المؤمن الأمن والطمأنينة، النبي عليه الصلاة والسلام وليس من مهمني أن أبشركم لكن قال:

((رأيت عمود الإسلام قد سل من تحت وسادتي فأتبعته بصري فإذا هو بالشام عليكم بالشام في آخر الزمان))

قبل هذه الأحداث يرى بعضهم أن هناك جنة لكن بعلم الغيب، لي أخ كريم سبحانه الله ألقيت دروساً خلال شهر في أمريكا أخ سمع هذه الدروس واقتنى عدد من الأشرطة كبير جداً واستمع إليها كلها وجد أن فحوى هذه الأشرطة أن يعود إلى الشام ليعلم المسلمين، أخذ قراراً وهو في أوج نجاحه هناك أخذ قراراً، وصل إلى الشام ثالث يوم مات في حادث على أي نية مات ؟ على أنه هاجر إلى الله ورسوله، يوجد حوادث كثيرة جداً الله رب النوايا، أعرف عدد من الأطباء يزيد عن عشرين طبيب وهم في أوج نجاحهم هناك.

بالمناسبة أعلى دخل في العالم دخل الطبيب في أمريكا سبع ملايين تقريباً معدل دخل طبيب جراح في الشام حسب عملتنا هذا رقم كبير، سمعت عن عشرين أو أكثر من الأطباء عادوا إلى بلادهم ليعلموا المسلمين قبل أحداث الحادي عشر من أيلول، بعد أن وصلوا إلى بلادهم حدث ما حدث هناك وخاف ما خاف هناك وضيق من ضيق عليه هناك وصار تشدد غير معقول هناك وسؤال وجواب أربعة وعشرون ساعة في المطار وكل إنسان له ملامح شرق أوسطية لا قيمة لجوازه ولا لبطاقته الخضراء كل هذا ذهب أدراج الرياح فالعبرة أن تليي الله عز وجل وأن تليي نداءه، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾

[ سورة النساء : الآية 100 ]

والذي وضع أمواله في بنوك أجنبية ليستثمرها وهي تعادل بعض البلاد بلاد النفط مجموع ما وضع في بنوك هناك أربعمئة مليار كلها جمدت، قال تعالى:

### ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة: الآية 276]

هذه الأموال ينبغي أن يبني بها مشاريع في بلاد المسلمين وضعوها هناك فضاقت، يعني كل ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام حق، محق الربا قسم المتأله، نصره الضعيف هذا كله في الكتاب والسنة، يعني عظمة هذا الدين لا يمكن أن يقع شيء إلا ويزيدك إيماناً بالله لا يمكن أن يقع شيء إلا ويؤكد ما في القرآن والسنة أبداً.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الذي حدث مناسبة كي نصلح مع الله ونقيم ما أمر الله عز وجل، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ وَيُظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمَ الْوَاحِدُ))

[متفق عليه]

هذا من أشراط الساعة ومعظمها واقع، ومن علامات قيام الساعة كثرة القتل:

(( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ وَيُظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمَ الْوَاحِدُ))

[متفق عليه]

قتل كعقاس الغنم لا يدري القاتل لم يقتل ولا المقتول فيم قتل، نحن كنا في الخمسينات كل ست سبع سنوات يشنق إنسان في المرجة دمشق تزحف كلها كي ترى هذا المشنوق، الآن خبر صغير خمسمائة ذبحوا في يومين، خبر آخر ثلاثين في الجزائر، مائة، يعني يكثر القتل في آخر الزمان وهذا من أشراط الساعة.

من أشرط الساعة شرب الخمر و تسميتها بغير اسمها، اسمها مشروبات روحية على شكل قيم روحية، وروحية بروحية، وأن تسمى بغير اسمها وكثرة الزنا، أجرى بعض الإذاعات الغربية تحقيقاً مع طالبات الجامعات في العالم العربي استمعت إلى بعض هذه الحلقات شيء لا يصدق، يلتقي معد البرنامج مع طالبات كثر في الجامعات في جامعات في عدد من بلاد الشرق الأوسط أكثر البنات قالت لنا تجربة مع رجال سابقاً ببساطة وبغفوية، وكأنها تفعل شيئاً مباحاً قضية الزنا شيء صار سهل جداً مع أن هذا من الفواحش الكبيرة وقد قال الله عز وجل:

### ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

[ سورة الفرقان: الآية 68 ]

أحياناً أتفاجأ من بعض الحاضرين بالعرف التجاري يوجد زبون دريب وليس زبون أصيل يقول لي أنا مع امرأة أخي الله يتوب علي، أنظر إليه من أنت ؟ لماذا جئت إلى هنا زنا عادي، أحياناً ابن مع امرأة أبيه، أحياناً أخ مع امرأة أخيه عادي، يوجد فحش لا يعلمه إلا الله كله بسبب ما يشاهدونه في هذه الصحون من أشياء مقززة فكثرة الزنا من علامات قيام الساعة، وفي بلاد إسلامية لا تعاقب على الزنا مادام برضا الطرفين.

من علامات قيام الساعة استحلال الأغاني والمعازف، قطيعة الرحم، تواصل الأرحام من علامات الإسلام، أيام يكون أخ غني وله إخوة فقراء قطعهم واستحيا بهم، بل كم من شاب التقى أصدقاءه مع أبيه قالوا: يعمل عندنا، وقد حدث هذا مشكلة كبيرة.

قطيعة الرحم، تخوين الأمين واتهامه، يؤتمن الخائن ويخون الأمين يقول عليه السلام:

(( عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يُبغض الفحش والتفحش والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن حتى يظهر الفحش والتفحش وقطيعه الأرحام وسوء الجوار والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذهب نفع عليها صاحبها فلم تغير ولم تنقص والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل النحلة أكلت طيباً ووضعت طيباً ووقعت فلم تُكسر ولم تُفسد قال وقال ألا إن لي حوضاً ما بين ناحيتيه كما بين أيلة إلى مكة أو قال صنعاء إلى المدينة وإن فيه من الأباريق مثل الكواكب هو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه لم يظم بعدها أبداً ))

[ متفق عليه ]

ومن أشرط قيام الساعة ظهور موت الفجاءة ولا كلمة قال صدري ومات، حالات كثيرة جداً لا يمضي شهر وإلا وينتهي إلى سمعي حوادث من نوع موت الفجاءة لا يوجد مقدمات ولا وصية ولا توبة ولا شيء بالمناسبة موت الفجاءة أخذت أسفاً للكافر بينما هي رحمة للمؤمن لأن المؤمن جاهز ما كان ثقیل على أحد.

ومن أشرط الساعة تقارب الزمان، يعني تركب طائرة تتناول طعام الفطور في دمشق تتناول طعام العشاء في أمريكا سبع عشرة ساعة المشي مع الشمس يختلف الوضع ليس معقولاً قطعت مسافات كبيرة، تقارب الزمان.

وكثرة الزلازل، ومن أهم أشرط الساعة تداعي الأمم وتكالبها على أمة الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَضَعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ وَلَيُنزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ))

[ أبي داود، أحمد ]

الذي يحرص على الدنيا جبان والذي لا يعبأ بها شجاع.

ومن أشرط الساعة ظهور النساء الكاسيات العاريات اللاتي يغطين بعض أجسادهن ويكشفن بعضها الآخر.

وهذه الأزياء التي ترتديها النساء كلها تكشف مفاتن المرأة إن حجماً أو لوناً.

أيها الإخوة:

ومن أشرط الساعة تصدر السفهاء وتكلمهم في الأمور العامة، قال عليه الصلاة و السلام:

(( بين يدي الساعة سنون خداعة يتهم فيها الأمين ويؤتمن فيها المتهم ويكذب الصادق ويصدق الكاذب ))

من أشرط الساعة:

أن لا تسلم إلا على من تعرف، قال عليه الصلاة والسلام:

((إن من أشرط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم إلا للمعرفة ))

والشيء الشائع جداً أنك لا تجد ورعاً في كسب المال، كيف ما كان يحتاج إلى المال يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام، بالغش بالكذب بالتدليس بالإيهام باللعب بالوزن بالعبوة بالسعر بالصفات بجهة الصنع لا بد من مال عن طريق البيع والشراء عن طريق المحاماة، عن طريق الطب. ومن أشرط الساعة تتقارب الأسواق دلالة على كثرة التجارة وفشوها، وشيء آخر يتباهى الناس في المساجد.

يتفاخرون في أاثهم ترى أحياناً مسجداً جميلاً لكن المهم أنه يوجد عندنا قاعات، عندنا صالات، تكييف، تبريد، عندنا... كيفت ودفأت ووضعت أثاثاً مريحاً إضاءة جيدة طيب التطبيق !

يذهب الحاج إلى الحج يعود يحدثك عن كل شيء إلا الحج، الجسور والطرقات والماء البارد وتوزيع ماء زمزم والمواصلات وكسوة الكعبة كلام ممتع أنت في طوفك حول الكعبة بماذا شعرت ؟ راسمين رسم كاريكاتيري في مجلة حاج قدم من الحج معه أمتعة ليس معقولاً مكعبات كبيرة صناديق أجهزة كهربائية ثم ضرب جبهته فجأة وقال نسيت أن أحج.

أيها الإخوة:

لعلي ذكرت أشرط الساعة في درس سابق قبل سنة فيما أذكر لكن أريد أن أنبهكم أننا نحن في آخرالزمان، وهذه الأشرط في معظمها قد وقع فلا بد من أن نعتصم بالله ولا بد من أن ننتفع بما علمنا به النبي عليه الصلاة والسلام ولا بد من أن نصطح مع الله وأن ننتفع من هذه الأحداث فالله سبحانه وتعالى يحفظنا إذا عدنا إليه، وقد ينتظر المسلمون لا سمح الله ولا قدر إذا هم لم يستجيبوا إلى هذه الدعوة، هذا الذي حدث دعوة من الله ليميز الله الخبيث من الطيب.

يقول شاب أنا أبلغ من العمر تسعة عشر عاماً أواجه مشكلة في الجامعة عنده رغبة أن يحدث فتاةً محجبة كلام فقط يقول.

إخواننا الكرام:

قاعدة في العلاقة مع المرأة لا يوجد حد يقف عنده الموضوع يتطور وقد يبدأ من حديث من سلام وقد يبدأ بشيء يبدو بريئاً جداً وينتهي بالفاحشة لأن الله عز وجل قال:

﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا ﴾

[سورة الإسراء: الآية 32]

ما قال ولا تزنوا كلمة فقط، ابتسامه موعد لقاء فاحشة، فهذا الطريق مسدود لكن الطريق المفتوح طريق الزواج أنت اجمع ما عندك واصبر حتى يكرمك الله بزوجة في الحلال.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (097 - 127) : سبل الدخول إلى الجنة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-12-2002

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبو هريرة رضي الله عنه:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلِ أَهْلَ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ))

جميل بالإنسان أن يكون متقائلاً وجميل بالداعية أن يتحدث عن رحمة الله وعن الجنة ولكن جميل أيضاً أن يكون الإنسان واقعياً وأن يعيش الحقيقة المرة لا الوهم المريح، هذا الحديث أيها الإخوة في صحيح مسلم وقد ورد في سلسلة الأحاديث القدسية الصحيحة.

رجل قاتل وقد قال يوم القيامة يا رب قاتلت في سبيلك يقال له كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء خذوه إلى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن وأقرأه قال يا رب تعلمت في سبيلك وقرأت القرآن في سبيلك، تعلمت العلم وعلمته في سبيلك وقرأت القرآن وأقرأته في سبيلك يقال له كذبت ولكنك تعلمت وعلمت ليقال عالم وقد قيل وقرأت وأقرأت ليقال عنك قارئ وقد قيل خذوه إلى النار ورجل ثالث وسع الله عليه آتاه من كل أصناف المال فأنفق من ماله كثيراً فيما يبدو أنه لله لكن الله يعلم السر وأخفى، قال كذبت ولكنك أنفقت ليقال أنك محسن جواد وقد قيل خذوه إلى النار.

هذا الحديث يشير إلى الإخلاص فمع الإخلاص ينفع كل عمل قليله وكثيره ومن دون إخلاص لا ينفع عمل لا قليله ولا كثيره.

أيها الإخوة الكرام:

حينما تدرك أن الجوارح تقترف بعض المعاصي قضية سهلة جداً وسهلة جداً أن تتوب من معصية تقترفها جوارحك ولكن حينما يتسرب الخلل إلى إيمانك أو إلى إخلاصك أو إلى قلبك فهناك الطامة الكبرى أمراض القلوب أيها الإخوة الكرام:

تظهر أعراضها بعد الموت أما أمراض الأجسام تظهر في الحياة الدنيا والموت ينهي كل مشكلة مادية في الدنيا كما أقول دائماً الموت يلغي غنى الغني وفقير الفقير ويلغي قوة القوي وضعف الضعيف يلغي وسامة الوسيم ودمامة الظميم يلغي صحة الصحيح ومرضى المريض ولكن بعد الموت يبدأ فعل أمراض القلوب فلذلك يقول الله عز وجل:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[ سورة الشعراء ]

ولعل هذا الحديث القدسي الخطير يقترب من حديث آخر وهو قول النبي ﷺ:

(( عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤَدِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ فَإِنْ أَحَدَكُمُ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ وَإِنْ أَحَدَكُمُ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ))

[متفق عليه]

هذا الحديث يقترب معناه من هذا الحديث إذا الإخلاص، انظر إلى قلبك انظر إلى نواياك انظر إلى مقاصدك انظر إلى ما تشتهي هل تشتهي أن يشار إليك بالبنان ؟ هل تشتهي أن تنتزع إعجاب الناس ؟ هل تشتهي أن يكون اسمك متألقاً في سماء الحياة أم تشتهي رضوان الله ؟ هذه قضية تحتاج إلى متابعة وتحتاج إلى جرأة تحتاج إلى تفهم، لا تتخدد بعمل ظاهره رائع لكن باطنه فيه رياء أحياناً الإنسان يفعل شيئاً ليرضي الناس فهو منافق أو يفعل شيئاً ليراه الناس فهو مرأى أما حينما تفعل عملاً تبتغي به وجه الله.

اخوتنا الكرام:

لو سألتموني عن بعض المقاييس التي تشير إلى الإخلاص، بعض المقاييس التي تشير إلى الإخلاص أن لا يختلف عملك بين أن ينتهي بثناء وإعجاب وبين أن ينتهي بإنكار ودم ما دمت مع الله ردود فعل الناس لا تعنيك إنك فعلت هذا في سبيل الله، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً (9)﴾

[سورة الإنسان: الآية 9]

لا تنتظر ثناء الناس ولا تنتظر إعجاب الناس ولا تنتظر رد فعل الناس انتظر هل فعلت هذا في سبيل الله ؟ النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث يقول:

(( إذا لم تستح فاصنع ما تشاء ))

لهذا الحديث معان كثيرة ولكن بعض معانيه أنك إن لم تستح من الله بهذا العمل فلا تعباً بالناس، يعني في حياة المسلمين الآن لو أن الإنسان أراد الزواج من ثانية تقام عليه الدنيا ولا تقعد لأن الأعراف الاجتماعية ترفض ذلك أما حينما يموت رجل ويدع أيتاماً ويأتي أخ الرجل فيتزوج زوجة هذا الذي توفي ويضم هؤلاء الأيتام إلى بيته ويضمن سلامتهم وسعادتهم هو يرضي الله بذلك لكن الناس لا يرضون.

لا تعباً إلا برضى الله عز وجل، إن كان هناك شعار للمؤمن ينبغي أن يردده كل يوم إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، يعني هل من عمل أعظم من الجهاد في سبيل الله ومع ذلك قد يداخله الرياء وقد يجاهد الإنسان ليقال عنه شجاع وجريء ؟ هل من عمل أعظم من تعلم العلم وتعليمه وقراءة القرآن وإقراءه ؟ ومع ذلك قد يتعلم الإنسان ليقال عنه عالم وهذا مزلق خطير فلذلك أيها الإخوة الكرام:

قضية مراقبة النفس مهمة جداً في سلوك المؤمن إلى الله عز وجل الإخلاص الإخلاص ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مخطأ أول ملاحظة أن عمك الصالح لا يتأثر لا بثناء الناس عليك ولا بذمهم لك إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي لكن بالمناسبة لا ينبغي أن لا تعباً بالناس إطلاقاً لأن تفعل فعلاً ظاهراً غير مقبول ولا تعباً بالناس رحم الله عبداً جب المغيبة عن نفسه، ينبغي أن تحرص على سمعتك كمؤمن النبي عليه الصلاة والسلام كان مع زوجته صفية رضي الله عنها فمر به صحابيyan فقال عليه الصلاة والسلام على رسليكما هذه زوجتي صفية.

أنا أقول لك لا تعباً بكلام الناس إذا كنت مع الله وإذا كنت مخلصاً ولكن لا تضع نفسك موضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموك لا تضع نفسك موضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموك كما فعل النبي هذه زوجتي والحساب هكذا لا تضع الناس في شك لا تفعل فعلاً له تفسيران الثاني ليس في صالحك كن واضحاً يقول عليه الصلاة والسلام:



أتمنى على نفسي وعليكم معاً في كل حركة وسكنة في كل موقف في كل عطاء أو منع في كل غضب أو رضياً في كل صلة أو قطيعة أن تدخل في حساباتك أن الله إذا سألك لماذا فعلت هذا ألك جواب عند الله ؟ إنك إن أدخلت موضوع الآخرة وسؤال الله لك وموقفك من الله في كل حركاتك وسكناتك ما الذي يحصل ؟ أنه إذا اقترب الموت تحب لقاء الله كي أكون واقعياً كما كانت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت إنا نكره الموت وما من حي إلا ويكره الموت مؤمناً كان أم كافراً ولكن إذا جاء الموت المؤمن يحب لقاء الله لأنه قدم ماله أمامه لأنه قدم أعماله الصالحة أمامه واليوم الإنسان لو حول أمواله كلها إلى بلد بعيد واستحصل على وثيقة للخروج وركب الطائرة ذهب إلى مكان فيه مال وفير والإنسان حينما يخرج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة كما يخرج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا، فرضاً افتراضاً لو أن الجنين في بطن أمه يتكلم يعيش في سبعمائة وخمسين سنتمتراً بدفء براحة بطعام عن طريق السرة كل أموره منتظمة وقيل له تفضل اخرج يتشبث هنا أفضل أنا مرتاح لماذا أخرج ؟ فإذا خرج خرج إلى الدنيا جبال وأنهار وسواحل وبيوت وطعام وشراب وسفر وإقامة كان في سبعمائة وخمسين سنتمتراً مكعباً فأصبح في الدنيا.

إذاً هو حينما قيل له تفضل اخرج يتشبث في الرحم يحب أن لا يخرج يتضايق من الخروج أما حينما يسكن بيتاً فريداً وقصراً منيفاً ويأكل ما لذ وطاب من الطعام ويلتقي بمن يشاء يمتع عينيه بمناظر الطبيعة عندئذ يضحك من نفسه كيف كان متشبثاً في الرحم.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن المؤمن يخرج من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة كما يخرج الجنين من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا.

فلذلك في الأصل المؤمن وأي إنسان يحب الحياة ويكره الموت بل إن الله سبحانه وتعالى وصف الموت أنه مصيبة ولكن حينما يأتي الموت فعلاً لاستقامتك على أمر الله ولأنك أمضيت عمراً مديداً في طاعة الله لأنك أنفقت مالاً وفيراً في طاعة الله لأنك ضبطت جوارحك وفق منهج الله لأنه بنيت حياتك على العطاء لذلك تحب لقاء الله وإذا أحببت لقاء الله أحب لقاءك، إذا أحببت لقاء الله أطلعك على مقامك في الجنة فقلت لم أر شراً قط لو أن حياة المؤمن مشحونة بالمتاعب لو أن المصائب تتراكم عليه ثم عرف مقامه في الجنة لقال لم أر شراً

قط.

والله أعرف رجلاً من كبار أصحاب الدخول الكبيرة وله أذواق في الحياة الدنيا فريدة وله بيوت عديدة ومركبات فارهة وكان غارقاً في متع الدنيا إلى قمة رأسه أصيب بمرض عضال قريبه صديق لي مرضه عضال بعد أن علم بمرضه الحقيقي تأتيه نوبات هستيرية يقول لا أموت لا أريد أن أموت كنوبات يقسم لي أحد جيرانه أنه حينما فارق الحياة صاح صيحة سمعها كل من في البناء في الطوابق كلها من شدة فزعه من الموت، أما المؤمن المصلي الصائم الذي ضبط جوارحه وضبط لسانه وضبط إنفاقه وضبط دخله وكان في طاعة الله وكان ممن يعمر مساجد الله ممن يحب العمل الصالح هذا يأتيه ملك الموت بأحب الناس إليه. السلف الصالح لهم قصص أنا أصدقها والله، إنسان صالح جداً على فراش الموت يقول لابنه قم سلم على عمك، أين عمي؟ قال له عمك أمامك سلم عليه، عمه متوفى يأتيه ملك الموت بأحب الناس إليه لذلك المؤمن إذا كان مستقيماً على أمر الله، إذا كان مستقيماً على أمر الله وله أعمال طيبة يحب لقاء الله وإذا أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، قال تعالى:

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) ﴾

[ سورة يس ]

واكربتاه يا أبت قال لا كرب على أبيك بعد اليوم غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

نعيد الحديث:

أخرج الإمام البخاري في كتاب الرقاق من باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن حديث عبادة بن الصامت عن النبي عليه الصلاة والسلام :

(( عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ))

والله أيها الإخوة:

حضرتي قصة طبيب كريم من إخوتنا الكرام من رواد هذا المسجد كان في مستشفى وجاء مريض معه ورم خبيث في الأمعاء وآلام هذا المرض في الأمعاء لا توصف كلما دخل عليه طبيب أو ممرض أو عائد أو صديق أو قريب يقول الحمد لله رب العالمين اشهد أنني راض عن الله، كلما دخل عليه زائر يطلب شهادته يوم القيامة أنه راض عن الله قال لي هذا الطبيب إذا ضغط على الجرس يتدافع الممرضون لخدمته يتدافع الأطباء لخدمته غرفته فيها أنس فيها سرور يعني أعطاهم دروساً في الصبر ودروساً في محبة الله ودروساً في الفرح بلقاء الله وبعد أيام توفي، من غرائب الصدف أنه دخل إلى الغرفة نفسها مريض بالمرض نفسه لكنه من أهل البعد ما ترك نبياً إلا سبه، كلمات الكفر على لسانه تترا ورائحته لا تحتمل فإذا قرع الجرس لا أحد يستجيب له ومضى عليه أيام ومات، قال لي هذه الغرفة علمتنا درسين، درس المؤمن إذا مرض والكافر إذا مرض، المؤمن أحب لقاء الله فأحب لقاءه.

لذلك أيها الإخوة:

مر معي أن طريق الآلام في الإنسان الأعصاب المنتشرة في الجلد وفي كل أماكن الجسم هذه تجتمع بأعصاب كبرى ثم تسلك طريق النخاع الشوكي ثم تصل إلى الدماغ وفي قشرة الدماغ يشعر الإنسان بالألم، قال على طريق الآلام بوابات، بوابات إذا أغلقت ضعف الألم إلى قدر كبير يعني واحد بالعشرة قال هذه البوابات تتحكم بها الحالة النفسية للمريض، يعني إذا مريض مؤمن على طريق الآلام يوجد بوابات هذه تغلق وإذا أغلقت هبط الألم إلى العشر وإن كان الإنسان قلقاً وكافراً وساخطاً على الله عز وجل البوابات مفتوحة والآلام لا تحتمل وبهذه النظرية يفسر أن مريضين أصيبا بمرض واحد وآلامه واحدة لماذا الأول يحتمل الآلام إلى حد كبير والثاني لا

يحتمل ؟ إنها بوابات الألم فمن أحب لقاء الله أحب لقاءه.

((... قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ))

أخرج الإمام الترمذي في جامعه:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ انظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَعَزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. ))

شيء رائع.

((... فَأَمَرَ بِهَا فَحَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ... ))

الجنة بالتعبير الدارج تحتاج إلى هز أكتاف، الجنة تحتاج إلى ضبط، ضبط كسب المال ضبط إنفاق المال ضبط العين ضبط الأذن ضبط اللسان ضبط اليد ضبط المواقف أن تختار زوجة صالحة أن تربي أولادك تربية إسلامية أن تعطي مما أعطاك الله أن تصلي أن تجاهد نفسك وهواك.

((... فَأَمَرَ بِهَا فَحَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعَزَّتْكَ لَقَدْ حَفَّتْ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. ))

الجنة رائعة لكن حفت بالمكاره والناس أميل إلى الأشياء المريحة إلى الاسترخاء إلى الطعام والشراب والشهوات والمتع والكسل.

((... فَقَالَ وَعَزَّتْكَ لَقَدْ حَفَّتْ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. ))

لأنها حفت بالمكاره.

((... قَالَ أَذْهَبُ إِلَى النَّارِ فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعَرَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحَفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ...))

النساء الجميلات والطعام الطيب والمركبات الفارهة والمناصب الرفيعة والسيطرة على العالم كما تسمعون والعنجهية والغطرسة وإذلال الآخرين قوة، وأضواء الإعلام والشهرة.

(( فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعَرَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحَفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعَرَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ))

[ الترمذي، النسائي، أحمد ]

أنت انظر إلى النساء في الطريق الكاسيات العاريات هذه الأصناف من النساء ماذا ينتظرها عند الله ؟ انظر إلى الذين يأكلون الربا أضعافاً مضاعفة انظر إلى الذين يتاجرون بأعراض النساء انظر إلى من يفتح الملاهي ودور اللهو والنوادي الليلية انظر إلى المقامرين من يفتح دور القمار، هناك دخول فلكية من المعاصي دور القمار الملاهي الربا... هذه كلها طرق إلى النار حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات لذلك العاقل هو الذي يصل إلى الشيء قبل أن يصل إليه والقاعدة كما قال عليه الصلاة والسلام:

(( عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ... إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بَرَبَوَةٌ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتْنَ وَمَنْ جَرَعَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جَرَعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ جَوْفَهُ إِيْمَانًا ))

[ أحمد ]

استرخاء كل ما تشاء التقى مع من تشاء انظر إلى من تشاء تكلم ما تشاء أعطي كل شهواتك حظوظها لا تنتقيد بشيء أنت حر واقعي ويجب أن تعرف كل شيء تعلموا السحر ولا تعملوا به، هذا ليس حديثاً أصلاً هذا فرية من الشيطان يجب أن يرى كل شيء أن يستمع إلى كل شيء أن ينظر إلى كل شيء أن يجرب كل شيء .

((. إِنَّ عَمَلِ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ..))

العبرة بالعاقبة والعاقبة للمتقين لما خرج قارون على قومه بزینته قال تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾  
(79)

[ سورة القصص: الآية 79 ]

لا تكون مؤمناً إلا إذا كان شعورك بالفوز بطاعة الله لا بأموال الدنيا، المال قوام الحياة لكن إذا وصلك المال لا يختل توازنك بل توظفه في طاعة ربك.

أيها الإخوة:

أخرج الإمام البخاري في كتاب الرقاق أيضاً ومن حديث:

(( عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِينُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَنَا مَا لَمْ نَحْطِ بِأَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسَخِّطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا ))

الله سبحانه وتعالى يخاطبهم هم يرون ربهم يوم القيامة.

يعني يوجد بالجنة ثلاثة مستويات، يوجد في الجنة طعام وشراب في فواكه وهم مكرمون في قطوفها دانية، في أنهار من لبن لم يتغير طعمه، في أنهار من عسل مصفى، في أنهار من كل ما تشتهي الأنفس، في حور عين، هذا مستوى المستوى الأعلى النظر إلى وجه الله الكريم قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

[ سورة يونس: الآية 26 ]

الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، في الجنة أيها الإخوة:

المستوى الأول ان تستمتع بما فيها من طعام وشراب وحرور عين:

### ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) ﴾

[ سورة الواقعة: الآية 23 ]

في الجنة نظر إلى وجه الله الكريم، قال تعالى:

### ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) ﴾

[ سورة القيامة ]

في مستوى ثالث، المستوى الثالث ورضوان من الله أكبر يعني للتقريب، إنسان دخل إلى بيت شيء رائع طعام نفيس أكل حتى شبع فواكه طيبة طازجة شراب نفيس أرائك مريحة مناظر جميلة إطلالة رائعة ولكن لا يوجد أحد في البيت، أكل وشرب ولكن صاحب البيت له شكل يأخذ بالألوان وشكل وجاذب الآن استمتع فضلاً عن الطعام والشراب بهذه الطلة البهية ما في حديث بينهما، المرحلة الثالثة هذا صاحب البيت قال له يا أهلاً وسهلاً نحن سعداء بوجودك هنا، الحقيقة مودة صاحب البيت أبلغ من أي إكرام المودة، مودة الله لأهل الجنة الله عز وجل يسلم عليهم:

### ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (58) ﴾

[ سورة يس: الآية 58 ]

يسلم على عباده المؤمنين ينظرون إليه ويسلم عليهم ويحفهم بعنايته.

لذلك في الجنة ثلاث مستويات مستوى المتع الأولى ثم مستوى النظر إلى وجه الله الكريم ثم مستوى الرضوان من الله عز وجل، بقي أيها الإخوة:

حديث سأرويهِ رواية فقط أخرج الإمام الترمذي في جامعه:

(( عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ فَقَالَ سَعِيدٌ أَفِيهَا سُوقٌ قَالَ نَعَمْ أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُؤَدَّنُ فِي مَقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيُزَوَّرُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرَزُ لَهُمْ عَرْشُهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ لؤلؤٍ وَمَنَابِرُ مِنْ ياقوتٍ وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ عَلَى كُتُبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكِرَاسِيِّ بِأَفْضَلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا قَالَ نَعَمْ قَالَ هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قُلْنَا لَا قَالَ كَذَلِكَ لَا تَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ وَلَا يَنْبَغِي فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلَّا حَاضِرَهُ اللَّهُ مُحَاضِرَةً حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أَتَذْكَرُ يَوْمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا فَيَذْكَرُ بِبَعْضِ عَذْرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي فَيَقُولُ بَلَى فَسَعَةَ مَغْفِرَتِي بَلَغَتْ بِكَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طَيْبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ وَيَقُولُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَوْمُوا إِلَى مَا أَعَدَدْتُمْ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ فَخُذُوا مَا اسْتَهَيْتُمْ فَنَاتِي سَوْقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ وَلَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ... ))

ألم يقل الله عز وجل في الحديث القدسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

((...)) فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اسْتَهَيْتُمْ لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلَ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَالَ فَيُقْبَلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ فَيَرَوْعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللَّيَاسِ فَمَا يَنْقُضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ إِلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَيَتَلَقَّانَا أَرْوَاجُنَا فَيَقْلُنَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جِئْتِ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ فَيَقُولُ إِنَّا جَالِسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا ))

أيها الإخوة الكرام:

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ولكن الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

بقي فقرة أخيرة في هذا الدرس هذه الفقرة أيها الإخوة متعلقة بما يعانيه العالم الإسلامي اليوم.

الحقيقة أن النبي عليه الصلاة و السلام في أدعيته الشهيرة قال:

(( عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كَانَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ الْخُنْدُقِ تَقُولُ نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا حِينَمَا أَبَدَا فَأَجَابَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَكْرَمَ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

كلما وقعت عينك على شيء جميل، على بيت منيف، على مركبة فارهة، على امرأة جميلة فغضضت عنها البصر قل: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، هذه الدنيا تنتهي بالموت و لكن الآخرة إلى أبد الأبد، الله عز وجل يقول:

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) ﴾

[ سورة الضحى ]

الآن مادام لا عيش إلا عيش الآخرة ما ثمن هذه الآخرة ؟ يقول عليه الصلاة و السلام:

(( عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

أن تأتي إلى بيت من بيوت الله:

(( عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالِ الْمُرَادِيِّ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَّيْنِ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ فَقُلْتُ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ فَقَالَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَنْصَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ.. ))

[ الترمذي، النسائي، ابن ماجه، أحمد ]

لَعْدُوَّةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةً خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا هَذَا الَّذِي يَبْقَى وَ مَا سِوَى ذَلِكَ يَفْنَى فِي حَدِيثٍ آخَرَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

(( حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ))

لو تملك شركة في شركات أرباحها تفوق ميزانيات دول مجتمعة في شركة واحدة في اليابان أرباحها تساوي دخل أمة تعد خمسين مليون الدخل القومي شركة واحدة واحد يملك مئات الشركات من هذه الأنواع قال: لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا الْآنَ:

(( عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ))

[ الترمذي ]

حديثنا عن الجنة والآن حديثنا عن أسباب دخولها.

(( عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَبَّاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَوْضِعٌ سَوَّطٌ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلرَوْحَةٌ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لَعْدُوَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ))

[متفق عليه]

رباط شهر في سبيل الله خير من صيام دهر .

أيها الإخوة:

هذا الذي يجري في بلاد المسلمين من قتل وتدمير يقول عليه الصلاة والسلام:

(( حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَّفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا ))

[ متفق عليه ]

أبواب الجنة مفتحة في الدنيا الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

(( عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ مُكَاتِبًا لَهَا دَخَلَ عَلَيْهَا بِبَقِيَّةٍ مُكَاتَبَتِهِ فَقَالَتْ لَهُ أَنْتَ عَزِيزٌ دَاخِلٌ عَلَيَّ غَيْرَ مَرَّتِكَ هَذِهِ فَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ رَهْجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ ))

[ أحمد ]

إذا خفت في سبيل الله ما خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ رَهْجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ .

هج أي فزع وقلق.

(( عَنْ شُرَحْبِيلِ بْنِ السِّمْنِطِ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ مُرَّةٍ يَا كَعْبُ حَدِّثْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحْذَرُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ لَهُ حَدِّثْنَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحْذَرُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ ارْمُوا مَنْ بَلَغَ الْعُدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً قَالَ ابْنُ النَّحَّامِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الدَّرَجَةُ قَالَ أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةٍ أَمَّاكَ وَلَكِنَّ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةٌ عَامٌ ))

[ النسائي، الترمذي ]

(( عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَقَامَ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ سِتِينَ سَنَةً ))

[الدارمي]

إن أبواب الجنة تحت ظلل السيوف، قال عليه الصلاة والسلام:

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يَخْرُجُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرَسُولِي فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ))

[متفق عليه]

ذكرت لكم الجنة وما فيها من نعيم مقيم الآن هذه أثمان الجنة يدفع ثمنها في الدنيا، قال تعالى:

﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾

[سورة الحديد: الآية 13]

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾

[سورة الزمر: الآية 74]

نعيمنا في الجنة بسبب أننا كنا في الأرض وفعلنا أعمال ترضي الله في الأرض وفعلنا أعمالاً ترضي الله في الأرض.

((... وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْرَوُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ سَعَةً فَيَتْبَعُونِي وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ فَيَتَخَلَّفُونَ بَعْدِي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَعْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْتَلَ ثُمَّ أَعْرُو فَأَقْتَلَ ثُمَّ أَعْرُو فَأَقْتَلَ" ))

أيها الإخوة الكرام:

هذه أثمان الجنة وأنت في البيت يمكن أن يكون هناك طريق إلى الجنة إذا كنت أباً صالحاً أو كنت زوجةً  
صالحةً أو كنت ابناً باراً أو كنت بنتاً بارّةً أو كنت أخاً رؤوفاً بأخت وأنت في البيت هناك طرائق إلى الجنة وأنت  
في عملك إذا أتقنت عملك ونفعت المسلمين وخففت عنهم من همومهم ورحمتهم وقويتهم فهذا طريق إلى الجنة إذا  
أديت عبادتك في المسجد إذا طلبت العلم إن تكلمت بالكلمة الصادقة فهذا طريق إلى الجنة أبواب الجنة مفتحة  
على مصاريعها في الدنيا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا سبل الجنة والنبي عليه الصلاة والسلام من أدعيته ﷺ:

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول و عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول و عمل.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (098 - 127) : الدعاء

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 21-09-2003

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام:

استراحة لدرس واحد بين دروس العقيدة، بعض الأحاديث الشريفة من كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ. مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ " يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبُ لِي. فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدَّعَاءَ ))

أيها الأخوة:

قد يغيب عن معظم المؤمنين أن الدعاء هو العبادة وأن العبادات في مجملها لو طغت لكانت الدعاء، فأنت في الحج تدعو، ماذا تفعل في الحج؟ ماذا تفعل في السعي؟ وفي الطواف؟ وفي مزدلفة، وفي عرفات، وفي المشعر الحرام، ماذا تفعل؟ تدعو، وماذا تدعو في الصلاة؟

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾

(سورة الفاتحة)

كأن الدين في مجمله اتصال هذا المخلوق الضعيف الحادث بالخالق الكون بالمطلق، بصاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى، هذا الاتصال يتم عن طريق الدعاء وما من تفسير واضح من قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)﴾

(سورة المعارج)

أفضل من الدعاء، إنك لا تستطيع أن تصلي دائماً، الصلوات خمس، أما أنت مطلوب منك أن تكون مع الله بالدعاء، إن دخلت إلى بيتك وإن خرجت منه، وإن أقدمت على عمل في صحتك وفي مرضك، في طعامك وشرابك، في زواجك، في كل مناسبات حياتك هناك أدعية دعا بها النبي عليه الصلاة والسلام وسن لنا الدعاء بها، إذا الدعاء هو الصلة.

لكن أيها الأخوة يجب أن نعلم علم اليقين أنه لمجرد أن تدعو الله فأنت موقن بوجوده، وموقن بأنه يسمعك، وموقن بأنه قدير على أن يلبي طلبك، وموقن بأنه يحبك فالوجود والسماع والقدرة والمحبة من لوازم الدعاء، لذلك الذي لا يدعو الله عز وجل هذه المعاني غائبة عنه، هي كلها أو بعضها غائبة عنه، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

(( من لا يدعوني أغضب عليه ))

[ أخرجه العسكري عن أبي هريرة ]

لأنه حرم نفسه كل الخير، وأنت بالدعاء أقوى إنسان، والدعاء سلاح المؤمن أنت بالدعاء عالم، وبالدعاء قوي، وبالدعاء غني، ومن دون دعاء لست عالماً، ولست غنياً ولست قوياً، الغنى غنى النفس.

أيها الأخوة:

الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح هو العبادة، وفي حديث آخر مخ العبادة، يعني أقوى ما فيها، وعظمة الدعاء أنك تستطيع أن تمارسه دون أن تحرك شفطيك.

### ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3)﴾

(سورة مريم)

مرة كنت في طريقي إلى بلدة في الساحل، أردت أن أصلي فإذا جامع جميل جداً في الساحل، قبيل بانياس، دخلت وصليت فيه، جامع مبني حديثاً، إذ برجل استضافني في غرفته الملحقة في المسجد، وأعلمني دون أن يكون مفتخراً أنه هو الذي بنى المسجد، لكن ذكر لي قصة بقيت عالقة في ذهني، أنه بعد أن أنهى خدمته الإلزامية لا يملك من الدنيا شيئاً أعطته أخته سواراً ذهبياً لها وباعه وقتها بمئتي ليرة، واشترى بالمئتين بطاقة سفر إلى الخليج أقسم لي بالله وهو في الطائرة لم يحرك شفطيه، إلا أنه قال في نفسه إذا أكرمني الله بهذه السفرة فسأبني يا ربي لك مسجداً إلى جنب بيتي، بيته قبل بانياس، وعاش هناك سنوات عديدة وعاد وقد أكرمه الله عز وجل، لكن الذي يلفت النظر أن الأنظمة النافذة أن الجوامع لا تبني إلا في المدن، أو إلا في أماكن أهلة، وليس هناك أي معنى ببناء مسجد في منطقة زراعية، فحينما تقدم برخصة إلى رئيس البلدية أطلعته على القوانين النافذة، المساجد من أجل أن يعمرها المسلمون، لا بد من أن تكون في المدن، أو في الأفضية، أو في النواحي أما في منطقة لا علاقة لها بأي تجمع سكني، ما في رخصة، يقول لي هذا الأخ توجه إلى المحافظ ودخل عليه وقال له قصتي كذا وكذا، ما الذي ألقاه الله في قلب هذا المسؤول لا يعلمه إلا الله، إلا أنه اتصل برئيس البلدية وقال يعني أتمنى عليك أن تسمح له ببناء المسجد من دون أن يكون خاضعاً للأنظمة، وبني المسجد، شاهدي من هذا الكلام أقسم لي بالله أنه ما حرك شفطيه " إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا " .

بالإمكان أن تدعو الله وأنت صامت، بإمكانك أن تستعين به، أن تستغفره، أن تلتجئ إليه، أن تتاجيه، أن تتوب إليه، أن تصطحب معه فيما بينك وبينه، لذلك الدعاء من علامة إيمان المؤمن، وإنسان أحياناً يعاني ما يعاني من مشكلات لا يعلمها إلا الله لو علم يقيناً أن الدعاء يحل له كل هذه المشكلات يستخدمه، لذلك الشقي هو الذي لا يدعو الله عز وجل، الشقي الذي ليس بينه وبين الله خط ساخن بالتعبير الحديث، ما في خط ساخن بينه وبين

الله، منقطع عن الله، ما الذي يمنعك أن تدعو الله عند كل مشكلة ؟

أخوتنا الكرام:

أحاديث غريبة جداً تبدو لكم غريبة:

(( يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع ))

[ أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أنس ]

من مستوى شسع النعل، إذا ضاعت حاجة لك، إن الله يحب من عبده أن يسأله ملح طعامه، إن الله يحب من عبده أن يسأله حاجته كلها، إن الله يحب من عبده أن يكون ملحاحاً في الدعاء، إن الله يحب الملحين في الدعاء، وكأن الدعاء يعقد لك مع الله صلة وكأن مضمون الدعاء ليس مطلوباً لذاته، لكن المطلوب أن تتعقد هذه الصلة، كأن ما يسوقه الله للعبد أحياناً من مشكلات من أجل أن يسمع صوته، من أجل أن يسمع صوته الحار الإنسان أحياناً تقتر عباداته، ويضعف صوته، وتضعف همته، فتأتي المشكلة أحياناً لترفع حرارة العلاقة بين العبد وربيه، تأتي المشكلة كي تسوقه إلى باب العبودية، تأتي المشكلة كي يناجي ربه عز وجل، وكأن المصائب نوافذ إلى السماء، وكأن المصائب تزيد علاقة المؤمن بربه.

إذا الدعاء هو العبادة، والدعاء مخ العبادة، لكن هذا الذي يعتدي على إنسان ما كائناً من كان، يعتدي عليه بلسانه، أو بيده، أو يبتز من ماله، أو يخيفه، أو يوقعه في حرج، أو يربكه، هذا الذي يعتدي على الإنسان آخر الله عز وجل لا يحبه ولا يستجيب دعاءه لأن الله عز وجل يقول:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55)﴾

(سورة الأعراف)

المعتدي لا يحبه، وبالتالي لا يستجيب له، لذلك متى تستطيع أن تدعو الله ؟ إذا كنت محسناً، متى تستطيع أن تقبل عليه ؟ إذا كنت مستقيماً، يعني ألا يكون بينك وبين الله حجاب، أن تكون العلاقة طيبة، أن يكون قلبك عامراً بذكر الله، هذه نعمة لا تقدر بثمن وهذا الذي حمل بعض الشعراء أن يقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب  
وليت الذي بيني وبينك عامر وبين العالمين خراب  
إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وفي بعض الأبيات الأخرى:

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا  
ولو سمعت أذنك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا  
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بجنبنا  
ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياًقاً لقربنا  
ولو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنات لأجلنا

أيها الأخوة:

أنا أدعوكم وأدعو نفسي والله لا أن نجرب، الله عز وجل لا يجرب، الله عز وجل لا يشارط، لا يجرب ولا يشارط، ولكن هذا الذي ذاق ما في الحياة من طعام وشراب و لذائذ ومباهج ومتع، أقول في الناحية المشروعة لا أقول في المعاصي والآثام، ألا يذوق مرة طعم القرب من الله.

مرة كنت في استنبول حدثوني عن قصة عجيبة، أن هذا الجسر الذي يعد ثاني أكبر جسر في العالم، والذي يعبره كل يوم 300 ألف سيارة، والذي يعد من الجسور العملاقة في العالم، صممه ونفذه مهندس ياباني، وهو أحد خمس مهندسين في العالم، فلما قص الشريط الحريري، وتم افتتاحه إذا بهذا المهندس يلقي بنفسه في.....، شيء عجيب مهندس لامع جداً، متألق جداً، غني جداً، الدنيا كلها بين يديه، ذهبوا إلى غرفته بالفندق فإذا على الطاولة ورقة كتب عليها ذقت كل شيء في الحياة فلم أجد لها طعماً أردت أن أذوق طعم الموت. أيها الأخوة:

والله ثم والله ثم والله الحياة من دون إيمان بالله، من دون اتصال به، من دون محبة له، من دون إقبال عليه، لا طعم لها، مملة، لكن ما الذي يحصل أن الإنسان في البدايات يعني ما عنده شيء، يعيش بالأحلام، يحلم ببيت مستقل، يعني ينام بمكان ضيق أما يحلم ببيت خاص له، في غرفة نوم، في غرفة ضيوف، في غرفة استقبال، يحلم بزوجة يحلم بسيارة، يحلم بعمل، يحلم بدخل، يحلم بمكانة، متى تنتهي سعادته؟ إذا حصلها، فإذا حصلها كشف تقاهة الحياة، الآن تبدأ متاعبه، حينما تكون أهداف الإنسان مادية لا يمكن أن يسعد، لأنه مادامت هذه الأهداف بعيدة عنه، هو حالم بها.

أذكر أن أحد الأخوة الأطباء كان بفرنسا فلم ودع أستاذه الجراح الكبير، قال له أن أهنئك على عودتك إلى بلدك، فأنت هناك أسعد منك هنا، قال له كيف؟ قال له نحن حياتنا اكتملت فأصبحت مملة، أما أنتم تفتحون طريقاً تسرون به، تغرسون شجرة فتكبر.

معنى ذلك أن الإنسان حينما يحصل أهدافه المادية تنتهي سعادته، هذا عن أهل الدنيا، فإذا واحد ليس له هدف كبير، الدنيا من دون قيم لا تعاش، من دون هدف لا تعاش والله أكثر شيء لفت نظري حينما سافرت إلى بلاد بعيدة في الغرب أنه الحياة متوافرة بشكل خيالي، مباحج الحياة، ما في شيء اسمه مدينة وقرية، أي مكان نائي بعيد عن المدن يعني في أماكن للبيع فيها ألوان من البضائع يحار العقل فيها، معروضة عرض يأخذ باللباب ومع ذلك الناس في ملل، المادة سريعاً ما تستوعبها، إن استوعبتها انتهت، الآن كل واحد منا ساكن ببيت، الذي لم يكن عنده بيت يحلم ببيت، الذي ساكن ببيت شيء طبيعي جداً والذي عنده مركبة شيء طبيعي جداً، والمتزوج شيء طبيعي جداً، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تستطيع الدنيا أن تمدك بسعادة متنامية، مستحيل أن تمدك الدنيا بسعادة مستمرة الدنيا متناقصة، ثم، بعد حين تمل، لذلك تجد إنسان بعد سن معين بالتعبير العامي مائل وبتعبير آخر أشد قسوة يُقرف ويُقرف، مائل، ما في مروة أن يتكلم كلمة، أكل لشبعان، لم يترك محل إلا وزاره، قرفان كل شيء، أما المؤمن، والله المؤمن لا يشيخ أبداً، المؤمن أعني ما أقول ولا أبالغ، في شباب دائم.

السبب: أكبر هدف مادي إن حصلته استوعبته، وأحطت به، واكتشفت تفاهته الآن المال بالبدايات أعظم شيء بحياة الجاهل، بمنتصف الحياة شيء لكن ليس كل شيء قبل الموت لا شيء، هذه حقيقة المال، والمرأة، والمنصب، والشهادة، والمتع، لكن هذه الأهداف المادية الكبرى حينما تحيط بها تققد قيمتها، لا تسعد بها إلا إذا كانت بعيدة عنك، ما دامت بعيدة فأنت في الأحلام، تجد الشاب أيام أحد أسباب تألقه عايش بالأحلام، لكن بعد أن تحدد أهدافه كلها، هذا بيته، وهذه زوجته، كان حلما بغير هذا النوع، هذا بيته وهذه زوجته وهذا دخله وانتهى، شيء ممل، الحياة من دون هدف لا تعاش، أكثر شيء لفت نظري في بلاد الغرب أنه إنسان بلا هدف، يأكل، ويشرب، وينام.

حدثني أخ: في دار عجة بفرنسا، يعني أجروا مقابلة إذاعية مع هؤلاء العجة قال لي شيء غريب أول واحد 101 عمره، الثاني 102، هذا 98، معمر، فأهم سؤال جاءت الإجابة عنه متشابهة ماذا تريد من الحياة؟ قال له أن أموت، هدفه الأكبر الموت مل.

الآن أدخل بعالم الدين، أدخل بعالم العلم، تجد المؤمن والله كأنه شاب، هدفه هو الله، فكل بطولتك أن يكون الهدف أكبر من كل وقتك، وأكبر من كل طاقتك، الهدف هو الله، فالمؤمن في شباب دائم، هدفه أن يعمل الأعمال الصالحة، هدفه أن يوسع دائرة الحق هدفه أن يقدم خدمات لبني البشر، هدفه أن يكون قريباً من الله عز وجل، يعني كلام دقيق دقيق الحياة من دون هدف لا تعاش، هذا الكلام أصبح له معنى آخر، يقول لك الآن من دون مكيف لا تعاش، كنا بقيم أصبحنا بمكيف.

مرة اطلعت على دعاية موضوعة بأكبر محل، رجل طويل عريض أكل قطعة بسكوت، ماذا قال؟ تنسيك الدنيا، رجل طويل عريض على قطعة بسكوت أصبح، في سخافات بالحياة، في أشياء الإنسان أكبر من هذا بكثير.

أيها الأخوة:

لذلك البطولة أن يكون لك هدف عظيم هو الله عز وجل، أو خدمة الخلق من جنس الهدف الأول، أو إحداث شيء، لذلك الإنسان يموت ويحيى ولا أحد يعلم لا بحياته ولا بموته، لأنه تافه، ما قدم شيء، لذلك أبلغ كلمة كما قيل أن الصحابة الكرام واحد بألف وهؤلاء المؤمنين المتعبون في آخر الزمان الألف كاف، ما عمل عمل بحياته، وأيام تجد واحد ما ترك درس، ما قدم شيء بحياته، يعني هذا يسمونه أدمن على حضور الدروس إدمان، لكن لم

يقدم شيء، فأنت حجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

فيا أخي الكريم:

أن يكون هدفك الله عز وجل لا تشعر بالوقت، أحد كبار العلماء مشى في الطريق رحمه الله رأى في مقهى هناك من يلعب النرد، قال يا سبحان الله لو أن الوقت يشتري من هؤلاء لاشتريناه منهم، تجد المؤمن بحاجة إلى يكون مئة ساعة، بحاجة إلى أن يكون الوقت عشر أضعاف، حتى ينجز ما في نفسه، تجد علماء كبار تركوا مؤلفات بالمئات.

في عالم قسمت أوراق صفحات مؤلفاته على عمره فكان نصيب كل يوم من تأليف تسعين صفحة، أنت تستطيع أن تقرأ عشر صفحات كل يوم على طول؟ تسعين صفحة تأليف.

لذلك أيها الأخوة هذه البركة كلمة يفهموها الناس أنها كلمة عامية، هي كلمة إسلامية وكلمة قرآنية، وكلمة نبوية، بارك الله لك في عمرك، كيف؟ يعني في وقت محدود تقوم بأعمال كبيرة جداً، الدليل:

أن هذا الإنسان النبي الكريم نبينا عليه الصلاة والسلام إنسان، جاء إلى حياة تضج بالمعاصي والآثام والظلم والكفر والقهر وكل المبيقات، ممكن إنسان لوحده بربع قرن يقلب وجه الكرة الأرضية، لذلك أقسم الله بعمره الثمين قال له:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)﴾

(سورة الحجر)

أنا لا أقول تكون علم من أعلام المال، ليس هذا القصد، ولا علم من أعلام القوة هؤلاء بحسب النصوص لا شأن لهم عند الله عز وجل أعطى المال لمن لا يحب أعطاه لقارون، أعطى الملك لمن لا يحب، أعطاه لفرعون، ولكن الذين أحبهم ماذا أعطاهم؟ أعطاهم العلم والحكمة.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)﴾

(سورة القصص)

والله أيها الأخوة كلما قرأت هذه الآية أشعر بفضل الله عز وجل.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)﴾

(سورة النساء)

يعني ما قولك بـ900 مليون يعبدون البقر في شرق آسيا، بـ900 مليون آخر يعبدون إله منحوت من حجر، ما قولك بملايين يعبدون الجرذان، عندي تحقيق صحفي من مجلة رصينة جداً مع التصوير يعبدون الجرذان، ولهم معابد، شعوب تعبد الشمس، شعوب تعبد القمر، شعوب تعبد الحجر، شعوب تعبد موج البحر، ما قولك؟ فإذا سمح الله لك أن تعبدوه وهو خالق السماوات والأرض، وسمح لك أن تتبع منهجه فهذه نعمة لا تقدر بثمن يعني الدعاء يجب أن يقيم علاقة حارة ساخنة بينك وبين الله، والدعاء لا يكلف إلا قلباً مخلصاً ولساناً ذاكراً. سيدنا عمر بن عبد العزيز استقبل وفد الحجازيين، إذا بـغلام صغير يتقدمه غضب قال له يا غلام اجلس وليقم من هو أكبر منك سناً، ابتسم الغلام قال أصلح الله الأمير المرء بأصغريه بقلبه ولسانه، فإذا وهب العبد لساناً ذاكراً وقلباً حافظاً لقد استحق الكلام، ولو أن الأمر كما تقول لكانت في الأمة من هو أحق منك بهذا المجلس.

يعني الإنسان قيمته بعلمه، قيمته بفصاحة لسانه، قيمته بأخلاقه، قيمته بماله قيمته بما أنعم الله عليه من أعمال صالحة، لكن بعصور التخلف الأخلاقي قيمته بمركبته قيمته بمساحة بيته، قيمته بمكان بيته، قيمته بمتاع الحياة الدنيا.

لذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: في آخر الزمان قيمة الرجل متاعه.

لكن قيمة الرجل في الحقيقة ما يحسن، والقرآن الكريم حينما أعطانا مقاييس للترجيح بين خلقه من هذه المقاييس العلم:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾

(سورة المجادلة)

من هذه المقاييس العمل:

### ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

(سورة الأنعام الآية: 132)

إذا نريد أن يكون محور هذا الدرس الاستجمامي من بين دروس العقيد أن الهدف يحدد سعادتك، إذا كان هدفك هو الله عز وجل فأنت شاب دائماً، والشاب لا يشيخ، أما إذا في أهداف أرضية الأراضية تستوعب وتطوق وتتهي سعادة الإنسان، ولحكمة بالغة بالغة بالغة أراد الله ألا تكون الدنيا ممددة للإنسان بسعادة مستمرة، طبعاً مستحيل أن تكون متنامية ومستحيل أن تكون مستمرة إنها متناقصة.

فيا أيها الأخوة:

يقول عليه الصلاة والسلام:

(( لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ " يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبُ لِي. فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدَّعَاءَ ))

الله عز وجل سلعته غالية، بمعنى دعوته أنت مرة واحدة، الله يمتحن إلحاحك يمتحن صبرك، يمتحن معرفتك به، يمتحن حسن ظنك به، فإذا ما استجاب أنت راضي وأنت صابر، دعاء رسول الله بالطائف والله ما من دعاء نحتاجه اليوم كهذا الدعاء قال له يا رب:

(( اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ))

[ أخرجه الطبراني عن عبد الله بن جعفر ]

في بتاريخ المسلمين عصر كانوا أهون على العالم من هذا العصر؟ يموت إنسان من الطرف الآخر ديته 500 مليون ليرة سورية، وسوف تدفع، مليارين و700 مليون دولار قيمة تعويضات الطائرة التي أسقطت في إرلندة، يموت الآلاف المؤلفة، طائرات تسقط بفعل عدواني، قيمة المسلم صفر، ما له قيمة، فلذلك: هان أمر الله عليهم فهانوا على الله.

أيها الأخوة:

(( اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ))

يا رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى صديق يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري، يعني ألا ترون أحياناً أن أمور المسلمين بيد أعدائهم، ألا ترون أن الكفار لهم عليهم ألف سبيل وسبيل، هذا واقع، لا تستطيع أن تهرب منه، طيب لماذا نحن كذلك؟ قال له ربي إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، يعني هذه الشدة التي سقتها لي في الطائف إذا كانت تعبر عن غضب علي فأنا أعتذر إليك، وأنا لك العتبة حتى ترضى، وإن كانت لا علاقة لها في غضبك علي أنا لا أبالي بها، لكن عافيتك أوسع لي، انظر إلى الأدب، هذا الدعاء دعاء النبي في الطائف يحتاجه المسلمون اليوم، فالإنسان خرج من بيته ودخل لعمله دخل لبيته ارتدى ثياب جديدة، أكل طعام، يعني في إنسان لا يأكل، سيروم فقط، في إنسان قد يشتهي أكلة رخيصة جداً ممنوع عنها، فالله عز وجل حينما يراك تشكره ويراك معه في الدعاء هناك نشاطات يقوم بها الإنسان كل يوم، من أبلغ هذه النشاطات استيقاظ، استيقظت كان عليه الصلاة والسلام يقول:

(( الحمد لله الذي رد إلي روحي ))

أحياناً الإنسان ينام ولا يستيقظ، مست يده زوجته وجدتها باردة، وجدته ميت ينام لا يستيقظ، النبي كان يقول " الحمد لله الذي رد إلي روحي، وعافاني في بدني، وأذن لي بذكره " معاني قد لا ننتبه لها، عافاني في بدني، رد إلي روحي، أذن لي بذكره.

يعني في واحدة تاب الله عليها بعد أن كانت في العمل الفني قالت كلمة في شريط يلفت النظر هذا الشريط قالت أنا أول يوم أستيقظ على صلاة الفجر بعد أن كنت آتي إلى البيت لعشرين سنة ماضية بعد الفجر. عافاك في بدنك، واستيقظت على صلاة الفجر، وأذن لك بذكره.

أيها الأخوة:

لعل أبرز موضوع عولج في هذا اللقاء الطيب هو أن تبحث عن هدف عظيم تسعى إليه، عندئذ تبقى شاباً طوال حياتك، وعندئذ تسعد، أنا ذكرت قضية قبل أيام أنه إن أردت لذائذ الدنيا لن تستطيع تحصيلها دائماً، لأنه اللذائذ تحتاج إلى وقت وصحة ومال ودائماً تتقصك واحدة، في البداية ما في مال، في صحة وفي وقت، في منتصف الحياة ما في وقت في مال وفي صحة، بالنهاية ما في صحة في مال وفي وقت، إن أردت لذائذ الدنيا لن تحصلها كما تتمنى، الدنيا تفر، وتضر، وتمر، الدنيا جيفة طلابها كلابها.

ضربت مرة مثل أنه واحد جلس في ظل حمار يوم من أيام الحر الشديدة فقام ليشرب جاء إنسان وجلس مكانه، قال له هذا المكان مكاني، مكانك لا مكاني، تلاسنا ارتفع صوتهم، تشادوا، تضاربوا، قام ومشى الحمار.

والله قبل أيام كنت في بلد مجاور أوقفنا المركبة في ظل باص كبير كان ما في شمس فإذا بالباص يمشي بعد دقيقة، ما استقدنا شيء، هذه الدنيا كظل الحمار سريعاً ما يتحول، 8000 دعوة شطبت لموت أحد الطرفين، يدخل بخصومة يا يلحق أو لا يلحق فهذه الدنيا جيفة طلابها كلابها، هي دار من لا دار له ولها يسعى من لا عقل له، وأبلغ مثل تدخل على تعزية تجد بيت ثمنه 80 مليون الذي دفن في الباب الصغير مثلاً كان هو صاحب هذا البيت، هو رتبه، هو زخرفه، هو عمل الجبسين، هو اشتر الأثاث، هو بلط، أين هو الآن؟ الدنيا تخسرها في ثانية واحدة، أنا ما وجدت إنسان أعقل ممن يعمل لساعة اللقاء مع الله عز وجل.

فيا أيها الأخوة:

اللذائذ مستحيلة التحقق كما تظنون، أما السعادة نابعة من الداخل، ووسائلها كلها بيدك، هي طاعة لله عز وجل، لهذا قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) ﴾

(سورة الأحزاب)

أبرز شيء بالدرس أن تختار هدفاً عظيماً كأن تتعرف إلى الله، وأن تدعو إليه وأن تسعى إلى الجنة عندئذ تغدو الدنيا تافهة في نظرك، يعني إذا كان طالب أدى امتحان بالجامعة بأعلى مستوى وسيأخذ الامتياز، دخل للمقصف أكل شطرية لم تعجبه لا يتأثر لأنه هدفه الكبير، لذلك إذا الإنسان هدفه تحقق الدنيا تغدو عنده تافهة، أما إذا هدفه لم يتحقق الدنيا عنده ماحقة وساحقة، والدعاء مخ العبادة، أنت بالدعاء أقوى إنسان، أنت بالدعاء عالم أنت بالدعاء موفق، أنت بالدعاء سعيد، أنت بالدعاء محفوظ، أنت بالدعاء منصور، أنت بالدعاء تحقق كل أهدافك.

فيا أيها الأخوة:

موضوع الدعاء أتمنى أن ينتقل من حديث يقال في درس إلى ممارسة يومية مع الله عز وجل، وأنا أعتقد ما في واحد من الأخوة الحاضرين إلا ويحكي لنا عدة قصص في علاقته مع الله عز وجل، حينما تدعوه ويستجيب لك تزداد عقيدتك وتقوى، لأنه سميع مجيب وحينما يستجيب لك تزداد ثقة به، وتزداد محبة له.

أخوانا الكرام:

الدعاء ينقلك نقلتين نوعيتين، ينقلك نقلة نوعية في معرفة الله، ونقلة نوعية في محبته، ينقلك نقلة نوعية في محبته ونقلة في معرفته، وإذا إنسان لا سمح الله ولا قدر بحالة صعبة جداً دعاء الفجر ثابت بالحديث الصحيح:

(( إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر، نزل إلى السماء الدنيا فنادى هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع حتى ينفجر الفجر ))

[ أخرجه مسلم عن أبي هريرة ]

ولما جاء هارون الرشيد إلى الحرم المكي والتقى بعالم كبير قال له سلني حاجتك قال له والله إنني أستحي في بيت الله أن أسأل غير الله، سكت، التقى معه خارج الحرم، قال له سلني حاجتك، قال له والله ما سألتها من يملكها، أفسألتها من لا يملكها، فلما ألح عليه قال له أدخلني الجنة، وأنقذني من النار، قال له هذا ليس لي، قال له إذاً ليس لي عندك حاجة.

النبي حينما طلب سيدنا ربيعة أن يسأله حاجته، قال له أمهلني يا رسول الله فقال له ماذا كان يا ربيعة، قال له أسألك أن أكون رفيقك في الجنة، قال له من علمك هذا ؟ قال له والله ما علمنيه أحد، لكنني رأيت الدنيا زائلة، أنا معك في الدنيا، ولكن ليس لي مقام أن أكون معك في الآخرة، فأنزل الله آية في هذا الموضوع:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ ﴾

(سورة النساء)

أتمنى على الأخ الكريم أن تكون أهدافه كبيرة، أما هذه الدنيا والله أيها الأخوة لا تزيد عن بقميتين تأكلها، لو معك ألف مليون، يعني بذلتك كم كم لها ثلاث أكام ؟ أربع أكام على كم سرير تنام ؟ كم حذاء تلبس ؟ خمس فردات يعني، الدنيا لها سقف.

(( من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ))

[ أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن محسن ]

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (099 - 127) : ترغيب الزوج في الوفاء وحسن العشرة والزوجة في الطاعة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2004-12-26

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: أحرص حرصاً بالغاً في هذا الدرس أن يغطي حاجات الإخوة المؤمنين أو من حين لآخر أتلقى مكالمات هاتفية كثيرة جداً تتمحور حول بعض المشكلات لذلك أردت في هذا الدرس إن شاء الله أن تكون بعض الموضوعات المتعلقة بالزوجة محور هذا الدرس، ففي كتاب الترغيب والترهيب وهو من كتب الحديث المعتمدة باب ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها وترغيب المرأة بحق زوجها وطاعته وترهيبها من إسقاطه ومخالفته.

أيها الإخوة الكرام: حينما نقرأ قوله تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾

[ سورة الأنعام ]

قد يفهم من هذه الآية أن هناك من يؤمن ومن يدخل في إيمانه الظلم، والظلم أحياناً يكون مع طرف بعيد فهذا الطرف البعيد لا يسكت يصيح ويشتكى ويسبب للظالم إحراجاً كبيراً لكن أحياناً حينما تكون قوياً على إنسان وهذا الإنسان لا يستطيع أن ينبذ ببنت شفة فإذا ظلمته فالمرجح أن عقاب هذا الظلم أشد عند الله عز وجل، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

## (( استوصوا بالنساء ))

إن النبي عليه الصلاة والسلام يوصينا وهو سيد الخلق وحبيب الحق بنسائنا فينبغي أن ننصاع إلى هذه الوصية

## (( استوصوا بالنساء خيراً ))

في رواية أخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء ))

[ متفق عليه ]

ما لم يكن الزوج على مستوى عميق من الفهم أن هذه المرأة لها ترتيبية خاصة لها بنية فكرية خاصة لها خصائص نفسية خاصة وخصائص اجتماعية خاصة وخصائص جسمية خاصة، هناك تكامل بينك وبينها لكن ليس هناك تشابه، لو أن هناك تشابه، لو أن هناك تشابه كان مع التشابه التناظر، تكون نداء لك هي تتكامل معك فإذا متعك الله بقوة إدراك متعها الله بقوة انفعال، إذا متعك الله بنظرة واسعة جداً للأمور متعها الله عز وجل بنظرة على دقائق الأمور فلا بد من أن تعترف أن بين المرأة والرجل بوناً شاسعاً في الخصائص الفكرية والنفسية والاجتماعية والجسمية إذا اعترفت بهذه الخصائص استوعبتها وتعاملت معها تعامللاً صحيحاً، أسعدتك وسعدت بها، والإنسان العاقل دائماً يسعد ويسعد، والإنسان المحدود يشقى ويشقى، والإنسان إذا نجح في بيته في المرجح أنه يزداد نجاحه في عمله وتصح حالته النفسية.

وكنت أقول دائماً أيها الإخوة الكرام: في أربع نقاط ب حياة كل إنسان أول نقطة علاقته بالله والنقطة الثانية علاقته بصحته والنقطة الثالثة علاقته بعمله والرابعة علاقته بأهله، وأنا أؤكد لكم أن أي خلل في أي بند من هذه البنود فإنه ينعكس على البنود الأخرى، مستحيل ينشأ خلل كبير في الصحة ما ينعكس على العمل ينعكس في الأسرة في البيت، فالمؤمن العاقل النبيه المتفوق دائماً يحرص على أن يكون معافى في هذه العلاقات الأربعة، فالمرأة تحتاج إلى إدارة فإما أن تسعد بها وإما أن تشقى بها.

وأخاطب المرأة أيضاً والزوج يحتاج إلى إدارة فإما أن تسعدي به وإما أن تشقي به لكن المشكلة التي أنا أعاني منها أن هناك شكاوى كثيرة جداً لا من عامة الناس، عامة الناس مظنة جهل مظنة انحراف مظنة بعد عن الله عز وجل، ولكن الشيء المؤكد معظم الشكاوى تأتي ممن يرتادون المساجد تأتي من زوجات أو من أزواج، فأنا أتمنى أن يكون هذا الحديث الشريف الذي أذكره دائماً والذي هو فيصل في هذا الموضوع أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي ))

[ الترمذي، أبو داود، الدارمي ]

كأن النبي عليه الصلاة والسلام جعل مقياس الخيرية أخلاقك في البيت، وكنت أقول دائماً الإنسان أحياناً بدافع من حرصه على سلامة مكانته وسلامة علاقته مع رؤسائه في عمله فله أسلوب في الاعتذار أحياناً في التوضيح في الاعتراض في... يستخدم الكلمة اللطيفة يستخدم الإشارة اللطيفة لكن إذا دخل بيته يحس أنه ليس فوقه أحد هو ملك البيت ولا أحد يحاسبه ولا أحد يسأله ولا أحد يعترض عليه، وإذا كان شرس الطبع إذا اعترض عليه أحد في البيت أقام عليه النكير، أنا أرى أن مكانة الإنسان عند الله تبدأ من أخلاقه في بيته وحينما تكون أنت محسوباً على المؤمنين وأحد رواد مسجد معين أنت سفير هذا المسجد فالزوجة إذا رأت منك قسوة غلظة أحياناً أو ظلماً، أنا أتحدث عن الظلم ولا سيما إذا في زوجتين يعني يميل على الجديدة كل الميل، يميل كل الميل وينسى أن الله أمره بالعدل قد لا يأتي إلى البيت مطلقاً يغيب شهر شهرين يطل طلة العصر تحتاجون لشيء ؟ هذه محسوبة لك بكتاب الله وسنة رسوله تحتاج إلى أن تكون معها وتحتاج إلى المودة، نحن قد لا ننتبه إلى قيمة المودة، المودة للإنسان غذاء أحياناً ابتسامه من الزوج أو كلمة لطيفة أو سؤال عن الصحة تملأ الزوجة راحة، وأحياناً الموقف القاسي والنظرة القاسية والنقد المستمر والاعتراض يملأ نفس الزوجة ألماً وضيقاً وهذه مظلومة ليس لها إلا الله أنا أتمنى أن يكون خوف الله عند المؤمن واضحاً الله كبير في عنده أدوية والله لا تعد ولا تحصى، والله قادر يجعلك من غني على فقير بوقت قصير، من صحيح إلى مريض بوقت قصير، أي معالجة إلهية تجعل حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، أنا والله لا أنطلق من فراغ أنطلق من اتصالات كثيرة جداً، أنا لست محققاً في الموضوع قد يكون في تحني من الزوجة، أنا أتكلم كلاماً عاماً أنت كونك مؤمن وتخاف الله وهذه المرأة التي أكرمك الله بها هدية من الله لك ما في إنسانة تأتي كما يتمنى الزوج تماماً بالمناسبة يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ ))

[ مسلم، أحمد ]

ما في امرأة كاملة وما في رجل كامل وكل إنسان يصيب ويخطئ فقال لا يفرك أي لا يبغض

(( لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ ))

والحياة ليست طويلة كثيراً الحياة محدودة فأنا حينما أمضي هذه الحياة المحدودة مع إنسانة في المجلد جيدة لكن في تقصير أحياناً في كلمة زائدة عن حدها أحياناً في يعني بعض التصرفات لا ترضي الزوج عليه أن ينصح وأن يعظ دون أن يكون قاسياً.

أيها الإخوة الكرام: المشكلة أن تستوعب زوجتك لها عقلية خاصة، يعني إذا في قضية انفعالية هي في الدرجة الأولى تعطف على أولادها عطفاً لا حدود لها ولو كانوا مخطئين وأنت بميزان الشرع قد تقيم أولادك تجد في خطأ هي تدافع عنهم دفاعاً أعمى، أم، هذا قلب الأم، فأنا حينما أستوعب زوجتي أستوعب بنيتها الفكرية والنفسية والاجتماعية والجسمية وحينما أسعى لإرضاء الله بالأخذ بيدها إلى الله أكون قد أفلحت أما قاعدة عامة العنف لا يلد إلا العنف، النبي عليه الصلاة والسلام الكريم يقول:

(( لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ))

يعني مثلاً أنا أعد الصراحة أحياناً جريمة في العلاقة الزوجية، لو سألت امرأة زوجها أتحنيني ؟ أتريدين بصراحة والله لا أحبك. هذه والله ليست صراحة هذه حماقة، النبي عليه الصلاة والسلام سمح للزوج أن يكذب على زوجته في هذا الموضوع بالذات ليس بالأسعار بهذه فقط كيف حبك لي ؟ لا ينطق عن الهوى قال كعقدة الحبل، كيف العقدة ؟ على حالها. فالكلام الطيب مع الزوجة يملأ قلبها طمأنينة ورضا، أرجو الله عز وجل أن نكون كذلك جميعاً.

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أُغْلَاهُ...))

لها تربية خاصة أنت لك بنية فكرية لك هدف واضح وسائل واضحة هي انفعالية عاطفتها تغلب تفكيرها ولو لم تكن كذلك لا يمكن أن تكون لك زوجة تأكل طعام شهوي ابنها الصغير وضعه الصحي فسد يذهب تدع الطعام تحاول أن تنظف الصغير، من يحتمل هذا العمل؟ أعمال التنظيف أعمال تربية الأولاد أعمال شاقة وصعبة هي تفعل هذا بأعلى درجة من الاهتمام والرضا هكذا فطرت لو كان تملك هذا الأفق الذي يجعلها تعلق في أجواء العالم في أجواء السياسة الدولية وفي أجواء الصراعات بين الحضارات لا تجد أكلاً في البيت جاهزاً لا في طعام ولا في بيت نظيف، هي بنيتها بنية جمالية وبنية انفعالية وبنية عاطفية هكذا صممت كي ترضى أنت بها وكي تتكامل معها وكي تسعد بها فأنت حينما تستوعبها أما دائماً لا تقيس الأمور على تفكيرك.

ملك دخل على بستان وجد حصان يدور حول البئر صاحب البستان عصب عيني الحصان وصاحب البستان جعل جلجلاً في رقبة الحصان الملك ذكي جداً فسأل صاحب البستان لماذا عصبت عينيهِ؟ قال لئلا يصاب بالدوار يدوخ، قال وهذا الجلجل؟ قال إذا وقف أعلم أنه وقف. فكر الملك قال فإذا وقف وهز رأسه؟ قال له هل له عقل كعقلك؟

هذا حصان الزوج يحتاج إلى امرأة مثله تماماً، لو مثله لا تكون زوجة لك أساساً تكون رجلاً، فأنت لك بنية خاصة هي لها بنية خاصة يجب أن يستوعب كل طرف الآخر إذا ما استوعبه في مشكلة، طبعاً هذا الكلام في الأعم الأغلب أما في حالات شاذة لها معالجة خاصة أما إذا أخذنا مئة امرأة تسعين بالمئة من النساء هكذا بنية انفعالية بنية عاطفية جمالية يههما مظهر الشيء دائماً.

الحديث الحقيقة يمكن أن يحل مشكلات كثيرة

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ...))

مرة قال لي واحد ضلع أعوج. قلت له هذا الضلع كماله في اعوجاجه إذا كان مستقيماً كان خرج إلى الخارج، كماله في اعوجاجه، أحياناً الاعوجاج هو الكمال ينحني مع جسم الإنسان كمال الضلع هنا أن يكون معوجاً يتناسب مع خطوط جسم الإنسان، الآن تحاول تعمل لها بنية أخرى مستحيل هذا من جبلتها مما فطرت عليه لذلك الآن في شيء اسمه علم نفس المرأة، المرأة لها علم نفس خاص والرجل له علم نفس خاص، قد يظن ظان

لو نحن الأوراق خلطانها نرتاح والأوراق حينما خلطت في العالم الغربي ظهر فساد لا ينتهي دائماً المشرع هو الخبير قال تعالى:

### ﴿ وَلَا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14) ﴾

[سورة فاطر: الآية 14]

بشكل مختصر بنيتها الفكرية متميزة، بنيتها النفسية متميزة، بنيتها الاجتماعية متميزة بنيتها الجسمية متميزة، هذه البنات الثلاث تتكامل مع بنات الثلاث، تكملك وتكملها وهذا معنى قول الله عز وجل:

### ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم: الآية 21]

مودة ورحمة هذا من خلق الله عز وجل لكن تسكن إليها ما معنى السكنة؟ أي الإنسان يكمل نقصه بامرأته و أن المرأة تكمل نقصها بزوجها، هو يكمل نقصه العاطفي بها، و هي تكمل نقصها القيادي به.

و المرأة السوية تحب أن تنصاع لزوجها تقول هذا لا يرضى عنه زوجي، تقتخر بهذا، الرجل إذا كان تابعاً لجهة ثانية نقطة ضعف بحقه يقول لك أنا، أما الزوجة زوجي، هذا لا يرضيه، هذا يغضبه، هذا لا يحبه، تقتخر بهذا، فأنا أقصد أن التكامل بين الزوجين هو الذي أراده الله عز وجل، لذلك: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ

(( لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ ))

[ البخاري، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد، الدارمي ]

و محاولة أن تكون الزوجة مثلك تماماً محاولة ميؤوس منها، و غير واقعية، و الطريق مسدود، فاستمتعوا بهن على عوج.

مرة سمعت كلمة أعجبتني إنسان التقى بإنسان قال له أنت قدرنا و نحن قدرك، فإما أن تصبر علينا و إما أن نصبر عليك، أنت عد زوجتك قدرك، هي قدرك و أنت قدرها، فإما أن تصبر عليها و إما أن تصبر عليك، طبعاً بالحدود المعقولة، أما إذا زوجة سيئة جداً أو منحرفة تركها أولى، أما ضمن الخط المقبول، ضمن الهامش

المقبول، يوجد هامش قطع عند الزوج و عند الزوجة، الحديث الذي ذكرته قبل قليل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ ))

[ مسلم، أحمد ]

أو قال غيره.

دائماً الإنسان يبحث عن السلبيات، عن نقاط الضعف، عن الأخطاء، لكن ما عود نفسه أبداً يبحث عن الإيجابيات، النبي الكريم دخل شخص ليلحق معه ركعة فأقام الدنيا و لم يقعدا في المسجد، أحدث جلبية ضخمة فالنبي قال زادك الله حرصاً و لا تعد، نظر إلى حرصه، حرصه على أداء الركعة مع رسول الله لكن نهاه أن يعود إلى هذه الجلبية و الضجيج.

فأنا أقول أحد أسباب المودة بين الزوجين أن تعرف إيجابيات زوجتك، تعلمها نظيفة، تعلمها مطواعة مثلاً، تعلمها لها أهل مستواهم جيد لم يتدخلوا بشؤونك إطلاقاً، فأنت الشيء الإيجابي أثني عليه، إن أثبتت على الإيجابيات قبلت منك السلبيات، أما إنسان لا يعلم إلا النقد السلبي عملت كذا، تكلمت كذا، فعلت كذا، يوجد إيجابيات كثيرة جداً، فأنا أرى أنه مما يزيد العلاقة بين الزوجين أن يكون أحدهم منصفاً في تقييم الآخر، لأنه إن أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأيت منك شيئاً تقول لم أر منك خيراً قط، هذا خطأ كبير بالمرأة، يكون لها زوج محترم و دين و كريم و له مكانة اجتماعية لأسباب صغيرة جداً ما لبي بعض الرغبات تقول له لم أر منك خيراً قط، هذا أيضاً من كفران العشير، لو أنه تأسينا بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام لما رأى صهره مع الأسرى هذا جاء ليقته أبو العاص فقال عليه الصلاة و السلام و الله ما ذمناه صهراً، كصهر كان ممتازاً.

عندما حاطب بن بلتعنة ارتكب خيانة عظمى و قال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال لا يا عمر إنه شهد بدرًا، انظر إلى الإيجابيات، الآن ارتكب خيانة عظمى، الآن يستحق القتل في أي نظام بالعالم، قال له لا يا عمر إنه شهد بدرًا.

فالإنسان أحياناً ينسى أن زوجته كانت معه في السراء و الضراء، لما اغتنى قليلاً اشتهى امرأة شابة تزوجها لا يوجد مانع، لكن تهمل الأولى إهمالاً شديداً لا زيارة و لا كلمة لطيفة، أنا كنت دائماً أقول العدل في السكنة بيتان في مستوى واحد، العدل في الإنفاق، العدل في الوقت لكنني الآن مضطر أن أضيف العدل في المودة، ليس معقول أن تجلس مع الأولى تضحك والثانية عبوساً قمطيرياً، ما في عدل والمودة باليد المودة عمل إرادي ليس هنا تبتسم وتسألها عن صحتها وتثني على شيء مما هو فيها، أما ينساق مع قلبه انسياقاً أعمى، النبي قال:

(( اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ))

طبعاً الذي عنده زوجة واحدة مرتاح ما عنده هذه المشكلة، ولكن كثر الذي عندهم اثنتين كثروا.

الحديث الثاني:

(( لا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ ))

أو قال غيره، في مشكلة أيضاً يعاني منها بعض الأزواج أن المرأة تتصرف كلياً إلى أولادها ويصبح أولادها ملء سمع وبصرها وملء اهتمامها وتنسى حق زوجها عليها هذا خطأ كبير وهذا يستدعي أن يبحث الزوج عن امرأة تؤنسه وتهتم به، أحياناً المشكلة دائماً نحن نتألم من المشكلة من نهايتها لو سألت عن بدايتها متى بدأت ؟ قد يكون في إهمال شديد بالزينة، دائماً بثياب المطبخ دائماً ما في اهتمام ما في كلمة طيبة ما في ابتسام ما في تزين ظاهر فالزوج إنسان ويتمنى أن يرى أنثى تملأ طموحه فأحياناً الزوجة الأولى تتجاهل أنها كانت مقصرة بحق زوجها تقصيراً شديداً، هذا التقصير تراكم دفعه إلى أن يبحث عن امرأة ثانية فلما بحث عن امرأة ثانية قامت الدنيا ولم تقعد.

أنا أتمنى أن تعرف المرأة أنها مركزية في حياته، مركزية وليست قضية ثانوية فإذا اختارت أن تكون هي ثانوية بحياته فمشكلة، قد تنشأ مشكلة قد لا تحتلمها.

النقطة الثانية نحن بعيدون عن أن نفكر في مشكلاتنا، مشكلة تنشأ تتفاقم تتعجر ينشأ عنا مشكلة ثانية نتلقى المشكلات وكأنها قدر لا محيد عنه أما لو الإنسان قال تعالى:

### ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾

[سورة النساء: الآية 34]

يعينني من الآية فقط معنى واحد، قبل أن يقع النشوز والمؤمن العاقل قبل أن تقع المشكلة ينتبه إليها، فأنا أتمنى أن الزوج حينما يظهر من زوجته بوادر تقصير عليه أن ينبهها وعليه أن يدقق في هذا التقصير، وحينما ترى منه بوادر انصراف في سبب معنى هذا أين السبب؟ التفكير العلمي والتحليل الدقيق الموضوعي أيام يكون كنز كبير في الإنسان، في بوادر مشكلة في بوادر انصراف عنها ما السبب؟ إذا ظهر السبب بطل العجب، ومرة قلت كلمة بالإحصاءات وجدوا بالمئة إنسان ثلاث أشخاص يخططون لحياتهم والسبعة وتسعين يخطط لهم من أحد أمرين إما مخطط أو مخطط له، فإذا واحد ما خطط لأسرته ما خطط لعلاقته مع زوجته ما خطط لأولاده هو يصبح مادة للتخطيط يدرجوك كرقم في خطتهم، فأنا أرى موضوع البيت موضوع أساسي جداً فإن لم تكن سعيداً في بيتك من الصعب أن تعطي، العطاء يحتاج إلى راحة نفسية في البيت، قال تعالى:

### ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾

[سورة النحل: الآية 80]

وأنا في الخطبة الماضية نوهت أن هذا المجتمع بيوت إن صلحت البيوت صلح المجتمع وإن فسدت البيوت فسدت المجتمع، والله في أخطاء في البيوت كثيرة جداً ما في انضباط ما في سعادة زوجية ودائماً لما يكون في أولاد وفي خلاف مدمن عليه من قبل الزوجين هناك صراع ينشأ مع الصغار هذا أبوه وهذه أمه وبينهما خلاف مستمر فما الحل؟ الأم أم والأب أب وهما متصارعان، لما الله عز وجل قال:

### ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾

[سورة النساء: الآية 34]

ماذا يفهم من الآية ؟ اهجرهن، لماذا في المضاجع ؟ في غرفة نوم في البيت إذا أحب يهجر زوجته فنام على الديوان في غرفة الجلوس، هجرها الأولاد علموا بالقصة لماذا نام الأب على الديوان ؟ مفروض المشكلة ممنوع أن تتسرب إلى جهة ثالثة، المشكلة يجب أن تبقى بين الزوجين، قال تعالى:

### ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[ سورة النساء: الآية 34 ]

في الفراش نفسه اهجرها أما في غرفة ثانية الأمر انتشر فكلما دخل طرف آخر هذا مستوى، المستوى الآخر قال تعالى:

### ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

[ سورة الطلاق: الآية 1 ]

لما ينشأ خلاف زوجي والزوجة تنطلق إلى بيت أهلها صار في طرف آخر صار في أم الزوجة ووالد الزوجة وأخوة الزوجة الإناث والذكور وخالتها وعمتها وكل واحدة تعطيها معلومات معينة واحدة تدعوها إلى الإصرار على موقفها الثانية تدعوها إلى الكيد له، فأنا أقول كلمة أكبر مشكلة إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها تحل وأصغر مشكلة إذا رافق هذه المشكلة خروج الزوجة من بيت زوجها قد تنتهي بالطلاق، فلذلك لما الله عز وجل قال:

### ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

[ سورة الطلاق: الآية 1 ]

البيت له وليس لها فلماذا نسب إليها في الآية ؟ البيت ملك الزوج هذا البيت ينبغي أن تشعر أنه بيتها وأن الخروج منه خطأ كبير، هذه نصيحة أنا أقدمها لكل أب ولكل زوج مادامت الزوجة في البيت القضية حلها سهل جداً محصورة ضمن الزوجين والأولاد أما إذا خرجت ولماذا جاءت الساعة الثانية عشر ليلاً لبيت أهلها ؟ في أطراف صار في العمة والخالة والأخ والأخت والأب والأم دخلوا أطراف مشوشة على الموضوع وفي ملاحظة أيام الإنسان هو زوجته سيئة لو أن الإنسان لا يملك القدرة على التغيير ما في داعي أن يكون أنبياء ورسول، في

الأصل الإنسان يملك القدرة على التغيير وهناك آلاف الحالات أن فلان لم يكن هكذا انقلب رأساً على عقب صار ملك فأنت حينما تتعايش مع زوجة سيئة اعتقد اعتقاداً جازماً أن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يصلحها لك والدليل قال تعالى:

### ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

[ سورة الأنبياء: الآية 90 ]

فصلاح الزوجة ممكن، هو الأصل أن تكون صالحة في الأصل لكن لو أنك لم تختار امرأة صالحة كنت في طيش وفي جهالة اخترت امرأة تروق لك وهي سيئة الآن تصلحها وحالات لا تعد ولا تحصى، امرأة كانت سيئة منقلبت صالحة.

أنا أردت بهذا اللقاء الطيب أن الإنسان ينتبه إلى بيته أين في خلل، تنتبه المرأة لزوجها ينتبه الزوج لزوجته وكل طرف عليه أن يتقي الله في الطرف الآخر، الله عز وجل بالتعبير المألوف كبير، معنى كبير أنك إذا ظلمت امرأة ليس لها ناصر عليك إلا الله انتقم الله منك ولعلك توفق بطيب معاملتك لها، سمعت قصة إنسانة راغبة في الزواج وفي عندها عرج ثمانية سنتمتر كانت ترتدي ثياب سابعة ترتدي حذاء متفاوت في الارتفاع خطبت لكن بعد العرس أم الزوج تصر على تطليقها، الزوج سبحان الله امتلاً قلبه رحمة بها قال والله لا أطلقها ماشي الحال، الله عز وجل فتح على هذا الشاب بعمله شيء لا يصدق، أراد أن يجبر خاطرها الأم مصرة على التطليق وهو مصر على أن يبقيها زوجة له مع أنه يوجد خطأ من الزوجة خطأ منها في نوع من الغش لكن لا تعرف إنساناً الله يكرمه بسبب ما، بحسنة ما، بعمل طيب مع من، دائماً إن الله يأمر بالعدل والإحسان، العدل أحياناً يكون محققاً لكن أنت مطلوب الإحسان أحياناً العدل يقتضي أن تطلقها.

قصة أرويهما لكم دائماً وأنا تأثرت بها كثيراً القصة بدايتها أن خطيب مسجد في أحد أحياء دمشق هكذا القصة تروى رأى في المنام رسول الله عليه الصلاة والسلام قال النبي الكريم لهذا الإنسان أبلغ جارك فلان أنه رفيقي في الجنة، هو الخطيب والبشارة لغيره، طرق باب جاره فاستحلفه بالله أن يقول له ماذا فعل مع الله حتى استحق هذه البشارة، تمنع الجار فلما أصر عليه وأغراه ببشارة من رسول الله هكذا القصة أنا أنقلها من دون تعليق، من دون معرفة، قال له و الله تزوجت هذه المرأة و بعد أشهر خمسة من الزواج كانت حامل بشهرها التاسع، قال له بإمكانني أن أطلقها، بإمكانني أن أفضحها، بإمكانني أسحقها، بإمكانني، بإمكانني، تكلم له عن كل الاختيارات، لكن

أردت أن أتقرب إلى الله بسترتها فأحضر لها قابلة بالليل و ولدها، و حمل الطفل تحت العباءة و دخل إلى جامع حيه بعد أن نوى الإمام دخل في الصلاة وضع الغلام وراء الباب و صلى، فلما انتهت الصلاة بكى الطفل الصغير و تحلق المصلون حوله و جاء هو كإنسان عادي قال ما المشكلة ؟ قال تعال انظر طفل، قال أنا أكفله أعطوني إياه فحمله و أعاده إلى أمه و سترها، أحياناً ما كل قضية تحل بالعدل يوجد قضايا تحل بالإحسان، عندك آلاف المواقف لك أن تقيم العدل و أن تسحق الآخر و يوجد مواقف أرقى أي اللهم صل على سيدنا محمد عندما جاء ملك الجبال و قال للنبي الكريم لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين و أهانوه و كذبوه و هو نبي كريم، و سخروا منه و ضربوه، لو قال له افعل لا شيء عليه بدؤوا بالإساءة، و لكنه قال اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون، ما تخلى عنهم و اعتذر عنهم و تمنى أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد.

فأنت عندما ترى الطرف الآخر تتمنى أن تسحقه أنت إذاً بعيد عن الإيمان، إذا كان لك عدو لدود يا رب ابعث له مصيبة يبرك بها، لا يا رب ادهه، ادع له بالهدى، و يوجد حالات كثيرة جداً الإنسان اهتدى إلى الله، فالله عز وجل قلب أخلاقه قلباً آخر، صار عنده رحمة، صار عطف، صار عدل، و هكذا.

فأرجو الله عز وجل أن يسهم هذا الدرس في تمكين العلاقات مع زوجاتنا، و في البحث عن الأخطاء و معالجة هذه الأخطاء، و الاعتقاد أن العلاقة الزوجية الصحية علاقة مسعدة و مثمرة و لها آثار إيجابية في الحياة.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (100 - 127) : تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-01-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: مع حديث شريف أخرجه الإمام البخاري ومسلم في كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم: عن حُدَيْفَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْداً عَوْداً فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَصُرُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ ))

[ متفق عليه ]

أيها الإخوة الكرام: وجدت هذا الحديث ينطبق أشد الانطباق على آخر الزمان، يقول عليه الصلاة والسلام: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم. فتن لا تعد ولا تحصى، والفتنة شيء يدعوك إلى معصية فإما أن تنتصر وإما أن تفتن بهذه المعصية، والفتن في الشهوات وأول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، واتقوا فتنة النساء، فالمرأة فتنة معنى فتنة يمكن أن تدفعك إلى معصية الله، والمال فتنة يمكن أن يقودك حب المال إلى أن تأكله حراماً، والولد فتنة يمكن من أجل أن تتباهى به أن تدفعه إلى طريق النار، والبنت فتنة يمكن أن تعطيها مرادها من دون محاسبة فتكون طريقاً لك إلى النار، والمكانة فتنة حفاظاً على المكانة قد يسلك لإنسان طريق النار، الفتن لا تعد ولا تحصى كل الشهوات التي أودعها الله في الإنسان هي فتن، لكن معنى فتنة بأعمق تفسير امتحان تتجح أو ترسب، تتجح إذا انتصرت على نفسك وترسب إذا أغوتك هذه الفتنة قال تعالى:

## ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾

[ سورة طه: 40 ]

انتصر سيدنا موسى على نفسه، فإذا كل الناس ممتحنون، كل الناس يفتنون، كل الناس يبتلون فإما أن ينجحوا وإما أن يسقطوا، إما أن ينتصروا على أنفسهم وإما أن تغلبهم شهواتهم فيسقطوا من عين الله، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

ونحن في زمن الفتن وسلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته إن مشيت في الطريق فأنت في فتنة، وإن طالعت مجلة من دون تدقيق فأنت في فتنة، وإن فتحت موقعاً معلوماً فقد تقع في فتنة، وإن شاهدت محطة قد تقع في فتنة، إن كل شيء حول الإنسان اليوم فيه فتنة، فيه ما يصرفه عن طاعة الله، فيه ما يرغبه بمعصية الله، فيه ما يدفعه إلى الهلاك، فيه ما يزين له الدنيا، فيه ما يضع أمامه العقبات، نحن في زمن الفتن والبطل هو الذي ينجو من الفتن هو الذي يتوفاه الله على إيمان لذلك ورد أنه: وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده أو إقتاراً في رزقه أو مصيبة في ماله أو ولده حتى أبلغ منه مثل الزر فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه.

نحن في زمن الفتنة وسلامة الرجل في الفتنة أن يلزم بيته، هو الحصن الوحيد أن يلزم بيته ومسجده، وقد قال بعض المفسرين:

## ﴿ فَأُوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) ﴾

[ سورة الكهف: 16 ]

ولعل بيتك الذي تعبد الله فيه ولعل مسجدك الذي تتلقى منه العلم ومن إخوانك المودة هو ما يحصن الإنسان من الفتنة.

عن حُدَيْفَةَ سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا.... ))

هناك فتن في كسب المال، هناك فتن في إنفاقه، هناك فتن في البيع والشراء، هناك فتن في غش المسلمين، والله باب الغش لا يعد ولا يحصى، أنواع الغش كثيرة هناك فتن في وسط البيت وأنت في البيت هناك فتن، هناك فتن في غرفة النوم، هناك فتن في غرفة الجلوس، هناك فتن في غرفة الاستقبال، هناك فتن في الطريق، هناك فتن في مطالعة الكتب، هناك فتن في الشاشة، هناك فتن في المذياع، هناك فتن في كل أحوال الإنسان، قال تعالى:

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)﴾

[ سورة المؤمنون: 30 ]

شاءت حكمة الله أن يكون الإنسان مبتلى في الدنيا والفتنة هي الامتحان وأنت ممتحن دائماً ممتحن فيما أعطاك وممتحن فيما زوى عنك والبطولة أن تتجح في هذه الفتن، المرأة فتنة فإذا استعدت بالله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)﴾

[ سورة النساء: 76 ]

﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ (28)﴾

[ سورة يوسف: 28 ]

كيد الشيطان ضعيف وكيد المرأة عظيم، لأن لك حاجة عند المرأة، لأنك مفنقر إلى الطرف الآخر، هذا الافتقار قد يملكك على معصية الله، فلذلك أنت حينما تبعد عن أسباب الفتنة تتجو منها، أما إذا دخلت في أسبابها في الأعم الأغلب تقع فيها.

يعني تيار كتب عليه من بعيد ممنوع الاقتراب لمسافة عشرة أمتار من التيار عالي التوتر هذا التيار عالي التوتر يمكن إذا وصل الإنسان إلى عشرة أمتار قبله أن يجذبه وأن يحرقه فإذا أردت أن تكون آمناً من هذه الفتنة ينبغي أن تدع بينك وبينه هامش أمان، وهذا معنى قوله تعالى:

## ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾

[ سورة البقرة: 187 ]

أما إذا سولت لك نفسك أن تقتحم حرم هذا الخط الكهربائي عالي التوتر ففي الأعم الأغلب سيأخذك، ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. الخلو بالمرأة تجاوزت الخط الأحمر، الخلو بالمرأة تجاوزت حرم هذه الفتنة، صحبة الأراذل تجاوزت الخط الأحمر، أن تملأ عينيك من الحرام تجاوزت الخط الأحمر، هناك طرق لا تعد ولا تحصى كلها تجاوزات في الخط الأحمر ومن تجاوز الخط الأحمر هو معرض لهذه الفتنة.

لذلك الآية تأتي أحياناً، قال تعالى:

## ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا ﴾

[ سورة الإسراء: 32 ]

ليس في القرآن نهى عن الزنا بل فيه نهى عن أن نقرب من الزنا، يحميك الله عز وجل ما دمت بعيداً عن الخط الأحمر الذي قبل المعصية، فلذلك في آخر الزمان

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا... ))

فالحصير أحياناً أعواد كثيرة جداً قد تزد عن ألف عود وتشبيهه دقيق جداً.

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا... ))

فتنة في المال فتنة في القرض بفائدة، فتنة إقراض الإنسان مع انتظار هدية مع انتظار ميزة، مع انتظار منفعة، هذه فتنة، الاختلاط فتنة، تحب طبعاً يغطي هذا الكلام أن جمع الأسرة جمع شتاتها، في شابات هن أجنبيات بالنسبة إليك وفي حفل وفي لقاء أسري وفي طرف تلقى وفي تعليقات وفي غمز ولمز الاختلاط فتنة، الصحون فتنة، الإذاعة بأغانيتها فتنة أحياناً، المجالات بما فيها من صور فتنة يعني لو ذهبنا نعدد الفتن قد لا ننتهي لكن النبي عليه الصلاة والسلام في أصح الأحاديث فيما أخرجه البخاري ومسلم يبين عليه الصلاة والسلام أن كل الفتن تعرض على القلوب واحدة

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا ... ))

تعلق بها، مال إليها، أحبها، استلطفها، ركن إليها، تعلق بها،

(( فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ... ))

صار فيه نقطة سوداء في القلب، هو القلب مجموع نقاط تسود بعضها هذه الفتنة الإنسان لم ينجح بها إذا نكتت فيه نكتة سوداء.

بالمناسبة لو أن الإنسان ترك صلاة الجمعة ثلاث مرات متتاليات نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا تابع ترك الجمعة ثم يكون الران ثم تلا النبي عليه الصلاة والسلام قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. فأبي قلب أشربها يعني إذا أشرب فتنة واحدة كل فتنة تحتل في القلب مكان هذا المكان إما أن يكون أبيضاً بتركها وإما أن يكون أسوداً بفعلها.

المرأة لها مكان في القلب مكان المرأة في القلب نقطة بيضاء منيرة تزوج فقط أخذ من الشهوة ما سمح له منها، بقية الله خير لكم.

((... فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ... ))

ببعض البلاد المتقدمة مخالفت للسير ما في لكن أي مخالفة تحسب له من إجازة القيادة، نقطة البطاقة كلها اثنتا عشرة نقطة ارتكب مخالفة ثبتت نقطة سوداء والمخالفة الثانية نقطة إلى أن تملأ ساحة هذه البطاقة بالنقاط السوداء تسحب منه الإجازة ويمنع أن يقود مركبة لمدة ستة أشهر ثم لمدة سنة ثم يمنع أن يقود السيارة كلياً في هذه البلاد.

القلب فيه نقاط كل فتنة أشربها القلب نكتت فيه نكتة سوداء، لكن في كلام لطيف ببعض البلاد إذا ارتكب مخالفة سير جاءت هذه المخالفة على صحيفته فأبي إنسان أراد أن يستخدمه أن يعينه موظفاً يطالبه بصفحته الاجتماعية كل أخطائه المدنية في هذه الصفحة لكن في مجموعة مخالفت إذا مضى عامان ولم تتكرر تمحى آلياً، يعني إذا إنسان أخطأ ولم ينجح في امتحان بعض الفتن وتاب منها توبة نصوحة أنا أعتقد أن خالق الأكوان يحوها عنه بعد حين.

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ ... ))

هذا القلب مجموعة نقاط إما أنها بيضاء منيرة أو سوداء مظلمة، فالفتنة التي تنتصر نفسك عليها نكتة بيضاء متألفة منبع ضوئي والفتنة التي غلبت عليها مكانها في القلب نقطة سوداء مظلمة، بعد الممارسات والحركة بالحياة والانطلاق إلى العمل والعودة إلى البيت أول يوم وثاني يوم والخميس والجمعة وأول أسبوع وثاني أسبوع وشهر تلو الشهر تتراكم النقاط البيضاء أو تتراكم النقاط السوداء فإذا تراكمت النقاط البيضاء. قال:

((... حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أْبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا... ))

هذا القلب أبيض منور بنور الله يكبر ولا نرى كبره فيتضاءل أمامه كل كبير ويسود وقد لا نرى اسوداده فيتعاظم عليه كل حقير.

((... حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أْبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ... ))

سبحان الله الانتصار على النفس يقود إلى انتصار والانتهزام أمام النفس يقود إلى انهزام، الإنسان طبيعته حركية ديناميكية وليست سكونية فأول خطوة إيجابية تقوده إلى خطوة إيجابية، هذا المعنى أشار النبي عليه الصلاة والسلام إليه حينما سأله أحد أصحابه قال يا رسول الله ماذا ينجي العبد من النار؟ قال إيمان بالله، جاء السؤال الثاني مع الإيمان عمل؟ قال أن يعطي مما رزقه الله، قال: فإن كان لا يملك، قال فليأمر بالمعروف ولينهى عن المنكر قال فإن كان لا يحسن، قال فليعن الأخرق، قال فإن كان لا يستطيع؟.

يعني ليس معقول ولا ميزة له الإنسان كان السؤال صار مطرح، قال: فليكيف أذاه عن الناس، فجاء السؤال الأشد إخراجاً، قال أو إن فعل هذا دخل الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد مسلم يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة.

الإنسان طبيعته حركي يعني إذا كف أذاه عن الناس هذا الكف عمل طيب، نقله إلى أن يعين الناس في حاجاتهم فإذا أعان الناس في حاجاتهم هذا العمل الطيب نقله إلى أن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، الآن ما تكلف شيئاً فإذا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر هذا العمل ينقله إلى أن يعطي مما أعطاه الله، لذلك خطوة

نحو المعصية تقود إلى معصية أشد وخطوة نحو الطاعة تقود إلى طاعة أشد، لذلك ابن القيم رحمه الله تعالى قال من جاءتته خاطرة. يعني أضعف شيء ممكن أن يرد إليك خاطرة قال: فإن أهملها انقلبت إلى فكرة، الفكرة أوضح فإن أهملها انقلبت إلى رغبة، صار فكرة انتهت إلى رغبة، فإن أهملها أصبحت شهوة، الشهوة أقوى فإن أهملها أصبحت إرادة فإن أهملها أصبحت فعلاً فإن تابعه أصبحت عادة.

هو أصعب شيء أن يدع الإنسان عاداته، لذلك حينما قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾

[ سورة النساء: 17 ]

معنى ذلك أنه ينبغي أن تقلع عن المعصية فور وقوعها ولا أن تمهل حتى تنقلب هذه المعصية إلى عادة، هذا المعنى جاء في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

[ سورة الحديد: 16 ]

طال عليهم الأمد في المعاصي فقسست قلوبهم.

((... حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ...))

يعني الإنسان حينما ينتصر يقوده انتصاره على نفسه إلى انتصار آخر ولا شيء كالنجاح لأنه يقود النجاح إلى نجاح آخر، أحياناً إنسان يفتح محل ينجح نجاحاً كبيراً فرع ثاني فرع ثالث فرع رابع فرع خامس في كل مكان في العالم النجاح يقود إلى النجاح والانتصار على الذات يقود إلى انتصار أشد والإنسان حركي وليس سكوني.

يزداد إيماناً يزداد تألقاً يزداد قوة على نفسه يزداد ثباتاً على الحق فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،

((... أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا... ))

يعني لونه كلون الغبرة في ألوان قذرة، في ألوان هي الحقيقة ليست ألوان لكن تراكم التراب مع الطين مع الزيت مع الدخان ترى البناء لونه قذراً، لون منفر، لون مخرش، قضية الألوان قضية مهمة جداً في ألوان توحى بالراحة في ألوان توحى بالاتساع البيت الصغير قد يطلى بلون سماوي هذا يوحي بالاتساع والبيت البارد يطلى بلون حار اللون السكري يوحي بالدفء والإنسان الذي طوله محدود يجب أن لا يلبس مربعات يقصر أكثر، يجب أن يلبس مقلم تقليمة ناعمة فقضية الألوان قضية لها تأثير كبير جداً، القلب الأبيض كما قال عليه الصلاة والسلام: أبيض مثل

((الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِئْتَنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا...))

لونه بلون الغبرة قال تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾

[ سورة المطففين: 14 ]

وسبحان الله هذا شيء لا يتخذ مقياساً لكن ترى في وجه صافي في وجه مشرق في وجه متألق في وجه عليه غبرة في وجه أسود وبالنهاية في نهاية النهاية يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

لي صديق يعمل قاضياً للتحقيق في قصر العدل مرة زرته وجدت أمامه إنساناً والله له وجه والعياذ بالله أسود كما قال النبي مرباد كان قاتل يحقق معه، فتح الباب ودخل صديق القاضي ومكلفه بخدمة وأنجز له إياها وجه متألق هكذا وازنت بين الوجهين أين الثرى من الثريا. يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((تَرَكْتُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ))

[ الترمذي، أبو داود، أحمد، ابن ماجه ]

البياض لون ثياب أهل الجنة واللون الأسود يوحي أحياناً بالبعد عن الله عز وجل.

((... وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مَجْخِيًا ... ))

الكوز إناء إذا أملت الإناء الماء يندلق منه فيصبح فارغاً، فلما القلب الذي هو منظر الرب، الذي هو مهبط تجليات الله، الذي هو مكان أنوار الله إذا مال إلى الدنيا، تصور النور خرج منه صار قلب كالكوز مجخياً، ما صفات هذا القلب؟ قال:

((... لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا... ))

أيها الإخوة: من أروع ما في كلمة معروف أن الفطر السليمة تعرفه ومن أروع ما تعنيه كلمة المنكر أن الفطر السليمة تنكره ما دام قلبك ينكر المنكر على سجيته من دون تعليم، ما دام قلبك ينكر المنكر على سجيته فهذه نعمة كبرى، وما دام قلبك يعرف المعروف على سجيته فهذا عمل عظيم، يعني قلبك سليم يعني قلبك لم يشوه يعني فطرتك سليمة لم تطمس مادمت تعرف المعروف معروفاً وتكر المنكر إنكاراً، لكن كما حدثنا النبي عليه الصلاة والسلام قال: كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، المعروف موجود ومعروف أنه معروف لكن في تقصير لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، قالوا أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال وأشد منه سيكون، قالوا وما أشد منه؟ قال كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، المنكر موجود لكنكم أمرتم بالمنكر بدافع من شهواتكم ونهيتكم عن المعروف لأن المعروف يقيد حركاتكم، قالوا أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال وأشد منه سيكون، قالوا وما أشد منه؟ قال كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً. أخطر حالة هذه الحالة أن تتبدل القيم أنت حينما تحسن تتهم بعقلك، حينما تمتنع عن قبض ورقة يا نصيب لأن هذا الدخل حرام تتهم بعقلك، حينما تمتنع عن سفر إلى بلاد يضيع فيها دينك تتهم بعقلك، حينما تمتنع عن أخذ مال تحل به كل مشكلاتك لكن فيه شبهة فنقول معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين تتهم بعقلك.

من هنا أخطر حالة يعيشها المسلمون اليوم أن المنكر معروف والمعروف منكر ومن أدق أدعية النبي عليه الصلاة والسلام اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، هذا القلب مهبط تجليات الله كان هذا القلب ممتلئاً بنور الله لأن الطاعة تملأ القلب نوراً، من علامات المعصية أنها تذهب النور من الوجه والقلب فهذا القلب كالكوز مجخياً لما مال إلى الدنيا خرج منه نور الله عز وجل، الآن ما صفات هذا القلب؟

((... لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا...))

يقول لك عادي باللغة الدارجة الفتاة جلست بأبهي زينتها أمام صديق زوجها يقول لك عادي، ممكن أن تفعل المرأة كل شيء عادي، ممكن أن تلتقي بأي إنسان عادي، ممكن أن تأكل كل شيء عادي، يعني إنسان متمسح

((... لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا...))

الآن علامة المؤمن أن الذنب عند المؤمن كالجبل جاثمٍ على صدره علامة المنافق أن ذنبه كالذبابية أمام أنفه، الآن الذنب كلما صغر في عين الإنسان كبر عند الله قال تعالى:

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)﴾

[سورة النور: 15]

وكلما كبر عند الإنسان صغر عند الله، العلاقة بين رؤيتك للذنب وبين حجم الذنب عند الله علاقة عكسية يعظم الذنب عندك يصغر عند الله، يصغر عندك يكبر عند الله لهذا قال عليه الصلاة والسلام لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

((.. وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مَرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ ))

قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الفرقان: 43]

في سفر بعيد التقيت مع أخ طيب له ابن قال لي هذا الابن أهلكني يا بابا حرام واي حرام، يا بابا هذا عيب واي عيب، هذا الكوز مجحياً، انتهى، الحقيقة علامة إيمانك بعلاقتك بالذنب من هنا قال عليه الصلاة والسلام لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، هل معنى هذا الحديث أن نسارع إلى الذنب؟ مستحيل وألف مستحيل، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون، يعني لو لم تذنبوا، يعني لو لم تحسوا بذنوبكم، فلان لعله مات يأتي الطبيب يضع يده على النبض يقول ما في نبض أبداً معناها مات في علامة ثانية يأتي بمرآة يضعها أمام أنفه ما في بخار ماء

أبداً معنى هذا أنه ميت في علامة الثالثة يأتي بمصباح شديد ويضعه على يَبْوِ العَيْن ما تقلصت يقول لهم عظم الله أجركم، هذا ميت.

والحقيقة الإنسان إذا ما أنكر منكراً ولا أمر بالمعروف ما تأثر بمنكر فعل الذنب ولم يتأثر انتهى عند الله عز وجل، هذا معنى لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون معنى يذنبون إذا أذنبوا ليكون يستغفرون يصححون أخطاءهم، نعيد الحديث مرة أخيرة.

عَنْ حُدَيْفَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(( تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْيَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ))

[ متفق عليه ]

ولاحظت ملاحظة أن الإنسان إذا أقام إقامة دائمة مع المتقلتين مع العصاة مع المذنبين كلما مضى أسبوع يقبل معصية لهم ويهضمها وفي النهاية يفعلها وفي النهاية يدافع عنها وفي النهاية يأمر بها، يقبلها يستحسنها يعذرهم بهذا يفعلها معهم يدافع عن نفسه إذا اتهم ثم يأمر بها لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾

[ سورة هود: 113 ]

لذلك من أقام مع المشركين برأت منه ذمة الله. لأنهم ينقلونك إلى سلوك ليس إسلامياً ولا تألفه أنت، أيها الإخوة: هذا الحديث لعله ينطبق على المسلمين اليوم أشد الانطباق وما لم يبادروا إلى بيوتهم أو مساجدهم وما لم يلزموا دروس العلم وما لم تشحن نفوسهم شحنة روحية عالية لن يستطيعوا مقاومة الفتن التي في هذا الزمان، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (101 - 127) : القانون فوق الجميع - لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت

### يدها

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 09-01-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: لازلنا في شرح بعض الأحاديث الشريفة من كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، وقبل أن نبدأ بشرح الحديث الذي هو محور هذا الدرس لابد من مقدمة أحياناً نستورد بعض القيم الغربية، فهناك في الغرب يقولون القانون فوق الجميع والحقيقة أن أحد أسباب قوة هؤلاء القوم أن القانون فوق الجميع، وأن الناس جميعاً متساوون أمام القانون وأن هذا يعطي الإنسان شعوراً بالمساواة يدفعه إلى تحقيق أهدافه التي رسمها، ولا ينكر أن كل إيجابيات العالم الغربي القوي وأنا أعني ما أقول إنما هي إسلامية لأنهم يعبدون المال من دون الله، كسب المال يحتاج إلى طاقة بشرية عالية جداً، فبينما تجد في بلاد نائمة الإنسان يعمل من سبعة عشر دقيقة إلى سبعة وعشرين دقيقة في اليوم تجد الناس هناك يعملون من ست ساعات إلى ثماني ساعات بالتمام والكمال، لذلك تجد شركة قوام عمالها أربعون ألفاً أرباحها تساوي الدخل القومي بأكمله لشعب يعد سبعين مليوناً.

الإنسان متى يعمل ؟ حينما تعطيه رغيف خبزه وكرامته يقدم لك كل شيء، أعطي الإنسان رغيف خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء، لكن نحن لضعف معرفتنا بهذا الدين العظيم كلما سمعنا قاعدة اجتماعية أخلاقية نؤخذ بها ونعجب بها ونترنم بها، مع أنه في ديننا أقوى منها، اليوم قضية القانون فوق الجميع وردت في حديث صحيح في كتاب الترغيب والترهيب رواه الإمام البخاري ومسلم معاً وإذا اجتمع البخاري ومسلم فصحة الحديث تأتي في القمة: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ فُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ

أَسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ ثُمَّ قَامَ فَخَصَّ طَبَّ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا ))

[ متفق عليه ]

امرأة من بني مخزوم وبنو مخزوم قوم لهم مكانة كبيرة في المجتمع القرشي امرأة منهم سرقت فقريش أهمها شأن المخزومية، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كان يحبه حباً جماً. فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا ))

هل من كلام أبلغ من هذا الكلام؟ لو أن فاطمة ابنته، وكل أب يعلم كم هي البنت غالية عليه

((.. لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتَ يَدَهَا))

وإذا قال هذا الكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ليس كلاماً كما يقال الآن للاستهلاك المحلي هو حق، بالمناسبة أي شيء يقوله عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يكون من ثقافته ولا من معطيات بيئته ولا من اجتهاده بل هو وحي يوحى، الحقيقة الحياة التي عاشها النبي حياة بسيطة لو أن تشريعات الإسلام أخذت من هذه الحياة لم تستطع أن تغطي العصور البالغة التعقيد، لكن لأن كلام النبي عليه الصلاة والسلام إن هو إلا وحي يوحى فهذا مبدأ، الآن دققوا:

((... إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ.. ))

معنى ذلك أنه إذا أقيم الحد على الضعفاء ولم يقيم على الأقوياء تعد هذه التفرقة سبباً لهلاك الأمة، ولقد أكد النبي عليه الصلاة والسلام أن هلاك العرب من علامات قيام الساعة ليس هلاك استئصال لكن هلاك ضعف كما ترون، هذا المليار والثلاثمئة مليون ليس أمرهم بيدهم وليس القرار بيدهم ولا يملكون تحريك ساكن في الأرض ولا

أحد يصغي إليهم غضبهم ورضاهم سواء عند أعدائهم هذا هو الهلاك لكن ليس هلاك استئصال إنما هو هلاك  
ضعف لأنه: عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( يُوْشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قِضْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قَلْبِهِ بِنَا  
يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ عُتَاءً كُفْتَاءَ السَّيْلِ يَنْتَرِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ  
الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ))

[أحمد، أبو داود]

نحن نعلم أيها الإخوة الكرام: أن الإنسان قد لا ينتصر في معركة لكن عدم انتصاره في معركة لا يعني أنه خسر  
الحرب، الحرب مجموعة معارك لكن حينما يهون أمر الله علينا نهون على الله، قلت مرة وأنا أعني ما أقول ولكل  
كلمة معنى دقيق لا تستطيع قوة على وجه الأرض مهما طغت وبغت أن تفسد على الله هدايته لخلقه ولكن الله  
يسمح من أقوياء أن يهددوا المؤمنين من أجل ماذا؟ من أجل أن يمتحنهم قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)  
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران: 173-174]

أيها الإخوة الكرام: بقي شيء هذا الدين دين الله ولا يمكن لقوة مهما طغت وبغت أن تلغيه ولو سمعتم ما سمعتم  
من إلغاء القرآن الكريم وإحلال الفرقان الحق مكانه ومن إلغاء التعليم الشرعي هذا كلام سمح للطرف الآخر أن  
يقوله لكن لن يستطيع أن يفعله لأن هذا الدين دين الله، إذا ينبغي أن لا نقلق على هذا الدين لأنه دين الله إذا  
ينبغي أن نقلق على أنفسنا فيما إذا سمح الله لنا أو لم يسمح أن نكون جنوداً له، لكن الآن دققوا إذا هان أمر الله  
علينا هنا على الله هذا ملخص الملخص لو سألتني أن أضغط ما يجري في العالم الإسلامي كله من مآسي ومن  
قتل ومن تدمير ومن إذلال لما زدت عن هذه المقولة هان أمر الله على المسلمين فهانوا على الله.

إذاً حينما نقيم الحد على الضعيف ولا نقيمه على القوي يعد هذا سبباً لهلاك الأمة لا أعني هلاك استئصال كإهلاك عاد وشمود ولكن أقول هلاك ضعف وهذا الذي نحن فيه هو من هذا السبب، بالتعبير المعاصر الغربي القانون فوق الجميع، أما بالتعبير الإسلامي

((... إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ  
الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

أيها الإخوة الكرام: أنا مضطر أن أبين بعض الحقائق المرة ولو أنها مرة إنقاذاً للحقيقة، أي إنسان حينما يتوهم نفسه فوق البشر يعني تاجر هو ينبغي أن يأكل ما يشتهي أما الذين حوله ينبغي ألا يأكلوا، حينما تميز نفسك على إخوانك فأنت لا تعرف الله ولست إنساناً بالمعنى الصحيح، إنسان عنصري، إليكم الدليل سيد الخلق وحبیب الحق سيد ولد آدم سيد الأنبياء والمرسلين نبي هذه الأمة زعيم هذه الأمة قائد الجيش في معركة بدر كانت الرواحل قليلة ثلاثمئة راحلة وكان الأصحاب يقتربون من ألف فالنبي قال كل ثلاثة على راحلة وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة، قائد الجيش زعيم الأمة نبي هذه الأمة رسول هذه الأمة سيد المرسلين يقول: وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة. هذه النبوة، لما دخل سيدنا عمر على النبي عليه الصلاة والسلام وقد اضطجع على حصير فأثر في خده الشريف بكى عمر قال يا عمر ما يبكيك؟ قال رسول الله ينام على الحصير و كسرى ملك الفرس ينام على الحرير؟ في ثلاث روايات لإجابة النبي عليه الصلاة والسلام أول رواية قال له يا عمر إنما هي نبوة وليست ملكاً، أنا لست ملكاً، الرواية الثانية: أما ترضى أن تكون الدنيا لهم والآخرة لنا؟ الرواية الثالثة: أفي شك أنت يا عمر؟.

أيها الإخوة الكرام: كلام دقيق جداً يمكن أن يمارس كل يوم ضمن مجتمعنا المحدود سمعت عن إنسان تاجر عنده صانع يتيم هذا الصانع غير متعلم تاقت نفسه للعلم وهذا الذي يأخذه من سيده يغطي به نفقة أمه وأخواته رجا صاحب المحل أن يغادر المحل قبل ساعة واحدة ليتابع تحصيله العلمي في مدرسة ليلية، رفض يقول هذا التاجر لصديق له: هذا يتيم لو تعلم بالتعبير العامي يفسد، دعه أمياً حتى يعمل عندنا دائماً، ابن هذا التاجر دفع له دروساً خاصة صدقوا مليون ليرة، يريد ابنه طبيباً أما هذا الذي اليتيم الذي عنده ينبغي ألا يتعلم هذا وسمحوا لي بهذا التعبير القاسي لو وضع عبادته في حاوية لما أخطأ، في حاوية هذه العنصرية أن تتمنى أن تعيش وحدك أن تأكل وحدك أن تتمتع في الحياة وحدك، قد تجد هذه النفسية بإنسان عادي دعك من الكبار لإنسان

عادي، لذلك عليه الصلاة والسلام قال وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة.

أمر ركب النبي عليه الصلاة والسلام الآن جاء دوره في المشي سوف يمشي توسلا صاحبا أن يبقى راكباً بماذا قال ؟ والله قال جملة لو أرددها مئات المرات لا أشبع منها قال: ما أنتما بأقوى مني على السير ولا أنا بأغنى منكم على الأجر، أنا أريد أجر المشي، هذا الإسلام بهذه القيم وصلنا إلى أطراف الصين وإلى أطراف باريس وحينما نمت عندنا مشاعر الاستعلاء مشاعر يجب أن أكل كل شيء أنا فقط أما الآخرون لهم الله، قال تعالى:

﴿ أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾

[ سورة يس: 47 ]

هذه مقولة الكفار، كان مع أصحابه في سفر وأرادوا أن يعالجوا شاةً فقال أحدهم علي ذبحها، بمكان واحد الذي لم يذهب إلى بلاد الحجاز لا يعرف معنى هذه الأحاديث، العبد الفقير في أول عمرة ذهبت إلى هناك عرفت ماذا يعني الحر ؟ ماذا يعني الخمسة وخمسين الحرارة ؟ الطرقات كأن التجول منع بها الحركة في الطريق بهذا الحر لا تحتتمل، نحن قرأنا في السيرة من مكة إلى المدينة للهجرة انطلق إلى المعركة الفلانية، الواحد يتصور أنه انطلق من دمشق إلى حمص عشرين ثمانية عشر خمسة عشر أما خمسة وخمسين لا تشتهي شيئاً هناك إلا المكيف فقط، الذي سافر إلى بلاد الحجاز والحر مرتفع لا يشتهي شيئاً فأول صحابي قال علي ذبح الشاة وقال الثاني علي سلخها وقال الثالث علي طبخها فاختار النبي عليه الصلاة والسلام أصعب عمل قال وعلي جمع الحطب، تحت الشمس قالوا نكفيك ذلك يا رسول الله قال أعلم أنكم تكفونني ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه.

هذا الإسلام بهذا الإسلام وصلنا إلى أطراف الدنيا، يدخل أعرابي يقول أيكم محمد ؟ محمد سيدنا محمد، ليس له مكان خاص أبداً ما له ثياب خاصة أبداً، أيام ترى على رجال الدين ثياب ليست معقولة ولا بشكل بهذه النفسية المتواضعة معقول الأسرة أن يطعموا أطيب الطعام وأن يأكل الصحابة أوداه ؟ معقول أن يخلع النبي عليه الصلاة والسلام قميصه ليلبسه لأسير وكلمة أسير تعني ماذا يعني الأسير في أبو غريب، والله الذي لا إله إلا هو الذي مورس مع الأسرى كيف وضعوا في مهاجع نساء ورجال عراة وكيف أمروا أن يفعلوا والله لا يليق هذا المقام بتفاصيل ما جرى في هذا السجن وكان أصحاب النبي يطعمون الأسرى أطيب الطعام ويأكلون أوداه هذا هو الإسلام وأعيد وأكرر والله الذي لا إله إلا هو لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه الآن والله ما خرج من

مكة ولما وصل إلى المدينة أما أن يصل إلى أطراف الدنيا بالعدل، هذا الحديث أيها الإخوة الكرام لو لم يطبق لكان سبب هلاك الأمة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبَلَكُمُ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمِ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ))

كان في رجل توفي رحمه الله كان يعمل في منصب حساس في وزارة التربية مدير امتحانات خدمته كانت في الشهادة الإعدادية طبعاً كل من حوله يتمنون نجاح ابنته بعد التصحيح وفتح الأوراق نقلوا له أن علامتها في اللغة العربية تقل عن علامة النجاح وهذه المادة مادة مرسبة، والعادة إذا في إنسان مظلوم في الامتحان في طريقة أنهم يأتون بقطعة ورق مقوى يغطي بها أعلى الورقة والهوامش كلها يعني يلغى العلامة حتى تفاصيل العلامات على الهوامش قطعة ورق مقوى توضع والورقة ويعاد تصحيحها فجاء ببلجنة نزيهة وقدمت لها هذه الورقة دون أن تعلم من صاحبة هذه الورقة فنالت زيادة على علامة النجاح عشر علامات وامتنع عن أن ينجح ابنته ونشب خلاف بينه وبين زوجته كاد يؤدي بها إلى الطلاق، هو يقول لماذا لا يتاح لكل طالبة ظلمت في هذه المادة أن يعاد تصحيح ورقتها وابنتي كتلك الطالبات في هذا الامتحان.

أقول لكم أيها الإخوة الكرام: الإسلام لا ينتشر إلا بالعدل لا ينتشر إلا بالقيم فإذا أردت أن يخرج الناس من دين الله أفواجاً مارس شعائره فقط اعمل جوامع وصلوات وزخارف ومؤتمرات وكتب ومؤلفات وإياك أن تطبق الإسلام، إن أردت لهذا الإسلام أن ينتشر في الآفاق طبق فعل أصحاب رسول الله، عدل، تواضع، رحمة، خدمة، أن يرى النبي عليه الصلاة والسلام تمر على السرير يقول يا عائشة والله لو أن أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها نبي كريم يحاسب نفسه على تمر؟ تمر فقط وهو بيده كل هذا المجتمع، لما مثلوا بعمه الحمزة قيل له مثل بهم قال والله لا أمثل بهم فيمثل الله بي ولو كنت نبياً.

أيها الإخوة الكرام: عظمة هذا الدين أن الله لا يقرب المؤمن إلا إذا كان مستقيماً أما الأقوياء يقربون كل من أعلن

ولأنهم له، أما الله ﷻ ملك الملوك لا يقرب عبداً ساهم بإيذاء إنسان يحجبك فوراً صل ما شئت مادام في إيذاء أنت محبوب عن الله عز وجل، والذي ذاق طعم القرب من الله لا يقلقه إلا الحجاب عن الله عز وجل، الذي ذاق طعم القرب من الله يرى أن أعظم عقاب على الإطلاق أن يكون محبوباً عن الله، أيها الإخوة الكرام: لا يوجد حل أمامنا إلا أن نعيد هذه القيم، كلكم يعلم أن العصور تعورها اتجاهات متباينة يعني مثلاً في عصر المبادئ هذا عصر النبي عليه الصلاة والسلام وعصر الصحابة الكرام وعصر التابعين، ملك يأتي يعلن إسلامه ثم يطوف حول الكعبة ويدوس بدوي طرف رداءه يلتفت نحوه وهو ملك يضرب هذا البدوي ضربة هشمت أنفه، بدوي ليس له إلا أمير المؤمنين توجه إليه وشكا جبلة إليه، معقول سيدنا عمر يضحى بملك ولا يضحى بمبدأ قال له أرضي الفتى لا بد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك، قال كيف ذلك يا أمير هو سوقة وأنا عرش وتاج كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً، قال له نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً قال كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز أنا مرتد إذا أكرهتني، قال عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبيه كل صدع فيه يداوى وأعز الناس بالعبد بالصلوك تساوى.

هذا عصر مبادئ يأتي وقت عصر أشخاص الشخص هو كل شيء نزواته تشريع تصبح وفي عصر، عصر أشياء ترى الإنسان يقول لك ( ب أم ) يسيخ، والله قال لي واحد يعمل في الميكانيك قال لي أتمنى أن تدهسني.

( ب أم ) شرف، الماركات، الطائرات، 777 هذا ديجتال هذا معه كاميرا، هذا عصر أشياء الناس يعبدون الأشياء من دون الله، بل الإنسان الآن مكانته تأتي من مقتنياته سيارته نوعها رقم كم في 190، في 220، 280، 300، 550، 600، الذي يملك 600 شيء كبير جداً ثمن سيارته أربع وعشرين مليون، الآن الإنسان يستمد مكانته من الأشياء من بيته من مساحة بيته من مكانة بيته من شكله من هندامه من ثيابه بيل كارديان يحكيها برنين لذلك هذا عصر أشياء الآن، وفي عصر أشخاص والعياذ بالله ستالين قتل خمسين مليون إنسان لا في قانون ولا في شرع شخص، انظر إلى هذه الإشارة، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) ﴾

[ سورة الفجر : 6 ]

﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9)﴾

[ سورة الفجر : 9 ]

والثالث فرعون، كنا بأسماء أقوام انتقلنا إلى أسماء أشخاص قال هذه إشارة قرآنية إلى أن هذا الشخص كان هو كل شيء في بلده، يتعاور على التاريخ البشري عصر مبادئ وعصر أشخاص، يعني مرة هولاكو يريد خمسين ألف رأس على شكل هرم الرجال هربوا يأتون بالنساء يقطعون رؤوس النساء ويحلقون شعر المرأة كي يضيع الأمر بين رجل وامرأة وهذا برج الروس الذي عندنا كان خمسين ألف جمجمة على شكل برج، هذا عصر أشخاص وفي عصر مبادئ وفي عصر أشياء، نحن الآن عندنا أشياء، كل واحد يعبد هذه الصناعات من دون الله، لكن سبحان الله هذه الزلازل عمل زلزلاً في النفوس يعني تقنية عالية جداً أن هذا الإنسان الذي غزا الفضاء من سوء أدبه مع الله طار ثانية ضوئية واحدة ثلاثمئة وستين ألف كيلو متر على القمر ثانية ضوئية واحدة، في نجم بعده عنا عشرين مليار سنة ضوئية لكن الإنسان قليل الأدب قال غزونا الفضاء وغصنا في الأعماق وجعلوا القارات الخمس قرية عن طريق الاتصالات ثم بيتاً ثم غرفة ثم سطح مكتب، الآن الأرض كلها سطح مكتب ممكن تتصل بأي إنسان بثوان هذا الإنسان اخترع الكمبيوتر، في بعض الحواسيب تقرأ مليار حرف في ثانية واحدة في أقراص فيها ألف كتاب فقهي تسأل سؤال بثمانية ثوان يكون قرأ الألف كتاب حرف حرف، ألف كتاب واختراع الإنترنت الذي أزال الحدود والحدود بين المجتمعات والحضارات هذا الإنسان، وهذا الإنسان اخترع الأقمار الصناعية والمحطات الفضائية واختراع القنبلة الذرية والقنبلة النووية والقنبلة الحرارية هذه ضربت في العراق، واختراع القنبلة التي تلغي الاتصالات ضربت في البلقان واختراع قنبلة تلغي الطاقة تلغي الكهرباء، واختراع قنبلة انشطارية وقنبلة عنقودية وقنبلة ذكية وقنبلة خارقة حارقة، بحرب الخليج الأولى ضربوا على ملجأ فيه ثمانمئة إنسان قنبلة خارقة حارقة يعني تخرق إسمنت مسلح متر ولا تتفجر تتفجر متى ؟ بعد أن تخرق وتقتل ثمانمئة واحد يجب أن تخرق أولاً ثم أن تقتل ثانياً، هذا الإنسان الذي اخترع كل ذلك لا يستطيع أن يتنبأ بوقوع الزلازل ولا قبل ثانية بينما الحمير يتنبئون قال تعالى:

## ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

[ سورة البقرة: 255 ]

الآن باندونيسيا قبيلة جاهلة أقرب إلى التوحش نجت بأكملها لأنهم رأوا الحيوانات قد انتقلت فزعة فقلدوها فنجوا، هذا الزلزال عمل صدمة أنه ثلاثة آلاف وستمئة إنسان ماتوا في الحادي عشر من أيلول قامت الدنيا ولم تقعد أليس كذلك أحد النتائج حرب أفغانستان أحد نتائج حرب العراق، الحصار، مكافحة الإرهاب، الآن أزهرت أرواح خمسة وعشرين ألف من نخبة المجتمعات الغربية ليسوا أغنياء فقط صفوة الأغنياء، استدرجوا إلى مكان واحد وأقاموا في منتجعات من فئة العشر نجوم لكنهم رأوا النجوم العشر ظهراً، قال تعالى:

## ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (102)

[ سورة هود: 102 ]

لوحان صخريان تصادما فكانت قوة هذا التصادم ما يعادل مليون قنبلة ذرية، من نتائج هذا التصادم أن سومطرة التي تزيد مساحتها عن مساحة سوريا ترحزحت ثلاثين كيلو متر نحو الجنوب ومحور الأرض اضطرب والنهار قصر الآن في جزء من الثانية أو الليل، وفي جزر اختفت وجزر ظهرت وجزر انشطرت، وهذه الموجة العاتية التي نتجت عن هذا الزلزال مشت ألف وستمئة كيلو متر بسرعة ألف كيلو متر في الساعة، بعد أن وصلت إلى السواحل الله عز وجل جعل سرعتها خفيفة سبعين كيلو متر قال هذه الأمواج أو المد البحري قادر على أن يقتلع صخرة وزنها عشرين طناً ويلقيها بمسافة بعيدة، الآن في صور سفن على أسطح المنازل، سفن ناقلات نפט، ناقلات نפט عملاقة كلها غرق، قال تعالى:

## ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (102)

[ سورة هود: 102 ]

ولكن أيها الإخوة إحقاقاً للحق وإنصافاً للحقيقة ما كل من مات بهذا الزلزال مذنب قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾

[ سورة البقرة: 155-157 ]

هؤلاء المؤمنون انتهت آجالهم وقد يكون موتهم شهادة عند الله عز وجل بنفوس صحيحة لأن الإنسان إذا مات وهو مؤمن يحشر على نيته وعمله، والذين كانوا مذنبين قصموا بهذا الزلزال والذين نجوا من غير المؤمنين كان تحذيراً لهم، قال تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾

[ سورة الرعد: 31 ]

فالتعميم من العمى أيها الإخوة ليس لنا حق أبداً أن نعمم لكن كل إنسان يموت على نيته وعلى عمله لكن هذا من فعل الله عز وجل، يعني اللوح الذي تركز عليه آسيا مع اللوح الذي تركز عليه أستراليا تصادما فكان هذا الزلزال الذي لم يسبق له مثيل من ثلاثمئة عام ولم يعثر بعد مضي أيام عديدة على جثة حيوان واحد لأن الحيوان غير مكلف وليس معنياً بالفساد.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (102 - 127) : من نفس عن مؤمن ..

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-01-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام: لازلنا في شرح بعض الأحاديث الشريفة من كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم وموضوع الدرس اليوم الترغيب في ستر المسلم والترهيب من هتكه وتتبع عورته، قبل أن نمضي في شرح هذا الحديث الذي هو أصل في هذا الباب لأبد من مقدمة.

الله عز وجل حينما خلق الإنسان وخلق فيه دوافع إلى الطعام والشراب وخلق فيه دوافع إلى الطرف الآخر إلى الجنس وخلق فيه دوافع إلى تأكيد الذات حينما خلق فيه الدافع على الطعام والشراب جعل له معاش يعني وسائل لكسب المال كي يشتري به الطعام والشراب فمثلاً كم إنسان يعيش على موضوع الغذاء ؟ ملايين مئات الملايين قريباً من ألف مليون لولا أن الإنسان يجوع لما كان لهؤلاء عمل، كم إنسان يعيش على المرض ؟ الأطباء والمستشفيات والأدوية ومعامل الأدوية والمستوصفات والمسكنات والمسهلات أيضاً عدد كبير يعيشوا على موضوع المرض جامعات كليات طب سيارات إسعاف معامل أدوية مستوصفات كم إنسان يعيش بسبب البرد ؟ الأغطية والتدفئة المركزية والمهندسون، كم إنسان يعيش بسبب الحر ؟ المكيفات والمرطبات والمشروبات يعني العصائر، كم إنسان يعيش على طول الشعر ؟ عدد كبير جداً، كم إنسان يعيش على حمق الشباب ؟ يأخذ سيارة والده يعمل بها حادث عمل المصلح مجموعة كبيرة اشتغلت، كم إنسان يعيش على تبديد الجهل ؟ التعليم والجامعات والتدريس والمدارس الابتدائي والإعدادي والثانوي والكتب والمجلات، كم إنسان يعيش على ترفيه الإنسان ؟ المقاصف والمنتزهات.

فالله عز وجل ضغط هذه المعاني كلها في كلمة أنه جعل في الأرض معاش، الفكرة واضحة ؟ الآن لأن الإنسان مخلوق للجنة ولأن ثمن الجنة هو العمل الصالح لذلك الله عز وجل جعل في الدنيا فرص للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، فلحكمة بالغة بالغة بالغة قد يكون الإنسان فقيراً هذا الفقير أو الفقراء في الأرض أكبر باب من

أبواب الأعمال الصالحة المتاحة للأغنياء أن يساعدهم، يساعدهم في تأمين الطعام في تأمين الشراب في تأمين المأوى في التزويج في المعالجة الطبية، عز وجل حينما جعل فقيراً وغنياً، ضعيفاً وقوياً، فتح أبواب لا تعد ولا تحصى في العمل الصالح.

هذا المنطلق يعني الله عز وجل حينما أمرنا أن نعمل صالحاً هيأ لنا أسباب هذا العمل الصالح، وهذه قضية الانسجام بين الأمر وبين الواقع، لو أن الله أمرك بعمل صالح ما في ولا عمل أمامك، يعني حالة وقعت لفترة بسيطة جداً أن كان المسلم في عهد عمر بن عبد العزيز يجوب الأقطار ليبحث عن إنسان يقبل أن يأخذ زكاته فلا يجد، مشكلة كبيرة أما كل عمل صالح أمرت به الله عز وجل هيأ لك فرصاً لا تعد ولا تحصى منطلق هذا الحديث هذا المعنى كما أن الله عز وجل خلق فرصاً واسعة جداً لكسب المال والدليل أن الله سبحانه وتعالى حينما قال يصف الأنبياء:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾

[ سورة الفرقان: 20 ]

يعني كانوا مفتقرين في وجودهم إلى تناول الطعام، وكانوا مفتقرين في تأمين ثمن الطعام للمشي في الأسواق، تصور إنسان لا يأكل ولا يبرد ولا يشعر بالحر ولا يخاف ولا يمرض لا تجد على وجه الأرض شيئاً كل هذا الذي تراه هو تلبية لحاجات الإنسان، فالله عز وجل شاء لنا أن نعمل ليكون العمل امتحاناً لنا لئبلوكم أيكم أحسن عملاً، فأنت في العمل تكون صادقاً أو غير صادق بالعمل تكون ناصحاً أو غير ناصح، فالعمل أحد أكبر الكواشف لحقيقة الإنسان هذه مقدمة لهذا الحديث.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ))

[ مسلم ]

أيها الإخوة الكرام: إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين معظم الناس ذاقوا الطعام والشراب وذاقوا الزواج وذاقوا السفر وذاقوا متاع الحياة لكن لو أن الإنسان ذاق طعم القرب من الله لزهده فيما سواه، الله عز وجل من خلال سنة النبي عليه الصلاة والسلام يدعوننا إلى أن نذوق شيئاً جديداً. مرة أحد خمس مهندسين في العالم صمم جسر

استقبل الأول هذا الجسر يمشي عليه في اليوم ثلاثمائة ألف سيارة وهو يصل بين قارتين بين آسيا وأوروبا وهذا جسر معلق على الحبال في يوم افتتاحه وقد قص شريط الحرير رئيس الجمهورية مصمم هذا الجسر مهندس ياباني والحادثة غريبة جداً سمعتها يوم كنت في تركيا قال هذا المهندس الذي لا مثيل له في العالم إلا أربعة أو خمسة بعد أن قص الشريط الحريري ألقى بنفسه في اليوسفور فنزل ميتاً، ما في مبرر إنسان لامع جداً دخله فلكي، شاب في مقتبل حياته حقق نجاحاً كبيراً ذهبوا إلى غرفته في الفندق فرأوا رسالة يقول: ذقت كل شيء في الحياة فلم أجد لها طعماً أردت أن أدوق طعم الموت. هذه مشكلة الإنسان المعاصر، إنسان بلا هدف كل شيء يمل.

أيها الإخوة الكرام: سأدلي لكم الآن بفكرة أنا أعتها خطيرة جداً، أنت نفس أنت مصمم على أن تختار هدف لا نهائي كل شيء سوى الله محدود مع أن الكون حتى الآن غير محدود، الكون حتى الآن غير محدود من أيام أرسلوا مركبة إلى أحد أقمار المشتري كم بعده عنا ؟ مليار كيلو متر قطع في سبع سنوات المسافة، بسرعة حسبها قسمت المليار على سبع سنوات ثم قسمتها على ثلاثمائة وخمسة وستين ثم قسمتها على أربع وعشرين كان سرعة هذه المركبة ستة عشر ألف كيلو متر في الساعة، طبعاً أسرع طائرة تسعمئة كيلو متر الآن في 777 ألف و مئة، سرعة المركبة ستة عشر ألف كيلو متر في الساعة بقيت تمشي سبع سنوات حتى وصلت إلى أحد كواكب المجموعة الشمسية من أكبرها هو المركبة هبطت على أحد أقماره، هذا الكون العظيم مع أنه يبدو لنا غير محدود نحن سبع سنوات بسرعة ستة عشر ألف كيلو متر في الساعة وصلنا إلى كوكب تابع إلى المجموعة الشمسية ولو رأيت المجرة، مجرة درب التبانة لوجدت المجموعة الشمسية بأكملها نقطة على هذه المجرة وأحدث رقم سمعته قبل أيام من موسوعة علمية في مئة وثلاثين مليار مجرة ومجرتنا درب التبانة أحد المجرات المتواضعة وشكل هذه المجرة كالمغزل والمجموعة الشمسية بأكملها نقطة على هذا المغزل أكبر نجم وليس أبعد نجم يبعد عن الأرض مليار كيلو متر قطعها مركبة سرعتها ستة عشر ألف كيلو متر في الساعة في سبع سنوات، هذا الكون يبدو لنا غير محدود لأنه في مجرة بعدها عنا عشرون مليار سنة ضوئية لكن نظرياً اللامحدود هو الله لا نهائي وما سواه محدود، فالله عز وجل الإله العظيم ورد في بعض الأحاديث إن الله خلق آدم على صورته، يعني هذا الإنسان لكرامته عند الله جعل نفسه لا محدودة، الآن اسمعوا الفكرة الدقيقة هذه النفس اللامحدودة إذا اختارت هدفاً محدوداً تشقى به، حتى أكون واقعي تشقى به بعد بلوغه. يكون طالب يحلم بزوجة يرسم لها صورة من عنده، يحلم ببيت النمط الأمريكي بدون جدران، وبدون سقف لا أعرف النمط، يحلم بمركبة

من نوع معين لما يصل إلى البيت والمركبة والزوجة وكله محدود يمل، أنت انظر إلى خطيب يخبر خطيبته ست ساعات على الهاتف بعد بسنة تجر منه الكلام جر لا يتكلم ولا كلمة لا يوجد شيء يحكى إطلاقاً، ما في شيء سوى الله يمكن أن يمدك بسعادة مستمرة.

تدخل إلى بيت أربع مئة متر ثمنه اثني وثلاثين مليون بسعادة مستمرة، تدخل إلى بيت أربع مئة متر ثمنه اثني وثلاثين مليون أنت تدهش به لكن صاحب البيت مالم منه، أي شيء بيت تجارة مكتب كل شيء بعد ممارسته تمل منه، الآن لما الإنسان يختار هدفاً محدوداً إلى أن يبلغه يحس ببعض السعادة فإذا بلغه بدأ شقاءه، الآن كيف تفسر أن إنساناً معه ملايين مملينة هوايته الأولى القمار، كيف تفسر إنسان يسافر إلى مونتكارلو ليخسر مئتي وخمسين مليون دولار ويرجع مثلاً، كيف تفسرها؟ هذه ملل، كيف تفسر إنساناً يعرض عن الشيء الذي خلقه الله له المرأة ويميل إلى شيء آخر جنسي شذوذ أو إلى بهيمة أو إلى ميتة، في انحرافات جنسية العقل لا يصدقها ما تفسرها؟ الملل لأن الإنسان اختار هدفاً محدوداً مل منه إلا المؤمن لماذا هو أسعد الناس إلى ساعة الوفاة؟ لأنه اختار هدفاً لا محدوداً، ترى المؤمن ما عنده وقت، مر أحد كبار العلماء في دمشق أمام مقهى قال يا سبحان الله لو أن الوقت يشتري من هؤلاء لاشتريناه منهم.

أنا أتحدى أي مؤمن صادق لا يوجد لديه وقت، في طموحات تحتاج إلى عشر أضعاف حياته في علماء كبار تركوا مؤلفات مئة مؤلف، مئتي مؤلف، مئتي وثلاثين مؤلفاً، متى ألقت هذه الكتب؟ كلمة دقيقة جداً أنت حينما تختار هدفاً محدوداً تشقى به وحينما تختار هدفاً لا محدوداً وليس إلا الله هدف لا نهائي، فالهدف المحدود تستوعبه ترى الإنسان بعد النجاح بعمله حقق ثروة كبيرة يصبح عنده وضع جداً مزعج يقرف ويُقرف دائماً مالم دائماً ينتقد ولا يحتمل أما المؤمن الذي عزف عن الدنيا ما عزف عن أساسياتها لكن عزف عن المتع بها وانطلق إلى الله عز وجل هو أسعد الناس.

أيها الإخوة: الله عز وجل كما جعل معاش، يعني سبل كسب الرزق لا تعد ولا تحصى مثلاً مركبة تمشي في الصحراء احترق محركها ما هو الحل؟ تحمل عشرين طناً من دمشق إلى بغداد بالبادية ما هو الحل؟ في حالات نادرة جداً أشخاص يذهبون إلى هذه المركبة والمحرك ينزل ويخرط ويركب وتتابع المركبة مسيرها إذا نحن بحاجة إلى إنسان يغير المحرك ويجده بمكان السيارة هذه معاش أيضاً، في مهن نادرة جداً وراقية جداً ودخلها كبير جداً فالله عز وجل كما جعل معاش سبل كسب الرزق جعل طرائق إلى الله عز وجل بعدد أنفاس الخلائق

وأنت في بيتك في عندك مليون عمل صالح أنت في الطريق في أعمال صالحة أنت في عملك في عمل صالح وأنت بنزعتك في عمل صالح وأنت بالمستشفى في عمل صالح فلذلك الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

هذا الحديث حديث اليوم يبين بعض الطرائق يقول عليه الصلاة والسلام:

(( مِنْ نَفْسٍ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفْسَ اللَّهِ عَنْهُ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ))

والله الحياة تكاد تمتلئ بالكرب، حياتنا معقدة جداً، كل إنسان فوقه مئات السيوف مسلطة عليه بكل مكان في العالم، مثلاً حالات السير الإنسان يركب مركبته ويمشي صح وعلى اليمين وسرعة معتدلة واحد نائم دخل به، ففي مخاطر الطرقات، مخاطر الطائرات، بلاد من ثلاثمئة سنة أجمل بلاد العالم أجمل سواحل في العالم دخل من السياحة الجنسية فلكي، فنادق منتجعات عشر نجوم من يخطر في باله أن هذا كله يدمر في ساعات لا منشآت ولا جسور حتى في جزيرة أخلت من أهلها وفيها أجهزة بالغة التطوير معقدة جداً كمرکز معلومات دمرت مع الأجهزة مع من فيها من خبراء مع قطع الأسطول التي حولها، ناقلات نفط قطارات السفن جمعت في اليابسة بعض السفن على أسطح المنازل، في بالحياة كرب، كرب خفيفة وكرب ثقيلة، وفردية وجماعية وجائحات وفي زلازل وفي براكين ومجاعات واضطرابات وفي حروب أهلية، يعني سبحان الله بعدد ما يوجد معاصي يوجد كرب بالمناسبة في فكرة مهمة جداً، إياك ثم إياك ثم إياك أن تتوهم أن الأصل أن تقع المآسي والمصائب.

تصور إنساناً أسس مدرسة هدفه الأول أن ينشئ جيلاً واعياً مؤمناً مثقفاً مسؤولاً أخلاقياً لكن لو كان بهذه المدرسة طالب فاسد يعاقب أحياناً يضرب، لو أن طالباً كسولاً قال ما يلي: قال هذه المدرسة أسست من أجل ضرب الطلاب. نقول له لا مستحيل الضرب شيء طارئ والعقاب شيء طارئ معالجة الأصل الخير، الدليل النبوي يقول النبي عليه الصلاة والسلام: والشر ليس إليك. لا يوجد شر مطلق في الكون، الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، إما أن تؤمن بالله موجوداً وواحدًا وكاملاً وإما أن تؤمن بالشر المطلق، يعني إنسان يوضع على طاولة ويؤتى بالمشروط ويفتح بطنه والدم ينهمر بلا سبب، تقول هذا طب، لا ليس طب أما إذا في التهاب زائدة يفتح بطنه لئلا يموت فشر مطلق لا يوجد في الكون، يوجد شر نسبي، يوجد شر موظف للخير من هنا قال عليه الصلاة والسلام: والشر ليس إليك. يعني مثلاً ممكن أن تلاحظ مركبة كان سائقها مخموراً ونزل في الوادي فأصبحت بشكل غير معقول هل يمكنك أن تقول في مصنع صنعها بهذه الطريقة ؟ مستحيل المصنع يصنعها بطريقة جميلة جداً بخطوط انسيابية بألوان رائعة زاهية بقدرات في الحركة عالية بأجهزة بالغة الدقة أما هذا الوضع

سيارة محطمة من كل جهاتها تحتاج إلى مصنع هذه تحتاج إلى سائق مخمور فقط. ما في مصنع في الأرض يصنع سيارة بهذا الشكل يمكن لاحظتم عقب الحوادث منظرًا مخيفاً فالذي يؤمن أن هذه المركبة بعد الحادث هناك مصنع صنعها بهذه الطريقة كمن يؤمن أن الله خلق الشر، أم هو الشر يأتي من سوء استخدام الأشياء.

أوضح مثل ثلاث مساحيق بيضاء ملح، سكر، مسحوق غسيل، لو وضعت مسحوق الغسيل بأعلى طبخة ترميها، يا أخي المسحوق له ثمن وله وظيفة، لكن هذا الطعام لا يؤكل هذا الطعام شر، من أين جاء هذا الشر؟ من سوء الاستخدام، الزنا سوء استخدام العملية تتم بالزواج لكن كانت بالزنا، الزنا شر، لكن الله خلق المرأة وخلقها لكي تكون زوجة وهكذا..

فلذلك الشر المطلق ليس له وجود بل إن الشر النسبي موظف للخير المطلق، إذاً هذه الكروب ليست هي الأصل لكن نحن اختار الله لنا أن نكون في آخر الزمان موت كعقاص الغنم لا يدري القاتل فيما يقتل ولا المقتول فيما قتل. في آخر الزمان يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير، إن تكلم قتلوه وإن سكت استباحوه، ظلم عام في الأرض في طغاة معاصرين ما أحد يغيب عنه اسمه، طغاة تدمير قتل هدم بيوت قتل إنسان تجريف تربة ردم آبار إذلال، نحن في عصر فيه شر كبير.

أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم كما قال عليه الصلاة والسلام، يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير إن تكلم قتلوه وإن سكت استباحوه، فنحن هكذا شاءت حكمة الله أن نكون في هذا العصر نحن نشأنا على المتاعب والعدوان وكلكم يعلم هذه الحقائق الآن:

(( مِنْ نَفْسٍ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ))

مثل أن الله جعل لك معاش أسباب لا تعد ولا تحصى لكسب الرزق جعل لك أبواب للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى جعل أسباب للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى وأنا والله إن كان هناك من عجب أعجب له أن إنساناً آتاه الله مال بإمكانه بهذا المال أن يصل إلى أعلى مراتب الجنة، حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي، لو أن إنساناً قوياً بتوقيع يحق حقاً ويقتل باطلاً، يقر معروفاً ويزيل منكراً، يقرب مخلصاً ناصحاً ويبعد فاجراً منافقاً، توقيع.

أشد ما أعجب أنه غني لا يتقرب إلى الله بماله، إن أنفقوه أنفقوه إسرافاً وتبذيراً وإن منعه منعوه بخلاً وتقتيراً، ترى يعمل حفلة لأصدقائه يدفع عشرات الألوف، يطلب منه إجراء عملية لإنسان أي واحد بالخمسين من قيمة الحفلة يرفض، يوجد شخص على ملذاته، على شهواته، على تأكيد مركزه يدفع ملايين مملينة، أما إنقاذ إنسان من موت بمرض عضال لا يدفع، هنا مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً، المرض كربة، الفقر كربة، إنسان بلا زواج هذه كربة، هو في الأصل أن يتزوج.

أخ توفي رحمه الله خطر في باله عملاً أن هذه البنت العانس التي لم يتح لها الزواج من حقها أن تتزوج، و المجتمع ظالم، و المجتمع فاسد، و المجتمع يبحث عن امرأة يستمتع بها لا عن امرأة تصون أولاده و تربي أولاده فخطر في باله فكرة عمر بناية يكتب هذه الخمس بيوت أو ست بيوت لفتيات مؤمنات عوانس، ممكن، يأتي شاب بحاجة إلى منزل يقبل بها مع المنزل هذا عمل صالح.

و الله لو ذهبت لأبين لكم أبواب العمل الصالح و الله لا تعد و لا تحصى، ممكن أن تقرض الناس، ممكن أن تعطيم، ممكن أن تسهم في معالجة مرضهم، المرض كربة، الفقر كربة، الخوف كربة، إنسان خائف من إنسان و الإنسان القوي الذي يخاف منه صديقك، ذهبت إليه و رجوته أن يكف عنه التهديد فكف عنه التهديد، هذه ليست قليلة، شهد الله أنا لا أصدق يوجد إنسان بالأرض ليس بإمكانه أن يعمل عملاً صالحاً، أن يطعم هرة، أن يعالج كلباً أصابه حادث، ممكن يأخذه إلى طبيب بيطري.

أبواب الأعمال الصالحة لا تعد و لا تحصى و النبي اختصرها بكلمة كربة، إنسان فقير، إنسان يحتاج إلى تدفئة، إنسان يحتاج إلى طعام، إنسان يحتاج إلى معالجة، إنسان يحتاج مثلاً إلى بيت، مأوى:

(( مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ))

عند المؤمن لا شيء يعلو على العمل الصالح أي كيفما تحركت ممكن أن تعمل عملاً صالحاً، شخص اشترى براد من أرخص أنواع البرادات ثلاجة مسرور به وضعه بالشاحنة بشكل أفقي فواحد نصحه قال له حينما تضعه في مكانه في البيت إياك أن تشغله انتظر خمس ساعات، ولو وضع الفيش بالمأخذ يحترق فوراً لأن الزيت أخذ وضعاً معيناً، هذه النصيحة عمل صالح أنقذت له خمسة آلاف هو جاهل، ممكن أن تنصح إنسان، ممكن أن

تدل إنسان،

ممكن تعالج إنسان، ممكن تعلم إنسان، ممكن تتوسط لإنسان، ممكن تزوج إنسان، ممكن تأمن بيت لإنسان.

(( مِنْ نَفْسٍ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ... ))

سبحان الله في أشخاص همه الأول خدمة الناس يعيش للناس وفرق كبير كبير كبير بين أن تعيش للناس وبين أن يعيش الناس لك، الأنبياء عاشوا للناس والطغاة عاشوا للناس لهم.

((... وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...))

في قضايا معسرة أحياناً بكلمة منك تحل المشكلة، أحياناً بكفالة منك تحل المشكلة، أحياناً بإنفاق المال تحل المشكلة، أحياناً بالتوسط تحل المشكلة، في أشياء معسرة، بالمناسبة التيسير والتعسير له قانون قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) ﴾

[سورة الليل: 5-10]

البند الثالث:

((... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...))

كنت أقول دائماً الإنسان في عنده طبع ومعه تكليف ومن تناقض الطبع مع التكليف يكون ثمن الجنة، قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41) ﴾

[سورة النازعات: 40-41]

الإِنسان يحب الفضائح يحكون عن شعوب غربية يسمونها شعوب فضائحية، ترى الأخطاء كلها بالصحف مكبرة وتفاصيل الجريمة لما كلينتون غلط مع مونيكا من يصدق ألفين وثمانمئة صفحة على الإنترنت تفاصيل انحرافه الأخلاقي معها أدق أدق التفاصيل شعب فضائحي، المسلم سبحانه الله يستر، قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

[ سورة النور: 19 ]

المؤمن ستير يستر بل إن النبي عليه الصلاة والسلام حينما وصف المرأة المسلمة قال ستيرة تستر، والمرأة الفاسقة فضاحة ترى الزوج كل أسرارها مع الناس مع الأقارب كل أخطاء الزوج في البيت تنقل إلى أهلها لعمتها لخالتها بشكل مكبر ومبهر فترى الإنسان وجد نفسه كل قصصه بين الناس فهنا:

((... وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...))

(( مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... ))

يعني هذا المسلم غالي على الله انطلاقاً من محبتك لله تستره وتنفس عنه كربته وتيسر عليه عسره والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ما أحسن من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أم في الآخرة.

هذا منهج أيها الإخوة منهج واضح نفس كربة ويسر على معسر واستر مسلماً وكن في عون الآخرين ليكون الله في عونك. عبيد أنفق، أنفق عليك، عبيد كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، بالمناسبة إذا اخترنا المؤمنين وإن شاء الله نحن من المؤمنين، إذا اخترنا المؤمنين للمؤمن عند الله مرتبة إما أن ينالها بعمل صالح وإما أن ينالها بصبر على مصيبة، أيهما أريح؟ العمل الصالح، في إنسان يتوانى عن العمل الصالح وفي آية ينخلع لها القلب قال تعالى:

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (38)

[ سورة محمد: 38 ]

فإما أن تنفس عن مسلم كربة أو أن تيسر على معسر أو أن تستر مسلماً أو أن تكون في عون الخلق ليكون الله في عونك هذه الوسائل التي خلقها الله عز وجل للعمل الصالح، كما أنه خلق وسائل لكسب الرزق، والحقيقة أن العمل الصالح رزق، والحقيقة الصارخة أنها أهم أنواع الرزق لأن حجم الإنسان عند الله يوم القيامة بحجم عمله الصالح، قال تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[ سورة الأنعام: 132 ]

بل إن الغنى والفقر يكون بعد العرض على الله، ولا يسمى الغني في الدنيا غنياً ولا الفقير في الدنيا فقيراً لكن الغني الحقيقي هو الذي ينجو من عذاب جهنم ويسمح له بدخول الجنة، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)﴾

[ سورة يوسف: 22 ]

في إنسان هويته الشمولية محسن وفي إنسان بالتعبير العامي ابن حرام يتلذذ بإيقاع الأذى في الناس وكلما نال إنسان بأذى شعر براحة هذا إنسان مجرم، لذلك شر الناس من اتقاه الناس مخافة شره، أنت كمؤمن مصدر أمن للناس مصدر عطاء أنت ثقة الناس يرتاحون لك، أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم، الآن بأي مجلس تحدث عن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يتعطر المجلس، أحياناً تتحدث عن الصالحين الحاضرين يحسون براحة لا حدود لها، يقول لك انتعشنا صار تجلي، سررنا، يكون بيت متواضع الأكل متواضع جداً وقد يكون ما في أكل، لكن الحديث عن الصالحين ينعش.

أحضر عشرة أشخاص صالحين تحدثوا عن واحد لئيم، عن واحد جبار، عن شخص مؤذ يتعكر المجلس كأن روائح كريهة منتنة فاحت على الحاضرين، فكما أن المجالس تتعطر بذكر الصالحين تتعكر بذكر اللؤماء.

والله والله مرتين لحفر بئرين بإيرتتين، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين، صفات الشر كلها مجموعة في اللؤم، إن رأى خيراً كتمه وإن رأى شراً أذاعه، إن أحسنت لن يقبل وإن أسأت لم يغفر فضاح منتقم لئيم حاقد يبالغ بمدح نفسه ويذم كل من حوله.

وأقول لكم كلمة أيها الإخوة الكرام: أنا لا أفهم الدين إلا أخلاق، ليس معنى هذا أنها من دون عبادات أعوذ بالله إياكم أن تفهموا هذا الكلام، لكن لا أفهم إنسان صائم يصلي حاج مزك خبيث، لئيم، غدار، محتال، مستحيل وألف ألف مستحيل المؤمن صالح، المؤمن متواضع، المؤمن يحب الخير، المؤمن منصف، المؤمن صادق، المؤمن أمين، المؤمن يجب أن تحبه.

أيها الإخوة الكرام: هذا الحديث منهج لنا لك أن تنفس الكرب ولك أن تيسر على المعسر ولك أن تستر مسلماً والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

يرووا أن قاضياً جاءته امرأتان من الريف صحتهم زيادة صعدت على درجة عالية صدر منها صوتاً مزعجاً جداً يعني بالتعبير العامي انسلق بدنها قالت ولي على قامتي سمعنا القاضي وصلوا إلى عند القاضي ما اسمك يا أختي؟ قال ما سمعت ارفعي صوتك رفعت قال ما سمعت أنا ضعيف السمع، قالت لها ما سمعنا. هو سمعهم ولكن حتى لا يجرهم عمل نفسه ضعيف السمع حتى لا تستحي.

في إنسان فضاح، في إنسان يغض البصر عن غلطة عن منظر سيئ عن قصة وقعت لا يتكلم، في إنسان قنص أي الخطأ إذاعة يصبح هل دريت ماذا فعل فلان؟ لماذا فلان طلق امرأته؟ خانتها، مع من؟ مع فلان. تراه أخذ الخبر وأذاعه، المؤمن ستر المؤمن محسن، المؤمن متعاون مع الآخرين، المؤمن يفرج عن الناس كربهم، اللهم اجعلنا من هؤلاء .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (103 - 127) : ما بعث الله من نبي ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-02-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتَ إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام : لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم ، اليوم الحديث تحت باب ترغيب الإمام و غيره من ولاة الأمور في اتخاذ وزير صالح و بطانة حسنة ، هذا الموضوع أيها الإخوة دقيق دقيق ، و خطير خطير ، ذلك لأن الإنسان يتأثر أشد التأثر بمن حوله من هنا يأمرك الله عز وجل أن تكون مع الصادقين، فإذا قال الله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾

[ سورة التوبة : الآية 119 ]

كأن الله سبحانه و تعالى يبين لنا طريق التقوى ، قال :

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[ سورة التوبة : الآية 119 ]

معنى البيئة الصالحة أحد أكبر أسباب التقوى ، أحد أكبر أسباب السير إلى الله ، هذه الفكرة يعبر عنها بأساليب كثيرة منها صحبة الصالحين ، منها أن يكون لك بطانة طيبة ، فذلك المؤمن يحتاج في هذا الزمان إلى ما يسمى بالحمية الاجتماعية .

ما لم يكون المؤمنون مع بعضهم بعضاً ، ما لم تكن مع المؤمنين ، لأنك إن جلست مع المؤمن لا يوجد مزاح رخيص أبداً ، و لا يوجد كلمات فاحشة ، و لا يوجد إشارات مريبة ، و لا يوجد ألغاز محرجة ، و لا يوجد تحميل الكلمة معنى أنت ما أردته ، فإن جلست مع أهل الدنيا كيفما تكلمت هناك من يؤول كلامك ، و هناك من يصرف كلامك إلى معان أنت لم تخطر في بالك إطلاقاً من مزاح رخيص إلى غيبة إلى نميمة إلى بذاءة إلى فحش إلى تعليقات سخيفة إلى اهتمامات رخيصة ، فلذلك يجب أن تعلم علم اليقين أنه لا تستطيع أن تتقي الله إلا إذا كنت مع الصادقين :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[ سورة التوبة : الآية 119 ]

أحياناً تجد طفلاً قمة في الأدب ، قمة في الانضباط ، حيي ، خجول ، لطيف ، لا تسمع من فمه كلمة نابية ، عطوف ، وفي ، نقول هذا الطفل نشأ في أسرة منضبطة ، هذا الطفل نشأ في أسرة مسلمة ، هذا الطفل له أب يراعه ، له أم تهتم به ، أحياناً ترى طفلاً بذيء اللسان ، يسب الدين ، يتكلم بالأعراض ، بالعورات ، كلامه صراخه عال ، من مخفر لمخفر ، من دائرة أحداث لدائرة أحداث ، منحرف في أخلاقه ، يسرق ، و الله أيها الإخوة في القرآن آية :

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾

[ سورة محمد : الآية 11 ]

ليس له مربي ، ليس له مرجع ، فهنا الحديث ، يقول عليه الصلاة و السلام عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(( مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ فَاَلْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى ))

[ البخاري ، النسائي ، أحمد ]

أنت دائماً أمام نصائح تؤدي بك إلى الله ، نصائح تعينك على طاعة الله ، نصائح ترغبك في الدار الآخرة ، و نصائح تدعوك إلى المعصية ، تدعوك إلى الدنيا ، تدعوك إلى الزهد فيما وعد الله به عباده المؤمنين .

قصة ذكرت مائة المرات أنه هذا الذي صعد المركبة ، أعطى السائق ورقة نقدية ، ردّ له زيادة عن حقه ، قال هو إمام مسجد قال ينبغي أن أرد هذه الزيادة هذا إلهام الملك ، أنت كمسلم منضبط ينبغي أن ترد الزيادة إلى صاحبها ، بعد أن جلس جاءه خاطر آخر مصدره الشيطان قال له شركة عملاقة و دخلها فلكي و المبلغ زهيد لا يقدم و لا يؤخر و أنت بحاجة إليه و لا عليك أن تأخذه ، و قد ركبت مع هذه الشركة أياماً طويلة و شهوراً ربحت منك أضعافاً مضاعفة لا عليك أن تأخذه ، أنت دائماً هناك من يدعوك إلى طاعة الله و هناك من يغيرك بمعصية الله ، فإذا كنت مع المؤمنين أنت في حالة طيبة :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة : الآية 119]

أحياناً يسافر اثنين الظهر صليته قم و توضأ ، تجد إذا غفل أحدهما ذكره الآخر ، أي يوجد بالسفر مع الجماعة يوجد انضباط ، ألا يقال الجماعة رحمة ؟ أما السفر منفرداً في إغراءات ، يوجد تطلعات ، يوجد نفس تحدثك بالمعصية ، فالنبي الكريم يقول : المسافر شيطان و الجماعة رحمة ، و الفرقة عذاب ، و عليكم بالجماعة و إياكم و الفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد و إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

و الله أيها الإخوة الكرام لا سمح الله و لا قدر لو كنت بأمر قاهر و مضى وقت الدرس و بقي خمس دقائق ، قد تأتي إلى المسجد و انتهى الدرس بعد أن قال الشيخ و الحمد لله رب العالمين ، هذه الخمس دقائق داخل الحرم مع إخوانك يعطوك شحنة ، لا تذهب لمجلس العلم ، ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتدارسون كتاب الله إلا غشيتهم الرحمة ، و نزلت عليهم السكينة ، و حفتهم الملائكة ، و ذكرهم الله فيمن عنده .

و الله أيها الإخوة الكرام أستمع إلى قصص عبر الهاتف أي كاستشارات أو كفتاوى تجد عمل في منتهى الحمق  
أين الحكمة ؟ الحكمة من حق المؤمن :

### ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[ سورة البقرة : الآية 269 ]

أنت قد تأتي إلى المسجد لا تجد ضيافة و لا كرسي وثير ، لكن يمنحك الله من عطاءاته التي قد تغيب عن  
بعض الناس يمنحك حكمة تعيش بها ، تكسب بها الأصدقاء و تحول الأعداء إلى أصدقاء ، يمنحك سكينه ،  
يمنحك أمناً ، أكثر شيء سكينه ، أمن ، حكمة ، بالحكمة الإنسان يسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، و بالحمق  
يشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، بالحكمة يجعل الأعداء أصدقاء ، بالحمق يجعل الأصدقاء أعداء ، أحياناً كلمة  
حمقاء غير منضبطة تخسر إنساناً ، إذاً هنا البطانة ، المقصود بهذا الحديث في الدرجة الأولى ولي أمر  
المسلمين ، أو ولاية المسلمين ، مدير شركة يوجد أشخاص إذا لم تجمع النقود ستهلك غداً ، أي يوجد طرق سيدي  
أنا أدلك عليها ، هذا البطانة السيئة ، يأتي إنسان آخر سيدي طاعة الله أكبر غنى ، تجد إنساناً ينصحك  
بالاستقامة و الزهد و العفة ، و الآخر ينصحك أن تمد يدك إلى الحرام ، و سبحان الله أيها الإخوة كل إنسان  
يتحرك نحو الشر ، يتوهم من الشيطان أنه سينجو ، لكن بعد حين يخسر الدنيا و الآخرة .

و الله أيها الإخوة يوجد قصص أسمعها تقشعر منها الأبدان ، أخ و أخته اشترى بيتاً من عشرين سنة بمئتي و  
خمسین ألفاً ، الأخت محامية و البيت باسمها لأنه عن طريق جمعية تعاونية بقصر العدل ، أخوها عنده أربعة  
عشر ولداً و ساكن بهذا البيت معها و نصف البيت له و دفع ثمن البيت عدداً و نقداً ، و النصف لها ، هي  
محامية و متمكنة من القوانين و البيت تضاعف مئة ضعف صار بتسعة عشر مليوناً قالت له سأعطيك مليوناً و  
تخرج ، قال لها لكن البيت لي ، قال لها هذا كلام ، بالسجلات البيت كله لي ، و القصة طويلة و أحد أولاده  
أحد إخواننا و تكلم لي عن تفاصيل ما جرى بين أبيه و عمته إلى أن أخرجته من البيت ، و وضع الأغراض في  
مستودع و الأسرة تشتت إلى قسمين عند الأقارب و المأساة كبيرة جداً و حدثني، قلت له و الله أمامها أيام سوداء  
عمتك ، و الله غاب شهر قال لي عمتي مصابة بالسرطان و أنا أعرف صديق مدّ معه المرض سنتين ، غاب  
شهر قال لي عمتي ماتت و ذهبت إلى البيت و ألقيت كلمة و الله ، و أخوها هو الوريث الوحيد ، رجع البيت و  
الزوجة و الأولاد لحاله و لعنها الله و الملائكة و الناس أجمعين .

أنا لا أرى أغبى من إنسان لا يدخل الله في حساباته اليومية ، الله عز وجل ، فلذلك درسي اليوم على البطانة ، على من حولك ، الحديث قد ينصرف فيما نظن إلى أولي الأمر ، أما هو الحديث يمس كل مسلم أليس لك بطانة رفاء ؟ سهرة أسبوعية ، دور كل ثلاثاء بعد العشاء وفي عشاء ماذا تتكلمون في هذه الأمسية ؟ إذا أنفقت يتهموك بعقلك ، إذا نطقت بكلمة يخوفوك الله يحميك ، عقلت مثلاً ، فكل بطانة سيئة تخوفك من كلمة الحق ، تخوفك أن تنفق مالك في سبيل الله ، تخوفك من اتخاذ قرار إيماني جريء ، والبطانة الصالحة تعينك على الحق ، أولاً تدلك عليه وتعينك عليه ، لذلك بطولتك أن تكون ضمن مجموعة مؤمنة لأن الإنسان اجتماعي وأنا أؤكد لكم لا يستطيع الإنسان أن يقاوم الشهوات وحده إلا مع المؤمنين ، لذلك الجماعة رحمة والفرقة عذاب ، ولاحظ نفسك لما الإله العظيم شرع لنا خطبة جمعة لماذا؟ هي صلاة ولكن في قبلها خطبة وقبلها وبعدها لقاء مع الإخوة المؤمنين ، يعني الله عز وجل أراذك أن تكون مع الجماعة بل إن الآيات الكثيرة تقول :

### ﴿سَابِقُوا﴾

[سورة الحديد : الآية 21]

هل سمعتم في الأرض إنسان عمل سباق لوحده ؟ وكان الأولي من معك ؟ لا أحد قال تعالى سابقوا وسارعوا و كونوا مع الصادقين ، اهدنا الصراط المستقيم ، ما قال اهدني الصراط المستقيم ، ما قال غير المغضوب علي ، عليهم ، أكثر الكلام فيه جماعة فيا أيها الإخوة احرص على الجماعة ، لأن الجماعة مباركة لكن يجب أن تختار أصدقاءك من المؤمنين حتى علاقاتك الاجتماعية من المؤمنين ، حتى زيارتك للمؤمنين ، لأن غير المؤمنين اختلاط وغير المؤمنين غيبة ونميمة وغير المؤمنين حديث عن الفن والفنانين ، الفنانين والفنانات الأحياء منهم والأموات ، أما المؤمن يتحدث عن الصحابة عن أبطال المسلمين ، والله يا أيها الإخوة الكرام ، حينما يذكر الصالحون في مجلس يتعطر المجلس تجد الأمانة العفة الشجاعة الشهامة المروءة المحبة التعاون الإيثار ، تجلس مع أهل الدنيا تجد اللؤم الخسة نقض العهد وفي تعبيرات عامية مؤلمة جداً تعبيرات ما أنزل الله بها من سلطان ، فلذلك الحديث الذي استوقفني الآن حتى الأنبياء :

(( مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى ))

[ البخاري ، النسائي ، أحمد ]

والحديث الآخر : عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(( مَا بَعَثَ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا كَانَ بَعْدَهُ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَبَطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا فَمَنْ وَقِيَ بَطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وَقِيَ ))

[ النسائي ]

فهذه مشروع للسير إلى الله ، علاقاتك الاجتماعية يجب أن تكون مع المؤمنين ولكن في علاقات عمل هذه مع غير المؤمنين ممكن لكن بحدود العمل فقط .

أؤكد لكم أيها الإخوة أنه لا يمكن أن يقيم المؤمن علاقة حميمة مع غير المؤمن ، أقول حميمة ، أما علاقة عمل هذه طبيعية جداً ، مدرس تأتي على الوقت المناسب تلقي درسك وتمشي رأيت المدير تسلم عليه بكل أدب واحترام انتهى الأمر ، العلاقة الحميمة نزهة مشتركة شراكة بشرية اندماجية زيارات يومية هذه مع المؤمنين لكن مع غير المؤمنين لها مضاعفات خطيرة ، كثير شباب نشأوا في طاعة الله فلما صاحبوا شباباً شاردين خرجوا عن منهج الله ، وما من إنسان يفسد إلا في إنسان أفسده ، هذا الكلام ينقلنا إلى شيء آخر ، ينقلنا إلى أن الأب الموفق هو الذي يدقق في أصدقاء أولاده ، وكم من انحراف خطير بسبب صديق فاسد بالمقابل قد تجد مؤمنين من أعلى مستوى سبب إيمانهم أنهم التقوا مع إنسان صالح رأوا من صلاحه ومن إيمانه ومن استقامته ومن عفته الشيء الكثير فحبوا الإسلام ، الآن كل مؤمن ينبغي أن يكون داعية ليس شرطاً أن يكون داعية بلسانه استقامتك دعوة عفتك دعوة ورعك دعوة صدقك دعوة الأمانة دعوة فكل مؤمن داعية في شيء آخر كل مؤمن داعية لأن هذا المؤمن قد يكون فقيراً في مجتمع في دخل حرام هو فقير ويتعفف عن الدخل الحرام هذا شيء يلفت النظر .

هذا الذي أراد أن يبني مسجداً في أحد أحياء دمشق الكثيفة جداً المكتظة بالسكان واشترى أرض ودفع ثمنها لصاحبها دفع مليونين من ثمنها وصاحبها أذن مدرسة حاجب يعني ورثها من شهر ودخله خمسة آلاف وعنده ثمانية أولاد وهو تحت الخط الأحمر بكثير فلما علم أن هذه الأرض سوف تكون مسجداً استحيا من الله أن يبيعها

لتكون مسجداً مزق الشيك وقال أنا أولى منك أن أقدمها لله عز وجل ، أيام يكون إنسان بسلك معظم أفراده يأكلون المال الحرام هو متعفف ، تعفف إنسان بسلك في شبهات دعوة إلى الله ، انظروا إلى المؤمن .

حدثني طبيب قال : كنت في مستشفى جاء إنسان معه ورم خبيث بالأمعاء يعني إنسان عجيب عمل درساً لكل من في المستشفى قال لي كلما دخل إنسان يقول ربي لك الحمد اشهد يا أخي أنني راض عن الله ، يعني مؤنس منور مروحن بالتعبير العامي وكلما وضع يده على الجرس تهافت موظفو المستشفى لخدمته، يحدثهم عن الله وعن آيات الله وهو مستبشر و صابر و راض و ساكت بعد كم يوم توفي ، من حكم الله عز وجل أنه ساق مريضاً آخر معه مرض نفسه لكن شارذ ، قال : ما ترك نبي إلا وسبه ، مسبة الدين كل دقيقة وروائح كريهة وصراخ ، غرفة مظلمة إذا قرع الجرس لا أحد يرد عليه وثلاثة أيام ومات ، قال لي درس للمستشفى من هو المؤمن ومن هو غير المؤمن ، هذا صابر راض متفائل ينتظر أجله راض عن الله روائحه طيبة لا يتألم لا يصرخ وذاك بحالة سيئة جداً .

أيها الإخوة الكرام ، كلمة دقيقة وإن شاء الله أعني ما أقول ، إذا ما كان في فرق صارخ واضح بين جلي بين المؤمن وغير المؤمن هذا ليس إيماناً ، أحياناً يكون فرق فقط بالصلاة وأداء العبادات فقط ، لكن عند الظروف الصعبة يخرج ظلم أحياناً من إنسان يدعي الإيمان ، يعني أخ وقع بإفلاس له أربع أخوة ممن يرتادون المساجد ما أحد يقدم لمساعدته وهم شامتون به ، هكذا يربي المسجد المؤمنين ؟ مستحيل ، إذاً في النهاية مكانتك عند الله بحسب عملك الصالح ، مكانتك عند الله بحسب استقامتك والتزامك ، اليوم نريد أن نؤكد على ضرورة الصحبة الصالحة لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ، حتى في المرح في السفر حتى في النزاهات صاحب المؤمن ، الصلوات مقدسة ، غض البصر مقدس ، بذاءة ما في ، غيبة ما في ، نميمة ، تعليقات جارحة ما في ، كلام مغشوش ، كلام ملغوم ما في ، كلام سيئ ما في ، في عفة ، في حجاب ، ما في اختلاط فلذلك القضية هنا لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ، قل لي من تصاحب أقل لك من أنت .

المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ولو ابتعدت منازلهم والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو اقتربت منازلهم ، يجب أن تعلم أن علاقة المؤمن مع المؤمن علاقة مبدأ وعلاقة إيمان وهذه فوق الأحداث ويجب أن تعلم أن علاقة المنافق مع المنافق علاقة مصلحة فإذا انتهت المصلحة انتهى كل شيء ، أوضح مثل لنا أخوانا التجار يعرفون تكون وكيل شركة ليل نهار تمدح الشركة أفضل شركة للإنتاج تمدحها شئت أم أبيت بعقلك

الواعي أو الباطن أنت وكيلها ، يأتي المندوب تتفنن بإكرامه من فندق إلى اللواتم ، لو فرضنا الوكالة سحبت منك بعد بساعة تدم الشركة وإذا أخبرك المندوب لا تستقبله .

أوضح علاقة مبنية على المصلحة العلاقة التجارية ، أما علاقة المؤمن لا تتأثر لا بالغنى ولا بالفقر حتى اسمعوا الكلام الدقيق حتى لو نالك منه أذى ماذا تقول ؟ اجتهد هكذا .

يرون أن أحد الشيوخ في بغداد كان شيخاً صوفياً وأيام التصوف في معه شطحات بعض الشطحات ما راقت لبعض العلماء المؤصلين بالكتاب والسنة فنصحوا الخليفة بإبعاده عن بغداد هم بهذا ابتغوا وجه الله ، هو إنسان صالح لكن في شطحات وهو خارج من بغداد قال له بعض إخوانه لو دعوت عليهم قال تحرسهم نياتهم ، نياتهم تحرسهم من أن يستجاب دعوتي عليهم ، هذا الكلام دقيق هو اجتهد أن إخرجه من بغداد في صالح المسلمين فإذا تحرسه نيته، لو نالك أذى من المؤمن مجتهداً ليس قاصداً تبقى على محبته .

فلذلك أيها الإخوة الكرام ، هناك حب في الله وحب مع الله ، الحب في الله عين التوحيد والحب مع الله عين الشرك ، الحب في الله أصله أنك تحب الله فكل شيء يمت إلى الله بصلة تحبه مؤمن تحبه ، قد يكون مؤمن مستخدم بشركة يعني أقل مرتبة يغلي شاي ويقف على الباب ، وقد يكون إنسان بأعلى منصب بالشركة لكن بعيد عن الله ، قلبك مع هذا المستخدم وينفر من ذلك الكبير ، لأن هذا منضبط فهذا حب في الله ، الحب في الله يبني عليه محبة رسول الله ومحبة أصحاب رسول الله ومحبة التابعين ومحبة العلماء العاملين ، محبة العلماء الربانيين، محبة المساجد ، محبة القرآن ، محبة أهل القرآن ، محبة الدعوة إلى الله ، هذا كله حب في الله ، أيام تحب إنساناً شهماً ، إنساناً يحب الخير ، إنساناً عابداً تحبه كل هذا الحب ينضوي تحت الحب في الله .

لكن الحب مع الله لك قريب غني وكلما ذهبت إلى عنده يكرمك إكرام منقطع النظير ، يريك بيته ، يغذيك غذاء ثقيلاً ، يأخذك إلى الفيلا ، أنت مبسوط أكل وسيارات ونزهات ، لكن لا يصلي ، تقول الله يهديه ، أنت حينما تحب إنساناً ليس على منهج الله لمصلحة مادية بينك وبينه فهذا حب مع الله ، والحب مع الله عين الشرك ، فلذلك الإنسان يلبي دعوة الكبراء ، أنا أقول تلبية دعوة الكبراء من الدنيا ، أما إنسان دعاه في آخر الدنيا على كأس شاي والله ما في وقت أتمنى لماذا في وقت للمالكي ، من أين جاء الوقت ؟ هنا جاء الوقت ، هنا ما في وقت ، معنى ذلك المؤمن أخو المؤمن والله الذي لا إله إلا هو لا يمكن أن تضاف على كلمة مؤمن ولا كلمة ، تقول لي مؤمن من الريف والله قلامه ظفره تساوي مليون واحد مدني مرفه قلامه ظفره لإنسان يعيش في الريف

لكن مؤمن مستقيم تساوي مليون إنسان يعيش في المدينة بيته أجمل بيت وحياته مرفهة لكن ما فيه دين ، هذه كلها عنعنات جاهلية ، نحن أيام في كلمات يقولها الناس هذا ليس من الشام هذا من البلد الفلانية هذا كله جاهلية بجاهلية لا يضاف على كلمة مؤمن ولا كلمة هذه العقيدة الصحيحة وأنت تحب المؤمنين جميعاً من أي منبت من أي مشرب من أي جهة من أي مكان من أي محافظة تحبهم جميعاً .

كلمة دقيقة الفقير المؤمن تشتهي الفقر بفقره متعفف صادق متجمل يتضعض أمام الغني أبداً ، عفيف يحسبه الجاهل غنياً من التعفف تشتهي الغنى على الغني المؤمن متواضع مع الناس لا تحسه غنياً ، أحد علماء دمشق كان في تركيا بلغوا أن إنسان دفع ثلاثمئة مليون دولار للمؤمنين من أجل مشاريعهم ومن أجل جامعاتهم ، فالعالم من دمشق قال والله أشتهي أن أراه فجعلوا طعام إفطار ودعوا هذا العالم الزائر وهذا الغني المحسن جاء هذا العالم الدمشقي جلس ما كان يأتي هذا الغني فقال أين هو ؟ ساعة فقالوا له جالس على جانبك ، هو رآه متواضع ما ظنه غني ، نحن يدفع عشرة آلاف يريد رخامة ، ثلاثمئة مليون دولار لكن من كثرة تواضعه ما عرفه أنه هو ، تشتهي الغنى من غنى المؤمن والله تدخل إلى بيته يضعك في بيت يكرمك لا يشعرك أنك أفقر منه أبداً أنا ألاحظها الغني المؤمن لا يمكن أن يشعر إنسان فقير أنه فقير ، إذا كان المؤمن موظف تشتهي الموظف منه خدوم على عيني الآن نحله ، أما الآخر تعال غداً، موظف يعني فقير إن كان مريضاً تراه صابراً الحمد لله يا ربي لك الحمد ، وإن كان صحيحاً شاكراً ، عنده أولاد الحمد لله الله رزقنا أولاد ، تسأل إنسان شارد عن الله عز وجل تراه يشكو دائماً ، ماذا قال الشيطان ؟

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَأَنْتَبِهَنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)﴾

[ سورة الأعراف ]

يقول لك السوق ميت ، ما معنى ميت ؟ يعني ربح ثمان ملايين كان يربهم ستة عشر ربحهم ثمانية ومصرفك مليونين ، السوق ميت مسموم يقول لك لا يعاش في هذه البلد ومنزله عشرين مليون وسيارته ثمنها أربع وعشرين مليون ولا يعاش في هذه البلد ، ولا تجد أكثرهم شاكرين ، ترى مؤمن يسكن في بيت أجرة وستين متراً وشمالى وعلى معاش خمسة آلاف تراه يقول ربي لك الحمد ، إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها .

والله يا أخوان الرضا وحده يصيرك أكبر غني ، أنا أخ من إخواننا من كبار المحسنين بمحله تأتي إنسانة محجبة تطلب مساعدة ألف ورقة بالشهر ، أين بيتك يا أختي ؟ قالت له بداريا ، أخذ عنوانها ، يوجد اجتماع بداريا جمعية خيرية قال لهم يوجد أخت هذا عنوانها انظروا بوضعها ؟ قال له قم لنرى وضعها ، هو قبل أن تأتي الأخت لعنده كان عند أحد أغنياء دمشق أقسم لي بالله و هو متأكد أي حجمه المالي أربعة آلاف مليون قال لي من شدة الشكوى بيته و زوجته و أولاده و البلد لا تعجبه و العمل غير جيد قال لي لا يعاش بهذا البلد ، قال لي بركت معه ، ليس معقول أربعة آلاف مليون حجمه المالي و كل حديثه شكوى ، عندما زرنا هذا البيت في المساء قال لي ما هذا البيت تحت درج ، قال لي أول بيت أراه بحياتي تحت درج و معه فسحة ، المنطقة العالية غرفة نوم ، الأقل مطبخ ، الأقل حمام ، و هذه الفسحة ، ما هذا البيت ؟ كيف يسكن به ؟ زوجها مريض ، البيت نظيف ، الأولاد مرتبين ، هي محجبة ، نظروا إلى الوضع فرأوه يحتاج فقال له أعطها ألفي ليرة ، قالت له لا ألف يكفي أعطوا الألف لبيت غيرنا ، نحن معاش زوجي يكفينا أكل نريد أجرة هذا البيت بالشهر ألف ليرة ، أقسم لي بالله ظللت شهراً أوازن بين الذي يشتكي طوال جلوسي معه و هو يملك أربعة آلاف مليون و هذه التي تسكن تحت درج قالت تريد ألف ليرة بالشهر ، عندما الله يبقي بقلبك الغنى أنت أغنى الناس ، يكون دخلك بسيط جداً ، و سبحانك يا رب يوجد شيء اسمه بركة لا أحد هذه يؤمن بها ، بركة بدخل محدود تأكل و تشرب و عايش و مرتب أمورك و بدخل كبير فلكي يذهب أكثره مخالفات ، قال لي شخص أول مصالحة منتي و ثمانين مليوناً شخص غلطان غلطة بالجمارك ، أول مصالحة ، مصادرات و ضرائب و سجون و رشاوى و لا يوجد بركة، بالمنزل لا يوجد تقاهم ، لا يوجد محبة ، لذلك يجب أن نختم هذا الدرس :

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[ سورة النحل : الآية 97 ]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

[ سورة طه : الآية 124 ]

فأنت بالرضا عن الله أغنى الأغنياء ، بالسكينة أسعد الناس ، بالحكمة أدكى الناس ، بربكم الدولة الأولى بالعالم القوية الغنية التقنية العلم الكومبيوترات معقول أن تسرح ستمئة ألف إنسان بالعراق بلا دخل و مدرين على الحرب ثلاث حروب داخلين هذه حكمة ؟ يقولوا إن المقاومة الآن أضعاف القوات الأمريكية ، كلهم رجال حرب ،

رجال أسلحة ، و الحقيقة المقاومة أذاقت المحتل النجوم ظهراً أليس كذلك ؟ أين الحكمة ؟ لا يوجد نكاء إطلاقاً ،  
بالتعبير العامي الإنسان إذا كان مقطوعاً عن الله يكون كالحيوان ، على مستوى أفراد و على مستوى جماعات ،  
هذه الحكمة الإلهية :

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[ سورة البقرة : الآية 269 ]

على مستوى أفراد و مستوى جماعات و مستوى دول عندما يكون هناك انقطاع عن الله يكون هناك حماقات بعد  
حماقات و لا تنتهي الحماقات .

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (104 - 127) : لتتبعن سنن من كان قبلكم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-02-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، حينما يختصر الدين إلى عبادات شعائرية ليس غير تؤدي أداءً شكلياً يصبح المسلم مستعداً لقبول أي شيء يأتيه بعيداً عن الدين، ذكرت هذه المقدمة لأن العالم الإسلامي مع الأسف الشديد يحتفل بعيد لا يمت له بأية صلة لا من منطلقاته العقائدية ولا من أنماطه السلوكية، لكن حينما يضيق مفهوم الدين إلى العبادات الشعائرية وننسى حقيقته وننسى أصالته وننسى شموليته وننسى كل أبعاده التي تغطي كل جوانب الحياة تقع في هذا المطب الكبير.

أيها الإخوة، هذا الذي يحصل أنبأنا به النبي عليه الصلاة والسلام قال: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ قَالَ فَمَنْ ))

[ متفق عليه ]

يعني هناك تقليد أعمى لما يأتينا من الغرب والآية الواضحة الجليلة القطعية الدلالة، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

[ سورة آل عمران: 85 ]

كأن كلمة دين تعني الخضوع التام، الكرة دين، والفن دين، والغناء دين، وعيد الحب دين، خضوعك لله عز وجل خضوعك لمنهجه، خضوعك لكتابه ولكن.. من منا يصدق أن أصل الحياة كلها بني على الحب، لماذا خلق الله الإنسان؟ ليسعه لأن الله عز وجل يقول:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة: 54]

وإسلام بلا حب جسد بلا روح، جثة هامدة، لو تتبعنا آيات القرآن الكريم ولو تتبعنا كلام سيد المرسلين ولو تتبعنا مواقف الصحابة الكرام عليهم رضوان الله أجمعين لأيقنت أن الحب روح هذا الدين الآية الأولى:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[سورة المائدة: 54]

الآية الثانية:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

[سورة آل عمران: 31]

طبعاً في هذه الآية ملمح دقيق وهو أن كل إنسان بإمكانه أن يدعي محبة رسول الله أو أن يدعي محبة الله، ودعوى الحب سهلة جداً لأن دعوى الحب سهلة جداً لا تكلفك إلا أن تقول أنا أحب الله فقط لذلك الله عز وجل لم يقبل دعوى الحب إلا بالدليل، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

[ سورة آل عمران: 31 ]

بل إن الله سبحانه وتعالى حينما يقول:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾

[ سورة التوبة: 24 ]

الأقرباء كلهم الأصول والفروع والأخوات والأخوة والزوجة والعشيرة وأموال اقترفتموها، المال محبب في أصل خلق الإنسان، قال تعالى:

﴿رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾

[ سورة آل عمران: 14 ]

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ  
اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

[ سورة التوبة: 24 ]

إذا كلمة حب وردت في القرآن كثيراً كما أنها وردت في السنة كثيراً، بل إن خلق الإنسان أساسه الحب الدليل لو أراد الله أن يؤمن جميعاً وأن نستقيم على أمر الله جميعاً قسراً لكان القضية سهلة جداً والأدلة كثيرة ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً هداياً قسرية، ألا يستطيع رئيس الجامعة أن يجعل نسبة النجاح مئة بالمئة؟ القضية سهلة جداً أثناء طبع أوراق الإجابة يطبع معها الإجابة التامة من قبل مدرس المادة وزرع الأوراق يكلف الطالب أن يكتب اسمه ورقمه فقط والمئة مطبوعة بالأحمر وكل شيء منته، سهل جداً، لو أن الله أراد هداية الخلق قسراً لكان هذا سهلاً جداً لكن الله أراد أن نأتيه طائعين محبين مختارين، إذاً سر هذا الدين محبة الله وسر التكليف أن نعبر عن حبنا له، قال لك تعال يا عبدي إلى بيتي الحرام تقول له لبيك اللهم لبيك، لك بيت لك أهل لك غرفة خاصة لك مقعد وثير لك مكتب فخم لك مركبة لك مكانة لك ثياب خاصة تذهب إلى بيت الله الحرام ترتدي إزاراً وتطوف حول البيت وممنوع تعلق وممنوع أن تقص وممنوع تطيب وممنوع تقارب زوجتك، دليل محبة آثرت دعوة الله

على كل دنياك، الصلاة وأنت نائم الصلاة خير من النوم، الصلاة دليل محبة لله عز وجل، الصوم في أشد حالات العطش والماء بين يديك في بيتك بالبيت ما في أحد ولا أحد يراك لا تشرب لأنك تحب الله، لو تتبعت الصلاة والصيام والحج والزكاة هي محبة لو تتبعت أوامر الله عز وجل كأن الله يريدك أن تعرف نفسك أنك تحبه لذلك تترفع عن كل مال حرام، لو ذهبت تفهم شريعة الله عز وجل والعبادات والمعاملات تجد أن الحب أساس التعامل مع الله عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ ))

[ متفق عليه ]

كل عطاء الله عز وجل مبني على محبة العبد لربه، محبتك لله التي يعبر عنها بأنك تؤثر طاعته على هوى نفسك عندئذ تذوق حلاوة الإيمان وصدقوا أيها الإخوة الكرام، لا إيمان لمن لا محبة له والحب حينما يكون في القلب يجعل صاحبه إنساناً عظيماً الحب يجعلك تتألق يجعلك تتحمل أشد الصعاب يجعلك تعمل أعظم البطولات فالحب، الحب كله من الإسلام ويكفي أن الله عز وجل يقول:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

[ سورة المائدة: 54 ]

ولكن فيما أرى وفيما أقرأ وفيما يصل إلي الحب الذي أراده الإنسان في آخر الزمان أراد علاقة حسية بين ذكر وأنثى لذلك الذي يعد هذا العيد تخليداً لذكراه من خططه أن تضع الفتيات صورهن في مكان يأتي الشباب يسحبون من هذا الكيس صورة يعيش معها سنة قبل الزواج يجربها تجربة يخالطها تخالطه وفي الأعم الأغلب يكشف بعض العيوب فلا يتزوجها، يعني علاقة آثمة في النهاية، في أصل هذا العيد علاقة آثمة بين شاب وشابة وقليلاً ما تنتهي هذه العلاقة بالزواج.

أيها الإخوة الكرام، لكن لا بد من تنويه دقيق لقضية في شيء اسمه حب عقلي وبغض عقلي وفي شيء اسمه حب حسي وبغض حسي، الشهوات التي أودعها الله فينا تدعونا أن نحب ما يمتعنا، الإنسان لو عطل عقله يحب أكلة معينة يظل يأكل حتى يموت، في أكالات نفيسة جداً وكلها دهون وكلها شحوم وكلها أشياء ثقيلة ويأكل بلا حساب وبلا حدود إلى أن يموت هذا حب حسي، أحياناً الإنسان أمامه طعام نفيس جداً، طيب، لكن إدراكه إلى أخطار هذا الطعام و إلى آثاره السلبية على قلبه و على حركته لا يأكله، يأكل طعاماً قد لا يحبه لكنه مفيد نافع و خفيف.

ما الذي يجري ؟ هذا الموضوع ذكرني مرة كنا في جلسة و فينا طبيب جراح للقلب، قدّم له حلويات نفيسة جداً فأبى أن يأكل مع إصرار صاحب البيت الشديد، ثم قال و الله إني أحبها كثيراً و لكنني كلما أجريت عملية قلب و وجدت شرايين مسدودة أكرهها، نظر إلى آثارها، هذا الكلام معناه لو فرضنا امرأة تمشي أمامك بثياب فاضحة لأنك إنسان تحب أن تملأ عينيك من محاسنها، لكن المؤمن يعلم أن صلته بالله ثمينة جداً و أن كل سعاده بهذه الصلة و أن كل إقباله على الله بهذه الاستقامة و أن كل تألقه بهذا الالتزام و أن كل الخير الذي جاءه من الله بهذا الورع، فيوازن بين أن يملأ عينيه لدقيقة أو دقيقتين و بين أن يتابع صلته بالله عز وجل و يتلقى الخير من الله، فيغض بصره عنها، صار هناك حالة اسمها كراهية عقلية و حب حسي لهذه المرأة، يوجد محبة حسية لأنها محببة في الأصل إليه و يوجد كراهة عقلية نظراً للنتائج السلبية المترتبة على إطلاق بصره.

إذاً يمكن أن نقول المؤمن يحب بعقله و يكره بعقله، بينما الجاهل يحب بحواسه و يكره بحواسه، لذلك الناس الآن يعيشون لحظتهم.

أيها الإخوة الكرام، قضية الحب العقلي و الحب الحسي قضية مهمة جداً، من هو العاقل ؟ الذي يدرك العواقب، مآل الأمور، هذا الحب الحسي قد يفضي إلى النار، بينما الحب العقلي قد يفضي إلى الجنة، و هذا الموضوع أيضاً ينقلنا إلى ما يسمى بالحب في الله و الحب مع الله.

الحب في الله عين التوحيد، و الحب مع الله عين الشرك، كيف الحب في الله ؟ الحب في الله أصل من فروعه محبة رسول الله، و الحب في الله أصل من فروعه محبة أصحاب رسول الله، لذلك لا يقبل و لا يستساغ أن تكره صحابياً، محبة التابعين و كبار العلماء و الفقهاء و العلماء العاملين و العلماء الربانيين هذا فرع من محبة الله، محبة بيوت الله، محبة الأذان، محبة القرآن، محبة الإنفاق، محبة الخير، محبة العمل الصالح، هذه كلها فروع

من محبة الله، إذا تمكن حب الله في قلبك تجد نفسك منساقاً إلى هذه الأنواع من الحب، كل أنواع هذا الحب عين التوحيد، و ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، بشكل أو بآخر كل حب يقربك من الله هو حب في الله، شخص أحب القرآن فإذا قرأه خشع قلبه و انهمرت دموعه، محبة القرآن حب في الله، يحب مؤمناً، يجلس معه، يتكلم كلاماً طيباً، مؤنساً، لطيفاً، متواضعاً كريماً، وفيماً، صادقاً، ستيراً، يحب المؤمن في الله.

الآن محبة أي شيء إذا أبعدك عن الله سهرة مختلطة و هو في السهرة شيء ممتع أكثر مما أن تكون جميعها رجال، لكن بعد أن تنتهي هذه السهرة تحس بالمعصية، و الحجاب، قد لا تصلي العشاء، حجبت عن الله، استمتعت وقتها و بعدها حجبت عن الله عز وجل، فأبي حب يبعدك عن الله هذا حب مع الله و هو عين الشرك لذلك سيدنا علي يقول: الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، و أدناه أن تحب على جور، و أدناه أيضاً أن تبغض على عدل.

شخص ليس مستقيماً لكن زرتة، قدم لك طعاماً نفيساً و زوجته موجودة أيضاً تحب أن تسهر عنده مثلاً، أنا أتكلم أمثلة كتوضيح فقط لكن أنا موقن إخوانا الكرام الأطهار بعيدون جداً عن هذه الأمثلة فقط للتوضيح، أما حينما تزور مؤمناً قد يكون فقيراً و أجلسك بمكان خشن و غرفة غير مدفأة كثيراً لكنه هو مؤنس، تحب زيارته مع أن العطاء في هذا البيت ضعيف جداً وتكره زيارة هذا الغني المتقلت مع أن الطعام نفيس جداً، وأنا أعود إلى ما يسمى الحب في الله والحب مع الله وأؤكد مع الحب العقلي والحب الحسي كل شيء يؤذينا هو نوع من الحب الحسي ولو وصلنا إلى موضوع الطعام والشراب، الطعام المؤذي بالتعبير العامي طعام قاتولي طيب كثير، الطعام الصحي وسط يعني أقل، وأن تأكل حتى تشبع هذا شيء مريح، أما أن تأكل وتبقى جائعاً شيء متعب ولكنه يعطيك رشاقة يعطيك حرية حركة، يعطيك صحة طيبة يعطيك شعور بالنشاط، هذه حكمة الله عز وجل، كل شيء يمكن أن تنغمس فيه من الدنيا له متاعب كثيرة وكل شيء يمكن أن ترضي الله به له في المآل سعادة كبيرة لذلك أحد أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله لما سألته امرأته شيئاً لا يملكه قال اعلمي أيتها المرأة أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الأرض لغلغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر فلئن أضحى بك من أجلهن أهون من أن أضحى بهن من أجلك.

سبحان الله مستحيل وألف ألف مستحيل أو ألف مستحيل حتى ينقطع نفسك أن تطيعه وتخسر وأن تعصيه وتربح، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه، أنت حينما تؤثر طاعة الله على مصالحك المتوهمة أو على مكاسبك أو على دنياك أو على غناك تؤثر طاعة الله، الله عز وجل يعطيك طاعته ويعطيك تجلياته ثم يعطيك الدنيا بطريقة لا تعرفها، لذلك ورد في الأثر أنه من أحبنا أحببناه ومن طلب منا أعطيناه ومن اكتفى بنا عما لنا كنا له وما لنا. كل حركة وكل سكنة في حياة المؤمن أساسها الحب ولا إيمان لمن لا محبة له، هذا الحب تصنيع محلي من بلادنا من ديننا من تراثنا من تاريخنا وفي عندنا حب مستورد يوم الرابع عشر من شباط كله أحمر وأحمر من هكذا ما في.

والله الذي رأيت في بلاد الغرب في هذا اليوم الإنسان يكاد يفقد توازنه، يمكن سعر الورد الحمراء يصل بأرقام فلكية مئة ضعف أحياناً، سبحان الله كل ما الإنسان انتقد العصور السابقة بسخافاتا يقع في سخافات أكثر، الإنسان البعيد عن الله سخيئ جداً، هو الحقيقة هذا العيد من نتائج التواصل الإعلامي الشديد يعني كل قوم لهم قيم ومبادئ سابقاً هذه الاتصالات الإعلامية وثورة المعلومات والإنترنت الفضائيات أزلت الحواجز بين الثقافات، بالتمثيل اللطيف مثل واحد عنده ماء صافي قطعة لحم ضأني فواكه طازجة وفي خلط كبير واحد وضع فيه خمر وماء آسن ولحم خنزير وهذا وضع فيه لحم ضأني ووضع فيه ماء قراح وأدار الخلط، الذي حصل الآن أن الثقافات اختلطت، الشيء الذي يدغدغ شهوات الإنسان طفا على السطح أما القيم الأصلية طبعاً هي بالأساس من قبل الطبع غير مقبولة فتلاشت ودائماً وأبداً نحن في عندنا طبع وتكليف، والطبع يتناقض مع التكليف، طبع يدعوك إلى أن تنام والتكليف يدعوك على أن تستيقظ وأن تصلي، الطبع يدعوك إلى أن تأخذ المال والتكليف أن تنفقه، الطبع يدعوك إلى أن تملأ عينيك من محاسن امرأة والتكليف يدعوك إلى غض البصر، فالتناقض بين الطبع والتكليف هو ثمن الجنة قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[ سورة النازعات ]

لذلك أنا أقول الإنسان السخيف ضيق الأفق عديم الثقافة يؤخذ بهذه الصرعات، يؤخذ بها ولعل الشيطان جعلها مناسبة للانحراف الأخلاقي حب ماذا؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال: الحمد لله الذي رزقني حب عائشة. هل سمعتم بهذا العيد عن حب الزوجة؟ قلما حب الزوجة حب الأولاد حب الأهل، حب الإخوة الكرام المؤمنين لا، لذلك عندنا أستاذ جامعي له شأن كبير في علم النفس فلما أحيل على التقاعد أقيم له حفل توديع كبير جداً، ألقى كلمات كثيرة لكن كلمته لفتت النظر قال: الإنسان الذي لا يشعر بحاجة إلى أن يحب كما أنه لا يشعر بحاجة إلى أن يحب ليس من بني البشر. لأنك إنسان ينبغي أن تحب، الحب دين المسلم، يحبهم ويحبونه، ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

امرأة بلغها أن النبي قد قتل في أحد فخرجت تبحث عنه رأت أختها مقتولاً فقالت ما فعل رسول الله؟ رأت أباها مقتولاً ثم رأت زوجها ثم رأت ابنها وتقول ما فعل رسول الله؟ إلى أن وقعت عينها عليه وهو سليم فقالت يا رسول الله كل مصيبة بعدك جلل أي تهون، هذا الحب لما الإسلام أحبوا فتحوا العالم، كنت مرة في تركيا أجري معي حديث صحفي قلت لهم في صورة زيتية بمتحف فيينا تصور الجندي التركي حينما وصل إلى فيينا وأراد أن يشتري العنب من بعض فتيات فيينا يعطي هذا الجندي حسب الصورة الزيتية الفتاة ثمن العنب ويغض بصره عنها، وصلوا إلى قلب أوروبا، قلت لهم مداعباً فلما تألمتم في محاسن النساء رجعت إلى تركيا، الإنسان بالطاعة يصل وبالتقصير يخسر كثيراً فكلمة حب داخلة بدم كل مسلم، والله أيها الإخوة الكرام، الوسائل الإعلانية تركز لا على محبة الزوجة أبداً بالعكس في تلميحات إلى أن الزوجة مملّة ألفتها وألفتك دائماً بتعبيرهم العاطفي يعني دفى المرأة لا يوجد برأي أصحاب هذه البرامج إلا بالحرام، أما زوجة طاهرة نقية شريفة محبة مخلصّة تقدم لك كل شيء ترعى أولادك في خدمة البيت تربي أولادك مملّة، وأنا أؤكد لكم أن ما يجري في العالم الإسلامي اليوم ترى كل نعمته للسكرتيرة كل لطفه لموظفة إلى جانبه وكل قساوته وكل إعراضه لزوجته، الشيطان في الدرجة الأولى مهمته أن يبغض الرجل لزوجته، ومهمته أن يحببه بامرأة لا تحل له ترى نعومة الرجل لطافته كلامه اللطيف ابتسامته المشرقة تواضعه طرفه اللطيفة حديثه الممتع لامرأة لا تحل له، بالمقابل والزوجة لزوجها بصورة غير مقبولة بإهمال شديد بصوت مرتفع بإهمال شديد، بنقد بتعليقات بالإحاح وكل نعومتها لأقربائها الذين لا يحلون لها، هذه مشكلة أيها الإخوة الكرام، فإذا تحدثنا عن عيد الحب ينبغي أن نحب من إذا أحببناه رضي الله عنا، ينبغي أن نحب من إذا أحببناه رضي الله عنا وينبغي أن نبتعد من إذا أحببناه غضب الله علينا، حينما يكون هذا الدين مفهوماً عند المسلمين لا يابهنون لجديد لأن دينهم به كل شيء، الحب الحقيقي الحب الصافي الحب

المخلص الحب المبدئي الحب المستمر أساسه الدين، وما سوى ذلك فهو حب حسي أساسه الشهوة وأكبر دليل تجد الشاب وهذه قصص في الإنترنت لا تعد ولا تحصى يتظاهر بنعومة ولطف ولباقة وتعبير عن أشواقه بشيء لا يوصف فإذا وصل إلى اللذة الحسية مع هذه التي غدرها يركلها بقدمه مجرم، فلذلك أيها الإخوة الكرام، أنا أعتب عتياً شديداً على إنسان هذا العيد الذي جاءنا من بلاد الغرب ولا ينتمي لا إلى ديننا ولا إلى مبادئنا بل إن منطلقاته الفكرية تتناقض مع مبادئنا بل إن أنماط سلوك المحبين وفق هذا العيد يتناقض مع قواعد شرعنا كلما الإنسان حافظ على دينه ورفض أن ينصهر في بوتقة العالم، أنا ذكرت لكم في خطبة قبل السابقة أن مؤتمرات السكان التي عقدت تباعاً وكان آخر مؤتمرات الأول في القاهرة والثاني في بكين هذه المؤتمرات توصياتها تدعو إلى الإباحية الجنسية وطموحهم وأقول طموحهم لأن الله يحفظنا إن شاء الله، طموحهم أن تجسد هذه التوصيات بتعديل قوانين الأحوال الشخصية، طموحهم أن تتجسد هذه التوصيات بتعديل قوانين الأحوال الشخصية ولست متشائماً حينما أقول لقد وقع عليه مئة وتسعة وثمانين دولة في العالم ومعنى وقعوا عليه أي عليهم أن يغيروا الأنظمة الشخصية، قانون الأحوال الشخصية ولا مانع من ذكر بعض الفقرات، ليس في كل التوصيات كلمة زوج في شريك، والزواج بتعريفه الدقيق عقد بين شخصين قد يكونان ذكراً أو أنثيين أو ذكر وأنثى، بل إن الزواج الذي جاء به الأنبياء وجاءت به تشريعات السماء يعد زواجاً متخلفاً لماذا ؟ قال لأن المرأة تعمل بلا مقابل ولأن الزوج في علاقته معها يغتصبها و من حق المرأة أو الفتاة أن تمارس الجنس مع من تشاء وفي أي وقت تشاء وفي أي مكان تشاء دون أن تسأل، أنا كنت في أستراليا لو وجد إنسان في فراشه مع زوجته رجلاً لا يستطيع أن يثبت ببنت شفة من حقها، الذي ينتظر المسلمين إذا تركوا صيانة دينهم شيء لا يصدق، الإجهاض الآن من توصيات هذه المؤتمرات يعني فتاة حملت من صديقها لها أن تذهب إلى المستشفى لتجري عملية الإجهاض دون أن تسأل من قبل أحد، حتى الأغرب من ذلك التوصيات تضعف سلطة الأب وتعد هذه السلطة تتناقض مع حرية الإنسان بل تضعف نظام الزواج أصلاً بل تريد تأخير الزواج إلى أعلى عمر ممكن والبديل أن يمارس الشباب العلاقات الآثمة في بيوت آبائهم وأمهاتهم، شيء أنا والله لا أصدق، والله لا أصدق أن يستطيعوا إقحام هذه التوصيات في العالم الإسلامي لأن الدين إن شاء الله راسخ في تقصير كثير وفي معاصي كثيرة لكن أن يصل بنا الأمر إلى هذا، هذا مستحيل هذه التوصيات تحتاج إلى عيد حب أليس كذلك ؟ هذه التوصيات التي تحيل المجتمع إلى مجتمع إباحي ما في حرمة إطلاقاً للمحارم ما في أي مانع ما في أي قيد هذه التوصيات المؤتمر الذي بعد مؤتمر بكين بعد شهرين وأنا بالمناسبة عضو في هذه اللجنة التي تقرر موضوع التوصيات أنا مندوب

وزارة الأوقاف فقرأت هذه التوصيات شيء لا يصدق، لكن الحمد لله هذا البلد الطيب رفضها كلها وجمدها ولم يعبأ بها لكن أمامه مشاكل هناك مشكلات تنتظر أي دولة لا تطبق هذه التوصيات منها عقوبات اقتصادية، على كل أنا لست متشائماً لكن يجب أن يعلم المسلم من هو عدوه، الحروب القديمة أيها الإخوة الكرام، هي حروب اغتصاب أراضي وثروات الآن حروب تغير هويات محو ثقافات، يعني هناك حملة على هذا الدين لا يصدقها العقل، حملة على حجاب المرأة أنا ذكرت لكم في الخطبة أنّ في فتاة في نيويورك ارتدت ثياب الشاذات يبدو أن مدير الثانوية على بقية من مروءة فطردها أقام أبوها دعوى على الإدارة وريح الدعوى وكان الجزاء ثلاثين ألف دولار، كان تعليقي أن فتاة شاذة تخالف شرائع السماء الثلاثة يقيم أبوها دعوى على مدير المدرسة ويربحها بينما الحجاب الإسلامي يمثل أحد ركائز الدين الإسلامي وهذا الدين يدين به أكثر من ثلث سكان العالم ومع ذلك مرفوض بمعظم بلاد أوربا.

نحن في أي عصر كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ الصحابة ما صدقوا ذلك قالوا أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال وأشد منه سيكون، قالوا وما أشد منه؟ قال كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا أو كائن ذلك يا رسول الله؟ قال وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه؟ قال كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ونحن في هذا ما ممكن يسمحوا لتركيا أن تطمح بدخول المجموعة الأوروبية إلا أن تصرح أن الزنا ليس جريمة سلوك عادي.

اليوم إنسان سألني أن يقيم في بلاد بعيدة، قلت له أنت إذا ذهبت إلى صنبور الماء أمامي وشربت كأس ماء بماذا تشعر؟ قال لا أشعر بشيء، بماذا يشعر من حولك هل ارتكبت ذنباً؟ قال لا أبداً شربت كأس ماء، قلت له والله فيما أعلم ولا أبالغ أن جريمة الزنا في بعض البلاد كشرية الماء.

يقول عليه الصلاة والسلام عن آخر الزمان رجال معهم سياط وجلدون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات.... الشيء الذي يلفت النظر لماذا جمع النبي عليه الصلاة والسلام بين القمع وبين التقلت الأخلاقي، لعل المعنى أن الإنسان، إذا أرادوا احتلال أفغانستان ماذا يفعلون؟ يأمرؤا بسفور النساء وإنشاء أماكن للتزيين والأفلام الإباحية فالمستعمر أو المحتل متى يمكن؟ إذا الأمر تقلت من مبادئ القوم فأينما حل الاحتلال يروج الفساد يروج الأفلام الإباحية يروج المحطات الإباحية يروج المجلات الداعرة يروج أماكن التزيين يروج سفور النساء، فكأن النبي عليه الصلاة والسلام من بعثته كشف الله له أن كل احتلال أو كل قمع أو كل سيطرة تحتاج

إلى انحلال خلقي حتى يسهل تنفيذ ما يصبو إليه هذا المحتل وهذا شيء واضح بالعراق وضوحاً تاماً، واضح في أفغانستان يعني أفلام مراقص ودور لهو وأماكن تزيين النساء، سفور المرأة والأفلام إباحية.

حدثني أخ جاء من العراق قال لي الأفلام الإباحية تباع على الرصيف دون قيد أو شرط حتى الهيروين أنواع المخدرات تباع على الرصيف دون أن يسأل أحد عن هذه المخالفة مع أن عندنا الإعدام العقوبة، الاتجار بالمخدرات الإعدام العقوبة، هناك تباع على الرصيف فمعنى أن المحتل لا يتمكن إلا بنشر الإباحية سأل الله عز وجل أن يحفظ بلادنا ويحفظ أولادنا وبناتنا إنه على ما يشاء قدير

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (105 - 127) : لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-02-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا مع كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، وموضوع هذا الدرس الترهيب من المسألة وتحريمها مع الغنى وما جاء في ذم الطمع والترغيب في التعفف والقناعة والأكل من كسب اليد.

أيها الإخوة الكرام، القضية أنك ترى المسلمين في وضع سيئ جداً لو أردت أن تعطي التعليل كأنهم فهموا هذا الدين أنه أداء عبادات وكأن المعاملات أغفلوها فذلك لا أحد من الطرف الآخر يقبل عليك ما لم يكن للمسلم خلق صارخ يلفت النظر، ما لم تبدو عفته ما لم تبدو استقامته ما لم يبدو كرمه ما لم تبدو استقامته ما لم يبدو كرمه ما لم يبدو وفاءه، فإن الناس لا يقبلون على هذا الدين، وبعض الأمثلة المعاصرة لما إنسان طبق جانباً واحداً من الدين الجانب الإنساني وعاش للناس فلما غادر الدنيا قامت الدنيا ولم تقعد من كل الفئات ومن كل الانتماءات السبب كان محسناً أحسن إلى كل الفئات، هذا دليل إن أردت أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً اعلم علم اليقين ما لم تكن محسناً ما لم تكن في أخلاقك صارخاً ما لم تكن عفتك بادية ما لم يكن ورعك قوياً ما لم يكن عطاؤك سخياً ما لم يكن وقوفك عند حدود الله صارماً فإن صلاتك وصيامك وحجك وزكاتك لا يلفت النظر، إياك أن تعتقد أن الناس يعجبون من العبادات الشعائرية والله لا يلتفتون إليها إطلاقاً، الذي يعجبهم في الإنسان معاملته وأهم فكرة أقولها دائماً ولا أتوانى في ترادها وهي أن النجاشي حينما سأل سيدنا جعفر عن الإسلام قال له: وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء. تعريف أخلاقي محض، فأنت تسأل هذا السؤال الذي يقلق الناس جميعاً لماذا المسلمون هكذا ؟ يعني متى يكون المسلم علماً من الأعلام ؟ حينما يعيش للناس حينما يظهر إسلامه بطولات عطاءات أعمال جليلة عندئذ يقتنع الناس بهذا الدين إلا إذا أردت أن تعيش وحدك وأن تتسحب من المجتمع وأن تلغي عمك الصالح.

أذكر أحد الإخوة الكرام سألني سؤالاً: له عمل ودخله جيد وعنده بيت ملك وعنده مركبة جيدة وعنده زوجة وأولاد في مشروع يريد أن يقدم عليه ضخم يكلف مئات الملايين ومعه جزء يسير لكن سيدخل في مائة كبيرة جداً قال لي بماذا تنصحنني ؟ قلت والله أنصحك بالإقدام على هذا المشروع وأنصحك بالإحجام، قال كيف ؟ قلت له لو أن في ذهرك هدفاً كبيراً سامياً أن تقوي المسلمين وأن توفر فرص عمل لهؤلاء المسلمين وأن تستغني بهذا العمل عن الاستيراد، يعني في أهداف كبيرة جداً، إذا كنت تعيش مشكلة المسلمين والذي يقويهم أن تنشئ مشروعاً تمتص عدد كبير من العاطلين وأن تكون قدوة لهم وأن تفتح مئات البيوت وأن نستغني عن الاستيراد وأن توفر فرص عمل وأن توجه هؤلاء الذين عندك إلى الله أقول لك اقدم ولا شيء عليك هذا هو الدين وهذا هو الإيمان، الإيمان قوة الإيمان غنى أما إن أردت من هذا المشروع أن يزداد دخلك وأن ترفه أولادك وأن تعطي كل واحد مركبة فخمة جداً وأن تزهر على الناس أنصحك بصرف النظر عن هذا المشروع، لاحظ نيتك.

مشكلتنا أيها الإخوة، أن كل مؤمن رضي أن يصلي ويصوم ويحضر درس علم وانتهى الأمر والناس يتداعون علينا كما تداعى الأكلة إلى قصعتهم، أنا أتكلم الآن بكلام يمس واقع المسلمين نحن في أدنى درجة في العالم والله متابعة أخبار المسلمين تفتقر القلب أينما ذهبت، أنت مالك مكلف بشيء ؟ هذا المثل ذكرته قبل قليل إنسان يستطيع أن يخدم والمثل الذي بين أيدينا الذي عاشه الناس اليوم في هذه الأيام شخص كان محسناً لكل الفئات فلما مات تقاتل الناس على التعزية من كل حذب وصوب أليس كذلك ؟ هذا شيء يعطيك معنى دقيقاً أن المحسن محبوب، يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، يا ترى أنت تعيش بقلوب الناس ؟ يعني عملك الصالح واصل لعشرات بل لمئات كل واحد التقى معك كل واحد عاملك تارك به أثراً طيباً يدعو لك من أعماقه يدعو لك أن يحفظك الله أن يحفظ لك مالك أن يحفظ لك صحتك تارك أثراً طيباً ما الذي يبقى بعد الموت ؟ أيها الإخوة صدقوني الإنسان بعد الموت يلخص بكلمتين إما أن يقال الله يرحمه أو أن يقال الله لا يرحمه، كل عملك سنة وستين سنة كلمتين الله يرحمه، أو العكس فنحن يجب أن نعمل هذه قضية سماع الدرس والله هذا شيء رائع والله لو اكتفينا بهما ما قدمنا شيء والله لو اكتفينا بسماع الدرس ما قدمنا شيئاً.

وأؤكد لك أن حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، أبواب الخير والله لا تعد ولا تحصى والله الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، لو يتفتق ذهن الناس على الأعمال الصالحة تجد أعمالاً لا تعد ولا تحصى والله عز وجل شاءت حكمته يكون في فقير وغني في قوي وضعيف ولو في وقت لذكرنا أنواع من الأعمال يعجز الفكر عن تصورها، امرأة أصيبت بمرض خبيث في دماغها فدعت ربها أن إذا شفاها لتعملن عملاً ترضيه، الله شفاها امرأة فقيرة لا تملك من الدنيا شيئاً والعملية الجراحية أجريت لها مجاناً من محسن ماذا تفعل ؟ بدأت تطبخ طبخات نفيسة و تبيعها، تتقن الطبخ فقط، بالمناسبة أخوات كريمات في رمضان الماضي أقسم لكن أنهن فقيرات انتقوا

سبعة ثمانية كل يوم يصنعون طبخة تطعم عشرين أو ثلاثين إنساناً فقيراً وأكلات شامية متقنة خلال ثلاثين يوم أطمعوا، الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى أنا لا أتحمّل مسلم يسمع دروس فقط لا أتحمّل قضية الإدمان على سماع الدروس لا تقدم شيئاً حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، أيام أخ يلتقي من أخوين أو ثلاثة يدرسه لغّة أجنبية قدم شيئاً، قوي بالرياضيات علمهم رياضيات، إنسان لا يحسن شراء حاجاته على مشارف الزواج تعال أعنه على شراء حاجاته، كل عمل عند الله كجبل أحد، ورد في بعض الأحاديث أن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة وقد تراها يوم القيامة كجبل أحد، دائماً عمل حساب يومي أنا اليوم ماذا فعلت؟ ماذا طورت؟ عندك عمل طوره، عندك وقت فراغ املأ هذا الوقت بعمل طيب، الأجانب عندهم أعمال عجيبة إذا كان إنسان في عنده وقت فراغ في جمعيات خيرية تكلفك أن تؤنس إنساناً بالتسعين يعيش وحشة كبيرة جداً يجلس معه يحدثه يحضر له صحيفة شيء، أنا أريكم الأعمال التي تقام في بلاد أخرى فأنت مسلم وأنت تطلب الجنة من الله عز وجل والجنة لها ثمن إذا كل إنسان يحاسب نفسه أنا ماذا قدمت لله في هذا الأسبوع؟

هل عدت مريضاً؟ هل سرت في جنازة؟ هل أطمعت جائعاً؟ هل دلت على الله تائهاً؟ هل قدمت معروفاً؟ هل أمرت بمعروف؟ هل نهيت عن منكر؟ أنا أحب هذا المسلم لا يبقى في مؤخرة الأمم، أنا أحب هذا المسلم لا يبقى في مؤخرة الأمم ولا نبقى نتحدث حديثاً فقط، أنت لما تعرف قيمتك عند الله فيما تعطي لا فيما تأخذ، أكثر الناس يفتخر ببيته يقول لك أربعمئة متر يفتخر بمركبته يفتخر بشهاداته يفتخر بحجمه المالي، أنت افتخر فيما تعطي لا فيما، تأخذ اعتبر قيمتك عند الله فيما تعطي لذلك الأنبياء أعطوا كل شيء ولم يأخذوا شيئاً والطغاة في العالم أخذوا كل شيء ولم يعطوا شيئاً، الأنبياء ملكوا القلوب أنت يمكن أن تكون قوي والناس يمدحوك بوجودك فقط لكن في غيبتك لا يمدحوك لكن لو كنت محسناً حقيقة المديح الذي لا يحصى في غيبتك وبعد مماتك.

إذاً هذه النقطة ننتقل إلى عمل، ماذا عمل؟ لو أن الإنسان أراد وصدق في تقديم عمل صالح والله يجد أعمالاً لا تعد ولا تحصى، والله السلف الصالح تقننوا في أوقاف يحار فيها العقل، يعني إذا إنسان كسر آنية ومعلمه قاس في وقف خاص للأواني المكسورة يحضر قطعة منها مكسورة يأخذ إناء كامل حتى يتلافوا مشكلة مع هذا السيد الصعب، في أوقاف لتزويج العوانس كيف؟ يهيئوا بيتاً لهذه المرأة التي لا تتزوج، لما صار معها بيت في إنسان يتمنى أن يتزوجها، هذا وقف كان، في وقف المعرض كلها كان وقف للدواب المريضة أي دابة مرضت في هذا المكان تأكل وتشرب وتنام ولا شيء عليها بحسب حاجاتهم، في وقف للزواج، عقد مؤتمر الأوقاف في دمشق وأنا ألقيت محاضرة وسمعت محاضرات كثيرة لفت نظري في بعض البلاد الإسلامية في أوقاف مذهلة مثلاً وقف للوفاق الزوجي إذا في خصومة أسرية هذا الوقف فيه خبراء وفي رجال دين وفي سيارات وفي مكاتب يتصلون بأهل الزوجة يقنعوهم في النهاية يصير وفاقاً، وقف لتعليم الكمبيوتر إذا في شاب فقير ما معه لدورات

الكومبيوتر يعلموه كومبيوتر حتى يصبح قوياً، يمكن أن تعلم أناساً في وقف مثلاً لتحبيب القراءة عند الصغار الإنسان لما يقرأ يصبح مثقفاً، يطبعون قصصاً من أعلى مستوى يوزعونها مجاناً لما يقرأها الطفل يألّفها يبحث عن قصة أخرى دخل في عالم المطالعة عالم القراءة.

الإنسان فقط عندما يفكر أنا لماذا موجود؟ ما الذي يمنعني أن أعمل صالحاً؟ هذه السيارات كلها فيها أشرطة أغاني بدأ يوزع دروس علم متفوق جداً هؤلاء السائقين طربوا لها جاءوا على الجوامع واستفاد الركاب أيضاً عوض غناء غناء قال له ضع هذا الشريط، شريط علمي لطيف، يجب أن يتفتق ذهنك عن عمل صالح لازم تستيقظ وأكبر همك هؤلاء المسلمون الضائعون الشاردون الضعفاء الفقراء المقهورون، وطرق الغنى بيد الإنسان تحتاج إلى تعاون إلى إنكار للذات، تحتاج نظام فريق العمل، إدارة وقت، فأنا الذي يؤلمني أن هؤلاء المسلمين يحتاجون إلى عمل تبقى فقط بسماع الدرس وتقول يا أخي الإسلام عظيم ما شاء الله هذا الدين دين الله، هذا القرآن كلام ربنا، لو قلت أنه كلام ربنا إلى يوم القيامة ودين الله ونبينا سيد الأنبياء ماذا فعلت أنت؟ أو إذا خطبنا اللهم عليك بهم إنهم لا يعجزونك، اللهم دمرهم، اللهم شتت شملهم، اللهم فرق جمعهم، اللهم اجعل تدميرهم في تدبيرهم، لا يدمروا يقوى زيادة قال تعالى:

### ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا ﴾

[ سورة التوبة: الآية 105 ]

أنت ماذا فعلت؟ حدثني أخ معه جنسية من بلد أوربي وقدر يقدم أعمالاً لأوربا يكون البائع الأول هذه قضية حساسة جداً هم يحسبونه من عندهم ويستوردون هو العمل في دمشق والموظفون كلهم من دمشق وأمن فرص عمل كبيرة لعدد كبيرة من الناس قدم شيئاً، مسلم متحرك وليس مسلم سكوني، مسلم فقط لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل، يا أخي انتهى الإسلام، ما عنده فقط إلا أن يبيئك يثبط عزيمتك، يتكلم بالمؤامرة، هذا عمل الصهيونية، وهذا الموساد فعل هذا، هذا و آخرتها إن وجد حفرة بالطريق الاستعمار، لم يعد مقبولاً الكلام الخطأ كله منا، الخطأ كله من المسلمين فقط، هكذا اعتقد، أما كلما وجدت مشكلة تعزيبها لجهة بعيدة، نحن مجتمع خطأنا منا و صوابنا منا، فهذا الكلام نابع من ألم عام عندما تتابع الأخبار، عندما ترى المسلمين في العالم الإسلامي أمرهم متفرد معقول عشرين ثلاثين دولة بأوربا بينهم حروب ما صنع الحداد و كانوا متخلفون الآن جميعاً ينطق باسمهم واحد، جميعاً منطقة تجارية واحدة، و الله حدثني أخ قال لي و الله تكون ركباً في القطار كنت بفرنسا وجدت نفسي بألمانيا لا يوجد حدود أبداً، لا يوجد حدود و لا وقفة و لا هوية و لا جواز سفر

و لا ختم أبداً، أوريا كلها وحدة كاملة، عملة واحدة، اقتصاد واحدة، تنقل أموالك، تنقل ممتلكاتك، تنقل حساباتك كلها بواحد، فكروا مليون عمل ممكن أن تعمل به و الوضع كما هو، ممكن أن تعمل مليون عمل.

و الله دخلت إلى عيادة أحد إخوانا الأطباء و الله لولا أنني أعلم علم اليقين أنني بسوريا قاعد لظننت نفسي بأمريكا، أحدث تقنية، نظام فريق عمل، عدة غرف عيادات، ترتيبات، إلكترون، كومبيوترات، انترنيت، فحوص دقيقة، انظر، هذا بلدك، هذه أمتك، أنا أقول لا يوجد معي تفاصيل و لكن أحاول أن أقدم لكم شيئاً من مشاعري، من ألمي، دائماً نحن بالدرجة السفلى، دائماً مقهورين، دائماً نمر بظروف دقيقة، دائماً التحديات كبيرة أمامنا، متى سنتحدى نحن الآخرين ؟ هذا يبني على سواعدكم، على أعمالكم، طالب بمدرسته إذا تفوق قدم أكبر حل، إذا تفوق باختصاصه، إذا تفوق استغنيا عن خبير أجنبي، طبعاً قصصاً كثيرة جداً يوجد بواحد نهضة إن شاء الله، لكن أنا أقول إن هذا المسلم يجب أن يلفت النظر، كيف هذا الذي غادر الدنيا قبل أيام لفت نظر العالم كله ؟ كيف لفت نظر كل الطوائف و الفئات و الكل بكى و الكل اختل توازنهم بمغادراته ؟ ماذا فعل ؟ خدم، درس طلاباً، قدم مساعدات، اشترى محاصيل و وزعها، فأصبح بقلوب الناس جميعاً، أنا لا أتكلم إلا من جانب واحد، لا علاقة لي بأي جانب آخر، أتكلم من جانب إحسانه و إنسانيته فقط، فلفت نظر العالم كله، هكذا ينبغي أن تكون إما بعلمك أو بمالك أو بمكانتك.

نحن عندنا مشكلة اسمها الإعجاب السلبي دائماً معجب بدينه، أخي ديننا عظيم الحمد لله على دين الإسلام و السكنى بالشام، الحمد لله ليوم القيامة و أنت أنت، يجب أن تعرف أن الإسلام بحاجة إلى إبداع، إلى عمل، إلى شيء متميز، إلى تعاون، لو وجد التعاون بين المؤمنين مثلاً ببعض البلاد يوجد جمعية تدرس السلع بالأسواق دراسة علمية، السلعة الجيدة تثني عليها بمجلة، و السيئة تكتب سلبياتها و أخطاءها، و إذا وجدت سلعة فيها سلبيات كثيرة تنبه المسؤولين صار المشتري يعرف ما يريد أن يشتري، يفتح المجلة يرى ماذا يوجد من سلع متقنة جداً، ثم إذا كان السعر غير معتدل ينصحوا الناس ألا يشتروها، هذا درس للبائع، عندما البائع يرفع السعر بشكل غير طبيعي تأتي الجمعية ترى السعر لا يتناسب مع المواصفات تعمل ملاحظة يوجهوا كلام للناس امتنعوا عن شراء هذه السلعة يفلس المعمل فوراً ينزل السعر، ممكن أن تعمل مليون عمل ونحن كما نحن، ممكن عمل تعليمي، عمل تدريسي عمل إرشادي عمل تجاري عمل صناعي، ممكن تعمل نشرات تؤولف كتباً تعمل مدارس الأمر مفتوح، في عندنا صعوبات أكثر من غيرنا طبعاً، في أناس فتحوا والصعوبات تجاوزوها هنا بطولتك تكون تسمع خمس ست شباب ينوون أن يفعلوا شيئاً يقدموا بحثاً، و الله في مجموعة أطباء أنا والله أثني عليهم من قلبي

معهم أعلى الشهادات في العالم وجدوا بلدهم متخلف جداً وزملاءهم في المهنة في ضعف بالمعلومات كثير جداً، بالمناسبة أخوانا الطبيب في العالم الغربي يحتاج إلى ترخيص سنوي إذا ما حضر ثلاث مؤتمرات بالسنة مجموع ساعات المحاضرات خمسين ساعة لا يرخصوا له ثاني سنة تغلق عيادته يجوز تجد عندنا طبيب منذ ثلاثين سنة ما فتح كتاباً، الطب يتقدم بسرعة بالغة يجب أن يحضر مؤتمر كل سنة أو اثنين ويحضر وثائق حتى يعطوه رخصة جديدة متى ننتبه نحن إلى تحسين أعمالنا، تطوير صناعتنا، تطوير زراعتنا، تجد في مواد نستوردها مسرطنة تأتي تهريب، لو فرضنا صار في توعية مثلاً توعية صحية الإنسان يتحرك، أنا لا أقول لكم ماذا تفعلوا لكن كل إنسان باختصاصه يقدر أن يفعل شيئاً أقل شيء الكلمة الطيبة والكلمة الطيبة صدقة.

هذا التقديم ملخصه أن حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، مالك عمل مالك حجم عند الله قال تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

[ سورة التوبة: 105 ]

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[ سورة المجادلة: 11 ]

والقرآن الكريم أغفل كل القيم التي تعارف الناس عليها، الناس يهتمهم الغنى، يهتمهم الوسامة، الذكاء، القوة، أن يكون بمنصب قوي، أو وسيم، أو جميل، أو ذكي، أو غني، كل هذه القيم أغفلها القرآن الكريم، أبقى قيمتين اعتمدهما القرآن الكريم في الترجيح بين خلقه، قال تعالى:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

[ سورة المجادلة: 11 ]

هذه واحدة النقطة الثانية قال تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

[ سورة التوبة: 105 ]

## ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[سورة الأنعام: 132]

نحن عندنا العلم والعمل، حاول في كل يوم أن تزداد علماً وحاول في كل يوم أن يزداد عملك صلاحاً تقريباً إلى الله عز وجل، ماذا يقابل هذا الشيء؟ أن ترتاح للأخذ لا للعطاء، الحقيقة انطلقت من باب تحريم المسألة مع الغنى، كثير إنسان لما يأخذ من دون جهد يستبرئ البطالة فإذا كلفته بأي عمل صدقوا أيها الإخوة الكرام، أنا أتكلم من واقع فرضاً إنسان فقير تعطيه مبلغاً تكلف أحياناً إذا معه زكاة مال يعطيه هذا يأتيه مبلغ من دون تعب يستيقظ الظهر يأكل يرتاح مساءً يسهر مع أصدقائه مصروفه مؤمن، الآن تكلفه بعمل يحتاج إلى أربع ساعات، يقول ما ناسبني أستاذ، هذا لا أقدر عليه أنا جربت هذا عمل لا يرضى، الثاني لا يرضى لماذا؟ أَلِفَ البطالة مع الأخذ هذا أكبر مرض يصيب الإنسان لا تطعمني سمكاً علمني كيف أصطاد السمك.

أنا أذكر قصة النبي عليه الصلاة والسلام ذكرها أما دقيقة جداً رجل طلب منه مالاً قال له أعندك شيء في البيت؟ قال عندي قعب وحلس يعني بساط صغيرة قال أتني بهما، النبي عليه الصلاة والسلام دعا أصحابه لشرائها، من يشتري هذه؟ قال واحد بدرهم قال من يزيد على ذلك قال الثاني بدرهمين قال خذ الحلس والقعب وهات الدرهمين دفعهما لصاحب الحلس والقعب قال له اذهب إلى السوق فاشترى بدرهم طعام فانبذه لأهلك واشترى بالدرهم الثاني قدوماً وأتي به إلي، فاشترى طعام أعطاه لأهله واستقر نفسياً، هذا معنى دقيق أنت ما لم تكن مطمئناً على أهلك لا تنتج بعملك فلما أعطى أهله الطعام ارتاحت نفسه قال أتني بالقدوم، النبي عليه الصلاة والسلام شد بيده الشريفة عصا لهذه القدوم قال له اذهب واحتطب ولا أرينك لخمسة عشر يوماً، هذا غاب خمسة عشر يوم وجاء بثمانية دراهم قال له النبي عليه الصلاة والسلام هذا خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك.

أيها الإخوة الكرام، النقطة الدقيقة بالموضوع أن الإنسان حينما يفتح على نفسه باب مسألة يفتح الله عليه باب فقر، لمجرد إنسان يأخذ قراراً بمد يده للناس يفتح الله عليه باب فقر وعندئذ الأمور كلها معسرة أمامه أراد لنفسه أن يمد يده للناس أما حينما يتخذ الإنسان قراراً أن يسأل الله وحده تجد الأمور تيسر له، الله عز وجل موجود وحده، أحياناً أقول لا يوجد إلا الله لا أشعر أنني أدبت ما علي في معانيها الله هو الرزاق هو المانع هو الخافض هو الرافع هو المعز هو المذل يخلق من الضعف قوة من التعسير تيسير من المصيبة فرج كبير هذا هو الله عز

وجل.

الحديث الأول: عن ابنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ. ))

[ متفق عليه ]

المزعة يعني قطعة من اللحم، يعني أنت تظن أن الله ينسى من فضله أحداً؟ ينساك إذا ما سألت إذا كان الله عز وجل قال:

﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾

[ سورة البقرة: 273 ]

لما أنت تتعفف والناس يظنونك غنياً مكتفياً يعني الله ينساك؟ يأتي لك برزق كريم ورزق عزيز، ومن تضعضع أمام غني ذهب ثلثا دينه، الله يحب العزة وأجمل شيء في الحياة فقير متجمل، فقير لكنه متجمل يعني يبدو أمام الناس مكتفياً لا يسأل الناس شيئاً هذا إنسان له عند الله شأن كبير.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْتُرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلَيْسَتْ قِلٌّ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرٌ ))

[ مسلم، ابن ماجه، أحمد ]

يعني لما سيدنا عمر بن عبد العزيز في عهده اكتفى الناس ما المصيبة وقتها؟ أن تجد إنساناً يأخذ زكاة مالك كان الغني يطوف لمسافات طويلة يبحث عن فقير يأخذ منه زكاته لا يجد، الآن لو فتحت باب الاكتتاب على قضية للفقراء صدقتي الذين يكتبون ثلثاهم أغنياء ما في شيء اسمه ماء وجه، العبرة أن يأخذ غني أو فقير، أما إذا الأغنياء تعففوا الأموال الباقية تكفي الفقراء، أما بأي قضية توزيع ترى الغني مد يده قبل الفقير وأخذ فصار في فوضى هذا من أين أعرفه؟ أخوانا الذين يعملون في جمعيات خيرية ترى قلبهم قاسياً جداً، قلبهم قاسياً من شدة الكذب الذي يظهر لهم من الذين يلحون عليهم، أنا والله دهشت أحد أخوانا الكرام عمل جمعية مكافحة

التسول فجمع ألف وخمسة متسول وحقق معهم لشهرين واحد واحد هل تصدقون الفقراء منهم فقط خمسة أشخاص وفي واحد يملك أربعين مليون متسول فلما عوقب قال قضية مبدأ، صار في حرفة اسمها التسول ودخلها كبير جداً يعني أكبر من أي دخل إنسان متوسط.

الدرس اليوم

(( مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْتَرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْتِرْ ))

(( مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِرْعَةٌ لَحْمٍ. ))

كأن سقط جلد وجهه، يقولون ماء الوجه الآن جلد الوجه سقط كله، في حديث أطول:

(( عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَةَ أَوْ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ فَقَالَ أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةِ فَقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَامَ تُبَايِعُكَ، هذا اسمه أسلوب التكرار المشوق، قَالَ عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ ))

[ مسلم، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

هل تستطيع أن تعيش من دون سؤال ؟ لا تسأل القضية ثانوية إياك أن تسألها، أما حتى أكون منصفاً ولا أقع بتوجيه خاطئ أعرف رجلاً يعمل في حقل الدعوة في أطراف المدينة فزوجته صار معها آلام بطنها شديدة جداً أخذها إلى الطبيب قال له تحتاج إلى تنظيف والتنظيف يكلف خمسة آلاف ولا يملك ولم يتابع المعالجة، فكان ورم خبيث في المعدة وكان ممكن أن تستأصل قطعة من المعدة وتنجو المرأة ما تابع الأمر والمرض انتشر في كل جسمها وماتت، هل معقول أن تضحي بزوجتك من أجل خمسة آلاف ؟ ألف إنسان يقدمهم لك دين أو معونة أو هدية، حتى لا تفهموا مني لا أطلب أبداً لا إذا في أمر قاهر اطلب ولا يوجد مانع أنا أتحدث عن إنسان يسأل الناس تكثرأ، أما في حالات إن لم تسأل الناس فأنت آثم، والله أنا باجتهادي الشخصي أرى أن هذا الأخ الذي كف عن استقراض خمسة آلاف أو طلب معونة خمسة آلاف ممن يثق بورعهم وقوتهم المالية كأنه قتل زوجته

وقال لي الطبيب يمكن أن يكون شفاء تاماً بأول حالاته الورم يستأصل استئصال حواف واسعة نوعاً ما، المرض يستأصل ولكنه أهمل انتشر المرض ماتت المرأة، إذا في قضية مصيرية قضية حياة أو موت قضية أساسية اسأل ولا شيء عليك وإياك ألا تسأل وإن لم تسأل فأنت آثم، أما الحديث عن إنسان يسأل الناس تكثرأ يعني ليحسن وضعه

((... وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيكَ النَّفْرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ ))

راكب ناقه يقع سوطه على الأرض ينزل يأخذ ويصعد لا يقول لأحد ناولني هذا السوط هذا من أدب صحابة رسول الله، نحن إن شاء الله أخوانا من أعلى مستوى في فهمهم لهذا الدرس.

الدرس ينطوي على فكرتين لا تسأل تكثرأ وأن تقدم عملاً تقوي به المسلمون وفهمكم كفاية ونحن في معركة نكون أو لا نكون، نحن في معركة بقاء، بقاء أو وجود أو فناء وجود أو عدم وجود لأن الأعداء كثر والمخططات مخيفة ونسأل الله السلامة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (106 - 127) : النصح لكل مسلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-02-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام،

((عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَلَقَّنِي فِيهَا اسْتَطَعْتُ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ))

[ متفق عليه ]

في بالحديث مركز ثقل السمع والطاعة يعني أن تصغي إلى الأمر وأن تبادر إلى تطبيقه، الاستقامة أساسية في الدين لكن النصح لكل مسلم، يبدو أن هذا المقياس دقيق جداً ويدور معنا في كل دقيقة في كل حركة وسكنة في كلمة نقولها في كل صفقة نعقدتها في كل بيع نبيعه في كل علاقة نقيمها في كل قطيعة في كل صلة في كل غضب في كل رضى النصح لكل مسلم.

أيها الإخوة الكرام، في حديث آخر يقول:

((عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))

[ مسلم، النسائي، أبو داود، أحمد ]

و في أحاديث أخرى الدين النصيحة، و يوجد إضافات و يوجد روايات عديدة، يكاد يكون محور هذا الدرس النصح لكل مسلم.

أقول لكم أيها الإخوة لو تصورت كلمة تقولها لا تبتغي بها النصح للمسلم بل تبتغي بها مصلحتك فكأنك حجبت عن الله عز وجل، لو أنك تتبع أقمشة و طلب منك أن تختار لوناً على ذوقك، و اخترت لوناً كاسداً لتخف كمية البضاعة الفاسدة فأنت بهذا لم تتصح هذا المسلم، فلو طبقنا هذا الحديث و هذا مقياس دقيق جداً و يوجد مقياس كثيرة هذا المقياس يضعك في مواجهة الحق، هل تستطيع أن تلقى الله عز وجل و أنت تغش المسلمين و لو بكلمة ؟

النبي عليه الصلاة و السلام لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، و أوسع نشاط يقوم به المسلم هو البيع و الشراء، و عند الناس يسمى هذا الإنسان بائعاً متقوقاً إذا استطاع أن يقنع الإنسان بالشراء، يا ترى يقنعه بحقائق أم بأكاذيب ؟ يقنعه بشكل موضوعي أم بأوهام ؟ لو تكلمت كلمة ليست واقعية لكنها تحقق مصالحك فأنت لست ناصحاً.

هذه الجنة التي عرضها السماوات و الأرض و التي فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، هذه الجنة لا يمكن أن يكون ثمنها شيء بسيط، لا يوجد إنسان ينال أعلى شهادة في الأرض بلا امتحان و بلا جهد، يوجد جامعة بالأرض تمنح دكتوراه لطلب يقدم لإدارتها يرجى منحي دكتوراه و الطالب أمي لا يقرأ و لا يكتب ؟

لا يوجد شيء ثمين بالحياة إلا يقابله جهد كبير، حتى الناجحون في الحياة هؤلاء بذلوا شيئاً مستحيلاً يفوق معظم الناس، تجد إنساناً يقول لك لا يوجد عمل، صح، يوجد أزمة عمل لكن الذي يعمل بجد و نشاط يوجد عمل و يوجد ربح و يوجد رزق وفير، لكن مع القعود و الإرجاء و عدم الإلتقان و عدم الانضباط و عدم إنجاز الوعد و عدم تحقيق العهد هذا كله ينصرف الناس عنك.

يوجد بالحياة قوانين البطولة أن تعرفها، فالنصح أحد أسباب التوفيق بالحياة، نحن أحياناً لا يوجد إنسان بالأرض إلا و يتمنى رزقاً وفيراً، من أين يأتي الرزق الوفير ؟ من النصح لكل مسلم، يأتي من الاستغفار، مرة جمعت هذه الأسباب بقائمة فقلت:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَاراً (12)﴾

[ سورة نوح ]

فالاستغفار بند، إذا صلة الرحم أحد بنود وفرة الرزق، صلة الرحم تزيد في الرزق كما قال عليه الصلاة والسلام،  
و الاستغفار:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾

[ سورة طه: الآية 132 ]

كان الله صَمِينَ رزقك إذا أدت الصلاة و أمرت أهلك بالصلاة:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾

[ سورة طه: الآية 132 ]

إذا أداء الصلوات، و أن يكون البيت يذكر الله فيه، ليس قبراً و ليس فندقاً، و ليس مكان للنوم، بل مكان للذكر و العبادة، هذا أيضاً من أسباب الرزق.

الآن الأمانة: يقول عليه الصلاة والسلام: الأمانة غنى.

أي أنت حينما تكون أميناً يتهافت الناس عليك كي تعمل عندهم، الآن دقق يوجد عنصر آخر من عناصر كسب الرزق الإلتقان.

الأسواق تمر دائماً بحالات بوار و حالات فورة، في أيام فورة البيع و الشراء أسوأ بضاعة تباع، لكن الصعوبة في أيام الكساد، حيث لا تباع إلا السلعة المتقنة ذات السعر المعتدل، لذلك الذي يتقن عمله إن كان تاجراً و إن كان صانعاً و إن كان ذا حرفة لا يتعطل أبداً، النبي عليه الصلاة والسلام حينما وقف على قبر أحد الصحابة الذي حفر القبر ترك فرجة، فقال للحفار هذه لا تؤذي الميت و لكنها تؤذي الحي، إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه، أي بعض الأمثلة يقدم لك إنسان قرص فيه محاضرة، فيه موضوع معين، يقول لك هذا قرص متعلق بالإعجاز، أنت تضعه في مكان لكن بلا عنوان، تجد نفسك فجأة أمام عدد كبير من الأقراص التي لا

أسماء لها، تحتاج لوقت كبير كي تضعها و تكشف هويتها، لو كتب لك موضوع هذا القرص هذا إتقان.

أحياناً تجد أشياء فيها تقصير كبير جداً عدم الإتقان، أما الإنسان المنضبط الذي يعمل عملاً منتجاً تجد فيه انضباط شديد جداً بمواعيده، بخطة عمله، هذا النصح هو محور هذا اللقاء، طبعاً تفرع منه أسباب زيادة الرزق، الإتقان، الاستغفار، صلة الرحم، الأمانة، أداء الصلوات، و الانطلاق إلى العمل باكراً.

يوجد ظاهرة بدمشق عجيبة قبل الساعة الحادية عشرة لا يوجد شيئاً، بينما هؤلاء الذين يحكمون العالم كنت عندهم، الذين يسكون العالم كله الساعة الخامسة فجراً لا تجد محل بالطرقات فارغ، يناموا الساعة العاشرة يستيقظوا الساعة الخامسة، الطرقات كلها ممتلئة، أليس هذا مأخذاً علينا نحن السهر إلى أنصاف الليالي، و استيقاظ بوقت متأخر، فالتبكير إلى الرزق أحياناً يوجد ساعات بأول النهار تعدل ثلاثة أرباع النهار هذه الساعات الأولى، بورك لأمتي في بكورها.

ثم يوجد شيء آخر مادام تكلمنا عن موضوع الرزق:

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾

[سورة الجن: الآية 16]

الاستقامة و منها النصيحة، النصيحة جزء من الاستقامة.

مرة أذكر كطرفة أريد أن أشتري ستائر فسألت صاحب المحل كيف الترتيب ؟ فقال لي أستاذ يوجد عندنا قاعدة ثابتة عرض الحائط ضرب اثنين أي الضعف زائد متر، قال لي يظهر مظهر الستائر جميل جداً، اخترت ثوباً فلما قاسه قال لي عرض الحائط ضرب اثنين ناقص متر، و رأني قد تعلقت بهذه النقشة قال لي هذا المطرز على الفرد يأتي أجمل، رأساً عمل قاعدة ثانية.

فكلمة لا ينطق عن الهوى أي معظم الناس بضاعته يحسنها، يمدح أولاده دون أن يشعر، كل واقعه يمدحه، و يغمط من واقع الآخرين، لو انتقل لموقع آخر يمدح الواقع الجديد و يزدري الموقع الثابت، هذا كله كما يقال ينطق عن الهوى.

النبي عليه الصلاة والسلام كان قدوتنا في أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، الإنسان يلاحظ كيف يمدح و كيف يذم، يمدح أحياناً بلا سبب موضوعي، و يذم بلا سبب موضوعي، و الأولى أن يمدح بسبب و أن يذم بسبب، و الأولى أن يكون موضوعياً، و الموضوعية أيها الإخوة قيمة تجمع بين العلم و الأخلاق، الأخلاق تلتقي مع العلم بقيمة موحدة مثل تقاطع، أحياناً الخطان يتقاطعان في نقطة، فالخلق يتقاطع مع العلم في نقطة ما هي ؟ الموضوعية.

أنت أخلاقي إذا كنت موضوعياً، و أنت في الوقت نفسه عالماً إذا كنت موضوعياً، وما في شيء أجمل من الموضوعية، النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى صهره مع الأسرى، ما معنى صهره مع الأسرى ؟ يعني جاء ليقاتله، ما معنى جاء ليقاتله ؟ كان من الممكن أن يقتله، في الحرب القتل من صور الحرب، رأى صهره مع الأسرى فقال عليه الصلاة والسلام: والله ما ذمناه صهراً. يعني كصهر جيد ما ذمه كصهر لكن ذمه كإنسان تأخر في قبول الإسلام وكان مع المشركين، الله عز وجل يقول:

### ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 199 ]

ماذا تعني كلمة من ؟ للتبعيض ليسوا جميعاً هكذا، فأنت كلما عودت نفسك تعطي حكماً موضوعياً تعلق عند الناس وعند الله، وكلما كانت أحكامك فيها تعميم تسقط عند الله وعند الناس، والتعميم أقول لكم من العمى، دائماً الإنسان أحياناً يميل إلى التعميم إذا ألمه إنسان من المدينة يتهم كل أبناء المدينة جملة وتفصيلاً وإذا أدخل على قلبه السرور من مكان يمدح كل أهل هذا المكان، أما الموضوعية جزء كبير من دين الإنسان ومن أخلاقه ومن علمه، الموضوعية هي النصح، والنصح لكل مسلم.

أما التفصيل كيف أنصح لله ؟ مثلاً إنسان سمع في الأخبار أنه يوجد منخفض جوي وصل المنخفض والأمطار غزيرة ستين ملم، سبعين ملم، خمسين ملم، أربعين، شعر أن الموسم جيد يقول لك هذه المنخفضات رائعة، حينما يذكر المنخفضات وينسى خالقها وقع في الكفر، والنبي عليه الصلاة والسلام فيما يروي عن ربه أن أصبح مؤمناً بي وكافراً، فالذي يقول أمطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكواكب والذي يقول أمطرنا بنوء كذا ونوء كذا فهو كافر بي مؤمن بالكواكب، فالنصح لله ألا تنسى التوحيد، أيام تسمع أخبار مؤلمة جداً أخبار مفادها أن في جهة قوية تتحكم بالعالم جو الغرفة جو شرك جو اعتقاد أن هذه القوة الطاغية الباغية لا أحد يقف أمامها وأن

المسلمين يتفنن في الفتك بهم فأنت في هذه الجلسة ينبغي أن تتصح لله كيف ؟ تقول الله عز وجل لا يتخلى عنا، و الأمر كله بيده، و هناك حكم لا نعلمها من هذه الشدة، و لعله يأتي بعد هذه الشدة فرجاً، و لولا هذه الشدة ما توحدنا، و لولا هذه الشدة لما صحونا، و لولا هذه الشدة لما صغر الغرب في أعيننا، لولا كذا، تجد كلاماً يطمئن، كلاماً يبث الأمل، كلام يحيي الإنسان مع أن الشدة قائمة و موجودة، أي هناك مناقشة منطقية، كيف تقبل أن يفعل الإنسان القوي ما يشاء و الله لا علاقة له ؟ أي:

### ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾

[ سورة الأنعام: الآية 59 ]

و لكل شيء حقيقة و ما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

و الله مرة كنت بجلسة ببلد عربي آخر و بأكبر صحيفة هناك و سمعنا ماذا ينوي الغرب أن يفعل بنا، و الله بعدما تحدث أكثر الحاضرين شهد الله أنك لا تستطيع أن تقف على قدميك من شدة ما يخطط للمسلمين من تجزئة و من تفرقة و من إفقار و من إضلال و من إفساد و من إذلال و من إبادة، قلت لهم اسمحوا لي بهذه الكلمة و دليلي الوحيد فيها إيماني بالله أن قوة مهما طغت و بغت و مهما خططت لمستقبل شعبيها و مهما بنت مجدها على أنقاض الشعوب و بنت غناها على إفقار الشعوب و بنت أمنها على إخافة الشعوب و بنت عزها على إذلال الشعوب أن هذه القوة الطاغية الباغية حينما تخطط لمستقبل لها رائع لأنها ملكت زمام الدنيا و ملكت الإعلام و المال و القوة و الأسلحة نجاح خطتها على المدى البعيد يتناقض مع وجود الله، نجاح خطتها مع المدى البعيد يوجد عبارة أخرى ذكرتها لا يتناقض مع عدل الله فحسب بل مع وجوده، قال لي شخص و الله أنعشتنا، فما معنى النصح لله ؟ إذا جلسة كلها شرك و كلها قهر و كلها قلق و كلها ألم، أين إيمانك ؟ أين توحيديك ؟ أين ثقتك بالله عز وجل ؟

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 216 ]

كلما وجهت الناس إلى الله عز وجل أحياناً جلسة كلها مدح أشخاص، مجاملات لا تحتل، جلسة كلها حديث عن الطعام و الشراب أو عن الأسعار أو عن السيارات، أنت حينما تلفت الناس إلى الله عز وجل، تذكرهم بالله، بنعم الله، بوحداية الله، بكمال الله، بقوة الله، هذا يريح الناس، فالنصح لله أن تلفت النظر إلى الله لا إلى الدنيا.

شيء آخر: إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، أحياناً يكون إنسان قوياً أو غنياً و له أعمال تلفت النظر فالجلسة كلها ذهبت في الثناء عليه، لكن لا يوجد به دين أبداً، ينشأ عند الناس اضطراب، اختلال توازن، أما أنت حينما تلفت النظر إلى الله عز وجل، و تبين أن الله موجود، و أن فعال، و في السماء إله و في الأرض إله عندئذ يتغير الأمر.

ممكن أن تقول الحجامة طريقة من طرق المعالجة البدائية كانت على عهد رسول الله فأقرها النبي ظهر ديننا دين فولكلور، تقاليد، عادات، ضعفت السنة، أما حينما تقول النبي عليه الصلاة والسلام إذا أعطى توجيهاً ليس من خبرته و لا من اجتهاده و لا من ثقافته و لا من معطيات بيئته إنما هو وحي يوحى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾

[ سورة النجم ]

رفعت مكانة التوجيهات النبوية لا إلى عادات مألوفة عند النبي وقت نزول الوحي فأقرها و لكن إلى توجيه إلهي قويم و سديد.

إذاً أنت حينما تبين أن هذا الإنسان العظيم ليس مصلحاً اجتماعياً، و لا عبقرياً، و لا إنساناً فذاً، إنما هو نبي مرسل، جاء برسالة، و هذا التوجيه صحيح، لذلك أيها الإخوة النصح للنبي عليه الصلاة و السلام أن تبرز مكانته في هذا الدين.

الآن قال لي شخص اليوم هذا الحديث ليس كثيراً، قلت له النبي عليه الصلاة والسلام مشرع و ينبغي أن تأخذ أمره على أنه مشرع، و على أن توجيه النبي يجب أن تأخذ به دون أن تنظر إلى القرآن الكريم، أما أي إنسان آخر لا أقبل منه شيئاً إلا إذا ورد في الكتاب و السنة، أما النبي يقول: أوتيت القرآن و مثله معه، و أطيعوا الله و

أطيعوا الرسول، ما معنى و أطيعوا الرسول ؟ أي النبي يطاع استقلالاً، لكن لا وجد إنسان على وجه الأرض يمكن أن تطيعه استقلالاً إلا النبي لأنه يوحى إليه، و لأن الله عصمه و ألا ينطق عن الهوى.

أنت حينما تبين عصمة النبي معصوم أن يخطئ في أقواله و أفعاله و إقراره و أن تبين كماله و أن تنفي عنه ما لا يليق بمقامه.

يوجد قصص كثيرة جداً غير صحيحة و نحن التاريخ الإسلامي صار هناك تداخل كبير بين الأمم و بين الشعوب، و يوجد أعداء ملطنين و دسوا أحاديث ما قالها النبي عليه الصلاة والسلام، فأنت حينما تنقي سمعة النبي، تقدم النبي على أنه نبي معصوم يوحى إليه، مجمع للكمال البشري، أنت بذلك نصحت للنبي. و يوجد معنى آخر أن تنصح للنبي، أن يكون هناك تقليد أو عرف أو عادة تتناقض مع السنة النبوية يبدو أنها أسهل، أما السنة فيها متاعب أحياناً، فإذا نصحت الناس باتباع السنة و نهيتهم عن اتباع البدعة فهذا نصح للنبي عليه الصلاة و السلام.

قيل النصح لمن يا رسول الله أي

(( لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ))

أي الله عز وجل قال:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾

[ سورة المائدة: الآية 38 ]

أحياناً تشاهد حواراً، تشاهد برنامج أحياناً أن قطع اليد سلوك همجي فأنت تسكت، كيف سكت ؟ لما لم تدافع عن كتاب الله ؟ إله عظيم خالق السماوات و الأرض أساساً أكاد أقول إن مشكلة الأرض الخمس قارات هي السرقة، ما معنى السرقة ؟ أي أناس يأخذون تسعين بالمئة من ثروات الأرض بلا جهد، و التسعين بالمئة من سكان الأرض يعانون الفقر لأنه هناك مسموح أن تكسب مالاً حراماً، طبعاً يوجد للسرقة مليون طريق و طريق أي أبسط طرق السرقة و أغبى طرق السرقة أن يدخل لص للبيت و يسرقه، أما أنت حينما تغش المسلمين إنك تسرق أموالهم، حينما تدلس عليهم، حينما تحتكر بضاعة، حينما تقيم أساليب لكسب المال غير مشروعة، بعض

الإيهام، بعض الغش، هذا نوع من السرقة.

حينما تقدم بضاعة بمواصفات و كان البيع على صفات أخرى فلو وسعت الكسب الحرام، الكسب الحرام له قاعدة أية منفعة بنيت على مضرة فهي كسب حرام، و أية منفعة متبادلة فهي كسب حلال، أوضح مثل السرقة كسب حرام، اليانصيب، الربا، القمار، منفعة بنيت على مضرة، أما المنفعة التي يتبادل بها الطرفان هي حلال البيع و الشراء، أنت انتفعت أخذت الحاجات من جانب البيت بلا جهد و بلا تعب و البائع انتفع اشترى بسعر و باع بسعر، الفرق هو ربحه، غطى به مصروف أولاده و زوجته.

أي كسب للمال أساسه منفعة متبادلة فهو حلال، و أي كسب للمال أساسه منفعة بنيت على مضرة فهو حرام، إذا أنت حينما تنصح للقرآن كي تبين أن الله أحل البيع و حرم الربا، عندما تبين مزار الربا كيف أن المال إذا ولد المال تجمعت الأموال في أيد قليلة و حرمت منها الكثرة الكثيرة، و الآن المشكلة الثانية في الأرض هو التفاوت الطبقي، هذا التفاوت يكون الحقد و الكراهية، و ينتهي إلى الدعارة و الجريمة، طبعاً نحن عندنا نظام أراد الله عز وجل أن يكون هذا المال متداولاً بين كل أفراد المجتمع، قال تعالى:

﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾

[ سورة الحشر: الآية 7 ]

فالحالة الطبيعية الصحية في المجتمع أن تكون هذه الكتلة النقدية متداولة بين كل أفراد المجتمع، أما حينما تكون الأموال بأيد قليلة و قد حرمت منها الكثرة الكثيرة هذه حالة مرضية، و سيدنا علي له قول رائع: كاد الفقر أن يكون كفراً، أي الفقر يوجد وراءه احتيال، يوجد وراءه سرقات كثيرة، يوجد وراءه اختلاس، يوجد وراءه تزوير، يوجد وراءه كسب حرام، يوجد وراءه قتل أحياناً، يوجد وراءه دعارة، كاد الفقر أن يكون كفراً.

فأنت حينما تبين للناس أحكام القرآن أنت إذاً تنصح لقرآنك، أما حينما يقال إن قطع اليد سلوك همجي تسكت أنت ما نصحت لكتاب الله:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾

[ سورة المائدة: الآية 38 ]

لكن أنت لا تعرف النتائج، بلد بحجم بلدنا بخمس مرات، بالعام بأكمله تقطع يد أو يدان فقط، و لما تساهلوا في تطبيق هذا الحد السرقات على قدم و ساق صارت، صراف يضع صندوق العملات الأجنبية فيه ملايين، يضع قطعة قماش فوقه و يدخل ليصلي، و الله أعداء المسلمين كتبوا كتابات عن الأمن في بلد تطبق فيه حد قطع اليد بشيء لا يصدق، جاء مندوب من صحيفة بعيدة جداً بأمريكا إلى بلد يطبق فيه قطع اليد، وجد شخصاً حاملاً كيساً على أكتافه ثمن سيارتين ماشي بالطريق، ثم بلغه أن محافظة نائية جداً في الجنوب في بعدها عن العاصمة حوالي ألفي كيلو متر رواتبها موضوعة بأكياس بشاحنة، بأوروبا قطارات مصفحة، و محروسة، و مع ذلك تسرق، وازن بين الأمن الذي ينعم به بلد تطبق فيه حدود الله عز وجل و بين بلد بعيد عن هذه الحدود، فلذلك أيها الإخوة النصح لله أن تبرز معالم التوحيد، و النصح لرسوله أن تبرز نبوته، لا أن تقول هو عبقرى، مصلح كبير، لا، هو نبي يحمل منهج الله.

و النصح لكتابه أن تبين أن التوجيهات القرآنية إنما هي حق مطلق من عند الخبير، و لأئمة المسلمين و عامتهم، أي إمام المسلمين ينبغي أن تنصحه، من قال لك ينبغي أن تنصحه بقسوة، أو بغلظة؟ من قال لك ذلك؟ هذا سلوك غير إسلامي أساساً، لكن لا يوجد مانع إذا كان هناك خطأ أن تبينه بأدب و بلطف و بالدليل، أما أن تعين إنساناً أخطأ على خطئه خوفاً أو طمعاً أو مجاملة و الله مشكلة، لذلك ورد أنه من أعان ظالماً سلطه الله عليه، و من أعان ظالماً و لو بشرط كلمة جاء يوم القيامة مكتوب على جبينه آيس من رحمة الله.

و لا بكلمة و لا بإشارة، مرة زرت إنساناً له مكانة بوظيفة معينة كان بالحج قال لي أستاذ أنا سأقول لك ماذا حصل معي؟ عندي ثلاثمئة موظفة كلهم صافحتهم جاؤوا و سلموا عليّ اعتبرت الكبيرة أختي و الصغيرة ابنتي فقلت له و الله ليست صح، يجب أن تحكي الحقيقة، تريد أن تنصحه، هو ما توقع أن تقول له هذا ليس صحيحاً، مستحيل ليست صحيحة، قال لي اعتبرت الكبار أخوتي و الصغار بناتي و صافحتهم جميعاً، قلت له هذا غير صحيح.

النصح لا تظل ساكناً، طبعاً لست مكلفاً أن تكون غليظاً لماذا؟ لأن سيد الخلق و حبيب الحق الذي معه وحى السماء، الذي معه معجزات، الذي أوتي جوامع الكلم، الذي كان أجمل العرب:

أجمل منك لم تر قط عيني و أكمل منك لم تلد النساء :

الفصيح، الجميل، العفيف، الأمين، الصادق، الذي أنزل الله عليه القرآن، الذي عرج إلى السماوات، الذي بلغ سدره المنتهى، قال له أنت أنت يا محمد:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

مع كل هذه الخصائص، مع كل هذه الميزات:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

شخص ليس معه معجزات، و لا معه رسالة، و لا نبوة، و لم يكن جميل الصورة كثيراً، و لا أوتي الفصاحة، و غليظ، لماذا هذه الغلاظة ؟

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

النصح لأئمة المسلمين لا يعني الغلظة و الفظاظة، لكن يعني الكلمة الصادقة، الكلمة المخلصة، الكلمة الواضحة، الكلمة البريئة من كل قصد، و لعامة المسلمين، جاءك زبون لا يعلم شيئاً قال لك اختر لي لونا على ذوقك ؟ عندك اللون الزيتي لم يباع معك فأعطيته لونا زيتياً، أنت لم تتصحه، هذا مثل بسيط، و يوجد على هذا اللون مليون مثل ينصح لمصلحته، إذا ينطق عن الهوى.

أيها الإخوة: بايعت النبي عليه الصلاة والسلام على السمع و الطاعة فلقني فيما استطعت، و النصح لكل مسلم، أحياناً مصلحتك أن تبقى ساكناً، الساكت عن الحق شيطان أخرس، مصلحتك أن تفعل كذا إذا سئلت تقول كذا، أنت لم تتصح، قل الحق و لو كان مرأ، الإنسان لو تكلم الحقيقة، قال لي أخ عندي قطعة ثمنها عشرين ألفاً،

قطعة تبديل سيارات و صار لها عندي سبع سنوات و لم تباع معي من جرد لجرد، جاء زبون و طلبها قال لي شعرت بفرح ليس له حدود، صعدت على السلم لأحضرها قال له أصلية ؟ هي ليست أصلية قال له و الله ليست أصلية، قال له أنزلها، على كلمة لو قال له أصلية البيعة حرام، قال لي سبع سنوات هي عندي و لم تكن تباع، أنت نصحتة و البيع أصبح حلالاً.

أنا أقول لكم أيها الإخوة هذا الدرس لماذا مهم ؟ يمكن كل دقيقة، كل دقيقة تحتاجه، بكل حركة، بكل سكرة، انصح.

ماذا يصير مثلاً ؟ يوجد بضاعة مطلوبة و لا تملكها، عندك بضاعة درجة ثانية تتفنن بإقناع الزبون بالثانية، أنت إذا ما كذبت لا يوجد مشكلة، أما ذلك فقط اسم، أما عند الاستعمال هذه أقوى بكثير و هو ليس كذلك، بكل قضية تجد تحسن بضاعتك تدم ببضاعة الآخرين، يوجد وكيل بذرة معينة جيدة البذرة لكن حتى يقنع الشارين أن البذور الأخرى سيئة جداً يشتري من كل الأنواع، يأتي زبون يطلب بذرة غير التي عنده يقول له هذه كلها خذها بلا نقود، يرميها بالأرض، عنده من الأنواع كلها، وجد أنه أمسك هذا الظرف و رماه بالأرض خذه هذا بلا نقود لا أريده لا يسوى شيئاً، هذا أسلوب غير صحيح، يجب أن تتكلم بالحقيقة، أكثر شيء الغش يتم و عدم النصح بالبيع و الشراء، فلذلك التاجر الصدوق مع النبيين و الصديقين يوم القيامة، و التاجر الصدوق داعية إلى الله، و يوجد تاجر فاجر، حديث شريف ليس في الصحاح، إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، و إذا وعدوا لم يخلفوا، و إذا أؤتمنوا لم يخونوا، و إذا اشتروا لم يذموا، و إذا باعوا لم يظروا، و إذا كان لهم لم يعسروا، و إذا كان عليهم لم يمتلوا.

سبع صفات، قال لي شخص أول ما عملت بالتجارة بالأقمشة، اشترى صفقة، كبار التجار يسمونهم الحيتان جاء هذا الشاب حديث عهد بالتجارة و اشترى صفقة خمسة آلاف متر، هذا التاجر الكبير الذي يريد أن يشتريها منه أحاطه بعطف أبوي، أنت مثل ابني يا ابني ماذا تريد أنا حاضر، كم متر اشتريت ؟ قال له خمسة آلاف، قال له أعوذ بالله ما هذه الورطة، خمسة آلاف ؟ مسكين برك هذا الشاب، قال له عرض أم عرضين ؟ قال له عرض واحد، أعوذ بالله، من يشتري عرض واحد لا تمشي هذه، برك مرة ثانية، قال له أنا أخذها منك برأسمالها، لم يربحه و لا قرش، ثاني يوم باعها بالضعف، لا يعلم شيئاً خوفه من الكمية و خوفه من عرض واحد و هذه لا تباع و هذه تفسك، أنا أحملها عنك أنا مثل والدك و أخذها برأسمالها و باعها ثاني يوم بربح كبير جداً، هذا واقع

المسلمين، الإنسان تجده مثل العسل و فعل مثل الصبر، هذا الواقع سبب هذا الضعف الذي نعاني منه في العالم كله.

لا يوجد رحمة، لا يوجد إنصاف، لا يوجد صدق، لا يوجد أمانة، و الغش أكبر شيء أساساً، كلمة نصح شهد الله تزلزل الجبال كلمة نصح، أن تكون ناصحاً لا تكذب أبداً، و كل إنسان يقول لك أخي إذا ما كذبت لا تريح، هذا شيطان، بالاستقامة تريح و تريح الآخرة و تريح رضا الله، و تريح مكانتك عند الناس، و تريح رزقاً الله عز وجل يبارك لك فيه، معنى يبارك لك فيه تنتفع منه كثيراً، هذا شيء عند الناس معروف دخل قليل مع البركة تجد الله معافي لك صحتك، و صحة زوجتك و أولادك، و لا يوجد عندك مشكلة، و الرزق يغطي المصروف، و أنت طموحك في الدنيا ليس طموح الثراء و الترف، طموح السترة تقريباً، لذلك يوجد عندنا فقر أنا أسميه فقر القدر، إنسان عنده عاهة هذا فقير معذور لا يوجد مشكلة، و يوجد عندنا فقر الكسل، الذي يؤخر، لا يتقن، و يوجد عندنا فقر الإنفاق، ماذا أبقيت يا أبا بكر ؟ قال له الله و رسوله، و يوجد عندنا غنى الكفاية، و عندنا غنى البطر، غنى البطر هدفه الرفاه، و الانغماس في الملذات، غنى الكفاية: عَنْ سَلَمَةَ بِنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيرَتْ لَهُ الدُّنْيَا ))

[ الترمذي، ابن ماجه ]

و أنا لا أنسى هذه المقولة ملك جبار سأل وزيره من الملك ؟ ماذا تجيبه لو كنت مكانه ؟ قال له أنت، قال له لا، الملك رجل لا نعرفه و لا يعرفنا، له بيت يؤويه و زوجة ترضيه و رزق يكفيه، هذا ملك، إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا، و إن عرفناه جهدنا في إخراجنا، فلو أنت ليس لك اسم لامع جداً، و لو لم تكن من نجوم المجتمع، لو كنت إنساناً متواضعاً، إذا حضرت لا أحد ينتبه لحضورك، إذا غبت عن الدرس لا أحد يسأل عنك، قال النبي:

((أولياء أمتي إذا حضروا لم يعرفوا، و إذا غابوا لم يفتقدوا ))

كنت أنت من الطبقة العادية غير المشهورة، لست نجماً من نجوم المجتمع، و كنت تقياً لله عابداً، فأنت الملك.

فذلك أيها الإخوة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أُعْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ))

[ الترمذي ]

أنا لا أنسى هذه القصة رويتها عشرات المرات لكن مناسبة الآن، مستخدم عنده ثمانية أولاد راتبه أربعة آلاف ساكن بأحد أحياء دمشق الفقيرة، من شهر ورث أرضاً بحكم الإرث مساحتها مثلاً أربعة دونم و ثمنها ثلاثة و نصف مليون، أحد كبار محسني دمشق أحب أن يبني مسجداً في هذا المكان، و وجد الأرض مناسبة جداً، جاء ليرى الأرض مناسبة مربعة باتجاه القبلة، معه دفتر شيكات، كتب ثمنها ثلاثة و نصف، كتب مليونين وقعه و أعطاه لصاحب الأرض، قال له أين البقية ؟ قال له عند التنازل، قال له أي تنازل ؟ قال له تذهب إلى الأوقاف و تتنازل للأوقاف عن هذه الأرض لتكون مسجداً، قال له هذه ستكون مسجداً، قال له طبعاً، قال له أعطني الشيك مزقه، قال له و الله أستحي من الله أن أبيع أرضاً لتكون مسجداً، أنا أولى منك أن أهبها لله عز وجل، يقول هذا المحسن الكبير حجمه مئتي أو ثلاثمئة مليون، يقول و الله بحياتي ما صغرت أمام إنسان كما صغرت أمام هذا الفقير، فالفقير أمامه أعمال بطولية، لا يهم السمعة، يوجد أناس يهتمهم السمعة، من أشهر مخلوق بالأرض ؟ إبليس، موجود بكل اللغات، و بكل المجتمعات، فالعبرة أن ترضي الله عز وجل، فدائماً المظاهر لا قيمة لها أبداً، العبرة في البواطن.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 107 - 127 ) : في حسن الخلق

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 06-03-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، أحياناً المسلمون يتزايدون ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ويتألق الدين وترمقه الأبصار ويكون معظماً في العالم كله، وأحياناً تضعف دوائر الدين ويحاصره أعداء الله ويصبح التدين مذمة في الإنسان، ما الذي يرفع مكانة الدين وما الذي يضع من قدره؟ المتدينون، يوجد بالإسلام شيئا كبيرا في عبادات شعائرية وفي عبادات تعاملية لا يجذب الناس إلى الدين بالعبادات الشعائرية هذه بينك وبين الله، ولكن الذي يجذب الناس إلى الدين العبادات التعاملية، يعني بشكل مكثف يمكن أن نقول الخلق، فحينما قال عليه الصلاة والسلام:

(( إنما بعثت معلماً إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ))

هل يمكن أن يضغط النبي عليه الصلاة والسلام دعوته كلها بكلمة واحدة أو بكلمتين

(( إنما بعثت معلماً إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ))

ويبدو أن ثمن الجنة الخلق الحسن ويبدو أن الخلق الحسن أكبر جاذب للدين فلذلك حض النبي على حسن الخلق وحسن الخلق أبرز معالم شخصية المؤمن، أحياناً لا سمح الله ولا قدر تجلس مع إنسان محسوب على المؤمنين يتكلم بكلام فاحش يتابع بنظرة عورات المسلمين يمتلئ مجلسه غيبة ونميمة لا تشعر أن هذا الإنسان يتميز عن الآخرين أبداً إلا يقوم ويصلي الظهر والعصر أما حينما تجلس مع مؤمن لا بد من أن تشعر أنك أمام شخصية فذة، هذه الشخصية فذة في أخلاقها لأن الإيمان مرتبة خلقية وشخصية فذة في علمها، الإيمان مرتبة علمية وشخصية فذة في جمالها، الإيمان مرتبة جمالية بشكل أو بآخر ينبغي أن تكون سفير المسلمين، بشكل أو بآخر

ينبغي أن تكون داعية وأنا أيها الإخوة، ألح من أعماق أعماقي أن التصور الضيق للمسلم أن الدعوة من شأن كبار العلماء أقول لك لا، الدعوة فرض عين على كل مسلم، فرض عين، هناك دعوة مباشرة أن تتطرق وأن تلقي كلمة وأن تلقي خطبة وهناك دعوة غير مباشرة أخلاقك وحدها دعوة، غفتك دعوة، صدقك دعوة، إنصافك دعوة، حلمك دعوة، صبرك دعوة، أدبك دعوة، إكرامك للناس دعوة، فكل هذه المكارم الأخلاقية هي التي تجذب إلى الدين فلذلك أنا أعد من علامات نجاح الداعية إلى الله أن يبني نفوس إخوانه بناءً أخلاقياً على الصدق والأمانة كما قال عليه الصلاة والسلام:

### (( يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة ))

يعني لا يمكن ومستحيل وألف ألف مستحيل أن يكذب المؤمن، ولا يمكن أن يخون المؤمن، يخطئ كثيراً وكل بني آدم خطأ ولكن الكذب والخيانة يتناقض مع إيمانه، لذلك في كل كتب الحديث نجد كما كبيراً جداً من دعوة النبي عليه الصلاة والسلام إلى مكارم الأخلاق، النبي عليه الصلاة والسلام مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال عليه الصلاة والسلام دعه فإن الحياء من الإيمان. هذا الحديث فيه ملمح خطير، ملمحه الخطير أنه لن يكون الخلق من سبب غير الإيمان فما بال إنسان كافر ملحد أخلاقي، أقول هذه الأخلاق أخلاق الأذكياء أخلاق تجارية أخلاق موظفة لمكسب دنيوي أما إذا مست مصالح هذا الإنسان انقلب إلى وحش كاسر، وهذا الذي رأيناه عقب الحادي عشر من أيلول كانت هذه الدولة العظمى قد خطفت أبصار أهل الأرض بقيم رائعة طرحت فلما مست مصالحها أصبحت دولة من حيث الهمجية من الدرجة الخمسين، لذلك شاعت حكمة الله أن الذي يخطف أبصار الناس بأخلاقه بحياديته بعلمانيته أن يكشفه الله عز وجل على حقيقته وأحياناً إنسان يخدع الناس بأخلاقه لكن سرعان ما تتضارب مصالحه مع أخلاقه فيكشر عن أنيابه ويبدو وحشاً مفترساً.

أول ملمح في هذا اللقاء الطيب يجب أن تشعر أنه لن يكون الإنسان أخلاقياً إلا إذا كان مؤمناً هذا الخلق الأصيل الذي لا يتأثر لا بمديح ولا بدم ولا برحاء ولا بشدة ولا بإقبال الدنيا ولا بإدبارها ولا بذكر أو عدم ذكر، هذا الخلق العظيم هو الذي تمثل بنبينا الكريم عليه الصلاة والتسليم، الله عز وجل منحه ذاكرة قال تعالى:

﴿سَنُقْرُبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾

[ سورة الأعلى: 6 ]

السورة يسمعا مرة واحدة فإذا هو يحفظها، أوتي فصاحة ما بعدها فصاحة، أنا أفصح العرب، أوتي جمالاً.

وأجمل منك لم تر قط عيني

وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءاً من كل عيب

كأنك قد خلقت كما تشاء

جمال، وفصاحة، وعلم وذكاء، وذاكرة، ونسب، لما مدحه الله عز وجل مدحه بالخلق فقط، يعني مثلاً أنت كلفت ابنك بمهمة كبيرة، أمنت له مركبة وأمنت له مبلغاً من المال، أمنت له حاجاته كلها هذه الأشياء التي أخذها منك لا ينبغي أن يفخر بها لأنها منك وليست منه، ما في إنسان يشتري إلى ابنه سيارة ويعمل حفل تكريم لابنه على هذه السيارة كلام مضحك لكن يقيم له حفل تكريم إذا نال الدرجة الأولى في الامتحان العام، يبدو أن كل خصائص رسول الله ﷺ كانت من الله كوسائل من الدعوة أما حينما أتى الله عليه أتى على شيء من كسبه ألا وهو خلقه قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[ سورة القلم: 4 ]

ولا سيما أيها الإخوة في هذه الأيام يعني في هجمة على الدين وسبحان الله خطأ المؤمن يكبر ألف مرة في سبب، السبب نفسي يعزى إلى العقل الباطن، في بالإنسان عقل باطن وعقل واعٍ، أنت اشتريت سيارة وإذا بإنسان يقول لك سيصدر مرسوم لتخفيض رسوم السيارات، أول رد فعل ليس معقول قالوا منذ خمسين عاماً، لماذا ؟ أنت اشتريت ولما يأت خبر يتناقض مع مصلحتك تتألم فأول دفاع تدافع عن نفسك فيه تكذب الخبر، هذا من فعل العقل الباطن والذي لا يملك سيارة يسمع خبراً يقول يجب حقيقة واقع لماذا خبر واحد صدقه إنسان وكذبه إنسان، صدقه بعقله الباطن من ينتفع بتصديقه وكذبه بعقله الباطن من يتضرر بتصديقه.

مرة سافرت إلى بلد الذي أثر البقاء في هذا البلد من الشام هو سألني عن أحوال هذه البلدة فكل خبر طيب يقول لي أكيد دون أن يشعر وكل خبر سلبي لا يقول لي أكيد، أنت لماذا صدقت الخبر السيئ ولم تصدق الخبر الطيب ؟ الخبر السيئ يريحك، أنت حينما هاجرت وتركت هذه البلدة معك الحق إذاً، والخبر الطيب عن هذه البلدة يزعجك لبتك لم تسافر، في شيء اسمه عقل باطن، الآن سأقول لكم نقطة دقيقة في حياتنا لما الإنسان يعصي الله ينشأ عنده حالة اسمها اختلال توازن يعني عقله الباطن يضطرب ما الذي يحصل كل إنسان يختل

توازنه يحاول يستعيد توازنه، لو فرضنا ارتفعت الأسعار تأتي موجة حزن على الناس، كل واحد يقول أنا أرفع السعر أعمل هكذا أخفف مصروفي، فكل إنسان لما السعر يرتفع يختل توازنه الاقتصادي يحاول يبحث عن حل ليستعيد توازنه فهذا شأن أي إنسان في الأرض لما يرتكب خطأ كبير وبهذا الخطأ يختل توازنه يحاول يستعيد توازنه، الإنسان حينما يعصي الله يختل توازنه كيف يستعيده ؟ في عنده ثلاثة حلول أو أربعة، الحل الأول أن يتهم كل الصالحين الملتزمين بأنهم كاذبون لهم مصالح يرتاح، مرة سألت طالب أين الوظيفة ؟ قال لم نكتب الوظيفة أستاذ، قلت له أنت كم واحد، لماذا مالنا كاتبين قل لم أكتب الوظيفة، وسع الدائرة ارتاح.

والآن كل شيء يعم والإنسان واقع فيه يقول بلوى عامة، فأول استعادة لاختلال التوازن هو توسيع الدائرة ترى الإنسان العاصي لا يصدق طائع، الإنسان العاصي يقول كلهم يكذبون أمامك يصلي لمصلحة هذا شعوره بهذه الطريقة يستعيد توازنه، أو أنه يتعلق بعقيدة فاسدة النبي قال شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يرتاح، أو يبذل الله سيئاتهم حسنات، يقول كلما أكثرنا سيئات تنقلب يوم القيامة حسنات أو لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون لحق نفسك بذنّب، لما يختل توازنه إما أن يستعيد التوازن بالتهجم على الصالحين وتكذيبهم أو الشك بإخلاصهم أو الشك بجدوى عملهم، أيام تقوم عمل كبير أنت الذي يمكن أن يغار منك يقول لا يطلع منك ما في جدوى يثبط عزيمتك حتى يرتاح، أو أنه إنسان أمضى حياته في النوم والاسترخاء وما فعل شيئاً له زميل بالسن نفسه اجتهد واشتغل وتألّق نجمه يصير الأول يحسد الثاني ودائماً يذم ويقدر ويقلل من قيمته ويشكك من نواياه يشكك بإخلاصه ليستعيد توازنه قضية نفسية خطيرة العقل الباطن الأولى أن يتهم الصالحين ويشكك في نواياهم وفي جدوى أعمالهم والثانية أن يتعلق بعقيدة فاسدة، غارق بالريا يقول الله ما حرمه كيف ما حرمه ؟ قال الله لا تأكلوا أضعافاً مضاعفة، نهى عن الأضعاف المضاعفة ما نهى عن النسبة العادية كلها ثمانية بالمئة. يتعلق بعقيدة زائغة أو بفتوى ضعيفة أو بشيء من هذا القبيل، والثالثة أن يستقيم على أمر الله، الثالثة صحية والأولى والثانية مرضية فلذلك لما الإنسان يعتقد أنه لا خلق إلا من الدين وأن كل هذه الأخلاق التجارية الذكوية أنا أسميها أخلاق الأذكىاء أو أخلاق التجار بأعلى درجة من الأدب، بلغني أن الجالية اليابانية معها تعليمات مشددة إذا بيت فيه موظفين يابانيين ممنوع أن يزورهم صديق مع زوجته، ما في عندنا تقاليد في الشام وعادات فيها محافظة داخل إنسان مع فتاة إلى بيت فيه شباب قد يتهم بشيء آخر، تعليمات مشددة، بإدارة الأعمال في أمريكا يلموا الطلاب إذا كنت في بلد مثل السعودية وباجتماع مهم جداً وأذن المؤذن وقاموا للصلاة لا تنزعج ولا تقلق هذا من طبيعة هذا البلد، يعلموا من أجل الربح أن تتوافق مع تقاليد البلاد وعاداتها، هذه أخلاق الأذكىاء

وهؤلاء الأذكياء بأعلى درجة من الذكاء والمصلحة هذه الأخلاق تنهار أمام أي خطر يصيب مصالحهم، وهذا الضابط وسأقول لكم كلمة أنه أكبر مكسب للمسلمين بعد الحادي عشر من أيلول أن هذه الدولة العظمى التي خطفت أبصار أهل الأرض بغناها وتفوقها وعلمها وقيمها التي طرحتها وذكائها وغناها ستة آلاف جامعة فيها حينما هددت مصالحها وانقلبت إلى وحش كاسر أصبحت قوة غاشمة وليست حضارة رائعة لم يبق في ساحة القيم والمبادئ إلا الإسلام.

إذاً :

((قال دعه فإن الحياء من الإيمان ))

من الإيمان حصراً، الحلم من الإيمان، الحياء من الإيمان، الكرم من الإيمان، اللطف من الإيمان، الرحمة من الإيمان، أيها الإخوة نحن في صدد هذا الحديث

((قال دعه فإن الحياء من الإيمان ))

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ))

[ متفق عليه ]

بصراحة بأي لقاء بأي مجتمع بأي مؤسسة بمستشفى بمدرسة بجامعة بسوق الأخلاقي متميز يشار إليه بالبنان، الأخلاقي محبوب لأن هذا الدين كله من أجل أن تكون أخلاقياً لأن أخلاقية المسلم سبب الجنة التي وعده الله بها، فالحياء لا يأتي إلا بخير، في شيء آخر بموضوع الأخلاق وهو أن الأخلاق متفقة مع الفطرة بفطرتك السليمة تعرف ما إذا كنت أخلاقياً أو غير أخلاقي فالنبي عليه الصلاة والسلام سئل عن البر والإثم فقال:

(( البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ))

حدثني أخ كان في بلد غربي رأى دعاية لهاتف خلوي أن رجل دين الأنوار تشع من رأسه مرت أمامه فتاة فتأملها فسقط عن رأسه التاج وانقطع عن الله عز وجل. فالدعاية أن هذا الهاتف يمكن أن تستعيد به صلتك بالله عز وجل. لفت نظري من الإعلان أن حتى في عالم الغرب في عالم الإباحية غض البصر من الفطرة والذي يملأ عينيه من محاسن النساء كأنه خالف منهج الله عز وجل فلمجرد أنه ملأ عينيه من محاسن هذه الفتاة سقط عن رأسه تاج المقام الذي هو فيه وانقطع عن الله بقي معه وسيلة واحدة أن يتصل بالله عن طريق هذا الجهاز طبعاً هي دعاية.

(( البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ))

لذلك قال عليه الصلاة والسلام من أجمل الأحاديث:

(( إياك وما يعتذر منه ))

أحرص أن لا تفعل شيئاً تحتاج أن تعتذر منه كن واضحاً وقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أنه تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا ضال، المسلم ما عنده شيء معلن وشيء مبطن، صدقوا ما عنده سريرة وعلانية ما عنده ظاهر وباطن، باطنه كظاهره وظاهره كباطنه، وسريته كعلانيته وعلانيته كسريته، وسره على لسانه، إذاً هذا التوحد في شخصية المؤمن أحد نتائج الاتصال بالله عز وجل أما أن إنسان يتكلم بكلمة بذينة أو فاحشة أو يسمى العورة باسمها وإذا خرج عن طوره تكلم كلاماً لا يليق بأي إنسان هذا ليس مؤمناً لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: وَكَانَ يَقُولُ:

(( إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ))

[ متفق عليه ]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَاللَّهُ لَا أَبَالِغُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ يُمْكِنُ أَنْ تَعَاشَرَ أَحَاً مُؤْمِنًا ثَلَاثِينَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا تَسْمَعُ مِنْهُ كَلِمَةً فَاحِشَةً وَلَا مَزْحَةً فَاحِشَةً وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ الْآنَ كَيْفَ مَا تَحْكِي مَعَ النَّاسِ يَغْشَوْنَ كَلَامَكَ أَيُّ ضَمِيرٍ غَائِبٍ يَعْزَى إِلَى جِهَةٍ إِلَى عَوْرَةٍ وَأَيُّ كَلِمَةٍ لَهَا مَعْنَى

معين تعزى إلى حالة بين المرأة والرجل، فتزى غش وفي ابتسامه ماكرة خبيثة، مجتمع المؤمنين مجتمع صادق ومجتمع عفيف ومجتمع السنة هؤلاء المؤمنين مطهرة عن كل فاحشة أو فحش.

الآن من صفات المؤمن كما قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَأْذَنَ زَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ:

(( إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ))

[ متفق عليه ]

يعني العنف، والله في بيوت يا أخوان أتمنى أن تعمم على كل مسلم بيوت هادئة لا في سباب لا في أعمال عنيفة لا فيه صياح لا في ضرب لا في إغلاق الباب بشدة لا في كسر أواني، هذه الشدة الغضب الشديد هذه الانفعالات يكون لها ارتكاسات لضياعات، ارتكاسات لاختلال توازن، كلامي دقيق جداً لما الإنسان يختل توازنه يعني ماله حرام كله، تراه في البيت ليس طبيعياً عنيفاً رد فعله قاسي جداً، لما يبني عمله على إيذاء الآخرين يختل توازنه، أحياناً عمل بسيط له دخل محدود لكن شرعي ترى البيت فيه سكينه فيه وقار فيه محبة فيه مؤانسة فيه مودة أما إذا في معصية كبيرة خارج البيت وفي ثقلت ترى ردود الفعل ليست طبيعية عنيفة جداً، العنف دليل اضطراب داخلي، سمعت عن شخص عمله قائم على إيذاء الناس ببيته وحش يعني كلامه في منتهى القسوة ويضرب ضرباً مبرحاً هذا من اختلال توازنه لذلك أيها الإخوة

(( إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ))

يحب الرفيق الهادئ الحليم المتأنى المستبصر الذي لا يضطرب، في إنسان كالسفينة العملاقة كأنها جبل وفي إنسان كأنه قارب القارب الصغير أية موجة تقلبه أما السفينة الكبيرة راسخة في المجتمع،

(( إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ))

[ متفق عليه ]

والله سامحوني أيها الإخوة أحياناً معلم يضرب طالباً ضرباً مبرحاً أو يحطمه والله قد تنشأ عقدة مع هذا الطفل الصغير لخمسين سنة قادمة يقول له أنت غبي هذا ليس عمل تربوي أنت مهمتك تفجر طاقات الطلاب ترفع من معنوياتهم تمنحهم ثقة بأنفسهم تحترم كل الطلاب تحترم آباءهم، تحترم مهن آبائهم، بالمناسبة كان في كتاب مقرر للتعليم الثانوي هو مترجم إلى إنسان بإفريقيا يقول العنف لا يلد إلا العنف، يعني مستحيل وألف ألف مستحيل أن تحل مشكلة بالعنف، لأن العنف يلد العنف فالأمر يتعاقم ويتفجر،

(( وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ))

أحد الملوك توفي رحمه الله كان يتصف بالحكمة فدعا مرة شيوخ القبائل إلى قصره ووضع فواكه وأوعية للماء من أجل غسل الفاكهة في هذا الوعاء يعني العنب أحياناً يوضع جنبه وعاء من الماء لغمسه في الماء فأحد شيوخ القبائل مسك هذا الوعاء وشرب منه فالكل تبسموا استخفافاً بهذا الذي وقع في هذا الخطأ الفاحش أمام الملك فالملك مسك وعاءً آخر وشرب منه فالكل جمد، يعني أنقذه، البطولة أنك لا تخرج إنساناً لا تحمر الوجوه لأن تحمير الوجوه ليس من أخلاق المؤمن، في شخص يتقن بإحراج الناس، أحياناً بالسعر أحياناً بأي شيء يحرص الناس فالنبي أشار إلى هذا الخلق العالي.

وإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع إلا شاناه، ويقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ ))

[ مسلم، أبو داود، أحمد ]

لكن بشكل عام إذا الأب في البيت عنيف وصوته عال ويده والضرب ترى كل أهل البيت صاروا مثله، يغيب ساعة ترى الأولاد يضربون بعضهم سباب على ضرب على ترفيس على... الجو الذي هو خلقه في البيت يستمر بعد غيابه وإذا كان الأب هادئاً، حتى في التعليم الذين يعلمون المدرسين الصف ضائع في مدرس اسكت اجلس هو يعلي صوته يعلى معه أيضاً في أستاذ يدخل هادئاً جداً هدوءه سرى كل الطلاب سكتوا بعد فترة، كنا في التعليم الثانوي كان عندنا مدرس سامحه الله عصبي المزاج وصعب جداً فالطلاب عرفوه أنه عصبي وصعب ونظيف زيادة يضعون ورق مكبتل، سندويشة يابسة، حذاء على الطاولة ينظر فيخرج من طوره يطلع معه كلام

شيء كان وشيء لم يكن الطلاب يضحكون. العبرة أن هذا الإنسان يثار بهذه الطريقة وانفعالاته ونقده ويعلى صوته والطلاب مسرورين، مرة لاحظت فعلوا مع مدرس آخر رياضيات دخل وضعوا له أشياء على الطاولة مزعجة قال من عريف الصف؟ نادي للآذن خذها، ما أعادوها معه أبداً لأنه أخذ موقف هادئاً وعالجها بشكل بسيط، الأب الذي يكون عنيفاً بالبيت وصوته عالٍ وكلامه قاسٍ وسباب وتري زوجته مثله مشكلة في البيت كبيرة جداً.

(( لا يكون الرفق في شيء إلا زانه ولا ينزع إلا شاناه من يُحَرِّمَ الرَّفْقَ يُحَرِّمَ الْخَيْرَ ))

معقول إنسان في المسجد يبول أمام الناس، النبي عليه الصلاة والسلام واجه مثل هؤلاء الناس واجه أعرابياً بال في المسجد والصحابة وقفوا قال لهم دعوه لا تذرموا عليه بوله، كأنه ألمح أن قطع البول مؤذي للإنسان صبوا عليه ذنوباً من ماء قال يا أبا العرب هذه المساجد لم تخلق لهذا فارتاح أولاً خاف أن يضرب ثم اطمأن قال اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً.

ويقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا ))

[ متفق عليه ]

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

(( مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا ))

[ متفق عليه ]

أيها الإخوة، والله حينما أرى إخواننا الكرام بحلم وبهدوء وبرحمة وبصفاء وبغفو من بعضهم والله هؤلاء جميعاً يرتفعون عند الله عز وجل وحينما تجد حزازات وغمز ولمز وغيبة وكلام سيئ وطعن تشعر أن هؤلاء الناس لم ينتفعوا من هذا الدين، ومرة ثانية وثالثة هذا الدين قيمته بأخلاقه حتى أن ابن القيم رحمه الله تعالى يقول: الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان. النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ ))

[ أحمد، مسلم ]

الأناة الهدوء والحلم كاد الحليم أن يكون نبياً كاد الحليم أن يكون نبياً والحلم سيد الأخلاق، أريد أن أتكلم كلمة لعلي أصيب بها الحقيقة الذي عنده أولاد في البيت كل أب محترم بحكم التقاليد والعادات والدين لكن ما كل أب يحب، لا تحب إلا إذا كنت مع أولادك كاملاً كونك أباً على العين والرأس لك مكانة والأولاد يجب أن يقدموا لك كل صور التعظيم والتبجيل والخضوع هذا من حقك وهذا مما يمليه عليك المجتمع أما أن يحبك أولادك من أعماق قلوبهم هذا يحتاج إلى كمال إلى إحسان إلى تربية فأنا أقول البطولة لا أن يقف أمامك ابنك خاشعاً متأدباً بل أن يحبك ابنك من أعماق قلبه هذا دليل إحسانك، وفي قول لأحد الأدباء من أطاع عصاك فقد عصاك. أنا أعد الإنسان نجاحه في تربية من حوله لا في قسوته عليهم ولا في خوفهم من إيقاع الأذى بهم لا بل من إعراضه عنهم فقط، بل من إعراضك عن هؤلاء الذين حولك إن أعرضت عنهم اختل توازنهم معنى أنت محسن.

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَأَلْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعِطَاءٍ))

[ متفق عليه ]

من يسترجي يجذب قوي يكون راح رأسه، جذبه من رداءه جذبة أثرت في صفحة عنقه الشريف وابتسم، آخر حديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُصْبِ))

[ متفق عليه ]

حدثني مرة إنسان والده كان بالتسعينات يحب والده محبة تفوق حد الخيال مرة أخذ السيارة وعمل فيها حادثاً كبيراً وتوقع من أبوه الضرب والإهانة والإخراج من البيت أبوه كان حليماً والأب أدرك أن الابن أغلى من السيارة مادام سليم الله يعوض، يقول لي هذه الحادثة مرّ عليها خمسين سنة يعني يحبه محبة يكرمه إكرام لوالده، دائماً بخدمته كيف كان يجب أن يحطمه لكن ما حطمه، الإنسان أحياناً يقف موقفاً أخلاقياً أو في حلم أو في هدوء يملك قلوب الآخرين.

((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ))

[ متفق عليه ]

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (108 - 127) : الترهيب في أن يطلع الإنسان في دار قبل أن يستأذن

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 13-03-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا مع إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، واليوم الترهيب أن يطلع الإنسان في دار قبل أن يستأذن، يتم هذا الحديث قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(( إنما جعل الاستئذان من أجل النظر ))

وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام قد لا تتعلق بعصره فقط لأنه وحي يوحى وقد قال عليه الصلاة والسلام أوتيت القرآن ومثله معه. أحاديثه وحي غير متلو من عند خالق السماوات والأرض كأن الله سبحانه وتعالى جعله مشرعاً لعصره ولأي عصر قادم، فالحديث اليوم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَهُوا عَيْنَهُ ))

[ متفق عليه ]

ولا بد من التنويه إلى أن شراح الحديث يرون أن بعض أحاديث النبي حكمتها بيان عظم حق الجار يتوضح هذا حينما يقول عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك، لو أن ابناً كتب لأبيه وكالة عامة وهذا الابن عنده بيت ومركبة ومعمل وسافر إلى الحج، عاد من الحج فإذا البيت والمعمل والمركبة قد سجلت باسم الأب فإذا عاتب أباه يقول له يا بني النبي قال أنت ومالك لأبيك، الحقيقة هذا الحديث لبيان عظم حق الأب لكن إذا أخذ الأب من

مال ابنه يأخذ عند الضرورة ويقدر حاجته فقط أما أن يأخذ كل شيء بنص الحديث الظاهر ليس هذا قصد النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك في هذا الحديث ليس القصد أن تأتي بسبخ وأن تدخل السبخ في ثقب الباب كي تفقأ عينه، هذا مستحيل لكن القصد أن تعرف عظم حق الجار.

أيها الإخوة الكرام، هذا الحديث يقودنا إلى حالة من الفساد، الجار إذا نظر إلى جاره من السطح أو من ثقب الباب أو تسمع على أصواتهم أو اطلع على خبايا بيتهم أو على دقيق أسرارهم صار في فساد اجتماعي، الآن ماذا يشبه هذا الفساد الذي نوه به النبي عليه الصلاة والسلام؟ التصوير أحياناً، المحصلة واحدة يعني عرس صورناه بألة وهذا الشريط تناقله الأقرباء، والأقرباء ليسوا محارم لهذه العروس ولا لهؤلاء النساء الذين دعين إلى هذا الحفل، فكل رجل غير منضبط ينظر على هذا الشريط يرى نساء الناس الذين أموا هذا الحفل، فهذا أيضاً فساد كبير، الحقيقة أن التقنية الحديثة لها إيجابيات ولها سلبيات كثيرة جداً.

الآن في برامج أيها الإخوة الكرام، يمكن أن يأخذ الرأس ويركب على جسم آخر ويمكن أن ترسل هذه الصورة إلى الزوج وقد يكون الطلاق الفوري إن لم يكن الزوج خبيراً بهذه الألاعيب، آلة التصوير حينما نتوسع في استعمالها توسعاً كبيراً وحينما تكون النفوس منحرفة فهذا الذي عظم النبي شأنه من النظر إلى بيت الجار الآن في وسائل كثيرة جداً قد يقع المحذور نفسه من دون أن تنتظر من ثقب الباب إلى جارتك قد تنتظر على صورتها أو إلى حفل زفافها وقد تذهب المرأة دون أن تشعر إلى بعض الباعة وفي بعض غرف القياس كاميرات آلات تصوير خفية الآن الحياة فيها قنص وفيها فساد وفيها ابتزاز أموال، هل تصدقون أن هذه الصور أو هذه الأفلام تباع بأرقام فلكية في بلاد بعيدة، أحياناً عند الذي تزين شعر النساء أنا لولا أنني مطلع على وقائع ثابتة لا أتكلم بهذا الكلام، هنا المنطلق أن النبي عليه الصلاة والسلام يحذر أشد التحذير بل إنه يعبر عن خطر هذه المعصية أنه لا عليك أن تفقأ عينه من باب بيان عظم حق الجار، ولكن الإنسان أيام باختياره في أماكن غير آمنة وما من حديث تشعر بسموه كأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ ))

[ الدارمي، أبو داود، الترمذي، ابن ماجه، أحمد ]

تخلع ثيابها المحتشمة في بيت لا تعرفه، أن تدعى إلى حفل لا تعرف من هم الداعين، أحياناً تقول البنت لأبيها يا أبي رفيقتي دعنتني إلى عيد ميلادها، خير إن شاء الله اذهبي يا ابنتي، الأب تحقق من هذه الأسرة ؟ يا ترى منضبطة، غير منضبطة، أنا حينما أتكلم عندي قصص وعندي مشاهد وعندي أخبار مؤلمة جداً، غرف القياس فيها مشكلات كبيرة جداً، اللواتي يصففن شعور النساء في قصص مخيفة جداً، الأعراس أحياناً تظن أن كل الذين يقدمون خدمات في هذا المكان نساء، الصالة مراقبة تلفزيونياً، مراقبة ويمكن أن تسجل كل شيء يصور يسجل فكان حديث التصوير الذي نهى النبي عليه الصلاة والسلام عنه أشد النهي الآن نضع أيدينا على أخطار التصوير.

مدرسة في بلد إسلامي كما جاء الوصف طبعاً محافظة محتشمة، مدرسة من الطراز الأول في آخر العام الدراسي طالبات تمنين أن يأخذن صورة معها، في شيء ؟ في مخالفة ؟ شقيق أحد طالباتها خبيث جداً أخذ هذه الصورة وأخضعها الآن لبرنامج خطير جداً هذا البرنامج يمكن أن يضع رأساً على جسم آخر، وضع رأس هذه المدرسة وخلص عنها حجابها ووضع شعراً مستعار لها على جسم عارية وضعه في الإنترنت كادت تفقد عقلها من صورة.

والآن أيها الإخوة الكرام، كل أنواع الابتزاز أساسه صورة، فالتساهل في التصوير ولا سيما للأخوات الكريمات المؤمنات الطاهرات العفيفات، هكذا تذكر بحفل هذا له مضاعفات، هذا الذي يملك الصورة يملك مقتل هذا الإنسان، يملك مقتله، أنا شعرت أن هذا الحديث ولو كان في صيغته يشير إلى أنه مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا عَيْنَهُ كَأَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَشَفَ اللَّهُ لَهُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ مَا سَيَجْرِي فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، أكاد أن أقول لكم والله في قصص أولاً لا يناسب أن تلقى في درس في جامع قصص يندى لها الجبين أساسها صورة.

كنت في العمرة، فكرة في العمرة لطيفة على باب المصعد كتب للنزيل أن يأخذ كتاباً ويقراه، كتاب عنوانه فيلم الفيديو كتيب صغير تقرأ القصة بساعة قرأتها عن فتاة في بلد عربي طالبة جامعية محجبة إنسان اتصل بها وأسمعها كلاماً معسولاً أغلقت الهاتف في وجهه مرات معدودة ثم فوجئت به أمام بيتها يتبعها ويسمعها كلاماً معسولاً، القصة طويلة إلى أن لانت، الله عز وجل قال:

## ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 32 ]

لانت واستدرجها إلى بيت وفعل فعلته الشنيعة وصورها وبدأ يبتزها بهذه الصورة إلى أن تاجر بعرضها وصار يأخذ أرقاماً كبيرة جداً من أصدقائها ومن الذين يرغبون فيها إلى أن وصلت صورة إلى أهلها فهربت ومرة رسمت خطة له فالتقت به وطعنته حتى مات حكم عليها بعشرين سنة سجن وهي الآن في السجن كتبت القصة في السجن، أساسها صورة.

## ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[ سورة الأحزاب: الآية 32 ]

أعتقد اعتقاداً جازماً أن الإخوة الكرام رواد المسجد بعيدون عن هذه الأجواء ولكن لئلا يغدر الإنسان لئلا يقع في شر عمله، إنسانة تخلع ثيابها في غير بيت زوجها والله في مآسي.

زوجة طرقت باب صديقتها فقال لها أخو صديقتها تفضلني أختي هنا بعد أن دخلت أقفل الباب ووصل إليها بهذه الطريقة أخته ليست في البيت، لا تدخل الفتاة قبل أن تتأكد أن التي تزورها هي التي استقبلتها، القصص لا تعد ولا تحصى عن موضوع التساهل في تطبيق حكم الله عز وجل، سواء أنظر هذا الجار من فرجة الباب فرأى امرأة جاره أو أنه رأى صورتها في بطاقة أو في فيلم أو في يوم عرسها، أو سواء دخلت إلى مزين نسائي أو من تصفف لها شعرها وفي آلات تصوير خفية، والله أخ يجلس في مقهى في بلد بعيد عن بلدنا ليروا الفتاة عند من تصفف لها شعرها وفي إجراءات غير الحلاقة فإذا هي أخته، أنبه المؤمن كيس فطن حذر.

غرف القياس، صالونات الحلاقة، الاحتفالات بعيد الميلاد صديقة ابنتي، من في هذا البيت لعل في هذا البيت شباب، حينما تأخذ الحيطه والحذر يحفظك الله عز وجل والشريف هو الذي يهرب من أسباب الخطيئة، من أسباب الخطيئة لا من الخطيئة نفسها، إذا:

((مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بَعْزَرٍ إِذْهُمْ فَتَدَّ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَهُوا عَيْنَهُ))

كما قلت وأؤكد أن هذا النص لبيان عظم حق الجار فقط وليس للتطبيق العملي لأن النصوص النبوية فيها مطلق وفيها مقيد وفيها عام وفيها خاص ولشرح الحديث رأي ذكرته قبل قليل أن هذا الحديث يبين عظم حق الجار .

الآن هذا ينقلنا إلى معنى آخر أنه

(( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ))

الرغبة في الاطلاع على عورات الناس قال عليه الصلاة والسلام:

(( مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعْ اللَّهَ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفُضَّحَهُ فِي بَيْتِهِ ))

[ أحمد، أبو داود ]

في إنسان فضولي يحب أن يعرف إذا طلقت امرأة ما السبب، وإذا امرأة لا تتجرب من السبب منها أم منه ؟ وإنسان اشتغل في محل كم راتبك ؟ ماذا تريد من راتبه ؟ يجب أن يفهم كم راتبه، وإذا هذه طلقت ما السبب ؟ ولما هذه البنات ما أنجبت من السبب منها أم منه ؟ هذه النفسية الحشرية أنا أسميها نفس دنيئة

(( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ))

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، يعني شيء مؤسف جداً بالمجتمعات الغربية عندهم إيجابية رائعة ما أحد يلتفت إلى أحد، الإنسان حينما يعمل، العمل لا يبقي له وقتاً لهذه السفاسف لكن مجتمعاتنا الشرقية مع الأسف الشديد بشكل عام لا تعمل، تسمع أحياناً إحصائيات مذهلة أن دولة مثل اليابان لا تملك شيئاً من المواد الأولية جزر ضيقة كثافة سكانية عالية جداً لا حديد ولا بترول ولا نحاس ولا فوسفات لا شيء صادراتها إلى العالم أربع أمثال صادرات العالم الإسلامي بأكمله بما فيه النفط والغاز، وبلد مثل ماليزيا صادراته إلى العالم ثلاثة وعشرين مليون تفوق صادرات العالم الإسلامي بأكمله بما فيه النفط، وشركة واحدة في اليابان أرباحها تساوي الدخل القومي لأكبر دولة عربية سبعين مليوناً، أرباح شركة السيارات فيها أربعين ألف عامل فقط دخلها يساوي دخل أكبر دولة عربية تعداد سكانها سبعين مليوناً، نحن لا نعمل لذلك كل وقتنا في المشاكل، ما في إنسان يكتفي بمشاكله يريد أن يفهم كل ما يجري حوله، تدخل الأمهات بحياة بناتهن مشكلة، تدخل الأب بخصوصيات ابنه مشكلة، تدخل العمات والخالات والأخوات، كل شخص واضح نفسه حكم و وصي يوزع تهماً، يعطي توجيهات، هو المرجع، ما شأنك بهذا ؟ يعني أنا بصراحة الشيء الجيد أحب أن أحكيه هذه الميزة واضحة جداً كل واحد يعمل دون تدخل في شأن الآخرين هذه أخلاق المسلمين، هذه أخلاقنا

## ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ))

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

إنسان يزورك ينظر إلى الطاولة هذا عنوان هذه شركة يومية مفتوحة ينظر إلى الدفعات من قابض، ماذا تريد إذا اليومية مفتوحة ؟ يريد أن يدقق بالدفعات والقبضات وإن كان في مراسلات ينظر إلى الشركات وعناوينها، ذهب صاحب المكتب حتى يتوضأ يكون نقل العناوين، أنا أتكلم عن شيء واقع فأنت محاط بشبكة ممن يريد أن يأخذ منك كل شيء، من اطلع في كتاب أخيه من غير أذنه فكأنما ينظر إلى النار، عنده كومبيوتر يفتح ماذا عنده مواقع، ملف الصور يفتح ينظر الصور، هذه صور خاصة يدخل إلى خصوصيات الإنسان إلى حساباته إلى بيته هذا كله شيء غير إسلامي.

أنا الحديث سبحانه الله على أنه حديث قصير موجز لكن كأنه يفتح مجال كبير لأن يبين النبي عليه الصلاة والسلام أن هذا التصوير وهذه الأفلام وهذه الاتصالات في بلد إسلامي منع الهاتف الذي فيه كاميرا وفيه سجن، لأنه دون أن تشعر المرأة صورت على برنامج ثاني وضع في الإنترنت بشكل عاري على جسم آخر، في فساد كبير لذلك طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدع.

سمعت قصة مؤثرة جداً أن إنسان بحماقة من حماقاته صور نفسه مع أهله في غرفة النوم، من عادته يستعير أشرطة فيديو بالخطأ وضع هذا الشريط في غلاف شريط استعاره من هذا المحل، صاحب المحل يتفقد الأشرطة وجد الشريط هذا يؤجر بأرقام كبيرة جداً فصار يؤجره من أسرة إلى أسرة إلى أن وصل إلى أخيه، الذي حصل أنه اضطر أن يبيع بيته في الشام وينتقل إلى مدينة بعيدة جداً حسماً للعار.

طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدع وأن يسعك بيتك، فبيتك حصن وبيتك أمن أما بالتعبير العامي المؤمن بيتوتي والفاسق زقاقاتي، حياته كلها في الطريق وفي المقاهي وفي الفنادق وبالمقاصف، هذه حياته، لذلك أيها الإخوة كأن النبي عليه الصلاة والسلام أطلع الله على ما سيكون من مفاسد، مرة ثانية أنا مطمأن لإخواننا الكرام رواد المسجد بعيدون جداً عن هذا لكن قال تعالى:

## ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[سورة النساء: الآية 71]

خذ حذرك أن تخلع فتاة ثيابها وأن تبقى بثياب متبذلة في بيت لا تعرف من هم، طبعاً في بيت أبيها وأمها ما في مانع، في بيت عمته وخالتها، في رواية في الحديث أو بيت أمهاتها والحقيقة قد يكون لها أم واحدة، كم أم لها البنت؟ الشيء اللطيف في الحديث أن إذا دخلت بيتاً حرص صاحبته عليها كحرص أمها قد تكون عمته كذلك أو خالتها أو أختها أما أن تضع المرأة ثيابها في بيت لا تعرفه، لا تعرف إذا ما كان في شباب أو ما في شباب، أبلغ من ذلك ما في ثقب باب في منظر ومقرب جداً قد تقول ما في أحد أمامي جالس في غرفة نومك مع أهلك وهذا شيء مشروع وما فيه شيء لكن النافذة مفتوحة ومن بعيد في أبنية في مناظير تقرب اثنين كيلو متر وكأنهم معك فلا بد من أخذ الحيطة دائماً المسلم انضباطه شرفه وعرضه شرفه وأهله شرفه، لولا أنني تصلني بحكم عملي في الدعوة وهذا عبء علي والله قصص تنهد لها الجبال والله من تساهل بسيط تجد أخذت الصور وأدخلت في برامج معينة وأصبحت ورقة ابتزاز بيد المجرمين، المؤمن منضبط وأهله وأولاده وبناته ويحفظهن حفظاً لا حدود له، كثير في آباء يكون في خطر كبير في البيت لا ينتبهون له ما عندهم علم، خطأ كبير وقعت فيه بعض بناته أو وقعت فيه زوجته وهو لا يدري، نوع من الطيب الساذج يعني أجدب، هذا ليس طيب هذه غفلة وهذا ضيق أفق وهذا نظر قاصر، قضية النظر

### (( إنما جعل الاستئذان من أجل النظر ))

تصوير اختلاط، حضور حفلة لا ندري من القائمون عليها، حضور عيد ميلاد لا ندري البيت الذي نحن فيه هذا كله يسبب مشكلة، الله هو الحافظ عليك أن تأخذ بالأسباب وعلى الله الباقي.

نريد من إنسان أن يبتعد عن حب الفضول، على التطلع إلى ما عند الآخرين، عن معرفة دقائق حياتهم أسرار حياتهم. النقيت بصديقك، أين؟ إلى أين ذاهب؟ ذاهب يتدين من واحد انتهى راتبه بعشرين الشهر يجب أن يفضح نفسه أمامك؟ ذاهب أعمل قرضاً، رأيته في الطريق سلم عليه اشتغلت؟ نعم كم الراتب؟ ماذا تريد من راتبه؟ يريد أن يفهم راتبه يفهم مواعيده، يفهم دخائله هذا أيضاً منهي عنه

## (( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ))

من حسن إسلام المرء أن يسعه بيته، وبصراحة أيها الإخوة الكرام، حتى البيت يكون محبب يجب أن تعتني به، الابن يحب بيت أبيه وأمه يكون في نظام لا يكون في فخامة نظام، في نظام في طعام يجتمع عليه أفراد البيت، أما في بيت لا يوجد فيه بركة الطفل يتغذى لوحده والأب لوحده والأم لوحدها ولا شيء له قيمة، أما إذا البيت فيه نظام يجتمعون على مائدة، إذا البيت فيه نظام فيه مكتبة صغيرة فيه أشياء أساسية قد يكون كومبيوتر مفيد أحياناً مع أنه يحتاج إلى ضبط، لكن في شيء يجذب صار البيت يجذب الأبناء إلى البيت، أما بيت ما فيه شيء إطلاقاً ولا فيه نظام ولا فيه دقة ولا فيه مسحات جمالية إطلاقاً، إذا البيت مطلي طلاء متناسب مع الأثاث مريح للأعصاب أما بيت مثل غرفة النوم مثل فندق نوم فقط، النوم والأكل والمشاكل فقط، يأكلوا وينامون ويتبارزون، صار البيت أداء نفور لا يحب البيت يحب رفقائه أو إذا دخل إلى بيت رفيق وجد فيه نظام فيه أناقة وجد فيه مودة يتألم على بيت أهله، أنا أتمنى وهذه الكلام أعني ما أقول تماماً، أن الأب يعتني في البيت جزء من البيت يعتني بالنظام في البيت، اعتنِ بمسحة جمالية في البيت بمنظر طبيعي في البيت يعمل حركة طلاء جديد ولو كان من النوع الرخيص يعمل حركة يريح، أيام تغير الأثاث، إذا البيت محبب وفيه وسائل مشروعة في مكتبة في بعض المجالات الملتزمة فرضاً صار البيت محبب، أنا يهمني أن ما يكون الوضع غير بيتي قلت هذا الكلام كثيراً أنه يمكن أن تأكل في مطعم ويكون أحد الموظفين يكون معه التهاب كبد وبائي ممكن ما يبالي في تنظيف أصابعه أو ما تحت أظافره ليصيب ثلاثمئة إنسان من رواد المطعم بمرض كبدي وبائي ينتهي بالموت، إذاً العناية بطعام البيت شيء مهم جداً، اجعل الطعام في البيت، لأن أحياناً الأم يحلو لها النوم وقت خروج أولادها إلى المدرسة، الغرفة باردة، وأكل لا يوجد، اصنعوا سندويش، لم تنتبه إلى هندام أولادها، ولا انتبهت إلى لباسهم، ولا انتبهت إلى أحذيتهم، ولا انتبهت إلى وظائفهم، ولا انتبهت إلى قرطاسيتهم، ولا انتبهت إلى شكلهم إلى نظافتهم، ولا انتبهت الابن استيقظ بردان أكل كيفما كان ومشى وضع هذه المكدوسة في رغيف الخبز من دون نايلون تفسى الكتاب فأكل قتلة، هكذا يصير أحياناً.

أما أم تستيقظ بالوقت المناسب تدفئ الغرفة، تصنع طعاماً، تراقب وظائف أولادها، هندامهم في زر مقطوع، هذه أم تعبد الله فيما أقامها، أنا قناعتي أن كل إنسان له هوية وبطولتك أن تعبد الله فيما أقامك، وقد تصل المرأة إذا رعت زوجها وأولادها إلى الجنة، بل إن المرأة إذا صامت شهرها وصلت خمسها وحفظت نفسها وأطاعت زوجها

دخلت جنة ربها.

أنا أتمنى أن كل إنسان يعبد الله فيما أقامه، الدرس له شقان شق من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه والشق الثاني لا تنتظر ولا تسمح لأحد أن ينظر، يوضع على الشرفة حاجز من البلور المحجر وانتهى، أين في مكان للنظر اعمل حاجزاً لطيفاً وأنيقاً، فالحواجز والستائر، وانضباط الأبواب والنوافذ، هذا جزء، وتربية الأولاد جزء، والاعتناء بالبيت جزء بحيث ما يكون في فساد.

التقيت مع مدير سجن مؤلف كتاباً عن ثلاثة وستين جريمة من سجناء عنده في السجن كتاب لطيف جداً ولكن ألطف ما في الكتاب الجريمة، وقائعها، المواد القانونية التي حكم بموجبها المذنب، ثم الأحكام الشرعية التي خالفها، تجد كل جريمة لها أسباب شرعية خالف هذا الأمر خالف هذا التوجيه خالف هذا الحديث فلذلك نحن شعارنا كما يقال الآن قول سيدنا سعد ابن أبي وقاص ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك أنا واحد من الناس من هذه الثلاثة ما سمعت حديثاً من رسول الله ﷺ إلا علمت أنه حق من الله تعالى.

هذا الحديث يفتح آفاق كبيرة جداً إلى الانضباط اضبط البيت أحياناً البيت عليه مكشف هذا المكشف ينبغي أن يضبط لأن الفتاة في ريعان شبابها قد لا تنتبه، ينبغي أن تعلم تعليماً راقياً جداً لكن النفس ميالة إلى التساهل إذا في ضوابط للبيت هذا شيء مفيد والتربية وتحسين النظام في البيت تحسين الطعام تحسين مسحة جمالية في البيت، يجلس الأب مع أولاده كل يوم في وجبة طعام مشتركة ثابتة فيها حديث هذا كله من دواعي شدّ الابن إلى البيت.

أخوانا الكرام عشرات التصرفات الذكية والحكيمة والمخلصة تشد الابن إلى البيت وتصرف واحد أحق يسلمه من البيت أنا أقول بطولة الأب والأم أن تشد الأولاد إلى البيت يكون بيتاً مريحاً لا أتحدث عن سعة البيت ولا عن مساحة البيت ولا عن موقع البيت ولا عن أثاث البيت أبداً أتحدث عن مسحة جمالية، عن نظام، عن مودة، ترى بيتاً يمضي شهر شهرين ثلاثة ولا كلمة مرتفعة ما في كلمة قاسية في بيوت والعياذ بالله كل يوم مشكلتين ثلاثة تكسير الأبواب تكسير صحون مسبات دين وقتل وضرب ما هذه الحياة ؟ والله قطعة من جهنم فأنت بيدك كأب أن تجعل بيتك من الجنة، إن صار جنة الأولاد انشدوا إلى البيت ربيتهم علمتهم سعدت بهم أما بيت ما فيه شيء وفيه شقاق وفيه خلاف زوجي وفيه مهاترات والزوجة بوادي والزوج بوادي والابن مع أمه والبنت مع أبيها، والبنات المتزوجات انشقوا شقين شيء مع الأب وشيء مع الأم وطوال النهار هواتف ماذا قلت له ؟ ماذا قال

لك؟ ترى تتصل إلى إنسان هاتفه مشغول بعد دقيقتين مشغول بعد ريع ساعة مشغول هذه عوض عن الزيارة، كثير من الهواتف عندنا ساعتين ونصف، ثلاثة، ست ساعات على الهاتف، نعمة كل يوم مكالمة واحدة لو وضعت على الدقائق تضعون كل دخلكم هواتف تصبجوا، في مشكلة الهواتف ماذا ينقصها البنت تتعلم من أختها يصير تبادل خبرات سيئة في الهواتف، فذلك أيها الإخوة الكرام من تلخ ثيابها في غير بيت زوجها أو إحدى أمهاتها لا تروح رائحة الجنة.

أي بيت تقرعي اخلي عن رأسك، هذا كلام له ما وراءه، أما المرأة المحتشمة المؤمنة المحافظة المستورة المنضبطة العفيفة الحصان ثيابها لا تلخها إلا في بيت عمته أو خالتها أو أمها البيت الذي يحرص عليها فيه كحرص الأم على ابنتها بالضبط، هذا جانب، الجانب الثاني

((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))

الجانب الثالث قد يكون تصوير مخفي يجب أن ننتبه إليه أكثر شيء في محلات القياس في بعض الأماكن لا أقول الجميع في أصحاب محلات أطهار لكن الإنسان ينبغي أن يأخذ حذره، عند مصنفات الشعر غير الملتزمات هذا أيضاً مكان في الصالات أحياناً إذا ما في انضباط هذا مكان ثالث وبالبيوت الذي لا نعرف من أصحابها وكل درس حول:

(( مَنْ أَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بَغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَهُوا عَيْنَهُ ))

[ متفق عليه ]

لبيان عظم حق الجار

(( إنما جعل الاستئذان من أجل النظر ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (109 - 127) : من استمع إلى حديث قوم له كارهون

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-03-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، واليوم نأخذ فقرة من حديث شريف رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام وقد أخرجه الإمام البخاري في صحيح، الفقرة التي سوف تكون محور هذا الدرس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْإِنِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ متفق عليه ]

الحقيقة أن هذا الحديث يعني أي طالب علم، لأنه ما من طالب علم يأتي إلى المسجد يتلقى العلم إلا والممنتظر منه أن يعلم من حوله، أنت حينما ترتاد بيت الله وحينما تحضر درس علم فالذي ينتظر منك أن هذا العلم ينبغي أن تنتقله لمن حوله وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((بلغوا عني ولو آية))

و حينما تتوهم أنك لست معنياً بالدعوة إلى الله وقعت في خطأ كبير ذلك لأن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم شئت أم أبيت، أنت لماذا تصلي ؟ لأن الصلاة فرض عليك وحينما توقن أن الدعوة إلى الله فرض عليك تتطلق إلى الدعوة لكن المشكلة فهم الدين خطأً لكن الحقيقة أن كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، كل أمر لو فتحت القرآن الكريم إذا قال الله لك:

## ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة يونس: 101]

هذا أمر التفكير أمر، إذا قال الله لك:

## ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: 119]

أن تعيش مع المؤمنين أمر، لو أتيح لك أن تتصفح القرآن الكريم وأن تضع خطأ تحت كل أمر لوجدت أنك أمام مئات ألوف الأوامر بل عشرات الألوف وأضعاف أضعافها في السنة هذا هو الإسلام منهج كامل، منهج يغطي كل شؤون حياتك، أما أن أكتفي من الدين فقط أن أصلي وأصوم وأن أحج وأن أؤدي الزكاة وانتهى كل شيء، الدين يدخل معك في غرفة النوم يصل إلى أشد خصوصياتك بدءاً من أن تدخل الحمام بالرجل اليسرى إلى أن تقاتل أعداء المسلمين وأن يكون كما قال عليه الصلاة والسلام المسلمون حريهم واحدة وسلمهم واحدة. يعني بدءاً من سلوك فردي شخصي جزئي إلى علاقات دولية هذا هو الإسلام، كلما نحينا الإسلام عن الحياة ضعفنا، فلذلك أيها الإخوة الكرام، أنت حينما تتوهم أن الدعوة إلى الله للعلماء فقط للخطباء للمفكرين لمدرسي الجامعة لمن يحمل دكتوراه في الشريعة، لا أنت مكلف بالدعوة والدعوة فرض عين عليك قولاً واحداً، الدليل:

﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

﴿ (3)﴾

[سورة العصر]

فلتواصي بالحق ربع النجاة وإلا أنت خاسر، قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[سورة يوسف: 108]

فإن لم تدعُ إلى الله على بصيرة فليست متبعاً لرسول الله، وإن لم تتبع لرسول الله فليست محباً لله عز وجل الدليل، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

[ سورة آل عمران: 31 ]

أمور واضحة كالشمس، الدعوة إلى الله لها خصائص، النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى أحد هذه الخصائص، إنك لن تستطيع أن تفتح العقول ببيانك ما لم تفتح القلوب بإحسانك، يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، أنت لو عندك شاب في المحل التجاري وأحسنت إليه، لو رأك تصلي لصلى معك، أما إن لم تحسن إليه لو أمرته أن يصلي لصلى بلا وضوء خوفاً منك، كلمة أوضح كل أب محترم بحسب العادات والتقاليد وبحسب مبادئ الدين أيضاً لكن ما كل أب يُحِب، لا يُحِب الأب إلا إذا كان محسناً فأنت لن تستطيع أن تقنع أولادك بالصلاة وبالانضباط إلا إذا كنت محسناً لهم، كل إنسان أراد أن يكون داعية، أراد أن يكون مناراً للإسلام، أراد أن يعيش لدعوة كبيرة ينبغي أن يبدأ عمله بالإحسان، أحسن إلى النفوس وبعدها أقمها بالحق، النقطة الدقيقة أن الله عز وجل حينما قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

[ سورة فصلت: 30 ]

ربنا الله ثم استقاموا، تلازم الإيمان والعمل، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[ سورة البينة: 7 ]

في أكثر من منتي موضع لم ترد كلمة الإيمان إلا مع العمل الصالح، نتابع الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32)﴾

[ سورة فصلت: 30-32 ]

دققوا الآن:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[ سورة فصلت: 33 ]

علامة إيمانك الاستقامة على أمر الله وعلامة نجاح دعوتك وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، إذاً من لوازم الإيمان الاستقامة ومن لوازم الدعوة إلى الله العمل الصالح، نعود إلى الكلمة الأولى لن نستطيع أن تفتح عقول من حولك إلا إذا فتحت قلوبهم بإحسانك، أول مبدأ في هذا الدرس، تحب أن تدعو إلى الله أحسن إلى من تدعو إليه بكلمة طيبة بخدمة جيدة بهدية بمعاونة باهتمام بتفقد، ما لم تحسن لن تؤثر، أما كل إنسان بإمكانه أن يقول كلمات مرتبة على سجع مثلاً بأدلة القضية سهلة أما الإحسان صعب لذلك الأنبياء والمرسلون على خلاف ما يتوهم بعضهم مهمتهم الأولى القدوة والإحسان مهمتهم الثانية التبليغ، التبليغ سهل أي إنسان طليق اللسان ذاكرته قوية يحفظ نصوص كثيرة بإمكانه أن يبلغ لكن ليس أي إنسان بإمكانه أن يبذل أن يعطي من وقته من ماله من خبرته الشيء الكثير، حدثني قريب توفي رحمه الله كان عنده محل بالحلويات قال لي دخل إلى هذا المحل إنسان غير مسلم سأله سؤالاً غريباً جداً قال له هل تعلمني صنع الكاتو؟ قال نعم ببساطة بأريحية فعمل أمامه طبخة كاتو قالب بعدما انتهى قال له اكتب ماذا أفعل، بعد أن انتهى قال له اعمل قالباً أمامي، هذا الإنسان طبعاً ليس مسلماً يقيم بأخر مكان في سوريا على الحدود، فتح محل حلويات هناك وطبق التعليمات وريح يقسم بالله قريبي أن بقي ثلاثين عاماً يأتيه كل سنة بهدية قال له لا أنسى فضلك حتى الموت.

هذا المسلم، أنت حينما تحسن تقوّل الناس إلى كلامك أما حينما لا تحسن لا أحد يهتم بكلامك، أما حينما تسيء يغطاظ الناس من دعوتك إذا في قسوة بالمعاملة يصير في تغلّت فأنا أقول قبل أن تطلب العلم وقبل أن تجمع الأحاديث والآيات وقبل أن تتبحر في الأدلة والنصوص إن أردت أن تكون داعية إلى الله ينبغي أن تكون محسناً، افتح قلوب من حولك بالإحسان إليهم وبعثدّ تفتّح عقولهم لكلامك، أما هنا:

((... مَنْ اسْتَمَعَ إِلَيَّ حَدِيثٍ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

[ متفق عليه ]

يعني لا تجلس في مجلس لتستمع إليه ومن حولك يكرهك، ولا تلقي على الناس حديثاً تتوقع أن يستمعوا إليه وهم يكرهونك، مدام في كراهية الطرق كلها مغلقة ومسدودة هذا أول منهج وقد ينتهي هذا الشرح في قاعدة الإحسان قبل الديان، أب أحسن إلى أولادك أولاً ثم عظمهم، أم أحسنني إلى بناتك أولاً ثم دليهم على الله عز وجل.

لكن في قاعدة ثانية القدوة قبل الدعوة ممكن أن تنتفع من طبيب وتعلم أنت علم اليقين أنه غير مطبق إلى الدين وممكن أن تنتفع من مهندس وتعلم علم اليقين أنه لا يطبق الدين ولك أن تنتفع من محامي وتعلم علم اليقين أنه لا يطبق أوامر الدين لكن لن تنتفع من داعية تظن أنه لا يطبق أوامر الدين، إذا ما في تطبيق ما في تأثير لذلك تجد الأنبياء فعلوا المعجزات، هل يمكن أن يقلب وجه الأرض بدعوة نبي عاش في قومه سنوات محدودة ؟ وملايين الدعاة لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، فالقوة، قوة الدعوة في التطبيق.

أول شيء في هذا الدرس، الإحسان قبل البيان، الشيء الثاني القدوة قبل الدعوة، لا يتمكن الأب أن يمنع ابنه عن التدخين وهو يدخل لو يلقي عليه مئات المحاضرات تدخين الأب أقوى من كل المحاضرات، لا تتمكن الأم تعلم ابنتها الصدق إذا كذبت على أبيها أمامها، مستحيل، القدوة قبل الدعوة بل إنني أبالغ وأقول إن كنت قدوة لو لم تنطق ببنت شفة فصمتك يغنيك عن أن تقول أي شيء، أخت كريمة اتصلت بي أنه في شاب خطبها رأّت من أخلاقه الشيء الذي لا يصدق استطاع أن يؤثر فيها تأثيراً دينياً يفوق تأثير الدعاة مع أنه لم ينطق ببنت شفة عن الدين، أخلاقه دعوة بصراحة، أيها الإخوة إذا ما كان في تميز صارخ أخلاقي بالمؤمن لم يحمل الناس على الدخول في الدين ما معنى قوله تعالى:

## ﴿وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (2)

[ سورة النصر : 2 ]

المواقف الأخلاقية والصدق والأمانة يجعل الناس يتهافتون على الدين، أما الآن ماذا تجد ما في إنسان متقلت من الدين إلا في معه حجة رأينا أصحاب الدين، معه حجة غير مقبولة عند الله عز وجل لكن مقبولة في المجتمع حتى أن بعضهم بلغ درجة من التجاوز أنه لا يتعامل إلا بإنسان بعيد عن الدين لأنه يظن أنه أصدق وعمله متقن أكثر، النماذج السيئة التي تعامل الناس معها هذه سببت صدمة قاسية جداً قصص كثيرة جداً، إذا لك مظهر ديني إذا لك انتماء ديني يجب أن تنتبه، أن تلاحظ نفسك ملاحظة كبيرة جداً، فالقدوة قبل الدعوة كن قدوة في عملك في انضباطك في إنفاق مالك وبعثد ادع الناس إلى تطبيق هذه القاعدة، لذلك ورد:

(( ابن آدم عظ نفسك فإن وعظتها فعظ غيرك وإلا فاستحي مني ))

يضاف إلى أن القدوة قبل الدعوة أنك حينما تكون قدوة تجد أن هناك من يقلدك وأنت صامت وأنا أتكلم عن مصطلح جديد اسمه الدعوة الصامته، المؤمن ينبغي أن يعمل وفق منهج الله تماماً في شيء ثاني يضاف إلى ذلك الناس على علم وعلى بصيرة بما يفعل من حولهم فإذا في مبالغة في كذب الإنسان ينفر أما إذا في صدق الإنسان يقبل فأكبر رأسمال تملكه ثقة الناس بك وثقة الناس بك أساسها الاستقامة، أريد أن أضيف قاعدة تفيدنا جميعاً في الدعوة إلى الله التربية لا التعرية. ليس هدفك أن تحطم من حولك ليس هدفك أن تخرج من حولك لا تحمروا الوجوه هدفك أن تأخذ بيد من حولك إلى الله.

كنت أقول دائماً في بالتموين مصطلح اسمه التدخل الإيجابي في السوق، وفي مصطلح آخر اسمه أسلوب القمع، أنت مدير تموين بمحافظة عندك خمسين موظف تموين وفي محلات تباع بضاعة سيئة بأسعار غالية تخالف الأنظمة فأنت أمام طريقتين إما أن تسلك طريق القمع وإما أن تسلك طريق التدخل الإيجابي، طريق القمع معروف ترسل موظفين يغلقون المحلات يزجون بأصحاب المحلات في السجن مع غرامات كبيرة جداً هذا أسلوب القمع، لكن في أسلوب اسمه التدخل الإيجابي تفتح محلات تباع أفضل بضاعة بأرخص سعر بأطيب معاملة فجميع الناس يتهافتون عليك، أصحاب هذه المحلات إما أن يقلدون فيعيشون أو لا يقلدون فيموتون من الجوع فأنت لا قمعت ولا أغلقت محلات ولا زججت بأناس إلى السجن لكنك كنت قدوة في البيع والشراء، وكل داعية الآن لا يهاجم فئة ولا ينتقص من قيمة طائفة ولا يقول نحن على حق وفلان على باطل هذا طريق مسدود كل واحد معه

كلام يقوله كل واحد له أنصار، أما الشيء الصحيح أنت كن قدوة وانطق بالحق وأحسن إلى الناس، كن قدوة وأحسن وتكلم بالحق فقط تجد أن الناس يقبلون عليك ويقلدونك وينتفعون بدعوتك، هذا الكلام أتمنى أن يعرفه أي داعية، أنا أقول أي داعية لأن كل واحد منكم طالب علم ينبغي أن يكون داعية إلى الله عز وجل وما في شرف أعظم أن تكون تحت هذه الآية:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[ سورة فصلت: 33 ]

يعني لا تجد على وجه الأرض إنساناً أفضل عند الله ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، طبعاً هذا بمقاييس الآخرة ألم يقل عليه الصلاة والسلام لسيدنا علي رضي الله عنه:

(( يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وخير لك من حمر النعم وخير لك من الدنيا وما فيها ))

ألم يقل عليه الصلاة والسلام:

(( أفضل كسب الرجل ولده ))

ألم يقل الله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

[ سورة الطور: 21 ]

يعني أنت حينما تربي ابنك كل أعماله وأعمال ذريته إلى يوم القيامة في صحيفتك، حينما تهدي إنساناً كل من حوله ممن اهتدى بهدي هذا الإنسان في صحيفتك، عطاء الله في الهداية كبير جداً، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَالدِّ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ))

[ مسلم، الترمذي، النسائي، أبو داود، أحمد، الدارمي ]

هنا محل الإشارة إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما يقول:

(( خير كسب الرجل ولده ))

لأن الله عز وجل حينما يعطينا على أعمالنا الصالحة عطاء غير محدود إذا أولوياتنا القدوة قبل الدعوة، الإحسان قبل البيان، التربية لا التعرية، هذه بعض مبادئ الدعوة إلى الله والقدوة قبل الدعوة يعني التدخل الإيجابي بدل أن تهاجم فئات أخرى وأن تلتقي لها وأن تتهمها بالشرك والابتداع بدل هذا الطريق المسدود الشائك الذي يثير فتناً في المجتمع كن قدوة وانطق بالحق وأحسن إلى من حولك، طبعاً كل هذا الكلام مأخوذ من كلمة وهم له كارهون، الدعوة تحتاج إلى محبة.

مرة اطلعت على مشكلة تعاني منها أكبر دولة اشتهرت بصنع السيارات، دولة بعيدة جداً فاقتها وغزت أراضيها عشر سيارات ثمانية من صناعة شرقية في اليابان فهذه الدولة العريقة بصناعة السيارات حينما غزتها صناعة أخرى للسيارات صار هناك مشكلة كبيرة، يحدثني خبير أن هناك فرقاً تقنياً صناعياً بين السيارتين فلما ذهبوا إلى هناك واطلعوا وجدوا أن الفرق اجتماعي وليس تقني كيف ؟ في بعض البلاد الشرقية البعيدة كاليابان العامل مضمونة كل حاجاته وبمثابة صهر صاحب المعمل لا يسرح، مضمونة طبابته ومواصلاته ورواتبه مجزية وله جزء من الربح فالتصاق العامل هناك بالمعمل وتقانيه بخدمته قوي جداً لذلك تفوقت هذه الصناعات في عندنا نحن ظاهرات أيها الإخوة الكرام، اليابان ما فيها أي مادة أولية إطلاقاً وصادراتها للعالم تعادل صادرات العالم الإسلامي بأكمله بما فيه النفط أربعة أضعاف، ولا تملك شيئاً من المواد الأولية لا بترول ولا فوسفات ولا حديد ولا شيء إطلاقاً، هذا البلد يمثل العمل وحده، أنت حينما تصمم أن تفعل شيئاً تفعل كل شيء.

الآن بالدعوة، بالدعوة أنت حينما تريد أن تحقق شيئاً لا يصح إنسان طوال عمره يأتي على الدروس نقول له إلى متى تستمع ؟ متى تتطرق بالحق ؟ طوال عمره يتلقى متى تلقي ؟ طوال عمره يلتزم متى تحمل غيرك على الالتزام؟ أقول لكم أيها الإخوة الكرام، إذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لسيدنا علي

**(( يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وخير لك من حمر النعم وخير لك من الدنيا وما فيها ))**

يوجد بالدنيا شركات أرباحها بالمليارات، يوجد بالدنيا مكاسب ووظائف وثروات ومتع يقول النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد المعلمين والمربين

**(( يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وخير لك من حمر النعم وخير لك من الدنيا وما فيها ))**

خير لك مما طلعت عليه الشمس، معنى هذا إنسان يرتاد المسجد ويتلقى العلم ولا يتكلم بكلمة في حياته هذه مشكلة كبيرة جداً وفي أساليب كثيرة أن إنساناً تعطيه شريطاً تعطيه كتاباً أن تأخذه معك إلى الدرس أن تصله أن تقدم له خدمة أن تستميل قلبه عندئذ يأتي معك إلى الدرس فلماذا الذي أتمناه في هذا الدرس أن نؤمن أن الدعوة إلى الله فرض عين وأن حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، وأنا أحياناً أجد شخصاً التزم في المسجد بعد حين في عشرة ممن حوله أصبحوا في المسجد قد أجد شخصاً عنده نشاط في الدعوة كبير جداً، صار بقلب العشرات بل المئات ما الذي يمنعك أن تكون مساهماً في هذا العمل العظيم ؟

كل هذا الكلام

**((... مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ))**

يجب أن تكون محبوباً وكنت أقول دائماً الذي لا يجد رغبة في أن يحب أو أن يحب ليس من بني البشر يجب أن تسعى لأن تكون محبوباً عند الناس والمؤمن كيس فطن حذر والمؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

أيها الإخوة الكرام، حدثني أخ كريم له دعوة في بلد مجاور سبب دعوته أنه راكب مركبته وجد إنساناً يركب دراجة وقد قطع الجنزير وهو في حيرة والأخ الذي يركب مركبة عنده خبرة فأوقف مركبته وأعانه على إصلاح دراجته ما تكلم ولا كلمة، وأنا عندي أيها الإخوة الكرام، شواهد كثيرة جداً أن بدايات الهداية عمل صالح دون أن ينطق بكلمة يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، جبلت فأنت حينما تفكر في خدمة تقدمها للآخرين تملك قلوبهم، أخ كان في بلد في الحجاز هو مدرس في مدير للمدرسة صعب جداً إذا قرع الجرس ينبغي أن يتوجه كل المعلمين إلى صفوفهم قال لي مرة صببت كأساً من الشاي وما إن انتهيت من صب الكأس حتى قرع الجرس لا يستطيع أن يشرب الكأس، قال لي وجدت مستخدم بالمدرسة قدمت له هذا الكأس ضيافة شربه وتأثر تأثراً بالغاً من تقديم هذا الكأس قال لي: في اليوم الثاني سألني قال له أنا في هذه المدرسة من عامين وما أحد سلم علي، سلام فضلاً أن يقدم لي كأساً من الشاي فلماذا فعلت هذا ؟ قال لي والله أنا قدمته لأنها انتهت الفرصة وليس كرم مني، فصار في لقاء وصار في زيارة وإذ بهذا الإنسان من دولة من شرقي آسيا فقيرة جداً يعمل آذن قال له أنا معي ماجستير في العلوم قال لي: صعقت، ماجستير في العلوم، لكن ما في عمل ودعاه إلى البيت على أساس يمتحن هذه الدعوة أخرج له موسوعة علمية باللغة الإنكليزية قال له هذه ما معناها، قال لي عجيب أجابني إجابيات دقيقة جداً فعلاً معه إجازة من خلال قراءته وتعليقاته ويعمل آذناً قال له تسمح لي أن آتي إليك كل أسبوع ؟ طبعاً ليسوا مسلمين وثنيين، قال لي عملنا لقاء أسبوعي وبعد شهرين ثلاثة سبعة أسلموا كلهم. قلت سبحان الله ممكن سبعة أشخاص يسلموا بتقديم كأس شاي في البداية، أنت لا تعلم كم للعمل الصالح من أثر في الدعوة إلى الله، ابن حياتك على خدمة الناس، ابن حياتك على العطاء، على إكرام الناس، الآن بهذه الطريقة تفتح قلوبهم فإذا فتحت قلوبهم صار الطريق سالكاً إلى عقولهم، أما إذا قلوبهم مغلقة والطريق إلى عقولهم مغلقة أيضاً، كم في الحياة من كلام كله بكلام في تقنن عالي جداً إلقاء الكلمات لكن لأنه ما في إحسان ما أحد يصغي إلى أحد أبداً أنت لا تصغي إلا إلى المحسن. لذلك أعود وأكرر وأقول الإحسان قبل البيان، لن تستطيع أن تفتح عقول الناس ببيانك إلا إذا فتحت قلوبهم بإحسانك، والقعدة قبل الدعوة إن لم تطبق ما تقول لا أحد يصغي إليك ولا تستأهل دعوتك إلا ابتسامة ساخرة، وكنت أقول دائماً أيها الإخوة الكرام، ما من عمل يتذبذب بين أن يكون عملاً عظيماً يرقى إلى صنعة الأنبياء وبين أن يكون عملاً تافهاً لا يستأهل إلا ابتسامة ساخرة كالدعوة إلى الله يكون عملاً عظيماً ترقى إلى صنعة الأنبياء حينما ترافقها القعدة ويرافقها الإحسان عندئذ تملك القلوب والأنبياء ملكوا القلوب والأقوياء ملكوا الرقاب،

وشتان بين من يملك القلوب وبين من يملك الرقاب، الذين يملكون الرقاب يمدحون في حضرتهم بينما الذين يملكون القلوب يمدحون في غيبتهم، وفرق كبير بين أن تمدح في غيبتك وبين أن تمدح في حضرتك، فرق كبير لذلك الإحسان قبل البيان والقُدوة قبل الدعوة والتربية لا التعرية، ليس القصد أن تفضح الإنسان وأن تصغره وأن تحرجه وأن تحمر وجهه القصد أن تأخذ بيده كن حكيماً وكن لطيفاً وحدثه عن خطيئته بينك وبينه من دون أن تشهر به هذه بعض القواعد في الدعوة وقد انطلقت بها من قول النبي عليه الصلاة والسلام:

((... مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ))

لا بد من الحب ولا بد من الإحسان ولا بد من التطبيق ولا بد من الإخلاص ولا بد من الحكمة هذه قواعد الدعوة إلى الله وكل إنسان كائن من كان يجب أن يكون داعية إلى الله عز وجل.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (110 - 127) : الخيل ثلاثة هي لرجل وزر و لرجل ستر و لرجل أجر

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-03-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، موضوع الدرس اليوم مستقى من الأحداث التي تلم بالمسلمين، و ينطلق من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما رواه البخاري و مسلم و سأتناول فقرة من الحديث، قال عليه الصلاة و السلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ لِرَجُلٍ أَجْرٌ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ...))

و يقاس على الخيل كل شيء، هذه الدنيا التي بين أيدينا، عملك، مكانتك، قدراتك، مالك، وسامتك، فصاحتك، أهلك، أولادك، مركبتك، محلك التجاري، معملك، وظيفتك، أي شيء يتصل بك يمكن أن يكون وزراً أو سترًا أو أجراً.

أيها الإخوة الكرام، بادئ ذي بدء إن أخطر شيء في حياة الإنسان أن يعلم لماذا هو في الدنيا ؟ من الثابت أنه لا تصح حركة الإنسان في الحياة إلا إذا عرف سر وجوده، فإن عرف أنه في فرصة لا تتكرر لنيل سعادة أبدية جعل جهاده ذروة عمله، و قد قال عليه الصلاة و السلام الجهاد ذروة سنام الإسلام، أي أعلى عمل تقوم به أن تجاهد، لكن متى تجاهد ؟ تجاهد إذا عرفت حقيقة الحياة الدنيا أنها دار التواء لا دار استواء، و منزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء و لم يحزن بشقاء، قد جعلها الله دار بلوى و جعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا و جعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي و يبتيلى ليجزي.

البطولة أن تتيقن لماذا أنت في الدنيا ؟ و أنا أوكد لكم أن ثلاثة في المئة فقط من الناس يعلمون لماذا هم في الدنيا علم اليقين ؟ أي هدفهم واضح، أنت حينما تعلم أنك في مرحلة من أجل أن تدفع ثمن مرحلة ثانية و قد سمى الله هذه الحياة حياة دنيا، الكلمة إذا كثر استعمالها فقدت معناها، تقول حياة دنيا مليون مرة بحياتك و لا تنتبه إلى معنى الدنيا، حياة دنيا فيها موت، فيها مرض، فيها تقدم بالسن، في ضعف بصر، فيها سقوط أسنان، فيها آلام بالظهر، فيها زوجة سيئة، فيها أولاد عاقون، فيها عمل صعب، فيها دخل قليل، مطالب كثيرة، يوجد أمراض، يوجد سرطان، يوجد التهابات، يوجد التهاب الغدة الدرقية، يوجد أمراض لا تعد و لا تحصى و مخاوف و تهديدات خارجية كما ترون، و ارتفاع ثمن أشياء و انخفاض ثمن أشياء، هذه الحياة جملة متاعب هكذا أراها الله عز وجل، ما أراها أن تكون مقراً، أراها أن تكون ممراً، ما أراها أن تكون دار تشریف، أراها أن تكون دار تكليف، ما أراك أن تركز إليها، أراك أن تقف على قدميك فيها، خذ قسطاً من الراحة يا رسول الله السيدة خديجة، قال: انقضى عهد النوم يا خديجة.

إخوانا الكرام: بقدر صحة تصورك عن الحياة الدنيا يكون جهادك فيها، فلذلك خيل، مركبة، سيارة، قد تكون وزراً، و قد تكون سترًا، و قد تكون أجراً، وظيفتك، حرفتك، بيتك، قدراتك، ذاكرتك، طلاقة لسانك، شكلك، هيئتك، أولادك، زوجتك، كل شيء حولك يمكن أن يكون وزراً، ذنب كبير، و يسبب لك متاعب في الدنيا لا تنتهي، و عذاب في الآخرة لا ينقضي، و قد تكون سترًا لا لك و لا عليك، و قد تكون أجراً تتفوق عند الله عز وجل و لك عنده مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أيها الإخوة الكرام، الوقت الذي تتفقه في معرفة سر وجودك ليس تضييعاً للوقت، أعجب كلمة أسمعها من إنسان تعال احضر درس علم، و الله لا يوجد عندي وقت، أسأله عندك وقت لأي شيء إذاً ؟ من أجل أن تعرف سر وجودك و غاية وجودك و من أجل أن تسعى لهذه الحياة الأبدية، أحياناً تستمع إلى إعلان

وفاة إنسان بالمنذنة، أو أن تقرأ نعوة، هذا الإنسان هو أسير عمله، أسير جهله، أسير خطئه، أسير معاصيه، أسير تغلته، أسير ما تجاوز فيه الحدود فابتعد عن الرب المعبود، فيا أيها الإخوة الكرام، أن المسلم هل يكفي أن يقول الحمد لله نحن إسلام و ساكنين بالشام، الحمد لله و نبينا سيد الأنبياء، و الأعداء يتقنون

في إذلالنا، يتفنونون في تحدينا، ماذا نفعل ؟ لماذا كان الجهاد ؟ الجهاد أيها الإخوة أخطر شيء في الجهاد أنك إذا ذكرت الجهاد قفز إلى ذهنك الجهاد القتالي، لا والله هو من الجهاد لكن جزء بسيط منه، و له ظروف معينة، و له شروط معينة، و له مبررات معينة، لكن جهاد أن تجاهد نفسك و هواك أنت، فهذا الذي لا يستطيع أن يكف نفسه عن الحرام، لا يستطيع أن يواجه نملة في الأنام، و حينما يستطيع أعداء المسلمين أن يضعفوا مقاومتك للشهوات المجتمع الإسلامي انتهى.

أول بند من بنود الجهاد أن تجاهد نفسك و هواك، أن تحملها على طاعة الله، دائماً و أبداً الطبع يتناقض مع التكليف، الطبع يدعوك إلى النوم، يدعوك إلى إطلاق البصر، يدعوك إلى قبض المال، يدعوك إلى أن تغوص في فضائح الآخرين، و التكليف يأمرك أن تغض البصر، و أن تنفق المال و أن تكف لسانك عن أعراض الناس، هذا الكلام ذكرته كثيراً و لكن لأننا في ظرف صعب جداً، أيها الإخوة المسلم لا يكون مسلماً إلا إذا طبق كل ما في القرآن و السنة، أخطر شيء في الإسلام الانتقاء، أن تنتقي من الدين ما يروق لك، كلمة فلان انتقائي، هذه كلمة ذم، كلمة ذم كثيرة، من الإسلام ماذا ينتقي ؟ العمرة، يركب طائرة، يذهب إلى هناك يتسوق و العمرة كلها ساعة زمان، يعود الزينة و الاستقبالات و الاحتفالات، هذه سهلة، العمرة عبادة عظيمة لكن خفيفة لا يوجد بها شيء، قد ينتقي عبادة أخرى، ينتقي أعمالاً صالحة معينة لكن لا يقبل الإسلام كله بكامله، بالانضباط الكامل، ضبط الجوارح الكامل، ضبط الدخل، ضبط الإنفاق، يختار اختياراً، فأنا أريد في هذا اللقاء الطيب إن شاء الله أن أقول لكم: أول خطوة يجب أن تعرف سر وجودك، لماذا جاء الله بك إلى الدنيا ؟ لماذا أنت في الدنيا ؟ من أجل ماذا ؟ أوكد لكن أن معظم الناس يعيشون على هامش الحياة، و لهم كلمات مضحكة و الله لا يعرف ماذا ينتظره، و لا يعرف أنه يحمل رسالة، و لا يعرف أنه يجب أن يفعل شيئاً في هذه الحياة الدنيا، يكتفي أن يكون مستهلكاً، و يكتفي أن يكون دخله يغطي مصروفه، انتهى الأمر.

لذلك بين أن يكون لك خيل هي عليك وزر و بين أن تكون لك خيل هي لك ستر و بين أن تكون لك خيل هي لك أجر فرق كبير جداً.

النقطة الثانية بموضوع الجهاد هو الجهاد، سنسمي أول جهاد جهاد نفسي، جهاد النفس و الهوى، ضبط جوارحك، ضبط لسانك، ضبط أعضائك، ضبط بيتك، ضبط إنفاقك، ضبط دخلك، ضبط أهلك، ضبط بناتك، هذا الجهاد النفسي و هذا أصل و هذا القاعدة و هذا أس الإيمان، فلذلك ما لم تحمل نفسك على طاعة الله لا تتكلم و

لا كلمة، ما لم تحمل نفسك على طاعة الله لا تحشر أنفك في موضوع لأنك ضعيف و أنت عبء على المسلمين، و أنت تتبع نفسك و هواك، أما حينما تتضبط هذه أول خطوة في طريق الإيمان.

ثانياً الجهاد الدعوي: أن تعلم أو أن تُعلم، يوجد ممارسة علمية، يوجد لقاء علمي، يوجد حضور درس، يوجد قراءة كتاب، يوجد سماع شريط، يوجد حضور محاضرة، نشاط علمي، تنمية الحاجة العقلية الراقية أن تعرف من أنت ؟ الآن ضبط نفسك، صادق، أمين، عفيف، تغض بصرك، تحرر دخلك، تضبط بيتك، هذا الجهاد النفسي، هو جهاد ورد في الأثر أن رجعنا من الجهاد الأصغر أي القتال إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس و الهوى، هناك من يعترض على هذا الكلام و أنا أعلم ذلك، لكنني مؤمن به أشد الإيمان.

ثانياً: الجهاد الدعوي: متابعة العلم، تقصي الحقائق، معرفة أسرار الحياة، معرفة حقيقة الحياة الدنيا، فلسفة الوجود، التعرف إلى الله من خلال أسمائه الحسنی، من خلال صفاته الفضلى، معرفة الطريق على الله عز وجل لابد من أن تمارس نشاطاً تعليمياً أو تعليمياً، هذا الجهاد الثاني.

الجهاد الثالث و نحن الآن في أمس الحاجة إليه الجهاد البنائي، أعداء كثر أقوىاء جداً، معهم أسلحة فتاكة جداً، معهم أدوات اتصال العقل لا يصدقها، كل شيء في الأرض يصور، اطلعت مرة على مجلة ألمانية أول صورة الكرة الأرضية من القمر، يوجد صور موجودة الآن، الكرة الأرضية من القمر يوجد عليها مربع صغير ميليمتر، هذا المربع كبير فإذا كان في أميركا عليه، عليه مربع صغير هذا المكان كبير فإذا كان بفلوريدا، على الصورة مربع صغير كبير فإذا على ساحل فلوريدا، يوجد مربع صغير كبير فإذا على مرج أخضر و يوجد نقطة سوداء، هذه النقطة كبرت فإذا إنسان مضجع على بساط و جانبه يوجد صحن فيه تفاح و يمكن أن تقرأ ساعته التي في يده، هذا من القمر، بلغ التقدم العلمي لدرجة أن الأرض كلها تصور على مستوى أن تقرأ الساعة كم من الفضاء، الطرف الآخر عنده وسائل اتصال، وسائل تصوير، وسائل استعلام تفوق حد الخيال، و عنده أسلحة فتاكة الحديث عنها يطول، أسلحة تلغي الاتصالات، أسلحة تلغي الطاقات، أسلحة تقتل البشر دون البناء، البناء كما هو الناس يموتون وحدهم، أسلحة ذرية، أسلحة نووية، أسلحة انشطارية، قنابل عنقودية، قنابل ذكية، قنابل تتحرك بأشعة الليزر، حاملات طائرات مدن متحركة، جيوش متحركة مئة طائرة في هذه الحاملة، فهذا العدو قوي جداً، فحن إذا اكتفينا أن نقول الحمد لله نحن مسلمون، ديننا الحمد لله دين عظيم و نبينا سيد الأنبياء كذلك نسكن

بالشام الحمد لله، و همنا الأكل و الشرب و النزاهات، إذا وصلنا إلى هذا المستوى انتهينا.

أنا أسوق هذا الكلام لأن هناك أخطاراً تحيط بالمسلمين لا يعلمها إلا الله، فنحن بحاجة إلى جهاد بنائي.

جهاد النفس و الهوى أصل، المنطلق، الجهاد الدعوي أن تعرف دقائق هذا الدين، يكون لك مجلس علم تشحن به شحنة علمية و روحية، تشعر أن الله كبير، الله موجود، الله لا يتخلى عنا، الأمر بيد الله وحده، هذه شحنات علمية روحية بأن واحد، تخرج من المسجد و أنت مرتاح، شاعر بعدل الله عز وجل و أنك في عناية الله و في حفظه و في توفيقه و في نصره.

إذاً تريد جهاد النفس و الهوى حتى تكون أول خطوة في طريق الإيمان، ثم تحتاج إلى جهاد دعوي تتعلم و تعلم، ثم تحتاج إلى أن تكون أمتك قوية، الهند فيها تسعمئة مليون قريب من الصين، مرة رئيس دولة بالشرق الأوسط شعبه مليونين فسافر إلى الصين و التقى مع رئيس الصين قال له أنا أنقل لك تحية الشعب الفلاني العظيم، فسأله كم شخص أنتم ؟ فقال له حوالي مليونين، قال له كنت أحضرهم معك.

الآن يوجد دول عملاقة، يوجد صناعات، أنت حينما تبتعد عن روح العصر تنتهي لابد من أن تتعامل مع المستجدات يوجد عدو قوي يتربص بنا الدوائر، يجب أن تكون قوياً، الهند تريح فقط من البرمجيات ثلاثة و ثمانين ملياراً، لا يوجد عندهم نفط و لا فحم و لا حديد و لا فوسفات و لا ثروات و لا بترول، برمجيات، أنا أدعوكم في هذا اللقاء فكر بعمل تعمله، تعمل كومبيوتر، تعلم برمجة، تعلم لغة إنكليزية، تعلم محاسبة، تحرك، اعمل عملاً، قدم شيئاً لأمتك، يوجد شيء ذكرته مئات المرات و لا أمل منه هذا العالم القوي الذي ترونه قوياً الإنسان يعمل ثمانية ساعات بالضبط، ثمانية ساعات صافية، العالم الثالث، العالم النائم، الدول النائمة أو النامية الفرد يعمل سبعة و عشرين دقيقة في اليوم فقط و نحن منهم، له حساب دقيق يحسبوا الإنتاج القومي على السكان على الوقت، فيظهر أن الإنسان الواحد يعمل سبعة و عشرين دقيقة فقط في اليوم، في بلاد أخرى سبع عشرة دقيقة، و الأقوياء يعملون ثمان ساعات عمل مركز.

ما فائدة هذا الكلام ؟ فكر باختصاص، فكر بدراسة، فكر بدورة، فكر بانتساب إلى جامعة، كن متعلماً، احمل اختصاصاً، اكسب المال، أنفق هذا المال في خدمة المسلمين، ما لم يكن لك عمل، ما لم يكن اختصاص، ما لم تلتحق بدورة، ما لم تتقن شيئاً لن تستطيع أن تفعل شيئاً، لا تكن عبئاً على أحد، لا تكن همماً يزيد هموم

المسلمين، كن عوناً، كن دعامة، الجهاد الثالث الجهاد البنائي، دليله من القرآن:

### ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال: الآية 60]

هذا الجهاد البنائي يؤخذ من هذه الآية، الآن يوجد دعوات كثيرة إلى العمل و المفاجأة أن معظم الصناعات في الدول الكبير القوية صناعات صغيرة، نحن عندنا وهم كبير أن هذه الدول العملاقة عندها صناعات كبيرة جداً، صح يوجد به صناعات كبيرة لكن ثلثا الناتج القومي من صناعات صغيرة، ماذا يمنع أن يكون كل واحد منكم معه اختصاص ؟ ممكن دورة لغة أجنبية، ممكن دورة محاسبة، دورة كومبيوتر، دورة برمجيات، تحرك، اعمل شيئاً، اكسب مالا حل مشكلتك أولاً تجد المؤمن المقصر عبثاً، و الذين يحبونه يتألمون له، و ليس بالإمكان حل مشاكل الناس كلها، مرتاح لا يوجد عنده عمل، يا إخوان أخطر شيء الإنسان الفارغ، يصبح عمله أن يحشر أنفه في مشاكل الآخرين، لا يدع إنساناً من شره، لماذا سافر ؟ يتقصى، من أخذ ؟ لماذا أخذ و الخطبة طالت ما السبب ؟ لأنه فارغ، هذا النموذج لم يعد محتملاً يا إخوان، كل نشاطه أن يحشر أنفه في قضايا الناس، لو عندك دوام طويل، منتج، جمعت مالا، عملت مشروعاً، كسبت مالا، حللت مشاكل المسلمين، جاؤوا اثني عشر طبيباً من أميركا معهم بورد يريدون أن يعملوا دورات للأطباء بلا مقابل، نحن تعلموا يجمع الطبيب عدداً من الأطباء الذين لم يتح لهم أن يتخصصوا يعطونهم هذا العلم، تعلموا، علموا، عالجوا الناس معالجة صحيحة، اعمل عملاً أنت حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، أنا مندفع في هذا اللقاء الطيب لإقناع الإخوة الكرام يكون عنده اختصاص، يتقن شيئاً، يتقن شيئاً غير يدوي، الآن لا يوجد مكان لعمل يدوي، تحتاج إلى لغة، مرة كنا بحفل برمضان الماضي فرجل دين تكلم أولاً باللغة الإنكليزية ثم بالفرنسية ثم بالعربية، و الله هذا عمل كبير، يتقن ثلاث لغات، يتقن الإلقاء و الحديث و الحوار، فأتقن لغة ثانية، الآن التجارة تقوم على اللغة الإنكليزية أتقن هذه اللغة و من تعلم لغة قوم أمين مكرهم، أتقن المحاسبة، أتقن دورة معينة، أتقن الكومبيوتر، أتقن البرمجة، اعمل شيئاً، نظم وقتك، تدخل لدائرة لا يوجد أحد، لا يوجد عمل، إما أنه يوجد عدد كبير من الموظفين أو أنه لا يوجد عمل واضح لهم فتجد الإنسان أصبح عبثاً، أنا أذكركم بالجهاد، الجهاد ذروة سنام الإسلام، الجهاد يبدأ جهاد نفسي ثم يصبح جهاد دعوي ثم المعول عليه الجهاد البنائي، فإذا صحَّ الجهاد النفسي و الدعوي و البنائي ينتظر أن ننجح في الجهاد القتالي إن شاء الله، أما الآن يجب أن نبني أمتنا.

يوجد نماذج عندي رائعة جداً شاب أول حياته يفكر في خدمة المسلمين، يفكر في حل مشكلاتهم، يفكر في التخفيف من آلامهم، يفكر في تقديم شيء ثمين يغنينا عن أن نستورد هذه الخبرة، هكذا المسلم، كن عالماً في المجتمع، خطط، رتب أمورك، برمج حياتك، نظم وقتك، ارسم أهدافك، ضع للأهداف وسائل، لا تكن مهمشاً، كيف حالك؟ و الله عم ندفش، هذا كلام يقوله معظم الناس، عايش بحكم الحياة فقط، يستيقظ صباحاً يأكل، يذهب إلى عمله، كله يؤجله تعال غداً، تعال غداً ليس فارغاً الآن، يأتي إلى البيت يأكل و ينام و في المساء يسهر مع أصدقائه، يلعب طاولة، يتابع المسلسلات، ثم يشعر بالنعاس فينام، يستيقظ ثاني نهار إلى أن يأتي أجله، هذا النموذج.

أما إنسان يقظ لماذا أنا في الدنيا؟ لماذا خلقتني الله في الدنيا؟ لماذا أعطاني السمع و الأبصار و الأفئدة؟ لماذا أمرني أن أكون مؤمناً؟ أن أكون محسناً؟ أن أكون صادقاً؟ أميناً، مستقيماً، عفيفاً، انطلقت في هذا الدرس من هذا الحديث أو من هذه الكلمات في هذا الحديث أنه خيل، سيارة، مكتب، تجارة، معمل، مستشفى، طبيب، مهندس، محامي، مدرس، صانع، أي إنسان مندوب مبيعات، تاجر صغير، عندك سوبر ماركت هذا إما أن يكون وزيراً إذا فيه معاصي و آثام، أو أن يكون سترلاً لا لك و لا عليك، أو أن يكون أجراً إذا وظفتها في طاعة الله.

لذلك الحديث: قال عليه الصلاة و السلام:

((الْخَيْلُ لِثَلَاثَةِ لِرَجُلٍ أَجْرٌ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ...))

و صدق أن الأعمال العظيمة بالعالم سبقها محاولات كثيرة لم تنجح، أنت بحاجة إلى إصرار على النجاح.

أحد الأشخاص التحق بالأزهر في القاهرة و رسب أول سنة و الثانية فيئس و ترك الدراسة، جالس في بيته رأى نملة صعدت على الحائط ثم وقعت، أعادت الكرة ثم وقعت، أحصى عدد محاولاتها، فكانت ثلاثة و أربعين محاولة فاستحيا من النملة و تابع الدراسة، ثم صار شيخ الأزهر، اعمل محاولة و اثنتين و ثلاثة و أربعة و خمسة و ستة و عشرة أتعن شيئاً، قيمة المرء ما يحسنه، أتعن شيئاً، عندك وظيفة الدخل قليل، اعمل محاسبة و اشتغل محاسباً بعد الظهر، عند كل شخص ساعة أحضر دخلاً إضافياً، أحضر لأهلي طعاماً، ألبسهم، أعتني بأولادي، يحبوني، يتقوا بي، أوجههم توجيهاً صحيحاً، ما معي، ما معي، الطفل هذا أبوه ما عنده شيء فينصرف عن أبيه و يلحق رفيقه الغني، أصبح هذا هو الواقع، فالعمل عبادة بمعنى أنت حينما تعرف الله عز وجل و

تعرف سر وجودك و غاية وجودك يصبح عمك عبادة، تعمل من أجل أن تأخذ بيد هذه الأسرة إلى الله، ماذا قال سيدنا أبو ذر ؟ قال حبذا المال أصون به عرضي و أتقرب به إلى ربي، و الله أنا أحترم أي إنسان مؤمن، و الله على العين و الرأس، لكن وجد مؤمن يحمل معك، يوجد مؤمن يجب أن تحمله ، شتان بين الاثنين، بين من يحمل معك و بين من تحتاج أن تحمله.

مسلم يجب أن يكون شخصية متألفة، المسلم شخصية فذة، يوجد جانب أخلاقي، جانب سلوكي، جانب جمالي، جانب معرفي، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذ له لعله.

المؤمن له أدواق عالية جداً، أنا أدعوكم أيها الإخوة إلى حركة، إلى تجديد النشاط، إلى ضبط الأمور، إلى تحسين الدخل، إلى مزيد من العلاقات الطيبة مع أفراد الأسرة، المتزوج يحسن علاقته بزوجه، بأولاده يجلس معهم، ينظم وقته، وقت لربه، و وقت لعمله، و وقت لأهله، وقت لجامعه، يقدم شيء، يدرس، يطالع، يفكر، يلخص، يؤلف كتاباً، يتحرك حركة، هذا الذي أدعوكم إليه.

الآن أنا مضطر أن أقول الجمود ينهي الإنسان، الإنسان أحياناً يجمد، لك عادات، تقاليد، أفكار معينة، برنامج حياة ثابت، لا يوجد تجديد أبداً، لا يوجد إبداع، لا يوجد قفزات، بعد ذلك يمل من حياته، تصبح حياته رتيبة، مملّة، لا معنى لها إطلاقاً هذا يحصل على مستوى أفراد و شعوب، الآن البلاد الجامدة انتهت، يوجد بلاد تطورت، البلاد التي جمدت انتهت، أصبحت في طريق مسدود كل من حولها أصبح أقوى منها، هي جمدت هذا كلام يقال للأفراد و الجماعات، لا تجمد، يوجد بالعالم الغربي ما ممكن طبيب يمارس الطب إلا برخصة كل سنة، ترخيص سنوي، نحن نعطيه ترخيصاً ذهب معه ثمان و خمسين سنة، هناك كل سنة يوجد ترخيص، لماذا؟ لأنه إذا لم يحضر كل عام ثلاثة مؤتمرات علمية لا يأخذ ترخيص الطبيب، علمه قديم لا ينفع الناس إذا لم يحضر ثلاثة مؤتمرات بالسنة، يعطوه ساعات يجب أن تحضر مثلاً ثمانين ساعة مؤتمرات بهذه السنة، تجد مهندس معلوماته قديمة، طبيب معلوماته قديمة، يرتكب أخطاء فادحة بحق الناس، و إذا وقع بخطأ يقول لك سبحان الله هذا ترتيب الله، لا أجد كلمة أبعد عن الحق كهذه الكلمة، يعزي خطأه إلى الله عز وجل، إلى القضاء و القدر، فلا يفكر أن يحسن وضعه.

سأحضر بعض الأمثلة: الباب له صوت بفتحه و إغلاقه يوجد باليوم مئة صراخ بالبيت يكون الأب غفل قليلاً يفتح ابنه الباب يوقظه، هذا يحتاج فقط نقطة من الزيت عند المفصلة لا يضعها، تجد أناساً يجلسون في الطريق يمر شخصاً ينظرون إليه فقط ينظر إلى الناس، يسمع قصصهم، لا يقدم شيئاً، هذا النموذج لا يحتمل يا إخوان، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، اعمل شيئاً، رتب أمورك، رتب مكتبك، اضبط حساباتك، رتب كومبيوترك، اعمل له صيانة، اعمل دوام لنفسك، نظم وقتك، هذا الذي أتمنى أن يكون، لأن كلمة خيل وزر، خيل ستر، خيل اجر، ستر لا لك و لا عليك، لا يوجد معاصي لكن أيضاً لا يوجد بطولات، هذا من أصحاب اليمين ويوجد من السابقين السابقين ويوجد من أصحاب الشمال، فالجهاد الأخير الجهاد القتالي نسأل الله ﷻ أن يتاح أن نخوضه وأن نرفع شأن الإسلام أما الجهاد الأول والثاني والثالث بين أيدي جميع المسلمين، جهاد متاح لكل إنسان من يمنعك أن تستقيم على أمر الله؟ من يمنعك أن تكون مستقيماً صادقاً أميناً عفيفاً؟ من يمنعك أن تربي أولادك؟ من يمنعك أن تعتني بزوجتك؟ من يمنعك أن تتقن عملك؟ من يمنعك أن تقدم شيئاً للمسلمين كله بيدك؟ الجهاد النفسي بيدك والجهاد الدعوي يحتاج إلى كتاب إلى شيخ إلى جامع إلى متابعة إلى مطالعة إلى سماع شريط إلى مناقشة إلى حوار أيضاً بيدك، والجهاد البنائي بيدك طور عملك اعمل دورة أسأل خبراء، تاجر يقول لا يوجد سوق، أقسم لكم بالله ما في إنسان صاحب حرفة يتقن حرفته تماماً إلا في عنده عمل لشهرين جاهز بالكساد الاقتصادي أصحاب الحرف الذين لا يتقنون أعمالهم يتوقفون عن العمل، البضاعة التي دون الوسط لا تباع إذا في سوق رائجة يباع كل شيء إذا في كساد لا تباع إلا البضاعة المتقنة جداً وذات السعر المعتدل، إذا في كساد لا يعمل إلا أصحاب الحرف المتقنين تماماً، فأنتن عملك طور خبراتك اعمل دورة أسأل سافر تعلم لغة وإلا تصبح مهمشاً تصبح رقم ليس له معنى.

يا أيها الإخوة الكرام، نحن الآن بحاجة ماسة إلى جهاد، جهاد نفسي ودعوي وجهاد بنائي وكل إنسان يقدم شيئاً للأمة، أنا ذكرت مرة أخ كريم متفوق بالأمور الإلكترونية، في بكل آلة قطعة إلكترونية هي أعقد ما في الآلة هذه القطعة تتعطل كل سنة مرة هكذا مصممة تأخذ إلى بلد المنشأ إلى المعمل وترجع بعد أسبوعين ثلاثة الكلفة مليون مليونين، يعرفون كيف يستغلون الجهلاء؟ شاب أنتن إصلاح هذه القطعة بالمعامل التي فيها كومبيوترات، رأيت مرة خريطة سته أمتار ثلاثة طبقات ترسم لها خارطة يكون في صمام محروق وثمنه بسيط يصلح هذه القطعة ويأخذ عشرة آلاف أيام تكلف المعمل مليون ليرة يبيعونك هذه القطعة ويعطوا هذا الإنسان الشاري بقرة حلوب أنا أتكلم من واقع في معامل تعمل بالكومبيوتر والكومبيوتر فيه قطعة صعبة جداً أعلى شيء هذه تتعطل

والتعطل مقصود ابتزاز مستمر، فهذا الإنسان استطاع أي معمل في عنده هذه القطعة التي أصابها خلل يعيد صيانتها بمبلغ بسيط جداً أي إنسان أتقن عملاً وفر على الأمة ملايين وله موقع تكريم كبير في البلد، ممكن تخترع شيئاً، تقدم شيئاً، ممكن تخترع شيئاً، تطور شيئاً، فأنت عندئذ تكون في أعلى مقام عند أمك وفي وطنك وعند الله عز وجل.

الإسلام حياة وليس الإسلام ممات أيام يكون في دعوة كلها لما بعد الموت لكن أريد المسلم الحي أمن له فرص عمل، أمن له أولاده، أمن له مدارس لأولاده، والآن في فرص كبيرة بفضل الله كل فترة يخرج شيئاً ويصبح تسهيلات لشيء، الآن في رخص للتعليم ممكن أن تأخذ رخصة لمدرسة ابتدائي إعدادي ثانوي والذي عندهم دراسات عليا يقدمون طلب مثلاً رخصة لإذاعة إسلامية، رخصة لمجلة إسلامية اعمل عملاً، قدم شيئاً أما لا أفعل شيء، الحقيقة في حالة اسمها الجمود، حالة الجمود آخرتها إلى التهميش والمسلمون الآن ضعاف والكلمة مؤلمة جداً لكن لا يتقدموا إلا بالتفوق فالذي عنده بيت قد يكون البيت وزراً إذا فيه معاصي وآثام وقد يكون البيت سترًا لا له ولا عليه وقد يكون البيت مركز دعوة إلى الله عز وجل، المركبة كذلك والبيت كذلك المتجر، الاختصاص، إنسان يتقن اللغة الأجنبية قد تكون وزراً يقرأ قصص إباحية وقد تكون سترًا موظف بجهة يترجم يعيش منها وقد تكون أجراً يترجم كتباً إسلامية، هذه اختصاص اللغة العربية التاريخ الجغرافية الرياضيات الفيزياء الكيمياء الفلك الطب الهندسة، كل اختصاص قد يكون وزراً وستراً وأجراً.

الأشياء المركبة والبيت كل شيء حرفتك ستر وزر أجر وهكذا، فإذا كنت طموحاً اجعلها أجراً إن كنت أقل طموحاً اجعلها سترًا، والعياذ بالله وقد تكون وزراً مع التفصيل

((الْخَيْلُ لثَلَاثَةِ لِرَجُلٍ لِجُرْ أَجْرٍ وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ.))

فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً .

((...فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ وَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَتْ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاتُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَسِتْرًا وَتَعَفُّفًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَظَهُورِهَا فَهِيَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنَوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ وَزْرٌ وَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْحُمْرِ فَقَالَ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَادَةُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))

[ متفق عليه ]

تعامل معها وفق منهج الله،

((...فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ وَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا أَي حبلها فَاسْتَنْتَتْ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاتُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ...))

يعني إذا قطعت حبلها استنتت جرت بقوة فقطعت حبلها فأنت هيات حبلًا آخر لك أجر،

((...فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ وَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا، حبلها، فَاسْتَنْتَتْ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاتُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ...))

هذه الخيل إما وزراً إذا أهدا مناوئة للمسلمين أو ليزهو بها على عباد الله أو ليختال بها على خلق الله فهي وزر وإن أقام أمر الله فيها فهي له ستر أما إذا جعلها في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين .

في مهندس أنا لا أبالغ ساهم في إعمار أكثر من منتي مسجد فاستخدم علم الهندسة لبناء المساجد وفي مهندس فنان في بناء الملاهي أيضاً كلاهما مهندس واحد بنى اختصاصه وزراً وواحد كان اختصاصه.. إنسان صوته حسن صار قارئاً أجر وصوته حسن صار مغنياً وزر لا يوجد صوت لا حسن ولا شيء ماشي حاله، إما أن يكون العمل وزراً أو أجراً أو سترًا.

أيها الإخوة الكرام، أرجو الله عز وجل أن ننطلق للعمل، الإنسان ينطلق إلى البيت ماذا سمعت ؟ ماذا ينبغي أن أفعل ؟ فلعن الله عز وجل يرحمنا جميعاً بهذا الفهم لموضوع الجهاد، الجهاد النفسي والجهاد الدعوي والجهاد البنائي، فإن صحت هذه الأنواع الثلاثة ينتظر إن شاء الله أن تنجح في الجهاد الثالث.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (111 - 127) : حسن الظن بالله تعالى

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-04-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، من مسلمات الإيمان أن حسن الظن بالله ثمن الجنة، ليست العبرة أن تكون غنياً أو فقيراً ولا أن تكون قوياً أو ضعيفاً ولا أن تكون وسيماً أو ذمياً ولا أن تكون موسعاً عليك في الرزق أو مقترراً عليك في الرزق، العبرة أن تكون راضياً عن الله، لذلك ورد في بعض الأحاديث أن حسن الظن بالله ثمن الجنة. كيف أحسن الظن بالله؟ الحقيقة ورد في الأثر أن سيدنا جبريل سأل النبي عليه الصلاة والسلام أتحب أن تكون نبياً ملكاً أم نبياً عبداً؟ كان جواب النبي عليه الصلاة والسلام بل نبياً عبداً أجوع يوماً فأذكره وأشبع يوماً فأشكره، والحقيقة هذا الكلام يحتاج إلى شرح طويل يبدو أن الإنسان حينما يكون قوياً أو حينما يكون غنياً وقد يصل بغناه إلى أعلى مراتب الجنة وقد يصل بقوته إلى أعلى مراتب الجنة، فسيدنا سليمان الحكيم قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾

[سورة ص: 35]

كان ملكاً وهو نبي كريم وسيدنا عبد الرحمن بن عوف كان غنياً وسيدنا عثمان بن عفان كان غنياً، الآن وفرعون كان قوياً قال تعالى:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾

[سورة النازعات: 24]

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[ سورة القصص: 38 ]

وقارون كان غنياً، قال تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[ سورة القصص: 78 ]

شيء دقيق يمكن أن تكون مؤمناً كبيراً وأنت غني ويمكن أن تكون مؤمناً كبيراً وأنت فقير، ويمكن أن تكون مؤمناً كبيراً وأنت قوي ويمكن أن تكون مؤمناً كبيراً وأنت ضعيف، فمادامت القوة تمنح للمؤمن وللکافر والغنى يمنح للمؤمن وللکافر إذاً الغنى والفقر والقوة والضعف ليست مقياساً يقاس به الإنسان، ولكن موضوع الدرس حينما خير النبي عليه الصلاة والسلام بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فقال بل نبياً عبداً أجوع يوماً فأذكره وأشبع يوماً فأشكره والحقيقة الدقيقة أن النبي كان خبيراً ذلك لأن الله ﷻ حينما قال:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى (7)﴾

[ سورة العلق ]

يعني شيء واقع صحتك طيبة ودخلك كبير وزوجتك تروق لك أولادك نجباء وبيتك ملكك ولك مكانة تصلي ولكن صلاة ضعيفة، تدعو الله ولكن دعاء ضعيفاً ما عندك مشكلة، أحياناً أكبر مشكلة أنه ليس عندك مشكلة، هذه أكبر مشكلة لأن الدنيا إذا جاءت كما تريد شئت أم أبيت كانت حجاباً بينك وبين الله، وأن المتاعب ولو أنها مكروهة ربما كانت باعثاً إلى الله عز وجل، وقد تسأل إنساناً يقول لك وأنا في أصعب الحالات كنت مع الله على صفاء لا يوصف وحينما حلت المشكلة أصبحت أشكو من ضعف صلتني بالله، لأن الأنبياء قمم البشر يشدون الرحال إلى الله وهم في أعلى درجات قوتهم بينما نحن نوع آخر، نحن نحتاج إلى من يدفعنا إلى الله أو نحتاج إلى ما يدفعنا إليه إما شخص أو مشكلة، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال بل نبياً أجوع يوماً فأذكره وأشبع يوماً فأشكره. الشرح الدقيق لو أخذنا مئة غني، عدد الناجين من هؤلاء في الدنيا والآخرة أقل من عدد الناجين من الفقراء لأن العبودية لله تتصل بها حالة الضعف، فأنت إما أن تشعر بحالة ضعفك لله عز وجل وهذا درجة عالية جداً أو أن تكون فعلاً ضعيفاً، إما أن تشعر بهذا الضعف وأنت في أعلى درجات القوة أو أن تكون

فعلاً ضعيفاً فتكون مفتقراً لله، لكن الذي أتمنى أن يكون واضحاً هو أنك حينما تثق بحكمة الله وتثق بعبد الله وتثق برحمة الله عز وجل وتعلم علم اليقين أن هذه الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وأن الآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل توقن أن الذي اختاره الله لك ليس في الإمكان أبدع مما كان.

لذلك علاقة الإنسان مع الله في الدنيا تلخص يوم القيامة بكلمة واحدة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، أنت حينما تكون فقيراً أقرب إلى العبودية منك حينما تكون غنياً وأنت حينما تكون ضعيفاً أقرب من العبودية منك قوياً، إذاً كأن النبي عليه الصلاة والسلام يبين لهؤلاء الضعاف الفقراء أن اختيار الله لكم وراه حكمة لا تكشف إلا يوم القيامة ولقد ورد في بعض الأحاديث أن سر القضاء والقدر ادخر إلى يوم القيامة، بشكل دقيق دقيق هو أنك حينما تولد هل أحد خيرك في أي مكان تحب أن تولد؟ لا، هل أحد خيرك من أي أب تحب أن تكون؟ لا، هل أحد عرض عليك عروضاً من أي أم ينبغي أن تكون؟ لا، هل أحد قال لك تحب أن تكون ذكراً أم أنثى؟ لا، أنت لست مخيراً لا في جنسك ولا في أمك ولا في أبيك ولا في مكان ولادتك ولا في زمان ولادتك، يجب أن يكون واضحاً لدى الإخوة الكرام أن الذي سيرت فيه هو لصالحك مئة في المئة وما من كلمة أبلغ من كلمة الإمام أبي حامد الغزالي الذي عبر عن هذه الحقيقة بقوله ليس في الإمكان أبدع مما كان. إياكم أن تفهموا هذه العبارة أنه ليس في إمكان الله عز وجل، الله عز وجل قدرته لا تحد لكن نبتة صغيرة هذه النبتة لو أردت أن تسقيها بماء كثيف وقوي قد يزيد عن خمسة إنش تسحق النبتة، الماء الذي تعطيه إياها لا يتناسب مع قدرتك بل مع قدرة تحملها، الماء الغزير تسقى به هذه النبتة الصغيرة لا يتناسب مع كرم الساقى بل يتناسب مع قدرة تحمل هذه النبتة لهذا الماء، إذاً ليس في الإمكان أبدع مما كان تعني أن الذي أنت فيه هو خير كله، لكن في ملاحظة أتمنى أن لا تفهم خطأً أنت فقير ينبغي أن تسعى إلى أن ترفع مستوى دخلك هذا الفقر قد يكون فقر كسل وفقر الكسل مذموم وقد يكون فقر قدر وفقر القدر صاحبه معذور وقد يكون فقر إنفاق وفقر الإنفاق ممدوح لكنه قليل، يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك؟ قال الله ورسوله، عندنا فقر إنفاق، وفقر القدر، وفقر الكسل، بل إن الله عز وجل حينما قال:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة: 195]

قال علماء التفسير إن لم تتفقوا أودت هذه إلى التهلكة.

أيها الإخوة الكرام، أنت مسير في مكان ولادتك وفي زمن ولادتك وفي أمك وأبيك وفي كونك ذكراً أو أنثى، لكن اعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى إذا كشف لك يوم القيامة عن حكمة هذه الظروف التي رافقت وجودك لوجدتها أفضل ظروف على الإطلاق عندئذ تقول كما قال الإمام الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان. ثم شرحت شرحاً آخر فقال ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، يعني إنسان صحيح ندعوه إلى نزهة في الربيع إلى بستان جميل نطعمه أطيب الطعام لكن إنسان يصيح من ألم شديد بأن الزائدة التهبت عنده أي مكان يناسبه؟ المستشفى، وعلى أي شيء نجلسه؟ على طاولة العمليات، وما الذي نعطيه؟ نعطيه مبضع الجراح، نعطيه المخدر، نشق له بطنه والدم يتدفق، فهذا الذي معه التهاب زائدة ليس في إمكانه تقبل إلا العملية الجراحية، هل يتقبل نزهة؟ لا، فلذلك أنت حينما تؤمن أن الله أعطانا أنسب شيء على الإطلاق ترضى عن الله وحينما ترضى عن الله تكون مؤمناً.

لذلك إنسان يطوف حول الكعبة ويقول يا رب هل أنت راض عني؟ كان وراءه الإمام الشافعي قال له: هل أنت راض عن الله حتى يرضى عنك؟ قال يا سبحان الله من أنت؟ قال أنا محمد بن إدريس، قال كيف أَرْضَى عن الله وأنا أتمنى رضاه؟ قال يا هذا إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله. وأدق شيء في حياة المؤمن إيمانه بحكمة الله وإيمانه بعدل الله وإيمانه برحمة الله فالذي يسوقه الله له يرضى به. في إنسان يواجه موقف أصعب من أن تتجه إلى بلد على قدميك ثمانين كيلو متراً كي تدعوهم إلى الله فإذا هم يقابلوا دعوتك بالسخرية القاسية وبالاستهزاء وبالتكذيب ثم ينالوك بالأذى وتقول يا رب إنني أشكو إليك قلة حيلتي وضعفي وهواني على الناس يا رب المستضعفين إلى من تكنني إلى صديق يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، يا رب إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولك العتبة حتى ترضى لكن عافيتك أوسع لي.

مرة أحد الأساتذة في كلية التربية حضر مؤتمر للطب النفسي في أوربا لعله في بريطانيا وكان مندوب سوريا، قال وأكد لكم بكل بساطة أن نسب الأمراض النفسية في بلادنا قليل جداً لسبب بسيط هو أننا نؤمن بالله.

الإيمان بالله يخفف الآلام ومرة أيها الإخوة الكرام، أخ تساءل في جلسة قال لي تقول المؤمن سعيد أنا لا أصدق ذلك قال لي إن كان في ارتفاع أسعار يعاني كما يعاني بقية الناس وإذا في موجة حر شديدة يعاني كما يعاني بقية الناس وإذا في صعوبة في تربية الأولاد يعاني كما يعاني بقية الناس فأين السعادة التي تقول عنها؟ قلت له

ببساطة لو أن إنساناً عنده أسرة وعنده ثمانية أولاد وبيته بالأجرة وعليه دعوى إخلاء وراتبه أربعة آلاف ليرة الآن، أربعة آلاف ليرة وثمانية أولاد وأجرة بيت وعليه دعوى إخلاء ما حياة هذا الإنسان ؟ له عم غير متزوج ومعه خمسمئة مليون مات فجأة في حادث بحسب قوانين الميراث هذه المبالغ كلها له ولأن هناك ضريبة تركت وبراءات ذمة روتيناً أحياناً يحتاج إلى وقت طويل فلم يستطع أن يأخذ من هذا المبلغ قبل سنة لماذا هو في هذه السنة من أسعد الناس ؟

لو بحثنا عن سبب مادي للسعادة لا يوجد، ما أخذ ولا ليرة ولا اشترى ولا حاجة ولا سكن بأي بيت، لكنه لأنه موعود يقيناً بخمسمئة مليون هذا الوعد القطعي بحسب أنظمة المواريث يمتص كل متاعب هذه السنة، والحقيقة قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَاً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)﴾

[ سورة القصص ]

الوعد الإلهي القطعي لهذا المؤمن بالجنة هذا شيء مسعد، لكن أيها الإخوة كما قال السيد المسيح ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، لكن المؤمن لعله يكون دخله محدوداً وقد يكون ضعيفاً، وقد ذكرت لكم من قبل أن الأنبياء في الأعم الأغلب ضعفاء والدليل النبي عليه الصلاة والسلام يمر على آل ياسر وهم يعذبون هل يستطيع أن ينقذهم من العذاب ؟ لا يقدر ماذا كان يقول لهم ؟ صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة، لو كان النبي عليه الصلاة والسلام قوي كالأقوياء ودعاهم إلى الإيمان بالله ملايين مملينة تؤمن لا حباً بالآخرة ولا قناعة بعظمة هذا الدين ولكن خوفاً من بطش هذا القوي وطمعاً بما عنده، إذا التغت الدعوة، إذا ينبغي أن يكون الإيمان بالرسول إيماناً حقيقياً لذلك كان ضعيفاً لذلك يقول:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

[ سورة يونس: 49 ]

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾

[ سورة الأعراف: 188 ]

## ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾

[ سورة هود: 31 ]

## ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾

[ سورة الأنعام: 50 ]

أيها الإخوة الإنسان حينما يعلم حقيقة الحياة الدنيا لا يندم على شيء فاته من الدنيا قط، أذكر أنني قرأت كلمة عن سيدنا الصديق ولا أبالغ قبل تقريباً خمسين عاماً، كنت أقرأ كتاب سيرة فإذا مؤلف الكتاب يصف هذا الصحابي الجليل بأنه ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط لأن الدنيا عرض حاضر يأكله منه البر والفاجر، وأن الآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل، الدنيا ماضية ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها.

أيها الإخوة، لذلك نحن حينما نستقبل ما يسوقه الله لنا بالرضا نسلم ونسعد لكن إياكم أن تفهموا أنه يمكن أن نستسلم للمقضي، ما المقضي؟ وجدت حركة في البيت إذاً في لص ما قولك أن تقول قضاء وقدر ترتيب ربنا، لماذا تقوم من الفراش وتبحث عن السارق وتلقي القبض عليه؟ هذا اسمه مقضي، كل شيء سيق لك ليس في صالحك ينبغي أن تقاومه ينبغي أن ترفضه، لكن أنا أقول أنت حينما تسعى بكل ما أوتيت من قوة لرفضه ومقاومته ثم لا تستطيع عندئذ ترضى بقضاء الله وقدره، مثلاً المسلمون الآن في أخطاء من مثني سنة تراكمت شكلت ضعفاً للمسلمين الآن ماذا تستطيع أن تفعل؟ لا تستطيع إلا أن تفعل شيئاً إيجابياً في بيتك وفي عملك فقط، هل تستطيع أن تحرك ساكناً؟ أن تلغي قراراً؟ أن تمنع غزواً؟ لا تقدر، ليس هذا ضعفاً هذا صار قدراً، لكن الضعف أن أنهزم من الداخل والضعف أن أستسلم والضعف أن لا أتحرك حركة إيجابية.

أيها الإخوة، حسن الظن بالله ثمن الجنة، قال تعالى:

## ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

[ سورة آل عمران: 154 ]

فلذلك الإنسان حينما يحسن ظنه بالله يسعد، يقطف ثمار هذا الظن الحسن، أما الشيء الذي ترك لك ينبغي ألا تقصر فيه، في شيء من نوع القضاء والقدر وفي شيء من نوع التقصير، أنا أفرق دائماً بين ما يصيبني تقصيراً مني وبين ما يصيبني قضاء وقدرًا، فالذي يصيبني قضاء وقدرًا أرضى به، أما الذي يصيبني تقصيراً لا أرضى به أحاول تغييره أحاول مقاومته لذلك هذا الموضوع يحكمه حديث شريف رائع جداً هو:

(( عَنْ سَيْفٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَقَالَ الْمُقْضِي عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَئِيسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ))

[ أبي داود، أحمد ]

أنت عليك بالكيس عليك أن تتحرك والآن المسلمون يواجهون تحدياً كبيراً غريباً عليهم أن يفكر في حل عليه أن يتعاون مع أخيه المسلم، عليه أن يقوي علمه، شاب في مقتبل حياته قال لي أنا ماذا أستطيع أن أفعل حتى أسهم في خدمة أمتي ؟ قلت له أفضل شيء لك أن تتفوق في دراستك، الأمة لا تنهض إلا على أيدي علمائها فأنت حينما تتخصص اختصاصاً مهماً وتتفوق به تكون قد بنيت لبنة في صرح هذه الأمة، وأنا أبشركم الذي وقع إرادته الله وكل شيء إرادته الله وقع وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق. فنحن يوجد أشياء تأتينا قضاءً وقدرًا ويوجد أشياء تأتينا تقصيراً فالشيء الذي يأتينا تقصيراً ينبغي أن نقاومه وأن نسعى للخلاص منه بشتى الوسائل والطرق المشروعة والذي يأتينا قضاءً وقدرًا ينبغي أن نعلم علم اليقين أنه في صالحنا وهو خير لنا وأقوى دليل على ذلك، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[ سورة النور : 11 ]

السيدة عائشة علماء التفسير عددوا اثني عشر حالة لو أن حالة واحدة وجدت لألغي حديث الإفك، لو أن عقدها لم ينفرد ولم تبحث عنه ما في إفك، لو أن الصحابة حينما حملوا اليهودج رأوه خفيفاً فبحثوا عنها ما في إفك، لو أنها لم ترافق النبي بالجزوة ما في إفك، أذكر أن اثني عشر حالة عددها علماء التفسير بحيث لو وقعت حالة واحدة ألغي حديث الإفك لكن الله شاءت حكمته أن يكون الإفك قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[سورة النور: 11]

كل شيء وقع خير، ما كل موقع خير قد يكون الموقع مجرماً كما يجري في العالم الآن، لكن قالوا لكل واقع حكمة ما كل موقع حكيماً لكن لكل واقع حكمة، وهذه الفكرة لو تعمقنا فيها لدخل إلى قلوبنا راحة ما بعدها راحة، ينبغي أن تعلم أن الذي وقع أراد الله ومن خلال وقوعه حكمة لا نعلمها الآن نعلمها بعد حين، فهذه النظرة التفاضلية وهذه النظرة التوحيدية وهذه النظرة الإيجابية للأحداث يمكن أن تغيب عن بعض المسلمين.

أيها الإخوة، أقول دائماً أنه في إيجاز كبير جداً تم عقب الحادي عشر من أيلول يعني معظم المسلمين غائبون عن حقيقته هذا الإنجاز أن الغرب بقيمه التي طرحها الرائعة نافس الإسلام وخطف الأضواء وصار كل إنسان حلمه الأكبر أن يذهب إلى هناك وأن البطاقة الخضراء كالجنة الخضراء تماماً لكن عقب الأحداث الأخيرة الغرب كحضارة سقط في الوحل بقي قوة غاشمة لذلك قال تعالى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

[سورة البقرة: 256]

يعني لن تؤمن بالله قبل أن تكفر بالطاغوت ماذا فعلوا هم؟ أعانونا على أن نكفر بهم، الآن عند صغارنا عند شبابنا عند أطفالنا شعور أن الغرب ساقط ما في رحمة وما في صدق أخبار كلها كاذبة مئة مكيال يكال به، يفعلون الجرائم الكبرى ويحاسبون على اللمم، تناقضات وكيل بمئة مكيال فالغرب سقط كحضارة وبقي قوة غاشمة ونسأل الله عز وجل أن ينصرنا عليهم.

أيها الإخوة في الختام أشرح لكم هذه الآية قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)﴾

[سورة الفجر: 15]

ربي أكرمن مقولة من ؟ مقولة الإنسان الذي أكرمه الإنسان ونعمه.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)﴾

[ سورة الفجر : 16 ]

مقولة من ؟ الإنسان الذي ضيق الله عليه، الإنسان يتصور أن الله إذا أعطى إنساناً مالاً أو قوة معنى ذلك أنه يحبه والعوام لهم فكرة ساذجة جداً ومضحكة يقول لك: إذا أحب عبده أراه ملكه. الذي يسافر يفعل المعاصي كلها والآثام وينفق الأموال ترفاً وتبذيراً ويعود ليزهو على من حوله ويقول إن الله يحبني، وأي إنسان بشكل أو بآخر حينما يضيق عليه في الرزق يجد نفسه محروماً دون أن يشعر يتوهم أن الله يهينه، جاء الجواب الإلهي كلا، كلا ليست نفياً بل هي ردع، فرق كبير بين أن تقول لا وبين أن تقول كلا، لو أن واحداً قال لك: هل أنت جائع ؟ تقول له لا، لو قال لك لا سمح الله ولا قدر وأنت في قمة الورع والنزاهة والأدب هل أنت سارق ؟ تقول له لا، تقول له كلا، لأن كلا أداة ردع ونفي، فالله عز وجل قال:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا﴾

[ سورة الفجر : 15-17 ]

ليس هذا الكلام صحيحاً، يعني يا عبادي ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرمانني دواء، عطائي ابتلاء وحرمانني دواء، أنا حينما أعطي أبتلي بمعنى أن الله عز وجل حينما يعطيك مالاً هل هو نعمة ؟ لا، هل هو نقمة ؟ لا، إذا ما هو ؟ تعريف هذا المال الذي منحك الله إياه يكون بعد استعماله هل استعملته بالحق أم بالباطل ؟ إن كان استعمالك له في الحق فهو نعمة، وإن كان استعماله بالباطل فهو نقمة، يقاس على هذا كل شيء، الزوجة إذا أظهرت كل مفاتها أمام الناس وفي الطريق وفي العمل وكانت فاسدة مفسدة هذه الزوجة نقمة وليست نعمة، أما إذا كانت محصنة بالأخلاق والأدب والحشمة وأطاعت زوجها الزوجة نعمة، اجعل كل شيء الله وهبك إياه على هذا المقياس، كلا ليس عطائي إكراماً ولا منعي حرماناً، عطائي ابتلاء وحرمانني دواء.

يعني ملخص هذا اللقاء الطيب أن تحسن الظن بالله وأن ترضى عن الله وأن تقول ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، ليس حداً من قدرة الله بل حداً من قدرتك على تلقي عطاء الله عز وجل، أيام تجلس في جلسة أكثرهم غير متعلمين لا تستطيع أن تقول كلام معقد وعميق ومشعب وأدلة والرد على الأدلة يملوا، أما قصة مؤثرة لطيفة بسيطة يفهمها، فأنا حينما أتكلم بقصة بسيطة مع إنسان غير مستوعب للعلم أقول ليس في إمكانه أكثر مما ألقيت عليه، وهذه حكمة من يدعو إلى الله عز وجل، وأحياناً تجلس مع إنسان متعمق بالعلم فإذا حدثته بكلام بسيط سطحي إهانة له يجب أن تحدثه بكلام عميق وبأدلة قوية وبالرد على الأدلة المعارضة وبتحليل وبادراك للأهداف والوسائل، لذلك ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، هذا من أجل أن ترضى عن الله.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 112 - 127 ) : لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-04-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم والحديث الشريف اليوم فيما أخرجه الإمام البخاري عن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ ))

أيها الإخوة الكرام، أحياناً يرد في القرآن الكريم نهي عن شيء لا يملكه الإنسان كقوله تعالى:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[سورة آل عمران: 102]

الموت بيد الإنسان ؟ ينهى الله المؤمنين ألا يموتوا إلا وهم مسلمون فكيف نفسر نهياً عن فعل لا يملكه الإنسان أصلاً، قال علماء التفسير أي لا يأتينكم الموت إلا وأنتم مسلمون يعني استعدوا له معنى الآية أنه ينبغي عليك أن تستعد للموت، لابد من توضيح هذه الفكرة بمثل لو أن شركة طيران بطاقتها تساوي خمس مئة ألف ليرة وغن لم تسافر لا ترد، مثل افتراضي، موعد إقلاع الطائرة بين الثامنة صباحاً والثامنة مساءً والشركة تأتي إلى البيت لتأخذك من بيتك هكذا الشرط فإن لم تكن جاهزاً لا تنتظر إلا دقيقة واحدة، البطاقة خمس مئة ألف والشركة تأتي على البيت ولا تنتظر إلا دقيقة وإلا لن تسافر ولا ترد لك قيمة البطاقة ماذا ينبغي أن تفعل ؟ يجب أن تقف وراء الباب من الثامنة صباحاً حتى الثامنة مساءً حتى لا يضيع عليك الخمس مئة ألف، فأنت بهذه الطريقة تضمن

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[ سورة آل عمران: 102 ]

أي لا يأتينكم الموت إلا وأنت مسلم يجب أن تكون مجهزاً للقاء الله ﷻ، هذا معنى فإذا قال الله عز وجل لا تباغضوا، البغض عمل لا شعوري عمل لا إرادي يعني مثلاً أنا قد آتي بمستوي مائل وآتي بكأس ماء وأصب الكأس على هذا المستوى المائل، لو أنني قلت للماء اصعد لا يصعد قلت له انزل سينزل كلامي لا معنى له، يعني في قوانين لا تتأثر بكلامي إطلاقاً، مثلاً حينما قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

(( يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ))

يعني أنت تحب المحسن و لو لم يقل لك أحبني، و أنت تبغض المسيء و لو أمرك أن تحبه، لأن الحب عمل لاشعوري تحصيل حاصل، إذاً لا تباغضوا، يا رسول الله ليس بيدي ألا أبغضه أساء إليه، فالنبي قال عن نفسه اللهم إنني بشر أرضى كما يرضى البشر، و أغضب كما يغضب البشر، و لولا أن النبي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر، إذاً ماذا نفهم من قول النبي لا تباغضوا، لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ؟

الحقيقة يوجد عندنا سبب و يوجد عندنا نتيجة، إذا نهيت عن النتيجة معنى ذلك أنك منهي عن أسباب كثيرة، أنت إذا أخلفت وعدك مع أخيك، إذا اغتبتته، إذا غمطه حقه، إذا ازدريته، إن لم تدافع عنه، إن تهت عليه بمالك، بمكانتك، بما عندك، هناك آلاف التصرفات تجعل الطرف الآخر يبغضك فالنبي عليه الصلاة و السلام لا ينهانا عن أن نبغض، ينهانا عن لا نفعل أسباب البغضاء، النهي عن الأسباب، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام حرصاً منه على الحياة الاجتماعية الإسلامية الراقية، حرصاً منه على أن نحب بعضنا بعضاً، ما من شيء يباعد بيننا إلا نهانا عنه، و ما من شيء يقربنا إلى بعضنا بعضاً إلا أمرنا به، لذلك أيها الإخوة يبدو أن النبي عليه الصلاة والسلام حريص حرصاً لا حدود له على وحدة المسلمين، و على الحب بين المسلمين، و على التضامن بين المسلمين، و على التعاون بين المسلمين.

لو سألتني عن فارق صارخ بين مجتمع المسلمين في آخر الزمان و بين مجتمع المسلمين في عهد الصحابة

الكرام لقلت لك هو الحب، مع ضعف الإيمان تنشأ العداوات و البغضاء و الحسد و تراشق التهم مع ضعف الإيمان، و مع قوة الإيمان ينشأ أن يلتمس الإنسان لأخيه عذراً.

أحد الأدباء الكرام قال: كان لا يلوم أحداً فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره، كل إنسان لو أخوه أخلف وعده معه يتصور سبباً و يرفضه قبل أن يأتي فإذا وصل و سألته عن السبب و كان حادثاً خطيراً أو كان الطريق مقطوعاً أو عنده حالة مرضية شديدة حالت بينه وبين القدم، فهذا الأديب كان يقول: و كان لي صاحب كان من أشد الناس في عيني، لي صاحب كان من أعظم الناس في عيني، و كان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا من عيني، فكان خارجاً عن سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجب، و لا يكثر إذا وجد، و كان خارجاً عن سلطان الجهالة فلا يتكلم بما لا يعلم و لا يماري فيما علم، و كان أكثر دهره صامتاً فإذا تكلم بزّ القائلين، و كان يرى ضعيفاً مستضعفاً فإذا جدّ الجد فهو الليث عادياً، و كان لا يلوم أحداً فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره، و المؤمن الصادق يلتمس لأخيه عذراً و لو سبعين مرة لكن ضعيف الإيمان يكون قناصاً، ينتظر أخاه على زلة لسان، على زلة قدم و يكبر الأمر و يبالغ و يشهر.

دققوا فيما سأقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[ سورة النور: 19 ]

الآية عامة جداً أي أنت حينما ترتاح لخطأ ارتكبه مؤمن فاعلم علم اليقين أنك لست في خندق المؤمنين، أنت في خندق المنافقين، الدليل القطعي:

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَيَوَّلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾

[ سورة التوبة: 50 ]

لمجرد أنك ترتاح لمصيبة ألمت بمسلم، أو لزلة لسان قالها مسلم، أو لزلة قدم ارتكبتها مسلم فاعلم علم اليقين أنك لست في خندق المؤمنين، أنت في خندق المنافقين، و الآية واضحة:

## ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾

[ سورة التوبة: 50 ]

أي هل هناك من أم على وجه الأرض تتمنى فضيحة ابنتها فإن تمننت ليست أمها، فأنت لمجرد أن تفرح لزلة لسان أو زلة قدم أو خطأ و أنت تتمسك بهذا الخطأ و تشيع هذا الخطأ و تبرز هذا الخطأ اعلم علم اليقين أنك لست في خندق المؤمنين.

شخص من أصحاب رسول الله النبي عليه الصلاة والسلام طبعاً الصحابة غير معصومين، معصومون في نقلهم عن رسول الله، و الدليل في القرآن الكريم:

## ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾

[ سورة آل عمران: 152 ]

فلما نهى النبي عن قتل عمه العباس فكر قال أينهانا عن قتل عمه و أحدنا يقتل أباه و أخاه في سبيل الله ؟ رأى هذا غير مقبول لكن ما تكلم أبقاها في نفسه، بعد حين تبين أن عم النبي عليه الصلاة والسلام في مكة كان مسلماً و كان عين النبي و كان يأتيه بالأخبار، و لو أن عمه العباس لم يشترك في غزوة بدر لكشف نفسه، و لو أن النبي عليه الصلاة والسلام قال عمي أسلم لا تقتلوه لكشفه و انتهت مهمته، و لو أن النبي سكت لقتلوه، إن سكت قتلوه و عن تكلم أنهى مهمته، و إن لم يشارك العباس مع المشركين لفضح أمره، فلما تبين هذا لهذا صاحب الذي أساء الظن برسول الله قال ظللت أتصدق عشر سنين رجاء أن يغفر الله لي سوء ظني برسول الله.

الإيمان مرتبة عالية، الإيمان مرتبة أخلاقية، و الإيمان مرتبة علمية، و الإيمان مرتبة جمالية، فلذلك لمجرد أن تفرح لزلة لسان أو زلة قدم أو لحدث لم تفهم تفسيره و لم تلتمس لأخيك عذراً فاعلم أنك لست في خندق المؤمنين، إنك في خندق المنافقين و الدليل القطعي:

## ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[ سورة آل عمران: 120 ]

إِذَا: لَا تَقَاطِعُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، أي لا تفعلوا أسباب التقاطع و لا أسباب التدابر و لا أسباب التباغض و لا أسباب التحاسد و كونوا عباد الله إخوانا.

و نحن جميعاً حينما يحب بعضنا بعضاً نرتقي في عين الله جميعاً، و نحن جميعاً حينما نبغض بعضنا بعضاً نسقط من عين الله جميعاً، إن سألتني عن سبب صارخ يفصل المؤمنين في آخر الزمان عن المؤمنين في عهد أصحاب النبي أقول لكم هو الحب.

مرة في بعض الغزوات تفقد النبي أحد أصحابه فقال شخص، بالمناسبة لأبد للمؤمن من كافر يقاتله، و من منافق يبيغضه، و من مؤمن يحسده، و من نفس ترديك، و من شيطان يغويك، لك خمس جهات مقلقة، يوجد كافر يقاتلك و يوجد منافق يبيغضك و يوجد مؤمن يحسدك و يوجد نفس ترديك و يوجد شيطان يغويك . فسأل النبي أصحابه عن هذا الإنسان أين هو ؟ لما لم يكن معنا ؟ شخص يبدو أنه يغار منه قال له يا رسول الله شغله بستانه عن الجهاد معك، فقام صحابي آخر و قال لا و الله يا رسول الله ما عهدنا عليه إلا خيراً، و الله يا رسول الله لقد تخلف عنك أناس لو علموا أنك تواجه عدواً ما تخلفوا عنك حبسهم العذر فابتسم النبي عليه الصلاة والسلام و سر من هذا الصحابي الذي يدافع عن أخيه، أنت جرب أن تلتمس لأخيك عذراً، جرب أن تضع نفسك مكانه.

أيها الإخوة الكرام، النبي عليه الصلاة و السلام يقول: من اجتهد فأخطأ فله أجر، و من اجتهد فأصاب فله أجران، لذلك هذا الحديث يعد محوراً لهذا الدرس، لا تقاطعوا، ما الفرق بين التقاطع و بين التدابر ؟ التقاطع ألا تزوره إطلاقاً، فإذا هجرت أخاك فوق ثلاث فأنت آثم، أما التدابر لقيته في الطريق وقعت عينك على عينه فالتفت بعيداً عنه هذا التدابر .

التقاطع ألا تراه و لا يراك، و ألا تزوره و لا يزورك، و لا تقاطعوا لا تفعل شيئاً يقتضي أن يقاطعك أخوك، هذا التقاطع، و لا تفعل شيئاً تحمل أخاك على أن يدير وجهه عنك، لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا، أحياناً يوجد كلمة قاسية، تعليق قاس، شماتة أحياناً، استكبار، اعتداد، ما قولكم أن نفهم هذا الحديث الشريف الذنب شؤم على غير صاحبه إن تكلم به فقد اغتابه، و إن رضي به فقد شاركه في الإثم، و إن عيره به وقع فيه، إن عبرت ابتلاك الله بهذا الذنب، و إن ذكرته فقد اغتبتته، و إن رضيت هذا الذنب شاركته في الإثم و أنت لم تذب فكيف إذا أذنبت ؟ الذنب شؤم على غير صاحبه إن تكلمت به فقد اغتبتته و إن شمت به ابتلاك الله بهذا الذنب و إن

رضيت هذا الذنب شاركته في الإثم.

إذاً التباغض لا تفعل أسباب البغضاء، و هذه النفوس طليقة، مرة ثانية يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها و بغض من أساء إليها.

التقاطع عدم الزيارة و التدابر أن تدير وجهك عنه إذا التقيت به في الطريق، و لا تباغضوا أن تفعل شيئاً تحمل أخاك على أن يبغضك، أحياناً تخجله، أحياناً تعيره، أحياناً تستعلي عليه، أحياناً تفند أخطاءه، أحياناً تعتم على حسناته و تبرز سيئاته، أحياناً إن رأى خيراً كتمه و إن رأى شراً أذاعه.

أي المجتمع الإسلامي لا ينبغي أن يكون مفتتاً:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتُهُمْ مَرْصُوعًا (4)﴾

[سورة الصف: 4]

أنا أدعو إلى أن نحب بعضنا بعضاً، أي بالمفهوم المعاكس إذا دعوتكم إلى أن يحب بعضكم بعضاً أن تفعل كل شيء يحبه أخوك، أن تسلم عليه إذا لقيته أن تهش له إذا وقعت عينك على عينه أن تتواضع له أن تلبى دعوته أن تعيده إذا مرض أن تقرضه إذا استعان بك، إذا استعان بك أعنته وإن استقرضك أقرضته وإذا مرض عته وإن مات شيعته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه. يعني إذا قلت بالمعنى المخالف ليحب بعضنا بعضاً افعل كل شيء تحمل أخاك على أن يحبك، قدم له هدية قدم له خدمة عده إذا كان مريضاً أعنه إذا كان فقيراً دله على الخير إذا كان تائهاً حاول أن تمي الإيمان في قلبه، افعل ما يحبه إليك ولا تفعل ما يبغضك منه.

(( لَا تَقَاطَعُوا ))

المقاطعة في الزيارات، عن عُبَادَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:

((حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِي وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَادِلِينَ فِي عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ يَغِطُّهُمْ بِمَكَانِهِمْ  
النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ))

[أحمد]

إذا زار بعضنا بعضاً وإذا جلسنا مع بعضنا بعضاً وإذا أحببنا بعضنا بعضاً نحن على منابر من نور إنشاء الله  
هكذا قال الله عز وجل في الحديث القدسي، الآن

(( لَا تَقَاطُغُوا ))

المعنى المخالف تواصلوا، أحياناً تسأل عن صحة أخيك أحياناً تزوره تتفقد أحواله عن كانت لك رحم تصلها هذه  
مقابل

(( لَا تَقَاطُغُوا ))

وإن كان لك عمل صالح طيب وراك في الطريق لننتقل من رصيف على رصيف وعانقك وقبلك وأثنى عليك وأعلن  
عن محبته لك وشوقه إليك، إذاً كل نهى يقابله أمر

(( لَا تَقَاطُغُوا ))

أي أعينوا أخاكم على أن يكون ذا صلة معكم، هذا الذي ذلت قدمه وشرب الخمر وهو صديق سيدنا عمر أرسل  
له رسالة أما بعد يا أخي الله عز وجل غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذي الطول وعاتبه عتاباً رقيقاً، فتاب  
هذا الصديق على يد سيدنا عمر فلما علم أنه تاب بكى سيدنا عمر قال هكذا اصنعوا مع أخيكم إذا ضل كونوا  
عوناً له على الشيطان ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه.

(( لَا تَقَاطُغُوا وَلَا تَدَابِرُوا ))

الأب في البيت علامة أنه أب مثالي إذا دخل على البيت كان عيد في البيت أما الأب غير المثالي إذا خرج من  
البيت كان العيد، فبين أن يكون العيد في دخوله وبين أن يكون في خروجه، مثل آخر إذا تمنى الأولاد موت  
أبيهم هذه علامة سيئة جداً أما إذا تمنوا طول حياته علامة طيبة جداً، النبي عليه الصلاة والسلام حينما ينهى  
عن التدابر والتقاطع كأنه يأمر بالتواصل والتحابب، وحينما ينهى عن التباغض يطلب منا أن نأتي بأسباب  
المحبة، في إنسان إن جاءته دعوى من مستوى رفيع جداً يلببها بلا تردد أما له صديق فقير في طرف المدينة  
يعتذر ما في وقت، لذلك أنا أقول أنت حينما تلبى دعوات الأغنياء هذا من الدنيا وليس من عبادة الله أما تلبى  
دعوة الفقراء هذا من طاعة الله عز وجل، من دعي فلم يلبى فقد عصى أبا القاسم.

فدعاك فليبيته سألك فأعطيته استشارك فأشرت عليه مرض فعدته طلب قرض وأنت تملك هذا القرض أعطيته، طلب منك حاجة لبيتها إذاً هو يحبك الحقيقة الآن إذا كان التعاون قديماً فضيلة الآن فريضة، لأن في خطر داهم أتمنى أن يكون في تماسك شديد جداً لأن الطرف الآخر يستهدف كل المسلمين وأحياناً حينما يشعر أعداء المسلمين أن هذا الإسلام قوي ومتين ومتماسك وشامخ في أسلوب شيطاني يفجرونه من داخله، أعداء المسلمين الأذكياء لا يهاجمونه ولكن يضعون الألغام فيه أو يصطنعون اتجاهات إطارها إسلامي لكن مضمونها غير صحيح ليقدموا صورة مشوهة للدين، لذلك كل إنسان على ثغرة من ثغر الإسلام ينبغي ألا يؤتى من قبل هذه الثغرة، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

فهنا أن كل نهي يقابله أمر بالمعنى المخالف.

(( وَلَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا ))

الإنسان له فطرة سليمة، الإنسان يحب الكريم يحب الصادق يحب المحسن يحب المتواضع لا تستعلي على أخيك، حينما دخل مكة مطأطئ الرأس حتى كادت عمامته تلامس عنق بعيره.

أما

(( وَلَا تَحَاسَدُوا ))

الحسد ينطلق من خصيصة بالإنسان، الله عز وجل كما قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾

[ سورة الشمس ]

نفس وما سواها، سواك غيورا، يعني إنسان تفوق عليك بالعلم تتمنى أن تكون مثله، سواك غيورا إنسان تفوق عليك بالأعمال الصالحة تتمنى أن تكون مثله، هذه صفة حيادية أنا أسميها الغيرة مبدئياً إذا اتجهت إلى أعمال الآخرة فهي الغبطة أما إذا اتجهت على أعمال الدنيا فهو الحسد، فأساس الغبطة والحسد غيرة وهكذا جبلنا تحب أن تكون متفوقاً، الحسد لم يعبى بالعمال الصالحة ولا بالأعمال الأخروية الحسد يعبى بالدنيا فالمجرد أن يتمنى الحاسد زوال النعمة عنك وانصرافها إليك فهو حاسد، إنسان اشتهى أن تكون هذه الوظيفة له تمنى أن يصرف أخوك من هذه الوظيفة وأن تعين مكانه لكن ما تكلمت ولا كلمة سوء تمنيت فقط، تمنيت أن تزول عنه هذه

النعمة وأن تتحول إليك هذا الحسد، في أعلى؟ في هذه أدنى درجات الحسد أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك وأن تقول إليك، في أعلى؟ أن تتمنى زوال النعمة عن أخيك دون أن تأتي إليك حباً بتدميره هذه أشد، في مستوى أعلى أن تكتب تقرير كي تزول عنه هذه النعمة وكي تصير إليك هذه أعلى وأعلى، بين أن تتمنى أن تزول عنه وأن تتصرف إليك وبين أن تزول عنه دون أن تأتي إليك وبين أن تعمل جاهداً كي تزيل عنه هذه النعمة.

(( لَا تَقَاطِعُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا ))

أصل الحسد حيادي دققوا أية صفة يتصف بها الإنسان حيادية أنت بالغيرة قد تكون أكبر المؤمنين بالغيرة لكن لو غرت من ثروة إنسان صار حسد والحسد مذموم، لكن يجب أن تعلم علم اليقين أن المغتاب سوف تؤخذ حسناته وتوضع في ميزان من اغتبهته، حتى أن أحداً قال لواحد لقد اغتبتني، قال ومن أنت حتى أغتابك لو كنت مغتاباً أحداً لغتبت أُمي وأبي لأنهم أولى بحسناتي منك. هذا إنسان يعلم أن الغيبة تؤدي به إلى السيئات،

(( وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ))

كاد الحليم أن يكون نبياً اللحم سيد الأخلاق، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، لو قرأت الإسلام لوجدت أن أكبر حيز فيه بمكارم الأخلاق لأن الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان، وهنا

(( وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ))

على مستوى مجموع المؤمنين لا على مستوى حلقة صغيرة مالم يكن انتماءك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً، مالم يكن انتماءك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً والدليل إنما المؤمنين إخوة، وقد ينشأ بينهم بعض الخلافات فأصلحوا بين أخويكم.

الآن إصلاح ذات البين على مستويات ثلاثة، قال تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[ سورة الأنفال: 1 ]

يعني أصلح علاقتك مع الله بالتوبة النصوح بالأعمال الصالحة بنوافل العبادات وقد تفهم الآية على مستوى آخر، أصلحوا العلاقة بينكم وبين من حولكم في زوجة في أولاد في أصهار والإنسان لا يعدم الكلمة الطيبة والاعتذار والهدية والزيارة هذه تذهب بوجع الصدر، قال تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[سورة الأنفال: 1]

والمستوى الثالث أصلحوا كل علاقة فاسدة بين إنسانين.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (113 - 127) : لا تحقرن من المعروف شيء

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-05-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم ومنتقل اليوم إلى موضوع متعلق بالعمل الصالح أول شيء في الدرس أنك إذا سافرت إلى بلد كي تدرس كي تتال دكتوراه نقول علة وجودك في هذا البلد أن تتال هذه الشهادة وليس لك هدف إلا الشهادة، فإذا سألنا أنفسنا ما علة وجودنا في الأرض، طبعاً بعد الإيمان بالله، آمنت بالله خالقاً ومربياً ومسيراً، آمنت بالله واحداً وكاملاً وموجوداً، آمنت بكتابه، آمنت برسوله، تزوجت، لك أولاد، لك عمل، ما علة وجودك بعد أن آمنت؟ الإنسان قبل أن يؤمن دابة متقلته، نقول لمن آمن، لمن آمن بالله ماذا بقي عليك؟ الذي بقي عليك يؤخذ من قوله تعالى:

### ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

ما تذكر الإنسان وهو على مشارف الموت أو وهو في القبر إلا العمل الصالح لأن العمل الصالح ثمن الجنة، أنت الآن مؤمن أنك في الدنيا وأن هذه الدنيا سوف ترتحل عنها إلى الآخرة، زادك إلى الآخرة العمل الصالح، العملة المتداولة هناك العمل الصالح، دقق في المسافر معه عملة سورية أراد أن يسافر إلى أوربا يبدل باليورو إلى أمريكا بالدولار لأن العملة المتداولة هناك هي اليورو أو الدولار، لو أخذت معك النقد السوري لا قيمة له هناك، الآن المغادرة إلى الآخرة ما الشيء الذي يرفع مقامك في الآخرة؟ أقول بعد الإيمان بالله وبأنبيائه وكتبه وملائكته والقدر خيره وشره من الله تعالى، النقطة الثانية علة وجودنا العمل الصالح لأن الإنسان حينما يغادر الدنيا يتمنى أن يعود للأرض ليعمل صالحاً، قال تعالى:

## ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾

[سورة المؤمنون: 99-100]

كل إنسان يموت قد يكون يقيم مشروعاً وفي بدايته ما ورد أن يقول ربي ارجعوني لأتم هذا المشروع، كل إنسان يوجد عنده طموحات وعنده جدول أعمال وعند تخطيط للمستقبل لكن الإنسان حينما يأتيه الموت لا يندم إلا على عمل صالح فاته، النقطة الثانية في الدرس إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فاسعوهم بأخلاقكم. كلما قلنا عمل صالح قد يقفز إلى أذهاننا إنفاق المال لا، إنفاق المال أحد أبواب العمل الصالح، العمل الصالح، قال تعالى:

## ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3)﴾

[سورة البقرة]

فالذي آتاه الله علماً ينفق علمه، والذي آتاه الله جاهاً ينفق جاهه، والذي آتاه الله مالاً ينفق ماله، والذي آتاه الله طلاقة يؤلف بين المتخصصين، لذلك ما لم يكن العمل الصالح هاجساً وحيداً للإنسان لا يفلح، ورد في بعض الأحاديث أنه من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة.

النقطة الثانية أنه ما كل عمل صالح يحتاج إلى مال، مرة أحد الإخوة الأكارم امتلأ قلبه إيماناً من خلال هذه الدروس لكنه ليس متعلماً العلم الذي يجعل منه داعية، لا أنسى هذه القصة اشترى مئة شريط ووزعها على أقربائه لكن بحكمة يعطيه الشريط يقول هذه إعارة لأسبوع أدار هذه الأشرطة بين أقربائه الذين يعرفهم خلال بضعة أشهر انضم إلى المسجد عدداً لا بأس به، كلما يمضي أشهر ينضم إنسان جديد، هذا الإنسان الذي لا يتقن إلقاء الكلمة ولا نقل العلم استطاع أن ينقل هذا الشريط، أذكر أن أخ من إخواننا كان معين مدير مصبغة بفندق من أنواع الخمس نجوم نقل إلى الكويت هناك ما في عمل صالح أخذ معه أشرطة وصار يدعو من حوله من يعمل في الفندق إلى سهرة في بيته كل خميس ويقدم لهم عشاءً جيداً ويسمعهم شريطاً.

أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، ممكن تدعو إنساناً إلى الدرس، ممكن تعطيه شريطاً تأثرت به أنت، ممكن أن تصلح بين اثنين، الآن أذكر لكم بعض الأحاديث التي تبين أن أي عمل صالح قد يرقى بصاحبه إلى الله ومعظم الأعمال لا تكلف مالاً لكن لو أنفقت المال ورد عن رسول الله ﷺ أنه رب درهم سبق ألف درهم. أنت

تملك درهمين أنفقت أحدهما أنت أنفقت نصف مالك وإنسان يملك مليونين أنفق ألف ليرة، الألف ليرة واحد من ألفين، رب درهم سبق ألف درهم، درهم تنفقه في إخلاص خير من مئة ألف درهم ينفق في رياء، درهم تنفقه في حياتك خير من مئة ألف درهم ينفق بعد مماتك، حتى الإنفاق له درجات عامل الإخلاص ونسبة المال الذي أنفقته، بالنسبة إلى مجموع المال، لذلك درس اليوم عن أعمال صالحة ترقى بالإنسان إلى أعلى عليين وهي لا تكلف إلا انتباهاً وبقظة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ ))

وفي رواية طليق.

[ مسلم، الترمذي، الدارمي ]

والله أيها الإخوة الكرام، لا أنسى هذه القصة أخ كريم أثناء السلام قال لي هذا ابن خالتي أنا ابتسمت في وجهه وشدت على يديه وقلت للذي قدمه لي اعتن به وهل أعجبك الدرس يا أخي ؟ قال والله جيد. يعني طلاقة وجه وسلام حار، ثم حدثني بعد حين قال هذا قريبي كان متقللاً بعيداً كل البعد عن أن يرتاد المساجد وعن أن ينضبط وهو غير متعلم وفقير جداً كنت ألح عليه أن يأتي معي على المسجد تقريباً لمدة عام إلى أن جاء معي هذه المرة ليستريح من إلحاحي فقط فلما سلم علي وبادلته بالمودة والابتساماة وشدت على يديه، قال له والله شيء جميل، ماذا كلفتي أيها الإخوة ؟ ابتساماة، كلفتي سلام حار، كلفتي أنني أحب كل من يأتي إلى المسجد، طالب علم لذلك (( لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ )) فالابتساماة صدقة، لك عمل عندك موظفين ممكن تقوت كهنوت مخيف من لم يأت ؟ من تأخر ؟ هات التفقد، طول بالك قل السلام عليكم، هؤلاء بشر لهم مشاعر لهم طموحات أنت معلمهم السلام عليكم كيف حالكم يا شباب مرتاحين إن شاء الله الأمور كلها تمام محتاجين إلى خدمة، أنت حينما تفعل هذا تملأ محبتك قلوبهم.

مرة كنت في أمريكا وزرت معمل سيارات من أرقى المعمل فحدثني الخبير قال لي نحن فوجئنا أن صناعة السيارات في اليابان تفوقت على الصناعة الأمريكية بأشواط بعيدة بحيث أن كل عشر سيارات في أمريكا ثمانية منهم صنع اليابان، وكل شركة أسست معملاً في أمريكا صار في قلق أمريكا مشهورة بصناعة السيارات فأرسلت

وفد إلى اليابات كي تكشف أين الخطأ؟ أين الخلل؟ قال لي المفاجأة لم تكن مفاجأة تقنية بل مفاجأة اجتماعية نظام العمل هناك أن مدير العمل هناك يأكل مع العمال، والعامل يسمى هناك صهر صاحب المعمل والعامل لا يسرح وله ضمان صحي وله جزء من الربح وله إجازات وله تعويض سكن تعويض انتقال وضمان صحي فهذا العامل مطمئن في هذا المعمل مستقبه مضمون لا يسرح، لا يحذف من دخله شيء لذلك أتقن عمله إتقان العمل انعكس رواجاً في البيع والشراء.

فالنهاية أنت حينما تسلم وحينما تبتسم هذا لا يكلفك شيئاً، أنت لم تنفق كلمة طيبة، إنسان دخل المسجد وأحدث جلبة شوش على المصلين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام فلما انتهى النبي قال له زادك الله حرصاً ولا تعد، ما عنفه قال له زادك الله حرصاً ولا تعد، طيب قلبه، إنسان أراد أن يبول في المسجد، شيء مستهجن قام إليه الصحابة فخاف قال دعوه لا تترموا عليه بوله صبوا عليه زنبواً من ماء ثم قال يا أخي هذا المكان لا يصلح له أن تبول فيه، قال اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، قال يا أخي لقد حجرت واسعاً.

سلام، ابتسم، فأنت مؤمن، كن مرحاً، الق أخاك بوجه طلق، سلم، صافح، أسأله عن صحته عن أولاده عن شؤونه عن حالاته، أخوانا الكرام في ملمح دقيق جداً وهو أن الله عز وجل يرشدك إلى أن الذي يستحق مساعدتك لا يسأل تحسبه غنياً من التعفف، لا يسألون الناس إلحافاً وقد سماهم الله في القرآن الكريم المحروم لأنه لا يسأل فيحرم، قال تعالى:

### ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)﴾

[ سورة الذاريات ]

وهو متعفف ومتجمل ولا يسأل عزيز النفس، وهذا الذي يستحق أن تعطيه ماذا يبني على هذه المقدمتين؟ إذاً كان الذي يستحق أن يعطى لا يسأل متعفف ومتجمل إذاً من لوازم هذا التوجيه الإلهي أن تسأله أنت كلما التقيت بأخ مؤمن وأنت ميسور الحال سله عن أحواله عن وضعه العام، أعليه ديون؟ لا تنتظر أن يأتيك من يسألك، الذي يسألك قد يكون ليس فقيراً لكن ألف أن يسأل ويقتحم عليك ويلح عليك بل ويتقل عليك، أما الذي ينبغي أن تعطيه لا يسأل إذاً يبني على هذا الكلام أنه لا بد من أن تسأله أنت عن أحواله وعن أولاده وعن أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية وعن عمله وعن دخله هذا السؤال هو ما يسمى بالصلة، أحياناً يفهم الإنسان صلة الرحم فهماً سقيماً يكون غنياً ومترفاً له أقرباء فقراء يتفضل عليهم بالعيد يزورهم فضلت علينا يجلس دقيقتين مثل القرفانين ويمشي، ليست هذه صلة الرحم، صلة الرحم أن تزوره طبعاً أن تتقصد أحواله المعاشية الاجتماعية الدينية

العلمية، تتفقد أولاده، وأن تحاول أن تقدم بعض المساعدة، وأن تحاول أن تقدم بعض الهدايا، إن فعلت هذا فقد وصلت رحمك.

أخ كريم أقسم بالله وهو عندي صادق حضر درس صلة الرحم له قريب لا يعرف شكل وجهه وهو ابن عمه، هذا النمط في تقاطع بين الأقرباء فطبق هذا الدرس ذهب إليه في العيد قال لي ما وجدته وضع له بطاقة يبدو أن هذا القريب على مستوى عال من الخلق والمال أخذ رقم الهاتف واتصل به وسأله عن بيته وزاره، ساكن في بيت تحت الأرض شمالي في رطوبة لما رأى بيته هكذا قال له أنت ابن عمي هذا البيت يسبب لأولادك الأمراض والروماتيزم قال له ابحث عن بيت أعطاه رقم يسمح له أن يشتري بيت طابق ثالث، قال لي والله ما قصدت إطلاقاً لكن هذه صلة رحم ابن عمك عنده خمسة أولاد وأنت ميسور الحال وساكن في بيت تحت الأرض وشمالي وعنده خمسة أولاد فلذلك قضية السلام والزيارة والصلة والتفقد هذا جزء من ديننا لكن الناس في تقاطع.

**(( لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ ))**

فالابتسامة صدقة والسلام الحار صدقة والله أيها الإخوة الكرام، حدثني أخ كريم أمضى رداً من حياته في بلاد الحجاز مدرساً قال لي في عندنا مدير متشدد جداً وقاسي في معاملته إذا قرع الجرس لا يحتمل أن يرى مدرساً متماهلاً في الذهاب إلى الصف، قال لي مرة صببت كأساً من الشاي وما أن انتهيت من صب الشاي في الكأس حتى قرع الجرس لا يريد أن يقع في موقف حرج مع المدير وجد أمامه عندنا اسمه آذن وعندهم اسمه فراش، أعطاه كأس الشاي هذا الفراش دهش في اليوم التالي قال له أنا صار لي سنتين ما إنسان سلم علي سلام أنت سلمت علي وأعطيتني كأس لماذا؟ طبعاً لا يقول له لأنني أخاف من المدير، نحن أسرة واحدة هكذا يقول له بعد ذلك أنا معي ماجستير في العلوم، ما صدق شيء غريب قال دعوته إلى البيت وأعطيته موسوعة علمية وفيها صور وتعليقات قال له ابني في الحادي عشر له كم سؤال؟ تصنع كم سؤال قال والله أجاب إجابة طليقة وقرأ باللغة الإنكليزية شيء غريب ليس عندهم أعمال اضطر أن يعمل فراشاً وهو يحمل شهادة عليا، هو غير مسلم طبعاً قال جمعته مع عدة أشخاص من أفراد ملته بجلسات أسبوعية بعد سبعة أشهر أسلموا جميعاً، القصة ما مغزاها؟ أنت قدمت كأس شاي لإنسان وسلمت عليه بجرارة فكان سبب إسلام اثني عشر إنساناً لا تضمن بسلام لا تضمن بابتسامة لا تضمن بسؤال عن صحته عن عمله عن أولاده، المؤمن ودود الله عز وجل قال:

**﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)﴾**

[ سورة مريم ]

بعضهم فهم الآية على أن المؤمن له مع الله مودة، معنى رائع جداً لكن بعض العلماء فهم الآية على نحو آخر، قال إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً فيما بينهم فمن علامات الود أن تلقي السلام وأن تلقي أخاك بوجه طلق، حتى الإنسان في بيته إذا لم يسلم قال الشيطان لإخوته أدركتم المبيت في هذا البيت، فإذا جلس إلى الطعام ولم يسم قال أدركتم العشاء، الطعام لا يكفي لا يوجد بركة وما في تقاهم وما في جو للود في البيت في جو الانفصام والسياح، أنا والله أيها الإخوة الكرام، متألم أشد الألم لأنه في معظم الأسر صياح وسباب وقطيعة والأب بجهة والأم والأولاد ممزقون بين أهم وأبيهم لأن الشيطان في البيت، السلام عليكم تطرد الشيطان والابتسامه تجلب الإنسان.

الآن حديث آخر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ))

[ متفق عليه ]

كيف تعطي ألف ليرة لإنسان الكلمة الطيبة صدقة، طبعاً أناس كثيرون يتكلمون بالكلام الطيب مع من يحبون أو مع من تكون بينهم علاقة طيبة هذا شيء طبيعي، لكن البطولة أن تتطرق بالكلمة الطيبة مع من تظن أنه لا يحبك تستجلب قلبه بهذه الطريقة، في أحياناً توجس تحفظ هذا المتوجس منك هذا المتحفظ منك سلم عليه وتكلم معه كلمة طيبة، إنسان عند النبي عليه الصلاة والسلام مر إنسان آخر قال له والله إني أحبه، قال هل أعلمته؟ قال لا، قال قم فاعلمه. الآن من السنة في أخ تحبه تحب كمال فيه تحب سمته الحسن تحب محبته تحب مودته إليك تحب عطاؤه وبذله قل له والله إني إحبك هذا من السنة، وينبغي أن يقول لك إحبك الذي أحببتي من أجله، النبي ﷺ رأى صحابي جليل حامل ابنه على كتفه يحبه كثير، النبي عليه الصلاة والسلام من باب المودة قال له يا فلان أتحبه؟ استمعوا إلى جواب هذا الصحابي الجليل قال إحبك الله كما أحبه. له ابن يحبه كثيراً لا يقوى على فراقه يأتي به إلى مجلس رسول الله وعلى أكتافه واضعه، بعد أيام غاب هذا الصحابي فالنبي تفقد قال والله مات ابنه فطلبه وعزاه بجرارة وقال له أيهما تريد أن تمتع به طوال عمرك، معك كبر صار بالثامنة عشر بالعشرين بالخمسة وعشرين زوجته ساكن معك بكل لحظة تحت الأمر إلى أن يموت الأب، أيهما أحب إليك أن

تمتع به عمرك أم أن يسبقك إلى الجنة فأبيها فتحها لك ؟ قال بل الثانية قال هي لك .

تطيب خاطر هذا، والله مرة إحدى قريباتي جاءها مولود ومات بعد أشهر وبكت بكاءً لا يعقل كتبت لها هذا الحديث على الكمبيوتر على ورقة كبيرة وقدمته هدية لها والله قلب حزنها سروراً، إذا إنسان فقد أحد أولاده الصغار هذا يسبقه إلى الجنة يفتح له أي أبوابها إذا شاء .

((سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَلْكَ فَاَمْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزَنَ عَلَيْهِ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بُنْيَةُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلْكَ فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنْيَتِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلْكَ فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا فُلَانُ أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرِكَ أَوْ لَا تَأْتِي عَدَا إِلَى بَابِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهْوًا أَحَبُّ إِلَيَّ قَالَ فُذَّاكَ لَكَ))

[ النسائي ]

(( وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ))

في إنسان كلامه قاسي كذاب يقول له، ممكن تنقل له عدم قناعتك بكلامه بإسلوب آخر، والله انا أرى رأياً مخالفاً لك يعني كذاب، لكن بشكل لطيف يتكلم كلاماً هذا الكلام لعله له تفسير آخر تسرعت بإعطاء هذا المعنى ممكن، سيدنا عمر مَرَّ على قوم يشعلون النار فقال السلام عليكم يا أصحاب الضوء ولم يقل السلام عليكم يا أصحاب النار، يا أصحاب الضوء، في باللغة يسمونها الواو الفاصلة قال له مثلاً لمريض إنسان هل زرت الطبيب يقول له لا، يرحمك الله، لو قال له لا يرحمك الله يقول له لا لم أزر الطبيب وهذا الاهتمام بي يرحمك الله عليه، فلا بد من واو فاصلة لا ويرحمك الله لو ألغيت الواو لا يرحمك الله ففي باللغة إشارات لطيفة جداً إلى دقة الكلام.

أن تلقى أخاك بوجه طلق صدقة، أن تنطق الكلمة الطيبة صدقة هي لك صدقة، كان عليه الصلاة والسلام دققوا، يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بشره عن أحد، يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي بشره عن أحد، إذا أنت شكيت بإنسان يجب أن لا تشعره بذلك الشك ضمنك تأخذ احتياطاً أما أنه أنا لست واثقاً

منك، هذا كلام مؤلم جداً.

### (( وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ))

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

. (( فَقَالَ عُكَّاشَةُ بِنْتُ مِحْصَنِ أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ ))

[ متفق عليه ]

لم يقل له أنت لست من أهل الجنة سبقك بها عكاشة، عود نفسك أن تقول الكلمة الطيبة قال تعالى:

### ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

[ سورة البقرة: 83 ]

يمكن أن تعاشر أخ ثلاثين سنة ولا تسمع منه كلمة واحدة نابية ولا كلمة قاسية أما السباب والفحش والتفحش والمزاح الجنسي هذا ليس من صفات المؤمن، هذا الحديث:

### (( وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ))

[ متفق عليه ]

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، عدي بن حاتم أيها الإخوة الكرام، هذا كان ملك فلما دخل على النبي عليه الصلاة والسلام كان يظن أنه سيلقى ملكاً فقال من الرجل؟ قال عدي بن حاتم النبي عليه الصلاة والسلام كما علمنا ينزل الناس منازلهم لأنه ملك سابق طبعاً أخذه إلى بيته، قال فانصرفت معه إلى البيت في الطريق استوقفته امرأة ضعيفة مسنة تكلمه في حاجتها فوقف معها طويلاً يستمع إليها فقال في نفسه والله ما هذا بأمر ملك إنه نبي مرسل، ولما دخل سيدنا عمر على النبي عليه الصلاة والسلام وقد اضجع على الحصير فأثر في خده الشريف بكى عمر قال له يا عمر ما يبكيك؟ قال كسرى ينام على الحرير ورسول الله ﷺ ينام على الحصير ماذا قال رسول الله؟ قال يا عمر إنما هي نبوة وليست ملكاً في فرق كبير بين النبوة والملك، انا لست ملكاً.

لما استوقفته المرأة وقف معها طويلاً تكلمه في حاجتها ويستمع إليها قال والله ما هذا بأمر ملك إنه نبي مرسل

فلما دخل البيت معه قال: دفع إلي وسادة من آدم محشوة ليفاً فقال اجلس عليها ما في غيرها، قلت بل أنت قال بل أنت، قال فجلست عليها وجلس هو على الأرض قال إيه يا عدي بن حاتم إيه يعني تكلم، لعله إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم، كالوقت الحالي ويم الله ليوشك أن تسمع بالمرأة البابية تحج البيت على بغيرها لا تخاف لا تخشى أحداً الأمن مستتب لهم، ولعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم من فقرهم فوالله ليوشك المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم فوالله ليوشك أن تسمع بالقصور البابية مفتحة عليهم. أيها الإخوة الكرام، هذا عدي بن حاتم روى عن النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحديث الشريف قال عليه الصلاة والسلام: **عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ**

**((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ))**

[ متفق عليه ]

وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة، لا أقول لكم افعلوا هذا لكن إنسان ضاقت به الدنيا ما في أمامه ولا عمل صالح فصار ينظف حمامات المساجد يتقرب بها إلى الله عز وجل وقد يسبق أناساً كثيرين، أبواب الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى، بل إن الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، النصيحة عمل صالح، الأمر بالمعروف عمل صالح، النهي عن المنكر عمل صالح، إطعام الطعام عمل صالح، رد السلام عمل صالح، طرح السلام عمل صالح، والعمل قيمته بنيته فكلما نمت إيمان المؤمن ارتقت نواياه الطيبة.

**(( عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ))**

[ متفق عليه ]

لئلا يذهب بكم الظن أن كل إطعام طعام هو عمل صالح لا، يوجد أحاديث أخرى يقول عليه الصلاة والسلام: **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه كَانَ يَقُولُ:**

(( شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ))

[ متفق عليه ]

أقول لكم ما معنى إطعام الطعام أخ لك مسافر هل معقول يأكل بمطعم ؟ دخل بيتك أطعمته اعتنيت به شعر أن له أماً بدمشق هذا إطعام طعام من أعلى مستوى، أحياناً تطعم الطعام وتجمع الناس على هذا الطعام فباجتماعهم على الطعام تدب الألفة بينهم، أنا لا أنسى أحد إخوتنا الكرام كان شارد عن الله مع أصدقاء حميمين يقتربون من الثلاثين وقد هداه الله إلى هذا الدين العظيم تمنى هذه الهداية لأصدقائه لكن أصدقاءه بعيدون عن الدين بعد الأرض عن السماء فهم لا يقرءون كتاباً دينياً ولا يسمعون شريطاً ولا يرتادون المساجد ولا يصلون بالأصل، ماذا فعل ؟ صار يدعوهم كل شهر إلى وليمة في بيته وكان يدعوني لأتكلم بعض الكلمات على عدة سنوات الآن جميعاً في المسجد، إذاً أحياناً إطعام الطعام يؤلف القلوب إطعام الطعام سبب للدعوة إلى الله إطعام الطعام يقرب المتباعدين، أحياناً صلح على طعام يصير، في أبواب لإطعام الطعام كثيرة جداً هي في الحقيقة تعد أحد أكبر العمال الصالحة لذلك قال عليه الصلاة والسلام حينما سئل

(( أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ))

وفي حديث آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ))

إلقاء السلام أحد أسباب المودة والرحمة بين المؤمنين، في حديث آخر وأخيراً: عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السُّلُولِيِّ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَغْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا  
أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ قَالَ حَسَّانُ فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيمِ الْعَاطِسِ وَإِمَاطَةِ الْأَدَى عَنْ  
الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً ))

[ البخاري، أبو داود، أحمد ]

منيحة العنز أي تعطيه عنزة ينتفع بحليبيها، ما دون منيحة العنز :

(( مِنْ رَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيمِ الْعَاطِسِ وَإِمَاطَةِ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ  
خَصْلَةً ))

أيام شاحنات كثيرة في الطريق تبدل بعض العجلات وتضع أحجار كبيرة خلف العجلات قبل إقلاعها وتمشي طريق دولي وسريع وفيه حجر كبير هذا قد يودي بسيارة، بركاب، سيارة فيها أشخاص يقف ويزيح هذا الحجر، عد الصحابة ما دون منيحة العنز من رَدِّ السَّلَامِ وَتَشْمِيمِ الْعَاطِسِ وَإِمَاطَةِ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً، إذا شخص مثلاً جالس بسيارة عامة وفي راكب واقف كبير بالسن أجلسه في مكانه هذا عمل صالح، إنسان يحمل شيئاً ثقيلاً وبالثمانين وأنت شاب عاونته بحمله، أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، في النهاية الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق وعله وجودك في الأرض بعد الإيمان بالله العمل الصالح، ولا يندم الإنسان على شيء حينما تدنو منيته إلا العمل الصالح، المؤمن دائماً يندم عند الموت، يندم على ساعة مضت لم يوظفها بالعمل الصالح، والعمل الصالح العظيم هو الذي يستمر بعد وفاة الإنسان، كثير في علماء دروسهم تلقى بعد موتهم ليلاً ونهاراً في كل العالم الإسلامي هذا عمل صالح، وفي مغنين أيضاً أغانيهم تتطلق في الإذاعات صباح مساء في جميع أنحاء العالم العربي بعد موتهم، وفي مساجد ينتفع بها المصلون بعد وفاة من أسسها، وفي ملاهي يهوي بها روادها بعد موت من أسسها والحياة فيها خيارين خيار الأعمال التي تؤدي إلى الجنة والأعمال التي تؤدي إلى النار، والله لا أنسى هذا المشهد دعينا إلى افتتاح مسجد في يعفور دعي معظم علماء دمشق والذي بنى المسجد كان مشرق الوجه وألقيت كلمات لطيفة خرجت من المسجد غريب على الضفة الثانية للطريق شخص أسس ملهى فيه كل أنواع الموبقات بالعالم، وازنت بين هذا وذاك يوم القيامة يقف هذا يا رب أنا أنشأت بيتاً من بيوتك لتؤدي فيه الصلوات تعقد فيه مجالس العلم، والثاني

أسس مكاناً كي ترتكب فيه المعاصي الكبيرة على شتى أنواعها فأنت عند الله حجمك بحجم عملك الصالح.

ومرة كنا نفتح مسجد في الغوطة وجلس إلى جانبي مدير أوقاف الريف قلت له مداعباً اشكر الله فقال لي على ماذا ليس مستنكراً، أنت تفتح مسجداً و تعين إماماً، يوجد إنسان أهم منك يفتح ملهى و يعين راقصة، فنعمة كبيرة أن عملك في الدين، إذا شخص عمله مشروع و بالدين أفضل ألف مرة من أن لا يكون عملاً غير مشروع، أنت تباع طعاماً، يوجد إنسان يبيع ألبسة فاضحة نسائية، فكل فتاة ترتدي هذه الثياب الفاضحة و تثير الشباب من حولها يحس بانقباض.

فكل بطولتك أن يكون عملك وفق منهج الله، و أن تتعامل مع بضاعة لا تؤذي أحداً بها

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (114 - 127) : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 08-05-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، ولا زلنا في الترغيب من كثرة الكلام وضعف العمل، لو سألتني ما هي سبب محنة المسلمين اليوم ؟ لماذا العالم كله يتصور أن المسلم مجرم وإرهابي وأن المسلمين متخلفين وأن بأسهم بينهم ؟ هذه التصورات التي يحملها الطرف الآخر عن المسلمين هي سبب كل هذه الممارسات القاسية التي يعاني منها المسلمون، شعور بالانتماء للجماعة ضعيف أنت حينما تنتمي إلى هذه الجماعة جماعة الإيمان توقن أن سمعتها أنت مسؤول عنها لأنك إذا أسأت إلى غير المسلم يقول غير المسلم للإسلام أساء إلي، يعتم على اسمك وعلى شخصك ويظهر دينك، أما إذا أساء فرضاً مسلم إلى مسلم يلغى موضوع الدين ويصبح الموضوع شخصياً يقول فلان أساء إلي، إذا كان الذي أساء مسلم والذي أسىء إليه مسلم، أما لمجرد أن تسيء لغير المسلم أو لمسلم لا يعتد بأحقية هذا الدين، هذا الطرف الآخر يتهم الإسلام كله بالزيغ والانحراف، هذه مشكلة أهل الأرض.

الأقوياء الآن لا يمكن أن يفهموا الإسلام من الكتب الإسلامية، هل تصدق أن إنسان غربي يبحث عن هذا الدين فيفتح كتاب فتح الباري أو كتاب صحيح مسلم أو تفسير القرطبي أو الزمخشري، لا يفهم المسلمين إلا من هؤلاء الذين أمامه، لذلك الحديث الصحيح الشريف الذي رواه البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ قَالَ:

(( مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

[ متفق عليه ]

نحن كمجموع لنا سمعة هذه السمعة من يصنعها ؟ كل الأفراد، لو أن المجموع كانوا صادقين، والمجموع كانوا أمناء، والمجموع كانوا أعمى، كانوا مخلصين، يعلو نجم المسلمين في الأرض، وكنت أقول دائماً أيها الإخوة الكرام، لو أن الجالية الإسلامية في العالم الغربي وحدها طبقت الدين لكنا في حال آخر غير هذا الحال ولكن موقف الطرف الآخر موقفاً آخر غير هذا الموقف الذي يقفه اليوم.

أيها الإخوة الكرام، قد يتوهم متوهم أن الحديث يعني أن المسلم يسلم منه المسلمون من لسانه ويده لكن غير المسلمين لا يسلمون من لسانه ويده هذا المعنى والعياذ بالله مرفوض كلياً ولا يمكن أن يكون مقصوداً من رسول الله ﷺ الحديث هنا عن سمعة المسلمين، امرأة غير مسلمة في بلاد بعيدة عملت مدرسة للغة الإنكليزية في دولة إسلامية وكل من حولها مسلم من خلال الحوار والسؤال والجواب قنعت بهذا الدين فأسلمت، الآن تنتظر زوج تعرفت على زوج فقال لها هذا الزوج لا يمكن أن أنظر إلى وجهك قبل العقد النظامي الشرعي، ما هذا الورع ؟ هو من بلد آخر فما قبل في المطار أن يأتي إلا ومعها من يكتب العقد في المطار حتى يسمح لنفسه أن يراها شيء يفوق حد الخيال فاستبشرت وقبلت ورضيت وكلفت أحد المدرسين أن يأتي معها إلى المطار وأن يكتب العقد، عندها بيت في سيدني استقبلته في البيت ومعها سيارة وأكرمته زوجته شهرين ثم اختفى فلما راسلته قال لها أنا أمضيت شهرين عندك وانتهى الأمر.

هذه لماذا أسلمت ؟ لأن هذا الدين عظيم أما هذا الذي يدعي انه مسلم وبالغ في ورعه ثم أمضى معها شهرين في إجازته وغادر ولا يعبأ لا بهذا الزواج ولا بهذا العقد هذا ماذا أعطاهما فكرة ؟ صدقوا أيها الإخوة الكرام، هناك قصص يندى لها الجبين يقوم بها المسلمون في العالم الغربي والشرقي على حد سواء فلذلك كلمة إسلام تعني إنسان جاهل غير منضبط لا عهد له لا وعد له يتجاوز الحدود أنا أقول لكم إن ما يعانيه المسلمون اليوم بسبب ما يسمى بممارسات خاطئة يقوم بها المسلمون وكأن النبي عليه الصلاة والسلام تنبأ ذلك كأنه يعيش معنا، فأنت تكون في أعلى درجات العبادة لله حينما تسهم في رفع اسم المسلمين.

إنسانة أسلمت على يد زوج حدثني بالهاتف تفنن في إيقاع الأذى بها في ضربها وفي شتمها وفي التقدير عليها إلى أن حملها على أن تكفر بهذا الدين، قالت لي بعد حين تركب مركبة سيارة ونسيت محفظتها فيها كل ما تملك خمسين ألف، بعد أيام عدة سائق هذه المركبة إنسان مسلم ورع بحث عنها حتى أوصل المحفظة إلى بيتها قالت

لي والله هذا السائق أعاد لي الثقة بالإسلام وأذكر أنها قدمت مبلغاً من المال لطلاب العلم المسلمين، كانت ممتنة زوجها كاد يحملها على أن تكفر بهذا الدين وسائق سيارة باستقامته وأمانته قوى ثقته بهذا الدين.

ملخص الدرس اليوم أنت مؤمن يمكن أن تسهم بتقوية مكانة الإسلام، يمكن أن تسهم برفع اسم الإسلام، يمكن أن تسهم بإعطاء فكرة عن هذا الدين متألفة ويمكن أن تفعل شيئاً آخر لذلك كأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

هذا الشعور أساسه انتماء للجماعة، أحياناً دون أن تشعر تكون في بلد آخر بعيد فعندك غيره على بلدك تحب أن تنتقل للآخرين أجمل صورة عن بلدي هذا شيء طبيعي بكل إنسان أما الحقيقة انتماءك الحقيقي للإسلام فكلما كنت صادقاً وأميناً وعفيفاً ومنضبطاً ورحيماً ارتفع اسم الإسلام عالياً في أطراف الأرض، و الممارسات الخاطئة هي سبب تشويه سمعة المسلمين وكأني وضعت يدي على الجراح هؤلاء الذين يتفنونون بتعذيب المسلمين وإبادتهم وقتلهم وتهديم بيوتهم يتوهمون أن هؤلاء لا يستحقون الحياة ما رأوا عظمة الإسلام، ما رأوا طهر المسلم، ما رأوا عفة المسلم، ما رأوا كرم المسلم، إذاً يمكن أن يكون هذا الحديث شعاراً لنا جميعاً

(( مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

عني سمعة المسلم من لسانه ويده، معنى ذلك هناك إساءة قولية وهناك إساءة سلوكية، من لسانه من أقواله من يده من أفعاله يجب أن تكون أقوالك ويجب أن تكون أفعالك تسهمان معاً في رفع اسم الإسلام عالياً، يدعم هذا الحديث قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(( أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك ))

كأن الإسلام بلد وأنت على الحدود وفي الحدود أماكن ضعيفة وأنت على أحد هذه الأماكن الضعيفة فاي خرق لهذه البلاد تكون عن طريقك فأنت مسؤول عن هذا الخرق، في تساؤل أنا أتكلم بالحقيقة المرة كان ممكن أتحدث حديثاً يسمى إنشائياً وخطابياً يا لعظمة الإسلام، يا لقوة المسلمين، لكن أنا أريد أن أتكلم بالحقيقة المرة حتى في بلادنا من عدة تجارب مؤلمة في التعامل مع المسلمين يتمنى الإنسان العادي غير المتفقه أن يتعامل مع غير

المسلم هنا كلمات لاذعة جداً تقال لأنه متدين أكل هذا المال، لأنه متدين فعل هذا الشيء، مجموع هذه الأخطاء تتراكم وتكون سبب لابتعاد الناس عن الدين، من باب الطرفة واحد قال يا رب دلني على شيخ صاحب دين، على قدر ما في ممارسات سيئة من بعض من يدعي أنه يعمل في الحقل الإسلامي صار في ردة فعل مؤلمة، الإنسان دائماً قبل أن يفعل شيئاً ينبغي أن يتصور كيف يفهم الناس هذا التصرف دققوا أيها الإخوة الكرام، النبي عليه الصلاة والسلام في الطريق معه زوجته صفية وفي الليل يمر صحابيان يقول عليه الصلاة والسلام على رسلكما هذه زوجتي. هذا تعليم رائع جداً قد يأتي الشيطان هذه زوجتي البيان يطرد الشيطان.

أنا دائماً أتمنى على كل أخ أنه إذا فعل شيئاً وله تفسيران أن يوضح تفسير الحقيقة. سافرت وكلفت أختك زوجتك أن يتقّد زوجتك في غيبتك لكن الجيران الذي يرون أن شاباً دخل إلى هذا البيت في غيبة الزوج لهذا التصرف تفسير سيئ جداً فالزوج الواعي المؤمن قبل أن يسافر يطرق باب جيرانه أنا سوف أسافر وزوجتي وحدها في البيت وكلفت أختها أن يتقدها كل يوم، البيان يطرد الشيطان، هذا يحملنا على التوسع في ذلك، كلفت في عمل أعطيت مبلغاً تطابق مع الإنفاق في بعض الإخوة الكرام يقول لكن نحن المبلغ كان بالتمام والكمال في الصدر شيء اكتب الواردات والمصاريف بالتفصيل وقدم الحساب، إذا قدمت الحساب فقد نزعتم عن أختك احتمال أن يأتيه الشيطان ويقول لعل هناك خطأ في الحساب، لعل هناك مبلغ من المال ضمه إليه، لعل هناك مبلغ دفعه كمصروف وضعه على المهمة، أنا لا أرى إنساناً موقفاً في حياته وله سمعة متألفة جداً إلا ويبين، أما يوجد شيء يفسر تفسيرين هذا ممنوع أن تفعله حفاظاً على سمعة المسلمين.

من أغرب ما روي لي كنت مرة في الخليج وجاءوا بعالم جليل من مصر وألقى محاضرات طوال شهر رمضان لكن الفاتورة في شيء لا يصدق فيها مشروب خمر بكميات غير معقولة إطلاقاً، غير معقول أن أقول لو كانت الكميات معقولة مقبولة، ليس معقول إنسان رجل دين رجل علم يأتي من مصر لإلقاء محاضرات ثلاثين يوم والفاتورة بالفندق برقم فلكي مقابل مشروبات خمر، يقول لي الأخ الراوي وزير الأوقاف ماذا يقول ماذا يفعل صعب تفسيرها هذه صعب جداً رجل عالم يبدو أنه قبل السفر تجرأ قال له يا مولانا طلع هذا الرجل المولى كلما يجد زجاجة خمر في البراد يكسرها لأن هذا منكر كسرها، هم عندهم كلما ينظفوا الغرفة يجدوا في نقص يسجلونه، حتى فهم وزير الأوقاف أن هذه العملية كسر زجاجات الخمر وضعها في الحمام، مشكلة كبيرة جداً، طبعاً في مؤتمرات إسلامية ممنوع أن يكون في البراد أشياء محرمة مراعاة للمؤتمر في مؤتمرات إسلامية لا يتركون شيئاً في البراد خلاف المنهج الإسلامي لكن بالفندق في خطأ، أنت عندما تكسر الزجاجات وتضعها في

الحمام، تفرغها في الحمام وتعد نفسك أزلت منكراً تسجل عليك على الفاتورة صعب تفسيرها، يحتاج الإنسان بالتعبير العامي أن ينظر قفاه، هذا العمل ماذا يفسر ؟ في تفسيرات لأعمال لا تحتمل إطلاقاً لذلك البيان يطرد الشيطان.

حدثني أخ كان في مؤتمر وزوجته عند أقرائها هو خمسة أيام بالفندق وحده مرة زوجته حضرت المحاضرة وأحببت تزور الغرفة في موظفين بالفندق قال لهم هذه زوجتي، حتى يعملوا توازن فأنت وطن نفسك على أن توضح كل شيء، لأن سمعة المسلمين يسهم بها أنا وأنت.

مرة حدثوني أن في بائع أحذية بمستوى رائع جداً بمدخل سينما قلت له والله لو كان الحذاء مجاناً يقدم هدية وأفضل حذاء بالعالم أنا لا أستطيع أن أدخل إلى السوق الذي فيه سينما بالداخل في طلاب قد تفسر تفسيراً آخر، رحم الله عبداً جبّ المغيبة عن نفسه. أحياناً يصير أنت في محل صديقك ومعك خمسمئة ليرة وتريد أن تصرفها فتحت الدرج وضعت الخمسمئة وتأخذ الخمسمئة الخمس قطع فصاحب المحل وجدك تأخذ خمس قطع، الآن أثبت له أنك وضعت خمسمئة ليرة، لا قل له اصرف لي هذه أنت أمين مئة بالمئة أمين لكن لا تطلب من الناس يبرئوك من التهمة إذا كنت في مكان فيه تهمة، من أجمل ما قال سيدنا علي رضي الله عنه لا تضع نفسك موضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموك. في قصص كثيرة جداً مرة حدثني أخ كان مدير ثانوية في عنده آرن في بلدة بالجنوب بالريف وفي بيض يسمنه بلدي يعني سعره معتدل وهو مفيد أكثر فكان يكلف الآرن أن يحضر له، الآرن يحمل كيس البيض يدخله على الإدارة ويعطيه ثمنه بعد ذلك، لكن الناس شاهدوا الكيس البيض دخل لكن ما شاهدوا أنه دفع ثمنه، الأقاويل انتشرت أن هؤلاء يرشون الآرن يعطيهم إجازات يعمل كذا، فجاء إنسان مخلص للمدير قال له أنا أعلم علم اليقين أنك تدفع الثمن قال له صح، قال أتمنى عليك أن تعطي الثمن أمام بقية الأزنة، هذه القصة كلها، فكان يطل على مكان المستخدمين يقول له يا فلان هذا المبلغ واحضر كمية من البيض معينة، انظر إلى الفرق أنت تدفع لأنك واثق من نفسك لكن ممكن أن تفسر هذه الظاهرة برشوة.

فالمؤمن حريص على سمعته وحريص على سمعة أهله وحريص على سمعة أولاده، أيام إنسان يسافر بنزهة هو شاب وهي شابة يجب أن يكون في السيارة دفتر عائلة يظن أنها ليست زوجته، أحياناً تدخل على فندق من هذه؟ هذا دفتر العائلة له فائدة دفتر العائلة يعني دائماً حاول أن تنفي عن نفسك أية تهمة أنت بريء منها، لذلك الحديث انا أعده أصل في التعامل:

(( مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

[ متفق عليه ]

ولا تضع نفسك موضع التهمة ثم تلوم الناس إذا اتهموك، في رواية أخرى أيضاً للبخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ

(( الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ))

الهجرة من أعظم الأعمال لكن كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( الْعِبَادَةُ فِي الْهَجْرِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ ))

[ مسلم، الترمذي، ابن ماجه أحمد ]

صدقوا أيها الإخوة الكرام، الآن عبادة الله عز وجل في زمن الفتن في زمن النساء الكاسيات العاريات في زمن التقلت في زمن أن المعصية في كل مكان ولا أحد يسألك عنها في هذا الزمن هذه العبادة تعد هجرة إلى الله عز وجل، عبادة في الهرج كهجرة إلي بل لمجرد أن تدع ما نهى الله عنه فأنت مهاجر، باب الهجرة قد أغلق بين مكة والمدينة بعد الفتح لكنه مفتوح إلى يوم القيامة بين كل مدينتين يشبهان مكة والمدينة .

ومازلنا أيها الإخوة الكرام، في بعض الأحاديث الشريفة التي نتحدث عن أن المسلم يحتاج إلى أفعال أكثر مما يحتاج إلى أقوال.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ))

[ البخاري، الترمذي، أحمد ]

في هذا الحديث ملمح لطيف جداً إلى أن أكبر المعاصي مساحة لو أحصينا المعاصي لوجدنا أن تسعين بالمئة من المعاصي بسبب اللسان وشهوة الفرج، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يتبين فيها ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب. يعني كلمة ودائماً وأبدأ المسلم يعد كلامه من عمله ولا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا

يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فلذلك أيها الإخوة الكرام، نحن في المسجد نتلقى التعليمات أما حقيقة الدين في محلك التجاري وفي مكتبك الهندسي وبدكانك وفي معملك في بيتك وفي الطريق وفي بيعك وشرائك أحياناً بعض الشركات يأتي صباحاً مندوبو المبيعات الساعة الثامنة يتلقون التعليمات من مدير الشركة وينطلقوا لتنفيذها قال تعالى:

﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة: 10]

أنت في المسجد تسأل الله أن تفتح عليك أبواب رحمته لكنك خارج المسجد تسأل الله أن تفتح عليك أبواب فضله، أنت في المسجد بحاجة ماسة إلى رحمة الله لكن خارج المسجد بحاجة مساسة إلى فضل الله، وأنت يجب أن تعلم علم اليقين أنه في المسجد تتلقى التعليمات والتجليات أما التطبيقات تكون في شتى مناحي الحياة لذلك الدين ليس في المسجد في المسجد تتلقى التعليمات والنفحات لكن في البيت وفي السوق وفي الدكان وفي السفر هو المحك لحقيقة التدين.

(( مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ))

أي ما بين فكيه يعني لسانه وما بين رجليه يعني فرجه أضمن له الجنة، بالمناسبة أخوانا الكرام مرة ثانية لو أردت أن تحصي المعاصي في الحياة تسعين بالمئة من المعاصي متعلقة بالمال وبالنساء ولو تتبعت الفضائح في الأرض وجدت أن كل الفضائح تدرج في بندين اثنين فضيحة مالية وفضيحة جنسية لذلك المؤمن حينما يسد هاتين الثغرتين يشعر أنه ملك، في زمن الفضائح والأموال التي تؤخذ اغتصاباً أو احتيالاً أو سرقة، وفي زمن الفضائح الأخلاقية فالمؤمن يشعر بقيمة تفوق حد الخيال، مرة ملك سأل وزيره من الملك؟ قال أنت قال لا الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا له بيت يؤويه ورزق يكفيه وزوجة ترضيه إنه إن عرفنا جهد في استرضائنا وإن عرفناه جهدنا في إخراجة.

أنت حينما تكون مستقيماً ترفع رأسك عالياً، والقاعدة احتج إلى الرجل تكن أسيره واستغني عنه تكن نظيره وأحسن إليه تكن أميره، أنت حينما تستغني عن الخلق يحبك الله لذلك ورد من أصبح وأكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له ومن أصبح وأكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه

وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهي راغمة.

فلذلك أيها الإخوة الكرام، إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً وقذف محصنة يهدم عمل مئة سنة، هنا نكبة معقول أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام لزوجته السيدة عائشة حينما قالت عن أختها قصيرة لم تزد على ذلك فقال يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته، كلمة قصيرة فضبط اللسان أيها الإخوة الكرام، اعذروني أنا لا أصدق مسلم مزحه جنسي، لا أصدق مسلم لا حياء له في المزاح، لا أصدق مسلم كلامه ملغوم، أكثر الناس يتكلم كلمة تشير إلى عورة ويبالغ فيها ويغمز ويهمز ويبتسم ويثير حوله، المسلم ما في عنده العش بالكلام وما في عنده تلميحات غير أخلاقية وما في عنده فحش بالكلام، علامة المؤمن ضبط اللسان بالمقابل من قال لك الكلام ليس عملاً صالحاً أنا قلت قبل قليل من عدّ كلامه من عمله، بالمقابل الأنبياء العظام بماذا جاؤوا؟ بالكلمة، جاؤوا بكلمة قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾

[ سورة إبراهيم ]

والذين لهم باع في الدعوة يعني الكلمة وحدها تنتشر في الآفاق وقد يهتدي بها أقوام كثيرون، الحديث المقابل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ))

[ متفق عليه ]

كلمة واحدة ترتفع بها إلى أعلى عليين أو قد تسقط بها إلى أسفل سافلين أنا مضطر أن أوضح أن حقيقة هذا الدين حقيقة أخلاقية ودائماً أذكر هذه الكلمات لما سيدنا جعفر سأله النجاشي عن الإسلام الآن أنت أمام تعريف لهذا الإسلام من صحابي كبير سيدنا جعفر قال له أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الرحم ونسئ الجوار حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة

الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء .

يعني مضمون هذا الدين أخلاقي وهذا الكلام أكده النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :

(( إِنَّمَا بَعِثْتُ مُعَلِّمًا إِنَّمَا بَعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ))

وابن القيم رحمه الله عز وجل يقول: الإيمان هو الخلق ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان.

بالمناسبة في تقريباً عشرة أحاديث صحيحة عن قيمة حسن الخلق، حسن الخلق يذيب الخطايا، حسن الخلق يسبق الصائم القائم، أعمال كبيرة جداً وجليلة وتحتاج إلى جهد كبير يمكن أن تسبق من يفعلها بحسن الخلق، والله عز وجل حينما أثنى على النبي عليه الصلاة والسلام قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)﴾

[ سورة الفلم ]

لأن الخلق كسب الإنسان لكن بربك تتصور مسلم أو مؤمن شرس، مؤمن وقح، مؤمن محتال، مؤمن يكذب مستحيل، قال عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( يُطْبِعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ ))

[ أحمد ]

أنا أقبل من مؤمن يكون انطوائي قليلاً أو منفتح أو اجتماعي أو إنعزالي أو أنيق جداً أو أقل أناقة أو إنفاقه شديد أو أقل إنفاق هذه الطباع والإسلام أقر الطباع لكن الخيانة والكذب ليست من الطباع إنها تتناقض مع الإيمان، يقول عليه الصلاة والسلام: رَبِيعَةَ عَنِ الْأَعْرَجِ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَأْتُرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَانًا وَلَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ ))

[ متفق عليه ]

كيف توفق بين أن ينهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الظن وبين أن يقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

[ سورة الحجرات: 12 ]

وبين أن يقول النبي الحزم سوء الظن. وسوء الظن عصمة، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا أن نسيء الظن سوء الظن عصمة والحزم سوء الظن ثم يقول إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث وإن بعض الظن إثم، آية وحديث تنهى عن سوء الظن وعندنا حديثين يأمران بسوء الظن، الحقيقة الفيصل بينهما إذا في أدلة يجب أن تأخذ الحيطة إذا في أدلة أما سوء الظن الذي نهينا عنه هو سوء الظن من دون دليل أيام يكون زوج يسيء الظن بزوجه لكن ما في أي دليل لا دليل مادي ولا معنوي ولا واقعي ولا سلوكي ولا عملي وهو يسيء الظن وأحياناً هي تسيء الظن به ما في أدلة أبداً هذه حالة مرضية أيها الإخوة الكرام، أما في أدلة واضحة الآية الكريمة:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ﴾

[ سورة النساء: 34 ]

قبل أن تتجذب قبل أن تتحرف لم تتحرف بعد لكن رأيت بواذر ضعيفة جداً، قال تعالى:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾

[ سورة النساء: 34 ]

إذاً المؤمن كيس فطن حذر يقظ أيام في بواذر ومع الأسف الشديد هناك إنسان إلى أن تقع الطامة الكبرى يصحو إلى أن تقع الطامة الكبرى لذلك قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾

[ سورة النساء: 71 ]

فهنا يقول عليه الصلاة والسلام (( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ .. )) شيء بلا دليل اتهام بلا دليل قذف محصمة يهدم عمل مئة سنة، أيها الإخوة الكرام، قرأت في الصحفية خبر إنسان شك في ابنته فجاء بقبالة كي تفحصها فأكدت له أنها ليست بنتاً فذبحها وقعت في الشام جريمة ثم تبين أن القبالة لم تكن خبيرة في معرفة ما إذا كانت بنتاً أو امرأة فلما فحصت في الطبابة الشرعية كانت بنتاً، أحياناً الإنسان يرتكب حماقة تزلزل الجبال لأنه تسرع لذلك قال تعالى:

﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

[ سورة النمل ]

في بالأخبار نسمع كلمات تقصي الحقائق، هذا منهج في الإدارة قبل أن تتخذ القرار تقصي الحقائق صدقوا أيها الإخوة الكرام، في مواقف أنت حينما تأخذ قرار بمعلومات غير صحيحة وبمعلومات مبتذلة تندم ندماً لا يحتمل، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

﴿(6)﴾

[ سورة الحجرات ]

أساساً لشكسبير مسرحية أساسها أن أحد الأبطال العسكريين له زوجة في أعلى درجات الإخلاص استطاع شخص مقرب له أن يوهمه أنها تخونه أخذ مندبل من المناديل التي تقتضي العادات والتقاليد هناك أن تحتفظ به وهو رمز وفائها سرق هذا المندبل أعطاه لإنسان آخر وأوهم زوجها فذبحها عطيل. ملخص المسرحية يقول أنه لا شيء في الدنيا يعزيني عن ديدمونة زوجته.

أنا أرى أنه في أخطاء كثيرة ترتكب قبل التحقق يروا في البرمجة اللغوية العصبية قصة هي بالحقيقة ممتعة ولها دلائل كبيرة ومعظم المسلمين سيقعون بها طبعاً القصة مأخوذة من المجتمع الغربي امرأة تريد أن تسافر إلى بلد بعيد هي في المطار اشترت علبة بسكوت وجريدة وطلبت فنجان قهوة وبقاعة الانتظار جلست في أمامها رجل مسكت الصحيفة على عرض الطاولة وتقرأ والقهوة أمامها وعلبة البسكويت أمامها أخذت بسكوتة هذا الرجل مد

يده وأخذ بسكوتة كثير تألمت أن هذه وقاحة وسوء أدب وما استأذنها فمرة مشي الحال، فأخذ واحدة ثانية معقول ليكون يعرفها أزاحت الجريدة لا تعرفه لكن ابتسم أخذ واحدة الثالثة واحدة رابعة و ليس معقول تقول هذه الإنسانية تمنيت أن أشتمه أن أسبق في وجهه أن أعنفه على هذه الوقاحة اشترت علبة بسكويت لوحدها واحدة وراء وحدة، النتيجة بقي واحدة فأخذها قسمها نصفين أعطاهما النصف بلغ غضبها الأوج وكادت أن تقف وأن تمطره بالشتائم وقالت وأن أسبق في وجهه فإذا بالنداء إلى الطائرة فأخذت الجريدة وطوتها وفتحت محفظتها كي تضع الجريدة في المحفظة فإذا بعلبة بسكويت بمحفظتها، هذه للرجل.

كم مسلم يمشي بطريق غلط ويتوهم ما سلم علي عدو، ما شاهدك، تصور أنه ما شاهدك تتحل المشكلة كلها، والله يا أخوان مئات المشكلات بسبب معلومات غلط حدثني أخ كان عنده معمل حلويات قال لي طلبت مئة قالب زبدة من معمل تقرب من معطف عامل وجد في شيء حجمه كبير مسكه قالب زبدة، أخذه ووضع في جيبه يبدو أن الزبدة كانت غالية، فقال لي غليت مثل البركان أريد أن أطرده من العمل قال لي كيف الله هداني لا أعرف بعد يومين ثلاثة ذهب ليحاسب معمل الزبدة قال أرسلنا إليك مئة قالب زبدة أخذ الصانع واحد ودفع ثمنه أعطنا ثمن تسعة و تسعين، طبعاً في خطأ من الصانع لكن قال لي لو كنت انفجرت عليه إنسان بريء دفع ثمن القالب ولزمه ودفع ثمنه.

### ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)﴾

[ سورة النمل ]

لما أنت تتقيد بالشرع تكون علاقاتك مثمرة جداً مع الآخرين أولاً انتظر التحقيق ثانياً إياك وسوء الظن، إذا في دليل سوء الظن عفة، يحتاج إلى قرض ورفض أن يكتب وصل مشكلة معنى هذا، يريد فاتورة وطلب منك أن ترفع السعر لماذا ؟ يقدم فاتورة بالسعر المرتفع وتأخذ الفرق لنفسك. إذا في دليل ينبغي أن تسيء الظن. أيها الإخوة الكرام،

(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ )) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ ))

والحمد لله رب العالمين

## الدرس (115 - 127) : التوبة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-05-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب و الترهيب من صحيح البخاري و مسلم، و اليوم ننتقل إلى الترغيب في التوبة.

و سبب اختياري لهذا الموضوع أن أخوة كثيرين يسألونني من حين إلى آخر أنهم وقعوا في ذنب و تابوا منه، ثم وقعوا فيه مرة ثانية، و عندئذ يتوهمون أنه إذا وقع في الذنب مرة ثانية لا سبيل للتوبة و هذا خطأ كبير لأن الله عز وجل يريد أن يتوب علينا قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)﴾

[ سورة النساء ]

بل إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين بمعانيها الواسعة، الذي يسعى لتطهير نفسه من الأدران، من النقائص، من العيوب، هو إنسان في الطريق إلى الله عز وجل و الله ﷻ يتولى هذا الإنسان لذلك سأسوق إليكم هذا الحديث الذي ورد في البخاري و مسلم:

(( سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَدْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَدْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ فَأَغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَدْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَدْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَأَغْفِرْهُ فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَدْنَبَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَصَابَ ذَنْبًا قَالَ قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَدْنَبْتُ آخَرَ فَأَغْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ ))

أيها الإخوة الكرام، أنا لا أريد أبداً و لا أطمح و لا أتمنى أن يعتقد الأخ اعتقاداً خاطئاً من أنه كلما وقع في الذنب و تاب منه تاب الله عليه، أنا أخبركم أن أهون توبة على الإطلاق هي التوبة من الذنب الذي ترتكبه أول مرة، فبثانية واحدة تشعر أن جبلاً كانت على صدرك أزيحت عنك، لأن الله سبحانه و تعالى يحب التوابين، و لأن الله سبحانه و تعالى ما أمرنا أن نتوب إلا ليتوب علينا، و من لنا غير الله ؟ لكن لا أكتفكم أن الذنب إذا أعدته ثانية تجد صعوبة في التوبة منه، في المرة الثالثة الصعوبة أشد، و في الرابعة الصعوبة أشد و أشد، هذه حقيقة لكن في النهاية لو فعلت الذنب ألف مرة لا بد من أن تتوب ألف مرة و لاسيما و أنا لا أبرر و لا أعتذر عن بعض المقصرين لكن نحن في زمن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر .

و لعل النبي عليه الصلاة والسلام عنى هؤلاء المؤمنين في هذا العصر فقال: اشتقت لأحبابي، قالوا أولسنا أحبابك ؟ قال: لا أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمن آمنوا بيروني، القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر، أجرهم كأجر سبعين، قالوا منا أم منهم ؟ قال بل منكم، قالوا و لما ؟ قال لأنكم تجدون على الخير معواناً و لا يجدون.

أيما توجهت، أيما تحركت، المعصية أمامك و هي متاحة لك، و المجتمع يشجع عليها، و اعتراف المعصية لا يחדش مكانتك إطلاقاً، بل إنك تشعر بالغبرة و الإحساس بالغبرة إحساس طبيعي، إن كنت تحس بالغبرة فهذه و الله بشاره، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( بَدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ))

[ مسلم، ابن ماجه، أحمد ]

أناس صالحون في قوم سوء كثر.

هذا الحديث إذاً أيها الإخوة يبين أنك حينما تقترف الذنب مرة ثانية يجب أن تتوب مرة ثانية، و لو أن التوبة الثانية أصعب من الأولى، و لو أن الإنسان حينما يكثر من الذنب نفسه يشعر و كأن الله لن يتوب عليه ببساطة، لذلك الإنسان إذا اقترف الذنب مرة واحدة يقول يا رب لقد تبت، يشعر في أعماقه أن الله عز وجل يقول له عبدي و أنا قد قبلت.

لكن في المرة الثانية نحن محتاجون إلى حديث آخر يقول عليه الصلاة و السلام: و أتبع السيئة الحسنة تمحها.

في المرة الأولى يكفي أن تقول يا رب لقد تبت إليك و تشعر أن الله تاب عليك.

و الله أيها الإخوة الكرام، شعور المؤمن بتوبة الله عليه لا يوصف إذا رجع العبد إلى الله نادى مناد في السماوات و الأرض أن هئتوا فلاناً فقد اصطح مع الله، و حال المؤمن الذي يرتكب الذنب و يتوب منه أفضل ألف مرة من حال الذي لا يعبأ بالذنب.

لكن أيها الإخوة هناك حقيقة دقيقة هو أنه كلما كبر الذنب عندك صغر عند الله، و كلما صغر عندك كبر عند الله فالذي يرى ذنبه صغيراً هو المنافق، وصف المنافق بأن ذنبه يراه كالذباب، بل إن الذي يرى ذنبه كبيراً هو المؤمن، بل وصف بالمؤمن بأن يرى ذنبه كالجبل يوشك أن يقع عليه، فكلما كبر الذنب عندك صغر عند الله، و كلما صغر عندك كبر عند الله هذه حقيقة ثانية.

و كلما كررت الذنب تشعر أن التوبة أصبحت أصعب، لكن أريد أن أنبهكم أيها الإخوة و أنبه نفسي معكم و أنا واحد منكم أن الإنسان أحياناً تأتيه خاطرة هذه لن يحاسب عليها إطلاقاً، كأن شيئاً لاح أمامه، فإذا تابعها و لم يتألم منها تنقلب إلى فكرة، فإذا لم يعالج هذا الأمر تنقلب إلى إرادة، فإذا لم ينتبه لما هو فيه تنقلب إلى عمل، فإذا لم يتب تنقلب إلى عادة و من أصعب الأشياء أن يتوب الإنسان من عادات مستأصلة فيه.

لذلك هؤلاء الذين تورطوا بانحراف خطير لعله بدأ بذنب صغير، لذلك الحزم أن تضع حداً حاسماً للمضي في الذنوب.

لعل شيئاً من قواعد التغذية يوضح لنا ذلك: لو أن إنساناً أراد أن يأكل وفق نظام غذائي صارخ يحتاج إلى إرادة قوية جداً، لكن حينما يتساءل هذه دعوة و هذا طعام طيب و هذه فرصة لن تتكرر، فكلما خرق النظام يأتي وقت يصبح الخرق هو الأصل، لذلك لا تجد إنساناً يطبق نظام تغذية عالي جداً إلا بإرادة صارمة لا يتزحزح عنها إطلاقاً.

فلذلك أيها الإخوة أنا لا أريد أن يقع الإنسان في اليأس:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر: 53]

و لا أريد أيضاً أن يقع الإنسان في التساهل، أن كل ذنب يغفر، كأن الله عز وجل في آيات عدة يقول:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة النحل: 119]

أما أن تفهم المغفرة فهماً ساذجاً أنه كلما أذنبت غفر الله لك هذا الذنب هذا فهم ساذج:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة النحل: 119]

و هناك ملمحان دقيقان، الأول في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)﴾

[سورة الزمر ]

كأن الله يبين لو بلغت ذنوبك عنان السماء غفرتها لك بشرط أن تتوب، أما إن لم تتب فهناك معالجة قاسية تنتظر المؤمن.

ملمح آخر:

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)﴾

[ سورة الحجر ]

يبين إن لم تستغفر فالأمر خطير و يحتاج إلى معالجة.

مرة طبيب قال لمريض أعجبتني عبارته فحص له قلبه قال له قضيتك كبيرة صغيرة بآن واحد، إن تابعت الأمر و عالجته فالقضية سهلة، و إن أهملته الأمر كبير، كلام علمي و دقيق و موضوعي، و أنا أقول لكم قياساً على هذه المقولة الذنب كبير صغير، إن لم تصر عليه فهو صغير، لا صغيرة مع الإصرار، و لا كبيرة مع الاستغفار، إن استغفرت الله منه فهو صغير، و إن أصرت عليه فهو كبير.

إذاً إذا كبر الذنب عندك صغر عند الله، و إذا صغر عندك كبر عند الله.

الآن إن أصرت عليه كبر عند الله و إن كان صغيراً، و إن بادرت إلى الاستغفار صغر عند الله و لو كان كبيراً.

ثم إن بعض الشعراء يقولون:

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته و مدمن القرع للأبواب أن يلج

فالمؤمن مذنب تواب، و يدمن قرع باب الله عز وجل، يدمن التذلل إليه، يدمن الاستغفار، يدمن الخضوع.

أحياناً الإنسان يتأبى أن يتوب، ينبغي أن أشير هنا إلى قضية دقيقة و هي: أن هناك ذنباً يغفر، و أن هناك ذنباً لا يغفر، و أن هناك ذنباً لا يترك، فالذي يغفر ما كان بينك و بين الله، و الذي لا يترك ما كان بينك و بين العباد، و الذي لا يغفر هو الشرك بالله، و قد أجمع العلماء على أن قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾

[سورة النساء: الآية 48]

بشرط أن يصر على ذلك، حتى يأتيه الأجل و هو على هذا الذنب مصر، أما إذا تاب حتى الشرك يغفر إذا تاب العبد، إذا تاب العبد توبة نصوحة أنسى الله حافظيه والملائكة وبقاع الأرض كلها خطاياهم وذنوبهم.

أيها الإخوة الكرام، لعل موضوع التوبة من ألق الموضوعات التي يحتاجها الشاب في سيره إلى الله عز وجل في نقطة مهمة جداً في هذا الدرس، متى تتوب من الذنب؟ متى إنسان ما قاس ضغطه إطلاقاً هل يعالج نفسه من الضغط المرتفع؟ أو متى يعالج الإنسان نفسه من الضغط المرتفع؟ إذا علم أن عنده ضغطاً مرتفعاً، لذلك طلب العلم له فائدة كبيرة جداً في أنه يعرفك بموقعك من الدين، من دون طلب علم أنا إيماني أقوى من إيمانك وأنا إلى الجنة وهو ليس كذلك، إذا لعل طلب العلم يعد الخطوة الأولى في معرفة الذنب، الشرع مقياس فالذي معه المقياس يكشف موقعه من الشرع، أما من دون مقياس واحد ما طلب العلم قال له شخص أتعاونني في شراء هذا البيت؟ قال له ممكن، قال له البيت ثمنه فرضاً مليونان مني مليون ومنك مليون وأنا أضمن لك أجرة جيدة قال له ممتاز، قال له لكن في أية لحظة أريد المليون تؤديه إلي بالتمام والكمال قال له ممتاز، وكل الظن والوهم أن هذا أجار لكن لما الدائن ضمن دينه بالتمام والكمال فالأجرة هي فائدة ربا الأجرة، لو أن الدائن أعطى هذا الإنسان المليون ورضي حين يبيع حصته بسعر السوق فالأجرة أجرة ويأخذها حلالاً، أما حينما يضمن دينه فالأجرة هي فائدة.

إنسان ما طلب العلم تمر عليه يقول لك الحمد لله دفعت مليون أخذ أجر جيد الوضع، هذا الأجر الشهري هو فائدة قولاً واحداً، لذلك ما لم تطلب العلم ما تعرف موقعك من الدين أنت في معصية أو في طاعة، وبالضبط ينطبق هذا على اللغة العربية ما لم تتعلم هذه اللغة، ما لم تعرف قواعدها وعلومها لو استمعت إلى نص فيه مئة خطيئة تنثني على القارئ ما شاء الله أعجبتك نبرته فقط لكن لأنك لا تعلم دقائق اللغة ولا أساليبها ولا علومها لا تعرف الخطأ من الصواب.

لو واحد قال أمام أحد الأشخاص غير المتقين بهذه اللغة.

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب ألقى في الله مصرعي

حركة نقلته من الجنة إلى جهنم، حركة.

ولست أبالي حين أقتل مسلماً إلى الجنة أما ولست أبالي حين أقتل مسلماً في النار خالداً مخلداً، حركة فإذا أنت لا تتقن اللغة العربية لا تعلم ماذا تقول، إذا الآن الكلام ما لم تطلب العلم لا يمكن أن تعرف ذنبك، ما لم تقس ضغطك لا يمكن أن تعالج الضغط المرتفع إذاً توبة فيها جانب معرفي، التوبة فيها جانب سلوكي إقلاع عن الذنب في الحاضر إصلاح في الماضي عزيمة للمستقبل، إقلاع، إصلاح، عزيمة، هذا السلوكي، المكافأة هي المغفرة لذلك قالوا الإنسان يتعامل مع المحيط بقانون أساس القانون إدراك فانفعال فسلوك، تماماً كما لو رأيت أفعى في بستان الإدراك أولاً، إن صح الإدراك كان الاضطراب، وإن صح الاضطراب كان السلوك، إدراك من دون اضطراب معنى ذلك مشكوك بأمر الإدراك، الآن عدم السلوك مع الاضطراب مستحيل، مادام في اضطراب في سلوك، إدراك اضطراب سلوك.

حديث آخر يقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ))

[ مسلم، أحمد ]

معنى ذلك أن الله عز وجل في النهار ينتظر منك أن تتوب من شيء فعلته في الليل، وفي الليل ينتظر منك أن تتوب من شيء فعلته في النهار،

(( إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ))

أيها الإخوة الكرام، ما من أخ كريم يسألني حلاً لمشكلة عويصة ولا أجد لها حلاً إلا نصحته بما يلي أقول له صل قبل الفجر ركعتين، لأن الله عز وجل إذا كان ثلث الليل الأخير نزل ريكم إلى السماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب حاجة فأقضيها له؟ هل من سائل فأعطيه؟ حتى ينفجر الفجر، رب العزة خالق السماوات والأرض ينزل إلى السماء الدنيا لينتظر من عبده أن يتوبوا ليتوب عليهم، أن يستغفروه ليغفر لهم، أن يسألوه ليعطيهم، أن يطلبوا حاجاتهم ليديها لهم.

ما عندي حل أقوى من هذا الحل أنني أضعك في باب الله وباب الله عز وجل مفتوح لكل عبد من عبده من دون استثناء إن أكرمكم عند الله أتقاكم،

(( إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ))

لكن لا بد من أن نقف قليلاً عند كلمة حتى تطلع الشمس من مغربها، طبعاً لا أدخل فيما كان بين العلماء حول هذه العبارة، هل يعقل أن تطلع الشمس من مغربها؟ يعقل ولا يعقل، إذا أرادها الله معجزة يعقل لأن المعجزات تقبل عقلاً ولا تقبل عادة أما عقلاً مقبولة لكن في ملمح لطيف أنا أراه جيداً حينما لا ترى الدين شيئاً ولا ترى الوحي شيئاً ولا ترى القرآن الكريم شيئاً ولا ترى أنبياء الله شيئاً ولا ترى القيم الأخلاقية شيئاً ولا ترى المبادئ شيئاً بل لا ترى إلا الشهوة ولا ترى إلا التقنية العالية التي تأتي من بلاد الغرب ولا ترى العلم إلا هناك ولا الحياة الناعمة إلا هناك ولا الحياة الواقعية إلا هناك، حينما ترى الشمس وهي رمز العلم تطلع من الغرب عندئذ لن تتوب، لن تتوب، هذا شيء واضح جداً حينما يأتي الإنسان من بلاد الغرب يعني لا يرى شيئاً، مثلاً ممكن وزير في بلد أوربي بمؤتمر صحفي يقول أنا شاذ جنسياً لأن الشمس طلعت من الغرب إذاً يفخر بالمعصية، في أشياء يصعب أن تصدق أيها الإخوة الكرام، أما إذا رأيت الغرب هم البشر، هم الراقون، هم الحضاريون، هم المتفوقون، هم الذين عرفوا كيف يعيشون، هم الذين استمتعوا بالحياة كما يشاءون، هم الذين قدورا قيمة الإنسان، وهذه الأديان التي في الشرق الأوسط أديان تخلف وأديان رجعية وأديان ضيقة الأفق وأديان من بقايا ضعف الإنسان أنت حينما تعتقد كذلك لا في توبة أمامك ولا في قبول توبة ولا في شيء، أنا لا أرى تفسيراً لهذه العبارة التي تكثر في بعض الأحاديث حتى تطلع الشمس من مغربها، مادام الحق من المشرق وحي السماء، مادام المنهج القويم

سنة النبي عليه الصلاة والسلام، مادامت القيم تعلق ولا يعلى عليها، مادامت المبادئ هي تحكم حركة الإنسان، معنى ذلك أن الشمس رمز الحضارة رمز العلم رمز الوضوح رمز النور من الشرق إذاً باب التوبة مفتوح على مصراعيه أما حينما ندير ظهورنا لهذا الدين العظيم نراه سبب تخلفنا.

كنت في أستراليا على الإذاعة فجاء سؤال قبل انتهاء الندوة بدقائق السؤال أن هذا الدين دين تخلف دين الجهل دين القتل دين الإرهاب ألقى على مسمعي وقبل نهاية الندوة بدقائق عشرين تهمة فقلت له تعلم علم اليقين أن الوقت قد انتهى وكل تهمة من هذه التهم الظالمة تحتاج إلى ساعة أو أكثر كي أفند لك هذا الاتهام الظالم ولكن أعطيك جواباً جامعاً مانعاً واحداً ما ضر السحاب نبج الكلاب، وما ضر البحر أن ألقى فيه غلام بحجر، ولو تحول الناس إلى كناسين ليثيروا الغبار على هذا الدين ما أثاروه إلى على أنفسهم والإسلام في العلياء، الله عز وجل قال:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ (112)﴾

[ سورة الأنعام ]

قبل أشهر صدر في لبنان كتاب يقول هذا الكتاب إن آلهة قريش آلهة ديمقراطيون لأن كل إله قبل الإله الآخر أما إله محمد إله قمعي لم يقبل معه إله آخر، كلام مضحك أليس لا إله إلا الله، قال تعالى:

﴿فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ (112)﴾

[ سورة الأنعام ]

وطنوا أنفسكم على أن معركة الحق والباطل معركة طويلة وأن معركة الحق والباطل معركة هي قدرنا وأن بطولتنا أن نقف متصدين لها، أريد أن أؤكد حقيقة هي أنه ليست المشكلة أن تأتي مصيباً، أو أن يأتي عدواناً، أو أن تكون هناك حرب ضروس بين الحق والباطل، ليست المشكلة أن يقف العالم كله ضد هذا الدين العظيم، ليست المشكلة أن يتفق العالم على محاربة المسلمين، المشكلة أن نقف الموقف الكامل من هذه المشكلة، الموقف الكامل أن نتصدى لكل هذه الحملات الظالمة، قال تعالى:

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾

[ سورة محمد: 4 ]

سبحان الله بقدر ما في هجمة شرسة في يقينيات الآن تظهر قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾

[ سورة القمر ]

كلما تقدم العلم كشف عن جانب من إعجاز هذا القرآن الكريم، قلت لكم مرة أنه أكتشف فضلاً عن أن قزحية العين هوية، ورائحة جلد الإنسان هوية، ونبرة صوته هوية، وزمرته النسيجية هوية، وبلازما الدم هوية، والبصمة هوية، الآن ثبت أن تركيب نطفته هوية وليس على وجه الأرض نطفة تشبه نطفة أخرى وأن عند المرأة جهازاً يستقبل هذه النطفة ويدخلها في برنامجه وأن هذه النطفة مادامت تدخل للمرأة بشكل مستمر الوضع الطبيعي جداً ولا شيء عليها أما إذا دخلت عدة نطاف في وقت واحد فالمرأة معرضة بأن تصاب بسرطان الرحم، ولن تستطيع المرأة أن تستقبل نطفة أخرى من دون أن تمس بأذى إلا بعد انقطاع النطفة الأولى ثلاثة أشهر هذه العدة، النطفة الأولى انقطعت ثلاثة أشهر الآن رحم المرأة والجهاز الذي يبرمج هذه النطفة مستعد لاستقبال نطفة جديدة أما في حالات الشدة النفسية يجب أن يمضي أربعة أشهر وزيادة حتى تكون المرأة مستعدة لتلقي نطفة جديدة، معنى ذلك أن عدة المتوفى عنها زوجها وعدة المطلقة لها علاقة ببنية المرأة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (116 - 127) : الترغيب في الرفق والأناة والحلم

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-05-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الترغيب في الرفق والأناة والحلم :

أيها الإخوة الكرام؛ لازلنا في كتاب إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم واليوم الترغيب في الرفق والأناة والحلم، وتعلمون أن الحلم سيد الأخلاق وكاد الحليم أن يكون نبياً ذلك لأنك إذا كنت حلماً وكنت هادئاً وكنت رقيقاً استطعت أن تتخذ قراراً حكيماً، أما الإنسان حينما يغضب ، وحينما يثور ، وحينما يهيج ، يصبح في تفكيره بعيداً عن الصواب، لذلك ورد في بعض الأحاديث الشريفة وصية النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه قال لا تغضب، أنت حينما تغضب فقدت الصواب وفقدت الرؤية الصحيحة، لو ذهبنا نعد المصائب والنكبات التي ألمت بالشعوب والأمم بسبب غضب طارئ لوجدنا ويلات حروب طحنت المجتمعات البشرية، حروب انتهت بخمسين مليون قتيل وبمئة مليون جريح بسبب غضب طارئ بسبب حمق أتى من سوء رؤية.

أيها الإخوة الكرام ؛ كلمة الحلم والغضب يحتاجها الفرد وتحتاجها الأمة لذلك يقول عليه الصلاة والسلام عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

[ متفق عليه ]

ألا ترى هؤلاء الذين يدنسون المصحف ؟ الله عز وجل يمهلهم ولا يهملهم ، ألا ترى أولئك الذين يلحدون في أسماء الله ؟ ألا ترى أولئك الذين يتناولون على القرآن ، ومع ذلك الله عز وجل يمهلهم ولا يهملهم ، فالرفق في المعاملة يجب أن تعرف حقيقة أن الفرق الدقيق بين مؤمن وغير مؤمن ، ليست العبادات الشعائرية التي يؤديها المؤمن الفرق الدقيق بين المؤمن وغير المؤمن ، فرق في كيان المؤمن ، بطريقة تفكيره ، بطريقة تلقيه للمؤثرات الخارجية ، بطريقة ردود فعله ، بطريقة معالجته للأمور ، فكلما ارتقى الإيمان صارت الحكمة دين المؤمن ، يقول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب ومع الشخص المناسب وفي الظرف المناسب ولا أبالغ أيها الإخوة الكرام، أن أتمن شيء يمنحك الله إياه أن تكون حليماً .

## الحكمة .

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة: 269]

والحكمة لا توتي وأنت غاضب، الحكمة لا توتي وأنت تائر، الحكمة لا توتي وأنت هائج، أنا أذكر أن الإنسان حينما يغضب غضباً شديداً وحينما يبتعد عن الرفق يتخذ قراراً مضرراً له وكأنه يحفر قبره بيديه، وكأنه يهدم بيته بيديه وقد أشار القرآن لهذه الحالة قال تعالى:

## ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾

[ سورة الحشر : 2 ]

ساعة غضب قد تطلق بها امرأتك ، تشريد الأولاد وظلم المرأة وتحمل النتائج والعواقب ، لكن لو سألتني سؤال علمي من أين يأتي الحلم ؟ من أين يأتي الرفق ؟

هنا محط الشاهد وهنا جوهر الدين .

مكارم الأخلاق مخزونة عند الله، الله عز وجل أسماؤه حسنى وصفاته فضلى .

### مفهوم القيم .

أي إنسان آمن بالله أولاً ، واستقام على أمره ثانياً ، وتقرب إليه بالعمل الصالح ثالثاً .

صار الطريق إلى الله سالكاً، أي أقبل على الله .

ما من إنسان يتصل بالله عز وجل إلا ويشفق منه الكمال .

تتصل بالرحيم وتقسو ! مستحيل .

تتصل بالإله العادل وتظلم !

تتصل بالحليم وتعضب !

لكن لئلا يأتي سؤال مصاد قد تجد كافراً حليماً، هادئاً، مترناً، هذا الخلق الذي يتمتع به .

من ابتعد عن الدين لا علاقة له بهذا الدرس .

هذا الخلق سببه الذكاء ، لكن لو أن هذا الذي ابتعد عن الدين ورأيته حليماً هادئاً إذا هدبت مصالحه ينقلب إلى ثور هائج، ويدمر كل شيء، ولا يعبأ بشيء، وهذا الذي حصل بعد الحادي عشر من أيلول، كنت أقول لكم دائماً قبل خمسين عاماً قلة قليلة جداً من كبار المفكرين كشفت حقيقة الغرب لكن الخط العريض في المجتمع توهم أن الغرب حضارة، وأن الغرب قيم، وأن الغرب أخلاق، فالإنسان الذكي يستطيع أن يسلك سلوك الأخلاقيين بذكائه،

وقد تجد أحياناً إنسان اجتمعت مصلحته مع مكارم الأخلاق ، يطبق مكارم الأخلاق ، لا لأنه يعبد الله ولكن لأنه يعبد المال ، وهذا يجد التجار مع الشركات الأجنبية وعد دقيق صدق عجيب بضاعة متقنة وأي شيء تقوله لهم يصدقونك به يعطونك التعويض أنت تعجب بهم، هذه نقطة مهمة جداً أيها الإخوة الكرام، إذا رأيت خلقاً رفيعاً من إنسان بعيد عن الدين هذا الخلق سببه الذكاء وسببه الحرص على المصلحة الدنيوية ، لكن هذا الذي يعجبك بأخلاقه وسمته إذا هددت مصالحه ينقلب إلى ثور وإلى وحش ، فلذلك الدولة القوية التي نعمت بالاستقرار منتي عام والتي نما اقتصادها ونمت صناعاتها وكثرت أموالها وطرحت قيماً رائعة جداً جذبت قلوب أهل الأرض طرحت قيمة الحرية وقيمة الديمقراطية وقيمة حقوق الإنسان وقيمة العولمة وقيمة تكافؤ الفرص وقيمة حق المقاضاة وقيمة وقيمة... بلاد جميلة وأموال كثيرة وصناعات متقنة واحترام لا يصدق للإنسان وطرح قيم رائعة هذه أخلاق الأذكىاء فلما هددت مصالحهم الذي يفعلونه الآن في السجون لا يمكن أن يقبله إنسان مع حيوان لا مع إنسان، والذي ينشر من فضائح السجون ومن فضائح التعذيب يندى له الجبين، ومقام هذا الدرس لا يليق أن نذكر دقائق ألوان التعذيب .

في حرب العراق عرض على الشاشة جندي من جنودهم بكامل ثيابهم وبيده كأس شاي لأنه عرض على الشاشة لتوه صرح وزير الدفاع هناك أن هذا انتهاك اتفاقيات جنيف، أما أن يعرض رئيس دولة سابقاً بثيابه الداخلية هذا ليس انتهاكاً لحقوق الإنسان وليكن كائن من كان هذا إنسان كان يمثل دولة سابقاً لذلك تجد التناقضات في كل حذب وصوب، هذا العدو يتلقى منتي قرار لا ينفذ واحداً منها، قرار واحد يجب أن ينفذ فوراً متابعة يومية إلى أن نفذ هذا الكيل بمكيالين لا يحتمل، وابتدعوا أشياء ما أنزل الله بها من سلطان أن تضرب ضرباً مسبقاً قبل أن يفكر الطرف الآخر أن يقاتلك تضربه وتسحقه بلا سبب وبلا مبرر .

أيها الإخوة الكرام؛ أنا مضطر أن أوضح لكم أن الخلق الذي يبدو من إنسان بعيد عن الله هو خلق ناتج عن ذكائه، وما دامت مصالحه محققة فهذا الخلق يعجبك أما إذا هددت مصالحه ينقلب إلى وحش، حينما فتح الفرنجة القدس نجحوا في يومين سبعين ألف فلما فتحها صلاح الدين لم ترق قطرة دم واحدة وكان أهل القدس من المحتلين آمنين على دمائهم وعلى أموالهم وعلى أعراضهم وعلى متاعهم .

يعني أقول لكم أيها الإخوة الكرام ؛ الفرق بين المؤمن وبين غير المؤمن شعائرية .

المؤمن يصلي ذاك لا يصلي، هناك فرق صارخ في كل شيء ، في تلقي المؤثرات ، في الاستجابة ، في طريقة المعالجة ، في الهدف النبيل الذي يحمله، المؤمن أكاد أقول لكم المؤمن حي وغير المؤمن ميت، المؤمن ملك وغير المؤمن وحش ، وهذه الوحشية نراها كل يوم، أنماط التعذيب التي جرت في سجن أبو غريب العقل لا

يصدقها العقل لا يصدقها أين حريته؟ أين احترامهم لحقوق الإنسان؟ أين تقديس حرية الإنسان؟

أيها الإخوة الكرام؛ مجتمع المؤمنين يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، بينما مجتمع غير المؤمنين يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف.

الآن أي إنسان له قريب من الجالية الإسلامية في الغرب إن في أوروبا أو في أمريكا، لو أن أباً مسلماً دخل إلى غرفة ابنته فجأةً فرأى معها على السرير شاباً إذا غضب وعنفها بإمكانها أن تقوده إلى مركز الشرطة ليوقع تعهداً أنه بهذا الغضب لم يكن حضارياً، لأن هذا الصديق الحميم الذي ينام معها في الفراش جاء بناء على دعوة منها، يأمرهم بالمنكر.

في نيويورك مدرسة بنات، شابة في المرحلة الثانوية دخلت هذه المدرسة ترتدي ثياباً ترتديه الشابات السحاقيات، يبدو أن مدير المدرسة فيه بقية نخوة بقية تدين بقية شهامة فطردها.

بالمناسبة أيها الإخوة الكرام؛ الزنا مخالفة حكم شرعي أليس كذلك؟ الحكم هو الزواج لم يتزوج لكنه زنا.

لكن الشذوذ فضلاً عن أنه مخالفة حكم شرعي، مخالفة فطرة إنسانية، لذلك عقوبته القتل، فطردها، فأقام والدها دعوى على مدير المدرسة وريح الدعوى ودفعت المدرسة له تعويضاً عن طرد ابنته ثلاثين ألف دولار.

في فرنسا ثلاث فتيات صغيرات دخلن المدرسة وعلى رؤوسهن حجاب، قامت الدنيا ولم تقعد، الأمر وصل إلى الإليزيه إلى الرئاسة وصدر قرار بمنع أي فتاة في فرنسا كلها من دخول مدرسة بالحجاب، ثياب السحاقيات مسموح بها، التعري مسموح به، أن تمشي الفتاة وكأنها بلا ثياب مسموح به، أما أن تحتشم المرأة

ممنوع، هؤلاء يحترمون؟

أن يقف وزير إيطالي يقول أنا شاذ جنسياً بمؤتمر صحفي، أن يقف وزير بريطاني وزير الصحة يقول أنا شاذ، أن تعقد ملكة . التي ماتت بحادث . ملكة بريطانيا أن تعقد مؤتمراً صحفياً وقد بث على عشر محطات فضائية والذين شاهدوا هذا المؤتمر الصحفي يزيدون عن مئة مليون تقول أنا زنيت عشر مرات، والله الإنسان يقول أنا في أي عصر أعيش؟

هؤلاء يأمرهم بالمنكر وينهون عن المعروف، لا ترونهم كباراً لا تعظمهم لا يستحقون أن نلتفت إليهم، عندهم تفكك أسري لا يحتمل عندهم المخدرات شيوخ الجريمة، عدد اللواتي يأتين من آسيا إلى أوروبا وأمريكا يقترب من سبعمئة ألف فتاة تجارة الجنس الأبيض تجارة الرقيق الأبيض هؤلاء يؤتى بهم إلى أوروبا ليعملن بالدعارة، فلذلك

بمقياس الدين مقياس وحي السماء هؤلاء ساقطون لكنهم أقوىاء جداً وأذكياء جداً وأغنياء جداً وهذه الدنيا الكلمة الدقيقة الفاصلة نحن نائمون في ضوء الشمس هم يقظون في الظلام الدامس، نحن مع وحي السماء نائمون.

أيها الإخوة الكرام؛ يوجد في الأرض ثلاثة آلاف لغة الإنجيل مترجم إلى ألف و ثلاثمئة لغة والقرآن مترجم إلى أربعين لغة وحي السماء الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مترجم فقط إلى أربعين لغة بينما الإنجيل مترجم إلى ألف وثلاثمئة لغة، إذاً يعملون ونحن نائمون في ضوء الشمس .

أيها الإخوة الكرام ؛ صدقوا والكلمة من القلب إلى القلب ، وقت الكلام انتهى ، وقت السماع انتهى ، وقت إدمان الدروس انتهى ، وقت عمل اصنع شيئاً اصنع شيئاً لهذه الأمة، اعتن بعلمك هذا شيء، اعتني بأولادك هذا شيء، اعتني بصنعتك هذا شيء، احمل هم الأمة هذا شيء، رب أولادك هذا شيء، اصنع شيئاً واصمت، هذا الذي ينبغي أن نفعله الآن حجمك عند الله لا بحجم سماعك ولا بحجم إلقائك حجمك عند الله بحجم عملك قال تعالى:

### ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾

[ سورة الأنعام: 132 ]

إذاً النقطة الدقيقة في هذا الدرس أنك إذا رأيت إنساناً بعيداً عن الدين تعجبك أخلاقك قد يختل توازنك وأنا أكون معكم صريحاً لو رأيت إنساناً لا يصلي أخلاقي هادئ حكيم منصف صادق يختل توازنك لماذا الدين ؟ لا جدوى من الدين لكن هذا الذي بدا لك أخلاقياً وبدا لك هادئاً وبدا لك حكيماً حاول أن تستغذه قليلاً ينقلب إلى وحش كاسر عندئذ تستعيد توازنك .

صدقوا أيها الإخوة الكرام ؛ في تجربتي المتواضعة كلما التقيت بإنسان أعجبك بأخلاقه بصدقه بأمانته وحينما يعجبك تتساءل هذا إنسان أخلاقي ولا يصلي، أما حينما تكتشف أنه أحياناً يجرم بحق من حوله تستعيد توازنك، يجب أن تعلم علم اليقين أن الخلق العظيم الذي هو من خصائص المؤمنين لا يمكن أن يكون بضاعة الشاردين، لكن الله عز وجل ﴿ متكفل أن كل من أوهم الناس أنه أخلاقي أن يضعه على المحك الآية قال تعالى:

### ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 179 ]

الله عز وجل له امتحانات عجيبة تحدث عن نفسك ما تشاء، صنف نفسك مع من تشاء، أصبغ على نفسك كل كمال، لكن الله متكفل أن يعيدك إلى حجمك الحقيقي .

مرة تاجر كبير وله هيئة ترضي كثيراً وتزوج امرأة من بلاد الغرب هذه المرأة أحبته حباً جماً وأطاعته طاعة عمياء حتى لبست الحجاب الكامل حتى وجهها لم يكن مكشوفاً فإذا كانت في مجتمع إسلامي تسبق كل من حولها في صلاة الظهر في وقتها وفي صلاة العصر في وقتها شيء مدهش من يعلم الحقيقة ؟ لا أحد يعلم، حصل خلاف بينها وبينه فارتدت أفصح أنواع الثياب ونزعت الحجاب وتركت الصلاة وذهبت إلى المسابح، إذاً كل تدينها السابق مصلحة لأنها معجبة بزوجها ومصالحتها متوافرة عنده فعلت ما يرضيه فلما يبست منه تبين أن كل تدينها لا علاقة له لا بقناعتها و.....

معنى ذلك أن الله متكفل أن يضعك في حجمك الحقيقي هذا هو الابتلاء، أنا لا آخذ درهماً حراماً، درهم تأخذ طبعاً لكن إذا جاءك عرض خمس ملايين تفكر تقول عندي أولاد وهذه بلوى عامة والناس كلهم فسدوا وضع رأسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس، سقط الإنسان، أنت تقول ما آخذ لأن العروض خفيفة فالله عز وجل متكفل ادع ما تشاء الله عز وجل يتكفل أن يكشف حقيقتك، قال تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 179]

## حقيقة الغرب .

والذي حصل بعد الحادي عشر من أيلول كشف حقيقة الغرب وصدقوا أيها الإخوة الكرام، أن عقب هذه الأحداث في إنجاز إسلامي العقل لا يصدقه لكن غير مرئي، الإنجاز الإسلامي أن الساحة التي فيها المبادئ والقيم ليس فيها الآن إلا الإسلام أما الغرب قوي جداً سقط كحضارة وقيم وبقي كقوة غاشمة فقط، قبل خمسين عاماً قلة قليلة من مثقفي الأمة يكشفون حقيقة الغرب أما الآن أطفالنا يكشفون حقيقة الغرب، الذي يجري بالعراق لا يصدق، الله عز وجل يتكفل أن يكشف الأفراد والكيانات الكبرى على حقيقتها، فلذلك انطلاقاً من موضوع الرفق ومكارم الأخلاق هذا التعليق ضروري جداً كي تفرق بين أخلاق العابدين وبين أخلاق أصحاب المصالح ، ترى شخصاً قضية ليس لها حل بالقانون، القانون مثلاً مع المستأجر قبل أحدث قانون إيجار ما في أمل المستأجر

مالك ، القانون معه والبيت حكماً في ملكه صار هذا الإنسان يلجأ إلى العلماء سيدي هذا بيتي وهذا مغتصبه وما الحكم الشرعي ؟ الإنسان نفسه هناك قضية في الشرع ليست في صالحه يلجأ إلى القانون هو يبحث عن مصلحته إن وجدها عند العلماء لجأ إليهم وإن رآها عند رجال الحكم والقانون والمحاكم لجأ إليهم هذه الازدواجية، ترى إنسانة داعية، داعية كبيرة في أمريكا تختلف مع زوجها ترفع أمرها لا إلى قاض مسلم القاضي المسلم يعطيها مهرها فقط ترفع أمرها إلى قاض غربي ليعطيها نصف أملاك زوجها، قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[ سورة المائدة: الآية 47 ]

هذه الازدواجية فلذلك المسلمون من ازدواجيتهم ومن تقصيرهم ومن إيمانهم السماع والإلقاء من دون عمل فقدوا خيريتهم، الآية دقيقة جداً، قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[ سورة المائدة: الآية 18 ]

وإذا قال المسلمون قياساً على هذه الآية نحن أتباع سيد الأنبياء والمرسلين نحن أمة محمد ﷺ نحن خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى:

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

[ سورة المائدة: الآية 18 ]

هذا الرفق رفق العبادة أصيل أما رفق الذكاء طارئ وهش وسريعاً ما يلغى وتحل محله القسوة والعنف .

الحديث الأول : إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله .

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

[متفق عليه]

هذه رواية البخاري ومسلم يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ يعني مع زوجتك ومع أولادك ومع جيرانك تمهل قبل أن تتخذ قراراً قاسياً قبل أن ترفع عقيرتك بالسباب تمهل .

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

كن رقيقاً مع أولادك علموا أولادكم ولا تعنفوهم فإن المعلم خير من المعنف.

الحديث الثاني : إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي .....

وفي رواية لمسلم:

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))

لا تكن عنيفاً صدق أيها الأخ الكريم يمضي على أهل البيت سنوات وسنوات ولا ينطق أحدهم بكلمة نابية ولا بسباب وتجد أناساً في بيوتهم أقسى الكلمات وأقسى العبارات وعنف ما بعده عنف يجب أن يكون بيت المسلم جنة أيها الإخوة الكرام، أنا أتمنى على كل أخ كريم أن يقيس مكانته في البيت هل إذا دخل إلى البيت كان عيد عند أهل البيت أم إذا خرج ؟ هو في عيد لكن العيد متى إذا دخلت أم إذا خرجت ؟ الأب السيئ العيد إذا خرجت يتنفسون الصعداء والأب الجيد العيد إذا دخل.

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))

((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْغَنِيِّ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))

سبحان الله في حديث الإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله.

أنت إذا غششت الإنسان هدمت بنيان الله، ضحكت عليه وإذا كذبت عليه هدمت بنيان الله، وإذا ضيقت عليه هدمت بنيان الله، وإذا أخرجته هدمت بنيان الله، وإذا ابتزرت ماله بغير حق هدمت بنيان الله، وإذا ضيقت عليه حتى يعطيك شيئاً من دخله هدمت بنيان الله، وإذا آذيته هدمت بنيان الله، تصور هناك مصالح والله الذي لا إله إلا هو أتمنى من أعماق أعماق قلبي ألا يتورط مسلم في بعض المصالح لأنها مبنية على إيذاء الناس أو على بث الرعب في قلوبهم أو على ابتزاز أموالهم أو على انتهاك حرمتهم لا تقبل بعمل لا يرضي الله عز وجل، مرة زرت إنساناً بمكتب لا يوصف الغرفة مغلقة من الداخل بأرقى أنواع الخشب من أجل عزل الصوت عزل حراري وعزل الصوت والأرض مفروشة بأرقى أنواع الأرضيات والمكتب فقال لي صاحب هذا المكتب وهو متألم أشد الألم قال لي أنا عملي قال لي باللغة الإنكليزية قال عملي اسمه ديرتي وورك العمل القذر، انظر إحساس الإنسان أنه قذر، أرقى شيء عند الإنسان أن يحترم ذاته وأكبر مشكلة أن تحتقر ذاتك وقد تكون في أعلى مكان ولا أحد يجرو أن ينطق بكلمة عنك ومع ذلك تحتقر ذاتك.

إذا إنسان تاجر مخدرات وسكن ببيت ثمانين مليون وفرشه بعشرين مليون وسيارته بأربعة وعشرين مليون قبل تنزيل الأسعار طبعاً ودخلت على بيته هل تعجب به؟ ألا تحتقره من أين جاء بهذه الثروة؟ من تدمير الأسر، من بيع المخدرات للشباب، من إنشاء مجتمعات هالكة فذلك يقال هناك عاطفة عميقة وعاطفة سطحية الإنسان المتعلق بالمظاهر يحترم الأغنياء أما حينما تعلم أنه قد يكون هذا المال من طريق غير مشروع أو مبني على هدر حقوق الآخرين أم على ابتزاز أموالهم أو على بث الرعب فيهم ينبغي أن لا تحترم هذا الإنسان فأنت كمؤمن يمكن أن تحترم وأن تبجل إنساناً فقيراً ويمكن أن تزدرى إنساناً قوياً أو غنياً.

فلذلك العبرة في الإنسان بأخلاقه أما المشكلة الآن العصور متنوعة لكن في مفكر في الجزائر مشهور جداً له كتاب وهو على صواب يرى أن العصور لها ثلاث هويات هناك عصر مبادئ سيدنا عمر لما استقبل جيلة بن الأيهم وكان ملكاً إذا واحد انضم إليك وهو ملك هذا مكسب كبير فلما ضرب بدوياً بسبب أن هذا البدوي داس

طرف رداءه وجاء البدوي إلى عمر يشكوه واستدعى جبلة وقال له ما الذي حصل ؟

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة: لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي.

قال سيدنا عمر: أرضي الفتى لابد من إرضائه، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك وتقال ما فعلته كفك .

فقال جبلة: كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ هو سوقة وأنا عرش و تاج كيف ترضى أن يخزّ النجم أرضاً ؟

قال عمر: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها أقمنا فوقها صرحاً جديداً وتساوى الناس لدينا أحراراً وعبداً.

قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعزّ، أنا مرتدّ إذا أكرهتني.

فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

ماذا نسمي هذا العصر ؟ عصر مبادئ المبادئ فوق الشخص بالمناسبة أيها الإخوة الكرام، كلما كبر المبادئ صغر الشخص سيد الخلق قال تعالى:

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾

[ سورة الأنعام: الآية 50 ]

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

[ سورة الكهف: الآية 110 ]

كلما كبر المبدأ صغر الشخص وكلما كبر الشخص صغر المبادئ، قال فرعون:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾

[ سورة النازعات: الآية 24 ]

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾

[ سورة القصص: الآية 38 ]

في عصر الأشخاص يعني عصر فرعون، الطاغية هو كل شيء، في عصر ثالث عصر الأشياء يعني كل كيانك متعلق بسيارة بقصر ببيت بمنصب بأجهزة حديثة بأجهزة عالية جداً تستمد مكانتك من مساحة بيتك أحياناً من موقع بيتك من نوع سيارتك من رقم سيارتك مئة وثمانين شيء و الستمئة شيء آخر في فرق بينهم، مكانتك كلها كيانك كله من نوع بدلتك بيركارديان يقول لك والحذاء ريد شوذ يعني كل ماركة عالية جداً نحن الآن بعصر الأشياء وقبل حين في عصر الأشخاص وفي عهد النبوة عصر مبادئ وإن لم تحكم المبادئ لن نرقى .

يا فاطمة بنت محمد يا عباس عم رسول الله أنقذا نفسيكما من النار أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً، لا يأتيني الناس بأعمالهم و تأتونني بأنسابكم من يبطل به عمله لم يسرع به نسبه.

هل تصدقون أن في قصة طويلة ذكرتها مرة لكن ملخصها أن أنصاري سرق درعاً وقد ألصق هذه التهمة بيهودي وضع الدرع بكيس من الدقيق والكيس منقوب وأخذ الدرع إلى اليهودي وقال ضعه عندك أمانة فلما فقد صاحب الدرع درعه وشكا إلى النبي عليه الصلاة والسلام رأوا أثراً أن هذا الدرع عند اليهودي وجاء أهل الأنصاري إلى النبي عليه الصلاة والسلام هذا من صحابتك هذا لا يسرق السارق هو اليهودي والنبي لم يحكم بعد وكل إنسان يتمنى أن يكون أخوه بريئاً فجاء تعنيف الله عز وجل لسيد الخلق فنزل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾

[ سورة النساء: الآية 105 ]

هذا عصر مبادئ وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تحكم المبادئ في حياتنا المبادئ إذا حكمت انتهى كل شيء .

((إِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))

[ متفق عليه ]

### الحديث الثالث : إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه .

الحديث الثالث أيضاً عن الرفق: عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

[ مسلم، أبو داود، أحمد ]

كل شيء مع الرفق يزينه وكل شيء مع العنف يشينه لذلك لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي أن أحد أصحابه أرسل كتاباً إلى قريش يقول فيه إن محمداً سيغزركم فخذوا حذرکم، خيانة عظمى في كل الأمم والشعوب وفي كل الأنظمة من آدم إلى يوم القيامة ترسل كتاباً للعدو تحذره من غزو بلدك له فالنبي الكريم استدعى حاطب بعد أن جاء بالكتاب من امرأة كانت في طريقها إلى مكة قال ما هذا يا حاطب ؟ ماذا فعل عمر؟ قال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق وانتهى الأمر، قال له لا يا عمر إنه شهد بديراً تعال يا حاطب لما فعلت ما فعلت ؟ قال والله يا رسول الله ما كفرت ولا ارتددت ولكنني لصيق في قريش لست من شجرتها وأنا موقن بنصر الله لك أردت بهذا الكتاب أن أحمي مالي وأولادي هناك فاغفر لي ذلك فقال عليه الصلاة والسلام إنني صدقته فصدقوه ولا تقولوا فيه إلا خيراً.

أرأيت إلى الرفق كان ممكن أن يقتل أحياء، من هو أبو جهل ؟ لعله أعدى أعداء النبي عليه الصلاة والسلام لعله حارب النبي عشرين عاماً لعله تقنن في التنكيل في أصحاب النبي جاء ابنه مسلماً عكرمة قال لأصحابه جاءكم عكرمة مسلماً فإياكم أن تسبوا أباه فإن سب الميت يؤدي الحي ولا يبلغ الميت. ما هذه الأخلاق ؟ لا تسبوا أباه وهو أعدى أعداء النبي عليه الصلاة والسلام فإن سب الميت يؤدي الحي ولا يبلغ الميت.

عَنْ جَرِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ يُحَرِّمَ الرَّفْقَ يُحَرِّمَ الْخَيْرَ))

[ مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

معنى ذلك أن هناك علاقة بين الرفق وبين الخير، أنت بالرفق تأخذ بيد زوجتك إلى الله وبالرفق يحبك أولادك وينصاعون إليك وبالرفق يحبك شريكك وبالرفق يحبك جارك، الخير كله بالرفق والشر كله بالعنف السباب بالعنف والضرب من العنف ورفع الصوت من العنف فلذلك من سمات المؤمن أنه هادئ حليم ورفيق ويصبر ويفكر ويختار الكلمة المناسبة في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ومع الشخص المناسب وبالقدر المناسب.

((مَنْ يُحَرِّمَ الرَّفْقَ يُحَرِّمَ الْخَيْرَ))

أيها الإخوة الكرام ؛ كل أملي ورجائي أن يترجم هذا الدرس إلى سلوك، ادخل إلى بيتك سلم على أهلك تبسم أسألها عن أحوالها عن صحتها هل هي مرتاحة ؟ هل تشكو من شيء؟ احمل لأولادك قبلهم داعبهم اجعل بيتك جنة بالرفق كسر ابنك شيئاً، مرة طفل مسك شفرة في طقم مفروشات جديد حرك الشفرة على القماش فتح القماش وجدها لعبة لطيفة فخلال ساعة جعل هذا الطقم الغالي كله ممزق جاء الأب غضب وجاء بمسطرة وبدأ يضربه بحد المسطرة إلى أن اسودت يدها فاضطر إلى أن يقطع يدي ابنه قال له الابن يا بابا لا تقطعوا لي يدي سحب مسدس وأطلق على نفسه الرصاص وقتل نفسه، أرأيت إلى الغضب هذه قصة وقعت بالشام غضب من ابنه عاقبه عقاباً غير معقول يا ترى أيهما أعلى ابنك أم هذا الطقم ؟ وازن فلذلك .

((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))

فأرجو أن يكون هذا الدرس مترجماً إلى سلوك في بيتك في محلك في عملك في الطريق كن هادئاً يعني قال تعالى:

## ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

[ سورة النمل: الآية 27 ]

لكن في حالة اسمها برود تلك لا تحتل، إنسان دخل إلى جسر بعرض السيارة وداخل إنسان آخر على الجسر لا يرجع لا هذا ولا هذا هو فرنسي وإنكليزي، فالإفرنسي أحب أن يغيب الإنكليزي فتح قاموس لاروس أوقف السيارة وفتح القاموس قال له الثاني عندما تنتهي عيرني هذا القاموس.

هذا برود لا يحتل، يقولون دم بارد لا أقصد هذا، أقصد أن تكون رقيقاً هادئاً حليماً الأمر تعالجه بالمودة بالنصح بالموعظة أن تصبر أن تسجل خطأ أن تتابع أن تعاتب لا أن تكون عنيفاً صخاباً يعلو صوتك بالسباب وبالكسر وبالضرب وبما شاكل ذلك ليس هذا من أخلاق المؤمن بل إن الذي يعلو صياحه في البيت فيسمعه من في الطريق تخدش عدالته تجرح عدالته ولا تقبل شهادته.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس ( 117 - 127 ) : أنا عند حسن ظن عبدي بي

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 29-05-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، أكثر الإخوة المؤمنين يطمحون أن يكونوا من أهل العلم، أو من أهل الفضل، يطمحون إلى التقرب إلى الله بدعوة أو بخدمة، ببذل أو بإقناع، لأن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح، والدنيا كما ترون تغر، وتضر، وتمر، لكن هذا الطموح لدى أي أخ مؤمن أن يكون من أهل الفضل بعمله الصالح، أو أن يكون من أهل العلم بدعوته، هناك صفات نفسية لا تتوافق مع الدعوة إلى الله، بل إنها تلغي الدعوة إلى الله، بل إنها تحبط سعي داعي إلى الله، وسعي الذي يتقرب إلى الله بعمله الصالح، الحديث قصير جداً وموجز، وجامع ومانع، ورد في صحيح مسلم عن أبي الدرداء يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

[ مسلم، أبو داود، أحمد ]

قبل أن نشرح الحديث، شفعاء بعملهم الصالح، وشهداء بعلمهم، قال تعالى:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾

[ سورة النساء: 85 ]

أي عمل صالح الذي كان سببه في صحيفته هذه شفعاء، وأي عمل دعوي شهداء يشهدون للناس، حقيقة هذا الدين التوحيد،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

من هم اللعانون ؟ هناك نموذج أيها الإخوة الكرام، أنا أقول، ولا أتخفظ بذلك، نموذج شيطاني، الذين حوله لأي خطأ يهاجمونه، يقسون عليه، ينددون، يشهرون، يكبرون الأمر يفضحون، من المستحيل أن يأتي إنسان كما تتمنى تماماً، فأى خطأ، أي مفارقة، أي تعليق، أي تقصير يشهر، ويفضح، النبي عليه الصلاة والسلام عبّر عن كل هذه التصرفات الهوجاء الرعناء الخرقاء بكلمة ( لعان )، يلعن من حوله، ينتقدهم، يشهر بهم، يفضحهم، يشهر بهم على ملاء، لا يخجل، ولا يستحي، هو الحق وما سواه الباطل، هو على صواب، وما سواه على خطأ، هو النموذج الكامل، وأي مخالفة لنموذجه يعد هذا نقصاً، هذه النفسية، نفسية القنص والتجريح والتوبيخ والتفضيح والقسوة والتعليق اللاذع والازورار، هذه الأساليب لا يمكن أن تتناسب مع الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الله يجب أن يتميز صاحبها بسعة الصدر وطول النفس، وعمق التفكير وبعد النظر ورجاحة العقل، وأن يتميز بالحكمة. أنا أعجبتني مرة مديرة مدرسة تقول للمعلمة حينما تبتغي أن تعمل عندها تقول لها: هل تحبين الصغار ؟ إن كنت لا تحبينهم فلا يمكن أن تتجحي في عملك.

فأنت هل تحب من حولك ؟ هل تستوعبهم ؟ هل تغفر زلاتهم ؟ هل تعفو عن خطيئاتهم ؟ هل تتسع بهم ؟ هل تسامحهم ؟ هل تلتمس له العذر ؟ هذا الحد الأدنى لمن أراد أن يدعو إلى الله، أما أن يكون كل الناس خصوماً لك، وأقلّ خطأ تذبجهم من الوريد إلى الوريد فلا.

وذكرت مرة في الخطبة أن إنساناً صلى إلى جانبه شاب، يبدو أن هذا الإنسان وقور وكبير في السن، أعجبهته صلاة الشاب، فلما انتهى من صلاته من باب الإعجاب، ومن باب الثناء والتشجيع قال له كلمة مختصرة، مفادها أنني أدعو لك أن تصلي في بيت الله الحرام، فاختصرها بكلمة حرماً، هذا الشاب جحظت عيناه، وامتع لونه، وحد النظر في هذا الشيخ، وقال له: هذه الكلمة لم ترد عن رسول الله، هي بدعة، قال له: وماذا ورد عنه ؟ هل ورد عنه قلة الذوق ؟

هناك إنسان قاسٍ في دعوته، لسبب تافه، لمخالفة طفيفة جداً، لو قال لك: تقبل الله تقيماً عليه الدنيا، لو دعا إلى الله، ورفع يديه فهذه الطريقة في الدعوة المبنية على القسوة، على التنديد، على الإحراج، على التضييق، وعلى التنديد، وعلى التعقيد، وعلى الفحص، أنت لست قاضياً، أنت داع، قال بعض كبار العلماء: نحن لسنا قضاة، لكننا دعاة، قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

[سورة النحل: 125]

فهذه القضية أيها الإخوة الكرام، وأنا أقول لكم، ولا أبالغ: ليس على وجه الأرض من دون استثناء إنسان أفضل عند الله ممن قال تعالى عنه:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)﴾

[سورة فصلت]

لأنها صنعة الأنبياء، أي عمل صالح ينتهي عن الموت، أطعمته، أسكنته في بيت، زوجته، مات الزواج، انتهى البيت، انتهى الإطعام، لكنك لو هديته إلى الله إلى أبد الأبدين يسعد بهذا الهدى، أنا أقول دائماً: لك أب أنجبك، ولك أب زوجك، ولك أب ذلك على الله، الذي ذلك على الله منحك سعادة الأبد، أو كان سبباً في منحك سعادة الأبد، فذلك له ولاؤك، أما أن يأتي الإنسان ليدعو إلى الله بقسوة وغلظة، والذي أقوله دائماً أيها الإخوة الكرام: إن النبي عليه الصلاة والسلام كان قمة في الكمال، قمة في العفو، قمة في التسامح، قمة في الحكمة، قمة في الرحمة، قمة في اللطف، قمة في اللحم، ومع ذلك قال الله له:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: 159]

جمع الكمال البشري فيه، وجمع الجمال فيه، وجمعت الحكمة فيه، وجمع البيان فيه، أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، وأوتي الوحي، وأوتي القرآن، وأوتي المعجزات، وأيده الله، وبلغ سدره المنتهى، ومع كل هذه الخصائص المذهلة يقول الله له: أنت بالذات، قال تعالى:

## ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران: 159]

هناك تعليق لطيف، فأنت إن لم تكن نبياً، ولا رسولاً، ولا يوحى إليك، ولم توت جمال المنظر، ولا فصاحة البيان، ولا المعجزات، ولا الخوارق، ولا القرآن، ولست في قمة النسب، وكنت فظاً غليظ القلب، شيء مستحيل.

والله أيها الإخوة الكرام، أتكلم من أعماقي، أتكلم مما أرى من قسوة في الدعوة، واستعلاء، وكبر، هو في أعلى عليين، وهؤلاء الذين يدعوهم في أسفل سافلين.

الدعوة لها خصائصها، أقل ما في خصائصها المعلومات، وأكبر ما في خصائصها الصفات النفسية، مثلاً: هل يجرؤ شاب يقف أمام رسول الله يقول له: ائذن لي بالزنا؟ الآن هل يجرؤ إنسان يدخل على وزير العدل ويقول له: اسمح لي أن أسرق، هذه إهانة للوزير، اسمح لي أن أسرق، ائذن لي بالزنا، الصحابة الكرام هاجوا وماجوا، قال: دعوه، تعال يا عبد الله، لأنه يحب الإنسان، قال له: يا عبد الله،

(( أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِإِبْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذُنُوبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ))

[أحمد]

يقول هذا الشاب: دخلت على رسول الله وما شيء أحب إلي من الزنا، وخرجت من عنده وما شيء أبغض لي من الزنا، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أحب للإنسان، أحبه ولو كان عاصياً، عبد الله جاهل، الآن بريك لو كنت طبيباً في الجلدية، وجاءك مريض معه مرض في جلده، كله قيح، منظر مخيف، هل تحقد عليه؟ لا، لكنك تشفق عليه، فرق كبير بين أن تحقد عليه وأن تشفق عليه.

أيها الإخوة الكرام، هؤلاء العصاة، هؤلاء المنحرفون، هؤلاء الأغبياء، هؤلاء الذين يتجاوزون الحدود، المستكبرون هم جهال، إذا كنت مؤمناً كاملاً فلا تحقد عليهم، ولكن تشفق عليهم، والدليل أن إنساناً يتجرأ، ويسخر من نبي، إنسان يتجرأ، ويضرب النبي حتى يدمي قدميه، يتجرأ ويكذب النبي عليه الصلاة والسلام، والنبي جاء لهدايتهم، فجاءه ملك الجبال، قال: يا محمد أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك، لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال: لا يا أخي.

والله لما أتلو هذا الكلام، والله مئات المرات لا أرتوي منه، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون.

أولاً دعا لهم بالهداية، ولم يتبرأ منهم، واعتذر عنهم، وتمنى لهم ذرية صالحة، كم بنداً؟ اهد دعاء، ما قال: اهد هؤلاء، اللهم اهد قومي، هم قومي، وأنت كمؤمن هؤلاء المسلمون أهلك، هم في أخطاء، في معاص، في آثام، في انغماس بالملذات، في ضعف، في مخالفات، في ثقلت، هؤلاء أهلنا، بدل أن تنتقدهم، وأن تستعلي عليهم، وأن تحتقرهم حاول أن تهديهم، أن تشعل شمعة أفضل ألف مرة من أن تلعن الظلام، بدل أن تلعن الظلام مئة مرة أشعل شمعة واحدة، نمط اللعان مرفوض، نمط اللعان القناص المنتقد الذي يبحث عن العيوب، الذي يشهر، هذا النمط لا يمكن أن يكون صاحبه داعية إلى الله عز وجل، نمط يسبب الحرج، يسبب المرض النفسي، يسبب الحرج لا يندمل

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

قال له: يا عبد الله، قال: أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قال: لا، أفتعه.

أنا أقول لكم أيها الإخوة الكرام: لا تحاول أن تقمع حاول أن تقنع، القمع لا يسمن، ولا يغني من جوع.

أعرف رجلاً أنا أظنه صالحاً مستقيماً، وله أعمال طيبة، لكنه لم يقنع بناته بالالتزام، قمعهن فلما مات ثقلت بناته من حجاب إلى ثقلت كامل، لأنه قمع، ولم يقنع، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف ))

يجب أن تحب الناس، يجب أن تحبهم على علاتهم، هؤلاء أهلنا، هؤلاء المسلمون، بدل أن تنتقدهم، وأن تستعلي عليهم، وأن تحتقرهم، وأن تزدريهم ادع لهم بالهدى، اللهم اهدهم، ردهم إلى دينك رداً جميلاً، لولا أن النص صحيح، جيء لرسول الله بشارب خمر، فالصحابه لعنوه، قال: لا تلعنوه، إنه يحب الله ورسوله، علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن الإنسان أحياناً يعصي الله، لكنه مغلوب على أمره، ضعف أمام شهوته، هذه معصية، لا شك، معصية كبيرة، لكن بينها وبين الذي يستكف أن يعبد الله عن كبر بون شاسع، الشيطان أبا أن يسجد كبيراً، أما سيدنا آدم نسي، ولم يجد له عزماً، قال تعالى:

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾

[ سورة البقرة: 37 ]

أهون ألف مرة أن تستغفر من ذنب وقعت فيه غلبة من أن تستغفر من ذنب وقعت فيه استعلاءً وكبراً، قال تعالى:

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172)﴾

[ سورة النساء ]

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية: إن أردت أن تكون من أهل الفضل، أو من أهل العلم، إن أردت التقرب إلى الله ببيانك، أو بمالك فلا ينبغي أن تكون لعاناً، ولعان كلمة تعبر عن مجموعة صفات، النقد اللاذع، القنص، التشهير، الفضيحة، أن تنتقض على رؤوس الأشهاد، ألاّ تعبأ بكرامة الإنسان، لذلك الذي يحصل الآن النقد العلني، ينشر حزازات، وأحقاداً، وانتقاماً، ويكال الصاع عشرة أصوع، أما النصيحة فيما بينك وبينه فهذه لها معنى آخر، الناصح ينصح سراً، والفاضح يفضح علانية،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

يعني أعمالهم الصالحة لا تقبل .

أيها الإخوة الكرام، هذا الذي ارتكب أكبر خيانة ثابتة في تاريخ البشرية، الإنسان إذا أرسل للعدو معلومات ليكشف عورة المسلمين، حاطب بن بلتعنة أرسل كتاباً إلى قريش، إن محمداً سيغزوكم، فخذوا حذرکم، وجاء الوحي النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبره بما كان، والنبي أرسل صحابيين أحدهما سيدنا علي رضي الله عنه إلى ما بين مكة والمدينة، و جاؤوا بالكتاب من امرأة في طريقها إلى مكة، وجيء بحاطب، وسيدنا عمر واقف، قال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال له: لا يا عمر، إنه شهد بدرًا، أُرأيت إلى هذا الوفاء ؟ أُرأيت إلى هذا الحلم ؟ أُرأيت إلى هذه الرحمة ؟ لا يا عمر، إنه شهد بدرًا، يا حاطب تعال، ما حملك على ما فعلت ؟ قال: والله يا رسول ما كفرت، ولا ارتددت، ولكنني لصيق في قريش، وأنا موقن بنصر الله لك، لكنني أردت بهذا الكتاب أن أحمي مالي وأهلي، فاغفر لي ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: إني صدقته فصدقوه، ولا تقولوا فيه إلا خيراً.

أنا ألح في هذا اللقاء، وفي هذا الدرس على أن تحب من حولك، الدين كله حب، أن تحب جميع الناس على اختلاف مستوياتهم، أنت حينما تحبهم تأخذ بيدهم، وكأن في سريان مشاعر بينك وبينهم، أنت محب، قد يقسو، لكنه محب، والمجامل قد يحقد، لكن مجاملته لا تصل إلى قلبك، ابتسامه ظاهرة، ابتسامه خادعة، وأحياناً قسوة من إنسان محب، لذلك من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

[ سورة النحل: 125 ]

في مئات الأساليب يجب أن تنتقي الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله.

(( لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

وطن نفسك أن تستوعب الناس، أن تحلم عليهم، وطن نفسك أن تلتمس لهم العذر، وقد ورد أن التمس لأخيك عذراً، ولو سبعين مرة، وطن نفسك أن تعاملهم كما تحب أن يعاملوك.

هناك نقطة دقيقة أتمنى أن تكون واضحة عندهم، العالم الغربي طبقها لا عن تقرب إلى الله، لكن عن ذكاء، كل بني آدم خطأ، حاول أن تعطي من حولك إذا أخطأ فرصة ليصحح، أكثر إدارتنا للمعامل والمؤسسات والمحلات التجارية إدارة لا تغفر، أول خطأ يسرحه، أنا أتمنى أن نفتدي بالنبي الكريم في معاملته لحاطب بن

بلتعة، أخطأ، واعترف، أنا لا أنسى هذه القصة، ورويتها لكم يمكن عشرات المرات.

خطيب جامع بأحد أحياء دمشق العريقة، يرى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه، يقول له: أبلغ جارك فلاناً أنه رفيقي في الجنة، جاره فلان بائع متواضع جداً، سمان، وهو خطيب ومتعلم، فصاحة، و أدلة، ومركزاً، واعتلاء منبر، الخطيب كسر خاطره، هذه البشارة لي أم له، لمن هذه البشارة ؟ للسمان المجاور له، فذهب إليه مكسور القلب، قال له لك عندي بشارة من رسول الله ﷺ، ولكن والله لا أعلمك إياها إلا إذا أنبأتني ماذا فعلت مع الله حتى كانت هذه البشارة ؟ قال له: تزوجت امرأة، وبعد خمسة أشهر بالتعبير النسواني بطنها إلى حلقها، هذا الحمل ليس منه، زلة قدم، ويبدو أنها ندمت أشد الندم، قال له: بإمكانني أن أطلقها، ومعني حق، وهذا هو العدل، وبإمكانني أن أفصحها، ومعني الحق، وهذا هو العدل، وبإمكانني أن أسحقها، ومعني الحق، وهذا هو العدل، لكنني آثرت الإحسان، لأن الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[ سورة النحل: 90 ]

أردت أن أجعل توبتها على يدي، أتى بقبالة، فولدتها، وحمل الطفل تحت عباءته، وانتظر حتى نوى الإمام صلاة الفجر، دخل، ووضع الطفل وراء الباب، واثم بالإمام، فلما انتهت الصلاة بكى الطفل، وتحلق الطفل حول هذا الطفل مدهوشين، فاقترب منهم، قال: ما الخبر ؟ قالوا: تعال، وانظر، طفل، قال: أنا أكفله، فأخذه أمام الحي على أنه أخذه ليكفله، وردة إلى أمه، وتابت على يديه.

أنا أقيس على ذلك أي إنسان يشكو من زوجته، أنا أقول: أعطها فرصة إن تابت فلك أجر لا يعلمه إلا الله، أقرأ هذه الآية دائماً:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[ سورة النحل: 90 ]

مرة أخ يعمل في إنشاء البيوت، فاشترى أرضاً من المحافظة، اشتراها خالية، لكن فيها حانوت يعمل فيه صاحبه بالحلاقة، فلما طال تسليم المحل أبلغ المحافظة، وجاءت، وهدمت المحل، فجاءني في هذا المسجد، قال: هذا أحد إخوانك أمر بهدم المحل، وتركني في الطريق، هذا شيء يرضيك؟ قلت: لا والله، فالأخ طلبته، قال: أنا اشتريت المحضر فارغاً، وهو تأخر بتسليم المحضر، وأنا أريد أن أعمل، وليس له عندي شيء، قلت له: صحيح، هذا هو العدل، أين الإحسان؟ انتبه، قال لي: أقدم مبلغاً، وأخذنا له محلا في الجبل، هذه الآية، قال تعالى:

### ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

[سورة النحل: 90]

مليون قضية لا تحل بالعدل، بالإحسان تحل، فأنت مأمور بالإحسان، كما أنك مأمور بالعدل تحتاج إلى حب. ليست القضية قضية سحق، ولا قضية فضح، والله أنا في نشوة بموقف النبي عليه الصلاة والسلام من صحابي عنده بستان دخل إنسان إلى البستان، وأكل منه من دون إذن، بحسب النصوص هو سارق، بحسب ما على الشبكية سارق، فقيده، وساقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام على أنه سارق، قال: هذا أكل من بستانني، فالنبي أجابه إجابة هي الآن منهج، والعالم الآن كله لو أخذ بها لما كنا فيما نحن فيه، قال له: هلا علمته إذا كان جاهلاً، وهلا أطعمته إن كان جائعاً؟ صحيح هو أكل من دون إذن، لكن هل فكرت أن تقول لي: ماذا أكل؟ والله يا أيها الإخوة الكرام، لو طبقنا هذا الحديث لنجحنا، لكن فكر هذا لماذا فعل ذلك؟ عنده مشكلة، حاولت تفهم مشكلته، يقول لي: ابني يسرق، لا تعطه شيئاً، يأتي إلى المدرسة يشتري الأولاد الأكلات الطيبة، وهو محروم، وأنت ما وجهته توجيهاً قوياً، أنا أرى الناجحين بحياتهم أكثر الأخطاء أخطاء من حولهم، يعدون أنفسهم سبباً بها، يحلون بها، أنا ما أدعو أن تتساهل مع ابنك أبداً، يجب أن تعطيه حقه بالمعقول، لكن لا شيء أبداً؟! يضعها في البيت أربع سنوات من دون نزهة، لا تتحمل، تكره دينه، وتكره الصلاة، هذه نفس، لما أنت تعطي الإنسان حقه، وتطالبه بالالتزام بالورع بالدقة، كنت أقول كلمة: أعط الإنسان رغبة خبزه وكرامته، وخذ منه كل شيء.

أقول لكم كلاماً دقيقاً جداً، لكنه مؤسف جداً: العالم الغربي سبب قوته أن كل إيجابياته إسلامية، لأنه يعبد الدولار من دون الله، ويعبد المال، لأنه يعبد المال أتقن عمله، لأنه يعبد المال، أعطى الإنسان ما يحتاج، لأنه يعبد المال من دون الله أعطاه كرامته، أعطاه حرّيته، لذلك أعطي الإنسان رغبة خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء، كل إيجابيات العالم الغربي إسلامية، لكن مع الأسف نحن المسلمين كلّفنا الله بنشر الإسلام، إطارنا إسلامي، لكن حقيقة علاقاتنا ليست إسلامية، لذلك الكلمة التي يقولها عالم جليل: إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة.

كنت مرة في بلد في الشرق في أستراليا، وحدثوني عن امرأة أنجبت ثلاث توائم في المستشفى، طبعاً الطب هناك مضمون أكبر عملية بالملايين مجاناً، ضمان طبي كامل، فهذه دخلت المستشفى، وأنجبت ثلاث توائم، بعد عدة أيام تريد أن تأخذ أولادها إلى البيت، قالوا: لا، لا تملكين أهلية العناية بأطفال ثلاثة، يجب أن يبقوا عندنا شهراً، وتأتي كل يوم أربع مرات، أو خمس مرات لإرضاعهم، تعليمات مشددة، مضى الشهر، اسمحوا لي بهم، لا، لا تستطيعين، تحتاجين أن ترعيهم أماناً أسبوعاً حتى نتأكد من أهليتك لرعاية الأولاد، ثم انتهى الأمر. كنت في السودان، حادثة مشابهة تماماً، كنا في مستشفى في جنوب السودان، الذي عانت أربعين سنة حرب أهلية، وامرأة في المستشفى أنجبت ثلاث توائم، ليس هناك حاضنة، ولا غذاء تأكله، ولا حليب، ولا شيء، مات أماناً واحد، بعد فترة مات الاثنان، إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة. الإنسان من حقه أن يعالج، من حقه أن يتعلم، من حقه أن يسكن في بيت، من حقه يأكل أكلاً صحياً، لما يكون عندنا إطار إسلامي ومضمون الإسلام غير مطبق فيه فعندنا مشكلة مع الله كبيرة جداً.

أيها الإخوة الكرام، يقول لك الإنسان أحياناً: أين الحل؟ أين الخلاص؟ أنا أقول لكم: والله بكل خلية من جسمي، وبكل قطرة في دمي مؤمن بهذا الكلام، إنما تتصرون بضعفائكم، هذا الضعيف فقير ينبغي أن تطعمه، العاري ينبغي أن تكسوه، المشرد ينبغي أن تؤويه، المريض ينبغي أن تعالجه، الجاهل ينبغي أن تعلمه، المظلوم ينبغي أن تتصفه، فإذا أنصفت الضعيف يكافئك الله بمكافأة من جنس عملك، فينصرك على من هو أقوى منك .

بناء على هذا الحديث أقول: والله لا نشم رائحة النصر مادام هناك ظلم داخلي في بيوتنا، بمؤسساتنا، بمعاملنا، مادام هناك ظلم داخلي فالنصر بعيد عنا كثيراً، إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، والله لا أتمنى أن أذكرهم بخير، ولكنني مضطر أحياناً أن أبين الفرق بين ما عندنا وما عندهم، المعلومات في الدعوة أقل ما فيها، والقلب الكبير

في محبة الآخرين، والإنصاف، والتلطف، والحلم، والرحمة، والانتماء، هؤلاء أهلك، هؤلاء المسلمون أهلك، بدل أن تستعلي عليهم، وأن تزديهم عاونهم، بدل أن تلعن الظلام ألف مرة أوقد شمعة واحدة قدم شيئاً، قدم شيئاً لهذه الأمة بدل أن تلعن الظلام.

هذا الحديث على إيجازه جامع ومانع، وأبعاده عميقة جداً، وكلمة اللعانون اسم مختصر لمن له صفة القنص، والنقد، والازدراء، والتعليق، والفضيحة، والاتهام، والاستعلاء مجموع هذه الصفات لللعانون،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

شفعاء بعمله الصالح، ولا شهداء للآخرين يوم القيامة، تسقط أهليته، تفقد أهليتهم.

مرة ثانية أيها الإخوة الكرام، أقول لكم من أعماقي: هذا الدين لا يدخل الناس فيه أفواجاً بفصاحتك، ولا بكلامك، ولا بروعة بيانك، يدخل الناس فيه أفواجاً بمعاملتك، وأنا أؤكد لكم هذا المعنى الدقيق، ما الذي يشدك إلى الله سؤال؟ أنت مشدود إلى الدين، الدليل تصلي، والدليل تعبد الله، تصوم رمضان، تحج البيت، تأتي إلى الدرس، تقرأ القرآن، تغض البصر، تضبط اللسان، ترحم، تنفق من مالك، أسألك: ما الذي يشدك إلى الدين؟ ستقول لي بشكل سريع: الدين عظيم، الدين قدم تفسيراً للإنسان، تفسيراً كاملاً، تفسيراً عميقاً، تفسيراً متناسقاً، أنا أقول لك: لا، هذا لا يكفي، مهما كان الدين عظيماً من حيث الفكر والعمق والتصور والشرح، مهما كان هذا الدين عظيماً والإنسان أحياناً يدخن، وهو طيب، يحدثك عشر ساعات عن مضار التدخين، كيف تفسر ذلك؟ لا تكفي قناعاتك أن تحملك على سلوك معين، أقول لك: الذي يشد الناس إلى الدين معاملة الله للإنسان.

معمل من معامل جاء إنسان وطلب بضاعة، لا أدخل في التفاصيل، البضاعة ربح المعمل منها تقريباً ربع مليون ليرة، ثم علم صاحب المعمل أن هذه المسكة من أجل علبة خمر غالٍ جداً، له علبة، العلبة تحتاج إلى مسكة بلاستيك، طبعاً صاحب المعمل أخ من إخواننا الكرام، رفض فوراً، ما ترك وسيلة، رفض قطعاً، الآن هناك مشكلة مع أبيه، الأب أنت ما دخلك، أنت تعطي شيئاً مشروعاً، القصة طويلة، تم الرفض الكلي، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، والله بعد شهرين ويومين جاءت صفقة مئة ضعف، وحلال.

أيها الإخوة الكرام، هناك مقولة: أنا مؤمن بها بكل حرف منها، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

إن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

أنا أقول لك: مستحيل وألف ألف مستحيل أن تدع شيئاً لله، ثم لا تجد ما يكافئ هذا العمل البطولي، مستحيل، لكن قال لي مرة شخص: أنا كنت جاهلاً، وأبيع مادة محرمة بمطعم ريع قرن، ودخلي فلكي، متعاقد مع شركات كثيرة بأسعار خيالية، لكن لما تاب إلى الله، وأوقف الخمر الشركات كلها أوقفت عقودها معه، شركات أجنبية، والزبائن المتقلتون انصرفوا عنه، والدخل هبط إلى واحد من خمسين، أقول لكم هذه الفكرة الدقيقة: لما تتخذ قراراً بطولياً فلا بد من أن تدفع ثمنه، لأنك إن لم تدفع ثمنه فلا يعد بطولياً، لو أن إنساناً ألغى الخمر من مطعمه، وثاني يوم تضاعفت الغلة يلغيها المدمنون عن الخمر، حتى يضاعفوا الغلة، يحب الله، يدفعك ثمن القرار إلى حين فقط، الدليل قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

ما الذي سيحصل ؟ توقفت السياحة، لا يوجد سياح، الفنادق فارغة، المطاعم فارغة، هذا منطق العصر الآن، قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

يعني فقراً، لكن هناك سوف، معنى سوف بعد حين، في مرحلة لا بد منها، لا بد من أن تدفع الثمن، فإذا علم الله منك صدقاً وإصراراً وورعاً واستسلاماً لله يغنيك بعدئذ.

رجل عنده مطعم يبيع فيه الخمر، ذهب إلى الحج، وتاب، وألغى بيع الخمر، الغلة هبطت إلى العشر، فأعاد بيع الخمر، ومات بعد اثني عشر يوماً من نكسته، ولقي الله بائع خمر، فلذلك إذا جاء الإنسان دخل كبير من معصية، وتركها فلا يطمع في مدى سريع جداً أن يعوض الله عليه، لا، يجب أن يؤهل نفسه بدفع ثمن هذا القرار البطولي، قال تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[سورة التوبة: 28]

ليس الآن، حينما يعلم الله منك صدقاً وإصراراً على طاعته عندئذ يغنيك من فضله.

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

هناك كلمة، إنسان تكلم كلمة دقيقة جداً، أنا والله مؤمن بها بكل ما في مشاعري وإدراكي، الإنسان يظن الحب له مرحلة أولى، وينتهي، هذا كلام يقوله الأزواج، في أثناء الخطبة المكاملة ست ساعات على الهاتف، لكن بلغني أن واحداً حدث خطيبته ثلاث عشر ساعة متوالية، هذا رقم أولمبي، أعلى رقم ثلاث عشرة ساعة على الهاتف، بعد الزواج بسنتين يأتي إلى البيت تجر منه الكلمة جراً، لا يتكلم، شيء طبيعي، فداًماً يقول لك: انتهى الحب، علاقة روتينية، علاقة رتيبة، ليس لها معنى، ملل، سأم، ضجر، أو بتعبير آخر ختمتها وختمتني، كل إنسان عنده قصة يحكيها وانتهى، هذه نعاني منها في التدريس، كنا في الجامعة طلاباً يأتي الدكتور عنده أشياء جميلة جداً، بعد شهر تنتهي، وانتهى، ختمناه، أما الجواب فعكس ذلك، الحب يصنع صناعة، أنت تستطيع لو مضى على زواج ثلاثين سنة أن تدخل بالمودة والرحمة والمعونة، والابتسام والاعتذار أحياناً، والخدمة، الحب يبقى كما هو عليه، لكن ليس بالحالة الحادة كأيام الخطبة، هذه ليست معقولة، لو أن الأمر كذلك لا ترى شيئاً في الحياة، تقف الحياة.

قال لي مرة أخ: عندي سؤال لي، أنا في حرج أن أسألك إياه، قلت له: تفضل، قال: ما الحكمة إذا كان الزوجة ليست جيدة؟ قلت له: حتى أراك في المسجد، ما كنا نراك إذا كانت جيدة، كنت وضعتها، وجلست، في أشياء وسط، هناك حكمة بالغة، لذلك لما يتعرف الإنسان إلى الله كل شيء ليس له فيه اختيار لصالحه، إذا أنت لم

تكن لعاناً لا سمح الله ولا قدر يقابل اللعن الحب، يمكن أن تحب من حولك، والحب تصنعه أنت بخدمتك الصادقة، بابتسامتك، بتواضعك، بإخلاصك، الناس يألفون، ذلك الحب يسري كما تسري النفس في شيء بعيد، لو فرضنا إنساناً في موسم الحج يأتيه هاتف، حصلنا لك على الفيزا، يضع السماعة على الهاتف صار في الحج، دخل في عالم الحج، يهيئ أغراضه وحاجاته، ويؤمن من يحل محله في غيابه، الإنسان أحياناً تسري نفسه إلى طرف آخر في العالم، إذا كان له ابن هناك، وأحب أن يسافر إليه صارت نفسه كلها ممتلئة بمشاعر السفر، والوصل إلى ابنه مثلاً.

لذلك أيها الإخوة الكرام، إذا ما كان الإنسان لعان ماذا يقابل؟ أن يكون محباً، الحب تصنعه أنت.

أنا أتمنى أيها الإخوة الكرام أن يكون كل بيت جنة، بإمكانك أن تفعل بأي ظرف، بيت صغير، كبير، عال، منخفض، أجرة، ملك، زوجة وسط، شاطحة، درجاتها مئة، تسعون، خمسون، أربعون، ممكن أن تصنع الحب بيدك، بابتسامتك، بإلقاء السلام، بالصدق، بالخدمة، بالعطف، بالمحبة، بالإكرام، تصنع الحب، ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام: ورزقني حبها، السيدة خديشة، رزقني، يعني رزق الإنسان حب حليلته، متى المصيبة؟ أن يحب امرأة لا تحل له، ويتعلق بامرأة لا تحل له، أما إذا أحب زوجته فهذا إنجاز كبير، يحتاج إلى دقة، وإلى تطبيق السنة، هل فيك أن تحب الطلاب؟ نعم أنت حينما تحبهم يحبونك، هل لك أن تحب من حولك في العمل؟ نعم أنت حينما تحبهم يحبونك، الكلام الدقيق يصنع بأيدينا، وليست القضية غيبية، ضبابية، يهبهم الله لمن يشاء، لا أنت بانضباطك تحب وتحب.

مرة كان لنا أستاذ بعلم النفس من أكبر المدرسين، وله سمعة في الشرق الأوسط، تقاعد، ولمرة واحدة جامعة دمشق وكلية التربية التي كنت فيها أقيم حفل وداع كبير لهذا الأستاذ، فألقيت كلمات كثيرة، وقام، وألقى كلمة، قال: الإنسان الذي لا يشعر بحاجة إلى أن يحب أو يحب فليس من بني البشر.

يجب أن تشعر بحاجة إلى أن تحب الناس، وإلى أن يحبوك، في حالات بالحب كان الصحابة الكرام إذا مشى اثنان وفرقت بينهما شجرة يسلمان على بعضهما بعد الشجرة، واشوقاه لفلان، البارحة العشاء كنت معه، الفجر سلم عليه، وقال له: وا شوقاه إليك، هذا الحب أنت حينما تحب الناس يحبك الناس، تحب زوجتك، تحب زوجتك، تحب أولادك، يحبك أولادك، تحب جيرانك، يحبك جيرانك، هذه عملية متداخلة، تأكد: مستحيل أن تحب إنساناً، ولا يحبك، أو مستحيل يحبك إنسان، ولا تحبه، الدليل: عوضاً عن اللعن والنقد والحقد والكرهية،

والفضيحة والتشهير، والقنص واللمز، الحب، فلذلك أيها الإخوة الكرام، كلمتان خفيفتان على اللسان، الحب يصنع صناعة، بإمكانك أن تحب كل من حولك، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم، الابتسامة صدقة، وطلاقة الوجه صدقة، والإكرام والهدية، والنبي قال: تهادوا تحابوا، أفشوا السلام بينكم، ممكن أن يكون الحب أساسه إنشاء السلام، والهدية والدعوة والخدمة، والنصيحة لا الفضيحة.

أنا جعلت هذا الدرس إن شاء الله حول النموذج اللعان، القناص، المنتقد، القاسي الذي يغمز، ويلمز، ويشهر، ويفضح، هذا لا يشم رائحة الدعوة إلى الله، ولا يشم رائحة العمل الصالح، هو مرفوض عند الناس، أما الذي يحب الناس، لأنه يحب الله، لأن هؤلاء عباده، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله. وكنت أقول دائماً: الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، وشتان بين أن تملك القلب، وبين أن تملك الرقبة فرق كبير، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم، أهرامات مصر قليلة، مئة مئآت الألوفا من أجل أن يكون الهرم قبراً لإنسان، الهرم قبر، الأنبياء يمدحون في غيبتهم، والأقوياء في حضرتهم.

أيها الإخوة الكرام، والناس جميعاً أتباع نبي أو قوي، أتباع الأنبياء رأسمالهم أخلاقهم العالية كمالاتهم تملك الصدق، والأمانة، والرحمة، واللطف، والتواضع، والأقوياء أسباب قوتهم دفتر الضبط الذي مع الشرطي، هذا معه صلاحية معه قوة.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون هكذا محبين بعيدين عن اللعن والانتقاد.

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 118 - 127 ) : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم الآخرة ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 12-06-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الكرام، أكثر الإخوة المؤمنين يطمحون أن يكونوا من أهل العلم، أو من أهل الفضل، يطمحون إلى التقرب إلى الله بدعوة أو بخدمة، ببذل أو بإقناع، لأن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح، والدنيا كما ترون تغر، وتضر، وتمر، لكن هذا الطموح لدى أي أخ مؤمن أن يكون من أهل الفضل بعمله الصالح، أو أن يكون من أهل العلم بدعوته، هناك صفات نفسية لا تتوافق مع الدعوة إلى الله، بل إنها تلغي الدعوة إلى الله، بل إنها تحبط سعي الداعي إلى الله، وسعي الذي يتقرب إلى الله بعمله الصالح، الحديث قصير جداً وموجز، وجامع ومانع، ورد في صحيح مسلم عن أبي الدرداء يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

[ مسلم، أبو داود، أحمد ]

قبل أن نشرح الحديث، شفعاء بعملهم الصالح، وشهداء بعلمهم، قال تعالى:

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾

[ سورة النساء: 85 ]

أي عمل صالح الذي كان سببه في صحيفته هذه شفعاء، وأي عمل دعوي شهداء يشهدون للناس، حقيقة هذا الدين التوحيد،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

من هم اللعانون ؟ هناك نموذج أيها الإخوة الكرام، أنا أقول، ولا أتلفظ بذلك، نموذج شيطاني، الذين حوله لأي خطأ يهاجمونه، يقسون عليه، ينددون، يشهرون، يكبرون الأمر يفضحون، من المستحيل أن يأتي إنسان كما تتمنى تماماً، فأي خطأ، أي مفارقة، أي تعليق، أي تقصير يشهر، ويفضح، النبي عليه الصلاة والسلام عبّر عن كل هذه التصرفات الهوجاء الرعناء الخرقاء بكلمة ( لعان )، يلعن من حوله، ينتقدهم، يشهر بهم، يفضحهم، يشهر بهم على ملاء، لا يخجل، ولا يستحي، هو الحق وما سواه الباطل، هو على صواب، وما سواه على خطأ، هو النموذج الكامل، وأي مخالفة لنموذجه يعد هذا نقصاً، هذه النفسية، نفسية القنص والتجريح والتوبيخ والتفضيح والقسوة والتعليق اللاذع والازورار، هذه الأساليب لا يمكن أن تتناسب مع الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الله يجب أن يتميز صاحبها بسعة الصدر وطول النفس، وعمق التفكير وبعد النظر ورجاحة العقل، وأن يتميز بالحكمة . أنا أعجبتني مرة مديرة مدرسة تقول للمعلمة حينما تبتغي أن تعمل عندها تقول لها: هل تحبين الصغار ؟ إن كنت لا تحبينهم فلا يمكن أن تتجحي في عملك .

فأنت هل تحب من حولك ؟ هل تستوعبهم ؟ هل تغفر زلاتهم ؟ هل تعفو عن خطيئاتهم ؟ هل تتسع بهم ؟ هل تسامحهم ؟ هل تلتمس له العذر ؟ هذا الحد الأدنى لمن أراد أن يدعو إلى الله، أما أن يكون كل الناس خصوماً لك، وأقلّ خطأ تذبجهم من الوريد إلى الوريد فلا .

ذكرت مرة في الخطبة أن إنساناً صلى إلى جانبه شاب، يبدو أن هذا الإنسان وقور وكبير في السن، أعجبه صلاة الشاب، فلما انتهى من صلاته من باب الإعجاب، ومن باب الثناء والتشجيع قال له كلمة مختصرة، مفادها أنني أدعو لك أن تصلي في بيت الله الحرام، فاختصرها بكلمة حرماً، هذا الشاب جحظت عيناه، وامتع لونه، وحد النظر في هذا الشيخ، وقال له: هذه الكلمة لم ترد عن رسول الله، هي بدعة، قال له: وماذا ورد عنه ؟ هل ورد عنه قلة الذوق ؟

هناك إنسان قاسٍ في دعوته، لسبب تافه، لمخالفة طفيفة جداً، لو قال لك: تقبل الله تقيماً عليه الدنيا، لو دعا إلى الله، ورفع يديه فهذه الطريقة في الدعوة المبنية على القسوة، على التنديد، على الإحراج، على التضييق، وعلى التنديد، وعلى التعقيد، وعلى الفحص، أنت لست قاضياً، أنت داع، قال بعض كبار العلماء: نحن لسنا قضاة، لكننا دعاة، قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

[سورة النحل: 125]

فهذه القضية أيها الإخوة الكرام، وأنا أقول لكم، ولا أبالغ: ليس على وجه الأرض من دون استثناء إنسان أفضل عند الله ممن قال تعالى عنه:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) ﴾

[سورة فصلت]

لأنها صنعة الأنبياء، أي عمل صالح ينتهي عن الموت، أطعمته، أسكنته في بيت، زوجته، مات الزواج، انتهى البيت، انتهى الإطعام، لكنك لو هديته إلى الله إلى أبد الأبدين يسعد بهذا الهدى، أنا أقول دائماً: لك أب أنجبك، ولك أب زوجك، ولك أب ذلك على الله، الذي ذلك على الله منحك سعادة الأبد، أو كان سبباً في منحك سعادة الأبد، فذلك له ولاؤك، أما أن يأتي الإنسان ليدعو إلى الله بقسوة وغلظة، والذي أقوله دائماً أيها الإخوة الكرام: إن النبي عليه الصلاة والسلام كان قمة في الكمال، قمة في العفو، قمة في التسامح، قمة في الحكمة، قمة في الرحمة، قمة في اللطف، قمة في اللحم، ومع ذلك قال الله له:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[سورة آل عمران: 159]

جمع الكمال البشري فيه، وجمع الجمال فيه، وجمعت الحكمة فيه، وجمع البيان فيه، أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش، وأوتي الوحي، وأوتي القرآن، وأوتي المعجزات، وأيده الله، وبلغ سدره المنتهى، ومع كل هذه الخصائص المذهلة يقول الله له: أنت بالذات، قال تعالى:

## ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[سورة آل عمران: 159]

هناك تعليق لطيف، فأنت إن لم تكن نبياً، ولا رسولاً، ولا يوحى إليك، ولم توت جمال المنظر، ولا فصاحة البيان، ولا المعجزات، ولا الخوارق، ولا القرآن، ولست في قمة النسب، وكنت فظاً غليظ القلب، شيء مستحيل .

الله أيها الإخوة الكرام، أتكلم من أعماقي، أتكلم مما أرى من قسوة في الدعوة، واستعلاء، وكبر، هو في أعلى عليين، وهؤلاء الذين يدعوهم في أسفل سافلين .

الدعوة لها خصائصها، أقل ما في خصائصها المعلومات، وأكبر ما في خصائصها الصفات النفسية، مثلاً: هل يجرؤ شاب يقف أمام رسول الله يقول له: ائذن لي بالزنا ؟ الآن هل يجرؤ إنسان يدخل على وزير العدل ويقول له: اسمح لي أن أسرق، هذه إهانة للوزير، اسمح لي أن أسرق، ائذن لي بالزنا، الصحابة الكرام هاجوا وماجوا، قال: دعوه، تعال يا عبد الله، لأنه يحب الإنسان، قال له: يا عبد الله،

(( أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِإِبْنَتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذُنُوبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ))

[أحمد]

يقول هذا الشاب: دخلت على رسول الله وما شيء أحب إلي من الزنا، وخرجت من عنده وما شيء أبغض لي من الزنا، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أحب الإنسان، أحبه ولو كان عاصياً، عبد الله جاهل، الآن بريك لو كنت طبيباً في الجلدية، وجاءك مريض معه مرض في جلده، كله قيح، منظر مخيف، هل تحقد عليه ؟ لا، لكنك تشفق عليه، فرق كبير بين أن تحقد عليه وأن تشفق عليه .

أيها الإخوة الكرام، هؤلاء العصاة، هؤلاء المنحرفون، هؤلاء الأغبياء، هؤلاء الذين يتجاوزون الحدود، المستكبرون هم جهال، إذا كنت مؤمناً كاملاً فلا تحقد عليهم، ولكن تشفق عليهم، والدليل أن إنساناً يتجرأ، ويسخر من نبي، إنسان يتجرأ، ويضرب النبي حتى يدمي قدميه، يتجرأ ويكذب النبي عليه الصلاة والسلام، والنبي جاء لهدايتهم، فجاءه ملك الجبال، قال: يا محمد أمرني ربي أن أكون طوع إرادتك، لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين، قال: لا يا أخي .

والله لما أتلو هذا الكلام، والله مئات المرات لا أرتوي منه، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قال: اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون .

أولاً دعا لهم بالهداية، ولم يتبرأ منهم، واعتذر عنهم، وتمنى لهم ذرية سالحة، كم بنداً ؟ اهد دعاء، ما قال: اهد هؤلاء، اللهم اهد قومي، هم قومي، وأنت كمؤمن هؤلاء المسلمون أهلك، هم في أخطاء، في معاص، في آثام، في انغماس بالملذات، في ضعف، في مخالفات، في ثقلت، هؤلاء أهلنا، بدل أن تنتقدهم، وأن تستعلي عليهم، وأن تحنقهم حاول أن تهديهم، أن تشعل شمعة أفضل ألف مرة من أن تلعن الظلام، بدل أن تلعن الظلام مئة مرة أشعل شمعة واحدة، نمط اللعان مرفوض، نمط اللعان القناص المنتقد الذي يبحث عن العيوب، الذي يشهر، هذا النمط لا يمكن أن يكون صاحبه داعية إلى الله عز وجل، نمط يسبب الحرج، يسبب المرض النفسي، يسبب الحرج لا يندمل،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

قال له: يا عبد الله، قال: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ قال: لَا، أُنْفَعُهُ

أنا أقول لكم أيها الإخوة الكرام: لا تحاول أن تقمع حاول أن تقنع، القمع لا يسمن، ولا يغني من جوع .

أعرف رجلاً أنا أظنه صالحاً مستقيماً، وله أعمال طيبة، لكنه لم يقنع بناته بالالتزام، قمعهن فلما مات تفلتت بناته من حجاب إلى تفلتت كامل، لأنه قمع، ولم يقنع، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(( علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف ))

يجب أن تحب الناس، يجب أن تحبهم على علاقتهم، هؤلاء أهلنا، هؤلاء المسلمون، بدل أن تنتقدهم، وأن تستعلي عليهم، وأن تحقرهم، وأن تزدريهم ادع لهم بالهدى، اللهم اهدهم، ردهم إلى دينك رداً جميلاً، لولا أن النص صحيح، جيء لرسول الله بشارب خمر، فالصحابية لعنوه، قال: لا تلعنوه، إنه يحب الله ورسوله، علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن الإنسان أحياناً يعصي الله، لكنه مغلوب على أمره، ضعف أمام شهوته، هذه معصية، لا شك، معصية كبيرة، لكن بينها وبين الذي يستكف أن يعبد الله عن كبر بون شاسع، الشيطان أبقى أن يسجد كبيراً، أما سيدنا آدم نسي، ولم يجد له عزماً، قال تعالى:

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

[ سورة البقرة: 37 ]

أهون ألف مرة أن تستغفر من ذنب وقعت فيه غلبة من أن تستغفر من ذنب وقعت فيه استعلاءً وكبراً، قال تعالى:

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يُكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) ﴾

[ سورة النساء ]

أيها الإخوة الكرام، مرة ثانية: إن أردت أن تكون من أهل الفضل، أو من أهل العلم، إن أردت التقرب إلى الله ببيانك، أو بمالك فلا ينبغي أن تكون لعاناً، ولعان كلمة تعبر عن مجموعة صفات، النقد اللاذع، القنص، التشهير، الفضيحة، أن تنتفض على رؤوس الأشهاد، ألاّ تعباً بكرامة الإنسان، لذلك الذي يحصل الآن النقد العلني، ينشر حزازات، وأحقاداً، وانتقاماً، ويكال الصاع عشرة أصوع، أما النصيحة فيما بينك وبينه فهذه لها معنى آخر، الناصح ينصح سراً، والفاضح يفضح علانية،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

يعني أعمالهم الصالحة لا تقبل .

أيها الإخوة الكرام، هذا الذي ارتكب أكبر خيانة ثابتة في تاريخ البشرية، الإنسان إذا أرسل للعدو معلومات ليكشف عورة المسلمين، حاطب بن بلتعنة أرسل كتاباً إلى قريش، إن محمداً سيغزوكم، فخذوا حذرکم، وجاء الوحي النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبره بما كان، والنبي أرسل صحابيين أحدهما سيدنا علي رضي الله عنه إلى ما بين مكة والمدينة، و جاؤوا بالكتاب من امرأة في طريقها إلى مكة، وجيء بحاطب، وسيدنا عمر واقف، قال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال له: لا يا عمر، إنه شهد بدرًا، أُرئيت إلى هذا الوفاء ؟ أُرئيت إلى هذا الحلم ؟ أُرئيت إلى هذه الرحمة ؟ لا يا عمر، إنه شهد بدرًا، يا حاطب تعال، ما حملك على ما فعلت ؟ قال: والله يا رسول ما كفرت، ولا ارتددت، ولكنني لصيق في قريش، وأنا موقن بنصر الله لك، لكنني أردت بهذا الكتاب أن أحمي مالي وأهلي، فاغفر لي ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: إني صدقته فصدقوه، ولا تقولوا فيه إلا خيراً .

أنا ألح في هذا اللقاء، وفي هذا الدرس على أن تحب من حولك، الدين كله حب، أن تحب جميع الناس على اختلاف مستوياتهم، أنت حينما تحبهم تأخذ بيدهم، وكأن في سريان مشاعر بينك وبينهم، أنت محب، قد يقسو، لكنه محب، والمجامل قد يحقد، لكن مجاملته لا تصل إلى قلبك، ابتسامه ظاهرة، ابتسامه خادعة، وأحياناً قسوة من إنسان محب، لذلك من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، قال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

[ سورة النحل: 125 ]

في مئات الأساليب يجب أن تنتقي الأسلوب الحسن في الدعوة إلى الله

(( لَا يَكُونُ اللَّعَّائُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

وطن نفسك أن تستوعب الناس، أن تحلم عليهم، وطن نفسك أن تلتمس لهم العذر، وقد ورد أن التمس لأخيك عذراً، ولو سبعين مرة، وطن نفسك أن تعاملهم كما تحب أن يعاملوك .

هناك نقطة دقيقة أتمنى أن تكون واضحة عندهم، العالم الغربي طبقها لا عن تقرب إلى الله، لكن عن ذكاء، كل بني آدم خطأ، حاول أن تعطي من حولك إذا أخطأ فرصة ليصح، أكثر إدارتنا للمعامل والمؤسسات والمحلات التجارية إدارة لا تغفر، أول خطأ يسرحه، أنا أتمنى أن نفتدي بالنبي الكريم في معاملته لحاطب بن

بلتعة، أخطأ، واعترف، أنا لا أنسى هذه القصة، ورويتها لكم يمكن عشرات المرات .

خطيب جامع بأحد أحياء دمشق العريقة، يرى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه، يقول له: أبلغ جارك فلاناً أنه رفيقي في الجنة، جاره فلان بائع متواضع جداً، سمان، وهو خطيب ومتعلم، فصاحة، و أدلة، ومركزاً، واعتلاء منبر، الخطيب كسر خاطره، هذه البشارة لي أم له، لمن هذه البشارة ؟ للسمان المجاور له، فذهب إليه مكسور القلب، قال له لك عندي بشارة من رسول الله ﷺ، ولكن والله لا أعلمك إياها إلا إذا أنبأتني ماذا فعلت مع الله حتى كانت هذه البشارة ؟ قال له: تزوجت امرأة، وبعد خمسة أشهر بالتعبير النسواني بطنها إلى حلقها، هذا الحمل ليس منه، زلة قدم، ويبدو أنها ندمت أشد الندم، قال له: بإمكانني أن أطلقها، ومعني حق، وهذا هو العدل، وبإمكانني أن أفصحها، ومعني الحق، وهذا هو العدل، وبإمكانني أن أسحقها، ومعني الحق، وهذا هو العدل، لكنني آثرت الإحسان، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[ سورة النحل: 90 ]

أردت أن أجعل توبتها على يدي، أتى بقبالة، فولدتها، وحمل الطفل تحت عباءته، وانتظر حتى نوى الإمام صلاة الفجر، دخل، ووضع الطفل وراء الباب، واثم بالإمام، فلما انتهت الصلاة بكى الطفل، وتحلق الطفل حول هذا الطفل مدهوشين، فاقترب منهم، قال: ما الخبر ؟ قالوا: تعال، وانظر، طفل، قال: أنا أكفله، فأخذه أمام الحي على أنه أخذه ليكفله، وردة إلى أمه، وتابت على يديه .

أنا أقيس على ذلك أي إنسان يشكو من زوجته، أنا أقول: أعطها فرصة إن تابت فلك أجر لا يعلمه إلا الله، أقرأ هذه الآية دائماً:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[ سورة النحل: 90 ]

مرة أخ يعمل في إنشاء البيوت، فاشترى أرضاً من المحافظة، اشتراها خالية، لكن فيها حانوت يعمل فيه صاحبه بالحلاقة، فلما طال تسليم المحل أبلغ المحافظة، وجاءت، وهدمت المحل، فجاءني في هذا المسجد، قال: هذا أحد إخوانك أمر بهدم المحل، وتركني في الطريق، هذا شيء يرضيك؟ قلت: لا والله، فالأخ طلبته، قال: أنا اشتريت المحضر فارغاً، وهو تأخر بتسليم المحضر، وأنا أريد أن أعمل، وليس له عندي شيء، قلت له: صحيح، هذا هو العدل، أين الإحسان؟ انتبه، قال لي: أقدم مبلغاً، وأخذنا له محلا في الجبل، هذه الآية، قال تعالى:

### ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[ سورة النحل: 90 ]

مليون قضية لا تحل بالعدل، بالإحسان تحل، فأنت مأمور بالإحسان، كما أنك مأمور بالعدل تحتاج إلى حب .  
ليست القضية قضية سحق، ولا قضية فضح، والله أنا في نشوة بموقف النبي عليه الصلاة والسلام من صحابي عنده بستان دخل إنسان إلى البستان، وأكل منه من دون إذن، بحسب النصوص هو سارق، بحسب ما على الشبكية سارق، فقيده، وساقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام على أنه سارق، قال: هذا أكل من بستاني، فالنبي أجابه إجابة هي الآن منهج، والعالم الآن كله لو أخذ بها لما كنا فيما نحن فيه، قال له: هلا علمته إذا كان جاهلاً، وهلا أطعمته إن كان جائعاً؟ صحيح هو أكل من دون إذن، لكن هل فكرت أن تقول لي: ماذا أكل؟  
والله يا أيها الإخوة الكرام، لو طبقنا هذا الحديث لنجحنا، لكن فكر هذا لماذا فعل ذلك؟ عنده مشكلة، حاولت تفهم مشكلته، يقول لي: ابني يسرق، لا تعطه شيئاً، يأتي إلى المدرسة يشتري الأولاد الأكلات الطيبة، وهو محروم، وأنت ما وجهته توجيهاً قوياً، أنا أرى الناجحين بحياتهم أكثر الأخطاء أخطاء من حولهم، يعدون أنفسهم سبباً بها، يخلونها، أنا ما أدعو أن تتساهل مع ابنك أبداً، يجب أن تعطيه حقه بالمعقول، لكن لا شيء أبداً؟!  
يضعها في البيت أربع سنوات من دون نزهة، لا تتحمل، تكره دينه، وتكره الصلاة، هذه نفس، لما أنت تعطي الإنسان حقه، وتطالبه بالالتزام بالورع بالدقة، كنت أقول كلمة: أعط الإنسان رغبة خبزه وكرامته، وخذ منه كل شيء .

أقول لكم كلاماً دقيقاً جداً، لكنه مؤسف جداً: العالم الغربي سبب قوته أن كل إيجابياته إسلامية، لأنه يعبد الدولار من دون الله، ويعبد المال، لأنه يعبد المال أتقن عمله، لأنه يعبد المال، أعطى الإنسان ما يحتاج، لأنه يعبد المال من دون الله أعطاه كرامته، أعطاه حرّيته، لذلك أعطي الإنسان رغبة خبزه وكرامته وخذ منه كل شيء، كل إيجابيات العالم الغربي إسلامية، لكن مع الأسف نحن المسلمين كلّفنا الله بنشر الإسلام، إطارنا إسلامي، لكن حقيقة علاقاتنا ليست إسلامية، لذلك الكلمة التي يقولها عالم جليل: إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة .

كنت مرة في بلد في الشرق في أستراليا، وحدثوني عن امرأة أنجبت ثلاث توائم في المستشفى، طبعاً الطب هناك مضمون أكبر عملية بالملايين مجاناً، ضمان طبي كامل، فهذه دخلت المستشفى، وأنجبت ثلاث توائم، بعد عدة أيام تريد أن تأخذ أولادها إلى البيت، قالوا: لا، لا تملكين أهلية العناية بأطفال ثلاثة، يجب أن يبقوا عندنا شهراً، وتأتي كل يوم أربع مرات، أو خمس مرات لإرضاعهم، تعليمات مشددة، مضى الشهر، اسبحوا لي بهم، لا، لا تستطيعين، تحتاجين أن ترعيهم أمامنا أسبوعاً حتى نتأكد من أهليتك لرعاية الأولاد، ثم انتهى الأمر . كنت في السودان، حادثة مشابهة تماماً، كنا في مستشفى في جنوب السودان، الذي عانت أربعين سنة حرب أهلية، وامرأة في المستشفى أنجبت ثلاث توائم، ليس هناك حاضنة، ولا غذاء تأكله، ولا حليب، ولا شيء، مات أمامنا واحد، بعد فترة مات الاثنان، إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة .

الإنسان من حقه أن يعالج، من حقه أن يتعلم، من حقه أن يسكن في بيت، من حقه يأكل أكلاً صحياً، لما يكون عندنا إطار إسلامي ومضمون الإسلام غير مطبق فيه فعندنا مشكلة مع الله كبيرة جداً .

أيها الإخوة الكرام، يقول لك الإنسان أحياناً: أين الحل ؟ أين الخلاص ؟ أنا أقول لكم: والله بكل خلية من جسمي، وبكل قطرة في دمي مؤمن بهذا الكلام، إنما تتصرون بضعفائكم، هذا الضعيف فقير ينبغي أن تطعمه، العاري ينبغي أن تكسوه، المشرّد ينبغي أن تؤويه، المريض ينبغي أن تعالجه، الجاهل ينبغي أن تعلمه، المظلوم ينبغي أن تتصفه، فإذا أنصفت الضعيف يكافئك الله بمكافأة من جنس عملك، فينصرك على من هو أقوى منك ز

بناء على هذا الحديث أقول: والله لا نشم رائحة النصر مادام هناك ظلم داخلي في بيوتنا، بمؤسساتنا، بمعاملنا، مادام هناك ظلم داخلي فالنصر بعيد عنا كثيراً، إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي، والله لا أتمنى أن أذكرهم بخير، ولكنني مضطر أحياناً أن أبين الفرق بين ما عندنا وما عندهم، المعلومات في الدعوة أقل ما فيها، والقلب الكبير

في محبة الآخرين، والإنصاف، والتلطف، والحلم، والرحمة، والانتماء، هؤلاء أهلك، هؤلاء المسلمون أهلك، بدل أن تستعلي عليهم، وأن تزديهم عاونهم، بدل أن تلعن الظلام ألف مرة أوقد شمعة واحدة قدم شيئاً، قدم شيئاً لهذه الأمة بدل أن تلعن الظلام .

هذا الحديث على إيجازه جامع ومانع، وأبعاده عميقة جداً، وكلمة اللعانون اسم مختصر لمن له صفة القنص، والنقد، والازدراء، والتعليق، والفضيحة، والاتهام، والاستعلاء مجموع هذه الصفات للعانون،

(( لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شَفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

شفعاء بعمله الصالح، ولا شهداء للآخرين يوم القيامة، تسقط أهليته، تفقد أهليتهم .

مرة ثانية أيها الإخوة الكرام، أقول لكم من أعماقي: هذا الدين لا يدخل الناس فيه أفواجاً بفصاحتك، ولا بكلامك، ولا بروعة بيانك، يدخل الناس فيه أفواجاً بمعاملتك، وأنا أؤكد لكم هذا المعنى الدقيق، ما الذي يشدك إلى الله سؤال ؟ أنت مشدود إلى الدين، الدليل تصلي، والدليل تعبد الله، تصوم رمضان، تحج البيت، تأتي إلى الدرس، تقرأ القرآن، تغض البصر، تضبط اللسان، ترحم، تنفق من مالك، أسألك: ما الذي يشدك إلى الدين ؟ ستقول لي بشكل سريع: الدين عظيم، الدين قدم تفسيراً للإنسان، تفسيراً كاملاً، تفسيراً عميقاً، تفسيراً متناسقاً، أنا أقول لك: لا، هذا لا يكفي، مهما كان الدين عظيماً من حيث الفكر والعمق والتصور والشرح، مهما كان هذا الدين عظيماً والإنسان أحياناً يدخن، وهو طيب، يحدثك عشر ساعات عن مضار التدخين، كيف تفسر ذلك ؟ لا تكفي قناعاتك أن تحملك على سلوك معين، أقول لك: الذي يشد الناس إلى الدين معاملة الله للإنسان .

معمل من معامل جاء إنسان وطلب بضاعة، لا أدخل في التفاصيل، البضاعة ربح المعمل منها تقريباً ربع مليون ليرة، ثم علم صاحب المعمل أن هذه المسكة من أجل علبة خمر غالٍ جداً، له علبة، العلبة تحتاج إلى مسكة بلاستيك، طبعاً صاحب المعمل أخ من إخواننا الكرام، رفض فوراً، ما ترك وسيلة، رفض قطعاً، الآن هناك مشكلة مع أبيه، الأب أنت ما دخلك، أنت تعطي شيئاً مشروعاً، القصة طويلة، تم الرفض الكلي، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، والله بعد شهرين ويومين جاءت صفقة مئة ضعف، وحلال .

أيها الإخوة الكرام، هناك مقولة: أنا مؤمن بها بكل حرف منها، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه .

إن زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه .

أنا أقول لك: مستحيل وألف ألف مستحيل أن تدع شيئاً لله، ثم لا تجد ما يكافئ هذا العمل البطولي، مستحيل، لكن قال لي مرة شخص: أنا كنت جاهلاً، وأبيع مادة محرمة بمطعم ريع قرن، ودخلي فلكي، متعاقد مع شركات كثيرة بأسعار خيالية، لكن لما تاب إلى الله، وأوقف الخمر الشركات كلها أوقفت عقودها معه، شركات أجنبية، والزبائن المتقلتون انصرفوا عنه، والدخل هبط إلى واحد من خمسين، أقول لكم هذه الفكرة الدقيقة: لما تتخذ قراراً بطولياً فلا بد من أن تدفع ثمنه، لأنك إن لم تدفع ثمنه فلا يعد بطولياً، لو أن إنساناً ألغى الخمر من مطعمه، وثاني يوم تضاعفت الغلة يلغيها المدمنون عن الخمر، حتى يضاعفوا الغلة، يحب الله، يدفعك ثمن القرار إلى حين فقط، الدليل قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

ما الذي سيحصل ؟ توقفت السياحة، لا يوجد سياح، الفنادق فارغة، المطاعم فارغة، هذا منطق العصر الآن، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

يعني فقراً، لكن هناك سوف، معنى سوف بعد حين، في مرحلة لا بد منها، لا بد من أن تدفع الثمن، فإذا علم الله منك صدقاً وإصراراً وورعاً واستسلاماً لله يغنيك بعدئذ .

رجل عنده مطعم يبيع فيه الخمر، ذهب إلى الحج، وتاب، وألغى بيع الخمر، الغلة هبطت إلى العشر، فأعاد بيع الخمر، ومات بعد اثني عشر يوماً من نكسته، ولقي الله بائع خمر، فلذلك إذا جاء الإنسان دخل كبير من

معصية، وتركها فلا يطمع في مدى سريع جداً أن يعوض الله عليه، لا، يجب أن يؤهل نفسه بدفع ثمن هذا القرار البطولي، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

ليس الآن، حينما يعلم الله منك صدقاً وإصراراً على طاعته عندئذ يغنيك من فضله .

(( لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ))

هناك كلمة، إنسان تكلم كلمة دقيقة جداً، أنا والله مؤمن بها بكل ما في مشاعري وإدراكي، الإنسان يظن الحب له مرحلة أولى، وينتهي، هذا كلام يقوله الأزواج، في أثناء الخطبة المكالمة ست ساعات على الهاتف، لكن بلغني أن واحداً حدث خطيبته ثلاث عشر ساعة متوالية، هذا رقم أولمبي، أعلى رقم ثلاث عشرة ساعة على الهاتف، بعد الزواج بسنتين يأتي إلى البيت تجر منه الكلمة جراً، لا يتكلم، شيء طبيعي، فدائماً يقول لك: انتهى الحب، علاقة روتينية، علاقة رتيبة، ليس لها معنى، ملل، سأم، ضجر، أو بتعبير آخر ختمتها وختمتني، كل إنسان عنده قصة يحكيها وانتهى، هذه نعاني منها في التدريس، كنا في الجامعة طلاباً يأتي الدكتور عنده أشياء جميلة جداً، بعد شهر تنتهي، وانتهى، ختمناه، أما الجواب فعكس ذلك، الحب يصنع صناعة، أنت تستطيع لو مضى على زواج ثلاثين سنة أن تدخل بالمودة والرحمة والمعونة، والابتسام والاعتذار أحياناً، والخدمة، الحب يبقى كما هو عليه، لكن ليس بالحالة الحادة كأيام الخطبة، هذه ليست معقولة، لو أن الأمر كذلك لا ترى شيئاً في الحياة، تقف الحياة .

قال لي مرة أخ: عندي سؤال لي، أنا في حرج أن أسألك إياه، قلت له: تفضل، قال: ما الحكمة إذا كان الزوجة ليست جيدة؟ قلت له: حتى أراك في المسجد، ما كنا نراك إذا كانت جيدة، كنت وضعتها، وجلست، في أشياء وسط، هناك حكمة بالغة، لذلك لما يتعرف الإنسان إلى الله كل شيء ليس له فيه اختيار لصالحه، إذا أنت لم تكن لعاناً لا سمح الله ولا قدر يقابل اللعن الحب، يمكن أن تحب من حولك، والحب تصنعه أنت بخدمتك الصادقة، بابتسامتك، بتواضعك، بإخلاصك، الناس يألفون، ذلك الحب يسري كما تسري النفس في شيء بعيد، لو فرضنا إنساناً في موسم الحج يأتيه هاتف، حصلنا لك على الفيزا، يضع السماعة على الهاتف صار في

الحج، دخل في عالم الحج، يهیی أغراضه وحاجاته، ويؤمن من يحل محله في غيابه، الإنسان أحياناً تسري نفسه إلى طرف آخر في العالم، إذا كان له ابن هناك، وأحب أن يسافر إليه صارت نفسه كلها ممتلئة بمشاعر السفر، والوصل إلى ابنه مثلاً .

لذلك أيها الإخوة الكرام، إذا ما كان الإنسان لعان ماذا يقابل ؟ أن يكون محباً، الحب تصنعه أنت .

أنا أتمنى أيها الإخوة الكرام أن يكون كل بيت جنة، بإمكانك أن تفعل بأي ظرف، بيت صغير، كبير، عال، منخفض، أجرة، ملك، زوجة وسط، شاطحة، درجاتها مئة، تسعون، خمسون، أربعون، ممكن أن تصنع الحب بيدك، بابتسامتك، بإلقاء السلام، بالصدق، بالخدمة، بالعطف، بالمحبة، بالإكرام، تصنع الحب، ولما قال النبي عليه الصلاة والسلام: ورزقني حبها، السيدة خديشة، رزقني، يعني رزق الإنسان حب حليلته، متى المصيبة ؟ أن يحب امرأة لا تحل له، ويتعلق بامرأة لا تحل له، أما إذا أحب زوجته فهذا إنجاز كبير، يحتاج إلى دقة، وإلى تطبيق السنة، هل فيك أن تحب الطلاب ؟ نعم أنت حينما تحبهم يحبونك، هل لك أن تحب من حولك في العمل؟ نعم أنت حينما تحبهم يحبونك، الكلام الدقيق يصنع بأيدينا، وليست القضية غيبية، ضبابية، يهبهم الله لمن يشاء، لا أنت بانضباطك تحب وتحب .

مرة كان لنا أستاذ بعلم النفس من أكبر المدرسين، وله سمعة في الشرق الأوسط، تقاعد، ولمرة واحدة جامعة دمشق وكلية التربية التي كنت فيها أقيم حفل وداع كبير لهذا الأستاذ، فألقيت كلمات كثيرة، وقام، وألقى كلمة، قال: الإنسان الذي لا يشعر بحاجة إلى أن يحب أو يحب فليس من بني البشر .

يجب أن تشعر بحاجة إلى أن تحب الناس، وإلى أن يحبوك، في حالات بالحب كان الصحابة الكرام إذا مشى اثنان وفرقت بينهما شجرة يسلمان على بعضهما بعد الشجرة، واشوقاه لفلان، البارحة العشاء كنت معه، الفجر سلم عليه، وقال له: وا شوقاه إليك، هذا الحب أنت حينما تحب الناس يحبك الناس، تحب زوجتك، تحب زوجتك، تحب أولادك، يحبك أولادك، تحب جيرانك، يحبك جيرانك، هذه عملية متداخلة، تأكد: مستحيل أن تحب إنساناً، ولا يحبك، أو مستحيل يحبك إنسان، ولا تحبه، الدليل: عوضاً عن اللعن والنقد والحقد والكرامية، والفضيحة والتشهير، والقنص واللمز، الحب، فلذلك أيها الإخوة الكرام، كلمتان خفيفتان على اللسان، الحب يصنع صناعة، بإمكانك أن تحب كل من حولك، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم، الابتسامة صدقة، وطلاقة الوجه صدقة، والإكرام والهدية، والنبي قال: تهادوا تحابوا، أفشوا السلام بينكم، ممكن أن يكون الحب

أساسه إفشاء السلام، والهدية والدعوة والخدمة، والنصيحة لا الفضيحة .

أنا جعلت هذا الدرس إن شاء الله حول النموذج اللعان، القناص، المنتقد، القاسي الذي يغمز، ويلمز، ويشهر، ويفضح، هذا لا يشم رائحة الدعوة إلى الله، ولا يشم رائحة العمل الصالح، هو مرفوض عند الناس، أما الذي يحب الناس، لأنه يحب الله، لأن هؤلاء عباده، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

وكنت أقول دائماً: الأنبياء ملكوا القلوب، والأقوياء ملكوا الرقاب، وشتان بين أن تملك القلب، وبين أن تملك الرقبة فرق كبير، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم، أهرامات مصر قليلة، مئة مئآت الألوفا من أجل أن يكون الهرم قبراً لإنسان، الهرم قبر، الأنبياء يمدحون في غيبتهم، والأقوياء في حضرتهم .

أيها الإخوة الكرام، والناس جميعاً أتباع نبي أو قوي، أتباع الأنبياء رأسمالهم أخلاقهم العالية كمالتهم تملك الصدق، والأمانة، والرحمة، والطف، والتواضع، والأقوياء أسباب قوتهم دفتر الضبط الذي مع الشرطي، هذا معه صلاحية معه قوة .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون هكذا محبين بعيدين عن اللعن والانتقاد .

## والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 119 - 127 ) : الابتعاد عن العمل الذي يمكن أن يفتتن به ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-06-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، مع التدقيق والتمحيص في المشكلات التي يعاني منها المسلم قد تجد أن أكبر سبب لتقصيره أو انحرافه يعود إلى البيئة التي يعيش فيها، فبعد أن تؤمن بالله الإيمان الذي يحملك على طاعته، وبعد أن تؤمن باليوم الآخر الإيمان الذي يمنعك أن تؤذي مخلوقاً أمامك ما يسمى بالحمية، من هو مجتمعك؟ مع من تجلس؟ مع من تسافر؟ مع من تسهر؟ هذا الذي تألفه ويألفك ما مستوى إيمانه؟ ما مستوى ورعه؟ الشيء الثابت أن أكثر الشباب يفسدهم رفائهم وأن أكثر النساء حينما يختلطن بالجيران تفسد أخلاقهم، إذاً قضية العزلة والاختلاط قضيتان الآن خطيرتان جداً لأن البشرية كما تعلمون مقسمة إلى فريقين وفي هذه الأيام التقسيم حاد، كان في أبيض وأسود يعني مؤمن وكافر وفي آلاف الألوان الرمادية بينهما، الآن مع شيوع الفساد الأخلاقي مع شيوع الكفر مع شيوع البعد عن الله عز وجل لا تجد في المجتمعات إلا حالتين حادثين إنسان مستقيم تماماً وإنسان منحرف تماماً فحينما يأتي المستقيم لمجتمع منحرف حينما يقيم نزهة في الأمكنة التي يرتادها المنحرف حيث النساء الكاسيات العاريات حيث الأغاني حيث الثقلت حيث المزاح الرخيص حيث الغمز واللمز فالإنسان حينما يختلط مع من ليس من جنسه يدفع الثمن باهظاً.

وفي هذا الموضوع دائماً أنا أذكر ما يسمى بلعبة شد الحبل، أنت إن أمكنك أن تشد هؤلاء إليك هذه حالات نادرة كن معهم على حذر أما إن رأيت أنك لم تستطيع أن تشدهم إليك بل ملت إليهم وملت إلى سلوكهم وملت إلى ثقلتهم هذه حالة خطيرة جداً، فنحن في هذه الأيام في حاجة ماسة جداً إلى أن نؤوي إلى الكهف وكهفنا مسجدنا وبيتنا والكهف أيضاً إخوتك المؤمنون والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

## (( لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ))

أيها الإخوة الكرام، الله عز وجل أودع في النفس الشهوات وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ترى المؤمن متمتع بكل ما سمح الله له به من طعام وشراب ونظافة وثياب وزوجة وأولاد ومكانة اجتماعية، الشهوات حينما يسمح بها من قبل الله عز وجل يسمح بها بالقنوت النظيفة المرأة زواج، محارم يجلس مع أمه ومع أخته ومع خالته وعمته ومع ابنته ومع ابنة ابنته وابنة ابنه لكن المرأة الأجنبية لو أنه جلس معها ونظر إليها ربما مالت نفسه إلى غير زوجته هنا يأتي الخطر، مادام الاختلاط محرم إذاً يبدأ الخطر من الاختلاط فالمجتمعات التي لا تهتم بعدم الاختلاط بل تمارس الاختلاط هذه مجتمعات لو جالستها يعني سهرت عند خالتك وبنات خالتك صبايا على الأرياء الحديثة جالسين وضحك وتعليقات أنت تأتي إلى البيت لا تستطيع أن تصلي العشاء دخلت في عالم ثاني، بنت الخالة لا ينبغي أن تجلس معها لم يأت اسمها في المحارم فأنت حينما تكون وفق منهج الله أنت في رعاية الله وأنت في حفظ الله وأنت في ضمانه الله وأنت في توفيق الله، ودائماً الشهوة التي يسمح الله لك بها تمارسها وأنت في سعادة وأنت في قرب من الله عز وجل، أي علاقة بين زوجين لو تعمقت لو ازداد الحب بينهما هذه علاقة يرضى الله عنها تحس أنك في أعلى درجة من القرب من الله وأنت قريب من زوجتك أما حينما تدير حديثاً لا ينبغي أن تديره مع امرأة لا تحل لك أو حينما تتأمل محاسنها وطبيعة المجتمع تسمح بذلك، كثير في تقلت فالمرأة تبرز أجمل ما عندها لمن في البيت أصدقاء زوجها أحياناً أقربائها غير المحارم أحياناً فهذا المجتمع الذي فيه تقلت فيه مشكلات كبيرة جداً والنقطة الدقيقة أنك لو بحثت عن كل المصائب التي يعاني منها الناس، اعتقد اعتقاداً جازماً أن وراء كل مصيبة معصية وأن وراء كل معصية جهل وأن الجهل أدى أعداء الإنسان وأن الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

في مؤلفات قديماً وحديثاً عن جرائم ارتكبت في هذه البلدة، كتاب واحد لفت نظري أن الذي ألف الكتاب مدير سجون بالقطر يذكر الجريمة ويذكر المعصية الشرعية التي سببتها ثم يذكر المادة القانونية التي يتعاقب عليها كتاب لطيف جداً لولا هذا التبرج الزائد لما اقتحم الجار بيت جارته ولما اغتصبها وانتهى الأمر بالطلاق وهو بالسجن.

فلذلك أيها الإخوة الكرام، ما من مصيبة على وجه الأرض إلا وراءها معصية لله وما من معصية لله إلا وراءها جهل، والإنسان مفطور على حب وجوده وعلى حب كمال وجوده وعلى حب سلامة وجوده وعلى حب استمرار وجوده فلذلك المشكلات التي تتأتى له هي مشكلات ناتجة عن جهل بل إن أهل النار وهم في النار أزمتمهم الأولى والأخيرة هي الجهل قال تعالى:

## ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

[ سورة الملك ]

فيا أيها الإخوة الكرام، شاب يركب دراجة وراكب الدراجة يبذل جهداً عضلياً كي يحركها على طريق مستوية إذا به أمام طريقين طريق صاعد وطريق هابط كل معطيات الطريق الهابط تدعوه للسلوك به طريق عريض معبد أشجار على الطرفين أرض مزروعة بالنبات الأخضر نسمات لطيفة يقول لك واقع، معطيات الواقع، طرح واقعي، يعيش فلان وقته، يعيش شبابه هذا كلام العوام والطريق الآخر صاعد وراكب الدراجة بشكل أو بآخر من أصعب الأشياء أن يواجه طريقاً صاعداً لأنه جهد عضلي فضلاً عن ذلك الطريق الصاعد فيه عقبات وفيه أكمات وفيه صخور وفيه حفر وتراب ولا في أشجار ولا شيء وفيه جهد كبير وفي عوائق تصدك، لو عرضت الخيار على مليون إنسان يختار الطريق النازل لو عرضت الاختيار على مليون راكب دراجة يختار الطريق النازل يقول لك الواقع والبيئة والمعطيات والظروف والمغريات كل شيء يدعوه إلى النزول، الآن لوحة صغيرة مكتوب على أول الطريق الهابط هذا الطريق ينتهي إلى حفرة مالها من قرار فيها وحوش كاسرة، يعني في نهاية هذا الطريق موت محقق، موت عن طريق هذه الوحوش، الطريق الصاعد ينتهي بقصر منيف هو لمن دخله فيه ما لذ وطاب، على رأس رابية له إطلالة رائعة جداً كل أنواع الأشياء الراقية فيه من تكييف إلى تدفئة إلى طعام إلى شراب إلى إطلالات إلى غرف يا ترى هذه اللوحة ألا يجب أن تعكس قرارك ؟

هذا كل ما في الأمر، فالذي يعيش الواقع ليس من بني البشر أما الذي يتفهم النص ويتفاعل معه هو الإنسان، الذي يحكم عقله هو الإنسان كنت أضرب مثل سابقاً، إنسان بيته في أحد أحياء دمشق والمركبة العامة في أيام الصيف تقف باتجاه الشرق وعلى اليمين شمس محرقة وعلى اليسار ظل ظليل، يطلع الراكب يجلس في الظل شيء طبيعي جداً لكن هذه المركبة أمامها دقيقة واحدة تدور حول الساحة فتعكس الآية فالذي جلس في الظل يتحمل أشعة الشمس القاسية إلى نهاية الطريق، لو إنسان فكر يقول هذه المركبة بعد دقيقة بعد أن تدور حول الساحة تتجه إلى الغرب فالذي كان على اليمين في الشمس المحرقة يصبح في الظل الظليل والذي كان على الشمال في الظل الظليل يصبح في الشمس المحرقة، هي القصة كلها بهذا الشكل يمكن هذا المثل المتواضع البسيط حتى الساذج أن يمثل الدنيا والآخرة، إنسان أراد الأبد وإنسان أراد اللحظة التي يعيشها، والناس جميعاً يعيشون لحظتهم فذلك هذه النفس لها متطلبات الإنسان يحب الاختلاط لأن في طبع ومعه تكليف، في تناقض بين الطبع والتكليف، والتناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة، التناقض بين الطبع وبين التكليف ثمن الجنة، الإنسان يحب الاختلاط ويحب يأخذ المال ويحب أن يملأ عينه من محاسن النساء ويحب أن يخوض في فضائح الناس ويحب أن يبقى نائماً حتى يستريح، يأتي التكليف يأمره بغض البصر ويأمر بالاستيقاظ ويأمره بضبط لسانه ويأمره بإنفاق ماله فأنت حينما ترى التكليف يناقض الطبع وأنت تتخذ قرار بطاعة الله عز وجل هنا ترقى عند

الله، قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (41)

[ سورة النازعات ]

فالذي أريده في هذا الدرس إن شاء الله لا تسترسل مع رغائبك، لا تسترسل مع شهواتك، لا تسترسل مع الواقع، تسترسل مع المعطيات التي تفرضها البيئة، لا تسترسل مع ما يفعله الناس كنت أقول دائماً المؤمن يلفت النظر لا بأفكاره ولا بقناعاته بل بسلوكه.

سمعت عن شركة نقلات بنظام الشركة أن الطريق إلى حلب طريق طويل لو أن امرأة حجزت مقعداً في هذه المركبة ولم تأت امرأة أخرى لتكون إلى جانبها نظام الشركة يقتضي أن تبقى وحدها في المقعد، ضمان لعدم التحرش.

ترى عند المؤمن معطيات جديدة مبادئ جديدة فأنا الذي أراه مالم يكن لك تصرف يلفت النظر أساسه الصدق أساسه الأمانة أساسه العفة أساسه ابتغاء مرضاة الله عز وجل لم تجذب الناس إلى دينك ولم تجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ:

(( رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ ))

[ متفق عليه ]

وأنا قلت لكم سابقاً كلمة الجهاد كلمة رنانة الآن لكن ما إن تذكر حتى يقفز إلى الذهن أنه الجهاد القتالي، والجهاد القتالي جزء من الجهاد طبعاً، لكن قبل الجهاد القتالي في أنواع من الجهاد في الجهاد النفس والهوى، وفي الجهاد الدعوي، وفي الجهاد البنائي، فحينما ننجح في جهاد النفس والهوى، وفي الجهاد الدعوي، وفي الجهاد البنائي، ينتظر أن ننجح في الجهاد القتالي فَقَالَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ فَقَالَ:

## (( رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ ))

بنفسه لها معاني كثيرة غض البصر جهاد النفس ضبط اللسان جهاد نفسي، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، أيام تكون لك قريبة لك شابة وفي عندها شيء من العيب في أصل شكلها، فالإنسان الفاسق المنحرف المتقلت يعيرها بلونها أحياناً يحطمها بهذا، يمكن كلمة شكلها، إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، قالت له قصيرة، قال يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته.

أخت كريمة سألتني على الهاتف أن المرأة التي معذورة بعدم أداء الصلاة لو أنها مع الظروف الشرعية مئة بالمئة نزلت في البحر طبعاً بكامل ثيابها وبمعزل عن أي عين تراها ألا ينجس البحر كله ؟ أنا عجبت من هذا الاستفهام قلت لها في بعض المدن الساحلية المياه السوداء تمشي في البحر خمسين كيلو متر والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

## (( البحر طهور ماءه ))

خمسين كيلو متر في مدن عملاقة عشرين مليون المياه السوداء تصب في البحر مياه نجسة تصب في البحر وتمشي في البحر أكثر من خمسين كيلو متراً والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

## (( البحر طهور ماءه حل ميتته ))

معقول امرأة واحدة في دورتها، طبعاً أنا أذكر أنها نزلت في البحر بكل الظروف الإسلامية الصحيحة، هذه حالات نادرة الآن ما في ولا عين وبكامل ثيابها، لكن قال يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته، أيام النقد اللاذع التعبير أحياناً كشف العيوب الخفية هذا نمط من أنماط السلوك المنحرف الذي يتصف به البعيدون عن الله عز وجل، فقال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

المال محبب إنفاقه يحتاج إلى إرادة قوية المرأة محببة غض البصر عنها شيء يحتاج إلى إرادة قوية،

((قَالَ نُمْ مَنْ قَالَ مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ))

وفي رواية يتقي الله،

(( وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ ))

عندنا يسمونه فقه الاستثناء الأصل الإنسان يعيش مع الناس يعيش معهم في أماكنهم وفي منتجعاتهم وفي أسواقهم وفي وفي، لكن في ظروف صعبة جداً الآن الأسواق والعياذ بالله لا يستطيع شاب أن يمشي بالأسواق المزدهمة بالأسواق وأن ينجو من الفتنة فالأولى أن نبتعد عن كل هذه الأسواق، ممكن في طريق فرعي في طريق موازي لهذا الطريق في نساء لكن بعدد قليل جداً وعض البصر سهل لكن في طرقات تعج بالنساء الكاسيات العاريات الأولى أن يبتعد الإنسان عن هذه الطرق

((قَالَ نُمْ مَنْ قَالَ مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ))

وفي رواية يتقي الله،

(( وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ ))

أنت الميزان معك حينما تخاف على نفسك أن تزل قدمك حينما تشتهي ما عند الفسقة حينما تضطرب لقصص تسمعها من المنحرفين هذه بادرة خطيرة جداً، سيدنا عمر يقول تعاهد قلبك. لاحظ نفسك فنحن موضوع العزلة والاختلاط ما الذي يحكمه؟ الجليس الصالح أفضل مليون مرة من العزلة، الجليس الصالح والعزلة أفضل مليون مرة من الجليس السوء هذه قاعدة تنتظمها لعبة شد الحبل إن شدوك إليهم ابتعد عنهم وإن أمكنك أن تشدهم إليك اقترب منهم، في إنسان قوي الشخصية وله هيبة كبيرة إذا جلس في مجلس طليق اللسان وعنده قوة حجة وبيان وله تأثير روعي قوي، أولياء أمتي إذا رؤوا نكر الله بهم، المؤمن له هيبة كبيرة جداً من اتقى الله هابه كل شيء، فإذا أنت إيمانك قوي وموصول بالله عز وجل ومعك قوة تأثير قوية جداً ومعك حجة كبيرة ولك روحانية عالية وجلست مع أناس يقدروك ويحترموك لكنهم غير منضبطين فانضبوا بوجودك واستمعوا إلى كلامك وتأثروا به اجلس معهم ما في مانع، أما إذا جلست معهم وندمت على حياتك البسيطة أو على تشددك أو على تزمك كما يقول الطرف الآخر، هذه مشكلة كبيرة في نقطة لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله ويدلك على الله

مقاله، لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي فأنت حينما تتطرق بالحق وتؤثر فيمن حولك نقول لك الاختلاط بقصد أن تأخذ بيد هؤلاء إلى الله أو لا، أما حينما تدخل على بيت غني فتخرج من عنده وأنت ساخط على الله ما عندك شيء السجادة ثمنها ثمانمئة ألف أنت تحتاج سجادة بألفين وطنية، ثريا سبعمئة ألف ترى بيت أربعمئة متر إطلاقات أنت ساكن بثمانين متر تراه جنة، فإذا دخلت على الأغنياء وخرجت من عندهم وأنت على الله ساخط ابتعد عنهم لأن هذه الدنيا زائلة يا أيها الإخوة الكرام، في موضوع دقيق جداً جداً ما معنى حظ؟ نصيب الله موزع الحظوظ بالدنيا لكن توزيع ابتلاء، الله أعطاك مال، هذا المال مادة امتحانك، أعطاك وسامة الشكل الجميل مادة امتحانك، أعطاك زوجة الزوجة مادة امتحانك، أعطاك أولاد مادة امتحانك، لم يأتك أولاد ذكور حرمك من الذكور الحرمان من الذكور مادة امتحانك، جعل دخلك محدود لا يكفي هذا الدخل المحدود مادة امتحانك، أنت ممتحن مرتين، ممتحن فيما أعطاك الله ممتحن فيما زوى عنك ما في دعاء أجمل من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما تحب وما زويت عني ما أحب اجعله فراغاً لي فيما تحب.

الله عز وجل خبير، الله عز وجل يعلم ما أنت فيه، إن تحركت يراك وإن سكت يعلم خواطرك، عليم بصير، يعلم ما أظهرت ويعلم ما أخفيت، يعلم ما أعلنت ويعلم ما أسررت أحياناً يعلم ما خفي عنك لو سألنا عشرة أشخاص ولو ترك فجأة مئة مليون ماذا تفعل؟ أنا متأكد لو سألت هذا السؤال لإنسان لا يعرف يا ترى يسرق يفجر يستقيم يعمل مؤسسة خيرية يزوج شباب لو ترك مئة مليون بثانية ماذا تفعل لذلك قالوا علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فأنت لما توتى المال تمتحن في نقطة متممة لهذا الموضوع يقول عليه الصلاة والسلام كل ميسر لما خلق له. والعياذ بالله هناك من يفهم هذا النص أن الله خلقه لجهم بالأصل إذا ييسر له المعاصي ترى يقول طاسات معدودة بأماكن محدودة، وهذا الزنا الله كتبه علي ماذا نفعل هذا الله يريد، كل العصاة يعزو معصيتهم إلى الله عز وجل، لكن الحقيقة أن كل إنسان من دون استثناء ميسر لما خلق له من الجنة، أنت مخلوق للجنة قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود: 119]

خلقك للجنة، الآن أحياناً المال يصرفك عن هذا الهدف يكون دخلك محدوداً، أحياناً الدخل المحدود يبعدك عن هذا الهدف تكون غنياً، إن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى فإذا أفقرته أفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه، الآن أنت ميسر لما خلقت له من الجنة وأقوى دليل قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)﴾

[ سورة الليل ]

صدق أنه مخلوق للجنة والثاني كذب بالحسنى، صدق أنه مخلوق للدنيا فقط، إذا أنت ممتحن مرتين ممتحن فيما أعطاك ممتحن فيما زوي عنك والحظوظ في الدنيا إن عدت المال حظاً والقوة حظاً والوسامة حظاً وطلاقة اللسان حظاً وزوجة رائعاً حظاً وأولاد نجباء حظاً وبيتاً مرموقاً حظاً ومركبة فارهة حظاً إن عدت هذه حظوظ هذه الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء امتحان.

والله مرة دخلت إلى بيت لعلاقة طارئة صاحب البيت في أرقى أحياء دمشق أنا لا أسأله عن مساحته قال لي هذا البيت مساحته أربعمئة متر، قلت له الله يهنتك به، قال لي له إطلالة رائعة تعال حتى أريك، شاهدنا برنودة كبيرة، قال هذا البلاط أحضرناه من إيطاليا شحن جوي، خير إن شاء الله، هذا الطقم إستيراد طقم لويكاز فرنسي، هذا المنظر من باريس، عنده هوس بالحديث عن بيته وعن مساحة بيته وعن أثاث بيته وعن مقتنياته وعن التحف الغالية جداً فأنا ضاق بي الأمر أكثر كثيراً من الحديث عن هذا البيت، قلت له هذه الآية:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

[ سورة الإسراء ]

هل يقارن هذا البيت ببيت بأفقر أحياء دمشق تحت الأرض من دون كسوة شمالي الجدران كلها رطوبة وسياق مكشوف وأبواب لا يوجد قماش، لكن في باب خارجي، قال لي لا يوازن، بيت بثمانين مليون وبيت بثلاثة وخمسين ألفاً، انتقلت إلى رئيس أركان وجندي بالخط الأمامي الأول بأيام الشتاء بحفرة ممتلئة ماء عليه أن يقبع بهذه الحفرة، وازنت بين طبيب جراح دخله فلكي وبين ممرض مهمته أن ينظف المرضى بعمل لا يحتمل، بين أستاذ جامعة أستاذ ذو كرسي وبين معلم بقرية، بين رئيس غرفة تجارة وبين بائع صحون بأحد أسواق دمشق كلما

شاهد شرطي يهرب منه، من رئيس غرفة تجارة كل صفقة بثمان ملايين لبائع صحون، من ممرض ينظف المرضى من تحتهم لأكبر طبيب، من أستاذ جامعة ذو اختصاص عالي جداً أستاذ ذو كرسي إلى معلم بقرية، من رئيس أركان إلى جندي هكذا قلت اسمع قوله تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

[ سورة الإسراء ]

لكن أطمئنك أن مراتب الدنيا لا تعني شيئاً وقد تعني العكس، الله عز وجل اعطى الملك لمن لا يحب أعطاه لفرعون وأعطاه لمن يحب لسيدنا سليمان، مادام الملك أعطي لمن يحب ولمن لا يحب إذاً لا يعني شيئاً، أعطى المال لمن يحب لسيدنا ابن عوف وسيدنا عثمان وما ضر عثمان ما فعله بعد اليوم، وأعطى المال لقارون قال تعالى:

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)﴾

[ سورة الإسراء ]

قلت له مراتب الدنيا لا تعني شيئاً أبداً لكن مراتب الآخرة تعني كل شيء، أولاً مراتب الدنيا مؤقتة، بركم إنسان يموت له قريب غني كبير وبيته ثمنه خمسين سنتين مليون أثناء التعزية ما يخطر في بالك أين صاحب البيت اليوم نائم؟ ترى كل غرفة ثمانية بسة، الجبسين الثريات السجاد الإيراني أين صاحب البيت نائم اليوم؟ في باب صغير في سيراميك في بلاط في إضاءة مخفية في أجهزة تسلية أمامه في صحن فضائي يرى الأفلام في الليل؟

دفن غني كبير بمصر فأولاده خافوا عليه من أول ليلة، يروى أن أول ليلة أصعب ليلة يقول عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك ولو بقوا معك ما نفعوك ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت. على كل أنزلوا معه إنسان فقير منتوف يلبس كيس خيش فتحه من الأعلى من أجل رأسه وفتحه من أطرافه من أجل يديه مربوط بحبل، فلما جاء أنكر ونكير وجدوا في اثنتين في القبر هذه أول مرة تصير معهم بدأوا بالحي أوقفوه أنت من أين الحبله جئت بها؟ قال أخذتها من البستان، كيف دخلت إلى البستان ما عرف أن يجيب ضربه حتى كاد أن

يموت، فتأتي يوم خرج من القبر قال الله يعين والدكم. قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

[ سورة الحجر ]

أيها الإخوة الكرام، موضوع الحظوظ يوزع في الدنيا توزع ابتلاء وسوف توزع هذه الحظوظ في الآخرة توزيع جزاء الحظوظ في الدنيا لا تعني شيئاً أولاً مؤقتة وتنتهي بالموت ماذا يفعل الموت؟ يسوي بين الفقير والغني، الغني الذي معه ألف مليون كفه ثمانين ليرة خام وأسمر والذي لا يملك إلا ليرة كفه ثمانين ليرة يسوي بين الغني والفقير، الموت ينهي غنى الغني ينهي فقر الفقير، ينهي قوة القوي ينهي ضعف الضعيف، ينهي ذكاء الذكي ينهي محدودية المحدود، ينهي صحة الصحيح ينهي ذميمة الذميمة، الموت ينهي كل شيء الحظوظ توزع في الدنيا توزيع ابتلاء وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء لذلك البطولة أن تضحك آخراً.

يأتي الطفل كل من حوله يضحك تهنئة ومباركة وهدايا وكراوية لكنه يبكي وحده، عندما يموت كل من حوله يبكي أنا أقول لكم إذا كنت بطلاً تضحك وحدك عرفت الله بوقت مبكر طبقت منهجه أحسنت إلى خلقه دعوت إليه أقم الإسلام في نفسك وفي بيتك وفي عملك جاء ملك الموت تفضل قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَن كُتِبَ لَهُم مِّن قَبْلِي أَن يَرْبُوا (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)﴾

[ سورة الحاقة ]

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26)﴾

[ سورة يس ]

(( رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ))،

أيها الإخوة الكرام، من أكثر موضوعات ضعف الإيمان أول سبب أن تختلط بالعصاة، المعصية محبة أيها الإخوة الكرام، أماكن المعصية أنيقة جداً وفيها تقلت وفيها شيء من اللامبالاة أنت حينما تألف مجالس أهل الدنيا ومنتزعاتهم ومقاصفهم هذه ظاهرة خطيرة جداً أما إذا توي إلى بيت من بيوت الله تأنس بالقرآن تأنس بإخوانك تحب أن تكون مع المؤمنين مع الطائعين مع من يعرفون كلام الله عز وجل

(( قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ مُؤْمِنٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ))

الآن معتزل في بيته، بيت المؤمن جنته بالتعبير العامي المؤمن بيتوتي والكافر زقاقاتي، كل حياته بالماهي والمقاصف والمطاعم الدخول إلى المطاعم صار شيء طبيعي جداً والمطاعم ما فيها حجاب فيها اختلاط فيها موسيقى وفيها أغاني وفيها تقلت وفيها نساء كاسيات عاريات فلذلك

(( ثُمَّ مَنْ قَالَ مُؤْمِنٌ فِي شَعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ ))

وفي رواية ينقي الله،

(( وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ ))

رواه البخاري ومسلم، وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ ))

[ البخاري، النسائي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

ولإسقاط الحديث على الواقع كيف ؟ يوشك وفي رواية أن يكون خير مال المسلم غنم خبر ومبتدأ، أو أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شفاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن. هيء لك عمل في أحد أسواق دمشق النسائية كل الزبائن نساء وحاجاتهم خاصة جداً فأنت مع النساء من الصباح وحتى المساء وطلباتهم ألبسة، أشياء ألبسة خاصة جداً وأنت شاب إذا كان في عمل في زقاق الجن لو فيه أصوات وفيه زفت وزيت

ومناظر غير مريحة لكن هذا المكان أفضل ألف مرة من مكان فيه نساء كاسيات عاريات هذا معنى الحديث، عمك إذا كان ضمن جو فيه فسق وفجور هذه مشكلة فإذا اخترت عملاً دخله أقل لكن فيه حفظ للنفس، في أعمال بعيدة عن الفتن في أعمال قريبة من الفتن فأنا أقول للشباب ليس كل عمل ممكن أن تمارسه في عمل ينتهي الإنسان ينتهي دينه به ودائماً الإنسان إذا كان له اتجاه ديني دخل لبيئة غير متقلبة يصمد جمعة جمعتين ثلاثة وبعد ذلك في قصص لا تعد ولا تحصى من رواد مساجد ومن حفاظ كتاب الله لما انفتحوا على مجتمع متقلت وجلسوا معه بعد حين تركوا الصلاة وتركوا كل العبادات وانغمسوا في حمئة هذه الشهوات فهذا الحديث إسقاطه على الوضع المعاصر يعني العمل الذي يمكن أن تقن فيه ينبغي أن تبتعد عنه، العمل القريب من مواطن الفتن ينبغي أن تبتعد عنه، العمل الذي بضاعته محرمة ينبغي أن تبتعد عنه، هذا معنى الحديث في هذا الزمن.

أيها الإخوة الكرام، من دون مجاملة ألصق شيء بنفسك عمك، عمك مشروع أنت مرتاح إذا عمك غير مشروع في عندك قلق عميق، إذا بضاعتك محرمة مثلاً تراه يبيع طاولات زهر، يبيع دخان فرضاً، يبيع أزياء نسائية فاضحة بدرجة غير معقولة وهو يعلم علم اليقين أن هذه الأزياء تلبس في الطريق تلبس للأجانب فإذا كان حرفتك لها علاقة بالتقلت ولها علاقة بالانحراف لا تتراح فيها، أهم شيء أن تختار زوجتك وحرفتك لأنهما ألصق شيء بك، الزوجة تعينك على طاعة الله والحرفة نظيفة، في حرف تحس بقلق دائم بمصرف فرضاً مصرف ربوي فأنت مهمتك بالحسابات تدقق بالفوائد وتدقق بالتحصيلات تشعر بقلق دائم فأى حرفة تقلقك بممارستها ينبغي أن تبتعد عنها بإسقاط الحديث لا أكلف أحد يأخذ كم غنمة ويطلع إلى قاسيون لا ليس هذا المقصود بالحديث الآن تأخذ كم غنمة وتطلع على قاسيون ليس هذا المعنى، المعنى اختار حرفة نظيفة بعيدة عن الشبهات بعيدة عن الفتن، أيام بالطب في اختصاصات كلها مع النساء في إنسان لا يقاوم تضعف نفسه وفي خلوة طبعاً الطب حرفة مقدسة وحرفة إنسانية لكن أحياناً يكون في مفسدة كبيرة جداً ناتجة من الاختصاص، دخلت كلية الطب حاول أن تعمل اختصاص ما يقربك من فتن كبيرة جداً.

أيها الإخوة الكرام، الكلام موجه إلى الشباب قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾

[ سورة التوبة: 109 ]

فأنت إذا تعرفت إلى الله في سن مبكر أنا اخاطب الشباب أغلب الظن ستختار زوجة صالحة وهذه الزوجة الصالحة هي حسنة الدنيا قال تعالى:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[ سورة البقرة ]

تسرك إذا نظرت إليها، وتحفظك إذا غبت عنها، وتطيعك إذا أمرتها، أدق تفسير لقوله تعالى:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[ سورة البقرة ]

قالوا الزوجة الصالحة، أنت لما تتعرف إلى الله بسن مبكر تختار زوجة صالحة وتختار حرفة راقية دينياً، إن روح القدس نفثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله عباد الله وأجملوا في الطلب، وفي رواية واستجملوا مهنتكم.

بحث عن حرفة جميلة راقية والنقطة الدقيقة في هذا الموضوع أيها الإخوة الكرام، لحكمة بالغة بالغة أرادها الله الحرام سهل والحلال صعب، وفي أمثلة لا تعد ولا تحصى ممكن تغض بصرك عن مستودع تأخذ ثلاث ملايين فقط غصة ممكن تعمل في التجارة ثلاث سنوات ما تأخذ ثلاث ملايين واستيراد ومبيعات ومندوبين وسفر وعرض بضاعة ومستودعات ومالية وتموين وجمارك لا تلحق الثلاث ملايين، معنى ذلك لو أن الحلال سهل والحرام صعب لأقبل الناس جميعاً على الحلال لا لأنه في طاعة الله بل لأنه سهل أما الله عز وجل جعل الحلال صعب والحرام سهل، من يحقق أكبر ربح في العالم؟ لا تصدقوا تجار المخدرات بين الرأسمال والمبيع ألف ضعف، بكل التجارات المشروعة الربح من عشرة إلى خمسة عشر بالمئة بالصناعة لعشرين بالمئة التجارة السقف خمسة عشر

وممكن أن تكون ثمانية وسبعة وستة، أما ألف ضعف مخدرات، ممكن يكون دخلك من وظيفة لا يكفي أسرتك. إنسان قال لشخص فتحت كم بيت دعارة أين... دخل فلكي وسيارات ومصائف وفلل في المصايف و ثلاثة بيوت بالشام.

طبعاً لحكمة بالغة بالغة جعل الله الحلال صعباً وجعل الحرام سهلاً فأنت كمؤمن شاب متفتح يجب ألا تلتفت إلى الدخل الكبير بل أن تدقق في هذا الدخل في شبهات ؟ في شيء العوام يذكرونه كثيراً والعلماء قلما يذكرونه لكنه حقيقة هي البركة، ممكن بدخل معتدل الله عز وجل يبارك لك فيه يكفيك وأنت صحيح ما عندك نفقات استثنائية ما عندك نفقات طبية ما عندك مصائب صارخة، ما عندك مصادرات مخالفات إفلاس، ممكن أن يكون دخل فلكي وكل ضربة أقوى من الثانية فلذلك أيها الإخوة الكرام، ألصق شيء بالإنسان زوجته زائد حرفته إن روح القدس نفتت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله عباد الله وأجملوا في الطلب، وفي رواية واستجملوا مهنتكم.

ولا بد من أن أتكلم كلمة لو أن شخصاً له دخل كبير فيه شبهة ثم أراد أن يتوب لا يتوقع إذا تاب يتضاعف دخله لو تضاعف دخله بعد التوبة لأقبل الناس العصاة على التوبة طمعاً بالربح الزائد لكن الله عز وجل يدفعه ثمن هذا القرار وأكبر دليل مطعم يبيع طعام ومع الطعام خمر في رواد للمطعم في شركات وفي عقود وفي سياح وفي أجانب وفي دخل فلكي لو ألغى بيع الخمر يمكن الغلة تهبط إلى العشر، هبوط الغلة إلى العشر يكون دفع ثمن هذا القرار، هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

لو دققتم في معنى نَجَسٍ غير نَجَسٍ، النجس شيء أصابته نجاسة بالغسيل يطهر لو واحد عنده قطعة معدنية وقعت في بيت الخلاء يأخذها وينظفها جيداً تغدو طاهرة لكن النَجَس هو عين النجاسة مستحيل أن يطهر، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

لما منع المشركون من الاقتراب من بيت الله الحرام توقفت السياحة توقف إيجار البيوت تراجعت غلات المطاعم، المنتزهات المقاصف الفنادق المطاعم تروج هذه بالسياحة فإذا ضعفت السياحة تراجع الدخل، ولأن أيها الإخوة الكرام، السياحة صنم يعبد من دون الله الآن.

وأنا في عندي مثل إذا إنسان دخله محدود جداً وعنده غرفة زائدة فكر أن يؤجر هذه الغرفة لشاب في الجامعة ليزيد دخله، هذا الشاب خانه بزوجه وفي ابنته، فصاحب البيت المبلغ الإضافي الذي جاءه من تأجير هذه الغرفة وضع شرف ابنته وزوجه في توازي ؟ لذلك قال تعالى:

﴿خَفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُعْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[ سورة التوبة: 28 ]

متى يغنيكم ؟ فسوف بعد حين الله يغنيك لكن لا بد من أن يدفعك الثمن، أنت وطن نفسك إذا كان عملك فيه مشكلة، أحياناً يكون عمله بشبهة كبيرة جداً ودخله في الشهر خمسين ألفاً يجد عملاً بثلاثين ألفاً أو عشرين ألفاً العمل الثاني جيد وشرعي مئة بالمئة فأنت لا توازن بين الخمسين والثلاثين بطولتك توازن بين الدنيا والآخرة.

مرة كنا في يعفور بافتتاح مسجد الآن موجود المسجد، إنسان محسن أنشأ هذا المسجد وحده على نفقته ودعانا إلى افتتاحه وافتتح وأقام طعام بعد الافتتاح وألقيت كلمات والله وجهه كأنه بدر فرحان بنفسه أنشأ بيت الله وانتهى الاحتفال، على الضفة الشرقية ملهى قيل لي أن كل الموبيقات في هذا الملهى كل الموبيقات غير المألوفة في هذا البلد في هذا الملهى النساء تقريباً عاريات من بلاد بعيدة جيء بها، بعد افتتاح الملهى بسبعة أيام فطس صاحب الملهى لا أقول مات أقول فطس، بقيت أتصور هذا الذي أنشأ هذا المسجد موقعه يوم القيامة وهذا الذي أنشأ هذا

المهلى موقفه يوم القيامة لذلك أيها الإخوة الكرام، أيام تفتح الإذاعة تجد درس دين والمتكلم متوفى من ثلاث سنوات ودرسه ليلاً نهاراً وتجد مغني آخر مات المغني بالسرطان وأغانيه تملأ الدنيا فهو أعظم عمل ما استمر بعد الموت وأسوأ عمل ما استمر بعد الموت.

حدثني أخ دخل على مسجد في حفل افتتاح فقال له هذا الإنسان في مسؤول بالأوقاف كبير افتتح هذا المسجد قال لي فكرت هذا افتتح مسجداً وعين خطيباً في موظفين آخرين يفتتحون مهلى ويعينوا راقصة، في فرق كبير جداً ما في كلمة تقدر أنهى بها الأخ المؤمن الصادق إلا هذه الكلمة إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك. أنت ما دورك في الحياة؟ في مئات الملاهي لها أصحاب بشر مثلنا يعيش على الفساد في راقصة في خمر وفي طعام وفي مغني وفي أسعار غير معقولة ومعظم رواد هذا المهلى يسكرون ليلاً وفي إنسان فاتح مكتبة أو فاتح مدرسة أو فاتح ميمم يعتني بالصغار أكبر كلمة أقولها لك إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك، أنت كيف استعملك الله عز وجل يا عبادي الخير بيدي والشر بيدي فطوبى لمن قدرت على يديه الخير والويل لمن قدرت على يديه الشر.

أيها الإخوة الكرام، لا تقر عينك إلا إذا استقام عملك، طبعاً لا تحتاج أنت إلى أعمال بطولية إذا أنت بالأساس أدبت الفرائض وكان عملك صح وزواجك صحيح وبيتك إسلامي وعملك إسلامي وأي عمل آخر تدفعه مع الفسق والفجور دائماً الإنسان لما يكون غارق بالمعاصي يميل إلى أعمال صالحة حتى يغطي هذه بهذه، لا أداء الفرائض أولى بأعمال صالحة ترافق فسق وفجور.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (120 - 127) : الترغيب في التواضع و الترهيب من الكبر

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2005-06-26

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القريات.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، واليوم الحديث عن الترغيب في التواضع و الترهيب من الكبر.

ذكرت من قبل أيها الإخوة الكرام أن هناك كبائر ظاهرة، كالقتل، وشرب الخمر، والزنا، والسرقه، وما إلى ذلك، هذه الكبائر صارخة وواضحة وظاهرة، ومعظم المسلمين بعيدون عنها . والحمد لله . إلا قلة قليلة ممن شردوا عن الله عز وجل، ودفَعوا ثمن شرودهم شقاء في الدنيا والآخرة.

ولكن المشكلة في الكبائر الباطنة، الكبائر الباطنة قلما يتوب منها الإنسان، لأنها ليست ظاهرة، من هذه الكبائر الكبر.

الكبر أيها الإخوة الكرام يصيب معظم الناس، أنت إذا نجحت زلت قدمك إلى الكبر، لذلك أخطاء الناجحين كبيرة جداً، والبطولة لا أن تصل إلى قمة النجاح، ولكن أن تبقى في هذه القمة، وكثيرون وصلوا إليها، ولكن الغرور أصابهم، و الكبر تشرب في أفعالهم و أقوالهم فسقطوا.

ومن سمات المؤمن التواضع، والتواضع في الحقيقة ليس تصنعاً، هو حقيقة، بمعنى أن العبد عبد، وأن الرب رب، وأنت بالتواضع قد تصل إلى كل ما عند الله من عطاء، وبالكبر قد تحجب نفسك عن أعظم عطاءات الإيمان، وكما قيل، و لست ممن يروج هذه المقولة: رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً، فالإنسان حينما يرى نفسه متفوقاً، وهذا التفوق قد يجعله في طريق يستغني عن رحمة الله، حجب عن الله، فلذلك الكبر من الكبائر الباطنة، ولو علم المتكبر أنه متكبر فليس بمتكبر، خطورة هذا المرض كيف أن في

الجسم أمراضاً عضالة مميتة ليس لها أعراض، كالأورام الخبيثة، لا يوجد أعراض أبداً، متى يبدأ العرض ؟ حينما يستفحل، إذا استفحل، وصار المريض في طريق مسدود تظهر أعراض المرض.

أيها الإخوة الكرام، الأحاديث المتعلقة بالكبر عديدة جداً، من أبرزها فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ))

يوجد قضية دقيقة في التواضع، وهي أنك إذا تأملت في خلق السماوات والأرض، وأنتك إذا اتصلت بالله عز وجل، واطلعت على جانب من عظمة الله عز وجل ترى نفسك لا شيء، كلما ضعفت معرفتك بالله نمت نفسك، الأنا تضخمت، وكلما ازدادت معرفتك بالله تضاءلت الأنا، أنا لا أرى أن في حياة البشر على الإطلاق إنساناً في قمة التفوق، وفي قمة التواضع كرسول الله ﷺ، لذلك قالوا من: رآه بديهة هابه، ومن عامله أحبه، كان يأكل مع الخادم، تستوقفه امرأة يكلمها في حاجتها طويلاً، تأخذ بيده الجارية البنت الصغيرة، وتقوده إلى حيث تشاء، ويقول: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة.

صدقوا أيها الإخوة الكرام أن كل واحد منكم ربما أكرمه الله بالدعوة إليه، أو ربما التقى بعض الناس حوله، لأن كل شخص بالمسجد عند أهله شيخ، وعند أهله مظنة صلاح، وعند أهله مظنة اتصال بالله عز وجل، لذلك أنت هنا من المستمعين، من طلاب العلم، لكنك في حيز بيتك وأهلك وأقاربك أنت محسوب على أهل الإيمان، ولأن لك شيخاً وجامعاً، أنت حينما تتواضع يلتف الناس حولك، وحينما تتكبر نفى الناس من حولك، والحقيقة أحياناً يوجد كبر مغلف بتواضع، وهذه الحالة صعبة جداً، توجد نقطة تضعف شخصية الإنسان، أنه حينما يشعر بحاجة إلى من يمدحه يصبح المديح عنده جزءاً من حياته، فإذا شح المديح تحرش هو بمن حوله، يسأله عن هذا الطعام: أعجبكم ؟ هل كنتم مرتاحون بهذه الوليمة ؟ لأن استجداء المديح يضعف شخصية الإنسان، ولو درسنا في الأحاديث الشريفة لوجدنا أن النبي عليه الصلاة والسلام ذم المداحين، فعَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ:

(( قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ فَجَعَلَ الْمُقَدِّادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْثِي فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ ))

[ مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

وقد ورد أن المديح هو الذبح.

ويوجد حديث آخر عجيب، إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه، فكيف نجمع بين تلك الأحاديث التي تبدو أنها متناقضة ؟

المقياس أنك إذا مدحت إنساناً فاستكبر، واستعلى فينبغي ألا تمدحه، ما كنت مصيباً في مدحه، لكن المؤمن الصادق إذا مدحته يزداد تواضعاً، ويزداد افتقاراً إلى الله، و يرى أن هذا المديح إنما هو من فضل الله عليه، و هو يردد قول القائل: إذا أراد ربك إظهار فضله عليك خلق الفضل و نسبه إليك.

مثلاً أحد الإخوة المحسنين الذين توفاهم الله عز وجل قدم بيتاً هدية لفقراء المسلمين، أحد إخوتنا الكرام رئيس جمعية خيرية، فهذا البيت أسسه مركزاً للتأهيل المهني للفتيات الفقيرات، هذه الفقيرة بدل أن نعطيها الصدقة والزكاة، وأن نجعلها إنسانة تمد يدها دائماً للأغنياء جعلناها عاملة وكاسية، وقد تدفع زكاة مالها، هذا رأي عميق جداً، أفضل أنواع الزكاة ما حولت الفقير المستجدي إلى مكتفٍ معطٍ، فهذا المكان أسس، وصار هناك تهيئة للفتيات الفقيرات، و الله عز وجل أخذ بيد هؤلاء الذين أسسوا، و هو في صحيفة أعمالهم إن شاء الله.

لكن هذا المحسن الذي قدم هذا البيت، وهو غالي الثمن، أقيم له حفل تكريم لتقدير هذا العطاء، وكل المحتفلين أثنوا على هذا المحسن، وأطروا إحسانه، إلا أحد إخوتنا الكرام فاجأ الحضور بكلمة من نوع آخر، خاطبه، وقال: أيها المحسن، كان من الممكن أن تكون أحد المنتفعين من جمعيتنا، وأن تقف في طابور كبير، وأن توقع إما ببصمة أو بتوقيع لتأخذ على مشارف العيد مبلغاً يسيراً جداً لا يقدم ولا يؤخر، و لكن الله كرمك بأن جعلك محسناً، فاشكر الله أن جعلك محسناً تعطي، ولا تأخذ.

يا إخواننا الكرام، إذا مكنك الله عز وجل من عطاء، من إلقاء درس، من إحسان، يجب أن تدوب الله خجلاً، لأنه جعلك تعطي، ولم يجعلك تأخذ، الذين يأخذون أذكياً أحياناً:

و لو كانت الأرزاق تجري مع الحجا هلكن إذاً من جهلن البهائم

قد تجد إنساناً ألعياً في الذكاء و فقيراً، فهذا الذي كرمه الله بصحته، أو بنجاح في عمل، أو بطلاقة في إلقاء، أو بإنفاق مال، هذا من فضل الله عليك، وكلما ازددت تواضعاً ازددت عند الله رفعة، وكلما ازددت تواضعاً التفت الناس حولك، وكلما ازددت تواضعاً أقبل الناس عليك، وكلما ازددت تواضعاً كنت في قلوب الجميع.

فيا أيها الإخوة الكرام، إياك أن تستجدي المديح، وهو عادة من أسوأ العادات، مادام إخلاصك لله واضحاً، ومادام إقبالك على الله تاماً، أنت لست في حاجة إلى المديح، هذا الذي يمدحك لا يقدم و لا يؤخر، و من عرف نفسه ما ضرته مقالة الناس به.

لذلك التواضع أنت الآن دقق:

### انظر إلى الأحمال و هي حجارة لاننت فصار مقرها في الأعين

و حينما يقال عن النبي عليه الصلاة والسلام: إنه من رآه بديهة هابه، و من عامله أحبه، من تواضعه الشديد، يا عمر، لا تتسنا يا أخي من دعائك، سيد الخلق و حبيب الحق يسأل سيدنا عمر أن يدعو له، تواضع ما بعده تواضع، زعيم الأمة، و قائد الأمة، و قائد الجيش، و نبي الأمة، و رسول هو أعظم الرسل على الإطلاق، في معركة بدر الصحابة ثلاثمئة و بضعة عشر، قال::

(( وَأَنَا وَعَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ عَلَى رَاحِلَةٍ، فَكَانَ أَبُو لُبَابَةَ وَعَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فَكَانَتْ نُوْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ . لِيُظَلَّ رَاكِبًا . فَقَالَ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي عَلَى السَّيْرِ، وَلَا أَنَا بِأَعْنَى مِنْكُمَا عَنِ الْأَجْرِ ))

[النسائي في السنن الكبرى، أحمد، والحاكم، وابن حبان عن ابن مسعود]

عدّ نفسه جندياً.

نحن نفترق إلى التواضع في حياتنا، أي تعلق مرتبتك قليلاً لا تحتل أن تتأدى باسمك، مع أنني ذهبت إلى بلاد الغرب، شيء عجيب جداً، كنت في مركز كل أعضائه أطباء يحملون البورد، وما سمعت كلمة دكتور إطلاقاً، فلان، شيء طبيعي جداً، كن طبيعياً، الآن إنسان له مقام، و ما كان مقامه بالصف الأول في عقد قران تقوم الدنيا ولا تقعد، فمرة اقترحت على صالات أن تكون طويلة يوجد صف واحد أحسن شيء، كل المدعوين يجلسون أول صف، لا يوجد إلا صف أساساً، يمكن ألا يكون هناك مكان في أول صف، تجد هناك مشكلة، كلها كبائر باطنية، هذه أمراض يا إخوان، إذا قلت لي: ما الفرق الدقيق بين مجتمع الصحابة ومجتمعات المسلمين في آخر الزمان؟ لا يوجد حب، لا يوجد تواضع، تصدق أن نور الدين الشهيد قبل خوض المعركة مع التتار سجد لله عز وجل ماذا قال؟ قال: يا رب، من هو الكلب نور الدين حتى تنصره؟ انصر دينك، يوجد ملك يسمي نفسه كلباً؟ من هو الكلب نور الدين حتى تنصره؟ انصر دينك، لا يوجد صفة بالإنسان أرقى من التواضع، و لكن التواضع غير المذلة، المؤمن يعرف قيمة نفسه لكنه يربأ بنفسه عن أن يذل لمخلوق.

بالمناسبة إخوانا الكرام، بقدر ما تتذلل لله عز وجل يعزك الله، و بقدر ما تتكبر يذل الله، العلاقة عكسية بين التواضع والعز:

### اجعل لربك كل عزك يستقر و يثبت فإذا اعتزرت بمن يموت فإن عزك ميت

أنت حينما تربط نفسك بجهة أرضية انتهيت، أنت محسوب عليها، ترقى بقوتها، وتسقط إذا سقطت، أنت ألغيت شخصيتك، أجمل كلمة مرة عالم جليل من علماء مصر توفاه الله عز وجل كان في بريطانية لإجراء عملية، فجاءت رسائل لا تعد و لا تحصى تطمئن عن صحته، إذاعة بريطانية أجرت معه مقابلة، وسألته هذا السؤال: ما هذه المكانة الكبيرة التي حباك الله بها؟ مئات ألوف الرسائل جاءت، فأجاب إجابة أنا ما رأيت إجابة أدق منها، قال: لأنني محسوب على الله، أي أنا لست أهلاً لهذا الاهتمام، لكن أنا عند الناس محسوب على الله.

والله أيها الإخوة الكرام، سمعت طرفة، أن رجل دين غير مسلم، لكن تعلمت منها دروساً والله لا تعد ولا تحصى، أن السيد المسيح في أثناء زيارته للقدس ركب حمارة . و القصة معروفة في كتب التاريخ . أهل القدس أحبوه، و تقربوا منه، و تمسحوا بثيابه، بالغوا في إكرامه، فهذا الحمار ظن أن هذا التكريم له، فلما عاد إلى أمه؛ أمه أيضاً حمارة مثله، لكن أذكى منه، قالت له: لا، هذا التكريم ليس لك، لمن يركبك، لكنه لم يقتنع، فبعد أيام تمنى أن يذهب إلى القدس ثانية، في المرة الثانية ذهب وحده ضربه الصغار بالحجارة حتى بالغوا بإيلامه وإذلاله، فعاد

إلى أمه غاضباً، و قد شكها لها ما أصابه، قالت له: ألم أقل لك: إن هذا التكريم لم يكن لك، بل كان للذي يركبك. أحياناً الإنسان يكرمه الناس من نوع أنه هو باب الله عز وجل، أو إنسان يدلهم على الله، أنا أرى أن هذا التكريم هو لله عز وجل، أما هذا الإنسان فظنوه صالحاً، ظنوه باباً لله عز وجل، فأنت إياك أن تظن أن هذا التكريم لك، وإلا كالذي فكر أنه له، يجب أن تعتقد أن هذا التكريم لأنك مظنة صلاح فقط، فأنت في خدمة الناس، في خدمتهم إلى أقصى الحدود، وأنت ينبغي أن تكون أقلهم شأنًا، ينبغي أن يصعد الناس عليك، لا أن تصعد على أكتافهم، فرق كبير جداً، كما فعل النبي صلى الله عليه و سلم.

النبي عليه الصلاة والسلام له طريقة في معاملة أصحابه، كان متواضعاً أشد التواضع، كان يأكل مع الخادم، كان يجلس حيث انتهى به المجلس، كان الأعرابي إذا دخل عليه يقول: أيكم محمد؟ وفهمكم كفاية، لا يوجد أي مظهر كهنوتي إطلاقاً، فالتواضع يرفع قيمة الإنسان، أنت تريد أن تكون باباً إلى الله تواضع حتى يحبك الناس:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: الآية 159]

لكن أنا أفرق بين التواضع والضعفة، أنت لست وضيعاً، ولكنك متواضعاً، الفرق كبير جداً، إذا أكرمك الناس فأنا أخطب إخوتنا الشباب، أي شاب متدين فالذين حوله يكرمونه، يوقرونه، يحترمونه، قد يتقربون إليه بخدمة أحياناً أو بهدية، إذا ظننت أن هذا التكريم لك فأنت كالذي ظن له، هذا التكريم ليس لك، ظن من حولك أنك طريق إلى الله، ظنك من حولك أنك باب إلى الله، ظنك من حولك أنك معوان على معرفة الله فكرمك، فأنت ينبغي أن تكون في خدمتهم، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: سيد القوم خادمهم، و كلما ازددت تواضعاً ازددت عند الله رفعة.

مثلاً سيدنا الصديق، و هو يأتي في الدرجة الثانية بعد رسول الله، ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر، لو وزن إيمان الخلق مع إيمان أبي بكر لرجح، هل يعقل أن هذا الإنسان العظيم يتقرب إلى الله بخدمة جارة له عجوز، فما خدمته لها؟ كان يحلب شياها كل يوم، فلما تسلم منصب الخلافة غلب على ظن هذه الجارة العجوز أن هذه الخدمة قد توقفت، في صبيحة اليوم الأول من تسلم هذا الخليفة العظيم منصب الخلافة طرق باب العجوز، قالت لابنتها: يا ابنتي، افتحي الباب، ثم سألتها من الطارق، قالت جاء حالب الشاة يا أمي، سيدنا الصديق، والله الذي تراه من خلفاء رسول الله شيء لا يصدق، سيدنا عمر يتجول في المدينة ليلاً رأى قافلة قد حطت رحالها في ظاهر المدينة، فقال لعبد الرحمن بن عوف: تعال نحرس هذه القافلة، بكى طفل، قال لأمه:

أرضعيه، خليفة المسلمين، بكى ثانية، قال: أرضعيه، غضبت، وقست عليه في الكلام، قالت: وما شأنك بنا ؟  
إنني أطمه، قال: ولم ؟ قالت: لأن عمر لا يعطي العطاء إلا بعد الفطام، أي التعويض العائلي، تروي الروايات  
أنه ضرب جبهته، و قال: ويحك يا ابن الخطاب، كم قتلت من أطفال المسلمين ؟ ثم أمر أن يكون العطاء حين  
الولادة، وفي صلاة الفجر في اليوم التالي لم يفهم أصحابه الكرام ماذا قرأ في الصلاة من شدة بكائه، ثم سمعوه  
يدعو، ويقول: يا رب، هل قبلت توبتي فأهني نفسي، أم رددتها فأعزبها ؟

هذه المواقف البطولية تحتاج لإنسان مفتقر إلى الله:

مالي سوى فقري إليك وسيلة  
و مالي سوى قرعي لبابك حيلة  
فبالافتقار إليك فقري أدفع  
فإذا رددت فأني باب أفرع

فأنا أقول لكم: هذا الطريق ممكن أن تأتي من أعلى، ممكن أن تأتي من أسفل، من أعلى الطريق مسدود، تصور  
برميل ماء له فتحات من أعلاه إلى أسفله، فلو جئت إلى الفتحة السفلى التي في مستوى قعره ماذا تأخذ من  
البرميل ؟ تأخذ كل ما فيه، أما إذا اتجهت إلى الفتحة العليا التي على مستوى فتحة العليا لا تأخذ شيئاً، فكلما  
نزلت أخذت أكثر، لذلك باب الانكسار ليس فيه ازدحام، لكن باب العلو عليه ازدحام شديد.

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ))

[ أبو داود، ابن ماجه ]

أنا أتمنى أيها الإخوة الكرام أن يكون واضحاً لكم أن التكبر على المتكبر صدقة، وأن بعض أصحاب النبي  
رضوان الله عليهم كان يمشي قبيل المعركة متبختراً، فقال عليه الصلاة و السلام: إن هذه المشية يبغضها الله إلا  
في هذا الموقف.

تواضعك لأهل الإيمان، تواضعك لمن يعرف قيمة التواضع، أما إذا كنت مع إنسان مستكبر، ستعلى، غافل،  
جاهل، هذا ينبغي أن تزيه قوة و أن تزيه حزماً:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

[سورة الشورى: الآية 39]

لكن ينتصرون:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى: الآية 40]

أكد أقول لكم أيها الإخوة الكرام هذه المقولة الرائعة التي قالها الإمام ابن القيم الجوزية: " الإيمان هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان ".

ومرة ثانية الله عز وجل، أتى النبي أشياء نادرة جداً، قال له مثلاً:

﴿سَنُقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى (6)﴾

[سورة الأعلى: الآية 6]

من منا يستطيع أن يقرأ نصاً مرة واحدة، ويحفظه بحذايره ؟ مستحيل، الله عز وجل أتى النبي هذه الميزة، آتاه فصاحة ما بعدها فصاحة، قال: أنا أفصح العرب، بيد أنني من قريش، وقريش أفصح القبائل، هذا اسمه أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم، و آتاه جمالاً، و آتاه نسباً، و آتاه حكمة، و آتاه فهماً، أما حينما أتى عليه أتى على خلقه، لأن كل هذه الاستثناءات والميزات هي خصائص للدعوة، أو وسائل للدعوة، و الله عز وجل منحه إياها، لكن الشيء الذي أتى عليه هو من كسبه، فالخلق من كسبه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم: الآية 4]

فأنا أحياناً أرى الفرق بين المسلمين المعاصرين و بين المسلمين الذين كانوا في العصور الأولى، فرق في الخلق، كمعلومات، كقرآن، كصلوات، كصيام، كحج، كزكاة، واحد، العبادات واحدة، حتى المظاهر الإسلامية صارخة، أحياناً تجد جامعاً كلف ألف مليون دولار، جامع الدار البيضاء، أنا زرته كلف ألف مليون دولار، جامع رسول الله

سقفه من سعف النخيل، وأرضه من البحص فقط، القضية قضية إيمان، لا قضية بنيان، نحن عندنا بنيان شيء رائع جداً، الوسائل، و المظاهر، و الزخارف، و المصاحف، و المؤتمرات، و وسائل النشر الإسلامية من كتب إلى أشرطة، إلى أفلام، إلى إنترنت، شيء يفوق حد الخيال، لكن نفتقر إلى أخلاق الصحابة، إلى محبة الصحابة، إلى تعاون الصحابة.

هذا الحديث:

(( إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ))

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ رَجُلًا بَغْضًا إِلَّا عَزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ))

[ مسلم، الترمذي، أحمد، الدارمي ]

على المستوى اليومي أحياناً يوجد مدير مؤسسة يدخل، يبدأ هو بالسلام على الحاجب، كيف يا بني ؟ صحتك طيبة ؟ أهلك بخير ؟ أولادك بخير ؟ تجد هذا الحاجب يتفانى في خدمته، كلمة طيبة، والكلمة الطيبة صدقة، لو أنه كان متواضعاً، وعامل من حوله بلطف، وبإحسان يتقانون بأداء عملهم، وكنت أقول دائماً: القوي يمدح في حضرته، ولا يمدح في غيبته، وأنت كمقياس دقيق لصلاح الإنسان انظر هل يمدح في حضرته أم في غيبته، القوي يمدح في حضرته، لكن المحسن يمدح في غيبته، والمقياس الدقيق أن تمدح في غيبتك لا في حضرتك.

الإنسان الكامل يعيش للناس، الإنسان القوي يعيش الناس له، و الفرق كبير جداً، الأنبياء عاشوا للناس، والأقوياء عاش الناس لهم، الإنسان القوي يملك الرقاب، أما الإنسان المؤمن الكامل فيملك القلوب، و فرق كبير بين أن تملك القلوب وأن تملك الرقاب.

إذاً:

(( وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ ))

فالتواضع أساسه أنك موصول بالله عز وجل، و تواضعت لله، و لم تستكبر على عبادة الله، الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس، آدم نسي، و لم نجد له عزماً:

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 37 ]

و الصلحة بلمحة، أما إبليس فأسباب معصيته الكبر، أنه استتكف أن يسجد لآدم:

﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

[ سورة البقرة: الآية 34 ]

لذلك أيها الإخوة الكرام، معاصي الكبر يصعب التوبة منها، بل يصعب اكتشافها، كالأضرار السرطانية، لا أعراض لها، فجأة تتفاجم الأعراض، و قد استحق الإنسان الهلاك.

يوجد حديث قدسي يقصم الظهر عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالاً: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(( الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ ))

[ مسلم، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

ويوجد قصص لا تعد و لا تحصي حول الكبر الذي يقصم ظهر صاحبه قصماً، و العوام لهم كلمات لطيفة، أن الإنسان يأكل لقمة كبيرة، لكن لا يحكي كلمة كبيرة، الحقيقة يوجد كلام كفر بواح، الكفر أنواع، يوجد كفر قولي، وهناك كفر اعتقادي، و هناك كفر سلوكي.

يوجد سلوك يشف عن كفر، و يوجد كلام يشف عن كفر، و يوجد اعتقاد يشف عن كفر.

الرواية الثانية لغير مسلم:

(( العز إزاري، والكبرياء رداي، فمن نازعني شيئاً منهما عذبتة ))

والله عنده عذاب مهين، عنده عذاب أليم، و عنده عذاب مهين، و عنده عذاب عظيم.

العذاب المهين لا يوجد به آلام، فيه إذلال، فيه إذلال يفوق حد الخيال، هذا اسمه عذاب مهين، أنتم حينما ترون مثلاً أشخاصاً كانوا من القوة بمكان، ثم هم في السجن فرضاً، وضعت القيود في أيديهم، و كان هذا القوي إذا نظر إلى إنسان يتجمد أو يموت من خوفه، فجأة توضع القيود في يديه، طبعاً قد لا يعذب الآن، لكن هذا عذاب مهين، أين كان، وأين صار ؟

ويوجد عذاب أليم فيه آلام لا تحتمل، و يوجد عذاب عظيم في جهنم، عذاب جهنم عذاب عظيم، يوجد بالدنيا عذاب مهين وعذاب أليم، أي أغلب الظن المتكبر يؤدب بعذاب مهين.

حدثني مرة أخ قال لي: مديرة مدرسة بعيدة عن الدين بعد الأرض عن السماء، كلما رأت طالبة عليها مسحة أخلاق، مسحة تدين، كانت تكيد لها، و تتقن في إذلالها، مضت سنوات شاهدها مدرسة من مدرساتها، وقد ارتدت الحجاب، فرحت بها فرحاً لا حدود له، ثم علمت أنه ليس حجاباً، لكن لمرض أصاب شعرها فقدت شعرها كله، ومنعها الطبيب أن تضع شعراً مستعاراً لئلا يتحسس جلدها، فوضعت هذه الخرقه على رأسها حفاظاً على مظهرها، الله أذلها إذلالاً، لأنها كانت تذلل كل فتاة محجبة، أصابها مرض في رأسها أذهب شعرها كله، الطبيب منعها أن تستخدم الشعر المستعار، فاضطرت أن تضع الحجاب قهراً، و ليس تعبدًا.

الله كبير، أحياناً يسوق عذاب فيه ذل ما بعده ذل، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( اِخْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَرَبِّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُؤَهَا ))

[ البخاري، مسلم، الترمذي، أحمد ]

فأيها الإخوة التواضع من صفات المؤمن، لأنه رأى عظمة الله عز وجل، إذا كان لإنسان آلة ( تريكو ) مصنوعة عام ألف و تسعمئة و سبعة عشر، يدوية، لا يوجد بها ولا ميزة، وما رأى آلة أخرى يظنها أعظم آلة في الأرض، فإذا رأى آلة حديثة إلكترونية تعطي ألواناً، تعطي ( جاكار )، يوجد الآن آلات تريكو يصعب وصفها، فهو حينما يطلع على هذه الآلات الحديثة تصغر في عينه آله.

إخواننا الكرام، اقبلوا مني هذه الفكرة، وهي دقيقة جداً، أنت حينما تطلع على غيرك، تطلع على علماء الأمة، على السلف الصالح، حينما تطلع على أبطال الأمة الذين قدموا، وضحوا، أو حينما تسافر، و ترى المسلمين في شتى أقطارهم تصغر، لماذا ؟ توازن نفسك مع إنسان أكبر منك في علمه، أو أكبر منك في أعماله الصالحة تصغر، لكن إنك تصغر كي تكبر، لكن حينما تحجب نفسك عن من حولك، و تتوهم أنك وحيد عصرك، أو تتوهم أنك وحيد القرن، أنت صغير في نظر من حولك، لكنك كبير في نظر نفسك، هذا الشيء لا قيمة له إطلاقاً، بقدر معرفتك بالله تتواضع، و بقدر معرفتك بمن حولك تتواضع، وطن نفسك على أن تعتم على شخصك، و على أن تظهر عظمة ربك.

أقول لكم كلمة دقيقة: كيف يوجد بلور سادة عند أهل المصلحة، بلجيكي، أي هذا فيه إتيان مذهب، من شدة صفائه و استوائه تظنه غير موجود، وكم من حوادث الآن تصير، إنسان يدخل ويظن أنه لا يوجد باب، يكون فيه باب بلور، فالآن يضعون دائماً صورة على الأبواب البلورية، الصورة هذه الذي عنده زوجة نظيفة جداً و موسوسة، و يوجد أبواب بلور كاملة، و البلور ممسوح جداً أنصح أن يضع صورة على البلور، يوجد حالات كثيرة جداً لإنسان يدخل فيجرح جبينه، و قد يصاب بكسر في جمجمته، يظن أنه لا يوجد شيء.

أنا أقول لك: المؤمن كهذا البلور صافٍ، يشف عما وراءه، فهو همه التعريف بالله، التعريف برسول الله، ليس له وجود، هذه يسميها بعض الصوفيين حالة الفناء، أي ذهل عن شخصه حينما دهش بعظمة ربه.

كلما خفَّ إيمان المؤمن يصبح بلور تريكو، ليس سادة فيه نقشات، فأنت لا ترى ما وراءه، ترى نقشه فقط، فكلما كانت الأضواء مسلطة على شخصك تصبح بلور تريكو، و لكن ليس شفافاً، و الآن يمكن أكثر كلمة نستعملها هي الشفافية الآن، كلمة حديثة جداً بكل خطاب تحكى حوالي عشرين مرة الشفافية، الشفافية، الشفافية، الشفافية أن تشف عن الحقيقة، أنت تلغي وجودك، و أن تركز على الذي خلقك، و على أنبيائه العظام، فكلما عتمت على نفسك، و أبرزت عظمة ربك فأنت متواضع، تجلس في جلسة أحياناً لا يتكلم بحرف إلا عن الشخص، عملت، كتبت، سافرت، صرفت، حصلت، ربحت، المحور كله شخصه، مثل هذا الإنسان الناس يكرهونه، ويضجرون من كلامه، إن أردت أن يلتف الناس حولك تحدث عن ربك، لذلك:

(( ما ذكرني عبدي في نفسه إلا ذكرته في نفسي، ولا ذكرني في ملأ من خلقي إلا ذكرته في ملأ خير منهم ))

[الترمذي، ابن ماجه عن أبي هريرة]

تجد . سبحان . الله سمعة المؤمن راقية جداً، بل إن الله يلقي محبة المؤمن في قلوب الخلق:

ينادى له في الكون أنا نحبه فيسمع من في الكون أمر محبنا

و قد قال بعضهم في تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾

[سورة طه: الآية 39]

أي ألقيت حبك في قلوب الخلق، فأنت حينما تتواضع لله، و تفنقر إليه، و تمرغ نفسك في أعتابه يرفعك، أذكركم بقول نور الدين الشهيد، السلطان الملك، سجد، و قال: يا رب، من هو الكلب نور الدين حتى تنصره، انصر دينك، فأنت يجب أن تكون مؤمناً متواضعاً، و التواضع يلهم صاحبه أساليب مقنعة، فقد تجد إنساناً مع تواضعه وبعلم معقول ينفع أناساً كثيرين، والإنسان يكون أعلم علماء عصره، يوجد عبارات كثيرة لا تحتل الآن، ووحيد عصره، و فريد زمانه، كلمات منمقة، و مع ذلك أنت لا ترى أن هذا الكلام له معنى، والله قديماً كانوا يكتبون الفقير إليه تعالى، أحقر الوري، والله يوجد لوحات بالمسجد النبوي الشريف لسلاطين فيها أن المذنب طالب المغفرة من الله عز وجل، فكان السلف الصالح يتواضعون كثيراً، الآن بقدر ما عندك، شهادات، أربعة اسطر تحت اسمه، هذا لا يقدم و لا يؤخر، أما عملك العظيم الخالص فهو الذي يرفعك عند الله.

آخر حديث، عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُرَكِّبُهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ))

[مسلم، أحمد]

يوجد قول في الأثر لطيف، " أحب ثلاثاً، و حبي لثلاث أشد: أحب الطائعين، وحبى للشاب الطائع أشد . في مقتبل حياته ليس بالثمانين . قال لي شخص: أنا العداد قالب، و الدولار ماسح، و سلمت النمر، أي عبر عن تقدمه بالسن، جميل جداً أن تجد شاباً في مقتبل حياته في طاعة الله عز وجل، وما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب، إن الله ليباهي الملائكة بالشاب التائب، يقول: انظروا عبدي، ترك شهوته من أجلي، فأحب ثلاثاً، وحبى لثلاث أشد: أحب الطائعين، و حبى للشاب الطائع أشد، أحب المتواضعين، وحبى للغني المتواضع أشد، أحب الكرماء، و حبى للفقير الكريم أشد، وأبغض ثلاثاً، وبغضى لثلاث أشد أبغض المتكبرين، وبغضى للفقير المتكبر أشد، وأبغض العصاة، وبغضى للشيخ العاصي أشد، وأبغض البخلاء، وبغضى للغني البخيل أشد.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (121 - 127) : الترهيب من كثرة الكلام .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 10-07-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

### الترهيب من كثرة الكلام :

أيها الأخوة الكرام ، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم ، واليوم الحديث عن الترهيب من كثرة الكلام ، القاعدة الذهبية : " من كثر كلامه كثرت خطؤه " ، فيك يا فلان خصلتان يحبهما الله ورسوله : الصمت وحسن الخلق ، الساكت في سلامة ، والمتكلم إما له أو عليه .

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان  
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

\*\*\*

أول حقيقة في هذا الدرس أنك حينما لا تعدّ كلامك من عملك فأنت في خطأ كبير، فعن عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا ))

[أحمد عن أبي هريرة]

كلمة ، كلمة تسبب طلاقاً ، كلمة تسبب فصم شركة ، كلمة تسبب شقاء أسرة ، كلمة تسبب عداة مستحكماً .

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا ))

[أحمد عن أبي هريرة]

## أخطاء اللسان :

أيها الأخوة الكرام ، هناك وهم عند المسلمين خطير جداً ، وهو أن المسلم حينما يتوهم أنه لم يفعل الكبائر ، لا قتل ، ولا سرقة ، ولا زنا ، ولا شرب خمر ، كأنه نجا ، استمع إلى قول النبي عليه الصلاة والسلام :

(( أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَفِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَيَرْضَى بِهَا ))

[ ابن ماجه عن عمرو بن الأخرس ]

أكثر المسلمين عنده قائمة طويلة يتوهم أن كل بنودها صغائر لا قيمة لها ، ولا تقدم ، ولا تؤخر ، ويقول لك : كلام في كلام ، عن عائشة قالت :

(( حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا ، فَقَالَ : مَا يَسْرُنِي أَتَى حَكَيْتُ رَجُلًا ، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةً ، وَقَالَتْ بِيَدَيْهَا هَكَذَا ، كَأَنَّهَا تَغْنِي قَصِيرَةً ، فَقَالَ : لَقَدْ مَزَجْتَ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتَ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمَزَجَ ))

[الترمذي ، أبو داود ، أحمد عن عائشة]

مع أن أكبر مدينة ساحلية مياها أسنة ، تخوض غمار البحر عشرات الكيلو مترات والماء أسود ، والبحر لا ينجس ، البحر طهور مأوه ، حل ميتته ، أما كلمة قصيرة فلو مزجت بمياه البحر لأفسدته .

هذا اللقاء وهذا الدرس حول أخطاء اللسان الكبيرة ، ترى المجتمع ممزقاً ، ترى الحي منقسماً ، بسبب هذا اللسان ،  
لذلك :

(( لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ  
جَارُهُ بَوَائِقَهُ ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

### المتكلمون المنقطعون عن الله شياطين :

أكبر كلمة ينبغي أن نذكرها في هذا الدرس يجب أن تعد كلامك من عملك ، أضرب لكم بعض الأمثلة .

امرأة مؤمنة طاهرة ، لها زوج تحبه ويحبها ، وتطيعه ويكرمها ، أنجبت مولوداً ، زارتها جارة لها ، قالت لها : ماذا  
قدم لك في هذه المناسبة ؟ قالت : ما قدم لي شيئاً ، قالت : يا حسرة عليك ! كلمة ، تألمت ، صغرت أمامها ،  
يليق بك زوج يضعك في عينيه ، زوجها فقير ، وموظف ، ودخله من حلال ، وليس مستعداً أن يمد يده للحرام ،  
فلما قالت لها هذه الكلمة اسود زوجها في عينيها ، جاء ظهراً فإذا هي متغيرة ، لا ابتسامة ، ولا أهلاً وسهلاً ،  
منزعجة ، ما الذي حصل ؟ اسكت ، يعلو صوته عليها ، يعلو صوتها عليه ، يتكلم كلمة قاسية تبكي ، تذهب  
إلى بيت أهلها ، تأتيها خالتها وعمتها يغذيانها ، ألا تعودني إليه ، قد ينتهي هذا الزواج بالطلاق ، والله عندي  
آلاف الشواهد من كلمة قالتها جارة ، هذه التي قالت شيطانة .

قصة ثانية ، شابة نشأت في بيت مؤمن ، بيت فيه منهج ، فيه أدب ، فيه حياة ، همها قيام الليل ، همها  
صلاتها ، همها عبادتها ، همها دراستها ، همها تحصيلها ، واثقة من نفسها ، واثقة من ربها عز وجل ، يأتي  
قريب لها من محارمها ، لماذا أنت سوداء ؟ من تشبهين ؟ لا يخطر في بالها إطلاقاً معنى لونها ، هذا بعيد عن  
عالمها كلياً ، فعلاً هي غامقة ، من يخطبك ؟ هذا الإنسان بحقها مجرم أدخلها في عقدة .

والله أيها الأخوة ، كل كلمة تقال في المجالس ، في السهرات ، في النزوات ، في الندوات ، أحياناً نقول :  
شيطان يتكلم ، تدخل إلى بيت صغير ، صاحبه فرح به ، مختل توازنه من فرحه ، عنده بيت ملك ، ما هذا  
البيت ؟ يقول له : هذا لا يسكن كيف اشتريته ، هو عنده بيت ثلاثمائة متر ، وهو تاجر ، وغني ، وهذا الذي زاره  
ابن أخيه موظف محترم ، مستقيم صادق ، أخذ بيتاً يقدر بستين متراً ، يسود في عينيه ، ترى حياته نغصت ،  
لذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

## (( ليس منا من فرق ))

[الطبراني عن معقل بن يسار]

والله أيها الأخوة ، أنا لا أصدق أن مؤمناً يسود حاجات إنسان مستقيم بعينه ، إما أن يسود بعينه عينه ، أو زوجته ، أو أولاده ، أو دخله ، أو وظيفته ، يكون موظفاً يعمل بمحل ، صاحب المحل إنسان كريم ، ويعطيه معاشاً معقولاً ، وفي ذهنه أشياء كثيرة له ، يزوجه فرضاً ، يأخذ له بيتاً ، وهما في تفاهم ، وفي إخلاص ، وفي ود ، يأتي عنده إنسان ، ماذا يعطيك ؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

## (( مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

والله ثمانية آلاف ، ثمانية ؟ لا تكفيك ثلاثة أيام ، أنت مجنون ، أنت تستحق عشرين ، كبر رأسه ، بدأ ينتقم ، يعترض ، لا يكفي المعاش ، قال له صاحب العمل : مع السلامة ، ما وجد عملاً ، عنده زوجة ، أنت ماذا فعلت معه ؟

والله أيها الأخوة ، أكثر المتكلمين المنقطعين عن الله شياطين ، يفرقون بين المرء وأهله ، بين الأم وابنها ، بين الشريك وشريكه ، بين الجار وجاره ، ما عنده غير النقد ، ما عنده إلا الاستعلاء ، كأنه أكل أكلة حامضة ، دائماً مكشر ، ما عنده إلا النقد ، تصغير حاجات الناس في عيونهم ، فلذلك يقول عليه الصلاة والسلام:

## (( ليس منا من فرق ))

[الطبراني عن معقل بن يسار]

وهذا الحديث أيها الأخوة والله ينخلع له القلب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

## (( إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أحياناً لا يتكلم ، ماذا قالوا : تزوجت ؟ نعم تزوجت ، من أخذت ؟ والله فلانة ، لا يتكلم ولا كلمة ، فقط يهز ثوبه، يطلقها في اليوم الثاني ، ماذا قلت ؟

أقسم بذات الله ، أحياناً لا أرى في هؤلاء الأشخاص إلا شياطين من الإنس ، معلمة عندها طالبة متريية ، عندها خجل ، المدرسة لها رهبة عندها ، تقول لها : أنت غبية ، وهي في الصف السادس أو في السابع ، تنشئ عندها عقدة للموت ، أنها غبية لا تنجح ، تكون متفوقة ، قالت لها المعلمة : أنت غبية .

### من كثر كلامه كثر خطؤه :

أنا أقول لكم أيها الأخوة : الشريحة الكبيرة من المسلمين لا تزني ، الشريحة العريضة في بلادنا لا تزني ، لا تشرب خمرًا ، لا تقتل ، لا تسرق ، لكن هذا اللسان خطير ، كيفما تكلم ينتقد ، وكيفما تكلم يؤذي ، وكيفما يتكلم يستعلي ، وهذا الشيء بين النساء كبير جداً.

أحياناً تستعير سوارين أو ثلاثة للعرس ، تضع من هنا إلى هنا ، والله زوجي اشترى لي ، هذه التي تتفاخر بما ليس لها شيطانة ، همّها أن تكسر عين من حولها ، وتستعلي عليهم ، ترى مجتمع المسلمين مجتمعًا ممزقًا ، مجتمعًا فيه عداوات ، وفيه خصومات من هذا اللسان .

احذر لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان  
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

\*\*\*

فلذلك الترهيب من كثرة الكلام ، من كثر كلامه كثر خطؤه ، نضر الله عبداً أوجز في كلامه ، واقتصر على حاجته ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

[ البخاري ومسلم ، والترمذي ، واللفظ له عَنْ أَبِي مُوسَى ]

إذا كان عندك رغبة بدراسة اجتماعية فاجلس جلسة مع أقرائك ، وكن مستمعاً ، ولاحظ ماذا يقولون ، تسعون بالمئة من حوارهم حول كلمة قال فلان متجنبياً على فلان ، وفلان رد عليه بكلمة أقسى ، وصاروا في قطيعة بينهما ، لا تزار ، ولا تواصل ، من كلمة ، فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام ما من شيء يقرب بيننا إلا ذكره ، وما من شيء يبعد بيننا إلا نهانا عنه ، فأنت اجمع الأحاديث الاجتماعية .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( لَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْدُلُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا ، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسَبِ امْرَأٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرَضُهُ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

### الكبائر اللسانية تحول بين الإنسان و الجنة :

أنا أقول لكم : كلما تماسك الناس عن طريق الانضباط ، عدم الغيبة ، عدم النميمة ، أقول لكم مرة ثانية : هناك كبائر لسانية ، كبائر لسانية تحول بينك وبين دخول الجنة ، منها النميمة ، وهي متفشية بين المسلمين بشكل وبائي ، سمعت ما قال عنك ؟ قال : إنك لا تفهم شيئاً ، فعلاً قالها ، لكن أنت حينما قلت له ماذا فعلت ؟ ماذا حققت ؟ لو سكتت فهناك شعرة معاوية بينهما ، هناك بقية تواصل ، أما المؤمن فلا يمكن أن ينقل كلاماً سيئاً قيل في فلان لفلان ، يحدث شرخاً ، وانهداماً ، وحقداً ، وتفكيراً بالانتقام ، وأحدث فضيحة ، ونشر غسيلة ، مجتمع المسلمين مفتت ، مجتمع المسلمين متناحر ، متحاسد ، متنازب بالألقاب ، هناك استهزاء ، وسخرية ، واستعلاء .

### من لم يكن مستقيماً فلا معنى لعباداته :

تقول لي : مؤمن تصلي ، مؤمن تصوم وتحج ، هذه عبادات شعائرية بينك وبين الله ، وهذه عبادات شعائرية فيها تقبض ثمن استقامتك ، فإن لم تكن مستقيماً فلا معنى لها إطلاقاً ، أسألني الدليل ، نبدأ بالصلاة .

النبي عليه الصلاة والسلام لما سأل أصحابه الكرام من هو المفلس ؟ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(( أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ ، وَلَا دِينَارٌ ، وَلَا مَتَاعٌ ، قَالَ : الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيَقْعُدُ ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطَرِحَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ ))

[ مسلم ، الترمذي عن أبي هريرة ]

أين صلواته ؟ الإنسان حينما يفرق بين الناس بكلامه ، حينما يرتكب جريمة النسيئة ، قَالَ حُدَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(( لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ ))

[مسلم عن حُدَيْفَةَ]

لا صلاة لك ، ولا صيام لك ، ولا حج لك ، ليس معقولاً ، دائماً كلامك فيه إساءة، فيه نقد ، فيه تجريح ، فيه قنص ، وأنت مرتاح ، السهرة إلى الساعة الواحدة كلها بالغبية والنسيئة ، والجماعة مسرورون ، بعد ذلك يقرؤون الفاتحة حينما ينتهون ، وكأنهم في عبادة .

**الغنى والفقر بعد العرض على الله :**

أيها الأخوة قال عليه الصلاة والسلام :

(( أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

[ البخاري ومسلم ، والترمذي ، واللفظ له عن أبي موسى ]

(( مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

مرة زرت أحد إخواننا الكرام ، غرفة الضيوف صغيرة جداً ، إلى درجة أنها لا تتسع إلا لعدد من المقاعد ، وفيها طاولة في الوسط ، وبين المقاعد والطاولة مسافة صغيرة جداً ، فالأخ استحيا بهذه الغرفة ، قلت له : من أنت أمام سيد الخلق وحبيب الحق ؟ كانت غرفته التي ينام فيها لا تتسع لصلاته ونوم زوجته ، فكانت زوجته عائشة رضي الله عنها تتزاح جانباً كي يصلي ، هل هناك غرفة نوم لواحد منا لا تتسع لنوم امرأته وصلاته ؟ كم مساحتها ؟ قلت له هذا الكلام قَسْرَ .

أنا أرى - والله - وأطبق ذلك ، أينما تحركت ، أينما دخلت أحسن دنيا الناس في عيونهم ، العبرة بمعرفتك لله ، العبرة بطاعتك له ، العبرة غنى النفس ، الغنى والفقر بعد العرض على الله .

### التقرب من الله يكون بالتخفيف عن الآخرين :

هناك حالات ثانية ، إنسان يشكو لك ابنه ، تقول له : والله أنا عندي ابن ما شاء الله ، قمة في الكمال ، حرقت قلبه بزيادة ، عندك ابن جيد ، اشكر ربك بينك وبين ربك على انفراد ، لكن ما وجدت مناسباً أن تشكر الله على ابنك الصالح إلا أمام هذا الذي يتلوى من عقوق ابنه ؟ يجب أن تتكلم كلاماً طيباً .

تريد دليلاً ؟ عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ :

((... وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ يَبْكِي ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قَالَ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا أَبَا بَكْرٍ ، نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْأَزْوَاجِ وَالضَّيْعَةِ نَسِينَا كَثِيرًا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَكَذَلِكَ ... ))

[مسلم ، الترمذي عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ]

أنا أرى التقرب من الله إذا شكا إنسان لك شيئاً ألا تتركه مستوحشاً وحده ، والله قضية عامة ، يا أخي والله بلوى عامة ، الآن صعب جداً ، الأولاد صعب جداً ، وسائل الإغراء كثيرة ، الله يعينني ويعينك على تربيتهم ، فيها جبر خواطر ، فيها طمأنينة ، كلما رأيت إنساناً شكا لك قضية فأنت تستثني نفسك ، وأنت عندك زوجة ليس لها مثل ، وما شاء الله ، طبخ ، ونفخ ، وأناق ، وشكل ، ما علاقتهم بزوجتك ؟ هذا كلام من الشيطان ، يؤكد هذا لما شكا القبطي له مرة ثانية ، قال : هذا من عمل الشيطان .

أنا أحياناً لما أسمع عن إنسان مجرم ، ألقى القبض عليه ، وصوّر بحالة ذل شديد، أقول : هذا من عمل الشيطان ، اضبط كلامك ، يمكن أن ترقى إلى أعلى عليين عن طريق لسانك ، هناك كلمة مطمئنة ، كلمة فيها تطيب قلب .

### المؤمن محبوب يطيب قلوب الناس :

الآن في الإيجابيات ، يدخل إنسان موظف كبير ، حوله موظفون صغار ، لا يتكلم كلمة ، ولا يسلم ، ولا يسأل ، يظن أن هذا يعلو بمقامه ، لا ، لو سألت هذا الحاجب : كيف حالك يا بني إن شاء الله بخير ؟ صحتك طيبة ، أولادك بخير ، يمكن أن يبقى شهراً يترنم بكلامك ، ماذا كلفك هذا ؟ كلمة طيبة ، والكلمة الطيبة صدقة ، ترى المؤمن موفقاً محبوباً متواضعاً ، يطيب قلوب الناس .

أيها الأخوة ، إما أن تمدح أهلك مدحاً غير معقول ، أو أن تمدح أولادك ، كيفما جلست تتكلم المرأة عن أولادها ، وأولادها دون الوسط ، وقد يكونون أقرب إلى الضعف ، هوس ، مديح الأهل ، مديح الزوج ، مديح الأولاد ، مديح البيت من أجل الاستعلاء ، ترى هذا الكلام كله كلاماً شيطانياً ، لذلك قال الله عز وجل :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

[ سورة النجم: 3-4 ]

المعنى المخالف : أن معظم كلام الناس أحياناً وهم في غفلة عن الناس ينطقون عن الهوى ، النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، لا يتكلم كلاماً لإحراج إنسان ، حتى إنه في بعض الآثار : " لا تحمروا الوجوه " ، لا تحرج إنساناً ، قال له : السعر فرضاً كذا ، وهو لا ينتبه ، وأمام عشرين شخصاً ، معقول هذا السعر ؟ أين أنت ؟ القضية ليست متعلقة بالعقيدة ، ولا متعلقة بالدين ، متعلقة بدرجة حرارة ، أو بخبر سمعه ، يخرجه ، هناك أشخاص قناصون يحب أن يخرج الناس ، وفي الأثر : " لا تحمروا الوجوه " ، لا تخجله ، قال كلمة لا علاقة لها بالدين ولا بالعقيدة ، اسكت عنها .

أيها الأخوة :

(( أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ))

[ البخاري ومسلم ، والترمذي ، واللفظ له عن أبي موسى ]

يده موضوع آخر ، اليوم درسنا ( بلسانه ) فقط ، من الصور الرائعة التي وردت في حديث رسول الله ﷺ عن سهيل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(( مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ ))

[ البخاري ، الترمذي ، أحمد عن سهيل بن سعد ]

لحييه لسانه ، ما بين رجليه فرجه ، عن معاذ بن جبل قال : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ :

(( يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ ، قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ النَّبِيَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جَنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، قَالَ : ثُمَّ تَلَا : [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ] حَتَّى بَلَغَ [يَعْمَلُونَ] ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ ، وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ، قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : تُكَلِّمُكَ أُمَّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ))

[الترمذي عن معاذ بن جبل]

حينما تعلم أن كلامك من عملك فلك حال مع الله راقٍ جداً ، ضبط اللسان يحتاج إلى جهد كبير ، لأن الكلمة إلقاؤها سهل جداً ، إن أردت أن تقيم وليمة تحتاج إلى وقت ، تفرغ ، إعداد الأعمال ، كلها تحتاج إلى جهد ، إلا الكلام ، كلمة ، قال كلمة ومشى ، وهذه الكلمة فعلت فعل القنبلة في هذه الأسرة ، فلذلك يجب أن نعد كلامنا من

عملنا :

(( مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ ))

[ البخاري ، الترمذي ، أحمد عن سهل بن سعد ]

لذلك هناك تعريض ، وتوبيخ ، وازدراء ، وسخرية ، وتهكم ، وتمطّ ، ومناوشة، ومهاترة ، وتنازب بالألقاب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

كلمة ، لذلك في بعض الأقوال : " قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة " .

**العاقل من يتأكد مما وصله من الكلام قبل أن يندم :**

هناك أشخاص أيها الأخوة أسهل شيء عليهم إلقاء التهم ، يلقون هذه التهم وكأنها قنابل ، وينصرفون ، صدقوا في هذا الأسبوع سمعت تهجمات على بعض الأشخاص ، والله كلام لا أصل له ، لا أصل له إطلاقاً ، وتحققت من ذلك ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

[ سورة الحجرات: 6 ]

أتمنى أن أضع بين أيديكم قاعدة ، لك أخ محب ، تحبه ويحبك ، وتقدره ويقدرك ، وتعظمه ويعظمك ، بلغك عنه قصة سيئة جداً ، ماذا تفعل ؟ سأقول لكم ماذا سيجري ، تحتقره احتقاراً ، وتسقطه من حسابك ، وبالتعبير العامي قطعت له ورقة ، ما تحققت ، ما سألت ، ما بحثت ، ما دققت ، هذا عمل خطير جداً ،

وعمل فيه مؤاخذه كبيرة من الله ، تأتي إليه ، يا أخي بلغني عنك كذا وكذا ، بينك وبينه ، وأنت غال علي ، أنا أخ وفيّ لك ، حدثني عن حقيقة هذه التهمة ، أول احتمال رائع ، تكون التهمة لا أساس لها من الصحة ، والله مئات التهم تصل إلى سمعي أنا لا أصدقها ، لما أتحقق فعلاً أجد أنه لا أصل لها ، لو أنني تورطت، واتهمت

هذا الإنسان في دينه ، أو في علاقاته ، وأنا غير منصف ، أنا أؤاخذ ، لذلك الإمام الغزالي حدثنا عن غيبة القلب ، القلب يغتاب من هنا : الذنب شؤم على غير صاحبه إن ذكره فقد اغتابه ، وإن رضيه شاركه في الإثم ، وإن غيره ابتلي به ، تصور أنت لم تذنب ، لكن غيرك أذنب ، أنت أمام ثلاثة مزلق ، أول مزلق أن تقع في الغيبة ، والثاني أن تقع في مشاركة الإثم ، والثالث أن تقع في التعيير ، ومن عير أخاه بشيء ابتلاه الله به .

لكن هناك حالة ثانية ، تعرف أن أخاك إنسان ورع جداً ، ومستقيم ، وتعرف له خصوم ، فجاءتك عنه تهمة ، أنت موقن أنها غير صحيحة ، فإذا ما سألته فلا مانع ، إذا لم تهز هذه الفكرة أو هذه التهمة مكانة أخيك عندك فما من داعٍ أن تقول له.

### اختيار أفضل كلمة في المجادلة :

لكن هذه التهمة غيرت قلبك اتجاهه ، هناك استفهام ، ينبغي أن تفتحه ، تفتحه ، أو لا تفتحه ، تفتحه إن تغير قلبك تجاهه ، ولا تفتحه إن كنت متأكداً من استقامته ومن عفافه ، فعن أبي هريرة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُن فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ ))

[ متفق عليه عن أبي هريرة ]

قال تعالى :

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

[ سورة البقرة: 83 ]

نأخذ الناحية الإيجابية ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[ سورة فصلت: 33 ]

﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[ سورة النحل: 125 ]

( أحسن ) اسم تفضيل ، ففي المجادلة يجب أن تختار أفضل كلمة ، أحسن كلمة ، أحسن عبارة ، قال تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

[ سورة النحل: 125 ]

في الدعوة إلى الله الموعظة الحسنة ، أما في المجادلة [

وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ] ، في أثناء المجادلة هناك جرح ، إذا كان عندك عشر جمل يجب أن تختار أحسنها ، أما في الدعوة على الله فينبغي أن تكون الدعوة حسنة ، أما في المجادلة فيجب أن تكون أحسن.

**ضبط اللسان :**

ثم دققوا في هذا الكلام ، المنهج في الحوار من أجل ضبط اللسان ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

[ سورة سبأ: 24 ]

الحق كرة عندنا أو عندكم ، هذا فيه تواضع ، لا يوجد فيه استعلاء ، الإمام الشافعي يقول : " أنا على حق ، وخصمي على باطل ، وقد أكون مخطئاً ، وخصمي على باطل ، وقد يكون مصيباً " .

هذه النفسية المتواضعة تحبب الناس إليك ، والنفسية المتعجرفة التي فيها استعلاء هذه تبغض الناس منك ، لو تجاوزنا ذلك إلى أنه يمكن أن تكذب برخصة من النبي ﷺ للتقريب بين المؤمنين ، هناك خصومة ، وشحناء بين اثنين ، التقيت بأحدهما ، قلت له : البارحة كنت عند خصمك ، البارحة فعلاً جاءت سيرتك ، أثنى عليك كثيراً ، ما شاء الله يعرف قيمتك ، يلين قلبه ويرتاح ، والله أنا غلطان ، هذا مطلوب منك ، طبعاً مطلوب ، لا تنقل شيئاً

سيئاً ، هذا سلبي ، الإيجابي مطلوب ، أن تتقل أجمل صورة ، أحياناً الأب والأم ، يغضب الأب تكون الأم غائبة ، يسب أحياناً ، ماما سبك في غيابك ، شيطان ، أحياناً أحد أسباب الشقاق الزوجي الأولاد ، يعرف أن والده يرضيه أن يحدثه عن أخطاء أمه، ويعرف أن الأم ترضى إذا حدثها عن أخطاء أبيه ، ترى الزوجين في حرب ، والسبب هؤلاء الأولاد .

### الابتعاد عن فساد ذات البين :

أيها الأخوة ، إياكم وفساد ذات البين ، إياكم ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ))

[ الترمذي عن أبي الدرداء ]

هل هناك حديث أوضح من هذا الحديث ؟

(( عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلَاةِ ، وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ))

[ الترمذي عن أبي الدرداء ]

الآية الكريمة :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[ سورة الأنفال: 1 ]

أمر إلهي وكل أمر في القرآن يقتضي الوجوب :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[ سورة الأنفال: 1 ]

بالاستقامة يقطف الإنسان كل ثمار الإسلام :

شيء آخر ، تحدثنا قبل قليل عن الصلاة ، أنها إن رافقها سباب وشتائم ، وعدوان وضرب ، وأكل مال حرام ، هذه الصلاة لا قيمة لها ، قد تنتهي بصاحبها في النار .

الصيام : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ ))

[ البخاري ، الترمذي أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ]

كأنه لم يصم ، و رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش .

الزكاة ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

[ سورة التوبة: 53 ]

بقي الحج ، من حج بمال حرام ، و وضع رجله في الركاب ، و قال : لبيك اللهم لبيك ، ينادى : أن لا لبيك ، ولا سعديك ، وحجك مردود عليك .

بالدليل القطعي الثابت ، لا الصلاة ، ولا الصيام ، ولا الحج ، ولا الزكاة تنفع صاحبها إن لم يكن مستقيماً على أمر الله ، بالتعبير المهني ضربة المعلم أن أدعوكم إلى الاستقامة ، بالاستقامة تقطف كل ثمار الإسلام ، من دون استقامة الإسلام ثقافة ، معلومات ، وكتب ، ومجلات ، ومحاضرات ، وندوات ، ومؤتمرات ، ومساجد ، لكن هذا كله لا يقدم ولا يؤخر ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ \* نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ \* نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

[سورة فصلت : 30-32]

### الكلمة الصادقة ترفع الإنسان إلى أعلى عليين :

آخر حديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُقْبَلُ لَهَا بَأَلًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

كلمة فيها تطيب قلب ، كلمة فيها احترام ، كلمة فيها دعوة للصبر ، كلمة فيها أن يرضى عن ربه .  
أحياناً إنسان يشكو لك أمره مع الله ، الله عز وجل غفور رحيم ، الله عز وجل سميع عليم ، الله يمتحنك ، إذا أحبب الله عبداً ابتلاه ، إذا أحب الله عبداً جعل حوائج الناس عنده، هناك كلمات تملأ القلب سروراً ، هذا الحديث إيجابي :

(( إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُقْبَلُ لَهَا بَأَلًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

كم من كلمة مخلصه سببت هداية إنسان ، كم من كلمة حانية دفعت إنساناً إلى طريق الخير ، كم من كلمة صادقة رفعت حال إنسان إلى أعلى عليين ، كما أن هناك أحاديث فيها ترهيب هناك أحاديث فيها ترغيب .

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (122 - 127) : إياكم و الظن فإنه كذب الحديث .....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-07-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة و العلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، واليوم الحديث حديث في الصحاح أخرج الإمامان الجليلان البخاري ومسلم، والبخاري ومسلم كتاباهما يعدان من أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وهذا الحديث الجامع المانع للعلاقات الاجتماعية.

وتعلمون أيها الإخوة، أنه كما قال عليه الصلاة والسلام:

(( إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ))

[الترمذي]

الذي يمزق الأمة فساد ذات البين، الذي يضعفها فساد ذات البين، الذي يهلكها في الدنيا والآخرة فساد ذات البين

(( فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ ))

إذا أردت أن يفرغ الإسلام من مضمونه، وأن يبقى شكلاً، أحياناً تجد علبة في الطريق تظنها شيئاً، فإذا هي علبة فارغة ترميها ثانية، إن أردت أن يفرغ الإسلام من مضمونه، وأن يغدو إطاراً لا معنى له إطلاقاً فلا تسعى لإصلاح ذات البين، لذلك قال تعالى:

## ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

[ سورة الأنفال: الآية 1 ]

ونحن كمؤمنين كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، من أبرز نقاط ضعف المسلمين في آخر أزمانهم أن الدين ضغط عندهم، واخترت كلمة ضغط، ولم أقل: كلمة مسخ إلى عبادات شعائرية، بينما الدين منهج قويم، ومنهج شمولي واسع، وأقول دائماً: يبدأ من غرفة النوم إلى العلاقات الدولية، والعبادات الشعائرية خمسة بنود من خمسمئة بند، أحد هذه البنود التي يغفلها المسلمون صلاح ذات البين، في الأسرة خصوصاً بين الزوجين، بين الإخوة، بين الأخوات، بين أزواج البنات، بين الأقارب، في الحي، في الشركة، في المؤسسة، في العيادة، دائماً هناك فساد ذات البين، والنبي قال:

(( فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ ))

الحديث أيها الإخوة الذي أخرجه البخاري ومسلم عن طريق الصحابي الجليل أبي هريرة عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا،  
وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ))

[متفق عليه]

هل تصدقون أن تسعة أعشار تصوراتنا عن الأطراف الأخرى غير صحيحة، ظن يتعلق بكلمة، يتعلق بتصرف لم يسأل عن تفسيره، يتعلق بتأخر، يتعلق بعدم ابتسامه، يتعلق بإهمال زيارة، ويبنى عليه بناءً شامخاً، وهذا البناء لا أصل له، لا أتكلم من هواء، أتكلم على أرض صلبة، أنا عندي آلاف الأمثلة، هناك تمزق المجتمع الإسلامي، هناك تمزق على مستوى الأسر، على مستوى العمل، على مستوى القطاعات، على مستوى التعليم، على مستوى الصحة، تنافس، وعداء، وحقد، وحسد.

مرة ثانية:

(( إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ ))

ولكن أيها الإخوة، لا بد من شرح قضية يتوهم معظم الناس أنها في أصل فطرة الإنسان، وهي الحسد.

الفقرة الأولى:

(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ))

(( الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ ))

ماذا بقي من العلاقات الاجتماعية ؟ ماذا بقي من وسائل متانة العلاقات الاجتماعية ؟ لكن لابد من وقفة متأنين متعلقة بالعقيدة حول كلمة

(( وَلَا تَحَاسَدُوا ))

من يتوهم أن الحسد من جبلة الإنسان فهو خاطئ، والحسد واقع، فما تفسيره ؟ أحياناً نشترى سكيناً، السكين أداة، لكنها حيادية، يمكن أن تستخدمها في تقطع الخضار والفواكه، ويمكن أن تستخدمها في جرح، إنسان أداة حيادية، هل السكين شريرة ؟ لا خيرة ؟ لا، أداة حيادية.

كأس يمكن أن يملأ ماء زلالاً، أو شراباً طيباً، أو خمرأ، الكأس حيادي، السكين حيادية، المركبة حيادية، يمكن أن تلبى بها حاجات المضطرين، أو أن تنتقل أهلك إلى مكان جميل، ويمكن أن تتم بها الفاحشة، إذاً أي شيء أمامكم حيادي، لماذا ؟ لأنك مخير، ومادام الإنسان مخيراً فأى شيء حيادي، الشهوات التي أودعها الله فيك، الشهوة حيادية، أودع فيك حب المرأة، وهناك قناة نظيفة، الزواج، وهناك قناة قذرة، الزنا، أودع فيك حب المال، هناك قناة نظيفة، الكسب المشروع، هناك قناة غير نظيفة، الكسب غير المشروع، أودع فيك حب العلو، أن تكون شيئاً مذكوراً، يمكن أن يرفع الله ذكرك إذا طلبت العلم، أو إذا أحسنت إلى الخلق، ويمكن أن يرتكب الإنسان

عملاً عنيفاً يهابه الناس، فالشرير يهابه الناس، بل شر الناس من اتقاه الناس مخافة شره.

إذاً الشهوات حيادية، الآن الحظوظ حيادية، ما الحظوظ ؟ الذكاء، يمكن بالذكاء أن تنتقل الحق بأروع أسلوب، فتقنع الناس به، ويمكن بالذكاء أن تروج الباطل، فالذكاء حيادي، طلاقة اللسان حيادية، يمكن أن تستخدم بيانك لتوضيح الحق، ويمكن أن تستخدم بيانك لإقناع الناس بالباطل، فالبيان حيادي، والذكاء حيادي، ولك قلم سيال، أديب، يمكن أن تكتب شعراً يهز أعماق مشاعر المسلم، وقد يبكي قارئ هذا الديوان، ويمكن أن تكتب شعراً يحرك الشهوات السفلى في الإنسان باسم أدب واقعي، أو إباضي، أو أدب من أنواع كثيرة، الشهوات حيادية، والحظوظ حيادية، والأشياء حيادية، المال شيء، والبيت شيء، والمركبة شيء، والتجارة شيء، الأشياء حيادية، والشهوات حيادية، والحظوظ حيادية، لماذا ؟ لأنك مخير .

هذا التقديم أيها الإخوة من أجل كلمة الحسد، أودع الله في الإنسان خصيصة، ومن خصائص الإنسان أنه يتمنى أن يكون كمن رآه كبيراً، فأنت إنسان لك دخل محدود، التقيت مع إنسان من أهل اليسار، أهل الغنى، تتمنى، أنت لم تتعلم علماً دينياً، التقيت مع إنسان علمه غزير، تتمنى أن تكون مثله، أنت لك شخصية تكونها، وفيك خصيصة أساسها أنك تتمنى شخصية كبيرة، عندك هذه الخصيصة، الآن لو تمنيت أن تكون ورعاً كفلان، تمنيت أن تكون مستقيماً كفلان، تمنيت أن تكون عالماً كفلان، تمنيت أن تكون قريباً من الله كفلان، هذه الخصيصة وظفتها في الخير، لو تمنيت أن تكون غنياً كفلان، وعندك امرأة متقلبة تتباهى بها كفلان، استخدمت هذه الخصيصة لغير ما صممت له، إذاً لأنك مخير فكل شيء حولك حيادي، الحظوظ كحظ المال والذكاء والعلم والبيان وطلاقة اللسان والوسامة حيادية، والشهوات حيادية، الشهوات سلم نرقي بها، أو دركات نهوي بها، والأشياء حيادية، فإذا قال النبي الكريم:

(( وَلَا تَحَاسَدُوا ))

فليس الحسد أصلاً في العلاقات، أما الأصل أن تحسد كما قال عليه الصلاة والسلام، أي أن تغبط عالماً ينفق علمه آناء الليل وأطراف النهار، وأن تغبط غنياً ينفق ماله آناء الليل وأطراف النهار، والعوام تقريباً لهم كلمة قاسية، يقولون: الذي لا يغار حمار، فالغيرة من سمات النفس البشرية، لأنك إنسان تتمنى أن تكون كزيد، و كعبيد، أو كفلان أو كعلان.

أيها الإخوة، هذا الحديث منهج، والله نحن في أمس الحاجة إليه، نحن في أمس الحاجة أن يكون تحت أعيننا كل يوم، بل كل ساعة، ضعه في مكان من البيت

### (( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ))

كم من طلاق تم على أساس ظن لا على أساس حقيقة، كم ؟ قيل أسابيع إنسان شك بابنته، أخذها إلى قابلة لتفحصها، فأومات له أنها ليست بنتاً، فقتلها، ثم تبين أنها بنت، وأنها بريئة، أنا أقول لكم كلاماً يدمى له القلب: كم من طلاق بسبب ظن ؟ وكم من فصح شركة بسبب ظن ؟ وكم من أب طرد ابنه بسبب ظن ؟ وكم من شريك ترك شريكه بسبب ظن ؟ وكم من زوجة نكدت عيش زوجها بسبب ظن ؟ يقول عليه الصلاة والسلام:

### (( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ))

ابحث، دقق، تأكد، اطلب الدليل، لا تقبل بدليل غير كاف، هناك أدلة غير كافية، والله أنا من عادتي مثلاً طرقت الباب، ما فتح، قلت له: هو في البيت، قال: نعم، قلت: ما الدليل ؟ قال: سيارته، هذا دليل غير كاف، أراد أن يمشي هذا اليوم، قد تكون السيارة معطلة، لا تعدّ وجود سيارته أمام البيت دليلاً كافياً، إنه دليل غير كاف، عود نفسك ألا تتهم قبل الدليل الكافي، كان صلى الله عليه وسلم لا يلوم أحداً فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره، طرقت الباب ما فتح، هو في البيت، معه واحدة مشكلة، دليل غير كاف، هذا ظن، يقول عليه الصلاة والسلام:

### (( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ))

يقابل هذا الظن السيئ: إياك، ثم إياك، ثم إياك أن تعمل عملاً له تفسيران، وقد علمنا هذا سيد الخلق، وحبیب الحق، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ (( أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَتَّقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيْبٍ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ !! وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ...

(( إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمْ شَيْئًا ))

[متفق عليه]

عوّد نفسك، البيان يطرد الشيطان.

حدثني أخ يعمل في التجارة، وفي سوق له حارس، واضطر إلى وثاق سندات كي تكون معه في سفره باكراً، فاضطر أن يأتي إلى محله التجاري الساعة الواحدة ليلاً، والحارس موجود، قال له: يا بني، أنا غداً سأسافر إلى الساحل الساعة السادسة، ولم يكن معي سندات، فجئت لأخذ السندات، البيان يطرد الشيطان، كما أن الذي يسيء الظن كاذب، كذلك الذي يفعل فعلاً يحتمل له عدة تفسيرات أيضاً، أنت سافرت، وحديث عهد بهذا البناء، والزوجة شابة، وقد أوصيت أخاها أن يتفقدتها في غيبتك، الجار وجد شاباً يطرق باب جاره، وجاره غير موجود، وبقي عندها ساعة، وبعد يومين طرق الباب مرة ثانية، هذا التصرف قد يوقع الجار في شك أنها تزني في غياب زوجها، أما أنت فلو بلغت الجار القريب أنني مسافر، وكلفت أخ زوجتي أن يتفقدتها في غيبي فقد قطعت الشك باليقين.

أيها الإخوة، رجاء، لا تقبل دليلاً غير كاف، ولا توقع أحداً في سوء الظن، من وضع نفسه موضع التهمة فلا يلومن إلا نفسه، وقد تكون أنت في أعلى درجة من النقاء، أنت في محل تجاري لصديقك، ومعك خمسمئة ليرة، وأنت مضطر أن تجعلها خمس قطع من فئة المئة ليرة، وأنت جالس على مكتب صديقك، وصديقك منشغل في البيع، فتحت الدرج، ووضعت خمسمئة ليرة، وأخذت خمس قطع، وجدك تأخذ خمس قطع، لكن ما رأى أنك وضعت الخمسمئة، هذا خطأ كبير، اطلب منه أن يقلب لك هذه الخمسمئة إلى خمس قطع، وأنت في أعلى درجات النقاء والصفاء والورع، تتهم لذلك، لا تضع نفسك موضع التهمة، ثم تلوم الناس إذا اتهموك، هذا القول للإمام علي رضي الله عنه.

سأتيكم بمثل يوضح ذلك، معطف معلق في المسجد، وإنسان جالس في المسجد، واحد في نهاية المسجد رأى هذا الإنسان نظر، واطمأن، ثم مد يده إلى جيب هذا المعطف، وأخذ مبلغاً، ووضعها في جيبه، لو صورنا هذا المشهد فهو سارق، لو علمت أن هذا الإنسان هو الذي بنى المسجد، وقد كلف ثلاثين مليوناً، وأن هذا المعطف معطفه،

وأنه أراد أن يعطي سائلاً، فالتفت هكذا يبحث عنه، ثم مد يده إلى جيبه، وأخذ مئة ليرة، اختلف الوضع من سارق إلى محسن، فأنت وطن نفسك أنه يمكن أن يكون تفسيري خطأ، نحن نعيش في الوهم، نعيش في أوهام كبيرة جداً في العلاقات، أحياناً يسكت الإنسان، يسكت خجلاً، يقول لك: متمسح ما تكلم ولا كلمة، سوء ظن.

أول حديث:

(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ))

بعلاقتك مع زوجتك، مع أولادك، مع شريك، بعملك، مع رؤسائك، مع مرؤوسينك، مع أي إنسان، إياك أن تتسرع في الحكم، لا تتسرع،

(( إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا ))

ما التحسس؟ هو تتبع الأخبار الطيبة، تزوج، الحمد لله، كم المهر؟ المهر ليس عيباً، إذا عقد إنسان عقده على فلانة إنسان وسمى المهر، المهر ليس عيباً، مليون إنسان ليس معقولاً، دخل في تفاصيل إنسان لماذا مليون؟ لا خمسمئة مقبوضة، أو غير مقبوضة، لماذا لم يقبضهم؟ كتب هذا في العقد، يريد أن يفهم كل شيء، يفهم أسباب كل شيء، ودوافع كل شيء، وأهداف كل شيء، وأكبر إنسان يزعج هو المتفرغ، هناك أشخاص بلا عمل.

بالمناسبة أيها الإخوة، الناجحون في الحياة ليس عندهم وقت لهذه السفاسف كلها،

(( وَلَا تَجَسَّسُوا ))

والله تعينت، مبارك، كم المعاش؟ ليس لك علاقة بهذا الشيء، هو قبل بهذه الوظيفة، وعمل حساباته، إن قلت له: قليل، ماذا أنت مجنون؟ قلت له: كثير، هل هناك محل آخر عندكم في الشركة؟ يريد أن يفعل مشكلة، هذا كله بالتحسس، وليس بالتجسس،

(( وَلَا تَجَسَّسُوا ))

قال تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾

[ سورة يوسف: الآية 87 ]

التحسس تتبع الأخبار الطيبة، أخبار ليست سيئة، كنت تمشي في الطريق، رأيت صديقك، أين ذاهب ؟ هو ذاهب ليتدين مبلغًا، لا يقول لك: أنا ذاهب لأتدين مبلغًا، لا تسأله، دعك خفيف الظل،

(( وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا ))

الأخبار السيئة، فلانة لا تتجب، هل منها أم منه ؟ ليس لك علاقة بالموضوع، هما متقاهمان، ومتوافقان، وكل واحد راض بشريكه، وأنت ليس لك علاقة بالموضوع،

(( وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا ))

لماذا طلقها ؟ أغلب الظن أنها تخونه، دخلت في تهمة، وقذف محصنة يهدم عمل مئة سنة، لماذا الشركة فصمت ؟ أحدهم حرامي، فوراً، فمهما كنت دقيقاً، مهما كنت منضبطاً تسمع كلاماً مخيفاً،

(( وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا ))

كم باعك إياها ؟ الله يصلحك، أنا عندي أرخص، هذا التنافس القذر، كان السلف الصالح إذا استفتح، وجاء زبون آخر يقول له: أنا استفتح، انظر جاري، لا تنافسوا، أو يكتم معلومات.

حدثني أب عن ابن وضعه في محل لإصلاح المركبات مقابل أن يتعلم هذه المهنة، فصار يستخدمه استخداماً لا علاقة له بالمهنة، اذهب أحضر الطعام، نظف، أما وقت فك المحرك فيقول له: دعك الخارج، الأفق الضيق، والنظرة المادية، والبعد عن الله، والشرك الخفي غير المعلن يحمل الإنسان على هذه الأفعال، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا.

أيها الإخوة الكرام، الحسد ثلاثة مستويات، هناك مستوى أنك تتمنى فقط أن تتحول النعمة التي عند أخيك إليك فقط، ما تكلمت ولا كلمة، لكن تتمنى أن يفترق، وأن تغنى، أن يزاح من هذا المنصب، وأن تكون مكانه هذا مستوى، المستوى الأسوأ أن تتمنى أن تحول النعمة عنه دون أن تأتي إليك تحب الضرر، الثالثة جريمة أن تكتب تقريراً من أجل أن تصيبه بمصيبة كبيرة، الأولى تمنّ، تمنّ مع مصلحة، أما الثانية فشرّ للشر، أما الثالثة فجريمة، هذه مستويات الحسد، وأنا أؤكد لكم، وصدقوا ما أقول: لا تكون مؤمناً . والله . إلا إذا فرحت بنعمة أصابت أخاك، تفرح من أعماقك، نال شهادة عليا، تزوج، اشترى بيتاً، تسلم منصباً رفيعاً، إن لم تفرح لأخيك بنعمة أصابته فلست مؤمناً، والدليل قال تعالى:

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾

[ سورة التوبة: الآية 50 ]

هذا شأن المنافقين، قال تعالى:

﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾

[ سورة آل عمران: الآية 120 ]

أنت لمجرد أن تنزعج من خير أصاب أخاك فأنت في خندق المنافقين، لا تجامل حالك أبداً، لا تحاب نفسك أبداً، كن صريحاً، وكن واقعياً، حينما تنزعج لخير أصاب أخاك فأنت في خندق المنافقين، وحينما تفرح فرحاً لا حدود له لخير أصاب أخاك فأنت في خندق المؤمنين،

(( ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباعضوا ))

هنا ملمح، البغض ليس بيدك، البغض شعور لا إرادي، والحقيقة أن المعنى: لا تعمل عملاً يستوجب أن يبغضك الناس، دخلت، ما سلمت، تكلم أخوك استهزأت.

كنا مرة في جامعة في درس، يبدو أن طالبة بأول صف سألت سؤالاً، فالمدرس تهكم عليها تهكماً لاذعاً، وأنا أقول لكم: أي مدرس يتهكم على السائل يلغي السؤال كلياً في العام الدراسي كله، يخاف الطالب، أي مدرس رحيم يحترم أي سؤال مهما كان سخيلاً، هذه سألت سؤالاً فتهمك عليها المدرس تهكماً لاذعاً، وهي صحتها زيادة، قالت

له: يا دكتور، ألم يقل النبي: رفقا بالقوارير؟ قال: صحيح، ولم يقل: رفقا بالبرامل، حطمها.  
يا أيها الإخوة هناك طرف كأنك ذبحته، وتحدث حقداً،

(( ولا تباغضوا ))

لا تقل كلمة فيها استهزاء، فيها ازدراء، فيها تهكم، فيها تصغير، فيها تحقير، أنت عندئذ لست مؤمناً، أنت حينما تحترم جميع الناس، وأنا أقول والله كلمة، لا أفتأ أرددها: والله أيها الإخوة لا يجوز أن تضيف على كلمة مؤمن ولا كلمة، مؤمن فقير، والله لولا أن تعجبوا فقد تشتهي الفقر من مؤمن فقير، أولاً عزيز

النفس، متجمل، لا يتشكى أبداً، وقد تشتهي الغنى من مؤمن غني، سخي، متواضع، وقد تشتهي أن تكون من أبناء الريف بسبب الصفاء و الوفاء والكرم، لا يضاف على كلمة مؤمن ولا كلمة، هل تصدقون ماذا قال سيدنا علي؟ قال: " قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستخدم علمه، وجاهل لا يستتف أن يتعلم، وغني لا ييخل بماله، وفقير لا يبيع دينه بديناه، فإذا ضيع العالم علمه استتف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدينا غيره"، فالفقير له شأن، أحد أركان الدنيا، والجاهل الذي يتمنى التعلم، أحد أركان الدنيا.

(( وَلَا تَحَسُّوا، وَلَا تَجَسُّوا، وَلَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَدَابُرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا ))

أي لا تتكلم كلمة فيها استهزاء، أو سخرية، أو استعلاء أو طعن، أو تشكيك، أو سوء ظن.

(( ولا تدابروا ))

أي تدير وجهك عنه، ألا تسلم عليه، أن تقاطعه،

(( وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ))

كما أكرمكم، المسلم أخو المسلم، دققوا

(( لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وعرضه، وماله ))

سيدنا الصديق له خدمة يؤديها لجارته العجوز، وهي حلب شياهاها، فلما تولى منصب الخلافة غلب على ظن جارته أن هذه الخدمة قد توقفت، فتألمت، في صبيحة اليوم الأول الذي تولى فيه الخلافة طرق باب العجوز، قالت لابنتها: افتحي الباب يا بنيتي، فلما فتحت الباب قالت: جاء حالب الشاة يا أماه،

(( لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره ))

ليس معقولا، خليفة المسلمين يحلب شياه جارته، المسلم أخو المسلم، صدقوا أيها الإخوة لو كنت مديراً عاماً، وزيراً، عندك حاجب، والحاجب مؤمن، إذا كنت مؤمناً فلا ترى لك عليه أي فضل، مؤمن، ويعرف الله، ويعبد الله، ويخاف من الله، وله الجنة، لكن ظروف الحياة أنت أصبحت مديراً عاماً، وهو كان حاجباً عندك، ما درس، علامة إيمانك ألاّ تزدي مخلوقاً، عندما عاتب الله عز وجل رسول الله ﷺ بآبن أم مكتوم زاره مرة ثانية، فقام له، و هس له، و بش، و مدّ له رداءه، و قال: أهلاً بمن عاتبني فيه ربي، واللهم صل عليه الله عز وجل عتب له لا عليه، عتب له، لأنه حمل نفسه ما لا يطيق، فالله عز وجل لفت نظره أن هذا الذي تعنى به ليس أهلاً لهذه العناية، اعتن بهذا فقط.

(( ويشير إلى صدره التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ))

ترتكب شراً كبيراً دون أن تشعر، بالعقل الباطن تلتقي بإنسان، أنت لك دخل غير محدود، تلتقي بإنسان، أين مكانك؟ والله عندي وظيفة، ما يعطيك؟ المعاش لا يكفيك، هل أنت مجنون، أنت أكرمك الله عز وجل، لكن الثاني لحكمة أرادها الله جعل له هذا الدخل، هو راض عن دخله، هذا نوع من الاستعلاء.

فأحياناً يزهو إنسان ببيته، يزهو بأناقته، يزهو بمركبته، يزهو بدخله، والآخر قد تكون . دققوا . قلامة أظفارهم أفضل من مليون إنسان شرد عن الله عز وجل.

أما يوجد في حياتنا كلمات جديدة اسمها خطوط حمراء ؟ كل إنسان يعمل عنده خط أحمر، لا يتجاوزه، وإلا يدمر، خطوط حمراء، المؤمن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ ))

[ مسلم، ابن ماجه ]

المال معروف:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 188 ]

و الدم معروف:

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾

[ سورة البقرة: الآية 84 ]

العرض معظم الناس يتوهمون العرض أن تتهم المرأة بشرفها، الحقيقة العرض سمعة الإنسان، ذكراً كان أم أنثى. أنت إذا شوهت سمعة إنسان من دون تحقيق، من دون تدقيق، من حاجة، اتهمته بالسرقة، هو بريء، أو اتهمته بالتقصير، هو بريء، إنك اعتديت على عرضه، و لو كان رجلاً، العرض يستوي فيه الرجل مع الأنثى، والعرض موضع المدح، والذم في الإنسان، نحن نتوهم أن العرض خاص للنساء، وخاص بالقضايا الجنسية، لا، لو اتهمت إنساناً بالتقصير فأنت اعتديت على عرضه، الخطوط الحمراء الثلاثة:

(( كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ ))

هذا الحديث يا إخوان جامع مانع، والله لو طبقناه في حياتنا لا يوجد مشكلة أسرية، ولا يوجد مشكلة اجتماعية، ولا يوجد مشكلة بالعمل، لكن سبحان الله ! كيف بقي الإسلام عبادات شعائرية، وهذه العبادات التعاملية الراقية ضعفت عند الناس، جالس يتكلم مرتاحاً.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (123 - 127) : الترغيب في التواضع والترهيب من الكبر والعجب والافتخار

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-07-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، واليوم الحديث حديثان شريفان صحيحان يندرجان تحب باب الترغيب في التواضع، والترهيب من الكبر والعجب والافتخار. إخواننا الكرام، بشكل واقعي، يعاني الإنسان أحياناً من الإخفاق، الفشل معناه الضعف، لكن العوام يستخدمون كلمة الفشل بمعنى الإخفاق، قال تعالى:

### ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾

[سورة الأنفال: الآية 46]

أي تضعفوا.

فالإنسان يعاني أحياناً من الإخفاق، والإخفاق مؤلم جداً، ويعاني أحياناً من النجاح، هذا واقع، لكن البطولة أن تكشف قانون النجاح وقانون الإخفاق.

في موضوع القوانين يجب أن تعلم أيها الأخ أن تعامل الله مع عباده تعاملًا مقنناً، أي يوجد قواعد ثابتة، مثلاً: لماذا هناك عداوة وبغضاء؟ قال تعالى:

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

[ سورة المائدة: الآية 14 ]

إذاً حينما يقصر الزوج في طاعته لله، أو تقصر الزوجة في طاعتها لله، أو يقصران معاً في طاعتهما لله، تنشأ بينهما العداوة و البغضاء، هذا على مستوى أفراد، وعلى مستوى جماعات، وعلى مستوى شعوب، وعلى مستوى أمم، هذه واحدة.

قانون التيسير والتعسير:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)﴾

[ سورة الليل ]

هذا قانون ثان.

لو أنك إذا قرأت القرآن كشفت هذه القوانين، واستخرجتها، وجعلتها منهجاً لك، اليوم الدرس: لماذا تخفق أحياناً، ولماذا تتجح؟ النجاح مسعد، والإخفاق مؤلم، لكن ما علة النجاح، وما علة الإخفاق؟

الحقيقة درسان بليغان مرّ بهما أصحاب رسول الله في بدر وفي حنين، ففي بدر قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 123 ]

قال علماء التفسير: أدلة بمعنى مفتقرون إلى الله.

وفي حين:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾

[ سورة التوبة: الآية 25 ]

درس بدر أنك إذا افتقرت إلى الله تولاك الله، ودرس حين أنك إذا اعتدت بعلمك، بمالك، بصحتك، بجماعتك، باتباعك، تخلى الله عنك، ولو درست كل حالات الإخفاق لوجدت الذي أخفق كان معتداً بنفسه، وهذا لا علاقة له بالذكاء والغباء، قد يكون أذكى إنسان، وقد يكون أعلى إنسان خبرة في الأمر الذي أخفق فيه. الحقيقة قضية الإخفاق والنجاح قضية خطيرة، ولها آثار كبيرة، والعالم يجهل أسبابها، لماذا أنا أخفق؟ لماذا انفض الناس من حولي؟ لماذا لم أفلح في هذا العمل؟ لماذا أفلحت في عمل آخر؟

أحد الإخوان الكرام، هذا الأخ اختصاصي بمستوى عالي بالكمبيوتر الصناعي، و يوجد معمل طلبه، يوجد خلا في الكمبيوتر التابع لآلاته، فدرس الوضع، طلب منه رقماً فقط، فصاحب المعمل بالغ في مساومته، لدرجة أنه أضجره، فلما ضجر، قال له: أنا لست بحاجة لك، أنت بحاجة لي، هذا الرقم تدفعه لأعمل، لا تدفعه السلام عليكم، كلام واضح، طبعاً قدم، والدوام غداً، فيقول لي: أنا عملي تقريباً ساعة أو ساعتين، يكون هناك خلل، خبراته متراكمة، و عنده باع طويل، و أي قضية مهما تبدو عسيرة عليه يسيرة يحلها، قال لي: أول يوم من الساعة التاسعة إلى الساعة الثامنة مساءً، ولم يتبين معي الخطأ، ثاني يوم من التاسعة إلى الثامنة، ولم يتبين، يقسم بالله، والله هو عندي صادق، ثالث يوم، رابع يوم، خامس يوم، سادس يوم، سابع يوم، ثامن يوم، ثمانية أيام، وهو يجهد في كشف الخلل، والأجر ليس على الساعة على الإنجاز، قال لي: في اليوم الثامن ذهبت إلى البيت، وقررت أن أراجع نفسي، ما العمل الذي فعلته حتى اقتضى أن يسد الله علي معرفة الخلل؟ راجع نفسه، تذكر اللقاء الأول مع صاحب المعمل، وقف عند هذه الكلمة، أنا لست بحاجة إليك، أنت بحاجة إلي، تدفع المبلغ لأعمل، لا تدفع السلام عليكم، اعتبر هذه اعتداداً، وكبراً، فاستغفر الله عز وجل، ودفع صدقة، جاء في اليوم التاسع يقسم بالله، خلال ساعة كشف الخلل، وأصلح الكمبيوتر.

من مثل هذه القصة يوجد مئات القصص، الملخص: إذا قلت: أنا، معنى أنا، أنا معي دكتوراه، أنا معي خبرات متراكمة، أنا ابن السوق، أنا بذلت جهوداً جبارة حتى حصلت هذه المعلومات، أنا ابن فلان، أنا حتمي المالي كبير.

شهد الله أن هذه القصة أعدها نموذجية، فلما قال: أنا، تخلى عنك، قل: الله، يتولاك.

أخ آخر عنده معمل ألبسة، وأخ من إخوان المسجد وضعه المادي ضعيف، علم أن فلاناً عنده معمل ألبسة، فزاره في الأيام التي قبل العيد، وطلب ثلاث قطع لأولاده، هنا صاحب المعمل يبيع ثلاثمئة دزينة، أربعمئة دزينة، اعتبر طلبه ثلاث قطع إهانة له، قال له: أنا لا أبيع مفرقاً، قال له: لا تؤاخذني، السلام عليكم، يقسم بالله أربعة وثلاثين يوماً لم يدخل معمله إنسان، بالتعبير التجاري نشف دمه، وعرف ذنبه، واستغفر، والآن يبيع قطعة واحدة.

أخ ثالث من أكبر مستوردي بعض الأمور النسائية في الخياطة، أول حاجات متعلقة بالخياطة، هو من أكبر المستوردين في القطر، ويبيع ألف دزينة، ألفين، بكميات فلكية، جاءت امرأة إليه تريد عشرة سحابات، قال لها: يا أختي، أنا لا أبيع مفرقاً، هذا محل جملة، قالت له: لا تؤاخذني، أن تتجح، يوجد سبب، وأن تخفق يوجد سبب، فقط تكشف هذا القانون، قانون بدر، و قانون حنين، من الذي أفسلهم، أو جعلهم يخفقون؟ الله عز وجل، من هم؟ أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم، النبي صلى الله عليه و سلم قال: إن الله اختارني، واختار لي أصحابي، هم قمم في الكمال، لكنهم بعد فتح مكة رأوا أن الجزيرة العربية دانت لهم من أقصاها إلى أقصاها، لن نغلب من قلة، قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَكَمْ نَعْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبة: الآية 25]

تقول: أنا خطيب من الطراز الأول، ألقى خطبة، نزل ليصلي، بدأ بالآيات، ونسي الفاتحة، حينما تعتد بنفسك يحجب الله عنك الأشياء البديهية، هذه نصيحة.

وهذا الدرس يا إخوان يلزمك ليس كل يوم مرة، و إنما يلزمك كل ساعة، قدمت شيئاً جيداً، هذا من توفيق الله، هذا ليس تواضعاً، هذا واقع، لولا أن الله وفقك لما فعلت هذا الشيء، قدمت معاملة، وببساطة أخذت موافقة، يا أخي، هابوني، كلا، لم يهب منك، يا أخي خاف، لا، لم يخف، الله عز وجل أراد أن يوفقك في هذا العمل، لا تعز

نجاحك بأي مجال إلى قدرتك الذاتية، يجب أن تعزو نجاحك في أي مجال إلى توفيق الله عز وجل، والدليل:

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[سورة هود: الآية 88]

قال بعض العلماء حول هذه الآية: لا يمكن أن ينجح شيء على وجه الأرض إلا بتوفيق الله، لذلك الدعاء النبوي:

(( اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، و أنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً سهلاً ))

[صحيح]

إذا لم يبسر الله لك تجد عقبات تحول بينك وبين تحقيق أهدافك، أنا الكتاب أحفظه عن ظهر قلب، سأخذ علامة تامة، يأتيه مرض شديد في أثناء الامتحان فيعيد السنة.

يا رب، أنا في الجبر جيد، لكن في الهندسة ضعيف، أعني في الهندسة، هناك لا تعينني، أنا قوي في الجبر، فيرسب بالجبر، بالدورة الثانية يا رب أعني في الجبر والهندسة.

حينما تعدت انتظر التأديب الإلهي، لأنه يحبك الله، لأن الله يحبك، ولم يرد أن يورطك، وتمشي في طريق الاعتداد بالنفس، هذا إذا كان الإنسان على شيء من العلم، لذلك أنت عندما تتجح في شيء فابحث عن أسباب نجاحك، وحينما تخفق ابحث عن أسباب إخفاقك، حينما تخفق ينبغي أن تبحث عن أسباب إخفاقك، والعبرة أن تكشف القانون، القانون الافتقار إلى الله، فلذلك أناس كثيرون قبل أن يقدم على عمل، قبل أن يلقي درساً، قبل أن يلقي خطبة، قبل أن يقابل مسؤولاً، قبل أن يجري عملية جراحية يستعين بالله.

والله سمعت عن طبيب، أنا أعجب بهذا التصرف، المريض على طاولة العملية، و يوجد سجادة صلاة في غرفة العمليات، يقوم الطبيب، ويصلي ركعتين، و يقول هذا الدعاء: يا رب، ألهمني الصواب، إنني تبرأت من حولي وقوتي وعلمي، والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك، يا ذا القوة المتين.

قبل إجراء عملية، قبل سفر، اللهم أنت الرفيق في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد.

هذا الموضوع أيها الإخوة الكرام، النجاح والإخفاق يقتضي موضوعاً آخر، وهو لاصق أشد للصوص بهذا الدرس،  
الله عز وجل صمم الكون على نظام السببية، فجعل لكل شيء سبباً:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾﴾

[ سورة الكهف ]

فالأخذ بالأسباب ما موقعه في الشرع؟ الحقيقة أن هناك من يأخذ بالأسباب، الغربيون يأخذون بها بشكل مذهل، ويعتمدون عليها بل، ويؤلهونها، فيقعون في الشرك الكبر، وأهل الشرق لا يأخذون بها فيقعون في المعصية، وكلا الفريقين خاطئ، الصواب أن تأخذ بها، وكأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله، وكأنها ليست بشيء.

أمثلة: عندك سفر، يجب أن تراجع مركبتك مراجعة تامة، ضغط بالعجلات، المكابح، الأجزاء الأساسية في السيارة، الزيت، بعد أن تراجع المركبة مراجعة تامة تقول: يا رب، أنت الحافظ، أنت الموفق، أنت المسلم، افتقرت إليك، سهل جداً أن تقيم مراجعة للسيارة تامة، وتتسى الله، وسهل جداً أن تتذكر الله، ولست مقيماً للمراجعة، وكلا الموقفين خاطئ، الموقف الأول أخذت بالأسباب، ونسيت مسبب الأسباب، الموقف الأول اعتدلت بهذه الأسباب، و اعتمدت عليها، والغرب ألهها، لا تعتد بنفسك، افتقر إلى ربك، هذه واحدة.

و الطرف الآخر لم يأخذ بها، يا رب، وفقني، هذا كلام فارغ، هذا الذي يدعو الله من دون أخذ بالأسباب يستهين بالدعاء، قال له: يا أبا العرب، ماذا تفعل بهذا الجمل الأجرى؟ قال له: أدعو الله أن يشفيه، قال له: هلا جعلت مع الدعاء قطراناً.

أيها الإخوة الكرام، وبالمناسبة دائماً التطرف سهل، مثلاً: إذا أخطأ ابنك، وتألمت منه ألماً شديداً تضربه ضرباً مبرحاً، هذه سهلة، و إذا أخطأ ابنك تسببه أيضاً، سهلة، أما أن تؤدبه، ويبقى على محبة لك، وعلى هيبة منك، فهذه تحتاج إلى جهد كبير.

دائماً الحالة المتطرفة فعلها سهل، ولا تحتاج إلى جهد، أما الحالة المتوازنة فصعبة.

مثلاً: الأنبياء الكرام وصفوا بأنهم يعبدون ربهم خوفاً و طمعاً، الله عز وجل وصف ذاته العلية فقال:

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[ سورة الرحمن: الآية 78 ]

بقدر ما تحبه بقدر ما تخافه، لكن في حياتنا إنسان تحبه ولا تقدره، أي شخص له أم غمرته بحنانها، لكنها غير متعلمة، قال لها: يا أمي صعدوا إلى القمر، قالت له: معقول، لا يسع صغيراً، أين سيقفون، مثلاً، لو أن شخصاً والدته قالت له: ليس من المعقول أن يصعدوا إلى القمر، إنه صغير جداً، لا يتسع لرجل

شخص، مثلاً، فأنت ليس من المعقول أن تقدرها على هذا الكلام، ليست متعلمة، لكنها غمرتك بحنانها، فأنت تحبها، و لا تقدر علمها، وقد تقف أمام إنسان أستاذ في الجامعة، تقدره كثيراً، و لا تحبه، يقول لك: أسألته صعبة جداً، لا يرحم، تقدره، و لا تحبه، لكن عظمة هذا الدين أنك إذا عرفت الله بقدر ما تحبه تقدره. أيها الإخوة الكرام، إذاً يوجد في حياة كل مؤمن درسان، درس بدر، و درس حنين، درس بدر تقول: الله، و الله عندئذ يتولاك بالحفظ والتوفيق والتأييد والنصر.

ودرس حنين، تقول: أنا، أو علمي، أو مكانتي، أو نسبي، أو اختصاصي، أو شهاداتي، أو أتباعي، أو من يلوذ بي، فيتخلى الله عنك، يقابل هذا الموضوع أن تأخذ بالأسباب، و كأنها كل شيء، و أن تتوكل على الله، و كأنها ليست بشيء، لكن من باب التحفظ حينما تأخذ بالأسباب في الأعم الأغلب تنسى الله، كل شيء مؤمن، تجد مفاجآت لم تكن في الحسبان، ممكن أن تتعطل الرحلة لأتفه الأسباب.

و حينما لا تأخذ بها، وتتوكل تقاجاً أيضاً أن الله لم يستجب لك، لأنك لم تكن أديباً معه، لأنك أردت أن يخرق الله لك القوانين، من أنت حتى يخرق الله لك القوانين ؟

فمن لوازم عبوديتك لله أن تتأدب مع قوانين الله عز وجل، شخص ضغطه خمس عشرة، عشرون، قال له الطبيب: لا تأكل ملحاً أبداً، ضع بالخرج، سم الله وكُل، الشافي الله، بقدر ما تدعو بهذه الأدعية البلدية تأتي أزمة، وتأتي جلطة، ويأتي خمسون مرضاً، يقول لك طبيب مختص بقوانين جسمك: الملح يسبب تجلط الدم،

أوقف الملح، ضغطك عالٍ، عالج ضغطك، الشافي الله، وضع بالخرج، و لا تسأل، و يا شافي، و يا معافي، و تمسك تفاحة، ليست مغسولة، كل و سم، لا يضر مع اسمه شيء، هذه كلها تلبسة وشطحة.

يجب أن تأخذ بالأسباب، و كأنها كل شيء، ثم تتوكل على الله، و كأنها ليست بشيء، إن فعلت هذا نجحت، و النجاح مسعد، وإن لم تفعل، أي مع الدعاء لا يوجد أخذ بالأسباب لا يوجد إجابة.

الآن أخذ بالأسباب، ولا يوجد دعاء، لا يوجد توفيق، هذا كلام دقيق، وهذا منهج تحتاجه كل ساعة.

الآن إلى الحديثين: يقول عليه الصلاة و السلام فيما أخرجه الإمام مسلم عن عِيَاضِ بْنِ جِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ.))

[مسلم]

المتواضع محبوب.

بعض الأمثلة: أنت لو أنك عالم، قلت: أنا طالب علم، ففيها أدب، هذا العالم الكبير في مصر عندما ذهب إلى بريطانيا ليجري عملية في عينيه، فجاءته رسائل بمئات الألوف، شيء يلفت النظر، فأجروا معه مقابلة بالإذاعة البريطانية، فقيل له: بما نلت هذا المقام؟ ماذا يقول، اعتذر، فلما أصر عليه المحاور، قال له: لأنني محسوب على الله، أي لست جيداً، لكن أنا محسوب على الله، كل إنسان مربوط بجهة، هذا فلان، هذا من جماعة فلان، كل شخص مربوط بجهة أرضية، أما هو فقال له: أنا محسوب على الله، لا علاقة لي بالأرض، أنا محسوب على خالق السماوات والأرض.

يوجد أدب، وتواضع.

كثير من المؤلفين يؤلفون كتاباً، يقول: فإن أصبت فمن توفيق الله، و إن أخطأت فمن تقصيري وجهلي، والله هذا شيء جميل، المتواضع محبوب:

انظر إلى الأكلال وهي حجارة لاننت فصار مقرها في الأعين.

كلما تواضعت زادك الله عزاً، وهذه قضية يسمونها علاقة عكسية، ليست طردية، العلاقة العكسية كلما خضعت لله أكثر رفع الله لك ذكرك، وكلما استعليت بأي شيء خفض الله لك ذكرك، فالحديث:

(( إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ))

يقابل هذا الحديث حديث آخر، أيضاً ورد في صحيح البخاري ومسلم معاً عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعْنِي عَدْبَتُهُ ))

[متفق عليه]

يوجد صفات خاصة بالإله، عندما تتقمص هذه الصفات تقصم، وكلما تأله عدوك افرح، لأن أمامه قصماً.

يوجد كثير من الكلمات فيها تأله، اعتداد مع تأله، و دائماً المتأله سوف يقصمه الله عز وجل.

إخواننا الكرام، هذه قضايا أساسية في الحياة، وأنا أشعر من أعماقي أن كل واحد منا يحتاجها كل ساعة، الإنسان بين عمل، بين معالجة صحية، بين لقاء مع إنسان مهم، بين تقديم طلب، بين تعيين بوظيفة، بين إلقاء درس، بين ذهاب إلى طبيب، يوجد عنده حوادث كثيرة، فأنت حينما تفتقر إلى الله تضمن التوفيق والنجاح والتأييد والنصر، و حينما تعتد بمالك تفشل.

قال له: إلى أين أنت ذاهب؟ قال له: أريد أن أشتري حمارة، قال له: قل إن شاء الله، قال له: لماذا إن شاء الله؟ الحمير كثر، والثمن معي في جيبتي؟ فسرق ماله، رجع، قال له: اشتريت؟ قال له: لا، و الله سرق مالي إن شاء الله.

إياك أن تعتد بنفسك، يوجد إنسان على أنفه سبب دُمر، وأي شيء قادم قل: إن شاء الله، لا تقل: إن شاء الله، كما يقولها عوام المسلمين، أي إذا أراد ألا يدفع يقول لك: إن شاء الله أدفع لك، وإذا أراد ألا يأتي إلى الموعد يقول لك: إن شاء الله، هذه إن شاء الله العامية، أما إن شاء الله القرآنية فمصمم أن يأتي، إلا أن يحاط بنا.

### والحمد لله رب العالمين

## الدرس (124 - 127) : احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون ...

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 31-07-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة و العلم، و من وحول الشهوات إلى جنات القربات،

أيها الإخوة، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، والحديث اليوم رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِي ضِعْفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، قَالَ: فَقَضَى بَيْنَهُمَا إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحِمْتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ، وَلِكِلَاكُمَا عَلَيَّ مَلُؤُهَا ))

[ مسلم، أحمد ]

هذا الحديث أيها الإخوة الكرام منطلق لموضوع دقيق جداً، وهو: الناس يتميزون بماذا ؟ خذ ألف إنسان، فيهم قلة يتميزون إما بالقوة، أو بالغنى، أو بالعلم، القوى الأساسية في الحياة أن تكون ذا منصب رفيع بإمكانك بجرة قلم أن تحقق حقاً، أو أن تبطل باطلاً، أو أن تكون ذا مال وفير، أو أن تكون ذا علم غزير ولا تنسى دائماً أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، هذا جانب، أو أن يكون الإنسان فقيراً ضعيفاً ليس ملماً بحقائق الحياة، إذا أردت أن تتخل الناس إلى زمرتين الأولى أقوى وأغنياء وعلماء، والثانية ضعفاء وفقراء، ومحدودو العلم، والإنسان لو ابتعدنا عن موضوع الكسب والسعي قد يسعى الإنسان بأقصى جهده، وينتهي به الأمر إلى أن دخله محدود، فهو فقير، وقد يسعى الإنسان بكل ما أوتي من قوة، وقد ينتهي به السعي إلى أنه ضعيف مستضعف في الأرض، أو أن يكون قوياً غنياً، الدرس اليوم لأن المنطلق الجبارون والمتكبرون

والضعفاء والمساكين، يا ترى بشكل صريح ونصوح أيهما أقرب لسعادة الإنسان أن يكون غنياً أم فقيراً ؟ قوياً أم ضعيفاً ؟ متفوقاً في العلم أو محدودو الثقافة ؟

الشيء الذي يحير أيها الإخوة الكرام أن مئة فقير، أو مئة ضعيف، أو مئة إنسان ثقافته محدودة احتمال النجاة من هؤلاء الأصناف الثلاثة بالمئة سبعون أو ثمانون، أما أن تكون قوياً أو غنياً أو مطلعاً اطلاعاً مخيفاً فاحتمال النجاح قد يكون عشرة في المئة أو عشرين في المئة لماذا ؟ لأن القوة تغري، معك قوة فالذي يرفع رأسه أمامك تسحقه، لا تقبل ذماً، ولا نقداً، ولا لفت نظر، والغني يشتري بماله ضمائر الناس جميعاً، كل شيء يحل بالمال، وللعوام كلمة لا أطيق سماعها: الدراهم مراهم، فالإنسان إذا اعتمد على ماله ضل، وإذا اعتمد على قوته ذل، وإذا اعتمد على معلوماته أيضاً وقع في خطأ كبير، لذلك الضعف لعله أقرب إلى النجاة من القوة والكفاية، لا أقول: الفقر، كاد الفقر أن يكون كفراً، الكفاية أقرب إلى النجاة من الغنى الفاحش، والمعلومات التي تحتاجها لسلامتك في الدنيا أقرب إلى الإيمان من أن تكون مطلعاً اطلاعاً مخيفاً، وكل شيء عندك له تبرير، وكل شيء عندك له تحليل، وكدت بهذه الثقافة الواسعة جداً أن تستمرئ ما هم عليه أهل الدنيا من نعيم مقيم، لكن بالمقابل، بالمقابل كلما ارتقت مرتبتك في الدنيا قوة أو مالاً أو علماً اتسعت أمامك فرص العلم الصالح، هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام:

(( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف ))

[مسلم]

القوي كما قلت قبل قليل: بجرة قلم يحق حقاً، ويبطل باطلاً، يقر معروفاً، ويزيل منكراً، والغني له هيبة كبيرة، بماله يوفق بين زوجين، بماله يزوج الشباب، بماله يقيم ماتم، ينشئ ميثماً، يحل مشاكل اليتامى، بماله يؤلف بين القلوب، إذاً المال قوة، والعلم قوة، والمنصب قوة، فإذا كنت في هذه الثلاثة في أحدها، أو فيها كلها فأنت أمامك فرص للعمل الصالح كبيرة جداً، وهذا الذي قلته في بعض الخطب أن الممكنين في الأرض أتاح الله لهم من فرص العلم الصالح ما لم يتح للملايين المملينة من غيرهم، لذلك سيدنا يوسف قال تعالى:

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55) ﴾

[ سورة يوسف ]

أنت من دون منصب، أو من دون مال، أو من دون علم لا تستطيع أن تفعل شيئاً، ولأن الآخرة أساسها العمل الصالح، فرص العمل الصالح تضعف، وتضعف، وتضعف إذا كنت فقيراً محتاجاً محدوداً ضعيفاً مغلوباً على أمره، لا تستطيع حركة ولا سكونة، ولا كلمة تنطقها في سبيل الله، إذاً النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( ما رزقتنا فيما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ))

[ورد في الأثر]

إذا كنت قوياً، يا رب اجعل قوتي في سبيلك، إذاً أنت بالمال قد تنشئ ميتماً، قد تنشئ مستشفى، قد تنشئ داراً للمعاقين، قد تقوم بأعمال تلهج الألسنة بالدعاء لك بالمال،

والله أيها الإخوة الكرام، لو يعلم الأغنياء كيف يمكن أن يصلوا إلى أعلى مرتبة في الجنة بأموالهم، المشكلة الكبيرة أن الذي أعطاه الله مالاً يظن وأهماً أن هذا المال من أجل أن يبالغ في متعه الحسية، ومن أجل أن يشعر من حوله أنه فوقهم وأنه في مرتبة من النعيم والترف لا يطمحون إليها، وبالتعبير الآخر يكسر قلوبهم، أما إذا كان مؤمناً يجعل من المال أداة لحل مشكلات الأمة، هناك مشكلات أيها الإخوة الكرام في العالم الإسلامي مشكلات ما لم نهض بجلها فالله لا يحبنا،

إن فتاة تمشي في الطريق تخاطب الله، يا رب هذا المجتمع ظلمي، أنا أخاف منك، أنا محجبة، يا رب أنا أحبك، أنا أحفظ كتاب الله، هؤلاء الشباب يبحثون عن فتاة متقلبة تعرض بضاعتها في الطريق، تبحث عن شارٍ لها، لا تبحث عن إنسان يريد لها، تبحث عن يستمتع بها بلا قيد، ولا شرط، ولا تبحث عن رجل يكون أباً لأولادها،

أيها الإخوة الكرام، أقول لكم من أعماق قلبي: ما لم يتحسس الإنسان بما يعانیه المسلمون فليس منهم هذا المتوقع والمنهزم، والمنسحب، والذي لا يفعل شيئاً إلا أن يوزع ألقاب الصلاح والصلاح على الناس، هذا إنسان يمقته الله عز وجل،

أقول لكم كلمة: ما لم تفكر في حل بعض مشكلات الأمة، عندك بيت زوج به شاباً مؤمناً، خذ منه أجرة معقولة، تلق الله بهذا العمل، يتعهد طالب علم تعطيه معاش موظف عندك من دون دوام، عنده ثلاثة موظفين صاروا أربعة، واحد طالب علم، قال له: تفرغ للدراسة، وكن داعية، و ادع إلى الله، ولعل الله يرحمني بك، دائماً نفكر بالرفاه، بتوسيع البيت، بتبديل السيارة، بالذهاب إلى أماكن جميلة، بزيارة المطاعم، بأكل الطعام الطيب، أما هؤلاء المسلمون الفقراء الضعفاء فلا تفكر فيهم، ألا تفكر بأولادهم؟ والله هناك مأس بالمجتمع ينتظر لها قلب الإنسان،

والأغنياء، بعضهم، لا أقول جميعهم، بعضهم والله هناك أغنياء مؤمنون تشتهي الغنى منهم من تواضعهم، ومن أدبهم، ومن اعتدالهم في الإنفاق، ومن يدهم الكريمة على الفقراء، لكن أحياناً تجد الإنسان إذا زاد ماله قسا قلبه، وإذا اعتلى منصباً رفيعاً أصبح كالصخر، لا يرحم أحداً، ولا يحل مشكلة أحد.

فلذلك أيها الإخوة الكرام،

(( اِحْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِي ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ ))

ضعفاء في الدنيا، دائماً وأبداً احفظوا هذه القاعدة: من يضحك أولاً يضحك قليلاً، ومن يضحك آخرًا يضحك كثيراً، ليست البطولة أن تضحك أولاً، البطولة أن تضحك آخرًا، لأن الضحك الأخير يستمر إلى أبد الأبد، قال تعالى:

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) ﴾

[ سورة المطففين ]

أما الذي شرد عن الله عز وجل فقال تعالى:

﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13) ﴾

[ سورة الانشقاق ]

﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) ﴾

[ سورة الانشقاق ]

إذاً اجهد أن تضحك آخرًا، يأتي الطفل إلى الدنيا وكل من حوله يضحك، وهو يبكي وحده، أما إذا وافته المنية فكل من حوله يبكي، إن كان بطلاً فليضحك وحده، إذا الذي نستقيده من هذا الكلام أنك إذا كنت قوياً يجب أن توظف هذه القوة في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، في نصرة المظلوم، في إنصاف الفقير، إعطاءه حقه، وإن كنت غنياً فينبغي أن تعلم علم اليقين أن هذا المال يمكن أن يرقى بك إلى أعلى عليين، قال تعالى:

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

[ سورة الروم ]

كلام من هذا ؟ كلام الله كلام خالق الأكوان ماذا نستنبط منه ؟ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله من الذي سينتصر ؟ قال تعالى :

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾

[ سورة الروم ]

الروم هل كانوا مسلمين ؟ كانوا أهل كتاب، وكانوا مشركين، لماذا يفرح صحابة رسول الله وهم خير البشر، ماذا نستنبط ؟ الصحابة الكرام بنص هذه الآية يفرحون بنصر الروم على الفرس، الروم أهل كتاب، الفرس يعبدون النار، هذه الآية أصل في النسبية، إنسان ليس كما تريد، وليس كغيره من الأشرار، بل بين بين، بينك وبينه قواسم مشتركة ينبغي أن تتفتح عليه، أما العزلة التي أحاط المسلمون أنفسهم عزلة شديدة، وتكفير الناس جميعاً، هذا ماذا سبب ؟ أن المسلم في الأرض اليوم هم عند أهل الأرض قاتل مجرم، العزلة الشديدة والبعد عن الاتصال، والبعد عن الأخذ بالنسبية جعل المسلمين في عزلة في العالم كله،

وقد تعجبون أيها الإخوة أن اليهود في أمريكا لا يزيدون على ستة ملايين فقط، وسياسة هذه الدولة بأدق تفاصيلها بتوجيه اليهود كما ترون وتسمعون، أقول هذه: الكلمة دائماً أيها الإخوة الكرام، أعداء المسلمين يتعاونون، وبينهم خمسة بالمئة فقط من القواسم المشتركة، والمسلمون يتقاتلون، وبينهم خمسة وتسعون بالمئة من القواسم المشتركة، أقول لكم هذه الكلمة من أعماق قلبي: ما لم تتعاون مع المؤمنين، ما لم تجمد الخلافات الجزئية التي لا تقدم ولا تؤخر فلست مؤمناً، ما لم يكن انتماءك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً، ما لم تتعاون فهناك شك في إخلاصك، الذي يحقق مكاسب من العمل في الحقل الديني هو يتاجر في الدين، وينتفع به، ويركب هذه الموجة، أما الذي يتعاون مع إخوانه فهذا دليل إخلاصه، أنت مخلص، إذاً متعاون، أنت تتنافس، وتبني مجدك على أنقاض الآخرين، هذا ينبئ بعدم إخلاصك لله عز وجل، وهذا الكلام أقوله أيها الإخوة الكرام لأننا في أمس الحاجة إليه، قلت في الخطبة كلاماً له صلة بهذا الموضوع، قلت: من هم أعداء المسلمين ؟ نحن جميعاً نتوهم العدو التقليدي من ليسوا مسلمين، والحقيقة قالوا بعد انهيار الكتلة الشرقية: لم يبق أمامنا من عدو إلا الإسلام،

تصريح رسمي لشخصيات في أعلى المناصب في العالم الغربي، لم يبق أمامنا من عدو إلا الإسلام، مع أنهم أعداء، لكنهم مكشوفون، أعداء لكنهم يعملون في وضوح النهار، أعداء لكننا محصنون منهم، لأن خططهم مكشوفة، خطرهم محدود، أنت مهياً أن هذا الإنسان عدو مبين، ويريد أن يبني مجده على أنقاضك، أنا أرى العدو الذي يعمل على هدم هذا الدين هو الذي فهم الإسلام فهماً معيناً، وأصر عليه، وكفر من كل من خالفه في هذا الرأي، وهذا الذي جعل وحدة المسلمين مستحيلة، ومادامت وحدة المسلمين مستحيلة فعادونا يتاجر بتفرقنا، ويبني قوته على أشلاتنا وتفرقنا، فلذلك يمكن أن تأخذ هذه الآية:

### ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

[ سورة الروم ]

نصر من ؟ نصر أهل الكتاب، وهم مشركون، بينهم قواسم مشتركة، فأنت لما تفتح حواراً مع الأطراف، وتكتفي بالقواسم المشتركة، وتنميها، وتتعاون أما أن تعزل نفسك، وأن تبقى في قوقعة، وفي قمقم، وأنت تتوهم أنك في العلياء، وكل من حولك في الحضيض، هذا وهم في وهم، وهذا لا يقدم ولا يؤخر..

أيها الإخوة الكرام، أن تكون قوياً هذه نعمة ومزلق، وأن تكون غنياً هذه نعمة ومزلق، وأن تكون مطلعاً على علوم أهل الأرض اطلاعاً واسعاً هذه نعمة ومزلق، واحتمال النجاح مع القوة والغنى أقل من احتمال النجاح مع الضعف والفقر، هذا كله يؤكد قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما عرض عليه جبريل أن يكون نبياً ملكاً، أو أن يكون نبياً عبداً، قال: بل نبياً عبداً أجوع يوماً فأذكره، وأشبع يوماً فأشكره، قريب من هذا الكلام أنه إذا جاء شخص من طبقة فقيرة من أسرة حظها من المال قليل، لكن فيها قيم، والله الذي لا إله إلا هو أرى أسراً تشتهي أن تكون في دخلهم المحدود على أخلاقهم العالية، وعلى اتصالهم بالله عز وجل، وعلى قريهم من الله، وعلى سعادتهم التي أضفاها الله على حياتهم، فنحن هنا في هذا المسجد من أجل أن نتلمس طريق السلامة والسعادة، أن نتلمس العلة التي من أجلها جننا إلى الدنيا، أن نتلمس المهمة التي أنيطت بنا في الدنيا، اخرج من ذاتك، اخرج إلى خدمة الخلق تكون حبيب الحق، اخرج إلى خدمة الخلق يلق الله محبتك في كل إنسان، هذا معنى قوله تعالى:

## ﴿ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي ﴾

[ سورة طه: 39 ]

يعني أحبك عبادي، وما أخلص عبد لله إلا جعل قلوب المؤمنين تهفو له بالمودة و الرحمة، بعد ذلك مسكين فقير فقط حوالي أربعين أو خمسين سنة في حياته، ما قيمة هذه السنوات أمام الأبد؟ طبعاً يوجد أفكار مجردة يصعب أن نتمثلها، لكن النبي عليه الصلاة والسلام سيد الفصحاء، سيد البلغاء، كلامه أفصح كلام، تصويره، نحن عندنا عبارة مباشرة، عندنا عبارة غير مباشرة، العبارة غير المباشرة هي العبارة التصويرية، فقد تقول مثلاً: تكاثرت عليّ المصائب، كلام فصيح بلغة صحيحة، بلغة فصحي، تكاثرت عليّ المصائب، لكن بعض الشعراء قال:

بلاني الدهر بالأرزاء حتى      فؤادي في غشاء من نبال  
فكنت إذا أصابتنى سهام      تكسرت النصال على النصال

أي بلاني الدهر بالأرزاء، أي بالمصائب حتى فؤادي في غشاء من نبال، فكنت إذا أصابتنى سهام لم يعد هناك مكان من كثرة المصائب، لم يبق مكان.

شخص ذهب إلى جريدة لينشر نعوة، فأبلغ أنه لا يوجد أماكن، الأماكن كلها ملئت، اتصل بالمدير العام فكتب لمدير التحرير تنشر هذه النعوة إن بقي مكان هكذا العبارة، فهذا كتب النعوة، وآخر شيء في النعوة أدخل الله الفقيد فسيح جنته، بعد ذلك إن بقي مكان، عبارة لغوية فصيحة تكاثرت عليّ المصائب، يوجد عبارة أدبية، النبي عليه الصلاة والسلام هل استخدم أسلوب التصوير؟ قال:

(( ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس بمياه البحر ))

[ورد في الأثر]

أذهب إلى البحر، واركب قارباً من طرطوس إلى أرواد، وأمسك بإبرة، واغمسها بماء البحر، واسحبها، كم من الماء حملت؟ هذا الذي تحمله الدنيا من الآخرة، فالذي عاش في الدنيا فقيراً، و نجا إيمانه عاش في الدنيا ضعيفاً، و كان مؤمناً صادقاً، و مات مؤمناً، ماذا بقي له؟ الأبد، وهو في جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا الذي استطاع أن يأخذ معشار هذه القطرة، ويستمتع بها في الدنيا، وانتهى، بقي أمامه النار إلى أبد الأبد، من هو الراجح؟ إياك، ثم إياك، ثم إياك أن توازن بين شخصين دون أن تدخل الآخرة على كل منهما، يوجد بالدنيا

أغنياء، يوجد بالدنيا أقوياء، يوجد أصحاب وسامة رائعة، يوجد أصحاب طلاقة لسان، أصحاب ذكاء، و قد قيل:  
إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

فنحن إذا قرأنا الأحاديث الشريفة نجد أحياناً تصويراً رائعاً جداً

### (( ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما يأخذ المخيط إذا غمس بمياه البحر ))

أيها الإخوة الكرام، إذا علم علم اليقين الآن إذا كنت ذا دخل محدود فأنت ممتحن به، وإذا كنت ذا دخل غير محدود فأنت ممتحن به، إن كنت قوياً أنت ممتحن بالقوة، وإن كنت ضعيفاً أنت ممتحن بالضعف، إن كنت طليق اللسان أن ممتحن بطلاقة اللسان، وإن كنت ضعيف البلاغة والإلقاء فأنت ممتحن بها، اعتقد يقيناً أن امتحانك في شيئين، فيما أعطاك الله، وفيما زوى عنك.

الآن النجاح في الامتحان السلبي، النجاح بالضعف، أو النجاح بالفقر، إذا انتهى بك إلى الجنة فأنت في أعلى عليين، والرسوب في الغنى والرسوب في القوة إذا انتهى بالإنسان إلى جهنم وبئس المصير فهو في أسوأ حال، فالبطولة أن تتجح في الامتحان، وربما كان النجاح في امتحان الفقر أهون من النجاح في امتحان الغنى، وربما كان النجاح في امتحان الضعف أهون من النجاح في امتحان القوة، القوة تغر، وتضر، وتمر، والدنيا كلها تغر، وتضر، وتمر، ولكن الآخرة هي العطاء الحقيقي، ولا يليق بكرم الله أن يكون عطاؤه في الدنيا، الدنيا زائلة، عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيه ملك عادل.

أيها الإخوة الكرام، قضية الحظوظ، الحظوظ موزعة في الدنيا توزيع ابتلاء، أنت كيف إذا كان عندك شهادة ثانوية، عندي كيمياء، وفيزياء، ورياضيات، عندي علوم، ترى هذه المواد شيئاً صارخاً، والله موادك مع الله أخطر من هذه المواد، امتحانك بالصحة، إذا كان الواحد صحيحاً يقدر أن يفكر، أن يصلي، يقدر أن يقرأ القرآن الكريم، يقدر أن يأتي إلى الجامع، يقدر أن يعمل عملاً صالحاً، يقدر أن يرعى أيتاماً، مادمت صحيحاً فكل شيء ممكن، فلما قال الله عز وجل:

﴿ تُمْ لَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8) ﴾

[ سورة التكاثر ]

بعضهم قال: الماء البارد، هذا سوف نسأل عنه، لكن بعضهم قال: نعيم الصحة، هذا نعيم، ونعيم الفراغ، هناك أعمال ثماني عشرة ساعة، تشعر بدوام ثقل إلى درجة لا تحتمل، الذي عنده بعد الظهر فراغ يجلس في جامع مع إنسان يحبه، يعمل عملاً صالحاً، يطالع كتاباً، يقرأ القرآن، يخدم إنساناً، يعمل عملاً صالحاً، هذا إنسان سعيد جداً،

يا أيها الإخوة الكرام، النعيم الفراغ، والنعيم الصحة، والنعيم الأمن، ليس ملاحقاً، الملاحق لو كان مختفياً في بيت، وطرق باب البيت ينخلع قلبه، أما أنت افتحوا الباب، تسافر، تقيم، تغادر، تبقى، تمشي في الطريق، لا أحد يلاحقك، فنعمة الأمن، ونعمة الصحة، ونعمة الفراغ، ونعمة الكفاية، عندك دخل يغطي مصروفك من دون الأشياء الثانوية، عندك دخل يغطي أساسيات حياتك.

أيها الإخوة الكرام، نعيد الحديث مرة ثانية، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( اِخْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِي ضِعْفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينِهِمْ، قَالَ: فَقَضَى بَيْنَهُمَا إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أَعَذِبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ، وَلِكِلَاكُمَا عَلَيَّ مَلُؤُهَا ))

[ مسلم، أحمد ]

والحمد لله رب العالمين

## الدرس ( 125 - 127 ) : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ....

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-08-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة و العلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، والحديث اليوم رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ))

[مسلم]

أيها الإخوة الكرام، هذا الحديث منطلق لموضوع دقيق في الأخلاق، أن كل إنسان بحاجة إلى خلق معين، كيف؟ الورع حسن، الورع قيمة راقية جداً، لكن في العلماء أحسن، أي ألزمُ صفة للعالم أن يكون ورعاً، لأنك يمكن أن تنتفع من مهندس أو طبيب، أو عالم ذرة أو عالم فلك أو عالم رياضي، تنتفع به، ولا تلقي بالاً إلى سلوكه و انضباطه، تريد علمه فقط، لكن لا يستطيع إنسان على وجه الأرض أن ينتفع بعالم الدين إلا إذا كان مطبقاً لما يقول، لذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه: " قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه "، كم شخصاً ؟ عامل مستعمل علمه، وجاهل لا يستكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه.

الآن هناك حركة، فإذا ضيع العالم علمه، أي لم يستعمل علمه، لم يكن ورعاً، استتكف الجاهل أن يتعلم، ما الذي يزهّد الناس في التدين؟ أن يروا إنساناً متديناً، وليس مستقيماً، متديناً، أي يصلي، و يؤدي العبادات، أما بالتعامل فليس مستقيماً، مثل هذا الإنسان أنا أسميه منفراً، " قوام الدين والدنيا أربعة رجال، عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستتكف أن يتعلم، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا ضيع العالم علمه استتكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه غيره ."

وهذا الذي يحصل، إذا بخل الغني بماله أنفق المال على ملذاته، وعلى أساليب حياته التي لا تعقل، يأتي الفقير فيعتقد الإلحاد من أجل أن يأكل ويشرب، يبيع الفقير آخرته بدنياه غيره، يتعاون مع الظالم، لأن المال قوام الحياة، إذا بخل الغني المسلم.

صدقوا أيها الإخوة الكرام، حقيقة مرة، أن باحثة اجتماعية زارت السجون، والتقت بالذات بالمنحرفات، واللواتي حكم عليهن بالسجن، المفاجأة الخطيرة جداً أن الفتيات المنحرفات لسن فاسدات، لكنهن فقيرات، لذلك أغنياء كل البلدة سيحاسبون أمام الله حساباً عسيراً، لأنهم بخلوا بمالهم، فاضطر الفقير أن يبيع آخرته بدنياه غيره، واضطرت الفتاة أن ترتزق بتدبيرها، لذلك الورع حسن، لكن في العلماء أحسن، والحياء حسن، الحياء من أروع الصفات، لكن في النساء أحسن، لأن من علامات آخر الزمان أن ينزع الحياء من وجوه النساء، وأن تذهب النخوة من رؤوس الرجال.

الفتاة لا تستحي، تبدي كل ما عندها من زينة، ولا تستحي، ولا تخجل، والفتاة قد تحد النظر في الرجل، وقد تقسو في الكلمات، وقد ترفع صوتها، ينزع الحياء من وجوه النساء، وتذهب النخوة من رؤوس الرجال.

يمشي مع زوجته بثياب فاضحة، كل خطوط جسمها واضحة، ولا يستحي، أو يمشي مع ابنته، أو يسمح لزوجته أن تقف في الشرفة بثياب فاضحة، من هو الديوث؟ الذي لا يغار على عرضه، أو يرضى الفاحشة في أهله.

لعل قبول الفاحشة نسبتها قليلة جداً بين الرجال، أما الذي لا يغار على عرضه فالنسبة كبيرة جداً، والديوث لا يريح رائحة الجنة.

إذاً لذلك الورع حسن، لكن في العلماء أحسن، الحياء حسن، لكن في النساء أحسن، التوبة حسنة، لكن في الشباب أحسن، ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب، إن الله ليباهي الملائكة بالشباب التائب، يقول: انظروا عبدي ترك شهوته من أجلي.

أيها الإخوة الكرام، جميل جداً أن ترتاد بيوت الله، لكن جميل جداً جداً أن تكون شاباً ترتاد بيوت الله.

كنت مرة في مدينة إسلامية، في بلد إسلامي، صليت المغرب في مسجد، المفاجأة أن كل المصلين فوق الثمانين، عندنا في الشام ظاهرة رائعة جداً، أن رواد المساجد من الشباب، يعج المسجد بالشباب، وريح الجنة في الشباب، والتوبة حسنة، لكن في الشباب أحسن.

شاب تائب، إذا كان من إنسان يُعَبِّطُ فهو شاب نشأ في طاعة الله، طبعاً إذا كان الإنسان متقدماً في السن يرتاد بيت الله شيء جميل، بارك الله به، وكثّر من أمثاله، لكن الإنسان بعد مضي سبعين ثمانين سنة أمضاها في الجهل، وفي التقلت، الآن ليس أمامه إلا القبر، فاضطر أن يأتي إلى المسجد، فرق كبير بين أن يأتي للمسجد، وهو شاب في ريعان الشباب، و بين من يأتي إلى المسجد، و قد ذهبت عنه كل شهواته وغرائزه، ولم يبق أمامه إلا القبر، فاضطر أن يأتي إلى المسجد.

فالبطولة بالشباب، بالمناسبة إخواننا الكرام، عندما الشاب يأتي إلى بيت الله مبكراً، ويشكل حياته تشكياً إسلامياً، يرتاح طوال حياته، اختار زوجة مؤمنة سالحة، اختار حرفة إسلامية صحيحة أو مشروعة، لا يوجد عنده مشكلة مع نفسه، لو أن إنساناً تعرف إلى الله متأخراً يكون قد أهمل أهله، واختار حرفة لا ترضي الله، واختار زوجة لم تقنع بما قنع، هو في أواخر حياته.

إذاً الورع حسن، لكن في العلماء أحسن، الحياء حسن، لكن في النساء أحسن، التوبة حسنة، لكن في الشباب أحسن، العدل حسن، لكن في الأمراء أحسن.

وهذا يقودنا أيها الإخوة الكرام إلى موضوع دقيق، أن هناك عبادة الهوية، أنت من ؟ أنت قوي، العبادة الأولى إحقاق الحق، أنت غني، العبادة الأولى إنفاق المال، أنت عالم، العبادة الأولى إلقاء العلم، هذه عبادة الهوية، أي لا يقبل من الإنسان الغني جداً يذكر الله باليوم خمسة آلاف مرة، ولا يؤدي حق المال، إنسان له مع إنسان مليون ليرة، وبالغ في المماطلة، وفي الكذب، وفي التأجيل، وفي التسويف، الذي وضع معه هذا المبلغ فقير، فاضطر

أن يتصل به مرة يوم الجمعة ليطالبه بالمبلغ الذي له عنده، فقال له بطريقة لا تحتل: كيف تتصل بي في يوم الجمعة، وهو يوم خلوتي مع الله؟ أنا كان تعليقي، سامحوني قلت له: قل له: تضرب أنت والخلوة التي لك، اذهب، وأدِّ المليون ليرة أولاً، بعد ذلك نسمي لك خلوة مع الله، ما هذه الزعيرة؟ قال له: كيف تتصل بي في يوم الجمعة، وهو يوم خلوتي مع الله؟ وأنت آكل عليه مليون ليرة، وهو في أمس الحاجة لها.

فذلك عبادة الهوية إن كنت غنياً إنفاق المال، لذلك مظل الغني يحل عرضه، لك أن تتكلم عنه، ولا شيء عليه، معه ولا يعطيك.

الآن، و الصبر حسن، لكن في الفقراء أحسن، لا يوجد أجمل من فقير متجمل، فقير صابر، لا يتضعض أمام غني، متجمل، تحسبه غنياً من التعفف:

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾

[ سورة البقرة: الآية 273 ]

لذلك كان السلف الصالح يبحثون هم عن الفقير، وأقول لكم كلاماً دقيقاً جداً: لأن الله عز وجل في القرآن الكريم بين أن هذه الصدقات لمن تحسبه غنياً من التعفف:

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافاً﴾

[ سورة البقرة: الآية 273 ]

هو لن يسألك، و لن يتضعض أمامك، و لن يطلب منك، إذاً عليك أن تبحث أنت عنه، صار هناك واجب حتمي استنباطي من قوله تعالى:

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافاً﴾

[ سورة البقرة: الآية 273 ]

إذاً ينبغي أن تبحث أنت عنه.

وهناك معنى آخر:

### ﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) ﴾

[ سورة الذاريات: الآية 19 ]

من هو السائل؟ الذي يقتحم عليك، من هو المحروم؟ الذي يستحي أن يسألك.

لذلك ابتغوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير، ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيته، فتكيدته أهل السماوات والأرض، إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني، أعرف ذلك من نيته إلا جعلت الأرض هويماً تحت قدميه، و قطعت أسباب السماء بين يديه.

اجعل لربك كل عزك      يستقر و يثبت  
فإذا اعتزرت بمن      يموت فإن عزك ميت

من جلس إلى غني فتضع له ذهب ثلثا دينه، كن متماسكاً بالله الغني، الله لا ينسى أحداً من فضله.

و الله مرة زارني إنسان، ضيفته قطعة حلوى، أمسك القطعة، وأكل أول قطعة منها، و قال: سبحان من رزقنا هذا، ولا ينسى من فضله أحداً!!

إذا أنت تجملت، و لم تلح، و لم تسأل، و لم تقتحم على الناس، و لم يكن ظلك ثقيلاً عليهم، هل الله ينساك؟ ولا ينسى من فضله أحداً.

لا ينساك، لك عنده رزق، اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير، والصبر حسن، لكن في الفقراء أحسن.

أيها الإخوة الكرام، ورد في بعض الكتب، ليس حديثاً، أنا أسميه من الأثر، أن أحب ثلاثاً، و حبي لثلاث أشد، أحب الطائعين، و حبي للشباب الطائع أشد، شاب في مقتبل الحياة كالمرجل طاقة، و حيوية، و غرائز، و شهوات، و آمالا، كل هذه الطاقة، و كل تلك الشهوات ضبطها وفق منهج الله، أنا في الحج رأيت رجلاً أيقنت أنه من أوروبا من هيئته و لونه، فإذا هو من ألمانيا الغربية، يمشي مع من أعرفه، سألته عنه، قال لي: هذا إنسان ألماني غربي سكن عنده طالب سوري، وعنده فتاة جميلة، انتهى هذا الأب أن يلح هذا الطالب مرة واحدة ينظر إلى ابنته، دهش، فحاوره وأقنعه بالإسلام فأسلم، هذا الطالب ما تكلم و لا كلمة، إلا أنه غض بصره عن محارم

الله، أكبر عالم رياضيات ملحد بسان فرانسيسكو كان يقول له أستاذه في الجامعة: اخرج من القاعة، ولك علامة تامة، لأنه كان يربك أستاذه من شدة تفوقه، ويوم كان طالباً في التعليم الثانوي انتقد أستاذ الديانة في أمريكا طبعاً فطرده أبوه من البيت فاعتنق الإلحاد، وصار علماً من أعلام الإلحاد هناك، فكان أستاذه الذي علمه يستعين به في بعض القضايا في الرياضيات عنده طالبة من الشرق الأوسط محجبة حجاباً كاملاً، و الوقت صيف، و الفتيات في أمريكا شبه عرايا، فأرسلها إلى هذا الأستاذ الملحد كي يجيبها عن بعض الأسئلة، هذا الملحد نظر إليها ظاهرة غريبة، الفتيات عرايا في الصيف، ما بال هذه الفتاة محجبة حجاباً كاملاً، و الحجاب عبء على الفتاة، و لا سيما في الصيف؟ لكن عبادتها تلك أنا أسميها عبادة إحسان، عبادة إعفاف الشباب، كيف نحن عندنا عبادة اسمها الجهاد؟ والجهاد ذروة سنام الإسلام، الفتاة لها عبادة خاصة بها، و لو أن فيها بعض العبء، لكن هذه العبادة أقصر طريق إلى الجنة، أنا أسميها عبادة إعفاف الشباب، حينما تستر مفاتها عن الشباب، و تريحهم قليلاً تكون قد أدت أجمل ما خصها الله به من مفاتن.

فهذه الفتاة محجبة حجاباً كاملاً، هو يحتقر الشرق الأوسط، وجد فتاة شرق أوسطية في أيام الصيف محجبة حجاباً تاماً، يقول في كتابه: و الله ما تجرأت أن أحق في وجهها، و رغبت أن أخدمها بكل حاجتها، وشعرت أنها إنسانة قديسة، و تتمتع بقناعات تنفرد بها.

ماذا فعل هذا الملحد؟ عكف في اليوم نفسه على قراءة القرآن، إلى أن وصل إلى قوله تعالى:

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ﴾

[ سورة يونس: الآية 92 ]

قال: هذا غلط، واتصل بصديقه موريس بوكاي في فرنسا، وقال له: تفضل، تقول: إن الكتب المقدسة لا يوجد بها أخطاء، هذا القرآن، قال له: هذا فرعون الذي ذكره الله عز وجل أنا رمت جثته بنفسي موجود حتى الآن، وأثار الملح في فمه، وكل الدلائل تؤكد أنه مات غرقاً.

الآن جفري لنك، هذا الأستاذ الملحد، أكبر داعية في أمريكا إسلامي، هذه الفتاة لم تتطق بكلمة، لكن حجابها دعوة.

أنا أؤكد لكم أيها الإخوة الكرام، حجاب الفتاة دعوة، صدقك دعوة، أمانتك دعوة، غفتك دعوة، لطفك دعوة، إنصافك دعوة، عدلك دعوة، المؤمن أكبر داعية دون أن يشعر، صادق، إن حدثك فهو صادق، إن عاملك فهو أمين، إن استثيرت شهوته فهو عفيف، لا يتورط:

### ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

[ سورة يوسف: الآية 23 ]

لذلك أحب الطائعين، و حبي للشباب الطائع أشد، فرق كبير، زعيم قريش أبو سفيان فيما تروي بعض الروايات أنه وقف بباب عمر ساعات، ولم يؤذن له، و هذا زعيم قريش أكبر شخصية في قريش، الذي آلمه أن صهيباً وبلالاً يدخلان، و يخرجان بلا استئذان، فلم دخل عليه قال له: يا أمير المؤمنين، زعيم قريش يقف في بابك ساعات طوالاً، وبلال وصهيب يدخلان بلا استئذان، فقال له كلمتان، قال له: أنت مثلهما ؟

فذلك شاب نشأ في طاعة الله، و قال بعض علماء القلوب: " من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة".

أحب الطائعين، و حبي للشباب الطائع أشد، أحب الكرماء، و حبي للفقير الكريم أشد، المؤمن الفقير زرتة، عنده أربع برتقالات، يضعها في صحن، تفضل، يدعوك إلى الطعام الذي عنده، المؤمن لا يبخل بماله أبداً، والله يوجد إخوة كرام دخله لا يكفيه أسبوعين، له صديق أخ في الله فَقَدَ عمله، أعطاه نصف ما عنده، أعرف و الله إخوة إذا زاروا أماً لهم، و علموا أنه لا يملك شيئاً من المال إن ذهب ليأتي بالماء وضعوا في جيبه المال دون أن يشعر، لأنه عفيف جداً.

وأحب الكرماء، و حبي للفقير الكريم أشد، حدثني أخ عمل لي ورقة الأسبوع الماضي أن طفلاً في الجامع معه مئة ليرة، يبدو من مقتنياته سمع عن صندوق العافية فصرفها، و دفع خمسين ليرة، هذه الخمسون يمكن أن تسبق عشرة آلاف ليرة عند الله: هكذا قال عليه الصلاة و السلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

## (( سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ))

[النسائي]

ودرهم تنفقه في حياتك خير من مئة ألف درهم ينفق بعد مماتك، متى تشعر بقيمة الإنفاق ؟ وأنت شاب، هذه الألف ليرة لها معنى، أما شخص معه احتشاء، ومعه جلطة، ومعه خمسون مرصًا، وهو بالفراش، الألف لا قيمة لها، المال كله لم يعد له قيمة، يجب أن تنفق وأنت صحيح شحيح، المال يفعل معك كل شيء، أحب الطائعين، و حبي للشباب الطائع أشد، أحب الكرماء، وحبى للفقير الكريم أشد، وأحب المتواضعين، و حبي للغني المتواضع أشد.

و الله أيها الإخوة الكرام، يوجد أغنياء مؤمنون تشتهي الغنى من تواضعهم، ومن سخائهم، ومن حبهم للناس، ومن أعمالهم التي لا تعد ولا تحصى.

أنا . والله . أعجب أشد العجب من إنسان معه وسائل أن يصل إلى أعلى مراتب الجنة، ويبخل، كل واشرب، واسكن في بيت، واقتنِ الحاجات الأساسية أنت وأهلك، وهذا الفائض الكبير يمكن أن تصل به إلى أعلى درجات الجنة، لكنك لا تفعل.

معقول يا إخواننا من شخص أمضى حياته في العلم، أربعون سنة في طلب العلم، قال له: بم نلت هذا المقام ؟ سليمان بن عبد الملك قال لعطاء بن أبي رباح، فقال له: باستغنائي عن دنيا الناس، وحاجتهم إلى علمي الذي قطعت له أربعين عاماً.

يأتي إنسان غني بماله فقط يساوي العالم ؟ هكذا النبي قال، عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَ آتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَ آتَاءَ النَّهَارِ ))

[البخاري]

كنت مرة في لبنان، رجل محسن كبير طبيب ترك مستشفيات ومصحات ودور عجزة ودور للمعاقين، ولبنان كلها تلهج باسمه، وتوفي، وتولت الأوقاف إدارة هذه المؤسسات الكبيرة، هذا الذي يبقى.

فلذلك أيها الإخوة الكرام، وأحب المتواضعين، وحي للغني المتواضع أشد، وأبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاث أشد، أبغض العصاة، و بغضي للشيخ العاصي أشد، أي مراهق في الستين، ليس من المعقول، تجد شخصاً سخيفاً يبالغ بالزينة، تزين، وتجمل، لكن يوجد وضع معقول، أما المبالغة بالزينة، وكأن الجنس إلهه يعبد من دون الله، وأبغض ثلاثاً، و بغضي لثلاث أشد، أبغض العصاة، و بغضي للشيخ العاصي أشد.

(( ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ))

وأبغض ثلاثاً، وبغضي لثلاث أشد، أبغض العصاة، وبغضي للشيخ العاصي أشد، وأبغض المتكبرين، وبغضي للفقير المتكبر أشد، ما عنده شيء لا يتكلم معه، تجد شخصاً لا يملك علماً، و لا فهماً، و لا مالاً، و لا شيء، وهو متكبر، شيء لا يحتمل، قد يتكبر إنسان، و هو يتربع على ثروة كبيرة جداً، الأمر اختلط عنده، قد يتكبر الإنسان، وهو يحتل منصباً رفيعاً جداً، قد يتكبر الإنسان، و معه أعلى شهادة باختصاص نادر، نوعاً ما مقبول، أما لا علم، و لا فهم، و لا حكمة، و لا مال، و لا شيء، و مع ذلك متكبر.

وأبغض المتكبرين، و بغضي للفقير المتكبر أشد، الآن، و أبغض البخلاء، و بغضي للغني البخيل أشد، غني يدفع المبالغ الطائلة دون أن يشعر.

والله مرة رجل محسن كبير شفاه الله الآن مريض، أراد أن يبني مسجداً في منطقة لا يوجد بها مساجد، و كلف أحد إخواننا أن يشتري أرضاً، والأرض اشتراها مناسبة، مساحتها مناسبة، و شكلها مناسب، و اتجاهها مناسب، و جاء هذا المحسن الكبير ليرى الأرض ميدانياً، والسعر مناسب، قال له: ثلاثة ونصف مليون، فوق شيك بمليونين، أعطاه لصاحب الأرض، صاحب الأرض آذن بالمدرسة، ورثها من شهر، عنده ثمانية أولاد، دخله أربعة آلاف، فقير جداً، لكن ورث هذه الأرض من شهر، فلعل الله ينفعه بثمرتها، فقال له: ثلاثة ونصف، هذان مليونان اثنان، أين التتمة؟ قال له: التتمة عند التنازل، قال له: ما التنازل؟ قال له: هذه الأرض سوف يبني عليها مسجد، فحينما تذهب إلى الأوقاف، و تكتب تنازلاً عندئذ نعطيك التتمة، قال له: مسجداً! فأخذ الشيك، و

مزقه، قال له: و الله أستحي من الله أن أبيع أرضاً لتكون مسجداً، أنا أولى منك أن أقدمها لله عز وجل.

يقول هذا الغني المحسن: و الله ما صغرت في حياتي أمام إنسان كما صغرت أمام هذا الفقير، كيف أنه استحيا

من الله أن يبيع أرضاً تكون في النهاية مسجداً!؟

والآن المسجد قائم، ومئذنته أعلى مئذنة في المنطقة.

وأبغض ثلاثاً، و بغضي لثلاث أشد، أبغض البخلاء و بغضي للغني البخيل أشد.

أيها الإخوة الكرام، طبعاً هذا الكلام مستوحى من هذا الحديث الصحيح:

(( تَلَاثَةٌ لَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ،

وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ))

عائل أي فقير.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (126 - 127) : لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ .

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 14-08-2005

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة و العلم، و من وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، والحديث اليوم رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ ))

[ مسلم، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه، أحمد ]

وكننت قد بينت هذا المعنى من خلال مثل، لو أن عندك في البيت كمية محدودة من اللبن، وجاءك ضيوف كثير، قد تضيف لهذه الكمية خمسة أمثالها ماءً، وتجعله شراباً سائغاً، وتقدمه كضيافة، أما لو أمسكت قطارة، ووضعت فيه قطرة بترول واحدة هل يمكن أن تشربه ؟ خمسة أضعاف مددته بالماء، وقبلها، وأصبح شراباً سائغاً، أما قطرة واحدة من البترول أفسده كله، وألقيته في المكان المهمل، لذلك الكبر أيها الإخوة الكرام، يتناقض مع العبودية،

(( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ))

التواضع ليس تصنعاً، بل هو حقيقة، العبد عبد والرب رب، من أنت أمام خالق السماوات والأرض ؟ من الذي يجرؤ أن يقول: أنا ؟ صحابة النبي عليه الصلاة والسلام وهم قمم البشر حينما قالوا: نحن لن نغلب من قلة في حنين، فتخلى الله عنهم، قال تعالى:

﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾

[ سورة التوبة: الآية 25 ]

لاحظ نفسك، تقول: أنا، من أنت ؟ أنا عندي خبرات متراكمة، الذي يقول هذا أحياناً يرتكب حماقة لا يرتكها طفل صغير، إذا قال: عندي خبرات متراكمة، أحياناً يدعي الإنسان أنه من نسب شريف، أو يحوي ثروة طائلة، أو عنده بيت فاره، ومركبة حديثة، كلما قال: أنا، وعندي، ولي، ونحن هذه كلمات مهلكات، نحن، قال هذا الكلام قوم بلقيس، قال تعالى:

﴿ نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾

[ سورة النمل: الآية 33 ]

فأهلكهم الله، وقال: إبليس: أنا خير منه، فأهلكه الله، وقال فرعون: أليس لي ملك مصر، فأهلكه الله، وقال قارون: إنما أوتيته على علم عندي.

العبرة ألا تتسى الله، ألا تعتد بقوتك، ألا تعتد بمالك، ألا تعتد بجاهك، ألا تعتد بنسبك، ألا تعتد بعلمك، يمكن أن تكون عالماً، لكن من الذي علمك ؟ من الذي يسر لك العلم ؟ يمكن أن تكون غنياً، من الذي رزقك ؟ يمكن أن تكون قوياً، من الذي مكنك ؟ يمكن أن تكون ذا حسب ونسب، من الذي جعلك نسلك من هذا الأب العظيم ؟ إذاً حينما تفخر بنسبك، أو بحسبك، أو بقوتك، أو بسلطانك، أو بمالك، أو بجاهك، أو بعلمك، أو بخبراتك، فأنت وقعت في الشرك الخفي، وكل إنسان وقع في الشرك الخفي له عند الله تأديب من نوع معين، أحياناً أستاذ جامعي من كبار الأساتذة كان يلقي محاضرات عديدة في تحذير الناس من مسببات السرطان، والكلام صحيح، وهو محق في ذلك، لكن بث الرعب في قلوب الناس لدرجة لا توصف، أي شيء تستخدمه قد يسبب سرطاناً، وألقى المحاضرات في الجامعات في بلده، وفي بلاد مجاورة، وألف الموسوعات، وحينما بلغ سنّاً معينة أصابه هذا المرض، فسمعت قبل يومين أنه بكى، وقال: أنا الذي حذرت الناس حياتي من هذا المرض أموت بهذا المرض،

هناك حكمة بالغة، أنت حينما تظن أنك ناج هذا هو الخطأ بعينه.

أوضح مثل أيها الإخوة الكرام، إن أردت السفر يمكن أن تأخذ الاحتياط الكافي، تراجع مركبتك، لكن دقق الآن، إذا راجعت مركبك، وشعرت أنك مطمئن لا بحفظ الله، بل بقوة هذه المركبة، وبتجديدها، وبمراجعة كل أجزائها، هذا نوع من الشرك، المشكلة هو أنك يمكن أن تراجع المركبة فتقع في الشرك الخفي، ويمكن ألا تراجعها فتقع في المعصية، وقد تكون القاتلة، والتطرف دائماً سهل، سهل جداً أن تتوكل بسذاجة ما بعدها سذاجة، وسهل جداً أن تأخذ بالأسباب بشكل دقيق جداً، وهذه الدقة البالغة تتسيك ربك، ما من داعٍ، إذا قضية الكبر قضية تتناقض مع الإيمان.

(( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ))

المؤمن من شدة أدبه مع الله إذا أكل طعاماً يقول: الحمد لله الذي رزقنا هذا الطعام، إذا قبض راتبه: الحمد لله الذي أعاننا على أن نكون في وظيفة نأخذ في آخر الشهر ما يعيننا على هذه الحياة، إذا دخل بيته يقول: الحمد لله الذي آواني، وكم من لا مأوى له، إذا أراد أن يلقي كلمة، أو أن يقوم بعمل ذي بال يقول: اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي، والتجأت إلى حولك وقوتك، يا ذا القوة المتين، هذا ليس تواضعاً لله، هذه حقيقة، فأنت حينما تتوكل على الله، حينما تعزو الفضل إلى الله، حينما لا تنسى فضل الله عليك، قال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[ سورة النساء : الآية 113 ]

فكر أن كل كلمة ينبغي أن نقولها وفق التوحيد.

أيها الإخوة الكرام، هناك حقيقة، أنه كلما تذلت إلى الله عز وجل أعزك الله، المؤمن يمرغ جبهته على أعتاب الله، فيعزه الله، ويرفع شأنه، ويعلي قدره، ويجعل له هيبة، من رآه هابه، والذي يعتز بغير الله بماله أو بسلطانه، أو بنسبه أو بحسبه، أو بمتاعه الله عز وجل تأديباً له، و محبة له من أن يتمادى في الشرك، يؤدبه بالذي اعتز به، أحياناً يكون الطبيب متفوقاً باختصاص معين، يلقي في روعه دون أن يشعر أو يتوهم إلى درجة أنه لا ينتبه أنه لن يصاب بمرض اختصاصه، لأنه يعرف دخائل هذا المرض، و يعرف دقائقه، و يعرف أسبابه، و يعرف علله، و يعرف طرق الوقاية منه، و الذي يحدث أن معظم الأطباء الذين غفلوا عن الله عز وجل، و تفوقوا في

اختصاص معين يصابون باختصاصهم، إياك أن تقول: أنا، قالها إبليس، فأهلكه الله، و قالها فرعون، فأهلكه الله، و قالها قارون فأهلكه الله، و قالها قوم سبأ فأهلكهم الله عز وجل.

ممكن أن ألخص لك الموضوع، إذا قلت: أنا تخطى الله عنك، و إذا قلت: الله تولاك، جرب قبل أن تدخل إلى عملك، يا رب افتح لي أبوابك رحمتك، افتح أبواب فضلك يا رب، يا رب أعوذ بك من أن أضل أو أضل، أو أذل أو أذل، أو أجهل أو يُجهل علي، ادخل على البيت سمّ الله عز وجل، و سلم على أهلِكَ، قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، السلام عليكم، تجد البيت فيه رحمة، البيت رحماني، فيه مودة، فيه تعاون، فيه صوت منخفض.

أيها الإخوة الكرام، هذا الحديث يمس كل واحد منا:

(( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ))

الكبر يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، الكبر يتناقض مع العبودية لله عز وجل،

(( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ))

و كلما ازددت قريباً من الله ازددت تواضعاً، كلما ازددت علماً ازددت تواضعاً، يقول الإمام الشافعي: " كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي"، فهذا التواضع لله، و هذا الافتقار، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

[سورة آل عمران: الآية 123]

أيها الإخوة الكرام، لكن القضية ليست تصنعاً، القضية رؤياً، أنت حينما ترى ضعفك، و ترى جهلك، و ترى افتقارك، و ترى أن الله تفضل عليك، ترى أن الله أعطاك، هؤلاء الذين يرتكبون حماقات كبيرة بشر، و لهم أهل تركوا العلم ابتعدوا عن الحق تورطوا، ارتكبوا حماقات، أودعوا السجون.

ألا ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، ألا يا ربّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رب جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا ورب مكرم نفسه، و هو لها مهين، ألا يا رب مهين

نفسه، و هو لها مكرم.

إذا قضية أن تنظر إلى ما سيكون في المستقبل هي البطولة، الله عز وجل قال:

### ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة الأعراف: الآية 128]

العبرة من يضحك أخراً، العبرة أن تدخل الجنة بسلام، العبرة أن تغادر الدنيا، و لك قلب سليم:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)﴾

[سورة الشعراء ]

العبرة أيها الإخوة الكرام أن تعرف ما سيكون في النهاية، ابدأ من النهاية، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَنِ كُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الملك: الآية 2]

بدأ بالموت، يعني بدأ بالنهاية، وما من إنسان يفلح إلا إذا بدأ من النهاية، النهاية هي الموت فما الذي ينجيني عند الموت؟ وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن، وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده، أو إقتاراً في رزقه، أو مصيبة في ماله، أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه، لذلك لا تقلق إذا كنت في العناية المشددة، افرح، بل ابك فرحاً إذا كان الله يعالجك، إذا كنت في دائرة المعالجة فافرح، لأن الله علم فيك خيراً، أما المصيبة الكبيرة أن يمدك بكل شيء، وأنت تعصيه إذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك، وأنت تعصيه فاحذره عندئذ تنطبق على الإنسان الآية المخيفة، قال تعالى:

﴿نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام: الآية 44]

الكبر يأتي من الجهل، والتواضع يأتي من العلم، الكبر يأتي من الانقطاع على الله، والتواضع يأتي من الاتصال بالله، الكبر يأتي من التوقع والتواضع يأتي من الانفتاح، أنت حينما تلتقي بالآخرين ترى من هو أعلم منك، ترى من هو أروع منك، ترى من هو أقرب منك إلى الله تتواضع بل تصغر، وحينما تتواضع وتصغر من أجل أن تكبر، أما حينما تتوقع، وتعزل نفسك عن الآخرين تتوهم أنك في القمة، وأنت لست كذلك، أنت في الحضيض، هذا الكلام كلام النبي عليه الصلاة والسلام، أوقع بعض الصحابة في اللبس، فقال رجل: يا رسول الله،

(( إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نُؤْبَهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ))

هذه حاجة عند الإنسان يكون أنيقاً، نظيفاً، بيته لطيف، مكانه نظيف، مرتب، هذه حاجة عند الإنسان الراقى، والإسلام حضارة لأن النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن دفن أحد أصحابه الذي حفر القبر، أبقى فيه فرجة، فقال عليه الصلاة والسلام: إن هذه لا تؤذي الميت، ولكنها تؤذي الحي، إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه.

إذا إتقان العمل من الدين، أن تعرف الله هذه المعرفة تدعوك إلى التواضع، أن تتصل بالله هذه الصلة تقضي بك إلى التواضع، أما البعد عن الله، وعدم طاعة الله يأتي الشيطان فينطق في الإنسان أنت بجرة قلم تهلك، واحد بجرة قلم تسعد، واحد كلها أوهام هذه الفقرة الأولى في هذا الحديث.

هذا الصحابي أشكل عليه شيء، قَالَ رَجُلٌ:

(( إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نُؤْبَهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ))

هل هذا من الكبر؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال: لا، قَالَ:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

طبعاً هذا الحديث هناك من يبالح في إساءة فهمه، يملأ عينيه من الحرام، ويقول: إن الله جميل يحب الجمال، ليس هذا هو المعنى، المعنى إذا كان بيتك نظيفاً ومرتباً، فهذا سبب محبة الله لك، إذا كنت نظيفاً ومرتباً، وذا

هندام حسن، أصلحت شعرك، أصلحت نعلك، أصلحت ثوبك، حسنوا رجالكم، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس.

أيها الإخوة الكرام، كلام دقيق وعميق، وأساسي، الجمال حاجة عند الإنسان، فالذي في بيته فوضى، وفي مناظر مؤذية جداً، الحاجات مبعثرة، وما ثمة نظام للحاجات، فهذا البيت يدعو إلى الضيق، ترى فيه توتراً، أما البيت المريح، البيت النظيف، الحاجات القليلة موزعة توزيعاً لطيفاً، الألوان متناسبة، هذا البيت يصبح جنة، وقد قال بعضهم: جنة المؤمن داره، هذا المكان الذي تأوي إليه ينبغي أن يكون مرتباً، لا أقصد الأغنياء، قد تكون أفقر الفقراء، وبيتك نظيف، ومرتب، هذه لا علاقة لها بالغنى والفقير، قضية ذوق، الحاجات التي لا تحتاجها كثيراً هي أمامك، وعن يمينك، وعن يسارك، وملقاة بشكل فوضوي، وإن أردت أن تأخذ بعضها لا تجده، لا نظام في غرفة الجلوس، ولا في مكتبك، ولا في مكتبتك، ولا في غرفة النوم، ولا في غرف الاستقبال، حاجات لا لزوم لها إطلاقاً تراها بوجهك دائماً، ما هناك تنسيق، ولا ترتيب، ما لا تصفية، البيت الفوضوي يدعو إلى الضيق،

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

قد تدخل إلى محل أدوية صيدلية، الأدوية على الأرض، وغير منسقة، ومن أجل أن يبحث لك عن حاجتك يبقى وقتاً طويلاً، تدخل صيدلية أخرى، نظام، نظافة، أناقة، ترتيب، كل شيء في مكانه.

والحقيقة يا أيها الإخوة الكرام، العالم الغربي متفوق في هذا، لا تجد في أبنيتهم، ولا في طرقهم، ولا في حدائقهم، ولا في مؤسساتهم، ولا في معاملهم شيئاً منفراً، حتى الأشياء التي تحتاج إلى نظافة زائدة كأنك جالس في أرقى مكان،

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

لما نحن أهملنا بلادنا، وأهملنا مرافقتنا، وأهملنا بيوتنا، أحيانا الدولة مشكورة، تقيم حديقة عامة، أحياناً لا تستطيع أن تدخل إليها من بقايا الطعام، هذا ذنب المواطن،

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

كلمة:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

تأنق في بيتك، وتأنق في عملك، وتأنق في مركبتك، وتأنق في هندامك، وتأنق في مظهرك، هذه من صفات المؤمن، لكن مع الأسف الشديد الطرف الآخر أتقن هذا آلاف الأضعاف عما أتقنه المسلمون، بشكل مؤلم جداً، وكأن الإسلام مظنة فوضى، والإسلام مظنة ما فيه جمال، في قراهم، ولا في بيوتهم، ولا في مرافقهم، قد يقول البعض: قد يكون فقراً، لكن أحياناً لو أنه طلي بأرخص أنواع الطلاء، لون لطيف، فاتح، يعمل راحة نفسية، لو أنه اخترت الأثاث متناسباً بألوانه، لا يكلفك هذا شيئاً.

أنا أصر على هذا الناحية الجمالية، حاجة أساسية في مظهرنا، وفي بيوتنا، وفي أعمالنا، وفي محلاتنا، وفي مكاتبنا، وفي كل شيء، لذلك يذهب أبناؤنا إلى بلاد الغرب فيدهشون من النظافة، والأناقة، والجمال، هذا الذي يجلب الناس إلى تلك البلاد.

والله مرة كنت في استنبول، فدخلت إلى مسجد في البوسفور، شيء لا يصدق من الأناقة والترتيب، وحديقة فيها حشيش أخضر، فيها ورود، إذا دخل إنسان بيتاً من بيوت الله، ورأى فيه الأناقة والجمال يرتاح نفسياً.

بالمناسبة الغربيون أدركوا هذه الحقيقة، المحل الجميل، والأنيق، والمرتب، والنظيف يستجلب الزبائن بأعداد كبيرة جداً، فنحن يجب أن يكون في حياتنا مسحة جميلة، هذا معنى:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

ابدأ بجسمك، ابدأ بشعرك، ابدأ بشبابك، ابدأ ببيتك، غرفة غرفة، أحياناً تنزع المدفأة، ويبقى الشريط طوال السنة، منظر لا يحتمل، لو دخلت إلى بيت ترى أخطاء كبيرة جداً منفرة كلها، هناك إنسان لو انتزع مسماراً من ثقب أسود محله يأتي بشيء من الجبصين فيعبئه، شيء دقيق جداً، لكنه مريح، أحياناً ترى نظافة، لكن الزوايا كلها سوداء، لا يوجد نظافة، مهما نظفت الأرض والمرافق فما دامت الزوايا سوداء فالمنظر مخرش، هناك من يعتني بالزوايا.

حدثني صديق أنشأ معمل أدوية، بعد ما أنشأه كلفه مبالغ فلكية، جاءت الشركة التي هو وكيلها، فرفضوا البناء، ما السبب؟ طبعاً البناء كله زوايا قائمة، قال: هذه ممنوعة، يجب أن يكن البناء كله زوايا منحنية، في ( بلاك ) خاص ربع دائرة، لأن الجراثيم تحب الزوايا الضيقة، وكل الزوايا المنحنية لا تحبها الجراثيم، كل مكان فيه زوايا حادة تعشعش فيه الجراثيم، ومعمل أدوية لا يسمح أن يكون فيه زاوية حادة إطلاقاً، ولا زاوية قائمة، يجب أن يكون البلاط خاصاً، ربع دائرة، حتى الزاوية ربع كرة، تنظيف سهل، والجرثوم لا يعشعش في هذه الأماكن، هذا كله على كلام:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

وكل إنسان لو رتب غرفته، ورتب غرفة الضيوف، ورتب مطبخه، وما ترك حاجات زائدة لا معنى لها، تجد أن البيت صار فيه مسحة جمالية، صار البيت يجذب، وأنصح كل أب يجعل البيت هادئاً، وله مسحة جمالية، وفيه طعام بأوقات منظمة، وفيه ابتسامة، وفيه مودة، حتى الطفل ينجذب إلى بيت أبيه، اجعل البيت هو الأصل، وإذا كان الطريق هو الأصل، والمطاعم هي الأصل، يعني بالتعبير العامي المؤمن بيتوتي، وغير المؤمن زقاقاتي، المؤمن بيته جنته، هذا معنى:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

وليس معناها أنك إذا نظرت إلى امرأة فدهشت بجمالها تقول: سبحان الله! إن الله جميل يحب الجمال، لا، هذا تطاول على منهج الله عز وجل:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾

[ سورة النور: الآية 30 ]

أنا سافرت كثيراً إلى بلاد بعيدة و قريبة، و شرق و غرب، تجد المدن فيها جمال لا يصدق، الحقائق، الورد، الأبنية.

مرة نزلت بفندق بلغني أنه أنشئ من خمس وعشرين سنة، شهد الله أنه غلب على يقيني أنه البارحة استلموه من شدة النظافة، دخلت إلى مطار طبعاً في بعض البلاد بشرق آسيا إذا ألقى الإنسان عقب دخينة الجراء مئة ألف ليرة ألقى أي ألفي دولار ألقى و إذا أعادها يجب أن يعمل عامل تنظيفات مهما علا قدره، يوجد مطار اضطرت أن أبقى فيه أربع وعشرين ساعة، من خمس أو سبع سنوات أنشئ ألقى الأرض كلها من الموكيت الغالية جداً، تشتهي أن ترى غلطة، أن شيئاً وقع على هذا القماش النفيس، نظافة تفوق حد الخيال، هكذا البلاد جميعاً، الإنسان يتألم ألماً شديداً لا يحتمل إذا رأى بلاد المسلمين غير نظيفة، قراهم غير نظيفة، أنا هذا الكلام متأثر به جداً ألقى لأن الجمال يجذب، القرية الجميلة، البيت الجميل، المدينة الجميلة، الحديقة الجميلة، هذا الذي يلقي وهو راكب مركبة فخمة جداً من أعلى نوع، و كلما أكلوا شيئاً يلقوه من النوافذ، قشر الموز، علب العصير، قلت: لو كان راكباً أعلى مركبة، لكن عقلية طنبرجي، هذا الذي يلقي من النافذة كيفما اتفق بلا قيد، و بلا شرط، و يحافظ على نظافة الحاويات، و ليس على نظافة الطريق، هذا إنسان بعيد عن الذوق، هذا معنى قول النبي:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

جملوا أفنيتمكم، و لا تشبهوا باليهود، جملوا بيوتكم، جملوا محلاتكم التجارية، يقولوا: إن البساطة نصف الجمال، أحياناً تجد سيارة خمسين عبارة ساقطة وراء وأمام، شيء لا يحتمل، صاحب هذه المركبة يتمتع بأدنى درجات الذوق، و كل عبارة أولاً عبارة عامية، و عبارة غزلية، و مثلاً، الله و محمد، بعد ذلك الحياة بدونك عذاب يا دلال، هذا لا تتفق مع هذه، تجد عبارات غير لائقة هذا المستوى، فالإنسان كلما ارتقى مستواه يصبح كلامه منضبطاً، مركبته منضبطة، أنا ألح على هذه النقطة، إن الله جميل يحب الجمال.

إذا وجد ماء متوافر يجب أن نستحم يومياً، و لاسيما في أيام الصيف، لو اقترب منك إنسان لا يجد أي رائحة منفرة،

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

هذا الذي أتمنى أن يكون واضحاً في هندامنا، في ثيابنا، في ألوان متناسبة، لا ينتبه طقم بني، و السجادة خمري، لا تتناسب، قبل أن تشتري هذه السجادة انتبه للون الطقم.

ملخص هذا الكلام، لم لا تكون بلاد المسلمين جميلة؟ لما لا يجذب الناس إليها؟ لماذا النظام يختص به أهل الدنيا، و هناك الفنادق الخمس نجوم، حيث الزنا و الخمر، و نحن كيفما اتفق.

الآن جاء تعريف الكبر، قال عليه الصلاة و السلام:

(( لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ))

فإذا كنت نظيفاً، و ذا رائحة طيبة، و بالمناسبة والماء أطيب الطيب المفقود، الذي لا يملك ثمن عطورات يكفي أن يتنظف، لأنه ثبت أن لجلد الإنسان رائحة عطرية جميلة جداً، و الدليل لو أن ابنك الصغير تغسل، و أنت ضممته لصدرك تشم من جلده رائحة جميلة جداً، رائحة جداً، رائحة الجلد رائحة جداً، لكن مع العرق، ومع بقايا التعرق لا تكون كذلك، فلذلك الاغتسال، اغتسل و لو مداً بدينار، و يكاد يكون غسل الجمعة يرقى إلى الواجب، أما الكبر:

(( بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ ))

الكبر أن تقول: هذه العلاقة ربوية، تقول: هذا شيء قديم، نحن في عصر لا بد من استثمار المال عن طريق البنوك، فهي آمنٌ مكان، تقول له: الاختلاط محرّم، لا، المرأة نصف المجتمع، و كل مجتمع فيه امرأة المجتمع منضبط، و مهذب، مادام هناك شباب و بنات فالشباب يميل للنعومة، و اللطافة، لأنه هناك بنت، أما إذا لم توجد الفتاة يصبحون كالبعال، هذا ما يقولون،

(( الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ ))

أنت ترد حكماً شرعياً، أن ترفض آية:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَنْبَارِهِمْ ﴾

[ سورة النور : الآية 30 ]

يقول لك: أين أذهب بعيوني ؟ أن ترد الحق، أن ترفض حكم الله، أن ترفض آية، أن ترفض حديثاً،

(( الْكِبْرُ بَطْرٌ ))

أي رد الحق، إذا انتقنا على أن الله جميل، تعني أن تكون أنيقاً مرتباً، ذا بيت حسن من حيث النظافة، قد يكون البيت متواضع جداً، قد يكون من النوع القديم جداً، لكن حينما تعنتي بنظافته، وبتناسق أثاثه، أحياناً باقة تضفي بهجة على سكان البيت، أحياناً منظر طبيعي لطيف، آية قرآنية على الحائط موضوعة، لها معنى عميق، اللمحات الجمالية في البيت تريح الإنسان.

لكن:

(( الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ ))

أن ترد حكماً شرعياً، أن ترد آية قرآنية أن ترد حديثاً نبوياً، أن ترد حكماً فقهياً،

(( الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ ))

هناك حالات مرضية، و بدرجة عالية من الخطورة أن الإنسان لا يحتمل أن يرى من هو أفضل منه، فإذا رأى من هو أفضل منه بخسه، و اتهمه، و شكك في نواياه، حتى يبقى هو في الأوج، هذا النمط التوحدي أنه لا يوجد غيرك نمط خطير في المجتمع، فدائماً همه يمدح نفسه، و يبخس الآخرين، يقلل من قيمتهم، يقلل من مكانتهم، يشكك بنواياهم، يفرغ عملهم من مضمونه الأخلاقي، يتهم كل إنسان بأنه منافق، مرائي، لا تصدقه، ليس كذلك، هذا كبر في الإنسان.

بالمناسبة عود على بدء، لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قد تتكبر بشكلك، الله عز وجل أحياناً يمنح الإنسان وسامة، و قد تتكبر بعلمك، و قد تتكبر بمالك، و قد تتكبر بنسبك، و قد تتكبر بمنصبك، فالكبر يتناقض مع العبودية لله عز وجل يفسد العمل كما يفسد الخل العسل، أما الرجل يكون ثوبه حسناً، و نعله حسنة، و بيته نظيفاً ومرتباً، و محله التجاري نظيفاً، و مرتباً، مرافق بيته أيضاً نظيفة، قال:

(( إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَ الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَ عَمَطُ النَّاسِ ))

أن تقلل من شأنهم، أن تبحث عن عيوبهم، أن تشك في نواياهم، أن تزديهم، ألا تعبأ بهم، هذا من علامة الكبر لذلك هناك معصيتان معصية غلبة و معصية كبر .

معصية الكبر هي معصية إبليس، و معصية الغلبة هي معصية سيدنا آدم، الله عز وجل غفر له سريعاً، لأنه لم يجد له عزمًا على المعصية، و يوجد تواضع، و أناب إلى ربه سريعاً.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس (127 - 127) : باب الترغيب في إنجاز الوعد والأمانة والترهيب من إخلافه ومن الخيانة

شرح الحديث الشريف - أحاديث متفرقة - لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2005-09-18

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل و الوهم إلى أنوار المعرفة و العلم، و من وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في إتحاف المسلم بما في الترغيب والترهيب من صحيح البخاري ومسلم، والحديث اليوم أخرج به البخاري ومسلم معاً في باب الترغيب في إنجاز الوعد والأمانة، والترهيب من إخلافه ومن الخيانة.

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ... ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُؤْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ )).

[ متفق عليه ]

أيها الإخوة الكرام، لعلكم تذكرون منهج البحث في الإسلام، منهج البحث في الإسلام أنه في حياة المسلمين كتاب من عند الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا الكتاب هو القرآن الكريم بإجماع الأمة، وهو منقول تواتراً عن جبريل إلى رسول الله ﷺ، ومن جيل إلى جيل، إلى أن وصل إلينا القرآن الكريم كما أنزل، ولأن الله عز وجل تولى حفظه، قال تعالى:

## ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (9)

[ سورة الحجر ]

تولى حفظه لا بأمر تكليفي، بل بأمر تكويني، وقد كلف الأنبياء حفظ كتبهم بما استحفظوا من كتاب الله، والأنبياء حفظوا هذه الكتب، لكن أتباعهم لم يحفظوها، فالإنجيل والتوراة كلف أهل الكتاب بحفظهما بأمر تكليفي، والأمر التكليفي كما تعلمون يعصى أو يطاع، لكن الله عز وجل لخاصة في القرآن الكريم، وهو أنه لكل الناس، ولكل الأمم كافة، ولنهاية الدوران، وهو خاتم الكتب، إذاً ينبغي أن يحفظ من التبديل والتعديل، وللزيادة والحذف، وما إلى ذلك، فتولى الله بأمر تكويني حفظه، هذه قضية إيمانية، لأن الله أخبرنا بها، والأدلة تؤكد أنها لله عز وجل حفظ هذا الكتاب، فنحن في حياتنا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو قطعي الثبوت، لكن معانيه بعضها قطعي الدلالة، وبعضها قطعي الدلالة، وبعضها ظني الدلالة، وبعضها قطعي الدلالة، ومعنى قطعي الدلالة أي لا يختلف اثنان في فهم الآية، هذه قطعي الدلالة قال تعالى:

## ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (119)

[ سورة التوبة ]

هذه الآية قطعية الدلالة لا تحتاج لا إلى مفسر، ولا إلى الزمخشري، ولا إلى القرطبي، آية واضحة، ومعظم آيات القرآن الكريم قطعية الدلالة، أحياناً أنت في رمضان تستمع إلى الإمام، وهو يقرأ القرآن الكريم، القرآن الكريم بحد ذاته من دون تفسير، من دون تحليل، من دون اجتهاد، معظم آياته قطعية الدلالة، إلا أن هناك حكمة بالغة من وجود بعض الآيات ظنية الدلالة، تحتاج إلى تأويل، تحتاج إلى تحليل، إلى تفسير، قال تعالى:

## ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

أهل الذكر هم أهل القرآن، الإنسان يقرأ آية، قال تعالى:

﴿(6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾

[ سورة الشمس ]

قد يتوهم الإنسان أن الله ألهم النفس الفجور، أو ألهم النفس التقوى، والحقيقة خلاف ذلك، برمجتها برمجة، وفطرتها فطرة، وجبلها جبلة بحيث لو أنها فجرت تعرف أنها فجرت ذاتياً، هذا شيء رائع جداً، ممكن أن يكون خلل في المركبة، لكن قد لا تكشفه، الخلل يتفاقم، وقد يحترق المحرك، وقد تدفع مبالغ طائلة جداً، لكن الآن المركبات الحديثة أيّ خلل يظهر على الشاشة، هي تتبئك بالخلل، هذا مستوى من الصناعة عالٍ جداً، أنت أيضاً مبرمج برمجة بحيث لو أخطأت تكشف أنك أخطأت، قال تعالى:

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (15)﴾

[ سورة القيامة ]

إذا الآية:

﴿(6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)﴾

[ سورة الشمس ]

قد يفهم إلهام الفجور أن الله عز وجل خلق فيها الفجور، والعياذ بالله، هذا المعنى يتناقض مع كمال الله، لكن معنى الآية أنها مبرمجة برمجة فيما لو فجرت تكتشف ذاتياً أنها فجرت، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

بعض آيات القرآن الكريم قطعية الدلالة، وبعض آيات القرآن الكريم ظنية الدلالة، قال تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

[ سورة السجدة: الآية 13 ]

ولكن يبدو أن الله ما شاء أن يوتي النفوس هداها، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

يقول لك أهل الذكر: الإنسان مخير، ولو أن الله عز وجل سلب حريته واختياره، وأراد أن يجبره على شيء ما، لو أن الله أراد إلغاء هويته، وإلغاء تكليفه، وإلغاء حمل الأمانة، وإلغاء اختياره، وأراد الله أن يجبره، إن أراد الله أن يجبره لما أجبره إلا على الهدى، لو شئنا أن نلغي اختياركم أن نلغي هويتكم، أن نلغي حملكم للأمانة، أن نلغي تكليفكم، أن نلغي الجنة والنار، وأجبرناكم على شيء لما لما أجبرناكم إلا على الهدى، قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

كأن الله عز وجل كان من الممكن أن يجعل كل آيات القرآن الكريم قطعية الدلالة، لكن أراد أن يكون نقل هذا العلم عن طريق أناس من البشر، دورهم كشف هذه الملابس، وأكبر دليل على ذلك القرآن الكريم، كما قال تعالى:

﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 7 ]

الآية المحكمة لا يختلف شخصان في فهم معناها، لكن الآية المتشابهة تشبه الحق من جهة، وتشبه الباطل من جهة أخرى، أنت بحاجة إلى من يوضح لك معنى هذه الآية، وقد قال الله عز وجل:

## ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾

[ سورة يونس: الآية 39 ]

معنى ذلك أن الإنسان ليس له الحق أن يتسرع، ويتساءل حول آية قبل أن يستمع من أهل الذكر معناها الدقيق الذي يتناسب مع وحي الله، سئلت: كيف يقول سيدنا أيوب: [ إِنِّي مَسْنِي الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ] ؟ وكيف يستطيع الشيطان أن يصل إلى النبي ؟ هو لم يصل إليه، النبي موصول بالله عز وجل، المؤمن العادي إذا كان متصلاً بالله لن يستطيع الشيطان أن يصل إليه، فكيف يصل الشيطان إلى نبي كريم ؟ له معنى دقيق جداً، أن النبي يتمنى هداية الخلق، وأن الشيطان يتمنى إضلالهم، فالشيطان حينما يتمنى إضلالهم، وحينما يتحرك نحو إضلالهم يؤذي النبي في أنه يتمنى هدايتهم، لكن الشيطان أراد أن يضلهم، الشيطان لم يصل إلى النبي، ولكن وصل إلى أتباعه، تماماً كما لو أن إنساناً يسعى بكل طاقته أن يكون ابنه متعلماً، فإذا وسوس صديق ابنه لابنه أن دعك من الدراسة، ولا فائدة منها يكون هذا الصديق لابنه الذي أغراه بعدم الدراسة قد آذى الأب، لكن لا بشكل مباشر، بشكل غير مباشر، الأب أقنع ابنه بالدراسة، وصديق ابنه بدأ يقنع هذا الابن بترك الدراسة، وكأن هذا الصديق وصل إلى الأب بشكل غير مباشر، هذا المعنى الذي يمكن أن يفهم من أن الشيطان استطاع أن يؤذي النبي، لا يؤذيه مباشرة، يؤذيه بأن يضل البشر، وهذا يتناقض مع طموح النبي، ومع رحمته بأمتة. القرآن الكريم قطعي الدلالة، والقضية إيمانية، القرآن الكريم قطعي الثبوت، والقضية إيمانية، بينما هو قطعي الدلالة، أو ظني الدلالة، ظني الدلالة، أنت بحاجة إلى من يفسر لك القرآن الكريم، قال تعالى:

## ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[ سورة النحل: الآية 43 ]

مرة فيما أذكر ألف كتاب للشهادة الثانوية، وبقي يدرس تقريباً عشر سنوات للفرع الأدبي والعلمي، في كل صفحة من صفحات الكتاب أثرت قضية النحو، أو الصرف، أو البلاغة، ولم أجب عنها، أكتب ما معنى ( حتى ) ؟ وما وجوه إعراب ( حتى ) ؟ أسأل أستاذك الكريم، أردت بهذه التعليقات أن أقيم علاقة بين الطالب وأستاذه، أحياناً في خطبة إذاعية أقول: وللقصة تنمة، اسألوا عنها، كل واحد يسأل مرجعه الديني، إذاً يبدو أن للحكمة التربوية يكون الإنسان من بني البشر يقدم معلومات لهؤلاء البشر، أنت بحاجة إلى معلم، ولو ألغينا دور المعلم فالقضية سهلة جداً، ثاني أكبر ميزانية في بلدنا من تأخذها ؟ وزارة التربية، ملايين الطلاب يحتاجون إلى معلمين، كل أربعين

طالباً يحتاجون إلى معلم، وكتب مدرسية، لو كان من الممكن أن نلغي دور المعلم لوزعنا كتباً على الطلاب فقط، لكن هذا العلم لا يؤخذ إلا عن الرجال، ومن أراد هذا العلم من دون رجال فهو ينتقل من محال إلى محال، دور المعلم ضروري، والله عز وجل أكد دور المعلم في آيات متشابهة في ظاهرها يبدو أنه فيها جبر، أو فيها إضلال، ولو سألت أهل الذكر لأعطاك المعنى.

إذاً أنا في منهج البحث الإسلامي عندي كتاب قطعي الثبوت، أما الدلالة فبعضه قطعي الدلالة، بل في معظمه، وبعض آياته ظنية الدلالة، وهي آيات قليلة، هذه لها هدف تربوي، أن يبرز دور المعلم في تعليم هذا القرآن الكريم، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

(( خيركم من تعلم القرآن وعلمه ))

[البخاري عن عثمان]

أول نقطة في منهج البحث أن القرآن كتاب قطعي الثبوت، وبعضه ظني الدلالة، أو قطعي الدلالة، قال تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل: الآية 43]

هناك ميزة كبيرة جداً للمسلم، أن له مرجعاً، أحياناً يرتكب بعض الأشخاص حماقات كبيرة جداً، وقد يتحركون دون أن يدخلوا الحساب الإلهي في برنامجهم، فإذا وقعوا في قبضة الله تأتيم حالة ندم قد يتمزقون منها، لأنه لما كان يتحرك ما كان له مرجع، أما أجمل ما في حياة المسلم أن له مرجعاً يسأله، هل هذا العمل صحيح؟ أقدم على هذا أم لا أقدم؟ أفعل هذا أم لا أفعل؟ المرجعية شيء مهم جداً، صدقوا أيها الإخوة الكرام، الإنسان أحياناً يرتكب خطأ فادحاً يدمر به سعادته الزوجية، وقد يخرب بيته بيده، وقد يعمل عملاً في منتهى الخطأ، لكن المؤمن له مرجع، هذا المرجع يعطيه الدليل من الكتاب والسنة، وأنت حينما تستشير الرجال تستعير عقولهم، وعلمنا الله عز وجل في القرآن الكريم منبهاً نبيه الكريم قال تعالى:

## ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

[ سورة آل عمران: الآية 159 ]

سيد الخلق، حبيب الحق، سيد البشر، يوحى إليه، لا يخطئ، معصوم، قال له، أنت أنت بالذات: [ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ]، وصف المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم.

أنت لك مرجعية، صدق أيها الأخ مرة ثانية، قد يرتكب الإنسان حماقات كبيرة جداً لرؤية معينة فيها خطأ، بضغط معين، بإغراء معين، لأنه ليس له مرجع، قد يدمر حياته أو سعادته، أو زواجه، أو عمله بيده، بينما أقل مؤمن له مرجع، والمرجع لا يعطيه الرأي من عنده، يقول له: هذا حرام، والآية تؤكد ذلك، هذا حلال، والآية تؤكد ذلك، أنا أسأل أسئلة كثيرة جداً، أقول له: الأصل في هذا الموضوع الآية الكريمة:

## ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[ سورة المائدة: الآية 2 ]

أنت حينما تتوجر بيتك بطريقة أن الأجرة تفوق أجرة فندق خمس نجوم في الليل الواحدة، إذاً ليست قضية سكن، لو أن هذا البيت هدفه هذه الأجرة، أن ينام الإنسان في هذا البيت ليلة واحدة ينام في أوفر فندق، وخدمة من أعلى مستوى، إذاً حينما يدفع لك إنسان مبلغاً كبيراً جداً مقابل ليلة واحدة في بيت فالقضية ليست نظيفة، ولأن الله يقول:

## ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[ سورة المائدة: الآية 2 ]

فأنت شريك في هذه الجريمة، جريمة الزنا، أنت إذاً لك مرجع تسأل هذا العمل حرام هذا الكسب غير مشروع، هذه البضاعة ممنوع التعامل معها، هذا اللقاء فيه شبهة، فيه معصية، أجمل ما في حياة المؤمن أن له مرجعية، والمرجع ليس مرجعاً قمعياً، ليس المرجع استبدادياً، ليس المرجع فيه جبروت، المرجع مرجع علمي، يقول لك: هذا حلال، وهذا الدليل، وهذا حرام، وهذا الدليل بمنهج البحث الإسلامي عندنا القرآن الكريم قطعي الثبوت، أما من حيث الدلالة فبعضه ظني الدلالة، وبعضه قطعي الدلالة، لأنه كتاب الله، يخاطب عباده

المؤمنين، أما ظني الدلالة فليكون للعلماء دور في أن ينقلوا هذا العلم إلى الناس.

أنا مرة لا أنسى قضية في التجارة متعلقة بالسندات والسفنتجة، وتوقيعين، وفي موطن، و من وقع هذا السند قضايا شائكة في التعامل بالسندات، وأنا مرة اقتنيت كتاباً في هذا الموضوع، يدرس في الصف الثالث في التجارة، قرأته ما فهمت منه ما ينبغي أن أفهمه، مرة كنت في صحبة إنسان اختصاصي في هذا الموضوع في سفرة من حلب إلى دمشق، استعدت من هذا اللقاء فائدة لا أجنيتها ولا بعشرة كتب أقرأها لوحدي.

أيها الإخوة الكرام، أحياناً الشبهات تحرك طلاب العلم إلى معرفة الحقيقة، مثلاً قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (113)﴾

[ سورة الأنعام ]

يؤلف كتاب فيه خطأ كبير، فيه اتهام لكمال الله عز وجل، اتهام كبير، فيه أخطاء كبيرة في العقيدة، هذا الكتاب في ظاهره ضلالات، لكن في حقيقته حرك العلم في البلد، كل طالب قرأ الكتاب تألم ألماً شديداً، سأل مرجعه الديني، بين له الحقيقة، صار في قفزة نوعية، وهذا الذي أحياناً يمكن أن يوجه له طالب العلم، الدور السلبي الذي يقوم به بعض أعداء الدين من حيث لا يريد، ولا يشعر، ولا يتمنى يمتن علاقة المؤمن بريه، تطرح شبه لا يحتملها، يسأل أهل العلم، يتأكد، فلذلك حتى الذين لهم دور سلبي في بث الضلالة، وفي بث الشبهات والأباطيل هؤلاء يقدمون فائدة غير مرئية، وغير مشاهدة.

مثلاً من منكم يصدق أن كتاباً ألف من قبل إنسان بعيد عن الدين، وعدو من أعداء الدين اسمه سلمان رشدي، ألف كتاباً آيات شيطانية، الإحصاء الدقيق الدقيق، وقد أخبرني به أحد الإخوة الكرام أن أربعين ألف بريطاني دخل في الإسلام بسبب هذا الكتاب، لا عن طريق هذا الكتاب، هناك فرق بسبب هذا الكتاب. فيه اتهام للنبي غير معقول، والذي قرأ الكتاب لم يحتمل، فبحث عن الحقيقة، فأسلم، وهذا معنى قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

العود بخور من دون أن تشعله لا يقدم لك رائحة ؟ متى يقدم لك رائحته ؟ إذا أشعلته، فأحياناً يوجد تحديات، نحن في عصر التحديات، هناك من يتحدى القرآن الكريم، من يتحدى مصداقيته، من يتحدى أنه وحي من الله يدنسه، هذا التحدي يمتن علاقة الإنسان بكتابه، فأنت لا تتألم ألماً غير معقول إذا رأيت أعداء الدين يصولون، ويجولون، هذا لتمتين عقيدة المسلم، الله عز وجل:

﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ  
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

[سورة آل عمران: الآية 7]

إذاً القرآن الكريم أكبر مرجع قطعي الثبوت، وظني الدلالة، والثبوت بين أيدينا هذا منهج، دورنا معه ماذا أراد الله بكلامه هنا الحديث، هنا علاقته، فأنا لا أستطيع أن أفهم القرآن الكريم وفق مزاجي، ووفق هواي، أنا أفهم القرآن وفق علم الأصول، دلالات الكلمات، ودلالات الجمل والصور، وما إلى ذلك، لكن يجب أن أقيد هذا بفهمي القرن الأول والثاني والثالث، لا يعقل أن أفهم القرآن الكريم فهماً بعيداً عن فهم هذه القرون الثلاثة التي شهد الله لها بالخيرية عن طريق نبيه، فأني فهم لهذا الدين متناقض مع فهم الصحابة الكرام والتابعين وتابعي التابعين فهو فهم غير صحيح، أنا لا أقبل أن يأتي عالم في آخر الزمان يفتي بالربا، وهو المعصية الكبيرة جداً، التي توعدها الله مرتكبها بالحرب، وأن يقول: الفائدة عائدة، فأنا حينما أفهم أحكام الدين بعيداً عن فهم القرون الثلاثة الأولى والثاني والثالث فقد خرجت عن منهج الله عز وجل، والحقيقة سبب حديثي عن منهج البحث في القرآن الكريم في الإسلام هذا الحديث: (( إِنْ خَيْرِكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ... ))، الآن هناك محاولة، قوة الإسلام، وقوة القرآن الكريم، وقوة الحديث الصحيح أكبر من أن يلغي هذه المرجعيات، أما كيف يحتال الشيطان عليها ؟ بتأويلها تأويلاً يخالف الحقيقة، ما الضمانة لعدم تأويلها تأويلاً يناقض أصل نزولها ؟ أن ترجع بتأويلك إلى ما فهمه الصحابة الكرام في القرن الأول والثاني والثالث، (( إِنْ خَيْرِكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ... ))، إذاً أنا أفهم كلام الله وفق علم الأصول، وعلم الأصول علم قطعي من حيث مصداقيته، وبحسب فهم الصحابة الكرام لهذا القرآن الكريم، مثلاً يقول الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾

[ سورة آل عمران : الآية 130 ]

يقول ببساطة ما بعدها بساطة، وبسذاجة ما بعدها سذاجة، يتوهم الإنسان أن التحريم للنسب العالية، أما النسب المنخفضة فليست محرمة، وقد فات هذا المفتري على الله أن هذا القيد ليس قيداً احترازياً، بل هو قيد وصفي، كيف ؟ مثلاً: إذا قال الله عز وجل:

﴿ وَلَا تَكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾

[ سورة النور : الآية 33 ]

البيغاء هو الزنا.

﴿ إِنَّ أَرْدَنَ تَحَصَّنًا ﴾

[ سورة النور : الآية 33 ]

إن لم ترد الفتاة التحصن هل لك أن تكرهها على الزنا ؟ أعوذ بالله، هذا اسمه قيد وصفي، يعني ولا تكرهوا فتياتكم على البيغاء، وهؤلاء الفتيات من شأنهن أنهن يُردن التحصن، هذا صار قيداً وصفي، وليس قيداً احترازياً، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾

[ سورة المؤمنون : الآية 117 ]

إذا كان مع إنسان برهان على وجود إله آخر هل هو إذاً معفى ؟ المعنى: ومن يدعو مع الله إلهاً آخر، ومن شأن هذا الذي يدعو مع الله إلهاً آخر أنه لا برهان له فيه، الفرق بين أن يكون قيداً احترازياً وقيداً وصفيًا، أنا لا أفهم أحكام الدين من خلال كتاب الله إلا وفق فهم الصحابة، هذا صار فهم الصحابة الكرام، وفهم التابعين، وتابعي التابعين، هذا الفهم من منهج البحث في الإسلام.

أنا مع القرآن، مهمني أن أفهم وفق علم الأصول، ووفق فهم الرعييل الأول من الصحابة والثاني والثالث، هذا أكبر منهج بحث.

البند الثاني: أنا معي كلام النبي عليه الصلاة والسلام، الفرق الدقيق أن كلام النبي عليه الصلاة والسلام ليس قطعي الثبوت، بعضه قطعي الثبوت، وبعضه ظني الثبوت، وبعض الأحاديث صحيحة، وبعضها ضعيف، وبعضها موضوع، والصحيحة بعضها متواتر، وبعضها صحيح، وبعضها حسن، فمع كلام رسول الله هناك مهتمتان، مع كلام رسول الله هناك مهتمتان، مهمة التأكد من صحة الحديث، ومهمة فهمه، هذا منهج البحث في الإسلام، مع القرآن الكريم مهمة واحدة، لأنه قطعي الثبوت، مهمني أن أفهمه وفق علم الأصول، ووفق فهم الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، لكن حين أفهم أمام حديث شريف فلي مهتمتان، مهمة التأكد من صحة الحديث، ثم مهمة فهم الحديث، فمن كذب علي متعمداً من النار، ومن روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين.

الفقرة الثانية في منهج البحث في الإسلام أن الحديث الشريف قطعي الثبوت، أو ظني الثبوت، لذلك مهمني أن أتأكد من صحة الحديث، وبعد ذلك مهمني أن أفهم قصد النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً وفق علم الأصول، ووفق فهم الصحابة الكرام له، فهم الصحابة أحد أكبر منهج البحث في الإسلام،

(( إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. ))

البند الأخير في منهج البحث في الإسلام: الآن أي نص آخر .

معني قرآن من عند خالق الأكوان، ومعني سنة بعضها صحيح، وبعضها موضوع، الآن أمام نص ثالث ليس قرآناً ولا سنةً من آدم إلى يوم القيامة الآن في ستة آلاف مليون إنسان كل يوم يطبع في اللغة الإنكليزية ما يحتاج القارئ في قرأته إلى مئتي عام، أنا ماذا آخذ، وماذا أَدع ؟ أقول لك: منهج البحث مع النص الثالث، الأول هو القرآن، والثاني هو كلام النبي العدنان، والثالث كلام البشر، أولاً التأكد من صحة نقل هذا النص إلى صاحبه، كثير من النصوص مفتراة على أصحابها، لم يقولوها، هذا تحت بحث طويل اسمه الدس في الإسلام، هناك جماعة قامت بدور قدر جداً، وهو أن يدسوا على كبار العلماء كلاماً ما قالوه، حتى إن الإمام الشعراني يذكر في بعض كتبه أن إنساناً قرأ كتب الشيخ محي الدين، وفي نفسه مأخذ كبير جداً على بعض ما في كتبه من

تجاوزات، فلما التقى بعالم في مكة المكرمة قال: دخل على غرفته، وأخرج نسخة من هذا الكتاب بخط يد الشيخ محي الدين، قال: فلم أجد شيئاً مما أخذته عليه، لأن هذه النسخة التي قرأها صحيحة، أما هناك ففس، وهناك بحث طويل حول من دس على الإمام ابن حنبل، والإمام مالك، والإمام الحنفي، فأنت مع النص الثالث أول مهمة أن تتأكد من صحة هذا النص إلى صاحبه، وبنهج البلاغة يوجد أقوال كثيرة لسيدنا علي غير صحيحة، بينما يقول عن سيدنا الصديق: كنت أشبهنا برسول الله خَلَقاً وَخُلُقاً، وسمتاً، وهناك حديث عن هذا الخليفة يزوب القلب له، وفي كلام آخر: أما بعد، فقد تقمصها ابن أبي قحافة مني تقمصاً . يعني الخلافة.

الذي يقول هذا الكلام الأول لا يقول هذا الكلام الثاني.

هناك أحياناً انتحال ودس على بعض الأئمة الكرام، إذأ أنا مع النص الثالث أول مهمة التأكد من نسبة النص إلى صاحبه، ثم أن أفهمه وفق ما أعلم من قواعد فهم النصوص، أما الشيء الثالث، وهو الأخطر أن أعرض هذا الكلام على الكتاب والسنة الصحيحة، فإن وافقه فعلى العين والرأس، وإن خلافه أركله بقدمي، النص الثالث التأكد من نسبة النص إلى صاحبه، قد يكون منحولاً، وقد يكون مفترى، والمهمة الثانية أن أفهم النص وفق علم الأصول، والثالثة أن أعرضه على الكتاب والسنة.

أنا مع نص قرآني قطعي الثبوت موقفي منه فهم النص وفق علم الأصول، ووفق فهم الصحابة له والتابعين وتابعيهم، ومع نص نبوي مهمتي التأكد من صحة النص، ثم فهمه وفق علم الأصول، ووفق فهم الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، أما المهمة الأصعب فمع النص الثالث الذي هو للبشر أولاً أن أتأكد من صحة نسبة النص إلى صاحبه، ثم أن أفهمه وفق علم الأصول، وأن أقيمه بالكتاب والسنة، فإن وافقه فعلى العين والرأس، وإن خالفه أركله بقدمي.

هذا منهج البحث في الإسلام إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن مدعياً فالدليل، يقول عليه الصلاة والسلام:

(( إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَحُوتُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ، وَلَا يُؤْفُونَ، وَيَطْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ ))

[ متفق عليه ]

والحمد لله رب العالمين

## الفهرس

- الدرس ( 001 - 127 ) : يا غلام إنني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ..... 1
- الدرس ( 002 - 127 ) : إن ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم ..... 20
- الدرس ( 003 - 127 ) : لعنك ترزق به ... ..... 34
- الدرس ( 004 - 127 ) : قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله ..... 46
- الدرس ( 005 - 127 ) : المبادرة إلى الخيرات - أي الصدقة أعظم ..... 56
- الدرس ( 006 - 127 ) : المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . ..... 70
- الدرس ( 007 - 127 ) : شروط انعقاد البيع - الأهلية - التعدد ..... 86
- الدرس ( 008 - 127 ) : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ..... 100
- الدرس ( 009 - 127 ) : فضل ليلة النصف من شعبان ..... 114
- الدرس ( 010 - 127 ) : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ..... 134
- الدرس ( 011 - 127 ) : الخلق الحسن 1 - وصايا النبي لأبي ذر الغفاري بتقوى الله ..... 153
- الدرس ( 012 - 127 ) : الخلق الحسن 2 - تمة وصايا النبي لأبي ذر ..... 168
- الدرس ( 013 - 127 ) : نضر الله عبداً ..... 190
- الدرس ( 014 - 127 ) : أحاديث شريفة تبدأ ب إياكم ..... 208
- الدرس ( 015 - 127 ) : احفظ الله يحفظك ..... 226
- الدرس ( 016 - 127 ) : المؤمن القوي ..... 245
- الدرس ( 017 - 127 ) : أما بعد فإن أصدق الحديث 1 ..... 262

- الدرس ( 018 - 127 ) : أما بعد فإن أصدق الحديث 2 ..... 281
- الدرس ( 019 - 127 ) : إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ..... 299
- الدرس ( 020 - 127 ) : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..... 314
- الدرس ( 021 - 127 ) : الزهد ..... 328
- الدرس ( 022 - 127 ) : قل آمنتم بالله ثم استقم ..... 345
- الدرس ( 023 - 127 ) : إذا لم تستح فاصنع ما شئت ..... 360
- الدرس ( 024 - 127 ) : عن المولد من مدارج السالكين ..... 377
- الدرس ( 025 - 127 ) : حق العباد على الله أن يعبدوه ..... 395
- الدرس ( 026 - 127 ) : من أحدث في أمرنا ما ليس ..... 412
- الدرس ( 027 - 127 ) : اللهم إني أعوذ بك من ..... 432
- الدرس ( 028 - 127 ) : عليكم بالجماعة ..... 451
- الدرس ( 029 - 127 ) : أحاديث تبدأ بحرفه الخاء ..... 472
- الدرس ( 030 - 127 ) : أحاديث شريفة تبدأ بـ إن ..... 495
- الدرس ( 031 - 127 ) : أحاديث شريفة تبدأ بـ إن الله تعالى ..... 516
- الدرس ( 032 - 127 ) : أحاديث شريفة عن بواعض العمل ..... 535
- الدرس ( 033 - 127 ) : أحاديث شريفة عن الحج ..... 552
- الدرس ( 034 - 127 ) : أربع من كن فيه كان منافقاً ..... 573
- الدرس ( 035 - 127 ) : اتقوا الله واعملوا في أولادكم ..... 590

- الدرس (036 - 127) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك 1 ..... 604
- الدرس (037 - 127) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك 2 ..... 622
- الدرس (038 - 127) : يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك 3 ..... 640
- الدرس (039 - 127) : إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً ..... 658
- الدرس (040 - 127) : خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..... 679
- الدرس (041 - 127) : توجيهات نبوية في التعليم عن طالب العلم ..... 697
- الدرس (042 - 127) : توجيهات نبوية ..... 720
- الدرس (043 - 127) : إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين ..... 737
- الدرس (044 - 127) : أحب للناس ما تحبه لنفسك ..... 757
- الدرس (045 - 127) : أحاديث تبدأ ب طوبى ..... 777
- الدرس (046 - 127) : طوبى لمن تواضع في خير منقصة ..... 795
- الدرس (047 - 127) : مقياس توفيق المؤمن في الإسلام ..... 813
- الدرس (048 - 127) : أحاديث مختلفة بالفتن ..... 829
- الدرس (049 - 127) : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ..... 831
- الدرس (050 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ ب ما ..... 848
- الدرس (051 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ ب إنما ..... 862
- الدرس (052 - 127) : الترهيب من أن يحقر المسلم أخاه وترهيب ذي الوجوه ..... 882
- الدرس (053 - 127) : كن في الدنيا كأنك حمير أو حابر سبيل ..... 902

- الدرس (054 - 127) : أحاديث عن الرفق ..... 917
- الدرس (055 - 127) : الإيمان والعمل ..... 932
- الدرس (056 - 127) : إن الله فرض فرائض ..... 949
- الدرس (057 - 127) : من عادي لي ولياً فقد آذنته بحرب ..... 967
- الدرس (058 - 127) : التقرب إلى الله بالنوافل ..... 985
- الدرس (059 - 127) : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ..... 1000
- الدرس (060 - 127) : محبة الله ورسوله ..... 1020
- الدرس (061 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة ما من ..... 1036
- الدرس (062 - 127) : أحاديث شريفة تبدأ بكلمة المؤمن ..... 1056
- الدرس (063 - 127) : أحاديث شريفة عن الصبرة ..... 1072
- الدرس (064 - 127) : لكل داء دواء ..... 1093
- الدرس (065 - 127) : أحاديث شريفة عن آخر الزمان ..... 1112
- الدرس (066 - 127) : لا يخافن العبد إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه ..... 1133
- الدرس (067 - 127) : وجهدهم به جهاداً كبيراً ..... 1150
- الدرس (068 - 127) : النصف من شعبان ..... 1164
- الدرس (069 - 127) : الاستعداد لشهر رمضان ..... 1179
- الدرس (070 - 127) : رمضان شهر القرآن ..... 1194
- الدرس (071 - 127) : الطلاق ..... 1209

- 1222.....الدرس (072 - 127) : الترمييز في الرفق والحلم
- 1239 .....الدرس (073 - 127) : الفتن - آخر الزمان
- 1255 .....الدرس (074 - 127) : آخر الزمان - مزايا الصحابة الكرام
- 1272 .....الدرس (075 - 127) : أخطر ما يتهمد المسلمون هو الخصومات فيما بين هم
- 1283 .....الدرس (076 - 127) : فرض تعلم العلم
- 1294 .....الدرس (077 - 127) : حقيقة الحياء
- 1300 .....الدرس (078 - 127) : أختنم خمساً قبل خمس
- 1317 .....الدرس (079 - 127) : من كتاب منعم التربية النبوية للطفل - فصل الأربعون النبوية للأطفال
- 1329 .....الدرس (080 - 127) : الحج في الله
- 1343.....الدرس (081 - 127) : قضاء حوائج المسلمين
- 1355 .....الدرس (082 - 127) : الورع وتترك الشبهات
- 1369 .....الدرس (083 - 127) : وصية النبي عليه السلام لأبي ذر الغفاري
- 1383 .....الدرس (084 - 127) : التواضع وخفض الجناح للمؤمنين
- 1400 .....الدرس (085 - 127) : قصة أصحاب الأخدود
- 1414 .....الدرس (086 - 127) : من وحايا رسول الله ﷺ
- 1425 .....الدرس (087 - 127) : الاستغفار
- 1442 .....الدرس (088 - 127) : الترمييز في البداة في الخير
- 1454 .....الدرس (089 - 127) : اتباع الكتاب والسنة

- 1472 ..... الدرس (090 - 127) : الاصطفاء
- 1486 ..... الدرس (091 - 127) : اتقوا الاغنيين
- 1503 ..... الدرس (092 - 127) : الترغيب في بناء المساجد
- 1519 ..... الدرس (093 - 127) : ليس كل مصل يطلي
- 1536..... الدرس (094 - 127) : اطلعوا رجالكم وحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامة بين الناس
- 1546 ..... الدرس (095 - 127) : من الكبائر الباطنة عدم العمل بالعلم
- 1560 ..... الدرس (096 - 127) : أمرني ربي بتسع
- 1574 ..... الدرس (097 - 127) : سبل الدخول إلى الجنة
- 1592 ..... الدرس (098 - 127) : الدعاء
- 1606 ..... الدرس (099 - 127) : ترغيب الزوج في الوفاء وحسن العشرة والزوجة في الطاعة
- 1618 ..... الدرس (100 - 127) : تعرض الفتن على القلوب كالصير حوداً حوداً
- 1629 ..... الدرس (101 - 127) : القانون فوق الجميع - لو أن فاطمة بنت ممد سرقته لقطعته يدها
- 1639 ..... الدرس (102 - 127) : من نفس عن مؤمن
- 1650 ..... الدرس (103 - 127) : ما بعث الله من نبي
- 1661..... الدرس (104 - 127) : لتتبعن سنن من كان قبلكم
- 1672..... الدرس (105 - 127) : لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله
- 1682 ..... الدرس (106 - 127) : النزع لكل مسلم
- 1696 ..... الدرس (107 - 127) : في حسن الخلق

- الدرس ( 108 - 127 ) : الترهيب في أن يطلع الإنسان في دار قبل أن يستأذن ..... 1707
- الدرس ( 109 - 127 ) : من استمع إلى حديث قوم له كارهون ..... 1717
- الدرس ( 110 - 127 ) : الخيل ثلاثة هي لرجل ووزر و لرجل ستر و لرجل أجر ..... 1728
- الدرس ( 111 - 127 ) : حسن الظن بالله تعالى ..... 1740
- الدرس ( 112 - 127 ) : لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ..... 1750
- الدرس ( 113 - 127 ) : لا تحقرن من المعروف شيئا ..... 1760
- الدرس ( 114 - 127 ) : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ..... 1772
- الدرس ( 115 - 127 ) : التوبة ..... 1785
- الدرس ( 116 - 127 ) : الترميب في الرفق والأناة والحلم ..... 1795
- الدرس ( 117 - 127 ) : أنا عند حسن ظن محبدي بي ..... 1810
- الدرس ( 118 - 127 ) : لا يكون اللعانون شجعاء ولا شهداء يوم الآخرة ..... 1825
- الدرس ( 119 - 127 ) : الابتعاد عن العمل الذي يمكن أن يفتتن به ..... 1840
- الدرس ( 120 - 127 ) : الترميب في التواضع والترهيب من الكبر ..... 1856
- الدرس ( 121 - 127 ) : الترميب من كثرة الكلام ..... 1870
- الدرس ( 122 - 127 ) : إياكم و الظن فإنه كذب الحديث ..... 1886
- الدرس ( 123 - 127 ) : الترميب في التواضع والترهيب من الكبر والعجب والافتخار ..... 1899
- الدرس ( 124 - 127 ) : احتجبت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون ..... 1909
- الدرس ( 125 - 127 ) : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ..... 1918

الدرس (126 - 127) : لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِيهِ قَلْبٌ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ..... 1928

الدرس (127 - 127) : باب الترهيب في إنجاز الوعد والأمانة والترهيب من إخلاله ومن الخيانة .... 1941

الفهرس ..... 1954